

مِنْهَاجُ الشَّيْخَةِ

فِي السُّرَى عَلَى ابْنِ تَيْمِيَّةٍ

تأليف

آية الله المجاهد الكبير

العلامة السيد محمد مهدي الكاظمي القزويني

(١٣٥٨-١٢٨٢ هـ)

عبدالله
عليه السلام
وآله
الطاهرين

تصحیح

السید مرتضیٰ تبریزی

الجزء الثامن

منهاج الشريعة في الردّ على ابن تيمية

تأليف

آية الله المجاهد الكبير

العلامة السيّد محمد مهدي الكاظمي القزويني رحمته الله

(١٢٨٢ - ١٣٥٨ هـ)

الجزء الثامن

تحقيق

السيد مرتضى ميرسجّادي

سرشناسه	: کاظمی قزوینی، محمد مهدی، ۱۸۶۵ - ۱۹۳۹ م.
عنوان قراردادی	: منهاج السنة النبویه فی نقض کلام الشیعة القدريه. شرح
عنوان و نام پدیدآور	: منهاج الشريعة فی الرد علی ابن تیمیة/تألیف محمد مهدی کاظمی القزوینی؛ تحقیق سیدمرتضی میرسجادی
مشخصات نشر	: قم: انتشارات محلاتی، ۱۳۸۸ -
مشخصات ظاهری	: ج.
شابک	: دوره ۸-۷۱-۷۴۵۵-۹۶۴-۹۷۸؛ ج. ۱: ۱-۷۰-۷۴۵۵-۹۶۴-۹۷۸؛ ج. ۳: ۳-۸۵-۷۴۵۵-۹۶۴-۹۷۸؛ ج. ۴: ۴-۲۸-۵۶۵۹-۶۲۲-۹۷۸؛ ج. ۵: ۵-۳۷-۵۶۵۹-۶۲۲-۹۷۸؛ ج. ۶: ۶-۵۳-۵۶۵۹-۶۲۲-۹۷۸؛ ج. ۷: ۷-۱۶-۴۷۵۱-۶۲۲-۹۷۸؛ ج. ۸: ۸-۶۰-۵۶۵۹-۶۲۲-۹۷۸
وضعیت فهرست نویسی	: فیبا.
یادداشت	: عربی.
یادداشت	: کتاب حاضر ردیه ای است بر کتاب ((منهاج السنة النبویه فی نقض کلام الشیعة والقدريه)) ابن تیمیة که آن خود ردیه ای است که ابن تیمیة بر کتاب ((منهاج الکرامه فی معرفه الامامه)) علامه حلی نوشته است.
یادداشت	: ج. ۳ (چاپ اول: ۱۳۹۶) (فیبا).
یادداشت	: ج. ۵ (چاپ دوم: ۱۴۰۲).
یادداشت	: ج. ۸ (چاپ اول: ۱۴۰۴) (فیبا).
یادداشت	: جلد چهارم تا هشتم این کتاب توسط انتشارات العطار منتشر شده است.
موضوع	: علامه حلی، حسن بن یوسف، ۷۲۶-۶۴۸ ق. منهاج الکرامه فی معرفه الامامه -- نقد و تفسیر
موضوع	: ابن تیمیة، احمد بن عبدالحلیم، ۶۶۱-۷۲۸ ق. منهاج السنة النبویه فی نقض الشیعة القدريه -- نقد و تفسیر
موضوع	: امامت -- دفاعیه ها انمه اثنا عشر (Imams (Shiites شیعه -- دفاعیه ها Shi'ah -- Apologetic works
شناسه افزوده	: میرسجادی، مرتضی
شناسه افزوده	: علامه حلی، حسن بن یوسف، ۷۲۶-۶۴۸ ق. منهاج الکرامه فی معرفه الامامه. شرح
شناسه افزوده	: ابن تیمیة، احمد بن عبدالحلیم، ۶۶۱-۷۲۸ ق. منهاج السنة النبویه فی نقض الشیعة القدريه. شرح
رده بندی کنگره	: ۱۳۸۸ ع ۷۵۷۵۸/۸۰۲۸ BP۲۲۳
رده بندی دیویی	: ۲۹۷/۴۵
شماره کتابشناسی ملی	: ۲۱۰۲۳۳۶
اطلاعات رکورد کتابشناسی	: فیبا



هوية الكتاب:

الكتاب: منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ۸
تأليف: العلامة السيد محمد مهدي الكاظمي القزويني
تحقيق: السيد مرتضى ميرسجادي
الناشر: العطار المطبعة: احسان
الاخراج الفني: كمبيوتر المجتبی الشیخ
الطبعة: الأولى ۱۴۰۴هـ ش - ۱۴۴۷هـ ق
العدد: ۲۰۰ نسخة / عدد الصفحات ۱۱۱۰ صفحة وزيري
الترقيم الدولي (ISBN): ۵ - ۶۰ - ۵۶۵۹ - ۶۲۲ - ۹۷۸
شابک الدورة: ۷ - ۱۵ - ۴۷۵۱ - ۶۲۲ - ۹۷۸
منشورات
مکتبة المحلاتي
قم / پاساز صاحب الزمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء
والمرسلين محمّد وآله الطاهرين سيّما بقيّة الله في الأرضين واللعنة
على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

اللَّهُمَّ كُنْ لَوْلِيَّكَ الْحَجَّةَ بْنَ الْحَسَنِ صَلَواتِكَ عَلَيْهِ وَعَلى آبائِهِ
فِي هَذِهِ السَّاعَةِ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ وَلِيًّا وَحَافِظًا وَقَائِدًا وَنَاصِرًا وَدَلِيلًا
وَعَيْنًا
حَتَّى تُسَكِّنَهُ أَرْضَكَ طَوْعًا
وَتُمَتِّعَهُ فِيهَا طَوِيلًا

قال السنّي:

الوجه الخامس تمثيله بقصة ابن سعد، طالباً للرئاسة والمال مقدماً على المحرّم، فلزم من ذلك كون السابقين بهذا الحال، وسعد أبوه كان من أزهد الناس في الرئاسة، ولمّا قتل عثمان اعتزل الناس في قصره بالعقيق وجاءه ابنه عمرو فقال له: الناس في المدينة يتنازعون الملك، وأنت ههنا يلومه بذلك. فقال له: اذهب فإنّي سمعت النبي ﷺ يقول: إنّ الله يحبّ العبد التقيّ الغنيّ الخفيّ.

وهو الذي فتح العراق وهو آخر العشرة موتاً. فإن لم يحسن أن يشبهه بابنه هل يشبه أبو بكر وعمر وعثمان وهم يفضّلون محمّد بن أبي بكر على أبيه ويعظّمونه ويحبّونه لكونه آذى عثمان وكان من خاصّة أصحاب عليّ رضي الله عنه ويسبّون أباه أبا بكر، فلو أنّ الناصبة فعلت بابن سعد مثل ذلك فمدحوه على قتل الحسين رضي الله عنه لكونه من شيعة عثمان ومن المنتصرين له مع سبّهم أباه من حيث تخلفه عن نصرة عثمان بالطلب بدمه مع معاوية. فإن فعلت الناصبة ذلك فهم من جنس الرفضة والرفضة شرّ منهم، فإنّ أبا بكر أفضل من سعد وعثمان أبعد من استحقاق القتل من الحسين رضي الله عنه وهما مظلومان وما صدر من الفساد في قتل عثمان أعظم ممّا صدر في قتل الحسين رضي الله عنه وعثمان من السابقين وهو خليفة مظلوم طلب منه أن يعزل بغير حقّ، فلم ينزل ولم يقاتل عن نفسه حتّى قتل. والحسين رضي الله عنه لم يكن متولّياً بل كان طالباً لذلك وتعسّرت عليه وطلب منه ليستأسر فأبى فقاتل حتّى

٦..... منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨
استشهد. وغاية ابن سعد أنه معترف بأنه طلب الدنيا بمعصية يعترف بأنها
معصية، وذلك ذنب كثير وقوعه من المسلمين. وأما الشيعة فكثير منهم
قصدهم تخريب الدين مثل الباطنية المنتسبين إلى الشيعة، وإنما يتظاهرون
بالشيعة لقلّة عقل الشيعة وحمقهم تقريباً بذلك منهم إلى مقاصدهم، وأولهم
بل خيارهم المختار بن أبي عبيد الكاذب فإنه كان أمين الشيعة فأظهر
الطلب بثار الحسين عليه السلام فإنه أعظم جرماً من ابن سعد لبهتانه بدعوى الوحي
وأن جبرئيل ينزل عليه. وقد ثبت في الصحيحين ما دلّ على وجود كاذب
ومبير في ثقيف، فالكاذب المختار والمبير الحجاج وذنب قتل النفوس أقلّ
من دعوى النبوة، فإنّ هذه الدعوى كفر دون قتل النفوس والفتنة أعظم من
القتل والباب المطرد في المقام هو أنه ما ترى الشيعة ذمّت شخصاً ولو بحق
ففيها من هو شرّ منه وما مدحت شخصاً ولو بحق، ففي المارقة خير منه.
وأما أهل السنة فيتولّون جميع المؤمنين وينطقون بالعلم والعدل ويتبرّئون
من طريقة الرفضة والناصبة ويتولّون السابقين ويعرفون قدر الصحابة
وفضلهم ومناقبهم ويرعون حقوق أهل البيت التي شرّعها الله لهم، ويرعون
درجات السابقين فيعلمون بتقدّم أبي بكر وعمر على عامة الصحابة وذلك
متّفق عليه، لكن شيعة علي السابقين كانت طائفة منهم تقدمه على عثمان
وأئمة أهل البيت متّفقون على تقديم أبي بكر وعمر عليه وهو مذهب أئمة
السنة، انتهى ملخصاً^(١).

(١) منهاج السنة ج ٢: ص ٦٥-٧٤

قلت:

غير خفي على الناقد الناظر إلى ما تقدّم ما في هذه النبذة من البهتان والسنيّ قد أرسل غالب دعاويه فيها إرسال المسلّمات، حيث لم يأت عليها ولو بصورة دليل من طرق أهل مذهبه^(١)، ونحن حفظاً للغفلة من بهتانه نشير إلى ما فيها بوجوه^(٢):

(١) لا يخفى على الخير أنّ الادّعاء بلا إقامة الدليل لا يثبت شيئاً، لأنّ الخير يعلم بأنّ الدعوى العاري عن الدليل، لا أثر له في مقام المحاجة، بل الادّعاء بلا إقامة الدليل يثبت عدم وثاقة المدعي، لأنّه لو كان صادقاً في ادّعائه لكفى أن يقيم الدليل والبرهان على دعواه، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (سورة البقرة: ١١١). هذه الآية المباركة تشير إلى ادّعاء مجموعة من اليهود والنصارى، الذين كانوا يقولون: لن يدخل الجنّة إلّا من كان هوداً أو نصارى، فجيبهم القرآن الكريم جواباً رادعاً، فتخاطب الآية رسول الله ﷺ وتقول: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، أي أنّ الدليل على صدق كلامكم نفس إقامة الدليل منكم على ادّعائكم، وإنّ عدم إقامة الدليل منكم دليل على عدم صدق دعواكم. فالمدعي بلا دليل كلامه لا يكون صادقاً سواء كان المدّعي مورد الوثوق بالناس أم يكن كذلك، لأنّ الدعوى تحتاج إلى إقامة الدليل والبرهان، وبدون الدليل لا يمكن الاعتماد عليه. وعليه فإنّ دعاوي ابن تيمية في المقام لا أثر لها حتّى عند أهل السنّة، إن كانوا من أهل العقل والمنطق والتعقّل، فلاحظ.

(٢) لا يخفى على الباحث المتأمل في كتب ابن تيمية والمتّبع في دعاويه، بأنّه رجل لا يريد الوصول إلى الحقّ والحقيقة، ولا يكون في صدد إثبات الحقّ، وإنّما يريد فرض عقائده على الجهال المتعصّبين من أهل نحلته، بتقليب الحقائق وإغفالهم والتزوير وما شابه ذلك،



أحدها: ما زعمه من لزوم كون سابقين السابقين حالهم حال ابن سعد^(١)،



فيأخذ أمامهم وجهة أهل العلم، وباستعماله الطرق الملتوية من الأساليب الغاشمة ليتحفظ على الأصول المتناقضة عند أهل السنة، لأنه كان يعلم أن عامة من تسمى بأهل السنة أكثرهم جهلة لا يستطيعون التمييز بين الحقّ والباطل، فكان يستعمل في مباحثه السفسطة والجحود ليضيع عندهم، ولئلا يتأمل أهل التحقيق في المباحث. ولكن الباحث الخبير يعلم بأنه لا يمكن لابن تيمية وأتباعه التخلص من الإشكالات التي وجهها إليهم أتباع مدرسة أهل البيت عليه السلام؛ لأنها مستندة بالكتاب والسنة النبوية المتفقة بين جميع المسلمين وبالعلم والحكمة والموعظة الحسنة، كما سنبينها ذلك للقارئ الكريم من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

(١) لا يخفى أن عمر بن سعد بن أبي وقاص كمن مثله من الصحابة النواصب الذين أظهر حقه وعداوته لأهل البيت عليه السلام لا سيما جهده البالغ في محاربتهم، ولذلك انتخبه ابن مرجانة قائداً عاماً لقواته المسلحة التي زج بها لحرب ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وقبل أن نعرض أسباب انتخابه نقدم عرضاً لبعض شؤونته. لقد اجتاز ابن سعد على النبي صلى الله عليه وآله فلما رآه نفر منه وأخبر صلى الله عليه وآله عن سوء عاقبته وقال: يكون مع قوم يأكلون الدنيا بألسنتهم كما تلحس الأرض البقرة بلسانها (انظر كنز العمال للمتقي الهندي ج ١٠: ١٠٦). وقد أخبر أمير المؤمنين عليه السلام بسوء مصيره، يقول الرواة أنه نظر إليه وحذّنه فرأى فيه طيشاً واستهانة بالحقّ وجرأة على ارتكاب الباطل فقال له: «ويحك يا ابن سعد!! كيف بك إذا قمت مقاماً تخير فيه بين الجنة والنار فتختار النار» (تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٤٥: ٤٩). وروى ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة عن ابن هلال الثقفي في كتاب الغارات عن زكريا بن يحيى العطار، عن فضيل، عن محمد بن علي، قال: لما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله لا تسألونني عن فئة تضلّ مائة، وتهدى مائة إلا أنبأتكم بناقضتها وسائقها»، قام إليه رجل فقال:





أخبرني بما في رأسي ولحيتي من طاقه شعر، فقال له الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «والله لقد حدّثني خليلي أنّ على كلّ طاقة شعر من رأسك ملكاً يلعنك، وإنّ على كلّ طاقة شعر من لحيتك شيطاناً يغويك، وإنّ في بيتك سخلاً يقتل ابن رسول الله ﷺ»، وكان ابنه قاتل الحسين عليه السلام يومئذ طفلاً يحبّو (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢: ص ٢٨٦). وعندما قدم مسلم بن عقيل سفير الإمام الحسين عليه السلام الكوفة كتب عمر بن سعد إلى يزيد يخبره بقدوم مسلم بن عقيل الكوفة ومبايعة الناس له ويقول له: إن كان لك في الكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قويا ينفذ أمرك ويعمل مثل عملك في عدوك، فإنّ النعمان رجل ضعيف أو هو يتضعّف... (تاريخ الطبري ج ٤: ص ٢٢). لمّا أحسّ يزيد بن معاوية (لعنه الله) الوفاء والنصيحة من عمر بن سعد بعد كتابته له، قرّر مكافأته بتوليته ولاية بلاد الري (تاريخ الطبري ج ٤: ص ٣٠٩). وكتب لعبيد الله بن مرجانة أن يعده نيابة عن يزيد كتاب التولية، وأمره بالخروج، وجّهز معه أربعة آلاف فارس. وأخرج الطبري بسنده عن عمار بن عبد الله بن يسار الجهني عن أبيه قال: فأقبل عمر بن سعد إلى ابن زياد فقال:... ابعث إلى الحسين في هذا الجيش من أشراف الكوفة... فسمى له أناساً، فقال له ابن زياد: لا تعلّمني بأشراف أهل الكوفة ولست أستاذمرك فيمن أريد أن أبعث، إن سرت بجندنا وإلّا فابعث إلينا بعهدنا، فلمّا رآه قد لجّ قال: فإنّي سائر (تاريخ الطبري ج ٤: ص ٣١٠). وقال ابن عساكر: كان سبب خروج عمر بن سعد إلى الحسين عليه السلام أنّ عبيد الله بن زياد بعثه على أربعة آلاف من أهل الكوفة يسير بهم إلى دستي وكانت الديلم قد خرجوا إليها وغلبوا عليها، فكتب ابن زياد عهد على الري فأمره بالخروج، فخرج فعسكر بالناس بحمام أعين، فلمّا كان من أمر الحسين ما كان وأقبل إلى الكوفة دعا ابن زياد عمر بن سعد فقال له: سر إلى الحسين فإذا فرغنا ممّا بيننا وبينه سرت إلى عملك. فقال له عمر بن سعد: إن رأيت أن تعفيني فافعل. فقال عبيد الله: نعم على أن ترد علينا عهدنا. قال: فلمّا قال له ذلك قال له عمر بن سعد: أمهلني اليوم أنظر، قال: فانصرف عمر. فجعل يستشير نصحاءه، قال: وجاءه حمزة بن المغيرة بن شعبة وهو ابن أخته فقال: أنشدك الله يا خال أن تسير إلى الحسين فتأثم بربك وتقطع رحمك، فوالله لأن تخرج من دنياك ومالك وسلطان الأرض كلّها لو





كان خير لك من أن تلقى الله بدم الحسين. فقال عمر بن سعد: فإنني أفعل إن شاء الله (تاريخ مدينة دمشق ج ٤٥: ص ٥٠). قال الحموي في معجم البلدان: مدينة ري مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن كثيرة الفواكه والخيرات، وهي محط الحاج على طريق السابلة وقصبة بلاد الجبال... والري مدينة ليس بعد بغداد في المشرق أعمر منها... وللري قرى كبار كل واحدة أكبر من مدينة... وحكى ابن الفقيه عن بعض العلماء قال: في التوراة مكتوب الري باب من أبواب الأرض وإليها متجر الخلق. وقال الأصمعي: الري عروس الدنيا وإليه متجر الناس... وكان عبيد الله بن زياد قد جعل لعمر بن سعد بن أبي وقاص ولاية الري إن خرج على الجيش الذي توجه لقتال الحسين بن علي عليه السلام، فأقبل يميل بين الخروج وولاية الري والقعود، وقال: أترك ملك الري والري رغبتني * أم أرجع مذموماً بقتل حسين. وفي قتله النار * التي ليس دونها حجاب. وملك الري قرّة عين... فغلبه حب الدنيا والرياسة حتى خرج فكان من قتلة الحسين عليه السلام (معجم البلدان ج ٣: ص ١١٦). وأما شعره المذكور فمعروف جداً، تجده في كتب الأخبار والتواريخ والبلدان، مع زيادة ونقيصة في عدد الأبيات. ورأيت في بعض الكتب ثمانية أبيات هي: فوالله ما أدري وإني لحائر * أفكر في أمري على خطرين. أترك ملك الري والري منيتي * أم أرجع مأثوماً بقتل حسين. حسين ابن عمي والحوادث جمّة * لعمرى ولي في الري قرّة عين. وإنّ إله العرش يغفر زلّتي * ولو كنت فيها أظلم الثقلين. ألا إنّما الدنيا بخير معجل * وما عاقل باع الوجود بدين. يقولون إنّ الله خالق جنّة * ونار وتعذيب وغلّ يدين. فإن صدقوا فيما يقولون فإنني * أتوب إلى الرحمن من سنتين. وإن كذبوا فزنا بدنيا عظيمة * وملك عظيم دائم الحجلين (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٤: ص ٥٣). وقد لعن هارون الرشيد عمر بن سعد وحكم عليه بالإلحاد والمروق من الدين وذلك في قصّة طريفة لا تخلو من متعة نسوقها إلى القراء، يقول الرواة: أنّه جيء بإسحاق بن ابراهيم مخفوراً إلى الرشيد بتهمة أنّه كان من الملحدين، فقال له إسحاق: يا أمير المؤمنين إنّني مؤمن بالله وبجميع رسله وأنبيائه وليس هذا ذنبي ولكن لي ذنبا آخر؟ فبهر الرشيد وقال له: ما هو؟ فقال: الولاء لكم أهل البيت فهل من يدين بحبكم ويراه فرضاً





عليه يحكم عليه بالإلحاد؟ وتبسم الرشيد وأمر بأن يرفع عنه النطع والسيف واندفع إسحاق فقال له: يا أمير المؤمنين ما رأيك في عمر بن سعد قاتل الحسين الذي يقول: يقولون: إن الله خالق جنة نار وتعذيب وغلّ يدين، فأطرق الرشيد برأسه وتأمل كثيراً ثم قال: لعن الله عمر بن سعد كان لا يثبت صانعاً ولا يقول ببعثة ولا نبوة، يا إسحاق أتدري من أين أخذ قوله هذا؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، أخذه من شعر يزيد بن معاوية. ما قال يزيد؟ أنه قال: عليه هاتي ناوليني وأعلني * حديثك إنني لا أحب التناجيا. حديث أبي سفيان لما سجا به * إلى أحد حتى أقام البواكيا. فرام به عمرو عليا ففاته * وأدركه الشيخ اللعين معاوية. فإنّ مت يا أمّ الأحيمر فانكحي * ولا تأملي بعد الممات تلاقيا. فإنّ الذي حدثت في يوم بعثنا * أحاديث زور تترك القلب ساهياً. ولو لا فضول الناس زرت محمداً * بمشمولة صرف تروي عضاميا. ولا خلف بين الناس أن محمداً * تبوأ قبرا بالمدينة ثاويًا. فقد ينبت المرعى على دمن الثرى * له غصن من تحته السر باديا. ونفنى ولا نبقي على الأرض دمنة * وتبقى حزازات النفوس كما هيا. وتأثر الرشيد فاندفع يقول: لعن الله يزيد، ما كان يثبت صانعاً ولا يقول ببعثة ولا نبوة، أتدري يا إسحاق من أين أخذه؟ نعم يا أمير المؤمنين أخذه من شعر أبيه معاوية. ما قال معاوية؟ إنه قال: سائلو الدير من بصرى صبايات * فلا تلمني فلا تغني الملامات. قم نجل في الظلماء شمس ضحى * نجومها الزهر طاسات وكأسات. لعلنا إن يدع داع الفراق بنا * نمضي وأنفسنا منها رويا. خذ ما تعجل واترك ما وعدت به * فعل اللبيب فقلتأخير آفات. قبل ارتجاع الليالي كلّ عارية * فإنما خلع الدنيا استعارات. فلعن الرشيد معاوية وقال فيه ما قاله في يزيد. قال ابن خلكان: فقد أضحكني حينما قرأت ترجمته على القاتل والمقتول، وعلى الجاني والمجني عليه، قال: فخرج الحسين إلى الكوفة وأميرها يومئذ عبيد الله بن زياد فلما قرب منها سير إليه جيشاً مقدمه عمر بن سعد بن أبي وقاص فقتل الحسين عليه السلام بالطف وجرى ما جرى (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ج ٦: ص ٣٥٣). وقد وثق العجلي عمر بن سعد فقال: كان يروي عن أبيه أحاديث، وروى الناس عنه وهو تابعي ثقة وهو الذي قتل الحسين ولم نعلم كيف كان ابن سعد ثقة مع قتله الريحانة رسول الله ﷺ





وإبادته للعترة الطاهرة التي اوجب الله مودتها على عموم المسلمين (انظر معرفة الثقات للعجلي ج ٢: ص ١٦٧).

أقول: فكأنّ ميزان التعديل عند العجلي وأمثاله ممّن تسمى بأهل السنّة للرواية هو النصب لأهل البيت عليهم السلام وبغضهم، كما أنّ مقياس الجرح عندهم هو الولاء والمودة لهم عليهم السلام. وقد أنكر بعضهم عن ابن سعد حيث روى عنه العيزار بن حريث فأنكر عليه رجل في مجلسه وقال له: أما تخاف الله؟ تروي عن عمر بن سعد، فبكى العيزار وقال: لا أعود لذلك، ومن الغريب أنّ ابن حجر ترجمه في تهذيب التهذيب الذي لا يترجم فيه إلا الثقات من الرواية عنده. قال في ترجمته: هو تابعي ثقة ثقة وهو الذي قتل الحسين عليه السلام (انظر تهذيب التهذيب ج ٧: ص ٣٩٦). وقد نقل السيد المرعشي قده عن كتاب تهذيب التهذيب ما نصّه: وعمر ابن سعد بن أبي وقاص الذي قال في تهذيب التهذيب بعد ذكر اسمه ما لفظه: هو تابعي، ثقة ثقة، وهو الذي قتل الحسين، ثم قال سيدنا الشريف محمد بن العقيل العلوي المتقدم ذكره في كتابه المرقوم بعد نقل كلام التهذيب ما لفظه: وأقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، بخ بخ بخ، يا له من تابعي! ويا لها من عدالة! ويرحم الله القائل: إن كان هذا نبياً *** فالكلب لا شكّ ربي (انظر شرح إحقاق الحقّ للسيد المرعشي ج ١: صفحة المقدمة ٢٢). فيتبين لنا جلياً بعد كلّ ما سبق، أنّ توثيق عمر بن سعد (لعنه الله) من قبل البعض، قد جاء ضمن مؤامرة كبيرة كانت ولا تزال قائمة، الهدف منها أوضح من قرص الشمس في رابعة النهار، فالإمام الحسين عليه السلام ومن قبله أبوه أمير المؤمنين وأخوه الإمام الحسن عليه السلام وأمه السيدة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام قد قتلوا مرتين، مرّة قتلوا بأسيايف وأيدي قاتليهم، ومرّة ثانية قتلوا على أيدي هؤلاء المؤرّخين الذين وثّقوا بأقلامهم قتلة أهل البيت عليهم السلام وأنثوا على من اهتضمهم، ولم يساووهم ببقية الصحابة مع أنّهم عليهم السلام خيرتهم وسادتهم وأفضل أهل الأرض بعد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، فإنّا لله وإنا إليه راجعون.

فإنه تدليس منه، بل وبهتان لو قصد بهم جميعهم^(١)

(١) وتوضيح المقام أن ما زعمه ابن تيمية هنا من أن حال جميع الصحابة والتابعين بالنسبة إلى الولاء لأهل البيت عليهم السلام كحال عمر بن سعد كذب وافتراء محض، لأن الخبير يعلم أن الصحابة والتابعين بالنسبة إلى الولاء لأهل البيت عليهم السلام أو نصب العداء لهم ينقسمون إلى قسمين: قسم منهم النواصب وأهل العداء لأهل البيت عليهم السلام وذلك أمثال عمر بن سعد وغيره. وقسم منهم: أتباع أهل البيت عليهم السلام وذلك أمثال سلمان وأبي ذر وعمار ومقداد وعبد الله بن أبي رافع وأصبع بن نباته ومالك بن الأشتر النخعي وسيلم بن قيس الهلالي وغيرهم. والباحث إذا أراد التمييز بين الطائفتين يلزم عليه المراجعة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المتفقة بين جميع المسلمين ليعرف من هو أهل الولاء منهم، ولماذا كانوا أهل الولاء لأهل البيت عليهم السلام. ومن هو أهل العداء لهم عليهم السلام. فإن القرآن الكريم والسنة النبوية يدلان على أن استمرار الرسالة السماوية وديموميتها تكون قائمة على مودة أهل البيت عليهم السلام، ومتوقفة على فرض طاعتهم عليهم السلام، وأن حبهم عليهم السلام مقدمة للإسلام الحقيقي النافع في الدنيا والآخرة. وفي قبالة الخط المنحرف عن أهل بيت عليهم السلام، وهم الذين نصبوا العداوة لأهل البيت عليهم السلام، فهم أتباع خلافة السقيفة، فهؤلاء من الصحابة والتابعين قد اتخذوا طريقة المخالفة للقرآن والسنة النبوية أساساً لمعتقداتهم. وعلى سبيل المثال أن معاوية بن أبي سفيان الذي هو من الصحابة التابعين لخلافة السقيفة كان من أشد أعداء مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وخصومته مع الإمام عليه السلام أوضح من الشمس في رابعة النهار. إذ أنه الذي أمر المسلمين بسب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام واتخذته سنة جارية في خطب الجمعة والأعياد، بدل سنة رسول الله ﷺ، وكان يأمر عماله بتلك الأحداث الموبقة، ويحث الناس عليها، ويوبخ المتوقفين عنها ولا يصيخ إلي قول أي ناصح ووازع، فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسب أبا التراب؟ فقال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله ﷺ فلن أسبه لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حمر النعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول له، خلفه في بعض



مغازيه فقال له علي: يا رسول الله خلّفتني مع النساء والصبيان، فقال له رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي»، وسمعته يقول يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله» قال: فتناولنا لها، فقال: «ادعوا لي علياً»، فأتى به أرمد، فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ...﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «اللهم هؤلاء أهلي» (صحيح مسلم ج ٧: ص ١٢ كتاب الفضائل، باب فضائل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام). وفي لفظ المسعودي من طريق ابن أبي نجيح، قال: لما حج معاوية طاف بالبيت ومعه سعد، فلما فرغ انصرف معاوية إلى دار الندوة فأجلسه معه على سرير، ووقع معاوية في علي، وشرع في سبه، فزحف سعد ثم قال: أجلسني معك على سريرك ثم شرعت في سب علي؟! والله لأن يكون لي خصلة واحدة من خصال كانت لعلي أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، إلي آخر الحديث. وفيه من قول سعد: وأيم الله لا دخلت لك داراً ما بقيت، ونهض (مروج الذهب ج ٣: ص ٢٣)، ورواه النسائي في سننه الكبرى ج ٥: ص ١٤٤ وغيره. ثم قال المسعودي: ووجدت في وجه آخر من الروايات وذلك في كتاب علي بن محمد بن سليمان النوفلي في الأخبار، عن ابن عائشة وغيره: أن سعداً لما قال هذه المقالة لمعاوية ونهض ليقوم شرط له معاوية وقال له: اقعد حتى تسمع جواب ما قلت، ما كنت عندي قطّ ألام منك الآن، فهلاً نصرته؟ ولم قعدت عن بيعته؟ فإنني لو سمعت من النبي ﷺ مثل الذي سمعت فيه لكنت خادماً لعلي ما عشت، فقال سعد: والله إنني لأحقّ بموضعك منك. فقال معاوية: يأبي عليك بنو عذرة، وكان سعد فيما يقال لرجل من بني عذرة (مروج الذهب ج ٣: ص ٢٣-٢٤). وفي رواية ذكرها ابن كثير في تاريخه: دخل سعد بن أبي وقاص على معاوية فقال له: ما لك لم تقاتل علياً، فقال: إنني مرت بي ريح مظلمة فقلت: أخ، أخ، فأنخت راحلتي حتى انجلت عني، ثم عرفت الطريق فسرت، فقال معاوية: ليس في كتاب الله أخ أخ، ولكن قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا﴾. فوالله ما كنت مع الباغية على العادلة، ولا مع العادلة على الباغية، فقال سعد: ما كنت لأقاتل





رجلاً قال له رسول الله ﷺ: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي». فقال معاوية: من سمع هذا معك؟ فقال: فلان وفلان وأم سلمة. فقال معاوية: أما إني لو سمعته منه ﷺ لما قاتلت عليه. قال: وفي رواية من وجه آخر: إن هذا الكلام كان بينهما وهما بالمدينة في حجة حجها معاوية، وإنهما قاما إلى أم سلمة فسألاها فحدّتهما بما حدث به سعد، فقال معاوية: لو سمعت هذا قبل هذا اليوم لكنت خادماً لعلي حتى يموت أو أموت (البداية والنهاية ج ٨: ص ٨٣). وقال العلامة الأميني رحمه الله بعد ذكره لهذه الروايات: لقد أفلك معاوية في ادّعائه عدم إحاطة علمه بتلكم الأحاديث المطردة الشائعة، فإنها لم تكن من الأسرار التي لا يطلع عليها إلا البطانة والخاصة، وإنما هتف بهنّ ﷺ على رؤوس الأشهاد، أما حديث الراية فكان في واقعة خيبر وله موقعته الكبرى لقوله ﷺ: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحب الله ورسوله». فاستطالت أعناق كل فريق * ليروا أي ماجد يعطاها. فلم تزل النفوس مشرّبة متطلعة إلى من عناه ﷺ حتى جيء بأمر المؤمنين عليه السلام ومنح الفتح من ساحة النبوة العظمى، فانطبق القول، وصدقت الأكرامة، وعلم الغزاة كلّهم أنه ﷺ ما كان يريد غيره. هب أن معاوية يوم واقعة خيبر كان عداده من المشركين، وموقفه مع من يحادّ الله ورسوله، لكن هلاً بلغه ذلك بعد ما حداه الفرق إلى الاستسلام؟ والحديث مطّرد بين الغزاة وسائر المسلمين، وهم بين مشاهد له وعالم به. ومن جملة موارده يوم غدير خمّ الذي حضره معاوية وسمعه هو ومائة ألف أو يزيدون، لكنّه لم يعه بدليل أنه ما آمن به، فحارب علياً عليه السلام بعده وعاداه، وأمر بلعنه محادة منه لله ولرسوله، وعقيرة رسول الله المرفوعة بقوله ﷺ: في علي: «اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله» بعد ترن في أذن الدنيا (انظر الغدير ج ١٠: ص ٢٥٨). فعمر بن سعد أيضاً كمعاوية هو ممّن أخذ هذه الطريقة من السقيفة، فهو من التابعين، ومن أشدّ أعداء أهل البيت. والعجيب من علماء أهل السنة إنهم قد صرّحوا في كتبهم بأنّ عمر بن سعد قتل ریحانه رسول الله ﷺ سيّد شباب أهل الجنّة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام ومع ذلك صرّحوا بوثاقته!! ولا ندري كيف يجمعون بين الأمرين المتناقضين!! فمن ناحية يجدون تأكيد القرآن والسنة



نصّ خصمه في عبارته على كون أكثر الصحابة هذه حالهم^(١)،



النبويّة على الولاء والولاية لأهل البيت عليهم السلام. ومن ناحية أخرى هم أتباع خلافة السقيفة التي نشأت من الصحابة والتابعين الذين نصبوا العداء لأهل البيت عليهم السلام. وعليه فإنّ ما زعمه ابن تيمية من أنّ عمر بن سعد حاله، حال بقية الصحابة والتابعين كذب محض؛ لأنّ في الصحابة والتابعين من هو أهل الولاء لأهل البيت عليهم السلام، نعم حاله كحال التابعين لخلافة السقيفة فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى كلام العلامة الحلبي رحمته الله في كتابه منهاج الكرامة ما هذا نصّ عبارته: الفصل الثاني: في أنّ مذهب الإمامية واجب الاتّباع، لأنّه لمّا عمّت البليّة على كافّة المسلمين بموت النبي صلّى الله عليه وآله واختلف الناس بعده، وتعدّدت آراؤهم بحسب تعدّد أهوائهم: فبعضهم طلب الأمر لنفسه بغير حقّ، وبايعه أكثر الناس طلباً للدنيا، كما اختار عمر بن سعد ملك الري أياماً يسيرة لمّا خيّر بينه وبين قتل الحسين عليه السلام، مع علمه بأنّ في قتله النار وإخباره بذلك في شعره حيث قال: فوالله ما أدري وإنّي لصادق * أفكر في أمري على خطرين. أأترك ملك الري، والري منيتي * أم أصبح مأثوماً بقتل حسين. وفي قتله النار التي ليس دونها * حجاب، ولي في الري قرّة عين. وبعضهم اشتبه الأمر عليه، ورأى طالب الدنيا مبيعاً له، فقلّده وبايعه، وقصر في نظره فخفي عليه الحقّ، واستحقّ المؤاخذه من الله تعالى بإعطاء الحقّ لغير مستحقّه، بسبب إهمال النظر (انظر منهاج الكرامة: ص ٣٥). والمصنّف رحمته الله نقله بالمعنى (انظر منهاج الشريعة ج ٦: ص ٥). وتوضيح المقام أنّه لا يخفى على من وقف وتأمل في رأي الشيعة بالنسبة إلى الصحابة، فإنّه سوف يعلم بأنّ قول الشيعة في هذا المجال أوسط الأقوال، إذ لم يفرطوا فيهم تفريط الذين قالوا بكفر الصحابة كافّة، ولا أفرطوا فيهم إفراط أتباع السقيفة الذين ذهبوا إلى عدالة جميع الصحابة، واحتجّوا بأحاديثهم أجمعين أكتعين أبصعين. فالشيعة يعتقدون بأنّ الصحبة بمجردّها وإن كانت عندهم فضيلة جليّة، لكنّها - بما هي ومن حيث هي - غير عاصمة، فالصحابة كغيرهم من الناس العاديين فيهم العدول، وهم عظماءؤهم وعلماءؤهم





وأولياءهم، وفيهم البغاة، وفيهم أهل الجرائم من المنافقين، وفيهم مجهول الحال. والقرآن الكريم عندما يتحدث عن الصحابة، يتحدث عنهم بعدة صفات، فإذا استثنينا منهم الصحابة المخلصين الشاكرين، فأوصفهم الله بصفات السوء التي يستقبحها العقل ويذمها الشرع. فقد أوصفهم الله بهذه الصفات الذميمة: الفاسقون، الخائنون، المتخاذلون، الناكثون، المنقلبون على الأعقاب، الشاكّون في الله وفي رسوله ﷺ، الفارّون من الزحف، المعاندون للحق، العاصون وأوامر الله ورسوله ﷺ، المبطون غيرهم عن الجهاد، المنفضون إلى اللهو والتجارة وتاركون الصلاة، القائلون ما لا يفعلون، الممنّون على رسول الله ﷺ إسلامهم، القاسية قلوبهم فلم تخشع لذكر الله وما نزل من الحق، الرافعون أصواتهم فوق صوت النبي ﷺ، المؤذون لرسول الله ﷺ، السماعون للمنافقين. هذه أوصاف وغيرها التي جاءت في القرآن الكريم في حق الصحابة، وهناك صفات كثيرة لم نذكرها روماً للاختصار، ولكن لتعميم الفائدة لا بدّ من ذكر بعض الآيات التي جاءت في ذمّ الصحابة الذين اتصفوا بها، وحتى لا يتوهّم المعاند أنّ هذه الصفات مختصة بالمنافقين نذكر هنا الآيات التي تخصّ المؤمنين من الصحابة، فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتُمْ قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة التوبة: ٣٨-٣٩)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة المائدة: ٥٤)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة الأنفال: ٢٧-٢٨)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُ تَحْشَرُونَ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا





أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿(سورة الأنفال: ٢٤)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ (سورة الأحزاب: ٩-١١)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (سورة الصف: ٢-٣)، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (سورة الحديد: ١٦)، وقال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (سورة الحجرات: ١٧)، وإلى غير ذلك من الآيات التي نزلت في ذم الصحابة ولو أردنا أن نذكر جميعها لطال بنا المقام. كما أن الباحث لو تدبر في القرآن الحكيم لوجدوه مشحوناً بذكر المنافقين منهم، وحسبك من سورة التوبة والأحزاب، ومن الآيات التي جاء فيها ذم المنافقين، وكيفيك من آياته المحكمة قوله تعالى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ (سورة التوبة: ٩٧)، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ (سورة التوبة: ١٠١)، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ ابْتِغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (سورة التوبة: ٤٨)، وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ أَوْفَوْا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (سورة التوبة: ٧٤)، وإلى غير ذلك من الآيات. فالشيعة يترحمون على عدولهم، وأما البغاة على الوصي، وأخي النبي ﷺ، وسائر أهل الجرائم والعظائم كابن هند، وابن النابغة، وابن الزرقاء وابن عقبة، وابن أرمطة، وأمثالهم فلا كرامة لهم، ولا وزن لحديثهم. فليتنى أدري أين ذهب المنافقون بعد رسول الله ﷺ وقد كانوا جرعه الغصص مدة حياة، حتى دحرجوا الدباب وصدوه عن الكتاب، وقد تعلمون أنه ﷺ خرج إلى أحد بألف من أصحابه





فرجع منهم قبل الوصول ثلاث مئة من المنافقين وربما بقي معه منافقون لم يرجعوا خوف الشهرة أو رغبة بالدفاع عن أحساب قومهم، ولو لم يكن في الألف إلا ثلاث مئة منافق، لكفى دليلاً على أن النفاق كان زمن الوحي فاشياً، فكيف ينقطع بمجرد انقطاع الوحي ولحوق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى؟ فهل كانت حياته سبباً في نفاق المنافقين؟! وموته سبباً في إيمانهم وعدالتهم وصيرورتهم أفضل الخلق بعد الأنبياء ﷺ وكيف انقلبت حقائقهم بعد وفاته ﷺ فأصبحوا - بعد ذلك النفاق - بمثابة من الفضل لا يقدح فيها شيء مما ارتكبه من الجرائم والعظائم، وما المقتضي للالتزام بهذه المكابرات؟! التي تنفر منها الأسماع والأبصار والأفئدة؟

وأما مجهول الحال منهم فتوقف فيه حتى يتبين أمره، كما أن الروايات الصحيحة الواردة في كتب أهل السنة دالة على ذم أكثر الصحابة لتمردهم على الله ورسوله ﷺ. هذا رأي الشيعة في الصحابة، ولكن من تسمى بأهل السنة بالغوا في تقدس كل من يسمونه صحابياً حتى خرجوا عن الاعتدال فاحتجوا بالغث منهم والسمين واقتدوا بكل من سمع النبي ﷺ أو رآه ﷺ اقتداء أعمى، وأنكروا على من يخالفهم في هذا الغلو، وخرجوا في الإنكار على كل حد من الحدود، وما أشد إنكارهم علينا حين يروننا نرد كثيراً من الصحابة مصرحين بجرحهم أو بكونهم مجهولي الحال، عملاً بالواجب الشرعي في تمحيص الحقائق الدينية، والبحث عن الصحيح من الآثار النبوية، وبهذا يعرف أن القرآن الكريم والروايات الصحيحة متفقة عند الفريقين تدل بالوضوح على أن أكثر الصحابة حالهم حال ابن سعد في نصب العداء لأهل البيت ﷺ، لأن أكثرهم أتباع خلافة السقيفة وحتى السلفيون فقد تخرجوا من تحديد الشخص الذي كان عليه مدار النصب في كثير من المسلمين. فمثلاً: كل كتب العقائد تعترف بوجود النصب، لكن لا تقول لنا متى نشأ وعلى يد من؟ نعم ذكر بعض المعتدلين منهم بأن معاوية هو مؤسس النصب، لأنه الذي سنَّ سب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، وبعضهم كالذهبي ذكر ذلك على استحياء، وإليك عبارة الذهبي الخجولة في المقام: خلف معاوية خلق كثير يحبونه ويتغالون فيه ويفضلونه، إمّا قد ملكهم بالكرم والحلم والعطاء، وإمّا قد ولدوا في الشام



٢٠..... منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨

وقوله صدق: ومعناه حق لمطالبته للفرقان العظيم وهو آية "انقلبتم" ^(١)،



على حبه، وتربى أولادهم على ذلك. وفيهم جماعة يسيرة من الصحابة، وعدد كثير من التابعين والفضلاء، وحاربوا معه أهل العراق، ونشؤوا على النصب، نعوذ بالله من الهوى (سير أعلام النبلاء ج ٣: ص ١٢٨ في ترجمة معاوية بن أبي سفيان) والمراد بقوله: نشؤوا على النصب، يعني أن معاوية منشيء النصب ومؤسسه... ولكن الأمر أوضح من أن يخفى على أحد، لأن معاوية أحد الأشخاص الذين مهد لهم السقيفة الأرضية لترويج النصب والعداوة لأهل البيت عليهم السلام، وليس هناك أمر خارجي آخر، فإن خلافة السقيفة فتحت أيدي معاوية وعمر بن سعد ويزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد وشمر وآل زياد وآل مروان لإجراء مناوي أهل النصب والعداء لأهل البيت عليهم السلام وعليه ما ذكره علماء الشيعة من أن حال عمر بن سعد كحال أكثر الصحابة والتابعين كلام دقيق مطابق للآيات والروايات، والتاريخ والسيرة، فلاحظ.

(١) هذه العبارة اشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنِ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (سورة آل عمران: ١٤٤) والآية الكريمة قد بينت حقيقة هامة، ألا وهي أن المعيار في معرفة الصحابة المؤمنين يمكن من خلال معرفة ثباتهم في الدين وعدم ترديهم في ذلك سواء كان في حياة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أو بعد وفاته صلى الله عليه وآله واستشهاده، بخلاف من رجع على عقبه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله الذي تصور بعضهم أن الإسلام ينتهي بموت النبي صلى الله عليه وآله واستشهاده، فكانوا يهربون في الحروب ولا يواصلون القوّات الإسلاميّة في المعارك خوفاً من أن يموت النبي صلى الله عليه وآله في الحرب وينتهي الإسلام بشهادته فيقضون عليهم الأعداء. فالآية المباركة نزلت في شأن هؤلاء وتقول: حتى إذا قُتل النبي صلى الله عليه وآله ونال الشهادة لا ينتهي كل شيء ولا يسقط واجب الجهاد والنضال عن كاهل الصحابة، بل إنّ هذا الواجب مستمرّ وعليهم أن يواصلوه، لأن الإسلام هو الدين الحقّ الذي أنزل ليبقى خالداً إلى الأبد. فالقرآن الكريم يكافح هذه الفكرة ويقول عن





لسان النبي الأكرم ﷺ: إنّ أهدافنا أعلى من أشخاصنا ولا تنتهي أهدافنا بموتنا وبغياً بنا. فالصحابا الذين كانوا يزعمون أنّ الإسلام ينتهي بشهادة النبي ﷺ لا بدّ لهم أن يعرفوا قول الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ...﴾ فهذه الآية الكريمة تستنكر ما زعمه بعض الصحابة، وما دار بينهم من الكلام حول هذا الموضوع.

والجدير بالذكر أن القرآن استخدم للتعبير عن الردّة إلى الجاهلية بالانقلاب على الأعقاب وهذه الكلمة تشعر بالرجوع عن الإسلام إلى الجاهلية، فإنّ كلمة الأعقاب جمع عقب وهي بمعنى مؤخرة القدم، والمقصود بها في الآية التراجع إلى الوراء والارتداد الواقعي، فهو أكثر إيحاءً وأقوى تصويراً من لفظة الردّة والرجوع والعودة، لأنّه بمعنى السير القهقري. ثمّ قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنِ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾، يعني أنّ العودة إلى الكفر والجاهلية والوثنية تضرّكم أنتم دون الله سبحانه، لأنّ أمثال هذا التراجع موجب لفقدان كلّ ما حصلتموه من العزّة والكرامة والمجد بسرعة كما حصل ذلك للأقلية من أصحاب الرسول ﷺ في معركة أحد؛ حيث استمروا على جهادهم رغم تحمل الصعوبات وانتشار الخبر المفجع عن مقتل الرسول ﷺ، فقد مدحهم الله في نهاية هذه الآية بقوله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾. وذلك لأنّهم بقوا ثابتين على الإيمان واستقاموا في الدفاع عن الدين وعن رسول الله ﷺ فمدح القرآن الكريم استقامتهم وصمودهم ووصفهم بالشاكرين، لأنّهم أحسنوا الاستفادة والانتفاع بالنعم في سبيل الله، وهذا أفضل مصاديق الشكر. فالدرس الذي تعطي هذه الآية هو أبلغ وأفضل درس لجميع المسلمين في جميع العصور والأزمنة. وعليه يجب على جميع المسلمين أن يتعلّموا من القرآن أن لا يربطوا القضايا الاستراتيجية والأهداف العليا والمصيرية بالأشخاص، بل لا بدّ أن يلتفتوا حول الأسس والمبادئ الخالدة التي لا تفنى ولا تتغيّر ولا تتأثّر بتغيّر الأشخاص أو غيابهم عن الساحة بسبب الموت أو القتل حتّى لو كان ذلك هو النبي الأكرم ﷺ لكيلا تتوقّف عجلة المسيرة عن الحركة ولا يتعطّل دولا العمل عن الدوران، بل إنّ ذلك هو رمز الخلود في أي مبدأ وحركة أساساً. فهذا حال الصحابة





الذين كانوا يعيشون مع النبي ﷺ فإن القرآن الكريم يخبر عن حالهم بأنهم كانوا في حال التردد من النبي الأكرم ﷺ وقد عبّر عنهم القرآن الكريم بمن انقلب على عقبيه بخلاف الشاكرين الذين مدحهم القرآن وهم الأقلية، لأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ (سورة سبأ: ١٣). وعليه فإن الله تعالى قد أخبر في آية الرجوع على الأعقاب وارتداد أكثر الصحابة بعد وفاة رسول الله ﷺ وقد بيّن سبحانه وتعالى انقلابهم إلى الجاهلية، وعليه فما بال ابن تيمية وأتباعه الذين يعترضون على قول الشيعة في الصحابة، مع أنهم يعلمون بأن قول الشيعة حقيقة واضحة متخذة من القرآن الكريم الذي أخبر سبحانه وتعالى عن انقلاب الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ على الأعقاب. وفي الحقيقة هذا إشارة إلى ما حدث في السقيفة بعد وفاة النبي ﷺ، وما كان سبباً لخروج الصحابة عن طاعة الله ورسوله ﷺ ودخولهم في طاعة خلفاء الجور وطواغيت عصرهم، فإن القرآن الكريم على المسلمين بما فيهم الصحابة والتابعين بأن طريق الإسلام واضح من خلال القرآن سنة رسول الله ﷺ وإذا انقلبتم على أعقابكم وخرجتم عن طاعة الله ورسوله ﷺ فأنتم تخسرون كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُم عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة المائدة: ٥٤). وهذه الآية الكريمة أيضاً فيه الإخبار عن المرتدين من الصحابة الذين أخبر القرآن الكريم عن ارتدادهم، وأكدت الآية على أن من يرتد عن دين الله فهو لن يضر الله بارتداده هذا أبداً، ولن يضر الدين ولا المجتمع الإسلامي؛ لأن الله كفيل بإرسال من لديهم الاستعداد في حماية هذا الدين، حيث تقول الآية الكريمة: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ...﴾ ثم تتطرق الآية إلى صفات هؤلاء الحماة الذين يتحملون مسؤولية الدفاع العظيمة، وتبينها على الوجه التالي: أولاً: إنهم يحبون الله ولا يفكرون بغير رضاه، فالله يحبهم وهم يحبونه، كما تقول الآية: يحبهم ويحبونه. وثانياً: يبدون التواضع والخضوع والرافة أمام المؤمنين، حيث تقول الآية: أذلة على المؤمنين، بينما هم أشداء، أقوياء أمام الأعداء الظالمين، فهم أعزة على الكافرين، وثالثاً: إن شغلهم





الشاغل هو الجهاد في سبيل الله، إذ تقول الآية: يجاهدون في سبيل الله. وآخر صفة تذكرها الآية لهؤلاء العظام هي أنهم لا يخافون لوم اللاتمين في طريقهم لتنفيذ أوامر الله والدفاع عن الحق. فهؤلاء وإن كان عددهم قليل إلا أن صمودهم واستقامتهم في سبيل ثبات الدين بقوة ويقين موجب لخلود الإسلام بسعيهم، وكما قال تعالى: في حقهم: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (سورة الفتح: ٢٩). فقد بينت هذه الآية الكريمة أوصاف أصحاب النبي ﷺ وخصائصهم وما وعدهم الله سبحانه. فأتضح بأن أكثر الصحابة كان حالهم حال ابن سعد وأضرابه، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى حديث الحوض الذي رواه جميع أرباب الصحاح والمسانيد من علماء أهل السنة بطرق عديدة وألفاظ مختلفة بحيث لا يتطرق إليه الشك؛ فقد أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن أبي حازم قال: سمعت سهل بن سعد يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «أنا فرطكم على الحوض من ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يضماً بعده أبداً، ليرد عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم»، قال أبو حازم: فسمعتي النعمان ابن أبي عياش وأنا أحدثهم هذا، فقال: هكذا سمعت سهلاً؟ فقلت: نعم، قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسماعته يزيد فيه قال: «إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي» (صحيح البخاري ج ٨: ص ٨٦ كتاب الفتن، باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿وَأَتَقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾، وما كان النبي ﷺ يحذر من الفتن). وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي حازم قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض من ورد شرب

←



ومن شرب لم يظماً أبداً، وليردني عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثمّ يحال بيني وبينهم»، قال أبو حازم: فسمع النعمان بن أبي عياش وأنا أحدثهم هذا الحديث، فقال: هكذا سمعت سهلاً يقول؟ قال: فقلت: نعم، قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسماعته يزيد فيقول: «إنهم منّي، فيقال: إنك لا تدري ما عملوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي» (صحيح مسلم ج ٧: ص ٦٥ كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ). وروى بسنده عن ابن أبي مليكة قال: قال عبد الله بن عمرو بن العاص: قال رسول الله ﷺ: حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من الورق وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء، فمن شرب منه فلا يظماً بعده أبداً قال: وقالت أسماء بنت أبي بكر: قال رسول الله ﷺ: «إنني على الحوض حتى أنظر من يرد عليّ منكم وسيؤخذ أناس دوني، فأقول: يا ربّ منّي ومن أمّتي، فيقال: أما شعرت ما عملوا بعدك، والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم» (صحيح مسلم ج ٧: ص ٦٦ كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته). وأخرج البخاري بسنده عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «إنكم تحشرون حفاة عراة، وإنّ أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات اليمين وذات الشمال فأقول: أصحابي أيقول: إنهم لم يزلوا مرتدينّ على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾» (انظر صحيح البخاري ج ٤: ص ١١٠ كتاب بدء الخلق، باب قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَتَّخِذَ اللَّهُ بُرْأَيْمَ خَلِيلاً...﴾، وج ٤: ص ١٤٢، كتاب بدء الخلق، باب ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا...﴾). وأخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن أنس ابن مالك: إنّ النبي ﷺ قال: «ليردني عليّ الحوض رجال ممّن صاحبي حتى إذا رأيتهم ورفعوا إليّ اختلجوا دوني، فلا أقولنّ: أي رب أصيحابي أصيحابي، فليقالنّ لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» (انظر صحيح مسلم ج ٧: ص ٧١ كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ). وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عن المغيرة بن النعمان، قال: سمعت سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: «يا أيّها الناس، إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً»، ثمّ قال: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا





فَاعْلَيْن...» (إلى آخر الآية)، ثم قال: «ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم، ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ﴾، فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم» (انظر صحيح البخاري ج ٥: ص ١٩٢ كتاب التفسير، باب وكنتم عليهم ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾). وأخرج أيضاً بسنده عن سعيد ابن المسيب عن أبي هريرة: إنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «يرد على يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض، فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري» (انظر صحيح البخاري ج ٧: ص ٢٠٨ كتاب الرقاق، باب وفي الحوض قول الله ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾). فهذه الأحاديث وغيرها من أصح الأحاديث عند أهل السنة، وهي واضحة الدلالة على ارتداد أكثر الصحابة بعد رسول الله ﷺ، بل نص صريح في هذا المعنى بلا تردد، بحيث لا تقبل التأويل، إذ فيها التصريح على أن أصحابه سیرتدون ويدخلون في نار جهنم بسبب ارتدادهم بعد وفاة رسول الله ﷺ، كما لا إشكال في معنى المبدلين بعد النبي ﷺ والمحدثين في الدين، فإن معناه التحريف في الدين والشريعة المقدسة. وبعبارة أخرى أنهم أهل البدعة في الدين. ولا يخفى على الخبير أن المراد بهذا التبديل هو أعم من الإعراض عن سنة رسول الله ﷺ أو مخالفة أوامر رسول الله ﷺ ونواهيه. فكان رسول الله ﷺ يحذر الصحابة من الانحراف بعد رحيله ويجعل ملاك التقييم هو حسن العاقبة وعدم الارتداد عن الدين، أن من سوء العاقبة ارتدادهم عن الدين، وفي رواية أنه ﷺ قال لشهداء أحد: هؤلاء أشهد عليهم فقال أبو بكر: ألسنا يا رسول الله بإخوانهم؟ أسلمنا كما أسلموا، وجاهدنا كما جاهدوا، فقال ﷺ: «بلى، ولكن لا أدري ما تحدثون بعدي» (انظر الموطأ لمالك ج ٢: ص ٤٦٢). وقد أكد بعض الصحابة على أن معنى الإحداث بعد رسول الله ﷺ بأن معناه الانحراف عن نهج رسول الله ﷺ بعد رحيله ﷺ، ومن ذلك قول أبي ابن كعب: ما زالت هذه الأمة مكبوبة على وجهها منذ فقدوا نبيهم (انظر شرح

وما دلّ على إمامة علي عليه السلام^(١)،



نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢٠: ص ٢٤). وقوله: ألا هلك أهل العقدة، والله ما آسى عليهم، إنما آسى على من يضلّون من الناس (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢٠: ص ٢٤). فهذا الحديث يدلّ على أنّ أكثر الصحابة أهل النار كعمر بن سعد وأضرابه فلاحظ.

(١) لا يخفى على الباحث في الآثار والمصادر الاسلامية النصوص والروايات الدالة على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام، وأنّ وجوب طاعته عليه السلام كوجوب طاعة رسول الله ﷺ، عن طرق الفريقين أكثر من أن تحصى، ومن طرق أهل السنة كثيرة جداً قد ملأت الآفاق من كثرتها على أصناف عديدة... وذلك، لأنّ رسول الله ﷺ من أوّل يوم تبليغ رسالته إلى آخر لحظة حياته ﷺ قد نصّ على إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، أمّا أوّل يوم تبليغ رسالته فهو يوم حديث الدار في مكة المعظمة عند ما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (سورة الشعراء: ٢١٤). وهذا معناه أنّ امامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وخلافته بعد رسول الله ﷺ كانت منصوبة من أوّل يوم بدأ فيه رسول الله ﷺ بدعوة الإسلام وتبليغ رسالته ﷺ. فالصحابه الملتزمين بأوامر الله ورسوله ﷺ كانوا يعتقدون بإمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من ذلك اليوم. ولذلك لقبوا مجموعة من الصحابة المعروفين بشيعة علي، وذلك لاعتقادهم بامامته وخلافته بعد رسول الله ﷺ كما نصّ على ذلك أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني في كتابه الزينة: أنّ لفظ الشيعة على عهد رسول الله ﷺ كان لقب أربعة من الصحابة: سلمان الفارسي، وأبي ذر، والمقداد ابن الأسود، وعمّار بن ياسر (انظر كتاب الزينة ج ١: ص ١٢). ثمّ قد تواترت النصوص والروايات على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عند جميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم وتشّت آرائهم ويكفي للباحث أن يراجع كتب من تسمّى بأهل السنة في المجالات المختلفة من الحديث والتفسير والتأريخ وغيرها، فهي طافحة بالآثار





الثابتة والسنن الصحيحة والأخبار المتواترة الملزمة لعموم المسلمين العمل بها؛ لأنها حجة قطعية عليهم وفق الضوابط العلمية الثابتة عندهم والمندرجة في كتبهم. فلو تأملوا فيها سوف لا يبقى لديهم أدنى شك في أن النبي الأكرم ﷺ لم يأل جهداً ولم يدخر وسعاً في تأكيد هذا الأمر وتثبيته، وقطع دابر مختلف التعللات والمعاذير فيه، في كل زمان ومكان وفي مختلف الظروف والأحوال والأصعدة على مرّ العصور والدهور. وقد استخدم الرسول الأعظم ﷺ في سبيل هذا الهدف مختلف الطرق والأساليب التعبيرية وشتى المضامين البيانية فعلاً وقولاً، تصريحاً وتلويحاً، إثباتاً ونفيّاً للجانب الآخر، وترغيباً وترهيباً، إلى غير ذلك ما لا يكاد يمكن حصره في تنوعه وفي مناسباته. وإذا كنّا لا ننسب المخالفين إلى العناد ودفع ما علموه فتلومهم غاية اللوم لأنّ هذه النصوص لا يمكن إنكارها وهي جلية في الإمامة والولاية كقوله ﷺ: «هذا خليفتي من بعدي» (انظر تفسير الآلوسي ج ١٨: ص ٢٠٦، وفي ميزان الاعتدال ج ٢: ص ٣ في ترجمة داهر بن يحيى في حديث عبد الله بن داهر عن ابن عباس وغيرهم). وقد توجت جميع تلك الجهود المتواصلة باحتفال جماهيري عام نصب فيه النبي ﷺ رسمياً الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعد انتهائه من حجة الوداع في مكان يقال له: "غدير خم" وأخذ البيعة له من عشرات الألوف من المسلمين الذين يرون نبيهم للمرة الأخيرة. فقال ﷺ بعد خطبته وتنصيبه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إماماً وعلماً للمسلمين: «سَلِّمُوا عَلَى عَلِيٍّ يَا مَعْزَةَ الْمُسْلِمِينَ وَقُولُوا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ، فَإِنَّهُ يَعْلَمُ كُلَّ صَوْتٍ وَخَائِنَةَ كُلِّ نَفْسٍ فَمَنْ نَكثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا...» (إلى آخر الحديث) وسمي بحديث الغدير الذي رواه أكثر من مائة صحابي وروى عنهم أكثر من ثلاثمائة تابعي وقد دوّن فيه المؤلفات والكتب المستقلة لبيان تواتره ودلالته ومنهم العلامة الأميني عليه السلام فإنه ألّف "كتاب الغدير في القرآن والسنة والأدب" وخصّص الجزء الأول منه للكلام حول طرق أهل السنة والجماعة لهذا الحديث وقد أنهى الرواة لذلك في طرقهم من الصحابة إلى مائة وعشر ومن التابعين إلى أربعة وثمانين كما أنهى رواته من علماء أهل السنة ومؤلفيهم طبقة بعد





طبقة إلى ثلاثمائة وستين وقد وثق ذلك كله بالمصادر المعتبرة عندهم (لاحظ كتاب الغدير ج ١: ص ٢٩٤-٣٢٢). ومنها: الأحاديث الواردة في عدد الأئمة والخلفاء بعد النبي ﷺ اثني عشر، وهي كثيرة جداً، وقد أخرجها جميع علماء الإسلام من المحدثين والمفسرين والمؤرخين، وكبار علماء أهل السنة والجماعة في صحاحهم ومسانيدهم وسننهم كالبخاري ومسلم وأحمد بن حنبل والحاكم والطبراني وغيرهم. فحديث «الخلفاء من بعدي اثني عشر» من الأحاديث الصحيحة سنداً، بل المتواترة عند أهل السنة والجماعة وواضح الدلالة، حيث إن دلالة صريحة في تحديد خلفاء رسول الله ﷺ بالاثني عشر ولا يتجاوزون عدد الاثني عشر ولا يقلون عن ذلك، وهم يمتدّون إلى قيام يوم الدين وهذا لا ينطبق إلا على القول الشيعة الإمامية في إمامة أئمة أهل البيت  كما سيُتضح إن شاء الله في محله. ومنها: ما دلّ على أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب  أعلم هذه الأمة وأقضاها بعد رسول الله ﷺ؛ فقد أخرج البخاري في كتابه التاريخ الكبير بسنده عن عائشة قالت: عليّ أعلم الناس بالسنة (التاريخ الكبير ج ٢: ص ٢٥٥ في ترجمة جحدب التيمي). وأخرج في صحيحه بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال عمر: أقرؤنا أبيّ وأقضانا علي (صحيح البخاري ج ٥: ص ١٤٩ كتاب المغازي، باب قوله ﴿مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾). كما أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب»، ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد (انظر المستدرک على الصحيحين ج ٣: ص ١٢٦). وأخرج ابن المغازلي في كتابه المناقب بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا مدينة الحكمة وعليّ بابها، فمن أراد الحكمة فليأت الباب» (المناقب لابن المغازلي: ص ٩٣). وإلى غير ذلك من الروايات التي رواها علماء أهل السنة في باب أعلمية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب  على جميع الأمة حتّى باعتراف خلفائهم، وهي بالغة عن حدّ التواتر؛ فمنها: ما رواه الخوارزمي بسنده عن عثمان بن عفّان قال: سمعت عمر بن الخطّاب قال: سمعت أبا بكر بن أبي قحافة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى خلق من نور وجهه





علي بن أبي طالب ملائكة يسبحون الله، ويقدمون الله، ويكتبون ثواب ذلك لمحبيه ومحبي ولده» (المناقب للخوارزمي: ص ٣٢٩). ومنها: ما رواه أحمد ابن حنبل بسنده عن عمر بن الخطاب قال: إن النبي ﷺ آخى بين الناس وترك علياً حتى بقي آخرهم لا يرى له أخاً، فقال ﷺ: «أخيت بين الناس وتركتني؟» قال ﷺ: «ولم تراني تركتك؟ إنني تركتك لنفسي، أنت أخي وأنا أخوك، فإن ذاكرك - ناقشك - أحد فقل: أنا عبد الله، وأخو رسوله، لا يدعيها بعدي إلا كذاب» (فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج ٢: ص ٦١٧)، ورواه المحب الطبري في الرياض النضرة ج ٣: ص ١٢٥. ومنها: ما رواه الخوارزمي بسنده عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «إن علياً وفاطمة والحسن والحسين في حظيرة القدس في قبة بيضاء، سقفها عرش الرحمن عز وجل ﷺ» (المناقب للخوارزمي: ص ٣٠٢)، ورواه الحموي في فرائد السمطين ج ١: ص ٤٩، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج ١٢: ص ٣٣٩ وغيرهم. ومنها: ما رواه المتقي الهندي بسنده عن الخليفة العباسي المأمون عن الرشيد، حدثني المهدي، حدثني المنصور، حدثني أبي، حدثني عبد الله بن عباس، قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: كفوا عن ذكر علي بن أبي طالب ﷺ، فقد رأيت من رسول الله ﷺ فيه خصالاً لأن تكون لي واحدة منهم في آل الخطاب أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، كنت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ، فأنتهيت إلى باب أم سلمة وعلي قائم على الباب، فقلنا: أردنا رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: «يخرج إليكم»، فخرج رسول الله ﷺ فسرنا إليه فأتكا على علي بن أبي طالب ﷺ، ثم ضرب بيده منكبه ثم قال: «إنك مخاصم تخاصم، أنت أول المؤمنين إيماناً، وأعلمهم بآيام الله، وأوفاهم بعهد، وأقسمهم بالسوية، وأرأفهم بالرعية، وأعظمهم رزية، وأنت عاصدي وغاسلي ودافني، والمتقدم إلى كل شديدة وكريهة، ولن ترجع بعدي كافراً، وأنت تتقدمني بلواء الحمد، وتذود عن حوضي» (كنز العمال ج ١٣: ص ١١٧)، ورواه الإسكافي في نقض العثمانيّة: ص ٢٩٢، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٥٨، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ١٣: ص ٢٣٠ وغيرهم. ومنها: ما رواه الخطيب البغدادي في تاريخه بسنده عن سويد بن





غفلة عن عمر بن الخطاب: إنه رأى رجلاً يسبّ علياً عليه السلام فقال عمر: إني أظنك منافقاً سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما عليّ مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدي» (تاريخ بغداد ج ٧: ص ٤٥٣). ومنها: ما رواه بهاء الدين أبو القاسم القفطي الشافعي بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: قال عمر بن الخطاب: كنت أجفو علياً عليه السلام، فلقيني النبي ﷺ فقال: «آذيتني يا عمر»، فقلت: بأيش؟ قال ﷺ: «تجفو علياً! من آذى علياً فقد آذاني»، فقلت: والله لا أجفو علياً أبداً (الأنباء المستطابة: ص ٦٤). ومنها: ما رواه ابن شيويه الديلمي الهمداني بسنده عن عمر ابن الخطاب، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «حبّ علي عليه السلام براءة من النار» (انظر فردوس الأخبار ج ٢: ص ١٤٢)، ورواه المناوي في كنز الحقائق: ص ٦٧ وغيره. ومنها: ما رواه الخوارزمي بسنده عن عمر بن الخطاب، قال رسول الله ﷺ يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، كرازاً غير فرار، يفتح الله عليه، جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره». فبات المسلمون كلّهم يستشرفون لذلك، فلما أصبح قال ﷺ: «أين علي بن أبي طالب؟» قالوا: أرمد العين، قال ﷺ: «آتوني به»، فلم آتاه، قال رسول الله ﷺ: «ادن مني»، فدنا منه، فتفل في عينيه ومسحهما بيده، فقام علي بن أبي طالب عليه السلام بين يديه وكأنّه لم يرمد وأعطاه الراية، فقتل مرحب وأخذ مدينة خيبر (المناقب للخوارزمي: ص ١٧٠)، ورواه المتقي الهندي في كنز العمال ج ١٣: ص ١٢٣ وغيره. ومنها: ما رواه علي بن شهاب الدين الهمداني بسنده عن عمر بن الخطاب، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لو اجتمع الناس على حبّ علي بن أبي طالب لما خلق الله النار (انظر ينابيع المودة ج ٢: ص ٢٩٠). ومنها: ما رواه ابن عساكر الدمشقي بسنده عن عمر بن الخطاب - في عهده - رجلان سألاه عن طلاق الأمة - كم عدّة للبينونة -؟ فقام معهما فمشى حتّى أتى حلقة في المسجد فيها رجل أصلع، فقال عمر: أيّها الأصلع ما ترى في طلاق الأمة؟ فرفع رأسه إليه ثمّ أوماً إليه بالسبابة والوسطى، فقال له عمر: تطليقان، فقال أحدهما: سبحان الله جئنك وأنت أمير المؤمنين فمشيت معنا حتّى وقفت على هذا الرجل فسألته، فرضيت منه أن أوماً إليك!! فقال لهما عمر: ما تدريان من هذا؟ قالوا: لا، قال عمر: هذا علي بن أبي





طالب، أشهد على رسول الله ﷺ لسمعته وهو يقول: «لو أن السماوات السبع والأرضين السبع وضعن في كفه ميزان ووضع إيمان علي في كفة ميزان لرجح إيمان علي عليه السلام» (تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٣٤٠)، ورواه الخوارزمي في مناقبه: ص ١٣٠، وابن المغازلي في مناقبه: ص ٢٨٩ وغيرهم. ومنها: ما رواه علي بن شهاب الدين الهمداني بسنده عن عمر بن الخطاب، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي: «لو كان البحر مداداً، والرياح أقلاماً، والإنس كتاباً، والجنّ حساباً، ما أحصوا فضائلك يا أبا الحسن» (ينابيع المودة ج ٢: ص ٢٨٥). ومنها: ما رواه محب الدين الطبري بسنده عن عمر بن الخطاب، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما اكتسب مكتسب مثل فضل علي، يهدي صاحبه إلى الهدى، ويرده عن الردى» (ينابيع المودة ج ٢: ص ١٤٩). ومنها: ما رواه ابن عساكر الدمشقي بسنده عن ابن عباس، قال: مشيت وعمر بن الخطاب في بعض أزقة المدينة فقال لي: يا ابن عباس، أظن أن القوم استصغروا صاحبكم إذ لم يؤكوه أموركم!! فقلت: والله! ما استصغره الله إذ اختاره لسورة براءة مع عزل أبي بكر يبلغها أهل مكة، فقال لي: الصواب تقول!! والله لسمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب: «من أحببك أحبني، ومن أحبني أحب الله، ومن أحب الله أدخله الجنة مدلاً» (تاريخ مدينة دمشق ج ١٤: ص ٤). ومنها: ما رواه محمد صالح الكشفي الترمذي بسنده عن عمر بن الخطاب، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «من أحببك يا علي كان مع النبيين في درجتهم يوم القيامة، ومن مات يبغضك فلا يبالي مات يهودياً أو نصرانياً» (الكوكب الدرّي: ص ١٢٥). ومنها: ما رواه محمد صالح الكشفي الترمذي حديث الغدير بعدة طرق وإضافات عن عمر بن الخطاب قال: نصب رسول الله ﷺ علياً عليه السلام فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، واخذل من خذله، وانصر من نصره، اللهم أنت شهيد عليهم»، قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، وكان في جنبي شاب حسن الوجه طيب الريح، قال لي: «يا عمر، لقد عقد رسول الله ﷺ عقداً لا يحله إلا منافق»، فأخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: «يا عمر، إنه ليس من ولد آدم لكنه جبرائيل يؤكّد عليكم ما قلته في علي» (ينابيع المودة ج ٢: ص ٢٨٤). لا يخفى أن حديث





الغدير من الأحاديث المتواترة، بل في أعلى درجات التواتر، وقطعيّ الصدور، وواضح الدلالة على إمامة مولانا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بالرغم من محاولات التعقيم عليه، وطمس معالمه، وكتّم الكاتمين!! فقد قاله النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عند منصرفه من حجة الوداع في الثامن عشر من شهر ذي الحجة من السنة العاشرة للهجرة، ورواه عنه أكثر من مائة صحابي. وعندما انتهى رسول الله صلى الله عليه وآله من مراسم الغدير والخطبة الغراء، ونصب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام علماً للخلافة والإمامة من بعده، وقوله صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعلي مولاه، وسائر فقرات الخطبة ودعائه للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أمر الحاضرين رجالاً ونساءً أن يبايعوا علي بن أبي طالب عليه السلام بالإمرة والخلافة من بعده، فكان الحاضرون يتهافون على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ويبايعونه على ذلك حسب ما أمرهم النبي صلى الله عليه وآله حتى النساء بايعنه حيث وضع لهن طست فيه ماء - كما أمر بذلك النبي صلى الله عليه وآله فكان يدخلن أيديهن فيه وكان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام واضعاً يده أيضاً في الطست وهو جالس في الخيمة - احترازاً من ملامسة الأجنبية والتسليم عليهن مصافحة، وهكذا تمت البيعة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وأذعن الجميع بأنه عليه السلام مولاهم، وأقرّوا له بالاتباع والطاعة والتزام أوامره ونواهيه. والجدير بالذكر أنّ هذا الحديث المتواتر رواه أكثر من أربعين حافظاً ومؤرخاً بسندهم عن أبي بكر وعمر، وأنهما قالاً للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد خطبة النبي صلى الله عليه وآله وأمره بالبيعة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: "بخ بخ..." أو "هنيئاً لك..." وأمثال هذه العبارات الدالة على التهنة والتبريك وتعظيم منصب الولاية العظمى والخلافة الكبرى للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام تهنة أبي بكر وعمر للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وإليك - أيها القارئ العزيز - بعض النماذج من تلكم العبارات التهنيّة التي رويت عن أبي بكر وعمر معاً أو انفرد به أحدهما ممّا روي في مصادر أهل السنة المعتمد عليها عندهم: أمّا ما اشترك فيه أبو بكر وعمر، وقولهما: "أصبحت وأمست يا بن أبي طالب مولى كلّ مؤمن ومؤمنة..." وقد أخرجه العلامة الأميني رحمه الله عن ستين مصدراً من مصادر أهل السنة (انظر





الغدير ج ١: ص ٢٧٢-٢٨٣). وأما المصادر والمراجع التي أخرجت فيها حديث الغدير على لسان عمر بن الخطاب واعترافه بأن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مولاه ومولى كل مؤمن ومؤمنة، فهي كما يلي، أحدها: ما رواه أحمد ابن حنبل في مسنده بسنده عن البراء بن عازب قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا بغدير خمّ، فنودي فينا الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله ﷺ تحت شجرتين، فصلّى الظهر، وأخذ بيد علي عليه السلام فقال: «ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد علي فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، قال: فلقية عمر بعد ذلك فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمسيّت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة (مسند أحمد بن حنبل ج ٤: ص ٢٨١). وثانيها: ما رواه ابن أبي شيبة في كتابه المصنف بسنده عن عن البراء، قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر، قال: فنزلنا بغدير خمّ، قال: فنودي الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله ﷺ تحت شجرة، فصلّى الظهر، فأخذ بيد علي فقال: «ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد علي، فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، قال: فلقية عمر بعد ذلك فقال: هنيئاً لك يا بن أبي طالب، أصبحت وأمسيّت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة (المصنف لابن أبي شيبة ج ٧: ص ٥٠٣). وثالثها: ما رواه المحبّ الطبري في كتابه الرياض النضرة في باب خاصّ بعنوان: ذكر ما رواه عمر في علي، وروى عنه مختصراً وقد تقدّم جميع ذلك مفرّقاً في أبوابه، فمنه حديث الراية يوم خيبر، وحديث ثلاث خصال لأن يكون لي واحدة منهنّ، وحديث أنّه قال: في علي ثلاث خلال لوددت أنّ لي واحدة منهنّ، وحديث: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى...»، وحديث رجحان إيمانه بالسموات السبع والأرضين، وحديث: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، وقوله: ما أحببت الإمارة إلّا يومئذ لما قال لعلي: لأبعثنّه إلى كذا كذا، وقوله: أصبحت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة، وقوله: علي مولى من النبي ﷺ مولاه، وقوله في علي: إنّّه مولاي، وإحاطته في المسألة عليه غير مرّة في



القضاء، وقوله: أفضانا علي، ورجوعه إلى قوله في مسائل كثيرة؛ كل ذلك في الخصائص والفضائل مفرقاً في بابه (الرياض النضرة ج ٣: ص ٢٣٣). رابعها: ما رواه ابن ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق بسنده عن أبي هريرة قال: من صام يوم ثمانية عشر من ذي الحجة كتب الله له صيام ستين شهراً وهو يوم غدیر خمّ لما أخذ رسول الله ﷺ بيد علي بن أبي طالب فقال: «ألسنت مولى المؤمنين؟» قالوا: نعم يا رسول الله، فأخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، فقال له عمر بن الخطاب: بخ يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم (تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٢٣٤). خامسها: ما رواه الفخر الرازي في تفسيره نزلت الآية في فضل علي بن أبي طالب عليه السلام، ولما نزلت هذه الآية أخذ بيده وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، فلقبه عمر فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة (تفسير الفخر الرازي ج ١٢: ص ٤٩). سادسها: ما قاله الباقلاني في كتابه تمهيد الأوائل: ويدل على ذلك أيضاً ويؤكد ما يروونه من قول عمر: أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن، فأخبر أنه قد ثبت كونه مولى له ولكم مؤمن، فلم ينكر ذلك النبي ﷺ، فدل أنه قد أثبت له الولاية عليهم ولزوم طاعتهم له (تمهيد الأوائل: ص ٤٠٤). وإلى غير ذلك مما ورد بهذا المضمون. وقد أخرج أحمد بن عقدة الكوفي في كتابه الولاية حديث الغدير عن أبي بكر وعمر بأسناد عديدة وبطرق مختلفة (انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٧: ص ٢٨٨ في ترجمة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام نقلاً عن ابن عقدة). وذكر المناوي في كتابه فيض القدير في شرح الحديث «من كنت مولاه فعلي مولاه» كلاماً لابن حجر في تغيير وجهي أبي بكر وعمر، ثم تطرق إلى سرد مصادر وأسناد حديث الغدير فقال: ذكره الحافظ في اللسان بنصه ولم أذكره إلا للتعجب من هذا الضلال وأستغفر الله، ثم قال: أخرجه الدارقطني عن سعد بن أبي وقاص عنهما قالاً: أمسيت يا بن أبي طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة (انظر فيض القدير ج ٦: ص ٢١٧).

أقول: ألا يتعجب الإنسان من هذه العصبية والعناد، فإنه مع تصديقه لكلام ابن حجر وتصريحه بوثاقته، وتصحيحه لما رواه، بل وتواتره عنده، مع ذلك ينكره ويقول: ولم





أذكره إلاّ للتعجب أليس من هذا الضلال؟! أليس هذا من مصاديق الجهل والعصبية العمياء؟! ولا شك أنّ العصبية الجاهلية قد تنجرّ إلى الكفر. والسؤال الهامّ هنا هو أنّه لو لم يكن الحديث كلام رسول الله ﷺ في غدير خمّ: من كنت مولاه فعلي مولاه، مع كلّ ما احتواه من الميزات الظرفية والوقائع مثل الظروف المحليّة والتاريخيّة واجتماع الحجّاج وإبلاغهم أمر الخلافة وأخذ البيعة منهم رجالاً ونساءً الدالة على أهميّة مسألة الإمامة والخلافة المتّصلة بالنبوة المحمّديّة وأهميّتها في مصير الأمة الاسلاميّة، وقلنا أنّها موضوع عادي مثل أكثر المسائل التي تفقد الأهمية الدينيّة، فكيف يفسّر الرجل تهنئة الشيخين أبي بكر وعمر للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بقولهما له عليه السلام: بخ بخ لك يا علي، أو: طوبى لك يا أبا الحسن، أو: هنيئاً لك يا بن أبي طالب؟

وهذا هو السؤال المطروح الذي يحتاج إلى جواب صريح من دون اللفّ والنشر والتزوير والتهرّب والتخرّص، بأنّ الاجتماع الكبير في غدير خمّ، وما صدر من رسول الله ﷺ في ذلك الجمع الغفير من الصحابة، وقد بيّن عليه السلام بأبلغ البيان خلافة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وذكرها كبار الصحابة حتّى عمر ابن الخطاب وقد نقلها كبار علمائهم، فرواه ابن حجر العسقلاني عن ابن الجوزي فقال: أنّه حضر مجلسه بالكوفة فقال: لمّا قال النبي ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه» تغيّر وجه أبي بكر وعمر، فنزلت ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّتَ وُجُوهَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (لسان الميزان لابن حجر ج ١: ص ٣٨٧). وعندئذ يختلج السؤال في الذهن: أنّه لو كانت الغاية من قول النبي ﷺ: «من كنت مولاه...» هي مجرد إبلاغ الناس وأمرهم بالموّدة والمحبة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقط ولم تكن تتعلّق بما هو أهمّ من ذلك مسألة الخلافة والإمامة فلماذا تغيّر وجه أبي بكر وعمر بمجرد سماعهما ذلك من النبي ﷺ؟! ومنها: ما رواه ابن كثير في تاريخه بسنده عن أبي بكر وعمر وعثمان بن عفّان وعبد الله ابن مسعود ومعاذ بن جبل وعمران بن حصين وأنس وثوبان وعائشة وأبي ذرّ وجابر أنّ رسول الله ﷺ قال: «النظر إلى وجه علي عبادة» (البداية والنهاية ج ٧: ص ١٩٤). ومنها: ما رواه أحمد بن حنبل بإسناده، قال: قال رسول الله ﷺ لو قد ثقيف حين جاءوا: والله لتسلمنّ أو لأبعثنّ إليكم





رجلاً مني، أو قال: مثل نفسي فليضربن أعناقكم، وليسين ذرايكم، وليأخذن أموالكم، قال عمر: فوالله ما اشتيت - تميت - الإمارة إلا يومئذ جعلت أنصب صدري له رجاء أن يقول: هذا، فالتفت ﷺ إلى علي عليه السلام فأخذ بيده ثم قال: هو هذا، هو هذا - مرتين - يعني أن الذي يقاتلكم ويسبي ذرايكم هو علي عليه السلام (فضائل الصحابة لأحمد ابن حنبل ج ٢: ص ٥٩٣). ومنها: ما رواه محمد صالح الكشفي الترمذي الحنفي بسنده عن عمر بن الخطاب، عن سلمان قال: دخلت على رسول الله ﷺ في غمرات الموت فقلت: يا رسول الله، هل أوصيت؟ قال: «يا سلمان، أتدري من الأوصياء؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال عليه السلام: «آدم عليه السلام وكان وصيه شيث، وكان أفضل من تركه بعده وكان من ولده، وكان وصي نوح عليه السلام، وكان أفضل من تركه بعده، وكان وصي موسى عليه السلام يوشع، وكان أفضل من تركه بعده، وكان وصي سليمان عليه السلام آصف بن برخيا، وكان أفضل من تركه بعده، وكان وصي عيسى عليه السلام شمعون بن نرخيا، وكان أفضل من تركه بعده، وإنني أوصيت إلى علي عليه السلام، وهو أفضل من أتركه بعدي» (انظر الكوكب الدرّي على جامع الترمذي: ص ١٣٣). ومنها: ما رواه علي بن شهاب الدين الهمداني بسنده عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عقد المؤاخاة بين أصحابه: «هذا علي أخي في الدنيا والآخرة، وخليفتي في أهلي، ووصي في أمّتي، ووارث علمي، وقاضي ديني، له مني ما لي منه، نفعه نفعي، وضره ضري، من أحبه فقد أحبّني، ومن أبغضه فقد أبغضني» (انظر المناقب المرتضوية: ص ١٢٩). ومنها: ما رواه ابن عساكر الدمشقي بسنده عن إبراهيم بن سعيد الجوهري وصي المأمون قال: حدّثني المأمون العباسي قال: حدّثني الرشيد العباسي قال: حدّثني المهدي العباسي قال: حدّثني المنصور الدوانيقي عن أبيه عن جدّه عبد الله بن العباس، قال: سمعت عمر بن الخطاب وعنده جماعة، فتذاكروا السابقين إلى الإسلام فقال عمر: أما علي فسمعت رسول الله ﷺ يقول فيه ثلاث خصال لوددت أن لي واحدة منهن فكان أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس: كنت أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة من الصحابة، إذ ضرب النبي ﷺ بيده على منكب علي فقال له: «يا علي، أنت أول المؤمنين إيماناً، وأول المسلمين إسلاماً، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى»





(تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٢: ص ١٦٧). وزاد ابن الصباغ المالكي بعد أن نقل الحديث عن الخصائص العلوية على سائر البرية لأبي الفتح محمد النطنزي إنَّ النبي ﷺ قال لعلي عليه السلام: «كذب من زعم أنَّه يحبني وهو مبغضك، يا علي من أحبك فقد أحبني، ومن أحبني أحبه الله، ومن أحبه الله أدخله الجنة، ومن أبغضك فقد أبغضني، ومن أبغضني أبغضه الله تعالى وأدخله النار» (انظر الفصول المهمة: ص ١٢٦). ومنها: ما رواه محمد ابن محمد الدرگزيني في كتابه نزل السائرين في أحاديث سيد المرسلين بسنده عن عمر بن الخطاب قال: كنت أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة من أصحابه إذ ضرب عليه يده على منكب علي عليه السلام فقال: «يا علي أنت أول المؤمنين إيماناً، وأول المسلمين إسلاماً، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى؛ يا علي، إنما أنت بمنزلة الكعبة تؤتى ولا تأتي، فإذا أتاك هؤلاء القوم فسلموا إليك هذا الأمر فاقبله منهم، فإن لم يأتوك فلا تأتهم» (انظر إحقاق الحق ج ١٧: ص ٧٩، نقلاً عن كتاب درر المناقب). ومنها: ما رواه العيني بسنده عن عمر بن الخطاب، قال: قال النبي ﷺ لعلي عليه السلام: «أنا خاتم الأنبياء، وأنت خاتم الأولياء» (مناقب سيدنا علي للعيني: ص ٢٦)، ورواه ابن عساكر في تاريخه ج ٤٢: ص ٣٢٨، والمحجب الطبري في الرياض النضرة ج ٣: ص ١٨٢، والمتقي الهندي في كنز العمال ج ١١: ص ٦٢٧ وغيرهم. ومنها: ما رواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة وذكر قصة حوار دار بين ابن عباس وبين عمر بن الخطاب بما يمت بأمر الخلافة والإمامة بعد النبي ﷺ... وملخص الحوار أنَّه قال ابن عباس: دخلت على عمر في أول خلافته... فقال عمر: من أين جئت يا عبد الله؟ قلت: من المسجد، قال: كيف خلفت ابن عمك... إنما عنيت عظيمكم أهل البيت علياً؟ قلت: خلفته يمتح بالغرب على نخیلات من فلان وهو يقرأ القرآن، قال: يا عبد الله، عليك دماء البدن إن كتمتها!! هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟ قلت: نعم، قال: أيزعم أنَّ رسول الله ﷺ نصَّ عليه؟ قلت: نعم، وأزيدك: سألت أبي عما يدعيه، فقال: صدق، قال عمر: لقد كان من رسول الله ﷺ ذرو من قول في إعلان خلافة علي عليه السلام لا يثبت حجة ولا يقطع عذراً، ولقد كان النبي ﷺ يربع في أمره وقتاً ما أي كان يترقب الفرصة لذلك (ولقد أراد أن يصرح باسمه علي عليه السلام) فمنعته من ذلك إشفاقاً





وحيطه على الإسلام (وذلك بقوله: إن الرجل ليهجر) لا ورب هذه البنية (أي خلافة علي) لا تجتمع عليه قريش أبداً، ولو وليها (علي) لانتقضت عليه العرب من أقطارها، فعلم رسول الله أنني علمت ما في نفسه فأمسك، وأبى الله إلا إمضاء ما حتم (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٢: ص ٢٠). وأضاف ابن أبي الحديد: ذكر هذا الخبر أحمد بن أبي طاهر طيفور الخراساني في كتابه تاريخ بغداد مسنداً (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٢: ص ٧٩). وقال ابن أبي الحديد في موضع آخر: وقد روي معنى هذا الخبر بغير هذا اللفظ - وهو قول عمر -: إن رسول الله ﷺ أراد أن يذكره للأمر - الخلافة - في مرضه فصددته عنه خوفاً من الفتنة وانتشار أمر الإسلام، فعلم رسول الله ﷺ ما في نفسي وأمسك، وأبى الله إلا إمضاء ما حتم (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٢: ص ٧٩).

أقول: مع غض النظر عن الدلائل والبراهين الحديثية والتاريخية التي فيها الدلالة الواضحة على أن النبي ﷺ نصب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام علماً للإمامة والخلافة من بعده كما مرّ علينا نماذج منها في موضوع حديث غدير خم، فإننا لو تمسكنا فقط بما اعترف به عمر بن الخطاب هنا لكفى في إثبات خلافة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث أنه اعترف بأن النبي ﷺ أراد التصريح باسمه، وهذا يدل على علمه بأولوية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، بالإمامة والخلافة، ومع ذلك أنه خالف رسول الله ﷺ ومعناه أنه قدم رأيه على إرادة رسول الله ﷺ، وهذا أمر واضح من كلامه. والعجيب من علماء أهل السنة الذين رووا هذا الحديث مع ما فيه من الدلالة الواضحة على اعتراف عمر بمخالفته الصريحة لرسول الله ﷺ كيف اقتنعوا أنفسهم بخلافته للرسول الأعظم ﷺ؟! ثم التابعين والرواة والمحدثين من علماء أهل السنة جيلاً بعد جيل، وسلفاً عن خلف إلى يومنا هذا بعد نقلهم لهذه الأحاديث والروايات عن عمر بن الخطاب في إمامة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كيف يعتقدون بخلافته؟! وهناك روايات كثيرة رواه الخلفاء في إمامة أئمة المعصومين من أهل البيت عليه السلام وسندكرها إن شاء الله في محله. وهناك روايات رواها الصحابة الدالة على إمامة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فمنها رواه الطبري بإسناده عن أبي





سعيد قال: شكوا الناس علي بن أبي طالب، فقام رسول الله ﷺ فينا خطيباً فسمعتة يقول: «يا أيها الناس لا تشكوا علياً، فوالله إنه لأخشى في ذات الله - أو في سبيل الله - من أن يشكى» (تاريخ الطبري ج ٣: ص ١٤٩). ومنها: ما قال زيد بن أرقم، فإنه قال: أول من صلى مع النبي ﷺ علي (انظر أخبار اصبهان ج ٢: ص ١٥٠). ومنها: ما قال سلمان الفارسي، فإنه قال: أول هذه الأمة وروداً على نبيها ﷺ الحوض أولها إسلاماً علي بن أبي طالب عليه السلام (انظر الاستيعاب لابن عبد البر ج ٣: ص ١٠٩٠، والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩: ص ١٠٢). وقال سليم بن قيس: سمعت سلمان الفارسي يقول: إن علياً باب فتحه الله، من دخله كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً (كتاب سليم بن قيس الكوفي: ص ٢٤٨). وقال: سمعت سلمان وأبا ذر والمقداد وسألت الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن ذلك فقال: صدقوا، قالوا: دخل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على رسول الله ﷺ وعائشة قاعدة خلفه والبيت غاص بأهله فيهم الخمسة أصحاب الكتاب والخمسة أصحاب الشورى فلم يجد مكاناً، فأشار إليه رسول الله ﷺ ها هنا، يعني خلفه وعائشة قاعدة خلفه وعليها كساء فجاء علي عليه السلام فقعده بين رسول الله ﷺ وبين عائشة فغضبت، وقالت: ما وجدت لإستك موضعاً غير حجري؟ فغضب رسول الله ﷺ وقال: «يا حميراء، لا تؤذيني في أخي علي، فإنه أمير المؤمنين وسيد المسلمين وصاحب الغر المحجلين يوم القيامة يجعله الله على الصراط». وفي رواية أخرى «يقعده الله يوم القيامة على الصراط فيقاسم النار فيدخل أولياءه الجنة ويدخل أعداءه النار» (كتاب سليم بن قيس الكوفي: ص ١٧٩). وروى الشيخ المفيد رحمه الله بإسناده عن زر بن حبیش قال: مر علي بن أبي طالب عليه السلام على بغلة رسول الله ﷺ وسلمان في ملأ، فقال سلمان: ألا تقومون تأخذون بحجزته تسألونه، فوالله الذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا يخبركم سر نبيكم أحد غيره، وإنه لعالم الأرض وزرّها وإليه تسكن، ولو فقدتموه لفقدم العلم (الأمالى للشيخ المفيد: ص ٨٩). ومنها: ما قال جابر بن عبد الله الأنصاري: لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول في علي عليه السلام خصالاً لو كانت واحدة منها في رجل اكتفى بها فضلاً وشرفاً، قوله ﷺ: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»، وقوله: «عليّ مني كهارون من موسى»، وقوله: «عليّ مني وأنا





منه»، وقوله: «عليّ منّي كنفي، طاعته طاعتي ومعصيته معصيتي»، وقوله: «حربُ عليّ حرب الله، وسلم عليّ سلم الله»، وقوله: «ولي عليّ ولي الله وعدوّ عليّ عدوّ الله»، وقوله: «عليّ حجة الله على عباده»، وقوله: «حبّ عليّ إيمان وبغضه كفر»، وقوله: «حزب عليّ حزب الله، وحزب أعدائه حزب الشيطان»، وقوله: «عليّ مع الحقّ والحقّ معه لا يفترقان»، وقوله: «عليّ قسيم الجنة والنار»، وقوله: «من فارق عليّاً فقد فارقني، ومن فارقني فقد فارق الله»، وقوله: «شيعه عليّ هم الفائزون يوم القيامة» (ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ج ١: ص ١٧٢). وقال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيّد النبيّ وعليّ سيّد الوصيّين، وإنّ أوصيائي بعدي اثنا عشر، أوّلهم عليّ وآخرهم القائم المهدي» (ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ج ٢: ص ٣١٦). وقال: كنت عند النبي ﷺ وعنده أبو بكر وعمر، فقال النبي لعليّ عليه السلام: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله»، فقال أبو بكر لعمر: هذه والله الفضيلة (انظر أخبار أصبهان ج ٢: ص ٣٥٨). وسأل الإمام محمّد بن علي الباقر عليه السلام جابر بن عبد الله الأنصاري لمّا دخل عليه عن عايشة وما جرى بينها وبين علي عليه السلام فقال له جابر: دخلت عليها يوماً وقلت لها: ما تقولين في علي بن أبي طالب؟ فأطرقت رأسها ثم رفعتة وقالت: إذا ما التبر حك على المحكّ * تبين غشه من غير شك. وفينا الغش والذهب المصقّى * عليّ بيننا شبه المحكّ (انظر نظم درر السمطين للزرندي الحنفي: ص ١٣٣). قال عبيد الله بن أبي الجعد سأل جابر ابن عبد الله عن قتال علي فقال: ما يشكّ في قتال علي إلاّ كافر (انظر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٤٢: ص ٤٤٤). وقال جابر بن عبد الله: إن رسول الله ﷺ نزل بخمّ فتنحى الناس عنه وأمر علياً عليه السلام فجمعهم، فلمّا اجتمعوا قام فيهم وهو متوسّد يد علي بن أبي طالب، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: «أيّها الناس إنّه قد كرهت تخلفكم عني حتّى خيل إليّ أنه ليس شجرة أبغض إليكم من شجرة تليني، ثمّ قال: لكن علي بن أبي طالب أنزله الله منّي بمنزلة مني، فرضي الله عنه كما أنا عنه راض، فإنّه لا يختار على قربي ومحبّتي شيئاً»، ثمّ رفع يديه فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» قال: فابتدر الناس إلى رسول الله ﷺ يكون ويتضرّعون ويقولون: يا رسول الله ما تنحينا عنك





إلا كراهة أن نثقل عليك فنعوذ بالله سبحانه من سخط رسوله. فرضي رسول الله ﷺ عنهم عند ذلك (العمدة لابن بطريق: ص ٥٣). ومنها ما قال أبو بكر، فقد روى محب الدين الطبري ذكر ما رواه أبو بكر في فضل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه منه: حديث النظر إليه عليه عبادته، وحديث استواء كفه عليه وكف النبي ﷺ، وحديث أنه عليه خيم عليه وعلى بنيه خيمة، وحديث أنه عليه من النبي ﷺ بمنزلة النبي ﷺ من ربه، وحديث لا يجوز أحد الصراط إلا بجواز يكتبه علي عليه، وقوله: من سره أن ينظر إلى أقرب الناس قرابةً، وإحالة علي علي لما سئل عن وصف رسول الله ﷺ (انظر الرياض النضرة ج ٣: ص ٢٩٥). وقال: قال معقل بن يسار: سمعت أبا بكر يقول: علي بن أبي طالب عترة رسول الله ﷺ، أي الذين حث النبي ﷺ على التمسك بهم والأخذ بهديهم فإنهم نجوم الهدى ومن اقتدى بهم اهتدى، وخصه أبو بكر بذلك لأنه الإمام في هذا الشأن وباب مدينة العلم والعرفان، فهو إمام الأئمة وعالم الأمة، وكأنه أخذ ذلك من تخصيصه ﷺ له من بينهم يوم غدیر خم كما سبق. وهذا حديث صحيح لا مرية فيه ولا شك لنا فيه (انظر وسيلة المآل: ص ٢٣٠ مخطوط). قال الشعبي: رأى أبو بكر علياً عليه فقال: من سره أن ينظر إلى أعظم الناس منزلةً من رسول الله ﷺ وأقربه قرابةً وأفضله دالةً وأعظمه عناءً عن نبيه فلينظر إلى هذا (انظر معارج العلى ص ١٨٦ مخطوط، ورواه السمهودي في جواهر العقدين: ص ٢٩٤). وقال الشعبي: بينا أبو بكر جالس إذ طلع علي بن أبي طالب عليه من بعيد، فلما رآه قال أبو بكر: من سره أن ينظر إلى أعظم الناس منزلةً وأقربهم قرابةً وأفضلهم حالاً وأعظمهم عناءً عن رسول الله ﷺ، فلينظر إلى هذا الطالع (انظر جواهر العقدين الذكر: ص ٢٩٤). وقال حبشي بن جنادة: كنت جالساً عند أبي بكر، فقال: من كانت له عند رسول الله ﷺ عدة فليقم، فقام رجل فقال: يا خليفة رسول الله، إنه وعدني ثلاث حثيات من تمر، فأحثها لي، فقال: أرسلوا إلى علي عليه فجاء فقال له: يا أبا الحسن إن هذا يزعم أن رسول الله ﷺ وعده أن يحثي له ثلاث حثيات من تمر فأحثها له، فلما حثاها له، فقال له أبو بكر: عدوها فعدوها فوجدوها في كل حثية ستين تمر لا تزيد واحدة على الأخرى، فقال أبو بكر: صدق الله ورسوله، قال لي رسول الله





ليلة الهجرة ونحن خارجون من الغار يريد المدينة: يا أبا بكر «كفي وكفي علي في العدد سواء» (انظر المناقب للخوارزمي: ص ٢١٠). ومنها ما قال عائشة، فإنها قالت: رأيت رسول الله ﷺ التزم علياً وقبله وهو يقول: «بأبي الوحيد الشهيد، بأبي الوحيد الشهيد» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٥٤٩، ومجمع الزوائد للهيتمي ج ٩: ص ١٣٧). قالت: وسئلت أي الناس أحب إلى رسول الله ﷺ؟ قالت: فاطمة، قيل: من الرجال؟ قالت: زوجها، إنه كان ما علمت صواماً قواماً (انظر أسنى المطالب للوصابي: ص ٣٨ مخطوط). وقالت: قال جميع بن عمير: قالت عمتي لعائشة وأنا أسمع: أرأيت مسيرك إلى علي ما كان؟ قالت: دعينا منك، إنه ما كان من الرجال أحب إلى رسول الله ﷺ من علي، ولا من النساء أحب إليه من فاطمة (انظر بشارة المصطفى لشيعه المرتضى لمحمد بن محمد الطبري: ص ٢٤٠). ومنها: ما قال عمر بن الخطاب فإنه قال: لقد أعطي علي بن أبي طالب ثلاث خصال لأن تكون لي خصلة منها أحب إلي من أن أعطى حمر النعم، قيل: وما هي؟ قال: تزويجه فاطمة بنت رسول الله، وسكنه المسجد مع رسول الله يحل له فيه ما يحل له، والراية يوم الخبير. هذا حديث صحيح الإسناد (انظر المستدرک على الصحيحين ج ٣: ص ١٢٥، وأسنى المطالب للجزري ص ١١، والمناقب للخوارزمي ص ٢٣٨). وقال: إن رسول الله ﷺ قال لعلي: «يا علي، لك سبع خصال لا يحاكك فيه أحد يوماً: أنت أول المؤمنين بالله إيماناً وأوفاهم بعهد الله وأقومهم بأمر الله وأرأفهم بالرعية وأقسمهم بالسوية وأعلمهم بالقضية وأعظمهم مزية يوم القيامة» (انظر مفتاح النجاء لأبي نصر الجامي: ص ٣٧). وقال عمر: كانت لأصحاب محمد ﷺ ثمانية عشر سابقة، فخص عنها علي بثلاثة عشر وشركننا في الخمس (انظر المناقب للخوارزمي: ص ٥٢، وتوضيح الدلائل في تصحيح الفضائل للسيد شهاب الدين أحمد: ص ٤٨١ مخطوط). وفي حديث جاء رجلان إلى عمر فقالا له: ماترى في طلاق الأمة؟ فقام إلى حلقة فيها رجل أصلع فقال له: ماترى في طلاق الأمة؟ فقال: «اثنتان». فالتفت عمر إليهما فقال: اثنتان، فقال له أحدهما: جئناك وأنت الخليفة، فسألناك عن طلاق الأمة فجئت إلى رجل فسألته فوالله ما كلمك، فقال له عمر: ويلك أتدري من هذا؟ هذا علي بن أبي طالب، إنني سمعت رسول الله يقول: «لو أن





السموات والأرض وضعت في كفة ميزان، ووزن إيمان علي لرجح إيمان علي على السماوات والأرض» (انظر المناقب للخوارزمي: ص ١٣١، والمناقب لابن المغازلي: ص ٢٨٩، والرياض النضرة لمحبة الدين الطبري ج ٣: ص ٢٦٣، توضيح الدلائل في تصحيح الفضائل للسيد شهاب الدين أحمد: ص ٣٤٧ مع فرق يسير، ووسيلة المال للحضرمي: ص ٢٦٧، أسنى المطالب للوصابي: ص ٨٩). وقال: كفوا عن علي فإنني سمعت من رسول الله ﷺ فيه خصالاً لو أنّ خصلة منها في جميع آل الخطاب كان أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس، إنّي كنت ذات يوم وأبو بكر وعبد الرحمن وعثمان بن عفان وأبو عبيدة بن الجراح في نفر من أصحاب رسول الله فاتتهينا إلى باب أم سلمة إذا نحن بعلي متكئ على نجف الباب فقلنا: أردنا رسول الله، فقال: هو في البيت يخرج عليكم الآن، قال: فخرج علينا رسول الله ﷺ فثرنا حوله فاتكى على علي ثم ضرب يده على منكبه وقال: «يا ابن أبي طالب، فإنك تخاصم سبع خصال ليس لأحد بعدهنّ إلاّ فضلك: إنك أول المؤمنين معي إيماناً وأعلمهم بأيام الله وأوفاهم بعهده وأرفاههم بالرية وأقسمهم بالسوية وأعظمهم عند الله مزية»، قال ابن عساكر: وسقطت منهم واحدة (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٥٨). وقال سويد بن غفلة: رأى عمر رجلاً يخاصم علياً فقال له عمر: إنّي لأظنك من المنافقين، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «علي منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٣٣٠). وقال عمر بن الخطاب: قال رسول الله ﷺ: «ما اكتسب مكتسب مثل فضل علي، يهدي صاحبه إلى الهدى ويرد عن الردي» (انظر الرياض النضرة لمحبة الدين الطبري ج ٣: ص ٢٤٠). وقال عمر لعلي رضي الله عنه: عظمي يا أبا الحسن، قال: «لا تجعل يقينك شكاً ولا علمك جهلاً ولا ظنك حقاً، واعلم أنّه ليس لك من الدنيا إلاّ ما أعطيت فامضيت وقسمت فسويت ولبست فأبليت»، قال: صدقت يا أبا الحسن (تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٤٩٣). وقال محبة الدين الطبري في ذكر ما رواه عمر في علي رضي الله عنه، منه حديث الراية يوم خيبر، وحديث ثلاث خصال لأن يكون لي واحدة منهنّ، وحديث أنّه ﷺ قال في علي ثلاث خصال لوددت أنّ لي واحدة منهنّ، وحديث «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى...»، وحديث





رجحان إيمانه بالسموات السبع والأرضين، وحديث «من كنت مولاه فعلي مولاه»، وقوله: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ لما قال لعلي لأبعثه... إلى كذا وكذا، وقوله: أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة، وقوله: علي مولى من النبي مولاه، وقوله في علي أنه مولاي وإحالة في المسألة عليه غير مرة في القضاء، وقوله: أقضانا علي ورجوعه إلى قوله في مسائل كثيرة (انظر الرياض النضرة ج ٣: ص ٢٩٥). وقال عمر: تحبوا إلى الأشراف وتوددوا، واتقوا على أعراضكم من السفلة، واعلموا أنه لا يتم شرف إلا بولاية علي عليه السلام (انظر جواهر العقدين للسمهودي: ص ٢٩٤). وقال ابن عباس: مشيت أنا وعمر بن الخطاب في بعض أزقة المدينة، فقال لي: يا ابن عباس أظن القوم استصغروا صاحبكم إذ لم يولوه أموركم، فقلت: والله ما استصغره رسول الله إذ اختاره لسورة براءة يقرؤها على أهل مكة، فقال لي: الصواب تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب: «من أحببك أحبني، ومن أحبني أحب الله، ومن أحب الله أدخله الجنة» (انظر جواهر العقدين للسمهودي: ص ٩٧ مخطوط). وقال سالم بن أبي جعدة: قيل لعمر بن الخطاب: إنك تصنع بعلي ما لا تصنعه بأحد من أصحاب النبي ﷺ، فقال: إنه مولاي (وسيلة المآل للحضرمي: ص ٢٣٠ مخطوط). ومنها: ما قاله معاوية بن أبي سفيان، فقد روى قيس بن أبي حازم قال: سأل رجل معاوية عن مسألة، فقال: سل عنها علي بن أبي طالب فهو أعلم مني، قال: قولك أحب إلي من قول علي، قال: بئس ما قلت ولؤم ما جئت به، لقد كرهت رجلاً كان رسول الله ﷺ يغرّه بالعلم غراً، ولقد قال له: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»، وكان عمر بن الخطاب يسأله ويأخذ عنه، ولقد شهدت عمر إذا أشكل عليه أمر قال: أها هنا علي بن أبي طالب؟ ثم قال معاوية للرجل: قم لا أقام الله رجلك، ومحا اسمه من الديوان (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ١٧٠، ونظم در السمطين للزرندي الحنفي: ص ١٣٤، وسيلة المآل للحضرمي: ص ٢٤٣). وقال أبو إسحاق: جاء ابن أحمور التميمي إلى معاوية فقال: جئتك من عند الأم الناس وأبخل الناس وأعيا الناس وأجبن الناس، فقال له معاوية: ويلك وأنتي أتاه اللؤم، ولكننا نتحدث أن لو كان لعلي بيت من تبن وآخر من تبر لأبعد التبر قبل التبن، وأنتي أتاه العي وإن كنا نتحدث أنه





ما جرت المواسي على رأس رجل من قريش أفصح من علي، ويلك وأنى أتاه الجبن وما برز له رجل قط إلا صرعه، والله يا ابن أحمور لو لا أن الحرب خدعة لضربت عنقك، اخرج فلا تقيمن في بلدي، قال عطاء: وإن كان معاوية يقاتله فإنه كان يعرف فضله (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٤١٤). وقال جابر: كنا عند معاوية، فذكر علينا فأحسن ذكره وذكر أبيه وأمه، ثم قال: وكيف لا أقول هذا لهم، وهم خيار خلق الله (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٤١٤). وعن مغيرة قال: جاء نعي علي بن أبي طالب إلى معاوية وهو نائم مع امرأته فاخته بنت قرظة، فقعد باكياً مسترجعاً، فقالت له فاختة: أنت بالأمس تطعن عليه واليوم تبكي عليه؟ فقال: ويحك أنا أبكي لما فقد الناس من حلمه وعلمه (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٥٨٢). وقال: لما جاء معاوية وفاة علي، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، وهو قائل مع امرأته ابنة قرظة في يوم صائف، وقال: ماذا فقدوا من العلم والفضل والخير!!! فقالت امرأته: تسترجع عليه اليوم؟ قال: ويلك، لا تدرين ماذا ذهب من علمه وفضله وسوابقه (انظر تاريخ دمشق ج ٤٢: ص ٥٨٣). وروى أنس عن عمر بن الخطاب قال: حدثني أبو بكر قال: سمعت أبا هريرة يقول: جئت إلى النبي ﷺ وبين يديه تمر، فسلمت عليه فرد عليّ وناولني من التمر ملء كفه فعدّته ثلاثاً وسبعين تمرة، ثم مضيت من عنده إلى عند علي بن أبي طالب وبين يديه تمر، فسلمت عليه فرد عليّ وضحك إليّ، وناولني من التمر ملء كفه فعدّته فإذا هو ثلاث وسبعون تمرة، فكثرت تعجّبي من ذلك، فرجعت إلى النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، جئتك وبين يديك تمر، فناولتني ملء كفك، فعدّته ثلاثاً وسبعين تمرة، ثم مضيت إلى علي بن أبي طالب وبين يديه تمر، فناولني ملء كفه فعدّته ثلاثاً وسبعين، فتعجّبت من ذلك، فتبسّم النبي ﷺ وقال: «يا أبا هريرة، أما علمت أنّ يدي ويد عليّ في العدل سواء» (انظر كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ص ٢٥٦). ومنها: ما قال عبد الله بن عمر بن الخطاب، فقد روى عطاء عن ابن عمر أنّه بلغه أنّ رجلاً يذكر علي بن أبي طالب فقال له ابن عمر: لم تفعل؟ فوربّ هذه البنية لقد سبقت له الحسنى من الله ما لها من مردود. قال سعد بن عبيدة: قال رجل لابن عمر: ما تقول في علي فأني أبغضه؟ قال: أبغضك الله فأني أبغضك (انظر تاريخ مدينة





دمشق ج ٤٢: ص ٤١٤). وقال: جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن علي، فذكر محاسن عمله، وقال: هو ذاك بيته أوسط بيوت النبي ﷺ، ثم قال: لعلّ ذاك ليسوءك، قال: أجل، قال: فأرغم الله بأنفك، انطلق فاجهد على جهديك (انظر نزل الأبرار: ص ٩). وقال: جاء رجل إلى عبد الله بن عمر، فقال: حدثني عن علي، فقال ابن عمر: إن سرّك أن تعلم ما كانت منزلته من رسول الله ﷺ فانظر إلى بيته من بيوت رسول الله ﷺ. قال الرجل: فأني أبغضه، قال: أبغضك الله (نظر انساب الأشراف ج ٢: ص ١٨٠). وقال عبد الله بن عمر: كنّا نتحدّث أنّ أفضل هذه الأمة علي بن أبي طالب (انظر أسنى المطالب للوصابي: ص ٩٥ مخطوط). وقال ابن عمر: لقد أعطي علي بن أبي طالب ثلاثاً لأن أكون أعطيتهن أحب إلي من حمر النعم، زوجته رسول الله ﷺ فاطمة فولدت له، وأعطي الراية يوم خيبر، وسدّت أبواب المسجد إلّا باب علي (انظر أخبار أصبهان ج ٢: ص ٢١٠). وقال عبد الله بن عمر: سألت النبي ﷺ عن علي بن أبي طالب فغضب وقال: «ما بال أقوام يذكرون منزلة من له منزلة كمنزلي؟ ألا ومن أحبّ علياً فقد أحبّني ومن أحبّني رضي الله عنه، ومن رضي الله عنه كافاه بالجنة، ألا ومن أحبّ علياً يقبل الله صلاته وصيامه وقيامه واستجاب الله له دعاءه، ألا ومن أحبّ علياً فقد استغفرت له الملائكة وفتحت له أبواب الجنة فيدخل من أي باب شاء بغير حساب، ألا ومن أحبّ علياً لا يخرج من الدنيا حتّى يشرب من الكوثر ويأكل من شجرة طوبى ويرى مكانه من الجنة، ألا ومن أحبّ علياً هون الله تبارك وتعالى عليه سكرات الموت وجعل قبره روضة من رياض الجنة، ألا ومن أحبّ علياً أعطاه الله بعدد كلّ عرق في بدنه حوراء ويشفع في ثمانين من أهل بيته وله بكلّ شعرة في بدنه مدينة في الجنة، ألا ومن أحبّ علياً بعث الله إليه ملك الموت يرفق به ودفع الله عزّ وجلّ عنه هول منكر ونكير ونور قلبه وبَيّض وجهه، ألا ومن أحبّ علياً أظله الله في ظلّ عرشه مع الشهداء والصديقين، ألا ومن أحبّ علياً نجاه الله من النار، ألا ومن أحبّ علياً تقبّل الله منه حسناته وتجاوز عن سيئاته وكان في الجنة رفيق حمزة سيد الشهداء، ألا ومن أحبّ علياً ثبتت الحكمة في قلبه وجرى على لسانه الصواب وفتح الله له أبواب الرحمة، ألا ومن أحبّ علياً سمّي في السماوات أسير الله في الأرض، ألا





ومن أحبّ عليّاً ناداه ملك من تحت العرش يا عبدالله استأنف العمل فقد غفر الله لك الذنوب كلّها، ومن أحبّ عليّاً جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر، ألا ومن أحبّ عليّاً وضع الله على رأسه تاج الكرامة وألبسه حلّة الكرامة، ألا ومن أحبّ عليّاً مرّ على الصراط كالبرق الخاطف، ألا ومن أحبّ عليّاً وتولاه كتب الله له براءة من النار وجوازاً على الصراط وأماناً من العذاب، ألا ومن أحبّ عليّاً لا ينشر له ديوان ولا ينصب له ميزان ويقال له أو قيل له: ادخل الجنّة بغير حساب، ألا ومن أحبّ آل محمّد صافحته الملائكة وزاره الأنبياء وقضى الله له كلّ حاجة كانت له عند الله عزّ وجلّ، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد فأنا كفيله بالجنّة» قالها ثلاثاً. قال قتيبة بن سعيد أبو رجاء: كان حمّاد بن زيد يفتخر بهذا الحديث ويقول: هو الأصل لمن يُقرّبُه (انظر نهج الإيمان لابن جبر: ص ٢٥) ومنها: ما قال ابن عبّاس: فقد قال ابن عبّاس: لعلي أربع خصال ليست لأحد: هو أوّل عربي وأعجمي صلّى مع رسول الله ﷺ، وهو الذي كان لوائه معه في كلّ زحف، والذي صبر معه يوم المهراس، وهو الذي غسله وأدخله قبره (انظر المستدرک على الصحيحين ج ٣: ص ١١١، ورواه ابن عبد البرّ في الاستيعاب ج ٣: ص ١٠٩٠، والهيتمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٠، وغيرهم). وقال رجل لابن عبّاس: سبحان الله ما أكثر مناقب علي وفضائله؟ إنّي لأحسبها ثلاثة آلاف، فقال ابن عبّاس: أولاً تقول: أنّها إلى ثلاثين ألفاً أقرب، قلت: ويدلّ على ذلك ما روينا عن إمام أهل الحديث أحمد بن حنبل وهو أعرف اصحاب أهل الحديث في علم الحديث: ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ ما جاء لعلي بن أبي طالب. وقال الحافظ البيهقي: وهو أهل كلّ فضيلة ومنقبة، ومستحقّ لكلّ سابقة ومرتبة، ولم يكن أحد في وقته أحقّ بالخلافة منه (انظر كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ص ٢٥٢). وقال ابن عبّاس: ما انتفعت بكلام بعد النبي ﷺ شيء كتب به إلى علي به أبي طالب ﷺ فإنّه كتب: «بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد، يا أخي فإنّك تسر بما يصل إليك ممّا لم يكن يفوتك، ويسوؤك ما لم تدركه، فما نلت يا أخي من الدنيا فلا تكن به فرحاً وما فاتك فلا تكن عليه حزناً، وليكن عملك لما بعد الموت، والسلام» (انظر الرياض النضرة ج ٣: ص ٢٥٦). وقال عمرو بن ميمون: إنّي لجالس إلى ابن عبّاس إذ أتاه تسعة





رهط، فقالوا: يا ابن عباس، إما أن تقوم معنا وإما أن يخلونا هؤلاء، قال: فقال ابن عباس: بل أقوم معكم، قال: وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى، قال: فابتدأوا فتحذثوا فلا ندري ما قالوا، قال: فجاء ينفذ ثوبه ويقول: أف وتف، وقعوا في رجل له عشر، وقعوا في رجل قال له النبي ﷺ: «لأبعثن رجلاً لا يخزيه الله أبداً يحب الله ورسوله»، قال: فاستشرف لها من استشرف، قال: «أين علي؟» قالوا: هو في الرحل يطحن، قال: «وما كان أحدكم ليطحن؟» قال: فجاء وهو أرمم لا يكاد يبصر، قال: «فنفث في عينيه، ثم هز الراية ثلاثاً فأعطاهما إياه فجاء بصفية بنت حيي»، قال: ثم بعث فلاناً بسورة التوبة فبعث علياً خلفه فأخذها منه، قال: «لا يذهب بها إلا رجل مني وأنا منه»، قال: وقال لبني عمه: «أيكم يوالي في الدنيا والآخرة؟» قال: وعلي معي جالس فأبوا، فقال علي: «أنا وأوليك في الدنيا والآخرة»، قال: أنت ولي في الدنيا والآخرة، قال: فتركه، ثم أقبل على رجل منهم فقال: «أيكم يوالي في الدنيا والآخرة؟» فأبوا، قال: فقال علي: «أنا وأوليك في الدنيا والآخرة»، فقال: «أنت ولي في الدنيا والآخرة»، قال: وكان أول من أسلم من الناس بعد خديجة، قال: وأخذ رسول الله ﷺ ثوبه فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، قال: وشرى علي نفسه لبس ثوب النبي ﷺ ثم نام مكانه، قال: وكان المشركون يرمون رسول الله ﷺ فجاء أبو بكر وعلي نائم، قال: وأبو بكر يحسب أنه نبي الله، قال: فقال: يا نبي الله، قال: فقال له علي: «إن نبي الله ﷺ قد انطلق نحو بئر ميمون فأدر كنه»، قال: فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار، قال: وجعل علي يرمى بالحجارة كما كان يرمى نبي الله وهو يتصور قد لف رأسه في الثوب لا يخرج حتى أصبح، ثم كشف عن رأسه، فقالوا: إنك للثيم كان صاحبك نراميه فلا يتصور وأنت تتصور وقد استنكرنا ذلك، قال: وخرج بالناس في غزوة تبوك، قال: فقال له علي: «أخرج معك»، قال: فقال له نبي الله: لا، فبكى علي، فقال له: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنك لست بنبي، أنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي»، قال: وقال له رسول الله ﷺ: «أنت ولي في كل مؤمن من بعدي»، وقال: سدوا أبواب المسجد غير باب علي، فكان يدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له





طريق غيره، قال: وقال: «من كنت مولاه فإنّ مولاه علي» (انظر مسند أحمد ج ١: ص ٣٣١، والمستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج ٣: ص ١٣٢، ومجمع الزوائد للهيتمي ج ٩: ص ١١٩ وغير ذلك). وقال ابن عباس في جواب من سأله عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: رحمة الله على أبي الحسن، كان والله علم الهدى، وكهف التقى، وطود النهى، ومحل الحجي، وغيث الندى، ومنتهى العلم للورى، ونوراً أسفر في الدجى، وداعياً إلى المحجّة العظمى، مستمسكاً بالعروة الوثقى، انقى من تقيّص وارتدى، وأكرم من شهد النجوى بعد محمد المصطفى، وصاحب القبلتين، وأبو السبطين، وزوجته خير النساء فما يفوقه أحد، لم تر عيناى مثله، ولم أسمع بمثله؛ فعلى من بغضه لعنة الله ولعنة العباد إلى يوم التناد. أخرجه أبو الفتح القواس. قوله: طود هو الجبل العظيم، استعير منه التعظيم، والنهى العقول، والحجى العقل أيضاً، والنجوى المشاورة والمسارة (انظر ذخائر العقبى لمحب الدين الطبري: ص ٧٨). وقال مجاهد: قيل لابن عباس ما تقول في علي بن أبي طالب؟ فقال: ذكرت والله أحد الثقلين، سبق بالشهادتين، وصلى القبلتين، وباع البيعتين، وأعطى السبطين الحسن والحسين، وردّت عليه الشمس مرتين بعد ما غابت عن المقلتين، وجرّد السيف تارتين، وهو صاحب الكرّتين، فمثله في الأئمة مثل ذي القرنين، ذلك مولاي علي بن أبي طالب عليه السلام (انظر مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ج ١: ص ٤٧). وقال ابن عباس: العلم ستّة أسداس، فلعلي بن أبي طالب من ذلك خمسة أسداس وللناس سدس، ولقد شاركنا في سدسنا حتّى هو أعلم به منّا (انظر مقتل الحسين للخوارزمي ج ١: ص ٤٤). وقال: كنّا نتحدّث أنّ رسول الله ﷺ عهد إلى علي سبعين عهداً لم يعهدا إلى غيره (انظر مجمع الزوائد للهيتمي ج ٩: ص ١١٣، كفاية الطالب للكنجي: ص ٢٩١). وقال ميمون بن مهران: كنت مع عبد الله بن عباس في الطواف، فإذا هو بشاب متعلّق بأستار الكعبة وهو يقول: اللهم إني أبرأ إليك من علي بن أبي طالب ومما أحدث في الإسلام، فقال لي ابن عباس: ادع لي ذلك الشاب، قال: فدعوته إليه، فجاء وجلس عن يمين ابن عباس، فقال له ابن عباس: من أنت وما اسمك؟ قال: أنا زمعة بن خارجة الخارجي، قال: فقال له ابن عباس: يا زمعة، وما أحدث علي في الإسلام؟ قال: إنّه قتل المسلمين يوم





الجمل وصفين، فقال له ابن عباس: إنك بغى الرأي مخذول الرأس، إن علي بن أبي طالب شهر سيفه على من خرج على الأمة وقابل الأئمة، لو لم يكن لعلي إلا أربع خصال كانت له أربع سوابق لو قسمت على جميع الخلائق لوسعتهم، قال: وما هي يا ابن عباس؟ قال: إنه كان أول الناس إسلاماً لم يعبد صنماً ولم يشرب خمرأً، والثانية: كان يسمع حسراً جبرئيل عليه السلام حين ينزل على محمد عليه السلام بالوحي دوننا، والثالثة: لما أراد الله أن يزوجه كريمته فاطمة من علي فأمر الحور العين أن برزن فأمر طوبى أن تنثر فنثرت الدرّ مثل القلال فكن يلتقطن وهنّ يتهادين إلى يوم القيامة ويقلن: هذه هدايا فاطمة بنت محمد عليه السلام، والرابعة: لما كان فتح مكة وسكن الناس وسقطت الشمس للمغيب قال النبي عليه السلام لعلي: «يا علي انطلق بنا حتّى نكسر صنم بني خزاعة»، وكان لبني خزاعة صنم عند الميزاب، فانطلقا فلما انتهيا إليه أنحنى علي وقال: ارق يا رسول الله، فقال له النبي عليه السلام: «إنك لا تقدر على حملي ولا أهل الدنيا كلّهم يقدرون على أن يحملوا عضواً من أعضاء نبي، فوضع النبي عليه السلام رجله على كتف علي، فكاد علي ينكسر فاستغاث بالنبي وقال: «الأمان يا رسول الله فقد كادت أعضائي تختلف بعضها في بعض»، فرفع النبي عليه السلام رجله عن كتف علي وقال: «يا علي، ذلك ثقل النبوة»، ثم قال: «أرق»، وانحنى النبي عليه السلام، فارتقى علي وكان طول الكعبة أربعين ذراعاً، فقال له النبي عليه السلام: «يا علي هل وصلت؟» قال: «يا رسول الله والله لو أردت أن أمس السماء لمسستها»، فأخذ الصنم وطرحه على الأرض وألقى نفسه على الأرض فسقط سقطة، ثم وثب وهو يضحك، فقال له النبي عليه السلام: «ما لك تضحك يا علي؟!» قال: «إنما أضحك إذ لم يصبني نكبة»، فقال له النبي عليه السلام: «كيف يصيبك الألم وإنما حملك محمد ونزل بك جبرئيل؟» قال: فتاب زمعة بن خارجة الخارجي على يديه، وصار محباً لعلي (انظر زين الفتى للعاصمي: ص ١٧٠ مخطوط). وقال ابن عباس: كانت لعلي ثمانى عشرة منقبة ما كانت لأحد من هذه الأمة (انظر مجمع الزوائد للهيتمي ج ٩: ص ١٢٠). وقال: والله لقد أعطي علي تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شارككم في العشر العاشر (انظر توضيح الدلائل للسيد شهاب الدين أحمد: ص ٤٢٤)، وكفاية الطالب للشنقيطي: ص ٥١). وقد سأله بعض الناس أي رجل كان علياً؟





قال: كان ممثليء جوفه حكماً وعلماً وبأساً ونجدة مع قرابته من رسول الله ﷺ. قال ابن عباس: علم رسول الله ﷺ من علم الله، وعلم علي من علم رسول الله ﷺ، وعلمي من علم علي، وما علمي وعلم أصحاب محمد في علم علي إلا كقطرة في سبعة أبحر، فانظر كيف تفاوت الخلق في العلوم والفهوم (انظر كفاية الطالب للشنقيطي: ص ٥١-٥٢). وقد سئل عن رسول الله ﷺ، فقال: كان أشدنا برسول الله ﷺ لزوماً وأولنا إسلاماً (انظر أسنى المطالب للوصابي: ص ٣٩). وعنه: إن علياً دخل على النبي ﷺ فقام إليه وعانقه وقبل بين عينيه، فقال العباس: أتحب هذا يا رسول الله؟ قال: «يا عم، والله أشد حباً له مني» (انظر كفاية الطالب للشنقيطي: ص ٥١-٥٢). وقال سعيد ابن جبير: ذكر عند ابن عباس علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: إنكم تذكرون رجلاً كان يسمع وطء جبرئيل فوق بيته (انظر فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج ٢: ص ٦٥٤). ومنها ما قال سعد بن أبي وقاص، فقد روى عبد الله بن أبي نجيح عن أبيه، قال: لما حج معاوية أخذ بيد سعد بن أبي وقاص فقال: يا أبا إسحاق إنا قوم قد أجفانا هذا الغزو عن الحج حتى كدنا ننسى بعض سننه، فطف نطف بطوافك قال: فلما فرغ أدخله في دار الندوة فأجلسه معه على سرير، ثم ذكر علي بن أبي طالب فوقع فيه، قال: أدخلتني دارك وأقعدتني على سريرك ثم وقعت فيه تشتمه، والله لأن تكون في أحد خلاله الثلاث أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، ولأن يكون قال لي ما قال له حين رآه غزاً تبوكاً، «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»، أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، ولأن أكون صهره على ابنته ولي منها من الولد، أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، ثم قال لمعاوية: لا أدخل عليك داراً بعد اليوم، ثم نفص رداءه وخرج (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ١١٩). قال سعد بن أبي وقاص: إن أبا بكر وعمر قالوا: أمسيت يا ابن أبي طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة (انظر وسيلة المال للحضرمي: ص ٢٣٠). وقال: لو وضع المنشار على مفرقي على أن أسب علياً ما سبته أبداً بعد ما سمعت من رسول الله ﷺ ما سمعت (انظر معارج العلى في مناقب المرتضى لمحمد صدر العالم: ص ١٩١ مخطوط). وروى مسلم في صحيحه أنه أمر معاوية بن أبي



سفيان سعداً، فقال: ما منعك أن تسبّ أبا تراب؟ فقال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله ﷺ فلن أسبّه، لأن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حمر النعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول له وقد خلفه في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان، فقال له رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبوة بعدي؟» وسمعتة يقول يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله»، قال: فتناولنا لها، فقال: «ادعوا لي علياً»، فأوتي به أرمداً، فبصق في عينيه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه، ولمّا نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ...﴾ (صحيح مسلم ج ٧: ص ١٢٠ كتاب الفضائل، باب فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام). وروى أيضاً أنه دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: «اللهم هؤلاء أهلي» (صحيح مسلم ج ٧: ص ١٢٠ كتاب الفضائل، باب فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام). قال الشيخ منصور علي ناصف: فهذه الأحاديث الثلاثة في علي لم يقلها النبي ﷺ لأحد غيره، ففيها دلالة على رفع مكانة علي عليه السلام وفي الحديث اثنان من علامات النبوة فعلية وقولية؛ أما الفعلية، فبصقه في عين علي وبرؤها في الحال، وأما القولية، فهي قوله: خذ الراية وسر إليهم فسيفتح الله عليك. وكان كذلك (انظر التاج ج ٣: ص ٢٩٦). قال الحارث بن مالك: أتيت مكّة فلقيت سعد بن أبي وقاص، فقلت: هل سمعت لعلي منقبة؟ قال: قد شهدت له خمساً لأن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من الدنيا أعمر فيها مثل عمر نوح، إنّ رسول الله ﷺ بعث أبا بكر ببراءة إلى مشرقي قريش فسار بها يوماً وليلة، ثم قال لعلي: «اتبع أبا بكر، فخذها وبلغها» وردّ علي أبا بكر فرجع أبو بكر فقال: يا رسول الله أنزل فيّ شيء؟ قال: «لا إلاّ خيراً، إلاّ أنه ليس يبلغ عني إلاّ أنا أو رجل منّي» (أو قال) من أهل بيتي، وقال: وكنا مع النبي ﷺ في المسجد، فنودي فينا ليلاً: ليخرج من في المسجد إلاّ آل الرسول وآل علي قال: فخرجنا نجرّ نعالتنا، فلمّا أصبحنا أتى العباس النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أخرجت أعمامك وأصحابك، وأسكنت هذا الغلام؟ فقال رسول الله ﷺ: «ما أنا أمرت بإخراجكم ولا إسكان هذا الغلام، إنّ الله هو أمر به»، وقال: والثالثة، أنّ نبي الله بعث عمرو سعداً إليّ





خير، فخرج سعد ورجع عمر، فقال رسول الله ﷺ: «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله» في ثناء كثير أخشى أن أحصى، فدعا علياً فقالوا: إنه أرمد فجيء به يقاد، فقال له: «افتح عينيك»، فقال: «لا أستطيع»، قال: فتفل في عينه من ريقه ودلكها بإبهامه وأعطاه الراية، والرابعة: يوم غدير خمّ قام رسول الله ﷺ فأبلغ، ثم قال: «أيها الناس ألسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ (ثلاث مرّات)»، قالوا: بلى، قال: «ادن يا علي»، فرفع يده، ورفع رسول الله ﷺ يده حتّى نظرت إلى بياض ابطنه، فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» - حتّى قالها ثلاث مرّات - والخامسة من مناقبه: أن رسول الله ﷺ غزا على ناقته الحمراء وخلف علياً، فنفت ذلك عليه قريش، وقالوا أنه إنّما خلفه أنه استثقله وكره صحبته، فبلغ ذلك علياً، قال: فجاء حتّى أخذ بغرز الناقة، فقال: «زعمت قريش أنك إنّما خلفتني أنّك استثقلتني وكرهت صحبتي»، قال: وبكى علي، قال: فنادى رسول الله ﷺ في الناس فاجتمعوا، ثم قال: «أيها الناس ما منكم أحدٌ إلّا وله حامة، أما ترضى يا ابن أبي طالب أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لا نبي بعدي؟» فقال علي: «رضيت عن الله ورسوله». قال الكنجي: هذا حديث حسن وأطرافه صحيحة (انظر في كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ص ٢٨٥). قال خيثمة بن عبد الرحمن: قلت لسعد بن أبي وقاص: ما خلفك عن علي، شيء رأيته أو سمعته من رسول الله؟ قال: لا بل شيء رأيته، أما إنّني قد سمعت له من رسول الله ﷺ ثلاثة لو تكون واحدة لي منها أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس ومن الدنيا وما فيها. الأولى منها: لمّا كانت غزوة تبوك خلف رسول الله ﷺ علياً في أهله، قال فوجد علي في نفسه، فقال: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه ليس بعدي نبوة؟» والثانية، قال رسول الله ﷺ يوم خير: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله، ليس يفرار ولا يرجع حتّى يفتح الله عليه»، فلمّا أصبح صلى الفجر، ثمّ نظر في وجوه القوم فرأى علياً منكسراً في ناحية القوم يشتكي عينيه، قال: فدعاه، فقال: «يا رسول الله إنّني أرمد»، قال فأخذه إليه فمسح عينيه ودعا له، قال علي: «فو الذي بعثه بالحقّ ما شكيتهما بعد»، قال: ثمّ أعطاه الراية، قال: فمضى بها وأتبعه الناس من خلفه، قال: فما تكامل الناس من خلفه حتّى لقي





مرحب فاتقاه بالرمح فقتله، ثم مضى إلى الباب حتى أخذ بحلقة الباب، ثم قال: «انزلوا يا أعداء الله على حكم الله وحكم رسوله وعلى كل بيضاء وصفراء»، قال: فجاء رسول الله ﷺ فجلس على الباب فجعل علي يخرجهم على حكم الله وحكم رسوله، فبايعهم وهو آخذ بيد رسول الله ﷺ قال: فخرج حيي بن أخطب، قال: فقال له رسول الله ﷺ: «برئت منك ذمة الله إذا كتمتني شيئاً»، قال: نعم، وكانت له سقاية في الجاهلية، فقال له رسول الله ﷺ: «ما فعلت سقايتكم التي كانت لكم في الجاهلية»، قال: فقال: يا رسول الله أجلىنا يوم النضير فاستهلكناها لما نزل بنا من الحاجة، قال: «برئت منك ذمة الله وذمة رسوله إن كذبتني»، قال: نعم، قال: فأتاه الملك فأخبره فدعاه رسول الله ﷺ فقال: اذهب إلى جذوع نخلة كذا وكذا، فإنه قد نقرها وجعل السقاية في جوفها، قال: فاستخرجها فجاء بها، قال: فلما جاء بها قال لعلي: «قم فاضرب عنقه»، قال: فقام إليه فضرب عنقه وضرب عنق ابن أبي الحقيق، وكان زوج صفية بنت حيي وكان عروساً بها، قال: فأصابها رسول الله ﷺ. والثالثة، قال رسول الله ﷺ يوم غدير خم ورفع بيد علي فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ١١٨). قدم معاوية في بعض حجّاته فدخل عليه سعد فذكروا علياً فقال منه، فغضب سعد وقال: تقول هذا لرجل رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، وسمعتة يقول: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»، وسمعتة يقول: «لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله» (انظر سنن ابن ماجه ج ١: ص ٤٥). وقال: قال رسول الله ﷺ في علي بن أبي طالب ثلاث خصال: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله»، وحديث الطير وحديث غدير خم (انظر حلية الأولياء ج ٤: ص ٣٥٦). وإلى غير ذلك ممّا ورد في امامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد رسول الله ﷺ بلا فصل على لسان الصحابة، ولا ندري مع وجود هذه الروايات والاعترافات كيف يدعي ابن تيمية بأنّ حال الصحابة والتابعين كحال عمر بن سعد!! فلاحظ.

وما دلّ على عدم لياقة الثلاثة لذلك^(١)،

(١) لا يخفى على الباحث الخبير المتأمل في المصادر الإسلامية، وجود الوثائق والنصوص الدالة على عدم لياقة الخلفاء الثلاثة لمقام الخلافة والإمامة، من جهة فقدانهم الشرائط المعتمدة في الإمامة كتاباً وسنةً، وقد اعترف بذلك علماء أهل السنة، وهي كثيرة جداً ولا يمكننا استقصائها في هذه العجالة، فنقتصر على ذكر بعض الروايات الواردة في المقام وحيث أنّ هذه الرايات ترتبط بفقدان شرائط الخلافة فيهم فنبداً بعدم وجود العلم فيهم، لأنّ من الأمور المسلّمة عند جميع علماء الإسلام لا بدّ أن يكون الإمام عالماً بالمسائل الشرعية والمسائل الدينيّة، فلا تصحّ إمامة الجاهل. قال الباقلاني: يشترط أن يكون "الإمام" في العلم بمنزلة من يصلح أن يكون قاضياً من قضاة المسلمين... (انظر التمهيد: ص ١٨١). وقال عبد القاهر البغدادي: قال أصحابنا إنّ الذي يصلح للإمامة ينبغي أن يكون فيه أربعة أوصاف: أحدها: العلم؛ وأقلّ ما يكفيه منه أن يبلغ فيه مبلغ المجتهدين في الحلال والحرام وفي سائر الأحكام... (انظر أصول الدين لأبي منصور البغدادي: ص ٢٧٧). وقال أبو الحسن البغدادي الماوردي: الشروط المعتمدة في الإمامة سبعة: أحدها:... الثاني: العلم المؤدّي إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام... (انظر الأحكام السلطانية: ص ٦). وقال ابن حزم: يشترط فيه أمور: أن يكون عالماً بما يلزمه من فرائض الدين... (انظر الفصل ج ٤: ص ١٨٦). وقال القاضي سراج الدين الأرموي: صفات الأئمة تسع، أحدها: أن يكون مجتهداً في أصول الدين وفروعه... (انظر مطالع الأنوار: ص ٤٧٠). وقال التفتازاني: قد ذكرنا في كتبنا الفقهيّة أنّه لا بدّ للأئمة من إمام يحيي الشريعة ويقيم السنّة ويتنصف للمظلومين ويستوفي الحقوق ويضعها مواضعها، ويشترط أن يكون مكلّفاً مسلماً عدلاً حراً ذكراً مجتهداً شجاعاً... (انظر شرح المقاصد ج ٢: ص ٢٧١). وقال الفضل ابن روزبهان: وشروط الإمام أن يكون مجتهداً في الأصول والفروع ليقوم بأمر الدين... (انظر دلائل الصدق ج ٢: ص ٤). وإلى غير ذلك من أقوالهم في هذا المجال، فمع اختلافهم في بيان حدّ العلم فقد اتّفقوا في اشتراط أصل وجود العلم في الإمام، وأن يكون هذا الشرط بمنزلة من يصلح أن يكون خليفةً للمسلمين. ولكن عندما يأتون إلى



تطبيق هذا الشرط على الخلفاء الثلاثة، بل على جميع خلفائهم سوف تراهم يقولون: لم نعهد لهم نبوغ في علم، أو تقدّمهم في العلم على سائر الناس، وقد رووا في هذا المجال روايات كثيرة بالنسبة إلى جهل الخلفاء الثلاثة بالقرآن الكريم والسنة النبوية والأحكام الشرعية، وعلى سبيل المثال فقد روى كبار علماء أهل السنة بأسناد صحيحة أنّ رجلاً جاء إلى أبي بكر فسأله عن تفسير قوله تعالى: ﴿وَفَأَكْهَهُ وَأَبَا﴾، فقال أبو بكر: أي سماء تظّلني أو أي أرض تقلّني إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم؟ (انظر تفسير القرطبي ج ١: ص ٢٩، وأصول التفسير لابن تيمية في المقدمة: ص ٣٠، والكشاف للزمخشري ج ٣: ص ٢٥٣، وتفسير ابن كثير ج ١: ص ٥، أعلام الموقعين لابن القيم: ص ٢٩، وتفسير الخازن ج ٤: ص ٣٧٤، وتفسير النسفي في هامش تفسير الفخر الرازي ج ٨: ص ٣٨٩، والدر المنثور للسيوطي ج ٦: ص ٣١٧، وفتح الباري لابن حجر ج ١٣: ص ٢٣٠، وتفسير ابن جزى الكلبي ج ٤: ص ١٨٠ وغيرها من المصادر). فكيف يغيب هذا المعنى البسيط عن الخليفة العربي الفتح الذي لا يحتاج إلى معرفة أكثر من معرفة اللغة العربية. فعدم معرفته لأبسط الأشياء دليل على جهله بأمور، فكيف بأكبر وأهم من كلمة الأب الذي عجز عن معرفته؟! وهناك روايات أخرى في جهل الخليفة لم نذكرها للاختصار وللباحث أن يراجع كتاب الغدير للعلامة الأميني رحمته الله ج ٧: ص ١٠٣-١٩٩، كما أخرج كبار علماء أهل السنة الروايات الكثيرة في جهل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بالقرآن الكريم والسنة النبوية، فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزي عن أبيه أنّ رجلاً أتى عمر فقال: إني أجنب فلم أجد ماء، فقال: لا تصل، فقال عمار: أما تذكر يا أمير المؤمنين أذاً وأنت في سرية فأجنبنا فلم نجد ماء، فأما أنت فلم تصل وأما أنا فتمعكت في التراب وصليت فقال النبي ﷺ: «إنما كان يكفيك أن تضرب بيدك الأرض ثم تنفخ ثم تمسح بهما وجهك وكفك»، فقال عمر: اتق الله يا عمار، قال: إن شئت لم أحدث به (صحيح مسلم ج ١: ص ١٩٣ كتاب الطهارة، باب التيمم). والآية الكريمة تبين هذه الحقيقة بأجلى الوضوح فقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ





مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ (سورة النساء: ٤٣). فكيف يفسر عمر الآية الكريمة وما مدى علمه بها؟! وكيف لا يعرف الخليفة عمر بن الخطاب حكم الجنابة؟ وكيف يمكن للمسلمين أن يعرفوا تفسير القرآن مع أن خلفته يكون جاهلاً به؟ والأمثلة على جهل عمر بالقرآن كثيرة وكثيرة، وهناك روايات كثيرة أخرجها كبار علماء أهل السنة بطرق صحيحة عن في جهل عمر بن الخطاب وقد أخرج بعضها العلامة الأميني رحمته الله في كتابه الغدير في باب سمّاه نواذر الأثر في علم عمر وهي مائة نادرة (انظر الغدير للعلامة الأميني ج ٦: ص ٨٣-٣٣٣). وكما أخرج الروايات الكثيرة في جهل عثمان بطرق صحيحة عن كبار علماء أهل السنة (انظر الغدير ج ٩: ص ٦٥-٣٩٧). وأيضاً أخرج كبار علماء أهل السنة الروايات الكثيرة الدالة على جهل الخليفة الثالث عثمان بالقرآن الكريم والسنة النبوية والأحكام الشرعية؛ فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما بسندهما عن عطاء بن يسار: إن زيد بن خالد الجهني أخبره أنه سأل عثمان بن عفان قال: قلت أ رأيت إذا جامع الرجل امرأته ولم يمن؟ قال عثمان: يتوضأ كما يتوضأ للصلاة ويغسل ذكره. قال عثمان: سمعته من رسول الله ﷺ (انظر صحيح البخاري ج ١: ص ٧٦ كتاب الطهارة، باب غسل ما يصيب من رطوبة فرج المرأة، وصحيح مسلم ج ١: ص ١٨٤ كتاب الطهارة، باب نسخ الماء من الماء ووجوب الغسل بالتقاء الختانين). فمن أوليات الفقه في باب الطهارة وجوب الاغتسال بعد الجماع لكن الخليفة عثمان لم يعرفه، وهذا علم الخليفة بالقرآن، ألم يقرأ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾ (سورة النساء: ٤٣)؛ يبدو أن الخليفة لم تمر هذه الآية عليه من قبل، وهذا يعني أن الخليفة طوال عمره كان يغتسل فقط إذا أمني بعد الجماع، أمّا في غيرها عند الجماع وعدم الإنزال أو عدم خروج المنى فإنه لم





يغتسل!! ماذا يقول طلبة العلوم الدينية وهم في صفهم الأول عند سماعهم مثل هذه الرواية في رجل ما؟! لا شك أن سعييون عليه جهله بالأحكام ويسخرون منه، فكيف إذا كان القائل هو الخليفة الثالث عثمان؟! وكذلك ما ورد من أن عثمان كان لا يعرف عدة المطلقة والأرملة، من المعروف في الفقه أن المرأة التي يموت عنها زوجها أو تتطلق منه تنتظر ثلاث حيضات بعد فراقه ثم يحق لها الزواج من غيره، ولكن عثمان على خلاف ما أنزل الله قال: أن المرأة تتزوج بلا عدة! فقد أخرج البيهقي بسنده عن نافع أن ربيع (امرأة) خلعت (انفصلت وطلقت) زوجها، فقال عثمان مجيباً عبد الله بن عمر: تنتقل ولا ميراث لها ولا عدة إلا أنها لا تنكح حتى حيضة خشية أن يكون بها حبل! فقال عبد الله بن عمر: عثمان خيرنا وأعلمنا (انظر سنن البيهقي ج ٧: ص ٤٥٠). فالحديث نص صريح في أن عثمان أفتى بفتوى يخالف فيها القرآن والسنة النبوية والشرع الأقدس، فالآية القرآنية من سورة البقرة تقول: ﴿وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبَعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا لَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة البقرة: ٢٨٨). فحسب النص الصريح في هذه الآية الكريمة أن المطلقة لا بد أن تنتظر ثلاث قروء أي ثلاث حيضات بعد فراق زوجها ثم يحق لها بعد ذلك أن تتزوج؛ فكيف جعل عثمان العدة حيضة واحدة والقرآن يقول: ثلاث قروء؟! ألم يقرأ الخليفة هذه الآية القرآنية قبل أن يحكم هذا الحكم الارتجالي؟ بلا شك أنه كان لا يعرف سورة البقرة أيضاً، وما بال ابن عمر يحمده على ذلك الجواب المخالف للقرآن، ياللعجب؟! وقد روى مالك في الموطأ بسنده عن قبيصة بن ذؤيب أن رجلاً سأل عثمان بن عفان عن الأختين من ملك اليمين، هل يجمع بينهما؟ فقال عثمان: أحلتهما آية، وحرمتها آية، فأما أنا فلا أحب أن أصنع ذلك (الموطأ لمالك ج ٢: ص ٥٣٨). سبحان الله، يفتي على خلاف ما أنزل الله! ثم يقول: فأما أنا فلا أحب أن أصنع ذلك! والجواب الصحيح أن الحكم حرام للحرائر وللإماء في الجمع بين الأختين، فآية التحريم تحرم كل المحارم نسبياً وسببياً ورضاعياً ولا تستثني، لكن الخليفة عثمان يجهل



وقد نبّهنا على جميعها فيما سلف^(١).



الحكم في تلك المسألة البسيطة ويقول برأيه، وليس ذلك فقط، فإنّه يقول بتناقض القرآن بقوله أحلّتهما آية وحرّمتهما آية! وهناك روايات كثيرة في جهل عثمان أخرجها كبار علماء أهل السنّة، وقد روى بعضها العلامة الأميني رحمته الله في كتابه الغدير من أصحّ كتبهم (راجع الغدير ج ٩: ص ٦٣-٣٩٧). فهذه أمثلة تبيّن جهل الخلفاء الثلاثة بالقرآن الكريم وتفسيره والسنّة النبويّة والأحكام الشرعيّة. فأين العلم الذي اشترطوه في الإمامة؟! وعليه إذا كان العلم أحد شرائط الإمامة كيف جاز لأهل السنّة أن يجعل الجاهل إماماً وخليفة ومرجعاً للأمة في الفقه والتفسير...!!؟

(١) فقد تقدّم ذكر بعض الأدلّة المعتبرة عند علماء أهل السنّة الدالة على عدم لياقة خلفائهم بمنصب الإمامة والخلافة. فالشيعة يحتجون عليهم بما جاء في كتبهم وما رواها كبار علمائهم من المناكير التي صدرت من خلفائهم، ومن أهمّها غضب الخلافة في السقيفة، إذ أنّ غضب الخلافة أحدث في الأمة حدثاً لا يمكن تداركه إلى يوم القيامة. ففي ما يتعلّق بأبي بكر، فإنّ خلافته كانت سبباً لهبوط الأمة نحو الأسفل جيلاً بعد جيل إلى أن وصلت تحت أقدام اليهود، إذ به وبعمربن الخطّاب تمكّن كعب الأحبار اليهودي أن يستغلّ الفرصة ويفرض وجوده على مجموعة من الصحابة والتابعين لخلافة السقيفة في المدينة المنورة فربى مجموعة من التلاميذ منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص وعبد الله بن عمر و... (انظر تفسير ابن كثير ج ٣: ص ١٠٤). وبدأ كعب في السعي لرفع مكانة تلاميذه ساعياً إلى مساعدتهم في نشر أحاديثه بين المسلمين. فقال كعب عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أنت أفقه العرب. ودعا الناس للسؤال من عبد الله بن عمرو، ولما أجابهم الأخير قال كعب عنه: صدق الرجل عالم والله (تاريخ الطبري ج ١: ص ٤٠٢). ومدح كعب الأحبار أبا هريرة فقال: ما رأيت أحداً لم يقرأ التوراة أعلم بما فيها من أبي هريرة (انظر تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١: ص ٣٦، والإصابة لابن حجر ج ٤: ص ٢٠٦). وقد سعى أبو هريرة وغيره لإلصاق أحاديث كعب بالنبي صلّى الله عليه وآله في عملية تدليس خطيرة وقال ابن كثير





في تفسيره بعد أن أورد حديثاً عن أبي هريرة: لعلّ أبا هريرة تلقاه عن كعب الأحبار، فإنّه كان كثيراً ما يجالسه ويحدثه، فحدث أبو هريرة، فتوهم بعض الرواة أنّه مرفوع فرفعه (انظر تفسير ابن كثير ج ٣: ص ١٠٤). فابتلاء المسلمين باليهود من عهد أبي بكر ثمّ عمر ثمّ عثمان وبعدهم خلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس، فإنّهم مهّدوا لأعدى عدو الإسلام بالنفوذ والرسوخ في المسلمين ليرجعوا إليهم أصل الجاهلية الأولى. وهنا أسرار خطيرة، منها: تدخل كعب في انتخاب خلفاء المسلمين. فقد صرّح كبار علماء أهل السنة بتدخل كعب في شؤون الخليفة عمر بن الخطّاب، وكان عمر يستشير في الأمور السياسية والدينية ووضع الأحاديث الكاذبة في حقّه لتجذير العوام من الناس وكان عمر يرفع شأنه ويجلسه إلى جنبه في سبيل تمرير مخططاته الخطيرة. ومن أحاديثه: أنّ الحقّ سبحانه أوّل من يصفح عمر يوم القيامة (انظر سنن ابن ماجه ج ٢: ص ٣٩). وهو يلازم كونه سبحانه ذا يد يصفح بها غيره، تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً، وأنّه محدث، وإلى غير ذلك من الأباطيل اليهوديّة التي دخلها في أحاديث أتباع خلافة السقيفة. ثمّ إنّ كعب الأحبار لم يعلن إسلامه في زمن النبي ﷺ بالرغم من كلّ البراهين التي وجدها من النبي الأكرم ﷺ، ولكن أعلن إسلامه في زمن عمر وليس ذلك حبّاً في الإسلام بل استغلالاً لفرصة متاحة، حيث أنّه بالرسوخ إلى أواسط المسلمين سعى بكلّ قدراته لتمجيد أفكار اليهوديّة وتحطيم الشريعة الإسلامية، ومن الطبيعي أن يكون عدواً للمسلمين، وعداء كعب لله سبحانه ولرسوله ﷺ وللمؤمنين بيّن جداً. وأشهر دليل على ذلك حبه لمعاوية وكرهه للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وكذبه في الحديث النبوي. وإنّ تدخل كعب في شؤون الخليفة عمر واضح ومعروف فلقد أصبح مستشاراً له في الشؤون الدينية، وكان الخليفة عمر السياسية يسأله عن كل شيء حتّى الجنّة والنار وعن المستقبل وعن شروط الخليفة ومن يكون له الأولوية بالخلافة، ورأيه في الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وغير ذلك. فذهب عمر إلى الشام بنصيحة كعب وامتنع عن زيارة العراق بإشارته. وتدخل كعب في شؤون الخلفاء والقيادات من جميع النواحي الإيجابية والسلبية. فلقد تدخل بصورة سلبية محضّة ضدّ الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي





طالب ﷺ، خوفاً من وصوله إلى السلطة، وتدخل بصورة إيجابية محضنة في صالح معاوية. فلقد عرف كعب كل ما يتعلق ببني هاشم وبني أمية ورجالهما وأفكار المسؤولين في الدولة وتوجهات عمر وخططه ورغباته وأسراره الخاصة وأنه قد عاشه فترة غير قصيرة وسافر معه في رحلة طويلة إلى الشام، وأطلع كعب على علوم الغيب للنبي ﷺ في مقتل الخلفاء وحكم بني أمية. وإليك حديث كعب ثم حديث عمر والحديثان متفقان في المعنى: قال عمر بن الخطاب لكعب الأحبار: كيف تجد نعتي؟ قال: أجد نعتك قرنا من حديد. قال: وما قرن من حديد؟ قال: أمير شديد لا تأخذه في الله لومة لائم. قال: ثم مه؟ قال: ثم يكون من بعدك خليفة تقتله فئة ظالمة. قال: ثم مه؟ قال: ثم يكون البلاء (انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص ١٢١). ومن أدلة معرفة كعب بخلافة عثمان لعمر قوله: نجده أمر الخلافة ينتقل بعد صاحب الشريعة والاثنتين من أصحابه إلى أعدائه (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٣: ص ١١٥). ويعترف كعب هنا بأن بني أمية قاطبة أعداء النبي ﷺ، وكعب يدعمهم وقد قال الخليفة عمر لعثمان قبل موته: هيهات إليك كائني بك قد قلدتك قريش هذا الأمر لحبها إياك، فحملت بني أمية وبني أبي معيط على رقاب الناس، وآثرتهم بالفئ، فسارت إليك عصابة من ذئبان (ذؤبان) العرب فذبحوك على فراشك، والله لئن فعلوا لتفعلن، ولئن فعلت ليفعلن، ثم أخذ بناصيته فقال: فإذا كان ذلك فاذكر قولني فإنه كائن (شرح نهج البلاغة ج ١: ص ٦٢). فكعب أخذ فكرة ثورة الناس على عثمان من عمر الذي عاصر عثمان لفترة طويلة، وعرف أعماله مع بني أمية من أمثال الحكم بن أبي العاص وعبد الله ابن أبي سرح وغيرهم في زمن الرسول ﷺ وزمن أبي بكر، ومن الطبيعي أن يزداد جنوح عثمان نحو بني أمية بعد تولية الخلافة، لأنه فعل أفعالا عجيبة معهم والرسول ﷺ حاضر، فكيف يكون الأمر بعد وفاة الرسول ﷺ، فمعرفة كعب بتولي عثمان للخلافة من بعد عمر وفراصة عمر فيه يعتبر من الأسرار الخطيرة للدولة، وإطلاع كعب على مثل هذه الأسرار يبين وجود علاقة متينة بين عمر وكعب. وبتعبير آخر يبين انضمام كعب إلى جماعة الحكومة والحزب القرشي من أن مسألة حب عثمان لبني أمية معروفة للصحابة، وخطورة هذه الأعمال واضحة، لأن المسلمين كانوا





يعيشون في العصر الإسلامي الأول وفي فترة قريبة من زمن الرسول ﷺ، وهذا يعني أنهم سيثورون على أي منهج يخالف أطروحة النبي ﷺ، ولأجل ذلك فقد عرف ذلك عمر وغيره، بعد معرفته بوصول عثمان إلى الخلافة من خلال مجلس عمر السداسي: وأيم الله لا يناله (الحكم) إلّا بشر لا ينفع معه خير (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣: ص ٦٨). فمن عهد أبي بكر إلى الآن ابتلى المسلمون باليهود، وقد أعانهم بعد أبي بكر عمر بن الخطاب وتبعهما عثمان وجميع خلفاء بني أمية وبني العباس. ثم ازدادت وتوسّعت في البلاد، واتسعت دائرتها ازدادت انحراف الأمة وضلالها عن الدين والمباني الإسلامية. وايضا من مخالفة أبي بكر للقرآن والسنة النبوية هي منع صديقة الطاهرة فاطمة الزهراء ﷺ فداً، رغم أنّ النصوص العديدة أكّدت على أن فداً كانت نحلة للزهراء ﷺ، وأن النبي ﷺ قد أعطاه إياها خالصة قبل وفاته ﷺ. فقد أخرج الهيثمي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأَتَا ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطاه فداً (انظر مجمع الزوائد للهيتمي ج ٧: ص ٤٩)، ورواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٧: ص ٤٩، وابن كثير في تفسيره ج ٣: ص ٣٩، والسيوطي في الدر المنثور ج ٤: ص ١٧٧، والشوكاني في فيح القدير ج ٣: ص ٢٢٤، وغيرهم. ولذلك قال مولانا أمير المؤمنين ﷺ في رسالته إلى عثمان بن حنيف: ب«لى كانت في أيدينا فداً من كلّ ما أظلمت السماء فشحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٥: ص ٩٩). ففي هذا الكلام من مولانا أمير المؤمنين ﷺ تصريح على أنّ فداً كانت في أيديهم قبل أن يستولي عليها أبو بكر وعمر، وذلك ممّا يعني أنّها لم تكن ميراثاً بل هي نحلة، فما ادّعاه أبو بكر باطل بالنصوص التي أخرجها الفريقين. وعلى فرض أن يكون الفداً إرثاً، فأيضاً أنّ منع أبي بكر الفداً من الزهراء ﷺ من أوضح مخالفات أبي بكر للنصّ القرآني، لأنّ منع فاطمة الزهراء ﷺ من الميراث، مخالفة لصريح الآيات من القرآن الكريم والنصوص النبوية وقد أشارت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء ﷺ بذلك في خطبتها المعروفة بخطبة الفدكية، محتجةً على أبي بكر: «يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟! لقد جئت





شيئاً فرياً، أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾، وقال فيما اقتص من خير يحيى بن زكريا، إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾؟» ثم قالت: «أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟! فدونكها مخطومة مرحولة لتلاك يوم حشر، فنعلم الحكم الله، والزعيم محمد ﷺ والموعود القيامة وعند الساعة ما تخسرون ولا ينفعكم إذ تندمون»، ثم رمت بطرفها نحو الأنصار وقالت: «يا معشر الفتية وأعضاء الملة وأنصار الإسلام ما هذه الغميرة في حقِّي، والسنة عن ظلامتي؟» (انظر تاريخ يعقوبي ج ٢: ص ١٢٧). فغضبت فاطمة الزهراء عليها السلام على أبي بكر وبذلك أصبت مخالفة أبي بكر أيضاً لسنة رسول الله ﷺ حيث قال ﷺ: «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني» (انظر صحيح البخاري ج ٤: ص ٢١٠ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم).

ومنها: مخالفة أبي بكر وأتباعه لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ في قتل المسلمين الأبرياء كمالك بن نويرة الصحابي الجليل؛ الذي يقول ابن الأثير في أسد الغابة في ترجمته: مالك بن نويرة المقتول المزني بزوجه في نفس الليلة ما يلي... إلا أنه لم تظهر عليه ردة (يقصد مالك بن نويرة الصحابي الجليل) وأقام بالبطاح، فلما فرغ خالد من بني أسد وغطفان سار إلى مالك وقدم البطاح، فلم يجد به أحداً، كان مالك قد فرقه ونهاهم عن الاجتماع (لو كان مالك مرتداً فعلاً لأعد العدة لقتال خالد) (انظر أسد الغابة ج ٤: ص ٢٩). وقد ذكر المؤرخون: أنه لما قدم خالد ابن الوليد البطاح بث سراياه، فأتى بمالك بن نويرة ونفر من قومه. فاختلقت السرية فيهم، وكان فيهم أبو قتادة، وكان فيمن شهد أنهم أذّنوا وأقاموا وصلّوا، فحبسهم في ليلة باردة وأمر خالد فنأدى: أذّنوا أسراكم - وهي في لغة كنانة القتل - فقتلوهم (انظر إلى مكر خالد وغدره)، فسمع خالد الواعية فخرج وقد قتلوا، فتزوج خالد امرأته، فقال عمر لأبي بكر: سيف خالد فيه رهق وأكثر عليه، فقال أبو بكر: تأول فأخطأ ولا أشيم سيفاً سلّه الله على المشركين، وودى مالكا، وقدم خالد على أبي بكر فقال له عمر: يا عدوّ الله قتلت امرأة مسلماً ثم نزوت على امرأته، لأرجمنك وأبو قتادة يشهد أنهم أذّنوا وصلّوا، وأبو بكر يرد السي ويغطي دية مالك من بيت المال





(انظر تاريخ الطبري ج ٢: ص ٥٠٤، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٢: ص ٢٥٩، وأبو الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ج ١٥: ص ٢٠٣، وتاريخ الاسلام للذهبي ج ٣: ص ٣٦ وغيرهم). ولا شك مالكا كان من المسلمين، وقد أجمع علماء الإسلام على ذلك، ولكن حيث أنه امتنع عن إعطاء الزكاة للسلطة الجائرة لعدم اعتقاده بخلافة أبي بكر، حتى ورد أن عمر الذي كان معروفاً بالغلظة، قال لأبي بكر: كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله (انظر صحيح البخاري ج ٢: ص ١١٠ كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة). ولم يبالى أبو بكر بما ذكره عمر وغيره ممن اعترضوا عليه، فقتله ظلماً وعدواناً. والملفت للنظر في هذه القصة هو اعتراف ضمني من أبي بكر على أن عمله كان مخالفاً للدين والسنة النبوية، إذ أنه دفع دية مالك من بيت المال واعتذر عن قتله بعد ذلك (انظر الإصابة لابن حجر العسقلاني ج ٥: ص ٧٥٥، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج ١: ص ٣٦٦). ومن الواضح أنه إذا كان عمله مطابقاً للدين والشريعة المقدسة فلا يعتذر عن قتله. ثم أنه من مخالفته أيضاً لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ عدم إقامة الحد على خالد بن الوليد بعد قتله مالك بن نويرة وما ارتكب من زنا بزوجه من ليلته، ولم يقتص منه! مع أن دفع دية خالد من بيت المال دليل على قتل مالك بن نويرة كان على خلاف كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ (انظر الإصابة لابن حجر ج ٥: ص ٧٥٥، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج ١: ص ٣٦٦، وتاريخ الطبري ج ٣: ص ٢٧٨، وتاريخ أبي الفداء ج ١: ص ٢٢١، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٢: ص ٣٥٨ وغيره). فما فعله مخالف للكتاب والسنة. ومنها: مخالفة أبي بكر لسنة رسول الله، بأمره بإحراق فجاءة السلمى بالنار وقد قال رسول الله ﷺ: «لا يعذب بالنار إلا رب النار» (انظر سنن أبي داود ج ٢: ص ٤٠٥، ومجمع الزوائد للهيتمي ج ٦: ص ٢٥١، ومسند أحمد بن حنبل ج ٢: ص ٤٩٤ وغيرهم). وإلى غير ذلك من مخالفاتهم للكتاب والسنة النبوية ﷺ. والنتيجة فمن اقتدى بالخلفاء الذين خالفوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، معناه أنه اقتدى بأهل البدعة والضلال، وأن كتب أهل السنة مليئة بذكر الروايات الواردة عن النبي ﷺ التي تفيد تصريحه على أن: «كل



وثانيها: ما زعمه من وصف سعد^(١)



بدعة ضلالة» (انظر مسند أحمد ابن حنبل ج ٤: ص ١٢٦)، ورواه الدارمي في سننه ج ١: ص ٤٥، وابن ماجه في سننه ج ١: ص ١٦، والحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين ج ١: ص ٩٦ وغيرهم. فالأدلة القاطعة عند جميع المسلمين تثبت بأن خلافة الخلفاء الثلاثة كانت خلافة من أهل البدعة والضلال، فلاحظ

(١) وهو أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص، وأمه حمئة بنت سفيان بن أمية بنت عم أبي سفيان بن حرب. من الصحابة الذين سمع من النبي ﷺ، وروى بعض الأحاديث في فضائل ومناقب مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، منها: ما رواه المسعودي في مروج الذهب قال: وحدث أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، عن محمد بن حميد الرازي، أبي مجاهد، عن محمد بن إسحاق، عن ابن أبي نجیح، قال: لما حج معاوية طاف بالبيت ومعه سعد، فلما فرغ انصرف معاوية الى دار الندوة، فأجلسه معه على سريريه، ووقع معاوية في علي وشرع في سبّه، فزحف سعد ثم قال: أجلسني معك على سريرك ثم شرعت في سب علي، والله لأن يكون في خصلة واحدة من خصال كانت لعلي أحب الي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس: والله لأن أكون صهراً لرسول الله ﷺ وأن لي من الولد ما لعلي أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، والله لأن يكون رسول الله ﷺ قال لي ما قاله يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّه الله ورسوله، ويحبّ الله ورسوله، ليس بفرار يفتح الله على يديه» أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، والله لأن يكون رسول الله ﷺ قال لي ما قال له في غزوة تبوك: «ألا ترضي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي» أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، وأيم الله لا دخلت لك داراً ما بقيت، ثم نهض. ثم قال: ووجدت في وجه آخر من الروايات، وذلك في كتاب علي بن محمد بن سليمان النوفلي في الأخبار، عن ابن عائشة وغيره، أن سعداً لما قال هذه المقالة لمعاوية ونهض ليقوم ضَرَطَ له معاوية، وقال له: اقعد حتى تسمع جواب ما قلت، ما كنت عندي قطّ الأم منك الآن،





فهلّا نصرته، ولم قعدت عن بيعته؟ فإني لو سمعت من النبي ﷺ مثل الذي سمعت فيه لكنت خادماً لعلي ما عشت، فقال سعد: والله إنني لأحقّ بموضعك منك، فقال معاوية: يا أبا عليك ذلك بنو عذرة، وكان سعد فيما يقال لرجل من بني عذرة. قال النوفلي: وفي ذلك يقول السيد بن محمد الحميري: سائل قريشا بها إن كنت ذا عمه * من كان أثبتّها في الدين أوتاداً. من كان أقدمها سلماً، وأكثرها * علماً، وأطهرها أهلاً وأولاداً. من وحّد الله إذ كانت مكذبة * تدعو مع الله أوثاناً وأنداداً. من كان يُقدّم في الهيجاء إن نكلوا * عنها وإن بخلوا في أزمة جاداً. من كان أعدلها حكماً وأقسطها * حلاً، وأصدقها وعداً وإيعاداً. إن يصدّقوك فلم يعدّوا أبا حسن * إن أنت لم تلق للأبرار حساداً. إن أنت لم تلق من تيم أخا صلف * ومن عدي لحق الله جحّاداً. أو من بني عامر، أو من بني أسد * رهط العبيد ذوي جهل وأوغاداً. أو رهط سعد، وسعد كان قد علموا * عن مستقيم صراط الله صدّاداً. قوم تداعوا زنيماً ثمّ سادهم * لو لا خمول بني زهر لما ساداً... (مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي ج ٣: ص ١٤) والسيد الحميري قد مدح الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بمناقب رواه سعد بن أبي وقاص، في هذه القصيدة المعروفة، ويعرض ويذمّ الذين توقفوا عن بيعته عليه السلام، وقعدوا عن نصرته. ويقصد الحميري من "تيم أخا صلف" طلحة بن عبيد الله الذي نكث بيعة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وتحرك لحربه في واقعة الجمل. وكذلك تيم اسم قبيلة عائشة. والمراد من عدي جاحد حقّ الله عبد الله بن عمر، وهو من قبيلة عدي، وهو من المتخلفين عن بيعة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والقصد من بني أسد الزبير بن العوام الذي نكث البيعة أيضاً ودخل في قضية الجمل؛ إذ الزبير من بني أسد بن العزري بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي. وكذلك كان ولده عبد الله قد أدّى دوراً كبيراً في تأجيج نار الحرب. والمراد من رهط سعد، سعد بن أبي وقاص. واسم أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة. والمقصود من بني زهر بنو زهرة، قبيلة سعد بن أبي وقاص. وكان قد جاء في كلام معاوية وهو يخاطب سعد بن أبي وقاص بقوله: يا أبا عليك ذلك (الخلافة) بنو عذرة. وذلك أنّ معاوية كان يسخر منه حتّى





فيه أنه شرط له، ثم قال له بالكناية: يأبى عليك ذلك (الخلافة) بنو عذرة، وقصد بالكناية القدح في نسب سعد بن أبي وقاص؛ لأنه أراد أن يشعره بأن سعداً ليس من قريش! فلا ينبغي أن يكون الخليفة؛ لأنّ الخليفة لا بدّ أن يكون من قريش! ونسبه يرجع إلي بني عذرة، لأنّ جبير بن حفش كان من بني عذرة (من قبائل نجد)، خدناً (أي عشيقاً وصديقاً) لأم سعد بن أبي وقاص. ومن هنا يعرف لماذا أنّ سعد بن أبي وقاص كان يُنسب إلى أمه حمته بنت أبي سفيان مشهوره بالزنا وشهد بذلك معاوية حين قال له سعد بن أبي وقاص: أنا أحقّ منك بالخلافة. فقال له معاوية: يأبى عليك بنو عذره ذلك.

أقول: ولا يخفى على الخبير أنّ ما ذكره معاوية من الكناية في قدح نسب سعد بن أبي وقاص، وعدم كونه لائقاً بالخلافة إنّما كان من جهة عدم كونه من قريش لا من جهة أنّه ابن الزنا، ولو كان يقصد به الثاني لكان سعد بن أبي وقاص يرد عليه بأنّه لو كان المدعي عليّ رجل واحد فإنّ المدّعين عليك كانوا أكثر من أربعة رجال. وعلى كل تقدير أنّ عمر بن سعد ابنه أيضاً لم يكن لأبيه سعد، بل الأصحّ كما رواه أبو زكريا النووي في كتابه "تهذيب الأسماء واللغات"، إن أباه هو عروة بن مهان بن حصن من بني حنيفة، من قبيلة مسيلمة الكذاب، من قبائل نجد المشؤمة. كان يراود أمّه (ماوية بنت قيس من قبيلة كندة النجدية)، ويعلم الناس بذلك، ولم يحرك سعد ساكناً. ويصل الدور إلى جدّة سعد بن أبي الوقاص (أمّ جميل)، وهي من ذوات الأعلام (انظر تهذيب الأسماء واللغات لأبي زكريا النووي ج ١: ص ٨٨).

ثم إنّ سعد بن أبي وقاص كان أحد أعضاء الشورى الستة الذين اختارهم عمر بن الخطّاب لأمر الخلافة من بعده. فكان سعد أحد المرشّحين للخلافة فلا ينبغي له أن يغترّ ويقول: أنا اخترت الانعزال ولم أبايع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لأنّي لم أكن في صدد الحكومة والإمارة، فهذا خدعة ومكيدة شيطانيّة، والتظاهر بالصلاح، لأنّ سعداً كان يعرف الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام جيّداً، وكان مطلعاً على سوابقه. إذ أنّه روى بعض الأحاديث في مدحه عليه السلام وفضله عليه السلام عن رسول الله ﷺ. فلا يحقّ له أن يقف بوجه الإمام عليه السلام. فإنّه من كان يعلم ويعرف مقام وشأن مولانا الإمام أمير المؤمنين





علي بن أبي طالب عليه السلام وأنه خليفة رسول الله ﷺ، وواجب الإطاعة وفقاً لبيعة المسلمين إياه عليه السلام يوم غدیر خم، والشاهد على ذلك أنّ مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ناشده يوم الشورى فلو كان يريد أن لا يصدق الإمام عليه السلام لكان يرد على مناشدة الإمام عليه السلام، أو لا أقل كان يقول للإمام عليه السلام إني لا أعلم شيئاً، بينما أنّ الإمام عليه السلام قد أخذ الإقرار من جميع الحاضرين في مجلس الشورى، ومنهم سعد بن أبي وقاص. مضافاً إلى النصوص النبوية القرآنية الدالة على خلافة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الحقّة وولايته وإمارته الإلهية، القاضية بوجوب طاعته ووجوب امتثال أوامره ونفوذ أحكامه في الحرب والسلم كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (سورة النساء: ٥٩). فكيف جاز له الانعزال وهو يعلم أنّ الله تبارك وتعالى قد جعل هذا المقام لمولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. ثم أنّ جميع أهل المدينة بايعوا الإمام عليه السلام سواء من كان يراه خليفة رسول الله ﷺ مباشرة كعمّار، أو من كان من أتباع السقيفة ويراه عليه السلام خليفة الرابع، فلم يبق له حجّة لعدم البيعة. وقد أشار ابن سعد إلى هذا المعنى في طبقاته: بأنّه لما قتل عثمان وبويع لعلي بن أبي طالب عليه السلام بالمدينة الغد من يوم قتل عثمان، بايعه جميع من كان في المدينة، ومنهم طلحة، والزبير، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعمّار بن ياسر، وأسامة بن زيد، وسهل بن حنيف، وأبو أيوب الأنصاري، ومحمّد بن مسلمة، وزيد بن ثابت، وخزيمة بن ثابت، وجميع أهل المدينة. ثمّ ذكر طلحة والزبير أنّهما بايعا كارهين غير طائعين. وخرجا إلى مكّة وبها عائشة. ثمّ خرجا من مكّة ومعهما عائشة إلى البصرة يطلبون بدم عثمان (الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣: ص ٣١). ومعناه أنّه لم يكن العذر لأحد في عدم البيعة. من هنا يعرف أنّ سعد بن أبي وقاص كان له الرغبة في الإمارة والحكومة من يوم الشورى فلم يحصل له الفرصة على ذلك، ففي ذلك الوقت صوّت لمصلحة عثمان. وأمّا بعد قتل عثمان مع أنّ جميع أهل المدينة بايعوا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فإنّه لم يبايع، واعتزل ولم ينصر الإمام عليه السلام في الجمل





وصفّين والنهروان. فيبدوا أنّه كان له الرغبة والطمع في الإمارة من ذلك اليوم. ولعلّ لو كان الإمام عليه السلام يعطيه منصباً من مناصب الحكومة لكان يبايع الإمام عليه السلام. ويؤيد ذلك ما رواه الشيخ الصدوق عليه السلام في أماليه بسنده عن أصبغ بن نباتة، من أنّ سعد بن أبي وقاص امتنع عنبيعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ونصرته، فتركه الإمام عليه السلام ولم يجبره على البيعة. وكان سعد يتقرّب إليه ليؤكّده فلم يؤكّده الإمام عليه السلام وقد كان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يخطب الناس في أحد الأيّام ويقول: «سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله ما تسألوني عن شيء مضى ولا شيء يكون إلّا نبأتكم به». قال فقام إليه سعد بن أبي وقاص، وقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة؟ فقال عليه السلام له: «والله لقد سألتني عن مسألة حدثني خليلي رسول الله ﷺ أنّك ستسألني عنها! وما في رأسك ولحيتك من شعرة إلّا وفي أصلها شيطان جالس! وإنّ في بيتك لسخلاً يقتل الحسين ابني!» وعمر يومئذ يدرج بين يدي أبيه (انظر الأمالي للشيخ الصدوق عليه السلام: ص ١٩٦). ويقول المسعودي: وكان سعد، وأسامة بن زيد، وعبدالله بن عمر، ومحمّد بن مسلمة ممّن قعد عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأبوا أن يبايعوه هم وغيرهم ممّن ذكرنا من القعّاد عن بيعته، وذلك أنّهم قالوا: إنّها فتنة!!! ومنهم من قال لعلي عليه السلام: أعطنا سيوفاً نقاتل بها معك فإذا ضربنا بها المؤمنين لم تعمل فيهم ونبت عن أجسامهم، وإذا ضربنا بها الكافرين سرت في أبدانهم، فاعرض عنهم عليّ، وقال: «ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولّوا وهم معرضون...» (مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ٣: ص ١٥). وروى ابن سعد في طبقاته بسنده عن أيّوب بن محمّد أنّه قال: نبئت أنّ سعداً كان يقول: ما أزعج أنّي بقميصي هذا أحقّ منّي بالخلافة قد جاهدت إذ أنا أعرف الجهاد. ولا أبخع نفسي إن كان رجل خيراً منّي؛ لا أقاتل حتّي تأتونني بسيف له عيان ولسان وشفّتان فيقول: هذا مؤمن وهذا كافر (الطبقات الكبرى ج ٣: ص ١٤٣). وروى أيضاً بسنده عن يحيى بن الحصين أنّه قال: سمعت الحنّي كانوا يتحدّثون أنّ أبي قال لسعد: ما يمنعك من القتال؟! قال سعد: حتّي تجيئوني بسيف يعرف المؤمن من الكافر (الطبقات الكبرى ج ٣: ص ١٤٤). وقال ابن عبد البر: ورامه ابنه عمر بن سعد أن يدعو





لنفسه بعد قتل عثمان، فأبى. وكذلك رآه أيضاً ابن أخيه هاشم بن عتبة، فلما أبى عليه، صار هاشم إلى عليّ أبي طالب وكان سعد مَمَّنْ قعد ولزم بيته في الفتنة في ثورة المصريين وقتل عثمان. وأمر أهله أن لا يخبروه من أخبار الناس بشيء، حتّى تجتمع الأمة على إمام. فطمع معاوية فيه، وفي عبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة. فكتب إليهم يدعوه إلى عونه على الطلب بدم عثمان، ويقول لهم: إنّ قاتله وخاذله سواء. وإنّهم لما لم ينصروا عثمان، فهم بحكم قاتليه. وكفارة جرمهم - بزعمه - أن ينهضوا لنصرته معاوية على عليّ بن أبي طالب وفي نثر ونظم كتب معاوية به إليهم، وقد تركت ذكره. فأجابه كلّ واحد منهم برّد عليه ما جاء به من ذلك وينكر مقالته، ويعرفه بأنّه ليس بأهل لما يطلبه؛ وأنّ في جواب سعد بن أبي وقاص قال: مُعاويَ داؤك الداء العياء * وليس لما تجيء به دواء. أيدعوني أبو حسن عليّ * فلم أرُدْ عليه ما يشاء. وقلتُ له أعطني سيفاً بصيراً * تميزُ به العداوة والولاء. فإنّ الشرّ أصغرُه كبيرٌ * وإنّ الظَّهر تنقله الدماء. أطمع في الذي أعيأ عليّاً * على ما قد طمعتَ به العفاء. كيومُ منه خير منك حياً * وميتاً أنت للمرء الفداء. فأما أمر عثمان فدعه * فإنّ الرأي أذهبُه البلاء (الاستيعاب لابن عبد البر ج ٢: ص ٦٠٩). وقال أيضاً سئل عليّ عليه السلام عن الذين قعدوا عن بيعته ونصرته والقيام معه، فقال: «أولئك قوم خذلوا الحقّ ولم ينصروا الباطل» (الاستيعاب لابن عبد البر ج ٢: ص ٦١٠). وقال أيضاً: بويع لعليّ عليه السلام بالخلافة يوم قتل عثمان؛ واجتمع على بيعته المهاجرون والانصار، وتخلف عن بيعته منهم نفر، فلم يهجهم ولم يكرههم، وسئل عنهم، فقال: «أولئك قوم قعدوا عن الحقّ، ولم يقوموا مع الباطل» (الاستيعاب ج ٣: ص ١١٢٠). وقال أيضاً: عذر سعد بن أبي وقاص عن عدم بيعته أمير المؤمنين مرفوض

أجل، هذا موقف سعد بن أبي وقاص، إذ أدّى به إلى الانعزال وسوء الفهم مع سوابقه المشرقة في الإسلام. ومُنّي بالعجب والغرور نتيجة للمكانة التي جعلها له عامّة الناس على أساس كلام رسول الله ﷺ: «اللهم سدّد رميته، وأجب دعوته» (الاستيعاب لابن عبد البر ج ٢: ص ٦٠٨). هذا ولا يخفى على الخبير بأنّه على مبنى أهل التسنن كان بإمكان الإمام عليه السلام أن يحكم عليهم بالقرآن الكريم ويعاقب كلّ مسلم معتد باغ لا يبايع ولا يقرّ





بالولاية، وينوي إراقة الدماء والفساد في الارض، وإن كان مسلماً أو كان عدد البغاة بالآلاف. ألم يقرأ سعد بن أبي وقاص هذه الآية في القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفَاتَحُوا لَتِّي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (سورة الحجرات: ٩). فإنه كان يعلم أن سيف الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو الحق، وهو الفارق بين الحق والباطل والمؤمن والكافر. في ضوء هذه الآية، يحق للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أن يقاتل البغاة المتمردين الذين لم يستسلموا للحق ولم يتبعونه كمعاوية، وأصحاب الجمل، والنهروان، بعد الخطب والرسائل وإتمام الحجج. ويقف بوجه الفساد، وينقذ الحكومة المركزية من التفرقة، ويقمع المعتدين وأتباعهم، ويقر حكومة واحدة للأمة الإسلامية في أرجاء الوطن الإسلامي، كما كان ذلك في عهد النبي ﷺ. إن سعد بن أبي وقاص مدان في احتجاجه بحكم هذه الآية. وليس من حقه أن ينسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام القتال خبط عشواء بلامراعاة للإيمان والكفر. وفي ضوء هذه الآية القرآنية يجب قتل المسلم المعتدي الذي لا يستسلم للحق. وأن قيمة الإنسان بشرف تسليمه وأتباعه الحق، لا بإسلامه الظاهري. وللکافر المستعد لأتباع الحق ميزة على المسلم الذي ليس كذلك. ويسمى الإسلام إسلاماً بسبب التسليم للحق والابتعاد عن الباطل. أجل، أعرض سعد عن بيعة الإمام عليه السلام ونصرته عليه السلام والانضواء تحت رايته عليه السلام، ومُني بطمع معاوية. وامتنع عبد الله بن عمر المتنسك المتعنت ذو الأفق الضيق من بيعة الإمام عليه السلام. وبائع يزيد بن معاوية، وعبد الملك بن مروان. وهذا معنى قول الشاعر الفارسي الذي يقول: هر که گریزد ز خراجات شاه * بارکش غول بیابان شود. ومضمونه "من فرّ من ضرائب الملك، فإنّ غول الصحراء يجعل منه حملاً". ولذلك أنّ معاوية بن أبي سفيان كان يتوقع منه أن يسب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لأنّ معاوية كان يعلم علة انزاله، ولما وجد أنّه يقرأ الروايات في فضائل مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فصار غاضباً عليه، إذ لو كان سعداً يعتقد بالروايات لباع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فإنّ عدم





بيّعه مع الإمام عليه السلام دليل على أنّه كان يعرف الإمام عليه السلام جيداً ولكن كان يريد الإمارة لنفسه. فمعاوية كان يطمع أن يشتري سعد بن أبي وقاص بمال ليسب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولذلك طلب من سعد أن يسب الإمام عليه السلام. ولما وجدته معاوية أنّه يريد الهروب من الواقعة جعل يمسخر به وقوله لسعد بأنك لا تليق مقام الإمارة، لأنّ بنو عذرة تأبى ذلك. فهذا يؤيد بأنّ معاوية أيضاً كشف عن نوايا سعد بن أبي وقاص بأنّ نقله لحديث فضائل مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ليس من باب الاعتقاد بها، بل ذكرها ذريعة لانعزاله. مع علمه بسوابق الإمام عليه السلام ومعرفته بسوابق رفيقه معاوية المشرك وأبيه أبي سفيان رأس الفساد ومجيش الجيوش على الإسلام، ومنبع الخيانة والجناية، وعفريت النفاق والازدواجيّة إذ أسلما في فتح مكّة في السنة الثامنة من الهجرة مكرهين مضطّرين؟! فلهذا كان سعد يعيش في قصره بالعقيق على بُعد عشرة أميال عن المدينة مستعلياً يرقب الأوضاع مع ما واجه به معاوية من موقف حادّ، ومع سكوته عن جواب معاوية المكّار الغدار، ومشاهدة الثورة وتشويش الأوضاع بعد استشهاد الإمام المظلوم أمير المؤمنين عليه السلام الذي لم يترك شيئاً بعد استشهاد (انظر مقاتل الطالبين ج ١: ص ٥١). ومع استبانة مظلوميّته وصيحاته وخطبه التي ظلّت بلا جواب. ولما رأى معاوية أنّه لا يستطيع يأخذ البيعة لابنه يزيد مع وجود سعد بن أبي وقاص، ومكانته عند الناس، لهذا قتله بالسم، كما قتل سبط رسول الله الحسن المجتبي عليه السلام. ذكر ذلك أبو الفرج الأصفهانيّ بسنده المتّصل أنّ معاوية لما أراد البيعة لابنه يزيد، وضع سمّاً في طعام خفية، وأطعمه الإمام الحسن عليه السلام وسعداً، فماتا منه وبين موتهما أيّام (انظر مقاتل الطالبين ج ١: ص ٥٠).

(١) وتوضيح المقام أنّ بطلان ادّعاء ابن تيمية يتبيّن للقارئ الكريم من خلال معرفة أمرين: الأوّل معرفة معنى الزهد في الإسلام، والثاني: معرفة شخصية سعد بن أبي وقاص، ثم لا محالة يمكن للباحث أن يعرف حال سعد بن أبي وقاص من أنّه هل كان زاهداً في الدنيا
←



أو كان حريصاً عليها.

أما معنى الزهد في الإسلام: فقد يظنّ من لا اطلاع له بالمفاهيم الدينيّة أنّ مفهوم الزهد، هو الابتعاد عن النعم الإلهية وطيباته وزينته التي أخرج الله لعباده. والحال أنّ الأمر ليس كذلك، فإنّ الزهد معناه أن لا يجعل الدنيا هدفاً لمطامعه الدنيوية، وكما قال الله تعالى: ﴿لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (سورة الحديد: ٢٣). وهاتان الجملتان القصيرتان تحلان - في الحقيقة - إحدى المسائل المعقّدة لفلسفة الخلقة، لأنّ الإنسان يواجه دائما مشاكل وصعوبات وحوادث مؤسفة في عالم الوجود، ويسأل دائماً نفسه هذا السؤال وهو: رغم التقدّم العلمي العظيم في العصر الحاضر، فلن يستطيع العلم أن يمنع حدوثها و نتائجها المؤلمة، كالألزال والطوفان والسيول والأمطار وما إلى ذلك... وهذا لا يعني أن يعرض الإنسان عن الهبات الإلهية في هذا العالم أو يمتنع من الاستفادة منها، وألا يصبح أسيراً فيها، وألا يجعلها هي الهدف والنقطة المركزية في حياته. والجدير بالملاحظة هنا أنّ القرآن الكريم استعمل لفظ "فاتكم" للدلالة على ما فقده الإنسان من أشياء، حيث أنّ الفوت والفناء يكمن في ذات الأشياء. أما ما يخصّ الهبات والنعم التي حصل عليها الإنسان فإنّه ينسبها لله، بما آتاكم، وهذا الوجود هو من الفيض الإلهي. نعم، أنّ المصائب تكسر حدة الغرور والتفاخر، حيث يقول سبحانه في نهاية الآية: وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ، و"فخور" صيغة مبالغة من مادة "فخر" بمعنى الشخص الذي يفتخر كثيراً على الآخرين. والشخص الوحيد الذي يتلى بهذه الحالات هو المغرور الذي أسكرته النعم، وهذه المصائب والآفات بإمكانها أن توقظه عن هذا السكر والغفلة وتهديه إلى سير التكامل. وقد حثّ الروايات الكثيرة على الزهد وذكرت فضله عند الله تعالى وما له من الأثر في الدنيا والآخرة، ففي رواية عن مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «الزهد بين كلمتين من القرآن، قال الله سبحانه: ﴿لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ...﴾ ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي؛ فقد أخذ الزهد بطرفيه» (نهج البلاغة كلمات القصار: رقم ٤٣٩) وعن الإمام الصادق عليه السلام: «جعل الخير كلّ في بيت





وجُعِلَ مفتاحه الزهد في الدنيا»، ثم قال: «قال رسول الله ﷺ: "لا يجد الرجل حلاوة الإيمان في قلبه حتّى لا يبالي من أكل الدنيا"» ثم قال ﷺ: «حرام على قلوبكم أن تعرف حلاوة الإيمان حتّى تزهد في الدنيا» (الكافي ج ٢: ص ١٢٨). وعن الإمام الصادق ﷺ قال: «لَمَّا أُدْخِلَ الإمام عليّ بن الحسين ﷺ على يزيد نظر إليه ثم قال: يا عليّ بن الحسين، ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ...﴾» فقال الإمام عليّ بن الحسين ﷺ: "كلّا، ما فينا هذه نزلت، وإنّما نزلت فينا: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّنْ قَبْلُ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ». فنحن الذين لا نأسى على ما فاتنا من أمر الدنيا، ولا نفرح بما أُوتينا» (تفسير القمي ج ٢: ص ٢٧٧). فهذه الأحاديث وغيرها وإن اختلف لسانها وبيانها في بيان حقيقة الزهد، إلّا أنّها ترجع إلى معنى واحد، هو أن لا يجعل المؤمن الدنيا هي الغاية له؛ لقوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾. وعليه يعرف من الكتاب والسنة بأن حقيقة الزهد عبارة عن عدم تعاطف المؤمن وتعلّقه بالأمور الدنيويّة.

وبعد وضوح معنى الزهد لا بدّ للباحث أن يراجع التاريخ والسيرة ليعرف شخصيّة سعد بن أبي وقّاص من خلال سلوكه وسيرته وتصرفاته ويجعلها في الميزان الذي عيّنه القرآن والسنة النبويّة في معنى الزهد، ليعرف هل أنّه كان زاهداً في الدنيا كما زعمه ابن تيمية أو لم يكن كذلك؟

فالباحث عندما يدرس حياة سعد بن أبي وقّاص، فإنّ أوّل ما يجده في سيرته هو أنّ الرجل كان أحد أعضاء الشورى الستة الذين اختارهم عمر بن الخطاب لأمر الخلافة من بعده. وهذا معناه أنّ سعد بن أبي وقّاص كان يرى نفسه أحد الأشخاص الذين لهم أهلية الخلافة والإمارة، مع علمه بأنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ كان أحقّ بالخلافة من جميع الصحابة، لأنّه كان حاضراً يوم الشورى، وقد ناشده الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، حسب ما ورد في كتب كبار علماء أهل السنة منهم: ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق بسنده عن أبي الطفيل عامر بن واثلة الكناني قال أبو





الطفيل: كنت واقفاً على الباب يوم الشورى فارتفعت الأصوات بينهم فسمعت علياً يقول: «بايع الناس لأبي بكر وأنا والله أولى بالأمر منه وأحقّ منه فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع الناس كفّاراً يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف». ثمّ بايع الناس عمر وأنا والله أولى بالأمر منه وأحقّ منه فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع الناس كفّاراً يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف ثمّ أنتم تريدون أن تبايعوا عثمان إذا أسمع وأطيع وإن عمر جعلني في خمسة نفر أنا سادسهم لا يعرف لي فضلاً عليهم في الصلاح ولا يعرفونه لي، كلنا فيه شرع سواء وأيم الله لو أشاء أن أتكلّم ثمّ لا يستطيع عريهم ولا عجميهم ولا المعاهد منهم ولا المشرك أن يرد خصلة منها لفعلت». ثمّ قال: «نشدتكم بالله أيّها النفر جميعاً أفيكم أحد أخى رسول الله ﷺ غيري؟» قالوا: اللّهم لا. ثمّ قال: «نشدتكم بالله أيّها النفر جميعاً، أفيكم أحد له عمّ مثل عمّي حمزة أسد الله وأسود رسول الله وسيد الشهداء؟» قالوا: اللّهم لا. فقال: «أفيكم أحد له أخ مثل أخي جعفر ذو الجناحين يطير بهما في الجنّة حيث يشاء؟» قالوا: اللّهم لا. قال: «أفيكم أحد له مثل سبطي الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنّة؟» قالوا: اللّهم لا. قال: «أفيكم أحد له مثل زوجي فاطمة بنت رسول الله ﷺ؟» قالوا: اللّهم لا. قال: «أفيكم أحد كان أقتل لمشركي قريش عند كلّ شديدة تنزل برسول الله منّي؟» قالوا: اللّهم لا. قال: «أفيكم أحد كان أعظم غناء عن رسول الله ﷺ حين اضطجعت على فراشه ووقيته بنفسه وبذلت له مهجة دمي؟» قالوا: اللّهم لا. قال: «أفيكم أحد كان يأخذ الخمس غيري وغير فاطمة؟» قالوا: اللّهم لا. قال: «أفيكم أحد كان له سهم في الحاضر وسهم في الغائب؟» قالوا: اللّهم لا، قال: «أكان فيكم أحد مطهر في كتاب الله غيري حين سدّ النبي ﷺ أبواب المهاجرين وفتح بابي، فقام إليه عمّاه حمزة والعبّاس فقالا: يا رسول الله سدّدت أبوابنا وفتحت باب علي؟ فقال رسول الله ﷺ: "ما أنا فتحت بابي ولا سدّدت أبوابكم بل الله فتح بابي وسدّ أبوابكم؟" قالوا: اللّهم لا. قال: «أفيكم أحد تمّم الله نوره من السماء غيري حين قال ﴿وَأْتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقًّا﴾؟» قالوا: اللّهم لا. قال: «أفيكم أحد ناجاه رسول الله ﷺ ثنتي عشرة مرّة غيري حين قال الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ﴾؟» قالوا:





اللهم لا. قال: «أفيكم أحد تولى غمض رسول الله ﷺ غيري؟» قالوا: اللهم لا. قال: «أفيكم أحد آخر عهد برسول الله ﷺ حتى وضعه في حفرة غيري؟» قالوا: اللهم لا (تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٤٣٤) فلو كان سعد لا يعتقد بمقام إمامة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لما كان يصدقه عليه السلام، أو لا أقل من أنه كان يقول: إنني لا أعلم شيئاً. فإن تصديقه وتصديق جميع الحاضرين في مجلس الشورى لمقام الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام دليل على أولويته بالخلافة. فلو كان أحد أعضاء الشورى من أهل الديانة لما صوتوا لعثمان بعد إقرارهم وتصديقهم لمناشدة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. مضافاً إلى أن سعد بن أبي وقاص قد روى النصوص الكثيرة التي سمعها من رسول الله ﷺ، في امامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وخلافته وولايته الإلهية منها: ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال امر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسب أبا التراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله ﷺ فلن أسبه لأن تكون لي واحدة منهنّ أحب إليّ من حمر النعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول له، خلفه في بعض مغازيه فقال له علي: يا رسول الله خلقتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي»، وسمعت يقول يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»، قال: فتناولها فقال: «ادعوا لي علياً، فأتي به أرمداً، فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ...﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: «اللهم هؤلاء أهلي» (صحيح مسلم ج ٧: ص ١٢٠ كتاب الفضائل، باب فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام). فكيف جاز لسعد بن أبي وقاص الذي روى هذه الرواية في شأن مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أن يصوت لعثمان مع علمه بمقام الإمام عليه السلام فهل يمكن بعد هذه النصوص دعوى أنه كان من أهل الديانة فضلاً عن أن يكون من أهل الزهد وفضلاً عن أن يكون أزهد الناس؟! ثم أنه من تصرفات سعد التي يعرف بها حاله عدم بيعته للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي





طالب عليه السلام بعد قتل عثمان، وذلك بعد ما بايعه جميع أهل المدينة سواء من كان يراه خليفة رسول الله ﷺ مباشرة كعمّار، أو من كان من أتباع السقيفة ويراه عليه السلام خليفة الرابع، كما يستفاد ذلك من روايات كبار علماء أهل السنة فقد روى ابن سعد في طبقاته: أنه لما قتل عثمان وبويح لعلّ بن أبي طالب عليه السلام بالمدينة الغد من يوم قتل عثمان، بايعه جميع من كان في المدينة، ومنهم طلحة، والزبير، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعمّار بن ياسر، وأسامه بن زيد، وسهل بن حنيفة، وأبو أيوب الأنصاري، ومحمد بن مسلمة، وزيد بن ثابت، وخزيمة بن ثابت، وجميع أهل المدينة. ثم ذكر طلحة والزبير أنّهما بايعا كارهين غير طائعين. وخرجا إلى مكة وبها عائشة. ثم خرجا من مكة ومعهما عائشة إلى البصرة يطلبون بدم عثمان (الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣: ص ٣١). ومعناه أنّه لم يكن العذر لأحد في عدم البيعة. فيبدوا أنّ سعد بن أبي وقاص كان له الرغبة في الإمارة والحكومة من يوم الشورى ولكن لم يحصل له الفرصة على ذلك فلم يبايع مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام رجاء أن يحصل على منصب دنيوي، ولكن وجد أنّ مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ليس من أهل الدنيا كي يتعامل عليها، فاعتزل ولم يبايع الإمام عليه السلام ولم ينصر الإمام عليه السلام في الجمل وصفين، والنهروان. فيعرف من تصرفاته الرغبة والطمع في الإمارة. ولعل لو كان الإمام عليه السلام يعطيه منصباً من مناصب الحكومة لكان يبايع الإمام عليه السلام. ويؤيد ذلك ما رواه الشيخ الصدوق رحمته الله في أماليه بسنده عن أصبغ بن نباتة، من أنّ سعد بن أبي وقاص امتنع عن بيعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ونصرته، فتركه الإمام عليه السلام ولم يجبره على البيعة. وكان سعد يتقرب إليه ليؤليه فلم يؤله الإمام عليه السلام وقد كان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يخطب الناس في أحد الأيام ويقول: «سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله ما تسألوني عن شيء مضي ولا شيء يكون إلاّ تبأتكم به». قال فقام إليه سعد بن أبي وقاص، وقال: يا أمير المؤمنين: أخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة؟ فقال عليه السلام له: «والله لقد سألتني عن مسألة حدثني خليلي رسول الله ﷺ أنك ستسألني عنها! وما في رأسك ولحيتك من شعرة إلاّ وفي أصلها شيطان جالس! وإنّ في بيتك لسخلًا يقتل



٧٨..... منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨

فإنه دعوى منه لم يأت عليها بيّنة بل هي فرية على سعد، فأى مناسبة بين الزهد الشرعي^(١)،



الحسين ابني!» وعمر يومئذ يدرج بين يدي أبيه (انظر الأمالي للشيخ الصدوق رحمته الله: ص ١٩٦). فمع وضوح حال سعد وحرصه على مال الدنيا وسيرته المعلومة كيف جاز لابن تيمية أن يدعي ويقول: بأن سعد بن أبي وقاص كان أزهد الناس؟! (١) وبعبارة أوضح أن الزهد الشرعي عبارة عن غنى النفس بالإيمان، وابتعادها عن التعلق بالدنيا ومفاتها، على نحو لا تكون الدنيا هدفاً أصيلاً يسعى إليه الإنسان في حياته، بل إن أقبلت فهي نعمة تستحق الشكر، وإن أدبرت فما عند الله خير وأبقى. فيكون رغبة المؤمن دائماً في العمل الصالح وما يكون صالحاً لآخرته. ففي الحديث عن مسعدة بن صدقة قال: دخل سفيان الثوري علي أبي عبد الله الصادق عليه السلام فرأى عليه ثياب بيض كأنها غرقى البيض فقال له: إن هذا اللباس ليس من لباسك، فقال له الإمام عليه السلام: «اسمع مني وع ما أقول لك، فإنه خير لك عاجلاً وآجلاً، إن أنت مت على السنة ولم تمت على بدعة، أخبرك أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان في زمان مقفر جدد، فأما إذا أقبلت الدنيا فأحق أهلها بها أبرارها لا فجارها، ومؤمنوها لا منافقوها، ومسلموها لا كفارها، فما أنكرت يا ثوري فوالله إنني لمع ما ترى ما أتى عليّ مذ عقلت صباح ولا مساء والله في مالي حقّ أمرني أن أضعه موضعاً إلا وضعت الحديث» (وسائل الشيعة ج ٣: ص ٣٥٠ كتاب الصلاة، باب ٦ من أبواب الملابس). فقد أوضح الإمام عليه السلام في حديثه مع سفيان الثوري، أن الزهد ليس مظهراً رخيصاً يتلبس به الإنسان وابتعاداً عن المعطيات الطيبة مما أنعم الله عليه به، وإنما هو انفصال نفسي عن عوامل الفتنة، وأسباب التعلق بالدنيا. كما إن لكل زمان معطياته، ففي زمان النبي صلى الله عليه وآله عندما لم تكن الحياة في سعة، وكان الناس لا يزالون يعيشون خشونة البداوة وشظف العيش لقلة الناتج وضيق ذات اليد، كانت البساطة في المظهر والشكل، هي الطابع العام الذي يغلب على الحياة العامة، أما في زمان الإمام الصادق عليه السلام حيث انتقلت حياة الناس إلى وضع جديد من السعة والوجدان، فعلى الإنسان أن يتكيف بالطابع





السلوكي العام، في حدود ما يكون فيه رضا الله سبحانه وتعالى، ولا ينفرد بمظهر متميز يفصله عن الآخرين ممّا يكون مظنة للرياء ومنطلقاً للشهرة - فليس الزاهد أن لا يملك شيء، بل الزاهد أن لا يملكه شيء - . ويعطينا الإمام الصادق عليه السلام في موقف آخر له مع سفيان الثوري، صورة معبرة عن واقعية الزهد التي لا تصطدم مع إرادة التمتع بطيب الحياة ومعطياتها الخيرة، فعن سفيان قال: دخلت على الإمام الصادق عليه السلام وكان عليه جبة خزر دكناء، فجعلت أنظر إليها متعجباً، فقال لي: «يا ثوري، مالك تنظر إلينا، لعلك ممّا رأيت؟» فقلت: يا ابن رسول الله، هذا ليس من لباسك ولا لباس آبائك. فقال لي: «يا ثوري، كان ذلك الزمان مقفراً مقترأ... ثم حسر عن رदन جبته، وإذا تحتها جبة صوف بيضاء»، وقال: «يا ثوري، لبسنا هذا الله - وأشار إلى جبة الصوف - وهذا لكم - وأشار إلى الخزر - فما كان لله أخفينا، وما كان لكم أبديناه» (كشف الغمّة ج ٢: ص ٣٦٩)، ورواه عن محمد بن طلحة الشافعي في كتابه مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: ص ٣٤٨. وبعبارة أوضح أنّ الزهد في الشريعة المقدسة عبارة عن عدم ما يوجب حبّ الدنيا في النفس، لأنّ حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة، قال ابن أبي الحديد: هذا قول النبي صلى الله عليه وآله: «حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٩: ص ٢٣٩). وروى الورام عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «حبّ الدنيا أصل كلّ معصية وأوّل كلّ ذنب» (تنبيه الخواطر لأبي فراس ج ٢: ص ١٢٢). وروى البيهقي بسنده عن الإمام الحسن عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "حبّ الدينار رأس كلّ خطيئة"» (شعب الإيمان ج ٧: ص ٣٣٨). وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "أوّل ما عصي الله تبارك وتعالى بست خصال حبّ الدنيا وحبّ الرئاسة، وحبّ الطعام، وحبّ النساء، وحبّ النوم"» (الخصال للشيخ الصدوق: ص ٣٣٠). وعن الزهري محمد بن مسلم بن شهاب قال: سئل علي بن الحسين عليه السلام: أي الأعمال أفضل عند الله عزّ وجلّ؟ فقال: «ما من عمل بعد معرفة الله عزّ وجلّ ومعرفة رسوله صلى الله عليه وآله أفضل من بغض الدنيا، وإنّ لذلك لشعباً كثيرة وللمعاصي شعباً، فأوّل ما عصي الله به الكبر وهي معصية إبليس حين أبى واستكبر وكان من الكافرين، والحرص وهي معصية آدم وحواء حين قال الله عزّ وجلّ لهما: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ





شَتْمًا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ فأخذوا مالا حاجة بهما إليه فدخل ذلك على ذريتهما إلى يوم القيامة وذلك أن أكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجة به إليه، ثم الحسد وهي معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله، فتشعب من ذلك حب النساء وحب الدنيا وحب الرئاسة وحب الراحة وحب الكلام وحب العلو والثروة، فصرن سبع خصال، فاجتمعن كلهن في حب الدنيا، فقال الأنبياء والعلماء بعد معرفة ذلك حب الدنيا رأس كل خطيئة، والدنيا دنياء: ان: دنيا بلاغ ودنيا ملعونة» (الكافي ج ٢: ص ١٣٠). وروى الطبراني بسنده عن فضيل بن عياض عن الأعمش عن حبيب ابن أبي ثابت عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «من أشرب قلبه حب الدنيا التاط منها بثلاث شقاء لا ينفذ عنه وحرص لا يبلغ غناه وأمل لا يبلغ منتهاه فالدنيا طالبة ومطلوبة فمن طلب الدنيا طلبته الآخرة حتى يأتيه الموت فيأخذه ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه» (المعجم الكبير للطبراني ج ١٠: ص ١٦٣) وإلى غير ذلك من الروايات الدالة على أن الزهد المشروع عبارة عن عدم الرغبة إلى الدنيا من جهة أن تكون هي الغاية والهدف. ولذلك عندما سئل الإمام علي بن الحسين عليه السلام عن الزهد فقال: «عشرة أشياء فأعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع وأعلى درجة الورع أدنى درجة الزهد» (الكافي ج ٢: ص ٦٢). وقال مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «الزهد بين كلمتين من القرآن، قال الله سبحانه: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ...﴾ ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي؛ فقد أخذ الزهد بطرفيه...» (نهج البلاغة: كلمات القصار رقم ٤٣٩)، فلو اجتمعت الكلمتين لتحقق الزهد. ولكن بعض الناس يعمل بالشق الأول: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾؛ إذ لو فاته شيء لا يحزن عليه، هذا جيد! ولكن الامتحان في الشق الثاني، وهو الامتحان الأصعب: ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ...﴾ مثلاً: أن الإنسان إذا كسب مبلغاً كبيراً عليه أن لا يفرح؛ لأنه لا يعلم: هل هذا الذي ربحه هو لصالحه أم لا؟ ولعل هذا الربح هو استدراج له! ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (سورة يونس: ٥٨). فالمؤمن لو كان يعيش هذه





الحالة فهو الزاهد. وفي الحديث عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: "إن علامة الراغب في ثواب الآخرة؛ زهده في عاجل زهرة الدنيا... أما إن زهد الزاهد في هذه الدنيا، لا ينقصه ما قسم الله له فيها وإن زهد... وإن حرص الحرص على عاجل زهرة الدنيا، لا يزيده فيها وإن حرص... فالمغبون من حرم حظّه في الآخرة" (الكافي ج ٢: ص ١٢٩)، أي على الإنسان أن يزهد ولا يتعلق بهذه الدنيا، ورب العالمين يعطيه ما يعطيه. وقد روى الترمذي بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت الآخرة همّه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همّه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأتها من الدنيا إلا ما قدر له» (سنن الترمذي ج ٤: ص ٥٧). إذن هذه الحكمة من كنوز أسرار أهل البيت عليهم السلام حيث بينوا بأنّ الزهد المشروع هو عدم رغبة المؤمن بالدنيا وما يتعلّق بها بحيث يكون هو الهدف والغاية، بل أنّ رغبته يكون في العمل الصالح وما يكون صالحاً للآخرة. ففي حديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إذا أراد الله بعبد خيراً زهده في الدنيا وفقّهه في الدين وبصره عيوبها ومن أوتيها فقد أوتي خير الدنيا والآخرة»، وقال: «لم يطلب أحد الحقّ باب أفضل من الزهد في الدنيا وهو ضدّ لما طلب أعداء الحقّ». قلت: جعلت فداك ممّاذا؟ قال: «من الرغبة فيها»، وقال: «إلا من صبار كريم، فإنّما هي أيام قلائل، ألا إنّ حرام عليكم أن تجدوا طعم الإيمان حتّى تزهّدوا في الدنيا». قال: وسمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إذا تخلى المؤمن من الدنيا سما ووجد حلاوة حبّ الله وكان عند أهل الدنيا كأنّه قد خولط وإنّما خالط القوم حلاوة حبّ الله، فلم يشتغلوا بغيره». قال: وسمعت يقول: «إنّ القلب إذا صفا ضاقت به الأرض حتّى يسمو» (الكافي ج ٢: ص ١٣٠). ومنه يعرف أنّ للحقّ أبواب لا يمكن الوصول إليه إلاّ بالدخول فيها منها الطاعات وترك المنهيات على أنواعهما، فإنّ الزهد يوجب محبة الحقّ وهو عبارة عن تطهير القلب من الرغبة في الدنيا وميله إليها. ويستفاد من الحديث أنّ ترك الدنيا مع تعلق القلب بها لا يحصل به الزهد، ولذلك قال عليه السلام: (وهو ضدّ لما طلب أعداء الحقّ) وقول السائل (ممّاذا) سؤال عمّا طلب أعداء الحقّ وقوله عليه السلام (من الرغبة فيها) بيان للموصول يعني أن ما طلبه





أعداء الحقّ هو الرغبة في الدنيا والميل إليها وهي من أعظم البعد عن الحقّ والبغض له والمعاندة معه، والظاهر أن قوله ﷺ (إلا من صبار كريم) أي خير شريف النفس استثناء من الرغبة فيها أي إلا أن يكون الرغبة فيها من صبار كريم يطلبها من طرق الحلال ويصبر عن الحرام، وإخراج الحقوق المالية وإعانة الفقراء وذوي الحاجات فإن الرغبة في هذه الدنيا من الصالحات ثمّ حث على الزهد والصبر عليه ونفر من الدُّنيا بقوله ﷺ: (فإنما هي) أي الدنيا (أيام قلائل) وهي أيام العمر والعمر ينقضي حثيثاً وينتهي سريعاً إلى الآخرة والصبر على المشاق المنقضية سهل على النفوس العاقلة سيما إذا كان مستلزماً للراحة الدائمة ثمّ أشار ﷺ إلى بعض آثار الزهد وأشرف مقاماته بقوله (إذا تخلّى المؤمن من الدنيا سيما - الخ) أي إذا تخلّى المؤمن من الدنيا بأن قطع تعلقه بها وأخرج حبها عن قلبه ارتفع من حضيض النقص أي أوج الكمال ومن مقام الكثرة إلى ساحة القدس والجلال... فعلى الإنسان أن يعيد حساباته ويعدل قبل أن تسلب منه كلّ هذه اللذائذ رغم أنفه.

(١) وتوضيح المقام أنّ الزهد الشرعي مشروطة بطاعة الله أي: أنّ أدلّة الزهد مقيدة بأدلة وجوب طاعة الله ورسوله ﷺ حيث أنّ الله تبارك وتعالى أمر في كتابه العزيز بطاعته وطاعة رسوله وطاعة أولي الأمر، فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (سورة النساء: ٥٩). فإنّ تعالى يخاطب المؤمنين مباشرة - من دون واسطة - ويأمرهم بطاعة ثلاثة من الأولياء، الأوّل: طاعة الله تعالى، ثمّ طاعة النبي ﷺ، والثالث طاعة أولي الأمر الذي فتجب طاعته على نحو الإطلاق. حيث أنّ الطاعة في الآية المباركة مطلقة وشاملة لجميع الحالات من الأزمنة والأعصار وجميع الأقطاب بلا قيد، ومفهومه أنّه تعالى يريد أن يبيّن للمؤمنين جميعاً أنّ الحاكم الذي يجب عليهم طاعته في جميع أوامره وينزجروا لنواهيه





في جميع الحالات ينحصر في هذه الثلاثة. الأول: هو الله سبحانه وتعالى، ومن البديهي أنه يجب أن تنتهي جميع الطاعات - عند الفرد المؤمن - إلى طاعة الله سبحانه، وكل قيادة وولاية يجب أن تنبع من ولاية الله سبحانه وذاته المقدسة تعالى وتكون حسب أمره ومشيته؛ لأنه الحاكم والمالك التكويني لهذا العالم، وكل حاكمية ومالكية يجب أن تكون بإذنه وبأمره فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ...﴾. وفي المرحلة الثانية أمر سبحانه وتعالى بطاعة النبي ﷺ طاعة مطلقة بلا قيد ولا شرط، لأن النبي ﷺ معصوم، إذ أنه لا ينطق عن الهوى، فيكون كلامه كلام الله؛ لذلك أن الله تعالى قرن طاعته بطاعته، ومعناه أن طاعته المطلقة كطاعة الله عز وجل، وهذا المعنى يعرف من العطف في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ...﴾ (سورة آل عمران: ٣٢)، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ (سورة النساء: ١٣). فإن ظاهر العطف دال على وجوب طاعة الرسول ﷺ، وان تكرر في الآية لفظ "أطيعوا" في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ...﴾ غاية ما في الباب أن المستفاد من هذه الآية الكريمة أن طاعة الله واجبة بالذات وطاعة النبي ﷺ واجبة بالعرض، ولعل تكرار كلمة أطيعوا في الآية للتنبيه على هذه النقطة، وإشارة إلى هذا الفرق بين الطاعتين. ومعناه أن الرسول ﷺ لا يأمر إلا بما أمر الله تعالى به، ولا ينهى إلا عما نهى الله عنه، فطاعته ﷺ واجبة بصورة مطلقة كطاعة الله عز وجل.

وفي المرحلة الثالثة أمر سبحانه وتعالى بطاعة أولى الأمر التي جاءت في سياق الآية معطوفاً على طاعة النبي ﷺ فتكون واجبة أيضاً على الإطلاق كطاعة النبي ﷺ، ومعناه أن أولى الأمر لا بد أن يكون متصفاً بجميع صفات الرسول ﷺ، ويلزم أن يجتمع فيه جميع شرائط الرسول ﷺ، سوى النبوة ونزول الوحي عليه؛ لأن النبي الأكرم ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين. وما عدا ذلك من الأوصاف والشرائط يجب أن يمتلكها أولى الأمر، لظهور عطفه على الرسول ﷺ وإطلاقه. ولا يخفى على الخبير أن وجوب الطاعة المطلقة معناه وجوب العصمة، لأن الطاعة المطلقة لا تصح إلا لمن كان معصوماً من الخطأ والنسيان والسهو والعصيان. وإلا يلزم منه الأمر بالعصيان. وهذا محال على الحكيم على الإطلاق.





فلا يصح الأمر من الله بطاعة من لا يكون مصوناً من الخطأ والذنب على نحو الإطلاق؛ لأنّ مرجعه إلى الإذن في العصيان. وذلك لا يناسب حكمة الإلهية البالغة. وعليه لا بدّ أن يكون أولى الأمر بمنزلة رسول الله ﷺ في جميع صفاته. وقد اعترف بهذا المعنى بعض العلماء المعروفين من أهل السنّة، منهم الفخر الرازي في تفسيره عند مطلع حديثه في تفسير هذه الآية المباركة، حيث قال: إنّ الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومن أمر الله بإطاعته على سبيل الجزم والقطع لا بدّ أن يكون معصوماً عن الخطأ، إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ قد أمر الله بمتابعته، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ، والخطأ لكونه خطأ منهي عنه، فهذا يفضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد، فثبت أن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم، وثبت إنّ كلّ من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ. وأضاف قائلاً: ذلك المعصوم إما مجموع الأئمة أو بعض الأئمة، ولا يجوز أن يكون بعض الأئمة لأنّ إيجاب طاعتهم قطعاً مشروط بكوننا عارفين بهم، ونحن عاجزون عن الوصول إليهم... (انظر تفسير الفخر الرازي ج ١٠: ص ١٤٤). فهكذا يقيم الفخر الرازي الدليل على أنّ المراد من أولي الأمر في الآية يجب أن يكون معصوماً، غاية ما في الأمر حيث أنّه فهم أنّ المقصود من أولي الأمر أئمة أهل البيت  فتجاهل واضطرّ إلى الالتجاء إلى توجيه غريب فذكر احتمال غير عقلائي، وهو أن لا يكون المقصود من أولي الأمر أشخاصاً كالرسول ﷺ، بل المقصود به مجموع الأئمة، في حين أن هذا الاحتمال لا يمكن قبوله، لأنّ أولي الأمر يجب أن يكون إماماً وقائداً في المجتمع الإسلامي، وتتمّ الحكومة بأوامره ونواهي. ومن الواضح أنّه لا يمكن الحكومة الجماعيّة المتألّفة من مجموعة الأئمة، ولهذا يلزم من كلام الرازي ومن تبعه أن تتعلّل مسألة إطاعة أولى الأمر في كلام الله عزّ وجلّ. ثمّ أنّ الله تبارك وتعالى قد نهى عن تولية من غضب الله عليهم فقال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ (سورة المجادلة: ١٤). فإنّ التولية بمعنى من تولّى الأمر ومن تولّى الأمر فهو الأمير والحاكم على الناس، وبطبيعة الحال أنّ من يكون حاكماً يأمر الناس



وبين الموت ميتة جاهلية لموت سعد وليس في عنقه بيعة إمامه^(١)،



بطاعته. وهذه الآية صريحة في النهي عن تولية من غضب الله عليه، أي: أن طاعته محرمة بنص الآية المباركة. وملخص الكلام أن الزهد يجب أن يؤخذ من الشرع الأقدس، والشرع الأقدس متوقف على طاعة الله ورسوله ﷺ وطاعة من تجب طاعته على نحو الإطلاق. حسب ما جاء في الآية المباركة، وهي طاعة مطلقة شاملة لجميع الحالات ومنها الزهد الذي جاء تعريفه في الاسلام وفي القرآن وروايات النبي الأكرم ﷺ وروايات الأئمة الأطهار عليهم السلام، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى ما رواه كبار علماء أهل السنة كالبخاري ومسلم وغيرهما في أصح كتبهم، وهي من الروايات المتواترة عندهم، واليك بعض ما ورد في أصح كتبهم، فمنها: ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن زيد بن محمد عن نافع قال: جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرّة ما كان زمن يزيد بن معاوية، فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة، فقال: إني لم آتك لأجلس، أتيتك لأحدثك حديثاً سمعت رسول الله ﷺ يقول، سمعت رسول الله ﷺ يقول: من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية (صحيح مسلم ج ٦: ص ٢٢ كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن). ومنها: ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن عبد الله بن عامر يعني ابن ربيعة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: من مات وليس عليه طاعة مات ميتة جاهلية (مسند أحمد بن حنبل ج ٣: ص ٤٤٦)، ورواه البخاري في تاريخه ج ٦: ص ٤٤٥، والهيتمي في مجمع الزوائد ج ٥: ص ٢٢٣. ومنها: ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن أبي رجاء عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: من كره من أميره شيئاً فليصبر فإنّه من خرج من السلطان شراً مات ميتة جاهلية (انظر صحيح البخاري ج ٨: ص ٨٧ كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ سترون بعدي أموراً تنكرونها). وروى أيضاً بسنده عن أبي رجاء العطاردي عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه فإنّه من فارق الجماعة شراً فمات إلا مات ميتة جاهلية





(انظر صحيح البخاري ج ٨: ص ٨٧ كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ سترون بعدي أموراً تنكرونها). ومنها: ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن عبد الوارث عن الجعد عن أبي رجاء العطاردي عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال: من كره من أميره شيئاً فليصبر عليه فإنه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شيراً فمات عليه إلا مات ميتة جاهلية (انظر صحيح مسلم ج ٦: ص ٢١ كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن). وإلى غير ذلك مما ورد بهذا المضمون، وقد أفتى علماء أهل السنة بمقتضى هذه الرواية وجوب قتل من خرج على إمام زمانه وإن كان الإمام والحاكم فاسقاً، قال عبد الله ابن قدامة: لو خرج رجل على الإمام، فقهره وغلب الناس بسيفه، حتى أقرّوا له وأذعنوا بطاعته وتابعوه، صار إماماً يحرم قتاله والخروج عليه؛ فإن عبد الملك بن مروان خرج على ابن الزبير فقتله واستولى على البلاد وأهلها حتى بايعوه طوعاً وكرهاً فصار إماماً يحرم الخروج عليه؛ وذلك لما في الخروج عليه من شقّ عصي المسلمين وإراقة دمائهم وذهاب أموالهم، ويدخل الخارج عليه في عموم قوله ﷺ: من خرج على أمتي وهم جميع فاضربوا عنقه بالسيف كائناً من كان، فمن خرج على من ثبتت إمامته بأحد هذه الوجوه باغياً وجب قتاله (المغني لابن قدامة ج ١٠: ص ٥٢). وقال عبد الرحمن بن قدامة: الخارجون عن قبضة الإمام أصناف أربعة، أحدها: قوم امتنعوا من طاعته وخرجوا عن قبضته بغير تأويل، فهؤلاء قطاع الطريق ساعون في الأرض بالفساد...، الثاني: قوم لهم تأويل إلا أنهم نفر يسير لا منعة لهم كالعشيرة ونحوهم، فهؤلاء حكمهم حكم الصنف الذي قبلهم في قول أكثر الأصحاب ومذهب الشافعي...، الثالث: الخوارج الذين يكفرون بالذنوب ويكفرون علياً وعثمان وطلحة والزبير وكثيراً من الصحابة، ويستحلون دماء المسلمين وأموالهم إلا من خرج معهم، فظاهر قول الفقهاء المتأخرين من أصحابنا أنهم بغاة لهم حكمهم، وهذا قول أبي حنيفة والشافعي وجمهور الفقهاء وكثير من أهل الحديث، وأمّا مالك فيرى استتابتهم فإن تابوا وإلا قتلوا على إفسادهم لا على كفرهم، وذهبت طائفة من أهل الحديث إلى أنهم كفار مرتدّون حكمهم حكم المرتدّين تباح دماؤهم وأموالهم...، الرابع: قوم من أهل الحق يخرجون عن قبضة الإمام ويرومون خلعه



بل وقد خذل إمامه الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «اللهم انصر من نصره
واخذل من خذله...»^(١)،



لتأويل سائح... (انظر الشرح الكبير على المقنع لعبد الرحمن بن قدامة ج ١٠: ص ٤٢). وإلى غير ذلك من أقوالهم وفتاواهم في المقام، وبناءً على ذلك فإن هذه الروايات وأقوال من كبار علماء أهل السنة تدلّ على بطلان ما زعمه ابن تيمية من أنّ سعد بن أبي وقاص كان أزهد الناس، لأنّ الزهد الشرعي مشروط ومقيد بطاعة الله ورسوله ﷺ حقاً، ومن شرائط طاعة الله ورسوله ﷺ وجوب البيعة مع إمام زمانه حسب هذه النصوص المتواترة لدى أهل السنة. ومعناه أنّ من خرج عن طاعة الإمام زمانه ولم يبايعه أنّه خرج عن طاعة الله ورسوله ﷺ. ومن مات على تلك الحالة تكون ميتته ميتة جاهلية وكفر، والشاهد على ذلك أقوال علماء أهل السنة وقبولهم هذه الروايات كما تقدّم. فكل ذلك تدلّ على أنّ ما زعمه ابن تيمية في المقام باطل، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى دعاء النبي ﷺ في حديث الغدير، وهو من الأحاديث المتواترة لدى الفريقين. فقد ورد في الحديث أنّ النبي ﷺ عندما نصب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام للإمامة والخلافة، قال: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه» اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله وأعن من أعانه»، رواه الطبراني ورجاله وثقوا وبهذا الطريق نقلاً عن الطبراني ذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء ص ١١٤، وروى البدخشي في نزل الأبرار ص ٢٠، وروى أحمد بن حنبل بسنده عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب وعن زيد بن شبيب قالوا: نشد علي الناس في الرحبة: «من سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خمّ إلا قام قال؟» فقال: من قبل سعيد ستّة ومن قبل زيد ستّة، فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول لعلي عليه السلام يوم غدير خمّ: «أليس الله أولى بالمؤمنين؟» قالوا: بلى، قال: «اللهم من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ١: ص ١١٨). وروى أيضاً بسنده عن سمّك بن عبيد بن الوليد العبسي قال: دخلت على عبد الرحمن بن أبي ليلى فحدثني أنّه شهد





علياً عليه السلام في الرحبة قال: «أنشد الله رجلاً سمع رسول الله ﷺ وشهده يوم غدیر خمّ إلا قام، ولا يقوم إلا من قد رآه»، فقام اثنا عشر رجلاً فقالوا: قد رأيناه وسمعناه حيث أخذ بيده يقول: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله»، فقام إلا ثلاثة لم يقوموا، فدعا عليهم فأصابتهم دعوته (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ١: ص ١١٩). وروى أيضاً بسنده عن علي بن زيد عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر فزلنا بغدير خمّ فنودي فينا الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله ﷺ تحت شجرتين فصلّى الظهر، وأخذ بيد علي عليه السلام فقال: «ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أني أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد علي فقال ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، قال: فلقية عمر بعد ذلك فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيّت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ٤: ص ٢٨١). وروى الهيثمي بسنده عن عمرو ذي مر وزيد بن أرقم قالوا: خطب رسول الله ﷺ يوم غدیر خمّ فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره وأعن من أعانته»، قلت لزيد بن أرقم عند الترمذي: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فقط، رواه الطبراني وأحمد عن زيد وحده باختصار إلا أنّه قال في أوّل «نزلنا مع رسول الله ﷺ بواد يقال له خمّ فأمر بالصلاة فصلاها بهجير، قال: فخطب وظلّ على رسول الله ﷺ على شجرة من الشمس فقال: «ألستم تعلمون (أو ألستم تشهدون) أني أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، فذكر نحوه، والبزار وفيه ميمون أبو عبد الله البصري وثقه ابن حبان وضعفه جماعة، وبقيّة رجاله ثقات. وعن أبي الطفيل قال: جمع علي الناس في الرحبة ثمّ قال لهم: «أنشد بالله كلّ امرئ مسلم سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدیر خمّ ما قال لمّا قام؟» فقام إليه ثلاثون من الناس، قال أبو نعيم: فقام ناس كثير فشهدوا حين أخذ بيده فقال: «أعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «من كنت مولاه فهذا مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، قال فخرجت كأنّ في نفسي شيئاً، فلقيت زيد بن أرقم فقلت له: إني سمعت علياً يقول كذا





وكذا، قال: فما تنكر، قد سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك. رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة. وعن سعيد بن وهب قال: نشد علي بن أبي طالب الناس فقام خمسة أو ستة من أصحاب النبي ﷺ فشهدوا أن رسول الله ﷺ قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه». رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. وعن عمرو بن ذي مر وسعيد بن وهب وعن زيد بن شبيب قالوا: سمعنا علياً يقول: «نشدت الله رجلاً سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم لما قام»، فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أن رسول الله ﷺ قال: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فأخذ بيد علي فقال: «من كنت مولاه فهذا مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وأحب من أحبه وأبغض من يبغضه، وانصر من نصره واخذل من خذله». رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير فطر ابن خليفة وهو ثقة (انظر مجمع الزوائد للهيتمي ج ٩: ص ١٠٥). وروى النسائي في سننه الكبرى بسنده عن علي بن محمد بن علي قال: حدثنا خلف قال: حدثنا إسرائيل قال: حدثنا أبو إسحاق عن عمرو بن علي قال: شهدت علياً بالرحبة ينشد أصحاب محمد ﷺ: «أيكم سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم ما قال؟» فقام أناس فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فإن علياً مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وأحب من أحبه وأبغض من يبغضه وانصر من نصره» (انظر سنن الكبرى للنسائي ج ٥: ص ١٣٦). وروى الطبراني في معجمه الكبير بسنده عن بشر بن حرب عن جرير قال: شهدنا الموسم في حجة مع رسول الله ﷺ وهي حجة الوداع، فبلغنا مكاناً يقال له "غدير خم" فنادى الصلاة جامعة فاجتمعنا المهاجرون والأنصار، فقام رسول الله ﷺ وسطنا فقال: «أيها الناس بم تشهدون؟» قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله، قال: «ثم مه» قالوا: وأن محمداً عبده ورسوله، قال: «فمن وليكم؟» قالوا: الله ورسوله مولانا، قال: «من وليكم؟» ثم ضرب بيده على عضد علي بن أبي طالب فأقامه، فنزع عضده فأخذ بذراعيه فقال: «من يكن الله ورسوله مولاه فإن هذا مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، اللهم من أحبه من الناس فكن له حبيباً ومن أبغضه فكن له مبغضاً، اللهم إني لا أجد أحداً أستودعه في الأرض بعد العبدین الصالحین غیرک فاقض فیہ بالحسنى»، قال بشر: قلت: من هذين





العبدین الصالحین؟ قال: لا أدري (انظر المعجم الكبير للطبراني ج ٢: ص ٣٥٨). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة بهذا المضمون، وهو يدلّ بالصراحة على دعاء النبي ﷺ على أن من خذل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولم يبايعه، أو بايع الإمام ثم نكس بيعته وخذل الإمام عليه السلام، فهو مخذول بدعاء النبي ﷺ، ومن الواضح لدى الخبير أن دعاء النبي ﷺ مستجاب، أي: أن الله تعالى سيخذل من خذل الإمام عليه السلام، ومعناه أن سعد بن أبي وقاص بسبب عدم بيعته مع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وعدم شركته في الحروب مع الإمام عليه السلام مشمول لهذا الدعاء من النبي الأكرم ﷺ و مخذول في الدنيا والآخرة، وهو في زمرة من عاد الله ورسوله ﷺ. وعليه كيف يدعي ابن تيمية بأن سعد بن أبي وقاص كان أزهد الناس مع أنه يعلم بأن سعداً مشمول لدعاء رسول الله ﷺ، وقوله: اخذل من خذله... فإنه كان يعلم بأن سعد بن أبي وقاص لم يبايع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وخذله في حروبه، فشمله دعاء النبي ﷺ «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، واخذل من خذله وابغض من أبغضه...»، فلاحظ.

(١) لا يخفى على الباحث موقف سعد بن أبي وقاص من الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من عدم بيعته مع الإمام عليه السلام، وعدم نصرته في حروبه، قال المسعودي في مروج الذهب: وقعد عن بيعته عليه السلام جماعة عثمانية لم يروا إلا الخروج عن الامر. منهم سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، وبايع يزيد بن معاوية بعد ذلك، ثم بايع عبد الملك بن مروان... والنعمان بن بشير، وفضالة بن عبيد، وكعب بن عجرة، ومسلمة بن خالد في آخرين لم نذكرهم من العثمانية من الأنصار وغيرهم من بني أمية وسواهم (مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ٢: ص ٣٦١). وقال ابن الأثير في تاريخه: إلى أنه لما قتل عثمان، بايع جميع المهاجرين والأنصار أمير المؤمنين عليه السلام. وتخلّف عن البيعة من المهاجرين سعد بن أبي وقاص، وابن عمر، ومن الأنصار حسان بن ثابت... (انظر الكامل في التاريخ ج ٣: ص ١٩١). فصريح الأخبار أن سعد بن أبي وقاص لم يبايع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام





مع علمه بأحقية الإمام عليه السلام بالبيعة وإن من خذل الإمام عليه السلام مشمول لدعاء النبي ﷺ عليه وقوله ﷺ: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ١: ص ١١٩)، وقوله ﷺ: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وأحب من أحبه وابغض من أبغضه» (انظر سنن الكبرى للنسائي ج ٥: ص ١٣٦)، وما رواه الطبراني في معجمه الكبير بسنده عن عمرو بن شراحيل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهم انصر علياً، اللهم أكرم من أكرم علياً اللهم اخذل من خذل علياً عليه السلام» (المعجم الكبير ج ١٧: ص ٣٩)، ورواه المتقي الهندي في كنز العمال ج ١١: ص ٦٢٣، وابن حجر في الإصابة ج ٤: ص ٥٣٥. هذا مع قطع النظر عن العمومات التي وردت في الأخبار من أن من خذل مؤمناً خذله الله تعالى. فقد روى الشيخ الصدوق رحمته الله بسنده عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما من مؤمن يعين مؤمناً مظلوماً إلا كان أفضل من صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام، وما من مؤمن ينصر أخاه وهو يقدر على نصرته إلا خذله الله في الدنيا والآخرة، وما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته إلا خذله الله في الدنيا والآخرة» (ثواب الأعمال للشيخ الصدوق: ص ١٤٧). وروى الشيخ الطوسي بسنده عن أبي ذر عن النبي ﷺ: «من اغتیب عنده أخوه المؤمن وهو يستطيع نصره فنصره، نصره الله تعالى في الدنيا والآخرة، وإن خذله وهو يستطيع نصره، خذله الله في الدنيا والآخرة» (الأمالي للشيخ الطوسي ج ٢: ص ١٥٠). وروى الشيخ الصدوق رحمته الله في كتابه كمال الدين بسنده عن علي بن معبد، عن الحسين بن خالد، عن علي بن موسى الرضا عليه السلام، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: "من أحب أن يتمسك بدينه، ويركب سفينة النجاة بعدي فليقتد بعلي بن أبي طالب، وليعاد عدوه وليوال وليه، فإنه وصيي وخليفتي على أمتي في حياتي وبعد وفاتي، وهو إمام كل مسلم وأمير كل مؤمن بعدي، قوله قولتي، وأمره أمري، ونهيه نهيتي، وتابعه تابعي، وناصره ناصر، وخاذله خاذلي"، ثم قال ﷺ: "من فارق علياً بعدي لم يرني ولم أره يوم القيامة، ومن خالف علياً حرم الله عليه الجنة، وجعل مأواه النار وبئس المصير، ومن خذل علياً خذله الله يوم يعرض عليه، ومن نصر علياً نصره الله يوم يلقاه، ولقنه حجته عند المسألة..."» (كمال



وهل يتصور فيمن هذه حاله ديانة وزهد شرعي؟! ^(١)



الدين: (ص ٢٦٠). وإلى غير ذلك من الروايات. وعلى كل حال فإن سعد بن أبي وقاص ابتلى بشر الناس معاوية بن أبي سفيان، فطلب منه معاوية أن يبايع ابنه يزيد الفاسق والفاجر، وعندما رفض سعد بيعة يزيد قتله معاوية بالسّم، ابوالفرج: مات الحسن عليه السلام بالسّم شهيداً مسموماً دسّ معاوية إليه وإلى سعد بن أبي وقاص حين أراد أن يعهد إلى يزيد ابنه بالأمر سماً، فماتا في أيام متقاربة (انظر مقاتل الطالبين لأبي الفرج الاصبهاني: ص ٣١). وهكذا نجد كل من خذل مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قد خذله الله. وهناك شعر فارسي يقول الشاعر: هر كه گریزد ز خراجات شاه * بارکش غول بیابان شود. أي: من فرّ من ضرائب الملك، فإنّ غول الصحراء سيجعل منه حملاً، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّه بعد ثبوت أنّ الديانة عبارة عن طاعة الله ورسوله ﷺ بلا قيد ولا شرط، وأيضاً بعد ثبوت أنّ الزهد الشرعي هو الزهد المقيّد بطاعة الله ورسوله ﷺ، يقع الكلام في النصوص المعتبرة عند أهل السنّة الدالّة بالصرّاحة على أنّ سعد بن أبي وقاص لم يبايع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، مع علمه بأحقّية الإمام عليه السلام بالبيعة لما ورد عن طريقه الروايات والأحاديث الدالّة على إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وخلافته بعد رسول الله ﷺ بلا فصل، منها: ما رواه المسعودي في مروج الذهب قال: وحدث أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري، عن محمّد بن حميد الرازي، أبي مجاهد، عن محمّد بن إسحاق، عن ابن أبي نجیح، قال: لمّا حجّ معاوية طاف بالبيت ومعه سعد، فلمّا فرغ انصرف معاوية الى دار الندوة، فأجلسه معه على سريره، ووقع معاوية في علي وشرع في سبه، فزحف سعد ثمّ قال: أجلسني معك على سريرك ثمّ شرعت في سبّ علي، والله لأن يكون في خصلة واحدة من خصال كانت لعليّ أحبّ اليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس: والله لأن أكون صهراً لرسول الله ﷺ وأنّ لي من الولد ما لعليّ أحبّ إلى من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، والله لأن يكون





رسول الله ﷺ قال لي ما قاله يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحب الله ورسوله، ليس بفرار يفتح الله على يديه» أحب إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، والله لأن يكون رسول الله ﷺ قال لي ما قال له في غزوة تبوك: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي» أحب إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، وأيم الله لا دخلت لك داراً ما بقيت؛ ثم نهض. ثم قال: ووجدت في وجه آخر من الروايات، وذلك في كتاب علي بن محمد بن سليمان النوفلي في الأخبار، عن ابن عائشة وغيره، أن سعداً لما قال هذه المقالة لمعاوية ونهض ليقوم شرط له معاوية، وقال له: اقعد حتى تسمع جواب ما قلت، ما كنت عندي قطّ ألام منك الآن، فهلاً نصرته، ولم قعدت عن بيعته؟ فإنّي لو سمعت من النبي ﷺ مثل الذي سمعت فيه لكنت خادماً لعلي ما عشت، فقال سعد: والله إنّي لأحق بموضعك منك، فقال معاوية: يأبى عليك ذلك بنو عذرة؛ وكان سعد فيما يقال لرجل من بني عذرة. قال النوفلي: وفي ذلك يقول السيّد بن محمد الحميري: سائل قريشا بها إن كنت ذا عمه * من كان أثبتها في الدين أو تادا. من كان أقدمها سلماً، وأكثرها * علماً، وأطهرها أهلاً وأولاداً. من وخذ الله إذ كانت مكذبة * تدعو مع الله أو ثائناً وأنداداً. من كان يقدم في الهيجاء إن نكلوا * عنها وإن بخلوا في أزمة جادا. من كان أعدلها حكماً وأقسطها * حلماً، وأصدقها وعداً وإيعاداً. إن يصدّقوك فلم يعدّوا أبا حسن * إن أنت لم تلق للأبرار حسّاداً. إن أنت لم تلق من تيم أخا صلف * ومن عدي لحق الله جحّاداً. أو من بني عامر، أو من بني أسد * رهط العبيد ذوي جهل وأوغادا. أو رهط سعد، وسعد كان قد علموا * عن مستقيم صراط الله صدّاداً. قوم تداعوا زنيماً ثم سادهم * لو لا خمول بني زهر لما سادوا... (مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي ج ٣: ص ١٤). ومع ذلك قد خرج عن طاعة الإمام الشافعي، قال المسعودي في مروج الذهب: وقعد عن بيعة علي جماعة عثمانية منهم سعد... (انظر مروج الذهب ج ٢: ص ٣٥٣). وعلى مبنى أهل السنة شمله قوله ﷺ: من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية (انظر صحيح مسلم ج ٦: ص ٢١ كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند



فالمعيار في معرفة دين الرجل وزهده متابعتة للشريعة^(١)،



ظهور الفتن). وفسر أهل السنة (الميتة الجاهلية) كما نقله ابن حجر العسقلاني في فتح الباري بقوله: والمراد بالميتة الجاهلية، وهي بكسر الميم: حالة الموت كموت أهل الجاهلية على ضلال وليس له إمام مطاع، لأنهم كانوا لا يعرفون ذلك، وليس المراد أنه يموت كافراً بل يموت عاصياً. ويحتمل أن يكون التشبيه على ظاهره، ومعناه: أنه يموت مثل موت الجاهلي وإن لم يكن هو جاهلياً. أو أن ذلك ورد مورد الزجر والتفجير وظاهره غير مراد (فتح الباري ١٣: كتاب الفتن، باب سترون بعدي أموراً تنكرونها). ثم رجح ابن حجر الاحتمال الثاني وهو تشبيهه بموت الجاهلي كما هو الظاهر. وأيضاً شمله دعاء رسول الله ﷺ عليه حيث قال ﷺ: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ١: ص ١١٩). وقوله ﷺ: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه» (انظر سنن الكبرى للنسائي ج ٥: ص ١٣٦). وما رواه الطبراني في معجمه الكبير بسنده عن عمرو بن شراحيل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهم انصر علياً اللهم أكرم من أكرم علياً اللهم اخذل من خذل علياً ﷺ» (المعجم الكبير ج ١٧: ص ٣٩). فمن حاله هذا، كيف يمكن دعوى الزهد المشروع في حقّه، مع أنه خرج عن طاعة الله ورسوله ﷺ وخذل امام زمانه، وقد شمله دعاء النبي الأكرم ﷺ عليه في قوله: «اللهم اخذل من خذله»؟ (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ١: ص ١١٩) فهل يتصور فيمن هذه حالة ديانة وزهد شرعي!!!

(١) وتوضيح المقام أن المعيار في قبول الأعمال الصالحة هو الإيمان الصادق بالله ورسوله ﷺ والإيمان الصادق يشترط فيه الطاعة والانقياد لله ولرسوله ﷺ ولأولياء الله ﷺ، حيث أن الله تبارك وتعالى أمر جميع المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله ﷺ وطاعة أولي الأمر قبل كل عمل من العبادة وغيرها، فقال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ





وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» (سورة النساء: ٥٩). فإنه تعالى يخاطب المؤمنين مباشرة - من دون واسطة - ويأمرهم بطاعة ثلاثة من الأولياء، الأول: طاعة الله عز وجل، ثم طاعة النبي ﷺ، والثالث: طاعة أولي الأمر الذي فرض الله طاعته على العباد كطاعة النبي ﷺ، لأن ظاهر العطف مستلزم للطاعة المطلقة الشاملة لجميع الحالات من الأزمنة والأعصار وجميع الأقطاب بلا قيد، ومفهومه انحصار وجوب الطاعة في الله ورسوله ﷺ الأئمة المعصومين ﷺ باعتبار أنهم المقصودون بأولي الأمر في الآية الكريمة. وعليه كان من الواجب على سعد بن أبي قاص وغيره أن يأخذوا دينهم من الله ورسوله ﷺ الأئمة الطاهرين ﷺ، وإن لم يأخذوا منهم سوف لا تكون أعمالهم مقبولة عند الله، لعدم صدقهم في إيمانهم، إذ من لم يأخذ دينه عن الطريق الشرع الذي جعله الله للناس فلا يكون إيمانه صادقاً، لأن الإيمان كما في الروايات: "معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان" فمن ليس له المعرفة بالقلب أو إقرار باللسان فإن أعماله يكون هباءً منثوراً، وقد ورد في الأحاديث الصحيحة عدم قبول الأعمال لمبغضي الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأهل البيت عليه السلام، ففي حديث رواه الحاكم النيسابوري بسنده عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال: «فلو أن رجلاً صَفَنَ بين الركن والمقام فصلّى وصام، ثم لقي الله وهو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار»، رواه الحاكم، وقال: (هذا حديث حسن صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه) (انظر المستدرک على الصحيحين ج ٣: ص ١٤٩)، ووافقه الذهبي في الهامش. وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩: ص ١٧١، ثم روى بعده عن الإمام الحسن المجتبي عليه السلام قائلاً: «إن رسول الله ﷺ قال: "الزموا مودتنا أهل البيت، فإنه من لقي الله عز وجل وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده لا ينفع عبداً عمله إلا بمعرفة حقنا"» (مجمع الزوائد ج ٩: ص ١٧٢). وكلام الإمام الحسن عليه السلام واضح جداً في عدم نفع عمل أي عبد مهما عمل ما لم يعرف حق آل محمد ﷺ، وهذا عين ما يدعيه الشيعة وذاته. فالمعيار في معرفة دين الرجل وزهده متابعتة للشريعة، فسعد بن أبي وقاص كان أحد أصحاب الشورى، وقد وهب حقه لابن عمه عبد الرحمن بن عوف، وكان يعلم أن هوى ابن عوف في عثمان، لأن عبد الرحمن



وما بال سعد لم يعمل بالخبر الذي هو بنفسه نقله ^(١)،



كان زوج أخت عثمان لأُمّه، وقد قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في الخطبة الشقشقية مشيراً إلى ذلك: «فصغى رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره، مع هن وهن». فالذي صغى لضغنه هو سعد، والذي مال لصهره هو عبد الرحمن بن عوف، وضغن سعد إنما هو لأجل من قتلهم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في الجاهلية من أقاربه دفاعاً عن الإسلام، ومن الواضح أنّ المعيار في الشريعة المقدسة هو وجوب طاعة الله ورسوله ﷺ، فحيث خرج سعد عن هذا الإطار فجميع أعماله باطلة فضلاً عن وجود الزهد فيه، فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّ سعد بن أبي وقاص قد روى روايات كثيرة عن رسول الله ﷺ في إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، واليك بعض ما ورد في كتبهم، فمنها: ما أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق بسنده عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال، قال سعد: أما والله إني لأعرف علياً وما قال له رسول الله ﷺ، أشهد أنّه لقال لعلي يوم غدیر خمّ ونحن قعود معه فأخذ بضبعه ثمّ قام به ثمّ قال: «أيّها الناس من مولاكم؟» قالوا: الله ورسوله، قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم عاد من عاداه ووال من والاه». ثمّ قال في غزوة أراد أن يخلفه رسول الله ﷺ: أتخلفني في النساء والذراري؟ فقال رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبوة بعدي». وقال يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية رجلاً وخرج بها في يده رجلاً يحب الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، يفتح الله على يديه، ليس بفرار»، فجثم الناس على الركب فالتفت إلى علي فلم يره، قال: «أين علي؟» قيل يشتكي عينيه، فدخل عليه فتفل في عينيه ومسحهما ثمّ خرج به وأعطاه الراية إلى... (تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ١١٥) ومنها: ما أخرجه أيضاً بسنده عن الحارث بن مالك قال: أتيت مكة فلقيت سعد بن أبي وقاص فقلت: هل سمعت لعلي منقبة؟ قال: قد شهدت له أربعاً لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليّ من الدنيا أجمع فيها مثل عمر نوح عليه السلام! إنّ رسول الله ﷺ بعث أبا بكر ببراءة إلى مشركي قريش فسار بها





يوماً وليلة، ثم قال لعلي: «اتبع أبا بكر فخذها فبلّغها»، وردّ عليّ عليه السلام أبا بكر فرجع أبو بكر، فقال: يا رسول الله أنزل بي شيء؟ قال: «لا إلا خير، إلا أنّه ليس يبلغ عني إلا أنا أو رجل مني (أو قال من أهل بيتي)». قال: فكنا مع النبي ﷺ في المسجد فنودي فينا ليلاً ليخرج من المسجد إلا آل رسول الله ﷺ وآل علي، قال: فخرجنا نجراً نعالنا، فلمّا أصبحنا أتى العباس عمّ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أخرجت أعمامك وأصحابك وأسكنت هذا الغلام؟ فقال رسول الله ﷺ: «ما أنا أمرت بإخراجكم ولا إسكان هذا الغلام، إنّ الله هو أمر به». قال: والثالثة أنّ نبي الله ﷺ بعث عمرًا وسعدًا إلى خيبر فخرج سعد ورجع عمر فقال رسول الله ﷺ: «لأعطين الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله». فدعا علياً فقالوا له: إنّهُ أرمَد، فجاء به يقاد، فقال له: «افتح عينيك»، فقال: «لا أستطيع» قال: فتفل في عينيه من ريقه ودلكها بإبهامه وأعطاه الراية. والرابعة يوم غدیر خمّ قام رسول الله ﷺ فأبلغ ثمّ قال: «يا أيّها الناس، ألسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ (ثلاث مرّات)» قالوا: بلى، قال: «ادن يا علي» فرفع يده ورفع رسول الله ﷺ يده حتّى نظرت إلى بياض إبطيه فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه (حتّى قالها ثلاث مرّات)». والخامسة من مناقبه أنّ رسول الله ﷺ غزا على ناقته الحمراء وخلف علياً فنفتت ذلك عليه قريش وقالوا: إنّهُ إنّما خلف أنّه استقله وكره صحبته! فبلغ ذلك علياً قال فجاء حتّى أخذ بغرز الناقة فقال علي: زعمت قريش أنّك إنّما خلّفتني أنّك تستقلني وكرهت صحبتي! قال: وبكى علي، قال: فنادى رسول الله ﷺ في الناس، فاجتمعوا ثمّ قال: «أيّها الناس، ما منكم أحداً إلا وله حامة، أما ترضى ابن أبي طالب أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبي بعدي؟» فقال علي: «رضيت عن الله ورسوله...» (تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ١١٦) ومنها: ما أخرجه أيضاً بسنده عن خيثمة بن عبد الرحمن قال: قلت لسعد بن أبي وقاص: ما خلفك عن علي شيء رأيته أو شيء سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: لا، بل رأيته، أما إنّني قد سمعت له من رسول الله ﷺ ثلاثاً لو تكون واحدة لي منها أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس ومن الدنيا وما فيها، لمّا كان غزوة تبوك خلف رسول الله ﷺ علياً في أهله، قال: فوجد علي في نفسه، فقال له: «أما ترضى أن تكون منّي منزلة





هارون من موسى إلا أنه ليس بعدي نبوة؟» وقال رسول الله ﷺ يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ليس بفرار لا يرجع حتى يفتح عليه»، فلما أصبح صلى الفجر ثم نظر في وجوه القوم فرأى علياً منكساً في ناحية القوم يشتكي عينيه قال فدعاه فقال يا رسول الله أني أرمد قال فأخذ يمسح عينيه ودعا له، قال علي: «فوالذي بعثه بالحق ما اشتكيتها بعد»، قال: ثم أعطاه الراية، قال: فمضى بها، قال: وأبلغه الناس من خلفه، قال: فما تكامل الناس من خلفه حتى لقي مرحب فأتقاه بالرمح فقتله، ثم مضى إلى الباب حتى أخذ بحلقة الباب ثم قال: «أنزلوا يا أعداء الله على حكم الله وحكم رسوله وعلى كل بيضاء وصفراء»، قال فجاء رسول الله ﷺ فجلس على الباب فجعل علي يخرجهم على حكم الله وحكم رسوله فبايعهم وهو أخذ بيد رسول الله ﷺ، قال: فخرج حيي بن أخطب قال: فقال له رسول الله ﷺ: برئت منك ذمة الله وذمة رسوله إن كتمتني شيئاً، قال: نعم، وكانت له سقاية في الجاهلية، فقال له رسول الله ﷺ: «ما فعلت سقايتكم التي كانت لكم في الجاهلية؟» قال: فقال: يا رسول الله، أجلينا يوم النضير فاستمددناها ما نزل بنا من الحاجة، قال: فبرئت منك ذمة الله وذمة رسوله إن كذبتني»، قال: نعم، قال: فأتاه الملك فأخبره، فدعاه رسول الله ﷺ فقال: «اذهب إلى جذوع نخلة كذا وكذا فإنه قد نقرها وجعل السقاية في جوفه»، قال: فاستخرجها فجاء بها، قال: فلما جاء بها قال لعلي: قم فاضرب عنقه، قال: فقام إليه علي فضرب عنقه وضرب عنق ابن أبي الحقيق وكان زوج صفية بنت حيي وكان عروساً بها، قال: فأصابها رسول الله ﷺ، قال: وقال رسول الله ﷺ يوم خم ورفع بيد علي: «فقال من كنت مولاه فعلي مولاه» (تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ١١٨). ومنها: ما أخرجه أيضاً عن جابر بن الحر النخعي عن عبد الله بن شريك عن الحارث بن ثعلبة قال: سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: لقد كانت لعلي خصال لأن تكون لي واحدة منها أحب إلي من الدنيا وما فيها، غزا رسول الله ﷺ تبوكاً فقال له علي: تخلفني؟ فقال: «يا ابن أبي طالب، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى...» فلأن تكون هذه لي أحب إلي من الدنيا وما فيها، وأخرج الناس من المسجد وترك علياً فيه، فقال له: «علي يحل له ما ما يحل»، وقال له يوم غدير خم: «من





كنت مولاه فعلي مولاه»، وأرسل أبا بكر ببراءة فأرسل علياً على أثره فأخذ منه براءة فقرأها على أهل مكة، فلأن تكون لي واحدة منهم أحب إلي من الدنيا وما فيها (تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ١١٩). ومنها: ما أخرجه أيضاً بسنده عن عائشة بنت سعد عن سعد أنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ بطريق مكة وهو متوجه إليها، فلما بلغ غدير خم الذي بخم وقف الناس ثم رد من مضى ولحقه منهم من تخلف، فلما اجتمع الناس قال: «أيها الناس هل بلغت؟» قالوا: نعم، قال: «اللهم أشهد»، ثم قال: «أيها الناس هل بلغت؟» قالوا: نعم. قال: «اللهم أشهد (ثلاثاً)، أيها الناس من وليكم؟ قالوا: الله ورسوله (ثلاثاً)»، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فأقامه فقال: وقال ابن النور ثم قال: «من كان الله ورسوله وليه فإن هذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» (تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٢٢٣). ومنها: ما أخرجه أيضاً بسنده عن عبد الرحمن بن سابط عن سعد بن أبي وقاص قال: قدم معاوية في حجاته، فأتاه سعد بن أبي وقاص فذكروا علياً، فقال سعد: سمعت رسول الله ﷺ يقول ثلاث خصال لأن تكون لي واحدة منهم أحب إلي من الدنيا، وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله» وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» (تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ١١٦). ومنها: ما أخرجه ابن ماجه في سننه بسنده عن سعد بن أبي وقاص، قال: قدم معاوية في بعض حجاته، فدخل عليه سعد، فذكروا علياً، فقال منه، فغضب سعد، وقال: تقول هذا لرجل سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه». وسمعت يقول: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي». وسمعت يقول «لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله؟» (سنن ابن ماجه ج ١: ص ٤٥). وإلى غير ذلك من الروايات التي رواها سعد بن أبي وقاص في إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ونحن نقلنا عنه هنا الروايات التي رواها بالنسبة إلى واقعة الغدير دون غيرها. ولو أردنا أن نذكر جميع ما رواه سعد في إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لطال بنا المقام. وعليه فما باله لم يعمل بالروايات التي نقلها هو بنفسه عن رسول الله ﷺ، فلاحظ.

١٠٠ منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨
فإنه في إمارة عمر قاد الجيوش وحارب وغنم حتى حصلت له الشهرة
والثروة وبنى من ذلك قصره في العقيق وهو يعلم بأن عمر ليس بإمام
فأطاعه^(١).

(١) لا يخفى أن الشهرة التي حصلت لكثير من الصحابة أمثال سعد بن أبي وقاص وغيره إنما حصلت لهم بالتظاهر بالفضيلة لا بما يستحقونه، كأكثر الناس عادةً، فإن حب الشهرة والرئاسة له ارتباط وثيق بالتظاهر بالفضيلة لاستمالة القلوب وتجذبيها، كأن يتظاهر الشخص بالزهد والتقوى ونحو ذلك لتسخير القلوب الآخرين. وقد حذر رسول الله ﷺ أمته عن ذلك، ففي حديث رواه ابن حجر بسنده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة (تعليق التعليق لابن حجر ج ٥: ص ٢٨٦). وذلك لأن معها المال والجاه والسلطة، ثم الندامة في الآخرة، لأن معه القتل والعزل في الدنيا والحسرة والتبعات يوم القيامة، وقد بين النبي ﷺ عواقب الرئاسة ومراحلها الثلاث في قوله ﷺ: «إن شئتم أنبأتكم عن الإمارة وما هي: أولها ملامة، وثانيها ندامة، وثالثها عذاب يوم القيامة إلا من عدل» (المعجم الكبير للطبراني ج ١٨: ص ٧٢). وقد روى الزهري أن النبي ﷺ أتى بني عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم نفسه، فقال له رجل منهم يقال له بحيرة بن فراس: والله لو آتني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب، ثم قال له: رأيته إن نحن تابعتك على أمرك، ثم أظهرك الله على من يخالفك؛ أكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: «الأمر لله يضعه حيث يشاء». قال: فقال له: أفنهدف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا؟! قال ﷺ: «لا حاجة لنا بك» (انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ٣: ص ١٧١). وروى البخاري في صحيحه بسنده عن أبي موسى قال: دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من قومي، فقال أحد الرجلين: أمرنا يا رسول الله، وقال الآخر مثله، فقال: إنا لا نؤلي هذا من سألته ولا من حرص عليه» (صحيح البخاري ج ٨: ص ١٠٧ كتاب الأحكام، باب ما يكره من الحرص على الإمارة). وإلى غير ذلك من الرواية الدالة على المقام. فالطالب للشهرة والرئاسة دائماً يكون حريصاً على مال الدنيا ومقامها. والباحث إذا تأمل في التاريخ



والحوادث التي وقعت بعد غضب الخلافة يعرف بوضوح حقيقة سعد بن أبي وقاص وأمثاله، إذ قد ذكر أرباب التاريخ من أهل السنّة أنّه لما مات أبو بكر وبايع الناسُ عمر بن الخطّاب، فكان أوّل عمل استفتح به عمر في خلافته أنّه جمع الناس للحرب ضدّ الفرس، وحثّهم على القتال (انظر تاريخ الطبري ج ٣: ص ٤٤٨)، حيث أنّ الجبهة الداخلية للفرس في بلاد العراق كانت مضطربة، إذ كان التنافسُ على عرش المدائن شديداً (انظر الكامل لابن الأثير ج ٢: ص ٢٩٨). وبعد تنويع يزديجرد ابن شهريار ملكاً للدولة الساسانية واجتماع الفرس إليه، وقد توخّدت قيادتهم السياسيّة والعسكريّة وشرع يزديجرد في إعداد جيش قويّ وقد زوّداهم بعتاد حربي جيّد، وضمّ إليهم خيرة من رجال الفرس العسكريين، وأسند قيادته إلى رستم لرتبته العسكريّة ولعبقريّته في الحرب ومهارته في القتال (انظر تاريخ الطبري ج ٣: ص ٤٧٨). فشرّع رستم في إعداد خطة عسكريّة لضرب الوجود من أرسله الخليفة في العراق، واتّصل بالدهاقين وأهل السواد، وشجّعهم على مخالفة من كان في العراق بأمر الخليفة، فاضطربت الأوضاع العامّة في الحيرة، وغيرها من المناطق التي فتحها خالد والمثنّى؛ وذلك استجابة لدعوة رستم، وتنفيذاً لخطة العسكريّة (انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ٩: ص ٦١٣). لما علم عمر بن الخطّاب باجتماع كلمة الفرس على يزديجرد، أدرك خطورة الموقف وأبعاده، فأعلن عمر حالة الطوارئ والاستنفار العام في جزيرة العرب، وذلك لإعداد جيش كبير، فبعث سعد بن أبي وقاص إلى ملك الفرس وفداً من أهل الرأي والمناظرة. ووصل الوفد إلى المدائن، والتقى بقيادة الفرس، وقد جرت بين سعد وقيادة الفرس مناظرة ومحاورة، أدلى كلّ منهما فيها بحججه ووجهة نظره في المسألة، فاستهزء بهم قادة الفرس وعرب الجزيرة واسحتقرهم، وبسبب جهلهم بالأمور السياسيّة ودوليّة، وقد غرّتهم قوتهم، فركنوا إليها، وجنحوا إلى التهديد بالقوّة العسكريّة، والتحدّي بدفن المسلمين في خندق "القادسية" في ساعة من النهار. وانتهت المفاوضات بين المسلمين وقيادة الفرس دون تحقّق أهدافها (انظر تاريخ الطبري ج ٣: ص ٤٧٩). فأصبح اللقاء العسكري بين طرفين وسار سعد بن أبي وقاص بالجيش بأمر عمر بن الخطّاب، حتّى نزل "القادسية"، فعسكر على حائط "قديس"، بحيال القنطرة، فأصبح



عدد جيشه في القادسية قريباً من ستّة وثلاثين ألفاً، منهم ثلاثمائة من الصحابة، منهم بضعة وسبعون من أهل بدر، وسبعمائة من أبناء الصحابة، وعدد من أعلام العرب وقادتهم وفرسانهم (انظر تاريخ الطبري ج ٣: ص ٤٨٧، والكمال لابن الأثير ج ٢: ص ٣١١). وإلى آخر ما ذكره علماء أهل السنّة في الاستيلاء على الفرس.

أقول: يلزم على الباحث أن يتأمل في قصة معركة القادسية من الجهات العديدة. أولاً: أن النبي الأكرم ﷺ عندما كان يدعو الناس في مكّة إلى الإسلام قد أخبرهم بأن الله تعالى وعده أن يورث أمته ملك كسرى وقيصر، فكلّ من قرأ سيرته ﷺ يجد فيها هذا الوعد الصادق من أوّل إعلان الدعوة، وكان المشركون يسخرون من ذلك! ففي سنن البيهقي: فو الذي نفس محمد بيده ليفتحنّ عليكم فارس والروم (سنن البيهقي ج ٧: ص ٢٨٣). واستمرّ هذا الوعد عنصراً ثابتاً في مراحل دعوته ﷺ، فكان برنامجاً إلزامياً للسلطة الجديدة بعد وفاته ﷺ، أيّاً كانت تلك السلطة. وفي الكافي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «لما حفر رسول الله ﷺ الخندق مرّوا بكديّة، فتناول رسول الله ﷺ المعول من يد أمير المؤمنين عليه السلام أو من يد سلمان (رضي الله عنه)، فضرب بها ضربة فتفرّقت بثلاث فرق، فقال رسول الله ﷺ: "لقد فتح عليّ في ضربتي هذه كنوز كسرى وقيصر"، فقال أحدهما لصاحبه: يعدنا بكنوز كسرى وقيصر وما يقدر أحدهما أن يخرج يتخلّى!» (الكافي ج ٨: ص ٢١٦) وعندما جاءته رسالة تهديد من كسرى أخبره الله تعالى بأنّه سيقتله في اليوم الفلاني، ففي سيرة ابن هشام: كتب كسرى إلى باذان: إنّه بلغني أنّ رجلاً من قريش خرج بمكّة يزعم أنّه نبي فسر إليه فاستتبّه، فإن تاب وإلاّ فابعث إليّ برأسه، فبعث باذان بكتاب كسرى إلى رسول الله ﷺ، فكتب إليه رسول الله ﷺ: «إنّ الله قد وعدني أن يقتل كسرى في يوم كذا من شهر كذا»، فلمّا أتى باذان الكتاب توقّف لينظر، وقال: إن كان نبياً فسيكون ما قال، فقتل الله كسرى في اليوم الذي قال رسول الله ﷺ على يدي ابنه شيرويه (سيرة ابن هشام ج ١: ص ٤٥). وهذا يدلّ على أنّ الاتجاه إلى الفتوحات خطّة نبويّة وعقيدة معروفة عند المسلمين، وأنّه كان من الواجب على أي سلطة تأتي بعد النبي ﷺ أن تتبنى هذه الإستراتيجية وتسير فيها. ثمّ هناك وظيفة على





عاقق مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهي حفظ أصل الإسلام، هذا هو الدور الأساسي لمولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وشيعته في الفتوحات، فدعوا الباحثين خاصة في تاريخ الفتوحات الإسلامية لأن يكشفوا هذه الحقيقة الضخمة التي غطت عليها حكومات الخلافة الجائرة، ورواتها الذين كتبوا التاريخ بحبر الحكام. وقال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في كتابه إلى أهل مصر مع مالك الأشتر لما ولّاه إمارتها: «أما بعد، فإن الله سبحانه بعث محمداً صلى الله عليه وآله نذيراً للعالمين، ومهيماً على المرسلين، فلما مضى تنازع المسلمون الأمر من بعده، فوالله ما كان يلقي في روعي ولا يخطر ببالني أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله عن أهل بيته ولا أنهم منحوه عني من بعده (يقصد عليه السلام) أن هذا كان أمراً غير معقول لا يتصور، فما راغني إلا أنيئال الناس على فلان يبايعونه، فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله! فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً، تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل، يزول منها ما كان كما يزول السراب، أو كما يتقشع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث، حتى زاح الباطل وزهق، واطمأن الدين وتنهت...» (نهج البلاغة: الكتاب رقم ٦٢). ولذلك قالم مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بمهمته العظيمة في التخطيط والتوجيه وغرس الثقة والقوة في نفوس القادة والجنود، حتى امتدت الدولة الإسلامية فشملت إيران وبلاد الشام ومصر وغيرها. ولكن التاريخ الإسلامي نسب تلك الفتوحات إلى أبي بكر وعمر وعثمان وخلفاء بني أمية وعلى التغطية لدور الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في هذا المجال، لذلك نراه يشكو ظلامته ويسجلها للتاريخ: قال ابن أبي الحديد: أنه قال له قائل: يا أمير المؤمنين أرايت لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله ترك ولداً قد بلغ الحلم، وأنس منه الرشد، أكانت العرب تسلم إليه أمها؟ قال: «لا، بل كانت تقتله إن لم يفعل ما فعلت، ولو لا أن قريشاً جعلت اسمه ذريعة إلى الرياسة، وسلموا إلى العز والأمرة، لما عبدت الله بعد موته يوماً واحداً، ولارتدت في حافرتها، وعاد قارحها جذعاً، وبازلها بكرأ، ثم فتح الله عليها الفتوح فأثرت





بعد الفاقة، وتمولت بعد الجهد والمخمصنة، فحسن في عيونها من الإسلام ما كان سمجاً، وثبت في قلوب كثير منها من الدين ما كان مضطرباً، وقالت: لو لا أنه حق لما كان كذا، ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها وحسن تدبير الأمراء القائمين بها، فتأكد عند الناس نباهة قوم وخمول آخرين، فكنا نحن ممن حمل ذكره، وخبت ناره، وانقطع صوت وصيته، حتى أكل الدهر علينا وشرب، ومضت السنون والأحقاب بما فيها، ومات كثير ممن يعرف، ونشأ كثير ممن لا يعرف. وما عسى أن يكون الولد لو كان! إن رسول الله ﷺ لم يقربني بما تعلمونه من القرب للنسب واللحمة، بل للجهد والنصيحة، أفتراه لو كان له ولد هل كان يفعل ما فعلت! وكذلك لم يكن يقرب ما قرئت، ثم لم يكن عند قريش والعرب سبباً للحظوة والمنزلة، بل للحرمان والجفوة. اللهم إنك تعلم أنني لم أرد الأمرة، ولا علو الملك والرياسة، وإنما أردت القيام بحدودك، والأداء لشرعك، ووضع الأمور في مواضعها، وتوفير الحقوق على أهلها والمضي على منهاج نبيك، وإرشاد الضال إلى أنوار هدايتك» (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢٠: ص ٢٩٨). فالباحث لو تأمل في التاريخ لوجد دور مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وشيعته في الفتوحات من أجل حفظ بيضة الإسلام، ومن هنا يعرف من المصادر التاريخية الوثيقة أن جيش سعد بن أبي وقاص كانت في حال الهزيمة من القوات الإيرانية في معركة الجسر، فجاء عمر إلى مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فستشاره فعلمه الإمام طريقة النجاة ففتحوها على ذلك.

وقد تصوّر البعض أن مشاركة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في الفتوحات على هذا النحو من الإجابة لاستشارتهم تعني اعترافه بشرعية حكم الخلفاء الثلاثة، أبي بكر وعمر وعثمان، وما صدر منهم من الإجماع.

والصحيح أن هذا النوع من المشاركة لا تستوجب الاعتراف بشرعية حكم أبي بكر وعمر وعثمان، إذ رب شخص لا يعترف بشرعية حاكم ومع ذلك يساعده في بعض الأعمال لضرورة أهم، وهي حفظ أصل الدين، فقد كان يوسف عليه السلام وزيراً لفرعون زمانه وساعده في حل الأزمة الاقتصادية، ولم يعترف بشرعية حكومته ولا باعتقاداته ولا شرعية





تصرفاته. ومثاله الواضح أن تأذن ببناء مسجد يتولاه غيرك، فتضع له خريطة البناء، وتساهم في تكاليفه، وتدفع مهندسين للعمل به، وأنت تعرف أن المتوكل سيغصب أموالاً وأعياناً وينفقها فيه، ويجبر أشخاصاً على العمل فيه، ثم يستعمله لأغراض مفيدة ومضرة. فإن علمك بذلك لا يجعلك شريكاً في فعل المتوكل، ولا يمنعك من المشاركة، ما دام وجود المسجد ضرورة، أو وجوده خيراً من عدمه. فبراءة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من ظلمات الفتوحات، لا يتوقف على نفي إذنه بها، أو رضاه، ولا على نفي مشاركته فيها، فلا تلازم بين أي من هذه الثلاثة وبين تحمل مسؤولية ظلمات الفاتحين والولاة. قال السيد جعفر مرتضى في كتابه مختصر مفيد ما خلاصته: "إن الفتوحات والاستيلاء على البلاد والعباد ليست غاية للإسلام، بل الغاية هي نشر الدين والحق والعدل والإيمان، من قبل من يحق له أن يتصدى لذلك، وبرعاية وهداية ودلالة، وتفويض من قبل المعصوم، وبإجازة ورضى منه. والأمر بغاياتها ودوافعها... فإذا كان الدافع هو رضا الله تعالى، وروعية في الفتوحات جميع الشرائط الشرعية، ومنها استجادة المعصوم في التصدي لمثل هذا الأمر الخطير... أمكن القول: إن ما فعلوه من فتوحات كان حسناً. ولكن الفاتحين كانوا لا يعترفون بالإمام الحق، بل يناوؤونه ويتآمرون عليه، ولا يراعون موازين القسط والعدل في الناس الذين يتسلطون عليهم، ولا يهتمون بأمر الدعوة إلى الله ونشر الدين فيهم، بل يمارسون الظلم والتعدي، والعسف والإذلال. وقد نتج عن تلك الفتوحات مصائب وبلايا، وكوارث ورزايا، سواء في المجال الاجتماعي أم التربوي، أم الالتزام الديني. وبسببها دخلت الشبهات وراج الفساد والانحراف في المجتمعات الإسلامية، واختلطت المفاهيم، وظهرت الدعوات الهدامة، وما إلى ذلك من أمور اتسع بسببها الخرق على الراقع، وكانت قاصمة الظهر وضياح العمر وبوار الدهر. وإذا كان قواد الجيوش الفاتحة هم الفسقة الفجرة، من أمثال خالد بن الوليد، الغادر ببني جذيمة، والقائل لمالك بن نويرة، والفاجر بامرأة ذلك القتل في ليلة قتله، والفار من الزحف بجيش الإسلام في غزوة مؤتة، فإن على الإسلام السلام، وعلى البلاد المفتوحة على أيدي هؤلاء أن تنتظر المصائب والبلايا، والكوارث والرزايا، ولن تجد لرحمة





وعدل الإسلام أية رائحة أو أثر في حياتها الاجتماعية والسياسية، وغيرها. هذا بالإضافة إلى أن الجيوش الفاتحة كانت على جهل بأحكام الدين وشرائعه وفي منتهى الشراهة للأموال والتوثب للحصول على السبايا الحسنات. وإن إلقاء نظرة سريعة على معاملتهم للناس آنئذ، تكفي لإعطاء صورة عن ذلك (مختصر مفيد ج ٦: ص ١٤٤). وعلى كل تقدير فإنَّ سعد بن أبي وقَّاص رجع من معركة القادسية فاتحاً وقد حصل على غنائم كثيرة وحصلت له الشهرة والثروة فبنى من ذلك قصره في العقيق قال الزبير بن بكار: كان سعد قد اعتزل في آخر عمره في قصر بناه بطرف حمراء الأسد. (سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١: ص ١٢٣). وقد روى ابن عبد البر بسنده، عن عائشة بنت سعد قالت: مات أبي في قصره بالعقيق علي عشرة أميال من المدينة، فحمل إلي المدينة علي رقاب الرجال. وصلى عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ والي المدينة. وذلك في سنة ٥٥ من الهجرة وكان يوم مات ابن بضع وسبعين سنة. وفي ضوء الرواية السابقة إذا كان عمره في أوَّل البعثة تسع عشرة سنة، فقد بلغ السابعة والثمانين يوم موته (الاستيعاب ج ٢: ص ٦٠٧). وروى أيضاً بسنده عن أبي زُرعة، عن أحمد بن حنبل أنَّ سعد بن أبي وقَّاص مات أيام معاوية وهو ابن ثلاث وثمانين سنة (الاستيعاب ج ٢: ص ٦١٠). والظاهر أنَّ وادي العقيق على بعد خمسة أميال من المدينة المنورة كانت فيه قصوراً للحكام آن ذاك ومن جملة تلك القصور قصر سعد بن أبي وقَّاص. فسعد بن أبي وقَّاص لم يبايع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام واعتزل في قصره في حين أنَّ شهرته كانت ببركة تدبير واستشارة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. ثم أنَّ سعد بن أبي وقَّاص كان من الصحابة الذين حضروا واقعة الغدير وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله حديث الغدير كما تقدَّمت الإشارة إليه. وكان يعلم بأنَّ أبا بكر وعمر قد غصبا الخلافة من مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولكن مع ذلك كلَّه كان تحت طاعتهم، وعندما بايع الناس الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام تخلف عن بيعته، فلاحظ.

ولمّا وصل الحقّ إلى أهله خذل الحقّ وأهله^(١)،

(١) هذه العبارة إشارة إلى نقض بعض الصحابة والتابعين لبيعة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالخلافة والإمامة بعد مقتل عثمان؛ حيث صرّح المحدثون والمؤرخون أنّه: لمّا قتل عثمان بايع جميع الناس الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالخلافة والإمامة، وكانت بيعة الإمام عليه السلام عامّة شاملة، وقد اشترك فيها جميع المهاجرين والأنصار (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٤٢٧). بل وتماّم أهل المدينة قد بايعت الإمام عليه السلام عن اختيار كامل، وحرية تامّة. ثمّ بايعه أهالي مكّة والحجاز والكوفة (انظر الفتوح لابن الأعمش ج ٢: ص ٤٢٩). وقد صرّح الإمام عليه السلام بأنّ بيعته كانت عامّة شاملة (انظر الكامل للمبرد ج ١: ص ٤٢٨). كما صرّح ابن عبد ربّه في تاريخه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعة الإمام عليه السلام (انظر العقد الفريد لابن عبد ربّه ج ٢: ص ٢١١). وروى ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة عن ابن عباس قال: لمّا دخل علي عليه السلام المسجد وجاء الناس ليباعوه، خفت أن يتكلّم بعض أهل الشنآن لعلّي عليه السلام؛ ممّن قتل أباه أو أخاه أو ذا قرابته في حياة رسول الله ﷺ، فيزهد عليّ في الأمر ويتركه، فكنّْتُ أرصد ذلك وأتخوّفه، فلم يتكلّم أحد حتّى بايعه الناس كلّهم، راضين مسلمين غير مكرهين (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٤: ص ١٠). وقال ابن الأعمش في الفتوح: قالت الأنصار للناس: إنكم قد عرفتم فضل عليّ بن أبي طالب عليه السلام وسابقتها وقرابته ومنزلته من النبي ﷺ، مع علمه بحلالكم وحرامكم، وحاجتكم إليه من بين الصحابة، ولن يألوكم نصحاً، ولو علمنا مكان أحد هو أفضل منه وأجمل لهذا الأمر وأولى به منه لدعوناكم إليه. فقال الناس كلّهم بكلمة واحدة: رضينا به طائعين غير كارهين، فقال لهم علي عليه السلام: «أخبروني عن قولكم هذا: رضينا به طائعين غير كارهين أحقّ واجب هذا من الله عليكم، أم رأي رأيتموه من عند أنفسكم؟» قالوا: بل هو واجب أوجبه الله عزّ وجلّ لك علينا (انظر الفتوح لابن الأعمش ج ٢: ص ٤٢٥). وروى ابن شدقم في كتابه الجمل بسنده عن عبد الحميد بن عبد الرحمن عن ابن أبيزى: ألا أحدثك ما رأيت عيناى وسمعت أذناى!! لمّا التقى الناس عند بيت المال قال عليّ لطلحة: «ابسط يدك



أبايعك». فقال طلحة: أنت أحقّ بهذا الأمر منّي، وقد اجتمع لك من أهواء الناس ما لم يجتمع لي. فقال عليه السلام له: «ما خشينا غيرك!» فقال طلحة: لا تخش، فوالله لا تؤتى من قبلي، وقام عمّار بن ياسر، وأبو الهيثم بن التيهان، ورفاعة بن رافع بن مالك بن العجلان، وأبو أيوب خالد بن زيد، فقالوا لعليّ: إنّ هذا الأمر قد فسد، وقد رأيت ما صنع عثمان، وما أتاه من خلاف الكتاب والسنة، فابسط يدك نبايعك، لتُصلح من أمر الأمة ما قد فسد، فاستقال عليّ عليه السلام وقال: «قد رأيتم ما صنع بي، وعرفتُم رأيَ القوم، فلا حاجة لي فيهم» فأقبلوا على الأنصار فقالوا: يا معاشرة الأنصار، أنتم أنصار الله وأنصار رسوله، وبرسوله أكرمكم الله تعالى، وقد علمتم فضل عليّ وسابقته في الإسلام، وقرابته ومكانته التي كانت له من النبي ﷺ، وإن ولي أنالكم خيراً. فقال القوم: نحن أرضى الناس به، ما نريد به بدلاً. ثمّ اجتمعوا عليه، فلم يزالوا به حتّى بايعوه (انظر كتاب الجمل لضمان بن شذقم: ص ١٢٨). وروى ابن الأثير بسنده عن الزهري عن ابن المسيّب قال: لمّا قتل عثمان جاء الناس كلّهم إلى عليّ عليه السلام يهرعون أصحاب محمّد ﷺ وغيرهم كلّهم يقول أمير المؤمنين عليّ حتّى دخلوا عليه داره، فقالوا: نبايعك فمدّ يدك فأنت أحقّ بها، فقال عليّ: «ليس ذاك إليكم، إنّما ذاك إلى أهل بدر، فمن رضى به أهل بدر فهو خليفة»، فلم يبق أحد إلاّ أتى عليّاً، فقالوا: ما نرى أحداً أحقّ بها منك فمدّ يدك نبايعك، فقال: «أين طلحة والزبير؟» فكان أوّل من بايعه طلحة بلسانه وسعد بيده، فلمّا رأى عليّ ذلك خرج إلى المسجد فصعد المنبر فكان أوّل من صعد إليه فبايعه طلحة وتابعه الزبير وأصحاب النبي ﷺ (انظر أسد الغابة لابن الأثير ج ٤: ص ٣٢). وإلى غير ذلك من الروايات والأقوال الواردة في المقام. فإنّها صريحة في انعقاد الإجماع ببيعة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالإمامة والخلافة بعد مقتل عثمان. وهذا معناه انعقاد الإمامة والخلافة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حتّى على مبنى أهل التسنن، حيث مع قطع النظر عن بيعة الغدير أنّ الناس اجتمعت على بيعته عليه السلام بعد مقتل عثمان بالخلافة والإمامة طوعاً ورغبةً، وذلك بعد ما وجدت الناس المخالفات والبدع في الدين من الخلفاء الثلاثة. لكنهم سرعان ما انفصّوا عنه الناكثون والذين أشعلوا نار حرب الجمل. ثمّ





التحقوا بالقاسطين وهم معاوية وأهل الشام، حتّى أهل العراق الذين ساندوهم، لم يلبثوا فغرّتهم الأهواء بعد خدعة الحكمين في صفين فأشعلوا نار فتنة المارقين والحرب في النهروان. قال ابن عبد البر في الاستيعاب: سئل عليّ عليه السلام عن الذين قعدوا عن بيعته ونصرته والقيام معه، فقال: «أولئك قوم خذلوا الحقّ، ولم ينصروا الباطل» ومات سعد بن أبي وقاص في قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة، وحمل إلى المدينة على أعناق الرجال، ودفن بالبقيع، وصلى عليه مروان ابن الحكم (الاستيعاب ج ٢: ص ٦١٠). بالرغم من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد بين الحقائق من الكتاب والسنة النبوية. ولذلك قال عليه السلام مخاطباً لطلحة والزبير: «والله، ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية إربة، ولكنكم دعوتموني إليها وحملتُموني عليها. فلما أفضت إليّ، نظرت إلى كتاب الله وما وضع لنا وأمرنا بالحكم به فاتبعته، وما استنّ النبي صلى الله عليه وآله فاقنيتته، فلم أحتج في ذلك إلى رأيكما ولا رأي غيركما، ولا وقع حكم جهلته فأستشيركما وإخواني من المسلمين» (نهج البلاغة الخطبة رقم ٢٠٥). فإنّ المجتمع الذي بايع الإمام عليه السلام للخلافة بعد خمسة وعشرون سنة من وفاة النبي صلى الله عليه وآله، كان له تعقيداته الخاصة التي ينبغي دراستها، حيث أنّ الآثار التي تركتها السنوات المتصرّمة، التي حكمت فيها قبيلتي تميم وعديّ القرشيتين، وبنو أمية الذي كان عثمان زعيمهم خلال ربع قرن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وقد بدّلوا فيها المعايير الإسلامية والإنسانية إلى رسوم قبلية وجاهلية، ومن خلال هذه السنوات بثوا ثقافة القرشية في أواسط المسلمين، فشرعت الأجنحة القرشية بمخالفة أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن بايعه الناس، وخاضت ضده حربي الجمل وصفين، وشقّوا اتّحاد قبائل العراق في متابعته؛ فنشأ اتّحاد جديد ضده يتألف من قبائل الشام وبعض قبائل العراق.

وها هو أمير المؤمنين عليه السلام يقف وحيداً سنة الأربعين هجرية، وقد تفرّق جُنده عنه - وكانوا يفتقرون إلى تركيبة قبلية منسجمة - فانحاز بعضهم إلى الخوارج وشبّوا في معسكره نار حرب داخلية جديدة، وبقي البعض الآخر لا حول له ولا قوة، بينما يتحرّك - في المقابل - اتّحاد جديد أوجده معاوية بين القبائل المعارضة، في طريقه إلى السلطة نيابةً عن الجناح القرشيّ المهزوم. وهناك قواعد لعبة السياسة الماكرة اقتضت أن تلعب دورها





للوصل إلى الحكم،، وكان الإسلام الذريعة استخدمها غالبية قريش وعامة الناس للوصول إلى السلطة، وبطبيعة الحال كانوا يصلّون ويحجّون في الظاهر، ويحاربون الإسلام وأهل البيت عليه السلام في الواقع.

أمّا الإمام عليه السلام وخواصّه، فقد انحصر همّهم في أن ينظروا إلى كلّ شيء من خلال الرؤية الإسلامية الخالصة، أي من رؤية كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، بينما لم يتجاوز هذا الأمر لدى الآخرين مجرد الذريعة والوسيلة لوصولهم إلى الحكم. وحسب تعبير الإمام عليه السلام نفسه، كان الفاصل الكبير الذي يفصل بينه وبين الناس الذي تربت على ثقافة قريش: أنّه كان يفكر في الإسلام، وأولئك كانوا يفكرون في أنفسهم؛ فكانوا - لذلك - يريدون إماماً يضمن لهم منافعهم الشخصية. أمّا أمير المؤمنين عليه السلام، فكان يريد قوماً يقيم بهم حدود الإسلام. يقول عليه السلام: «إني أريدكم الله، وأنتم تريدونني لأنفسكم!» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٩: ص ٣١). وكفى بذلك فارقاً كبيراً بين الطرفين، فقد كان الإمام عليه السلام ينظر نظرة إلهية دينية، بينما لم يتجاوز نظر الناس منافعهم القبلية. وكان الناس يريدون منه أن يعيشوا في رفاه واستقرار، وتأمين منافعهم، وأن يكون للأشراف والنخبة منافعهم الخاصة التي تمكنهم من استقطاب عامة الناس، وإن لم تحصل لهم تلك العيشة الفرحة كانت سياستهم أن يثوروا ويمدّوا أيديهم إلى عدوّ اللدود كما فعلوا ذلك فيما بعد.

والمهم أنّ سعد بن أبي وقاص تخلف عن بيعة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في تلك الأجواء المضطربة، وقد ساعده الأقلية في المخالفة للخلافة الشرعية حتّى على مبنى القوم، لأنّه كان من الخواص في المجتمع، رغم أنّه بايع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يوم غدير خمّ وروى واقعة الغدير والروايات الكثيرة في إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بلا فصل بعد رسول الله ﷺ مع ذلك تخلف عن بيعة الامام عليه السلام حسداً وبغضاً كما ورد في النصوص، فقد أخرج ابن سعد في طبقاته بسنده عن أيوب عن محمّد قال: نبئت أنّ سعداً كان يقول: ما أزعم أنّي بقميصي هذا أحقّ منّي بالخلافة، قد جاهدت إذ أنا أعرف الجهاد ولا أبخع نفسي إن كان





رجل خيراً مني، لا أقاتل حتى تأتوني بسيف له عيان ولسان وشفتان فيقول هذا مؤمن وهذا كافر (الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣: ص ١٤٣)، ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج ٢٠: ص ٣٥٥. وأخرج أيضاً بسنده عن شعبة عن يحيى بن الحصين قال: سمعت الحي يتحدثون أن أبي قال لسعد: ما يمنعك من القتال؟ قال: حتى تجيئوني بسيف يعرف المؤمن من الكافر (الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣: ص ١٤٤)، ورواه البلاذري في أنساب الأشراف ج ١٠: ص ١٥ وغيره. ألم يقرأ سعد بن أبي وقاص هذه الآية في القرآن الكريم، ليعلم أن سيف علي هو سيف الحق، وهو الفارق بين الحق والباطل والمؤمن والكافر؟ ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَكَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (سورة الحجرات: ٩). ألا يتعجب الباحث من كلام سعد بن أبي وقاص وعدم دخوله في المجمعين على مبنى أتباع السقيفة. فإن الإجماع على بيعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يلزمه الخضوع إلى البيعة، هذا مع قطع النظر عن أنه كان يعرف الحق على الوجه الذي يجب عليه البيعة. ولذلك قال ابن عبد البر: عذر سعد بن أبي وقاص عن عدم بيعته أمير المؤمنين مرفوض أجل، هذا موقف سعد بن أبي وقاص، إذ أدى به إلى الانعزال وسوء الفهم مع سوابقه المشرقة في الإسلام. ومُنِي بالعجب والغرور نتيجة للمكانة التي جعلها له عامة الناس على أساس كلام رسول الله ﷺ: اللهم سدّد رميته، وأجب دعوته (الاستيعاب لابن عبد البر ج ٢: ص ٦٠٨). فسعد بن أبي وقاص كان يعلم بأن مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام خليفة رسول الله ﷺ حقاً وواجب الإطاعة وفقاً لبيعة المسلمين إياه، وطبقاً للنصوص النبوية المأثورة الدالة على خلافته الحقّة وولايته وإمارته الإلهية، والجاعلة أوامره كأوامر الله ورسوله ﷺ، والقاضية بوجوب طاعة أوامره وأحكامه في الحرب والسلم. فكان سعد بن أبي وقاص مطلعاً على سوابقه عليه السلام. إذ أنه روى بعض الأحاديث في مدحه عليه السلام وفضله عليه السلام عن رسول الله ﷺ. فلا يحق له أن يقف بوجه الإمام عليه السلام. فإنه من كان يعلم ويعرف مقام وشأن مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام





من أنه خليفة رسول الله ﷺ، وواجب الإطاعة. والشاهد على ذلك أنه عندما ناشده مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يوم الشورى فقد أقر في جمع الحاضرين على صحة قول الإمام عليه السلام. فلو كان يريد أن لا يصدق الإمام عليه السلام لكان يرد على مناشدة الإمام عليه السلام، أو لا أقل من أن كان يقول للإمام عليه السلام إني لا أعلم شيئاً. بينما أن الإمام عليه السلام قد أخذ منه الإقرار كما أخذ الإقرار من جميع الحاضرين في مجلس الشورى. ولذلك كان مولانا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يخاطب أصحابه ويقول: «لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلّة أهله؛ فإنّ الناس قد اجتمعوا على مائدة شعبة قصيرة وجوعها طويل» (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٠: ص ٢٦١). ولذلك كان معاوية بن أبي سفيان يتوقّع أن سعد بن أبي وقاص يسب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حيث أن معاوية فهم أن سعداً لا يريد أن يسلك طريق الحق، فكأنما قال له: إنك إذا رفضت الحق فما يمنعك أن تدخل في حزبي. وأجابه سعد ما مضمونه من أن يا معاوية لا تقيس نفسك بالإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فإنه قد ورد في حقّه الروايات التي قالها رسول الله ﷺ في إمامته عليه السلام وأني تركت علياً عليه السلام وحده عندما كانت السلطة ليست بيد معاوية! وخذله ولم أنصره! وجعلته يواجه جمّاً غفيراً من المناوئين والاعداء وطلاب الدنيا! والآن الذي تفرّق عنه جيشه، وخذله أصحابه، وأرغموا وصيه الحسن المجتبي عليه السلام على بيعه طاغي زمانه بعدما تركوه وحده بلا ناصر ولا معين، أنا جالس في قصري بالعقيق تريد مني أن أتبعك. ولهذه الجهة غضب عليه معاوية كما في رواية المسعودي عن ابن عائشة وغيره، أن سعداً لما قال هذه المقالة لمعاوية ونهض ليقوم ضَرَطَ له معاوية، وقال له: اقعد حتّى تسمع جواب ما قلت، ما كنت عندي قطّ الأم منك الآن، فهلاً نصرته، ولم قعدت عن بيعته؟ فإنّي لو سمعت من النبي ﷺ مثل الذي سمعت فيه لكنك خادماً لعلي ما عشت، فقال سعد: والله إنّي لأحقّ بموضعك منك، فقال معاوية: يأبى عليك ذلك بنو عذرة، وكان سعد فيما يقال لرجل من بني عذرة. قال النوفلي: وفي ذلك يقول السيّد بن محمّد الحميري: سائل قريشا بها إن كنت ذا عمّه * من كان أثبتّها في الدين أوتادا. من كان أقدمها سلماً، وأكثرها * علماً، وأطهرها أهلاً وأولاداً. من وحّد الله إذ كانت



منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨ ١١٣
ولم يقاتل الدعاة إلى النار^(١)



مكذبة * تدعو مع الله أو ثائناً وأنداداً. من كان يُقَدِّمُ في الهيجاء إن نكلوا * عنها وإن
بخلوا في أزمة جادا. من كان أعدلها حكماً وأقسطها * حلماً، وأصدقها وعداً وإيعاداً. إن
يَصْدُقُوكَ فلم يَعْدُوا أبا حسن * إن أنت لم تلق للأبرار حساداً. إن أنت لم تلق من تيم
أخا صَلَف * ومن عدي لحق الله جُحَاداً. أو من بني عامر، أو من بني أسد * رَهْط العبيد
ذوي جهل وأوغادا. أو رهط سعد، وسعد كان قد علموا * عن مستقيم صراط الله صَدَاداً.
قوم تَدَاعَوْا زنيماً ثم سادهم * لو لا خمول بني زهر لما سادا... (مروج الذهب ومعادن
الجواهر للمسعودي ج ٣: ص ١٤). وعلى كل تقدير وكان سعد في الأيام الأخيرة من
حياته ينقل فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ويحدث بميزاته التي اختص بها، وكان قد سمعها
من رسول الله ﷺ. ولكن ما جدوي ذلك وقد سبق السيف العَدْلُ إذ فُلقت هامة الإمام
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في محراب العبادة، وأنشبت معاوية مخالبه الدموية
في أقصى أرجاء البلاد، وأبيحت مكة قتلاً وسلباً إذ أغار عليها بُسر بن أبي أرطاة، وذبح
هذا المتوحش ولدي عبيد الله بن العباس. وعدَّ سبَّ عليٍّ ولعنه وشتمه على المنابر من
الواجبات في خطبة الجمعة والعديد في أنحاء العالم الإسلامي. وما هو تأثير سعد بن أبي
وقاص مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد أن ترك الحق وأهله
وخذل الحق وأهله، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الرواية المعروفة المتواترة عند المسلمين وفيها دلالة واضحة على
أن النبي ﷺ مدح عمار بن ياسر، وأخبر عن أنه ستقلته الفئة الباغية، وقال ﷺ: عمار
يدعوهم إلى الله وإلى الجنة، وهم يدعونه إلى النار، فقد روى البخاري في صحيحه
بسنده عن ابن عباس قال: قال أبو سعيد: كنّا ننقل لبن المسجد لبنة لبنة وكان عمار ينقل
لبنتين لبنتين فمرّ به النبي ﷺ ومسح عن رأسه الغبار وقال: «ويح عمار تقتله الفئة الباغية
عمار يدعوهم إلى الله ويدعونه إلى النار» (صحيح البخاري ج ٣: ص ٢٠٧ كتاب الجهاد
والسير، باب مسح الغبار عن الناس في السبيل)، ورواه مسلم في صحيحه ج ٨: ص ١٨٦





كتاب الفتن وأشراف الساعة، في باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمني أن يكون مكانه. روى الهيثمي بسنده عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «أولعتهم بعمّار يدعوهم إلى الجنة وهم يدعونهم إلى النار» (مجمع الزوائد ج ٧: ص ٢٤٧). وأخرج الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين بسنده عن خالد العرفي قال: دخلت أنا وأبو سعيد الخدري على حذيفة فقلنا: يا أبا عبد الله حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ في الفتنة، قال حذيفة: قال رسول الله ﷺ: «دوروا مع كتاب الله حيث ما دار»، فقلنا: فإذا اختلف الناس فمع من نكون؟ فقال: انظر والفئة التي فيها ابن سمية فالزموها فإنه يدور مع كتاب الله، قال: قلت: ومن ابن سمية؟ قال: أو ما تعرفه؟ قلت: بينه لي، قال: عمّار بن ياسر، سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمّار: «يا أبا اليقظان لن تموت حتى تقتلك الفئة الباغية» (المستدرک على الصحيحين ج ٢: ص ١٤٩). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة بهذه المضامين الدالة على أنّ عمار بن ياسر قتله الفئة الباغية. ولا شك في حكم البغي في الإسلام حيث جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفَاتَلُوا النَّيِّبَ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (سورة الحجرات: ٩)، وهذا نص صريح من الله تبارك وتعالى في حكم البغي. وهناك باب في الفقه الإسلامي بعنوان قتال أهل البغي ضمن "كتاب الجهاد"، والمراد منه قتال الظلمة الذين ينهضون بوجه الإمام والحاكم الذي له الولاية الشرعية من الله تعالى، وقد وردت فيهم أحكام كثيرة في هذا الباب. ففي هذه الحالة لو سفكت الطائفة الباغية والظالمة دمًا فهي ضامنة بحكم الشرع، ويجري القصاص عليهم، وتلف منها أموالها، فإنّ حكم القصاص والضمان ثابت ودماء الطائفة الباغية مهدورة. وهذا الحكم الإسلامي كان واضحاً من الصدر الأول. ولذلك ورد في الحديث عن الأعمش قال: قال أبو عبد الرحمن السلمي شهدنا صفين... فسمعت عبد الله بن عمرو يقول لأبيه عمرو: قد قتل هذا الرجل وقد قال رسول الله ﷺ ما قال، قال: أي رجل؟ قال: عمّار بن ياسر، أما تذكر يوم بنى رسول الله ﷺ المسجد فكنا نحمل لبنة لبنة وعمّار يحمل لبنتين





لبنتين، فمرّ على رسول الله ﷺ فقال: «تحمل لبنتين لبنتين وأنت ترحض، أما إنك ستقتلك الفئة الباغية وأنت من أهل الجنة» فدخل عمرو على معاوية فقال: قتلنا هذا الرجل وقد قال فيه رسول الله ﷺ ما قال. فقال: اسكت فوالله ما تزال ترحض في بولك، أنحن قتلناه إنما قتله علي وأصحابه جاءوا به حتى ألقوه بيننا (تاريخ مدينة دمشق ج ٤٣: ص ٤١٤). وقد أجاب مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن هذه الشبهة بأنه لو كان عمار قتل بسبب إرساله الإمام عليه السلام إلي قتال، فرسول الله ﷺ هو الذي قتل حمزة لما ألقاه بين رماح المشركين. أو أن الله تعالى قد قتل جملة من أنبيائه حيث أرسلهم إلي الكفار ليدعوهم إلي الإيمان، قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (سورة البقرة: ٨٧). ففي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: لما قتل عمار بن ياسر ارتعدت فرائص خلق كثير، وقالوا: قال رسول الله ﷺ: «عمار تقتله الفئة الباغية»، فدخل عمرو على معاوية وقال: يا أمير المؤمنين، قد هاج الناس واضطربوا، قال: لماذا؟ قال: قتل عمار، فقال: قتل عمار فماذا؟ قال: أليس قال رسول الله ﷺ: «تقتله الفئة الباغية»؟ فقال معاوية: دحضت في قولك أنحن قتلناه؟ إنما قتله علي بن أبي طالب عليه السلام لما ألقاه بين رماحنا، فاتصل ذلك بعلي بن أبي طالب عليه السلام قال: فإذا رسول الله ﷺ هو الذي قتل حمزة لما ألقاه بين رماح المشركين (الاحتجاج للشيخ الطبرسي ج ١: ص ٢٦٦). وقال محمد بن عجيل في النصائح الكافية: إنه قد حاول معاوية التملص من هذا الحديث بالاحتياال لكيلا ينتقض عليه أحد من أصحابه، حيث لم يقدر على إنكاره فقال: إنما قتله من أخرجه! فأجابه الإمام علي عليه السلام بأن رسول الله ﷺ يكون قاتل حمزة حيث أخرجه لقتال المشركين! وهذا من الإفحام الذي لا جواب عنه... (النصائح الكافية: ص ٣٩).

أقول: ولا يخفى على الخبير أن قول الرسول الأعظم ﷺ: «يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، نص صريح في أن الفئة الباغية هي الفئة التي حاربت إمام الحق والعدل وشملهم قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا النَّبِغِي...﴾» (سورة الحجرات: ٩). وقد أخرج ابن عساكر بسنده عن عمار بن ياسر أنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يا علي، ستقاتلك الفئة الباغية وأنت



ولم يتب من ذلك حتى مات^(١).



على الحقّ فمن لم ينصرك يومئذ فليس منّي» (تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٤٧٣). فكان سعد بن أبي وقاص يعلم بأن معاوية بحكم هذا الحديث يكون من مصاديق الفئة الباغية التي أوجب الله في كتابه العزيز قتالهم فقال سبحانه وتعالى: ﴿فَقَاتِلُوا آلَ لَئِي تَبْغِي...﴾ (سورة الحجرات: ٩). فحديث «عمّار تقتله الفئة الباغية عمّار يدعوهم إلى الله ويدعونه إلى النار» من الأحاديث التي كانت الصحابة يعرفها جيداً حتى معاوية وعمرو بن العاص قد أقرا بصحّته عن رسول الله ﷺ ومعناه أنّ سعد بن أبي وقاص كان يعلم بأن من قاتل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فهو من الفئة الباغية، ومصيره إلى النار بنصّ هذا الحديث، ومع ذلك تخلف عن بيعة الإمام عليه السلام وخذل الإمام عليه السلام في حروبه، كما أنّه كان يعلم بأن معاوية من الأئمة الذين يدعون إلى النار كما قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ * وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿ (سورة القصص: ٤١-٤٢)، لأنّه تأمر على إمام زمانه، وقاد جيشاً ضده، فلاحظ.

(١) لا يخفى على الخبير أنّ التوبة من الأمور الحادثة المسبوبة بالعدم، والأصل عدمها حتى يثبت تحققها في الخارج. وقد ثبت بإجماع الفريقين تخلف سعد بن أبي وقاص عن بيعة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قال المسعودي في مروج الذهب: وقعد عن بيعته عليه السلام جماعة عثمانية لم يروا إلا الخروج عن الأمر، منهم: سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، وبايع يزيد بن معاوية بعد ذلك، ثمّ بايع عبد الملك بن مروان... والنعمان بن بشير وفضالة بن عبيد، وكعب بن عجرة، ومسلمة بن خالد في آخرين لم نذكرهم من العثمانية من الأنصار وغيرهم من بني أمية وسواهم (مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ٢: ص ٣٦١). وقال ابن الأثير في تاريخه: إلى أنّه لما قتل عثمان، بايع جميع المهاجرين والأنصار أمير المؤمنين عليه السلام. وتخلف عن البيعة من المهاجرين سعد بن أبي وقاص، وابن عمر، ومن الأنصار، حسان بن ثابت... (انظر الكامل في التاريخ ج ٣: ٢٠٠)





ص ١٩١). وإلى غير ذلك من أقوالهم، فموقف سعد وتخلّفه عن بيعة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ثابت وواضح بالنصوص المتّفقة بين الفريقين. بل وقد ثبت جحوده وضغيتته بالنسبة إلى مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، إذ أنّه كان أحد أصحاب الشورى، وقد وهب ما كان يراه حقّاً له لابن عمّه عبد الرحمن بن عوف، وكان يعلم أنّ هوى ابن عوف في عثمان، لأنّ عبد الرحمن كان زوج أخت عثمان لأمّه، وقد قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في الخطبة الشقشقية مشيراً إلى ذلك: «فصغى رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره، مع هن وهن». فالذي صغى لضغنه هو سعد، والذي مال لصهره هو عبد الرحمن بن عوف، وضغن سعد إنّما هو لأجل من قتلهم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من أقاربه دفاعاً عن الإسلام. فتخلّف سعد بن أبي وقاص عن بيعة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وسكن في قصره إلى أن مات فيها بلا توبة، فقد روى ابن عبد البر بسنده، عن عائشة بنت سعد قالت: مات أبي في قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة، فحمل إلى المدينة على رقاب الرجال. وصلى عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ والي المدينة. وذلك في سنة ٥٥ من الهجرة وكان يوم مات ابن بضع وسبعين سنة. وفي ضوء الرواية السابقة إذا كان عمره في أوّل البعثة تسع عشرة سنة، فقد بلغ السابعة والثمانين يوم موته (الاستيعاب ج ٢: ص ٦٠٧). وروى أيضاً بسنده عن أبي زُرعة، عن أحمد بن حنبل أنّ سعد بن أبي وقاص مات أيام معاوية وهو ابن ثلاث وثمانين سنة (الاستيعاب ج ٢: ص ٦١٠). والظاهر أنّ وادي العقيق على بعد خمسة أميال من المدينة المنورة كانت فيه قصوراً للحكام آن ذاك. فسعد بن أبي وقاص لم يبايع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام واعتزل في قصره ولم يثبت توبته إلى أن مات، قال الزبير بن بكار: كان سعد قد اعتزل في آخر عمره في قصر بناه بطرف حمراء الأسد (سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١: ص ١٢٣). فثبت عدم توبته، بل ثبت عدائه الدفين لمولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فلا حظ.

فهل من هذه سيرته يصير أهل الجنة ويشر بها؟!^(١)

(١) هذه العبارة استفهام استنكاري، وإشارة إلى الجواب عن السؤال المقدّر وهو أنّه بناءً على أنّ سعد بن أبي وقاص مات من دون توبة كما هو ظاهر الأدلة والنصوص معناه أنّه من أهل النار، في حين أنّه من العشرة المبشرة التي جاء ذكرهم في الرواية المعروفة التي رواها كبار علماء أهل السنّة في كتبهم. فكيف يمكن الجمع بين الأمرين؟ والجواب عنه واضح، حيث أنّ حديث العشرة المبشرة من الموضوعات المختلفة على عهد بني أميّة، فإنّهم وضعوه على لسان بعض الصحابة لتزكيتهم، مع علمهم بأنّ في العشرة المذكورة أشخاصاً من لا يمكن الالتزام بكونهم أهل الجنة. وإليك بعض ما يرد عليه: أولاً: أنّه قد ورد في الصحيحين البخاري ومسلم ما يثبت بطلان هذا الحديث، وهو ما رواه البخاري ومسلم بسندهما عن نفس سعد بن أبي وقاص، أنّه قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على وجه الأرض إنّ من أهل الجنة إلّا لعبد الله بن سلام (صحيح البخاري ج ٤: ص ٢٢٩ كتاب المناقب، باب مناقب عبد الله بن سلام، وصحيح مسلم ج ٧: ص ١٦٠ كتاب الفضائل، باب فضائل عبد الله بن سلام). فهذا سعد الذي هو أحد العشرة المبشرة في الحديث قد شهد بأنّه لم يسمع النبي ﷺ يشرّ أحداً بالجنة سوى عبد الله بن سلام.

وثانياً: أنّ العقل يمنع من القطع بالجنة والأمان من النار لمن تجوز منه الفعل القبيح، ومن ليس بمعصوم من الزلل والضلال، فلا يصحّ الوعد بالجنة لمن لا يكون مصوناً من مكائد الشيطان والانحراف عن الصراط المستقيم، فإنّ ذلك يغريه بالقبيح.

وثالثاً: لو صحّ صدور هذا الخبر من النبي الأكرم ﷺ لاحتجّ به أبو بكر في مواضع عديدة لصيانته عن الظلم والآثام والتحريف والضلال، كما أنّ عثمان كان يحتجّ به عندما حوّر وطولب بخلع نفسه وهمّوا بقتله، وما منعه من التعلّق به لدفعهم عن نفسه؟ وقد ثبت في الشرع حظر دماء أهل الجنان (انظر الإفصاح: ص ٧٣، وتلخيص الشافي ج ٣: ص ٢٤١). ثمّ أنّه لماذا نبذوا جثة عثمان بعد مقتله ثلاثة أيام ملقى على المزبلة حتّى خرج به ناس يسير من أهله إلى حائط بالمدينة يقال له: "حشّ كوكب" كانت اليهود تدفن فيه موتاهم،



فرجم المسلمون سريره ومنعوا الصلاة عليه، إلى غير ذلك ممّا هو مسطور في كتب السير والتواريخ في قصّة قتل عثمان (تاريخ الطبري ج ٥: ص ١٤٣-١٤٤). بل وروى ابن عبد ربّه الأندلسي في العقد الفريد عن العتبي، قال: قال رجل من بني سليم: قدمت المدينة فلقيت سعد بن أبي وقاص فقلت: يا أبا إسحاق، من الذي قتل عثمان؟ قال: قتله سيف عائشة وشحذه طلحة وسمّه عليّ، قلت: فما حال الزبير؟ قال: أشار بيده وصمت بلسانه (انظر العقد الفريد ج ٣: ص ٨٤). فهؤلاء عندهم من العشرة المبشرة فكيف يمكن تبشير الطرفين بالجنة مع ما كان قد ثبت عند الصحابة أنّ طرفه المقابل خارج عن الإسلام. فالمنصف المتأمل في الخبر يجزم بأنّ الحديث إنّما اختلقه دولة بني أميّة بلا تأمل في تواليه الفاسدة.

ورابعاً: قد علم البرّ والفاجر، والمؤمن والكافر، ما وقع بين أكثر هؤلاء من المبشرين وبين الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من المباينة في الدين والتخطفة الآخر، والمحاربة وسفك الدم على الاستحلال بينهم من دون التحريم، فكيف يكون كلّ من الفريقين على الحقّ والصواب - مع ما ذكرناه - (انظر الإفصاح للشيخ المفيد: ص ٧٣-٧٤، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف ليسيد بن طاووس: ص ٥٢٢). ثمّ أنّه كيف يحكم للجميع بالأمان من عذاب الجحيم والفوز بجنّات النعيم؟! والحال قد ورد في الحديث الصحيح المتواتر عن رسول الله ﷺ، قال: «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ يدور معه حيث دار» (انظر المستدرک على الصحيحين ج ٣: ص ١١٩، سنن الترمذي ج ٥: ص ٢٩٧ ح ٣٧٩٨، والمعجم الأوسط للطبراني ج ٦: ص ٩٥، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٠: ص ٢٧٠، والرياض النضرة لمحّب الطبري ج ١: ص ٤٨، والجامع الصغير للسيوطي ج ٢: ص ٩، وفضائل الخمسة من الصحاح الستّة ج ٢: ص ١٢٢ وغيرها من المصادر).

وخامساً: لو كان الحديث صحيحاً - كما زعموا - لكان الأمان من عذاب الله لأبي بكر وعمر وعثمان حاصلًا بهم، فلماذا جزعوا وتأسفوا عند احتضارهم وموتهم فإنّ الأدلة المتّفقة بين الفريقين أنّهم كانوا مضطربين من قدومهم على أعمالهم لما فعلوه من الإجرام (انظر تاريخ الطبري ج ٢: ص ٦١٩، وتاريخ الإسلام للذهبي ج ١: ص ٣٨٥، وتاريخ مدينة دمشق



١٢٠ منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨
وهو ممن شاقق الرسول ﷺ ولم يتبع سبيل المؤمنين بعد تبين الهدى له^(١).



ج ٣٠: ص ٤٢٠، المعجم الكبير للطبراني ج ١: ص ١٧). وقال الشيخ المفيد رحمه الله تعالى في في الإفصاح: والخبر الظاهر أن أبا بكر جعل يدعو بالويل والثبور عند احتضاره، وأن عمر تمنى أن يكون تراباً عند وفاته، وودّ لو أن أمه لم تلده، وأنه نجا من أعماله كفافاً، لا له ولا عليه، وما ظهر من جزع عثمان بن عفان عند حصر القوم له، وتيقنه بهلاكه (الإفصاح: ص ٧٣). وهناك روايات كثيرة تدل على أن كثيراً من العشرة المبشرة لم يرووا أنفسهم يستحقون الجنة (انظر السبعة من السلف من الصحاح الستة: ص ١٦، ٤٣، ١١٤). فمما تقدم ينكشف أن حديث تبشير العشرة بالجنة زخرف من القول، ليس له أصل، فيلزم على أهل السنة أن لا يغتروا بصحة طرقه وكثرته، ولا تهولنهم وفرة أسانيده وشهرته، فرب مشهور لا أصل له. ومن هنا اتضح أن سعد بن أبي وقاص أهل النار، لأنه لم يبايع إمام زمانه فموته تكون بنص الأحاديث المتفقة بين الفريقين موة جاهلية وكفر، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾ (سورة النساء: ١١٥). والآية المباركة تبين حقيقة إيمان من تمت عليه الحجة وصحت عنده الأدلة للهداية إلى الدعوة الإلهية. فالآية تكشف عن حقيقة إيمان الصحابة بعد إتمام الحجة عليهم في إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وولايته التي فرضها الله تعالى على المؤمنين. ولكن مع ذلك أن أكثر الصحابة اتبعوا غير طريق المؤمنين وخالفوا ما جاءهم من الأدلة، مخالفة صريحة مقرونة بالحق والضعيفة، وتؤكد جملة: ﴿مَنْ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾ على أن من يختار الطريق الأعوج إنما يختاره لنفسه. والبناء الذي أراد الوقوف عليه هو قد وضع أساسه بيده، ولهذا ما يلحقه من سوء العاقبة إنما يكون بسبب سوء اختياره ولم يقع عليه أي ظلم من الخارج. وأما بالنسبة إلى قوله تعالى: ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ﴾، فهو إشارة إلى حرمان هؤلاء من التوفيق المعنوي لتمييز الحق من الباطل ومواصلتهم إلى



وهو الذي قد خالف ما نقله من الخبر^(١)،



الحق، بل حيث أنهم اختاروا السير في طريق الضلالة، فنالوا إلى نتيجة انتخابهم، وكيف يمكن أن يكون هؤلاء الصحابة مشمولين لرضا الله عز وجل مع أنهم حرموا أنفسهم من هذه النعمة الإلهية؟! فمن الواضح أن سعد بن أبي وقاص الذي لم يبايع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فهو ممن شاق الرسول ﷺ، ولم يتبع سبيل المؤمنين، بعد ما تبين له الهدى، فلاحظ.

(١) والمقصود بالخبر هو ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن عامر بن سعد أن أخاه عمر انطلق إلى سعد في غنم له خارجا من المدينة فلما رآه سعد قال أعوذ بالله من شر هذا الراكب فلما، أتاه قال: يا أبت أرضيت أن تكون أعرابياً في غنمك والناس يتنازعون في الملك بالمدينة فضرب سعد صدر عمر وقال: اسكت، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله عز وجل يحب العبد التقي الغني الخفي» (مسند أحمد بن حنبل ج ١: ص ١٦٨)، ورواه مسلم وحذف صدر الحديث، كما جاء في صحيحه بسنده عن عامر بن سعد، قال: كان سعد ابن أبي وقاص في إبله، فجاءه ابنه عمر فلما رآه سعد، قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب! فنزل فقال له: أنزلت في إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم. فضرب سعد في صدره فقال: اسكت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي» (صحيح مسلم ج ٨: ص ٢١٤ باب الأول من كتاب الزهد والرقائق). والمستفاد من الحديث أن الانشغال بأمور الدنيا والغور في مطامعها والإعراض عن العبادة والآخرة بعيد عن رضى الله عز وجل، كما قال السيوطي في الديباج على صحيح مسلم: «إن الله يحب العبد التقي الغني (أي غني النفس)». الخفي بالخاء المعجمة أي الخامل المنقطع إلى العبادة والاشتغال بأمور نفسه (انظر الديباج على صحيح مسلم للسيوطي ج ٦: ص ٢٧٩). وقال النووي في كتابه رياض الصالحين باب استحباب العزلة عند فساد الزمان أو لخوف من فتنة في الدين أو وقوع في حرام وشبهات ونحوها: والمراد بـ"الغني": غني النفس (انظر رياض الصالحين: ص ٣١٤). وقال الصنعاني في سبل



١٢٢ منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨

فإنه نال الصيت والشهرة والمعروفة عند العرب والعجم في قودة الجيوش
ورئاسته عليها وفتوحاته بها فلم يعمل بما سمعه هو بنفسه من الخبر في زمان
عمر^(١).



السلام والتقوى هو الآتي بما يجب عليه المجتنب لما يحرم عليه، والغني هو غني النفس
فإنه الغني المحبوب، قال ﷺ: «ليس الغنى بكثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس»،
وأشار عياض إلى أن المراد به غنى المال وهو محتمل. والخفي بالخاء المعجمة والفاء أي
الخامل المنقطع إلى عبادة الله والاشتغال بأمور نفسه، وضبطه بعض رواة مسلم بالخاء
المهملة ذكره القاضي عياض، والمراد به الوصول للرحم اللطيف بهم وبغيرهم من
الضعفاء... (سبل السلام ج ٤: ص ١١٧). فإذا كان معنى الغنى غنى النفس، ومعنى الخفى
الخفاء في العبادة فالحديث صريح في أن سعد بن أبي وقاص كان عمله وسيرته على
خلاف مدلول الحديث الذي نقله عن رسول الله ﷺ، فلاحظ.

(١) وملخص الكلام أن الشهرة التي حصلها سعد بن أبي وقاص كانت من إمارة الجيش التي
منحها إياه عمر بن الخطاب باستشارة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام
كما قال البلاذري: أن عمر بن الخطاب عرض على أمير المؤمنين علي عليه السلام الشخص إلى
القادسية، ليكون قائداً لجيش المسلمين، فأباه، فوجه سعد بن أبي وقاص (انظر فتوح
البلدان ج ٢: ص ٣١٣). وليس لسعد مقام عند عمر قبل ذلك حتى أنه قد روى المسعودي
أن أبا بكر كان يريد أن يكلف سعد بن أبي وقاص بقتال المرتدين بقيادة الأشعث بن
قيس، فصدّه عمر عن ذلك، لتوقعه أن يرفض علي عليه السلام، فإن أبا ذلك فلن يجد أبو بكر
أحداً يسير إليهم (انظر مروج الذهب ج ٢: ص ٣٠٩). ولكن بعد استشارته مع المولى عليه السلام
جزم على أن يجعله قائد الجيش حتى أن ابن أعثم روى أن قد عرضوا على عمر من هو
أعظم وأهم من سعد، لحرب الفرس فرفض عمر (انظر الفتوح لابن أعثم ج ١: ص ٧٢).
وعلى كل حال فإن شهرته قد حصلت له بهذه الجهة. ومدلول الحديث الذي رواه مسلم
في صحيحه بسنده عن سعد واضح الدلالة على ما ذكره شراح الحديث من أهل السنة،





حيث أنَّ معناه على ما تقدّم من كتبهم: أنَّ الله يحبُّ المؤمن التقي ومن له غنى النفس وكانت عباداته في الخفاء، وهذا معناه الابتعاد عن التعلُّق بالدنيا ومفاتنها، على نحو لا تكون الدنيا هدفاً أصيلاً له بل مقتضاه الرغبة الدائمة في العمل بطاعة الله ورسوله ﷺ والعمل الصالح... وهذا لا ينطبق على ما نجده في التاريخ من تصرفات سعد بن أبي وقاص وسيرته، حيث أنَّ سعد بن أبي وقاص الذي روى عن رسول الله ﷺ واقعة غدير خمِّ كان من الواجب عليه العمل بمقتضى ما رواه عن رسول الله ﷺ، ففي حديث رواه أحمد بن حنبل بسنده عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب وعن زيد بن يثيع قالاً: نشد علي الناس في الرحبة: «من سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خمِّ إلا قام قال؟» فقال: من قبل سعيد ستّة ومن قبل زيد ستّة، فشهدوا أنّهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول لعلي عليه السلام يوم غدير خمِّ: «أليس الله أولى بالمؤمنين؟» قالوا: بلى، قال: «اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ١: ص ١١٨). وروى أيضاً بسنده عن سمّك بن عبيد بن الوليد العبسي قال: دخلت على عبد الرحمن بن أبي ليلى فحدثني أنّه شهد علياً عليه السلام في الرحبة قال: «أنشد الله رجلاً سمع رسول الله ﷺ وشهده يوم غدير خمِّ إلا قام، ولا يقوم إلا من قد رآه»، فقام اثنا عشر رجلاً فقالوا: قد رأيناه وسمعناه حيث أخذ بيده يقول: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله»، فقام إلا ثلاثة لم يقوموا، فدعا عليهم فأصابهم دعوته (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ١: ص ١١٩). وروى أيضاً بسنده عن علي بن زيد عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا بغدير خمِّ فنودي فينا الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله ﷺ تحت شجرتين فصلّى الظهر، وأخذ بيد علي عليه السلام فقال: «ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد علي فقال ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، قال: فلقية عمر بعد ذلك فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيّت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ٤: ص ٢٨١). وروى الهيثمي بسنده عن عمرو ذي مر وزيد بن أرقم قالاً: خطب رسول





الله ﷻ يوم غدیر خمّ فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره وأعن من أعانه»، قلت لزيد بن أرقم عند الترمذي: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فقط، رواه الطبراني وأحمد عن زيد وحده باختصار إلا أنه قال في أوله "نزلنا مع رسول الله ﷺ بواد يقال له خم، فأمر بالصلاة فصلاً بها بهجير، قال: فخطب وظلل على رسول الله ﷻ على شجرة من الشمس، فقال: «ألستم تعلمون (أو ألستم تشهدون) أنني أولى بكل مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، فذكر نحوه"، والبزار وفيه ميمون أبو عبد الله البصري وثقه ابن حبان وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات. وعن أبي الطفيل قال: جمع على الناس في الرحبة ثم قال لهم: «أنشد بالله كل امرئ مسلم سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدیر خمّ ما قال لمّا قام؟» فقام إليه ثلاثون من الناس، قال أبو نعیم: فقام ناس كثير فشهدوا حين أخذ بيده فقال: «أتعلمون أنني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «من كنت مولاه فهذا مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، قال: فخرجت كأنّ في نفسي شيئاً، فلقيت زيد بن أرقم فقلت له: إنني سمعت علياً يقول كذا وكذا، قال: فما تنكر، قد سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك. رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة. وعن سعيد بن وهب قال: نشد عليّ الناس فقام خمسة أو ستة من أصحاب النبي ﷺ فشهدوا أنّ رسول الله ﷺ قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه». رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. وعن عمرو بن ذي مر وسعيد بن وهب وعن زيد بن شيع قالوا: سمعنا علياً يقول: «نشدت الله رجلاً سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدیر خمّ لمّا قام»، فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أنّ رسول الله ﷺ قال: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فأخذ بيد علي فقال: «من كنت مولاه فهذا مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وأحبّ من أحبّه وأبغض من يبغضه، وانصر من نصره واخذل من خذله». رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير فطر ابن خليفة وهو ثقة (انظر مجمع الزوائد للهيثمى ج ٩: ص ١٠٥). وروى النسائي في سننه الكبرى بسنده عن علي بن محمد بن علي قال: حدّثنا خلف قال: حدّثنا إسرائيل قال: حدّثنا أبو إسحاق عن عمرو بن ذي مر قال: شهدت علياً بالرحبة ينشد أصحاب محمد ﷺ: «أيكم





سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدیر خمّ ما قال؟» فقام أناس فشهدوا أنّهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فإنّ علياً مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وأحبّ من أحبّه وبغض من أبغضه وانصر من نصره» (انظر سنن الكبرى للنسائي ج ٥: ص ١٣٦). وروى الطبراني في معجمه الكبير بسنده عن بشر بن حرب عن جرير قال: شهدنا الموسم في حجة مع رسول الله ﷺ وهي حجة الوداع، فبلغنا مكاناً يقال له "غدير خمّ" فنأدى الصلاة جامعة فاجتمعنا المهاجرون والأنصار، فقام رسول الله ﷺ وسطناً فقال: «أيّها الناس بم تشهدون؟» قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله، قال: «ثمّ مه؟» قالوا: وأنّ محمداً عبده ورسوله، قال: «فمن وليكم؟» قالوا: الله ورسوله مولانا، قال: «من وليكم؟» ثمّ ضرب بيده على عضد علي عليه السلام فأقامه، فنزع عضده فأخذ بذراعيه فقال: «من يكن الله ورسوله مولياه فإنّ هذا مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، اللهم من أحبّه من الناس فكن له حبيباً ومن أبغضه فكن له مبغضاً، اللهم إني لا أجد أحداً أستودعه في الأرض بعد العبدین الصالحين غيرك فاقض فيه بالحسنى»، قال بشر: قلت: من هذين العبدین الصالحين؟ قال: لا أدري (انظر المعجم الكبير للطبراني ج ٢: ص ٣٥٨). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام بهذا المضمون، فإنّ هذه الأحاديث تدلّ بالصراحة على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وخلافته بلا فصل بعد رسول الله ﷺ ومقتضى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (سورة النساء: ٥٩). كان من الواجب على سعد بن أبي وقاص الطاعة والانقياد لله ولرسوله ﷺ وللإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؛ لأنّ طاعة أولي الأمر الذي أوجبه الله عليه في الآية الكريمة ينحصر بحسب رواية الغدير الذي رواه عن رسول الله ﷺ في الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فإذا كان سعد يعتقد بما رواه عن رسول الله ﷺ في إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام معناه وجوب البيعة مع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد مقتل عثمان، كما كان من الواجب عليه الجهاد مع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في حروبه أيام





خلافته الظاهرية والقتال تحت رايته، كما أنَّ المفروض في الحروب بعد وفاة رسول الله ﷺ كان من الواجب عليه أن يأخذ الأمر من الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لا من عمر بن الخطاب، لأنَّ المعيار في قبول الأعمال الصالحة يشترط فيه الطاعة الصحيحة وطاعة الصحيحة هي التي جاءت في الآية الكريمة منحصرة في الله ورسوله ﷺ والإمام المعصوم عليه السلام، لظاهر العطف في الآية المستلزم للعصمة وإمامة أولى الأمر، ومعناه وجوب طاعة الإمام الذي له جميع أوصاف النبي ﷺ إلا من استثنى منها بحسب الدليل القطعي في جميع الحالات والأزمان بحسب اطلاق الآية الكريمة. فبناءً على أنَّ سعد بن أبي وقاص كان من رواة حديث الغدير كان من الواجب عليه شرعاً أن لا يقبل إمارة الجيش من عمر بن الخطاب، لأنَّه بحسب دلالة الآية الكريمة ومدلول حديث الغدير أنَّ عمر بن الخطاب كان غاصباً للخلافة، والغاصب للخلافة لا يكون له الصلاحية لنصب الأمراء وعزلهم. فقبول إمارة الجيش منه التي يترتب عليها الدماء والأموال والأعراض مما لا يجوز له قبوله منه. وبعد قبوله ذلك من عمر الخطاب كيف يمكن أن يسمى نفسه مطيعاً لله ورسوله ﷺ وهو تحت طاعة من لا صلاحية له في النصب والعزل؟! ثم إنَّ قبوله الإمارة معناه الخروج عن طاعة امام زمانه، فكيف يمكن الجمع بين هذا المعنى ودعوى وجود الصفات المذكورة في الحديث من المؤمن التقى ومن له غنى النفس؟! وعلى ما رواه الحاكم النيسابوري عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال: «فلو أنَّ رجلاً صنف بين الركن والمقام فصلّى وصام، ثمّ لقي الله وهو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار»، رواه الحاكم، وقال: «هذا حديث حسن صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» (انظر المستدرک على الصحيحين ج ٣: ص ١٤٨-١٤٩)، ووافقه الذهبي في الهامش. وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩: ص ١٧١ وصححه، أنَّه واضح الدلالة في عدم نفع أي عمل من عبد مهما كان العمل، فمادام لم يكن في طاعة الله ورسوله ﷺ وإمام زمانه لا أثر له. ويضاف إلى ذلك: أنَّ سعد بن أبي وقاص قعد عن بيعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأبى أن يبايعه، فإنَّ إعراضه عن بيعة الإمام عليه السلام، موجب لشمول حديث من لم يبايع امام زمانه مات ميتة جاهلية وكفر، فلاحظ

منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨ ١٢٧

فانظر إلى المتابعة للهوى فلم شهّر نفسه في زمانه ولم يستغن بما عنده بل طلب المزيد من الغنائم ولم صار مختفياً غنياً ولم ينصر إمام الحق ولم يتابعه^(١)،

(١) هذه العبارة إشارة إلى مدلول الحديث الذي رواه أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن عامر بن سعد أنّ أخاه عمر انطلق إلى سعد في غنم له خارجاً من المدينة، فلما رآه سعد قال أعوذ بالله من شر هذا الراكب فلما أتاه قال: يا أبت أَرْضَيْتَ أَنْ تَكُونَ أَعْرَابِيًّا فِي غَنَمِكَ وَالنَّاسُ يَتَنَازَعُونَ فِي الْمَلِكِ بِالْمَدِينَةِ؟! فَضْرَبَ سَعْدُ صَدْرَ عَمْرٍو وَقَالَ: اسْكُتْ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ» (مسند أحمد بن حنبل ج ١: ص ١٦٨). ورواه مسلم وحذف منه صدر الحديث، ولكن دلالة واضحة كما شرحها علماء أهل السنة في كتبهم، حيث أنّ معناه على ما تقدّم منهم: «أنّ الله يحبّ المؤمن التقي ومن له غنى النفس وكانت عباداته في الخفاء...» ومعناه الابتعاد عن التعلّق بالدنيا ومفاتنها، على نحو لا تكون الدنيا هدفاً أصيلاً له، بل مقتضاه الرغبة الدائمة في العمل بطاعة الله ورسوله ﷺ والعمل للآخرة... وهذا لا ينطبق على سعد بن أبي وقاص على ما نجده في التاريخ من تصرّفات وسيرته، لأنّ سعد بن أبي وقاص صاحب المواقف المتناقضة في حياته فمن جهة أنّه قد روى الروايات الكثيرة في إمامة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام التي منها: ما رواه المسعودي في مروج الذهب عن الطبري، عن محمّد بن حميد الرازي، أبي مجاهد، عن محمّد بن إسحاق، عن ابن أبي نجیح، قال: لما حج معاوية طاف بالبيت ومعه سعد، فلما فرغ انصرف معاوية إلى دار الندوة، فأجلسه معه على سريرته، ووقع معاوية في علي وشرع في سبّه، فزحف سعد ثمّ قال: أجلسني معك على سريرك ثمّ شرعت في سبّ علي، والله لأن يكون في خصلة واحدة من خصال كانت لعلي أحبّ إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس: والله لأن أكون صهراً لرسول الله ﷺ وأن لي من الولد ما لعلي أحبّ إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، والله لأن يكون رسول الله ﷺ قال لي ما قاله يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّه الله ورسوله، ويحبّ الله ورسوله، ليس بفرار يفتح الله على يديه»، أحبّ إليّ



من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، والله لأن يكون رسول الله ﷺ، قال لي ما قال له في غزوة تبوك: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي»، أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، وأيم الله لا دخلت لك داراً ما بقيت، ثم نهض. ثم قال: ووجدت في وجه آخر من الروايات، وذلك في كتاب علي بن محمد بن سليمان النوفلي في الأخبار، عن ابن عائشة وغيره، أن سعداً لما قال هذه المقالة لمعاوية ونهض ليقوم ضرطاً له معاوية، وقال له: اقعد حتى تسمع جواب ما قلت، ما كنت عندي قطّ ألأم منك الآن، فهلا نصرته، ولم قعدت عن بيعته؟ فإنني لو سمعت من النبي ﷺ مثل الذي سمعت فيه لكننت خادماً لعلي ما عشت، فقال سعد: والله إنني لأحقّ بموضعك منك، فقال معاوية: يأبى عليك ذلك بنو عذرة، وكان سعد فيما يقال لرجل من بني عذرة. قال النوفلي: وفي ذلك يقول السيّد بن محمّد الحميري: سائل قريشا بها إن كنت ذا عمه * من كان أثبتّها في الدين أوتاداً. من كان أقدمها سلماً، وأكثرها * علماً، وأطهرها أهلاً وأولاداً. من وحّد الله إذ كانت مكذبة * تدعو مع الله أوثاناً وأنداداً. من كان يُقدّم في الهيجاء إن نكلوا * عنها وإن بخلوا في أزمة جادا. من كان أعدلها حكماً وأقسطها * حلماً، وأصدقها وعداً وإيعاداً. إن يصدّقوك فلم يعلّوا أبا حسن * إن أنت لم تلق للأبرار حساداً. إن أنت لم تلق من تيم أخا صلف * ومن عدي لحق الله جحّاداً. أو من بني عامر، أو من بني أسد * رهط العبيد ذوي جهل وأوغاداً. أو رهط سعد، وسعد كان قد علموا * عن مستقيم صراط الله صدّاداً. قوم تداعوا زنيماً ثم سادهم * لو لا خمول بني زهر لما سادوا... (مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي ج ٣: ص ١٤). فسعد بن أبي وقاص كان عالماً بمكانة ومنزلة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، إذ أنه روى بنفسه عن رسول الله ﷺ الروايات الدالة على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وخلافته وما تدلّ على عظمة الامام عليه السلام، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أنه رفض بيعته الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد مقتل عثمان وتخلّف عن بيعته عليه السلام حسداً وبغضاً كما نصّ على ذلك ابن قتيبة في الإمامة والسياسة في حديث قال: دعا عمّار ابن عمر، ومحمّد بن مسلمة، وسعد بن أبي وقاص إلى بيعته أمير





المؤمنين عليه السلام، فأظهر سعد الكلام القبيح، فانصرف عمّار إلى علي عليه السلام فقال علي عليه السلام لعمّار: «دع هؤلاء الرهط، أمّا ابن عمر فضيف، وأمّا سعد فحسود، وذنبني إلى محمّد بن مسلمة أنّي قتلت أخاه يوم خيبر، مرحب اليهودي» (الإمامة والسياسة ج ١: ص ٥٤). وليراجع الباحث إلى ما جرى بين سعد وبين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حين جاء سعد يطالب بعطائه، حين تخلفوا عنه في الجمل وصفين، فاحتج الإمام عليه السلام عليه، وردّه، ولم يعطه شيئاً (كتاب حرب صفين لنصر بن مزاحم: ص ٥٥١). وإلى غير ذلك ممّا يثبت أنّ عدم بيعة سعد بن أبي وقاص مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان من جهة الأمور الدنيويّة، فلو كان الإمام عليه السلام يعطيه كما أعطاه الخلفاء السابق لكان ينحلّ في ركاب الإمام عليه السلام. ويظهر ذلك ممّا ورد في بعض المتون، منها: ما رواه ابن قتيبة أنّ سعد قال لعمّار: إنّنا كنّا نعدك من أكابر أصحاب محمّد، حتّى إذا لم يبق من عمرك إلّا ظمأ الحمار فعلت وفعلت؟ قال: أيما أحبّ إليك، مودّة على دخل أو مصارمة جميلة؟ قال: مصارمة جميلة، قال: لله عليّ ألاّ أكلمك أبداً (المعارف لابن قتيبة: ص ٥٥٠). ومنها: ما كتب سعد إلى عمرو بن العاص: إنّك سألتني عن قتل عثمان، وإنّي أخبرك أنّه قتل بسيف سلته عائشة، وصقله طلحة، وسمّه علي بن أبي طالب عليه السلام، وسكت الزبير إلخ... (الإمامة والسياسة ج ١: ص ٤٨). وإلى غير ذلك من الروايات والأقول الدالة على مواقف المتناقضة لسعد بن أبي وقاص من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهو دليل واضح على أنّه كان طالباً للدنيا وكانت طموحاته منحصرة بها؛ ولذلك أنّ معاوية حيث كان يعلم بعداء سعد للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فطمع في بداية الأمر أن يجذبه لإمارته، ليظهر سعد عدائه بسبّه للإمام عليه السلام، ولما وجد أنّه لا يتماشا معه مجاناً، حيث جعل سعد يذكر الروايات التي سمعها من رسول الله ﷺ في إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ذريعة لارتفاع قيمته، فقال له معاوية: فهلا نصرته، ولمّ قعدت عن بيعته؟ فإنّي لو سمعت من النبي ﷺ مثل الذي سمعت منه ﷺ في علي عليه السلام لكنت خادماً له ما عشت... (انظر مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي ج ٣: ص ١٤). فيعرف من هذه الروايات وأمثالها أنّ هذه الحجج الدينيّة كانت عند أتباع السقيفة بمثابة المتاع في السوق يتعاملون عليها ما دام



فليس له عذر مقبول من دون ريب^(١).



تقتضي مصالحهم ويعجبهم بيانه. وعليه فلم يكن ذكر فضائل الإمام عليه السلام منه لغاية الدين، فلا حظ.

(١) وبعبارة أوضح أنّ الحجّة قد قامت عند سعد بن أبي وقاص على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام شرعاً وعقلاً وتنجز لديه الأمر بلا ريب، كما تقدمت الإشارة إلى بعضها، فلا يكون معذوراً بمخالفته للإمام عليه السلام، لأنّه بنفسه قد سمع من رسول الله ﷺ الروايات الدالة على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وخلافته بعد رسول الله ﷺ بلا فصل، واليك بعض ما رواه عن النبي ﷺ: فقد روى ابن ماجه في سنن بسنده عن سعد بن أبي وقاص، قال: قدم معاوية في بعض حجّاته، فدخل عليه سعد، فذكروا علياً. فقال منه. فغضب سعد، وقال: تقول هذا لرجل سمعت رسول الله ﷺ يقول «من كنت مولاه فعلي مولاه»، وسمعت يقول: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبي بعدي». وسمعت يقول «لأعطين الراية اليوم رجلاً يحبّ الله ورسوله» (سنن ابن ماجه ج ١: ص ٤٥). وروى ابن عساكر بسنده عن عائشة بنت سعد عن سعد أنّه قال: كنّا مع رسول الله ﷺ بطريق مكّة وهو متوجّه إليها، فلما بلغ غدير خمّ الذي بخرم وقف الناس ثمّ ردّ من مضى ولحقه منهم من تخلّف، فلما اجتمع الناس قال: «أيّها الناس، هل بلّغت؟» قالوا: نعم، قال: «اللّهم اشهد»، ثمّ قال «أيّها الناس، هل بلّغت؟» قالوا: نعم، قال: «اللّهم اشهد (ثلاثاً). أيّها الناس، من وليكم؟» قالوا: الله ورسوله (ثلاثاً)، ثمّ أخذ بيد علي بن أبي طالب، فأقامه فقال: وقال ابن النّقر: ثمّ قال: «من كان الله ورسوله وليّه، فإنّ هذا وليّه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه» (تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٢٢٣). وروى بسنده عن الحارث بن ثعلبة قال: سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: لقد كانت لعلي خصال لأن تكون لي واحدة منها أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها:.... وقال له يوم غدير خمّ: «من كنت مولاه فعلي مولاه» (تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ١١٩). وروى بسنده عن الحارث بن مالك قال: أتيت مكّة فلقيت سعد بن أبي وقاص، فقلت: هل سمعت لعلي منقبة؟ قال: قد





سمعت له أربعاً لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليّ من الدنيا أعمّر فيها مثل عمر نوح عليه السلام... - إلى أن قال -: والرابعة يوم غدیر خمّ قام رسول الله ﷺ فأبلغ، ثمّ قال: «يا أيّها الناس، ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ (ثلاث مرّات)»، قالوا: بلي. قال: «ادن يا علي»، فرفع يده ورفع رسول الله ﷺ يده حتّى نظرت إلى بياض أبطيه، فقال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه (حتّى قالها ثلاث مرّات)»... (تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ١١٦). وروى بسنده عن خيثمة بن عبد الرحمن قال: قلت لسعد بن أبي وقاص: ما خلفك عن علي؟ أشيء رأيته أو شيء سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: لا، بل شيء رأيته، أما إنّي قد سمعت له من رسول الله ﷺ ثلاثاً لو تكون واحدة لي منها أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس ومن الدنيا وما فيها... - إلى أن قال -: وقال رسول الله ﷺ يوم خمّ ورفع بيد علي فقال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» (تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ١١٨). وروى بسنده عن عبد الرحمن بن سابط، عن سعد بن أبي وقاص قال: قدم معاوية في بعض حجّاته، فأثاه سعد بن أبي وقاص، فذكروا عليّاً، فقال سعد: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي ثلاث خصال لأن تكون لي واحدة منهن أحبّ إليّ من الدنيا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»... (تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ١١٦). وروى بسنده عن إبراهيم بن المهاجر بن مسمار، عن أبيه، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال: قال سعد: أما والله إنّي لأعرف عليّاً وما قال له رسول الله ﷺ، أشهد أنّه لقال لعليّ يوم غدیر خمّ ونحن قعود معه، فأخذ بضبعه ثمّ قام به، ثمّ قال: «أيّها النّاس، من مولاكم؟» قالوا: الله ورسوله. قال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهم عاد من عاداه ووال من والاه»... (تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ١١٤). وروى بسنده عن عائشة بنت سعد، عن سعد أنّه قال: كنّا مع رسول الله ﷺ بطريق مكّة وهو متوجّه إليها، فلمّا بلغ غدیر خمّ الذي بخرم وقف النّاس ثمّ ردّ من مضى ولحقه منهم من تخلف، فلمّا اجتمع النّاس قال: «أيّها النّاس، هل بلغت؟» قالوا: نعم. قال: «اللّهم اشهد»؛ ثمّ قال: «أيّها النّاس، هل بلغت؟» قالوا: نعم. قال: «اللّهم اشهد (ثلاثاً)؛ أيّها النّاس من وليكم؟» قالوا: الله ورسوله (ثلاثاً). ثمّ أخذ بيد عليّ بن أبي طالب فأقامه فقال (وقال ابن النّوّور): ثمّ قال: «من كان الله ورسوله وليّه فإنّ هذا وليّه،



وثالثها: ما نقله من قول ابن سعد له ^(١)،



اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» (تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٢٢٣). وإلى غير ذلك من الروايات التي رواها سعد بن أبي وقاص عن رسول الله ﷺ، وهل يبقى بعد ذلك له عذر؟ كلا ثم كلا.

(١) والمقصود به هو ما رواه أحمد بن حنبل بسنده عن عامر بن سعد أن أخاه عمر انطلق إلى سعد في غنم له خارجاً من المدينة فلما رآه سعد قال أعوذ بالله من شر هذا الراكب فلما أتاه قال: يا أبت أرضيت أن تكون أعرابياً في غنمك والناس يتنازعون في الملك بالمدينة، فضرب سعد صدر عمر وقال: اسكت، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله عز وجل يحب العبد التقي الغني الخفي» (مسند أحمد بن حنبل ج ١: ص ١٦٨). فقد استدلل ابن تيمية بهذا الخبر على أن اعتزال سعد بن أبي وقاص عن الناس وعدم بيعته مع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام دليل على زهده.

أقول: لا يخفى على الباحث المواقف المتناقضة من سعد بن أبي وقاص تجاه مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فإنها واضحة في دلالة سيرته وتصرفاته على فساد معتقده، إذ أنه كان يعرف مكانة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ومنزلته عند الله ورسوله ﷺ، ومع ذلك تخلف عن بيعته عليه السلام حسداً وبغضاً كما نص على ذلك ابن قتيبة في الإمامة والسياسة حيث روى عن عمار أنه أتى سعد بن أبي وقاص فكلّمه، فأظهر الكلام القبيح، فانصرف عمار إلى علي عليه السلام، فقال له علي عليه السلام: «دع هؤلاء الرهط، أما ابن عمر فضعيف، وأما سعد فحسود، وذنبني إلى محمد بن مسلمة أنني قتلت أخاه يوم خيبر مرحب اليهودي» (الإمامة والسياسة ج ١: ص ٥٢). ويظهر من الخبر أن عمار بن ياسر طلب منه أن يبايع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولكن سعد بن أبي وقاص إظهار كلاماً قبيحاً، ليعرف عمار عمق عداوته وحقده وبغضه بالنسبة إلى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان قبح الكلام إلى حد أنصرف عنه عمار، وجاء إلى مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يخبره عما حدث.





فقال له الإمام عليه السلام: «دع هؤلاء الرهط، أما ابن عمر فضعيف، وأما سعد فحسود...»، فيظهر أن بغض سعد بن أبي وقاص للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان إلى أبعد الحال بحيث أن الإمام عليه السلام لم يأمل فيه التغيير. قال ابن عبد البر في الاستيعاب: سئل علي عليه السلام عن الذين قعدوا عن بيعته ونصرته والقيام معه، فقال: «أولئك قوم خذلوا الحق، ولم ينصروا الباطل»، ومات سعد بن أبي وقاص في قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة، وحمل إلى المدينة على أعناق الرجال، ودفن بالعقيق، وصلى عليه مروان ابن الحكم (الاستيعاب ج ٢: ص ٦١٠). وقد استفاد من لا تضلع له من كلام الإمام عليه السلام: لم ينصرا الباطل رضاه عليه السلام عنهم، كما جاءت هذه العبارة في نهج البلاغة في كلماته عليه السلام القصار في الذين اعتزلوا القتال معه: «أنهم خذلوا الحق، ولم ينصروا الباطل» (نهج البلاغة: كلمات القصار رقم ١٨). وقال ابن أبي الحديد في شرحه ما هذا نص عبارته: قد سبق ذكر هؤلاء فيما تقدم، وهم عبد الله بن عمر بن الخطاب، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وأسماء بن زيد، ومحمد بن مسلمة، وأنس بن مالك، وجماعة غيرهم. وقد ذكر شيخنا أبو الحسين في "الغرر" أن أمير المؤمنين عليه السلام لما دعاهم إلى القتال معه، واعتذروا بما اعتذروا به، قال لهم: أتتكرون هذه البيعة؟ قالوا: لا، لكننا لا نقاتل، فقال: إذا بايعتم فقد قاتلتم، قال: فسلموا بذلك من الدم، لأن إمامهم رضى عنهم (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٨: ص ١١٥). ولا شك أن هذا الاستدلال باطل، لأنه أولاً: لا معنى لرضا الإمام عليه السلام عن الباطل. وثانياً: أن هذا الاستدلال مخالف لصريح القرآن فقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (سورة الحجرات: ٩). فقلوه تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي...﴾ أمر بلزوم قتال الفئة الباغية، وإذا كان قتال الفئة الباغية واجب على سعد بن أبي وقاص وأضرابه فاعتزله مخالفة صريحة لقول الله عز وجل. هذا مع قطع النظر عن لزوم البيعة مع الإمام عليه السلام حيث أن عدم البيعة أيضاً موجب لكون ميثته ميتة جاهلية وكفر. فبناءً على النصوص المتواترة المتفقة عليها بين الفريقين،



فإنَّه من البهتان البين لما ذكره أهل مذهبه من هرع الناس إلى علي عليه السلام



أن مات ولم يبايع إمام زمانه مات ميتة جاهلية. مضافاً إلى الروايات المتواترة التي رواها الفريقين عن رسول الله ﷺ قال: «علي مع الحق والحق مع علي يدور حيث ما دار»، منها: مارواه القندوزي الحنفي بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري، أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في علي عليه السلام خصالاً لو كانت واحدة منها في رجل اكتفى بها فضلاً وشرفاً، قوله عليه السلام: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، وقوله عليه السلام: «علي مني كهارون من موسى»، وقوله عليه السلام: «علي مني وأنا منه»، وقوله عليه السلام: «علي مني كنفي، طاعته طاعتي ومعصيته معصيتي»، وقوله عليه السلام: «حرب علي حرب الله، وسلم علي سلم الله»، وقوله عليه السلام: «ولي علي ولي الله وعدو علي عدو الله»، وقوله عليه السلام: «علي حجة الله على عباده»، وقوله عليه السلام: «حب علي إيمان وبغضه كفر»، وقوله عليه السلام: «حزب علي حزب الله، وحزب أعدائه حزب الشيطان»، وقوله عليه السلام: «علي مع الحق والحق معه لا يفترقان»، وقوله عليه السلام: «علي قسيم الجنة والنار»، وقوله عليه السلام: «من فارق علياً فقد فارقني، ومن فارقني فقد فارق الله»، وقوله عليه السلام: «شيعه علي هم الفائزون يوم القيامة» (ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ج ١: ص ١٧٢). فسعد بن أبي وقاص غير معذور في ذلك بل أنه ذهب لأبعد من ذلك في بغضه لمولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث أنه زعم بأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أشرك في دم عثمان، وذلك كما في الخبر الذي رواه ابن عبد ربّه الأندلسي في العقد الفريد عن العتيبي، قال: قال رجل من بني سليم: قدمت المدينة فلقيت سعد بن أبي وقاص فقلت: يا أبا إسحاق، من الذي قتل عثمان؟ قال: قتله سيف عائشة وشحذه طلحة وسمّه علي، قلت: فما حال الزبير؟ قال: أشار بيده وصمت بلسانه (انظر العقد الفريد ج ٣: ص ٨٤). فأنّه اتهم الإمام عليه السلام بأنه أشرك في دم عثمان وهذا من هتافات بني أمية. فهو بالنتيجة جاحد لما ثبت لديه باليقين امامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من الله ورسوله ﷺ كما لا يخفى على أحد، فلاحظ.

ليبايعوه بدون حدوث منازعة في البين وعدم وجود طالب لها يومئذ حسبما مرّ التنبيه على ذلك^(١).

(١) هذه العبارة إشارة إلى انعقاد الإجماع لبيعة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد مقتل عثمان، فإنّ الباحث لو تأمل في المصادر الإسلامية ودرسها دراسة علمية موضوعية خارجة عن التعصّب يجد بوضوح انعقاد الإجماع على خلافة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ببيعة معتبرة عند أهل التسنن من دون أي تنازع ومعارض؛ فقد روى البلاذري وقال: وخرج علي فأتى منزله، وجاء الناس كلّهم يهرعون إلى علي عليه السلام، أصحاب النبي وغيرهم، وهم يقولون: إنّ أمير المؤمنين علي حتّى دخلوا داره، فقالوا له: نبايعك، فمدّ يدك فإنه لا بدّ من أمير، فقال علي عليه السلام: «ليس ذلك إليكم، إنّما ذلك إلى أهل بدر، فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة»، فلم يبق أحد من أهل بدر إلّا أتى عليّاً، فقالوا: ما نرى أحداً أحقّ بهذا الأمر منك... فلمّا رأى علي عليه السلام ذلك صعد المنبر وكان أوّل من صعد إليه فبايعه طلحة بيده، وكانت إصبع طلحة شلاء فتطير منها علي وقال: «ما أخلقه أن ينكث» (أنساب الأشراف ج ٥: ص ٥٦٠). وروى الخوارزمي في مناقبه بسنده عن سعيد بن المسيّب: خرج علي عليه السلام فأتى منزله، وجاء الناس كلّهم يهرعون إلى علي عليه السلام، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يقولون أمير المؤمنين علي عليه السلام، حتّى دخلوا عليه داره، فقالوا له: نبايعك، فمدّ يدك؛ فلا بدّ من أمير فقال علي عليه السلام: «ليس ذلك إليكم، إنّما ذلك لأهل بدر، فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة». فلم يبق من أهل بدر إلّا أتى عليّاً، فقالوا: ما نرى أحداً أحقّ بها منك؛ مدّ يدك نبايعك. فقال: أين طلحة والزبير؟ فكان أوّل من بايعه طلحة، فبايعه بيده، وكانت إصبع طلحة شلاء، فتطير منها علي وقال: «ما أخلقه أن ينكث». ثمّ بايعه الزبير وسعد، وأصحاب النبي صلى الله عليه وآله جميعاً (المناقب للخوارزمي: ص ٤٩ ح ١١). وروى ابن عبد ربّه أنّه لما قُتل عثمان بن عفّان، أقبل الناس يهرعون إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، فتراكمت عليه الجماعة في البيعة، فقال: «ليس ذلك إليكم، إنّما ذلك لأهل بدر ليبايعوا». فقال: «أين طلحة والزبير وسعد؟» فأقبلوا فبايعوا، ثمّ بايعه المهاجرون والأنصار، ثمّ بايعه الناس. وذلك يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من ذي



الحجّة سنة خمس وثلاثين وكان أوّل من بايع طلحة، فكانت إصبعة شلاءً، فتطير منها عليّ، وقال: «ما أخلقه أن ينكث» (العقد الفريد ج ٣: ص ٣١١). وروى ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة بسنده عن ابن عباس: أنّه لمّا دخل عليّ عليه السلام المسجد وجاء الناس ليبايعوه، خفت أن يتكلّم بعض أهل الشنآن لعليّ عليه السلام؛ ممّن قتل أباه أو أخاه أو ذا قرابته في حياة رسول الله ﷺ، فيزهد عليّ في الأمر ويتركه، فكنّتُ أرصد ذلك وأتخوفه، فلم يتكلّم أحد حتّى بايعه الناس كلّهم، راضين مسلمين غير مكرهين (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٤: ص ١٠). وقال ابن الأعمش في الفتوح: قالت الأنصار للناس: إنّكم قد عرفتم فضل عليّ بن أبي طالب عليه السلام وسابقتّه وقرابته ومنزلته من النبيّ ﷺ، مع علمه بحلالكم وحرامكم، وحاجتكم إليه من بين الصحابة، ولن يألوكم نصحاً، ولو علمنا مكان أحد هو أفضل منه وأجمل لهذا الأمر وأولى به منه لدعوناكم إليه. فقال الناس كلّهم بكلمة واحدة: رضينا به طائعين غير كارهين فقال لهم عليّ عليه السلام: «أخبروني عن قولكم هذا: رضينا به طائعين غير كارهين أحقّ واجب هذا من الله عليكم، أم رأي رأيتموه من عند أنفسكم؟» قالوا: بل هو واجب أوجبه الله عزّ وجلّ لك علينا (انظر الفتوح لابن الأعمش ج ٢: ص ٤٢٥). وقال صاحب كتاب الجمل بسنده عن عبد الحميد بن عبد الرحمن عن ابن أبيزى: ألا أحدثك ما رأيت عيناى وسمعت أذناى!! لمّا التقى الناس عند بيت المال قال عليّ لطلحة: «إبسط يدك أبايعك». فقال طلحة: أنت أحقّ بهذا الأمر مني، وقد اجتمع لك من أهواء الناس ما لم يجتمع لي. فقال عليه السلام له: «ما خشينا غيرك!» فقال طلحة: لا تخش، فوالله لا تؤتى من قبلي، وقام عمّار بن ياسر، وأبو الهيثم بن التّيهان، ورفاعة بن رافع بن مالك بن العجلان، وأبو أيّوب خالد بن زيد، فقالوا لعليّ: «إنّ هذا الأمر قد فسد، وقد رأيت ما صنع عثمان، وما أتاه من خلاف الكتاب والسنة، فابسط يدك نبايعك، لتصلح من أمر الأمة ما قد فسد»، فاستقال عليّ عليه السلام وقال: «قد رأيتم ما صنع بي، وعرفتم رأي القوم، فلا حاجة لي فيهم فأقبلوا على الأنصار»، فقالوا: يا معاشر الأنصار، أنتم أنصار الله وأنصار رسوله، وبرسوله أكرمكم الله تعالى، وقد علمتم فضل عليّ عليه السلام وسابقتّه في الإسلام، وقرابته ومكانته التي كانت له من النبيّ ﷺ، وإن ولي أنالكم خيراً. فقال





القوم: نحن أَرْضَى الناس به، ما نريد به بدلاً ثم اجتمعوا عليه، فلم يزالوا به حتَّى بايعوه (انظر كتاب الجمل لضا من بن شدقم: ص ١٢٨). وروى ابن الأثير بسنده عن الزهري عن ابن المسيَّب قال لَمَّا قتل عثمان جاء الناس كلَّهم إلى عليٍّ عليه السلام يهرعون أصحاب محمدٍ ﷺ وغيرهم كلَّهم يقول أمير المؤمنين عليٍّ حتَّى دخلوا عليه داره فقالوا: نبايعك فمد يدك فأنت أحقُّ بها، فقال علي: «ليس ذاك إليكم إنَّما ذاك إلى أهل بدر، فمن رضى به أهل بدر فهو خليفة»، فلم يبق أحد إلا أتى علياً فقالوا: ما نرى أحداً أحقُّ بها منك، فمد يدك نبايعك، فقال: «أين طلحة والزبير؟» فكان أول من بايعه طلحة بلسانه وسعد بيده، فلَمَّا رأى على ذلك خرج إلى المسجد فصعد المنبر، فكان أول من صعد إليه فبايعه طلحة وتابعه الزبير وأصحاب النبي ﷺ (انظر أسد الغابة لابن الأثير ج ٤: ص ٣٢). وإلى غير ذلك من الأقوال. وبعد اعتقاد علماء أهل السنة بحجَّة إجماع الصحابة، وتصريحهم بانعقاد الإجماع على خلافة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والبيعة له للخلافة والإمامة بعد مقتل عثمان، لا يبقى مجال لدعوى التنازع على ما جاء في الحديث الذي رواه أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن عامر بن سعد أنَّ أخاه عمر انطلق إلى سعد في غنم له خارجاً من المدينة فلَمَّا رآه سعد قال: أعوذ بالله من شرِّ هذا الراكب، فلَمَّا أتاه قال: يا أبت أَرْضِيت أن تكون أعرابياً في غنمك والناس يتنازعون في الملك بالمدينة، فضرب سعد صدر عمر وقال: اسكت، إنَّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ يحبُّ العبد التقي الغني الخفي» (مسند أحمد بن حنبل ج ١: ص ١٦٨). فإنَّ كذبه واضح ظاهر حيث أنَّ الروايات المتواترة تدلُّ على أنَّ الناس هرعوا إلى بيعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بدون حدوث منازعة كما تقدَّمت الإشارة إلى بعض الروايات والنصوص في هذا المجال. ولا يخفى على الخبير أنَّ علماء أهل السنة يعتقدون بحجَّة الإجماع، وأنَّه لو قام الإجماع على خلافة أحد يلزم على جميع المسلمين البيعة له للخلافة والإمامة؛ لأنَّ الإجماع حجَّة شرعية عندهم يلزمهم العمل به، والمخالف له يكون مخالفاً للشريعة المقدَّسة. وبناءً على هذا الاعتقاد فإنَّ تخلف سعد بن أبي وقَّاص وابن عمر وغيرهما من الصحابة لا يقدر في حجَّة الإجماع الحاصل، بل أنَّ مخالفة هذه



ورابعها: ما زعمه من تفضيل الشيعة محمد بن أبي بكر^(١)



الشرذمة القليلة دليل على عدم ايمانهم، لأنّه موجب للقدح فيما بنى عليه أهل السنّة في باب الإجماع والإمامة، فلاحظ.

(١) وهو محمد بن أبي بكر بن أبي قحافة، وأمّه أسماء بنت عميس، ولد في حجة الوداع سنة العاشرة من الهجرة بذى الحليفة، في وقت كان رسول الله ﷺ قد تهيأ مع جميع أصحابه لأداء حجة الوداع. وكانت أمّه أسماء بنت عميس قد تزوّجت جعفر بن أبي طالب وهاجرت معه إلى الحبشة، وبعد استشهاد جعفر في غزوة موته تزوّجها أبو بكر، وبعد موت أبي بكر تزوّجها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فانتقلت أسماء بنت عميس إلى بيت الإمام عليه السلام مع أولادها وفيهم محمد الذي كان يومئذ ابن ثلاث سنين. فنشأ محمد في حجر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى جانب الإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام، وامتزجت روحه بهما، وكان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يعتبره مثل أبنائه حيث يقول فيه: «محمد ابني من صلب أبي بكر» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٦: ص ٥٣). وقال ابن أبي الحديد: كان محمد (ابن أبي بكر) من نساك قريش (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٦: ص ٥٤). وروى الكشي بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «كان عمار بن ياسر، ومحمد بن أبي بكر، لا يرضيان أن يعصى الله عز وجل» (رجال الكشي ج ١: ص ٢٨١). وأيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «ما من أهل بيت إلّا ومنهم نجيب من أنفسهم، وأنجب النجباء من أهل بيت سوء، منهم محمد بن أبي بكر» (رجال الكشي ج ١: ص ٢٨٣). وأيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «فمحمد بن أبي بكر أتمته النجابة من قبل أمّه أسماء بنت عميس» (الاختصاص للشيخ المفيد: ص ٧٠). وعن الإمام الكاظم عليه السلام أنّه قال: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين حواري محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ، الذين لم ينقضوا العهد ومضوا عليه؟ فيقوم سلمان والمقداد وأبو ذر. ثمّ ينادي مناد: أين حواري علي بن أبي طالب عليه السلام وصيّ محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ؟ فيقوم... ومحمد بن أبي بكر... فهؤلاء المتحوّرة أوّل السابقين، وأوّل المقربين، وأوّل



منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨ ١٣٩
على أبيه فإنك قد عرفت كذبه في ذلك فيما مرّ، وإنّه لا وجه للتفضيل مع



المتحوّرين من التابعين» (رجال الكشي ج ١: ص ٤٣). ويقال: أنّه تزوّج أخت السيّد شاه زنان بنت يزدجر ملك الفرس، زوجة الإمام الحسين عليه السلام، وأمّ الإمام زين العابدين عليه السلام (انظر الإرشاد للشيخ المفيد رحمه الله ج ١: ص ١٣٧). وكان محمّد في مصر أيام حكومة عثمان، وبدأ فيها بانتقاد عثمان وحكومته الظالمة. وكل ما كان يصدر منه من القول والفعل دليل على أنّه كان بجانب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد تصديّة الإمام عليه السلام للخلافة الظاهرية كان أحد أركان دولة الامام عليه السلام. وهو الذي حمل كتاب الإمام عليه السلام إلى أهل الكوفة قبل نشوب حرب الجمل، وكان من قادة جيش الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في حرب الجمل. وبعد غلبة الامام عليه السلام تولّى متابعة الشؤون المتعلقة بعائشة بأمر الإمام عليه السلام، وأعادها إلى المدينة (انظر شرح نهج البلاغة ج ٦: ص ٥٢). وقد ولّاه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على مصر سنة ٣٦ من الهجرة بعد عزل قيس بن سعد عنها. ولمّا تخاذل أصحاب الإمام عليه السلام عن نصرته عليه السلام بعد واقعة صفين وقصة الحكمية، تركوه وحيداً فاغتنم معاوية هذه الفرصة واستطاع أن يغتاله، ويسخر مصر تحت قدرته. فاستشهد بمصر سنة ثمانية وثلاثين من الهجرة على يد عمرو بن العاص، الذي أرسله معاوية بن أبي سفيان مع جيش جرّار لاحتلال مصر، ثمّ وضعوه في جوف جلد حمار ميّت واحرقوه بالنار، ودُفن في القاهرة، وقبره معروف يُزار (انظر شرح نهج البلاغة ج ٦: ص ٥٣). وكان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يشني عليه ويذكره بخير في مناسبات مختلفة ويقول: «لقد كان إليّ حبيباً وكان لي ربيباً، فعند الله نحتسبه ولداً ناصحاً وعاملاً كادحاً وسيفاً قاطعاً وركناً دافعاً» (انظر الغارات ج ١: ص ٣٠٠). فتفضيل الشيعة لمحمد بن أبي بكر من جهة ثناء مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عليه وإيمانه الراسخ بالله وإمام زمانه، كما سيّضح ذلك للقارئ الكريم من خلال المباحث الآتية ان شاء الله تعالى.

عدم المشاركة في الفضل^(١).

وأما تعظيمهم له فمن جهة إيمانه ومتابعته إمامه^(٢).

(١) وتوضيح المقام أن التفضيل بين الشخصين إنما يصح إذا كان الفضل موجوداً في طرفي المقايسة. وأما إذا لم يوجد الفضل في أحد طرفي المقايسة، فلا معنى للتفضيل بينهما، فإنه كالحجر في جنب الانسان. وايضا من المعلوم أن الفضيلة من الأمور التي تجب اثباتها للطرف المقابل بالأدلة المعتبرة عنده، ولا يخفى على الخبير أن الشيعة تعتقد بأن الفضيلة تلازم الإيمان وقبول الولاية، لما دلّ على ذلك الآيات والروايات التي سند كرها في محله. ومعناه أن الأعمال لا تقبل إلا لمن أقرّ بولاية مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأئمة أهل البيت عليه السلام، كما ورد في ذلك الروايات المتواترة عن أئمة أهل البيت عليه السلام. وعليه فلا معنى للمقايسة بين من له الإيمان ومن ليس له الإيمان وقد قال تبارك وتعالى: ﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطِ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبُئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (سورة آل عمران: ١٦٢). وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ (سورة الرعد: ١٦). وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾ (سورة الفاطر: ١٩-٢٠). فبناءً على هذه القاعدة المسلّمة لا معنى للقول بأن الشيعة تفضّل محمد بن أبي بكر على أبيه، لأن المقايسة بينهما يرجع إلى المقايسة بين من له الإيمان والاعتقاد بولاية مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ومن ليس كذلك. وعليه فإجماع جميع علماء الشيعة قائم على أن من لا ولاية له، لا إيمان له، ومن لا إيمان له لا فضيلة له. والنتيجة أنه لا معنى للمقايسة والمفاضلة بين محمد بن أبي بكر وأبيه، فلاحظ.

(٢) لقد كان محمد بن أبي بكر الابن البار لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام، وعاش معه في رحلة جهاد وكفاح مدة طويلة، ورضع الولاء والتشيع من أهل البيت عليه السلام منذ زمن الصبي في حجر مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فلم يكن يعرف أباً له غير الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ولم يكن يعتقد لأحد من خلفاء الجور فضيلة، حتى قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في حقّه: «محمد ابني من صلب



أبي بكر» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٦: ص ٥٣). وقال ابن أبي الحديد: كان محمد من نساك قريش (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٦: ص ٥٤). وروى الكشي بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «كان عمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر لا يرضيان أن يعصى الله عز وجل» (رجال الكشي ج ١: ص ٢٨١). وأيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ما من أهل بيت إلا ومنهم نجيب من أنفسهم، وأنجب النجباء من أهل بيت سوء، منهم محمد بن أبي بكر» (رجال الكشي ج ١: ص ٢٨٣). وأيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «فمحمد بن أبي بكر أتمه النجابة من قبل أمه أسماء بنت عميس» (الاختصاص للشيخ المفيد رحمه الله: ص ٧٠). وعن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين حواري محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ، الذين لم ينقضوا العهد ومضوا عليه؟ فيقوم سلمان والمقداد وأبو ذر. ثم ينادي مناد: أين حواري علي بن أبي طالب عليه السلام وصي محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ؟ فيقوم... ومحمد بن أبي بكر... فهؤلاء المتحورة أول السابقين، وأول المقربين، وأول المتحورين من التابعين» (رجال الكشي ج ١: ص ٤٣). ويعرف صلابته في الإيمان وولائه لمولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من مناظرته مع معاوية وقد رواها الفريقين في كتبهم فروى المسعودي في مروج الذهب أنه لما صرف الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قيس بن سعد بن عباد عن مصر وجه مكانه محمد بن أبي بكر فلما وصل إليها كتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية كتاباً فيه: «من محمد بن أبي بكر إلى الغاوي معاوية بن صخر: أما بعد فإن الله بعظمته وسلطانه خلق خلقه بلا عبث منه ولا ضعف في قوته ولا حاجة به إلى خلقهم لكنه خلقهم عبيداً وجعل منهم غوياً ورشيداً وشقيماً وسعيداً، ثم اختار على علم واصطفى وانتخب منهم محمداً ﷺ فانتخبه لعلمه واصطفاه لرسالته واثمنه على وحيه وبعثه رسولاً ومبشراً ونذيراً، فكان أول من أجاب وأناب وآمن وصدق وأسلم وسلم أخوه وابن عمه علي بن أبي طالب، صدقه بالغيب المكتوم وآثره على كل حميم ووقاه بنفسه كل هول وحارب حربه وسالم سلمه فلم يرح مبتذلاً لنفسه في ساعات الليل والنهار والخوف والجوع والخضوع حتى برز سابقاً لا نظير له فيمن اتبعه ولا مقارب له





في فعله، وقد رأيتك تساميه وأنت أنت وهو أصدق الناس نية، وأفضل الناس ذرية، وخير الناس زوجة وأفضل الناس ابن عم أخوه الشاري بنفسه يوم موته، وعمه سيد الشهداء يوم أحد، وأبوه الذاب عن رسول الله ﷺ وعن حوزته وأنت اللعين ابن اللعين لم تزل أنت وأبوك تبغيان لرسول الله ﷺ الغوائل، وتجهدان في إطفاء نور الله، تجمعان على ذلك الجموع، وتبذلان فيه المال، وتؤلبان عليه القبائل على ذلك مات أبوك وعليه خلفته والشهيد عليك من تدنى ويلجأ إليك من بقية الأحزاب ورؤساء النفاق والشاهد لعلي مع فضله المبين القديم أنصاره الذين معه الذين ذكرهم الله بفضلهم، وأثنى عليهم من المهاجرين والأنصار وهم معه كتائب وعصائب يرون الحق في اتباعه والشقاء في خلافه، فكيف يا لك الويل تعدل نفسك بعلي وهو وارث رسول الله ﷺ ووصيه وأبو ولده، أول الناس له اتباعاً وأقربهم به عهداً، يخبره بسرّه ويطلع على أمره، وأنت عدوه وابن عدوه فتمتع في دنياك ما استطعت بباطلك، وليمددك ابن العاص في غوايتك، فكأن أجلك قد انقضى وكيدك قد وهى، ثم يتبين لك لمن تكون العاقبة العليا، واعلم أنك أنما تكايد ربك الذي آمنك كيده ويثست من روحه فهو لك بالمرصاد وأنت منه في غرور والسلام على من اتبع الهدى".

فأجابه معاوية في كتاب أرسله إليه بما خلاصته: فقد كنّا وأبوك فينا نعرف فضل ابن أبي طالب وحقّه لازماً لنا مبروراً علينا فلما قبض الله نبيّه كان أبوك وفاروقه أول من ابتزّه حقّه، وخالفه على أمره على ذلك اتّفقا واتّسقا، ولولا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب ولسلمنا إليه ولكنّا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا فأخذنا بمثله فعب أباك بما بدا لك أودع والسلام على من أناب (انظر مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي ج ٣: ص ١١)، ورواه البلاذري في أنساب الأشراف ج ٢: ص ٣٩٣، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٣: ص ١٨٨، والشيخ الطبرسي في الاحتجاج ج ١: ص ٢٦٩ وغيرهم. ونستنتج من هذه المناظرة أنّ معاوية لم ينكر فضائل مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ومزاياه، ولكنّه تجرّأ عليه احتذاء بأبي بكر وعمر، ولولاهما لما تشجع على غصب الخلافة، ولا الجرأة على التقدّم على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي



وأما خصوص أذيته لعثمان فعلى فرض ثبوتها فهي وحدها غير موجبة لتعظيمه^(١).



طالب عليه السلام، كما اعترف معاوية في رسالته إلى محمد بن أبي بكر من أن أباه أبا بكر هو الذي مهّد له ولبنى أمية هذا البناء الفاسد، وهو الذي بنى ملكهم وشاده. وعلى كلّ تقدير فإنّ محمد بن أبي بكر يعرف صلابة إيمانه وقوّة ولاءه لمولانا من على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يعرف من مواقف العديدة من الإمام عليه السلام، ويتجسّد هذا المعنى أيضا ممّا رواه البيهقي بسنده عن جدي أسماء بن عتبة عن الإمام الحسن عليه السلام قال: «ربّ أخ لك لم تلده أمك» (شعب الإيمان ج ٦: ص ٤٩٧). ولعلّ الإمام عليه السلام يقصد بذلك محمد بن أبي بكر. وعليه فإنّ تعظيم الشيعة له من جهة إيمانه ومتابعته لأمام زمانه، فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّ هنا مقامان من البحث ، المقام الأوّل: هل أنّ محمد بن أبي بكر كان من المحرضين على قتل عثمان أم لا؟ والمقام الثاني: هل أنّ قتل عثمان بوحده يكون فضيلة عند الشيعة أم لا؟

أما المقام الأوّل: فلا يخفى على الخبير أنّ المصادر التاريخية المتّفق بين الفريقين قد أنّ قتل عثمان كان على يد الصحابة الثّائرين عليه من مختلف البلاد رافعين أصواتهم ضدّ الفساد والطغيان. والمهاجمين عليه كانوا جماعة من المسلمين معترضين عليه في ثورة شعبية عارمة. وسببها الفساد الذي بدأ يتهدّد المجتمع أنّ ذاك وقد ذكرت المصادر بأنّهم حيث شاهدوا مخالفات عثمان لكتاب الله العزيز والسنن النبويّة، وتسليطه الطلقاء وبنى أمية على المناصب الحكومية، وهم الذين كانوا يجرون السنن الجاهليّة بدل الأحكام الإسلاميّة، والظلم والاستبداد بدل الأحكام العادلة الاسلاميّة فحيث كان الناس يعانون حكومته، ووصل بهم إلى حدّ لم يمكنهم السكوت عما وجدوا منه ، فثاروا عليه، وقتلوه ودفنوه في مقابر اليهود، تنبيهاً على أنّه لم يكن من المسلمين، كما سيّتبين ذلك للقارئ الكريم من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى. فالذين شاركوا في قتل عثمان ليسوا من الزنادقة،





بل كانوا من الصحابة وكثير منهم كان إلى درجة يستحيل تجاهلهم. ومما يدل على أن المحرضين على قتل عثمان كانوا من الصحابة، ما نقله الترمذي في سننه من أن عثمان كان يناشد من سمع رسول الله ﷺ يذكر فضائله، بقوله: هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان قال:.... (انظر سنن الترمذي ج ٥: ص ٢٩٠). فخطابه ومناشدته كانت للصحابة الذين كانوا حول رسول الله ﷺ. وهذا معناه أن المحرضين عليه كانوا من الصحابة الذين كانوا مع النبي ﷺ وقد سمعوا حديثه ﷺ، حيث أنشدهم عثمان بما سمعوا من النبي ﷺ. قال ابن حجر في الإصابة: وجاء من طرق شهيرة صحيحة عن عثمان لما أن حصروه أنشد الصحابة في أشياء منها تجهيزه جيش العسرة، ومنها مبايعة النبي تحت الشجرة لما أرسله إلى مكة، ومنها شراؤه بئر رومة وغير ذلك (انظر الإصابة لابن حجر ج ٣: ص ٢٢٣). فالمحرضين على قتله هم الصحابة، وقد ذكروا أن من المحرضين على قتله محمد بن أبي بكر، قال ابن عبد البر في الاستيعاب: واختلف فيمن باشر قتله بنفسه، ف قيل: محمد بن أبي بكر ضربه بمشقص وقيل: بل حبسه محمد بن أبي بكر وأسعده غيره، كان الذي قتله سودان بن حمران. وقيل: بل ولّى قتله رومان اليمامي. وقيل: بل رومان رجل من بني أسد بن خزيمه. وقيل: بل أن محمد بن أبي بكر أخذ بلحيته فهزّه (الاستيعاب ج ٣: ص ١٠٤٥). وقال ابن كثير في تاريخه: قال له عثمان: لقد أخذت بلحية كان أبوك يكرمها (البداية والنهاية ج ٧: ص ٢٠٧). وإلى غير ذلك من الروايات التي ذكرت أن محمد بن أبي بكر شارك في قتل عثمان أو قتله. ولكن ذكر ابن كثير بعد ما أشار إلى مشاركة محمد بن أبي بكر في قتل عثمان قائلاً: والصحيح أن الذي فعل ذلك غيره، وأنه استحي ورجع حين قال له عثمان: لقد أخذت بلحية كان أبوك يكرمها، فتندّم من ذلك وغطى وجهه ورجع، وحاجز دونه فلم يقدر، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، وكان ذلك في الكتاب مسطوراً (البداية والنهاية ج ٧: ص ٢٠٧). وقال ابن الأثير: أن محمد بن أبي بكر كان ممّن حصر عثمان بن عفان ودخل عليه ليقته، فقال له عثمان: لو رأك أبوك لساءه فعلك، فتركه وخرج ولما ولّى مصر سار إليه عمرو بن العاص فاقتلوا فانهمزم محمد ودخل خربة فأخرج منها وقتل وأحرق في جوف حمار ميت، قيل قتله معاوية بن خديج السكوني



أما علم السنّي بأنّ محمّد بن أبي بكر من زهّاد قريش ونسّاكها
وعبّادها؟^(١)



وقيل قتله عمرو بن العاص صبراً، ولما بلغ عائشة قتله اشتدّ عليها وقالت: كنت أعدّه ولداً وأخاً، ومذ أحرّق لم تأكل عائشة لحماً مشويّاً، وكان له فضل وعبادة وكان عليّ يثني عليه وهو أخو عبد الله بن جعفر لأمه وأخو يحيى بن علي لأمه، أخرجه الثلاثة (أسد الغابة ج ٤: ص ٣٢٥). وعلى كلّ تقدير فإنّ محمّد بن أبي بكر كان ممّن يستعظمه الصحابة سواء قتل عثمان أم لم يقتله وسواء شارك في قتله أم لم يشارك، قال ابن عبد البر: كان علي يثني عليه ويفضله، وكانت له عبادة واجتهاد... ولما بلغ عائشة قتله حزنت عليه جداً، وتولّت تربية ولده القاسم، فنشأ في حجرها فكان من أفضل أهل زمانه (الاستيعاب لابن عبد البر ج ٣: ص ١٣٦٦). وقال ابن خلكان: وذكره ابن يونس في تاريخه ثمّ قال: صاحب الشافعي، وقال: كانت له عبادة وفضل، ثقة في الحديث لا يختلف فيه، حاذق من أهل الفقه، وكان أحد الزهّاد في الدنيا، وكان من خير خلق الله عزّ وجلّ، ومناقبه كثيرة. وتوفّي لست بقين من شهر رمضان سنة أربع وستين ومأتين بمصر، ودفن بالقرب من تربة الإمام الشافعي (وفيات الأعيان ج ١: ص ١٩٦). ومن هنا يتبيّن الأمر في المقام الثاني وهو أنّ تعظيم الشيعة لمحمّد بن أبي بكر من جهة إيمانه ومتابعته لإمام زمانه فقط، فلاحظ.

(١) ذكره ابن أبي الحديد في شرح النهج ما هذا نص عبارته: كان محمّد من نسّاك قريش (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٦: ص ٥٤) وقال ابن خلكان: كانت له عبادة وفضل، ثقة في الحديث لا يختلف فيه، حاذق من أهل الفقه، وكان أحد الزهّاد في الدنيا، وكان من خير خلق الله عزّ وجلّ، ومناقبه كثيرة (وفيات الأعيان ج ١: ص ١٩٦). وقال ابن الأثير: وكان له فضل وعبادة وكان علي يثني عليه وهو أخو عبد الله بن جعفر لأمه وأخو يحيى بن علي لأمه أخرجه الثلاثة (أسد الغابة ج ٤: ص ٣٢٥). قال ابن عبد البر: كان علي يثني عليه ويفضله، وكانت له عبادة واجتهاد... ولما بلغ عائشة قتله حزنت عليه جداً، وتولّت تربية ولده القاسم، فنشأ في حجرها فكان من أفضل أهل زمانه (الاستيعاب



١٤٦ منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨

قاله حافظهم في استيعابه^(١). وكان علي عليه السلام يشني على محمد لعبادته ونسكه فتعظيمهم له هذه جهته^(٢).

نعم هو يحمّد في أذيته لذوي الفساد ومن هدر دمه ودم من معه من الصحابة بدون ذنب صدر منهم^(٣)،



لابن عبد البر ج ٣: ص ١٣٦٦). وإلى غير ذلك ممّا ورد في تعظيمه من كبار علماء أهل السّنة وكونه أهل العبادة والزهد، فلاحظ.

(١) انظر الاستيعاب لابن عبد البر ج ٣: ص ١٣٦٦

(٢) انظر الاستيعاب لابن عبد البر ج ٣: ص ١٣٦٦

(٣) وبعبارة أوضح أنّه بصورة عامة كلّ ما يفعله الانسان: إمّا أن يكون ممدوحاً في الشريعة المقدسة. وإمّا يكون مذموماً، من المعلوم أنّه إذا كان عمل الانسان مطابقاً على جاء في القرآن الكريم والسّنة النبوية فبطبيعة الحال يكون ممدوحاً شرعاً، وإذا كان على خلافهما فيكون مذموماً شرعاً. وهذه القاعدة جارية عند جميع المسلمين بلا استثناء. وعليه إذا أردنا تطبيق هذه القاعدة العامة على المقام لا بد أن نبحت في أنّ قتل عثمان هل كان مشروعاً بحسب أمر الكتاب والسّنة أم كان على خلاف ذلك؟

لا يخفى على الباحث الخبير أنّ قتل عثمان والثورة عليه كانت بسبب الفساد الذي شاع في حكومته وقد وصل إلى قمة هرمه. والذين شاركوا في قتله ليسوا من زنادقة، ولم يكونوا مجهولين حتّى يقال عنهم أنّهم خارجيّون بل كانوا من الصحابة وكثيراً منهم كان له المعروفة إلى درجة يستحيل تجاهلهم. فمما يدلّ على أنّ المحرضين على عثمان كانوا من الصحابة ما نقله الترمذي من أنّ عثمان كان يناشد من سمع رسول الله ﷺ يذكر فضائله، ويخاطبهم بقوله: هل تعلمون أنّ رسول الله ﷺ الله قال... (انظر سنن الترمذي ج ٥: ص ٢٩٠). فالخطاب والمناشدة إنّما كانت للصحابة الذين كانوا حول رسول الله ﷺ، كما قال ابن حجر في الإصابة: وجاء من طرق شهيرة صحيحة عن عثمان لما أنّ حصروه أنشد الصحابة في أشياء: منها تجهيزه جيش العسرة، ومنها مبايعة النبي تحت الشجرة لما





أرسله إلى مكة، ومنها شراؤه بئر رومة وغير ذلك (انظر الإصابة لابن حجر ج ٣: ص ٢٢٣).
 فالثورة على عثمان وقتله كان بسبب مخالفته للقرآن والسنة النبوية حين توليه الخلافة
 وكان اعتراض الصحابة عليه من هذه الجهة كما نص على ذلك المؤرخون والمحدثون،
 قال المسعودي: أن أبا ذر حضر مجلس عثمان ذات يوم فقال عثمان: "أرايتم من زكى
 ماله هل فيه حق لغيره؟" فقال كعب: لا يا أمير المؤمنين، فدفعت أبو ذر في صدر كعب
 وقال له: "كذبت يا ابن اليهودي"، ثم تلا: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ
 وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى
 الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي
 الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي
 الْبُاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (سورة
 البقرة: ١٧٧) فقال عثمان: أترون بأساً أن نأخذ مالا من بيت مال المسلمين فننفقه فيما
 ينوبنا من أمورنا ونعطيكموه؟ فقال كعب: لا بأس بذلك. فرفع أبو ذر العصا فدفعت بها في
 صدر كعب وقال: "يا ابن اليهودي ما أجراك على القول في ديننا؟" فقال له عثمان: ما
 أكثر أذاك لي، غيب وجهك عني فقد آذيتني. فخرج أبو ذر إلى الشام فكتب معاوية إلى
 عثمان أن أبا ذر تجتمع إليه الجموع ولا آمن أن يفسدهم عليك، فإن كان في القوم حاجة
 فاحمله إليك. فكتب إليه عثمان يحمله، فحمله على بعير عليه قتب يابس معه خمسة من
 الصقالبة يطيطون به حتى أتوا به المدينة قد تسلخت بواطن أفخاذه وكاد أن يتلف، ف قيل
 له: إنك تموت من ذلك. فقال: هيهات لن أموت حتى أنفي، وذكر جوامع ما نزل به بعد
 ومن يتولّى دفنه، فأحسن إليه في داره أياماً ثم دخل إليه فجلس على ركبتيه وتكلم
 بأشياء وذكر الخبر في ولد أبي العاص: إذا بلغوا ثلاثين رجلاً اتخذوا عباد الله خولاً. ومرّ
 في الخبر بطوله وتكلم بكلام كثير وكان في ذلك اليوم قد أتى عثمان بتركة عبد الرحمن
 بن عوف الزهري من المال فنضت البدر حتى حالت بين عثمان وبين الرجل القائم فقال
 عثمان: إنّي لأرجو لعبد الرحمن خيراً، لأنّه كان يتصدّق ويقرى الضيف وترك ما ترون.
 فقال كعب الأحبار: صدقت يا أمير المؤمنين! فشال أبو ذر العصا فضرب بها رأس كعب





ولم يشغله ما كان فيه من الألم وقال: يا ابن اليهودي! تقول لرجل مات وترك هذا المال أن الله أعطاه خير الدنيا وخير الآخرة وتقطع على الله بذلك وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما يسرّني أن أموت وأدع ما يزن قيراطاً». فقال له عثمان: وارعني وجهك، فقال: أسير إلى مكة. قال: لا والله. قال: فتمنعي من بيت ربي أعبد فيه حتى أموت؟ قال: اي والله. قال: فإلى الشام. قال: لا والله. قال: البصرة. قال: لا والله، فاختر غير هذه البلدان. قال: «لا والله ما أختار غير ما ذكرت لك، ولو تركتني في دار هجرتي ما أردت شيئاً من البلدان، فسيرني حيث شئت من البلاد». قال: فإنني مسيرك إلى الربرة، قال: «الله أكبر، صدق رسول الله ﷺ، قد أخبرني بكل ما أنا لاق» قال عثمان: وما قال لك؟ قال: أخبرني بأنني أُمْنَعُ عن مكة والمدينة وأموت بالربرة ويتولى مواردتي نفر ممن يردون من العراق نحو الحجاز. وبعث أبو ذر إلى جمل له فحمل عليه امرأته وقيل ابنته، وأمر عثمان أن لا يتجافاه الناس حتى يسير إلى الربرة، فلما طلع عن المدينة ومروان يسيره عنها إذ طلع عليه علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ومعه ابنه وعقيل أخوه وعبد الله بن جعفر وعمار بن ياسر، فاعترض مروان فقال: يا علي أن أمير المؤمنين قد نهى الناس أن يصحبوا أبا ذر في مسيره ويشيعوه، فإن كنت لم تدر بذلك فقد أعلمتك. فحمل عليه علي بن أبي طالب بالسوط بين أذني راحلته وقال: «تنح نحاك الله إلى النار»، ومضى مع أبي ذر فشيّعه ثم ودّعه وانصرف، فلما أراد الانصراف بكى أبو ذر، وقال: رحمكم الله أهل البيت إذا رأيتك يا أبا الحسن! وولدت ذكرت بكم رسول الله ﷺ، فشكا مروان إلى عثمان ما فعل به علي بن أبي طالب فقال عثمان: يا معشر المسلمين! من يعذرني من علي، ردّ رسولي عمار وجهته له وفعل كذا، والله لنعطينه حقه. فلما رجع علي استقبله الناس فقالوا: إن أمير المؤمنين عليك غضبان لتشيّعك أبا ذر، فقال علي: غضب الخيل على اللجم. ثم جاء فلما كان بالعشي جاء إلى عثمان فقال له: ما حملك على ما صنعت بمروان واجترأت علي ورددت رسولي وأمر؟ قال: أما مروان فإنه استقبلني يردني فرددته عن ردي؟ وأما أمرك فلم أرد، قال عثمان: أولم يبلغك إنني قد نهيت الناس عن أبي ذر وعن تشييعه؟ فقال علي: «أو كل ما أمرتنا به من شيء يرى طاعة لله والحق في خلافه أتبعنا فيه أمرك؟ بالله لا نفعل». قال





عثمان: أفد مروان. قال: وما أقيده؟ قال: ضربت بين أذني راحلته، قال علي: «أما راحلتي فهي تلك فإن أراد أن يضربها كما ضربت راحلته فليفعل، وأما أنا فوالله لئن شتمني لأشتمنك أنت مثلها بما لا أكذب فيه ولا أقول إلا حقاً». قال عثمان: ولم لا يشتبك إذا شتمته، فوالله ما أنت عندي بأفضل منه. فغضب علي بن أبي طالب وقال: «إليّ تقول هذا القول؟ وبمروان تعدلني؟ فأنا والله أفضل منك، وأبي أفضل من أبيك، وأمي أفضل من أمك، وهذه نبلي قد نثلتها وهلم فأقبل بنبلك». فغضب عثمان واحمر وجهه فقام ودخل داره، وانصرف علي فاجتمع إليه أهل بيته ورجال من المهاجرين والأنصار، فلما كان من الغد واجتمع الناس إلى عثمان شكوا إليهم علياً، وقال: إنه يعينني ويظاهر من يعينني يريد بذل أبا ذر وعمر بن ياسر وغيرهما، فدخل الناس بينهما وقال له علي: «والله ما أردت تشيع أبي ذر إلا لله». وفي رواية الواقدي من طريق صهبان مولى الأسلميين قال: رأيت أبا ذر يوم دخل به على عثمان، فقال له: أنت الذي فعلت ما فعلت؟ فقال له أبو ذر: نصحتك فاستغششتني ونصحت صاحبك فاستغشني. فقال عثمان: كذبت ولكنك تريد الفتنة وتحبها، قد أنغلت الشام علينا، فقال له أبو ذر: اتبع سنة صاحبك لا يكن لأحد عليك كلام. قال عثمان: مالك وذلك لا أم لك؟! قال أبو ذر: والله ما وجدت لي عذراً إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فغضب عثمان وقال: أشيروا علي في هذا الشيخ الكذاب، إما أن أضربه أو أحبسه أو أقتله، فإنه قد فرق جماعة المسلمين أو أنفيه من أرض الإسلام. فتكلم علي عليه السلام وكان حاضراً وقال: «أشير عليك بما قاله مؤمن آل فرعون: فإن يك كاذباً فعليه كذبه، وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم أن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب». قال: فأجابه عثمان بجواب غليظ لا أحب ذكره وأجابه علي بمثله. قال: ثم أت عثمان حذر على الناس أن يقاعدوا أبا ذر ويكلموه، فمكث كذلك أياماً ثم أمر أن يؤتى به فأتي به، فلما وقف بين يديه، قال: ويحك يا عثمان! أما رأيت رسول الله ﷺ ورأيت أبا بكر وعمر؟ هل رأيت هذا هديهم؟ إنك لتبطش بي بطش الجبار، فقال: أخرج عنا من بلادنا. فقال أبو ذر: ما أبغض إليّ جوارك، فإلى أين أخرج؟ قال: حيث شئت. قال: فأخرج إلى الشام أرض الجهاد. قال: إنما جلبتك من الشام لما قد أفسدتها، فأردك إليها؟





قال: فأخرج إلى العراق. قال: لا. قال: ولم؟ قال: تقدم على قوم أهل شبه وطعن في الأمة؟ قال: فأخرج إلى مصر. قال: لا. قال: فإلى أين أخرج؟ قال: حيث شئت. قال أبو ذر: فهو إذن التعرّب بعد الهجرة، أخرج إلى نجد. فقال عثمان: الشرف الأبعد أقصى فالأقصى، امض على وجهك هذا ولا تعدون الربذة فسر إليها؛ فخرج إليها (انظر الغدير ج ٨: ص ٢٩ نقلاً عن المسعودي). وقال اليعقوبي: وبلغ عثمان أنّ أبا ذر يقعد في مجلس رسول الله ﷺ ويجمع إليه الناس فيحدث بما فيه الطعن عليه وأنه وقف بباب المسجد فقال: "أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر الغفاري، أنا جندب بن جنادة الربذي، ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ". محمّد الصفوة من نوح، فالأوّل من إبراهيم والسلالة من إسماعيل والعترة الهادية من محمّد، إنّه شرف شريفهم واستحقّوا الفضل في قوم هم فينا كالسما المرفوعة، وكالكعبة المستورة، أو كالقبة المنصوبة، أو كالشمس الضاحية، أو كالقمر الساري، أو كالنجوم الهادية، أو كالشجر الزيتونيّة أضواء زيتها وبورك زيدها ومحمّد وارث علم آدم وما فضّلت به النبيّون"، إلى أن قال: وبلغ عثمان أنّ أبا ذر يقع فيه ويذكر ما غير وبدل من سنن رسول الله ﷺ وسنن أبي بكر وعمر، فسّره إلى الشام إلى معاوية، وكان يجلس في المجلس فيقول كما كان يقول ويجمع إليه الناس حتّى كثر من يجمع إليه ويسمع منه، وكان يقف على باب دمشق إذا صلّى صلاة الصبح فيقول: جاءت القطار تحمل النار، لعن الله الأمرين بالمعروف والتاركين له، ولعن الله الناهين عن المنكر والآتين له. فقال: وكتب معاوية إلى عثمان: إنك قد أفسدت الشام على نفسك بأبي ذر. فكتب إليه أن أحمله على قتب بغير وطاء، فقدم به إلى المدينة وقد ذهب لحم فخذه، فلمّا دخل إليه وعنده جماعة، قال: بلغني أنّك تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كملت بنو أميّة ثلاثين رجلاً اتّخذوا بلاد الله دولاً، وعباد الله خولاً، ودين الله دغلاً؟» فقال: نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك. فقال لهم: أسمعتم رسول الله يقول ذلك؟ فبعث إلى علي بن أبي طالب فاتاه فقال: يا أبا الحسن! أسمعتم رسول الله يقول ما حكاه أبو ذر؟ وقصّ عليه الخبر، فقال علي: «نعم».





قال: فكيف تشهد؟ قال: «لقول رسول الله: "ما أظَلَّت الخضراء ولا أظَلَّت الغبراء ذا لهجة أصدق من أبي ذر"». فلم يَقم بالمدينة إلا أياماً حتَّى أرسل إليه عثمان: والله لتخرجنَّ عنها، قال: أخرجني من حرم رسول الله؟ قال: نعم وأنفك راغم، قال: فإلى مكة؟ قال: لا. قال: فإلى البصرة؟ قال: لا. قال: فإلى الكوفة؟ قال: لا. ولكن إلى الرَبْذة التي خرجت منها حتَّى تموت فيها، يا مروان! أخرج به ولا تدع أحداً يكلمه حتَّى يخرج. فأخرجه على جمل ومعه امرأته وابنته، فخرج علي والحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وعمار بن ياسر ينظرون، فلما رأى أبو ذر علياً قام إليه فقبل يده ثم بكى وقال: إنني إذا رأيتك ورأيت ولدك ذكرت قول رسول الله فلم أصبر حتَّى أبكي. فذهب علي يكلمه، فقال مروان: إنَّ أمير المؤمنين قد نهى أن يكلمه أحد. فرفع عليّ السوط فضرب وجه ناقة مروان، وقال: «تنح نحاك الله إلى النار». ثم شيعه وكلمه بكلام يطول شرحه، وتكلم كل رجل من القوم وانصرفوا وانصرف مروان إلى عثمان، فجرى بينه وبين علي في هذا بعض الوحشة وتلاحيا كلاماً (انظر تاريخ اليعقوبي ج ٢: ص ١٧١). وأخرج ابن سعد من طريق الأحنف بن قيس قال: أتيت المدينة ثم أتيت الشام فجمعت فإذا أنا برجل لا ينتهي إلى سارية إلا خرَّ أهلها يصلي ويخف صلاته. قال: فجلست إليه فقلت له: يا عبد الله من أنت؟ قال: أنا أبو ذر، فقال لي: فأنت من أنت؟ قال: قلت: أنا الأحنف بن قيس. قال: قم عني لا أعدك بشراً! فقلت له: كيف تعدني بشر؟ قال: إنَّ هذا (يعني معاوية) نادى مناديه ألا يجالسني أحد (انظر الطبقات لابن سعد ج ٤: ص ٢٢٩). وأخرج ابن حجر من طريق ابن عباس قال: استأذن أبو ذر عثمان فقال: إنَّه يؤذينا، فلما دخل قال له عثمان: أنت الذي تزعم أنك خير من أبي بكر وعمر؟ قال: لا، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ أحبَّكم إليَّ وأقربكم مني من بقي على العهد الذي عاهدته عليه» وأنا باق على عهده قال: فأمره أن يلحق بالشام وكان يحدثهم ويقول: لا يبيتنَّ عند أحدكم دينار ولا درهم إلا ما ينفقه في سبيل الله أو يعده لغريم، فكتب معاوية إلى عثمان: إن كان لك بالشام حاجة فابعث إليَّ أبي ذر. فكتب إليه عثمان أن أقدم علي فقدم (انظر فتح الباري في شرح البخاري ج ٣: ص ٢١٧). وإلى غير ذلك من الروايات التي تدلُّ بالصراحة على أنَّ سياسة عثمان كانت مبتنية على





بالمصلحة. عمرو بن العاص ليس من الذين أسلموا طوعاً. وقد كان حريصاً على محو أثر الإسلام، غير أنه لم يوفق. وهو واحد من الذين ساروا إلى النجاشي بالحبشة، لتأليه على المهاجرين بقيادة جعفر بن أبي طالب، وظلّ عمرو حليفاً لبني أمية، بينهما مصالح قوضوا في سبيلها روح الإسلام وفي زمن عثمان، كان عمرو يمارس دهائه بشكل دقيق. كان في نهاية الأمر يدرك أنّ عثمان مهزوز السلطان وأنّ الثورة ستنبش لا محالة. فكان في كلّ مرّة، يظهر للناس مواقفه الخادعة، ليموه عليهم، ثمّ يبرّر ذلك لعثمان ليحافظ على مكانته عنده، قال مرّة لعثمان: اتّق الله يا عثمان! فإنّك قد ركبت نهائير وركبناها معك، فنب إلى الله نتب معك، فناداه عثمان: وإنّك هناك يا ابن النابغة قملت جبتك منذ عزلتك عن العمل، فنودي من ناحية أخرى: أظهر التوبة يا عثمان يكفّ الناس عنك، ونودي من ناحية أخرى بمثل ذلك (انظر تجارب الأمم لأحمد بن محمّد مسكويه الرازي ج ١: ص ٤٤٦). غير أنّ عمرو بن العاص كان حريصاً على علاقته بعثمان. ولمّا تفرّق القوم قال له: لا والله يا أمير المؤمنين، لأنّك أعزّ عليّ من ذلك، ولكن قد علمت أنّ الناس قد علموا أنّك جمعتنا لتستشيرنا، وسيلغهم قول كلّ رجل منّا. فأردت أن يبلغهم قولي فيثقوا بي لأفود إليك خيراً، وأدفع عنك شراً (انظر تجارب الأمم لأحمد بن محمّد مسكويه الرازي ج ١: ص ٤٤٦). وبهذه الحالة بقي حتّى مقتل عثمان، حين جاء يتوسّط لعثمان مع الثوّار، فنهروه واتّهموه، فولّ خائباً. وعندما قتل عثمان، ولم تعد المصلحة لعمرو بن العاص في أن يتمسّك بشرعيّة عثمان. خرج إلى منزله بفلسطين، وكان يقول: والله إنّي كنت لألقى الراعي فأحرضه على عثمان... ولمّا مرّ به راكب من المدينة وهو مع ابنه محمّد وعبد الله وسلامة بن روح الجذامي، فسأله عمرو عن عثمان، فقال: هو محصور. قال عمرو: أنا أبو عبد الله، قد يضطرّ العير والمكواة في النار (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣: ص ١٦٣).

وعلى كلّ تقدير فقد استطاع الصحابة أن يتصلّوا بأهل الأمصار ليخبروهم بما سيجري في المدينة، فاجتمعت كلمة المسلمين في الداخل والخارج، واجتمع رأي الأمصار على إرسال الوفود تحت غطاء الحج. وكانت الوفود تتألّف من ثلاث أمصار الوفد المصري ←

قال سبحانه: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ...﴾ إلى آخرها^(١)،



يتألف من خمسمائة إلى ألف - يتزعمهم محمد بن أبي بكر -، وفيهم عبد الرحمن بن عديس البلوي وكنانة بن بشر الليثي وسودان بن حمران السكوني وقتيرة بن فلان السكوني. وكان محمد بن أبي بكر قد خرج وبقي محمد بن أبي حذيفة في مصر وغلب عليها لما ذهب عنها عبد الله بن سعد (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣: ص ١٥٨). والوفد الكوفي يتألف من عدد أهل مصر على رأسهم مالك الأشتر وفيهم زيد بن صوحان العبدي والأشتر النخعي وزيد بن النضر الحارثي وعبد الله بن الأصم العامري (تاريخ الطبري ج ٥: ص ١١١). والوفد البصري، ويتألف من نفس عدد أهل مصر عليهم حكيم بن جبلة العبدي وذريع بن عباد وبشر بن شريح القيسي وابن المحترش، ويذكر ابن الأثير، أن أميرهم كان هو حوقوص بن زهير السعدي وكان خروجهم بشوال جميعاً (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣: ص ١٥٨). وإلى غير ذلك من النصوص والوثائق التاريخية الدالة على أن قتل عثمان كان على يد الصحابة الثائرين عليه من مختلف البلاد رافعين أصواتهم ضد الفساد الطغيان، والمهاجمين حتى قتلوا عثمان في داره والقي بجسده إلى البقيع، ودفنوه في مقابر اليهود. وقد تبعه ما تبعه من الحوادث الهامة، والمهم أن عموم المسلمين كانوا راضيين وموافقين لقتله، وسخط بعض الخواص لا يؤثر شيئاً فيما نحن بصدده، لأن الفرد والأفراد لم يمكنهم المساعدة للمقاومة أمام تلك الجمع الجموع والمظاهرات العظيمة التي قامت ضده. فقتل عثمان كان من أجل الفساد والظلم والجرائم التي ارتكبتها، وإذا كان محمد بن أبي بكر ممن قتل عثمان أو ممن آذاه، فإنه يحمد في أذيته لذوي الفساد، إذ من هدر دمه باجماع المسلمين فلا قيمة لدمه على ما ثبت في كتب كبار علماء أهل السنة، فلاحظ.

(١) هذه الآية المباركة في سورة المائدة جاءت مرة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (سورة المائدة: ٤٤). فهذه الآية والآيات المترادفة لها، فيها صراحة على التهديد والوعيد وسوء العاقبة والعذاب الخالد لمن لم يحكم وفق ما





أنزل الله، فوصفهم الله بقوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾. وفي موضع آخر وصفهم بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (سورة المائدة: ٤٥). وفي موضع ثالث وصفهم بقوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (سورة المائدة: ٤٧). ولعلّ هذا التنوع في إطلاق الصفات المختلفة إنّما هو لبيان أنّ لكلّ جانب من الجوانب ثلاثة حكم خاص، أحدها: ينتهي بالمشرع الذي هو الله سبحانه. والثاني: يمسّ المنفذين للحكم الإلهي كالظلم على حكام العدل وقضاة العدل. والثالث: يرتبط بالفرد أو الأفراد المكلفين الذين ينطبق عليهم الحكم. فكلّ صفة من الصفات الثلاثة المذكورة تكون إشارة إلى واحد من الجوانب الثلاثة، لأنّ الذي لا يحكم بما أنزل الله قد يكون أنّه تجاوز القانون الإلهي، من ناحية أصل القانون الإلهي، بأن ارتكب الظلم والجور بابتعاد الأمة عن حكم الله بمخالفته للحكم الإلهي، فهذا ما يصدق عليه أنّه فقد كفر، لأنّه تجاوز الحدود الإلهية بابتعاد الناس عن حكم الله، فيكون من الكافرين. ومن تجاوز الحدود الإلهية من جهة أنّه ارتكب الظلم والجور على من ينفذ أحكام الله، فإنّه من الظالمين، حيث منع عن اجراء الحكم على الآخرين. ومن جانب ثالث قد يكون خرج عن حدود واجباته ومسؤوليته التكليفية الشخصية، فيصبح بذلك من الفاسقين. وعلى كلّ تقدير فإنّ الله تبارك وتعالى قد نهى عن الحكم بغير ما أنزل الله. وفي مكان آخر بيّن حقيقة من يحكم بغير ما أنزل الله، بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (سورة النساء: ٦٠). فأكدّ سبحانه وتعالى على أنّ من حكم بغير ما أنزل الله قد يصل إلى مرحلة أنّه يختار التحاكم إلى الطاغوت والشيطان، أي: أنّ نتيجة الحكم بغير ما أنزل الله الدخول في حكومة الطاغوت. ولذلك قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (سورة البقرة: ٢٥٧). فالآية الكريمة تصف أولياء الكفار، بأنّهم الطاغوت والشيطان. ومن هنا يعرف أنّ الحاكم الجائر هو يسوق



وسياتي بيان مختصر القصة عن قريب^(١).



الناس من النور إلى الظلمات كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. فهذا هو حقيقة من لم يحكم بما أنزل الله. وعليه حيث أن عثمان كان يحكم بين الناس على أساس هواه وأميله النفسانية فيكون مشمولاً لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (سورة المائدة: ٤٤). لأن غضب الخلافة من أهل البيت عليه السلام، من مصاديق الحكم بغير ما أنزل الله؛ فإنه تجاوز عن القانون الإلهي في باب الإمامة والخلافة، بل يكون من أخطر أنواع التجاوز على القانون الإلهي، حيث بذلك انحرفت الأمة عن الدين بسبب الأحكام الباطلة وتحريف المسائل الدينيّة، والبدع التي يحدثها الحاكم الجائر. وأيضاً بسبب جهله للمعارف الدينيّة والشريعة السماويّة يكون مضلاً للناس. فالآية تحذّر عن التجاوز على القانون الإلهي لئلاّ تقع الناس في الضلال بسبب الأحكام والإفتاء بغير ما أنزل الله. والباحث لو درس حياة الخلفاء الثلاثة لاسيّما عثمان لوجدها مليئة بجميع أنواع المخالفة والتجاوز عن القانون الإلهي من غضب الخلافة وإحداث البدع في الدين والظلم على الآخرين و...، وقد مثلت كتب أهل السنّة بذكرها وذكر سياستهم الخاطئة وتحريفاتهم للأحكام الشرعيّة ومخالفاتهم للمسائل الدينيّة وتضليلهم الناس و... وسنذكر مصاديقها في المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

(١) وملخص الكلام أن بعض المتعصّين من أهل السنّة والجماعة قد حاولوا إلى قلب الحقائق، والقول بأن الشيعة قامت لنصرة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد مقتل عثمان والوقوف بوجه عثمان وحكومة خلفاء السقيفة، ليأخذوا حق الإمام عليه السلام في الخلافة. وقد نازعهم المدافعين عن خلافة السقيفة فوقعت الفتنة والحروب...

ولكن هذه المحاولة فاشلة، لأنّ الخبير يعلم أن الآثار السيئة والسلبيات التي حصلت من خلافة الخلفاء الثلاثة لاسيّما في خلافة عثمان قد أدّت إلى الثورة ضد عثمان ورجوع الناس إلى مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وفي الحقيقة أن الناس عرفوا





نتيجة غضب الخلافة ، وأدركوا الآثار السلبية منه ، فرؤوها بأمر أعينهم ، فرجعوا إلى وصية رسول الله ﷺ في الإمامة والخلافة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .
وتوضيح المقام أنّ ما شهد الناس من تصرفات الخلفاء الثلاثة ومخالفاتهم للشريعة المقدسة وقد وصل الأمر ألى ما شاهدوه في عهد عثمان من الظلم والجور ، فوصلوا إلى هذه النتيجة أنّه ليس لديهم أي خيار سوى الثورة ضد خلفاء الجور ، لأنهم قد شاهدوا منهم البدع في الدين ، وتبديل الأحكام الشرعية حسب أميالهم وجور الحكّام والطواغيت من شتى بطون قريش والجرائم التي ارتكبتها عمّال الخلفاء ، حتّى خالفوا القيم الإنسانيّة ، فكلّها دفعت الناس إلى الانفجار الثوري حيث أنّهم عرفوا أنّ جميع تلك المخازي والمعايب والسلبيات التي واجهها الأمّة الإسلاميّة كانت نتيجة تصرفات السلطة والسياسة التي حصلت من حكومة السقيفة ، فرجعوا إلى وصيّة رسول الله ﷺ في إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، فالباحث لو درس التاريخ والمصادر الإسلاميّة يصل إلى هذه النتيجة من خلال مطالعة كتب أهل السنّة ، فضلاً عن كتب الشيعة وروايات أهل البيت عليه السلام ، ويعلم أنّ ما ارتكبه الخلفاء الثلاثة لاسيّما عثمان كان سبب الإجماع على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وهذا من الأمور الواضحة كالشمس في رابعة النهار التي ستتضح للقارئ الكريم من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى .
ونحن نشير هنا إلى بعض تلك الوثائق التاريخية من كتب أهل السنّة ليعرف القارئ الكريم أنّ الخلافة العشوائية ، التي حملت بطون قريش من الطلقاء وبني أميّة على رقاب الناس ، وأعطاهم المناصب الحساسة في دولة خلفاء السقيفة . وصاروا سبباً لتعطيل الأحكام الإسلاميّة وترويج البدع ، وقمع الجماهير المسلمة حتّى أدت إلى هذا انفجار ثوري ضدّ الحكومة ، هي التي بناها السقيفة بعد وفاة رسول الله ﷺ ، حيث أنّه في الوقت الذي تراكت الثروة لدى الجانب الأموي ، وأعانوهم على تعميق نفوذهم ووجود قطاع الفقر بشكل واسع قد أجبرت الأمّة الإسلاميّة للدخول في صراع طبقي ، طالبا للمساواة الاجتماعيّة . وكان خطّ الأغنياء وخطّ الفقراء يتجهان بشكل معاكس . الغني ازداد اتّساعاً إلى درجة فاحش ، وازداد تبعاً لذلك الفقر عمقاً لعموم الناس ، إلى درجة الانسحاق





وبذلك اتسعت التوتّر بين فتّين، إحداهما مسكت بأسباب الشراء فبلغت مستوى تكسير قطع الذهب بالفؤوس. وفئة أخرى قلب لها الواقع ظهر المجن، في حين أنّ كلا الطرفين كان في مستوى واحد في حياة رسول الله ﷺ. وقد كان عثمان تبعاً لخلفاء قبله ممّن جمع الثروات وكان يملك خمسين ومائة ألف دينار وألف ألف درهم، وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرهما مائة ألف دينار، وخلف إبلا وخيلا كثيرة (انظر مروج الذهب للمسعودي ج ١: ص ٤٣٣). وقال الذهبي في كتابه دول الإسلام: كان قد صار له (عثمان) أموال عظيمة وله ألف مملوك (انظر دول الإسلام للذهبي ج ١: ص ١٢). ونقل العلامة الأميني رحمته الله من مصادر أهل السنة أعطيات عثمان إبان حكمه عن المصادر المزبورة: فقد أعطى مروان، خمسمائة ألف دينار، وأعطى ابن أبي سرح، مائة ألف دينار، وأعطى طلحة، مائتا ألف دينار، وأعطى عبد الرحمن بن عوف، ألفا ألف وخمسمائة وستين ألف دينار، وأعطى يعلى بن أمية، خمسمائة ألف دينار، وأعطى زيد بن ثابت، مائة ألف دينار، وأعطى ما اقتصه لنفسه في بعض الموارد، مائة وخمسون ألف دينار، ما اقتصه لنفسه في بعض آخر من الموارد، مائتا ألف دينار، ويبلغ المجموع أربعة ملايين وثلاثمائة وعشرة آلاف دينار، وفي مجموعة أخرى من الأعطيات الحكم، ثلاثمائة درهم آل الحكم، ألفا ألف وعشرون درهم الحارث، ثلاثمائة درهم سعيد، مائة ألف درهم عبد الله، ثلاثمائة ألف الوليد بن عقبة، مائة ألف درهم عبد الله، مرة أخرى، ستمائة ألف درهم أبو سفيان، مائتا ألف درهم مروان، مرة أخرى، مائة ألف درهم طلحة، مرة أخرى، ألفا ألف ومائتا ألف درهم طلحة، مرة ثالثة، ثلاثون ألف ألف درهم الزبير، خمسة وتسعون ألف ألف وثمانمائة ألف درهم سعد بن أبي وقاص، مائتان وخمسون ألف درهم ما اقتصه لنفسه مرة ثالثة، ثلاثون ألف ألف وخمسمائة ألف درهم. ويبلغ مجموع المجموعة الثانية مائة وستة وعشرون مليوناً وسبعمائة وسبعون ألف درهم. انتهى ملخصاً (انظر الغدير ج ٨: ص ٢٨٥). وتحول بيت مال المسلمين في عهده إلى بيت مال لبني أمية. ولم يراع عثمان مشاعر المسلمين، ولا أحكام الشريعة في نهبه أموال المسلمين، وصبّها مدرارة في خزائن أهل بيته. ويذكر ابن خلدون في تاريخه: حدث أبو





إسحاق عن عبد الرحمن بن يسار قال: رأيت عامل صدقات المسلمين على سوق المدينة إذا أمسى أتاها عثمان، فقال له: ادفعها إلى الحكم بن أبي العاص. وكان عثمان إذا أجاز أحداً من أهل بيته بجائزة جعلها فرضاً من بيت المال، فجعل يدافعه ويقول له: يكون فنعطيك إن شاء الله، فألح عليه فقال: إنما أنت خازن لنا، فإذا أعطيناك فخذ، وإذا سكتنا عنك فاسكت. فقال: كذبت والله! ما أنا لك بخازن، ولا لأهل بيتك، إنما أنا خازن المسلمين. وجاء بالمفتاح يوم الجمعة وعثمان يخطب فقال: أيها الناس، زعم عثمان إنني خازن له ولأهل بيته، وإنما كنت خازناً للمسلمين وهذه مفاتيح بيت مالكم. ورمى بها، فأخذها عثمان، ودفعها إلى زيد بن ثابت. كان بذلك عثمان، يرى أن الدولة الإسلامية ملكاً لعشيرته، وكان مبرره في ذلك أنه تأول (انظر تاريخ ابن خلدون ج ١: ص ٢٠٥).

وحسب ما ذكر الطبري في تاريخه بالنسبة إلى مال المسلمين: قدمت إبل من إبل الصدقة على عثمان فوهبها للحارث بن الحكم بن أبي العاص، كما روي الكلبي عن أبيه، مخنف بن مروان ابتاع خمس إفريقية بمائتي درهم ومائتي ألف دينار. وكلم عثمان فوهبها له فأنكر الناس ذلك على عثمان (انظر تاريخ الطبري ج ٣: ص ٣٩٩). وقال ابن أبي الحديد: وأعطى أبا سفيان بن حرب مائتي ألف من بيت المال، في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال، وقد كان زوجه ابنته أم أبان، فجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح، فوضعها بين يدي عثمان وبكى، فقال عثمان: أتبكي أن وصلت رحمي! قال: لا، ولكن أبكي لأنني أظنك أنك أخذت هذا المال عوضاً عما كنت أنفقته في سبيل الله في حياة رسول الله ﷺ. والله لو أعطيت مروان مائة درهم لكان كثيراً، فقال: ألقى المفاتيح يا بن أرقم، فإننا سنجد غيرك وأناه أبو موسى بأموال من العراق جليّة، فقسّمها كلّها في بني أمية. وأنكح الحارث بن الحكم ابنته عائشة، فأعطاه مائة ألف من بيت المال أيضاً بعد صرفه زيد بن أرقم عن خزنه وانضم إلى هذه الأمور أمور أخرى نقيمها عليه المسلمون، كتسيير أبي ذر رضي الله عنه إلى الربذة، وضرب عبد الله بن مسعود حتى كسر أضلاعه، وما أظهر من الحجاب والعدول في إقامة الحدود، وردّ المظالم، وكفّ الأيدي العادية والانتصاب لسياسة الرعية، وختم ذلك ما وجدوه من كتابه إلى معاوية





يأمره فيه بقتل قوم من المسلمين، واجتمع عليه كثير من أهل المدينة مع القوم الذين وصلوا من مصر لتعديد أحداثه عليه فقتلوه (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١: ص ١٩٩).

بقي هنا أن نسأل الخليفة عن علّة قصر هذه الأثرة على المذكورين ومن جرى مجراهم من زبانيته، أهل خلقت الدنيا لأجلهم؟ أو أنّ الشريعة منعت عن الصلاة وإعطاء الصدقات للصلحاء الأبرار من أمة محمد ﷺ كأبي ذر الغفاري، وعمّار بن ياسر، وعبد الله بن مسعود إلى نظرائهم؟

وهل الجود هو بذل الرجل ماله وما تملكه ذات يده؟ أو جدحه من سويق غيره؟ كما كان يفعل خلفاء الثلاثة. ليتني وجدت جواباً عن هذه المسألة التي تحيرت فيها علماء أهل السنة؟

نعم يعلم حكم تلکم الأعطيات والقطائع التي أقطعها الخلفاء أكثر أراضي بيت المال من خطبة لمولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد ذكرها الكلبي مرفوعة إلى ابن عباس قال: إنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام خطب في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة فقال: «ألا إنّ كلّ قطعة أقطعها عثمان، وكلّ مال أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت المال، فإنّ الحقّ القديم لا يبطله شيء، ولو وجدته قد تزوّج به النساء، وفرق في البلدان، لرددته إلى حاله، فإنّ في العدل سعة، ومن ضاق عنه الحقّ فالجور عنه أضيق» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١: ص ٩٠، والسيرة الحلبية ج ٢: ص ٨٧). قال الكلبي: ثمّ أمر علي عليه السلام بكلّ سلاح وجد لعثمان في داره ممّا تقوى به على المسلمين فقبض، وأمر بقبض نجائب كانت في داره من إبل الصدقة فقبضت، وأمر بقبض سيفه ودرعه، وأمر أن لا يعرض لسلاح وجد له لم يقاتل به المسلمين، وبالكفّ عن جميع أمواله التي وجدت في داره وغير داره، وأمر أن ترجع الأموال التي أجاز بها عثمان حيث أصيبت أو أصيب أصحابها... (انظر أنساب الأشراف للبلاذري ج ٥: ص ١٦). فسيف الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي أقيم به صرح الإسلام، وشيد به دعائم الدولة الإسلاميّة، عاد مرة أخرى لإزالة الأود والعوج الذي حصل في نظام



وخامسها: ما نسبته إلى الشيعة من سبهم أبا بكر^(١)،



المسلمين السياسي والاجتماعي، وبناء النموذج الداخلي المثالي للدعوة إلى الإسلام، بل أن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أقام - قبل تسلّمه مقاليد الأمور - مرابطاً في الخندق العلمي لوجه الدين الإسلامي أمام تحدّيات المسائل الحرجة التي ابتليت بها الأمة ولم يكن لها من يطلع على حكم الشريعة فيها، وقد ذكرت المصادر التاريخية الكثير من الموارد لذلك، وكذا أمام تحدّي الملل والنحل الأخرى. وعليه فما ذكره بعض المتعصّين من أهل السنّة من أن الفترة بعد مقتل عثمان كانت فترة الفتنة أرادوا بذلك التغطية على الجرائم التي ارتكبتها الخلفاء الثلاثة وعمّالهم لاسيّما عثمان الذي بنى أساس الحكومة على الخلافة العشائريّة، وحمل بني أميّة على رقاب الناس، وأعطاهم المناصب الحسّاسة في الدولة الإسلاميّة، وسنذكر تفصيل الكلام في محلّه إن شاء الله تعالى.

(١) لا يخفى على الباحث الخبير أن الشيعة في باب السبّ واللعن لا يسوّون إلا من سبّه الله ورسوله، ولا يلعنون إلا من لعنه الله ورسوله، فهم يستندون إلى القرآن الكريم والروايات الصحيحة والمعتبرة عند جميع المسلمين في ذلك. ولا خلاف بينهم في حرمة سبّ المؤمن ولعنه سواء كان من الصحابة أو من غير الصحابة، بل قام إجماع المسلمين على أصل حرمة سبّ المؤمن ولعنه، وفي الحديث رواه أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن ثابت بن الضحّاك أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «لعن المؤمن كقتله...» (مسند أحمد بن حنبل ج ٤: ص ٣٣). وإنّ كان هناك اختلاف بين الشيعة وأهل السنّة في معنى المؤمن، لأنّ الشيعة تعتقد بأنّ المؤمن الحقيقي هو المؤمن الصادق في إيمانه، وهو من كان يؤمن بالله ورسوله صلى الله عليه وآله ولا يرتاب في إيمانه، ومعنى ذلك أنّه يؤمن بجميع ما جاء به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله. ومن الواضح أنّ من جملة ما جاء به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن بعده إمامة الأئمة الأطهار الأحد عشر عليهم السلام الذين أوجب الله طاعتهم على العالمين. وقد نصّ رسول الله صلى الله عليه وآله على إمامتهم ووجوب طاعتهم إلى يوم القيامة في أحاديث متواترة رواه جميع علماء الإسلام من الشيعة وأهل





السنة، كما سنذكرها في محلّه إن شاء الله تعالى، فالشيعة إذا استعانوا بالسبّ واللعن كحكم قرآني، إنّما يسبّون ويلعنون من سبّه الله ورسوله ﷺ، ومن لعنه الله ورسوله ﷺ، ولا يتجاوزون حدود القرآن والسنة النبوية في ذلك، وهل لمسلم أنّ يطلب من المسلمين الإعراض عمّا جاء في الكتاب والسنة؟!!!

فالمعيار أولاً: أخذ موضوع المؤمن في أصل الدليل. وثانياً: معرفة المؤمن الحقيقي عن غيره من الآيات والروايات. وثالثاً: العمل بما جاء في الكتاب والسنة النبوية بلا مجازفة.

قد يقال بأنّ السبّ واللعن في عصرنا الحاضر من الأساليب التي توجب البغضاء بين الناس ويؤثر في العلاقات بينهم، فمن باب العنوان الثانوي يفرض الحذر من الاسترسال فيهما، إذ كم من لعنة وسبّ أعقبت فتنة وأورثت حسرة. ولذلك لا بدّ من الالتفات إلى هذه الجهة من أنّ الإسلام حذر من اطلاق العنان للسان لحفظ النفوس والأعراض، فقد روى الكليني رحمه الله في الكافي عن النبي ﷺ قال في جواب من قال له أوصني فقال ﷺ: «احفظ لسانك»، قال مرة ثالثة: «احفظ لسانك»، قال مرة ثانية: يا رسول الله أوصني قال ﷺ: «احفظ لسانك»، ويحك وهل يكبّ الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم» (الكافي ج ٢: ص ١١٥). وروى أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن معاذ بن جبل قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير، فقلت: يا نبي الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار؟ قال: «لقد سألت عن عظيم، وإنّه ليسير على من يسره الله عليه. تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحجّ البيت». ثمّ قال: «ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة وصلاة الرجل في جوف الليل؟»، ثمّ قرأ قوله تعالى: ﴿تَجَافَى جُتُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ...﴾ حتّى بلغ ﴿...يَعْمَلُونَ﴾. ثمّ قال: «ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟» فقلت: بلى يا رسول الله، قال: «رأس الأمر وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد»، ثمّ قال: «ألا أخبرك بملاك ذلك كلّهُ؟» فقلت له: بلى يا نبيّ الله، فأخذ بلسانه فقال: «كفّ عليك هذا». فقلت: يا رسول الله وإنّا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكبّ الناس على وجوههم في النار (أو قال على



منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨ ١٦٣

فإنه إنما سبه من سبه لما رويتموه من خبر «ستة لعنتهم، ولعنهم الله وكل نبيّ مجاب»^(١). فإنّ منهم: من ترك سنته، ومنهم من استحلّ من عترته ما حرّمه الله، ومنهم: من صار متسلّطاً على أمّته بالجبروت ليدلّ من أعزّه الله ويعزّه من أذلّه الله. وهذه جميعها صدرت من أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية



مناخرهم) إلّا حصائد ألسنتهم» (مسند أحمد بن حنبل ج ٥: ص ٢٣١). وإلى غير ذلك من الروايات.

فيقال في الجواب: بأنّ العنوان الثانوي محكم إذا تحقّق موضوعه. وأمّا مع عدم تحقق موضوعه، فإنّ أصل الحكم كتاباً وسنة ثابت لا محالة، والعمل بحسب مقتضاه وظيفة كلّ مؤمن ومؤمنة، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الحديث المعروف الذي رواه علماء الإسلام من الشيعة وأهل السنة في كتبهم بأسناد صحيحة عن النبي الأكرم ﷺ، فقد أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين بسنده عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «ستة لعنتهم الله وكلّ نبيّ مجاب: المكذب بقدر الله، والزائد في كتاب الله، والمتسلّط بالجبروت يذلّ من أعزّ الله ويعزّ من أذلّ الله، والمستحلّ لحرم الله، والمستحلّ من عترتي ما حرّم الله، والتارك لسنتي» (ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولا أعرف له علّة ولم يخرجاه) (المستدرک على الصحيحين ج ١: ص ٢٦ وج ٢: ص ٥٢٥، وج ٤: ص ٩٠)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١: ص ١٧٦، وابن حبان في صحيحه ج ١٣: ص ٦٠، والطبراني في المعجم الكبير ج ٣: ص ١٢٧ وغيره. ودلالة الحديث على المقام واضحة حيث أنّه يدلّ على جواز لعن من لعنه الله ورسوله ﷺ وكلّ نبيّ مجاب. فقلوه ﷺ: «ستة لعنتهم الله وكلّ نبيّ مجاب...»، ومعناه ستة ملعونين قد لعنهم الله على لسان جميع الأنبياء والمرسلين ﷺ، وجميع المؤمنين الثابتين في إيمانهم والصادقين في العمل بما جاء من عند الله ورسوله ﷺ، ومن جاز لعنه جاز سبه شرعاً، فلاحظ.

وغيرهم^(١) لتركهم للسنة التي دلت على إمامة علي عليه السلام^(٢)

(١) لا يخفى أن غضب الخلافة عن أهلها جريمة ليس فوقها جريمة في الإسلام، لأن كل ضلالة وانحراف بعد وفاة رسول الله ﷺ، بدأت من غضب الخلافة في السقيفة، حيث أن الإمام والخليفة هو من يؤم الناس به، فإذا كان الإمام جائراً فيكون سبباً لضلالة الأمة وانحرافها عن الدين والصراط المستقيم. فالمخالفات والمناكير والجرائم التي ارتكبتها الخلفاء الثلاثة، ومن بعدهم خلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس كانت سبباً لتقليب الحقائق والكذب والافتراء والبهتان على الله ورسوله ﷺ، وإحداث البدع المضلة وغير ذلك وكلها موجبة لشمول حديث ستّة لعنتهم الله وكلّ نبيّ مجاب، حيث أن غضب الخلافة من الجهات العديدة صار سبباً لشمول حديث ستّة لعنتهم الله وكلّ نبيّ مجاب، مرةً لجهة ترك سنّة رسول الله ﷺ، ومرةً لسبب استحلال ما حرّمه الله من العترة الطاهرة عليه السلام، ومرةً لسبب تسلّط الجائرين على أمة بالجبروت، ومرةً بسبب اذلال من أعزّه الله وأعزّوا من أدّله الله. وهذه جميعها صدرت من أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية وغيرهم من خلفاء الجور. والتاريخ يكشف لنا هذه الحقيقة بوضوح، حيث أن هؤلاء الخلفاء من أجل تثبيت خلافتهم الجائرة قد ارتكبوا أبشع الجرائم، التي بها تركوا سنّة رسول الله ، واستحلوا بها حرمة العترة الطاهرة عليه السلام، وبها سلطوا الجائرين من الفسقة على الأمة بالجبروت، وكانوا سبباً لاذلال من أعزّه الله وأعزّوا من أدّله الله، فشملهم الحديث بافسادهم المجتمع، واقتلاع جذور الخير منها فانجرت إلى مصيبة الأمة الإسلامية، وكلّ هذه الأمور مترتبة على غضب الخلافة باعتبار أنه حجر الأساس لانحراف الأمة عن الدين. ولا يخفى على الخبير ما ورد في مصادر الإسلامية من المناكير والمخالفات والجرائم التي ارتكبتها خلفاء الجور. التي سنذكرها في محلّه إن شاء الله تعالى.

(٢) لا يخفى على الباحث الخبير أن أساس غضب الخلافة في السقيفة كانت مبنية على إنكار النصوص الواردة في الإمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وإمامة أئمة أهل البيت عليه السلام، فبيعة أبي بكر في السقيفة كانت متوقفة على مخالفة النصوص الواردة في إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، رغم أنها كانت



المتواترة لدى الصحابة، حيث قد رواها الصحابة من النبي الأكرم ﷺ بالغاً عن حدّ التواتر، وقد رواها علماء الاسلام في كتبهم، فرواه كبار علماء أهل السنة في كتبهم بأسانيد صحيحة وبعضها متواترة. ونحن نذكر هنا بعض الروايات الواردة في واقعة الغدير التي رواها كبار علماء أهل السنة، وقد ورد فيها أنّ الخلفاء الثلاثة بايعوا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يوم غدير خم بالإمامة والخلافة، واليك نماذج منها، فمنها: ما أخرجه محمد بن جرير الطبري في كتاب الولاية حديثاً بإسناده عن زيد بن أرقم وفي آخره فقال النبي ﷺ: «معاشر الناس قولوا: أعطيناك على ذلك عهداً عن أنفسنا وميثاقاً بألسنتنا وصفقة بأيدينا نؤديه إلى أولادنا وأهالينا لا نبغي بذلك بدلاً وأنت شهيد علينا وكفى بالله شهيداً، قولوا ما قلت لكم وسلّموا على علي بإمرة المؤمنين، وقولوا: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، فإنّ الله يعلم كل صوت وخائنة كل نفس ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِثْوَتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، قولوا ما يرضي الله عنكم فـ ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ﴾». قال زيد بن أرقم: فعند ذلك بادر الناس بقولهم: نعم، سمعنا وأطعنا على أمر الله ورسوله بقلوبنا، وكان أول من صافق النبي ﷺ وعلياً: أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وباقي المهاجرين والأنصار وباقي الناس، إلى أن صلى الظهرين في وقت واحد، وامتدّ ذلك إلى أن صلى العشاءين في وقت واحد وأوصلوا البيعة والمصافحة ثلاثاً (انظر كتاب الغدير ج ١: ص ٢٧٠، نقلاً عن كتاب الولاية لمحمد بن جرير الطبري). ورواه أحمد بن محمد الطبري الشهير بالخليلي في كتاب مناقب علي بن أبي طالب، المؤلف سنة ٤١١ بالقاهرة، من طريق شيخه محمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن وفيه: فتبادر الناس إلى بيعته وقالوا: سمعنا وأطعنا لما أمرنا الله ورسوله بقلوبنا وأنفسنا وألسنتنا وجميع جوارحنا، ثم انكبوا على رسول الله ﷺ وعلى علي بأيديهم وكان أول من صافق رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر وطلحة والزبير ثم باقي المهاجرين والناس على طبقاتهم ومقدار منازلهم، إلى أن صليت الظهر والعصر في وقت واحد والمغرب والعشاء الآخرة في وقت واحد، ولم يزلوا يتواصلون البيعة والمصافحة ثلاثاً، ورسول الله ﷺ كلما بايعه فوج بعد فوج



يقول: «الحمد لله الذي فضّلنا على جميع العالمين»، وصارت المصافقة سنة ورسمًا واستعملها من ليس له حقّ فيها (انظر كتاب الغدير ج ١: ص ٢٧٠، نقلًا عن كتاب الولاية لمحمّد بن جرير الطبري). وفي كتاب النشر والطي: فبادر الناس بنعم نعم سمعنا وأطعنا أمر الله وأمر رسوله آمنا به بقلوبنا وتداكوا على رسول الله ﷺ وعلي بأيديهم إلى أن صلّيت الظهر والعصر في وقت واحد وباقي ذلك اليوم إلى أن صلّيت العشاءان في وقت واحد ورسول الله كان يقول كلّما أتى فوج: «الحمد لله الذي فضّلنا على العالمين» (انظر كتاب الغدير ج ١: ص ٢٧٠، نقلًا عن كتاب الولاية لمحمّد بن جرير الطبري). ومنها: ما أخرجه ابن عقدة بسنده عن ابن المسيّب، قال: قلت لسعد بن أبي وقاص: إنّي أريد أن أسألك عن شيء وإنّي أتقّيك! قال: سل عمّا بدا لك، فإنّما أنا عمّك. قلت: مقام رسول الله ﷺ يوم غدير خم فيكم؟ قال: نعم، قام فينا رسول الله ﷺ بالظهير، فأخذ بيد علي فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه»، فقال أبو بكر وعمر: أمسيت يا بن أبي طالب مولى كلّ مؤمن ومؤمنة (كتاب الولاية لابن عقدة: ص ١٥٥). وقد روى أبو العباس أحمد بن محمّد بن سعيد الهمداني المعروف بابن عقدة المتوفى ٣٣٣ من الهجرة في كتابه الولاية الذي روى فيه من كبار علماء أهل السنة، فإنّه روى حديث الغدير بمائة وخمسة طرق من كتب علماء الإسلام، والمحدثين من الفريقين. وأكثر النقل عنه ابن الأثير في أسد الغابة، وابن حجر في الإصابة، فإنّهما بعد ذكرهما كلّ طريق من حديث الغدير صحّحوا أسنادها. واعتنى ابن حجر بطرق أبي العباس ابن عقدة، فأخرج الحديث من كتابه من طرق سبعين صاحبياً أو أكثر (انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٧: ص ٣٣٧). وقال في فتح الباري: أمّا حديث «من كنت مولاه فعلي مولاه» فقد أخرجه الترمذي والنسائي وهو كثير الطرق جداً وقد استودعها ابن عقدة في كتاب مفرد وكثير من أسانيدنا صحيح وحسّان (فتح الباري ج ٧: ص ٦١). حكى شمس الدين المناوي الشافعي في فيض القدير قول ابن حجر قائلاً: حديث (الغدير) كثير الطرق صحّحه... (انظر فيض القدير ج ٦: ص ٢١٨). ونسبه إليه الكنجي الشافعي في كفاية الطالب، فروى عن ابن عقدة حديث الغدير في كتابه الولاية عن





الخلفاء الثلاثة (انظر كفاية الطالب: ص ١٥). كما روى أبو بكر الجعابي حديث الغدير عن الخلفاء الثلاثة في كتابه النخب، وغيرهم كما سنذكرها في محله إن شاء الله تعالى. ومنها: ما أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن حماد بن سلمة أنا علي بن زيد عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا بغدير خم فنودي فينا الصلاة جامعة وكسح لرسول الله ﷺ تحت شجرتين فصلّى الظهر وأخذ بيد علي عليه السلام، فقال: «ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد علي فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، قال: فلقية عمر بعد ذلك فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب أصبحت وأمست مولى كلّ مؤمن ومؤمنة (مسند أحمد بن حنبل ج ٤: ص ٢٨١). وقال الغزالي في كتابه سرّ العالمين في باب ترتيب الخلافة والمملكة: وأجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته ﷺ في يوم غدير خمّ باتّفاق الجميع وهو يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، فقال عمر: بخ بخ يا أبا الحسن لقد أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن (سرّ العالمين ج ١: ص ٣١). ومنها: ما أخرجه ابن أبي شعبة في كتابه المصنف بسنده عن البراء، قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر، قال: فنزلنا بغدير خم، قال: فنودي الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله ﷺ تحت شجرة فصلّى الظهر فأخذ بيد علي فقال: «ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد علي فقال: «اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، قال: فلقية عمر بعد ذلك فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب: أصبحت وأمست مولى كلّ مؤمن ومؤمنة (المصنف لابن أبي شعبة ج ٧: ص ٥٠٣). ومنها: ما أخرجه الزرندي الحنفي في نظم درر السمطين بسنده عن البراء بن عازب قال: أقبلنا مع النبي ﷺ في حجة الوداع حتّى إذا كنا بغدير خم يوم الخميس ثامن عشر من ذي الحجة فنودي فينا الصلاة جامعة وكسح للنبي ﷺ تحت شجرتين فأخذ النبي ﷺ بيد علي ثمّ قال: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى، قال: «ألست أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: أليس أزواجي



أمهاتكم؟ فقالوا: بلى، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم والي من والاه وعاد من عاداه»، فلقبه عمر بن الخطاب بعد ذلك فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة (نظم درر السمطين: ص ١٠٩). وقال الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (سورة المائدة: ٦٧): نزلت الآية في فضل علي بن أبي طالب عليه السلام، ولما نزلت هذه الآية أخذ بيده وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، فلقبه عمر فقال: هنيئاً لك يا ابن طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمد بن علي (تفسير الفخر الرازي ج ١٢: ص ٥٠). وروى الثعلبي في تفسيره بسنده عن عدي بن ثابت عن البراء قال: لما نزلنا مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع: كنّا بغدير خم فنأدى أنّ الصلاة جامعة وكسح رسول الله (عليه الصلاة والسلام) تحت شجرتين وأخذ بيد علي، فقال: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «ألست أولى بكل مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «هذا مولى من أنا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». قال: فلقبه عمر فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة (تفسير الثعلبي ج ٤: ص ٩٢). وروى الآلوسي في تفسيره عن ابن جرير عن علي بن زيد وأبي هارون العبيدي وموسى بن عثمان عن البراء قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع، فلما أتينا على غدير خم كسح لرسول الله ﷺ تحت شجرتين ونودي في الناس الصلاة جامعة، ودعا رسول الله ﷺ علياً عليه السلام وأخذ بيده وأقامه عن يمينه، فقال: «ألست أولى بكل امرئ من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: «فإنّ هذا مولى من أنا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، فلقبه عمر بن الخطاب فقال: هنيئاً لك أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة (تفسير الآلوسي ج ٦: ص ١٩٤). وإلى غير ذلك من الروايات التي رواها كبار علماء أهل السنة، ولا يسعنا المجال لذكرها، وقد جمعها العلامة الأميني قدس سره في كتابه الغدير فوصل العدد إلى ستين مصدراً من مصادر أهل السنة (لاحظ الغدير ج ١: ص ٢٧٠-٢٨٣). وهناك روايات كثيرة في كتب أهل السنة في إمامة مولانا أمير المؤمنين



منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨ ١٦٩
وغيرها من السنن التي خالفوها في جعلهم عوضها المبتدعات، وقد مضى
نبذة من ذلك^(١)،



علي بن أبي طالب عليه السلام بأسناد صحيحة، وسندكرها في محلّه ان شاء الله تعالى. وعليه فإنّ
أتباع السقيفة بانتخابهم الخليفة قد خالفوا جميع هذه الروايات والنصوص، وانكروها
فشملم قولهم عليه السلام: التارك لسنّتي ممن لعنه الله ورسوله وكل نبي مجاب، فلاحظ.
(١) لقد تقدم ذكر بعض المخالفات للسنن النبوية، وتبديلها بالبدع التي أحدثها خلفاء
الجور مكان تلك السنن العطرة الصادرة من رسول الله عليه السلام. ولا يخفى أنّ مصيبة الأمة
الإسلامية انجرت عليها من تلك البدع التي أحدثها خلفاء الجور في الإسلام بدل السنن
النبوية، فاخترقوا بذلك حدود الله ومحقّوا سنّة رسول الله عليه السلام، وأصبح الناس التابعين لهم
يرفضون النصوص الثابتة والمصادر التي كان يجب أن تؤخذ بها، فبالرغم أنّهم كانوا
يعلمون أنّ المصدر التشريع عند جميع المسلمين كتاب الله وسنّة رسول الله عليه السلام، وأيضاً
كانوا يعلمون أنّ رسول الله عليه السلام حجّة على الناس أجمعين، وبالطبع أنّ طاعته تكون
واجبة، وحكمه حكم الله، لأنّه عليه السلام حجّة الله عليهم، فقلوه عليه السلام وفعله عليه السلام
وتقريره عليه السلام حجّة شرعية عليهم. وإنّ قيادته عليه السلام في الناس ليست فقط قيادة سياسية،
بل إنّها حكومة شرعية التي هي من وظائف النبوة. فالمفروض على الصحابة أن يأخذوا
بجميع ما جاء به النبي عليه السلام باعتبار أنّها حجّة شرعية. فرفضوها وجعلوا مكانها بدع
أصحاب الأهواء مع علمهم بأنّ الحجّة الشرعية تكون مستمرة وممتداً بين الناس إلى يوم
القيامة، وقد قال تعالى: ﴿لَنَلَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (سورة
النساء: ١٦٥)، ومن المعلوم أنّ تنفيذ هذه الحجّة المستمرة من بعد وفاته عليه السلام في أوصياء
رسول الله عليه السلام من عترته المنتجبين عليهم السلام، كما هو مدلول حديث الثقلين المتواتر لدى
الفريقين. ولكن الأحداث التي حدثت في السقيفة بعد وفاة النبي عليه السلام قد غيرت مصير
الأمة عمّا رسمه الله ورسوله عليه السلام، فما تتوقع من مصير الحجّة بعده عليه السلام على أرض
الواقع؟ فلا شك أنّها توالى بعد ذلك من غضب الخلافة والبدع في الدين والانحرافات
←



في عقيدة المسلمين، والمعارضات للسنة النبوية التي بدأت من حياة النبي ﷺ عندما طلب ﷺ من الصحابة القلم والدواة ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً، فتَمرَدوا طغياناً، وخرجوا عن طاعته ﷺ ولم يلبّوا طلبه، بل وواجهوه بأشد الكلام الدال على أعلى مراتب جسارة قائله وقساوته، حيث أنه مع قطع النظر عن أن ردّ كلام رسول الله ﷺ يكون مخالفة دينية وموجبة للخروج عن طاعة الله ورسوله ﷺ كان عملاً غير إنساني في ذلك الحين، الذي كان رسول الله ﷺ في فراش مرضه الذي توفي فيه وطلب منهم شيئاً بسيطاً، فإن الإنسانية كانت تقتضي أن يلبّوا طلبه كما لو كان يطلب منهم الماء، فكان من الواجب عليهم أن يقدموا له ما طلبه منهم، ولو من جهة الإنسانية. فعمر بن الخطاب واجه رسول الله ﷺ بأقبح القول وبأشنع المقابلة، وذلك بقوله الميشوم: إن الرجل ليهجر - والعياذ بالله - حسبنا كتاب الله! (انظر صحيح البخاري ج ١: ص ٢٧ كتاب العلم، باب كتابة العلم، وج ٥: ص ١٣٨ كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته). فلم يراعي أي جهة من الجهات الدينية والانسانية. فلا شك أن ما فعله صار أساساً لمخالفة أهل السقيفة، وفي الحقيقة أن السقيفة بدأت من هذه المخالفة، حيث أن أبا بكر وعمر قد استغلا الصحابة بارتكابهما أشنع المخالفة للكتاب والسنة النبوية الشريفة، حيث أن تأسيس السقيفة وعملية غضب الخلافة كانت فيها مخالفات عديدة لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ومن أهمها مخالفة الله ورسوله في أوصياء رسول الله ﷺ، ومخالفتهم لإمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. ونحن نذكر هنا بعض تلك المخالفات من باب المثال، فمنها مخالفة أبي بكر وعمر للقرآن والسنة النبوية بسبب حضورهم في السقيفة وغضب الخلافة بخروجهم عن طاعة الله ورسوله ﷺ فقد أمر الله تعالى جميع المسلمين بطاعة الرسول ﷺ في قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ (سورة النساء: ٨٠). وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (سورة آل عمران: ٣٢). وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ أَنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ





ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» (سورة النساء: ٥٩). فَإِنَّ الْآيَاتِ تَدُلُّ بِالصَّرَاحَةِ عَلَى أَنَّ طَاعَةَ الرَّسُولِ ﷺ وَاجِبَةٌ عَلَيْهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَإِنَّ إِجْتِمَاعَ الصَّحَابَةِ فِي السَّقِيفَةِ كَانَتْ لِتَغْيِيرِ مَسِيرِ الْأُمَّةِ عَمَّا رَسَمَهُ اللَّهُ لَهُمْ فِي بَابِ الْإِمَامَةِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَمَرَ اللَّهَ الصَّحَابَةَ بِاتِّبَاعِ أَوْلِي الْأَمْرِ الْمَعْصُومِ، حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (سورة النساء: ٥٩). فَإِنَّهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى أَمْرُهُ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ بِطَاعَةِ أَوْلِي الْأَمْرِ فَتَكُونُ طَاعَتُهُ مِثْلَ طَاعَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاجِبَةً، وَمَعْنَاهُ أَنَّ طَاعَةَ أَوْلِي الْأَمْرِ مُطْلَقَةٌ كَطَاعَةِ الرَّسُولِ ﷺ، كَمَا أَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّ أَوْلِي الْأَمْرِ لَا بَدَأَ أَنْ يَكُونَ مُتَّصِفًا بِجَمِيعِ شُرَائِطِ الرَّسُولِ ﷺ لِظَاهَرِ الْعُطْفِ. وَلَا يَخْفَى عَلَى الْخَبِيرِ أَنَّ وَجوبَ الطَّاعَةِ فِي الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ مُطْلَقَةٌ تَدُلُّ عَلَى الْعِصْمَةِ، لِأَنَّ الطَّاعَةَ الْمُطْلَقَةَ مَعْنَاهُ وَجوبُ الْاِقْتِدَاءِ فِي جَمِيعِ الشُّؤُونِ، وَعَلَى جَمِيعِ الْحَالَاتِ. فَوَجوبُ الْاِقْتِدَاءِ فِي جَمِيعِ الشُّؤُونِ وَالْحَالَاتِ لَا يَصِحُّ إِلَّا لِمَنْ كَانَ مَعْصُومًا مِنَ الْخَطَأِ وَالنِّسْيَانِ وَالسَّهْوِ وَالْعِصْيَانِ، وَإِلَّا سَوْفَ يَكُونُ الْأَمْرُ بِالْمَعْصِيَةِ كَمَا لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ. وَعَلَيْهِ فَلَا بَدَأَ أَنْ يَكُونَ أَوْلِي الْأَمْرِ مَعْصُومًا كَالرَّسُولِ ﷺ، وَذَلِكَ بِمُقْتَضَى عُطْفِ أَوْلِي الْأَمْرِ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ، فَطَاعَةُ أَوْلِي الْأَمْرِ كَطَاعَةِ الرَّسُولِ ﷺ تَكُونُ وَاجِبَةً، وَإِلَّا لَمَا صَحَّ إِطْلَاقُ الْعُطْفِ. وَلَمْ تَكُنْ طَاعَةُ أَوْلِي الْأَمْرِ وَاجِبَةً لَمَا صَحَّ الْأَمْرُ بِطَاعَتِهِ عَلَى نَحْوِ الْإِطْلَاقِ، فَعُطْفُ أَوْلِي الْأَمْرِ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ لَا بَدَأَ أَوْلَى الْأَمْرِ بِمَنْزِلَةِ الرَّسُولِ ﷺ فِي وَجوبِ الطَّاعَةِ. وَالْآيَةُ قَدْ حَصَرَتْ الطَّاعَةَ الْمُطْلَقَةَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ وَلَأَوْلَى الْأَمْرِ الْمَعْصُومِينَ الَّذِينَ تَكُونُ طَاعَتُهُمْ كَطَاعَةِ الرَّسُولِ ﷺ. وَالْجَدِيرُ بِالِاتِّبَاحِ هُوَ أَنَّ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ الْمَعْرُوفِينَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَمِنْهُمْ الْفَخْرُ الرَّازِي اعْتَرَفَ بِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ فِي مَطْلَعِ حَدِيثِهِ عِنْدَ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ حَيْثُ قَالَ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ بِطَاعَةِ أَوْلِي الْأَمْرِ عَلَى سَبِيلِ الْجَزْمِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَمَنْ أَمَرَ اللَّهَ بِطَاعَتِهِ عَلَى سَبِيلِ الْجَزْمِ وَالْقَطْعِ لَا بَدَأَ أَنْ يَكُونَ مَعْصُومًا عَنِ الْخَطَأِ، إِذْ لَوْ لَمْ يَكُنْ مَعْصُومًا عَنِ الْخَطَأِ كَانَ بِتَقْدِيرِ إِقْدَامِهِ عَلَى الْخَطَأِ قَدْ أَمَرَ اللَّهَ بِمُتَابَعَتِهِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَمْرًا بِفَعْلِ ذَلِكَ الْخَطَأِ، وَالْخَطَأُ لِكُونِهِ خَطَأً مَنْهِيًا عَنْهُ، فَهَذَا يَفْضِي إِلَى اجْتِمَاعِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ فِي الْفِعْلِ الْوَاحِدِ، فَثَبَتَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ بِطَاعَةِ أَوْلِي الْأَمْرِ عَلَى سَبِيلِ الْجَزْمِ، وَثَبَتَ أَنَّ كُلَّ مَنْ أَمَرَ اللَّهَ بِطَاعَتِهِ عَلَى سَبِيلِ





الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ... (انظر تفسير الفخر الرازي ج ١٠: ص ١٤٤).
فهكذا يقيم الفخر الرازي الدليل على أن المراد من أولى الأمر في الآية يجب أن يكون معصوماً. وعليه فإن غضب الخلافة معناه التمرد عن هذا أمر الإلهي الذي تأسس أساسه في السقيفة؛ لأنه بإجماع جميع أتباع السقيفة أن خلفاء السقيفة لم يكونوا معصومين، بل قد اعترف كبار علمائهم بارتكابهم الجرائم البشعة كما سنذكرها في محله، فكيف جاز لهم طاعة أهل الخلاف والعصيان والاجرام؟! وهناك آيات عديدة في وجوب طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ التي خالفها أهل السقيفة بسبب غضبهم الخلافة. ومنها: بدعة تكلم أبي بكر في الصلاة، قال ابن شاذان: فليل لسفيان وابن حي، ولو كيع: ما تقولون فيما كان من أبي بكر في ذلك؟! فقالوا جميعاً: كانت سيئة لم تتم. وأما من يجسر من أهل المدينة، فيقولون: وما بأس بقتل رجل في صلاح الأمة، إنه إنما أراد قتله لأنّ علياً أراد تفريق الأمة وصددهم عن بيعة أبي بكر. فهذه روايتكم على أبي بكر إلا أن منكم من يكتّم ذلك، ويستشعنه فلا يظهره. وقد جعلتم هذا الحديث حجة في كتاب الصلاة، في باب من أحدث قبل أن يسلم وقد قضى التشهد: إنّ صلاته تامة وذلك أن أبا بكر أمر خالد بن الوليد بأمر، فقال: إذا أنا سلمت من صلاة الفجر فافعل كذا وكذا. ثم بدا له في ذلك الأمر، فخاف إن هو سلم أن يفعل خالد ما أمره به، فلمّا قضى التشهد قال: يا خالد لا تفعل ما أمرتك به، ثمّ سلم. وقد حدث به أبو يوسف القاضي ببغداد، فقال له بعض أصحابه: يا أبا يوسف، وما الذي أمر أبو بكر خالد بن الوليد به؟ فانتهره وقال له: اسكت، وما أنت وذاك (الإيضاح لابن شاذان: ص ١٥٧). وفي رواية لأبي ذر: إنّ أمير المؤمنين ﷺ أخذ خالداً بأصبعيه السبابة والوسطى في ذلك الوقت، فعصره عصراً فصاح خالد صيحة منكراً، ففزع الناس وهمّتهم أنفسهم، وأحدث خالد في ثيابه، وجعل يضرب برجليه الأرض ولا يتكلم. فقال أبو بكر لعمر: هذه مشورتك المنكوسة، كأنّي كنت أنظر إلى هذا، وأحمد الله على سلامتنا، وكلما دنا أحد ليخلصه من يده لحظة لحظة تنحى عنه، فبعث أبو بكر عمر إلى العباس فجاء وتشفع إليه وأقسم عليه، فقال: بحقّ القبر ومن فيه وبحقّ ولديه وأمهما إلا تركته، ففعل ﷺ ذلك وقبّل العباس بين يديه (الاحتجاج ج ١: ١٧٢)





ص ٢٣٣). وفي بعض الروايات أنه ﷺ لما أخذ بحلق خالد فغمزه فاجتمع الناس عليه، فقال عمر: يقتله ورب الكعبة، فقال الناس: يا أبا الحسن الله الله بحق صاحب القبر فخلّى عنه، ثم التفت إلى عمر فأخذ بتلاييه وقال: «يا ابن صهاك، والله لولا عهد من رسول الله وكتاب من الله سبق لعلمت أننا أضعف ناصراً وأقلّ عدداً»، ودخل منزله (تفسير القمي ج ٢: ص ١٥٩). وهذه القصة من المشهورات المسلمة بين الخاصة والعامة والكلام في الصلاة بدعة، وقد شاعت هذه القضية عند علماء أهل السنة حتى صارت دليلاً لاستناد أبي حنيفة على جواز التكلم في الصلاة قبل التسليم (راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١: ص ٢٢٢). وأفتى سفيان الثوري استناداً إلى هذه القضية أيضاً بأن من أحدث قبل التسليم وبعد التشهد فصلاته تامة (انظر المسترشد في أمانة علي عليه السلام: ص ٩٠، والإيضاح: ص ١٩٠). ومنها: إن عمر بن الخطاب هو أول من جمع الناس في صلاة الجنائز على أربع تكبيرات، فقد أخرج ابن أبي شبة في كتابه المصنف بسنده عن أبي وائل قال: جمع عمر الناس فاستشارهم في التكبير على الجنائز، فقال بعضهم: كبر رسول الله ﷺ خمساً، وقال بعضهم كبر سبعاً، وقال بعضهم: كبر أربعاً، قال: فجمعهم على أربع تكبيرات كأطول الصلاة (المصنف لابن أبي شبة ج ٣: ص ١٨٦). ومنها: أول من جهر بالتسليم عمر بن الخطاب، فقد أخرج عبد الرزاق الصنعاني بسنده عن ابن عيينة قال: أخبرني ابن أبي حسين قال: أدر كني ابن طاوس بالطواف فضرب على منكبي، فقال لأبيه: صاحبك على أن يجهر بالتسليم، يعني ابن هشام، قال: أول من جهر بالتسليم عمر بن الخطاب؛ فعاب عليه ذلك الأنصار فقالوا: عليك أي عليك السلام (المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ج ٢: ص ٢١٨). وأخرج المتقي الهندي في كنز العمال بسنده عن ابن طاوس قال: أول من جهر بالتسليم عمر بن الخطاب، فعاب ذلك عليه الأنصار فقالوا: عليك أي عليك السلام ما شأنك؟ قال: أردت أن يكون إذني (كنز العمال ج ٨: ص ١٥٨ ح ٢٢٣٧٤). وقوله: (أذاناً) أي إعلاماً بانتهاء الصلاة. ومنها: أن عثمان أتم الصلاة الرباعي في منى، ولمّا سمع عبد الله بن مسعود أن الخليفة أتم الصلاة في منى استرجع، أي قال ﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾. أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن سالم بن عبد الله، عن أبيه، عن



١٧٤ منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨

وجميعهم قد استحلّ من عترته ﷺ ما حرّمه من التقدّم عليهم والتأخّر عنهم^(١)،



رسول الله ﷺ أنّه صلّى صلاة المسافر بمنى وغيره ركعتين، وأبو بكر وعمر وعثمان ركعتين صدرّاً من خلافته ثمّ أتمّها أربعاً (انظر صحيح مسلم ج ٢: ص ١٤٦ كتاب الصلاة، باب قصر الصلاة بمنى). ومنها: أوّل من نقص التكبير معاوية، كان إذا قال: سمع الله لمن حمده، انحطّ إلى السجود ولم يكبر، فقد جاء في كتاب الوسائل في مسامرة الأوائل: إنّ أوّل من نقص التكبير معاوية، كان إذا قال: سمع الله لمن حمده، انحطّ إلى السجود ولم يكبر (انظر الوسائل في مسامرة الأوائل للسيوطي: ص ١٨). وقال السيوطي: أنّه قال العسكري في كتاب الأوائل: إنّ عثمان أوّل من خفض صوته بالتكبير... (انظر تاريخ الخلفاء: ص ١٨١). وإلى غير ذلك من المخالفات والبدع التي ارتكبتها الخلفاء الثلاثة ومن بعدهم حكام بني أمية وبني العباس، وكلّهم سلكوا أهل السقيفة، وكانت جميع أعمالهم البشعة متفرّعة على غصب الخلافة الإلهية من الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى شمول حديث ستة لعنهم الله... المتقدّم ذكره لمن ترك بعض فقرات حديث الثقلين وهو قول رسول الله ﷺ: «فلا تقدّموهما فتهلكوا ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم». أخرج الطبراني في معجمه الكبير بسنده عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم (انظر المعجم الكبير للطبراني ج ٥: ص ١٦٦). وفي حديث آخر أخرج السخاوي عن طريق ابن عقدة في كتابه الولاية بسنده عن أبي الطفيل، عن عامر بن ليلي بن ضمرة، وحذيفة بن أسيد، قالاً: لما صدر رسول الله ﷺ من حجّة الوداع ولم يحجّ غيرها حتّى إذا كان بالجحفة نهى عن سمرة بالبطحاء متقاربات لا يتزلوا تحتهنّ حتّى إذا نزل القوم وأخذوا منازلهم سواهنّ أرسل اليهنّ فقم ما تحتهنّ، وسدين على رؤوس القوم حتّى إذا نودي للصلاة غدا اليهنّ، فصلّى تحتهنّ ثمّ انصرف على الناس وذلك يوم غدير خمّ، وخمّ من الجحفة وله بها مسجد معروف، فقال ﷺ:



وحمل النار والحطب إلى بيتهم ليحرقوهم لو لم يبايعوهم^(١)،



«أيها الناس، إنّه قد نبأني اللطيف الخبير أنّه لن يعمر نبيّ إلاّ نصف عمر الذي يليه من قبله...»، وذكر الحديث إلى قوله ﷺ: «أيها الناس، أنا فرطكم وأنكم واردون عليّ الحوض أعرض ممّا بين بصرى وصنعاء فيه عدد النجوم قدحان من فضّة، ألا وإنّي سائلكم حين تردون عليّ عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما حتّى تلقّوني»، قالوا: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: «الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرف بيد الله وطرف بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلّوا ولا تبدّلوا، ألا وعترتي، فإنّي قد نبأني اللطيف الخبير ألاّ تتفرقا حتّى يلقياني، وسألت ربّي لهم ذلك فأعطاني، فلا تسبقوهم فتهلكوا، ولا تعلّموهم فهم أعلم منكم» (انظر استجلاب ارتقاء الغرف السخاوي الشافعي ص ١٠٩). وهذه الفقرة أيضاً تدلّ على عصمة أهل البيت ﷺ، لأنّ التقدّم عليهم موجب للهلاكة، أي موجب للضلالة. كما أنّ التقدّم على معارف القرآن موجب للضلالة. وأيضاً التأخّر عنهم ﷺ موجب للهلاكة والضلالة، كما أنّ التأخّر عن معارف القرآن موجب للضلالة. فأهل البيت ﷺ أفضل الناس وأعلمهم بعد رسول الله ﷺ، فلا يجوز التقدّم عليهم ولا التأخّر عنهم وهذا الحديث يكون مفسّراً لقوله ﷺ: «ستة لعنهم الله ورسوله ﷺ وكلّ نبيّ مجاب، منهم: من استحلّ من عترته ﷺ ما حرّمه من التقدّم عليهم والتأخّر عنهم»، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى فاجعة الهجوم على بيت الزهراء ﷺ والغارة على بيت الوحي وهتك حرمتها وحرمة أهل البيت ﷺ بعد وفاة رسول الله ﷺ، وقد فضحت هذه الفاجعة العظيمة نظام الطاغوت التي تأسّست في السقيفة وكشفت حقيقة أهلها من استخدامهم جميع وسائل الإرهاب والعنف في سبيل الوصول إلى أهدافهم المخزية، تلك الأهداف التي حاربت الأمّة وأهلكت الحرث والنسل للغلبة على السلطة والقدرة الدنيويّة بالإكراه والإجبار، وثقافة الحقن التي كشفت عن حقيقة التابعين لخلافة السقيفة والمنافقين الذين أبرزوا أحقادهم ضدّ النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ. وهم الذين كانوا يترصّدون الفرص





الانتقام من النبي الأكرم ﷺ وأهل بيته المعصومين ﷺ، والصحابة المخلصين، وقد بدأت من السقيفة برفض خط الرسالة المحمدية والإمامة الإلهية والوصاية الولائية، وتبديلها بالخلافة الغاصبة والتحريف في الدين وإرجاع الناس إلى الجاهلية الأولى والروح القبليّة والعصبيّة العنصريّة. وبعد ذلك بادروا إلى غضب حقوق الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء ﷺ، واستشهادها. فإنّ مظلومية الزهراء ﷺ كشفت عن حقيقة الإرهاب والتحريف وعرق الدسائس والقبليات الظالمة وهي من أعظم المصائب التي مرّت على تاريخ الإسلام. فاستشهاد السيّدة الزهراء ﷺ فصل مهم في تاريخ الإسلام ولها أهميّة عظيمة في تحليل الأحداث المأساويّة التي وقعت بعد استشهاد رسول الله ﷺ. فإنّ النصوص الواردة من الفريقين في باب الهجوم على بيت السيدة الزهراء ﷺ بالغة عن حدّ التواتر. ثم إنّ مظلومية الزهراء ﷺ، وضربها إلى حدّ الإدماء، وإسقاط جنينها، وكسر ضلعها، ثم وصيّتها وإصرارها على أن تدفن ليلاً، وأن لا يحضر أحد ممّن ظلمها تشييع جنازتها ممّا لا يمكن إنكارها لأحد. لأنّ الروايات التي رواها علماء أهل السنّة في هذا المجال، مع قطع النظر عمّا رواه علماء الشيعة بالغة عن حدّ الاستفاضة. فالروايات والوثائق التاريخية تنصّ على أنّه لمّا فرغ مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ من دفن رسول الله ﷺ أقام في منزله بما عهد إليه رسول الله ﷺ، واجتمع إليه جماعة من بني هاشم والأصحاب من المهاجرين والأنصار - كالعباس، والمقداد، وسلمان، وأبي ذر وغيرهم - وكانوا غاضبين على أبي بكر ومن بايعه في السقيفة. فأرادوا باجتماعهم في بيت الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ التحيّن عما حدث في السقيفة وإظهار الخلاف عليهم، وأن يبايعوا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ للإمامة والخلافة، كما أمرهم الله ورسوله ﷺ بذلك. وقد أشار إلى ذلك معاوية في كتابه إلى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ بقوله: «وما يوم المسلمين منك بواحد... وقعدت في بيتك عنه، واستغويت عصابة من الناس حتّى تأخروا عن بيعته...» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٥: ص ١٨٧). ثمّ قال ابن أبي الحديد: فلقد خبأ لنا الدهر منك عجباً موضع التعجّب أنّ معاوية يخبر علياً ﷺ باصطفاء الله تعالى





محمداً ﷺ وتشريفه له وتأنيده له، وهذا ظريف لأنه يجري كإخبار زيد عمراً عن حال عمرو، إذ كان النبي ﷺ وعلي ﷺ كالشيء الواحد (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٥: ص ١٨٨). وأما بيان الحادثة: فقد أجمع المؤرخون أنه في اليوم الثاني من بعد وفاة النبي ﷺ لما استتبت فتنة السقيفة، فاجتمع عدة من الصحابة إلى بيت الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء ﷺ، لا لكي يعزّوهم بوفاة النبي ﷺ بل كانوا يحملون السيوف وأكداساً من الحطب ليضعوها على باب دار أهل بيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وأنذروا المجتمعين أهل ذلك الدار أن يخرجوا ويبيعوا أبا بكر وإلا أحرقوا الدار بمن فيه! وكان في الدار فاطمة ﷺ بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء أهل الجنة، والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ عضد رسول الله ﷺ وابن عمه وصهره ﷺ، والحسن والحسين ﷺ سبطا رسول الله ﷺ وسيدا شباب أهل الجنة، وبنو هاشم، وعدد من كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار. فتفاجأوا بأن عدداً من الصحابة الذين تركوا مراسم جنازة النبي ﷺ وذهبوا إلى السقيفة وتنازعوا في السلطة والخلافة الظاهرية والحكومة الدنيوية، فبادر عمر ومن بايع صاحبه أبا بكر وبضعة أشخاص من أوباش قريش، وتجمع معهم مجموعة من حزب الطلقاء وحزب العتقاء وحزب المؤلفة قلوبهم وسفلة الأعراب وبقايا الأحزاب وحزب أرباب الحقد الدفين الموتورين من سيف الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، وكان يتقدمهم عمر بن الخطاب وأسيد بن الخضير رئيس الأوس وبشير بن سعد أحد وجوه الخزرج وسلمة بن سلامة بن وقش الأشهي وخالد بن الوليد وقنفذ وعبد الرحمن بن عوف ومسلم بن أسلم، شاهرين سيوفهم ويحملون قبساً من النار مهتدين بحرق البيت على من فيه أن لم يبيعوا أبا بكر. وفيما يلي حشد من الروايات التي صدرت من علماء الفريقين، قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: أن أبا بكر تفقد قوماً تخلّفوا عن بيعته عند علي ﷺ، فبعث إليهم عمر فجاء فناداهم وهم في دار عليّ، فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها. فقليل له يا أبا حفص: أن فيها فاطمة، فقال: وإن، ثم





وقفت فاطمة عليها السلام على بابها، فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله ﷺ جنازة بين أيدينا وقطعتم أمركم بينكم لم تستأمرونا ولم تردوا لنا حقاً، (فانصرفوا). ثم قام عمر فمشى معه جماعة حتى أتوا باب فاطمة فدقوا الباب، فلما سمعت أصواتهم نادى بأعلى صوتها: «يا أبة يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة» (الإمامة والسياسة ج ١: ص ٢٠). وقال ابن أبي الحديد المعتزلي: قال أبو بكر: يا عمر، أين خالد بن الوليد؟ قال: هو هذا، فقال: انطلقا إليهما - يعني إلى علي والزبير - فأتيا بهما، فانطلقا فدخل عمر ووقف خالد على الباب من خارج، فقال عمر للزبير: ما هذا السيف؟ قال: أعددت له لأبائع علياً، قال: وكان في البيت ناس كثير، منهم المقداد بن الأسود وجمهور الهاشميين، فاخترط عمر السيف فضرب به صخرة في البيت فكسره، ثم أخذ بيد الزبير، فأقامه ثم دفعه فأخرجه وقال: يا خالد، دونك هذا، فأمسكه خالد وكان خارج البيت مع خالد جمع كثير من الناس، أرسلهم أبو بكر رداءً لهما، ثم دخل عمر فقال لعلي: قم فبايع فتلكأ واحتبس، فأخذ بيده، وقال: قم، فأبى أن يقوم، فحمله ودفعه كما دفع الزبير، ثم أمسكهما خالد، وساقهما عمر ومن معه سوقاً عنيفاً، واجتمع الناس ينظرون، وامتألت شوارع المدينة بالرجال، ورأت فاطمة ما صنع عمر، فصرخت وولولت، واجتمع معها نساء كثير من الهاشميات وغيرهن، فخرجت إلى باب حجرتها ونادت: «يا أبا بكر، ما أسرع ما أغرّتم على أهل بيت رسول الله! والله لا أكلم عمر حتى ألقى الله» (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢: ص ١٣٤، وج ٦: ص ٢٨٦). وقال الطبري: أتى عمر بن الخطاب منزل علي وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين، فخرج عليه الزبير مصلاً بالسيف فعثر فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه (تاريخ الطبري ج ٢: ص ٤٤٢). وذكر ابن عبد ربّه الأندلسي في كتابه العقد الفريد بحثاً مفصلاً حول تاريخ السقيفة أورده تحت عنوان: الذين تخلّفوا عن بيعة أبي بكر وقال: فأما عليّ والعبّاس والزبير فقعّدوا في بيت فاطمة حتى بعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطاب ليخرجهم من بيت فاطمة وقال له: إن أبوا فقاتلهم، فأقبل بقيس من نار أن يضرم عليهم الدار، فلقيته فاطمة فقالت: «يا ابن الخطاب أجئت لتحرق دارنا؟! قال: نعم، أو تدخلوا





فيما دخلت فيه الأئمة (العقد الفريد ج ٤: ص ٢٥٩). ونقل نصر بن مزاحم، عن محمد بن عبيد الله، عن الجرجاني: أن عمرواً قال لمعاوية في صفين: خل بينهم وبين الماء، فإن علياً لم يكن ليظماً وأنت ريان وفي يده أعنة الخيل وهو ينظر إلى الفرات حتى يشرب أو يموت وأنت تعلم: أنه الشجاع المطرق ومعه أهل العراق وأهل الحجاز، وقد سمعته أنا وأنت وهو يقول: «لو استمكنت من أربعين رجلاً يوم فتش البيت (يعني بيت فاطمة) ...» (واقعة صفين للمنقري: ص ١٦٣). وقال المسعودي: وكان عروة بن الزبير يعذر أخاه عبد الله في حصر بني هاشم في الشعب، وجمعه الحطب ليحرقهم، ويقول: إنما أراد بذلك ألا تنتشر الكلمة ولا يختلف المسلمون، وأن يدخلوا في الطاعة فتكون الكلمة واحدة كما فعل عمر بن الخطاب ببني هاشم لما تأخروا عنبيعة أبي بكر، فإنه أحضر الحطب ليحرق عليهم الدار (هذا ما ذكره المسعودي في مروج الذهب طبع الميمنية ج ٣: ص ٨٦). ولكن سائر الطبقات لهذا الكتاب قد حذفت منها فقرة: كما فعل عمر بن الخطاب ببني هاشم لما تأخر... الخ (راجع على سبيل المثال: مروج الذهب: ج ٣: ص ٧٧، ط سنة ١٩٦٥، م ط دار المعرفة). ونقل ابن أبي الحديد نص المسعودي هذا على الوجه الصحيح كما ورد في طبعة الميمنية، الأمر الذي يؤكد أن يد الخيانة والتزوير قد لعبت في سائر الطبقات لهذا الكتاب، كما عودونا في كثير من الموارد الأخرى (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢٠: ص ١٤٧). وروى البلاذري عن ابن عباس قال: بعث أبو بكر عمر بن الخطاب إلى علي عليه السلام حين قعد عن بيعته، وقال: اتني به بأعنف العنف، فلمّا أتاه جرى بينهما كلام، فقال: احلب حلباً لك شطره، والله ما حرصك على إمارته اليوم إلا ليؤثرك غداً... الخ (أنساب الأشراف ج ١: ص ٣٢). وقال اليعقوبي: وبلغ أبا بكر وعمر: أن جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع علي بن أبي طالب في منزل فاطمة بنت رسول الله، فأتوا في جماعة حتى هجموا الدار، وخرج علي ومعه السيف، فلقبه عمر، فصارعه عمر فصرعه، وكسر سيفه، ودخلوا الدار، فخرجت فاطمة فقالت: «والله، لتخرجن أو لأكشن شعري ولأعجنّ إلى الله». فخرجوا وخرج من كان في الدار وأقام القوم أياماً، ثم جعل الواحد بعد الواحد يبائع ولم يبائع علي إلا بعد ستة أشهر، وقيل: أربعين يوماً





(تاريخ يعقوبي ج ٢: ص ١٢٦). ومن الفجائع التي تبكي لها عيون الإسلام والدين والتي أحرقت قلوب المؤمنين والموقنين ما ارتكبه عمر بن الخطاب من الظلم العظيم والجرم الكبير حين الهجوم على بيت الزهراء عليها السلام وإحراق باب دارها عليها السلام، فكانت الزهراء عليها السلام تنادي وتقول: «يا أبتا يا رسول الله، أنظر ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب...» فرفس عمر بن الخطاب برجله على الباب في حال الاشتعال وكانت الزهراء عليها السلام وراء الباب فعصرها بين الحائط والباب، فأسقط الزهراء عليها السلام جنيها محسن. وهذه الواقعة الهائلة قد بلغت حدّ التواتر واليقين عند أهل التحقيق، وهي فاجعة إسقاط الجنين الذي اعترف بذلك كبار علماء أهل السنة كإبراهيم بن سيار بن هاني البصري المعروف بالنظام، الذي هو من كبار علماء المعتزلة وأجلّة كبراء المخالفين قد اعترف بوقوع هذه الواقعة الهائلة، فقال: وروى مقاتل بن عطية: إنّ أبا بكر بعد ما أخذ البيعة لنفسه من الناس بالإرهاب والسيوف والقوّة أرسل عمر وعنفذ وجماعة آخرين إلى دار علي وفاطمة عليهما السلام، وجمع عمر الحطب على دار فاطمة وأحرق الباب! ولمّا جاءت فاطمة خلف الباب لتردّ عمر وأصحابه عصر عمر فاطمة خلف الباب حتّى أسقط جنيها ونبت مسمار الباب في صدرها، وسقطت مريضة حتّى ماتت (انظر الإمامة والخلافة: ص ١٦٠). وقال الذهبي في الميزان، في ترجمة ابن أبي دارم: وقال محمد بن أحمد بن حمّاد الكوفي الحافظ بعد أن أرّخ موته: كان مستقيم الأمر عامّة دهره، ثمّ في آخر أيامه كان يكثر ما يقرأ عليه المثالب، حضرتة ورجل يقرأ عليه: إنّ عمر رفس فاطمة حتّى أسقط محسن (ميزان الاعتدال ج ١: ص ١٣٩). ولأهميّة قضية إسقاط المحسن أيضاً نجدهم لا يتورّعون عن التحريف في كتبهم، فقد حرّفوا كتاب المعارف لابن قتيبة حسبما ذكره ابن شهر آشوب الذي أثنى عليه ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان ثناءً حسناً وقال عنه بعد مدحه: اشتغل بالحديث، ولقي الرجال ثمّ تفقّه وبلغ النهاية في فقه أهل البيت... (لسان الميزان ج ٥: ص ٣٥٠). فقال ابن شهر آشوب في كتابه مناقب آل أبي طالب: وفي معارف القتيبي: أنّ محسناً فسد من زخم قنفذ العدوي (انظر مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٣: ص ١٣٣). ممّا يشعر بأن ابن شهر آشوب كان مقبولاً حتّى عند أهل السنة فضلاً عن الشيعة. وأثنى عليه الصفدي





في كتابه الوافي بالوفيات قال: أبو جعفر السروي المازندراني، رشيد الدين، الشيعي، أحد شيوخ الشيعة، حفظ أكثر القرآن وله ثمان سنين، وبلغ النهاية في أصول الشيعة، كان يرحل إليه من البلاد، ثم تقدّم في علم القرآن والغريب والنحو، ووعظ على المنبر أيام المقتفي ببغداد فأعجبه وخلع عليه، وكان بهي المنظر، حسن الوجه والشبهة، صدوق اللهجة، مليح العبارة، واسع العلم، كثير الخشوع والعبادة والتهجد، لا يكون إلا على وضوء، أثنى عليه ابن أبي طي في تاريخه ثناء كثيراً (انظر الوافي بالوفيات ج ٤: ص ١٤٦). فإنّ قوله صدوق اللهجة دليل على وثاقته عند أهل السنة. وفي نص آخر أنه حين بويع لأبي بكر كان علي والزبير يدخلون على فاطمة عليها السلام ويشاورونها ويرتجعون في أمرهم، فبلغ ذلك عمر، فجاء في جماعة ممّن بايع أبا بكر وفيهم أسيد بن حضير، وسلمة بن سلامة فألقوهم مجتمعين، فقالوا لهم: بايعوا أبا بكر! فقد بايعه الناس! فوثب الزبير إلى سيفه، فقال عمر: عليكم بالكلب فاكفونا شرّه... فبادر سلمة بن سلامة فانتزع السيف من يده، فأخذه عمر فضرب به الأرض فكسره، وأحدقوا بمن كان هناك من بني هاشم ومضوا بجماعتهم إلى أبي بكر، فلمّا حضروا قالوا: بايعوا أبا بكر! فقد بايعه الناس، وأيم الله لئن أبيتم ذلك لنحاكمنكم بالسيف... فلمّا رأى ذلك بنو هاشم أقبل رجل رجل فجعل يبايع حتى لم يبق ممّن حضر إلا علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال له: بايع أبا بكر، فقال علي عليه السلام: «أنا أحقّ بهذا الأمر منه وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار، واحتججتم عليهم بالقرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله وتأخذونه منّا أهل البيت غصباً؟! ألستم زعمتم للأنصار أنّكم أولى بهذا الأمر منهم لمكانكم من رسول الله صلى الله عليه وآله فأعطوكم المقادة، وسلّموا لكم الإمارة؟ وأنا أحتجّ عليكم بمثل ما احتججتم على الأنصار، أنا أولى برسول الله صلى الله عليه وآله حيّاً وميتاً وأنا وصيّّه ووزيره، ومستودع سرّه وعلمه، وأنا الصديق الأكبر، أوّل من آمن به وصدّقه، وأحسنكم بلاء في جهاد المشركين، وأعرفكم بالكتاب والسنة، وأفقهكم في الدين، وأعلمكم بعواقب الأمور، وأدربكم لساناً، وأثبتكم جناحاً، فعلام تنازعونا هذا الأمر؟! أنصفونا - إن كنتم تخافون الله - من أنفسكم، واعرفوا لنا من الأمر مثل ما عرفته الأنصار لكم، وإلاّ فبوؤا بالظلم وأنتم تعلمون». فقال عمر: أما لك بأهل بيتك





أسوة..؟! فقال علي عليه السلام: «سلوهم عن ذلك...»، فابتدر القوم الذين بايعوا من بني هاشم، فقالوا: ما بيعتنا بحجة على علي عليه السلام... ومعاذ الله أن نقول أنا نوازيه في الهجرة وحسن الجهاد، والمحل من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمر: إنك لست متروكاً حتى تباع طوعاً أو كرهاً. فقال علي عليه السلام: «احلب حلباً لك شطره، اشد له اليوم ليرد عليك غداً، إذا والله لا أقبل قولك، ولا أحفل بمقامك... ولا أباع»، فقال أبو بكر: مهلاً يا أبا الحسن! ما نشدد عليك ولا نكرهك. فقام أبو عبيدة إلى علي فقال: يا ابن عم! لسنا ندفع قرابتك ولا سابقتك ولا علمك ولا نصرتك ولكنك حدث السن - وكان لعلي عليه السلام يومئذ ثلاث وثلاثون سنة - وأبو بكر شيخ من مشايخ قومك وهو أحمل لثقل هذا الأمر، وقد مضى الأمر بما فيه، فسلم له، فإن عمرك الله لسلموا هذا الأمر إليك، ولا يختلف عليك اثنان بعد هذا إلا وأنت به خليك وله حقيق... ولا تبعث الفتنة قبل أوان الفتنة، قد عرفت ما في قلوب العرب وغيرهم عليك، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «يا معاشر المهاجرين والأنصار! الله الله لا تنسوا عهد نبيكم إليكم في أمري ولا تخرجوا سلطان محمد من داره وقعر بيته إلى دوركم وقعر بيوتكم وتدفعوا أهله عن حقه ومقامه في الناس، يا معاشر الجمع! أن الله قضى وحكم ونبيه أعلم وأنتم تعلمون إنا أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم، أما كان منا القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، المضطلع بأمر الرعية؟ والله إنه لفينا لا فيكم، فلا تتبعوا الهوى فتردادوا من الحق بعداً، وتفسدوا قديمكم بشر من حديثكم». فقال بشير بن سعد الأنصاري - الذي وطأ الأمر لأبي بكر - وقالت جماعة الأنصار: يا أبا الحسن! لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك قبل الانضمام لأبي بكر ما اختلف فيك اثنان... فقال علي عليه السلام: «يا هؤلاء أكنت أدع رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى لا أواريه وأخرج أنازع في سلطانه؟» (انظر الاحتجاج للشيخ الطبرسي ج ١: ص ٩٥) وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام. وهنا لا بد من الإشارة إلى النقاط التالية:

النقطة الأولى: عصمة الزهراء عليها السلام في كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولقد كانت فاطمة الزهراء عليها السلام تتمتع بمكانة عالية عند الله وعند أبيها صلى الله عليه وسلم، ومن أوكد الدلائل على عصمتها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (سورة





الأحزاب: ٣٣). وقد اتفقت الأمة على أنّ المراد بأهل البيت في الآية الكريمة هم أهل بيت رسول الله ﷺ، وقد وردت الروايات من الفريقين على نزول آية التطهير في الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء والحسن والحسين ﷺ، فأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن عائشة قالت: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (صحيح مسلم ج ٧: ص ١٣٠ كتاب الفضائل، باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ). ويستفاد من الآية الكريمة والروايات الواردة في تفسيرها عدة أمور، الأمر الأول: إنّ التعبير بـ"إنما" يدلّ على الحصر وهذا دليل على أنّ هذه المنقبة خاصّة بأهل بيت النبي ﷺ. الأمر الثاني: إنّ كلمة "يريد" إشارة إلى إرادة الله التكوينية، وإلاّ فإنّ الإرادة التشريعية لا تنحصر بأهل بيت النبي ﷺ، لأنّ كلّ الناس مكلفون بأن يتطهروا أنفسهم من القذارة الظاهرية أو من القذارة الباطنية كأنّ يتطهروا أنفسهم من كلّ ذنب ومعصية. الأمر الثالث: إنّ لفظة الرجس تعني الشيء القذر، سواء كان نجساً وقذراً من ناحية طبع الإنسان أو بحكم العقل أو الشرع أو جميعها، وما ورد في بعض الأحيان من تفسير الرجس بالذنب أو الشرك أو البخل والحسد، أو الاعتقاد بالباطل، وأمثال ذلك، فإنّه في الحقيقة بيان لمصاديقه، وإلاّ فإنّ مفهوم هذه الكلمة عامّ وشامل لكلّ أنواع الرجس والقذر، وهذا يعني أنّ الله تعالى طهر أهل البيت ﷺ من كلّ ذلك. الأمر الرابع: إنّ كلمة "التطهير" مفعول مطلق يدلّ على منتهى الطهارة، يعني إزالة النجس، هو تأكيد على مسألة إذهاب الرجس، والنتيجة أنّ هذه الآية والروايات من دون شكّ وترديد تثبت عصمة أهل البيت ﷺ من الذنب والرجس ولا معنى لغير ذلك. وهناك آيات قرآنية كثيرة تدلّ على عصمة الزهراء ﷺ ولكن تماشياً مع اختصار البحث اقتصرنا على آية التطهير. وأمّا الأحاديث النبوية الشريفة في حقّها التي تدلّ على عصمتها وطهارتها أيضاً كثيرة منها قوله ﷺ: «فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني» (انظر صحيح البخاري ج ٤: ص ٢١٠ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم). ومن الواضح أنّ غضب





رسول الله ﷺ موجب لأذاه ومن يسبب الأذى لرسول الله ﷺ يقع مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة توبة: ٦١). وأي دليل أقوى على عصمتها ﷺ من أن غضبها غضب رسول الله ﷺ وأن رضاها رضا رسول الله ﷺ كما ورد في النبوي الشريف: «يا فاطمة، إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك» (انظر المستدرک على الصحيحین ج ٣: ص ١٥٤). وهذا المقام الرفیع هو الذي دعى رسول الله ﷺ أن یلقبها بسيدة نساء العالمین إذ یقول فی حقها: «یا فاطمة! ألا ترضین أن تكونی سيدة نساء العالمین، وسيدة نساء هذه الأمة وسيدة نساء المؤمنین؟» (انظر المستدرک على الصحيحین للحاکم النیسابوری ج ٣: ص ١٥١، وفصائل الصحابة ص ٨٥، ومسند أحمد ج ٣: ص ٨٠)

النقطة الثانية: مكانة دار الزهراء ﷺ في القرآن والسنة؛ فقد ذكر المحدثون، عندما نزلت الآية الشريفة: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (سورة النور: ٣٦)، قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية في المسجد فقام إليه رجل فقال: أي بيوت هذه يا رسول الله؟ قال ﷺ: «بيوت الأنبياء»، فقام أبو بكر فقال: يا رسول الله أهذا البيت منها؟ مشيراً إلى بيت علي وفاطمة ﷺ، قال ﷺ: «نعم من أفاضلها!» (انظر تفسير الدر المنثور للسيوطي ج ٥: ص ٥٠، وتفسير الآلوسي ج ١٨: ص ١٧٤). وبقي رسول الله ﷺ ستة أشهر بعد نزول هذه الآية ينادي عند مروره من جانب بيت فاطمة ﷺ وهو ذاهب إلى صلاة الصبح: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (سورة الأحزاب: ٣٣). فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن أنس بن مالك: إن رسول الله ﷺ كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول: «الصلاة يا أهل البيت، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾» (مسند أحمد بن حنبل ج ٣: ص ٢٨٥)، ورواه الترمذي في سننه ج ٥: ص ٣١، والحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحین ج ٣: ص ١٥٨، وابن كثير في تفسيره ج ٣: ص ٤٩٢ وغيرهم. ومعناه أن هذه الدار هي مهبط وحي ومنبع النور الإلهي، وقد أمر الله أن ترفع ويذكر اسمه...





أجل، هذه الدار التي تضم أصحاب الكساء وقد ذكرها الله عز وجل بتبجيل وإجلال، يجب أن تكون محل تقدير واحترام المسلمين قاطبة، ولكن لنرى كم روعيت حرمة هذه الدار بعد رحيل النبي الأكرم ﷺ؟ وكيف تجرؤوا على هتك حرمتها؟ وقد اعترفوا بذلك صراحةً، ومن هم أولئك الهتاكون، وما كانت بغيتهم؟

النقطة الثالثة: هتك حرمة دار الزهراء ﷺ بعد رحيل والدها الكريم ﷺ، أجل، بعد الوسايا العديدة والمؤكدة، نرى - ومع الأسف - أن البعض قد تجرأ على هتك حرمة هذه الدار، وليست هذه المسألة بالتي يمكن انكارها إطلاقاً. وقد أشرنا إلى بعض النصوص الواردة في هذه المسألة من مصادر أهل السنة ليتضح أن مسألة هتك حرمة بيت الزهراء ﷺ والأحداث التي تعقبت هذا الحادث إنما هي حقيقة تاريخية مسلمة وليست بالأسطورة بحال!! وبالرغم من محاولة التعتيم للحقائق في عصر الخلفاء وتزوير وتحريف للواقع وتضليل للأفكار والأذهان والمؤاخذه بالشدة بالنسبة إلى ذكر فضائل ومناقب أهل البيت ﷺ، ولكن بما أن حقيقة الشيء هي المحافظة له، وهي لا تبقى تحت الستار إلى الأبد، فقد حُفظت هذه الحقيقة التاريخية بصورة حيّة في طيات الكتب التاريخ والمصادر الحديثية، فإن هذه الفاجعة الأليمة مضافاً إلى أنها أحد مخالفات خلفاء الجور للدين الحنيف، فإنها مما تكون مشمولة لحديث ستة لعنهم الله ورسوله ﷺ وكل نبي معجابه، وذلك لشمولهم: ما استحلوا من عترته الطاهرة ﷺ الذي حرّمه الله... فإن خلفاء الجور وأتباعهم مشمولين لهذه الفقرة من الحديث كما هو ظاهر واضح، فلاحظ.

(١) لا شك أن غصب الخلافة بعد وفاة رسول الله ﷺ من أبرز مصاديق محاربة الله ورسوله ﷺ، لأن غصب الخلافة مقابلة عدائية لله ورسوله ومعاداة بصورة علنية وغير خافية على أحد، فتكون مشمولاً لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (سورة الحشر: ٤). فإن كلمة "شاقوا" من مادة شقاق وهي بمعنى الفصل بين شيئين، وبما أن العدو يكون دائماً في الطرف المقابل، وبمعاداته





يريد الانشقاق والانفصال فسمي بالشقاق تنبيهاً على أن مخالفة أعداء الله ورسوله ﷺ ليس لديهم أي منطق سوى الانشقاق بين الأمة، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، يعني ذلك بأنهم عادوا الله ورسوله ﷺ، ومن يعادي الله ورسوله ﷺ فإن الله شديد العقاب. ومن هنا يعرف أن عداء أهل السقيفة والتابعين لهم في غصب الخلافة من أهل البيت ﷺ عداء لرسول الله ﷺ، لأن غصب الخلافة انحراف في الدين والانحراف في الدين لا يصدر إلا من أهل العداء للدين، وأهل العداء للدين ليس لديهم هدف إلا مخالفة ما جاء به الرسول ﷺ، ومعاداته ﷺ، ومن الواضح أن ما جاء به رسول الله ﷺ هو من الله عز وجل، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، وعليه فإن غصب الخلافة من مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عداء لله ورسوله ﷺ. ولكن مع ذلك أن أتباع السقيفة لم يكتفوا بهذا مقدار من المحاربة للعترة الطاهرة ﷺ، بل حاربوهم محاربة لم يحاربوا بمثلاً مع الكفار والمشركين. فأباحوا دماء العترة الطاهرة ﷺ وهجموا على بيوتهم التي طالما كان رسول الله ﷺ كان يقف أمامها ويتلو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (سورة الاحزاب: ٣٣). فقد روى كبار علماء أهل السنة بأسناد صحيحة، منهم الترمذي في سننه بسنده عن عمرو بن أبي سلمة ربيب النبي ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ في بيت أم سلمة، فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً فجلبهم بكساء وعليّ خلف ظهره فجلبهم بكساء ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: «أنت على خير» (سنن الترمذي ج ٥: ص ٣٠). ومنهم مسلم في صحيحه بسنده عن عائشة قالت: خرج رسول الله ﷺ غداة وعليه مرط مرحّل من شعر أسود فجاء الحسن بن عليّ فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء عليّ فأدخله، ثم قال ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (صحيح مسلم ج ٦: ص ١٤٥ كتاب الفضائل باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ). وقال الفخر الرازي بعد ذكر





لهذه الرواية: اعلم أنّ هذه الرواية كالمُتَّفَق على صحتّها بين أهل التفسير والحديث (تفسير الفخر الرازي ج ٨: ص ٨٥). فحاربوا أهل البيت عليهم السلام ، ولم ينصروهم مع أنّهم سمعوا أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله قائلاً للامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «يا علي حرك حربي وسلمك سلمي» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢: ص ٢٩٧). وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وآله: «يا علي حرك حربي وسلمك سلمي وحزبك وحزبي وحزبي حزب الله» (انظر تفسير فرات الكوفي: ص ٢٦٦). فمحاربة العترة الطاهرة عليهم السلام المحاربة الله ورسوله صلى الله عليه وآله بنصّ هذه الروايات، وبذلك هم دخلوا تحت عنوان المحاربين لله ولرسوله صلى الله عليه وآله، إذ بعد قيام الحجّة عليهم من الكتاب والسنة قد وقعوا في حفرة عميقة لا يمكنهم الخلاص منها، وقد دفعوا الأمة إلى معاداة الله ورسوله صلى الله عليه وآله. فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن أبي هريرة قال نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى علي والحسن والحسين وفاطمة فقال: «أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم» (مسند أحمد بن حنبل ج ٢: ص ٤٤٢)، ورواه الحاكم في المستدرک، ثم قال: هذا حديث حسن من حديث أبي عبد الله أحمد بن حنبل (المستدرک على الصحيحين ج ٣: ص ١٤٩). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في كتبهم بهذا المضمون. وعليه فإنّ محاربتهم لأهل البيت عليهم السلام عوض نصرتهم وإيضاً بذلك شملهم حديث ستّة لعنهم الله ولرسوله صلى الله عليه وآله وكلّ نبي مجاب كما هو واضح ظاهر، فلا حظ.

(١) لا يخفى على الخبير أنّ خلفاء الجور قد تسلّطوا على الإمة بالقهر والجبروت ، ولذلك أتباع الخلافة السقيفة يعتقدون بوجوب طاعة كلّ من تسلط على الناس كائنًا من كان برّاً كان أم فاجراً، فإنّ طاعة السلطان عندهم واجبة وإن كان معلناً للفسوق وشرب الخمر كيزيد بن معاوية وأمثاله. قال الماوردي في كتاب الأحكام السلطانية، نقلاً عن أحمد بن حنبل أنّه قال: ومن غلب عليهم بالسيف حتّى صار خليفة وسمّي أمير المؤمنين، فلا يحلّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً، برّاً كان أو فاجراً (انظر الأحكام





السلطانية: ص ٢٣). ورواه البيهقي عن حرملة قال: سمعت الشافعي يقول: كل من غلب على الخلافة بالسيف حتى يسمّى خليفة ويجمع الناس عليه، فهو خليفة (انظر مناقب الشافعي للبيهقي ج ١: ص ٤٤٨ باب ما يؤثر عنه في قتال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أهل القبلة). وفي روضة الطالبين للنووي: وأمّا الطريق الثالث، فهو: القهر والاستيلاء؛ فإذا مات الإمام فتصدّى للإمامة من جمع شرائطها من غير استخلاف، ولا بيعه، قهر الناس بشوكتة وجنوده، وانعقدت خلافته لينتظم شمل المسلمين، فإن لم يكن جامعاً للشرائط بأن كان فاسقاً أو جاهلاً فوجهاً، أصحهما: انعقادها، لما ذكرناه، وإن كان عاصياً بفعله (انظر روضة الطالبين ج ٧: ص ٢٦٧ كتاب الإمامة، الباب الأول، الفصل الثاني). وقال أيضاً: المسألة الثالثة: إذا ثبتت الإمامة بالقهر والغلبة فجاء آخر فقهره، انعزل الأول وصار القاهر الثاني إماماً (روضة الطالبين ج ٧: ص ٢٦٧ كتاب الإمامة). وقال ابن حجر بعد نقل هذه الروايات: أنّه قد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه (انظر فتح الباري ج ١٣: ص ٥ كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ سترون بعدي أموراً). وقال أبو حامد الإسفرائيني الشافعي في كتاب الجنايات من الينابيع: وتنعقد الإمامة... بالقهر والاستيلاء، ولو كان فاسقاً أو جاهلاً أو عجمياً (انظر كتاب إحقاق الحق للقاضي نور الله التستري ج ٢: ص ٣١٧ نقلاً عن كتاب الجنايات). وفي الحقيقة أنّ مشروعية هذا النوع من السلطة مأخوذة من خلفائهم، لأنّه لا دليل على مشروعية حكومة السلطان ولا على وجوب طاعته، فإنّ كيفية وصول خلفائهم إلى القدرة والسلطة وإقامة الحكومة على الناس بالغلبة والسيف صار دليلاً عندهم على اعتباره. وبعبارة أخرى أنّ تسليط خلفائهم على رقاب الناس وإدارة الحكومة لهم ولوبتسليطهم الطلقاء وطواغيت قریش على الناس أسسوا مشروعية خلافتهم الجائرة، ثم صار ذلك ميزاناً ومعياراً لوجوب الطاعة عندهم. وفي الواقع أنّ أتباع خلافة السقيفة بدلوا الولاية الإلهية والحكومة الشرعية، بالسلطة السياسيّة والاستيلاء على القدرة الظاهريّة. وعليه فلا دليل لهم على مشروعية حكومة خلفائهم سوى ما فعله خلفائهم من غصب الخلافة في التاريخ. وفي الحقيقة يعتقدون بمشروعية حكومة خلفائهم بنفس ما فعله خلفائهم. ولكن





القرآن والسنة النبوية يدلان على أن الولاية والحكومة الشرعية لها معيار وميزان شرعي ولا تتحقق إلا بتحقيق شرائطه شرعاً. وحسبك من الأدلة قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (سورة المائدة: ٥٥). فإن كلمة "إنما" تدل على الحصر، ومعناه أن الولاية الشرعية منحصرة في الثلاثة المذكورة في هذه الآية الكريمة لا غير، وهم: الله عز وجل، ورسول الله ﷺ، والمؤمن الذي أعطى الزكاة في حال الركوع، وإجماع المسلمين ثبت أن المقصود بمن أعطى الزكاة في حال الركوع للفقير هو مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لأنه ذكر جميع علماء الاسلام أن الآية نزلت في شأن مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، كما سنذكر مصادرها في محله إن شاء الله تعالى. وبعبارة أخرى أن التعليق على الحكم مشعر بالعلية، أي: إذا ورد حكم لوصف، فمفهومه أن هذا الوصف يكون علة لهذا الحكم، مثلاً لو قيل: أكرم العلماء، فمعنى ذلك أن العلم في هؤلاء الأشخاص هو السبب في لزوم الإكرام. وفي المقام أن الأمر يكون كذلك أي: أن من أعطى الزكاة في حال الركوع له الولاية الشرعية. وعليه فإن الآية الشريفة بينت أن الولاية الشرعية منحصرة في هؤلاء الثلاثة. وشاهد على ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (سورة المائدة: ٥٦). فهو قرينة على أن المراد من الولاية هي الولاية الشرعية، لأن العطف دليل على أن المقصود بالمؤمن هو من كان له جميع شرائط الرسول ﷺ، سوى نزول الوحي عليه لأنه خرج بالدليل القطعي. وعليه فبمقتضى هذه الآية المباركة أن الولاية الشرعية لا تتعلق إلا بالمعصوم، لأن العطف يقتضي ذلك. ومن هنا يعرف أن للولاية الشرعية شرائط في الشرع الأقدس، وإليك بعض شرائطها المستفادة من القرآن الكريم، أولاً: أن الولاية لا بد أن تكون بتعيين الله عز وجل. وثانياً: لا بد أن تكون مشروعية قبل تحقق الحكومة. وثالثاً: لا بد أن يكون الحاكم معصوماً. وعليه فإن هذه الآية الكريمة تكفي لإبطال خلافة خلفاء الثلاثة، لأنهم فاقدين للشرائط المعتمدة في القرآن الكريم. ومن الواضح أن الحكومة الفاقدة للشرائط الشرعية هي الحكومة المتسلطة بالجبروت، والحاكم المتسلط



مذللين لمن أعزّه الله، وهم أهل البيت عليه السلام،^(١)



بالجبروت مشمول لحديث سته لعنهم الله ورسوله ﷺ وكل نبي مجاب، فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّ العزّة الحقيقيّة مختصّة بالله سبحانه وتعالى، لأنّ العزّة الإلهية هي العزّة الدائمة وهي العزّة الباقية، فإنّ الله سبحانه وتعالى هو الغالب والقاهر، وليس لسواه نصيب فيها. والعزّة الظاهرية ليست في الحقيقة عزّة، بل صورة على الماء، حيث أنّ العزّة الحقيقية قائمة بارادة الله سبحانه، فلا بدّ وأن يطلبها الانسان عن طريق العبوديّة، آملاً أنّ يفيضها عليه سبحانه وتعالى من رحمته الواسعة. ويتّضح هذا المعنى من خلال الرجوع إلى القرآن الكريم والروايات الواردة في المقام. قال الله تبارك وتعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ (سورة الفاطر: ١٠). وتعني "العزّة" في اللغة العربية بالقدرة والسلطان غير القابل للتصدّع والتدهور، أي: أنّ العزّة تتحقق بأهداف الرسالة الربانية، وقد جعل القرآن الكريم العزّة من الأمور التي يختصّ بها الله تعالى، ولأنّ الله سبحانه وتعالى هو الذات الوحيدة التي لا تغلب، وجميع المخلوقات بحكم محدوديتها قابلة لأن تغلب، وعليه فإنّ العزّة جميعها من الله، وكلّ من اكتسب عزّة فمن بحر عزّته اللامتناهي. وفي حديث ينقل أنس عن النبي ﷺ أنّه قال: «إِنَّ رَبَّكُمْ يَقُولُ كُلَّ يَوْمٍ أَنَا الْعَزِيزُ، فَمَنْ أَرَادَ عِزَّ الدارين فليطع العزيز» (مجمع البيان ج ٨: ص ٢٣٤)، ورواه المتقي الهندي في كنز العمال ج ١٥: ص ٧٨٥. وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «هو العزيز الغالب على ما يشاء ليس لأحد أن ينازعه فيه، الحكيم لا يفعل إلّا بعلم وإتقان، ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾ أي الشرف والمنعة، ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ أي فليطلبها من عنده فإنّ كلّها له» (بحار الأنوار ج ٦٨: ص ١٢٠). وفي الحقيقة أنّ الإنسان العاقل يجب أن يتزوّد بالماء من منبعه الأصيل، لأنّ الماء الصافي والوافر متوفر هناك، لا في الأواني الصغيرة المحدودة أو الملوثة في يد هذا وذاك. ولذلك قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِئْتَعُونَ عَنْدهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (سورة النساء: ١٣٩). وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (سورة يونس: ٦٥). فإنّ





أسباب العزّة والذلّة بيد قدرته سبحانه وتعالى، وقد جعل العزّة في أوليائه كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة المنافقين: ٨). فأولياء الله وأحبّاءه أنما تكون عزّتهم بأهدافهم، وذلك باقامة الحجة الإلهية على الخلق، فهذه هي السلطة والقدرة الإلهية، فالمقصود بالسلطة هنا ليست هي السلطة الظاهرية، بل السلطة على قلوب الناس. والمؤمن إنما يكون عزيزاً بإيمانه الراسخ ويطاعته لله ورسوله، ومادام لم يخرج طاعة الله عز وجل فهو عزيز، ولذلك ورد في حديث عن الإمام الحسن المجتبي عليه السلام حيث روى جنادة بن أبي أمية قال: دخلت على الإمام عليه السلام في مرضه الذي توفي فيه وبين يديه طست يقذف عليه الدم ويخرج كبده قطعة قطعة، من السم الذي سقاه معاوية (لعنه الله)، قال: فقلت: يا مولاي ما لك لا تعالج نفسك؟ فقال: «يا عبد الله، بماذا أعالج الموت؟» قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون. ثم التفت إليّ وقال ضمن وصايا عديدة: «... وإذا أردت عزّاً بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان، فاخرج من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعة الله عز وجل...» الحديث (انظر بحار الأنوار ج ٤٤: ص ١٣٨). وقال الملام أحمد النراقي في كتابه جامع السعادات في بيان سريان هذه الصفة للإنسان المؤمن: إنّ المؤمن يرتقي إلى الله تعالى، ويتحلّى بالصفات الإلهية تبعاً لروح العبوديّة، والتسلّط على النفس، والاتّصاف بالقناعة، والتخلّص من الطمع في هذا العالم الذي لا يجلب سوى الذلّة، والاتّصال بمنبع فيض الرحمة الإلهية، ولهذا تتجلّى فيه العزّة كالأنبياء ورسل الحقّ، وتُضفي على قلبه القوّة والثبات والاستقامة، وتصبح حياته بعزّته، فلا يأذن الله له أن يتخلّى عن عزّته، وأن يتقبّل الذلّ بأيّ حال من الأحوال (انظر جامع السعادات ج ١: ص ٢٣٥). فالمعيار في العزّة هي الكرامة عند الله لا في أعين الخلق، كما أنّ المعيار في الذلّة هي الذلة أمام الله تعالى، لا عند الناس. فإنّ أهل البيت عليه السلام كانوا يعيشون في منتهى التذلّل والخضوع أمام الله سبحانه، كما يعرف ذلك من سيرتهم وأدعيتهم ومناجاتهم مع الله في جميع الأحوال، فهي كانت مبنية لهذا المعنى. وكانوا يتعاملون مع الناس بمنتهى التواضع، وبتعبير القرآن: ﴿وَاخْفَضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الشعراء: ٢٤١). وفي الوقت ذاته يتصفون بالعظمة والمهابة والعزّة، فلم يطؤوا رؤسهم أمام الظلمة والقتلة ولم يستسلمون



وشيعتهم فإنهم المؤمنون حقاً وصدقاً معزّين لمن أذله الله وهم المتأخرون عن أهل البيت عليهم السلام ^(١) والمتابعون لغيرهم، فترتب عليهم الوعيد فيما قاله



لهم أبداً. كما اتخذ بعضهم عليهم السلام نقشاً على خواتمه: "العزة لله". ولا يألون جهداً في توجيه هذا المعنى إلى أصحابهم بأن يتصفوا بهذه الصفات الحسنة عن طريق الإيمان بالله وطاعته والعبودية لله عز وجل ليصبحوا بعيدين عن الذلّة. وعليه فإن المقصود في الحديث اذلال من أعزّه الله، هو الذل الظاهري ومن العزة هي العزة الطاهرية. وقصد باذلال من أعزه الله أئمة أهل البيت عليهم السلام، فأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم هم الذين أعزهم الله، بحسب الآيات والروايات، وان كانوا مقهورين في السجون ومظلومين على أيدي الظلمة. وبمقتضى حديث ستة لعنهم الله وكل نبي مجاب: أن أحد أسباب اللعن هو لمن أراد أن يذل من أعزه الله، أو يعز من أذله الله. وبعبارة أخرى الملعون هو من يريد اذلال المؤمنين وأهل الطاعة، أو يريد عزة أهل الفسوق والفجور والطواغيت فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أن المقصود بالعزة في الإسلام ليست هي العزة الظاهرية التي قد تتحقق للسلطان الغالب على الأمر بالقدرة الظاهرية، والمتسلط على الناس بالجبروت، والتمكي بالمظاهر المادية من الحياة الدنيوية كما قال الله سبحانه وتعالى في حقهم: ﴿الَّذِينَ يَتَخَذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِيتُوا عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ (سورة النساء: ١٣٩). تشير هذه الآية إلى وضع المنافقين الذين كانوا يقفون يوماً بجانب المؤمنين وفي اليوم الآخر يقفون بجانب الكفار، وفي النهاية كانوا من الكافرين والمعاندين. وكان هدفهم اكتساب العزة والفخر عبر هذه المواقف المتشكّكة، فتقول الآية: ﴿أَبِيتُوا عَنْهُمْ الْعِزَّةَ﴾، فإن العزة والشرف كلّها لله، ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾. والحقيقة أن العزة إنما تحقق بالأهداف الربانية التي يعتز بها المرء، فيرتفع الإنسان بها إلى الصفات الحميدة، ويبقى موفور الكرامة، مرتاح الضمير، مرفوع الرأس، شامخ العرين، سالماً من ألم الهوان، متحرراً من رق الأهواء، ومن ذل الطمع، لا يسير إلا وفق إيمانه، والحق الذي يحمله ويدعو إليه، وقد قال تعالى في حق هؤلاء: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ





فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴿١٠﴾ (سورة فاطر: ١٠). فَإِنَّ الْعِزَّةَ الْحَقِيقِيَّةَ وَالْغَلْبَةَ الْوَاقِعِيَّةَ هِيَ لِلَّهِ وَلَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِ الرِّسَالَةِ السَّمَاوِيَّةِ وَبِرَامِجِ الْأَنْبِيَاءِ وَمَخْطَطَاتِهِمْ لِلْوُصُولِ إِلَى الْأَهْدَافِ الْإِلَهِيَّةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (سورة يونس: ٦٥). فَالْعِزَّةُ هِيَ حَالَةُ لِلرِّجَالِ الْوَاعِينَ الَّذِينَ أَخَذُوا مَبَادِئَ الدِّينِ وَمَنْهَجَ التَّوْبَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (سورة آل عمران: ١٣٩). وَفِي قِبَالِ الْعِزَّةِ هِيَ الذَّلَّةُ، وَقَدْ وَصَفَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِلَّذِينَ لَمْ يَتَّبِعُوا طَرِيقَ هَدْيِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأُئِمَّةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾ (سورة طه: ١٣٤). فَالْمُنَافِقُونَ كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّ الْعِزَّةَ فِي النِّفَاقِ وَالْمَالِ وَالْعَشِيرَةِ وَالسُّلْطَةِ وَالْمَسَائِلِ الْمَادِيَّةِ بِشَكْلِ عَامٍّ، فَكَانُوا يَسْعَوْنَ إِلَى تَحْصِيلِهَا. وَقَدْ بَيَّنَّ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ الْحَقِيقَةَ الْعِزَّةَ الْوَاقِعِيَّةَ وَالذَّلَّةَ الْحَقِيقِيَّةَ بِصُورَةٍ وَاضِحَةٍ: بَأَنَّ الْعِزَّةَ وَالشَّرَافَةَ وَالْكَرَامَةَ فِي الْإِسْلَامِ هِيَ مَا تَرْتَبُطُ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ كَمَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة المنافقين: ٨). فَقَدْ أَشَارَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ إِلَى سُوءِ مَقَاصِدِ الْمُنَافِقِينَ وَنَوَايَاهُمْ لِلثِّمَةِ وَمَقَاصِدِهِمُ السَّيِّئَةِ، حَيْثُ كَانُوا يَقُولُونَ: لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ، حَيْثُ أَنَّهُمْ كَانُوا يَرِيدُونَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْكَلَامِ أَنَّهُمْ أَهْلُ الْمَدِينَةِ الْأَصْلِيِّينَ الَّذِينَ سَيُخْرِجُونَ مِنْهَا الرَّسُولَ ﷺ وَأَصْحَابَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ بَعْدَ عَوْدَتِهِمْ مِنْ غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، وَلَمْ يَكُنْ مُنَافِقُوا الْمَدِينَةَ وَحَدَّهُمُ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا بِهَذَا الْكَلَامِ الْبَائِسِ، بَلْ سَبَقَهُمْ إِلَى ذَلِكَ رُؤَسَاءُ قَرِيشٍ عِنْدَمَا قَالُوا: سَيَنْتَهِي أَمْرُ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةِ الْقَلِيلَةِ الْفَقِيرَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِذَا حَاصِرْنَا هُمْ اقْتِصَادِيًّا أَوْ أَخْرَجْنَا هُمْ مِنْ مَكَّةَ. فَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ طُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَاتَّخَذُوا مِنْهَا جَهَنَّمَ وَاحِدًا عَلَى مَدَى التَّارِيخِ، وَظَنُّوا أَنَّ مَا لَدَيْهِمْ بَاقٍ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى إِزَالَتِهِ وَإِزْهَاقِهِ بِلَمْحَةٍ بَصَرٍ. فَيَقُولُ تَعَالَى: ﴿أَيَّتَغَوَّنَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (سورة النساء: ١٣٩). فَحَيْثُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَانُوا غَارِقِينَ فِي التَّكَبُّرِ وَالْغُرُورِ وَكَانُوا يَتَوَهَّمُونَ أَنَّ الْعِزَّةَ فِي عَدَمِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْإِسْتِقْلَالِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَدْ لَحِقَ





بهم الذل أثر طغيانهم. فلو أنهم كانوا يؤمنون بالله ويدركوا حقيقة العبودية ومالكية الله لكل شيء وساروا في هذا الطريق للحقهم العزة. وقد ورد في الحديث عن الإمام الحسن المجتبي عليه السلام أنه قال: «وإذا أردت عزاً بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان، فإخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعة الله عز وجل» (مستدرک الوسائل ج ١١: ص ٢٥٨). وتتضح هذه الحقيقة من خلال التأمل فيما رواه ابن شهر آشوب في كتابه مناقب آل أبي طالب، قال: قدّم معاوية المدينة، فجلس في أول يوم يُجيز من دخل عليه من خمسة آلاف إلى مائة ألف. فدخل عليه الإمام الحسن عليه السلام في آخر الناس، فقال له معاوية: أبطأت يا أبا محمد، فلعلك أردت أن تبخلني عند قريش، فانتظرت يفتني ما عندنا! يا غلام، أعط الحسن مثل جميع ما أعطينا في يومنا هذا، يا أبا محمد وأنا ابن هند! فقال الإمام الحسن عليه السلام: «لا حاجة لي فيها يا أبا عبد الرحمن، ورددتها وأنا ابن فاطمة بنت محمد رسول الله ﷺ» (مناقب آل أبي طالب ج ٣: ص ١٨٣). فأراد معاوية أن يفتخر بأخزي نسب وأخطه، فافتخر بأمه هند بنت عتبة بن ربيعة الأموية، آكلة الأكباد، المعروفة في الجاهلية بذوات الأعلام، وكان لها دور في تحريض المشركين يوم أحد على قتل المسلمين، وهي التي مثلت بجسد أسد الله وأسد رسوله حمزة سيد شهداء زمانه عليه السلام. ثم كان لها بعد إظهارها الإسلام وقاحات وأفاعيل، وقد جاءت مع النساء اللواتي جئن يبایعن رسول الله ﷺ، فأخذ النبي ﷺ عليهن شروط آية الممتحنة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ...﴾ (انظر سبل الهدى والرشاد ج ٥: ص ٢٢٥، والسيرة الحلبية ج ٣: ص ٩٤، وتاريخ الخميس ج ٢: ص ٩٤، والاحتجاج ج ١: ص ٢٦٥، وسيرة ابن إسحاق ج ٣: ص ٣١٢، والبحار ج ٢٠: ص ٥٥، وشجرة طوبى ج ٢: ص ٢٨٣، ونهج السعادة ج ٣: ص ١٦١، والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣: ص ٦٠٧، وفتح الباري ج ٧: ص ٢٧٢، وعمدة القاري ج ١٧: ص ١٤٣، والبداية والنهاية ج ٤: ص ٤٢، وشرح النهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٥: ص ١٢ و٢٣٧، وغير ذلك من المصادر). ولا ندري كيف تجرّأ معاوية وجه القباحة والعار أن يفتخر بأمه، والأعجب من هذا أن يُفاخر بذلك سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسن المجتبي عليه السلام وهو ابن سيّدة





نساء العالمين من الأولين والآخرين، وبضعة سيّد الخلائق أجمعين!! فكان فخر الإمام الحسن الزكيّ عليه السلام وافتخاره بأمه الزهراء عليها السلام مبيّناً للعزّة والعظمة والشرافة والكرامة المرتبطة بالإيمان بالله تعالى، وأن يُظهر عزّه الأعزّ، وفخره الأفخر، فيردّ دربهات معاوية في وجهه، ويفتخر أنّه ابن فاطمة عليها السلام، ومَن هي فاطمة، صلوات الله وسلامه على فاطمة، هي التي قُطم الخلق عن معرفتها. وقد ورد في الحديث عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ الله تبارك وتعالى فوّض إلى المؤمن كلّ شيء إلاّ إذلال نفسه» (الكافي ج ٥: ص ٦٣). وفي رواية أخرى عن سماعة، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إنّ الله عزّ وجلّ فوّض إلى المؤمن أموره كلّها ولم يفوّض إليه أنّ يذلّ نفسه، ألم ير قول الله عزّ وجلّ ههنا: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾. والمؤمن ينبغي له أن يكون عزيزاً» (الكافي ج ٥: ص ٦٤). وعليه فإنّ الطريق الوحيد للنيل إلى العزّة والكرامة هو الاعتقاد القلبي والارتباط القوي بالله سبحانه وتعالى والطاعة لله ولرسوله ﷺ والتمسك بأهل البيت المعصومين عليه السلام، فهذه هي عزّة أهل الإيمان وهي التي تكون ناتجة بحسب النصوص كتاباً وسنةً بساحة الكبرياء الإلهي وبأنوار مقام الرسالة وأهل بيته المعصومين عليه السلام، فيكتسب بذلك العزّة والقدرة في الدنيا والآخرة.

وهنا نقطة جديدة بالالتفات، وهي أنّ من أهمّ الطرق للوصول إلى العزّة في القرآن الكريم وكلمات أهل البيت عليه السلام، هي عن طريق كرامة الإنسان عند الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾ (سورة الحجرات: ١٣). فالعزّة تحصل للانسان بالتقوى. وعليه فإنّ الشيعة حيث أنّهم متمسكون بالقرآن ويقتدون بأئمة أهل البيت عليه السلام فهم مؤمنون حقّاً وصدقاً ومعزّين ببركة أهل البيت عليه السلام، لأنّهم سائرون على نهج أهل البيت عليه السلام، ولم يتقدموا عليهم، ولم يتأخروا عنهم، فهؤلاء المقصود بهم في قوله ﷺ: «أذلوا من أعزّه الله في الحديث وسيتضح هذا الأمر للقارئ الكريم من خلال المطالب الآتية إن شاء الله تعالى، وعليه فإنّ أتباع السقيفة يشملهم اللعن من الستة المذكورة في الحديث من هذه الجهة ايضاً فلاحظ.

١٩٦ منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨

سبحانه في آية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾^(١).

(١) سورة البقرة: ١٥٩، وهذا دليل آخر لشمول اللعن من الله ورسوله واللاعنون على خلفاء السقيفة وأتباعهم ، فقد خاطب سبحانه وتعالى في هذه الآية المباركة كل من يدرك الحق بعقله وفي نفس الوقت يكتمه، فقد حذر الله جميع الناس عما يترتب على كتمان الحق من المفاصد الاجتماعية والشخصية. فقال سبحانه وتعالى: أَنْ اللَّهَ وَعِبَادَهُ الصَّالِحُونَ وملائكته المقربون يلعنون من يكتُم الحق. وبعبارة أخرى، أَنْ كُلَّ أَنْصَارِ الْحَقِّ يَغْضِبُونَ عَلَى مَنْ يَكْتُمُ الْحَقَّ، باعتبار أَنْ كتمانهم خيانة بالنسبة إلى من كتموا عنه الحق. وأية خيانة للعالم أكبر من محاولة العلماء الذين يكتُمون آيات الله المودعة عندهم من أجل مصالحهم الشخصية ومن أجل تضليل الناس؟! ولا يخفى أَنْ كتمان الحق يؤدي إلى تلبس الحق بالباطل كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة: ٤٢). والمستفاد من الآية الكريمة أَنْ الموجب لتلبس الحق بالباطل وتحريف آيات الله هو كتمان الحق. ولذلك أَنْ القرآن الكريم قد أغلق منافذ الأمل أمام علماء السوء من جميع الأديان والمذاهب الذين يكتُمون الحق من أجل مصالحهم الشخصية، ويأمرهم بالكف عن هذا الذنب الكبير فتقول الآية: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (سورة البقرة: ١٦٠). ولعلَّ القرآن لم يهدد ولم يذم فئة كما هدد وذمَّ الفئة الكاتمة للحقائق؛ ولم لا؟ فَإِنَّ عمل هؤلاء يجر أجيالاً متعاقبة إلى طريق الضلال والفساد، كما أَنْ نشر الحقائق يدفع بالأمم إلى طريق الهداية والصلاح. فَإِنَّ البشرية تميل للحقائق بفطرتها، وكتمان الحقائق عنها يعني صدَّ البشرية عن طريق تكاملها الفطري. فلو أَنْ علماء اليهود والنصارى أعلنوا ما عندهم من الحقائق بشأن النبي الخاتم ﷺ، ونشروا ما جاء في العهدين من البشائر حول الرسول الأكرم ﷺ، لانضوى أهل الكتاب تحت راية الإسلام، ولأصبحوا مع المسلمين أمة واحدة. فكتمان علمائهم للحقائق من علامات النبوة والبشائر بالنبي



الخاتم عليه السلام صار سبباً لضلالة الناس، بل أن عدم كتمان كل حقيقة يدفع الناس إلى الفهم الصحيح بالمعنى الواسع في الدين. ثم أن السكوت في بعض الموارد قد يؤدي إلى كتمان الحق، فيكون من مصاديقه، لأن عدم البيان يكون موجباً لعدم وضوح الأمر. فيجب على العالم البيان، إذ الناس يحتاجون بشدة إلى فهم الحقائق، ويستطيع العالم أن يلبي هذه الحاجة. وبعبارة أخرى: نشر الحقائق التي يعاني الناس من كتمانها لا يتوقف على كتمان الحقائق، وأن القرآن لا يتحدث عن كتمان الحقائق فحسب بل يتحدث في مواضع أخرى عن تبين الحقائق أيضاً، وهذا يرد على أولئك الذين يلتزمون جانب الصمت أمام الانحرافات بحجة عدم وجود سائل يطرح عليهم سؤالاً بشأن تلك الانحرافات، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ (سورة آل عمران: ١٨٧). والجدير بالذكر أن إلهاء الناس بالمسائل الفرعية لصرف أنظارهم عن المسائل الأساسية الحياتية نوع من كتمان الحقائق، وإن لم يشملها فرضاً تعبير كتمان الحقائق فإنه مشمول له بملاك وفلسفة كتمان الحق.

وأما كتمان الحق في الأحاديث فقد ورد روايات كثيرة وفيها الردع بشدة عن ذلك، ففي حديث روي عن النبي عليه السلام قال: «من سئل عن علم يعلمه فكنم ألبس يوم القيامة بلجام من نار» (مسند أحمد بن حنبل ج ٢: ص ٤٩٥). وفي رواية أخرى سئل عن مولانا الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من شر خلق الله بعد إبليس وفرعون؟ قال: «العلماء إذا فسدوا، هم المظهرون للأباطيل، الكاتمون للحقائق، وفيهم قال الله عز وجل: ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾» (انظر بحار الأنوار ج ٢: ص ٨٩). وعليه فإن خلفاء الجور الذين غصبوا الخلافة من أهلها وأتباعهم كانوا يكتمون الحق ويلبسون الحق بالباطل وقد شملهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (سورة البقرة: ١٥٩). كما شملهم ما يترتب على ذلك من الآثار السيئة التي وردت في الروايات الكثيرة الواردة في تفسير الآية الكريمة وقد أخرجها كبار علماء أهل السنة، وهي دالة على شمول اللعن لهم من الله ورسوله واللاعنون، فلاحظ.

فَعَلِمَ مِمَّا بَيَّنَّاهُ جَرِي مِنْ سَبِّهِمْ وَلَعْنِهِمْ عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ كِتَابًا
وَسُنَّةً^(١).

(١) لقد ثبت فيما تقدّم جواز سبّ من سبّه الله ورسوله ، ولعن من لعنه الله ورسوله شرعاً ، فالسبّ واللّعن يترتب عليهما الأحكام الشرعيّة حسب الأدلّة الواردة في الشريعة المقدّسة. وتوضيح المقام أنّه لا يجوز سبّ أو لعن المؤمن شرعاً، إذ ورد في الأحاديث المتّفقة بين الفريقين عن النبي ﷺ قال: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» (انظر الأمالي للشيخ الطوسي: ص ٥٣٧، وصحيح البخاري ج ١: ص ١٨ كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن أنّ يحبط عمله). فلا يجوز شرعاً سبّ المؤمن باتفاق الفريقين. وأمّا جواز السبّ أو اللّعن يجب اثباته من القرآن الكريم، أو السنّة النبوية المتّفقة عليها بين جميع المسلمين. وعندما نراجع إلى الأدلّة نجد أنّ النبي ﷺ مع ما كان في أعلى قمّة الأخلاق، الذي وصفه الله تعالى في الذكر الحكيم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة القلم: ٤). كان قد يواجه جماعة من الأوباش كابن الحكم الذي كان من سياسته محاربة الله ورسوله ﷺ فكان النبي ﷺ يلعنه وسبّه ليعرف الناس أنّه ساقط من جميع الجهات. وقد اشتهرت هذه المقولة من رسول الله ﷺ في حقّ مروان بن الحكم وأبيه - طريد رسول الله ﷺ - «اللّهم العن الوزغ بن الوزغ»، فقد روى الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين بسنده عن ميناء مولى عبد الرحمن بن عوف عن عبد الرحمن بن عوف، قال: كان لا يولد لا حدّ مولود إلّا أتى به النبي ﷺ، فدعا له فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال: «هو الوزغ ابن الوزغ، الملعون ابن الملعون». هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه (المستدرک على الصحيحين ج ٤: ص ٤٧٩). وأخرج ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق بسنده عن نافع بن جبیر بن مطعم عن أبيه قال: كنّا مع النبي ﷺ، فمرّ الحكم بن أبي العاص، فقال النبي ﷺ: «ويل لأمتي ممّا في صلب هذا» (تاريخ مدينة دمشق ج ٥٧: ص ٢١٧). وقال ابن أبي الحديد أنّه روى ابن عبد البر في الاستيعاب بإسناد ذكره عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أنّ رسول الله ﷺ قال: «يدخل عليكم رجل لعين»، قال عبد الله: وكنت قد رأيت أبي يلبس ثيابه ليقبل إلى رسول الله ﷺ، فلم أزل مشفقاً أن يكون أوّل



من يدخل، فدخل الحكم بن أبي العاص (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٦: ص ١٥٠)، ورواه ابن عبد البر في الاستيعاب ج ١: ص ٣٦٠. وقال ابن عقيل في النصائح الكافية: أنه ذكر ابن حجر الهيثمي جملة أحاديث في هذا المعنى في كتابه تطهير الجنان منها ما قال: جاء بسند رجاله رجال الصحيح عن عبد الله بن عمر أنه رضي الله عنه قال: «ليدخلن الساعة عليكم رجل لعين»، فوالله ما زلت أتشوف داخلاً وخارجاً حتى دخل فلان (يعني الحكم) كما صرّحت (النصائح الكافية: ص ١٤٢). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام، كما أن الله سبحانه وتعالى قد استعمل هذا الأسلوب في تعريف أعداء الله ورسوله ﷺ فقال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (سورة المسد: ١)، وقوله تعالى: ﴿عُتِلَّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾ (سورة القلم: ١٣). فأراد أن يبين نقص المنحرفين بالشتم والسب، وهما بيان لصفة بما هو ازدراء ونقص وأفعال مردية، كما ألحق سبحانه وتعالى جماعة منهم بالأنعام كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (سورة الأعراف: ١٧٩). وعليه فإن الشرع المقدس لا ينكر اللعن والسب لبعض المنحرفين أو الكفار والمنافقين. كما أن الله تعالى لعن الكفار والمنافقين في قوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتُ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوَاءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوَاءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (سورة الفتح: ٦). فيجب على كل مؤمن أن يلعن ويسب من سبه الله ولعنه في كتابه العزيز، وهذا أمر ثابت بالإجماع لدى جميع المسلمين. وبصورة عامة أن الله تعالى لعن الظالمين في قوله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (سورة هود: ١٨). وايضا قد لعن الله سبحانه من آذى رسول الله ﷺ بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (سورة الأحزاب: ٥٧). فبنص هذه الآية المباركة لا شك ولا ريب في جواز لعن من آذى رسول الله ﷺ على الإطلاق. والباحث إذا أراد التحقيق حول مصاديق الآية فليراجع إلى كتاب صحيح البخاري الذي هو من أصح الكتب عند القوم بعد القرآن الكريم فيجد هناك أن





البخاري أخرج في صحيحه بسنده عن عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت: أن فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله ﷺ سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ أن يقسم لها ميراثها ما ترك رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه، فقال لها أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: لا نورث ما تركنا صدقة، فغضبت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرة حتى توفيت وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر (انظر صحيح البخاري ج ٤: ص ٤١ كتاب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام، باب فرض الخمس). وايضاً أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة أن رسول الله ﷺ قال: «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني» (صحيح البخاري ج ٤: ص ٢١٠ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم). كما أخرج مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال: «فاطمة بضعة مني، يؤذي من آذاها ويغضبني» (انظر صحيح مسلم ج ٧: ص ١٤١ كتاب الفضائل، باب فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ). ونقل ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة والمناوي في شرح الجامع الصغير: إن فاطمة عليها السلام ماتت وهي غضبي على الشيخين أبي بكر وعمر (انظر الإمامة والسياسة ج ١: ص ١٤، وشرح الجامع الصغير ج ٢: ص ١٢٢). فيصل الباحث إلى هذه النتيجة أن من أغضب الزهراء عليها السلام يستحق الحقّ كتاباً. كما أن رسول الله ﷺ لعن من تخلف عن جيش أسامة (انظر الملل والنحل للشهرستاني ج ١: ص ١٢، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٦: ص ٥٢). وقال ابن حجر: كان تجهيز أسامة يوم السبت قبل موت النبي ﷺ بيومين وكان ابتداء ذلك قبل مرض النبي ﷺ، فندب الناس لغزو الروم في آخر صفر ودعا أسامة فقال: «سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطنهم الخيل، فقد وليتك هذا الجيش وأغر صباحاً على أبنى وحرّق عليهم وأسرع المسير تسبق الخبر، فإن ظفرك الله بهم فأقلّ الليث فيهم»، فبدأ برسول الله ﷺ وجعه في اليوم الثالث، فعقد لأسامة لواء بيده فأخذة أسامة فدفعه إلى بريدة وعسكر بالجرف، وكان ممن انتدب مع أسامة كبار المهاجرين والأنصار منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد وسعيد وقتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم، فتكلّم في ذلك قوم منهم عياش بن أبي ربيعة المخزومي، فردّ عليه عمر وأخبر النبي ﷺ، فخطب بما ذكر في هذا الحديث ثمّ أشدّ برسول الله ﷺ وجعه فقال:





«أنفذوا بعث أسامة» فجّهزه (انظر فتح الباري ج ٨: ص ١١٥). وقال ابن سعد: ثم سرية أسامة بن زيد... لما كان يوم الاثنين لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة من مهاجر رسول الله ﷺ أمر رسول الله ﷺ الناس بالتهيؤ لغزو الروم، فلما كان من الغد دعا أسامة بن زيد فقال: «سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل، فقد وليتك هذا الجيش فأغر صباحاً على أهل أبنى وحرّق عليهم وأسرع السير تسبق الأخبار، فإن ظفرك الله فأقلل اللبث فيهم وخذ معك الأدلاء، وقدم العيون والطلائع أمامك». فلما كان يوم الأربعاء بدأ برسول الله ﷺ فحم وصدع، فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواء بيده ثم قال: «أعز بسم الله في سبيل الله، فقاتل من كفر بالله»، فخرج بلوائه وعقوداً فدفعه إلى بريدة بن الحصيب الأسلمي وعسكر بالجرف فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأولين والأنصار إلا انتدب في تلك الغزوة فيهم أبو بكر وعمر ابن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وقتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم بن حريش، فتكلم قوم وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين، فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً، فخرج وقد عصب على رأسه عصاة وعليه قطيفة، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد، أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة، ولئن طعنتم في إمارتي أسامة لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله، وأيم الله إن كان للإمارة لخليقاً، وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة وإن كان لمن أحب الناس إليّ، وإنهما لمخيلان لكل خير واستوصوا به خيراً، فإنه من خياركم» (الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢: ص ١٨٩). من الواضح أنّ من تخلف عن جيش أسامة شمله لعن النبي ﷺ. وقد أخرج الهيثمي في مجمع الزوائد بسنده عن سفينة أنّ النبي ﷺ كان جالسا فمرّ رجل على بعير وبين يديه قائد وخلفه سائق فقال: «لعن الله القائد والسائق والراكب». (ثم قال الهيثمي): رواه البزار ورجالة ثقات (انظر مجمع الزوائد ج ١: ص ١١١). وقال الطبري في تاريخه: والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً ولا اختلاف بين أحد أنه أراد بها بني أمية ومنه قول الرسول ﷺ وقد رآه مقبلاً على حمار ومعاوية يقود به ويزيد ابنه يسوق به لعن الله القائد والراكب والسائق ومنه (تاريخ الطبري ج ٨: ص ١٨٥). فهذه الأدلة



٢٠٢ منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨
وهل يبالي من عمل على مقتضى الشريعة بلوم من خالفها؟^(١) وهل يضره



بيان لمصاديق الآية وهناك مصاديق أخرى في أصح كتبهم. كما أن الله تبارك وتعالى لعن أئمة الضلال والكفر فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ (سورة القصص: ٤١). وفي الآية تصريح بأن قادة الجور وأئمة الضلال مقدمون يوم القيامة على جماعة أهل النار، فحين تتحرك الجماعات من أهل النار، فإن هؤلاء يتقدمونهم إلى النار، كما أنهم كانوا في هذه الدنيا أئمة أهل الضلال، فهم في الآخرة - أيضاً - أئمة النار، لأن ذلك العالم تجسم كبير لهذا العالم. وفي الحقيقة نتيجة أعمالهم أنفسهم كانت سبباً لهذا الأمر. ولمزيد التأكيد يصور القرآن صورتهم وماهيتهم في الدنيا والآخرة، يقول تعالى: ﴿وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ (سورة القصص: ٤٢). فإن سوء أعمالهم في هذه الدنيا، ينتج قبح وجوههم في الدار الآخرة، لأنه يوم البروز ويوم هتك الحجب، فتبين أن الأصل في منهج الإسلام الدعوة إلى الحق، ولكن عندما يتخذ العدو طريقاً مخالفاً للحق ويريد اضلال الآخرين، لا بد أن يعرفه الله ورسوله ﷺ للآخرين بشكل يتنفر منهم الناس لئلا يتبعوه. إذن إن الإسلام لا يتخذ السب والشتم واللعن منهجاً ودعوة للممارسة وكتفاة عامة تجاه المنحرفين، ولكن لا ينبغي أن يتخطى عما أمره الله ورسوله ﷺ، فلاحظ.

(١) وخلاصة الكلام أن التدين، والاعتقاد بالدين الاسلامي يقتضي العمل بالوظيفة الشرعية الدينية، والعمل بالوظائف الشرعية يلزم الانقياد لأوامر الله ورسوله ﷺ، والانقياد لأوامر الله ورسوله ﷺ ليس فيه مجازفة ومسامحة. فبعد ثبوت الحكم الشرعي بالدليل الشرعي يلزم العمل بالوظيفة الشرعية، والعمل بالوظيفة الشرعية من التقوى والورع وإخلاص المؤمن. وعليه أن العمل بحسب ما أمر الله ورسوله ﷺ والامتثال بأوامرهما من وظيفة كل مؤمن، وكل مؤمن يلزم عليه أن لا تأخذه في الله لومة لائم في العمل بالوظيفة، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُم عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ





وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةً لَأَنَّهُمْ ذَلِكَ فَضَّلَ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿سورة المائدة: ٥٤﴾. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمْتُمْ مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (سورة الأنفال: ٢٤-٢٥). والنتيجة أن من آمن بالله وبرسوله ﷺ وصدق بما جاء به رسول الله ﷺ وأسلم لأوامر الله ورسوله ﷺ وأطاع الله ورسوله ﷺ وتفاني في حبهما، فقد ضحى في سبيل ذلك، ليرفع كلمة الله، وكان كمن قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة التوبة: ٤٠). فهو من الفائزين. وهل يضره ذلك؟ وأما من آمن بالله وبرسوله ﷺ ظاهراً ولكن قلبه فيه مرض، فلم يسلم لأمر الله إلا لمصلحته شخصية أو منافع دنيوية، فهو ممن يعارض أمر الله ورسوله ﷺ في الأحكام الدينية، ويقدم نفسه بين يدي الله ورسوله ﷺ، وكان من الخاسرين، وهؤلاء يمثلون ما جاء في القرآن الكريم، وقد عبر عنهم الله بقوله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (سورة الزخرف: ٧٨)، فلاحظ.

(١) ولعل هذه العبارة إشارة إلى الجواب عن السؤال المقدر وهو أنه قد يقال: بأن السب واللعن في عصرنا الحاضر من الأساليب التي توجب البغضاء بين الناس ويؤثر في العلاقات بينهم، فمن باب العنوان الثانوي يفرض الحذر من الاسترسال فيهما، إذ كم من لعنة وسب أعقبت فتنة وأورثت حسرة. ولذلك لا بد من الالتفات إلى هذه الجهة من أن الإسلام حذر من إطلاق العنان للسان لحفظ النفوس والأعراض، وقد روى الكليني في الكافي عن النبي ﷺ قال في جواب من قال له أوصني؟ فقال ﷺ: «احفظ لسانك»، قال مرة ثانية: يا رسول الله أوصني؟ قال ﷺ: «احفظ لسانك»، قال مرة ثالثة: يا رسول الله أوصني؟ قال ﷺ: «احفظ لسانك، ويحك وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد



بل الذي يضره المخالفة لله ورسوله ﷺ^(١)،



ألسنتهم» (الكافي ج ٢: ص ١١٥). وروى أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن معاذ بن جبل قال كنت مع النبي ﷺ في سفر فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير، فقلت: يا نبي الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار؟ قال ﷺ: «لقد سألت عن عظيم، وأنه ليسير على من يسره الله عليه. تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت». ثم قال: «ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة، وصلاة الرجل في جوف الليل»، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ...﴾ حتى بلغ ﴿...يَعْمَلُونَ﴾. ثم قال: «ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟» فقلت: بلى يا رسول الله، قال: «رأس الأمر وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد»، ثم قال: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟» فقلت له: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه فقال: «كف عليك هذا». فقلت: يا رسول الله وإننا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس على وجوههم في النار (أو قال على مناخرهم) إلا حصائد ألسنتهم» (مسند أحمد بن حنبل ج ٥: ص ٢٣١). وإلى غير ذلك من الروايات.

فيقال في الجواب: أن العنوان الثانوي محكم إذا تحقق موضوعه، أي في الظروف التي يكون الموضوع فيها محققاً أو محتمل التحقق، فإن العنوان الثانوي حاكم على العنوان الأولي. وبعبارة أخرى مع وجود الضرر أو احتمال له يحكم بعدم الجواز تقيّةً. وأمّا مع عدم تحقق الموضوع وعدم وجود احتمال الضرر فأى مانع من ذلك؟ فإن أصل الحكم ثابت كتاباً وسنةً، والعمل بحسب مقتضى الأدلة يكون وظيفة كل مؤمن ومؤمنة، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أن المخالفة لله ولرسوله ﷺ، مرجعه إلى ردّ النصوص القرآنية والسنة النبوية الشريفة، لأن المخالفة لله ولرسوله ﷺ، تنتهي إلى التمرد عن الدين، فلا معنى لتصوير بعض علماء أهل السنة بأن مخالفة بعض الناس كالصحابة أو من يسمونهم بالمجتهدين تكون تأويلاً، ويدعون بأن هذا النوع من المخالفة تكون تأويلاً للأدلة. فيرد عليهم أولاً: بأن المخالفة من كل أحد تكون تمرداً عن الدين ولا استثناء فيها، لأن





الأحكام الشرعية أمور تعبدية شاملة لجميع المؤمنين. وثانياً: أنّ المخالفة لا تكون تأويلاً، وإنما هي إظهار الرأي في مقابل النصّ. وهذا النوع من إظهار الرأي لا يكون اجتهاداً مصطلحاً في الشريعة المقدسة، وإنما هو المخالفة للدين، ويكون سبباً لتضليل الآخرين وانحرافهم، إذ قد تكون سبباً لترويج مخالفة الآخرين. وهناك وثائق تاريخية وروايات صحيحة من كبار أهل السنّة تدلّ على أنّ سبب انحراف الصحابة عن الدين تمردهم عن أوامر النبي ﷺ ومخالفتهم لسننه ﷺ، وعندما واجهوا هذا المعنى إلّجأوا الى القول بالاجتهاد احترازاً عما يلحقهم من الذم، فبدّلوا اسم المخالفة بالاجتهاد، وقد تشجع بذلك الناس فقاموا بالمخالفة مع الدين باسم الدين، فنسبوا إلى الإسلام أحكاماً ما أنزل الله بها من سلطان، ومن تلك المخالفات التي كانت كحجر الأساس لإجراء بقية المنكرات هي مخالفة عمر بن الخطّاب لأمر النبي ﷺ في حضور الصحابة عندما طلب النبي ﷺ الدواة والقلم ليكتب لهم كتاباً لن يضلّوا بعد ذلك أبداً، فقال عمر: إنّ رسول الله يهجر - والعياذ بالله - حسينا كتاب الله (انظر صحيح البخاري ج ٧: ص ٩ كتاب المرضى، باب قول المريض: قوموا عني). وقد روى هذا الحديث جميع أرباب الصحاح والمسانيد والسنن من أهل السنّة، فرواه البخاري في صحيحه بسنده عن عبد الله بن عباس أنّه قال: لمّا احتضر النبي ﷺ، قال: وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطّاب، قال: «هلمّ أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده»، فقال عمر: إنّ النبي ﷺ غلبه الوجع وعندكم القرآن فحسبنا كتاب الله، واختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول قرّبوا يكتب لكم رسول الله ﷺ كتاباً لن تضلّوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلمّا أكثروا اللّغط والاختلاف عند النبي ﷺ، قال: «قوموا عني»، فكان ابن عباس يقول: إنّ الرزية كلّ الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم (صحيح البخاري ج ٨: ص ١٦١ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب كراهية الخلاف). ورواه في الحديث آخر وهو المشتمل على قول عمر بن الخطّاب: هجر رسول الله ﷺ - والعياذ بالله - فأخرجه البخاري بسنده عن ابن عباس أنّه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثمّ بكى حتّى خضب دمه الحصباء فقال: اشتدّ برّ رسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس فقال:





«اثتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً»، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: هجر رسول الله ﷺ، قال: «دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه» (صحيح البخاري ج ٤: ص ٣١ كتاب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام، باب هل يستشفع إلى أهل الذمة ومعاملتهم). فكما ترى أن البخاري عندما عرف أن صاحب الكلام في نسبة الهذيان إلى النبي ﷺ هو عمر بن الخطاب، وأنه الذي صد عن كتابة النبي ﷺ، فأراد أن يغير كلام عمر حيث وجد فيه الإساءة للنبي ﷺ، فأبدله بالعبارة غلب عليه الوجد بدل الهذيان. وعندما نقل الرواية وليس فيه اسم عمر ذكر عنوان الهجر. فمهما كانت محاولة البخاري فاشلة، وخيانتته في أمانة النقل والتغطية على ما ارتكبه عمر بن الخطاب من الإساءة بمقام الرسالة والنبوة ﷺ واضحة، إذ أن الناس يعلمون بأن الإساءة صدرت منه. ويكفي ما أخرجه البخاري في صحيحه للاحتجاج عليه وعلى جميع أهل السنة بأن لفظ يهجر معناه عند العرف والعقلاء الهذيان، فقلوه: يهجر، أي: يهذي كما أن قوله: غلب عليه الوجد يؤدي إلى نفس المعنى. لأن المتمعن في اللفظين يعرف أن النتيجة واحدة، لأن الناس حتى اليوم يقولون: مسكين فلان غلبت عليه الحمى، أي أنه وصل إلى حد أصبح يهذي. وخصوصاً إذا أضفنا إلى ذلك قوله: حسينا كتاب الله، ومعنى ذلك أن النبي ﷺ انتهى أمره وأصبح وجوده كالعدم - والعياذ بالله - وإذا كان المتمعن مؤمناً حقيقة سوف يثور ثائرتة على عمر بن الخطاب لهذه العبارة البائسة، وصدّه عن كتابة النبي ﷺ، تلك كتابة التي كانت تحتوي لهداية الأمة ودفع الضلالة عنها. إذ أن عمر بن الخطاب بهذا الكلام المشؤوم قد حرّم الأمة من الهداية وكان سبباً مباشراً في ضلالتها. وحتى أن أبا بكر عندما أحرق أحاديث رسول الله ﷺ التي جمعت عنده كان هدفه نفس هدف عمر في ضلالة الأمة، لأن أراد ألا تنتشر سنة رسول الله ﷺ، حيث أن سنته ﷺ كانت طريقاً لنجاة الأمة، فقد روى الذهبي عن ابن أبي مليكة: أن أبا بكر جمع الناس بعد وفاة رسول الله ﷺ فقال: إنكم تحدثون عن رسول الله ﷺ أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافاً، فلا تحدثوا عن رسول الله ﷺ شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلّوا حلاله وحرّموا حرامه (تذكرة الحفاظ ج ١: ١٠٠)





ص ٢). قالت عائشة: جمع أبي الحديث عن رسول الله ﷺ وكانت خمسمائة حديث، فبات ليلته يتقلب كثيراً، فلما أصبح قال: أي بنيّة، هلمّي الأحاديث التي عندك، فجئته بها فدعا بنار فحرقها! فقلت: لم أحرقها؟ قال: خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت به ولم يكن كما حدثني فأكون قد نقلت ذاك! (تذكرة الحفاظ ج ١: ص ٥) وعلى أثر هذه البدعة والمخالفة للدين التزم الحكّام التابعة لسلطة السقيفة بمنع تدوين الحديث وروايته لا سيّما في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطّاب الذي منع تدوين الحديث بأسلوبه المعروف بالشدّة والغلظة، فهدّد وتوعد وضرب من خالف منع تدوين الحديث وكتابته، وقال: حسبنا كتاب الله! (انظر صحيح البخاري ج ٧: ص ٩: كتاب المرضى، باب قول المريض قوموا عني). فأبعد الناس من نقل الحديث في الرعيل الأوّل من الصحابة، وقرب إليهم حملة الأفكار الهدّامة وأعداء الإسلام أمثال كعب الأحبار وعبد الله بن سلام وعبد الله بن أبيّ وغيرهم وأطلق لهم عنان ليحدثوا الناس بالاسرائيليات الضالّة فبثّها بين المسلمين وكان كثيراً ما يسمع الحديث من أهل الكتاب ولا سيّما كعب الأحبار، فيسندّه الى النبي ﷺ أو إلى أحد كبار الصحابة تدليساً وتمويهاً على العامة، فقد روى ابن كثير في البداية والنهاية نقلاً عن مسلم بن الحجاج في صحيحه بسنده عن بسر بن سعيد، قال: اتقوا الله وتحفظوا من الحديث، فوالله لقد رايتنا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله ﷺ ويحدث عن كعب الأحبار، ثمّ يقوم، فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله ﷺ عن كعب، وحديث كعب عن رسول الله ﷺ، وفي رواية يجعل ما قاله كعب عن رسول الله ﷺ، وما قاله رسول الله ﷺ عن كعب، فاتّقوا الله وتحفظوا في الحديث، وقال يزيد بن هارون: سمعت شعبة يقول: أبو هريرة كان يدّلس - أي يروي ما سمعه من كعب وما سمعه من رسول الله ﷺ - ولا يميز هذا من هذا - ذكره ابن عساكر (انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ٨: ص ١١٧). حتّى أنّ عمر ابن الخطّاب قال لقرظة بن كعب: جرّدوا القرآن وأقلّوا الرواية عن رسول الله ﷺ (انظر المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج ١: ص ١٠٢). فقد جمّد الحديث واقتصر بالحفظ في صدور بعض الصحابة وصاروا يتناقلونه شفاهاً في الاختفاء.





وإنَّ عمر بن الخطَّاب كتب إلى الآفاق: أنَّ من كتب حديثاً فليمححه (انظر تقييد العلم للخطيب البغدادي: ص ٥٣). ثمَّ نهى عن التحدُّث فتركت عدَّة من الصحابة الحديث عن رسول الله ﷺ (راجع المستدرک للحاكم النيسابوري ج ١: ص ١٠٢). وبقي هذا الجمود سارياً قرناً كاملاً بين الصحابة والتابعين بسبب الحظر الذي فرضه الخليفة الثاني عمر بن الخطَّاب إلّا ما كان من السنَّة في صدور بعض الصحابة الذين حفظوا الأحاديث التي سمعوها من الرسول الأعظم ﷺ، والأحكام التي وعوها. والتزم الحُكَّام من بعد عمر هذه السنة السيئة منه وسياسته البائسة في منع تدوين الحديث وروايته، وقد أعلن عثمان ومعاوية عن اتِّباعهما لعمر في منع الحديث النبوي إلّا حديثاً كان على عهد عمر (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ٤: ص ٩٩). وظلَّت سياسة عمر بمنع الحديث سارية المفعول حتَّى بلغ الأمر إلى أنَّ الحجاج الثقفي - سفاك العراق - قام بالاعتداء على كبار صحابة الرسول ﷺ فختم على أيديهم وأعناقهم حذراً من أنَّ يحدثوا الناس أو يسمع الناس حديثهم (انظر أسد الغابة لابن الأثير ج ٢: ص ٤٧٢ في ترجمة سهل الساعدي). فلم يكن القيام بأمر رواية الحديث في مثل هذه الفترة بالذات، وفي مثل هذه الأجواء أنَّ نقل الحديث وسنن رسول الله ﷺ لم يكن أمراً سهلاً ولا هيناً. وبذلك جمد الحديث واقتصَر بالحفظ في صدور بعض الصحابة وصاروا يتناقلونه شفاهاً، فأصاب هذه المدرسة ركوداً وجموداً عدا مدرسة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والعتر الطاهرة عليه السلام. حيث إنَّ الحديث كان مدوَّناً عندهم ومحفوظاً في بيتهم بيت الوحي والرسالة وأغصان شجرة النبوة كما سمعوه من رسول الله ﷺ، وكان أتباعهم وحواريُّوهم يدوِّنون الحديث على رغم الحظر الصادر من السلطة الحاكمة والتشديد عليهم.

فبمتابعتهم لأئمة أهل البيت عليه السلام وأخذهم سنَّة رسول الله منهم عليه السلام قد أحيوا تدوين سنن رسول الله ﷺ بما أخذوه عن أئمة أهل البيت عليه السلام. وخرجوا عن تلك السياسة المخربة، فكانوا إلى جانب كتابتهم للحديث وإيداعه المؤلَّفات يبادرون بحزم إلى رواية الحديث ونشره وبثه على طول تلك الفترة عملاً بوصية رسول الله ﷺ، من كتابة الحديث وتدوين سنَّته. ثمَّ أنَّه يعرف من المقارنة بين حديث القرطاس وحديث الثقلين، أنَّ النقطة



قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(١). وما بيّناه هنا حجة قاطعة لعذرهم لثبوت جميعه من طرقهم



المشتركة بينهما هي عدم ضلالة الأمة ففي حديث القرطاس الذي رواه البخاري بسنده عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «أتتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده» (انظر البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم). وفي حديث الثقلين أن النبي ﷺ قال: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ٣: ص ١٤). معنى ذلك أن النبي ﷺ أراد أن يكتب وصيته بالثقلين، الذي يضمن عدم ضلالة الأمة إلى يوم القيامة. فهذه القضية من الأمور المسلمة في التاريخ الإسلامي، وبذلك خالفوا قول الله عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ أَنْ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (سورة الحشر: ٧). كما شملهم قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (سورة الأنفال: ١٣). فإن هذه الآية الكريمة طرحت مسألة العداء لله ورسوله ﷺ، ومعنى قوله "شاقوا الله ورسوله": فارقوا أمر الله ورسوله ﷺ وعصوا أوامر الله ورسوله ﷺ، بل وأطاعوا أمر الشيطان. وعليه فإن المخالفة لله ورسوله ﷺ موجهة للخروج عن الدين، ويجري عليه حكم جواز اللعن من الله ورسوله، كما أن الشيطان عندما خالف أمر الله وتمرد خرج عن طاعة الله وقد لعنه الله تعالى في مواضع عديدة، فيجب على جميع المؤمنين لعنه، لأن الله تعالى لعنه، فلاحظ.

(١) سورة الأنفال: ١٣، هذه الآية الكريمة طرحت مسألة العداء لله ورسوله ﷺ، ومعنى قوله: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، أي: من عصى أمر الله ورسوله ﷺ وخالفهما، لأن العداء لله لا يتصور إلا في المخالفة والعصيان والتمرد عن أوامر الإلهية والسنة النبوية الموجب لشدة الشقاق والانفصال بين العبد والرب. ومن الواضح أن من خرج من طاعة الله ورسوله ينتظره المجازاة والعقاب في الدنيا والآخرة. فلن يلقي مصيراً خيراً في هذه الدنيا كما تشير الآية إلى حرمان هؤلاء من التوفيق المعنوي ووقوعهم في النقم الشديدة



الصحيحة المعتمدة لديهم^(١) فما عساهم يتعذرون عن هذه المشاقات^(٢).



وهذه هي العذاب في الدنيا، وله في الآخرة عذاب أليم والخلود في نار جهنم. وذلك كما قال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾ (سورة الأنفال: ١٤). فؤلاء المخالفين لأوامر الله ورسوله ﷺ يستحقون لعن والسب كما تقدّم، فلاحظ.

(١) وملخص الكلام أنّ الأدلة الدالة على جواز سبّ من سبّه الله ولعن من لعنه الله من الكتاب والسنة من الأدلة المعتبرة لدى الفريقين. فقد أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين بسنده عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «ستة لعنتهم الله وكلّ نبيّ مجاب: المكذّب بقدر الله، والزائد في كتاب الله، والمتسلّط بالجبروت يذلّ من أعزّ الله ويعزّ من أذلّ الله، والمستحلّ لحرم الله، والمستحلّ من عترتي ما حرّم الله، والتارك لستّي» (ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولا أعرف له علّة ولم يخرجاه (المستدرک على الصحيحين ج ١: ص ٢٦ وج ٢: ص ٥٢٥، وج ٤: ص ٩٠)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١: ص ١٧٦، وابن حبان في صحيحه ج ١٣: ص ٦٠، والطبراني في المعجم الكبير ج ٣: ص ١٢٧ وغيره. والحديث يدلّ على أنّ ستة المذكورين فيه ملعونين على لسان من يوجد فيهم شرائط الاستجابة الدعاء. ومن الواضح أنّ من لعنه الله وجميع الأنبياء يجوز لعنه وسبّه شرعاً، فلا مانع من ذلك. وهذه هي حجة قاطعة لعذرهم، لأنّ الأدلة معتبرة عندهم، ودالاتها واضحة في كمال الوضوح، فلاحظ.

(٢) وبعبارة أوضح أنّه لا عذر لمن خرج عن طاعة الله ورسوله وتمرد عن أوامرهما، فإنّ المخالفة لأوامر ورسوله موجبة للشقاق والعداء لله ولرسوله ﷺ، لا يخفى على الخبير أنّ أحد أسباب جواز اللعن والسبّ في الشريعة المقدسة العداء لله ولرسوله ﷺ، وارتكاب الظلم بساحتهما المقدسة، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (سورة هود: ١٨). والمستفاد من الآية الكريمة أنّ الظلم من أشنع الذنوب الذي اقترن بوعيد شديد من الله عزّ وجلّ، وقد جعل الله سبحانه لفاعله العذاب





واللعنة، بل التحليل الدقيق يقتضي أن يقال: بأن سائر الذنوب إنما هي شنيعة ومذمومة بمقدار ما فيها من معنى الظلم، والظلم على الله لا يؤدي إلا بمعنى الانحراف والخروج عن الطاعة، والتمرد عن الأوامر الإلهية والسنة النبوية. ومن ناحية أخرى أن الظلم كما يكبر ويصغر من جهة خصوصيات الظالم كذلك يختلف حاله بالكبر والصغر من جهة من وقع عليه الظلم أو أريد إيقاعه عليه، فكلما جلّ موقعه وعظم شأنه كان الظلم أكبر وأعظم. ومن الواضح أنه لا أعزّ قدراً وأكرم ساحة من الله سبحانه، ولا أعظم من آياته الدالة عليه، فإنه ليس ظلم فوق الظلم بساحة الربوبية المنزه عما ينتسب إليه بوجه، ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (سورة الأنعام: ٢١). فإن الافتراء والكذب على الله والتكذيب بآياته تعالى من أعظم مراتب الظلم في العالم، حيث أن مرجعه إلى إنكار الدين الحق. فالكذب على الله وإنكار الحق من أكبر أنواع الظلم على الله، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ (سورة الزمر: ٣٢). ومن الواضح أن هذا استفهام إنكاري، لأن هذا النوع من الظلم يترتب عليه ضلالة الناس والردّ على الدين والانحراف عن الهداية الإلهية، فليس أكبر منه ظملاً في العالم. وقد ورد في بعض الروايات الواردة في تفسير الآية الكريمة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام بأن المقصود بالصدق في الآية الكريمة هي "ولاية أئمة أهل البيت عليهم السلام"، منها ما رواه الشيخ الطوسي في الأمالي بإسناده عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، في قوله ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ...﴾ قال: «الصدق ولايتنا أهل البيت عليهم السلام» (الأمالي للشيخ الطوسي رحمته الله: ص ٣٦٤). وفي تفسير البرهان للسيد هاشم البحراني رحمته الله: من طريق المخالفين عن ابن مردويه، بإسناده عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أنه قال: «الذي كذب بالصدق هو الذي ردّ قول رسول الله ﷺ في علي عليه السلام» (تفسير البرهان ج ٤: ص ٧١٠). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام. كما أن العدا لرسول الله ﷺ وإيذائه ظلم عظيم بساحته المقدسة ويكون أحد أسباب اللعن من الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ عليه، وذلك كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ





وَرَسُولُهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿سورة الأحزاب: ٥٧﴾، هذه الآية الكريمة تذكر العواقب المشؤومة الأليمة لأولئك الذين يؤذون النبي ﷺ من إثارة الفتن وتجييش الجيوش والغدر وخيانة الخونة الفاسقين وجرحهم إلى صفوف المسلمين، كما فعله المنافقين من الصحابة أولئك المبغضين لرسول الله ﷺ الذين كانوا يترصدون الفرص ولا يألون جهداً في إيذاء رسول الله ﷺ بأشكال مختلفة حتى أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (سورة الأحزاب: ٥٧)، ومن الواضح أن الأذية المذكورة في الآية تشمل كل أذية قولية أو فعلية، وكل نسبة ووصمة النقص أو تنقيص لرسول الله ﷺ، أو لدينه أو ما يعود إليه بالأذى أنه يحتم عليه اللعن من الله ورسوله ﷺ وطردهم من رحمته وشمولهم العذاب المهين. ولعل السرف في استخدام التعبير بالعذاب المهين لمن آذى رسول الله ﷺ من جهة أن هذا التعبير خاص بالكفار كما قال تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (سورة النساء: ١٥١)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (سورة النساء: ١٠٢)، لأنه لا يؤمن العبد بالله حتى يؤمن برسوله ﷺ ومن آمن بالله وبرسوله ﷺ يجب عليه التعظيم لله ورسوله ﷺ، لأن التعظيم من لوازم الإيمان، فإذا كان الشخص يدعي الإيمان بالله ورسوله ﷺ فإن الإيمان بالله ورسوله ﷺ يقتضي التعظيم لهما. فإذا صدر منه الإيذاء لهما معناه أنه لم يؤمن بهما حقيقة، حيث إن الإيذاء في مقابل التعظيم. قال الطنطاوي في تفسيره: توعد سبحانه الذين يسيئون إلى رسوله ﷺ بأي لون من ألوان الإساءة فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (انظر تفسير الوسيط ج ١: ص ٢٤٢). ولذلك جعل الله تعالى جزاء الذين يؤذون رسول الله ﷺ العذاب الذي أعدّه للكافرين.

ثم إن إيذاء النبي ﷺ له معنى واسع يشمل كل عمل يؤذيه، سواء كان الكفر والإلحاد ومخالفة أوامر الله والافتراءات والتهم و...، أو الأذى الذي كان يراه ﷺ منهم ضد أهل بيته المعصومين ﷺ وخاصة إيذاء بضعته الطاهرة فاطمة الزهراء ﷺ، فإنه قد وردت





النصوص من الفريقين على أنّ من آذاها فقد آذى رسول الله ﷺ، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة أنّ رسول الله ﷺ قال: «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني» (صحيح البخاري ج ٤: ص ٢١٠ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم). وأخرج الحاكم النيسابوري بسنده عن أبي حنظلة عن رسول الله ﷺ قال: «إنما فاطمة بضعة مني فمن آذاها فقد آذاني» (المستدرک على الصحيحين ج ٣: ص ١٥٩). والحديث صريح في أنّ غضب فاطمة علة لغضب رسول الله ﷺ، كما أنّ رضاها علة لرضى رسول الله ﷺ، وقد أخرج البخاري في صحيحة بأنّ فاطمة ؓ ماتت وهي غاضبة على أبي بكر فلم تكلمه حتّى استشهدت، وإليك نصّ الحديث فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عائشة أنّ فاطمة ؓ بنت النبي ﷺ أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ ممّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إنّ رسول الله ﷺ قال: لا نورث ما تركنا صدقة... فأبى أبو بكر أنّ يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتّى توفيت وعاشت بعد النبي ﷺ ستّة أشهر، فلمّا توفيت دفنها زوجها علي ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلى عليها وكان لعلّي من الناس وجه حياة فاطمة فلمّا توفيت استنكر علي وجوه الناس (صحيح البخاري ج ٥: ص ٨٢ كتاب المغازي، باب غزوة خيبر). وهذه الرواية ايضاً صريحة في غضب الزهراء ؓ على أبي بكر حتّى استشهدت، ومعنى ذلك أنّ أبا بكر قد أغضب رسول الله ﷺ بسبب أذية فاطمة ؓ، وإغضاها. كما ورد عن رسول الله ﷺ بهذا المعنى في حق الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؓ، فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن عمرو بن شاس الأسلمي وكان من أصحاب الحديث قال: خرجت مع علي إلى اليمن فجفاني في سفري ذلك حتّى وجدت في نفسي عليه، فلمّا قدمت أظهرت شكايته في المسجد حتّى بلغ ذلك رسول الله ﷺ، فدخلت المسجد ذات غدوة ورسول الله ﷺ في ناس من أصحابه فلمّا رأني أبدني عينيه، يقول: حدّد إلى النظر حتّى إذا جلست قال: «يا عمرو والله لقد آذيتني»، قلت: أعوذ بالله أنّ أؤذيك يا رسول الله، قال: «بلى، من آذى علياً فقد





آذاني» (مسند أحمد بن حنبل ج ٣: ص ٤٨٣). وأخرج ابن عساكر في كتابه تاريخ مدينة دمشق بسنده عن عبد الله بن نيار الأسلمي عن خاله عمرو بن شاس وفي حديث ابن السمرقندي عن عمرو الأسلمي وكان من أصحاب الحديث قال: كنت مع علي بن أبي طالب في خيله الذي بعثه فيها رسول الله ﷺ إلى اليمن فجفاني علي بعض الجفاء فوجدت عليه في نفسي، فلما قدمت المدينة اشتكيت في مجالس المدينة وعند من لقيته، فأقبلت يوماً ورسول الله ﷺ جالس في المسجد، فلما رأيته أنظر إلى عينيه نظر إليّ حتى جلست إليه، فلما جلست قال: «إنه والله يا عمرو بن شاس لقد آذيتني» فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، أعوذ بالله وبالإسلام أن أؤذي رسول الله ﷺ، فقال: «من آذى علياً فقد آذاني» (تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٢٠٢). وأخرج ابن حبان في صحيحه بسنده عن عبد الله بن نيار الأسلمي عن عمرو بن شاس قال: قال لي رسول الله ﷺ: «قد آذيتني»، قلت: يا رسول الله ما أحب أن أؤذيك، قال: «من آذى علياً فقد آذاني» (صحيح ابن حبان ج ١٥: ص ٣٦٥). فمن الواضح أنّ من غصب حق الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقد أغضبه، ومن أغضبه فقد أغضب رسول الله ﷺ، ومن أغضب رسول الله ﷺ فقد آذاه ومن آذاه فشمله قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾. ومع الأسف تجد هؤلاء الذين غضب الله عليهم وغضب عليهم رسول الله ﷺ بنص الآية والروايات الصحيحة عند أهل السنة هم خلفاء أهل السنة، وأهل السنة يتبعونهم كما يتبعون رسول الله ﷺ، وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسْأَلُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَسْأَلُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ (سورة الممتحنة: ١٣) وقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة المجادلة: ١٤). وهناك مطاعن كثيرة في أبي بكر وخلفاء السقيفة أخرجها كبار علماء أهل السنة في كتبهم المعتمدة، وهي مما تدل على عدائهم لله ورسوله ﷺ، وسندكرها إن شاء الله في محله.

وسادسها: ما زعمه من كون الرفضة من جنس الناصبة^(١)،

(١) لا يخفى بطلان ما زعمه ابن تيمية في المقام عند من له أدنى معرفة بمعارف الدين، حيث أنّ الناصب من نصب العداء لأهل بيت رسول الله ﷺ، والمقصود بالرفضة هم الشيعة الذين يوالوا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ والأئمة الأحد عشر من ولده ﷺ أو صيائه رسول الله ﷺ، وتمسكوا بخلافتهم بنصّ من النبي الأكرم ﷺ، وإنّما لُقّبوا بالروافض من قبل أعداء أهل البيت، لأنّ الشيعة رفضت خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، كما رفضت خلافة جميع خلفاء بني أمية وبني العباس، فكيف جاز لابن تيمية أن يدعي بأنّ الطائفتين من جنس واحد؟! والأدلة في هذا المجال واضحة في كمال الوضوح، ولكن من باب تعميم الفائدة نذكر الأدلة المتفق عليها بين الفريقين في هذين المصطلحين، ليعرف القارئ الكريم ما هو المقصود من الناصبة والنواصب، وما هو المقصود من الرافضة والروافض.

أمّا النواصب فهي الفرقة التي تعادي الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وأهل بيته ﷺ، ويؤذونهم بالقول أو الفعل، قال الطريحي: الناصب هو الذي يتظاهر بعداوة أهل البيت ﷺ أو مواليهم، لأجل متابعتهم لهم. وروى عن القاموس: النواصب والناصبية وأهل النصب هم المتدينون ببغض علي ﷺ (مجمع البحرين ج ٢: ص ١٧٤). فبناء عليه يعدّ العداء لأتباع أهل البيت ﷺ وشيعتهم نصباً إذا كان هذا العداء بسبب محبتهم لأهل البيت ﷺ. وقد اتفق المسلمون على حرمة نصب العداء لأهل البيت ﷺ، بل أنّ الأدلة المتفق عليها بين الفريقين تدلّ على أنّ نصب العداء لأهل البيت ﷺ، من موجبات الكفر. واليك بعض ما ورد في هذا المجال: الأوّل: أنّ القرآن الكريم أوجب على جميع المسلمين مودة أهل البيت ﷺ، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (سورة الشورى: ٢٣). فالمودة لأهل البيت ﷺ تلبية لنداء القرآن الكريم. والمعروف عند الأصوليين أنّ إيجاب شيء يستلزم ويقتضي حرمة الضدّ، بمعنى أنّه إذا ثبت وجوب المودة بالدليل الشرعي، فإنّ هذا الإيجاب يقتضي حرمة ضده وهو العداء والبغض لأهل البيت ﷺ. الثاني: الروايات الدالة على أنّ من بغض والعداء لأهل



البيت ﷺ موجب للبغض والعداء للنبي ﷺ وبغض والعداء للنبي ﷺ موجب للبغض والعداء لله سبحانه وتعالى، والعداء لله موجب للكفر. ومن تلك الروايات ما رواه ابن عساكر بسنده عن أبي جحيفة عن زيد بن أرقم، قال: كنت عند رسول الله ﷺ جالسا فمرت فاطمة ﷺ وعليها كليم، وهي خارجة من بيتها إلى حجرة نبي الله ﷺ ومعها ابناها الحسن والحسين وعلي في أثارهم، فنظر إليهم النبي ﷺ فقال: «من أحب هؤلاء فقد أحبني، ومن أبغضهم فقد أبغضني» (تاريخ مدينة دمشق ج ١٤: ص ١٥٤). ومنها: ما رواه الطبراني بإسناده عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه قال: إن رسول الله ﷺ قال لعلي: «من أحبّه فقد أحبني ومن أحبني فقد أحبّه الله، ومن أبغضه فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله» (المعجم الكبير للطبراني ج ١: ص ٣١٩). ومنها: ما رواه بسنده عن أبي الطفيل قال: سمعت أم سلمة تقول: «أشهد أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أحبّ علياً فقد أحبني ومن أحبني فقد أحبّ الله، ومن أبغض علياً فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله»» (المعجم الكبير للطبراني ج ٢٣: ص ٣٨٠). ومنها: ما رواه ابن عساكر بسنده عن محمد بن عبيد الله عن أبي عبيدة بن محمد بن عمّار بن ياسر عن أبيه عن عمّار بن ياسر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أوصي من آمن بي وصدّقني بالولاية لعلي فإنه من تولّاه تولّاني ومن تولّاني تولّى الله ومن أحبّه أحبني ومن أحبني أحبّ الله ومن أبغضه أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله» (تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٢٤٠). ومنها: ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن الأعمش عن عدي بن ثابت عن زر بن حبیش قال: قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إليّ أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق» (انظر صحيح مسلم ج ١: ص ٦١ كتاب الإيمان، باب الدليل على أنّ حبّ الأنصار الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ من الإيمان وعلاماته). ومنها: ما رواه الحاكم النيسابوري في المستدرک بسنده عن أبي ذر بن حبیش أنّه قال: ما كنّا نعرف المنافقين إلا بتكذيبهم الله ورسوله ﷺ والتخلّف عن الصلوات والبغض لعلي بن أبي طالب (انظر المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج ٣: ص ١٢٩). وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب: عن الصحابي





الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري أنه: ما كنّا نعرف المنافقين إلّا ببغض عليّ بن أبي طالب عليه السلام (انظر الاستيعاب لابن عبد البر ج ٣: ص ١١١٠). وأخرج الحاكم النيسابوري بسنده عن عوف بن أبي عثمان النهدي قال: قال رجل لسلمان: ما أشدّ حبّك لعليّ؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أحبّ عليّاً فقد أحبّني ومن أبغض عليّاً فقد أبغضني» (المستدرک على الصحيحين ج ٣: ص ١٣٠)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩: ص ١٣٢، والطبراني في المعجم الكبير ج ٢٣: ص ٣٨٠، وابن عبد البر في الاستيعاب ج ٣: ص ١١٠١، والمحبّ الطبري في الرياض النضرة ج ٣: ص ١٢٢ وغيرهم. وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام في كتبهم بهذه المضامين. فالبغض والعداء لأهل البيت عليه السلام من موجبات الكفر والنفاق باتفاق الفريقين. ومن الواضح أنّ الشيعة هي الوحيد التي تفتخر بكلّ فخر واعتزاز أن تعتقد بولاية وإمامة أئمة الاثني عشر من أهل البيت عليه السلام والبرائة من أعدائهم. وهذا معناه أنّهم يتقربون إلى الله بحبّ أهل البيت عليه السلام، والبرائة من أعدائهم، فأين هذا المعنى وما نسبه إليهم ابن تيمية من نصب العداء؟!!

أمّا الرفض والرافضة، فإنّ هذا المصطلح يتردّد كثيراً في كتب أعداء الشيعة ويلقبون الشيعة بهذا اللقب في كتبهم وجار على ألسنتهم في محاوراتهم، فمن لا معرفة له بمعارف الدين قد يتخيل في أوّل وهلة أنّ هؤلاء رفضوا قواعد الإسلام ولم يعملوا بها، ولكنّ الواقع على غير هذا، لأنّ الباحث لو تأمل في النصوص والأدلة كي يعرف سبب هذه التسمية يجد بوضوح أنّ الشيعة إنّما لقّبوا بالروافض، لأنّهم رفضوا خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، كما رفضوا خلافة جميع خلفاء بني أمية وبني العباس، ووالوا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة الأحد عشر من ولده عليه السلام أوصياء رسول الله ﷺ، وتمسّكوا بخلافتهم بنصّ من النبي الأكرم ﷺ، وبهذا يعرف أنّ الشيعة إنّما استهدفوا من قبل الحكّام، لرفضهم بيعة خلفاء الجور، وعندما يراجع الباحث إلى روايات الشيعة يجد بأنّ أئمة أهل البيت عليه السلام لقّبوا أنفسهم بهذا اللقب بكلّ فخر واعتزاز؛ فقد روى البرقي في المحاسن بسنده عن أبي أسامة زيد الشحام عن أبي الجارود قال: أصم الله أذنيه كما أعمى عينيه إن لم يكن سمع أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ فلاناً سمّانا باسم، قال: وما ذاك الاسم؟ قال: سمّانا





الرافضة، فقال أبو جعفر عليه السلام بيده إلى صدره: «وأنا من الرافضة وهو مني (قالها ثلاثاً)» (المحاسن للبرقي ج ١: ص ١٥٧ ح ٩١). وروى أيضاً بسنده عن أبي بصير، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك اسم سمينا به استحلّت به الولادة دماءنا وأموالنا وعذابنا، قال: «وما هو؟» قال: الرافضة، فقال أبو جعفر عليه السلام: «إنّ سبعين رجلاً من عسكر فرعون رفضوا فرعون فأتوا موسى عليه السلام فلم يكن في قوم موسى عليه السلام أحد أشدّ اجتهاداً ولا أشدّ حبّاً لهارون منهم فسمّاهم قوم موسى الرافضة، فأوحى الله إلى موسى: أن تثبت لهم هذا الاسم في التوراة، فإنّي قد نحلّتهم وذلك اسم قد نحلّكموه الله» (المحاسن للبرقي ج ١: ص ١٥٧ ح ٩٢). وروى العلامة المجلسي رحمته الله بسنده عن تفسير فرات بن إبراهيم: عن محمد بن القاسم بن عبيد، عن الحسن بن جعفر عن الحسين عن محمد يعني ابن عبد الله الحنظلي عن وكيع عن سليمان الأعمش قال: دخلت على أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام، قلت: جعلت فداك، إنّ الناس يسمّونا روافض، وما الروافض؟ فقال: «والله ما هم سموكموه، ولكن الله سمّاكم به في التوراة الإنجيل على لسان موسى ولسان عيسى عليه السلام وذلك أن سبعين رجلاً من قوم فرعون رفضوا فرعون ودخلوا في دين موسى فسمّاهم الله تعالى الرافضة، وأوحى إلى موسى عليه السلام أن أثبت لهم في التوراة حتّى يملكوه على لسان محمد عليه السلام. ففرّقهم الله فرقاً كثيرة وتشعبوا شعباً كثيرة، فرفضوا الخير فرفضتم الشرّ واستقمتم مع أهل بيت نبيكم عليه السلام فذهبت حيث ذهب نبيكم، واخترتم من اختار الله ورسوله، فأبشروا ثمّ أبشروا فأنتم المرحومون، المتقبّل من محسنهم والمتجاوز عن سيئهم، ومن لم يلق الله بمثل ما لقيتم لم تقبل حسناته ولم يتجاوز عن سيئاته، يا سليمان هل سررتك؟» فقلت: زدني جعلت فداك، فقال عليه السلام: «إنّ الله عزّ وجلّ ملائكة يستغفرون لكم، حتّى تتساقط ذنوبكم، كما تتساقط ورق الشجر في يوم ريح، وذلك قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ هم شيعتنا وهي والله لهم. يا سليمان، هل سررتك؟» فقلت: جعلت فداك زدني! قال عليه السلام: «ما على ملّة إبراهيم عليه السلام إلّا نحن وشيعتنا، وسائر الناس منها برئ» (بحار الأنوار ج ٦٥: ص ٩٧). وروى علي بن يونس العاملي في كتابه الصراط المستقيم عن ابن





شهر آشوب أنه قال: قال ابن شهر آشوب: الصحيح أن أبا بصير قال للصادق عليه السلام: إن الناس يسمّونا الرافضة، فقال عليه السلام: «والله ما سمّوكم به ولكن الله سمّاكم، فإن سبعين رجلاً من خيار بني إسرائيل آمنوا بموسى وأخيه، فسمّوهم رافضة، فأوحى الله إلى موسى أثبت هذا الاسم لهم في التوراة، ثم ادّخره الله لينحلّكموه يا أبا بصير رفض الناس الخير، وأخذوا بالشرّ، ورفضتم الشرّ وأخذتم بالخير». روى الكاظم عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله: قال النبي صلى الله عليه وآله لأبي الهيثم ابن التيهان والمقداد وعمار وأبي ذر وسلمان: «هؤلاء رفضوا الناس، ووالفوا علياً، فسمّاهم بنو أمية الرافضة». سماعة بن مهران: قال الصادق عليه السلام: «من شرّ الناس؟» قلت: نحن فإنّهم سمّونا كفّاراً ورافضة، فنظر إليّ وقال: «كيف إذا سيق بكم إلى الجنة، وسيق بهم إلى النار؟ فينظرون فيقولون: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾» (الصراط المستقيم ج ٣: ص ٧٦). إلى غير ذلك من الروايات الواردة عنهم عليه السلام الدالة على المقام. وعليه فإن كان المقصود من الرافضة هو ما يعتقد به الشيعة من رفضهم خلافة جميع خلفاء أهل السنة، نعم أن الشيعة تفتخر بكلّ عزّ وفخر بهذا اللقب. وأمّا إذا كان مقصودهم غير هذا المعنى، فإنّهم أولى بهذه التسمية واللقب، لمطابقة المسمّى عليهم، باعتبار أنّهم رفضوا الحقّ، حيث أنّهم رفضوا إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي كان من الواجب عليهم الأخذ بها للروايات والنصوص الواردة من طرق الفريقين بأسناد صحيحة وهي حجة شرعية عليهم، ويجب عليهم العمل بها، ونحن نشير هنا إلى بعض الروايات التي أخرجها أحمد بن حنبل وهو إمام الحنابلة وإمام ابن تيمية وذلك لإتمام الحجة عليه، فقد أخرج أحمد بن حنبل بسنده عن البراء بن عازب قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في سفر فتنزلنا بغدير خم فنودي فينا الصلاة جامعة وكسح لرسول الله صلى الله عليه وآله تحت شجرتين فصلّى الظهر وأخذ بيد علي عليه السلام فقال: «ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد علي فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، قال فلقيه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيّت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة (مسند أحمد بن حنبل ج ٤: ص ٢٨١). وأخرج



أيضاً بسنده عن أبي عبيد عن ميمون أبي عبد الله قال: قال زيد بن أرقم وأنا أسمع: نزلنا مع رسول الله ﷺ بواد يقال له وادي خم، فأمر الصلاة فصلاًها بهجير، قال: فخطبنا وظلّل لرسول الله ﷺ بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فقال: «ألستم تعلمون (أو لستم تشهدون) أنني أولى بكل مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: «فمن كنت مولاه فإنّ علياً مولاه، اللهم عاد من عاداه ووال من والاه» (مسند أحمد بن حنبل ج ٤: ص ٣٧٢). وأخرج أيضاً بسنده عن أبي عبد الرحيم الكندي عن زاذان بن عمر قال: سمعت علياً في الرحبة وهو ينشد الناس: من شهد رسول الله ﷺ يوم غدیر خم وهو يقول ما قال؟ فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ وهو يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه» (مسند أحمد بن حنبل ج ١: ص ٨٤). وأخرج أيضاً بسنده عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب وعن زيد بن يشع قالوا: نشد علي الناس في الرحبة: من سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدیر خم إلا قام قال؟ فقال: من قبل سعيد ستّة ومن قبل زيد ستّة، فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول لعلي عليه السلام يوم غدیر خم: «أليس الله أولى بالمؤمنين؟» قالوا: بلى، قال: «اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ١: ص ١١٨). وأخرج أيضاً بسنده عن عبد الله حدثني عبيد الله بن عمر القواريري ثنا يونس بن أرقم ثنا يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: شهدت علياً عليه السلام في الرحبة ينشد الناس: «أنشد الله من سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدیر خم: "من كنت مولاه فعلي مولاه" لمّا قام فشهد؟» قال عبد الرحمن: فقام اثنا عشر بديراً كآني أنظر إلى أحدهم، فقالوا: نشهد أنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول يوم غدیر خم: أليست أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجي أمهاتهم؟ فقلنا: بلى يا رسول الله، قال: «فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ١: ص ١١٩). وأخرج أيضاً بسنده عن حدثني نعيم بن حكيم حدثني أبو مريم ورجل من جلساء علي عن علي عليه السلام: «أنّ النبي ﷺ قال يوم غدیر خم: "من كنت مولاه فعلي مولاه"، قال: فزاد الناس بعد «وال من والاه وعاد من عاداه» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ١: ص ١٥٢). وأخرج أيضاً بسنده عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس عن بريدة قال:





غزوت مع علي اليمن فرأيت منه جفوة، فلمّا قدمت على رسول الله ﷺ ذكرت علياً فتنقصته، فرأيت وجه رسول الله ﷺ يتغير فقال: «يا بريدة أألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قلت: بلى يا رسول الله، قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ٥: ص ٣٤٧). وأخرج أيضاً بسنده عن سعيد بن وهب قال: نشد علي الناس، فقام خمسة أو ستة من أصحاب النبي ﷺ فشهدوا أن رسول الله ﷺ قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ٥: ص ٣٦٦). وأخرج أيضاً بسنده عن أسود بن عامر أنا أبو إسرائيل عن الحكم عن أبي سلمان عن زيد بن أرقم قال: استشهد علي الناس فقال: «أنشد الله رجلاً سمع النبي ﷺ يقول: "اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه" قال: فقام ستة عشر رجلاً فشهدوا» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ٥: ص ٣٧٠). وأخرج أيضاً بسنده عن الأشجعي عن رياح بن الحارث قال: جاء رهط إلى علي بالرحبة فقالوا: السلام عليك يا مولانا، قال: «كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟» قالوا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فإنّ هذا مولاه» قال رياح: فلمّا مضوا تبعتمهم فسألت من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ٥: ص ٤١٩). وأخرج أيضاً بسنده عن أبي بكر: إنّ النبي ﷺ بعثه بالبراءة لأهل مكة وإبلاغهم ببعض الآيات من سورة التوبة، وفيها - أيضاً - لا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلاّ نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ مدّة فأجله إلى مدّته، والله برئ من المشركين ورسوله. فسار بها ثلاثاً متوجّهاً نحو مكة. ثمّ قال ﷺ لعلي عليه السلام: «الحقه فردّ عليّ أبا بكر وبلغها أنت». قال: ففعل - الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - ما أمر. فلمّا قدم أبو بكر على النبي ﷺ بكى فقال: يا رسول الله، حدث في شيء؟ قال ﷺ: «ما حدث فيك إلاّ خير، ولكن أمرت أن لا يبلغه إلاّ أنا أو رجل منّي» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ١: ص ٣). وأخرج أيضاً بسنده عن ابن عباس أنّه قال: إذ أتاه تسعة رهط فقالوا: يا ابن عباس إمّا أن تقوم معنا وإمّا أن تخلونا هؤلاء، قال: فقال ابن عباس: بل أقوم معكم، قال: وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى، قال: فابتدؤا فتحدّثوا فلا ندرى ما قالوا، قال: فجاء ينفض





ثوبه ويقول أف وتنف وقعوا في رجل له عشر وقعوا في رجل قال له النبي ﷺ: «لأبعثن رجلاً لا يخزيه الله أبداً يحب الله ورسوله» قال: فاستشرف لها من استشرف قال: «أين علي؟» قالوا: هو في الرجل يطحن، قال: «وما كان أحدكم ليطحن؟» قال: فجاء وهو أرمَد لا يكاد يبصر، قال: فنفت ﷺ في عينيه ثم هز الراية ثلاثاً فأعطاه إياه فجاء بصفية بنت حبي. قال: ثم بعث فلاناً بسورة التوبة فبعث علياً خلفه فأخذها منه، قال: «لا يذهب بها إلا رجل مني وأنا منه». قال: وقال لبني عمه: «أيكم يوالي في الدنيا والآخرة؟» قال: وعلي معه جالس فأبوا، فقال علي: «أنا أواليك في الدنيا والآخرة»، قال: «أنت ولي في الدنيا والآخرة»، قال: فتركه ثم أقبل على رجل منهم فقال: «أيكم يوالي في الدنيا والآخرة؟» فأبوا، قال: فقال علي: «أنا أواليك في الدنيا والآخرة» فقال: «أنت ولي في الدنيا والآخرة». قال: وكان أول من أسلم من الناس بعد خديجة، قال: وأخذ رسول الله ﷺ ثوبه فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. قال: وشرى علي نفسه، لبس ثوب النبي ﷺ ثم نام مكانه، قال: وكان المشركون يرمون رسول الله ﷺ فجاء أبو بكر وعلي نائم، قال: وأبو بكر يحسب أنه نبي الله، قال: فقال: يا نبي الله، قال: فقال له علي: «إن نبي الله ﷺ قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركه»، قال: فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار، قال وجعل علي يرمى بالحجارة كما كان يرمى نبي الله وهو يتضور قد لف رأسه في الثوب لا يخرج حَتَّى أصبح، ثم كشف عن رأسه فقالوا: إنك للئيم، كان صاحبك نراميه فلا يتضور وأنت تتضور وقد استكرنا ذلك. قال: وخرج بالناس في غزوة تبوك، قال: فقال له علي: «أخرج معك»، قال: فقال له نبي الله: «لا»، فبكى علي، فقال له: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنك لست بنبي؟ إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي». قال: وقال له رسول الله ﷺ: «أنت ولي في كل مؤمن بعدي». وقال: سدوا أبواب المسجد غير باب علي، فقال: فدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره. قال: وقال: «من كنت مولاه فإنّ مولاه علي». قال: وأخبرنا الله عز وجل في القرآن أنه قد رضى عنهم عن أصحاب الشجرة فعلم ما في قلوبهم، هل حدثنا أنه سخط عليهم بعد؟ قال: وقال نبي





الله ﷻ لعمر حين قال: ائذن لي فلاضرب عنقه، قال: «أو كنت فاعلاً وما يدريك لعل الله قد اطلع إلى أهل بدر»، فقال: اعملوا ما شئتم (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ١: ص ٣٣٠). وإلى غير ذلك من الروايات التي رواها أحمد بن حنبل وهي صريحة في الدلالة على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهناك روايات أخرى تدل على امامته عليه السلام لم نذكرها رعاية للاختصار. وعليه فإن الأدلة المتفق على حجيتها بين الفريقين تدل على أن الناصبة والروافض بحسب ما قصده ابن تيمية من المصطلح عنده على طرفي النقيض من حيث الاعتقاد، لأن الناصبة أعداء الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والروافض شيعة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فكيف يمكن له أن يدعي بأنهما من جنس واحد؟! فهل يمكن الجمع الغي والرشد؟! فلاحظ.

(١) فإن بطلان ما زعمه ابن تيمية في المقام يتضح لكل من يراجع إلى ما يعتمد عليه المذاهب الإسلامية في الأدلة المعتبرة عندهم، وحيث أن الكتاب والسنة النبوية، المتفق عليها بين جميع المسلمين، هما المرجع عند جميع المسلمين فالحجة الشرعية عليهم لا بد من اثباتها بالكتاب والسنة. فيلزم على ابن تيمية وأتباعه اثبات مدعاه بالأدلة المتفقة عليها بين جميع المسلمين. وإذا لم يكن لديهم دليل معتبر شرعي على تسمية الشيعة بالروافض أو ما ينسبون إلى الشيعة من النسب الباطلة، فيتضح بطلان كلامهم لجميع الناس. والباحث إذا درس هذا الموضوع دراسة علمية خارجة عن التعصب والرواسب المذهبية، يجد أن الشيعة الاثني عشرية لديهم أقوى أدلة من الكتاب والسنة على أحقية أئمة أهل البيت عليهم السلام بالإتباع، فهم يتبعون أئمة أهل البيت عليهم السلام في أصول الدين وفروعه، بل وحتى في السلوك والآداب بالدليل القطعي التي هي الحجة عند جميع المسلمين، وذلك لأن حديث الثقلين يدل بالصراحة على وجوب اتباع القرآن والعتر الطاهرة عليهم السلام معاً إلى يوم القيامة، لأن الحديث كما يدل على وجوب الأخذ بالكتاب وأتباعه كذلك يدل على

←



وجوب اتباع العترة الطاهرة عليها السلام، وأن مخالفتها أو مخالفة واحد منهما موجبة للضلالة. والشيعة يستدلون بهذا الحديث الصريح في وجوب اتباع القرآن وأئمة الطاهرين من العترة الطاهرة عليها السلام. ولا بأس هنا بذكر بعض عبارات علماء من أهل السنة في شرح الحديث والاعترافهم بوجوب الاتباع من العترة الطاهرة: قال الزرقاني: قال الحكيم الترمذي: حضّ على التمسك بهم، لأن الأمر لهم معاينة، فهم أبعد عن المحنة (انظر شرح المواهب اللدنية ج ٧: ص ٥، نقلاً عن نواذر الأصول للترمذي). وقال النووي: قوله عليه السلام: «أنا تارك فيكم ثقلين»، فذكر كتاب الله وأهل بيته. قال العلماء: سمياً ثقلين لعظمهما وكبير شأنهما، وقيل لثقل العمل بهما (انظر شرح صحيح مسلم للنووي ج ١٥: ص ١٨٠). وقال ابن الأثير: فيه (أي في حديث): «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي»؛ سمّاهما ثقلين لأن الأخذ بهما والعمل بهما ثقل. ويقال لكلّ خطير نفيس: ثقل، فسمّاهما ثقلين إعظاماً لقدرهما وتفخيماً لشأنهما (انظر النهاية ج ١: ص ٢١٦ مادة ثقل). وقال القاري: والمراد بالأخذ بهم: التمسك بمحبّتهم، ومحافظة حرمتهم، والعمل بروايتهم، والاعتماد على مقالاتهم (انظر مرقاة المفاتيح ج ٥: ص ٢٠٠). وقال شهاب الدين الخفاجي: أي: تمسّكنم وعلمتم واتبعتموه (انظر نسيم الرياض في شرح الشفاء للقاضي عياض ج ٢: ص ٤١٠). وقال المناوي: «إني تارك فيكم بعد وفاتي خليفتين»، زاد في رواية: «أحدهما أكبر من الآخر»، وفي رواية بدل خليفتين: «ثقلين»، سمّاهما به لعظم شأنهما: «كتاب الله القرآن، حبل»، أي: هو حبل ممدود ما بين السماء والأرض، قيل: أراد به عهده، وقيل السبب الموصل إلى رضاه، «وعترتي» - بمثناة فوقية -: «أهل بيتي». تفصيل بعد إجمال، بدلاً أو بياناً، وهم أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً (انظر فيض القدير في شرح الجامع الصغير ج ٣: ص ١٤). وإلى غير ذلك مما ورد في كتبهم في شرح الحديث، وعليه فإنّ كلّ باحث لو تأمل في هذا المجال يعرف بأن الشيعة له الحجة الشرعية على وجوب التمسك والافتداء بأئمة أهل البيت عليهم السلام وتقديمهم على غيرهم. وعليه فمن نسب إليهم الرفض أو النصب على خلاف الأدلة الشرعية.

أمّا بالنسبة إلى أهل السنة فإنّ الباحث إذا درس المصادر الدينية دراسة علمية عن ملاك





التقدّم عندهم، فإنّه سوف يجد أنّ ملاك التقدّم عندهم يتلخص في عدة نقاط لا دليل ولا نصّ شرعي على اعتبار تلك النقاط المذكورة. ولا ملاك للتقدّم عندهم شرعاً سوى ما ذكروا بعض الصلاحيات العامة المذكورة بلا وجه معتبر شرعي. وبصورة عامّة يقولون: تشترط في الخلافة ما تشترط في عامّة الرؤساء والحكام الذين حازوا مناصب الحكم والرئاسة. وإليك بعض ما ورد في كتبهم:

قال الباقلاني: يشترط أن يكون الإمام قُرَشِيّاً من صميم، وأن يكون في العلم بمنزلة من يصلح أن يكون قاضياً من قضاة المسلمين، وأن يكون ذا بصيرة بأمر الحرب، وتدير الجيوش والسرايا، وسدّ الثغور، وحماية البيضة، وحفظ الأُمّة، والانتقام من ظالمها، والأخذ لمظلومها... (انظر التمهيد: ص ١٨١).

وقال عبدالقاهر البغدادي: قال أصحابنا: إنّ الذي يصلح للإمامة ينبغي أن يكون فيه أربعة أوصاف: أحدها: العلم، وأقلّ ما يكفيّه منه أن يبلغ فيه مبلغ المجتهدين في الحلال والحرام، وفي سائر الأحكام. الثاني: العدالة والورع، وأقلّ ما يجب له من هذه الخصلة أن يكون ممّن يجوز قبول شهادته تحمّلاً وأداءً. الثالث: الاهتداء إلى وجوه السياسة وحسن التدبير، وأن يعرف مراتب الناس، فيحفظهم عليها، ولا يستعين على الأعمال الكبار، بالعمّال الصغار، ويكون عارفاً بتدبير الحروب. الرابع: النسب من قریش... (أصول الدين، لأبي منصور البغدادي: ص ٢٧٧).

وقال أبو الحسن البغدادي الماوردي: الشروط المعتبرة في الإمامة سبعة: أحدها: العدالة على شروطها الجامعة، الثاني: العلم المؤدّي إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام، الثالث: سلامة الحواس من السمع والبصر واللسان، الرابع: سلامة الأعضاء، الخامس: الرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح، السادس: الشجاعة والنجدة، السابع: النسب، وهو أن يكون من قریش (انظر الأحكام السلطانية: ص ٦).

وقال ابن حزم: يشترط فيه أمور: الأول: أن يكون صلبه من قریش، الثاني: أن يكون بالغاً مميّزاً، الثالث: أن يكون رجلاً، الرابع: أن يكون مسلماً، الخامس: أن يكون متقدماً لأمره، السادس: عالماً بما يلزمه من فرائض الدين، السابع: متّقياً لله بالجملة، غير معلن الفساد في



الأرض، الثامن: أن لا يكون موئىً عليه (انظر الفصل في الأهواء والملل والنحل ج ٤: ص ١٨٦).

وقال القاضي سراج الدين الأرموي: صفات الأئمة تسع: الأول: أن يكون مجتهداً في أصول الدين وفروعه، الثاني: أن يكون ذا رأي وتدير، الثالث: أن يكون شجاعاً، الرابع: أن يكون عدلاً، الخامس: أن يكون عاقلاً، السادس: أن يكون بالغاً، السابع: أن يكون مذكراً، الثامن: أن يكون حرّاً، التاسع: أن يكون قرشياً (انظر مطالع الأنوار: ص ٤٧٠).

وقال التفتازاني: قد ذكرنا في كتبنا الفقهية أنه لا بد للأئمة من إمام يحيي الشريعة، ويُقيم السنة، ويتصرف للمظلومين، ويستوفي الحقوق، ويضعها مواضعها، ويشترط أن يكون مكلفاً، مسلماً، عدلاً، حرّاً، ذكراً، مجتهداً، شجاعاً، ذا رأي وكفاية، سمياً، بصيراً، ناطقاً، قرشياً، فإن لم يوجد من قریش من يستجمع هذه الصفات المعتبرة، وئى كناني، فإن لم يوجد فرجل من ولد اسماعيل، فإن لم يوجد فرجل من العجم (شرح المقاصد ج ٢: ص ٢٧١).

وقال الفضل بن روزبهان: وشروط الإمام أن يكون مجتهداً في الأصول والفروع ليقوم بأمر الدين، ذا رأي وبصارة بتدير الحرب، وترتيب الجيوش، شجاعاً، قوي القلب ليقوى على الذب عن الحوزة (انظر دلائل الصدق ج ٢: ص ٤).

ويلاحظ على هذه الشروط المذكورة في كتبهم ما يلي من الأمور: أولاً: إن اختلافهم في عدد الشرائط قلة وكثرة ناشئ من افتقارهم النص الشرعي في هذا المجال لأن منصب الإمامة - مع عظمتها - لم ينص فيه النبي الأكرم ﷺ بنص، وإنما الموجود عندهم نصوص كلية لا تتكفل بتعيين هذه الشروط، ولا تتكفل بتبيين صيغة الحكومة الإسلامية بعد النبي ﷺ، والمصدر لهذه الشروط عندهم هو الاستحسان، والاعتبارات العقلية، وملاحظة الأهداف التي يمارسها الإمام والخليفة بعد النبي الأكرم ﷺ. وهذا مما يقضي منه العجب، وهو أن النبي ﷺ كيف ترك بيان هذا الأمر المهم، شرطاً وصفة، مع أنه بين أبسط الأشياء وأدناها من المكروهات والمستحبات.

وثانياً: إن اعتبار العدالة لا ينسجم مع ما ذهبوا إليه من أن الإمام لا ينخلع بفسقه وظلمه، وغيره





ممّا نقلناه عنهم، كما أنّهم يعتقدون أنّ القهر والاستيلاء أحد الأمور التي تنعقد بها الإمامة وتجعل المستولي والقاهر ولي الأمر، فيزعمون أنّه يشمل قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (سورة النساء: ٥٩). ومن المعلوم أنّ القاهر والمستولي بالحرب لا يهّمه إلا السلطة وإعمال القدرة، وهذا لا ينسجم مع وجوب طاعة الإمام وأولى الأمر الذي فرض الله طاعته في كتابه العزيز، فإنّ من فرض الله طاعته على الناس هو أولى الناس بالإمامة، باعتبار وجود الشرائط من العلم والفضل والعدالة والشجاعة والتدبير وسائر الأمور فيه. هذا لا ينسجم مع وجوب طاعة كلّ من غلب بالقهر والغلبة.

وثالثاً: إنّ التاريخ الإسلامي يشهد بأنّ خلفاء السقيفة ومن كان يحذو حذوهم كانوا يفقدون أكثر هذه الصلاحيات، ومع ذلك كانوا يمارسون الخلافة. فهذه صحائف تاريخهم من لدن تسنّم معاوية عرش الخلافة إلى آخر خلفاء بني مروان، فإنّهم قد خضبوا وجه الأرض بدماء الأبرياء، وقتلوا الصحابة والتابعين، ونهبوا الديار والأموال، وقد بلغ جورهم وظلمهم الذروة، حتّى ثارت عليهم الأمة، وقتلت صغيرهم وكبيرهم، فلم يبق منهم إلاّ من فرّ إلى الأندلس. وبعدهم تسلّط العبّاسيون باسم حماية أهل البيت عليه السلام، ولكن حدث ما حدث، ولم تكن سيرتهم أحسن حالاً من سيرة الأمويين، بل وحتّى قال القائل: وليت عدل بني العبّاس في النار * يا ليت جور بني مروان دام لنا. وقال الآخر: تالله ما فعلت أمة فيهم * معشار ما فعلت بنو العبّاس. فتبيّن أنّه لا يوجد ملاك شرعي عند أهل السنّة في تقديم الخليفة. ومن هنا يتضح أنّ ما نسبته ابن تيمية في المقام إلى الشيعة باطل عند جميع المسلمين، لأنّ أدلة الشيعة مطابقة للكتاب والسنّة النبويّة كما تقدّمت الإشارة إليها. وعليه إذا ثبت بالدليل الشرعي المعتبر لدي جميع المسلمين أحقيّة أئمة أهل البيت عليه السلام بالإتباع، والشيعة يتبعون أئمة أهل البيت عليه السلام في أصول الدين وفروعه، فهم في الحقيقة المؤمن الواقعي. فبأي وجه شرعي ينسب إليهم الرّفص؟! ثم بأي وجه شرعي يدّعي بأنّ النواصب خير منهم!!!.

فإنه من عظيم بهتانته وغشه^(١)،

(١) وتوضيح المقام أن بطلان ما زعمه ابن تيمية وافترائه على الشيعة يتضح من خلال معرفة أصول معتقدات الشيعة المذكورة في كتبهم، وهي صريحة وواضحة في أنهم يتمسكون بالتقليين كتاب الله وعترته رسول الله ﷺ، ويرفضون ما سواههما، ومن هنا يعرف أنه لماذا لقبهم أهل السنة بالروافض أو الرافضة، لأنهم بسبب تمسكهم بالتقليين رفضوا خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، كما رفضوا خلافة جميع خلفاء بني أمية وبني العباس، ووالوا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة الأحد عشر من ولده عليه السلام أوصياء رسول الله ﷺ وتمسكوا بإمامتهم وخلافتهم بنص من النبي الأكرم ﷺ، وبهذا يعرف بأن الشيعة إنما استهدفوا من قبل الحكام، لأنهم رفضوا بيعه خلفاء الجور. وبذلك ينكشف للباحث أيضا بأن عقائد الشيعة مبتنية على النصوص المتفقة بين جميع المسلمين. فلا يمكن لأحد أن يقلب الحقيقة عند عموم الناس، فإن أمثال هذه التسمية والنسب الباطلة لا تغير الواقع عما هو عليه. فإن كل باحث سوف يجد الحق في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

وأما أهل السنة حيث أنهم رفضوا النصوص الثابتة في الإمامة تعصبا وعنادا، فهم أولى بنسبة النصب والرفض، لأنهم خالفوا الكتاب والسنة النبوية، فبمجرد أن توفي النبي ﷺ اجتمعوا في سقفة بني ساعدة واتفقوا على غصب الخلافة من أهل البيت عليه السلام، ثم هجموا على بيت مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأهل بيت النبي ﷺ وغصبوا حقهم ونصبوا لهم العداوة والبغضاء، بل وحتى بدؤوا بنصب العدا لشيعتهم وسموهم الروافض، لأنهم رفضوا خلافة الغاصبين أبي بكر وعمر وعثمان، واشتدّت هذه العدا لأهل البيت عليه السلام في عهد معاوية وتبلور جميع جهاته في عهد يزيد بن معاوية...

فالشيعة كانوا ثابتين على العهد الذي عاهدوا مع الله ورسوله ﷺ، من قبول ولاية مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة الأحد عشر من ولده عليه السلام أوصياء رسول الله ﷺ، وقبول جميع الآثار المروية على لسان النبي ﷺ. وهذه الحقيقة تكشف





اللاثم عن وجه الاختلاف بين الشيعة وغيرهم من زمن حياة النبي ﷺ، لأنهم كانوا معروفين بشيعة علي عليه السلام من عهد النبي الأكرم ﷺ، وقد سمّاهم رسول الله ﷺ بهذا الاسم ولقبهم بالشيعة، ووصفهم بأنهم الفائزون يوم القيامة. وإليك بعض النصوص الواردة في هذا مقام، فمنها: ما أخرجه السيوطي بسنده عن جابر بن عبد الله، قال: كنّا عند النبي ﷺ فأقبل علي عليه السلام، فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة»، ونزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (سورة البينة: ٧). فكان أصحاب النبي ﷺ إذا أقبل علي قالوا: جاء خير البرية (الدر المنثور ج ٦: ص ٣٧٩). ومنها: ما أخرجه الشوكاني بسنده عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ قال رسول الله ﷺ: «هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين» (انظر فتح القدير للشوكاني ج ٥: ص ٤٧٧). ومنها: ما أخرجه الخوارزمي بسنده عن سلمان الفارسي: أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إنّ أخي ووزيري وخير من أخلفه بعدي علي بن أبي طالب» (المناقب للخوارزمي: ص ١١٢ ح ١٢١). ومنها: ما رواه الحموي الجويني بإسناده عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: "من لم يقل علي خير الناس فقد كفر"» (فرائد السمطين ج ١: ص ١٥٤ ح ١١٦)، ورواه ابن عساكر في ترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ج ٢: ص ٤٤٤ ح ٩٥٤ وغيره.

ومن هنا يعرف معنى النصب والناصب، حيث أنّ مجموعة من الصحابة لم يوالوا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، بل وكانوا يبغضونه، وقد ورد في الروايات المتفق عليها أنّ هؤلاء كانوا معروفين من عهد النبي ﷺ، فقد أخرج الترمذي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: إنّ كنّا لنعرف المنافقين ببغضهم علي بن أبي طالب عليه السلام (سنن الترمذي ج ٥: ص ٢٩٨). وأخرج الهيثمي في مجمع الزوائد بسنده عن جابر بن عبد الله قال: والله ما كنّا نعرف منافقينا على عهد رسول الله ﷺ إلّا ببغضهم علياً عليه السلام (مجمع الزوائد ج ٩: ص ١٣٢). وقال المباركفوري في التحفة الأحوذى: قوله (إن كنّا) إنّ مخففة من المثقلة (معشر الأنصار) بالنصب على الاختصاص (ببغضهم علي بن أبي طالب)، لأنّه





لا يبغض علياً إلا منافق كما في الحديث (التحفة الأحوزي ج ١٠: ص ١٥٠). ولذلك عندما سأل بريدة بن الحصيب النبي ﷺ عن هذه الحقيقة، بين له النبي الأكرم ﷺ أن حب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام علامة الإيمان، وبغضه عليه السلام علامة الكفر والنفاق، فقد أخرج أحمد بن حنبل بسنده عن أبي بريدة قال: أبغضت علياً بغضاً لم يبغضه أحد قط؟ قال: وأحببت رجلاً من قريش لم أحبه إلا على بغضه علياً، قال: فبعث ذلك الرجل على خيل فصحبته ما أصحابه إلا على بغضه علياً، قال: فأصبنا سيئاً، قال: فكتب إلى رسول الله ﷺ: ابعث إلينا من يخمس، قال: فبعث إلينا علياً وفي السبي وصيفة هي أفضل من السبي، فخمّس وقسم فخرج رأسه مغطى، فقلنا: يا أبا الحسن، ما هذا؟ قال: «ألم تروا إلى الوصيفة التي كانت في السبي، فإني قسمت وخمّست فصارت في الخمس ثم صارت في أهل بيت النبي ﷺ، ثم صارت في آل علي ووقعت بها»، قال: فكتب الرجل إلى نبي الله ﷺ فقلت: ابعثني، فبعثني مصداقاً، قال: فجعلت أقرأ الكتاب وأقول: صدق، قال: فأمسك يدي والكتاب، وقال: «أبغض علياً؟» قال: قلت: نعم، قال: «فلا تبغضه وإن كنت تحبه فازدد له حباً، فوالذي نفس محمد بيده لنصيب آل علي في الخمس أفضل من وصيفة»، قال: فما كان من الناس أحد بعد قول رسول الله ﷺ أحب إليّ من علي (مسند أحمد بن حنبل ج ٥: ص ٣٥٠). ويبدو أن خالد بن الوليد كان على رأي بريدة بدليل قول بريدة (صحب رجلاً من قريش لم أصحابه إلا على بغض علي) يقصد عندما بعثهم رسول الله ﷺ إلى اليمن وقد جاء التصريح بخالد في أحاديث أخرى، حيث أثر ذلك جرت خصومة بين خالد وعمّار فنهى النبي ﷺ خالداً، فانتهى. فلعلّ الخصومة كانت بسبب حب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وبغضه، وكان عمّار من موالي بني معزوم قوم خالد إلا أنه كان ممن يحب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، بل وحتى النصب - كأفراد أيضاً - فقد كان موجوداً في زمن النبي ﷺ والظاهر أن هذه المجموعة من الصحابة لم يظهروا نصبهم وعداوتهم حتى بعد وفاة النبي ﷺ واجتماعهم في سقيفة بني ساعدة ولذلك سمّوهم المنافقين كما تقدّم في الحديث، ثم اتّسع في عصر حكومة معاوية بن أبي سفيان الذي بدأ بسب الإمام أمير المؤمنين علي بن



لما عرفته من ثبوت نفاق الناصبة من حيث بغضهم لمن حبه إيمان وبغضه نفاق^(١).



أبي طالب عليه السلام على المنابر. وقد ذكر الذهبي في ترجمة معاوية في النبلاء أن أهل الشام نشأوا مع معاوية على النصب (انظر سير أعلام النبلاء ج ٣: ص ١٢٨). واتفق كلمات المسلمين على أن معاوية كان رأس النصب، لكن الذهبي خشي التصريح بهذا الأمر وإلا فعبارات المؤرخين والمحدثين صريحة وواضحة في هذا المجال، ويكفي لمن تأمل فيها بلا تعصب. وعليه فإن منشأ المخالفة للنصوص الصحيحة والصريحة في إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وإمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام والبغض والعداء لهم عليه السلام، بدأت بشكل ظاهر من يوم السقيفة، واشتدت في عهد معاوية وتبلورت جميع جهاته في عهد يزيد بن معاوية وغيره من خلفاء بني أمية وبني العباس. وهذه الحقيقة واضحة لكل من أمعن في الروايات والآثار والأخبار، وعليه فإن ما ذكره ابن تيمية واضح البطلان عند أهل العلم ولكنه أراد بذكر هذه الألقاب والنسب الباطلة ويدعي على خلاف الواقع ليغشّ به عوام أهل السنة كما هو واضح ظاهر، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الروايات الواردة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الدالة على أن حب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام علامة الإيمان، وبغضه النفاق والكفر، فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن الأعمش عن عدي بن ثابت عن زر قال: قال علي: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وآله إلي أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق» (صحيح مسلم ج ١: ص ٦١ كتاب الإيمان، باب أن حب الأنصار والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من الإيمان وعلاماته). وقال النووي في شرح الحديث: أن من عرف علي بن أبي طالب عليه السلام وقربه من رسول الله صلى الله عليه وآله وحب النبي صلى الله عليه وآله له وما كان منه من نصرة الإسلام وسوابقه فيه، ثم أحبّ علياً لهذا كان ذلك من دلائل صحة إيمانه وصدقه في إسلامه، لسروره بظهور الإسلام والقيام بما يرضى الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وآله، ومن أبغضه كان بضد ذلك، واستدل به على نفاقه وفساد سيرته (شرح



وما عرفته من متابعة اثني عشرية الشيعة فيما قالوه وفعلوه للشريعة^(١).



صحيح مسلم للنووي ج ٢: ص ٦٤). ولا يخفى أن هذا الحديث يكون صحيحاً عندهم كما أخرجه أصحاب الصحاح كمسلم وغيره في صحيحه، فيجب عليهم العمل بحسب مقتضاه، ومقتضاه الحكم بنفاق وكفر من يبغض الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالصراحة، ومعناه أن كل من نصب العداوة لمولانا الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام فهو منافق وكافر، ولذلك تعجب الذهبي من مدلول هذا الحديث الصحيح فقال في ترجمة الحاكم النيسابوري ما هذا نص عبارته: فما باله أخرج حديث الطير في المستدرک؟ فكأنه اختلف اجتهاده، وقد جمعت طرق حديث الطير في جزء، وطرق حديث: "من كنت مولاه" وهو أصح، وأصح منهما ما أخرجه مسلم عن علي قال: إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إلي: "إنه لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق". وهذا أشكل الثلاثة، فقد أحبه قوم لا خلاق لهم، وأبغضه بجهل قوم من النواصب... (سير أعلام النبلاء ج ١٧: ص ١٦٩) فإنه وإن لم يذكر اسم من أبغض مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من الخلفاء السقيفة وأتباعهم، إلا القضية واضحة بحيث وقع الذهبي في حالة الحيرة، لا هو يمكنه أن يرد الحديث ولا هو يمكنه أن يطبقه على معتقداته. وهذه القضية شاملة لحال جميع علمائهم، ولذلك أن مثل ابن تيمية أخذ موقف عداة والنصب للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فإنه كان يعلم بأنه لا يمكنه الجمع بين المتناقضين، فأراد التخلص بالإدعاء والالتهام لئلا يحاسبه أتباعه فلاحظ.

(١) لا يخفى على المتتبع أن الشيعة قد أخذت عقائدها وجميع معارف دينها من القرآن الكريم والعترة الطاهرة أئمة أهل البيت عليهم السلام، الذين اصطفاهم الله وفضلهم على العالمين وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. وهم الذين أخذوا عن رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ عن الوحي الإلهي. ويكفي للباحث المراجعة إلى كتب الشيعة وتراثهم وآثارهم في المجالات المختلفة من المباحث الدينيّة، فإنها أكبر دليل وبرهان على ذلك. وتوضيح المقام أن الشيعة تعتقد بالأدلة والبرهان بأن الإمامة منصب إلهي كالنبوة، فإن الله تبارك





وتعالى منح أئمة أهل البيت عليهم السلام الإمامة، لأنهم يستحقون هذا المقام، أي: كما أنّ تبارك وتعالى بعث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله للنبوّة، لأنّه صلى الله عليه وآله كان يستحق بهذا المقام، كذلك أئمة أهل البيت عليهم السلام منحهم الإمامة لأنهم يتصفون بجميع صفات خاتم الأنبياء المرسلين صلى الله عليه وآله سوى نزول الوحي عليهم. فالشيعة لهم أدلة واضحة من الكتاب والسنة في هذا المجال، وهي مذكورة في كتبهم. وعلى الخصم أن يطالبهم بالحجة الشرعية في جميع المسائل الدينية.

وأما أهل السنّة فإنّهم يعتقدون بأنّ الإمامة منصب يختاره الناس، أي: أنّ الإمام كالرئيس الجمهور ينتخبه الناس، لأنّه لم يرد نصّ شرعي في إمامة أحد شرعاً. قال عبد القاهر البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق: إن الإمامة فرض واجب على الأمة لأجل إقامة الإمام، ينصب لهم القضاة والأمناء، ويضبط ثغورهم، ويغزي جيوشهم، ويقسم الفئ بينهم، ويتنصف لمظلومهم من ظالمهم (انظر كتاب الفرق بين الفرق لأبي منصور عبد القاهر البغدادي: ص ٣٢٣). فكما ترى أنّ وجوب الامامة عندهم ليس وجوباً شرعياً من ناحية الشرع الأقدس، بل وجوبها عندهم من جهة أنّ الإمام يلزم أن ينصب القضاة ويحفظ الثغور و.... وعليه فإنّ أعمالهم وأقوالهم لا تكون مبنية على الحجة الشرعية، إذ لم يقدّم الدليل الشرعي على إمامة أحد عندهم، فبأي وجه شرعي يجب اتباع الإمام عندهم؟! إذ المفروض أنّهم يعتقدون بعدم وجود دليل ونص على إمامة أحد شرعاً، وهذا معناه عدم وجود حجة شرعية عندهم في باب الإمامة، وإذا لم يقدّم عندهم الدليل الشرعي على اعتبار إمامة أحد شرعاً، فماذا تكون أوامر امامهم ونواهيهم شرعية؟!.

وقد جاء التعريف الجامع للإمامة على رأي الشيعة الإمامية في حديث الإمام الرضا عليه السلام حيث قال: «إنّ الإمامة هي منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء، إنّ الإمامة خلافة الله عزّ وجلّ وخلافة الرسول ومقام أمير المؤمنين عليه السلام وميراث الحسن والحسين عليهما السلام، إنّ الإمامة زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعزّ المؤمنين، إنّ الإمامة أسّ الإسلام النامي وفرعه السامي. بالإمام تمام الصلاة والزكاة والحجّ والجهاد وتوفير الفيء والصدقات، وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع الثغور والأطراف...» (الكافي ج ١: ص ٢٠٠ ح ١). فالعبرة





الطاهرة عليها السلام عند الشيعة الإمامية هم ورثة الكتاب وحملة علم رسول الله ﷺ. كما أن هذا المعنى ظاهر من حديث الثقلين المتواتر بين الفريقين، فإن معنى عدم افتراق الكتاب عن العترة الطاهرة عليها السلام هو أن الهداية الإلهية تتحقق بهما معاً، فعدم التمسك بهما معاً، أو التمسك بأحدهما فقط موجب للضلالة. ومعناه أن الكتاب يحتاج إلى من يبين حقائقه للأمة بعد وفاة رسول الله ﷺ كما أن رسول الله ﷺ كان مبيّناً لحقائق الكتاب في حياته ﷺ، فنص الحديث يجب على الأمة أن ترجع بعد رسول الله ﷺ إلى العترة الطاهرة عليها السلام، لأن الحديث يدل على عدم افتراق الكتاب عن العترة الطاهرة عليها السلام. ولذلك قال الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ «نزلت في أمة محمد خاصة، في كل قرن منهم إمام منّا شاهد عليهم ومحمد شاهد علينا» (الكافي ج ١: ص ١٩٠، والآية في سورة النساء: ٤١). وقال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الله طهرنا وجعلنا شهداء على خلقه وحجته على من في أرضه، وجعلنا مع القرآن وجعل القرآن معنا لا نفارقه ولا يفارقنا» (بصائر الدرجات: ص ٨٣ ح ٦). وقال عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا...﴾ «هم آل محمد عليهم السلام» (بصائر الدرجات: ص ٤٦ ج ٢، والآية في سورة فاطر: ٣٢). وقال الإمام الباقر عليه السلام لعمر بن عبيد: «فإنما على الناس أن يقرأوا القرآن كما أنزل، فإذا احتاجوا إلى تفسيره فالاهتداء بنا وإلينا يا عمرو» (تفسير فرائد: ص ٢٥٨ ح ٣٥). وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «نحن الذين اصطفانا الله فقد ورثنا علم هذا القرآن الذي فيه تبيان كل شيء» (بصائر الدرجات: ص ١١٤ ح ٣). وقال الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: «كتاب الله الذكر وأهله آل محمد الذين أمر الله تعالى بسؤالهم ولم يؤمروا بسؤال الجهال... وسمى الله القرآن ذكراً فقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾» (الكافي ج ١: ص ٢٩٥ ح ٣ سورة النحل: ٤٣ و ٤٤). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة عنهم عليهم السلام في هذا المجال. فاعتقاد الشيعة في باب الإمامة واضح من الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، وكتبهم مليئة بذكر الروايات والأدلة في هذا المجال، وبإمكان كل متبع أن



فمن زعم وجود الشرّ فيهم لزمه القول بأنّ الشريعة المقدّسة شرٌّ من حيث مطابقة ما صدر منهم لها^(١)،



يراجع كتبهم في المجالات المختلفة من المباحث الدينيّة ، فيعرف بأنّ الشيعة لا يعتقدون بشيء ولا يقولون بقول ولا يفعلون فعلاً إلاّ على أساس الحجة الشرعية والدليل القطعي من الكتاب والسنة النبويّة أو سنة العترة الطاهرة عليهم السلام وعليه كيف ينسب ابن تيمية النصب والرفض اليهم مع أنّه يعلم بأنّ كلّ ما يصدر منهم يكون على أساس الحجة الشرعية؟! فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أنّه كيف يمكن لابن تيمية أن ينسب الشرّ إلى الشيعة، بعد علمه بأنّ الشيعة قد أخذت معالم دينها من الكتاب وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسنة أئمة أهل البيت عليهم السلام، ومعناه أنّهم قد أخذوا دينهم عن طريق الوحي الإلهي، لأنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام أخذوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله، ورسول الله صلى الله عليه وآله عن الوحي الإلهي. ومن الواضح أنّ من يأخذ معالم دينه عن الوحي الإلهي فقد أخذها من ينبوعه الصافي ومعينه العذب، وذلك كما قال الله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (سورة الأعراف: ١٧٨). فلا هتداء إذا كانت بسبب الحجّة الإلهيّة فهي الطريق للنجاة، وذلك لأنّ الحجّة الإلهيّة يهدي الناس عن طريق الوحي والهداية الربانيّة. فالشيعة الإماميّة تعتقد بأنّ الهداية الإلهيّة تتحقّق بإرشاد الهادي المنسوب من قبل الله عزّ وجلّ، لأنّ الهادي المنسوب من قبل الله عزّ وجلّ يهدي إلى الحقّ، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾ (سورة يونس: ٣٥). والآية الكريمة تدلّ بوضوح على أنّ جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام الذين تصدّوا مقام الهداية الربانيّة كان لهم منصب إلهي، وعهد رباني لا يناله إلا ذو حظ عظيم يمتاز عن سائر أفراد الأمة بعلمه الجم وفضائله الفائقة وعصمته ونزاهة باطنه. فهو لاء كانوا يهدون الناس إلى الحقّ بأمر الله عز وجل. وعليه يلزم بحسب هذا النصّ القرآني أنّ كلّ من يريد أن يهتدي بهدى الله ويتزوّد عن طريق الهداية الإلهيّة بكلّ أبعادها وتفصيلها،





أَنْ تكون هدايته عن طريق الحجة الإلهية، ومن الواضح أَنَّ الحجة الإلهية يهدي الناس عن طريق الوحي والهداية الربانية. والخير كُلُّه بيد قدرته سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة آل عمران: ٢٦). فالخير كُلُّه في الطاعة الإلهية وطاعة أولياء الله. وفي مقابلة الشرِّ فَإِنَّ من لم يسلك طريق الهداية الإلهية و الطاعة الربانية فيقع في الشرِّ. وبعبارة أخرى: أَنَّ الطاعة الإلهية يبعث الإنسان إلى الخير وعصيانَه يدفعه إلى الشرِّ. ولذلك قال العلامة المجلسي رحمته الله في معنى الخير: والخير والشرُّ يطلقان على الطاعة والمعصية وعلى أسبابهما ودواعيهما، وعلى المخلوقات النافعة كالحبوب والثمار والحيوانات المأكولة والضارّة كالسموم والحيات والعقارب، وعلى النعم والبلايا (مرآة العقول ج ٢: ص ١٧١). وتوضيح المقام أَنَّ الأحكام الشرعية حيث تكون مبنية على المصالح والمفاسد الواقعية، فيرجع معناه إلى أَنَّ الطاعة الإلهية هي الخير، أي: أَنَّ ما فيه المصلحة فهو المعيار للخير، وَأَنَّ ما فيه المفسدة هو المعيار للشرِّ. وعليه فيتلخّص أَنَّ كل ما كان في طاعة الله ورسوله ﷺ وطاعة أوليائه فهو خير. وبالطبع أَنَّ طاعة أولياء الله يستلزم قبول ولايتهم. ولذلك قد ورد في الحديث عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ قال: «من سرّه أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويسكن جنّة عدن غرسها ربّي، فليوال عليّاً من بعدي، وليوال وليّه، وليقتد بالأئمة من بعدي، فإنّهم عترتي خلقوا من طينتي، رزقوا فهماً وعلماً، وويل للمكذّبين بفضلهم من أمّتي، القاطعين فيهم صلتى لا أنالهم الله شفاعتي» (حلية الأولياء لأبي نعيم ج ١: ص ٨٦). زعليه فإنّ قبول ولاية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وحبه علامة الإيمان عند الله ورسوله، وبغضه علامة الكفر والنفاق كما ورد في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه بسنده عن الأعمش عن عدي بن ثابت عن زر قال: قال علي: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إِنَّه لعهد النبي الأمي ﷺ إليّ أن لا يحبّني إلّا مؤمن ولا يبغضني إلّا منافق» (صحيح مسلم ج ١: ص ٦١ كتاب الإيمان، باب أَنَّ حبّ الأنصار والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من الإيمان وعلاماته). ومن هنا اتّضح أَنَّ من كان فيه علائم المؤمن الحقيقي



بل قد عرفت وجود الشرِّ في خير أمة وتغيير نبذة من شريعتها من سلف السني من يوم قامت السقيفة على إمامة ابن أبي قحافة فجعلته خليفة^(١)



فهو فيه الخير ومن لم يكن كذلك فهو يكون شرًّا، إذ أنَّ المؤمن الخالص هو المؤمن الذي يعرف بالتسليم لله ولرسوله ﷺ، ومن كان كذلك فقد وعده الله في كتابه العزيز بالجنة فقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (سورة التوبة: ٧٢). ومن فاز بالجنة فقد فاز إلى كل الخير. وقد روى ابن أبي الحديد بسنده عن المغيرة، أنَّ سلمان والزيبر وبعض الأنصار كان هواهم أن يبايعوا عليًّا بعد النبي ﷺ، فلمَّا بويع أبو بكر، قال سلمان للصحابه: "أصبتُم ذا السنِّ منكم، ولكنكم أخطأتم أهل بيت نبيكم. أما لو جعلتموها فيهم ما اختلف منكم اثنان ولأكلتموها رغداً" (انظر نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٦: ص ٤٢). فالخير كلُّه فيمن التزم بالشريعة المقدسة حسب ما أمره الله ورسوله ﷺ، ومن لم يلتزم بها فهو في الشرِّ، وعليه فما نسبته ابن تيمية إلى الشيعة من الشرِّ فإنَّه لا ينطبق عليهم، لأنَّه يعلم أنَّ الشيعة ملتزمون بما جاء في الشرع الأقدس كما تقدمت الإشارة إلى أدلتها، فبالطبع أنَّ لفظ الشرِّ ينطبق على من كان على خلافهم، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى حقيقة هامة ألا وهي أنَّ الخيرية لا تحصل إلَّا بحصول شرائطها، كما في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (سورة آل عمران: ١١٠). فَإِنَّ الآيةَ الكريمة صريحة في أنَّ اتِّصافَ الأُمَّة بالخير مشروطة بتحقيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع، فمتى فقدت الأُمَّة هاتين الصفتين فقدت عدالتها وخيريتها، وفقدت كلَّ شيء. وإذا كان الأمر كذلك فإنَّ غضب الخلافة من أهلها قد بدلت المعروف بالمنكر والمنكر بالمعروف، إذ أنَّ خلفاء الجور غضبوا الخلافة من أهلها وأشاعوا بذلك المنكر في المجتمع. وعلى سبيل المثال أنَّ معاوية قد سنَّ سنة سيئة في المجتمع الإسلامي، فإنَّه قد أمر الناس بسبِّ مولانا الإمام أمير





المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على المنابر، وهل يتصور منكر فوق هذا المنكر!!! فكيف يمكن أن تتصف الأمة بالخيرية بعد أن كان حاكمها مروجاً لأقبح المنكرات. فالآية واضحة الدلالة على أن الخيرية تكون مشروطة ومعلقة على أن يكون الحاكم على رأسها، حاكماً يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهذا لا يتحقق إلا إذا كان الحاكم عارفاً بجميع موارد المعروف والمنكر، والخير يعلم بأنه لا يمكن الإحاطة بجميع موارد المعروف والمنكر إلا بوجود النبي صلى الله عليه وآله أو الإمام المعصوم عليه السلام العالم بجميع جهات الخير والشر، فالخيرية بهذا المعنى لا تتحقق في المجتمع إلا بوجود الإمام المعصوم عليه السلام. ولذلك قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (سورة النحل: ٩٠). فإن إجراء العدل والإحسان، يستلزم المعرفة بجميع موارد العدل والإحسان، ومن الواضح أن تحقق ذلك في المجتمع إنما يكون بوجود النبي صلى الله عليه وآله أو الإمام المعصوم عليه السلام، والقائد الإلهي الذي له الإحاطة بجميع موارد المعروف والعدل. فهذا معنى الخيرية في الآية الكريمة. وعليه فإن الخيرية لا تتحقق إلا بوجود النبي صلى الله عليه وآله أو الإمام المعصوم عليه السلام، الذي يعرف جميع موارد العدل والمعروف ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. فتحقق الخير في الأمة مشروط بوجود الحاكم المعصوم على رأسه كالنبي صلى الله عليه وآله أو من يكون تالياً تلوه، أي يكون في رتبة النبي صلى الله عليه وآله من جهة العصمة والعلمية وسائر صفات الفضل؛ ولذلك قد ورد في تفسير الآية من أن المقصود بخير الأمة هم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، فقد أخرج السيوطي في الدر المنثور في تفسير الآية عن ابن أبي حاتم عن أبي جعفر عليه السلام «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» قال: «أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله» (الدر المنثور ج ٢: ص ٦٤). فالأمة الإسلامية لا تكون خيراً إلا إذا كان رأسها حاكماً من أئمة أهل البيت عليهم السلام، فعند ذلك تكون متصفاً بالخير. ولكن حيث أن خلفاء الجور قد تسلطوا على الأمة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، فبدلوا المعروف بالمنكر والمنكر بالمعروف فما تتوقع من الحاكم الجور، أيرتجى منه إجراء العدل والمعروف في المجتمع!!! فإن كل إناء بالذي فيه ينضح. فإذا كان الحاكم على المسلمين خلفاء الجور، فلا يتوقع منهم





إلا اجراء السنن الجاهليّة. ولذلك روى كبار علماء أهل السنة عن أبي بكر نفسه، أنّه اعترف على رؤوس الأشهاد وقال: "وليتكم ولست بخيركم" (المعجم الأوسط للطبراني ج ٨: ص ٢٦٧). وهناك روايات كثيرة رواها محبّ الدين الطبري في كتابه رياض النضرة، عند ذكر أحوال أبي بكر في باب سمّاه باب ذكر استقالة أبي بكر من البيعة: فروى بسنده عن زيد بن أسلم قال: دخل عمر على أبي بكر وهو آخذ بطرف لسانه، وهو يقول: إنّ هذا أوردني الموارد، ثمّ قال: يا عمر لا حاجة لي في إمارتكم. قال عمر: والله لا نقيلك ولا نستقيلك، ثلاثاً خرّجه حمزة بن الحارث. وروى بسنده عن أبي الجحاف قال: قام أبو بكر بعد ما بوع له وباع له علي وأصحابه، فأقام ثلاثاً يقول: أيّها الناس قد أقلتكم بيعتكم هل من كاره...؟ ثمّ قال: وخرّجه ابن السّمّان في الموافقة. وعنه قال: احتجب أبو بكر عن الناس ثلاثاً يشرف عليهم كلّ يوم يقول: قد أقلتكم بيعتي فبايعوا من شئتم...، خرّجه الحافظ السّلفي في المشيخة البغدادية وابن السّمّان في الموافقة. وروى أبو الجحاف هذا هو داود بن أبي عوف البرجمي التميمي مولا هم كوفي ثقة، روى عن غير واحد من التابعين (انظر الرياض النضرة لمحبّ الطبري ج ٢: ص ٢٥١). وفي تاريخ الخميس ما نصّه: ذكر ابن حبّان: إنّ أبا بكر قام في الناس بعد مبايعتهم إياه يقبلهم في بيعتهم ويستقبلهم فيما تحمّله من أمرهم، ويعيد ذلك عليهم، كلّ ذلك يقولون له: والله لا نقيلك ولا نستقيلك... (تاريخ الخميس - ذكر بيعة أبي بكر، من الموطن الحادي عشر). وفي بعض الروايات اعترف أبو بكر بعد لياقته بالخلافة وعُله بوجود أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فيه. وقد اعترف بها ابن روزبهان فيما رواه عن أبي بكر، ثمّ قال: والله العالم بقصد أبي بكر منها، فقد كان بعض مشايخنا يرى أنّ الكلمة هذه كانت إيعازاً منه إلى ضرورة القضاء على الإمام (عليه السلام) (انظر دلائل الصدق ج ٣: ص ٢٥). فإذا كان أبو بكر يعترف بعدم خيريّته على نحو العموم والإطلاق، معناه عدم وجود دليل شرعي أو عقلي على خلافته وتقدّمه عند أهل السنّة. وهذا بخلاف ما تعتقد الشيعة في تقدّم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فإنّهم يعتقدون بوجود النصّ الشرعي على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) من الكتاب والسنّة وباعتراف أبي بكر، كما سنذكر





الروايات الواردة عنه في امامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وعليه فإن وجود الخير في الأمة بعد رسول الله ﷺ إنما يكون بوجود مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فلاحظ.

(١) لقد تقدّم ذكر بعض المناكير التي فعلها الخلفاء الثلاثة، لاسيما البدع التي أحدثوها في الإسلام، والمخالفات والتحريفات التي أخلفت النكب وأصابت عالم الإسلام. وفي الحقيقة أنّ مصيبة الأمة الإسلامية انجرت عليها من غضب الخلافة وما لحقه من الأحداث وراء ذلك من الغور في المناكير والبدع في الدين والافتراء على الله ورسوله ﷺ وإرجاع الناس إلى الجاهلية الأولى. فإنّ أوّل ما يلفت انتباه الباحث في هذا المجال، هو منع صديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام فذكاً؛ بعد أن أكّدت النصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية بالصراحة على أنّ فذكاً كانت نحلة للزهراء عليها السلام، وأنّ النبي ﷺ قد أعطاها إياها خالصة قبل وفاته. فقد أخرج الهيثمي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال لما نزلت ﴿وَأَتَا ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطاها فذك (انظر مجمع الزوائد للهيتمي ج ٧: ص ٤٩)، وهذه الحقيقة تتضح للباحثين من خلال الرجوع إلى كتب التاريخ والسيرة، إذ هناك نصوص وروايات صريحة تدلّ على المقام. ورواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٧: ص ٤٩، وابن كثير في تفسيره ج ٣: ص ٣٩، والسيوطي في الدر المنثور ج ٤: ص ١٧٧، والشوكاني في فيح القدير ج ٣: ص ٢٢٤ وغيرهم. وقد جعلت الزهراء عليها السلام الفذك بيد إمام زمانها الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام ليعطي ثمرتها للفقراء والمساكين، ولذلك قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في رسالته إلى عثمان بن حنيف: «بلى، وكانت في أيدينا فذك من كلّ ما أظلمت السماء فشحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٥: ص ٩٩). ففي هذا الكلام لأمر المؤمنين عليه السلام تصريح بأنّ فذك كانت ملكاً لهم، إذ بقرينة تسلط اليد عليها وبقاعدة اليد التي هي من القواعد





المليكة الشرعية، فقد أكد الإمام عليه السلام على ذلك، وصرح بأنّ الفدك كانت في أيديهم، أي: أنها كانت تحت سلطنتهم شرعاً، والقانون الشرعي والعقلائي يحكم بمليكة من كان المال تحت يده. وهذا ما أكدت عليه النصوص من أنّ الفدك كانت في يد أهل البيت عليهم السلام، وذلك ممّا يعني أنّها كانت نحلة، لا ميراثاً. وعليه فإنّ ادّعاء أبي بكر من أنّ فدكاً كانت أرثاً للزهراء عليها السلام باطل شرعاً بالنصوص من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ التي أخرجها الفريقين. وعلى فرض التسليم وكون الفدك إرثاً، فأيضاً أنّ أخذها من فاطمة الزهراء عليها السلام مخالفة صريحة للقرآن الكريم والسنة النبوية، لأنّ القرآن الكريم أبطل دعوى أبو بكر وما تفرد به من النسبة الكاذبة إلى رسول الله ﷺ من أنّه ﷺ قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورث، حيث قال الله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ (سورة النمل: ١٦). فمن الواضح أنّ رسول الله ﷺ لا يقول قولاً مخالفاً لقول رب العالمين. فمنع فاطمة الزهراء عليها السلام فدكاً باستناد هذا الحديث المكذوب يعتبر عند أهل الإيمان محاربة لله ورسوله ﷺ من الجهات العديدة، أولاً: لأنه تكذيب على الله ورسوله ﷺ، وثانياً: بدعة في الدين، لأنّ وراثته الأنبياء عليهم السلام أمر مشروع في القرآن الكريم. وثالثاً: أنّ غضب الفدك تكذيب لأهل البيت عليهم السلام، ومخالفة صريحة لما أنزل الله تعالى في حق الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام وأهل البيت عليهم السلام؛ لأنّ الله تبارك وتعالى أنزل في حقها آيات عديدة منها آية التطهير وآية المباهلة وآية المودة وغيرها من الآيات كما لا يخفى ذلك على المتأمل. ثم إنّ السيدة الزهراء عليها السلام قد ردّت على أبي بكر فيما نسبته إلى رسول الله ﷺ محتجةً عليه بقولها: «يا ابن أبي قحافة، أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فرياً، أفعلنى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم، إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾، وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا، إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾»، ثم قالت: «أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟! فدونها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشر، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد ﷺ والموعود القيامة وعند الساعة ما تخسرون ولا ينفعكم إذ تندمون»، ثم رمت بطرفها نحو الأنصار وقالت: يا معشر الفتية وأعضاء الملة وأنصار



٢٤٢ منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨

وظهر الفساد وضلّ بسببهم غالب الجبهة عن طريق الرشاد حسب ما مضى
تفصيل ذلك، وهذه منه تكرير بتغيير في التعبير وقد تابعناه حفظاً للغفلة من
التردي في ظلمات الباطل^(١)



الإسلام، ما هذه الغميرة في حقّي، والسنة عن ظلامتي؟» (انظر تاريخ يعقوبي ج ٢: ص ١٢٧). هذا ومن ناحية أخرى أنّ غضب الفدك من الزهراء عليها السلام بالقوة والجبر كان سبباً لغضب الزهراء عليها السلام على أبي بكر وقد قال رسول الله ﷺ: «فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني» (انظر صحيح البخاري ج ٤: ص ٢١٠ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم). فهذا أيضاً عداء صريح لله ورسوله ﷺ ولأهل البيت عليهم السلام، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (سورة الأحزاب: ٥٧). فشمله هذه الآية... وإلى غير ذلك من المخالفات التي ارتكبتها خلفاء الجور وكلّها متفرعة على غضب الخلافة في السقيفة. وعليه فإنّ وجود الشرّ في خير أمة إنّما كانت بسبب عصب الخلافة، ومخالفة خلفاء الجور للنصوص الصريحة من القرآن الكريم والسنة النبوية. إذ قد ثبت بالأدلة والوثائق المعتبرة عند أهل السنة أنّ خلافة خلفاء السقيفة كانت سبباً لإشاعة للمناكير والبدع. وسنذكر تفصيل الكلام من مخالفاتهم للدين والشريعة المقدسة في محله إن شاء الله تعالى.

(١) وبعبارة أوضح أنّ غضب الخلافة وبيعة الناس للخلفاء السقيفة عقيب وفاة رسول الله ﷺ كانت سبباً لتضليل الأمة وإشاعة الفساد في المجتمع الإسلامي، إذ قد أصبحت الخلافة الإسلامية إمبراطورية، وملكاً عضوضاً، يتناقلها رجال العيث والفساد، من يد فاسق إلى آخر فاجر غارق في الهوى، إلى ثالث سفاك متعصّب. وقد أعانهم في تسنم ذورة تلك العروش، مرتزقة من رجال متظاهرين باسم الدين، فبرّروا أفعالهم ووجّهوا أعمالهم توجيهاً ملائماً للظروف السائدة، وصحّحوا إتجاهاتهم السياسيّة الخاصّة، وخلقوا في ذلك البدع والسنن المفتعلة ونسبوها إلى صاحب الرسالة ﷺ، واصطنعوا لهذا وذاك فضائل، لتدعيم مراكزهم السياسيّة، في حين أنّ القرآن الكريم قد بيّن حقيقة الإمامة والخلافة بعد





النبي ﷺ فقال الله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ (سورة يس: ١٢)، فإن الإمام لا بد أن يكون كالرسول مبيناً للحقائق الدينية من الكتاب والسنة النبوية، وقد ورد في الحديث عن ابن عباس عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أنا والله الإمام المبين، أبين الحق من الباطل ورثته من رسول الله ﷺ» (بحار الأنوار ج ٣٥: ص ٤٢٧). وعن الإمام الباقر عن أبيه عن جده عليه السلام قال: «لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾، قام أبو بكر وعمر من مجلسهما وقالوا: يا رسول الله هو التوراة؟ قال ﷺ: "لا"، قالوا: فهو الإنجيل؟ قال ﷺ: "لا"، قالوا: فهو القرآن؟ قال ﷺ: "لا"، قال: فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام فقال رسول الله ﷺ: "هو هذا، إنه الامام الذي أحصي الله فيه علم كل شيء" (ينابيع المودة ج ١: ص ٢٣٠). وفي الاحتجاج عن النبي ﷺ في حديث قال: «معاشر الناس ما من علم إلا علمنيه ربي وأنا علمته علياً وقد أحصاه الله في، وكل علم علمت فقد أحصيته في إمام المتقين، وما من علم إلا علمته علياً (الاحتجاج للشيخ الطبرسي رحمه الله ج ١: ص ٧٤). وأيضاً قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ (سورة الإسراء: ٢١)، فكلمة الإمام الواردة في هذه الآيات تكشف عن معنى الإمامة التي هي المرجع الوحيد لهداية الناس كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لِمَتِّقِينَ إِمَامًا﴾ (سورة الفرقان: ٧٤). فقد أخرج الحاكم الحسكاني في تفسير الآية بسنده عن أبان بن تغلب قال: سألت جعفر بن محمد عن قول الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِمَتِّقِينَ إِمَامًا﴾، قال: «نحن هم أهل البيت» (شواهد التنزيل ج ١: ص ٥٣٩)، ورواه فرات الكوفي في تفسيره: ص ٢٩٤، وعلي بن ابراهيم القمي في تفسيره ج ٢: ص ١١٧ وغيرهم. فكلمة الإمام الواردة في الآيات المباركة تكشف جلياً عن معنى المثل الأعلى، والقدوة الحسنة، والقيادة الراشدة، والمرجعية الموثوقة، والهداية الإلهية التي تقود حتماً إلى الصواب. ولذلك قال الله تعالى مخاطباً لآبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا، قَالَ وَمَنْ ذُرِّيَّتِي، قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (سورة البقرة: ١٢٤)، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ (سورة الأنبياء: ٧٣)، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً وَجَعَلْنَاهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (سورة





القصص: ٥)، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ (سورة السجدة: ٢٤). فالإمامه الشرعيه التي ساق الله تعالى مثالا في القرآن الكريم هي الحجة الإلهية، والحجة الإلهية هو الإمام الذي يختاره الله ويصطفيه من عباده الصالحين، كما أن الله تعالى اختار النبيين واصطفاهم من خيرة خلقه. فالإمامة بعد النبي ﷺ يكون كذلك. فيوضح لنا القرآن الكريم معنى الإمامة بشكل واضح وبما لا يدع مجالا للتاويل من أن الإمامة هي أولاً: عهد من الله، وهذا العهد لا تناله إلا الصفوة من عباد الله، وهو حرام على الظالمين. وثانياً: أن هذا المنصب إلهي، وأن الله هو الذي يختار الأئمة، ويجعلهم قدوة لهداية الناس، فاستعمل كلمة ﴿جَاعِلُكَ﴾ و﴿نَجْعَلُهُمْ﴾ و﴿جَعَلْنَاهُمْ﴾ الدالة على أن هذا المنصب إلهي. وثالثاً: أن الإمام يهدي الناس بأمر الله، ويقودهم وفق التعاليم السماوية والوحيانية، وهذا يقتضي العصمة اللدنية من لدن الوحي التأييدي والتسديدي. ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾. فالمستفاد من الآيات الكريمة أن الإمامة الشرعية في الإسلام هي الولاية الإلهية التي جعلها الله لمن شاء من عباده. وفي قوله بين سبحانه وتعالى أئمة الضلال، وهم الأئمة الذين يدعون الناس الى الضلالة والنار، فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ (سورة القصص: ٤١)، وبهذا الملاك الواضح تنكشف الإمامة الشرعية عن غير الشرعية؛ فالإمامة أمر مجعول من الله تعالى، لا من السقيفة! والقرآن يعطي هدايته لجميع الناس بالعبارة وبالإشارة، والعلماء والواعون يفهمون هدايته. فمن لا يهتدي بهداه فهو المسؤول عن عواقب عصيانه وتمرده. فأهل السنة على خلاف القرآن يعتقدون بأن الإمامة أشبه بسياسة وقتية زمنية كرئيس دولة، ينتخبه الشعب أو نواب الأمة، أو يتسلط على الشعب بانقلاب عسكري، وما شابه ذلك، فالإمام عند أهل السنة هو الحاكم العادي من الناس الذي يتسلط على الأمة، فإن مثل هذا لا يشترط فيه سوى بعض المواصفات المعروفة عند أهل السياسة، وعلى ذلك يرجع تعيين الإمام عندهم إلى نفس الأمة، لا إلى الله سبحانه ولا إلى رسوله ﷺ، فهم متفقون على هذا الرأي، ولكن اختلفوا فيما تنعقد به الإمامة على أقوال شتى وإليك بعض





أقوالهم: قال الإسفرائيني (المتوفى سنة ٤٠٦ هـ) في كتاب الجنائيات: "وتنقذ الإمامة بالقهر والإستيلاء، ولو كان فاسقاً أو جاهلاً أو عجمياً" (انظر إحقاق الحق، للسيد التستري ج ٢: ص ٣١٧ نقلاً عن كتاب الجنائيات). وقال الماوردي (المتوفى ٤٥٠ هـ): "اختلف العلماء في عدد من تنقذ به الإمامة منهم، على مذاهب شتى، فقالت طائفة: لا تنقذ إلاً بجمهور أهل العقد والحل من كل بلد، ليكون الرضا به عاماً، والتسليم لإمامته إجماعاً، وهذا مذهب مدفوع ببيعة أبي بكر على الخلافة باختيار من حضرها، ولم ينتظر بيعته قدوم غائب عنها. وقالت طائفة أخرى: أقل ما تنقذ به منهم الإمامة، خمسة يجتمعون على عقدها، أو يعقدها أحدهم برضا الأربعة، استدلالاً بأمرين: أحدهما: أن بيعة أبي بكر انعقدت بخمسة اجتمعوا عليها ثم تابعتهم الناس فيها، وهم عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، وأسيد بن حضير، وبشر بن سعد، وسالم مولى أبي حذيفة. والثاني: أن عمر جعل الشورى في ستة ليعقد لأحدهم برضا الخمسة. وهذا قول أكثر الفقهاء والمتكلمين من أهل البصرة. وقال آخرون من علماء الكوفة: تنقذ بثلاثة يتولاهم أحدهم برضا الإثنين، ليكونوا حاكماً وشاهدين، كما يصح عقد النكاح بولي وشاهدين. وقالت طائفة أخرى: تنقذ بواحد، لأن العباس قال لعلي: "امد يدك أباعك، فيقول الناس عم رسول الله ﷺ بايع ابن عمه، فلا يختلف عليك اثنان. ولأنه حكم، وحكم واحد نافذ" (انظر الأحكام السلطانية، لعلي بن محمد الماوردي: ص ٧-٦). وقال إمام الحرمين الجويني (المتوفى ٤٧٨ هـ): "اعلموا أنه لا يشترط في عقد الإمامة الإجماع، بل تنقذ الإمامة، وإن لم تجمع الأمة على عقدها. والدليل عليه أن الإمامة لما عُقدت لأبي بكر، ابتدر لإمضاء أحكام المسلمين ولم يتأن لانتشار الأخبار إلى من نأى من الصحابة في الأقطار، ولم يُنكر عليه منكر. فإذا لم يشترط الإجماع في عقد الإمامة لم يثبت عدد معدود، ولا حد محدود، فالوجه الحكم بأن الإمامة تنقذ بعقد واحد من أهل الحل والعقد" (انظر: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد: ص ٤٢٤). وقال القرطبي (المتوفى ٦٧١ هـ): "فإن عقدها واحد من أهل الحل والعقد، فذلك ثابت، ويلزم الغير فعله، خلافاً لبعض الناس، حيث قال: لا تنقذ إلاً بجماعة من أهل الحل والعقد، ودليلنا: أن عمر عقد البيعة





لأبي بكر، ولم ينكر أحد من الصحابة ذلك. ولأنه عقد، فوجب أن لا يفتقر إلى عدد يعقدونه كسائر العقود" (انظر تفسير القرطبي ج ١: ص ٢٦٠). وقال القاضي عضد الدين الإيجي (المتوفى ٧٥٧ هـ): "المقصد الثالث فيما ثبت به الإمامة، وأنها تثبت بالنص من الرسول، ومن الإمام السابق، بالإجماع، وتثبت ببيعة أهل الحل والعقد. لنا، ثبوت إمامة أبي بكر بالبيعة". وقال: "وإذا ثبت حصول الإمام بالاختيار والبيعة، فاعلم أن ذلك لا يفتقر إلى الإجماع، إذ لم يقم عليه دليل من العقل أو السمع، بل الواحد والاثنان من أهل الحل والعقد، كاف، لعلنا أن الصحابة، مع صلابتهم في الدين، اكتفوا بذلك، كعقد عمر لأبي بكر، وعقد عبد الرحمن بن عوف لعثمان، ولم يشترطوا اجتماع من في المدينة، فضلاً عن إجماعهم هذا، ولم ينكر عليه أحد، وعليه انطوت الأعصار إلى وقتنا هذا" (انظر المواقف: ٣٩٩-٤٠٠، ط عالم الكتب). ومثله شارح المواقف السيّد شريف الجرجاني (المتوفى ٨١٦ هـ) (انظر شرح المواقف ج ٨: ص ٣٥١-٣٥٣). وقال الفتازاني (المتوفى ٧٩١ هـ): "وتنقذ الإمامة بطرق: أحدها: ببيعة أهل الحل والعقد من العلماء والرؤساء ووجوه الناس الذين يتيسر حضورهم من غير اشتراط عدد، ولا اتفاق من في سائر البلاد، بل لو تعلق الحل والعقد بواحد مطاع كفت بيعته. الثاني: استخلاف الإمام وعهده، وجعله الأمر شورى بمنزلة الاستخلاف، إلا أن المستخلف عليه غير متعين فيتشاورون، ويتفقون على أحدهم، وإذا خلع الإمام نفسه كان كموته، فينتقل الأمر إلى ولي العهد. الثالث: القهر والاستيلاء، فإذا مات الإمام وتصدى للإمامة من يستجمع شرائطها من غيربيعة واستخلاف، وقهر الناس بشوكته، انعقدت الخلافة له وكذا إذا كان فاسقاً أو جاهلاً على الأظهر" (انظر شرح المقاصد ج ٢: ص ٢٧٢). هذا وأهل السنة لو أمعنت النظر في هذه الأقوال وأنصفت تجد بوضوح أنه لا أساس لما يقولون في مسألة الإمامة، بل إن غاية ما يحاولونه توجيه ما فعله القوم، وتبرير ما حدث في التاريخ، أما أن الحق ما هو؟ وما الذي أراده الله ورسوله ﷺ منهم؟ ليس في ذلك ما يدل عليه، ويعرف ذلك من موقف أصحاب، لأن موقف الصحابة من هذه الأقوال، موقف من اعتقد بصحة خلافة الخلفاء بلا تصور دليل شرعي، من الكتاب والسنة النبوية، بل يستندون إلى ما تحقق في التاريخ،



منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨ ٢٤٧

وقد علمت بمخالفة دعاويه لما ثبت من السنن الصحيحة من طرق قبيله،
ومن هذه الجهة لم يقدر على ذكر ما يدل على صحتها^(١)



وما صدر من خلفائهم فيصدرون القرار عليها، وينبوا عليها الآراء والأقوال، وعلى هذا الأساس صارت القضية رأياً وعقيدة في باب الإمامة. وقد بدءوا من انعقاد الإمامة عندهم برجل واحد أو اثنين، أو اتفاق من تيسر حضوره، دون النائين من الصحابة، وغير ذلك من الأقوال في هذا المجال. غير أنه لا يخفى على الخبير أن هذا النمط من الاستدلال دور محض، لأنه استدلال على المدعى بنفس المدعى. مضافاً إلى أن هذا الاعتقاد مخالف للنصوص القرآنية والسنة النبوية وحكم العقل كما تقدمت الإشارة إليها وسيأتي تفصيل الكلام في محله إن شاء الله.

(١) لا يخفى على الباحث الخبير أحقية الشيعة بالالتزام بما ورد في النصوص الواردة من طرق الفريقين ، ومنها: النصوص والروايات الدالة على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام التي وردت من طرق أهل السنة والجماعة ، فإنها تبطل دعاوي ابن تيمية، وهي كثيرة جداً ربما يبلغ عددها فوق الألف ، وقد أخرجها جهابذة أهل السنة والجماعة وفطاحل أعلامهم في صحاحهم ومسانيدهم بطرق كثيرة صحيحة حسنة عن عدة كبيرة من الصحابة عن رسول الله ﷺ، وحيث إنها كثيرة لا يمكننا نقل جمعها هنا فنشير إلى حديث واحد رواه علماء أهل السنة والجماعة في مصادرهم المعتبرة بطرق عديدة كثيرة صحيحة ، وهو حديث الغدير ، فلنذكر هنا ما أورده المحدث السلفي المعروف المعاصر محمد ناصر الألباني في كتابه سلسلة الأحاديث الصحيحة، فروى حديث الغدير عن عشرة صحابة بطرق عديدة، وهم: زيد بن أرقم، وذكر له خمس طرق. والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وذكر له تسع طرق. وسعد بن أبي وقاص، وذكر له ثلاث طرق. وبريدة بن الحبيب، وذكر له ثلاث طرق. وأبو أيوب الأنصاري، وذكر له طريق واحد. والبراء بن عازب، وذكر له طريق واحد. وعبد الله بن عباس، وذكر له طريق واحد. وأنس بن مالك، وذكر له طريق واحد. وأبو سعيد الخدري، وذكر له طريق واحد.





وأبو هريرة، وذكر له طريق واحد. ونصّ حديث الغدير بالطريق الأول من حديث زيد بن أرقم كما أورده عن أبي الطفيل عنه قال: لما رجع النبي ﷺ من حجة الوداع ونزل غدير خم، أمر بدوحات فقممن، ثم قال: «كأنّي دُعيت فأجبت، وإنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنّهما لن يتفرقا حتّى يردا عليّ الحوض»، ثم قال: «إنّ الله مولاي وأنا مولى كل مؤمن»، ثم أخذ بيد عليّ عليه السلام فقال: «من كنت مولاه فهذا وليّ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». ثم يضيف الألباني: للحديث طرق أخرى كثيرة جمع طائفة كبيرة منها الهيثمي في المجمع (ج ٩: ص ١٠٣-١٠٨). وقد ذكرت وخرّجت ما تيسر لي منها، ممّا يقطع الواقع عليها بعد تحقيق الكلام على أسانيدها بصحة الحديث يقيناً وإلاّ فهي كثيرة جداً، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، وقال الحافظ ابن حجر: منها صحاح ومنها حسان... (سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ٤: ص ٣٤٣ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣ الدار السلفية الكويت). وأيضاً روى حديث الغدير محمد صالح الكشفي الترمذي حديث الغدير بعدة طرق وإضافات عن عمر بن الخطاب قال: نصب رسول الله ﷺ عليّاً عليه السلام علماً فقال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، واخذل من خذله، وانصر من نصره، اللهم أنت شهيد عليهم»، قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، وكان في جنبي شابّ حسن الوجه طيب الريح، قال لي: يا عمر، لقد عقد رسول الله ﷺ عقداً لا يحلّه إلاّ منافق، فأخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: «يا عمر، إنّه ليس من ولد آدم لكنّه جبرائيل يؤكّد عليكم ما قلته في عليّ» (ينابيع المودة ج ٢: ص ٢٨٤). ثم إنّ النبي ﷺ أمر جميع من حضر غدير خم أن يبايع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد بايعه جميع المسلمين على رؤوس الأشهاد، وقد روى بيعة الصحابة مع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، كبار علماء الإسلام على اختلاف مذاهبهم ونحلهم كما لا يخفى ذلك على من راجع المصادر الإسلامية وأسفارهم وجوامعهم الحديثية من الشيعة وأهل السنة والجماعة، بل ويكون تواتره في أعلى درجة عند الباحثين والمحققين حيث صرح بذلك كبار علماء أهل السنة والجماعة كشمس الدين الذهبي قال في ترجمة





المطلب بن زياد: هذا حديث (حديث الغدير) حسن عال جداً ومتمنه فمتواتر (سير أعلام النبلاء ج ٨: ص ٣٣٥). وهناك طرق كثيرة لحديث الغدير لا يمكننا استقصائها وقد أخرج أحمد بن عقدة الكوفي في كتابه الولاية حديث الغدير عن أبي بكر وعمر بأسناد عديدة وبطرق مختلفة (انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٧: ص ٢٨٨ في ترجمة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام نقلاً عن ابن عقدة). وذكر المناوي في كتابه فيض القدير في شرح الحديث «من كنت مولاه فعلي مولاه» كلاماً لابن حجر في تغيير وجهي أبي بكر وعمر، ثم تطرق إلى سرد مصادر وأسناد حديث الغدير فقال: ذكره الحافظ في اللسان بنصه ولم أذكره إلا للتعجب من هذا الضلال وأستغفر الله، ثم قال: أخرجه الدارقطني عن سعد بن أبي وقاص عنهما قالا: أمسيت يا بن أبي طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة (انظر فيض القدير ج ٦: ص ٢١٧).

أقول: ألا يتعجب الإنسان من هذه العصبية والعناد، فإنه مع تصديقه بما وثقه ابن حجر، وتصديقه لما رواه، بل وتواتره عنده، مع ذلك ينكره ويقول: ولم أذكره أليس هذا من الضلال؟! أليس هذا من مصاديق الجهل والعصبية العمياء؟! ولا شك أن العصبية الجاهلية قد تنجر إلى الكفر. والسؤال الهام: في المقام هو أنه لو لم تكن كلمة رسول الله ﷺ في غدير خم «من كنت مولاه فعلي مولاه» مع كل ما احتوته من الميزات الظرفية والوقائع مثل الظروف المحلية والتاريخية واجتماع الحجاج وإبلاغهم أمر الخلافة وأخذ البيعة منهم رجالاً ونساءً الدالة على أهمية مسألة الإمامة والخلافة المتصلة بالنبوة المحمدية وأهميتها في مصير الأمة الإسلامية، وقلنا أنها موضوع عادي مثل أكثر المسائل التي تفقد الأهمية الدينية، فكيف يفسر الرجل تهنته الشيخين أبي بكر وعمر للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بقولهما له عليه السلام: يخ بك يا علي، أو: طوبى لك يا أبا الحسن، أو: هنيئاً لك يا بن أبي طالب؟ فحديث الغدير من هاتيك الحقائق التي لا يمكن إنكارها حتى للناصب المعلن بعداوة أهل البيت عليهم السلام. وعليه فإن من لم يبايع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولم يتابعه عليه السلام فقد خالف سنة رسول الله ﷺ، بل أنه سنّ بغير سنة رسول الله ﷺ كما جاء في الحديث: «قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير



وقد عرفت عدم وجود فضل فيمن تقدّم على العترة ومن تأخر عنهم^(١)،



هديي»، فيشملة قوله ﷺ: «من سنّ سنة ضلال فاتبع عليها كان عليه مثل أوزارهم من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» (مسند أحمد بن حنبل ج ٢: ص ٥٠٥). وقد بين رسول الله ﷺ بأبلغ البيان خلافة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وذكرها كبار الصحابة حتّى أنّ عمر بن الخطّاب روى هذا الحديث عن رسول الله ﷺ، وقد نقلها كبار علمائهم، فرواه ابن حجر العسقلاني عن ابن الجوزي فقال: أنّه حضر مجلسه بالكوفة فقال: لما قال النبي ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه» تغيّر وجه أبي بكر وعمر، فنزلت: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (لسان الميزان لابن حجر ج ١: ص ٣٨٧). وغيره من أعلامهم وسنذكر أقوالهم في محله إن شاء الله تعالى. وقد جمعها العلامة الأميني قدس سره في كتابه الغدير ثمّ ذكر رواية الحديث قرناً بعد قرن فرواه عن مائة وعشرين صحابياً وتسع وثمانين تابعياً وثلاثة آلاف وخمسمائة من العلماء والمحدثين من المصنّفين من أهل السنّة والجماعة الذين رَوَوْا هذا الحديث الشريف (انظر الغدير ج ١: ص ١٢-٤١٠). وهناك أحاديث كثيرة دالة على إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام رواه كبار علماء أهل السنّة، بل وحتّى مشايخ السلفية المتعصّب، وهي تدلّ على أحقية الشيعة وسنذكرها في محله إن شاء الله تعالى، ومن هنا يعرف مخالفة دعاوي ابن تيمية لهذه النصوص والروايات، فلاحظ.

(١) لا شك أنّ غضب الخلافة من العترة الطاهرة عليه السلام والتقدّم عليهم من أكبر الموبقات التي ليس نظيرها موبقة في الاسلام، لأنّ جميع الانحرافات والمفاسد من قتل النفوس الزاكية، ونهب الأموال المحرمة والتعدّي إلى حقوق المسلمين ونواميسهم والبدع التي أحدثها حكام الجور وسائر ما يتعلق بذلك إلى يوم القيامة من تبعات غضب الخلافة، ولا سيما التشتّت والنفاق بين المسلمين التي مزقت الأمة الإسلامية شر ممزق وما جرت الويلات عليها، فإنّها كانت بسبب غضب الخلافة، والتقدّم على العترة الطاهرة عليه السلام، فما تتصوّر فيما كان المتقدّم على العترة الطاهرة عليه السلام، فيه مطاعن كثيرة، بحيث لا يتصوّر خطيئة ولا





رديلة إلا وهم على رأسه. وبعبارة أوضح أن أعمال كل إنسان تدلّ على نواياه حقيقة، فكلما اشتدت سوء نيته كبر مقتته عند الله، فإنّ أبا بكر الذي غصب الخلافة من العترة الطاهرة عليه السلام وتقدّم عليهم بعد وفاة رسول الله ﷺ، كان يصرح على المنبر ويقول على رؤوس الأشهاد بصوت مرتفع يسمعه الخلائق: أيها الناس وليتكم ولست بخيركم فبايعوا خيركم... (انظر مجمع الزوائد ج ٥: ص ١٨٣، والمعجم الأوسط ج ٥: ص ٢٦٧، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١: ص ١٦٩، وكنز العمال ج ٥: ص ٦٣١، والتمهيد للباقلائي: ص ٤٩٢ وغيرهم). فإنّه اعتراف منه أولاً بعدم صلاحيته لمقام الخلافة والإمامة لوجود من هو خير منه في الأمة. وثانياً: طلب من الناس أن يبايعوا غيره الذي هو خير منه، وهذا دليل على أنّه كان يقطع بوجود من هو خير منه بين الأمة. ولا شك أنّ من له أدنى معرفة بمعارف الدين يعرف بأنّ الاعتراف على النفس نافذ، فاعترافه بعدم صلاحيته لمقام الخلافة والإمامة نافذ عليه وعلى من بايعه واتبعه. وثالثاً: إنّ قوله: لست بخيركم فبايعوا خيركم... فإمّا أن يكون صادقاً في هذا القول والكلام، أو يكون كاذباً. فإذا كان صادقاً في كلامه فيكون اعترافاً منه على عدم لياقته بمقام الخلافة والإمامة، وإذا كان كاذباً فهو فاسق، و الفاسق ايضاً لا يليق بمقام الخلافة والإمامة. فكيف جاز لأبي بكر التقدم على من هو أفضل منه؟! وقد جاء في بعض فقرات حديث الثقلين، أنّ التقدّم على العترة الطاهرة عليه السلام سبب لوقوع الأمة في الضلالة والهلاك، كما أنّ التأخّر عنهم يكون كذلك. فقد روى الطبراني في معجمه الكبير بسنده عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّي لكم فرط وإنكم واردون علي الحوض عرضه ما بين صنعاء إلى بصرى فيه عدد الكواكب من قدحان الذهب والفضة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين»، فقام رجل فقال: يا رسول الله وما الثقلان؟ فقال رسول الله ﷺ: «الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فتمسّكوا به لن تزلوا ولا تضلّوا، والأصغر عترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض وسألت لهما ذاك ربي فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تعلّموهما فإنّهما أعلم منكم» (انظر المعجم الكبير ج ٣: ص ٦٦). ورواه ابن حجر في الصواعق المحرقة، وفيه: «فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا،



فقول السنّي أنّ أبابكر أفضل من سعد بهتان معلوم؛ لأنّه لم تصدر من



ولا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم» (انظر الصواعق المحرقة لابن حجر: ص ١٤٨). ومعنى قوله ﷺ: «فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تعلّموهما فإنهما أعلم منكم»: أي دائماً كونوا ورائهما، دائماً كونوا في خطّهما، دائماً كونوا باتباعهما، «لا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا»، دائماً أنتم معهما لا تتقدّموا عليهما ولا تتأخّروا عنهما، «ولا تعلّموهما فإنهم أعلم منكم»، فهل يستطيع غير المعصوم أن يعلم المعصوم؟! فإنّ القرآن معصوم لا يجوز التقدم عليه. كذلك أهل بيت ﷺ بنصّ هذا الحديث. إذن، هذا المدلول يدلنا على أن أهل البيت ﷺ والقرآن شيء واحد لا يجوز أن تتقدّموا على الكتاب والعترة فتهلكوا وفي روايات لتهلكوا، ولا تتأخّروا عنهما فتهلكوا وفي رواية فترّلوا وفي رواية أخرى فضلوا، ولا تعلّموهم أي العترة الطاهرة من أهل البيت ﷺ، فإنهم أعلم منكم حيث أن الكتاب هو القرآن الصامت وأهل البيت ﷺ هم القرآن الناطق، أي أنّ العترة الطاهرة عندهم العلوم الدنية ما ليس عند غيرهم، فهم أعلم الناس بالكتاب والسنة، وكان لهم من الله عنايات اختصّ بهم، ولذلك قال ﷺ: «فلا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم». ثم إن معنى قوله ﷺ: «لا تقدّموهما، أي اجعلوا الكتاب والعترة الطاهرة من أهل البيت ﷺ دائماً في المقدّمة، فلا تتقدّموا عليهما ولا تتكبّروا عليهما ولا تترفعوا عن الاقتداء بهما والاهتداء بهديهما، واجعلوهما أئمتكم حتّى يكونا وفدكم إلى الله تعالى. وتناولوا الشفاعة بهما، وإنكم إن لم تفعلوا ذلك ولم تجعلوهما في المقدّمة، فإن مصيركم ينتهي إلى الهلاك. وكذلك لا تتأخّروا عنهما أي لا تنحوهما جانباً أو تتركوا اتباعهما والاقتداء بهديهما الربّاني إذ لو تأخّرتم عنهما فترّلوا أو تضلّوا أو تهلكوا. ولا تعلّموهم: أي لا تعلّموهم من آرائكم وأهوائكم الناقصة والضالّة، وتأويلاتكم الخاطئة والفسادة، وأقوالكم الموضوعة، ولا تتركوا التعلّم منهم والأخذ منهم واتباعهم، وتعلّموا منهم، لأنّ ما جاء به العترة الطاهرة ﷺ فمن عند الله. ومن تقدّم عليهم فإنما تقدّم على كلام الله ومن تأخّر عنهم فإنما تأخّر عن كلام الله، فلاحظ.

سعد مخالفات ومشاقات لله ورسوله ﷺ مثل ما صدر من الثلاثة^(١)،

(١) وتوضيح المقام أن الفرق بين من غضب الخلافة ، وكان سبباً لضلالة الأمة وبين من تبعه كفرق الشيطان وأتباعه. وقد أشار القرآن الكريم إلى فعل الشيطان في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة: ١٦٩). فكما أن منهج الشيطان يتلخص في ثلاثة أبعاد وهي: السوء، والفحشاء، والتقول على الله فيشمل كل المنكرات والقبايح المبطنة والعلنية، كذلك يكون الأمر بالنسبة إلى من غضب الخلافة من أهلها ، فإنها جريمة ليس فوقها جريمة، لأن لحظة واحدة من هذه الجريمة العظمى يترتب عليها المخالفات وانحرافات والضلالات والبدع والمفاسد وارتكاب المحرمات ، من قبيل قتل النفوس الزاكية، ونهب الأموال المحرمة والتعدي إلى حقوق المسلمين ما إلى غير ذلك من الموبقات التي تسري أثرها وتشمل جميع الأمة برمتها. في حين ما ارتكبه سعد بن أبي وقاص رفض الخلافة الإلهية وإنكار الضرورة الدينية، التي ترجع آثارها السيئة إلى نفسه. وهذا ما أوضحه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في ضمن بيان لشروط الإمامة فقال: «ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة» (نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٣١). فإن غضب الخلافة من أبي بكر يترتب عليه هلاك الأمة، بينما أن رفض الخلافة من سعد بن أبي وقاص إنكار للضرورة الدينية، وهو موجب للخروج عن الدين بإجماع المسلمين. ولذلك قال مولانا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «قد عملت الولاة قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول الله ﷺ متعمدين بخلافه، ناقضين لعهد، مغيرين لسنته، ولو حملت الناس على تركها وحولتها إلى مواضعها وإلى ما كانت في عهد رسول الله ﷺ لتفرق عني جندي حتى لو أبقى وحدي أو قليل من شيعتي الذين عرفوا فضلي وفرض إمامتي من كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله ﷺ... إذن لتفرقوا عني، والله لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا في شهر رمضان إلا في فريضة، وأعلمتم أن اجتماعهم في النوافل بدعة، فتنادى بعض أهل عسكري ممن يقاتل معي، يا أهل الإسلام غيرت سنة عمر، ينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوعاً!...» (مستدرک نهج البلاغة ج ٢: ص ٦٢ الخطبة رقم ١١٣/١٥، والكافي ج ٨: ص ٥٨). فغضب الخلافة من أخطر التجاوز للقانون الإلهي،

فإنّ مخالفات الجماعة أشدّ ممّا خالف به سعد، فإنّه كتم الحقّ ونصر الباطل وخذل في آخر عمره إمامه، ولكن لم يتأسّس منه مبتدعات وظلم وفعل مناكير^(١).



حيث بذلك يتحقّق جميع أنواع ما حذر الله تعالى من المخالفات للحكم بغير ما أنزل الله، ومن الواضح أنّ الاستقصاء والاحصاء لتلك الموارد التي غيرها الخلفاء الثلاثة من الدين الحنيف صعب مستصعب جدّاً لكثرتها، وقد رواها علماء الإسلام في كتب الحديث والتفسير والسيرة وغيرها من المصنفات من الفريقين وسنذكرها إن شاء الله تعالى في محلّه. وعليه فما ادّعاه ابن تيمية من أنّ أبا بكر أفضل من سعد... كذب وافتراء وبهتان واضح، لأنّه لم تصدر من سعد بن أبي وقاص تلك المخالفات والانحرافات والبدع التي حقّقها الخلفاء الثلاثة، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ أشدّية مخالفة خلفاء الجور من مخالفة سعد بن أبي وقاص يعرف من خلال آثار ما ارتكبوها من الإجماع ممّا ورد في الكتاب والسنة. والباحث لو أراد أن يجعل مقياساً شرعياً من القرآن الكريم والسنة النبوية لمعرفة أشدّية المخالفة في المقام فلا بدّ أن يعرف الفرق بين الشيطان وبين أحزابه وأتباعه، فعند ذلك يعرف الملاك في الفرق بين مخالفة أبي بكر وسعد بن أبي وقاص.

ومن المعلوم أنّ سعد بن أبي وقاص قد أنكر ضرورياً من ضروريات الإسلام، لأنّه أنكر خلافة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وإمامته مع اعترافه بوجود النصوص الدالة على خلافته عليه السلام وإمامته عليه السلام كما تقدّمت الإشارة الى بعضها التي رواه سعد من النبي ﷺ مباشرة.... وهذا الإنكار منه يستلزم تكذيب الله ورسوله ﷺ، ولا شك أنّ تكذيب الله ورسوله ﷺ موجب للكفر، ومشمول لقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (سورة النمل: ١٤). مضافاً إلى أنّه مشمول للروايات التي تنصّ على أنّ من لم ينصر الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وخذله فإنّه في زمرة أعداء الله ورسوله ﷺ. فسعد بن





أبي وقاص كان يعلم بأن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام خليفة رسول الله ﷺ حقاً، كما احتج على معاوية بالروايات التي سمعها من رسول الله ﷺ في إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فيكون مشمولاً لقوله تعالى: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ (سورة المائدة: ٨٠). فقد عاب الله على أمثال سعد بن أبي وقاص، لأنه تولى من سخط الله عليه. وكان يعرف الحق، ولذلك عندما طلب منه معاوية أن يسب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام!! قال: لن أسبه، لما قال فيه رسول الله ﷺ حين رآه غزا تبوكاً «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»، أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، ولأن أكون صهره على ابنته ولي منها من الولد، أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس. ثم قال لمعاوية: لا أدخل عليك داراً بعد اليوم، ثم نفّض رداءه وخرج (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ١١٩). وقال في حديث آخر: لو وضع المنشار على مفرقي على أن أسب علياً ما سببته أبداً بعد ما سمعت من رسول الله ﷺ ما سمعت (انظر معارج العلى في مناقب المرتضى لمحمد صدر العالم: ص ١٩١ مخطوط). وروى مسلم في صحيحه أن معاوية بن أبي سفيان أمر سعداً، فقال: ما منعك أن تسب أبا تراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ فلن أسبه، لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول له وقد خلفه في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان، فقال له رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي؟» وسمعت يقول يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»، قال: فتناولنا لها، فقال: «ادعوا لي علياً»، فأوتي به أرمداً، فبصق في عينيه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ (صحيح مسلم ج ٧: ص ١٢٠ كتاب الفضائل، باب فضائل الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام). وقال الحارث بن مالك: أتيت مكة فلقيت سعد بن أبي وقاص، فقلت: هل سمعت لعلي منقبة؟ قال: قد شهدت له خمساً لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي



من الدنيا أعمر فيها مثل عمر نوح، إن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر ببراءة إلى مشركي قريش فسار بها يوماً وليلة، ثم قال لعلي: «اتبع أبا بكر، فخذها وبلغها ورد عليّ أبا بكر»، فرجع أبو بكر فقال: يا رسول الله أنزل في شيء؟ قال: «لا إلا خيراً، إلا أنه ليس يبلغ عني إلا أنا أو رجل مني، (أو قال من أهل بيتي)»، وقال: وكنا مع النبي ﷺ في المسجد، فنودي فينا ليلاً: ليخرج من في المسجد إلا آل الرسول وآل علي قال: فخرجنا نجرّ نعائنا، فلما أصبحنا أتى العباس النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أخرجت أعمامك وأصحابك، وأسكنت هذا الغلام؟ فقال رسول الله ﷺ: «ما أنا أمرت بإخراجكم ولا إسكان هذا الغلام، إن الله هو أمر به»، وقال: والثالثة: أن نبي الله بعث عمرو سعداً إلى خيبر، فخرج سعد ورجع عمر، فقال رسول الله ﷺ: «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» في ثناء كثير أخشى أن أحصى، فدعا علياً فقالوا: إنه أرمد فجيء به يقاد، فقال له: «افتح عينيك»، فقال: لا أستطيع، قال: فتفل في عينه من ريقه ودلكها بإبهامه وأعطاه الراية، والرابعة: يوم غدير خم قام رسول الله ﷺ فأبلغ، ثم قال: أيها الناس ألت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ ثلاث مرّات، قالوا: بلى، قال: ادن يا علي، فرفع يده، ورفع رسول الله ﷺ يده حتّى نظرت إلى بياض ابطنه، فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» - حتّى قالها ثلاث مرّات - والخامسة من مناقبه: أن رسول الله ﷺ غزا على ناقته الحمراء وخلف علياً، فنفت ذلك عليه قريش، وقالوا أنه إنما خلفه أنه استقله وكره صحبته، فبلغ ذلك علياً، قال: فجاء حتّى أخذ بغرز الناقة، فقال: «زعمت قريش أنك إنما خلّفتني أنك استقلّنتني وكرهت صحبتني»، قال: وبكى علي، قال: فنادى رسول الله ﷺ في الناس فاجتمعوا ثم قال: «أيها الناس ما منكم أحد إلا وله حامة، أما ترضى يا ابن أبي طالب أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟» فقال علي: «رضيت عن الله ورسوله». قال الكنجي: هذا حديث حسن وأطرافه صحيحة (انظر في كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ص ٢٨٥). وقال خيثمة بن عبد الرحمن: قلت لسعد بن أبي وقاص: ما خلّفك عن علي، شيء رأيته أو سمعته من رسول الله؟ قال: لا بل شيء رأيته، أما إنّي قد سمعت له من رسول الله ﷺ ثلاثة لو تكون واحدة لي منها أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه





الشمس ومن الدنيا وما فيها. الأولى منها: لما كانت غزوة تبوك خلف رسول الله ﷺ علياً في أهله، قال فوجد علي في نفسه، فقال: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس بعدي نبوة؟» والثانية: قال رسول الله ﷺ يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، ليس بفرار لا يرجع حتى يفتح الله عليه»، فلما أصبح صلى الفجر، ثم نظر في وجوه القوم فرأى علياً منكسراً في ناحية القوم يشتكي عينيه، قال: فدعاه فقال: «يا رسول الله إنني أرمد»، قال: فأخذه إليه فمسح عينيه ودعا له، قال علي: «فوالذي بعثه بالحق ما شكيتهما بعد»، قال: ثم أعطاه الراية، قال: فمضى بها وأتبعه الناس من خلفه، قال: فما تكامل الناس من خلفه حتى لقي مرحب فاتقاه بالرمح فقتله، ثم مضى إلى الباب حتى أخذ بحلقة الباب، ثم قال: انزلوا يا أعداء الله على حكم الله وحكم رسوله وعلى كل بيضاء وصفراء، قال: فجاء رسول الله ﷺ فجلس على الباب فجعل علي يخرجهم على حكم الله وحكم رسوله، فبايعهم وهو آخذ بيد رسول الله ﷺ قال: فخرج حيي بن أخطب، قال: فقال له رسول الله ﷺ: «برئت منك ذمة الله إذا كتمتني شيئاً»، قال: نعم، وكانت له سقاية في الجاهلية، فقال له رسول الله ﷺ: «ما فعلت سقايتكم التي كانت لكم في الجاهلية»، قال: فقال: يا رسول الله أجلبنا يوم النضير فاستهلكناها لما نزل بنا من الحاجة، قال: «برئت منك ذمة الله وذمة رسوله إن كذبتني»، قال: نعم، قال فأتاه الملك فأخبره فدعاه رسول الله ﷺ فقال: «اذهب إلى جذوع نخلة كذا وكذا، فإنه قد نقرها وجعل السقاية في جوفها»، قال: فاستخرجها فجاء بها، قال: فلما جاء بها قال لعلي: «قم فاضرب عنقه»، قال: فقام إليه فضرب عنقه وضرب عنق ابن أبي الحقيق، وكان زوج صفية بنت حيي وكان عروساً بها، قال: فأصابها رسول الله ﷺ. والثالثة: قال رسول الله ﷺ يوم غدير خم ورفع بيد علي فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ١١٨). وإلى غير ذلك من الروايات التي رواه سعد بن أبي وقاص عن رسول الله ﷺ وهي تدل على إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد رسول الله ﷺ مباشرة.

وأما خلفاء الجور الذين غصبوا الخلافة من أهلها، فإنهم مضافاً إلى انكارهم للآيات





والروايات الدالة على إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وانكارهم لضرورة الإسلام وشمولهم أدلة المنكرين كما شمل سعد بن أبي وقاص، فإنهم حيث حاولوا بكل جهد وقوة إطفاء نور الله بأيديهم وأفواههم بحسب ما يظهر من ارادتهم وما ورد في أحوالهم فهم من الطواغيت الذين يسلكون طريق الشياطين. وقد قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (سورة التوبة: ٣٢). وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (سورة الصف: ٨). وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (سورة الفتح: ١٥). وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ (سورة النساء: ٥٤). والمراد بالناس في الآية الأخيرة أهل البيت عليهم السلام، للروايات التي وردت عن الفريقين في تفسيرها. ففي الدر المنثور عن ابن المنذر وتفسير الطبراني عن ابن عباس أنهما رويما في تفسير في هذه الآية. في حديث عن رسول الله ﷺ قال: «نحن الناس (أي أهل البيت الذي قال الله في شأننا أم يحسدون الناس...) دون الناس» (الدر المنثور للسيوطي ج ٢: ص ١٧٣)، ورواه ابن كثير في تفسيره ج ١: ص ٥٢٦ وغيره. فما فعله الخلفاء الثلاثة من الاجرام وغصب الخلافة وما تسرّت أثارها الميشومة إلى جميع الأمة، وكانت سبباً رئيساً لانحراف الأمة وضلالتها، فبذلك يفترق اجرامهم عن سعد بن أبي قاص، إذ أنهم في الحقيقة يتمثلون الشيطان في إضلال الناس، ولذلك أن القرآن الكريم عندما ما يتكلم عن أمثال هؤلاء يصفهم بطاغوت فيقول سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (سورة النساء: ٦٠). فهؤلاء صورتهم بشكل الإنسان ولكن سيرتهم سيرة الشياطين، فكما أن الشيطان يسعى لإغواء الناس وإضلالهم كذلك هؤلاء؛ لأن الطاغوت لا يريد إلا إضلال الناس كما أن الشيطان يكون كذلك، وايضا قال تعالى عن لسان





الشيطان: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ﴾ (سورة ص: ٨٢-٨٣). وهذا الموقف المخزي لإبليس يتجلى ماهيته الخبيثة حين ما طلب من الله سبحانه وتعالى أن يمهله إلى يوم يعثون كي ينتقم من أبناء آدم ﷺ، ويدفعهم جميعاً إلى طريق الضلال، رغم علمه بأن إضلاله لكل إنسان سوف يضيف لذنوبه حملاً ثقيلاً جديداً من الذنوب، ويغرقه في مستنقع الكفر والعصيان، كل ذلك بسبب اللجاجة والتكبر والغرور والحسد، فما أكثر المصائب التي تتوكد للإنسان من هذه الصفات الذميمة ومع ذلك لا يعتبر. وعلى كل تقدير فإن قلوب الطواغيت كقلوب الشياطين، فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة الأعراف: ٢٧)، فالشيطان لا يستطيع اجتياز حدود الروح ويعبرها إلا بعد موافقة من الإنسان نفسه، فإذا فتح الإنسان نوافذ قلبه في وجه الشياطين والأبالسة، فسوف تتمكّن الشياطين من النفوذ إلى باطنه وعندما سخّرت الشياطين قلوبهم فبالطبع أنّ جميع أفعاله وأعماله وسيرته تكون في قبضة الشياطين، والشيطان قد أعلن عداؤه صراحة للإنسان، وعاهد نفسه على هلاكهم إذ قال الله تعالى عن لسانه: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (سورة ص: ٨٢). وهكذا نجد في سيرة الخلفاء الثلاثة أنهم كانوا يسلكون طريق الشياطين، حيث كانوا يلجأون إلى التزوير والتحريف وتغيير معالم الدين وأحكام الإسلام حسب ما تهواه أنفسهم خلف ستار الاجتهاد، لأنهم كانوا يسمّون التحريف باسم الاجتهاد تمويهاً وتخطيطاً وتلبساً على أتباعهم، فدسّوا تحريفاتهم ومخالفاتهم للدين الحنيف في أوساط المجتمعات الإسلامية، وفصّاروا سبباً لإضلال الأمة. يقول مولانا أمير المؤمنين ﷺ: «قد عملت الولاة قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول الله ﷺ متعمدين بخلافه، ناقضين لعهد، مغيرين لسنّته، ولو حملت الناس على تركها وحوّلتها إلى مواضعها وإلى ما كانت في عهد رسول الله ﷺ لتفرّق عني جندي حتى لو أبقى وحدي أو قليل من شيعتي الذين عرفوا فضلي وفرض إمامتي من كتاب الله عز وجلّ وسنة رسول الله ﷺ... إذن لتفرّقوا عني، والله لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا في شهر رمضان إلا في فريضة، وأعلمتم أنّ اجتماعهم في النوافل بدعة، فتنادى بعض أهل عسكري ممّن يقاتل معي، يا أهل الإسلام غيرت سنة عمر،



٢٦٠..... منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨

نعم حاله حال الغالب في المتابعة لذوي المبتدعات والمناكير والطاعة لهم عليها^(١).



ينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوعاً!...» (مستدرک نهج البلاغة ج ٢: ص ٦٢ الخطبة رقم ١٥/١١٣). وأيضاً قال مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس، إذ أحبط عمله الطويل وجهده الجهد وكان قد عبد الله ستة آلاف سنة...» (نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٩١). فمن هنا يعرف أنّ مخالفات الخلفاء الثلاثة كانت أشدّ من مخالفة سعد بن أبي وقاص، فإنّ سعداً وإن كتم الحقّ ونصر الباطل وخذل الحق والعدل ولم يرجع ولم يتوب إلى آخر عمره، ولكن جرمه بالنسبة إلى من أسّس بنيان الضلالة لا يكون قابلاً للقياس، فلاحظ.

(١) فإنّ سعد بن أبي وقاص كسائر أتباع خلافة السقيفة يشترك معهم في الجرم والجناية، لاسيّما أنّه كان يعلم أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، هو الإمام الحق، لأنّه رأى النبي صلى الله عليه وآله بعينه، وسمع منه صلى الله عليه وآله الحديث بأذنيه وشهد واقعة الغدير وروى حديث الغدير عن النبي صلى الله عليه وآله مباشرة، فكيف جاز له بعد هذه الروايات التي شهدها بحواسه المختلفة أن يبايع أبا بكر وعمر وعثمان؟! ونحن نذكر هنا بعض متون حديث الغدير الذي رواه سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وآله من باب المثال، فمنها: ما رواه ابن ماجه في سننه بسنده عن سعد بن أبي وقاص، قال: قدم معاوية في بعض حجّاته، فدخل عليه سعد، فذكروا عليّاً، فنال منه. فغضب سعد، وقال: تقول هذا لرجل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من كنت مولاه فعلى مولاه»، وسمعتة يقول: «أنت مَنّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي». وسمعتة يقول: «لأعطين الراية اليوم رجلاً يحبّ الله ورسوله» (سنن ابن ماجه ج ١: ص ٤٥). ومنها: ما رواه النسائي في سنن الكبرى بسنده عن عائشة بنت سعد وعامر بن سعد عن سعد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خطب الناس فقال: «أمّا بعد، أيّها الناس، فإنّي وليّكم»، قالوا: صدقت، ثمّ أخذ بيد عليّ فرفعها ثمّ قال: «هذا وليّ والمؤديّ عنّي، وال الله من والاه وعاد من عاداه» (السنن الكبرى للنسائي ج ٥: ٥)



فبان الحقّ وعلم كونه بضدّ ما زعمه السنّي في أبي بكر وسعد^(١).



ص ١٣٤) ومنها: ما رواه أيضاً بسنده عن عائشة بنت سعد عن سعد قال: كنّا مع رسول الله ﷺ بطريق مكة وهو موجه إليها، فلما بلغ غدير خمّ وقّف الناس ثمّ ردّ من مضى ولحقه من تخلف، فلما اجتمع الناس إليه قال: «أيّها الناس، هل بلغت؟» قالوا: نعم، قال: «اللّهم اشهد (ثلاث مرات يقولها)»، ثمّ قال: «أيّها الناس من وليكم؟» قالوا: الله ورسوله (ثلاثاً)، ثمّ أخذ بيد علي فأقامه ثمّ قال: «من كان الله ورسوله وليّه فهذا وليّه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه» (السنن الكبرى ج ٥: ص ١٣٥). ومنها: ما رواه أيضاً عن عائشة بنت سعد قالت: سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يوم الجحفة وأخذ بيد علي فخطب فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: «يا أيّها الناس، إنّي وليكم»، قالوا: صدقت يا رسول الله، ثمّ أخذ بيد علي فرفعها وقال: «هذا وليي والمؤدي عني، وإنّ الله موال لمن والاه ومعاد من عاداه» (السنن الكبرى ج ٥: ص ١٠٧). وإلى غير ذلك ممّا رواه سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ حديث الغدير وقد أخرجها العلامة الأميني رحمه الله في كتابه الغدير (انظر الغدير ج ١: ص ١٥٩-١٨٦). وهذا حديث واحد من المئات الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ في إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام، واكتفينا بما رواه سعد بن أبي وقاص عن رسول الله ﷺ ومع ذلك أنّه كسائر أتباع السقيفة قد بايع خلفاء الجور، وأطاعهم مع علمه بأنّهم كانوا أهل البدعة في الدين وأهل المنكرات و...، فكيف يدّعي ابن تيمية بأنّ أبا بكر أفضل من سعد مع علمه بأنّ أبا بكر كان على رأس الغاصبين للخلافة!!

(١) وملخص الكلام أنّ سعد بن أبي وقاص الذي روى الروايات الكثيرة في إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام، فإنّه بعد وفاة رسول الله ﷺ بايع أبا بكر وبذلك رفض جميع النصوص التي هو بنفسه رواها عن النبي ﷺ ثم من بعده بايع عمر، وفي الشورى بايع عثمان، وبعد مقتل عثمان رفض بيعة مولانا أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام، قال المسعودي في مروج الذهب: وقعد عن بيعته جماعة عثمانية لم يروا إلا





الخروج عن الأمر، منهم سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، وبايع يزيد بن معاوية بعد ذلك، (ثم بايع) عبد الملك بن مروان. ومنهم: قدامة بن مظعون، وأهيان بن صيفي، وعبد الله بن سلام، والمغيرة بن شعبة الثقفي. وممن اعتزل من الأنصار: كعب بن مالك، وحسان بن ثابت، وكانا شاعرين، وأبو سعيد الخدري، ومحمد بن مسلمة حليف بني عبد الأشهل، ويزيد بن ثابت، ورافع بن خديج، والنعمان بن بشير، وفضالة بن عبيد، وكعب بن عجرة، ومسلمة بن خالد في آخرين لم نذكرهم من العثمانيّة من الأنصار وغيرهم من بني أمية وسواهم (مروج الذهب ج ٢: ص ٣٦١). وقال ابن الأثير في الكامل في التاريخ: أنه لما قتل عثمان، بايع جميع المهاجرين والأنصار أمير المؤمنين عليه السلام. وتخلّف عن البيعة من المهاجرين سعد بن أبي وقاص، وابن عمر، ومن الأنصار حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، ومسلمة بن مخلد، وأبو سعيد الخدري، ومحمد بن مسلمة، والنعمان بن بشير، وزيد بن ثابت، ورافع بن خديج، وفضالة بن عبيد، وكعب بن عجرة. وتخلّف عن بيعته أيضاً عبد الله بن سلام، وصهيب بن سنان، وسلمة بن سلامة بن وقش، وأسامة بن زيد، وقدامة بن مظعون، والمغيرة بن شعبة (الكامل في التاريخ ج ٣: ص ١٩١). وقال ابن عبد البر: ورامه ابنه عمر بن سعد أن يدعو لنفسه بعد قتل عثمان فأبى، وكذلك رامه أيضاً ابن أخيه هاشم بن عتبة، فلما أبى عليه صار هاشم إلى علي عليه السلام. وكان سعد ممن قعد ولزم بيته في الفتنة، وأمر أهله ألا يخبروه من أخبار الناس بشيء حتى تجتمع الأمة على إمام، فطمع فيه معاوية، وفي عبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، وكتب إليهم يدعوهم إلى عونه على الطلب بدم عثمان ويقول لهم: إنهم لا يكفرون ما أتوه من قتله وخذلانه إلا بذلك، ويقول: إن قاتله وخاذله سواء، في نثر ونظم كتب به إليهم تركت ذكره، فأجابه كل واحد منهم يرد عليه ما جاء به من ذلك، وينكر مقالته، ويعرفه بأنه ليس بأهل لما يطلب، وكان في جواب سعد بن أبي وقاص له: معاوي داؤك الداء العياء * وليس لما تجيء به دواء. أيدعوني أبو حسن علي * فلم أردد عليه ما يشاء. وقلت له أعطني سيفاً بصيراً * تميز به العداوة والولاء. فإن الشر أصغره كبير * وإن الظهر تثقله الدماء. أطمع في الذي أعيا علياً * على ما قد طمعت به العفاء. ليوم منه خير منك حياً * وميتاً أنت



وسابعتها: ما زعمه من كون عثمان أبعد عن استحقاق القتل من

الحسين عليه السلام ^(١)



للمرء الفداء. فأما أمر عثمان فدعه * فإنّ الرأي أذهبه البلاء. فأما أمر عثمان فدعه * فإنّ الرأي أذهبه البلاء (الاستيعاب ج ٢: ص ٦٠٨). مضافاً إلى مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام بحسب مباني القوم كان خليفة المسلمين وواجب الطاعة، لأنّه بايعه المسلمين للخلافة والإمامة، وهذا مع قطع النظر عن النصوص والرايات الواردة في امامته وخلافته وولايته وإمارته الإلهية. فسعد بن أبي وقاص مع أنّ الحجة قامت عنده بجميع جهاتها فإنّه رفض إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام. ومع ذلك كلّه لا يكون اجرامه كأبي بكر الذي غصب الخلافة من مولانا أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام، حيث أنّ أبا بكر أراد إطفاء نور الله، فشمله قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (سورة التوبة: ٣٢) أي: أنّه اتخذ طريقة الشيطان في إضلال الناس وإغوائهم كما أنّ الشيطان يكون كذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة الأعراف: ٢٧). والفرق بينهما واضح حيث أنّ النسبة بينهما كنسبة الشيطان وأتباعه، فأبو بكر كان يريد إضلال الأمة فهو كالشيطان وابن سعد كأتباعه، وان كان سعد بن أبي وقاص يأمل الوصول إلى منصب الخلافة، ولكن حيث لم يحصل له هذه الفرصة فلم يكن اجرامه كاجرام أبي بكر الذي تقمص الخلافة غصباً. وبعبارة أخرى أنّ من يأمل ارتكاب الذنب ليس كفاعل للذنب، فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّ حقيقة كلّ إنسان يعرف بأهدافه ومنويّاته، فالباحث إذا أراد أن يعرف سبب شهادة مولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام لا بدّ أن يعرفها من خلال أهداف نهضته المباركة، كما لو أراد أن يعرف علّة قتل عثمان بيد الصحابة والمسلمين لا بدّ أن يعرفها من خلال ما ارتكبه عثمان وما صدر منه من الجرائم أيام حكمته وخلافته.

أمّا شهادة مولانا أبي الأحرار سبط الرسول ﷺ أبي عبد الله الحسين عليه السلام الذي تتجلى من





أهدافه المباركة ومن نهضته العظيمة، التي كانت واقعة فريدة في التاريخ، ومدرسة خالدة على مرّ الأزمان. فإنّها مشكاة مقدّسة أنارت حقيقة الإسلام، حيث أنّ الإمام الحسين عليه السلام أعلن هدفه الرفيع من نهضته المباركة في وصيته تاريخية المعروفة التي كتبها لأخيه محمد بن الحنفية والتي قال عليه السلام فيها: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي...» (انظر الفتوح لابن أعمش ج ٥: ص ٢١، وبحار الأنوار ج ٤٤: ص ٣٢٩). فأوصى الإمام عليه السلام أخاه محمد بن الحنفية أنّ هدفه إصلاح أمة جدّه، أي يريد أن يخرج الأمة من الظلمات التي أسسها خلافة السقيفة والتي امتدّت إلى يزيد الذي يصفه الجاحظ بقوله: ثم ولى يزيد بن معاوية، يزيد الخمرور ويزيد القروود ويزيد الفهود الفاسق في بطنه المأبون في فرجه (البيان التبيين: ص ٢٧٦). فمثل يزيد كان يدّعي خلافة النبي ﷺ. فالنهضة الحسينية المقدّسة انعطافة كبيرة في تاريخ الإسلام، لإعادة الأمة إلى أصلاتها المحمّدية، وحفظها من الانحراف والضياع. فقوله عليه السلام: «وإني ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي...» أي أريد الثورة لأجل إصلاح الأمة، لا للوصول إلى الحكم حتماً أو للشهادة حتماً، والإصلاح ليس بالأمر الهين، فقد تكون الظروف بصورة بحيث يصل الإنسان إلى سدة الحكم ويمسك بزمام السلطة وقد لا يمكنه ذلك ويستشهد، وفي كلتا الحالتين فالثورة تكون لأجل الإصلاح. ثمّ يقول عليه السلام: «أريد أن آمر بالمعروف وأنهي عن المنكر وأسير بسيرة جدي...». والإصلاح يتمّ عن هذا الطريق، وهو ما قلنا إنّ مصداق للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فإنّ المصداق الأكمل والأتمّ للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو خروج الإمام الحسين عليه السلام ومكافحته القدرة الطاغوتية في عصره وزمانه بالأمر بالمعروف من أجل استنقاذ البشر. إذ كانت حركة الإمام الحسين عليه السلام من أجل بسط العدل والحقّ. ولذلك نقرأ في زيارة الأربعين التي هي من أفضل الزيارات التي وردت عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام حيث قال فيها: "ومنح النصّح، وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة والحيرة والضلالة..." (مصباح المتعبد للشيخ الطوسي: ص ٧٨٨). ولقد بيّن الإمام الحسين عليه السلام أثناء الطريق حديثاً معروفاً نقلاً عن رسول الله ﷺ، فقال: «أيّها





النَّاس، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يَدْخُلَهُ مدخله» (انظر بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ٤٤: ص ٣٨٢، وتاريخ الطبري ج ٤: ص ٣٠٤، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣: ص ٢٨٠، والمقتل للخوارزمي ج ١: ص ٢٣٤). فتورة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام كان من أجل انارة الأمة من وحشية أعداء الإسلام الذين الذين تجرؤوا على غصب كرسي الحكم في البلاد الإسلامية، وكانوا يرتكبون أعظم محارم الله، وحشية لا يكون لها مثل، بحيث أن الإمام الحسين عليه السلام رأى أن الوضع قد بدء بالانحدار إلى ما كانت عليه الجاهلية الأولى، إذ بدت معالم السياسة العامة لقادة الدولة الأموية بقيادة المؤسس الأول واضحة في مضيها المتعجرف والمتعطرس والمتعالي في معاكسة تعاليم الإسلام والنزوع نحو بهرجة الملك العضوض بما في ذلك من ظلم وعريضة وتجبر ومجون وإسفاف وانسلاخ عن قيم وأخلاقيات ومبادئ وتعاليم الإسلام. نعم أن الإمام الحسين عليه السلام في الحقيقة هو الشمعة التي احترق من أجل إضاءة محفل البشرية، فلولا وجود الظلمات التي سببها انتفاء الوعي الكافي، وأساس الظلمات بدأت من غصب الخلافة، ثم أحاطت الظلمات بمجتمع الولايات الإسلامية، ووصلت إلى قممها في عصر حكومة يزيد بن معاوية، الشارب للخمر والقاتل للنفوس والمركب للفجور ورأس الشرور الذي كتب إلى والي المدينة يقول: "خذ حسيناً... بالبيعة أخذاً شديداً" (انظر مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف الأزدي: ص ٣). فمرة أخرى كانت الظلمات قد أحاطت بالمجتمع الإسلامي بأشد أنواعها، ومن الطبيعي أن البيعة مع يزيد يتنافى شخصية الإمام الحسين عليه السلام التي كانت تحمل في روحها وطيات قلبها تكليفاً إيجابياً في مثل هذه الحالات، عملاً بقول الرسول الأكرم ﷺ: «أيها الناس، من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله...» (انظر بحار الأنوار ج ٤٤: ص ٣٨٢). ناهيك عن عدم انسجام روح الإمام الحسين عليه السلام الرفيعة العالية مع روح الفرار في الهضاب والأودية! ولذلك، تراه لم يكن مستعداً، حتى وهو في الطريق من المدينة إلى مكة، لأن يختار الطرق الفرعية في المسير، حيث إنه أجاب على اقتراح بعض





رفاق دربه، القاضي بالانحراف عن الجادة الرئيسة قائلاً: «لا والله، لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو قاض» (انظر الإرشاد للشيخ المفيد رحمته الله ج ٢: ص ٣٥). وهو نفسه القائل: «لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقرّ لكم إقرار العبيد» (انظر بحار الأنوار ج ٤٥: ص ٧)، أو: «لا أفرّ فرار العبيد» (انظر الإرشاد للشيخ المفيد رحمته الله ج ٢: ص ٩٨). ثم إن الإمام الحسين عليه السلام هو ابن ذلك القائد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، الذي يقول: «والله، لو تظاهرت العرب على قتالي، لما وليت عنها، ولو أمكنت الفرص من رقابها، لسارعت إليها» (انظر نهج البلاغة: الكتاب رقم ٤٥، من كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وهو عامله على البصرة وقد بلغه أنه دعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها).

وأما قتل عثمان بيد الصحابة والمسلمين، فإنه يعرف من عمله ومنوياته، والباحث لو درس التاريخ بلا تعصب مذهبية سوف يجد بوضوح أن قتل عثمان كان سببه الفساد الذي عمّ حكومته الغاصبة في ثورة شعبية عارمة عمّت أرجاء البلاد، لأن حكومة عثمان وعمّاله الظلمة قد هدّدوا المجتمع الإسلامي بأخطار حقيقية، ووصل إلى قمة هرمه في الفساد والظلم ونهب الأموال وقتل النفوس المحترمة وما إلى غير ذلك من الجرائم التي سنذكرها إن شاء الله من خلال المباحث الآتية. ثم الذين شاركوا في قتل عثمان هم الصحابة وكثيراً منهم كان إلى درجة يستحيل تجاهلهم. ولذلك روى الترمذي في سننه أن عثمان كان يناشد من سمع رسول الله ﷺ يذكر فضائله... (انظر سنن الترمذي ج ٥: ص ٢٩٠). فإذا كان عثمان يخاطبهم ويناشدهم بقوله: هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال:....، معناه أنه قد خاطب من يعرفه من الصحابة الذين سمعوا حديث رسول الله ﷺ، وكان بينهم وبين عثمان صلة، لأن الخطاب والمناشدة إنما تقع صحيحاً إذا كان المتكلم يعرف مخاطبه. وعليه فمن شارك في قتل عثمان كان من الصحابة المعروفين عند الناس. قال ابن حجر في الإصابة: وجاء من طرق شهيرة صحيحة عن عثمان لما أن حصروه أنشد الصحابة في أشياء منها تجهيزه جيش العسرة ومنها مبايعة النبي ﷺ تحت الشجرة لما أرسله إلى مكة ومنها شراؤه بئر رومة وغير ذلك (انظر الإصابة لابن حجر ج ٣: ص ٢٢٣).



منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨ ٢٦٧
فإنه طلب منه ليعزل فلم ينعزل، ولم يقاتل عن نفسه... (إلى آخره) فإنه من
عجيب البهتان الذي قصد ترويجه على الغفلة^(١)،



وقد روى أحمد بن حنبل أن طلحة كان من ضمن المحاصرين له، فقد أخرج بسنده عن
زيد بن أسلم عن أبيه قال: شهدت عثمان يوم حوضر في موضع الجنائز ولو ألقى حجر لم
يقع إلا على رأس رجل، فرأيت عثمان أشرف من الخوخة التي تلي مقام جبريل عليه السلام،
فقال: أيها الناس أفيكم طلحة؟ فسكتوا، ثم قال: أيها الناس أفيكم طلحة؟ فسكتوا، ثم قال
أيها الناس أفيكم طلحة؟ فسكتوا، ثم قال: أيها الناس أفيكم طلحة؟ فقام طلحة بن عبيد
الله، فقال له عثمان: ألا أراك ها هنا؟ ما كنا أرى أنك تكون في جماعة تسمع ندائي آخر
ثلاث مرّات ثم لا تجيبني، أنشدك الله يا طلحة تذكر يوم كنت أنا وأنت مع رسول
الله ﷺ في موضع كذا وكذا... (مسند أحمد بن حنبل ج ١: ص ٧٤). كما كتبت زوجة
عثمان رسالة إلى معاوية بعد مقتل عثمان، ذكرت فيها أن أهل المدينة هم الذين حاصروا
عثمان في بيته (انظر المنتظم لابن الجوزي ج ٥: ص ٦١). فالصحاباء الذين حاصروا بيت
عثمان ومنعوه من شرب الماء ليجبروه على الاستقالة لم يبق لديهم أي خيار غير قتله،
لأن عثمان أبي من كَفَ الظلم والفساد في حكومته، فقتلوه لشدة ظلمه وفساده. فأين هذا
النوع من القتل وشهادة مولانا الإمام الحسين عليه السلام، فكل باحث لو تأمل في كتب التاريخ
يجد بوضوح هذا الفرق العظيم بينهما؛ والشاهد على ذلك الروايات والوثائق التاريخية
التي روتها كبار علماء أهل السنة في كتبهم، ويتضح بذلك هذا الفرق، كما سيتبين ذلك
للقارئ الكريم من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

(١) وتوضيح المقام أن قتل عثمان كان بسبب ظلمه وفساده، وسيرته المخالفة لسيرة رسول
الله ﷺ، فلو كان يسعى لتغيير سيرته الخاطئة في حكومته الظالمة ويعمل بنصيحة
الناصحين، كنصيحة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لكان الناس
يهدؤون والمياه ترجع إلى مجاريها الطبيعية (انظر شرح نهج البلاغة ج ٢: ص ١٥١). فقد
ذكر المؤرخون: أن قتل عثمان كان في السنة خمس وثلاثين من الهجرة في ثورة شعبية
←



أدت إلى مقتله. وذلك عندما طلب المعارضون منه العزل من منصبه أن يخلع نفسه من الخلافة، فلم يقبل عثمان بذلك، فحاصر المعترضون بيت عثمان وبعد أربعين يوماً تمّ قتله، ولم يسمحوا بدفنه في مقابر المسلمين. وقد ذكر المؤرخون أنّ سبب الثورة على عثمان هو التصرف غير الشرعي في بيت المال (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣: ص ١٦٧). وبعد ما تحرّك المعترضون نحو المدينة كتبوا رسائل إلى المناطق الأخرى يدعونهم فيها للقدوم إلى المدينة (انظر تاريخ ابن خلدون ج ٣: ص ٥٩٤). وعندما اقترب المعارضون من المدينة طلب عثمان من الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ويطلب منهم الرجوع إلى مصر (انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ٧: ص ١٧٠-١٨٠). وذكرت بعض المصادر أن عثمان تعهد للمعترضين أن يردّ المنفي، ويؤمّن الخائف، ويقسم بيت المال بشكل عادل، وتعيين الشخص القوي والأمين في المناصب الحكومية (انظر تاريخ الإسلام للذهبي ج ٣: ص ٤٤٣، وتاريخ خليفة بن خياط: ص ٩٩، والأمالى للشيخ الطوسي رحمته الله: ص ٧١٣). كما صعد عثمان المنبر وتاب واستغفر عما فعله، وأشهد الناس على ما قاله (انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ٧: ص ١٧١-١٧٢). ثم عاد بعد ذلك المتظاهرون إلى مدنها (انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ٧: ص ١٧١-١٧٢). عودة المعترضين إلى المدينة عاد المعارضون إلى المدينة مرة أخرى، وبعدها وجدوا رسالة في متاع غلام الخليفة يخفيها عنهم (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣: ص ١٦٨). وهذه الرسالة عليها ختم الخليفة، حيث جاء فيها الأمر بقتل وحبس الثوار، فأخذوا الرسالة من الغلام ورجعوا إلى المدينة (انظر تاريخ الإسلام للذهبي ج ٣: ص ٤٤٢-٤٤٣). ورجع الكوفيون كذلك إلى المدينة المنورة، بعدما علموا بالأمر (انظر تاريخ ابن خلدون ج ٣: ص ٥٩٩). وذهب الثوار إلى مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وخرج معهم إلى عثمان، وأقسم أنّه لم يكتب هذه الرسالة، وليس لديه علم بها (انظر تاريخ الإسلام للذهبي ج ٣: ص ٤٤٢-٤٤٣). لكن الثوار لم يقتنعوا بكلام عثمان، وطلبوا منه أن يخلع نفسه من الخلافة (انظر تاريخ ابن خلدون ج ٣: ص ٥٩٩). فلم يقبل عثمان كلامهم وقال لهم: بل أتوب، فقالوا له: لو كان هذا أول ذنب تبت منه قبلنا، ولكنّا رأيناك تتوب





ثمّ تعود، ولسنا منصرفين حتّى نخلعك من الخلافة، أو نقتلك أو تلحق أرواحنا بالله تعالى (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣: ص ١٦٩). وقد حاصر المعتضون بيت عثمان، ومنعوا دخول الماء والطعام إليه (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣: ص ١٧٢). وكان المحاصرون من مصر، والبصرة، والكوفة، ومعهم بعض أهل المدينة المنورة (انظر أسد الغابة لابن الأثير ج ٣: ص ٤٩٠). وكانت مدّة الحصار أربعين يوماً (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣: ص ١٧٢). وخلال هذا الوقت، كتب عثمان رسائل إلى معاوية وابن عامر، وطلب منهم المساعدة (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣: ص ١٧٠). وبأمر الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام تمّ حراسة بيت عثمان، من قبل الإمام الحسن عليه السلام مع مجموعة من الأفراد كعبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣: ص ١٧٠). ثمّ طلب عثمان من الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وطلحة والزبير وزوجات النبي صلى الله عليه وآله أن يرسلوا له الماء (انظر الاستيعاب لابن عبد البر ج ٣: ص ١٠٤٦). فكان أول الساعين لجلب الماء له الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأمّ حبيبة زوجة النبي صلى الله عليه وآله، لكن منع الثوّار وصول الماء إليه (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣: ص ١٧٣). ولما رأى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام منعهم من وصول الماء والطعام له، قال لهم: «ما تفعلوه لا يشبه عمل المؤمنين ولا الكافرين»، وقال لهم: «لماذا تستحلون حصره وقتله؟» (انظر تاريخ الطبري ج ٤: ص ٣٨٢، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣: ص ٣٨٦). ومع ذلك قامت بعض الجماعات بإيصال الماء سرّاً إليه (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣: ص ١٧٤). وبحسب بعض الأخبار قد هاجمت مجموعة الدار في البداية، فمنعهم من كان مع عثمان في الدار، فأخرجوهم منها، وهجموا مرّة أخرى، وقتل عثمان في هذا الهجوم (انظر الفتوح لابن أعمش الكوفي ج ٢: ص ٤٢٦-٤٢٧). كما كتبت زوجة عثمان رسالة إلى معاوية بعد مقتل عثمان، ذكرت فيها أنّ أهل المدينة هم الذين حاصروا عثمان في بيته (انظر المنتظم لابن الجوزي ج ٥: ص ٦١). حينما كان الثوّار في المدينة طلب مروان بن الحكم من عائشة أن تتوسط بين الخليفة والثوّار، ولكنّها لم تقبل واستخدمت عائشة الحجّ كذريعة، وقالت





إنَّها تودّ تمزيق عثمان إربًا وإلقائه في البحر (انظر تاريخ البيهقي ج ٢: ص ١٧٥-١٧٦). ولَمَّا رأت نائلة بنت الفرافصة زوج عثمان وقع السيف برزت وألقت نفسها عليه فأصابته ضربة اندرت من يدها ثلاث أصابع وضرب بعض أولئك الفجرة يده عليها وقال: ما أكبر عجيزتها نفلونها، وصاح الآخرون: ألحقوا بيت المال، وأغاروا بدينًا على رجل عثمان وما كان في داره، ثم تناولوا ما أمكنهم أخذه من بيت المال وأضرموا الدار عليه بالنار فاحترق أكثر أبوابها (تمهيد الأوائل لأبي بكر الباقلاني ج ١: ص ٥٢٦).

وقال الطبري: أنَّ عائشة قالت عن عثمان: اقتلوا نعتلاً فقد كفر (تاريخ الطبري ج ٤: ص ٤٥٩). وتمّ بتر أصابع زوجته نائلة (انظر الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية لابن القطّطي: ص ١٠٤). ثمّ تقدّم سودان بن حمران بالسيف فمانعته نائلة، فقطع أصابعها فولّت فضرب عجيزتها بيده وقال: إنّها لكبيرة العجيزة. وضرب عثمان فقتله (البداية والنهاية لابن كثير ج ٧: ص ٢١٠). وروى الطبري: "وجاء سودان بن حمران ليضربه فانكبت عليه نائلة ابنة الفرافصة واتّقت السيف بيدها فتعمّدها ونفح أصابعها فأطن أصابع يدها وولّت فغمز أوراكها وقال: إنّها لكبيرة العجيزة، وضرب عثمان فقتله" (تاريخ الطبري ج ٢: ص ٦٧٦). ونقل الطبري أن جثة عثمان بقيت ثلاثة أيام من دون دفن، وبعد ذلك قام البعض بنقل جنازته إلى البقيع ولكن تمّ منعهم من البعض على أن يدفنه في البقيع، لذا تمّ دفنه في حُشّ كوكب، التي كانت اليهود تدفن فيه موتاهم، وبعد ذلك أضاف معاوية هذا المكان إلى البقيع (انظر تاريخ الطبري ج ٤: ص ٤١٢). وإلى غير ذلك من كلماتهم الصريحة بأنّ قتل عثمان كان من جهة فساد وتسليطه الطلقاء وبني أمية على المناصب الحكومية وكانت سيرتهم الظلم على الرعية، وبثّ السنن الجاهلية في الأمة الإسلامية واجرائها في أموالهم ودمائهم وأعراضهم، وبذلك غيّرُوا أحكام الإسلام. فطلبوا أولاً من عثمان عزل الطلقاء من المناصب الحكومية، فلم يعزلهم. ثم طلبوا منه عزل نفسه واستقالته عن منصب الخلافة فلم يقبل أن ينزل، عند ذلك ثاروا عليه وقتلوه. فأين هذا القتل المفسد من شهادة مولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فلاحظ .

منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨ ٢٧١
لما هو معلوم لدى أهل مذهبه حسبما نقل ذلك صاحب الكامل^(١) وغيره من
العمد^(٢)، وحاصله أنه دخل عليه علي^{عليه السلام} من جهة أهل مصر وغيرهم وقال
له: «إنّ الناس محتاجون إلى عدلك دون قتلك فأنصفهم من عمالك»^(٣).

(١) انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣: ص ١٦٧-١٨٠

(٢) انظر تاريخ الطبري ج ٣: ص ٤١٨-٤٢٤، وتاريخ ابن خلدون ج ٣: ص ٥٩٤، والاستيعاب
لابن عبد البر ج ٣: ص ١٠٤٦، والفتوح لابن أعثم الكوفي ج ٢: ص ٤٢٦-٤٢٧، تاريخ
الإسلام للذهبي ج ٣: ص ٤٤٢-٤٤٣

(٣) لقد ذكرت النصوص التاريخية أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب^{عليه السلام} كان
ينصح عثمان ويطلب منه العمل بالقرآن والسنة النبوية من أجل نجاة نفسه ومن الموت
التي أهدت به، لكن لن يؤثر فيه النص، قال ابن الأثير: كتب جمع من أهل المدينة من
الصحابة وغيرهم إلى من بالآفاق منهم إن أردتم الجهاد فهلموا إليه فإن دين محمد قد
أفسده خليفتم فأقيموه، فاختلفت قلوب الناس على ما تقدّم ذكره وجاء المصريون كما
ذكرنا إلى المدينة فخرج إليهم علي ومحمد بن مسلمة كما تقدم فكلما هم فعادوا ثم
رجعوا، فلمّا رجعوا انطلق إليهم محمد بن مسلمة يسألهم عن سبب عودهم، فأخرجوا
صحيفة في أنبوبة رصاص وقالوا: وجدنا غلام عثمان بالبويب على بعير من إبل الصدقة
ففتشنا متاعه فوجدنا فيه هذه الصحيفة يأمر فيها بجلد عبد الرحمن بن عديس وعمر بن
الحمق وعروة بن البياض وحبسهم وحلق رؤوسهم ولحاهم وصلب بعضهم. وقيل إنّ الذي
أخذت منه الصحيفة أبو الأعور السلمي، فلمّا رأوه سألوه عن مسيره وهل معه كتاب؟
فقال: لا، فسألوه في أي شيء هو؟ فتغيّر كلامه فأنكروه وفتشوه وأخذوا الكتاب منه
وعادوا وعاد الكوفيون والبصريون. فلمّا عاد أهل مصر أخبروا بذلك محمد بن سلمة،
وقالوا له: قد كلّمنا علياً ووعدنا أن يكلمه، وكلّمنا سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد،
فقالا: لا ندخل في أمركم، وقالوا لمحمد بن مسلمة لتحضر مع علي عند عثمان بعد
الظهر، فوعدهم بذلك، فدخل علي ومحمد بن مسلمة على عثمان فاستأذنا للمصريين
عليه وعنده مروان فقال: دعني أكلمهم فقال عثمان اسكت فض الله فاك ما أنت وهذا
←



الأمر؟! اخرج عني، فخرج مروان وقال علي ومحمد لعثمان ما قال المصريون فأقسم بالله ما كتبته ولا علم لي به، فقال محمد: صدق هذا من عمل مروان. ودخل عليه المصريون فلم يسلّموا عليه بالخلافة، فعرفوا الشرّ فيهم وتكلّموا فذكر ابن عديس ما فعل عبد الله بن سعد بالمسلمين وأهل الذمة والاستثثار في الغنائم، فإذا قيل له في ذلك قال: هذا كتاب أمير المؤمنين إليّ، وذكروا شيئاً ممّا أحدث بالمدينة، وقال له وخرجنا من مصر ونحن نريد قتلك، فردّنا علي ومحمد بن مسلمة وضمنا لنا النزوع عن كلّ ما تكلّمنا فيه، فرجعنا إلى بلادنا فرأينا غلامك وكتابك وعليه خاتمك تأمر عبد الله بجلدنا والمثلة بنا وطول الحبس. فحلف عثمان أنّه ما كتب ولا أمر ولا علم، فقال علي ومحمد: صدق عثمان، قال المصريون: فمن كتبه؟ قال: لا أدري، قالوا: فيجترأ عليك ويبيّث غلامك وجمل من الصدقة وينقش على خاتمك ويبيّث إلى عاملك بهذه الأمور العظيمة وأنت لا تعلم، قال: نعم، قال: ما أنت إلاّ صادق أو كاذب، فإن كنت كاذباً فقد استحققت الخلع لما أمرت به من قتلنا بغير حقّ وإن كنت صادقاً فقد استحققت أن تخلع نفسك لضعفك عن هذا الأمر وغفلتك وخبث بطانتك، ولا ينبغي لنا أن نترك هذا الأمر بيد من تقطع الأمور دونه لضعفه وغفلته فاخلع نفسك منه كما خلّعتك الله، فقال: لا أنزع قميصاً ألبسنيه الله ولكني أتوب وأنزع، قالوا: لو كان هذا أول ذنب تبت منه قبلنا ولكنّا رأيناك تتوب ثمّ تعود ولسنا منصرفين حتّى نخلعك أو نقتلك أو تلحق أرواحنا بالله تعالى، وإن منعك أصحابك وأهلك قاتلناهم حتّى نخلص إليك، فقال: أما أن أتبرأ من خلافة الله فالقتل أحبّ إليّ من ذلك، وأما قولكم تقاتلون من منعي فإنّي لا آمر أحداً بقتالكم، فمن قاتلكم فبغير أمري قاتل ولو أردت قتالكم لكتبته إلى الأجناد، فقدموا عليّ أو لحقت بعض أطرافي، وكثرت الأصوات واللغط. فقام علي فخرج وأخرج المصريين ومضى عليّ إلى منزله وحصر المصريون عثمان وكتب إلى معاوية وابن عامر وأمراء الأجناد يستجدهم ويأمرهم بالعجل وإرسال الجنود إليه فتربّص به معاوية فقام في أهل الشام يزيد بن أسد القسري جدّ خالد بن عبد الله القسري، فتبعه خلق كثير فسار بهم إلى عثمان فلمّا كانوا بوادي القرى بلغهم قتل عثمان فرجعوا. وقيل بل سار من الشام حبيب بن مسلمة الفهري وسار





من البصرة مجاشع بن مسعود السلمي، فلما وصلوا الربذة ونزلت مقدمتهم صراراً بناحية المدينة أتاهاهم قتل عثمان فرجعوا وكان عثمان قد استشار نصحاءه في أمره، فأشاروا عليه أن يرسل إلى علي يطلب إليه أن يردهم ويعطيهم ما يرضيهم ليطولهم حتى يأتيه إمداده فقال: إنهم لا يقبلون التعلل وقد كان مني في المرة الأولى ما كان، فقال مروان: أعطهم ما سألك وطولهم ما طاولوك، فإنهم قوم بغوا عليك ولا عهد لهم، فدعا علياً فقال له: قد ترى ما كان من الناس ولست آمنهم على دمي فارددهم عني فإنني أعطيهم ما يريدون من الحق من نفسي وغيري، فقال علي: «الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك ولا يرضون إلا بالرضا، وقد كنت أعطيتهم أولاً عهداً فلم تف به فلا تغرنني هذه المرة، فإنني معطيهم عليك الحق»، فقال: أعطهم فوالله لأفين لهم. فخرج علي إلى الناس فقال لهم: «إنما طلبتم الحق وقد أعطيتموه وقد زعم أنه منصفكم من نفسه»، فقال الناس: قبلنا، فاستوثق منه لنا فإننا لا نرضي بقول دون فعل، فدخل عليه علي فأعلمه فقال: اضرب بيني وبينهم أجلاً، فإنني لا أقدر على أن أرد ما كرهوا في يوم واحد، فقال علي: «أما ما كان بالمدينة فلا أجل فيه وما غاب فأجله وصول أمرك»، قال: نعم فأجلني فيما في المدينة ثلاثة أيام فأجابه إلى ذلك وكتب بينهم كتاباً على رد كل مظلمة وعزل كل عامل كرهوه. فكف الناس عنه، فجعل يتأهب للقتال ويستعد بالسلح، واتخذ جنداً. فلما مضت الأيام الثلاثة ولم يتغير شيئاً ثار به الناس وخرج عمرو بن حزم الأنصاري إلى المصريين فأعلمهم الحال وهم بذي خشب، فقدموا المدينة وطلبوا منه عزل عماله ورد مظالمهم، فقال: إن كنت مستعملاً من أردتم وعازلاً من كرهتم فلست في شيء والأمر أمركم، فقالوا: والله لتفعلن أو لتخلعن أو لتقتلن، فأبى عليهم وقال: لا أنزع سربالاً سربليه الله، فحصره واشتد الحصار عليه... (الكامل في التاريخ ج ٣: ١٦٨)، ومثله ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٢: ص ١٥١، وابن مسكويه في تجارب الأمم ج ١: ص ٤٥٠ وغيرهم. والنصوص صريحة في أن عثمان كان مصرّاً على سيرته الظالمة في الحكومة الغاصبة ولم يكن يصغي للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. رغم أن الصحابة توقّفوا اعتماداً على توسّط الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وتنازلوا عمّا كانوا يريدون إلا أن



٢٧٤..... منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨

فأجابه إلى عزل من شكوه من العُمَّال، فأخبرهم بذلك، فسألوه أن يستوثق لهم منه ثمَّ يعين وقتاً لما وعد به. فأجاب عمّا في المدينة بعد ثلاثة أيام يغيّر المظالم. وأمّا في غيرها فوصول أمره يصير سبباً للتغيير^(١) وحلف لهم على



عثمان كان يصبر على استمراره في سياسته الظالمة بالكذب والتزوير والافتراء وما شابه ذلك.

(١) لقد ذكر كبار علماء أهل السنة الوثائق التاريخية والحقائق الحادثة في قصة ثورة الناس ضدَّ عثمان، قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: "... فدعا عثمان علياً عليه السلام، وقال له: قد ترى ما كان من الناس، ولست آمنهم على دمي، فارددهم عني، فإنّي أعطيتهم ما يريدون من الحقّ من نفسي ومن غيري. فقال علي عليه السلام: «إنّ الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلِكَ، وإنّهم لا يرضون إلّا بالرضا وقد كنت أعطيتهم من قبل عهداً فلم تف به، فلا تغرر في هذه المرّة، فإنّي معطيهم عنك الحقّ»، قال: أعطهم فوالله لأفين لهم. فخرج علي عليه السلام إلى الناس، فقال: «إنكم إنّما تطلبون الحقّ، وقد أعطيتموه، وإنّ منصفكم من نفسه»، فسأله الناس أن يستوثق لهم، وقالوا: إنّنا لا نرضى بقول دون فعل، فدخل عليه فأعلمه، فقال: اضرب بيني وبين الناس أجلاً، فإنّي لا أقدر على تبديل ما كرهوا في يوم واحد، فقال علي عليه السلام: «أمّا ما كان بالمدينة فلا أجل فيه، وأمّا ما غاب فأجله وصول أمرِكَ»، قال: نعم، فأجلني فيما بالمدينة ثلاثة أيّام. فأجابه إلى ذلك، وكتب بينه وبين الناس كتاباً على ردّ كلّ مظلمة، وعزل كلّ عامل كرهوه، فكفّ الناس عنه، وجعل يتأهبّ سرّاً للقتال، ويستعدّ بالسلاح، واتّخذ جنداً، فلمّا مضت الأيّام الثلاثة ولم يغيّر شيئاً ثار به الناس، وخرج قوم إلى من بذى خشب من المصريين، فأعلموهم الحال، فقدموا المدينة، وتكاثر الناس عليه، وطلبوا منه عزل عمّاله وردّ مظالمهم، فكان جوابه لهم: إنّي إن كنت أستعمل من تريدون لا من أريد، فلست إذن في شيء من الخلافة، والأمر أمركم. فقالوا: والله لتفعلنّ أو لتخلعنّ أو لنقتلنك، فأبى عليهم وقال: لا أنزع سربالاً سربلنيه الله، فحصره وضيّقوا الحصار عليه... (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢: ص ١٥١).

ذلك^(١)، فأخذ في الباطن يستعد ويرتب الجند، فمضت الثلاثة أيّام ولم يغيّر

(١) قال الطبري: فلما خاف عثمان القتل شاور نصحاءه وأهل بيته فقال لهم: قد صنع القوم ما قد رأيتم، فما المخرج؟ فأشاروا عليه أن يرسل إلى علي ابن أبي طالب فيطلب إليه أن يردهم عنه ويعطيهم ما يرضيهم ليطاولهم حتى يأتيه أمداد، فقال: إنّ القوم لن يقبلوا التعليل وهي محملي عهداً وقد كان منّي في قدمتهم الأولى ما كان، فمتى أعطهم ذلك يسألوني الوفاء به، فقال مروان بن الحكم: يا أمير المؤمنين مقاربتهم حتى تقوى أمثل من مكاثرتهم على القرب فأعطهم ما سألوك وطاولهم ما طاولوك فإنما هم بغوا عليك فلا عهد لهم. فأرسل إلى علي فدعاه، فلما جاءه قال: يا أبا حسن إنّه قد كان من الناس ما قد رأيت وكان منّي ما قد علمت ولست آمنهم على قتلي، فارددهم عنّي، فإنّ لهم الله عزّ وجلّ أن أعتبهم من كلّ ما يكرهون وأن أعطهم الحقّ من نفسي ومن غيري وإن كان في ذلك سفك دمي، فقال له علي: «الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك، وإنّي لأرى قوماً لا يرضون إلّا بالرضى وقد كنت أعطيتهم في قدمتهم الأولى عهداً من الله لترجعنّ عن جميع ما نعموا فرددتهم عنك ثمّ لم تف لهم بشيء من ذلك، فلا تغرّني هذه المرّة من شيء فإنّي معطيهم عليك الحقّ»، قال: نعم فأعطهم فوالله لأفئنّ لهم، فخرج علي إلى الناس فقال: «أيّها الناس إنكم إنّما طلبتم الحقّ فقد أعطيتموه، إنّ عثمان قد زعم أنّه منصفكم من نفسه ومن غيره وراجع عن جميع ما تكرهون فاقبلوا منه ووكدوا عليه»، قال الناس: قد قبلنا فاستوثق منه لنا فإنّا والله لا نرضى بقول دون فعل، فقال لهم علي: «ذلك لكم»، ثمّ دخل عليه فأخبره الخبر، فقال عثمان: اضرب بيني وبينهم أجلاً يكون لي فيه مهلة... (تاريخ الطبري ج ٣: ص ٤٠٣). فكما ترى أنّ عثمان حلف كاذباً وقال: فوالله لأفئنّ...، وكتب بينه وبين الناس كتاباً على ردّ كلّ مظلمة، وعزل كلّ عامل كرهوه. فكفّ الناس عنه، ولكن مع ذلك جعل يتأهبّ سرّاً للقتال، ويستعدّ بالسلاح، واتّخذ جنداً، فلما مضت الأيّام الثلاثة ولم يغيّر شيئاً... ثاروا عليه وقتلوه ودفنوه في مقابر اليهود ليعلموا أنّه مات على غير ملة الاسلام.

٢٧٦..... منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨

شيئاً من مظالم المدينة^(١)، فأخبر بعض الصحابة القوم بذلك فأتوه فخيروه بين عزل عماله وتسليم المظالم منهم وردّها على أهلها وبين عزل نفسه لضعفه عن سياسة عماله وبين القتل لفساده، فأبى فقتلوه^(٢)، ولم ينصره من

(١) قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: ثم أقبل على علي عليه السلام، فقال: أنت لولا دعاية فيك! أما والله لئن وليتهم لتحملنهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء. ثم أقبل على عثمان، فقال: هيا إليك! كأنني بك قد قلدتك قريش هذا الأمر لحبها إياك، فحملت بني أمية وبني أبي معيط على رقاب الناس، وآثرتهم بالفيء، فسارت إليك عصابة من ذؤبان العرب، فذبحوك على فراشك ذبحاً. والله لئن فعلوا لتفعلن، ولئن فعلت ليفعلن. ثم أخذ بناصيته، فقال: فإذا كان ذلك فاذكر قولِي، فإنه كائن (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢: ص ١٨٦). وقال: وكتب بينه وبين الناس كتاباً على ردّ كل مظلمة، وعزل كل عامل كرهوه، فكفّ الناس عنه، وجعل عثمان يتأهب سرّاً للقتال، ويستعدّ بالسلاح، واتخذ جنداً، فلما مضت الأيام الثلاثة ولم يغيّر شيئاً ثار به الناس، وخرج قوم إلى من بذى خشب من المصريين، فأعلموهم الحال، فقدموا المدينة، وتكاثر الناس عليه، وطلبوا منه عزل عماله وردّ مظالمهم، فكان جوابه لهم: إنني إن كنت أستعمل من تريدون لا من أريد، فلست إذن في شيء من الخلافة، والأمر أمركم. فقالوا: والله لتفعلن أو لتخلعن أو لنقتلنك، فأبى عليهم وقال: لا أنزع سربالاً سربلني الله، فحصروه وضيقوا الحصار عليه... (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢: ص ١٥١).

(٢) لقد اغترّ عثمان بكلام حاشيته وحزبه من بني أمية وسلك سلوكهم حتّى بعد ما خيره الناس بين عزل نفسه وعماله وبين قتله كما يقول ابن الأثير: فخرج علي إلى الناس فقال لهم: «إنما طلبتم الحق وقد أعطيتموه، وقد زعم أنه منصفكم من نفسه»، فقال الناس: قبلنا، فاستوثق منه لنا فإنّا لا نرضي بقول دون فعل، فدخل عليه علي فأعلمه، فقال: اضرب بيني وبينهم أجلاً فإنّي لا أقدر على أن أرد ما كرهوا في يوم واحد، فقال علي: «أما ما كان بالمدينة فلا أجل فيه وما غاب فأجله وصول أمرك»، قال: نعم، فأجلني فيما في المدينة ثلاثة أيام، فأجابه إلى ذلك، وكتب بينهم كتاباً على ردّ كل مظلمة وعزل كل عامل

←

منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨ ٢٧٧
حضر من الصحابة^(١). والوجه بين فإن من قتله قد طلب رفع الفساد الذي



كرهوه. فكف الناس عنه، فجعل يتأهب للقتال ويستعد بالسلح واتخذ جنداً. فلما مضت الأيام الثلاثة ولم يتغير شيئاً ثار به الناس، وخرج عمرو بن حزم الأنصاري إلى المصريين فأعلمهم الحال وهم بذى خشب، فقدموا المدينة وطلبوا منه عزل عماله ورد مظالمهم، فقال: إن كنت مستعملاً من أردتم وعازلاً من كرهتم فلسيت في شيء، والأمر أمركم. فقالوا: والله لتفعلن أو لتخلعن أو لتقتلن، فأبى عليهم وقال: لا أنزع سربالاً سربليه الله، فحصره واشتد الحصار عليه... واقتحم الناس الدار من الدور التي حولها ودخلوا من دار... ودخل غلمة لعثمان مع القوم لينصروه وكان عثمان قد أعتق من كف يده منهم، فلما ضربه سودان ضرب بعض الغلمان رقبة سودان فقتله ووثب قتيبة على الغلام فقتله وانتهبوا ما في البيت، وخرجوا ثم أغلقوه على ثلاثة قتلى، فلما خرجوا وثب غلام لعثمان على قتيبة فقتله وثار القوم فأخذوا ما وجدوا حتى أخذوا ما على النساء وأخذ كلثوم التجبي ملاءة من على نائلة، فضربه غلام لعثمان فقتله وتنادوا، أدركوا بيت المال ولا تسبقوا إليه، فسمع أصحاب بيت المال كلامهم وليس فيه إلا غرارتان، فقالوا: النجاة، فإن القوم إنما يحاولون الدنيا، فهربوا وأتوا بيت المال فانتهبوه وماج الناس (الكامل في التاريخ ج ٣: ص ١٧١-١٩٠).

(١) لا يخفى أن الذين خرجوا على عثمان كانوا من المسلمين ومن الصحابة والتابعين، وهذا ما تدل عليه الروايات والنصوص التاريخية، بل المروي هو أنه لم يشذ من الصحابة عن النعمة على عثمان، سوى أشخاص لا يزيد عددهم عن أصابع اليد الواحدة، فكلمهم بين محرّض ومؤلب عليه وخاذل له ومجهز عليه... فما يلوكة بعض علماء المخالفين من عدم وجود صحابة من بين المشاركين في مقتل عثمان مغالطة واضحة فاضحة، فقد روى البلاذري أنه: "نظر ثابت بن عبد الله بن الزبير إلى أهل الشام فقال: إنني لأبغضهم، فقال سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان: تبغضهم لأنهم قتلوا أباك؟ قال: صدقت، قتل أبي علوج الشام وجفاته، وقتل جدك المهاجرون والأنصار" (أنساب الأشراف ج ٦: ص ٣٥٠).





وهذا واضح بأن قتل عثمان هم المهاجرون والأنصار. وروى ابن عساكر في تاريخه بسنده عن أبي مسلم الخولاني، قال: "سمع مكفوفاً بالمدينة وهو يقول: اللهم العن عثمان وما ولد، قال: يا مكفوف ألعثمان تقول هذا؟! يا أهل المدينة كنتم بين قاتل وخاذل فكلماً جزى الله شراً يا أهل المدينة، لأنتم شر من ثمود، إن ثمود قتلوا ناقة الله وأنتم قتلتم خليفة الله وخليفة الله أكرم على الله من ناقته" (تاريخ مدينة دمشق ج ٢٧: ص ٢٢٠). ومن المعلوم أن أهل المدينة هم الصحابة - وفيهم المهاجرون والأنصار - والتابعون... ولهذا نجد أن يزيد بن معاوية بعث إلى أهل المدينة جيشه واستباحوها ثلاثاً لمداھنتهم وقبولهم قتل عثمان، قال مجاهد: "وبعث يزيد إلى أهل المدينة عشرين ألفاً فأباحوا المدينة ثلاثاً يصنعون ما شاؤوا لمداھنتهم" (انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣: ص ٦٨). وروى الواقدي: "لما كانت سنة أربع وثلاثين كتب بعض أصحاب رسول الله ﷺ إلى بعض يتشاكون سيرة عثمان وتغييره وتبديله وما الناس فيه من عماله، ويكثرون عليه ويسأل بعضهم بعضاً أن يقدموا المدينة إن كانوا يريدون الجهاد، ولم يكن أحد من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يدفع عن عثمان ولا ينكر ما يقال فيه، إلا زيد بن ثابت وأبا أسيد الساعدي وكعب بن مالك بن أبي كعب من بني سلمة من الأنصار وحسان بن ثابت الأنصاري، فاجتمع المهاجرون وغيرهم إلى علي فسالوه أن يكلم عثمان ويعظه.. إلخ" (انظر تاريخ الطبري ج ٣: ص ٣٧٥، وأنساب الأشراف ج ٥: ص ٥٤٩) وورد: «كتب جمع من أهل المدينة من الصحابة وغيرهم إلى من بالآفاق منهم إن أردتم الجهاد فاهلموا إليه فإن دين محمد قد أفسده خليفتم فأقيموا (وفي لفظ: فاخلعوه)، فاختلفت عليه القلوب فأقبلوا من كل أفق حتى قتلوه (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣: ص ١٦١)، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢: ص ١٤٩). وروي أنه جاء في كتاب "المهاجرين الأولين وبقية الشورى إلى من بمصر من الصحابة والتابعين، أما بعد، أن تعالوا إلينا وتداركوا خلافة رسول الله قبل أن يسلبها أهلها، فإن كتاب الله قد بدل، وسنة رسوله قد غيرت، وأحكام الخلفيتين قد بدلت، فنشد الله من قرأ كتابنا من بقية أصحاب رسول الله والتابعين بإحسان إلا أقبل إلينا، وأخذ الحق لنا، وأعطاناه، فأقبلوا إلينا إن كنتم تؤمنون بالله





واليوم الآخر، وأقيموا الحقّ على المنهاج الواضح الذي فارقتم عليه نبيكم، وفارقتكم عليه الخلفاء، غلبنا على حقنا، واستولي على فيتنا، وحيل بيننا وبين أمرنا، وكانت الخلافة بعد نبينا خلافة نبوة ورحمة، وهي اليوم ملك عضوض من غلب على شيء أكله" (انظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ١: ص ٣٧). ولهذا قال العلامة الأميني رحمته الله في كتابه الغدير بعد أن أورد عشرات الأخبار: "تعلمنا هذه الأحاديث المتضاربة الواردة عن آحاد الصحابة من المهاجرين والأنصار، أو عامة الفريقين، أو عن جامعة الصحابة البالغة مائتي حديث: أنه لم يشدّ عن النعمة على عثمان منهم أحد ما خلا أربعة وهم: زيد بن ثابت، وحسان بن ثابت وكعب بن مالك، وأسيد الساعدي، فمن مجهز عليه، إلى محبّد لعمله، إلى محرّض على قتله، إلى ناشر لأحداثه، إلى مؤكّب عليه يسعى في إفساد أمره، إلى متجاسر عليه بالوقعة فيه، إلى مناقد في فعّاله يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، إلى خاذل له بترك نصرته، لا يرى هنالك في الناقمين الثائرين عليه منكرا ينهى عنه، أو في جانب الخليفة حقّا يتجنّب إليه" (انظر الغدير ج ٩: ص ١٦٣). ومن هذا يتبيّن أنّ جميع الصحابة والتابعين كان لهم يد في التأييد على عثمان وقتله، بل حتّى مثل معاوية بن أبي سفيان كان خاذلاً له لما استنصره عثمان، فقد ذكر الطبري في تاريخه: "كتب [عثمان] إلى معاوية بن أبي سفيان وهو بالشام: بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد، فإنّ أهل المدينة قد كفروا وأخلفوا الطاعة ونكثوا البيعة، فابعث إليّ من قبلك من مقاتلة أهل الشام على كلّ صعب وذلول. فلما جاء معاوية الكتاب تربّص به وكره إظهار مخالفة أصحاب رسول الله ﷺ وقد علم اجتماعهم" (انظر تاريخ الطبري ج ٣: ص ٤٠٢). ولهذا لم يرسل جيشاً لنصرته، وقد جاء في محاوراة الصحابيّ أبو الطفيل معه: ما منعك من نصره ومعك أهل الشام؟ فقال معاوية: أمّا طلبي بدمه نصرة له، فضحك أبو الطفيل ثمّ قال: أنت وعثمان كما قال الشاعر: لا ألفينك بعد الموت تندبني * وفي حياتي ما زودتني زادي (انظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ١: ص ١٦٥، وأنساب الأشراف للبلاذري ج ٥: ص ٩٢، تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢٦: ص ١١٦، التذكرة الحمدونيّة لابن حمدون ج ٧: ص ٢١٧، وغيرها). فإذا كان الأمر كذلك، فالصحيح أن يسأل: من لم يشارك في مقتل عثمان ولم يخذله؟! لأنّ كلّ الصحابة





(عدا شردمة قليلة) كانوا ناقلين عليه ومشاركين في حصاره ومقتله وخاذلين له... ولا بأس بذكر بعض الصحابة الذين شاركوا في مقتل عثمان وحرّضوا عليه. ولنبداً بمن سمّاهم أهل السنة بالعشرة المبشرة كي لا يبقى مجال للإنكار، فمن الذين حرّضوا على قتله عائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة، قال ابن أبي الحديد: "قال كل من صنف في السير والأخبار: إنّ عائشة كانت من أشدّ الناس على عثمان، حتّى إنّها أخرجت ثوباً من ثياب رسول الله ﷺ فنصبته في منزلها، وكانت تقول للداخلين إليها: هذا ثوب رسول الله ﷺ لم يبل، وعثمان قد أبلى سنته. قالوا: أوّل من سمّى عثمان نعتلاً عائشة.. وكانت تقول: اقتلوا نعتلاً، قتل الله نعتلاً... وروى المدائني في كتاب الجمل، قال: لمّا قتل عثمان، كانت عائشة بمكة، وبلغ قتله إليها وهي بشراف، فلم تشك في أنّ طلحة هو صاحب الأمر، وقالت: بعداً لنعتل وسحقاً! إيه ذا الإصبع! إيه أبا شبل! إيه يا ابن عم! لكأنّي أنظر إلى إصبعه وهو يبايع له: حتّوا الإبل ودعدعوها" (انظر شرح نهج البلاغة ج ٦: ص ٢١٥)، مثله الطبري في تاريخه ج ٣: ص ٤٣٤، والبلاذري في أنساب الأشراف ج ٥: ص ٥٦٥، وج ٥ ص ٥٨٣، وابن سعد في الطبقات الكبرى ج ٥: ص ٣٦، وابن شبة في تاريخ المدينة ج ٤ ص ١١٧٢، وابن أعمش الكوفي في الفتوح ج ٢: ص ٤٢١، وغيرهم. ثمّ حينما وصل خبر اجتماع المسلمين على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام صدمت بذلك حيث كانت تحسب أن الأمر سيؤول إلى طلحة "فانصرفت إلى مكة وهي تقول: قتل والله عثمان مظلوماً، والله لأطلبنّ بدمه، فقال لها ابن أمّ كلاب: ولم؟ فوالله إنّ أوّل من أمال حرفه لأنت، ولقد كنت تقولين: اقتلوا نعتلاً فقد كفر، قالت: إنهم استتابوه ثمّ قتلوه، وقد قلت وقالوا، وقولي الأخير خير من قولي الأوّل، فقال لها ابن أمّ كلاب: منك البداء ومنك الغير * منك الرياح ومنك المطر (انظر تاريخ الطبري ج ٣: ص ٤٧٧، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣: ص ٢٠٦، الفتوح لابن أعمش الكوفي ج ٢: ص ٤٣٧، وغيرها). ولهذا ورد في كتاب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لها: «ثمّ بالأمس تقولين في ملأ من أصحاب رسول الله ﷺ: اقتلوا نعتلاً قتله الله فقد كفر، ثمّ تطلبين اليوم بدمه؟! فاتّقي الله وارجعي إلى بيتك، واسبلي عليك سترك» (انظر مستدرک نهج البلاغة: ص ١٣٦). ومنهم:





طلحة بن عبيد الله كان طلحة أحد كبار المشاركين في حصار عثمان وقتله، ونقل عن ابن سيرين قال: "لم يكن من أصحاب النبي ﷺ أشدّ على عثمان من طلحة" (انظر أنساب الأشراف ج ٥: ص ٨١، والعقد الفريد ج ٢ ص ٢٦٩). بل إنّ طلحة منع أن تدفن جثة عثمان وأرصد أناساً لئلا تدفن جثته، فلما جاء نفرٌ يسيرٌ من أهل عثمان لأخذ جنازته انهالوا عليهم بالحجارة وصاحوا: "نعتل، نعتل"، وفي رواية: لما قتل عثمان تكلّموا في دفنه، فقال طلحة: يدفن بدير سلع، يعني مقابر اليهود (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٠: ص ٧، وتاريخ الطبري ج ٣: ص ٤٣٩). ثمّ إنّ بعدما اجتمع الناس على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام خرج ليطلب بدم عثمان! عجباً لقد كان بالأمس أحرص الناس على قتله واليوم صار من الطالبين بثأره؟! وهذا ما ورد في كلام الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في طلحة: «والله ما استعجل متجرّداً للطلب بدم عثمان إلا خوفاً من أن يطالب بدمه، لأنّه كان مظنّته، ولم يكن في القوم أحرص عليه منه، فأراد أن يغالط بما أجلب فيه ليلبس الأمر ويقع الشك...» (انظر نهج البلاغة ج ٢: ص ٨٨). ولهذا نجد أنّ مروان بن الحكم الذي كان في الجيش يوم الجمل رمى طلحة بسهم فقتله، وقال: "لا أطلب بثاري بعد اليوم"، ثمّ قال لابن عثمان: "كفيتك بعض قتلة أبيك" (انظر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٧: ص ٨٤). وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: "لا يختلف العلماء الثقات في أنّ مروان قتل طلحة يومئذ وكان في حربه" (انظر الاستيعاب ج ٢: ص ٧٦٦).

ومنهم: الزبير بن العوّام، قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: "كان طلحة من أشدّ الناس تحريضاً عليه (يعني على عثمان)، وكان الزبير دونه في ذلك، روى أنّ الزبير كان يقول: اقتلوه فقد بدّل دينكم، فقالوا له: إنّ ابنك يحامي عنه بالباب، فقال: ما أكره أن يقتل عثمان ولو بدئ بابني، إنّ عثمان لجيفة على الصراط غداً (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٩: ص ٣٥). وقال: وأمّا طلحة والزبير فكانا شديدين عليه ثمّ إنّ الزبير كان ممّن خرج مع طلحة وعائشة على أمير المؤمنين عليه السلام لطلب دم عثمان (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٤: ص ٧) وقد روى الحاكم في المستدرک على الصحيحين بسنده عن إسرائيل بن موسى، قال: سمعت الحسن يقول: «جاء طلحة والزبير إلى البصرة، فقال لهم





النَّاس: ما جاء بكم؟ قالوا: نطلب دم عثمان، قال الحسن: أيا سبحان الله، أفما كان للقوم عقول فيقولون: والله ما قتل عثمان غيركم؟!» (المستدرک علی الصحیحین ج ٣: ص ١١٨). وقد كان ممَّا قاله الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في محاورته مع الزبير: «أتطلب مني دم عثمان وأنت قتلتها؟!» (انظر تاريخ الطبري ج ٣: ص ٥٢٠). وقال عليه السلام: في خطبة له في شأن طلحة والزبير: «وإنهم ليطلبون حقاً هم تركوه، ودماً سفكوه، وقد ولّوه دوني، ولو أنّي كنت شريكهم فيما كان لما أنكروه، وما تبعة دم عثمان إلّا عليهم، وإنهم لهم الفئة الباغية، بايعوني ونكثوا بيعتي» (انظر الاستيعاب لابن عبد البر ج ٢: ص ٤٩٩، وأسد الغابة لابن الأثير ج ٣: ص ٦١، ونهج البلاغة: الخطبة رقم ٢٢).

ومنهم: الصحابي الجليل عمّار بن ياسر ممّن خرج على عثمان، بل روي أنّه كان يكفرّ عثمان ويستحلّ دمه ويسمّيهِ نعثل (انظر أضواء على السّنة المحمّدية ص ٣٦١). وجاء في محاوره وقعت بين عمّار بن ياسر وعمرو بن العاص: قال عمرو: أكنت فيمن قتله؟ قال: كنت مع من قتله وأنا اليوم أقاتل معهم، قال عمرو: فلم قتلتموه؟ قال عمّار: أراد أن يغيّر ديننا فقتلناه (انظر وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ص ٣٣٩، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٨: ص ٢٢).

ومنهم سهل بن حنيف الأنصاريّ ورفاعة بن رافع الأنصاريّ والحجّاج بن غزية الأنصاري، كان هؤلاء الثلاثة ممّن هجم على دار عثمان، فقد روي: إنّ زيد بن ثابت الأنصاريّ قال: يا معشر الأنصار، إنكم نصرتم الله ونبيّه فانصروا خليفته، فقال سهل بن حنيف: يا زيد، أشبعك عثمان من عضدان المدينة، فقال زيد: لا تقتلوا الشيخ ودعوه حتّى يموت فما أقرب أجله، فقال الحجّاج بن غزية الأنصاريّ: والله لو لم يبق من عمره إلّا بين الظهر والعصر لتقرّبنا إلى الله بدمه، وجاء رفاعة بن مالك الأنصاريّ بنار في حطب فأشعلها في أحد البابين وسقط، وفتح الناس الباب الآخر واقتحموا الدار (انظر أنساب الأشراف للبلاذري ج ٥: ص ٥٦٩).

ومنهم: عبد الرحمن بن عديس البلوي وهو من المهاجرين ممّن شهد بيعة الرضوان وبايع، وكان أمير الجيش القادمين من مصر لحصر عثمان لما قتلوه قال السمعاني: ابن عديس



منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨..... ٢٨٣
حصل من عمّاله على العباد، فلم يجبههم إلى ذلك فظنّوه ضعيفاً عن ذلك
فخيّروه بين العزل والقتل، فإن من لم يرض برفع الفساد ولو بعزل نفسه
ليقوم مقامه من يرفعه فهو مفسد من دون ريب^(١). خصوصاً بعد ما وعد



البلوي قاتل عثمان (انظر الأنساب للسمعاني ج ١: ص ٤٥١).
ومنهم: الصحابي الجليل عمرو بن الحمق الخزاعي الذي روي له في الكتب الستة، وهو من
وثب على عثمان فجلس على صدره، وبه رمق، فطعنه تسع طعنات، وقال: أما ثلاث منهن
فلله، وستّ لما كان في صدري عليه... (انظر تاريخ الطبري ج ٣: ص ٤٢٤، والطبقات
الكبرى لابن سعد ج ٣: ص ٧٤، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٣٩: ص ٤٠٩ وغيرها).
ومنهم: جبلة بن عمرو الساعدي من البدرين وقد برز في دور مشهور وهو منع عثمان من أن
يدفن في مقابر المسلمين في البقيع حتّى اضطرّ إلى دفنه ليلاً في مقبرة اليهود (حش
كوكب) كما نقل ذلك ابن حجر حيث قال: روى بن شبة في أخبار المدينة من طريق
عبد الرحمن بن أزهر: أنّهم لما أرادوا دفن عثمان فانتهوا إلى البقيع فمنعهم من دفنه جبلة
بن عمرو الساعدي فانطلقوا إلى حش كوكب ومعهم معبد بن معمر فدفنوه فيه (انظر
تاريخ المدينة لابن شبة ج ١: ص ١١٢، والاصابة لابن حجر ج ١: ص ٥٦٦). وإلى غير ذلك
من الصحابة الذين جاءت أسمائهم في ضمن المحرضين والثائرين على عثمان
وسنذكرها ان شاء الله في محله مفصلاً.

(١) وبعبارة أوضح أنّ الثائرين على عثمان كان طلبهم منه رفع الظلم والفساد الذي عمّ البلاد
الاسلامية من حكومته التي كانت استمراراً لما بناها السقيفة، وانفعالاً من ظلم عمّاله
وسوء أعماله. ولقد كان من سوء تدبير عثمان تقديمه بني أمية الذين كانوا من ألد أعداء
الإسلام وقد حاربوا النبي ﷺ منذ بداية دعوته ﷺ إلى عام فتح مكة، فاستسلموا
وتظاهروا بالإسلام، وقد سمّاهم رسول الله ﷺ: «الطلقاء» (انظر تاريخ الطبري ج ٢:
ص ٣٣٧)، وجعلهم من المؤلّفة قلوبهم (انظر صحيح البخاري ج ٤: ص ٥٨ كتاب دعاء
النبي ﷺ، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلّفة قلوبهم وغيرهم من الخمس)، وحذّر





منهم المسلمين، وقال أبو برزة الأسلمي: كان أبغض الأحياء إلى رسول الله ﷺ بنو أمية وبنو حنيفة وثقيف (انظر المستدرك على الصحيحين ج ٤: ص ٤٨١)، فإنهم وإن تظاهروا بالإسلام ولكنهم كانوا يترصدون الفرصة للقضاء على الإسلام والرسالة المحمدية. وبعد وفاة النبي ﷺ استغلوا الفرصة واتحدوا مع أهل السقيفة ورافقوا خلفائها واستمروا للخط السياسي الحاكم على مدى سياسة السقيفة التي كانت قائمة على اصول الجبر والإرهاب والتهديد بالقتل وسياسة العنف وإجراء سنن الجاهلية، إلى أن تسلط عثمان على الحكومة وفتح أيديهم لجميع أهداف القرشية ضد الإسلام، وكانت سياستهم على جهة العكس من السياسة الواعية لمحتوى الرسالة المحمدية علناً، وقد تركت هذه السياسة البائسة آثارها السيئة على مسيرة الأمة الإسلامية، وأضافت مثالب ومطاعن بوضوح لدى الجماهير الصحابة التي كانت تعيش مع القائد المعصوم النبي الأكرم ﷺ واشتعلت نار الفتن في أطراف البلاد الإسلامية والتي جرت على المسلمين الولايات والملكات، وعمت هذه الحكومة الفاسدة في عهد عثمان بحيث لم يبق من الصحابة والتابعين أحد إلا وقد ثاروا على الحكومة الفاسدة، والفتنة التي أسسها السقيفة وخلفائها، ومن خلال سيرنا في التاريخ نستنتج ما حصل للأمة بما يلي:

١ - إن حكومة عثمان ابتعدت عن نهج الشريعة الإسلامية، فعطلت الحدود وأشاعت الفساد وتهاونت في محاسبة المسؤولين عن ذلك، وهذا ما فسخ المجال لشيوع الفوضى في السلوك الاجتماعي وبث روح التمرد على القانون وكان من مظاهر الفساد شيوع الاستهتار والاستخفاف بالقيم والأحكام الإسلامية، فنجد أن بيوت الولاة والشخصيات المتنفة تعج بحفلات الغناء ومجالس الخمر (انظر الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ج ٧: ص ١٧٩).

٢ - ركزت حكومة عثمان على روح العصبية القبلية التي شرعها أبو بكر في نهجه السياسي القبلي، فتوضّح في بروز سلطة بني أمية كاسرة لها سلطتها على جميع مرافق الدولة لا شيء سوى أنها ترى لنفسها السيادة المطلقة التي انتزعها الإسلام منها، لأنها ليس لها أساس شرعي، وأصبح بنو أمية جبهة سياسية قوية لها توجهها المناوئ للإسلام وخصوصاً





لخطّ آل البيت عليهم السلام فأصبحوا فيما بعد العقبة الرئيسة أمام حكم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث تكتلوا حول معاوية بن أبي سفيان في مواجهة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

٣- اعتبرت حكومة عثمان أنّ الحكم حقّ موهوب لهم ولا يحقّ لأحد انتزاعه، وأتخذوه وسيلة لإرضاء رغباتهم المنحرفة وشهواتهم الشيطانية، ولم تجعل من الحكم وسيلة للإصلاح الاجتماعي ونشر الرسالة الإسلامية في بقاع الأرض (انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣: ص ٦٤، وتاريخ الطبري ج ٥: ص ٣٤١-٣٤٦). ممّا شجّع الكثيرين في السعي للتسلّق إلى الحكم للتمتع بالسلطة والجاه، فعمر بن العاص ومعاوية وطلحة والزبير لم يكونوا ينشدون من السعي للحكم أيّ هدف إنساني أو اجتماعي يعود بالنفع والمصلحة على الأمة.

٤ - خلقت حكومة عثمان طبقة كبيرة من الأثرياء (انظر مروج الذهب ج ٢: ص ٣٤٢). تتضرّر مصالحها مع الحكومة القائمة في مواجهة حكومة تطالب بتطبيق الحقّ والشرع، ممّا أدّى إلى تحرك قطعات المسلمين الفقراء للمطالبة بالقوّة في إصلاح النظام المالي وتطوير الحياة الاقتصادية وتنظيم الدخل الفردي. وحركة أبي ذرّ تجاه الفساد المالي للحكومة خير شاهد ودليل على عمق تفسّي الفقر في أوساط الأمة.

٥ - إنّ استعمال العنف والقوّة والشدة والقسوة في التعامل مع المعترضين وإهانتهم ولّد ردّة فعل معاكسة للثورة على النظام القائم عسكرياً، وكان مقتل عثمان نقطة تحوّل في الصراعات الدائرة بين وجهات نظر المسلمين، فعمل السيف عمله في أفراد الأمة وأجّجه وزاد فيه تعنّت بني أمية ومن والاهم على تحدّي الحقّ ورغبة الأمة في الإصلاح. وهذا ما فسح المجال أمام النفعيين في الوصول إلى الحكم بقوّة السيف بعد أن افترقت الأمة الإسلامية في توجهاتها السياسية، كلّ فرقة تريد الحكم لنفسها.

٦ - خلف مقتل عثمان فتنة يتأجّج أوارها كلّ حين، وشعارا يرفعه النفعيون والخارجون على الطاعة والبيعة لإثارة المشاكل والحروب تجاه حكومة شرعية جماهيرية بزعامة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وتكامل دور الفتنة والشقاق على يد معاوية فيما



٢٨٦ منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨
برفعه وحلف على ذلك ولم يفعل شيئاً منه^(١). مضافاً إلى فساده بنفس



بعد، فحارب الإمام عليه السلام وسالت دماء المسلمين كثيراً، ثم حرّفوا التوجّه الديني الصحيح إلى ثقافة مشبوهة يحركون بها المجتمع لغرض إدامة سلطانهم الذي تحول إلى ملك متوارث، يساعدهم على ذلك سعة الدولة الإسلامية الجديدة ووجود فئات واسعة من المجتمع الإسلامي لم تفهم العقيدة الإلهية بوعي وبصيرة.

٧ - من نتائج الثورة على عثمان أن وجدت فئات مسلّحة من مختلف الأقطار الإسلامية لا زالت تحيط بالمدينة تنتظر مصير الحكومة، كما أنّ الأحداث أثبتت وشجّعت على تحرك الجماهير لتغيير الحكم بالقوة، وهذا يعتبر ورقة ضغط قويّة تؤثّر على الحكم الجديد، فلاحظ.

(١) وهذه حقيقة تاريخية قد سجّلها كبار علماء أهل السنّة في مصادرهم بأسناد معتبرة عندهم، ويجب عليهم أن يجيبوا عنها اجابةً علمية بما يقبلها جميع الناس، فإنّه كيف يجوز لهم أنّ يتبعوا عثمان كخليفة لهم وهو يحلف كاذباً؟! فقد ذكر المؤرخون أن عثمان بن عفان قام بعدة أعمال أيام توليه الحكم جعلت صحابة النبي الأكرم عليه السلام والمسلمون ينقمون عليه، فكتب صحابة النبي عليه السلام للمسلمين بالأمصار بكتاب قالوا فيه: إن أردتم الجهاد فهلمّوا إليه فإنّ دين محمد عليه السلام قد أفسده خليفتم فأقيموا. (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣: ص ١٥٨). وكان أشد الناس عليه نقمة أهل مصر وكان منهم من أبناء الصحابة كمحمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة، فاستدعوا نحواً من ستمائة راكب يذهبون للمدينة في صفة معتمرين في شهر رجب، ليُنكروا على عثمان، فكتب عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى عثمان يُعلمه بقدوم هؤلاء إلى المدينة منكرين عليه في صفة معتمرين. لما اقتربوا إلى المدينة استنجد عثمان بالإمام عليه السلام ليخرج لهم ويردهم إلى بلادهم وكانوا يُعظمون الإمام عليه السلام فذهب لهم وهم بالجحفة وأقنعهم بالرجوع لأهلهم، ثم رجع وأخبر عثمان برجوعهم، وقال له: أن يخطب بالناس خطبة يعتذر إليهم فيها مما كان وقع له من الأثرة لبعض أقاربه، ويُشهدهم عليه بأنه قد تاب من





ذلك، فاستجاب عثمان لذلك، فخطب يوم الجمعة بالناس وأعلن توبته. ولما رجع عثمان إلى بيته جاءه مروان بن الحكم ولامه على إظهاره التوبة، وحثه على نكث عهده، وقد تجمع الناس على باب عثمان، فقال عثمان: إذهب أنت وتكلم مع الناس فإني استحي أن أكلمهم، فخرج مروان وأغلظ بالكلام على الناس، ونقض كل ما قاله عثمان بإعلان توبته، فرجع بعض الناس لعليليه السلام وأخبروه بالخبر فخرج عليه السلام غاضباً حتى دخل على عثمان وقال له: أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلا بتحويلك عن دينك وعقلك، وإن مثلك مثل جمل الظعينة سار حيث يسار به، والله ما مروان بذى رأي في دينه ولا نفسه، وأيم الله إنني لأراه سيوردك، ثم لا يصدرك، وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك، أذهبت شرفك، وغلبت على أمرك. بعد أن رأى الثوار ما وصلت إليه الأمور ونكث عثمان لوعده وعدم تغيير شئ وغضب الامام أمير المؤمنين عليه السلام على عثمان تكاتب أهل مصر وأهل الكوفة وأهل البصرة وتراسلوا واتفقوا على السير للمدينة في سنة ٣٥ هـ في شوال فسار أهل مصر في أربعة رفاق وأهل الكوفة والبصرة كذلك (انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ١٠: ص ٢٧٠-٢٨٠). فخرج المصريون وفيهم عبد الرحمن بن عديس البلوي في خمسمائة، وقيل: في ألف، وفيهم كنانة بن بشر اللثمي، وسودان بن حمران السكوني، وقتيرة بن فلان السكوني، وعليهم جميعاً الغافقي بن حرب العكبي، وخرج أهل الكوفة وفيهم زيد بن صوحان العبدي، والأشتر النخعي، وزباد بن النضر الحارثي، وعبد الله بن الأصم العامري، وهم في عداد أهل مصر، وخرج أهل البصرة فيهم حكيم بن جبلة العبدي، وذريح بن عبّاد، وبشر بن شريح القيسي، وابن المحترش، وهم بعداد أهل مصر، وأميرهم حرقوص بن زهير السعدي، فخرجوا جميعاً في شوال وأظهروا أنهم يريدون الحج (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣: ص ١٥٨). وكان معهم من القبائل: خزاعة، وسعد بن بكر، وهذيل، وطوائف من جهينة ومزينة وأنباط يثرب؛ فهؤلاء كانوا أشد الناس عليه (انظر العقد الفريد، لابن عبد ربه ج ٥: ص ٥١). لما وصل الثوار قريب من المدينة تقدّم أهل البصرة فنزلوا ذا خشب، وأهل الكوفة نزلوا الأعوص، وأهل مصر نزلوا بذى المروة (انظر تاريخ الطبري ج ٤: ص ٣٤٩). فخرج إليهم الامام أمير المؤمنين عليه السلام





فكلمهم فعادوا ثم رجعوا (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣: ص ١٥٨). لما رجع الثوار بعد انصرافهم، بسبب كتاب أرسله عثمان إلى واليه على مصر وجدوه مع غلام عثمان كان في أنبوبة رصاص، وكان الغلام على بعير من إبل الصدقة يأمر فيه عثمان بجلد عبد الرحمن بن عديس، وعمرو بن الحمق، وعروة بن البياض، وحبسهم وحلق رؤوسهم ولحاهم وصلب بعضهم، وعاد الكوفيون والبصريون (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣: ص ١٥٩). جمعوا الامام أمير المؤمنين عليه السلام وطلحة والزبير وسعد ومن كان من أصحاب رسول الله ﷺ، ثم فكوا الكتاب بمحضر منهم وأخبروهم بقصة الغلام، وأقرءوهم الكتاب فلم يبق أحد في المدينة إلا غضب على عثمان، وازداد من كان منهم غاضباً لابن مسعود وأبي ذر وعمار بن ياسر، غضباً وحنقاً؛ وقام أصحاب النبي ﷺ فلحقوا منازلهم، ما منهم أحد إلا وهو مغتم بما قرءوا في الكتاب، وحاصر الناس عثمان، وأجلب عليه محمد بن أبي بكر بن تيم وغيرهم، وأعانه طلحة بن عبيد الله على ذلك، وكانت عائشة تحرضه كثيراً، فلما رأى ذلك الامام أمير المؤمنين عليه السلام بعث إلى طلحة والزبير وسعد وعمار، ونفر من أصحاب رسول الله ﷺ، كلهم بدريون؛ ثم دخل على عثمان ومعه الكتاب والغلام والبعير، وقال له الامام أمير المؤمنين عليه السلام: هذا الغلام غلامك؟ قال: نعم. والبعير بعيرك؟ قال: نعم والخاتم خاتمك؟ قال: نعم. فأنت كتبت الكتاب؟ قال: لا، وحلف بالله: ما كتبت الكتاب، ولا أمرت به، ولا وجهت الغلام إلى مصر قط، وأما الخط فعرفوا أنه خط مروان، فشكوا في أمر عثمان، وسألوه أن يدفع إليهم مروان، فأبى، وكان مروان عنده في الدار، فخرج الصحابة من عنده غضابين (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣: ص ١٥٩). فكيف يعتمد عليه أهل السنة ويجعلونه خليفة رسول الله ﷺ مع علمهم بأنه حلف كاذباً!! وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة آل عمران: ٧٧). وأخرج البخاري ومسلم في صحيحهما وغيرهما عن ابن مسعود قال: أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف على مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان». قال عبد الله: ثم





قرأ علينا رسول الله ﷺ مصداقه من كتاب الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا...﴾ إلى آخر الآية (صحيح البخاري ج ٣: ص ٧٥ كتاب المساقاة، باب من حفر بئراً في ملكه لم يضمن، وصحيح مسلم ج ١: ص ٨٥ كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حقّ مسلم يمين فاجرة بالنار، ومسند أحمد بن حنبل ج ١: ص ٣٧٧). وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عبد الله بن عمرو قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله ما أكبر الكبائر؟ قال: «الإشراك بالله»، قال: ثمّ ماذا؟ قال: «اليمين الغموس»، قلت: وما اليمين الغموس؟ قال: «الذي يقتطع مال امرئ مسلم (يعني يمين هو فيها كاذب)» (صحيح البخاري ج ٨: ص ٤٨، باب الأول من كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم وإثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة). وروى الهيثمي في مجمع الزوائد بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ذَكَرُهُ أذن لي أن أحدث عن ديك قد مزقت رجله الأرض وعرفه منثن تحت العرش وهو يقول: سبحانك ما أعظمك ربنا، فيرد عليه ما علم ذلك من حلف بي كاذباً». رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح (انظر مجمع الزوائد ج ٤: ص ١٨٠)، ورواه الطبراني في المعجم الأوسط ج ٧: ص ٢٢٠، والسيوطي في الدرر المنثور ج ٢: ص ٤٦، وابن الجوزي في المنتظم ج ١: ص ١٩١ وغيرهم. كما أن نقض العهد في الإسلام ينافي الإيمان، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (سورة البقرة: ٢٧) وقال الله تعالى: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَتَمَّةَ الْكُفَرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ (سورة التوبة: ١٢). وهناك روايات كثيرة رواها الفريقين وهي تدلّ بالصراحة على أن من لا عهد له لا إيمان له وسنذكرها في محله إن شاء الله تعالى. وقال سبط بن الجوزي: كتب أهل مصر من ذي حُشْب، وكتب أهل المدينة إلى عثمان: لا نرضى منك إلا بالتوبة والرجوع عما أنت عليه، فلما خاف القتل شاور بني أمية فقالوا: الرأي أن تبعث إليهم علياً، فيردّهم ويعطيهم ما يطلبون، ويطاولهم مدة، فقال: إنّ القوم لن يقبلوا التعليل، ومتى أعطيتهم ذلك سألوني الوفاء به،





وقد أعطيتهم في الأول عهداً ولم أف لهم به، فقال له مروان: إنما هم بغاة، ولا عهد لهم، فطاولهم مدة إلى أن تأتيك الأمداد. فدعا علياً وقال له: يا أبا الحسن، إنه قد كان من أمر الناس ما رأيت، ولست آمنهم على قتلي، فارددهم عني، والله علي أن أعطيهم كل ما يطلبون، وأزيل عنهم ما يكرهون مني ومن غيري، وإن كان في ذلك سفك دمي. فقال له علي: «الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك، وقد كنت أعطيتهم في قدمتهم الأولى عهداً لترجعن عن جميع ما نعموا عليك، فرددتهم عنك، ثم لم تف لهم بشيء من ذلك، فلا تغرتي في هذه المرة كما فعلت، والله لئن أعطيتهم الحق لأفين لهم». ثم خرج علي إلى الناس فقال: «إن عثمان قد زعم أنه منصفكم من نفسه ومن غيره، وراجع عن جميع ما تكرهون»، فقالوا: قد قبلنا ورضينا، فاستوثق لنا منه، فإننا والله لا نرضى بقول دون فعل، فعاد إليه فأخبره، فقال عثمان: اضرب بيني وبينهم أجلاً يكون لي فيه مهلة، فإنني لأقدر على رد ما كرهوا في يوم واحد، فقال له علي: «ما كان حاضراً بالمدينة لا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك». فقال: نعم، ولكن أجلني فيما كان في المدينة ثلاثة أيام، قال علي: نعم، وخرج إلى الناس فأخبرهم بذلك فرضوا، وكتبوا بينهم وبينه كتاباً أجلاه ثلاثة أيام على أن يرد كل مظلمة، ويعزل كل عامل كرهوه، وأخذ عليه في الكتاب أعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه من عهد. وخرج ابن حزم الأنصاري، فأتى المصريين بذئب خشب، فأخبرهم الخبر، فدخلوا المدينة، وأرسلوا إلى عثمان: ألم تعطنا عهد الله على إزالة ما نكره، وأنت تائب من إحداثك؟ وأين العهود والمواثيق؟ وكانوا قد وجدوا كتابه إلى ابن سعد بقتلهم، فلمّا بعثوا إلى عثمان بهذا قال: بلى، وأنا مقيم على ذلك، قالوا: فما هذا الكتاب، وما هذا الفعل؟ فقال: الخطّ قد يشبه الخطّ، والجمل فيسرق، قالوا: فقد رضينا وقبلنا عذرنا، من الآن فاردد المظالم، واعزل عمالك، واستعمل علينا من لا نتهمه في أموالنا وحریمنا ودمائنا، فقال عثمان: فما أراني إذن في شيء إن كنت أستعمل من هويتهم، وأعزل من كرهتم، فقالوا: والله لنقتلنك، فحصره أربعين ليلة، وطلحة يصلّي بالناس، ثم قتلوه. وقال ابن سعد بإسناده عن أبي جعفر محمد بن علي قال: «بعث عثمان إلى علي يدعوه وهو محصور في الدار، فأراد أن يأتيه، فتعلقوا به ومنعوه، قال: فحلّ



تصرفه في سياسة العباد من حيث عدم سيرته في الناس بما شرطوه عليه من السيرة فيهم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ومن أعظم ما فيها المعاونة على البر والتقوى والنهي عن المنكر وتسليم حق المظلوم من الظالم وردّه إليه والمحافظة على العدل بين الناس ورفع الظلم ودفع الظلمة عنهم^(١)، فما حال



عمامة سوداء عن رأسه وقال: "اللهم لا أرضى قتله ولا آمر به"، يكرّرها. وفي رواية ابن سعد، عن أبي فزارة العبيّ قال: فقام عليّ ليأتيه؛ فقام بعض أهله فمنعه، وفي رواية: فقام بنو هاشم فمنعوه وقالوا: أما ترى إلى ما بين يديك من الكتائب؟ لا تخلص إليه أبداً، فنقض عليّ عمامته، ورمى بها إلى رسول عثمان وقال: أخبره بالذي رأيت، ثم خرج عليّ من المسجد حتّى انتهى إلى أحجار الزيت في سوق المدينة، فأتاه قتله، فقال: «اللهم إني أبرأ إليك من دمه أن أكون قتلت (أو أكون مالأت على قتله)» (مرأة الزمان في تاريخ الأعيان لسبط بن الجوزي ج ٦: ص ٩٠). وإلى غير ذلك مما جاء في كتبهم، فلاحظ.

(١) لقد كان من سوء تدبير عثمان وتصرفاته الخاطئة تقديمه بني أمية الشجرة الملعونة في القرآن الكريم على سائر المسلمين، وهم الذين قال لهم النبي الأكرم ﷺ يوم فتح مكة: «اذهبوا أنتم الطلقاء...» (تاريخ الطبري ج ٢: ص ٣٣٧). وهم الذين لم يؤمنوا ولكن استسلموا، فخضع عثمان لأسباب القرابة حتّى أورثه ذلك نقمة الصحابة والمسلمين، فأسمعوه الكلمات الجارحة في وجهه، والنقد المرير في غيبته، لأنهم لم يكونوا قد عرفوا مثل ذلك حتّى في أيام الخلفيتين الأولين. قال الشيباني: "أول من آثر القرابة والأولياء عثمان بن عفان" (انظر عقد الفريد لابن عبد ربّه ج ٢: ص ٣٦٥). وإلى القارئ الكريم أسماء بعض قرابة عثمان ممّن حباهم بالمال والولايات، حتّى انتكث عليه قتله:

١- الحكم بن أبي العاص وهو عمّ عثمان، قال الحلبي في سيرته: "كان قال له طريد رسول الله ﷺ ولعينه، وقد كان ﷺ طرده إلى الطائف ومكث به مدّة رسول الله ومدة أبي بكر بعد أن سأله عثمان في إدخاله المدينة فأبى فقال له عثمان: عمّي. فقال: عمك إلى النار، هيهات هيهات أن أعير شيئاً فعله رسول الله ﷺ والله لا رددته أبداً. فلمّا توفي أبو بكر





وولّى عمر كلمه عثمان في ذلك فقال له: ويحك يا عثمان تتكلم في لعين رسول الله ﷺ وطريده وعدوّ الله وعدوّ رسوله؟! فلمّا ولي عثمان ردّه إلى المدينة فاشتدّ ذلك على المهاجرين والأنصار فأنكر ذلك عليه أعيان الصحابة، فكان ذلك من أكبر الأسباب على القيام عليه... (انظر السيرة الحلبية ج ٢: ص ٨٥). وروت عن عائشة أنّها قالت: إنّ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٌ مَّشَاءَ بَنِمِيمٍ﴾ (سورة القلم: ١٠-١١)، الآية نزلت فيه (انظر تفسير الدر المنثور للسيوطي ج ٦: ص ٤١ و ٢٥١، وتفسير الشوكاني ج ٥: ص ٢٦٣، وتفسير الألوسي ج ٢٩: ص ٢٨، والسيرة الحلبية ج ١: ص ٣٣٧، وسيرة زيني دحلان بهامش السيرة الحلبية ج ١: ص ٢٤٥). وقالت لمروان بن الحكم: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأبيك وجدك - أبي العاص بن أمية -: «إنكم الشجرة الملعونة في القرآن» (انظر تفسير الدر المنثور للسيوطي ج ٤: ص ١٩١، وتفسير الألوسي ج ١٥: ص ١٠٧، وتفسير الشوكاني ج ٣: ص ٢٣١ وغيرها). وقالت أيضاً لمروان في كلام بينهما: ولكن رسول الله ﷺ لعن أبا مروان ومروان في صلبه، فمروان فضض من لعنة الله (انظر تفسير القرطبي ج ١٦: ص ١٩٧، وتفسير ابن كثير ج ٤: ص ١٥٩، وتفسير الفخر الرازي ج ٧: ص ٤٩١، وتفسير الألوسي ج ٢٦: ص ٢٠، وغيرها). ولمّا ردّ عثمان عمّه الحكم بن أبي العاص طريد النبي ﷺ وطريد أبي بكر وعمر إلى المدينة تكلم الناس في ذلك فقال عثمان: ما ينقم الناس منّي؟ إنني وصلت رحماً وقرّبت قرابة (انظر العقد الفريد لابن عبد ربّه ج ٤: ص ٣٠٥). ولقد رآه بعضهم يوم قدم المدينة عليه فزر خلق وهو يسوق تيساً حتّى دخل دار عثمان والناس ينظرون إلى سوء حاله وحال من معه، ثمّ خرج وعليه جبة خزرّ وطيلسان (انظر تاريخ يعقوبي ج ٢: ص ١٤٢). ولم يكتف بإرجاعه بل ولّاه صدقات قضاة فبلغت ثلثمائة ألف درهم فوهبها له حين أتاه بها (انظر أنساب الأشراف ج ٤: ص ٥١٥). وقال عبد الرحمن بن يسار: رأيت عامل صدقات المسلمين على سوق المدينة إذا أمسى أتاه عثمان فقال له: ادفعها إلى الحكم بن أبي العاص (انظر تاريخ يعقوبي ج ٢: ص ١٤٥). ولمّا مات ﷺ ضرب على قبره فسقطاً (انظر أنساب الأشراف ج ٤: ص ٥١٤).





٢- أبو سفيان بن حرب، وهذا هو رأس المنافقين والقائل حين قبض رسول الله ﷺ: تلقفوها الآن تلقف الكرة فما من جنة ولا نار (انظر أنساب الأشراف ج ٤: ص ١٣). ولم يزل على تلك المقولة حتى قالها وهو أعمى البصر والبصيرة حين دخل على عثمان يوم بويع بالخلافة فقال: تلقفوها يا بني أمية تلقف الكرة فوالذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصيرن إلى صبيانكم وراثته (انظر مروج الذهب للمسعودي ج ١: ص ٤٤٠)، وفي لفظ الطبري: تلقفوها تلقف الكرة فما هناك جنة ولا نار (انظر تاريخ الطبري ج ٨: ص ١٨٥). وروى ابن عساكر في تاريخه عن أنس: أن أبا سفيان دخل على عثمان بعد ما عمي فقال: هل هنا أحد؟ فقالوا: لا، فقال: اللهم اجعل الأمر أمر جاهلية، والملك ملك غاصبية، واجعل أوتاد الأرض لبني أمية (انظر تهذيب تاريخ ابن عساكر لابن بدران ج ٦: ص ٤٠٧). وفي رواية ابن عبد البر عن الحسن: «أنه قال لعثمان: صارت إليك بعد تيم وعدي فأدرها كالكرة، واجعل أوتادها بني أمية فإنما هو الملك؟ ولا أدري ما جنة ولا نار» (انظر الاستيعاب لابن عبد البر ج ٢: ص ٦٩٠). فهذا شيخ بني أمية المائن أعطاه عثمان مائتي ألف من بيت المال في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال أيضاً (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١: ص ٦٧).

٣- مروان بن الحكم، طريد رسول الله ﷺ وابن طريده ولعينه وابن لعينه كما روت ذلك عائشة وقد مرّ آنفاً، زوجة عثمان ابنته أم أبان وأعطاه مائة ألف يوم أعطى أبا سفيان مائتي ألف وذلك كله من بيت المال. فجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح فوضعها بين يدي عثمان وبكى. فقال عثمان: أتبكي أن وصلت رحمي؟ قال: لا ولكن أبكي لأنني أظنك أنك أخذت هذا المال عوضاً عما كنت أنفقتة في سبيل الله في حياة رسول الله ﷺ، والله لو أعطيت مروان مائة درهم لكان كثيراً. فقال: ألق المفاتيح يا بن أرقم فإننا سنجد غيرك (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١: ص ٦٧). روى البلاذري بسنده عن خالد مولى أبان بن عثمان قال: كان مروان قد ازدرع بالمدينة في خلافة عثمان على ثلاثين جملاً فكان يأمر بالنوى أن يشتري له فينادى: إن أمير المؤمنين يريد، وعثمان لا يشعر بذلك، فدخل عليه طلحة وكلمه في أمر النوى فحلف أنه لم يأمر بذلك،





فقال طلحة: هذا أعجب أن يُفتات عليك بهذا، فهلاً صنعت كما صنع ابن حنتمة - يعني عمر بن الخطاب - خرج يرفاً بدرهم يشتري به لحماً فقال للحام: إني أريده لعمر. فبلغ ذلك عمر فأرسل إلى يرفاً فأتي به وقد برك عمر على ركبتيه وهو يقتل شاربه، فلم أزل أكلّمه فيه حتى سكنته فقال له: والله لئن عُدت لأجعلنك نكالا، أشتري السلعة ثم تقول هي لأُمير المؤمنين؟ (انظر أنساب الأشراف ج ٤: ص ٥١٦). وروى المؤرخون أن عثمان أعطى مروان خمس غنائم أفريقية بعد أن فرقها كلها في آل الحكم وخص مروان بخمسها (انظر تاريخ الطبري ج ٥: ص ٥٠، والكمال في التاريخ لابن الأثير ٣: ص ٣٨، والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣: ص ٤٤، وأنساب الأشراف للبلاذري ج ٤: ص ٥١٤، والبداية والنهاية لابن كثير ج ٧: ص ١٥٢، والنجوم الزاهرة لابن تغري ج ١: ص ٨٠ وغيرها). ثم زاده فذكاً. قال أبو الفداء في تاريخه: وأقطع مروان بن الحكم فذك وهي صدقة رسول الله ﷺ التي طلبتها فاطمة ميراثاً فروى أبو بكر عن رسول الله ﷺ نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة. ولم تزل فذك في يد مروان وبنيه إلى أن تولى عمر بن عبد العزيز فانتزعها من أهله وردّها صدقة (انظر تاريخ أبي الفداء ج ١: ص ١٦٨)، ورواه ابن قتيبة في المعارف: ص ١٩٥، وابن عبد ربّه في العقد الفريد ج ٤: ص ٢٨٣، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ١: ص ٦٨، والبيهقي في سننه الكبرى ٦: ص ٣٠١ وغيرهم.

٤- سعيد بن العاص، زوجه ابنته أم عمرو فهلكت عنده فتزوَّج أختها مريم الكبرى (انظر أنساب الأشراف ج ٤: ص ٦٠١)، وأعطاه عثمان مائة ألف درهم، فأنكر الناس ذلك عليه، فكلّمه عليّ والزبير وطلحة وسعد وعبد الرحمن بن عوف - وهم أهل الشورى - في ذلك، فقال: إنّ له قرابة ورحماً، قالوا: أفما كان لأبي بكر وعمر قرابة وذو رحم؟ فقال: إنّ أبا بكر وعمر كانا يحتسبان في منع قرابتهما وأنا احتسب في إعطاء قرابتي، قالوا: فهديهما والله أحبّ إلينا من هديك. فقال: لا حول ولا قوّة إلا بالله (انظر أنساب الأشراف ج ٤: ص ٥١٥). ثم ولّاه الكوفة بعد الوليد بن عقبة بن أبي معيط.

٥- الحارث بن الحكم بن أبي العاص، صهر عثمان على ابنته عائشة، أعطاه ثلاثمائة ألف





درهم (انظر أنساب الأشراف ج ٤: ص ٥٤١). وقدمت عليه إبل الصدقة فوهبها له (انظر أنساب الأشراف ج ٤: ص ٥١٥)، وزاده بأن أقطعه سوق المدينة يعرف بمهزور وكان رسول الله ﷺ تصدق به على المسلمين (انظر المعارف لابن قتيبة: ص ١٩٥، والعقد الفريد لابن عبد ربه ج ٤: ص ٢٨٣، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١: ص ٦٨، والمحاضرات للراغب ج ٢: ص ٢١٢). وقال الحلبي في سيرته: أعطى الحارث عشر ما يباع في السوق (السيرة الحلبية ج ٢: ص ٨٧).

٦- عبد الله بن خالد بن أسيد، طلب منه صلة فأعطاه أربعمئة ألف درهم (انظر المعارف لابن قتيبة: ص ١٩٥). وزوجه ابنته أم سعيد وأمر له بستمئة ألف درهم وكتب إلى عبد الله بن عامر أن يدفعها إليه من بيت مال البصرة (تاريخ يعقوبي ج ٢: ص ١٤٥)، وقدم عليه مرة وناس غزاة معه فأمر لعبد الله بثلاثمئة ألف درهم، ولكل رجل من القوم بمائة ألف درهم، وصك بذلك إلى ابن أرقم - خازن بيت المال - فاستكثره ورد الصك له - ويقال أنه سأل عثمان أن يكتب عليه به ذكر حق فأبى ذلك - فامتنع ابن الأرقم من أن يدفع المال إلى القوم، فقال له عثمان إنما أنت خازن لنا فما حملك على ما فعلت؟ فقال ابن الأرقم: كنت أراني خازناً للمسلمين، وإنما خازنك غلامك، والله لا ألي لك بيت المال أبداً، وجاء بالمفاتيح فعلقها على المنبر - ويقال بل ألقاها إلى عثمان - فدفعها عثمان إلى نافل مولاه، ثم ولي زيد بن ثابت الأنصاري بيت المال وأعطاه المفاتيح - ويقال: أنه ولي بيت المال معقيب بن أبي فاطمة وبعث إلى عبد الله ابن الأرقم ثلاثمئة ألف درهم فلم يقبلها (انظر أنساب الأشراف ج ١: ص ٥٤٨). وروى ابن أبي الحديد نقلاً عن الواقدي: إن عثمان أمر زيد بن ثابت أن يحمل من بيت مال المسلمين إلى عبد الله بن الأرقم في عقيب هذا الفعل ثلاثمئة ألف درهم، فلما دخل بها عليه، قال له: يا أبا محمد، إن أمير المؤمنين أرسل إليك يقول: إننا قد شغلناك عن التجارة، ولك ذوو رحم أهل حاجة، ففرق هذا المال فيهم، واستعن به على عيالك، فقال عبد الله بن الأرقم: ما لي إليه حاجة، وما عملت لأن يثبني عثمان، والله إن كان هذا من بيت مال المسلمين ما بلغ قدر عملي أن أعطى ثلاثمئة ألف، ولئن كان من مال عثمان ما أحب أن أرزاه من ماله شيئاً. وما في



هذه الأمور أوضح من أن يشار إليه وينبه عليه (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٣: ص ٣٦).

٧- عبد الله بن سعد بن أبي سرح - أخوه من الرضاعة - المرتد عن الإسلام وقد أهدر رسول الله ﷺ دمه يوم فتح مكة وان وجد متعلقاً بأستار الكعبة، فغيّبه عثمان عنده ثم أتى به النبي ﷺ مستأناً له، فصمت ﷺ طويلاً رجاء أن يقوم إليه من المسلمين من يقتله (انظر سنن أبي داود ج ٢: ص ٢٢٠، والمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج ٣: ص ١٠٠، وتفسير القرطبي ج ٧: ص ٤٠). فهذا المرتد أعطاه عثمان جميع ما أفاء الله عليه من فتح أفريقية بالمغرب وهي من طرابلس الغرب إلى طنجة من غير أن يشركه فيه أحد من المسلمين كما يقول ابن أبي الحديد المعتزلي (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١: ص ٦٧). وقال ابن الأثير: أعطى عبد الله خمس الغزوة الأولى وأعطى مروان خمس الغزوة الثانية التي افتتحت فيها جميع أفريقية (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣: ص ٣٨). لئن كان هؤلاء هم القرابة المحظيين بالعطاء والاقطاع فدع عنك حديث الآخرين من بني أمية الذين تملّكوا البلاد فساسوا العباد فأكثروا فيها الفساد، أمثال معاوية وعبد الله بن عامر ويعلى بن أمية وعبد الله بن سعد بن أبي سرح وأضرابهم ممن هدموا بناء الإسلام، وبثوا التفرقة بين المسلمين فمزقوا وحدتهم بسوء أعمالهم، إذ كانوا يحكمون الناس كأمويين حاquدين على الإسلام ونبّيه، فهيج ذلك حقد الصدور، وهياً أسباب الثورة على عثمان، ثم هم لم يغنوا عنه شيئاً في حياته، بل استغلّوا دمه وقميصه بعد وفاته. وحسبنا حديث استنصاره بهم وهو محصور في حصره الأول، فلم يغثه منهم أحد، وهاك حديث معاوية وهو أهمهم أمراً، وأعظمهم قطراً، وأكبرهم عمراً. فقد روى الذهبي في تاريخ الاسلام نقلاً عن ابن سعد بأسانيده الثلاثة إلى المسور بن مخزومة وابن الزبير وابن عباس قالوا: بعث عثمان المسور بن مخزومة إلى معاوية يُعلمه أنه محصور، ويأمره أن يجهز إليه جيشاً سريعاً، فلما قدم على معاوية، ركب معاوية لوقته هو ومسلم بن عتبة وابن حديج فساروا من دمشق إلى عثمان عشراً. فدخل معاوية نصف الليل، وقبّل رأس عثمان فقال: أين الجيش؟ قال: ما جئت إلا في ثلاثة رهط. فقال عثمان: لا وصل الله رحمك، ولا





أعز نصرك، ولا جزاك خيراً، فوالله لا أقتل إلا فيك، ولا ينقم عليّ إلا من أجلك. فقال: بأبي أنت وأمي لو بعثت إليك جيشاً فسمعوا به عاجلوك فقتلوك. ولكن معي نجائب فاخرج معي فما يشعر بي أحد، فوالله ما هي إلا ثلاث حتى نرى معالم الشام، فقال: بئس ما أشرت به، وأبى أن يجيبه. فأسرع معاوية راجعاً. وورد المسور يريد المدينة بذي المروة راجعاً وقدم على عثمان وهو ذام لمعاوية غير عاذر له. فلما كان حصره الآخر، بعث المسور ثانياً إلى معاوية لينجده. فقال: إنّ عثمان أحسن أحسن الله به، ثم غيّر فغيّر الله به، فشددت عليه. فقال: تركتم عثمان حتى إذا كانت نفسه في حنجرته قلتم: اذهب فادفع عنه الموت. وليس ذلك بيدي، ثم انزلني في مشربة على رأسه، فما دخل عليّ داخل حتى قتل عثمان (انظر تاريخ الإسلام للذهبي ج ٣: ص ٤٥١). فهؤلاء هم بنو أمية الذين تمنى عثمان لو أنّ بيده مفاتيح الجنة لأعطاهم بني أمية حتى يدخلوا من عند آخرهم... (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ١: ص ٦٢)

ولقد صدق فيهم قول رسول الله ﷺ حيث قال: «إنّ فساد أمتي على يدي غلصة سفهاء من قريش» (انظر صحيح البخاري ج ٨: ص ٨٨ كتاب الفتن، الفتن باب قول النبي ﷺ: هلاك أمتي على يدي أغلصة سفهاء). وقال عثمان لابن عباس: لو وليها عثمان لحمل بني أبي معيط على رقاب الناس ولو فعلها لقتلوه (انظر أنساب الأشراف ج ٤: ص ٥٠٢) وقال طه حسين في الفتنة الكبرى: والسياسة المالية التي اصطنعها عثمان منذ نهض بالخلافة كلّها موضوع النقمة والإنكار من أكثر الذين عاصروا عثمان ومن أكثر الرواة والمؤرخين. وقال أيضاً: وكذلك دفعت سياسة عثمان المالية هؤلاء الثائرين إلى أن يلجؤا على عثمان في تغيير سياسة عمر نفسها، وما دام عثمان قد ذهب إلى سياسة تنحرف عن سياسة عمر حتى أبعد، وأنشأ طبقة الرأسماليين الذين أسرفوا على أنفسهم في الملك والتوسع فيه. فليس ما يمنع الثائرين من أن يكفؤا يد عثمان وعمّاله عن هذه السياسة وإن اقتضى ذلك الانحراف عن سيرة عمر...

وقال أيضاً: ولو قد سار عثمان في الأموال العامة سيرة عمر فلم ينفق المال إلا بحقه، لجنب نفسه وجنب المسلمين شراً عظيماً، ولكان من الممكن أن ينشئ الإسلام للإنسانية نظاماً



٢٩٨..... منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨
من خالف ذلك بل وعد بأن يعزل الظلمة وحلف على ذلك يميناً فاجرةً
حيث جعل في الباطن يستعدّ لنصرة الظلمة في الحرب للمظلومين، فهل من
هذه مفسدة قتل مظلوماً!!^(١)



سياً واجتماعياً صالحاً يجنبها كثيراً من الاضطراب الذي اضطرت إليه، والفساد الذي
تورطت فيه (انظر الفتنة الكبرى لطله حسين ج: ١: ص ١٩٠ و ١٩٧). وإلى غير ذلك مما جاء
في مطاعن عثمان وفساد حكومته وعماله الظلمة، فإن أقل ما كان يطلب منه الناس أن
يفي بعهده عندما اشترط عليه عبد الرحمن بن عوف يوم الشورى بعد مقتل عمر بأن
بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسيرة الشيخين... (انظر مسند أحمد بن حنبل ج: ١: ص ٧٥).
فإنه لم يف بعهده، كيف يكون خليفة المسلمين والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ
أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ
وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ
الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (سورة البقرة: ١٧٧). والمستفاد من الآية الكريمة
أن من علائم الإيمان بالله الوفاء بالعهد، وبعد هذه الوثائق الصحيحة من أهل السنة على
مفاسد عثمان فلا شك أن قتله كان بسبب شدة فساده، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أن عثمان خالف جميع ما عهد به في خلافته وقبل خلافته، وماعهد به
أيام الثورة عليه، إذ أنه وصل إلى الخلافة على طريقة الشورى العمريّة التي جعلها عمر
بشكل مدروس لانتخاب عثمان، فعندما أخذ زمام الأمور بيده، تعهد على أن يعمل
بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وطريقة الشيخين (انظر مسند أحمد بن حنبل ج: ١: ص ٥٧).
فخالف جميع ما عهد به، كما خالف عهده حتى حين ما حاصره الناس في بيته
(انظر الكامل في التاريخ ج: ٣: ص ١٧١-١٩٠). ثم إن الوثائق التاريخية المتفقة بين
الفريقين تدلّ بوضوح على أن قتل عثمان لم يتحقق بسبب الرجال، وإنما تحقق بسبب
←



شدة ظلمه على الناس وفساده ومخالفاته للكتاب وسنة رسول الله ﷺ التي كانت بعضها ثابتة من أصل السقيفة وبعضها من بدع عثمان في الاسلام، فقد أضاف أسباب أخرى للثورة عليه، فإنه قد خالف كتاب الله وسنة الرسول جهاراً ونهاراً، وقد اعترف بذلك كبار علماء أهل السنة، ونحن اخترنا نموذجاً واحداً من تلك المخالفات الكثيرة وخروجه من الشرع الحنيف على ما ذكره كبار علماء أهل السنة في كتبهم أهل السنة من باب المثال. فمن جرائمه أنه عفى عن عبيد الله بن عمر بن الخطاب ولم يُقم عليه الحدّ. وقد كان عمر أمر بسجن ابنه عبيد الله ليحكم فيه الخليفة من بعده. يقول ابن الأثير: جلس عثمان في جانب المسجد بعد بيعته، ودعا عبيد الله بن عمر بن الخطاب، وكان قتل قاتل أبيه أبا لؤلؤة، وقتل جُفينة رجلاً نصرانياً من أهل الحيرة كان ظهيراً لسعد بن مالك، وقتل الهرمزان، فلما ضربه بالسيف قال: لا إله إلا الله، فلما قتل هؤلاء أخذ سعد بن أبي وقاص وحسه في داره وأخذ سيفه وأحضره عند عثمان، وكان عبيد الله يقول: والله لأقتلن رجلاً ممن شرك في دم أبي يعرض بالمهاجرين والأنصار، وإنما قتل هؤلاء النفر لأنّ عبد الرحمن بن أبي بكر قال غداة قتل عمر: رأيت عشيّة أمس الهرمزان وأبا لؤلؤة وجُفينة وهم يتناجون، فلما رأوني ثاروا وسقط منهم خنجر له رأسان نصابه في وسطه، وهو الخنجر الذي ضرب به عمر، فقتلهم عبيد الله. فلما أحضره عثمان قال: أشيروا عليّ في هذا الرجل الذي فتق في الإسلام ما فتق! فقال علي: أرى أن تقتله. فقال بعض المهاجرين: قتل عمر أمس ويقتل ابنه اليوم! فقال عمرو بن العاص: إنّ الله قد أعفأك أن يكون هذا الحدث ولك على المسلمين سلطان. فقال عثمان: أنا وليّه وقد جعلتها دية واحتملها في مالي... (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣: ص ٧٥). غير أنّ هذا الحلّ التريعي كان بمثابة الثغرة الأولى في حقبة عثمان، ولتتوالى الثغرات لاحقاً، واتسع الخرق على الراقع، دون أن يتمكن عثمان من دفع الشبهات عن حكمه، فلقد أكثر الناس في دم الهرمزان وإمسك عثمان عبيد الله بن عمر، فصعد عثمان المنبر فخطب الناس، ثم قال: ألا أنّي وليّ دم الهرمزان، وقد وهبته لله ولعمر، وتركته لدم عمر. فقام المقداد بن عمر فقال: إنّ الهرمزان مولى لله ولرسوله، وليس لك أن تهب ما كان لله ولرسوله. قال: فننظر وتنظرون.





ثم أخرج عثمان عبيد الله بن عمر من المدينة إلى الكوفة، وأنزله داراً، فنُسب الموضع إليه، كُوفَة ابن عمر... (تاريخ يعقوبي ج ٢: ص ١٦٣). وما يجدر ذكره أنّ الغمازيان بن الهرمزان كان هو ولي الدم ولم يتنازل عن حقّه، ولما ولي علي عليه السلام الخلافة أراد إقامة الحدّ على عبيد الله بن عمر بقتله فهرب منه إلى معاوية بالشام، ولو كان إطلاقه بأمر ولي الدم لم يتعرض له علي عليه السلام (انظر الاصابة لابن حجر ج ٥: ص ٤٢). فهذه الأعمال المخالفة للشريعة وغير ذلك من فساد وظلمه كانت سبباً للثورة عليه وقتله. وقد كان مولانا الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يصرح ويقول أنّ عثمان يريد تدمير أوامر رسول الله ﷺ وتغيير سنته، فعن سعيد بن مسيب قال: اجتمع علي وعثمان بعسفان، فكان عثمان ينهى عن المتعة أو العمرة. فقال علي عليه السلام: «ما تريد إلى أمر فعله رسول الله ﷺ تنهى عنه؟» فقال عثمان: دعنا منك. فقال عليه السلام: «إني لا أستطيع أن أدعك، فلما أن رأى علي عليه السلام ذلك أهل بهما جميعاً» (انظر صحيح مسلم ج ٤: ص ٤٦ كتاب الحج، باب جواز التمتع). فالواضح جداً أنّ الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول له: إنك تريد تغيير أمر رسول الله ﷺ وعثمان بوقاحة جداً، يقول: دعنا منك!! يعني لا يهتمّه تغيير سنة رسول الله ﷺ وحسب اعتراف عائشة أنّ عثمان غير سنة رسول الله ﷺ وبدل الدين وسلط الظالمين من آل أمية على المسلمين، وقد روى الفخر الرازي أنّ عثمان آخر عن عائشة بعض أرزاقها فغضبت عائشة، ثم قالت: يا عثمان أكلت أمانتك وضيعت الرعية وسلطت عليهم الأشرار من أهل بيتك، والله لولا الصلوات الخمس لمشي إليك أقوام ذوو بصائر يذبحونك كما يذبح الجمل. فقال عثمان: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ...﴾ الآية. فكانت عائشة تحرض عليه جهدها وطاقاتها وتقول: أيها الناس هذا قميص رسول الله ﷺ لم يبل وقد بليت سنته، اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً... (انظر المحصول ج ٤: ص ٣٤٣). ولم تتراجع عائشة عن هذا الكلام إلا عندما سمعت خبر تولي الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الحكم بعد عثمان، فادّعت أنّ القتل استتابوه من الكفر ثم قتلوه. وهذا مالم يحصل، لأنّ عائشة لم تكن في الدار حينها ولم يقل قتل عثمان أنّهم استتابوه ثم قتلوه. ومزيداً من الأدلة، نضيف ما حصل بين عثمان وبين محمد



أجل فمن المفسد الذي دمه هدر؟^(١)



ابن أبي بكر عندما دخل الدار لقتل عثمان وصرّح بأنّ عثمان غير أحكام الله (انظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ١: ص ٤٤، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١: ص ١٦٧). فعثمان كان يعلم بأنّ دمه هدر لما فعله من الخيانة في شؤون الناس في الحكومة وعدم وفائه بعهوده وحلفه كاذباً وتصرفاته على خلاف كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فلم يعتني بما أحدثه من النكب وتلقى آثاره، بحيث أنّ الناس ثاروا عليه وقتلوه. فقد روى ابن كثير في تاريخه: أنّ عثمان لمّا عزم على أهل الدار في الانصراف ولم يبق عنده سوى أهله، تسوروا عليه الدار، وأحرقوا الباب، ودخلوا عليه... فضربوه حتّى غشي عليه، وصاح النسوة: فانزعروا، وخرجوا. ودخل محمد بن أبي بكر وهو يظنّ أنّه قد قتل، فلمّا رآه قد أفاق قال: على أي دين أنت يا نعل؟ (البداية والنهاية ج ٧: ص ٢٠٧) فهل يصح بعد ارتكاب تلك المفاسد أن يقال: قتل مظلوماً!!

(١) وتوضيح المقام أنّ الفساد ظاهرة خطيرة تصيب المجتمعات أكبر الكوارث وتلحقهم الخراب والهلاك. وقد حارب الإسلام الفساد بكلّ صوره وأشكاله، كما أنّ النصوص القرآنية والسنة النبوية، قد ذكرت المؤمنين بعاقبة أهل الفساد أكثر من مرّة، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (سورة النمل: ١٤). وقد ضرب الله سبحانه وتعالى للناس في كتابه مثلاً عن عاقبة بعض المفسدين كفرعون وملئه حيث قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بَايَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (سورة يونس: ٧٥). وأفضت العاقبة الأليمة إلى هلاك فرعون ومن معه وحطمت قدرتهم وأزولت شوكتهم، لأنّهم حاربوا الله ورسوله وكانوا من المفسدين. ثم إنّ الله تعالى قد بيّن جزاء من حارب الله ورسوله ﷺ في قوله: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة المائدة: ٣٣). فذكرت الآية الكريمة



٣٠٢..... منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨

وهل يتصور فساد مثل فساد، بتسليط المفسدين على عباد الله فيظلمونهم ثم يستعدّ لنصرتهم على المظلومين؟^(١)



عقوبات أربعاً: التقتيل والتصليب والتقطيع والنفي للمفسد في الأرض، وبَيِّنَت الآية أنَّ الإسلام يحارب المفسدين ويجازيهم بشدَّة بما هم أهلُه من العذاب؛ وذلك لأنَّ الفساد في المجتمع آفة إذا انتشرت في المجتمع تهلك الحرث والنسل وتوجب الانحراف عن الدين ورجوع الناس إلى الجاهليَّة الأولى، حيث لو أنَّهم أفسدوا في الأرض بالكفر والقتل وأخذ الأموال، و... فإنَّ الفساد تقف بوجه الدين وترجع الناس إلى الجاهليَّة الأولى. قال مولانا الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «إنَّما بدء وقوع الفتن أهواء تتبَّع وأحكام تبتدع. يخالف فيها كتاب الله ويتولَّى عليها رجال رجالاً على غير دين الله. فلو أنَّ الباطل خلص من مزاج الحقِّ لم يخف على المرتادين. ولو أنَّ الحقَّ خلص من لبس الباطل لانقطعت عنه ألسن المعاندين ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان، فهناك يستولي الشيطان على أوليائه وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسن» (نهج البلاغة: الخطبة رقم ٥٠). وغضب الخلافة من أهلها من أعظم الإفساد في الأرض، وليس فوقها فساد يتصوَّر في العالم، لأنَّها محاربة لله ورسوله ﷺ، فإنَّها تبعث الناس إلى الطغيان كما قال الله تعالى: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (سورة المائدة: ٦٤)، فأذلة المسد في الأرض يشمل عثمان وجلاوزته، لأنَّهم باشروا انواع الفساد في أيام حكومة عثمان كما سيتضح ذلك للقارئ الكريم من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى. فقلوه تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا...﴾ دليل على أنَّ المفسد في الأرض دمه هدر، وهل بعد هذه الآية الكريمة يبقى مجال للدفاع عن الخليفة؟! فلاحظ.

(١) لا يخفى أنَّ أحد الأمور التي كان التأثيرين يشكون من حكومة عثمان وكانوا يطلبون منه





أن يرفعه عنهم ، تسليطه الطلقاء وبطون قريش على رقاب الناس ، فكان الناس يعانون ظلم عُماله وسوء أعمالهم، وتصرفاتهم المتراكمة المليئة بالمظالم والبدع والضلالات التي حملت معها تداعيات واسعة أثرت سلباً على واقع الأمة. وأيضاً مما أثر على الأمة من حكومة عثمان مخالفته للكتاب والسنة النبوية. والتمادي منه في الانحراف والطغيان التي أسسها السقيفة، وأضاف أسباب أخرى للثورة عليه، حيث صاروه، وهو يصول ويجول ببني أمية على المسلمين، لأنه قد سلم مفاتيح الحكم وبيت مال المسلمين إلى الشجرة الملعونة الذين طاروا فرحاً واستشعروا النصر والغلبة بتلك الزعامة الكبرى التي طالما كانوا يُخططون لها، فقد روى ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة عن الشعبي أنه قال: فلما دخل عثمان رحله دخل إليه بنو أمية حتى امتلأت بهم الدار، ثم أغلقوها عليهم، فقال أبو سفيان بن حرب: أعندكم أحد من غيركم؟ قالوا: لا، قال: يا بني أمية، تلقفوها تلقف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان، ما من عذاب ولا حساب، ولا جنة ولا نار، ولا بعث ولا قيامة! (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٩: ص ٥٣). وقال الطبري في تاريخه: بني أمية الملعونين في كتاب الله ثم الملعونين على لسان رسول الله في عدة مواطن وعدة مواضع لماضي علم الله فيهم وفي أمرهم ونفاقهم وكفر أحلامهم فحارب مجاهداً ودافع مكابداً وأقام منابذاً حتى قهره السيف وعلا أمر الله وهم كارهون، فتقول بالإسلام غير منطو عليه وأسر الكفر غير مقلع عنه، فعرفه بذلك رسول الله ﷺ والمسلمون، وميز له المؤلفة قلوبهم قبله، وولده على علم منه فمما لعنهم الله به على لسان نبيه ﷺ، وأنزل به كتاباً قوله: ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفُهُمْ مَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ (سورة الإسراء: ٦٠). ولا اختلاف بين أحد أنه أراد بها بني أمية. ومنه قول الرسول ﷺ وقد رآه مقبلاً على حمار ومعاوية يقود به ويزيد ابنه يسوق به: «لعن الله القائد والراكب والسائق». ومنه ما يرويه الرواة من قوله: يا بني عبد مناف تلقفوها تلقف الكرة، فما هناك جنة ولا نار، وهذا كفر صراح يلحقه به اللعنة من الله كما لحقت الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ﷺ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ومنه ما يروون من وقوفه على ثنية أحد بعد ذهاب بصره. وقوله لقائده ههنا ذبنا محمداً





وأصحابه. ومنه الرؤيا التي رآها النبي ﷺ فوجم لها فما رؤي ضاحكاً، بعدها فأنزل الله ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ...﴾ فذكروا أنه رأى نفرًا من بني أمية ينزون على منبره. ومنه طرد رسول الله ﷺ الحكم بن أبي العاص لحكايته إيّاه وألحقه الله بدعوة رسوله آية باقية حين رآه يتخلج، فقال له: كن كما أنت. فبقى على ذلك سائر عمره إلى ما كان من مروان في افتتاحه أول فتنة كانت في الإسلام واحتقابه لكل دم حرام سفك فيها أو أريق بعدها ومنه ما أنزل الله على نبيه في سورة القدر ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (تاريخ الطبري ج ٨: ص ١٨٥). فكانت حكومة عثمان منغمرة في الفساد والظلم والعدوان والبغي والمنكر وسفك الدماء المحترمة وغير ذلك من وجوه الفساد. فمن سوء تدبير عثمان أنه قدّم بني أمية - الشجرة الملعونة في القرآن - على جميع الصحابة مع أن الكلّ كان يعلم بأن بني أمية كانوا من ألد أعداء الإسلام وهم الذين حاربوا الإسلام في حروب عديدة، ولم يؤمنوا بالله ورسوله ﷺ قط، وإنما استسلموا بعد فتح مكة، قد سمّاهم رسول الله: «الطلقاء» (انظر تاريخ الطبري ج ٢: ص ٣٣٧)، وجعلهم رسول الله ﷺ من المؤلفة قلوبهم (انظر تفسير الطبري ج ١٠: ص ٢٠٧)، وحذّر منهم المسلمين، وقال أبو برزة الأسلمي: كان أبغض الأحياء إلى رسول الله ﷺ بنو أمية وبنو حنيفة وثقيف (انظر المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج ٤: ص ٤٨٠)، وصحّحه على شرط الشيخين البخاري ومسلم، كما صحّحه الذهبي في الهامش. فعثمان قد أعطى مناصب حكومته بيد بني أمية وسلّطهم على رقاب الناس، قال الشيباني: أول من آثر القراية والأولياء عثمان بن عفّان (انظر العقد الفريد لابن عبد ربّه ج ٢: ص ٣٦٥). وقال أبو الفداء في تاريخه: أنه لما بعث الله رسول الله ﷺ كان أشدّ الناس في مخالفته بنو أمية وأعظمهم في ذلك أبو سفيان ابن حرب وشيعته من بني أمية قال الله تعالى في كتابه العزيز ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ﴾ (سورة الإسراء: ٦٠). اتّفق المفسّرون أنه أراد بها بني أمية. ورأى النبي ﷺ أبا سفيان مقبلاً ومعاوية يقوده ويزيد أخو معاوية يسوق به فقال: «لعن الله القائد والراكب والسائق». وقد روى أن أبا سفيان قال: يا بني عبد مناف تلقّفوها تلقّف الكرة فما هناك جنة ولا نار. وطلب رسول الله ﷺ معاوية ليكتب





بين يديه، فتأخر عنه واعتذر بطعامه، فقال النبي ﷺ: «لا أشبع الله بطنه» فبقي لا يشبع وكان يقول: والله ما أترك الطعام شبعاً وإنما أتركه إعياء! وروي أنّ النبي ﷺ قال: «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه» (تاريخ أبي الفداء ج ٢: ص ٥٧). وإلى غير ذلك من كلماتهم في هذا المجال، فالناس الذين وجدوا منهم هذه المفاصد وغيرها فقد ثاروا على عثمان وقتلوه في المدينة المنورة، دون أن يتحرك عامة أهلها لحمايته أو الدفاع عنه، وهذا معناه أنّ جميع أهل المدينة كانوا راضين بقتله. والشاهد على ذلك أنّ الذين خرجوا على عثمان كانوا من الصحابة والتابعين، وهذا ما يدلّ علي أنّ جميع الصحابة قد تقموا على عثمان سوى أشخاص لا يزيد عددهم عن أصابع اليد الواحدة، فكُلّهم بين محرّض ومؤلّب عليه وخاذل له ومجهز عليه، فقد روى البلاذري في كتابه أنساب الأشراف: أنّه نظر ثابت بن عبد الله بن الزبير إلى أهل الشام فقال: إني لأبغضهم، فقال سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان: تبغضهم لأنّهم قتلوا أباك؟ قال: صدقت قتل أبي علوج الشام وجفاته، وقتل جدك المهاجرون والأنصار، وهذا واضح بأنّ قتلة عثمان هم المهاجرون والأنصار (انظر أنساب الأشراف ج ٦: ص ٣٥٠). ووصف الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعض أحوال عثمان وحاكميته في خطبته الشقشقية فقال عليه السلام: «إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حوضيه بين نثليه ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع، إلى أن انتكث قتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته، فهذه كانت صفة بطانته وولاته، وهم لا يصلحون لقيادة أمور المسلمين ولا يأتمنون عليها، فلم يكن فيهم إلا ملعون أو فاسق أو مرتدّ أو غر لا خبرة له بأمور العباد وسياسة البلاد» (نهج البلاغة: الخطبة رقم ٣). فهكذا حكم الأمويّون وتسلطوا على رقاب الناس، وهكذا كانت سيطرتهم على البلاد الإسلامية، وهم يحملون الأحقاد وثارات وانتصارات المسلمين عليهم في بدر والأحزاب حتى فُتحت مكة عليهم عنوة ودخلوا الإسلام كارهين فكانت سيرتهم مع المسلمين كاشفة عن نواياهم وأهدافهم وتآمرهم على الإسلام والمسلمين وصاروا، يشترون ذمم الناس ويخالفون أوامر الله ورسوله ﷺ علانية من دون حياء أو خوف بل ويعتدون على أهل البيت عليه السلام والصحابة المؤمنين بالضرب والنفي والحصار...



٣٠٦..... منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨

بل على ما بيّناه سابقاً نفس تأمره على الناس ظلم عظيم وفساد جسيم لتقدّمه على العترة^(١)،



فوصل الحال بالمسلمين وبالأخص الصحابة منهم إلى نفاق الصبر واتخاذ خطوة جريئة وهي قيام ثورة شعبية عارمة تحالف فيها الأضداد لاختلاف نوايا بعضهم عن بعض وكذا طموحاتهم وأهدافهم إلا أنّهم كانوا يحملون هدفاً محورياً وهو إسقاط عثمان وبنّي أمية وإزاحتهم عن حاكمية المسلمين لسوء سياستهم وتديبرهم وكذا عدوانهم وظلمهم ونهب الأموال وتراجع الأمة عن أداء الرسالة والمخالفات الصريحة لأحكام الشريعة وما إلى ذلك من الأعمال القبيحة والظالمة والموبقات الكثيرة ممّا سنذكرها إن شاء الله تعالى في المباحث الآتية.

(١) وبعبارة أوضح أنّ أحد أسباب الثورة ضد حكومة عثمان ، تقدّمه على العترة الطاهرة ﷺ مع ما كان فيه وفي حكومته من الفساد والانحراف والضلالة ، والناس كانوا قريباً من عهد رسول الله ﷺ وأكثرهم قد سمعوا منه حديث الثقلين الذي جاء في بعض فقراته ، قوله ﷺ: «فلا تقدّموهما فتهلكوا ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا»، فقد أخرج الطبراني في معجمه الكبير بسنده عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لكم فرط وإنكم واردون عليّ الحوض عرضه ما بين صنعاء إلى بصرى فيه عدد الكواكب من قدحان الذهب والفضة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين»، فقام رجل فقال: يا رسول الله، وما الثقلان؟ فقال رسول الله ﷺ: «الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به لن تزلوا ولا تضلّوا، والأصغر عترتي، وإنّهم لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، وسألت لهما ذاك ربّي فلا تقدّموهما فتهلكوا ولا تعلّموهما فإنّهما أعلم منكم» (انظر المعجم الكبير ج ٣: ص ٦٦)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩: ص ١٦٤، والمتّقى الهندي في كنز العمال ج ١: ص ١٨٦، وغيرهم. ولا يخفى أنّ الاستفادة من قوله ﷺ: «لن يفترقا» أنّ التقدّم على كل واحد من الثقلين يعتبر تقدّماً عليهما معاً، لأنّهما لا ينفكّان عن الآخر ويفترقان أبداً. قال السخاوي في الاستجلاب بعد نقل الحديث ما





هذا نصّ عبارته: وناهيك بهذا الحديث فخراً لأهل بيت النبي ﷺ، لأنّ قوله ﷺ «انظروا كيف تخلفوني»، و«أوصيكم بعترتي خيراً»، و«أذكركم الله في أهل بيتي»، على اختلاف الألفاظ في الروايات التي أوردتها يتضمّن الحثّ على المودة لهم والاحسان إليهم والمحافظة بهم واحترامهم وإكرامهم وتأدية حقوقهم الواجبة والمستحبة، فإنّهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخراً وحسباً ونسباً، ولا سيّما إذا كانوا متّبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجليلة، كما كان عليه سلفهم كالعبّاس وبنيه وعلي وأهل بيته وذريته ﷺ. وكذا يتضمّن تقديم المتأهّل منهم للولاية على غيرهم، بل وفي قوله ﷺ - كما تقدّم - «لا تقدّموها فتهلكوا، ولا تقصّروا عنها فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم» إشارة إلى ما جاءت الأحاديث الصحيحة من كون الخلافة في قريش ووجوب الانقياد لهم فيما لا معصية فيه. فلينظر كيف لا يعترف (الدهلوي) بتعلّق حديث الثقلين بموضوع الخلافة؟ ولا بدّ هنا من التنبيه على أن ما ادّعاه السخاوي من أن قوله ﷺ: «لا تقدّموها فتهلكوا» إشارة إلى كون الخلافة في قريش لا وجه له إذ لا ذكر لقريش في حديث الثقلين، وإنّما جاء بحق أهل البيت ﷺ منهم خاصّة، على أنّه قد تقدّم أنّ مراده ﷺ من قوله الأئمة من قريش أي: من أهل بيته ﷺ على وجه الخصوص وهم سادات قريش إجماعاً (استجلاب ارتقاء الغرف: مخطوط). وقال ابن حجر بعد أن صرّح بمثل كلام السخاوي المتقدّم: وفي قوله ﷺ: «لا تقدّموها فتهلكوا...» دليل على أنّ من تأهّل منه في المراتب العلية والوظائف الدينية كان مقدّماً على غيره، ويدلّ له التصريح بذلك في كلّ قريش كما مرّ في الأحاديث الواردة فيهم، وإذا ثبت هذا لجملته قريش فأهل البيت النبوي الذين هم غرّة فضلهم ومحتدّ فخرهم، والسبب في تمييزهم على غيرهم بذلك أخرى وأحقّ وأولى (الصواعق المحرقة: ص ١٣٦). وإلى غير ذلك من أقوالهم في شرح هذه الفقرة من الحديث الدالّ على أنّ التقدم على العترة الطاهرة ﷺ، موجب للهلاكة والضلالة، فإنّ عثمان الذي غصب الخلافة من أهل البيت ﷺ، وتقدّم عليهم معناه أنّه تقدّم على العترة الطاهرة ﷺ، وقد خالف بالصراحة حديث الثقلين، ومعناه أنّه يشمله كلّما يستفاد من مدلول حديث





الثقلين، إذ أنه في الحقيقة قلب مدلول الحديث لكونه قدّم أعداء أهل البيت عليه على أهل البيت عليه، وهذا معناه المحاربة لله ورسوله ﷺ، فكل لحظة من لحظات غصبه للخلافة وتسليطه بني أمية على رقاب الناس أنه قد حارب لله ورسوله ﷺ، ولذلك أنه كان يقول: لو أن بيدي مفاتيح الجنة لأعطيها بني أمية، فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن سالم بن أبي الجعد قال دعا عثمان ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم عمار بن ياسر فقال: إني سائلكم، وإني أحب أن تصدقوني، نشدكم الله أعلمون أن رسول الله ﷺ كان يؤثر بني هاشم على سائر قريش؟ فسكت القوم، فقال عثمان: لو أن بيدي مفاتيح الجنة لأعطيها بني أمية حتى يدخلوا من عند آخرهم (مسند أحمد بن حنبل ج ١: ص ٦٢). وقال العلامة الأميني رحمه الله بعد ذكر الحديث: فكان الخليفة يحسب إن الهرج الموجود في العطاء عنده سوف يتسرب معه إلى باب الأجنة يحابي قومه بالنعيم كما حاباهم في الدنيا بالأموال، فما حظي الخليفة بما أحب لهم في الدنيا يوم طعنهم بكلكلة البلاء، وأجهزت عليهم المآثم والجرائم، وأما الآخرة فإن بينهم وبين الجنة لسداً بما اقترفوه من الآثام، فلا أرى الخليفة يحظى بأمنيته هنالك، ونحن لا نعرف نظرية الخليفة في أمر الثواب والعقاب، ولا ما يأول به الآية الواردة فيهما في الذكر الحكيم، ولا رأيه في الجنة والنار وأهلها، ﴿أَيُطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ؟﴾ ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً؟﴾ ﴿كَلَّا...﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ * ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سَجِينٍ﴾. كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ؟ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْفُؤَادَةِ * ﴿وَأَزَلِفَتْ أَلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ فهؤلاء الأمويون لم يكونوا في أمل الخليفة ولا أغنوا عنه شيئاً يوم ضحى نفسه وجاهه وملكه لأجلهم حتى قتل من جراء ذلك، ولا أحسب أنهم مغنون عنه شيئاً غداً عند الله يوم لا يغني عنه مال ولا بنون (انظر الغدير ج ٨: ص ٢٩٢). وعلى الرغم من هذا الحب من قبل عثمان لعشيرته، وما حققه لبني قومه وبني





أمية من إنجازات ونفوذ وثناء على حساب المسلمين، رغم هذا كله كان قومه هم الذين سعوا إلى القضاء عليه والتأمر على قتله، فهم قوم سوء استعان بهم عثمان فكان ضحيتهم. ولقد كانت سياسة عثمان وممارساته المعوجة وتحالفه مع قومه ونبذه لكبار الصحابة وفساد ولائه على الأمصار كل ذلك قد أفقده تعاطف المسلمين وأهل المدينة على الخصوص الذين لم يتحرك أحد منهم لنصرته والدفاع عنه حين حوصر، وتركوه ليلقي مصيره ويجني ما كسبت يده، وإذا كان قومه الذين والاهم وارتبطت مصالحهم به لم يتحركوا لنصرته فكيف يتحرك الغرباء للدفاع عنه؟!!

(١) هذه العبارة إشارة إلى الروايات المتواترة التي وردت في كتب القوم بمضامين مختلفة والمعنى واحد. فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية (صحيح البخاري ج ٨: ص ٨٧ كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ سترون بعدي أموراً تنكرونها)، ورواه مسلم في صحيحه ج ٦: ص ٢٢ كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن، وأحمد بن حنبل في مسنده ج ١: ص ٣١٠ وغيرهم. فهذه الروايات تدل على أن خرج من السلطان الشرعي ولو بمقدار شبر واحد موجب لأن يكون ميتة جاهلية وكفر، ولكن الناس كانوا يعتقدون بأن حكومة عثمان لا تكون حكومة شرعية لكثرة الظلم والفساد فيها، فكانت حكومته خارجة عن موضوع الحديث. وإن كان المقصود بالسلطان حقيقة هو الإمام وخليفة رسول الله ﷺ حقاً، لأنه قد ورد بطرق صحيحة عن النبي ﷺ قال: «من مات وفي عنقه بيعة إمام مات ميتة جاهلية» (انظر صحيح البخاري ج ٨: ص ٨٧ كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ سترون بعدي أموراً تنكرونها، وصحيح مسلم ج ٦: ص ٢٠ كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن). وإذا كان المقصود بالسلطان في هذه الأحاديث هو الإمام الذي يكون واجب الطاعة، فإن حديث الثقلين المتواتر لدى الفريقين يدل بوضوح على أن الحكومة الشرعية إنما تكون لأهل البيت ﷺ بعد النبي ﷺ، لأن النبي ﷺ





أوصى في حديث الثقلين: بأن المرجعية بعد وفاته ﷺ تكون منحصرة في الثقلين أعني القرآن والعتر الطاهرة ﷺ، وهم أئمة أهل البيت ﷺ، وقد قاله في عدة مواضع وفي الأزمنة المختلفة: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وأتتهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» (انظر صحيح مسلم ج ٧: ص ١٢٢ كتاب الفضائل، باب فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ). فالعتر الطاهرة هم أهل البيت ﷺ الذين جعلهم رسول الله ﷺ عدلاً للقرآن الكريم، فكما أن القرآن الكريم، الكتاب الصامت يكون حاكماً بين الناس بعد رسول الله ﷺ، كذلك العتر الطاهرة ﷺ الذي فسره رسول الله ﷺ بأهل بيته ﷺ، وهم الناطقون عنه ﷺ صدقاً وعدلاً. وتوضيح المقام أن الفرق بين السلطان والحاكم العرفي، وبين الولي الشرعي الذي له مقام الولاية الإلهية هو أن من له الولاية الشرعية من قبل الله عز وجل تكون طاعته واجبة. بخلاف الحاكم العرفي الذي ليس له الولاية الشرعية فإنه لا دليل على وجوب طاعته؛ حيث أن الله تبارك وتعالى أمر جميع المسلمين بطاعته من له الولاية الشرعية، كما أمر سبحانه وتعالى بطاعة رسوله ﷺ في أكثر من ثلاثين موضعاً من القرآن الكريم، وقد قرن طاعته بطاعة رسوله ﷺ في آيات عديدة، ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ (سورة النساء: ٨٠). هذه الآية الكريمة تؤكد بأن طاعة النبي ﷺ هي في الحقيقة طاعة لله: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ...﴾ أي لا انفصال بين طاعة الله وطاعة الرسول ﷺ، وذلك لأن النبي ﷺ لا يخطو أية خطوة خلافاً لإرادة الله... وكل ما يصدر منه ﷺ من فعل وقول وتقرير فهو مطابق لإرادة الله سبحانه وتعالى ومشيئته. ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (سورة آل عمران: ٣٢). ويستفاد من الآية أن طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ لا تنفصلان، فإن طاعة الرسول ﷺ هي طاعة الله. ثم تقول الآية وإن لم تفعلوا أي لم تطيعوا الله ورسوله فليست تحبون الله والله لا يحبكم. ثم ختمت الآية بنفي الحب عن الكافرين، فقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾، وفيه دلالة على كفر





من شمله ذلك، لأن نفي الحب في الله تبارك وتعالى معناه سلب الإيمان والكفر. كما أمر الله تبارك وتعالى بطاعة أولي الأمر بعد طاعته وطاعة رسوله ﷺ، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (سورة النساء: ٥٩). ولا يخفى أن ظاهر العطف يدل على وجوب طاعة أولي الأمر كوجوب طاعة الرسول ﷺ، ومعناه أن أولي الأمر له جميع خصائص الرسول ﷺ في وجوب طاعته، فمن هم أولي الأمر الذين فرض الله طاعتهم على العباد؟ فإن حديث الثقلين المتقدم ذكره يبين بوضوح بأن المقصود من أولي الأمر هم العترة الطاهرة ﷺ؛ لأن المستفاد من الحديث أن وجوب الطاعة والمرجعية بعد رسول الله ﷺ منحصرة في الثقلين، وبمقتضى هذه الآية الكريمة يعرف بأن أولي الأمر واجبة الطاعة، وذلك لعطف أولي الأمر على الرسول ﷺ، ومعناه كما أن الرسول ﷺ تجب طاعته أولي الأمر كذلك تجب طاعته، أي: أن أولي الأمر له جميع خصوصيات وجوب الطاعة كما أنها موجودة في النبي الأكرم ﷺ، ومن تلك الخصائص العصمة، فلا بد أن يكون أولي الأمر الذي فرض الله طاعته على العباد معصوماً، وإلا لا يصح إطلاق العطف على الرسول ﷺ، ولذلك ذهب كل مفسري الشيعة بالاتفاق إلى أن المراد من أولي الأمر هم الأئمة المعصومون ﷺ الذين أنيطت إليهم قيادة الأمة الإسلامية المادية والمعنوية في جميع حقول الحياة من جانب الله سبحانه والنبي الأكرم ﷺ ولا تشمل غيرهم، وذلك لأن الآية توجب طاعة أولي الأمر من دون قيد أو شرط، أي أن ظاهر الآية وجوب طاعة أولي الأمر على مطلق كطاعة النبي ﷺ. هذا مضافاً إلى تصريح بعض أهل السنة بوجوب إطاعة أولي الأمر على نحو الإطلاق كطاعة النبي ﷺ، لاقترانه بطاعة الله سبحانه وتعالى وطاعة النبي ﷺ، ولم يقيد بشيء، فتشترك مع طاعة الرسول ﷺ في السياق وتتساوى معها في الإطلاق، فهي لا تقبل التقييد أبداً، ومنهم الفخر الرازي في تفسيره حيث قال: أن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية ومن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع لا بد وأن يكون معصوماً عن الخطأ، إذ لو لم





يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ يكون قد أمر الله بمتابعته، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ والخطأ لكونه خطأ منهياً عنه، فهذا يفضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد بالاعتبار الواحد، وأنه محال، فثبت أن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم، وثبت أن كل من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ، فثبت قطعاً أن أولي الأمر المذكور في هذه الآية لا بد وأن يكون معصوماً (تفسير الفخر الرازي ج ١٠: ص ١٤٤). وهكذا نرى الفخر الرازي مع ما نعهد منه من كثرة الإشكال في مختلف المسائل العلمية، فقد قبل دلالة هذه الآية على أن أولي الأمر يجب أن يكون معصوماً. وعليه ثبت بأن المقصود من السلطان والأمير الوارد في كتب أهل السنة هم الأئمة المعصومين عليهم السلام، الذين أمر الله تعالى بطاعتهم في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ...﴾ والمقصود بأولي الأمر في الآية الذي تجب طاعته الخليفة والحاكم المعصوم. وباجتماع علماء أهل السنة أن خلفائهم لم يكونوا معصومين. وعليه فإن عثمان الذي غضب الخلافة من أهل البيت عليهم السلام قد خرج عن طاعة السلطان الشرعي فميته تكون مميتة جاهلية، فلاحظ.

(١) لا يخفى أن مصائب الأمة الإسلامية انجرت عليها من يوم غضب الخلافة في السقيفة، إذ بتمرد خلفاء الجور عن أوامر الله ورسوله ﷺ فتحوا مجالاً عظيماً لانحراف الأمة وضلالتها. فأحدثوا البدع في الدين وأظهروا المناكير على رؤوس الأشهاد، لاسيما في خلافة عثمان، فإنه قد تجاوز حد المنكرات والبدع والمخالفات لكتاب الله والسنة النبوية، والتلاعب بالدين وأحكامه، وتصرفات عماله اللعناء والطلقاء والفساق من آل أمية الشجرة الملعونة في القرآن، وجلاوزته الجلادة، وأن المصادر السنية فيها استعراض واسع لأعمال عثمان وعماله الفسقة. وذكرها يخرجنا عن موضوع الكتاب، فنشير هنا إلى بعض ما رواه علماء أهل السنة في المقام ونترك الاستقصاء للقارئ العزيز ورجوعه إلى الكتب





التي تناولت هذا البحث بشكل وسيع. ولا بأس هنا بذكر موقف عثمان من بني هاشم وأهل البيت عليهم السلام وعلى رأسهم الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فإنّ الباحث لو راجع أيام حكومة عثمان ولاحظ تصرّفاتة المخالفة لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وتصرّفات عمّاله من الأسرة الأموية الحاكمة على الإسلام والرسالة المحمدية، يجد أنّ حكومة عثمان كان هدفه الرئيس السلطة بالجبر والجبروت على أهل البيت عليهم السلام وتسليط اللعناء والطلاق والفساق عليهم عليهم السلام لأخذ ثار أجدادهم الكفرة والمشركة واستعمال سوء العذاب قتلاً وتشريداً وتطريداً ونهباً ضدّ أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم الموالين لهم عليهم السلام، فارتفع النكير والتشهير، وبدت نذر الشرّ المستطير، لأنّ عثمان أوّل من آثر القرابة والأولياء كما مرّ ذلك عن الشيباني (انظر العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٢: ص ٣٦٥). فكان من أشدّ المحرّضين عليه طلحة والزبير وعائشة وغيرهم ممّن جازوه جزاء سنّار. وهذا ما يلزمنا بالوقوف عنده لقراءة بعض النصوص قراءة تدبّر وتمحيص لنعرف لماذا كانوا ساخطين على أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم؟ فسخط بني أمية وعثمان على بني هاشم كانت لها جذور وأسباب قديمة، وموروثة عند عامّة القرشيين وعند الأمويين خاصّة، لم تمحه الأيام، فكان يثير كامن أحقادهم فيظهرونه عند موأاة الفرص. كما ستأتي كلمات عثمان المسعورة التي تنم عن حقه الدفين لهم. فلنقرأ بعض النصوص الجارحة من عثمان أزاء بني هاشم، خصوصاً الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لنعرف مدى المعاناة التي كانوا يعيشونها، فقد أخرج الهيثمي في مجمع الزوائد عن سعيد بن المسيّب قال: كان لعثمان آذن فكان يخرج بين يديه للصلاة. قال: فخرج يوماً فصلّى والآذن بين يديه ثمّ جاء - فجلس الآذن ناحية - ولفّ - عثمان - رداءه فوضعه تحت رأسه واضطجع ووضع الدرة بين يديه، فأقبل عليّ في إزار ورداء ويده عصاً، فلمّا رآه الآذن من بعيد قال: هذا عليّ قد أقبل، فجلس عثمان فأخذ عليه رداءه، فجاء عليّ حتّى قام على رأسه فقال: «اشتريت ضيعة آل فلان ولوقف رسول الله ﷺ في مائها حق؟» أما إنّني قد علمت أنّه لا يشتريها غيرك». فقام عثمان وجرى بينهما كلام، حتّى ألقى الله عزّ وجلّ العبّاس فدخل بينهما، ورفع عثمان على عليّ الدرة، ورفع عليّ على عثمان العصا، فجعل العبّاس





يسكتهما ويقول لعلي: أمير المؤمنين، ويقول لعثمان: ابن عمك. فلم يزل حتى سكتهما، فلما أن كان من الغد رأيتهما وكل واحد منهما آخذ بيد صاحبه وهما يتحدثان... (انظر مجمع الزوائد للهيتمي ج ٧: ص ٢٦٦). وأخرج أيضاً في مجمع الزوائد عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ أعطانا نصيباً من خير، وأعطانا أبو بكر، فلما كان عمر وكثر عليه الناس، أرسل إلينا ثم قال: إن الناس قد كثروا عليّ، فإن شئتم أن أعطيك مكان نصيبكم من خير مالا؟ فنظر بعضنا إلى بعض، فقلنا: نعم، فطعن عمر ولم يعطنا شيئاً، فأخذها عثمان فأبى أن يعطينا وقال: قد كان عمر أخذها منكم (انظر مجمع الزوائد للهيتمي ج ٦: ص ٦). وأخرج عبد الرزاق في المصنف عن معمر عن أبي إسحاق قال: جاء أبو ذر إلى عثمان فعاب عليه شيئاً ثم قام. فجاء عليّ معتمداً على عصاً حتى وقف على عثمان، فقال له عثمان: ما تأمرنا في هذا الكذاب على الله وعلى رسوله؟ فقال عليّ: «أنزله منزلة مؤمن آل فرعون ﴿إِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾» (سورة غافر: ٢٨). فقال له عثمان: أسكت في فيك التراب. فقال عليّ: «بل في فيك التراب، استأمرتنا فأمرناك» (انظر المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ج ١: ص ٣٤٩).

أقول: لئن تسرّ عبد الرزاق أو أحد رواه فلم يذكر ما عاب به أبو ذرّ على عثمان، فلا نعدم من ذكره بأمانته، ممّن لا يخشى بطش عثمان ويطانته. فقد روى عبد الله بن أبي عمرة الأنصاري قال: لما قدم أبو ذرّ على عثمان قال: أخبرني أي البلاد أحب إليك؟ قال: مهاجري، قال: لست بمجاوري. قال: فألحق بحرم الله فأكون فيه؟ قال: لا، قال: فالكوفة أرض بها أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: لا، قال: فلست بمختار غيرهنّ، فأمره بالمسير إلى الربذة. فقال: إنّ رسول الله ﷺ قال لي: «أسمع وأطع وأنقد حيث قادوك ولو لعبد حبشي مجدوع»، فخرج إلى الربذة، فأقام هناك مدة، ثم دخل المدينة فدخل على عثمان والناس عنده سماطين. فقال: يا أمير المؤمنين، إنّك أخرجتني من أرض ليس لي بها زرع ولا ضرع إلا شويها، وليس لي خادم إلا ممررة (كذا) ولا ظلّ يظّلني إلا ظلّ شجرة، فأعطني خادماً وغنيمات (أعش) فيها، فحوّل وجهه عنه، فتحول إلى السماط الآخر فقال: مثل ذلك. فقال حبيب بن سلمة: لك عندي يا أبا ذرّ ألف درهم وخمسمائة شاة، قال أبو





ذرّ: أعط خادمك ألفك وشويهاتك من هو أحوج إلى ذلك منّي، فإنّي إنّما أسأل حقّي في كتاب الله. فجاء عليّ عليه السلام فقال له عثمان: ألا تغني عنّا سفيهك هذا؟ قال: أيّ سفيه؟ قال: أبو ذرّ. قال عليّ: «ليس بسفيه، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: "ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على أصدق لهجة من أبي ذرّ"، أنزله بمنزلة مؤمن آل فرعون ﴿إِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ (سورة غافر: ٢٨)». قال عثمان: التراب في فيك، قال عليّ عليه السلام: «بل التراب في فيك، أنشد الله من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ذلك لأبي ذرّ؟» فقام أبو هريرة وعشرة فشهدوا بذلك على قول عليّ (انظر بحار الأنوار ج ٨: ص ٣٤٦). وروى الثقفى في تاريخه بإسناده عن ابن عباس قال: استأذن أبو ذر على عثمان فأبى أن يأذن له، فقال لي: استأذن لي عليه، قال ابن عباس: فرجعت إلى عثمان فاستأذنت له، قال: إنّه يؤذيني، قلت: عسى أن لا يفعل، فأذن له من أجلي، فلمّا دخل عليه قال له: اتّق الله يا عثمان، فجعل يقول: اتّق الله وعثمان يتوعّده، قال أبو ذر: إنّه قد حدّثني نبيّ الله أنّه «يجاء بك وبأصحابك يوم القيامة فتبطحون على وجوهكم فتمر عليكم البهائم، فتطأكم كلّما مرّت أخراها ردّت أولها حتّى يفصل بين الناس» (انظر بحار الأنوار ج ٨: ص ٣١٦). وذكر الثقفى أيضاً في تاريخه عن ثعلبة بن حكيم قال: بينا أنا جالس عند عثمان وعنده أناس من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله من أهل بدر وغيرهم، فجاء أبو ذرّ يتوكّأ على عصاه فقال: السلام عليكم، فقال: اتّق الله يا عثمان، إنك تسمع كذا وكذا وتصنع كذا وكذا - وذكر مساويه - فسكت عثمان حتّى إذا انصرف. قال: من يعذرني من هذا الذي لا يدع مساءة إلّا ذكرها؟ فسكت القوم فلم يجيبوه، فأرسل إلى عليّ فجاء فقام مقام أبي ذرّ، فقال: يا أبا الحسن ما ترى أبا ذر لا يدع لي مساءة إلّا ذكرها. فقال: «يا عثمان، إنّي أنهاك عن أبي ذرّ، يا عثمان أنهاك عن أبي ذرّ (ثلاث مرّات)، اتركه، كما قال الله تعالى لمؤمن آل فرعون ﴿إِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ (سورة غافر: ٢٨)». قال له عثمان: بفيك التراب، قال له عليّ: «بل بفيك التراب»، ثمّ انصرف (انظر بحار الأنوار ج ٨: ص ٣١٦). وذكر الثقفى في تاريخه عن عبد الملك ابن أخي أبي ذر - وذكر حديث





أبي ذر بالشام ثم جلبه إلى المدينة وما لاقاه من عنف المسير :- ثم حجه عثمان جمعة وجمعة حتى مضت عشرون ليلة أو نحوها وأفاق أبو ذر، ثم أرسل إليه وهو معتمد على يدي، فدخلنا عليه وهو متكئ فاستوى قاعدًا، فلما دنا أبو ذر منه قال عثمان: تحية السخط إذا التقينا * لا أنعم الله بعمره علينا. فقال له أبو ذر: فوالله ما سماني الله عمروا، ولا سماني أبواي عمروا، وإنني على العهد الذي فارقت عليه رسول الله ﷺ ما غيرت ولا بدلت، فقال له عثمان: كذبت، لقد كذبت على نبينا، وطعنت في ديننا، وفارقت رأينا، وضغنت قلوب المسلمين علينا، ثم قال لبعض غلمانه: ادع لي قريشًا، فانطلق رسوله، فما لبثنا أن امتلأ البيت من رجال قريش فقال لهم عثمان: إنا أرسلنا إليكم في هذا الشيخ الكذاب الذي يكذب على نبينا وطعن في ديننا وضغن قلوب المسلمين علينا. وإنني قد رأيت أن أقتله وأصلبه أو أنفيه من الأرض. فقال بعضهم: رأينا لرأيك تبع وقال بعضهم: لا تفعل فإنه صاحب رسول الله ﷺ وله حق، فما منهم أحد أذى الذي عليه، فبينما هم كذلك إذ جاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه يتوكأ على عصا سرًا، فسلم عليه ونظر ولم يجد مقعدًا، فأعتمد على عصاه. فما أدري أتخلف عمدًا؟ أم يظن به غير ذلك. قال علي: «فيم أرسلتم إلينا»، فقال عثمان: أرسلنا إليكم في هذا الشيخ الذي قد كذب على نبينا وطعن في ديننا وخالف رأينا، وضغن قلوب المسلمين علينا، وقد رأينا أن نقتله أو نصلبه أو نفيه من الأرض. قال علي: «أفلا أدلكم على خير من ذلكم وأقرب رشدًا؟ تتركونه بمنزلة مؤمن آل فرعون ﴿إِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ (سورة غافر: ٢٨)». قال له عثمان: بفيك التراب، فقال له علي: «بل بفيك التراب، وسيكون»، فأمر بالناس فاخرجوا (انظر بحار الأنوار ج ٨: ص ٣١٨). وذكر الثقفى في تاريخه عن المعرور بن سويد قال: كان عثمان يخطب، فأخذ أبو ذر بحلقة الباب فقال: أنا أبو ذر من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا جندب سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح في قومه من تخلف عنها هلك، ومن ركبها نجا». قال له عثمان: كذبت. فقال له علي رضي الله عنه: «إنما كان عليك أن تقول كما قال العبد الصالح ﴿إِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ





صَادَقًا يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ» (سورة غافر: ٢٨)، فما أتمّ حتّى قال عثمان: بفيك التراب. فقال عليّ عليه السلام: «بل بفيك التراب» (انظر بحار الأنوار ج ٨: ص ٣١٧).

أقول: يبدو أن شتم عثمان للإمام عليه السلام بفيك التراب، وردّ الإمام عليه بمثلها، كانت في مواطن عديدة، فقد مرّت آنفاً في مخالقات شرعية في مسائل الحجّ في أكل المحرم الصيد، فراجع. وجاءت أيضاً قريباً ففي المسجد وفي بيت عثمان مكرراً. أخرج عبد الرزاق في المصنف بسنده إلى أبي كعب الحارثي وهو ذو الأداة - وقد مرّ بعض حديثه في حفصة وسعد بن أبي وقاص - قال: «فلقي - عثمان - عليّاً بباب المسجد فقال له عليّ: «أين تريد؟» قال: أريد هذا الذي كذا وكذا، يعني سعد بن أبي وقاص، فشتمه. فقال له عليّ: «أيها الرجل دع هذا عنك». قال: فلم يزل بهما الكلام حتّى غضب عثمان، فقال: ألسن المتخلف عن رسول الله ﷺ يوم تبوك؟! قال عليّ: «ألسن الفارّ عن رسول الله ﷺ يوم أحد؟» قال: ثمّ حجز بينهما الناس (انظر المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ج ١١: ص ٣٥٦).

أقول: إنّ من السخرية بمكان، أن يقول ذلك عثمان، وهو يعلم أن ذلك كان من قول المنافقين في يوم تبوك. لقد جاء في كلام الإمام الحسن الزكي عليه السلام قال لمعاوية وأصحابه: «أنشدكم بالله أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ استخلفه على المدينة في غزوة تبوك ولا سخطه ذلك ولا كرهه، وتكلّم فيه المنافقون...» (انظر بحار الأنوار ج ٤٤: ص ٧٨). كما يعلم هو وغيره أن ذلك كان سبب قول النبي ﷺ لعليّ يومئذ: «ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي فعرف ذلك بحديث المنزلة»، وقد استوفى ابن عساكر طرقه في تاريخه. وقال: وقد رواه جمع كثير من الصحابة والأنصار والتابعين، وذكر من رواه عمر بن الخطّاب وسعد بن أبي وقاص بطرق عنه كثيرة، ثمّ ذكر أسماء ما يزيد على عشرين صحابياً ممّن روى الحديث المذكور (تاريخ مدينة دمشق دمشق

«ترجمة الإمام» ج ١: ص ٢٨١-٣٦٤). وقال ابن عبد البرّ في الاستيعاب في أوائل ترجمة الإمام بعد أن ذكر الحديث: هو من أثبت الآثار وأصحّها رواه عن النبي ﷺ سعد بن أبي وقاص، وطرق حديث سعد فيه كثيرة جداً، وقد ذكرها ابن أبي خثيمة وغيره، ورواه ابن عباس وأبو سعيد الخدري وأمّ سلمة وأسماء بنت عميس وجابر بن عبد الله الأنصاري

←



وجماعة يطول ذكرهم (انظر الاستيعاب ج ٢: ٤٥٩). هذا الحديث أخرجه جميع أصحاب الصحاح الستة كما أخرجه الكثيرون من المحدثين والمؤرخين وأرباب السير، ومنهم ابن سعد في الطبقات بسنده عن البراء بن عازب وزيد بن أرقم قالا: لما كان عند غزوة جيش العسرة وهي تبوك قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب: «إنه لا بد من أن أقيم أو تقيم فخلفه»، فلما نصل رسول الله ﷺ غازیاً قال ناس: ما خلف علياً إلا لشيء كرهه منه، فبلغ ذلك علياً فاتبع رسول الله ﷺ حتى انتهى إليه فقال له: «ما جاء بك يا علي؟» قال: لا يا رسول الله، إلا إنني سمعت ناساً يزعمون أنك إنما خلفتني لشيء كرهته مني! فتضاحك رسول الله ﷺ وقال: «يا علي، أما ترضى أن تكون مني كهارون من موسى غير أنك لست بنبي؟» قال: «بلى يا رسول الله»، قال: فإنه كذلك (انظر طبقات ابن سعد ج ٣: ص ١٥). وذكر ابن سعد الحديث برواية سعد بن أبي وقاص وفيه: فأدبر علي مسرعاً كأتى أنظر إلى غبار قدميه يسطح (انظر طبقات ابن سعد ج ٣: ص ١٥). ولا يبعد من مناوئي الإمام من العثمانيّة أنهم اختلقوا لعثمان تجهيز جيش العسرة في مقابل حديث المنزلة يومئذ. هذا عن تعيين عثمان للإمام بتخلفه يوم تبوك. أمّا عن جواب الإمام وتعيينه لعثمان بفراره يوم أحد فهو ممّا ثبت عنه وكان يعير به دائماً ولم يستطع إنكاره مرّة واحدة بل كان يقول لمن عيره به كعبد الرحمن بن عوف: أتغيرني بذنب قد عفا الله لي عنه. فهو من المنهزمين في يوم أحد ولم يعد إلا بعد ثلاثة أيام ذكر الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ (سورة آل عمران: ١٥٥). إنّ من المنهزمين عمر... ومنهم عثمان انهزم مع رجلين من الأنصار يقال لهما سعد وعقبة، انهزموا حتى بلغوا موضعاً بعيداً ثم رجعوا بعد ثلاثة أيام (راجع أيضاً الإصابة لابن حجر في ترجمة رافع بن المعلى الأنصاري وسعيد بن عثمان الأنصاري، فقد ذكر نزول الآية في الرجلين ومعهما عثمان بن عفان). وروى البلاذري في الأنساب قال: حدّثني عباس بن هشام عن أبيه عمّن حدّثه عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن أبيه عن عبد الله بن عباس: إنّ عثمان شكّا علياً إلى العباس فقال له: يا خال إنّ علياً قد قطع رحمي وألب الناس عليّ، والله لئن كنتم يا بني عبد المطلب أقررتم هذا الأمر في





أيدي بني تيم وعدي فبنو عبد مناف أحق أن لا تنازعوهم فيه ولا تحسدوهم عليه. قال عبد الله بن العباس: فأطرق أبي طويلاً ثم قال: يا ابن أخت لئن كنت لا تحمدُ علياً فما نحمدك له، وإنَّ حقَّك في القرابة والإمامة للحقِّ الذي لا يُدفع ولا يُجحد، فلو رقيت فيما نطأطأ، أو تطأطأت فيما رقي تقاربتما، وكان ذلك أوصل وأجمل. قال: قد صيرت الأمر عن ذلك إليك فقرَّب الأمر بيننا. قال: فلمَّا خرجنا من عنده دخل عليه مروان فأزاله عن رأيه، فما لبثنا أن جاء أبي رسول عثمان بالرجوع إليه فلمَّا رجع قال: يا خال أحبُّ أن تؤخِّر النظر في الأمر الذي ألقيت إليك حتَّى أرى من رأيي. فخرج أبي من عنده ثمَّ التفت إليَّ فقال: يا بُني ليس إلى هذا الرجل من أمره شيء. ثمَّ قال: اللَّهُمَّ أسبق بي الفتن ولا تبقني إلى ما لا خير لي في البقاء إليه. فما كانت جمعة حتَّى هلك (انظر أنساب الأشراف ج ١: ص ٤٩٨). وروى الزبير بن بكار في كتابه الموفقيات عن عبد الله بن عباس قال: ما سمعت من أبي شيئاً قط في أمر عثمان يلومه فيه ولا يعذره، ولا سألته عن شيء من ذلك مخافة أن أهجم منه على ما لا يوافق، فأنا عنده ليلة ونحن نتعشى إذ قيل هذا أمير المؤمنين عثمان بالباب، فقال: ائذنوا له، فدخل فأوسع له على فراشه وأصاب من العشاء معه، فلمَّا رفع قام من كان هناك وثبت أنا، فحمد الله عثمان وأثنى عليه ثمَّ قال: أمَّا بعد يا خال فإنِّي قد جئتكَ أستعذرُكَ من ابن أخيك عليّ سبَّني وشهر أمري وقطع رحمي وطعن في ديني، وإنِّي أعوذ بالله منكم يا بني عبد المطلب إن كان لكم حقٌّ تزعمون أنكم غلبتم عليه فقد تركتموه في يدي من فعل ذلك بكم، وأنا أقرب إليكم رحماً منه، وما لمت منكم أحداً إلاّ علياً، ولقد دعيت أن أبسط عليه فتركته لله والرحم وأنا أخاف أن لا يتركني فلا أتركه. قال ابن عباس: فحمد أبي الله وأثنى عليه ثمَّ قال: أمَّا بعد يا بن أختي فإن كنت لا تحمد علياً لنفسك فإنِّي لأحمدك لعليّ وما عليّ وحده قال فيك بل غيره، فلو أنك اتَّهمت نفسك للناس اتَّهم الناس أنفسهم لك، ولو أنك نزلت ممَّا رقيت وارتقوا ممَّا نزلوا، فأخذت منهم وأخذوا منك ما كان بذلك بأس. قال عثمان: فذلك إليك يا خال وأنت بيني وبينهم. قال: أفأذكر لهم ذلك عنك؟ قال: نعم، وانصرف. فما لبثنا أن قيل: هذا أمير المؤمنين قد رجع بالباب، قال أبي: ائذنوا له، فدخل فقام قائماً ولم يجلس، وقال: لا





تعجل يا خال حتى أؤذنك. فنظرنا فإذا مروان بن الحكم كان جالساً بالباب ينتظره حتى خرج، فهو الذي ثناه عن رأيه الأول. فأقبل عليّ أبي وقال: يا بني ما إلى هذا من أمره شيء، ثم قال: يا بني أملك عليك لسانك حتى ترى ما لا بد منه. ثم رفع يديه فقال: اللهم اسبق بي ما لا خير لي في إدراكه، فما مرت جمعة حتى مات رحمه الله (انظر شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٢: ص ٣٩٧). وهذه الواقعة غير التي سبقتها وإن عاصرتها زماناً ففي الأولى كانت الشكوى في دار عثمان والعبّاس حاضر عنده. أمّا هذه فهي في دار العبّاس وعثمان حاضر عنده، ولا مانع من تعددهما إذا عرفنا تحبّط السياسة يومئذ في معالجة مشاكل الناس واستحواذ مروان على عثمان في تدبير أموره. وروى البلاذري في أنساب الأشراف بإسناده عن صهيب مولى العبّاس: إنّ العبّاس قال لعثمان: أذكرك الله في أمر ابن عمك وابن خالك وصهرك وصاحبك مع رسول الله ﷺ، فقد بلغني أنك تريد أن تقوم به وبأصحابه. فقال: أول ما أجيبك به أنّي قد شفّعتك، إنّ عليّاً لو شاء لم يكن أحد عندي إلّا دونه ولكن أبي إلّا رأيه. ثم قال لعليّ مثل قوله لعثمان، فقال عليّ: لو أمرني عثمان أن أخرج من داري لخرجت (أنساب الأشراف ج ١: ص ٤٩٨ و ٤٩٩). روى الواقدي في كتاب الشورى عن ابن عبّاس قال: شهدت عتاب عثمان لعليّ عليه السلام يوماً، فقال له في بعض ما قاله: نشدتك الله أن تفتح للفرقة باباً، فلعهدي بك وأنت تطيع عتيقاً وابن الخطاب طاعتك لرسول الله ﷺ ولست بدون واحد منهما، وأنا أمس بك رحماً وأقرب إليك صهرًا، فإن كنت تزعم أنّ هذا الأمر جعله رسول الله ﷺ لك، فقد رأيناك حين توفي نازعت ثم أقررت، فإن كانا لم يركبا من الأمر جدّاً فكيف أذعنت لهما بالبيعة وبخعت بالطاعة، وإن كانا أحسنا فيما وليا ولم أقصر عنهما في ديني وحسبي وقرباتي فكن لي كما كنت لهما. فقال عليّ عليه السلام: «أمّا الفرقة فمعاذ الله أن أفتح لها باباً وأسهل إليها سبيلاً، ولكنّي أنهاك عمّا ينهاك الله ورسوله عنه، وأهديك إلى رشدك. وأمّا عتيق وابن الخطاب فإن كانا أخذوا ما جعله رسول الله ﷺ لي فأنت أعلم بذلك والمسلمون، وما لي ولهذا الأمر وقد تركته منذ حين. فأما أن لا يكون حقي بل المسلمون فيه شرع فقد أصاب السهم الثغرة، وأمّا أن يكون حقي دونهم، فقد تركته لهم طبت به نفساً، ونفصت يدي عنه





استصلاحاً. وأما التسوية بينك وبينهما فليست كأحدهما، إنهما وليا هذا الأمر فطلقا أنفسهما وأهلهما عنه. وعُمتَ فيه وقومك عوم السابح في اللجة، فارجع إلى الله أبا عمرو وانظر هل بقي من عمرك إلا كظم الحمار فحتى متى وإلى متى؟ ألا تنهى سفهاء بني أمية عن أعراض المسلمين وأبشارهم وأموالهم؟ والله لو ظلم عامل من عمالك حيث تغرب الشمس لكان إثمه مشتركاً بينه وبينك. قال ابن عباس: فقال عثمان: لك العتبي، وافعل وأعزل من عمالي كل من تكرهه ويكرهه المسلمون. ثم افترقا فصده مروان بن الحكم عن ذلك، وقال يجتريء عليك الناس فلا تعزل أحداً منهم (انظر شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٢: ص ٣٩٨). وروى الزبير بن بكار في كتابه الموفقيات بسنده عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «أرسل إلي عثمان في الهاجرة فتقنعت بثوبي وأتيته، فدخلت عليه وهو على سريرته وفي يده قضيب وبين يديه مال دثر صبرتان من ورق وذهب. فقال: دونك خذ من هذا حتى تملأ بطنك فقد أحرقتني، فقلت: وصلتك رحم إن كان هذا المال ورثته أو أعطاكه معط أو اكتسبته من تجارة. كنتُ أحد رجلين إما آخذ وأشكر، أو أوفر وأجهد، وإن كان من مال الله وفيه حق المسلمين واليتيم وابن السبيل، فوالله ما لك أن تعطينيه، ولا لي أن آخذه. فقال أبيت والله إلا ما أبيت، ثم قام إلي بالقضيب فضرمني، والله ما رددت يده حتى قضى حاجته، فتقنعت بثوبي ورجعت إلى منزلي، وقلت: الله يبيني وبينك إن كنت أمرتك بمعروف ونهيت عن منكر» (انظر شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٢: ص ٣٩٨). وروى الزبير بن بكار في كتاب الموفقيات عن ابن عباس قال: صليت العصر يوماً ثم خرجت فإذا أنا بعثمان في أيام خلافته في بعض أزقة المدينة وحده، فأتيته إجلالاً وتوقيراً لمكانه، فقال لي: هل رأيت علياً؟ قلت: خلفته في المسجد، فإن لم يكن الآن فيه فهو في منزله. قال: أما منزله فليس فيه فابغه لنا في المسجد، فتوجهنا إلى المسجد، وإذا علي عليه السلام يخرج منه. قال ابن عباس: وقد كنت أمس ذلك اليوم عند علي فذكر عثمان وتجريمه عليه، وقال: أما والله يا بن عباس أن من دوائه لقطع كلامه وترك لقائه، فقلت له: يرحمك الله كيف لك بهذا، فإن تركته ثم أرسل إليك فما أنت صانع؟ قال: أعتلّ واعتلّ فمن يضرّني؟ قال: لا أحد. قال ابن عباس: فلمّا تراء يناله وهو خارج من





المسجد ظهر منه من التفات والطلب للانصراف ما استبان لعثمان، فنظر إليّ عثمان وقال: يا بن عباس أما ترى ابن خالنا يكره لقاءنا؟ فقلت: ولمّ وحقّك، الزم وهو بالفضل أعلم. فلمّا تقاربا رماه عثمان بالسلام فردّ عليه، فقال عثمان: إن تدخل فيّاك أردنا، وإن تمض فيّاك طلبنا. فقال عليّ: «أيّ ذلك أحببت»، قال: تدخل، فدخلا وأخذ عثمان بيده فأهوى به إلى القبلة فقصر عنها وجلس قبالتها، فجلس عثمان إلى جانبه، فنكصت عنهما، فدعواني جميعاً فأتيتهما. فحمد الله عثمان وأثنى عليه وصلى على رسوله ثمّ قال: أمّا بعد يا بني خاليّ وابني عمّي، فإذ جمعتهما في النداء فاستجمعكما في الشكاية على رضائي عن أحدكما ووجدني على الآخر، إنني أستعذركما من أنفسكما وأسألكما فيأتكما وأستوهبكما رجعتكما، فوالله لو غالبني الناس ما أنتصرت إلّا بكما، ولو تهضمّوني ما تعزّزت إلّا بعزكما، ولقد طال هذا الأمر بيننا حتّى تخوّفت أن يجوز قدره ويعظم الخطر فيه. ولقد هاجني العدوّ عليكما وأغراني بكما، فمنحني الله والرحم ممّا أراد، وقد خلونا في مسجد رسول الله ﷺ وإلى جانب قبره، وقد أحببت أن تظهرالي رأيكما وما تنطويان لي عليه وتصدقا، فإنّ الصدق أنجى وأسلم وأستغفر الله لي ولكما. قال ابن عباس: فأطرق عليّ ﷺ وأطرقت معه طويلاً. أمّا أنا فأجللته أن أتكلّم قبله وأمّا هو فأراد أن أجيب عنيّ وعنه، ثمّ قلت له: أتتكلّم أم أتكلّم أنا عنك؟ قال: بل تكلّم عنيّ وعنك. فحمدت الله وأثّنت عليه، وصليت على رسوله ثمّ قلت: أمّا بعد يا بن عمّا وعمّنا فقد سمعنا كلامك لنا وخلطك في الشكاية بيننا على رضاك - زعمت - عن أحدنا ووجدك على الآخر، وسنفعل في ذلك فنذمك ونحمدك، اقتداء منك بفعلك فينا، فأنا نذمّ مثل تهمتك إيّانا على ما اتّهمتنا عليه بلا ثقة إلّا ظناً، ونحمد منك غير ذلك من مخالفتك عشيرتك، ثمّ نستعذر من نفسك استعذارك إيّانا من أنفسنا، ونستوهبك فيأتك استيهابك إيّانا فيأتنا، ونسألك رجعتك مسألتك إيّانا رجعتنا، فإنّا معاً أيّما حمدت وذممت ممّا كمثلك في أمر نفسك، ليس بيننا فرق ولا اختلاف، بل كلانا شريك صاحبه في رأيه وقوله، فوالله ما تعلمنا غير معذّرين فيما بيننا وبينك، ولا تعرفنا غير قانتين عليك ولا تجدنا غير راجعين إليك، فنحن نسألك من نفسك مثل ما سألتنا من أنفسنا. وأمّا قولك: لو غالبتي الناس ما





انتصرت إلا بكما أو تهضموني ما تعزّزت إلا بعزكم، فأين بنا وبك عن ذلك ونحن وأنت كما قال أخو كنانة: بدا بخير ما رام نال وإن يرم * نخض دونه غمرا من اللغر رائمه. لنا ولهم منا ومنهم على العدى * مراتب عزّ مصعدات سلالمه. وأما قولك في هيج العدو إياك وإغرائه لك بنا، فوالله ما أتاك العدو من ذلك شيئا إلا وقد أتانا بأعظم منه فمغنائه ما أراد ما منعك من مراقبة الله والرحم، وما أبقيت أنت ونحن إلا على أدياننا وأعراضنا ومروآتنا، ولقد لعمرى طال بنا وبك هذا الأمر حتى تخوفنا منه على أنفسنا وراقبنا منه ما راقبت. وأما مساءلتك إيانا عن رأينا فيك وما ننطوي عليه لك، فإننا نخبرك أن ذلك إلى ما تحب لا يعلم واحد منا من صاحبه إلا ذلك، ولا يقبل منه غيره، وكلانا ضامن على صاحبه ذلك وكفيل به، وقد برأت أحدا وزكّيته وأنطقت الآخر وأسكته، وليس السقيم منا ممّا كرهت بأنطق من البري فيما ذكرت، ولا البري منا ممّا سخطت بأظهر من السقيم فيما وصفت، فإنما جمعتنا في الرضا وإنما جمعتنا في السخط، لنجازيك بمثل ما تفعل بنا في ذلك مكايلة الصاع بالصاع، فقد أعلمناك رأينا وأظهرنا لك ذات أنفسنا وصدقناك، والصدق - كما ذكرت - أنجى وأسلم، فأجب إلى ما دعوت إليه، وأجلل عن النقص والعذر مسجد رسول الله ﷺ وموضع قبره، وأصدق تنج وتسلم ونستغفر الله لنا ولك. قال ابن عباس: فنظر إليّ عليّ عليه السلام نظر هيبة، وقال: «دعه حتى يبلغ رضاه فيما هو فيه. فوالله لو ظهرت له قلوبنا وبدت له سرائرنا حتى رآها بعينه كما يسمع الخبر عنها بإذنه ما زال متجرّما منتقما، والله ما أنا ملقى على وضمة، وإنّي لمانع ما وراء ظهري، وإنّ هذا الكلام لمخالفة منه وسوء عشرة». فقال عثمان: مهلاً أبا حسن، فوالله إنك لتعلم أنّ رسول الله ﷺ وصفني بغير ذلك يوم يقول وأنت عنده: إنّ من أصحابي لقوماً سالمين لهم، وإنّ عثمان لمنهم أنّه لأحسنهم بهم ظناً وأنصحهم لهم حباً. فقال عليّ عليه السلام: «فصدّق قوله ﷺ بفعلك، وخالف ما أنت الآن عليه، فقد قيل لك ما سمعت وهو كاف إن قبلت»، قال عثمان: تنق يا أبا الحسن؟ قال: «نعم أثق ولا أظنك فاعلاً». قال عثمان: قد وثقت وأنت ممّن لا يخفر صاحبه ولا يكذب لقليله. قال ابن عباس: فأخذت بأيديهما حتى تصافحا وتصالحا وتمازحا، ونهضت عنهما فتشاورا وتأمرا وتذاكرا، ثم افترقا، فوالله ما مرّت ثلاثة





حَتَّى لَقِينِي كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَذْكُرُ مِنْ صَاحِبِهِ مَا لَا تَبْرُكُ عَلَيْهِ الْإِبِلُ، فَعَلِمْتُ أَنَّ لَا سَبِيلَ إِلَى صَلَاحِهِمَا بَعْدَهَا (انظر شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٢: ص ٣٩٩). وروى الزبير بن بكار في كتاب الموفقيات عن عمه عن عيسى بن داود عن رجاله قال: قال ابن عباس: لَمَّا بَنَى عَثْمَانُ دَارَهُ بِالْمَدِينَةِ أَكْثَرَ النَّاسَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ فَبَلَغَهُ، فَخَطَبْنَا فِي يَوْمٍ جُمُعَةٍ ثُمَّ صَلَّى بَنَّا ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمَنبَرِ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى رَسُولِهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ النِّعْمَةَ إِذَا حَدَّثَتْ حَدَثَ لَهَا حَسَادٌ حَسِبَهَا وَأَعْدَاءُ قَدَرَهَا، وَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَحْدِثْ لَنَا نِعْمًا لِيَحْدِثَ لَهَا حَسَادٌ عَلَيْهَا وَمَنَافِسُونَ فِيهَا، وَلَكِنَّهُ قَدْ كَانَ مِنْ بِنَاءِ مَنْزِلِنَا هَذَا مَا كَانَ إِرَادَةَ جَمْعِ الْمَالِ فِيهِ وَضَمِّ الْقَاصِيَةِ إِلَيْهِ. فَأَتَانَا عَنْ أَنَاسٍ مِنْكُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ أَخَذَ فَيَأْتِيْنَا وَأَنْفَقَ شَيْئًا وَاسْتَأْثَرَ بِأَمْوَالِنَا، يَمْشُونَ خُمْرًا، وَيَنْطَقُونَ سِرًّا، كَأَنَّا غَيَّبَ عَنْهُمْ، وَكَأَنَّهُمْ يَهَابُونَ مُوَاجَهَتِنَا، مَعْرِفَةَ مِنْهُمْ بِدَحْوِضِ حُجَّتِهِمْ، فَإِذَا غَابُوا عَنَّا يَرُوحُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ يَذْكُرُنَا، وَقَدْ وَجَدُوا عَلَى ذَلِكَ أَعْوَانًا مِنْ نَظَرَائِهِمْ وَمُؤَازِرِينَ مِنْ شَبَهَائِهِمْ، قُبْعًا بَعْدًا، وَرَغْمًا رَغْمًا. ثُمَّ أَنْشَدَ بَيْتَيْنِ كَأَنَّهُ يَوْمِيَّ فِيهِمَا إِلَى عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: تَوَقَّدَ بِنَارٍ أَيْنَمَا كُنْتَ وَاشْتَغَلَّ * فَلَسْتَ تَرَى مِمَّا تَعَالَجُ شَافِيًا. تَشْطُ فَيَقْصِي الْأَمْرَ دُونَكَ أَهْلُهُ * وَشَيْكَأً وَلَا تَدْعِي إِذَا كُنْتَ نَائِيًا. مَا لِي وَلَفَيْتُكُمْ وَأَخَذَ مَالَكُمْ، أَلَسْتُ مِنْ أَكْثَرِ قَرِيشٍ مَالًا وَأَظْهَرَهُمْ مِنَ اللَّهِ نِعْمَةً؟ أَلَمْ أَكُنْ عَلَى ذَلِكَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَبَعْدَهُ؟ وَهَبُونِي بَنِيْتُ مَنْزَلًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ أَلَيْسَ هُوَ لِي وَلَكُمْ؟ أَلَمْ أَقُمْ أُمُورَكُمْ، وَإِنِّي مِنْ وَرَاءِ حَاجَاتِكُمْ؟ فَمَا تَفْقَدُونَ مِنْ حَقُوقِكُمْ شَيْئًا؟ فَلَمْ لَا أَصْنَعْ فِي الْفَضْلِ مَا أَحْبَبْتُ؟ فَلَمْ كُنْتُ إِمَامًا إِذَا؟ أَلَا وَإِنْ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ أَنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكُمْ أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: لِنَفْعَلَنَّ بِهِ وَلِنَفْعَلَنَّ، فَبِمَنْ تَفْعَلُونَ؟ اللَّهُ آبَاؤُكُمْ، أَبْنَقْدُ الْبَقَاعَ أَمْ بَفَقْعِ الْقَاعِ؟ أَلَسْتُ أَحْرَاكُمْ إِنْ دَعَا أَنْ يَجَابَ؟ وَأَقْمَنُكُمْ إِنْ أَمَرَ أَنْ يُطَاعَ؟ لَهْفِي عَلَى بَقَائِي فِيكُمْ بَعْدَ أَصْحَابِي، وَحَيَاتِي فِيكُمْ بَعْدَ أَتْرَابِي، يَا لَيْتَنِي تَقَدَّمْتُ قَبْلَ هَذَا، لَكِنِّي لَا أَحِبُّ خِلَافَ مَا أَحَبَّهُ اللَّهُ لِي عَزَّ وَجَلَّ. إِذَا شِئْتُمْ، فَإِنَّ الصَّادِقَ الْمَصْدُوقَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ حَدَّثَنِي بِمَا هُوَ كَاتِنٌ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِكُمْ، وَهَذَا بَدْءُ ذَلِكَ وَأَوَّلُهُ، فَكَيْفَ الْهَرَبُ مِمَّا حَتَمَ وَقَدَّرَ، أَمَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ بَشَّرَنِي فِي آخِرِ حَدِيثِهِ بِالْجَنَّةِ دُونَكُمْ إِذَا شِئْتُمْ فَلَا أَفْلَحَ مِنْ نَدَمٍ. قَالَ: ثُمَّ هُمْ بِالنَّزُولِ فَبَصَرَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ وَنَاسٌ مِنْ أَهْلِ هَوَاةٍ يَتَنَاجُونَ فَقَالَ: إِيهَآ إِيهَآ أَسْرَارًا لَا





جهاراً، أما والذي نفسي بيده ما أحق على جرة ولا أوتى على ضعف مرة، ولولا النظر لي ولكم والرفق بي وبكم لعاجلتكم فقد اغتررتكم، وأقلتم من أنفسكم، ثم رفع يديه يدعو ويقول: اللهم قد تعلم حبي للعافية فألبسنيها، وإيثاري للسلامة فأتنيها. قال: ففرق القوم عن عليّ عليه السلام، وقام عدي بن الخيار فقال: أتم الله عليك يا أمير المؤمنين النعمة وزادك في الكرامة، والله لأن تحسد أفضل من أن تحسد، ولأن تنافس أجل من أن تنافس، أنت والله في حبنا الصميم ومنصبنا الكريم، إن دعوت أجبت، وأن أمرت أطعت، فقل نفعل وادع نجب. جعلت الخيرة والشورى إلى أصحاب رسول الله ﷺ ليختاروا لهم ولغيرهم، وأنهم ليرون مكانك ويعرفون مكان غيرك، فاخترارك منيين طائعين غير مكرهين ولا مجبرين، ما غيرت ولا فارقت ولا بدلت ولا خالفت، فعلام يقدّمون عليك، وهذا رأيهم فيك، أنت والله كما قال الأول: اذهب إليك فما للحسود * طلابك تحت العثار. حكمت فما جرت في خلة * فحكمك بالحق بادي المنار. فإن يسبعوك قسراً وقد * جهرت بسيفك كلّ الجهار. قال: ونزل عثمان فأتى منزله، وأتاه الناس وفيهم ابن عباس، فلما أخذوا مجالسهم أقبل على ابن عباس فقال: ما لي ولكم يا بن عباس؟ ما أغراكم بي وأولعكم بتعقب أمري؟ أتتقمون عليّ أمر العامة أتيت من وراء حقوقهم أم أمركم، فقد جعلتهم يتمنون منزلتكم، لا والله لكن الحسد والبغي وتشوير الشر وإحياء الفتن والله لقد ألقى النبي ﷺ إليّ ذلك، وأخبرني عن أهله واحداً واحداً، والله ما كذبت ولا أنا بمكذوب. فقال ابن عباس: على رسلك يا أمير المؤمنين، فوالله ما عهدتك جهراً بسرّك ولا مظهراً ما في نفسك، فما الذي هيّجك وثورك؟ إنّا لم يولعنا بك أمر، ولم نتعقب أمرك بشيء، أتيت بالكذب وتوسّو عليك بالباطل، والله ما نقمنا عليك لنا ولا للعامة، قد أوتيت من وراء حقوقنا وحقوقهم، وقضيت ما يلزمك لنا ولهم، فأما الحسد والبغي وتشوير الفتن وإحياء الشر فمتى رضيت به عترة النبي وأهل بيته، كيف وهم منه وإليه، على دين الله يثورون الشر؟ أم على الله يحيون الفتن؟ كلا ليس البغي ولا الحسد من طباعهم، فأتد يا أمير المؤمنين وأبصر أمرك وأمسك عليك، فإن حالتك الأولى خير من حالتك الأخرى، لعمرى إن كنت لأثيراً عند رسول الله وإن كان ليفضي إليك بسرّه ما يطويه عن غيرك ولا





كذبت ولا أنت بمكذوب، أخسىء الشيطان عنك ولا يركبك، وأغلب غضبك ولا يغلبك، فما دعاك إلى هذا الأمر الذي كان منك؟ قال: دعاني إليه ابن عمك علي بن أبي طالب. فقال ابن عباس: وعسى أن يكذب مبلّغك؟ قال عثمان: إنه ثقة. قال ابن عباس: إنه ليس بثقة من بلغ وأغرى. قال عثمان: يا بن عباس الله أنك ما تعلم من علي ما شكوت منه؟ قال: اللهم لا، إلا أن يقول كما يقول الناس ينقم كما ينقمون، فمن أغراك به وأولعك بذكره دونهم؟ فقال عثمان: إنما آفتي من أعظم من الداء الذي ينصب نفسه لرأس الأمر وهو علي بن عمك، وهذا والله كله من نكده وشؤمه. قال ابن عباس: مهلاً، استثن يا أمير المؤمنين، قل إن شاء الله. فقال: إن شاء الله، ثم قال: إنني أشدك يا بن عباس الإسلام والرحم فقد والله غلبت وابتليت بكم والله لوددت أن هذا الأمر كان صار إليكم دوني، فحملتموه عني وكنت أحد أعوانكم عليه، إذاً والله لو جردتموني لكم خيراً مما وجدتكم لي. ولقد علمت أن الأمر لكم ولكن قومكم دفعوكم عنه واختزلوه دونكم، فوالله ما أدري أرفعوه عنكم، أم رفعوكم عنه؟

قال ابن عباس: مهلاً يا أمير المؤمنين، فإننا ننشدك الله والإسلام والرحم مثل ما نشدتنا أن تطمع فينا وفيك عدوًّا، وتشمت بنا وبك حسوداً، إن أمرك إليك ما كان قولاً، فإذا صار فعلاً فليس إليك ولا في يدك، وإننا والله لنخالفن إن خولفنا ولننازعن إن نوزعنا، وما تمنيك أن يكون الأمر صار إلينا دونك إلا أن يقول قائل منا ما يقوله الناس، ويعيب كما عابوا. فأما صرف قومنا عنا الأمر فعن حسد قد والله عرفته، وبغي قد والله علمته، فالله بيننا وبين قومنا. وأما قولك: إنك لا تدري أرفعوه عنا أم رفعونا عنه، فلعمري إنك لتعرف إنه لو صار إلينا هذا الأمر ما ازددنا به فضلاً إلى فضلنا، ولا قدراً إلى قدرنا، وإننا لأهل الفضل وأهل القدر، وما فضل فاضل إلا بفضلنا، ولا سبق سابق إلا بسبقنا، ولولا هدينا ما اهتدى أحد، ولا أبصروا من عمى ولا قصدوا من خور. فقال عثمان: حتى متى يا بن عباس يأتيني عنكم ما يأتيني، هبوني كنت بعيداً ما كان لي من الحق عليكم أن أراقب وأن أنظر، بلى ورب الكعبة، ولكن الفرقة سهلت لكم القول في وتقدمت لكم إلى الإسراع إليّ والله المستعان. قال ابن عباس: مهلاً حتى ألقى علياً ثم أحمل إليك على قدر ما أرى.





قال عثمان: افعل فقد فعلت، وطالما طلبت فلا أطلب ولا أجاب ولا أعتب. قال ابن عباس: فخرجت فلقيت علياً وإذا به من الغضب والتلظي أضعاف ما بعثمان، فأردت تسكينه فامتنع، فأتيت منزلي وأغلقت بابي واعتزلتهما. فبلغ ذلك عثمان فأرسل إليّ فأتيته وقد هدأ غضبه، فنظر إليّ ثم ضحك وقال: يا بن عباس ما أبطأ بك عنا؟ إن تركك العود إلينا لدليل على ما رأيت عند صاحبك، وعرفت من حاله فإله بيننا وبينه خذ بنا في غير ذلك. قال ابن عباس: فكان عثمان بعد ذلك إذا أتاه عن عليّ فأردت التكذيب عنه يقول: ولا يوم الجمعة أبطأت عنا وتركت العود إلينا، فلا أدري كيف أردّ عليه... (انظر شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٢: ص ٣٩٩). وروى الزبير بن بكار أيضاً في الموفقيات عن ابن عباس قال: خرجت من منزلي سحراً أسابق إلى المسجد وأطلب الفضيلة فسمعت خلفي حساً وكلاماً فتسمعت فإذا حسّ عثمان وهو يدعو ولا يرى أنّ أحداً يسمعه ويقول: اللهم قد تعلم يتّبي فأعني عليهم، وتعلم الذين ابتليت بهم من ذوي رحمي وقرابتي فأصلحني لهم وأصلحهم لي. قال: فقصرّت من خطوتي وأسرع في مشيتي فالتقينا فسلم فرددت عليه. فقال: إنني خرجت ليلتنا هذه أطلب الفضل والمساواة إلى المسجد، فقلت: إنّه أخرجني ما أخرجك، فقال: والله لئن سابقت إلى الخير إنك لمن سابقين مباركين، وإنني لأحبكم وأتقرب إلى الله بحبكم. فقلت: يرحمك الله يا أمير المؤمنين إنّا لنحبك ونعرف سابقتك وسنك وقرابتك وصهرك. قال: يا بن عباس فما لي ولا بن عمك وابن خالي، قلت: أي بني عمومتي وبني أخوالك؟ قال: اللهم غفراً تسأل مسألة الجاهل، قلت: إن بني عمومتي من بني خؤلتك كثير فأتيهم تعني؟ قال: أعني علياً لا غيره. فقلت: لا والله يا أمير المؤمنين ما أعلم منه إلاّ خيراً ولا أعرف له إلاّ حسناً. قال: والله بالبحري أن يستر دونك ما يظهره لغيرك، ويقبض عنك ما يبسط به إلى سواك. قال: ورمينا بعمار بن ياسر فسلم فرددت عليه سلامه ثم قال: من معك؟ قلت أمير المؤمنين عثمان. قال نعم وسلم بكنته ولم يسلم عليه بالخلافة فردّ عليه. ثم قال عمار: ما الذي كنتم فيه فقد سمعت ذرواً منه؟ قلت: هو ما سمعت، فقال عمار: ربّ مظلوم غافل وظالم متجاهل. قال عثمان: أما إنك من شانتنا وأتباعهم، وأيم الله إنّ اليد عليك منبسطة، وإنّ السبيل إليك لسهلة، ولولا إثثار العافية ولمّ الشعث لزجرتك





زجرة تكفي ما مضى وتمنع ما بقي. فقال عمار: والله ما أعتذر من حبي علياً وما اليد بمنسطة ولا السبيل بسهولة، إنني لازم حجة ومقيم على سنة، وأما إيثارك العافية ولمّ الشعث فلازم لك ذلك، وأما زجري فأمسك عنه فقد كفّك معلّمي تعليمي. فقال عثمان: أما والله إنك ما علمت من أعوان الشرّ الحاضين عليه الخذلة عند الخير والمثبطين عنه. فقال عمار: مهلاً يا عثمان فقد سمعت رسول الله ﷺ يصفني بغير ذلك. قال عثمان: ومتى؟ قال يوم دخلت عليه منصرفه عن الجمعة وليس عنده غيرك وقد ألقى ثيابه وقعد في فضله فقبلت صدره ونحره وجهته. فقال: «يا عمار إنك لتحبنا وإنا لنحبك، وإنك لمن الأعوان على الخير المثبطين عن الشرّ». فقال عثمان: أجل ولكنك غيرت وبدلت. قال: فرفع عمار يده يدعو وقال: أمّن يا بن عباس، اللهم من غير فغير به (ثلاث مرات). قال: ودخلنا المسجد، فأهوى عمار إلى مصلاه ومضيت مع عثمان إلى القبلة فدخل المحراب وقال: تلبث عليّ إذا انصرفنا... فلمّا رأي عمار وحدي أتاني فقال: أما رأيت ما بلغ بي آنفاً. قلت: أما والله لقد أصعبت به وأصعب بك، وأنّ له لسنة وفضله وقرابته. قال: إنّ له ذلك، ولكن لا حقّ لمن لا حقّ عليه. وانصرف، وصلى عثمان وانصرفت معه يتوكأ عليّ. فقال: هل سمعت ما قال عمار؟ قلت: نعم فسرّني ذلك وساءني، أما مساءته إياي فما بلغ بك وأما مسرّته لي فحملك واحتمالك. فقال: إنّ عليّاً فارقتني منذ أيام على المقاربة، وإنّ عماراً آتية فقاتل له وقائل، فابدره إليه فإنك أوثق عنده منه وأصدق قولاً، فألق الأمر إليه على وجهه. فقلت: نعم وانصرفت أريد عليّاً عليه السلام في المسجد فإذا هو خارج منه، فلمّا رأي تفجّع لي من فوت الصلاة وقال: ما أدركتها؟ قلت: بلى ولكنني خرجت مع أمير المؤمنين، ثمّ أقتضت عليه القصّة. فقال: «أما والله يا بن عباس إنّه ليقرف قرحة ليحورنّ عليه ألماً». فقلت: إنّ له سنّة وسابقتها وقرابته وصهره. قال: «إنّ ذلك له ولكن لا حقّ لمن لا حقّ عليه». قال: ثمّ رهنّا عمار فبشّ به عليّ وتبسّم في وجهه وسأله، فقال عمار: يا بن عباس هل ألقيت إليه ما كنّا فيه؟ قلت: نعم، قال: أما والله إذاً لقد قلت بلسان عمار ونطقت بهواه. قلت: ما عدوت الحقّ جهدي، ولا ذلك من فعلي، وإنك لتعلم أيّ الحظين أحبّ إليّ، وأيّ الحقين أوجب عليّ. قال: فظنّ عليّ أنّ عند عمار غير ما ألقيت إليه، فأخذ بيده





وترك يدي، فعلمت أنه يكره مكاني فتخلّفت عنهما وانشعب بنا الطريق فسلكاه ولم يدعني، فانطلقت إلى منزلي، فإذا رسول عثمان يدعوني فأتيته، فأجد ببابه مروان وسعيد ابن العاص في رجال من بني أمية، فأذن لي والطفني وقربني وأدنى مجلسي، ثم قال: ما صنعت؟ فأخبرته الخبر على وجهه وما قال الرجل وقلت له وكتمته قوله «إنه ليقرف قرحة ليحورنّ عليه ألمها»، إبقاءً عليه وإجلالاً له، وذكرت مجيء عمّار وبشّ عليّ له وظنّ عليّ أن قبله غير ما ألقيت عليه، وسلوكهما حيث سلكا. قال: وفعلا؟ قلت: نعم. فاستقبل القبلة ثم قال: اللهم ربّ السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم أصلح لي عليّاً وأصلحني له، آمّن يا بن عبّاس، فأمنت، ثم تحدّثنا طويلاً وفارقتة وأتيت منزلي... (شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٢: ص ٣٩٦). وذكر ابن قتيبة في الإمامة والسياسة وابن عبد ربّه في العقد الفريد: وكان عليّ كلّما اشتكى الناس إليه أمر عثمان أرسل ابنه الحسن إليه، فلما أكثر عليه قال له: إنّ أباك يرى أنّ أحداً لا يعلم ما علم، ونحن أعلم بما نفعل، فكفّ عنّا، فلم يبعث عليّ ابنه في شيء بعد ذلك. وذكروا أنّ عثمان صلّى العصر ثمّ خرج إلى عليّ يعود في مرضه ومروان معه، فرآه ثقيلاً، فقال: أما والله لولا ما أرى منك ما كنت أتكلّم بما أريد أن أتكلّم به، والله ما أدري أيّ يوميك أحبّ إليّ أو أبغض؟ أيوم حياتك، أو يوم موتك؟ أما والله لئن بقيت لا أعدم شامتاً يعدّك كهفاً، ويتخذك عضداً، ولئن متّ لأفجعنّ بك، فحظّي منك حظّ الوالد المشفق من الولد العاق، إن عاش عقّه، وإن مات فجعه، فليتك جعلت لنا من أمرك لنا علماً نقف عليه ونعرفه، إمّا صديق مسالم، وإمّا عدوّ مُعاني، ولا تجعلني كالمختنق بين السماء والأرض، لا يرقى بيد ولا يهبط برجل، أما والله لئن قتلتك لا أصيب منك خلفاً، ولئن قتلتنني لا تصيب منّي خلفاً، وما أحبّ أن أبقى بعدك. قال مروان: إي والله وأخرى إنّه لا ينال ما وراء ظهورنا حتّى تكسّر رماحنا وتقطع سيوفنا، فما خير العيش بعد هذا. فضرب عثمان في صدره وقال: ما يدخلك في كلامنا؟ فقال عليّ: «إني والله في شغل عن جوابكما ولكني أقول كما قال أبو يوسف ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾» (سورة يوسف: ١٨) (انظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ١: ص ٣٠). وذكر ابن عبد ربّه





في العقد الفريد: وقال عبد الله بن العباس: أرسل إليّ عثمان فقال لي: إكفني ابن عمك. فقلت: إنّ ابن عمي ليس بالرجل يُرى له ولكنه يرى لنفسه فأرسلني إليه بما أحببت. قال: قل له فليخرج إلى ما له بينع فلا أغتمّ به ولا يغتمّ بي، فأتيت عليّاً فأخبرته، فقال: «ما اتّخذني عثمان إلّا ناضحاً ثمّ أنشد يقول: فكيف به أنّي أدوي جراحه * فيدوى فلا ملّ الدواء ولا الداء. أما والله أنّه ليختبر القوم». فأتيت عثمان فحدثته الحديث كلّه إلّا البيت الذي أنشده وقوله أنّه ليختبر القوم. فأنشد عثمان: فكيف به أنّي أدوي جراحه * فيدوى فلا ملّ الدواء ولا الداء. وجعل يقول: يا رحيم انصرنني، يا رحيم انصرنني. قال: فخرج عليّ إلى ينيع فكتب إليه عثمان حين اشتدّ الأمر: أما بعد فقد بلغ السيل الزبى، وجاوز الحزام الطيين، وطمع فيّ من كان يضعف عن نفسه. فإنّك لم يفخر عليك كفاخر * ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب. فأقبل إليّ على أيّ أمريك أحببت، وكن لي أم عليّ، صديقاً كنت أم عدواً، فإن كنت مأكولاً فكن خير آكل * وإلّا فأدركني ولما أمزق (انظر العقد الفريد لابن عبد ربّه ج ٤: ص ٣٠٩). وروى الشريف الرضي في نهج البلاغة قال: ومن كلام له عليه السلام قال لعبد الله بن عباس وقد جاءه برسالة من عثمان وهو محصور يسأله فيها الخروج إلى ماله بينع ليقبل هتف الناس بأسمه للخلافة، بعد أن كان سألّه مثل ذلك من قبل، فقال عليه السلام: «يا بن عباس ما يريد عثمان إلّا أن يجعلني جملاً ناضحاً بالغرب، أقبل وأدبر، بعث إليّ أن أخرج ثمّ بعث إليّ أن أقدم، ثمّ هو الآن يبعث إليّ أن أخرج، والله لقد دفعت عنه حتّى خشيت أن أكون آثماً» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٣: ص ٢٨٢). وإلى غير ذلك من الروايات الأخبار الواردة في المقام، وهي تدلّ على عداء عثمان لأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم ولا يسع المجال لذكر جميع ما فعله عثمان وما فعله عمّاله من بني أمية في السنوات التي حكموا على المسلمين، وكانت حكومته الظالمة قد أوضحت فضائع خلافة السقيفة وما ترتب عليها من الآثار السيئة، فلاحظ.

(١) لا شك أنّ للإمام الحسين عليه السلام موقفاً رسالياً ورمزاً خالداً وصرخة حقّ تدوي في وجه





الظالمين إلى يوم الدين، وليس جزافاً قول رسول الله ﷺ في حقّه ﷺ «إنّ له درجة لا ينالها أحد من المخلوقين» (انظر الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٣٠٢)، فعن الإمام الصادق ﷺ قال: «كان النبي ﷺ في بيت أمّ سلمة، فقال لها: لا يدخل عليّ أحد. فجاء الحسين ﷺ وهو طفل، فما ملكت معه شيئاً حتّى دخل على النبي ﷺ، فدخلت أمّ سلمة على أثره، فإذا الحسين على صدره، وإذا النبي ﷺ يبكي، وإذا في يده شيء يقلّبه، فقال النبي ﷺ: يا أمّ سلمة، إنّ هذا جبرئيل يخبرني أنّ هذا مقتول، وهذه التربة التي يقتل عليها، فضعها عندك، فإذا صارت دماً فقد قتل حبيبي، فقالت أمّ سلمة: يا رسول الله، سل الله أن يدفع ذلك عنه. قال: قد فعلت، فأوحى الله عزّ وجلّ إليّ: أنّ له درجة لا ينالها أحد من المخلوقين، وأنّ له شيعه يشفعون فيشفعون، وأنّ المهدي من ولده، فطوبى لمن كان من أولياء الحسين، وشيعته هم والله الفائزون يوم القيامة» (الأمالي للشيخ الصدوق رحمه الله: ص ٢٠٣). وهو الذي نزل الوحي بتسميته حسيناً، فقد روي أنه عندما زُفّت البشري لرسول الله ﷺ بولادة الإمام الحسين ﷺ، في اليوم الثالث من شهر شعبان المبارك في السنة الرابعة من الهجرة، أسرع ﷺ إلى دار الزهراء ﷺ فقال لأسماء بنت عمير: «يا أسماء، هاتي ابني»، فحملته إليه، وقد لُفّ في خرقة بيضاء، فاستبشر ﷺ وضّمّه إليه وأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى، ثمّ وضعه في حجره وبكى، فقالت أسماء: فذاك أبي وأمي، ممّ بكأوك؟ قال ﷺ: «من ابني هذا». قالت: إنّ ولد الساعة. قال ﷺ: «يا أسماء، تقتله الفئة الباغية من بعدي، لا أنالهم الله شفاعتي». ثمّ قال: «يا أسماء، لا تخبري فاطمة فإنّها حديثة عهد بولادته». ثمّ قال ﷺ لعليّ ﷺ: «أي شيء سمّيت ابني؟» فأجابه عليّ ﷺ: «ما كنت لأسبقك باسمه يا رسول الله». فنزل جبرئيل ﷺ على رسول الله ﷺ حاملاً اسم الوليد المبارك، قال لعليّ ﷺ: «سمّه حسيناً» (علل الشرائع للشيخ الصدوق رحمه الله: ج ١: ص ١٣٧). وتتوالى بيانات رسول الله ﷺ في وصف مقام الإمام الحسين ﷺ، وموقعه الرفيع من الرسالة والرسول الأعظم ﷺ، منها: عن يعلى بن مرّة، قال: قال رسول الله ﷺ: «حسين منّي وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط» (انظر سنن الترمذي ج ٥: ص ٣٢٤، والمستدرک على الصحيحين للحاكم





النيسابوري ج ٣: ص ١٧٧، وصحيح ابن حبان ج ١٥: ص ٤٢٨، التاريخ الكبير للبخاري ج ٨: ص ٤١٥ وغيرها). وعن سلمان الفارسي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحسن والحسين ابناي، من أحبهما أحبني، ومن أحبني أحبته الله، ومن أحبته الله أدخله الجنة، ومن أبغضهما أبغضني، ومن أبغضني أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله النار على وجهه» (المستدرک على الصحيحين ج ٣: ص ١٦٦). وعن البراء بن عازب، قال: رأيت رسول الله ﷺ حاملاً الحسين بن علي على عاتقه وهو يقول: «اللهم إني أحبّه فأحبّه وجهه» (المستدرک على الصحيحين ج ٣: ص ١٦٦). وعن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل الحسين عليه السلام اجتذبه إليه، ثم يقول لأُمير المؤمنين عليه السلام: "أمسكه"، ثم يقع عليه فيقبله ويبكي، فيقول: "يا أبة، لم تبكي؟" فيقول: "يا بني"، أقبل موضع السيف منك وأبكي". قال: "يا أبة، وأقتل؟" قال: "إي والله، وأبوك وأخوك وأنت". قال: "يا أبة، فمصارعنا شتى؟" قال: "نعم، يا بني"، قال: "فمن يزورنا من أمتك؟" قال: "لا يزورني ويزور أباك وأخاك وأنت إلا الصديقون من أمتي" (كامل الزيارات لابن قولويه: ص ١٤٦). روى الحاكم النيسابوري بسنده عن أم الفضل بنت الحارث، أنها دخلت على رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إني رأيت حلماء منكراً الليلة. قال: «و ما هو؟» إنه شديد. قال: «و ما هو؟» قالت: رأيت كأنّ قطعة من جسدك قطعت وضعت في حجري، فقال رسول الله ﷺ: «رأيت خيراً تلد فاطمة إن شاء الله غلاماً فيكون في حجرك». فولدت فاطمة رضي الله عنها الحسين عليه السلام فكان في حجري كما قال رسول الله ﷺ (المستدرک على الصحيحين ج ٣: ص ١٧٦). وروى ابن الأثير بسنده عن اسماعيل بن رجاء، عن أبيه، قال: كنت في مسجد الرسول ﷺ في حلقة فيها أبو سعيد الخدري وعبد الله بن عمرو، فمرّ بنا الحسين عليه السلام فسلم فردّ القوم السلام، فسكت عبد الله حتّى فرغوا، رفع صوته وقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، ثم أقبل على القوم فقال: ألا أخبركم بأحبّ أهل الأرض إلى أهل السماء؟ قالوا: بلى، قال: هذا هو الماشي ما كلّمني كلمة منذ ليالي صفين، ولأن يرضى عني أحبّ إليّ من أن يكون لي حمر النعم، فقال أبو سعيد: ألا تعتذر إليه، قال: بلى، قال: فتواعدوا أن يغدو إليه، قال: فغدوت معها، فاستأذن أبو سعيد،





فأذن له، فدخل ثم استأذن لعبد الله فلم يزل به حتى أذن له. فلما دخل قال أبو سعيد: يا بن رسول الله إنك لما مررت بنا أمس، فأخبره بالذي كان من قول عبد الله بن عمرو، فقال الحسين عليه السلام: «أعلمت يا عبد الله إنني أحب أهل الأرض إلى أهل السماء؟» قال: إي ورب الكعبة، قال: «فما حملك على أن قاتلتني وأبي يوم صفين فوالله لأبي كان خيراً مني»، قال: أجل، ولكن عمرو شكاني إلى رسول الله ﷺ: يا عبد الله صل ونم وصم وأفطر، وأطع عمرو، قال: فلما كان يوم صفين أقسم عليّ، فخرجت أما والله ما اخترت سيفاً ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم، قال: فكأنه قبل منه (أسد الغابة ج ٣: ص ٢٣٤، في ترجمة عبد الله بن عمرو بن العاص). قال يونس بن أبي اسحاق عن العيزار بن حريب، قال: بينما عبد الله بن عمر جالس في ظل الكعبة إذ رأى الحسين عليه السلام مقبلاً، فقال: هذا أحب أهل الأرض إلى أهل السماء اليوم (الأصابة لابن حجر ج ١: ص ١٥). روى في تهذيب التهذيب عن أبي عبد الله الضبي قال: دخلنا على ابن هرثم الضبي حين أقبل من صفين وهو مع علي عليه السلام فقال: أقبلنا مرجعنا من صفين فنزلنا كربلاء فصلّى بنا علي عليه السلام صلاة الفجر ثم أخذ كفاً من بعز الغزلان فشمه، ثم قال: «أوه أوه يقتل بهذا المكان قوم يدخلون الجنة بغير حساب» (انظر تهذيب التهذيب ج ٢: ص ٣٤٧). وروى عن هرثمة بن سلمى قال: خرجنا مع علي عليه السلام فسار حتى انتهى إلى كربلاء فنزل إلى شجرة فصلّى إليها، فأخذ تربة من الأرض فشمها ثم قال: «واهاً لك تربة ليقتلن بك قوم يدخلون الجنة بغير حساب»، قال: ففقلنا من غزاتنا وقتل علي عليه السلام ونسيت الحديث. قال: فكنت في الجيش الذي ساروا إلى الحسين عليه السلام فلما انتهيت إليه نظرت إلى الشجرة فذكرت الحديث فتقدمت على فرس لي فقلت: أبشرك ابن بنت رسول الله ﷺ، وحدثته الحديث، قال: «معنا أو علينا؟»، قلت: لا معك ولا عليك، تركت عيالاً وتركت مالا، قال: «أما لا قول في الأرض هارباً، فوالذي نفس حسين بيده لا يشهد قتلنا اليوم رجل إلا دخل جهنم»، قال: فانطلقت هارباً مولياً في الأرض حتى خفي عليّ مقتله (انظر تهذيب التهذيب ج ٢: ص ٣٤٨). وروى ابن قولويه بسنده عن مسمع بن عبد الملك، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «كان الحسين عليه السلام مع أمّه تحمله، فأخذه رسول الله ﷺ فقال: "لعن الله قاتلك، ولعن الله





سالك، وأهلك الله المتوازين عليك، وحكم الله بيني وبين من أعان عليك". قالت فاطمة الزهراء (عليها السلام): "يا أبت، أي شيء تقول؟" قال: "يا بنتاه، ذكرت ما يصيبه بعدي وبعذك من الأذى والظلم والغدر والبغي، وهو يومئذ في عصابة كأنهم نجوم السماء، يتهادون إلى القتل، وكأني أنظر إلى معسكرهم، وإلى موضع رحالهم وتربتهم". قالت: "يا أبة، وأين هذا الموضع الذي تصف؟" قال: "موضع يقال له كربلاء، وهي دار كرب وبلاء علينا وعلى الأمة، ويخرج عليهم شرار أممي، لو أن أحدهم شفع له في السموات والأرضين ما شفعوا فيه، وهم المخلدون في النار". قالت: "يا أبة، فيقتل؟" قال: "نعم يا بنتاه، وما قُتل قتلته أحد كان قبله، ويبكيه السموات والأرضون، والملائكة، والوحش، والنباتات، والبحار، والجبال، ولو يؤذن لها ما بقي على الأرض متنفس، ويأتيه قوم من محبيننا ليس في الأرض أعلم بالله، ولا أقوم بحقنا منهم، وليس على ظهر الأرض أحد يلتفت إليه غيرهم، أولئك مصابيح في ظلمات الجور، وهم الشفعاء، وهم واردون حوضي غداً، أعرفهم إذا وردوا عليّ بسيماهم، وكلّ أهل دين يطلبون أئمتهم، وهم يطلبوننا لا يطلبون غيرنا، وهم قوَّام الأرض، وبهم ينزل الغيث". فقالت الزهراء (عليها السلام): "يا أبة، إنّا لله..."، وبكت، فقال لها: "يا بنتاه، إنّ أفضل أهل الجنان هم الشهداء في الدنيا، بذلوا أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقّاً، فما عند الله خير من الدنيا وما فيها، قتله أهون من ميتة، ومن كتب عليه القتل، خرج إلى مضجعه، ومن لم يقتل فسوف يموت. يا فاطمة بنت محمّد، أما تحيّن أن تأمرين غداً بأمر فتُطاعين في هذا الخلق عند الحساب؟ أما ترضين أن يكون ابنك من حملة العرش؟ أما ترضين أن يكون أبوك يأتونه يسألونه الشفاعة؟ أما ترضين أن يكون بعلك يذود الخلق يوم العطش عن الحوض فيسقي منه أوليائه ويذود عنه أعداءه؟ أما ترضين أن يكون بعلك قسيم النار، يأمر النار فتطيعه، يخرج منها ما يشاء؟ ويترك من يشاء. أما ترضين أن تنظرين إلى الملائكة على أرجاء السماء ينظرون إليك وإلى ما تأمرين به، وينظرون إلى بعلك قد حضر الخلائق وهو يخاصمهم عند الله؟ فما ترين الله صانع بقاتل ولدك وقاتليك وقاتل بعلك إذا أفلجت حجّته على الخلائق، وأمرت النار أن تطيعه؟ أما ترضين أن يكون





الملائكة تبكي لابنك، وتأسف عليه كل شيء؟ أما ترضين أن يكون من أتاه زائراً في ضمان الله، ويكون من أتاه بمنزلة من حج إلى بيت الله واعتمر، ولم يخل من الرحمة طرفة عين، وإذا مات مات شهيداً، وإن بقي لم تزل الحفظة تدعو له ما بقي، ولم يزل في حفظ الله وأمنه حتى يفارق الدنيا؟ قالت: "يا أبة، سلّمت، ورضيت، وتوكّلت على الله"، فمسح على قلبها ومسح عينيها، وقال: "إنّي وبعلك وأنت وابنيك في مكان تقرّ عيناك، ويفرح قلبك" (كامل الزيارات: ص ١٤٤). وعن ابن عباس قال: لمّا اشتدّ برسول الله ﷺ مرضه الذي مات فيه، ضمّ الحسين عليه السلام إلى صدره يُسيل من عرقه عليه، وهو يجود بنفسه، ويقول: «مالي وليزيد لا بارك الله فيه؟ اللهم العن يزيد». ثم غشي عليه طويلاً، وأفاق وجعل يقبل الحسين وعيناه تذرفان، ويقول: «أما إن لي ولقاتلك مقاماً بين يدي الله عز وجل» (بحار الأنوار ج ٤: ص ٢٦٧). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام في عظمة مولانا الإمام الحسين عليه السلام، ومكانته الرفيعة عند الله ورسوله ﷺ، ودوره الرسالي الفريد في هداية الأمة.

(١) لا يخفى أنّ حديث الثقلين من الأحاديث الثابتة الصحيحة عند علماء الإسلام ومحدثيهم، وأكثرها ذيوماً وانتشاراً، وقد ثبت صدوره من النبي ﷺ بنقل الفريقين. فأخرجه كبار علماء أهل السنة في صحاحهم ومسانيدهم وسننهم، ونصّوا على صحته ووثاقته رؤاه، وقد ورد عن بضع وعشرين صحابياً متظافرة كما نصّ على ذلك ابن حجر (انظر الصواعق المحرقة: ص ١٣٦). وقد أفرد العلامة السيّد مير حامد حسين لكنهيوي لحديث الثقلين جزئين من موسوعته عبقات الأنوار وذكر فيه طرق الحديث من كتب أهل السنة إلى الصحابة، فهي أكثر من بضع وعشرين صحابياً. وقد تكرّر هذا الحديث من النبي الأكرم ﷺ في مواضع كثيرة، وفي أغلب الروايات بهذا اللفظ: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً، وأنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض». فقد ذكر المناوي عن السهمودي أنّه قال: وفي الباب ما يزيد





على عشرين من الصحابة وكلهم رَوَوْا هذا الحديث... (انظر فيض القدير ج ٣: ص ١٤). قال السخاوي: إنّ حديث الثقلين هذا مروى عن أبي سعيد الخدري، وزيد بن أرقم، وجابر، وحذيفة بن أسيد الغفاري، وخزيمة بن ثابت، وسهل بن سعد، وضميرة، وعامر بن أبي ليلى، وعبد الثرى بن عوف، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعدي بن حاتم، وعقبة بن عامر، وعلي بن أبي طالب عليه السلام، وأبي ذر، وأبي رافع، وأبي تسريح الخزاعي، وأبي قدامة الأنصاري، وأبي هريرة، وأبي الهيثم بن التيهان، وأمّ سلمة، وأمّ هاني بنت أبي طالب، ورجال من قریش... (استجلاب ارتقاء الغرف للسخاوي الشافعي: ص ٤٠ مخطوط). فالحديث في غاية الأهمية والعظمة، ويجب أن تدرس معطياتها ومفاهيمها بدقّة كاملة وبصورة واعية؛ لأنّ الدراية تفوق الرواية، ففي الحديث عدّة نقاط، لا بدّ من الالتفات إليها، النقطة الأولى: لماذا أطلق رسول الله ﷺ على كتاب الله وأهل البيت عليهم السلام وصف الثقل؟ وعندما نرجع إلى اللغة نجد أنّ معنى الثقل هو كلّ نفيس خطير مصون ثقل، قال الفيروز الآبادي: وثقل بمعنى كلّ شيء نفيس مصون، ومنه الحديث «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي...» (انظر قاموس اللغة ج ٣: ص ٣٥٣). قال ابن حجر: سمى رسول الله ﷺ القرآن وعترته بالثقلين، لأن الثقل كلّ نفيس خطير مصون وهذان كذلك إذ كلّ منهما معدن للعلوم اللدنيّة والأسرار والحكم العليّة والأحكام الشرعيّة، ولذا حتّى ﷺ على الاقتداء والتمسك بهم والتعلّم منهم وقال: الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت، وقيل: سمّيا ثقلين وجوب رعاية حقوقهما انتهى (انظر الصواعق المحرقة: ص ١٣١). ثمّ إنّ القرآن الكريم أطلق كلمة الثقلين على الجنّ والإنس، والذي يجب أن نبحت فيه هو وجه المناسبة في استخدام هذا المصطلح في الحديث. يقول سبحانه في البداية: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ (سورة الرحمن: ٣١)، أي: أنّ الله سبحانه سيحاسب يوم القيامة الإنس والجنّ حساباً دقيقاً، على جميع أعمالهم وأقوالهم ونياتهم، ويبيّن لكلّ منهم الجزاء والعقاب. والثقلان جاءت بمعنى الوزن الثقيل، وأطلق على جماعة الإنس والجنّ وذلك لثقلهم المعنوي، لأنّ الله تبارك وتعالى قد أعطاهم عقلاً وشعوراً وعلماً ووعياً، فيكون لهما وزناً وقيمةً، وذلك للتأكيد لهاتين الطائفتين





بالخصوص، لأنّ التكاليف الإلهية مختصة بهما في الغالب. والمهمّ أنّ المقصود بالثقل هو الثقل المعنوي الذي يميّز به عن غيره. قال البدخشاني في مفتاح النجاة بعد ذكر حديث الثقلين: أقول سمّى القرآن وعترته الثقلين، لأنّ الثقل كلّ نفيس خطير مصون وهذان كذلك إذ كلّ منهما معدن للعلوم الدينية والأسرار والحكم العلية والأحكام الشرعية، ولذا حثّ الله ﷻ على الاقتداء والتمسك بهم. وقال أحمد بن عبد القادر العجيلي في ذخيرة المآل: قال علمائنا: إنّما سمّى رسول الله ﷺ القرآن والعتره الثقلين، لأنّ الثقل كلّ نفيس خطير مصون وهذان كذلك إذ كلّ منهما معدن للعلوم الدينية والأسرار والحكم العلية والأحكام الشرعية، ولذا حثّ الله ﷻ على الاقتداء والتمسك بهما الثاني ثقالة التمسك بهما والعمل بما يتلقى عنهما ورعاية حقوقهما على الناس، لأنّهما يأمران بالعبودية والاخلاص لله تعالى ومخالفة الهوى والعدل والإحسان، وينهيان عن الفحشاء والمنكر وعن متابعة النفس والشيطان وعن الظلم والعدوان، ومعلوم أنّ تباعة الحقّ والاخلاص ومخالفة الهوى وترك الفحشاء أثقل الأشياء وأمرها. وقال شهاب الدين الدوّلت آبادي الهندي في هداية السعداء وفي الحديث «إني تارك...»: وقال الطيّبي في الكاشف: ما يقرب ذلك «فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي» إنّما سمّيا بذلك لأنّ الأخذ والعمل بهما ثقل. وقال السمهودي في جواهر العقدين: وقيل: سمّاهما ثقلين لأنّ الأخذ بهما والعمل بما يتلقى عنهما والمحافظة على رعايتهما والقيام بواجب حرمتهم ثقل، قيل: ومنه قوله تعالى ﴿سَنُلْقِيْكَ عَلَيْهِمْ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾، لأنّ أوامر الله وفرائضه ونواهيه ما تؤدى إلّا بتكليف ما يثقل. وقال محمّد طاهر الفتني في مجمع البحار: فيه «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي» سمّيا به لأنّ الأخذ بهما والعمل بهما ثقل. وقال مخدوم الشريف في النواقض: سمّاهما ثقلين، لأنّ الأخذ بهما والعمل بهما والمحافظة على رعايتهما ثقل. وقال ابن حجر في الصواعق: وسمّاهما ثقلين اعظاماً لقدرهما إذ يقال لكلّ خطير شريف ثقل أو لأنّ العمل بما أوجب الله من حقوقهما ثقل جدّاً، ومنه قوله تعالى: ﴿سَنُلْقِيْكَ عَلَيْهِمْ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ أي له وزن وقدر أو لأنّه لا يؤدّى إلّا بتكليف ما يثقل وسمّيا سائر الحيوان. إلى غير ذلك ممّا يقرب هذه التعابير.





النقطة الثانية: عظمة الثقلين ووجوب الأخذ بهما، فإنَّ حديث الثقلين يدلُّ على أن هداية الإلهية وهي نصُّ حديث الثقلين منحصرة بالقرآن وأهل البيت عليهم السلام معاً، أي: لا يمكن الهداية إلاَّ باتباع القرآن كما لا يمكن الهداية الإلهية إلاَّ بالرجوع إلى أهل البيت عليهم السلام، فالقرآن وأهل البيت عليهم السلام كلٌّ منهما يكمل الآخر في الهداية الإلهية. ونستفيد هذا المعنى من قوله عليه السلام: «ما إن تمسكتم بهما لا بأحدهما، لا تمسك بالقرآن ونعرض عن أهل البيت عليهم السلام، أو نعرض عن أحاديث أهل البيت عليهم السلام (ما إن تمسكتم بهما)»، أي: كلٌّ منهما في صف الآخر، في عرض الآخر، «ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً»، وقال عليه السلام أيضاً: «فإنهما لن يفترقا» أي: لن يفترقا في جميع معارفهما ومعالمهما، وجميع خصوصياتهما، فهما لا يفترقان في مقام الاتباع، ونحن في مقام اتباعنا للقرآن لا يفترق اتباعنا للقرآن عن اتباعنا لأهل البيت عليهم السلام، ولا يفترق اتباعنا لأهل البيت عليهم السلام عن اتباعنا للقرآن. ويوضح هذا المعنى الذي نحن نريده ما أخرجه الطبراني وهو متمم لحديث الثقلين، فأتم الرواية بما روي عن الرسول عليه السلام من قبل بعض الصحابة أنه عليه السلام قال: «ولا تقدّموهما فتهلكوا ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا، لا تقدّموا عليهما ولا تتأخّروا عنهما، ولا تعلّموهما فإنّهم أعلم منكم» (انظر المعجم الكبير للطبراني ج ٢: ص ٦٦، وج ٥: ص ١٦٧). ومعنى ذلك أنّه لا تقدّموا القرآن ولا تقدّموا على أهل البيت عليهم السلام، بل كونوا دائماً ورائهما، وكونوا باتباعهما، فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا، دائماً أنتم معهما ولا تقدّموا عليهما ولا تتأخّروا عنهما، ولا تعلّموهما فإنّهم أعلم منكم.

النقطة الثالثة: أنّ حديث الثقلين يدلُّنا على أنّ أهل البيت عليهم السلام هم الأعلام بالشريعة الإسلامية، وأعرف الناس بتفاصيلها وأحكامها وجميع متعلقاتها، ولذلك قرن رسول الله عليه السلام أهل بيته عليهم السلام بالقرآن، وعندما قرن أهل البيت عليهم السلام بالقرآن وقال عليه السلام: «إني مخلف فيكم ثقلين: كتاب الله وعترتي، طبعاً المسلمون يعرفون أنّ القرآن فيه تبيان كل شيء»، فالقرآن مشتمل على سائر التشريعات الإسلامية، ومشتمل على جميع الأحكام الإسلامية التي أرادت الشريعة الإسلامية تطبيقها وتنفيذها على وجه الأرض، وبما أنّ القرآن مستوعبٌ لجميع مضامين الرسالة الإسلامية، فكذلك النقل الآخر والعدل الآخر في حديث الثقلين



وغيره ^(١) كونه هو الخليفة وإمام الخلق بعد أخيه الحسن عليه السلام ^(٢)،



يكون كذلك، لأنّ حديث الثقلين يدلّ على أنّ أهل بيت النبوة عليهم السلام الذينهم عدل القرآن مستوعبون لجميع أحكام الشريعة، وجميع المعارف الإلهية، فهم أعلم الناس، كما أن القرآن يكون مستوعباً لجميع ما أراده الله سبحانه وتعالى، فبدلالة حديث الثقلين أنّ الإمام الحسين عليه السلام، هو أولى بالقيادة والإمامة، إذ أنّه أعلم الناس وأعرف الناس بالقرآن بعد أخيه الإمام الحسن عليه السلام، وأعرف الناس بمعارف الإسلام، وأعلم الناس بالأحكام، وأولى الناس بالقيادة من غيره، فلاحظ.

(١) كحديث السفينة، وحديث الكساء، ووحديث «أهل بيتي أمان لأهل الأرض»، وحديث المباهلة، وغيرها من الأحاديث.

(٢) لا يخفى على الباحث أنّ النصوص والروايات الواردة في إمامة مولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام على قسمين، قسم منها تدلّ على نحو العموم، أي أنّها تدلّ على إمامة أئمة الاثني عشر عليهم السلام كحديث الثقلين الدالّ على إمامة مولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام على نحو العموم، أو كحديث السفينة، أو حديث الكساء أو غيرها من الأحاديث الدالة على إمامة أئمة الاثني عشر عليهم السلام على نحو العموم. وقسم منها تدلّ على إمامة مولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام بذكره وذكر خصائصه وعظمته وإمامته وولايته. فالنصوص بقسميها تدلّ على إمامة مولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام. أمّا القسم الأول وهو ما تدلّ على نحو العموم، فمنها: حديث الثقلين الذي اتفق المسلمون على نقله وصحّته، ويعدّ من أشهر الأحاديث النبوية الشريفة، إذ قد أوصى فيه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله المسلمين بالتمسك بالثقلين بعد رحيله؛ وقد روى هذا الحديث كبار علماء أهل السنة كمسلم بن الحجاج في صحيحه وأحمد بن حنبل والترمذي في سننه والنسائي وغيرهم. فرواه أحمد بن حنبل في مسنده بطرق عديدة، فقد رواه بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّي تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض» (مسند أحمد بن





حنبل ج ٣: ص ١٤). ورواه الترمذي في سننه بسنده عن زيد بن أرقم عن رسول الله ﷺ قال: «إني تارك فيكم ما إن تمسكنم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما» (انظر سنن الترمذي ج ٥: ص ٢٢٩). ورواه ابن كثير في تفسيره بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن النبي ﷺ: «يا أيها الناس، إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي» (انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤: ص ١٢٣). فالحديث من جهة السند معتبر بإجماع المسلمين ووجه شرعية عليهم، من جهة الدلالة يدل على إمامة أئمة أهل البيت ﷺ بوضوح على جميع مباني أهل السنة، لأن عبارات الحديث غنية وملينة بالدقائق واللطائف والمعارف التي يحصل بها الإيمان والاعتقاد بوجوب التمسك بإمامة الأئمة المعصومين من عترة النبي الأكرم ﷺ. فينبغي لكل باحث أن يتأمل في عبارات الحديث ومعطياته بشكل دقيق، لأن دراية الحديث تفوق روايته، حيث إن الدراية منشأ الاعتقاد القلبي والاعتقاد القلبي مؤثر بعمل الإنسان خارجاً وقلباً للاعتقاد بما جاء فيه من المعرفة. فأهمية فقه الحديث واضحة. وهنا يلزم علينا أن نذكر نقاطاً باختصار، وهي كما يلي:

النقطة الأولى: هي أن الحديث صدر من النبي الأكرم ﷺ بعنوان الوصية لأئمة حيث إن النبي الأكرم ﷺ أكد بأدق العبارات على أن الأمة إذا تمسكت بالثقلين لا يضلوا بعده أبداً إلى يوم القيامة فالحديث صريح في أن رسول الله ﷺ حذر أئمة من الوقوع في الضلالة بعد وفاته، وهذا يعني الوصية لأئمة، وأهمية الوصية تعرف من التأكيد فيها على الهلاكة والضلالة.

النقطة الثانية: هي أن رسول الله ﷺ عرف كتاب الله والعترة الطاهرة بأئمة ثقلان، أي أنهما نفيسان أو خليفتان من بعده، وأمر أئمة أن تتمسك بهما معاً لا بواحد منهما. ويعرف من ذلك أن التمسك بواحد منهما لا يمنع الضلالة.

النقطة الثالثة: هي أن رسول الله ﷺ بين في الحديث أن الكتاب والعترة الطاهرة معاً سبب لهداية الأمة، وأن عدم التمسك بهما والتخلف عنهما ملازم للضلالة والهلاك.





النقطة الرابعة: هي أن رسول الله ﷺ أكد على أن هذين الثقلين لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض، فلا فصل بينهما أبداً. ومعناه أن ما دامت الدنيا فإنهما موجودان. فليزم على الأمة التمسك بهما في كل حال.

النقطة الخامسة: هي تأكيد رسول الله ﷺ على أن الأمة مسؤولة عن هذين الثقلين عند الله عز وجل يوم القيامة، لأن عدم التمسك بهما بعد إتمام الحجة عليهم ووقوعهم في الضلالة والهلاك ترجع مسؤوليتها على عاتقهم، حيث إن النبي الأكرم ﷺ حذر أئمة عن الوقوع فيها وذكر أئمة بأن الطريق الوحيد للنجاة والسعادة هو التمسك بالثقلين معاً.

النقطة السادسة: هي أن رسول الله ﷺ قد نهى أئمة عن التقدم على العترة الطاهرة فإنه موجب الضلال والهلاك. فهذه الأمور تبين أهمية الحديث ومكانه الرفيع في الإسلام، فليزم على جميع المسلمين العمل بمقتضاه، ومقتضاه وجوب التمسك بالثقلين معاً. وهناك أحاديث أخرى كحديث السفينة وغيره أيضاً يدل على إمامة مولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

وأما القسم الثاني: وهي ما تدل على إمامة مولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام على نحو الخصوص، منها: ما رواه الترمذي في سننه بسنده عن يعلى بن مرة قال قال رسول الله ﷺ: «حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط». ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن (سنن الترمذي ج ٥: ص ٣٢٤). ورواه الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين، ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (انظر المستدرک على الصحيحين ج ٣: ص ١٧٧)، ورواه البخاري في تاريخه الكبير ج ٨: ص ٤١٤ وغيرهم. فإن قوله ﷺ: «حسين مني...» إذا كان المقصود منه أن الإمام الحسين عليه السلام قطعة من النبي ﷺ، لا بد وأن يكون الإمام الحسين عليه السلام من سنخ النبوة خلقاً وخلقاً وعلماً وعملاً، وهو أدل دليل على أن الإمام الحسين عليه السلام أعلم من على وجه الأرض، والإمام هو من يكون أعلم الناس. وإذا كان المقصود به العلاقة النورية كما يقسمون الفلاسفة العوالم إلى عوالم متعددة: عالم اللاهوت وهو عالم الأسماء الصفات، وعالم الناسوت وهو عالم المادة، وعالم الجبروت وهو عالم العقول الكلية، وعالم





الملكوت وهو عالم الأرواح، هناك عالمٌ سبق هذا العالم المادّي وهو عالم الأرواح المسمى عندهم بعالم الملكوت، أي أنّ الله خلق الأرواح جميعاً في عالم قبل خلق المادة وهذا ما عبّر عنه الرسول ﷺ في بعض أحاديثه: «الأرواح جنودٌ مجنّدة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» (انظر الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٢٠٩). فإذا كانت العلاقة هي في عالم الأرواح المسمّى بعالم الملكوت. أي كان الإمام الحسين عليه السلام جزءاً من رسول الله ﷺ، أي: جزء من عالم الملكوت الذي يضم الأرواح النورية وهي الأرواح التي تفيض نوراً وطهراً وقدساً، وتسبيحاً وتهليلاً وتكبيراً لله تبارك وتعالى، إذ هناك مجموعة من الأرواح كانت أرواح نورية لا تعرف إلا التسبيح والتهليل وهي أرواح محمد وآل محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وهذا ما أشارت إليه بعض النصوص كما في زيارة الجامعة الكبيرة: «خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرضه محقين حتى منّ علينا بكم فجعلكم في بيوت (يعني صار لقاء في عالم المادة) فجعلكم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه»، وفي زيارة الحسين: «أشهد أنّك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة لم تنجسك الجاهليّة بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهفات ثيابها» وفي الحديث عن النبي المصطفى ﷺ: «إنّ الله خلق نوري ونور علي بن أبي طالب قبل أن يخلق الكون» (انظر ارشاد القلوب للديلمي: ص ٤٠٣). والمقصود بالكون عالم المادة. إذن عالم الأرواح النورية كان هناك نور واحد يسبح الله ويهلّله وهذا النور الواحد يتصل بعضه ببعض الآخر، أوّله بآخره وآخره بأوّله، إذن «حسينٌ منّي» إشارة إلى ذلك العالم، إشارة إلى العلاقة النورية، «حسينٌ منّي وأنا منه» يعني أنّ نورنا نور واحد، بيننا علاقة نورية منذ أن خلق الله وبرأ الله عالم الملكوت فبيننا علاقة نورية منذ ذلك العالم، وهذا طبعاً يشترك فيه الحسين عليه السلام وغير الحسين ولذلك في بعض الأحاديث الشريفة: «إنّ عليّاً منّي وأنا منه وهو وليّ كلّ مؤمن ومؤمنة بعدي».

المعنى الثاني: العلاقة النفسية، فإنّ الإنسان عندما يريد أن يعبر عن حبّه لشخص من الأشخاص، عندما يقول: أنا أحب فلان وفلان يحبني، من أجل أن يعبر عن عمق المحبة وعن عمق المودة وعن وثاقة العلاقة القلبية والودية بنين الروحين، يقول: روح فلان





تعشقتني، وروحي تعشق روح فلان. لكي أعبر عن حالة العشق والمحبة والمودة بيننا أقول: «فلان مني وأنا منه» أي أنني أشعر أنّ نفسه هي نفسي التي بين جنبيه وهو يشعر أنّ نفسه هو نفسي التي بين جنبي، إذن العلاقة النفسية بيننا علاقة وثيقة وعميقة إلى حدّ كلّ منّا يعتبر نفسه نفس الآخر وأنّ الآخر منه وهو من الآخر، «حسين مني وأنا من حسين» إشارة إلى عمق العلاقة النفسية بينهما، ولذلك كان الرسول ﷺ يظهر حبه ويظهر علاقته القلبية بولده الإمام الحسين عليه السلام، يلثمه ويقبله ويقعد الإمام الحسين عليه السلام على ظهر جدّه رسول الله ﷺ وهو ساجد في السجود رفقا بالحسين عليه السلام، وإذا رآه دخل المسجد ترجل من المنبر واحتضنه إلى صدره وقال: «حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحبّ حسيناً وأبغض الله من أبغض حسيناً سبط من الأسباط».

المعنى الثالث: العلاقة الاعتبارية، وهي عبارة عن الوجود كما يقسمه العلماء ينقسم الوجود إلى الوجود الحقيقي والوجود الاعتباري. ما هو الفرق بين الوجود الحقيقي والوجود الاعتباري؟ مثلاً: الإنسان وجوده الحقيقي انحدر من أبيه وأمه، وجود الحقيقي تحقق وانحدر من قبل أبويه أبيه وأمه، هذا وجوده الحقيقي، ولكن ربّما يحصل الإنسان على وجود اعتباري غير وجوده الحقيقي، ربّما يصبح هذا الإنسان إنساناً عالمياً، فكونه إنساناً عالمياً يعطيه نوعاً من الوجود يسمى بالوجود الاعتباري غير وجوده الحقيقي، ربّما هذا الإنسان يصبح صاحب ثروة هائلة ومن خلال ثروته أو منصبه الاجتماعي يكتسب نوعاً آخر من الوجود يسمى بالوجود الاعتباري فالوجود الحقيقي هو الوجود المنحدر من الأبوين، والوجود الاعتباري هو الوجود الذي يكتسبه الإنسان من خلال عنوان من العناوين الاجتماعية، ككونه إنساناً عالمياً أو كونه إنساناً ثرياً أو كونه إنساناً مصلحاً أو أي شيء آخر، هذا يسمى بالوجود الاعتباري.

أحياناً الإنسان ينتسب إلى وجوده الاعتبار ولا ينتسب إلى وجوده الحقيقي، لأن وجوده الاعتباري أكبر وأقوى من وجوده الحقيقي، مثلاً: لو كانت أمه من عائلة معروفة بالعلم أو معروفة بالثروة وأبوه من عائلة مغمورة غير معروفة فإنّه ينتسب إلى عائلة أمّه، لماذا؟ لأنّ الوجود الاعتبار وليس في عائلة أبيه، فيظهر أنّه منتسب لهذه العائلة وأنّه منحدر من هذه





العائلة لأن وجودها الاعتبار أقوى من الوجود الحقيقي الذي لديه. فالحديث الشريف عن النبي ﷺ عندما يقول: «حسينٌ مِنِّي وأنا من الحسين» يشير إلى الوجود الاعتباري، ومعناه أن الإمام الحسين عليه السلام له وجود حقيقي من علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام، هذا الوجود الحقيقي، لكن للحسين عليه السلام وجود اعتباري وهو كونه ابن محمد المصطفى ﷺ، النبي ﷺ لم يخلف أولاد، لم يخلف إلا فاطمة عليها السلام، بما أنه لم يخلف أولاد من بعده نسب الحسنان عليهما السلام إليه فقل عنهما: ولدا رسول الله ﷺ، وقال عنهما المصطفى ﷺ: «ابنَي هذَانِ إِمَامَانِ قَامَا أَوْ قَعَدَا» (انظر الإرشاد للشيخ المفيد رحمه الله ج ٢: ص ٣٠). إذن الإمام الحسين عليه السلام كان له وجود اعتباري يتشرف به ويظهر به ويتشبه به ألا وهو أنه يعدد بين أبناء المجتمع الإسلامي ولد النبي المصطفى ﷺ.

وهذا ما أشار إليه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يوم صفين، فإنه عليه السلام أعطى يوم صفين الراية راية القتال لولده محمد بن الحنفية وتقدم محمد بن الحنفية يقود الجيوش المقاتلة، اعترض بعض الأصحاب، قالوا: يا أبا الحسن! كيف قدمت محمد وعندك الحسن والحسين عليهما السلام والحسنان عليهما السلام أفضل من محمد؟ قال: «أما تدرون؟ محمد ولدي أزج به في المهالك والحسن والحسين عليهما السلام ولدا رسول الله ﷺ أحافظ على حياتهم وأقيهما وأفديهما»، إذن الانطباع العام عن الحسن والحسين عليهما السلام أنهما ولدا رسول الله ﷺ، وكان هذا الانطباع يحافظ عليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، هذا نسميه بالوجود الاعتباري. إذن «حسينٌ مِنِّي» يعني حسين يستمد وجوده الاعتباري مِنِّي أنا، ويستمد حيثته ووجوده الاعتباري مِنِّي أنا؛ لأنه يُنسب إليّ بحسب العرف الإسلامي والاجتماعي في المجتمع الإسلامي آنذاك.

«وأنا من حسين» أيضاً إشارة إلى الوجود الاعتباري، النبي ﷺ له وجود حقيقي ووجود حقيقي امتد في أولاد الإمام الحسين عليه السلام وفي أولاد الإمام الحسن عليه السلام، لم يختص بأولاد الإمام الحسين عليه السلام، الوجود الحقيقي للنبي امتد في ذرية أولاد الإمام الحسين عليه السلام وأولاد الإمام الحسن عليه السلام، ولكن الوجود الاعتباري للنبي اختص بالإمام الحسين عليه السلام، صحيح أن أولاد الإمام الحسين عليه السلام وأولاد الإمام الحسن عليه السلام كلاهما، كلا الطرفين





ذريته، كلا الطرفين امتداده، ولكن الوجود الاعتباري للنبي المصطفى ﷺ وهو وجود العلم، وجود العصمة، وجود التقوى، وجود المعرفة، الوجود الاعتباري للنبي ﷺ اختص بالإمام الحسين بن علي عليه السلام، فلولا الأئمة عليهم السلام من ذرية الإمام الحسين عليه السلام لما تحقق للنبي ﷺ وجود اعتباري، فالوجود الاعتباري للنبي ﷺ اكتسبه من الإمام الحسين عليه السلام، إذن الإمام الحسين عليه السلام اكتسب وجود الاعتباري من النبي ﷺ، والنبي ﷺ اكتسب وجوده الاعتباري من الإمام الحسين عليه السلام لأنه امتد في الأئمة الهداة عليهم السلام من ذرية الإمام الحسين عليه السلام. ولذلك قال الشاعر المعروف الشيخ صالح بن العرندس الحلبي:

إمام الهدى ثقل النبوة والد الأئمة * وفيه رسول الله قال وقوله. حبي ثلاث ما أحاط بمثلها *
له تربة فيها الشفاء وقبة. وذرية ذرية منه تسعة * رب النهي مولى له الأمر. صحيح صريح
ليس في ذلكم نكر * نبي فمن زيد هناك ومن عمرو. يجاب بها الداعي إذا مسه الضر *
أئمة حق لا ثمان ولا عشر (انظر الغدير ج ٧: ص ١٥).

المعنى الرابع: العلاقة العرفانية: وقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ: «الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق» (الوافي للفيض الكاشاني ج ٤: ص ٥٩). فإن الإنسان يسير نحو الله تعالى، حتى الإنسان الكافر، حتى الإنسان العاصي، كل إنسان يسير نحو الله من حيث يشعر أو لا يشعر، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (سورة الانشقاق: ٦). كل إنسان يسير إلى الله تبارك وتعالى، غاية ما في الأمر الإنسان المؤمن يلتقي مع الله من خلال صفة، والإنسان الكافر يلتقي مع الله من خلال صفة أخرى، الإنسان المؤمن يلتقي مع الله من خلال صفة الرحمة، فيجد رحمة ورضواناً، والإنسان الكافر يلتقي مع الله من خلال صفة «شديد العقاب»، فكل إنسان يسير نحو الله ويلتقي مع الله يوماً من الأيام من خلال صفة من صفاته ووجهها من وجوهه تبارك وتعالى. فمعنى قوله ﷺ: «الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق»، أي: كل إنسان لو فتش في قلبه لرأى طريقاً يوصله إلى الله ليس عند الطرف الآخر، هناك إنسان يصل إلى الله عبر العلم، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (سورة فاطر: ٢٨)، وهناك إنسان





يصل إلى الله عبر الأخلاق العالية، الأخلاق أحياناً توصلك إلى الله وإن لم تكن إنساناً عابداً ولا عالماً، وهناك إنسان ذلك يصل إلى الله عبر العبادة، قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (سورة الحجر: ٩٩). إذن الطرق إلى الله تختلف باختلاف طاقات البشر وواهب البشر وملكات البشر. وهذا معنى قوله ﷺ: «الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق». وهناك أناس يصلون إلى الله تبارك وتعالى عبر الوسيلة، كما قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ (سورة المائدة: ٣٥)، وسيلتي إلى الله، أنا أصل إلى الله عبر فاطمة الزهراء ﷺ، فاطمة الزهراء ﷺ مظهر من مظاهر الله، فاطمة الزهراء ﷺ تجل من تجليات الله، «فاطمة بضعة مني يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها» فاطمة ﷺ صورة، مظهر، تجل من تجليات الله تبارك وتعالى، أنا أصل إلى الله من خلال فاطمة ﷺ، من خلال التأمل في سيرة فاطمة ﷺ، من خلال الارتباط بخط فاطمة ﷺ أصل إلى الله تبارك وتعالى، هذا طريق إلى الله. الإمام الحسين بن علي ﷺ كان طريقه إلى الله النبي ﷺ، كان الإمام الحسين بن علي ﷺ يتخذ رمزاً بنيه وبين الله، يتخذ شعاراً بنيه وبين الله يجعله طريقاً إلى الله، ذلك الرمز وذلك الشعار وتلك الوسيلة التي اتخذها الإمام الحسين ﷺ في وصوله إلى ربه هي جدّه النبي المصطفى ﷺ. وكان النبي ﷺ مع أنّه أشرف الخلق، مع أنّه أفضل الخلق، مع أنّه أقرب الخلق إلى الله تبارك وتعالى، كان النبي ﷺ كما في بعض الروايات يتوسّل بالإمام الحسين بن علي ﷺ إلى الله تبارك وتعالى، الإمام الحسين بن علي ﷺ بلغ بشهادته وصبره وتحمله وما لقي في سبيل فدائه للإسلام والمبادئ والقيم حصل على شأن عظيم وحصل على عظمة كبيرة إلى حدّ كان النبي ﷺ يرى الإمام الحسين ﷺ وجهاً من وجوه الله ويرى الإمام الحسين ﷺ مظهرًا من مظاهر الله في صبره وجلده وقوة إرادته وقوة تحمله وعرفانه وارتباطه بالله تبارك وتعالى. وليس هذا غريباً فالنبي ﷺ يوم المباهلة توسّل بالأطهار صلوات الله عليهم أجمعين لما نزل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (سورة آل عمران: ٦١).





يذكر الزمخشري في كشّافه والرزاي في تفسيره: خرج النبي ﷺ وبه يميني الحسن ﷺ وبه يميني اليسرى الحسين ﷺ وخلفه فاطمة ﷺ وخلف فاطمة ﷺ علي ﷺ، وهو يقول: «إذا دعوت فأمنوا»، فلما رأهم أسقف نصارى نجران قال: إنني أرى وجوهاً لو أقسمت على الله أن يزيل جبلاً لأزاله بها فلا تباهلوهم فتهلكوا (انظر تفسير الكشاف للزمخشري ج ١: ص ٣٦٨). إذن النبي ﷺ عندما أخذ الأربعة معه كان يتوسّل بهم إلى الله، كان يريد أن يقول للأمة: إذا أردتم وسيلة إلى الله فالوسيلة الأسمى والوسيلة الأجلّ هم هؤلاء الصفوة المطهّرة الطاهرة وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (سورة الأحزاب: ٣٣). «حسينٌ منّي» حسينٌ يستمدّ طريقه إلى الله منّي، «وأنا من حسين» وأنا أتخذ من الحسين رمزاً ووسيلة وشعاراً إلى الله تبارك وتعالى.

المعنى الخامس: العلاقة الخطيئة والمنهجية: وهي أنّه لولا النبي ﷺ لما ثار الإمام الحسين ﷺ، ولولا الإمام الحسين ﷺ لما بقي دين النبي ﷺ ولما بقي ذكر النبي ﷺ، «حسينٌ منّي» يعني الإمام الحسين ﷺ استقى ثورته منّي، استقى حرارته ولهيبه منّي، استقى صرخته وصموده منّي، الإمام الحسين ﷺ ماذا قال؟ «إن كان دين محمد لم يستقم إلّا بقتلي يا سيوف خذيني». والنبي ﷺ ماذا كان يقول؟ كان يتقدّم المقاتلين وهو يقول: «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب»، الإمام الحسين ﷺ ماذا كان يقول؟ كان يقول: «ألا وإنّ الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين: بين السلّة والذلة وهيهات منّا الذلة»، والرسول ﷺ ماذا كان يقول؟ كان يقول: «والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتّى يظهره الله أو أهلك دونه» (بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ١٨: ص ١٨٢). إذن الإمام الحسين ﷺ استقى خطّه واستقى طريقه من النبي المصطفى ﷺ، استقى الصمود وقوّة الإرادة وقوّة التحدي وأصبح إعصاراً لا يلين ولا يتنازل ولا يتردّد ولا يتراجع، «لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أفرّ فرار العبيد» (الإرشاد للشيخ المفيد ﷺ ج ٢: ص ٩٨)، أصبح صموداً وعنفواناً أمام أعاصير الأعداء وأراجيفهم استقاءً واستمداداً من خطّ النبي المصطفى محمد ﷺ. فحسينٌ منّي



وأنا أيضاً من حسين، لولا دم الحسين لما بقيت، لولا دم الحسين لخمد ذكرى، لولا دم الإمام الحسين عليه السلام لانقرض وجودي، لولا دم الحسين لتبخرت جميع طاقتي وجميع مشاريعي وجميع أتعابي، إذن جهود النبي ﷺ، طاقات النبي ﷺ، مشاريع النبي ﷺ، جراح النبي ﷺ، كلها لولا دم الإمام الحسين عليه السلام لتبخرت وانقرضت. جاء رجل للإمام زيد العابدين عليه السلام، قال له: أيهما انتصر، أبوك أم يزيد بن معاوية؟ وكان يظن هذا المسكين أن النصر هو النصر العسكري ولم يدرك أن النصر هو النصر المعنوي التاريخي السماوي، قال له الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «إذا دخل وقت الصلاة وسمعت المؤذن ينادي: "أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله" ستعرف من انتصر أبي أم يزيد بن معاوية» (انظر بحار الأنوار ج ٤٥: ص ١٧٦). إذن الإمام علي بن الحسين عليه السلام يريد أن يقول: إن أبي ما ثار إلا لأجل إبقاء ذكر النبي ﷺ، لأجل إبقاء مشاريع النبي ﷺ، لأجل إعلاء راية النبي ﷺ، فإذا بقي ذكر النبي ﷺ ورايته عالية مرفرفة إذن فالمنتصر هو الإمام الحسين عليه السلام، فولا الإمام الحسين عليه السلام لما بقي النبي ﷺ، إذن هذا معنى: «حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا وأبغض الله من أبغض حسينا، حسين سبط من الأسباط». وبقي الإمام الحسين عليه السلام وبقيت كربلاء رمزاً للإمام الحسين عليه السلام بل رمزاً للنبي المصطفى ﷺ، رمزاً لجهاد النبي ﷺ، لبطولة النبي ﷺ، لأخلاق النبي ﷺ، لقيم النبي ﷺ، لمبادئ النبي المصطفى ﷺ، بقيت كربلاء هذه البقعة المباركة بقعة أخرى كالمدينة المنورة ومكة المكرمة، بقيت كربلاء منارة أخرى يضم إلى المنارين السابقين، فالنبي ﷺ له منارات متعددة، ومن مناراته أرض كربلاء، هذه البقعة الطاهرة، هذه البقعة التي هي بقعة من الجنة، بقعة ضمت الأجساد الطاهرة والأضرحة والقبور المشرقة المضيئة. فالحديث يدل بوضوح على إمامة مولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وقد جاء في بعض النصوص والروايات الواردة في كتب أهل السنة خصوصيات الأئمة الأطهار عليهم السلام بأسمائهم موضحاً بأن أولهم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وبعده ابنه الإمام الحسن عليه السلام، ثم أخوه الإمام الحسين عليه السلام، ثم تسعة من ذرية الحسين عليه السلام وآخرهم المهدي عليه السلام؛ كما ذكرهم في بعض الروايات التي رواها



ولمّا هلك معاوية طلب أهل الكوفة منه التوجّه إليهم ليصير إماماً عليهم^(١).



كبار علماء أهل السّنة، منها: ما أخرجه الحموي في الجويني في كتابه فرائد السمطين في حديث طويل قال: قدم يهودي يقال له "نعثل" فقال: يا محمّد، أسألك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين، فإن أجبتني عنها أسلمت على يدك. قال: «سل يا أبا عمار»، فسأله عن أشياء إلى أن قال: صدقت، ثمّ قال: فأخبرني عن وصيّك من هو؟ فما من نبي إلاّ وله وصي، وإنّ نبينا موسى بن عمران أوصى إلى يوشع بن نون، فقال: «إنّ وصيّ علي بن أبي طالب، وبعده سبطاي الحسن والحسين، تتلوهم تسعة أئمة من صلب الحسين»، قال: يا محمّد فسمّهم لي، قال: «إذا مضى الحسين فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمّد، فإذا مضى محمّد فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه موسى، فإذا مضى موسى فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمّد، فإذا مضى محمّد فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه الحسن، فإذا مضى الحسن فابنه الحجة محمّد المهدي، فهؤلاء اثنا عشر»، قال: فأسلم اليهودي وحمد الله على الهداية (انظر فرائد السمطين ج ٢: ص ١٣٢)، ورواه القندوزي الحنفي في ينابيع المودة ج ٣: ص ٢٨١. وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في كتبهم، ولو أردنا أن نذكرها لطال بنا المقام، وسندكرها إن شاء الله في محله. هذا بناءً على ما جاء في كتب أهل السّنة، وإذا أضفنا إليها الروايات التي وردت في مصادر الشيعة فإنّها كثيرة جداً وبالغة عن حدّ التواتر، فلاحظ.

(١) لقد اتّفق المؤرّخون والمحدّثون على أنّه لمّا بلغ أهل الكوفة خبر موت معاوية بن أبي سفيان وأنّ الإمام الحسين عليه السلام رفض البيعة يزيد، اغتنم أهل الكوفة الفرصة، وعقدوا اجتماعاً في منزل سليمان بن صرد الخزاعي، فأرسلوا وفداً من قبلهم إلى الإمام الحسين عليه السلام وكتبوا رسائل كثيرة يطلبون منه تشكيل الحكومة في الكوفة. وقد خرج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة وأقام في مكّة مدّة قصيرة، حتّى تقاطرت إليه رسائلهم ورسائلهم، يدعونه إليهم، مظهرين استعدادهم لنصرته والقيام معه، حتّى أنّه اجتمع عنده في ثوب متفرقة اثنا عشر ألف كتاب (انظر اللهوف لسيد بن طاوس: ص ٢٤). فبعثوا قيس





بن مسهر الصيداوي وعبد الرحمن بن عبد الله بن شداد الأرحبي وعمارة بن عبد الله السلولي إلى الإمام الحسين عليه السلام ومعهم نحو اثنا عشر ألف كتاب (انظر اللهوف لسيد بن طاوس: ص ٢٤). ثم لبثوا يومين آخرين وسرحوا إليه هاني بن هاني السبعي وسعيد بن عبد الله الحنفي وكانت من كتب التي كتبت إليه هذا الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم للحسين بن علي من شيعته من المؤمنين والمسلمين، أما بعد، فحيّلا، فإنّ الناس ينتظرونك لا رأي لهم غيرك فالعجل العجل، ثمّ العجل العجل، والسلام (انظر تاريخ الطبري ج ٤: ص ٢٦٢). وايضا كتاب من أهل الكوفة وفيه: بسم الله الرحمن الرحيم للحسين بن علي، من سليمان بن صرد، والمسيّب بن نجبة، ورفاعة بن شدّاد، وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة، أما بعد: فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد، الذي اعتدى على هذه الأمة، فانتزعها حقوقها، واغتصبها أمورها. وغلّبا على فيئها، وتأمر عليها على غير رضی منها، ثمّ قتل خيارها، واستبقى شرارها، فبعداً له كما بعدت ثمود، إنّه ليس علينا إمام، فأقدم علينا، لعلّ الله أن يجمعنا بك على الهدى، فإنّ النعمان بن بشير في قصر الإمارة، ولسنا نجتمع معه في جمعة، ولا نخرج معه الى عيد، ولو قد بلغنا مخرجك أخرجناه من الكوفة، وألحقناه بالشام، والسلام (انظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ٢: ص ٤). وفي رواية أنّ أهل الكوفة كتبوا إلى الإمام الحسين عليه السلام أنّ لك هنا مائة ألف سيف فلا تتأخّر (الإرشاد للشيخ المفيد رحمته الله ج ٢: ص ٧١). وتلاقت الرسل كلّها عند الإمام الحسين عليه السلام فقال الإمام عليه السلام لهاني وسعيد خبراني: «من اجتمع على هذا الكتاب الذي سير إليّ معكم؟» فقالا: يا ابن رسول الله شبث بن ربعي، وحجّار بن أبجر، ويزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم، وعزرة ابن قيس، وعمرو بن الحجاج، ومحمّد بن عمير بن عطارد وكلّ هؤلاء خرجوا لقتال الإمام الحسين عليه السلام، وهم من أعيان الكوفة ووجوهها فعندها. ولذلك نادى الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء في ساحة الحرب بأعلى صوته: «يا شبث بن ربعي، ويا حجار ابن أبجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إليّ أن قد أينعت الثمار، وأخضر الجنب، وطمت الجمام، وإنّما تقدّم على جند لك مجند فأقبل؟» (انظر أنساب الأشراف ج ٣: ص ١٨٨، والبداية والنهاية لابن كثير ج ٨: ٨)





ص ١٩٤، ومقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف الأزدي: ص ١١٨). قام الإمام الحسين عليه السلام فصلّى ركعتين بين الركن والمقام وسأل الله الخيرة في ذلك (انظر أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ج ١: ص ٥٨٩). ثم كتب مع هاني بن هاني وسعيد بن عبد الله: «بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى الملاء من المؤمنين والمسلمين، أما بعد فإنّ هانياً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم وكانا آخر من قدم عليّ من رسلكم، وقد فهمت كلّ الذي أقتصصتم وذكرتم ومقالة جلّكم أنّه ليس علينا إمام فأقبل لعلّ الله يجمعنا بك على الحقّ والهدى، وأنا باعث إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل، فإن كتب إليّ أنّه قد اجتمع رأي ملثكم وذوي الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم وقرأت في كتبكم، فإنّي أقدم إليكم وشيكاً إن شاء الله تعالى، فلعمري ما الإمام إلاّ الحاكم بالكتاب القائم بالقسط الدائن بدين الحقّ الحابس نفسه على ذلك لله، والسلام» (انظر تاريخ الطبري ج ٤: ص ٢٦٢). ودعا الإمام الحسين عليه السلام ابن عمّه مسلم بن عقيل وقيل إنّ كتب معه جواب كتبهم فسرّحه مع قيس بن مسهر الصيدائي ورجلين آخرين وأمره بالتقوى وكتمان أمره واللطف، فإنّ رأى الناس مجتمعين مستوسقين عجل إليه بذلك (انظر مقتل الإمام الحسين عليه السلام لأبي مخنف الأزدي: ص ١٩). فأقبل مسلم بن عقيل حتّى أتى المدينة واستأجر دليلين من قيس، فأقبلا به يتنكبّان الطريق وأصابهما عطش شديد فعجزا عن السير، فأوماً له إلى سنن الطريق ومات الدليلان عطشاً (انظر تاريخ الطبري ج ٤: ص ٢٦٣). ثم روى الشيخ المفيد رحمته الله نقلاً من الطبري السني: أنّه كتب مسلم بن عقيل إلى الإمام الحسين عليه السلام من الموضع المعروف بالمضيق وهو ماء لبني كلب مع قيس بن مسهر: أما بعد، فإنّي أقبلت من المدينة مع دليلين فجارا عن الطريق فضلاً، واشتدّ علينا العطش فلم يلبثا أن ماتا وأقبلنا حتّى انتهينا إلى الماء، فلم ننج إلاّ بحشاشة أنفسنا وذلك الماء بمكان يدعى المضيق من بطن الخبت، وقد تطيّرت من توجّهي هذا، فإن رأيت أعفيتني منه وبعثت غيري والسلام. فكتب إليه الإمام الحسين عليه السلام: «قد خشيت أن لا يكون حملك لي الاستعفاء إلاّ الجبن، فامض لوجهك الذي وجهتك فيه»، فقال مسلم: أما هذا فلست أتخوّفه على نفسي، فأقبل حتّى مرّ بماء





لطي، فنزل ثم ارتحل عنه، فإذا برجل يرمي الصيد فنظر إليه وقد رمى طياً حين أشرف له فصرعه، فقال مسلم: نقتل عدوتنا إن شاء الله (انظر الإرشاد للشيخ المفيد رحمته الله ج ٢: ص ٤٠). ثم أقبل حتى دخل الكوفة فنزل دار المختار وأقبلت الناس تختلف إليه، فكلما اجتمع إليه منهم جماعة قرأ عليهم كتاب الإمام الحسين عليه السلام وهم يبكون فقام عابس بن أبي شبيب الشاكري، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإنني لا أخبرك عن الناس ولا أعلم ما في أنفسهم وما أغرّك منهم؟ والله أحدثك عما أنا موطن نفسي عليه، والله لأجيبنكم إذا دعوتهم ولأقاتلن معكم عدوكم ولأضربن بسيفي دونكم حتى ألقى الله لا أريد بذلك إلا ما عند الله فقام فقام حبيب بن مظاهر الفقعسي فقال: رحمك الله قد قضيت ما في نفسك بواجز من قولك، ثم قال: وأنا والله الذي لا إله إلا هو على مثل ما هذا عليه، ثم قال الحنفي مثل ذلك، فقال الحجاج بن علي: فقلت لمحمد بن بشر: فهل كان منك أنت قول؟ فقال: إن كنت لأحب أن يعز الله أصحابي بالظفر وما كنت لأحب أن أقتل وكرهت أن أكذب واختلفت الشيعة إليه حتى علم مكانه، فبلغ ذلك النعمان بن بشير... (انظر تاريخ الطبري ج ٤: ص ٢٦٤). وبايعه الناس حتى بايعه منهم ثمانية عشر ألفاً (انظر الأخبار الطوال لابن قتيبة الدينوري: ص ٢٣٥). فكتب إلى الإمام الحسين عليه السلام قبل أن يقتل لسبع وعشرين ليلة: أما بعد، فإن الرائد لا يكذب أهله، وإن جميع أهل الكوفة معك وقد بايعني منهم ثمانية عشر ألفاً، فعجل الإقبال حين تقرأ كتابي هذا، والسلام (انظر تاريخ الطبري ج ٤: ص ٢٩٧). وجعل الناس يختلفون إليه حتى علم بمكانه، فبلغ النعمان بن بشير ذلك وكان والياً على الكوفة من قبل معاوية فأقره يزيد عليها وكان صحابياً حضر مع معاوية حرب صفين وكان من أتباعه، وقتله أهل حمص في فتنة ابن الزبير وكان والياً عليها، فصعد المنبر وخطب الناس وحذرهم الفتنة (انظر أعيان الشيعة ج ١: ص ٥٨٩). فقام إليه عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي حليف بني أمية فقال له أنه لا يصلح ما ترى إلا الغشم، إن هذا الذي أنت عليه رأي المستضعفين، فقال له النعمان: أن أكون من المستضعفين في طاعة الله أحب إلي من أن أكون من الأعزّين في معصية الله، ثم نزل (انظر مقتل الإمام الحسين عليه السلام لأبي مخنف الأزدي: ص ٢٢). فكتب عبد الله بن مسلم



منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨ ٣٥٣
قال خاتمة حفاظهم في إصابته: أتته كتب أهل الكوفة أنهم بايعوه بعد
معاوية، فأرسل إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل فأخذ بيعتهم وأرسل إليه
فتوجه وكان من قصته ما كان^(١). وقال غيره من عمدتهم مثله^(٢).



إلى يزيد يخبره بقدوم مسلم بن عقيل الكوفة ومبايعة الناس له ويقول: إن كان لك في
الكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قوياً ينفذ أمرك ويعمل مثل عملك في عدوك، فإنَّ
النعمان بن بشير رجل ضعيف أو هو يتضعف، وكتب إليه عمارة بن الوليد بن عقبة وعمر
ابن سعد بنحو ذلك، فدعا يزيد سرجون الرومي مولى معاوية وكان سرجون مستولياً على
معاوية في حياته واستشاره فيمن يولي على الكوفة... (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير
ج ٤: ص ٢٢). وكان يزيد عاتباً على عبيد الله بن زياد وهو يومئذ وال على البصرة وكان
معاوية قد كتب لابن زياد عهداً بولاية الكوفة ومات قبل إنفاذه، فقال سرجون ليزيد: لو
نشر لك معاوية ما كنت آخذاً برأيه، قال: بلى، قال: هذا عهد لعبيد الله على الكوفة فضمَّ
يزيد البصرة والكوفة إلى عبيد الله وكتب إليه بعهدته وسيّره مع مسلم بن عمرو الباهلي
وكتب إلى عبيد الله معه: أما بعد، فإنه كتب إليّ شيعتي من أهل الكوفة يخبرونني أنَّ ابن
عقيل فيها يجمع الجموع ليشقّ عصا المسلمين، فسر حين تقرأ كتابي هذا حتّى تأتي
الكوفة فتطلب ابن عقيل طلب الخرزة حتّى تتقفه فتوثقه أو تقتله أو تنفيه والسلام. فخرج
مسلم بن عمرو حتّى قدم على عبيد الله بالبصرة، فأمر عبيد الله بالجهاز من وقته والتهيؤ
والمسير إلى الكوفة من الغد... (انظر تاريخ الطبري ج ٤: ص ٢٦٥).

(١) انظر الإصابة لابن حجر ج ٢: ص ٦٩، في ترجمة الإمام الحسين عليه السلام

(٢) لقد ذكر المؤرّخون من كبار علماء أهل السنة أنَّ الكوفيين كاتبوا الإمام الحسين عليه السلام
ويدعونه إلى القيام والنهضة ضدّ حكومة يزيد، باذلين له الطاعة. فأكثر زعماء أهل
الكوفة كتبوا إلى الإمام الحسين عليه السلام، حتّى بلغ عدد الرسائل للإمام الحسين عليه السلام أكثر من
آلاف. قال ابن الأثير في الكامل: ولما بلغ أهل الكوفة موت معاوية وامتناع الحسين وابن
عمر وابن الزبير عن البيعة أرفجوا بيزيد واجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد
←



الخزاعي، فذكروا مسير الحسين إلى مكة وكتبوا إليه عن نفر منهم سليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد وحبيب بن مظاهر وغيرهم؛ بسم الله الرحمن الرحيم، سلام عليك، فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها وغصبها فيئها وتأمّر عليها بغير رضا منها، ثم قتل خيارها واستبقى شرارها، وإنه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق، والنعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة ولا عيد، ولو بلغنا إقبالك إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله تعالى، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. وسيروا الكتاب مع عبد الله بن سبيع الهمداني وعبد الله بن وال ثم كتبوا إليه كتاباً آخر وسيروه بعد ليلتين، فكتب الناس معه نحواً من مائة وخمسين صحيفة ثم أرسلوا إليه رسولاً ثالثاً يحثونه على المسير إليهم، ثم كتب إليه شيب بن ربعي وحجّار بن أبجر ويزيد بن الحارث ويزيد بن رويم وعروة بن قيس وعمرو بن الحجاج الزبيدي ومحمد بن عمير التميمي بذلك، فكتب إليهم الحسين عليه السلام عند اجتماع الكتب عنده: «أما بعد فقد فهمت كل الذي أقتصصتم وقد بعثت إليكم بأخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل، وأمرته أن يكتب إلي بحاكم وأمركم ورأيكم، فإن كتب إلي أنه قد اجتمع رأي ملتكم فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب والقائم بالقسط والدائن بدين الحق، والسلام» (الكامل في التاريخ ج ٤: ص ١٩). وقال البلاذري: وبلغ الشيعة من أهل الكوفة موت معاوية، وامتناع الحسين من البيعة ليزيد فكتبوا إليه كتاباً صدوره من سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد، وحبيب بن مظاهر وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة؛ أما بعد فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة، فابتزها أمرها وغصبها فيئها وتأمّر عليها بغير رضى منها، ثم قتل خيارها واستبقى شرارها وجعل مال الله دولة بين أغنيائها، فبعداً له كما بعدت ثمود، وليس علينا إمام فأقدم علينا لعل الله يجمعنا بك على الحق (أنساب الأشراف ج ٣: ص ١٥٧). وقال النويري في نهاية الأرب: ولمّا بلغ أهل الكوفة موت معاوية وامتناع الحسين وابن عمرو ابن الزبير من البيعة، أرجفوا بيزيد، واجتمعت الشيعة في منزل سليمان





بن صرد، فذكروا مسير الحسين عليه السلام إلى مكة، وكتبوا إليه عن نفر منهم: سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد وحبيب بن مظهر: بسم الله الرحمن الرحيم، وسلام عليك، فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها وغصبها فيئها وتأمر عليها بغير رضا منها، ثم قتل خيارها واستبقى شرارها، وإنه ليس علينا إمام، فأقبل، لعل الله يجعلنا بك على الحق، والنعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة ولا عيد، ولو بلغنا إقبالك إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله تعالى، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. وسيروا الكتاب مع عبد الله بن سيع الهمداني وعبد الله بن وائل (نهاية الأرب في فنون الأدب ج ٢٠: ص ٣٨٦). وقال ابن مسكويه في تجارب الأمم: ما كتبه إليه أهل الكوفة؛ ثم إن أهل الكوفة من شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام اجتمعوا، فكاتبوا الحسين بن علي: إنا قد اعتزلنا الناس، فلسنا نصلي بصلاتهم، ولا إمام لنا، فلو أقبلت إلينا رجونا أن يجمعنا الله لك على الإيمان. ثم اجتمع رؤساء الشيعة مثل سليمان بن صرد، والمسيب بن نجبة وأشباههم، وكتبوا إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، لحسين بن علي من شيعته المؤمنين، أما بعد، فحي هلا، فإن الناس ينتظرونك، لا رأي لهم في غيرك، فالعجل، ثم العجل، والسلام. ثم اجتمعوا ثالثة، فكتبوا إليه من شئت بن ربعي، وحجار بن أبجر، ويزيد بن الحارث بن رويم، وعمر بن الحجاج، ومحمد بن عمير: أما بعد، فقد اخضر الجناب، وأينعت الثمار، وطمت الجمام، فإذا شئت فأقدم على جنود مجندة لك، والسلام. فاجتمعت الرسل كلهم عند الحسين، وقرأ الكتب، وسأل الرسل عن أمر الناس، ثم كتب أجوبة كتبهم، وأنفذ مسلم بن عقيل بن أبي طالب إليهم، وقال له: «اذهب، فاعرف أحوال الناس، وانظر ما كتبوا به، فإن كان صحيحاً قد اجتمع عليه رؤساؤهم وتابعهم من يوثق به، خرجنا إليهم». فسار مسلم إلى الكوفة، وبها النعمان بن بشير الأنصاري أميراً من قبل يزيد. فلما تحدث الناس بمقدمه دبوا إليه، فبايعه منهم اثنا عشر ألفاً. فقام عبد الله بن مسلم الحضرمي إلى النعمان بن بشير، فقال له: إنك ضعيف، أو متضعف، قد فسد البلاد، وليس يصلح ما ترى إلا الغشم». (تجارب الأمم لابن مسكويه





ج ٢: ص ٤١). قال الطبري: فلما بلغ أهل الكوفة هلاك معاوية أرجف أهل العراق بيزيد وقالوا قد امتنع حسين وابن الزبير ولحقا بمكة، فكتب أهل الكوفة إلى حسين وعليهم النعمان بن بشير. قال أبو مخنف: فحدثني الحجاج بن علي عن محمد بن بشر الهمداني قال: اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد فذكرنا هلاك معاوية، فحمدنا الله عليه، فقال لنا سليمان بن صرد: إن معاوية قد هلك وإن حسيناً قد تقبض على القوم ببيعته وقد خرج إلى مكة وأنتم شيعته وشيعة أبيه، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدو عدوه فاكتبوا إليه، وإن خفتم الوهل والفسل فلا تغرّوا الرجل من نفسه. قالوا: لا، بل نقاتل عدوه ونقتل أنفسنا دونه. قال: فاكتبوا إليه فكتبوا إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، لحسين بن علي من سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد وحبيب بن مظاهر وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة، سلام عليك، فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها وغصبها فيأها وتأمر عليها بغير رضى منها، ثم قتل خيارها واستبقى شرارها وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها، فبعداً له كما بعدت ثمود، إنه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق، والنعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله، والسلام ورحمة الله عليك. قال: ثم سرحنا بالكتاب مع عبد الله بن سبيع الهمداني وعبد الله بن وال وأمرناهما بالنجاء، فخرج الرجلان مسرعين حتى قدما على حسين لعشر مضي من شهر رمضان بمكة ثم لبثنا يومين ثم سرحنا إليه قيس بن مسهر الصيدائي وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكدك الأرحبي وعمارة بن عبيد السلولي، فحملوا معهم نحو من ثلاثة وخمسين صحيفة من الرجل والاثنين والأربعة، قال: ثم لبثنا يومين آخرين ثم سرحنا إليه هانئ بن هانئ السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي وكتبنا معهما: بسم الله الرحمن الرحيم لحسين بن علي من شيعته من المؤمنين والمسلمين، أما بعد فحيهلاً، فإن الناس ينتظرونك ولا رأي لهم في غيرك فالعجل العجل، والسلام عليك. وكتب شيث بن ربي وحجار بن أبجر ويزيد بن الحارث ويزيد بن رويم وعزرة ابن





قيس وعمرو بن الحجاج الزبيدي ومحمد بن عمير التميمي: أمّا بعد، فقد اخضرّ الجنب وأينعت الثمار وطمت الجمام، فإذا شئت فأقدم على جند لك مجند، والسلام عليك. وتلاقت الرسل كلّها عنده، فقرأ الكتب وسأل الرسل عن أمر الناس، ثمّ كتب مع هانئ بن هانئ السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي، وكان آخر الرسل: «بسم الله الرحمن الرحيم، من حسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين، أمّا بعد فإن هانئاً وسعيداً قدما على بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليّ من رسلكم، وقد فهمت كلّ الذي أقتصصتم وذكّرتهم، ومقالة جلّكم إنّه ليس علينا إمام فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق، وقد بعث إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم، فإن كتب إليّ أنّه قد أجمع رأي ملثكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت عليّ به رسلكم، وقرأت في كتبكم أقدم عليكم وشيكا إن شاء الله، فلعمري ما الإمام إلّا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائن بالحقّ والحاسب نفسه على ذات الله، والسلام» (تاريخ الطبري ج ٤: ص ٢٦١). وقال ابن الجوزي في المنتظم: وفي رواية أخرى: إنّ الحسين لمّا خرج من المدينة قيل له: لو تجنّبت الطريق كما فعل ابن الزبير لأجل الطلب. قال: «لا، والله، لا أفارقها حتّى يقضي الله ما أحبّ». فاستقبله عبد الله بن مطيع، فقال له: جعلت فداك، أين تريد؟ قال: «أمّا الآن فمكة وما بعدها، فإنّي أستخير الله»، فقال: خار الله لك، وجعلنا فداك، فإذا أتيت مكة فإياك أن تقرب الكوفة، فإنّها بلدة مشنومة، بها قتل أبوك، وخذل أخوك، واغتيل بطعنة كادت تأتي على نفسه، ألزم الحرم، فإنّك سيّد العرب، ولا يعدل بك أهل الحجاز أحداً، ويتداعى الناس إليك من كلّ جانب. فنزل مكة، واختلف أهلها إليه وأهل الآفاق، وابن الزبير لازم جانب الكعبة، فهو قائم يصلي عندها ويطوف، ويأتي حسيناً فيمن يأتيه، ويشير عليه، وهو أثقل خلق الله على ابن الزبير، لأنّه قد علم أنّ أهل الحجاز لا يبايعونه أبداً ما دام حسين بالبلد، وقام سليمان بن صرد بالكوفة، فقال: إن كنتم تعلمون أنّكم تنصرون حسيناً فاكتبوا إليه، وإن خفتم الفشل فلا تغرّوه. قالوا: بل نقاتل عدوّه، فكتبوا إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، لحسين بن علي من سليمان بن صرد، والمسيّب بن نجية، ورفاعة بن شدّاد، وحبيب بن مظاهر وشيعته من





المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة، سلام عليك، فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، الحمد لله الذي قصم عدوك، وإنه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله يجمعنا بك. فقدم الكتاب عليه بمكة لعشر مضي من رمضان، ثم جاءه مائة وخمسون كتاباً من الرجل والاثنين والثلاثة، ثم جاءه كتاب آخر يقولون: حي هلا، فإن الناس ينتظرونك، فالعجل العجل. وتلاقت الرسل كلها عنده. فقرأ الكتب، وكتب مع هاني بن هاني السبيعي، وسعيد بن عبيد الحنفي، وكانا آخر الرسل: «بسم الله الرحمن الرحيم، من حسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين، أما بعد، فإن هانئاً وسعيداً قدما علي، وكانا آخر من قدم من رسلكم، وقد بعثت أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي وأمرت أن يكتب إلي بحالكم، فإن كتب إلي أنه قد أجمع رأي ملئكم وذوي الحجي والفضل منكم على مثل ما قدمت به علي رسلكم، قدمت عليكم إن شاء الله تعالى». فلما قتل مسلم بن عقيل وهاني، وكان الحسين قد خرج من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضي من ذي الحجة، وكان قد أشار عليه جماعة منهم ابن عباس أن لا يخرج، وكان من جملة ما قال له: أتسير إلى قوم أميرهم عليهم قاهر لهم، وعماله تجبي بلادهم، فإنما دعوك إلى الحرب، ولا آمن أن يكذبوك. فقال: «أستخير الله»، ثم عاد إليه فقال له: إنني أتصبر ولا أصبر، إنني أتخوف عليك أهل العراق، فإنهم أهل غدر، أقم بهذا البلد فإنك سيد الحجاز، فإن كان أهل العراق يريدونك فاكتب إليهم (المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج ٥: ص ٣٢٧). وقال أبو مخنف الأزدي: فلما بلغ أهل الكوفة هلاك معاوية أرجف أهل العراق يزيد وقالوا: قد امتنع حسين وابن الزبير ولحقا بمكة وكتب أهل الكوفة إلى حسين وعليهم النعمان ابن بشير، قال أبو مخنف: فحدثني الحجاج بن علي عن محمد بن بشر الهمداني قال: اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد فذكرنا هلاك معاوية، فحمدنا الله عليه، فقال لنا سليمان بن صرد: إن معاوية قد هلك وإن حسيناً قد تقبض على القوم ببيعته وقد خرج إلى مكة وأنتم شيعته وشيعة أبيه، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهد وعدوه فاكتبوا إليه، وإن خفتهم الوهل والفضل، فلا تغرؤوا الرجل من نفسه. قالوا: لا بل نقاتل عدوه ونقتل أنفسنا دونه، قال: فاكتبوا إليه، فكتبوا إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، لحسين بن علي من



فعلم بهتان السنّي بقوله طلبها الحسين عليه السلام ^(١)،



سليمان بن صرد والمسيب بن نجمة ورفاعة بن شدّاد وحبيب بن مظاهر وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة سلام عليك، فإنّا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أمّا بعد، فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزّها أمرها وغصبها فيّنها وتأمّر عليها بغير رضى منها، ثمّ قتل خيارها واستبقى شرارها وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها، فبعداً له كما بعدت ثمود، إنّهُ ليس علينا إمام، فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحقّ، والنعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنّك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتّى نلحقه بالشام إن شاء الله والسلام ورحمة الله عليك. قال: ثمّ سرحنا بالكتاب مع عبد الله بن سبع الهمداني وعبد الله بن وال وأمرنا هما بالنجاء، فخرج الرجلان مسرعين حتّى قدما على حسين لعشر مضيّن من شهر رمضان بمكّة، ثمّ لبثنا يومين ثمّ سرحنا إليه قيس بن مسهر الصيداوي وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكدن الأرحبي وعمار بن عبيد السلولي، فحملوا معهم نحواً من ثلاثة وخمسين صحيفة من الرجل والاثنين والأربعة، قال: ثمّ لبثنا يومين آخرين ثمّ سرحنا إليه هاني بن هاني السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي وكتبنا معهم: بسم الله الرحمن الرحيم، لحسين بن علي من شيعته من المؤمنين والمسلمين: أمّا بعد فحيهلاً، فإنّ الناس ينتظرونك ولا رأي لهم في غيرك فالعجل العجل، والسلام عليك. وكتب شبت بن ربيعي وحجّار بن أبجر ويزيد بن الحارث ويزيد بن رويم وعزرة بن قيس وعمرو بن الحجّاج الزبيدي ومحمّد بن عمير التميمي: أمّا بعد، فقد اخضر الجنب وأينعت الثمار وطمت الجمام، فإذا شئت فأقدم على جند لك مجند والسلام عليك. وتلاقت الرسل كلّها عنده فقرأ الكتب وسأل الرسل عن أمر الناس ثمّ كتب مع هاني بن هاني السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي وكان آخر الرسل (مقتل الإمام الحسين عليه السلام أبي مخنف الأزدي: ص ١٤).

(١) وتوضيح المقام أنّه قد ثبت من المصادر السنّية أنّ الناس طلبوا من الإمام الحسين عليه السلام أن





يأتي إلى الكوفة ليبايعوه بالخلافة والإمامة. وهنا يلزم التنبيه والإشارة إلى أن إقامة حكومة عادلة من وظائف إمام الحق، كما أنها كانت من وظائف النبي ﷺ، ولذلك عندما قدم النبي الأكرم ﷺ إلى المدينة المنورة أسس الحكومة الإسلامية، وكان النبي ﷺ على رأسها. فالإمام الحسين عليه السلام الذي كانت إمامته منصوبة كتاباً وسنةً، وقد نص رسول الله ﷺ على إمامته، كما ورد في الحديث المتواتر عن النبي الأكرم ﷺ قال: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا» (انظر مناقب آل أبي طالب ج ٣: ص ٣٦٧، علل الشرايع ج ١: ص ٢١١ باب ١٥٩ ح ٢، الطرائف: ص ١٩٦). فمن حقّه عليه السلام أن يواجه الحكومة الجائرة التي أفسدت البلاد والعباد ومحقت تعاليم الدين، بالنهضة والثورة عليها، ويؤسس حكومة إسلامية شرعية كحكومة النبي ﷺ.

ثم يأتي هذا السؤال بأنه هل كان قيام الإمام الحسين عليه السلام وثورته المباركة طلباً للتأسيس للحكومة، والاستيلاء على الحكم أم لا؟ وقد تعرض الكثيرون ممن كتبوا عن الإمام الحسين عليه السلام لهذه الشبهة فنفيها نفيًا كليًا مؤكدين أن الإمام الحسين عليه السلام لم ينهض طلباً للحكم ولا كان من أهدافه انتزاع السلطة من الأمويين ولم يكن يفكر في ذلك أبداً، لأنه أولاً: أن من يثير هذه الشبهة فكأنما يريد الطعن في كرامة مولانا الإمام الحسين عليه السلام ونقصاً في قدسية ثورته العظيمة وأن ينسب إلى الإمام عليه السلام الرغبة في الحكم والميل إلى تسلّم السلطة والعمل من أجل انتزاع الخلافة من أيدي الأمويين. فالإمام الحسين عليه السلام أجلّ وأرفع من أن يطلب الإمرة والحكم بتلك المحاولة، بل كان غرضه الأوحـد القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن طريق التضحية والشهادة فقط. ولكن الحقيقة والواقع أن طلب الحكم والسلطة والإمرة ليس أمراً قبيحاً دائماً ولا هو مذموم مطلقاً، بل إذا كان طلب الحكم والسلطان صادراً من أهله الأكفأ ولغرض الإصلاح وإحقاق الحق ومكافحة الباطل فإنه حينئذ يكون محبوباً عقلاً وقد يكون واجباً شرعياً يفرضه الله تعالى على الإنسان الصالح اللائق للحكم والإمرة مثله تماماً كمثل طلب أي شيء آخر من وسائل الحياة الأخرى، كطلب المال والجاه مثلاً، كما قال الإمام الحسين عليه السلام: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً» (انظر من لا يحضره الفقيه





ج ٣: ص ١٥٦). وكيف يكون طلب الحكم نقصاً أو عيباً إذا كان منصوباً من قبل الله، كما أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أكد وأعلن كراراً ومراراً طيلة خمس وعشرين سنة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أن الإمامة كانت حقّه وقد غصبوا منه هذا الحقّ. وبعدها رجعوا إليه بعد مقتل عثمان، فإنه عليه السلام أوضح لجميع الناس غاياته من وراء ذلك الطلب فقال: «أما والله إن إمرتكم لأهون عليّ من هذا النعل؛ إلا أن أقيم حقّاً وأدفع باطلاً» (نهج البلاغة: الخطبة رقم ٣٣). وقال عليه السلام أيضاً في خطبة له: «اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منّا منافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام ولكن نرد المعالم من دينك ونظهر الإصلاح في بلادك؛ فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك» (نهج البلاغة: كلماته القصار رقم ١٣١). بل وحتى طلبها نبي الله سليمان بن داود عليه السلام من ربه صراحة فقال: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي» (سورة ص: ٣٥). وطلبها إبراهيم الخليل عليه السلام لذريته بعد أن حصل عليها هو لنفسه فقال: «إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» (سورة البقرة: ١٢٤). وإلى غير ذلك من الشواهد والأمثال. إذن لو كان طلب الحكم والسلطان لا لغرض المنافسة والتفاخر ولا للحصول على الشهوات واللذة الحقيرة ولا لخدمة مصلحة شخصية بل كان لغرض إعادة معالم الدين والإصلاح في البلاد ونشر العدل والأمن بين العباد وإنصاف المظلوم من الظالم وأمثالها فالطلب حينئذ أمر حسن ومحسوب ومرغوب فيه شرعاً ومنطقاً، فأبيّ ضير على أن نقول بأن الإمام الحسين عليه السلام إذا كان يطلب السلطة والحكم بتلك الثورة المقدسة لنفس هذه الأهداف؟! أو ليس الحكم والسلطان كان من حقّه الشرعي والعقلي بعد أبيه وأخيه عليه السلام؟! أو ليس هو عليه السلام أحد أولي الأمر الذين فرض الله طاعتهم على عباده في محكم كتابه فقال: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» (سورة النساء: ٥٩)؟! أو ليس هو عليه السلام أحد أئمة المسلمين الذين نصّ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله جملة وتفصيلاً؟! أو ليس هو عليه السلام أحد الإمامين اللذين نصّ الرسول صلى الله عليه وآله على ثبوت الإمامة لهما سواء قاما أم قعدا كما في الحديث المتواتر: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا» (انظر مناقب آل أبي طالب ج ٣: ص ٣٦٧، علل





الشرائع ج ١: ص ٢١١ باب ١٥٩ ح ٢، الطرائف: ص ١٩٦).

وثانياً: أنَّ القرائن والشواهد تدلُّ على أنَّ نهضة سيّد الشهداء عليه السلام لم تكن بقصد الاستيلاء على الحكم وطلب السلطان كزعيم سياسي، لأنَّ الرسول الصادق المصدق عليه السلام قد أخبر عن شهادة مولانا الإمام الحسين عليه السلام، فقد أخرج أحمد بن حنبل بسنده عن عبد الله بن نجا عن أبيه: أنَّه سار مع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فلمّا حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفين، نادى: «صبراً أبا عبد الله، صبراً أبا عبد الله بشطّ الفرات»، قال: قلت: وما ذاك؟ قال: «دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم وعيناه تفيضان، قلت: يا نبي الله، ما شأن عينيك تفيضان؟ قال: قام من عندي جبرئيل قبل، فحدّثني أنَّ ولدي الحسين يقتل بشطّ الفرات»، قال: «فقال: هل لك إلى أن أשמّك من تربته؟» قال: «قلت: نعم، فمدّ يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها، فلم أملك عيني إن فاضت» (مسند أحمد بن حنبل ج ١: ص ٨٥)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩: ص ١٨٧، وأبو يعلى الموصلي في مسنده ج ١: ص ٢٩٨، والضحاك في الأحاد والمثاني ج ١: ص ٣٠٩ وغيرهم. وأخرج ابن عساكر بسنده عن عبد الله بن وهب بن زمعة قال: أخبرتني أمّ سلمة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اضطجع ذات يوم للنوم فاستيقظ وهو خائر، ثم اضطجع فرقد ثم استيقظ وهو خائر دون ما رأيت منه في المرّة الأولى، ثم اضطجع واستيقظ في يده تربة حمراء وهو يقلّبها، فقلت: ما هذه التربة يا رسول الله؟ قال: «أخبرني جبريل أنَّ هذا يقتل بأرض العراق للحسين، فقلت له: يا جبريل أرني تربة الأرض التي يقتل بها» (تاريخ مدينة دمشق ج ١٤: ص ١٩٢). وأخرج أيضاً بسنده عن شهر بن حوشب عن أمّ سلمة قالت: كان جبريل عليه السلام عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم والحسين معي، فبكى فتركته فدنا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال جبريل: «أتحبّه يا محمّد؟» فقال: «نعم» قال جبرائيل: «إنّ أمّتك ستقتله، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها»، فأراه إيّاه فإذا الأرض يقال لها كربلاء (تاريخ مدينة دمشق ج ١٤: ص ١٩٣). وأخرج الطبراني في معجمه الكبير بسنده عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: دخل الحسين بن علي عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يوحى إليه، فزأ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو منكب ولعب على ظهره، فقال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أتحبّه يا محمّد؟» قال: «يا





جبريل وما لي لا أحبّ مشهور»، قال: «فإنّ أمتك ستقتله من بعدك»، فمدّ جبريل عليه السلام يده فأثاه بترية بيضاء، فقال: «في هذه الأرض يقتل ابنك هذا يا محمّد، واسمها الطفّ» فلمّا ذهب جبريل عليه السلام من عند رسول الله ﷺ خرج رسول الله ﷺ والترية في يده يبكي، فقال: «يا عائشة إنّ جبريل عليه السلام أخبرني أنّ الحسين مشهور مقتول في أرض الطفّ وإنّ أمتي ستفتن بعدي»، ثمّ خرج إلى أصحابه فيهم عليّ وأبو بكر وعمر وحذيفة وعمرّ وأبو ذرّ وهو يبكي فقالوا: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: «أخبرني جبريل أنّ مشهور الحسين يقتل بعدي بأرض الطفّ وجاءني بهذه التربة وأخبرني أنّ فيها مضجعه» (المعجم الكبير للطبراني ج ٣: ص ١٠٧). وأخرج أحمد بن حنبل بسنده عن أنس بن مالك أنّ ملك المطر استأذن ربّه أن يأتي النبي ﷺ فأذن له فقال لأُمّ سلمة: «املكي علينا الباب لا يدخل علينا أحد» قال: وجاء الحسين ليدخل فمنعته فوثب فدخل فجعل يقعه على ظهر النبي ﷺ وعلى منكبه وعلى عاتقه، قال: فقال الملك للنبي ﷺ: «أتجنّبه؟» قال: «نعم» قال: «أما إنّ أمتك ستقتله، وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه»، فضرب بيده فجاء بطينة حمراء، فأخذتها أمّ سلمة فصرتها في خمارها، قال: قال ثابت: بلغتها أنّها كربلا (مسند أحمد بن حنبل ج ٣: ص ٢٤٢). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في كتبهم الدالة على إخبار النبي ﷺ بشهادة الإمام الحسين عليه السلام. وإذا كان النبي ﷺ قد أخبر بشهادة الإمام الحسين عليه السلام فما معنى قول ابن تيمية وأتباعه أنّ نهضة سيد الشهداء عليه السلام كانت بقصد الاستيلاء على الحكم وطلب السلطان كزعيم سياسي؟! وفي حديث أخرجه العلامة المجلسي رحمته الله في كتابه بحار الأنوار بسنده عن أحمد بن داود القمي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جاء محمّد بن الحنفية إلى الحسين عليه السلام في الليلة التي أراد الحسين عليه السلام الخروج في صبيحتها عن مكّة فقال له: يا أخي إنّ أهل الكوفة قد عرفت غدرهم بأيك وأخيك، وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى، فإن رأيت أن تقيم فإنّك أعزّ من بالحرم وأمنه، فقال: «يا أخي، قد خفت أن يغتالي يزيد بن معاوية بالحرم، فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت»، فقال له ابن الحنفية: فإن خفت ذلك فصر إلى اليمن أو بعض نواحي البرّ فإنّك أمتع الناس به، ولا يقدر عليك أحد، فقال: «أنظر فيما قلت»، فلمّا كان





السحر، ارتحل الحسين عليه السلام، فبلغ ذلك ابن الحنفية فأتاه فأخذ بزمام ناقته - وقد ركبها - فقال: يا أخي ألم تعدني النظر فيما سألتك؟ قال: «بلى»، قال: فما حداك على الخروج عاجلاً؟ قال: «أتاني رسول الله ﷺ بعد ما فارقتك فقال: يا حسين اخرج فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً». فقال محمد بن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذا الحال؟ قال: «فقال ﷺ لي: إن الله قد شاء أن يراهن سبايا»، فسلم عليه ومضى (بحار الأنوار ج ٤٤: ص ٣٦٤). فإذا كان رسول الله ﷺ أخبر بشهادة مولانا أبي عبدالله الحسين عليه السلام وكان الإمام عليه السلام يعلم قول جدّه في حقّه فما معن أن ثورته المباركة ونهضته المقدسة كانت من أجل الوصول إلى السلطة الظاهرية. وثالثاً: لو كانت نهضة سيد الشهداء عليه السلام وثورته المقدسة بقصد الاستيلاء على الحكم وطلب السلطان كزعيم سياسي فيلزم أن يكون قيامه كقيام الزعماء السياسيين الدنيويين الماديين في العالم، وإذا كذلك فلماذا خرج الإمام الحسين عليه السلام من أهله وعياله وأسرته!! فإن الطريق الذي يسلكه الزعماء السياسيون هو طريق الغاية للوصول إلى الحكم والسلطة، لا إلى القتل وسبي أسرته.

ورابعاً: أن من عرف حقيقة الإمام الحسين عليه السلام وأهدافه يعرف شخصيته الفذة من خلال معرفة حقيقته العظيمة، فإن شخصيته المباركة لا تنسجم مع طلب الرئاسة السياسية والسلطة على الناس، لأن الطريق الذي سلكه الإمام الحسين عليه السلام هو التوصل إلى الغايات الإنسانية العليا وهو طريق المثالية والشرف والنبيل والشهامة والكرم والعدل، لا الطريق التقليدي الذي يسلكه عادة الزعماء السياسيون وهو طريق الغاية تبرر الوسيلة وإن الملك عقيم. وإن طلب الملك يمنع من أن يجعل الإنسان نفسه في معرض الشهادة. فمن طلب الملك بكلّ ثمن وتوسّل له بكلّ وسيلة وسوّى فيه بين الغضب والحق وبين الخداع والصدق وبين مصلحة الرعية ومفسدتها ففي سبيل الدنيا يعمل لا في سبيل الشهادة. فالغرض والهدف من نهضة الإمام الحسين عليه السلام وثورته العظيمة يعرف من شخصيته العظيمة التي عندما حضر مجلس الوليد حاكم المدينة وبمحضر من مروان بن الحكم، وطلب مروان من الإمام عليه السلام أن يبايع يزيد بن معاوية، فقال الإمام الحسين عليه السلام: «نحن





أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي والتنزيل، ويزيد رجل فاسق فاجر شارب للخمر قاتل النفس المحترمة معلن بالفسق والفجور؛ ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أينما أولى بالخلافة والأمر»، ثم خرج عليه السلام (انظر بحار الأنوار ج ٤٤: ص ٣٢٥، والفتوح لابن أعثم الكوفي ج ٥: ص ١٢). فمن عرف حقيقة الإمام الحسين عليه السلام وأهدافه يعرف أنه لن يبايع أمثال يزيد.

وخامساً: أنّ أهداف الإمام الحسين عليه السلام تعرف من نهضته المباركة، ومن كلماته الحكيمة وخطبه البليغة، وهي بعيدة عن طلب الدنيا وطلب السلة للغايات الدنيوية، فإن ابن تيمية وأضرابه إذ كانوا يقرؤون كتبهم والنصوص الواردة فيها عن الإمام الحسين عليه السلام كانوا يعرفون الأهداف وبواعث لثورة الإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة، ولكي لا تشوّه هذه الثورة، خصوصاً وأنّ الإمام عليه السلام كان يعلم بخيانة أهل الكوفة، وكيف أنّهم قتلوا سفيره مسلم بن عقيل عليه السلام وصاحبه هاني بن عروة، وشرّدوا بقيّة الأنصار، واعتقلوا قسماً منهم... وإنّ هذه الصورة جعلت الإمام الحسين عليه السلام أمام مواجهة عسكرية لا مناص منها. ولكي لا تشوّه هذه الثورة كما قلنا، فقد أعلن الإمام الحسين عليه السلام عن أهدافه وطرح شعاراته ابتداءً من المدينة حتّى يوم المجزرة في كربلاء؛ فعن محمد بن الحنفية: أنّ الإمام الحسين عليه السلام طلب بدواة وبياض وكتب هذه الوصيّة لأخيه محمد: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد المعروف بأبي الحنفية، أنّ الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، جاء بالحقّ من عند الحقّ، وأنّ الجنّة والنار حقّ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور، وأنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي ﷺ، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام، فمن قبلني بقبول الحقّ فالله أولى بالحقّ، ومن ردّ علي هذا أصبر حتّى يقضي الله بيني وبين القوم بالحقّ وهو خير الحاكمين، وهذه وصيتي يا أخي إليك وما توفّقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب...» (بحار الأنوار ج ٤٤: ص ٣٣٠)، ورواه ابن أعثم في الفتوح ج ٥: ص ٢١ وغيره. ومنه يعرف





أهم أهداف الإمام الحسين عليه السلام حيث أن الإمام عليه السلام كتب لدى خروجه من المدينة وصيته التاريخية لأخيه محمد بن الحنفية، والتي قال فيها بعد الشهادة بوحدانية الله ورسالة النبي صلى الله عليه وآله: «وإنني ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً وإنما خرجت أريد الإصلاح في أمة جدي» أي أريد النهضة الخروج لأجل الإصلاح لا للوصول إلى الحكم حتماً، والإصلاح ليس بالأمر الهين، فقد تكون الظروف بصورة بحيث يصل الإنسان إلى سدة الحكم ويمسك بزمام السلطة وقد لا يمكنه ذلك ويستشهد، وفي كلتا الحالتين فالثورة تكون لأجل الإصلاح. ثم يقول عليه السلام: «أريد أن أمر بالمعروف وأنهي عن المنكر وأسير بسيرة جدي». والإصلاح الذي أراده الإمام الحسين عليه السلام سيتم عن هذا الطريق، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فيتبين من خلال هذا الكلام أن الإمام الحسين عليه السلام لم يتوجه إلى كربلاء بهدف القتال وطلب السلطة السياسية؛ إذ الذي يذهب إلى ميدان القتال لا بد له من الجنود؛ ولكن الإمام الحسين عليه السلام كان قد حمل معه أهل بيته من النساء والأطفال، مما يعني أن حادثة ستقع في ذلك المكان وستدغ عواطف البشرية على طول التاريخ حتى تتضح عظمة ما قام به الإمام الحسين عليه السلام. وهو عليه السلام كان يعلم بأن أعدائه حقراء وسفهاء، وكان يرى أن الذين جاؤوا لقتاله ليسوا سوى شرذمة من أرذل وأوباش الكوفة طمعاً في الحصول على عطية تافهة وحقيقة هي التي دفعتهم إلى هذا المسلك وارتكاب مثل هذه الجريمة العظمى، وكان يعلم بما سيحل بنسائه وأبنائه. فالإمام الحسين عليه السلام لم يكن غافلاً عن كل هذا، ولكنه لم يكن مستعداً للاستسلام والعودة عن قراره، بل كان يحث على مواصلة السير مما يدل على أهمية هذا الطريق وعظمة هذا العمل. لقد وردت عبارة في زيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام تنطوي على مغزى عميق وهي جديرة بالتأمل والتدبر كسواها من العبارات الكثيرة الواردة في مثل هذه الزيارات والأدعية... وإنها ناظرة إلى أهداف النهضة الحسينية، وهذه العبارة هي «وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة»، فهذا هو أحد جوانب القضية وهو المتعلق بصاحب النهضة أي الإمام الحسين عليه السلام. وأما الجانب الآخر فيرد في الفقرة التالية التي تقول «وقد توازر عليه من غرته الدنيا وباع حظه بالأرذل الأدنى» في



فإنَّه ﷺ لم يسر إليهم حتَّى قامت الحجَّة منهم عليه بطلبهم له حتَّى أقام



وصف للواقفين على الجبهة المضادَّة، وهم الذين غرَّتهم الدنيا بالمطامع الماديَّة والزخارف والشهوات والأهواء النفسية، فباعوا حظَّهم من السعادة الدنيويَّة والأخرويَّة بالأرذل الأدنى. وهذه هي خلاصة النهضة الحسينيَّة. فأبعاد حركة الإمام الحسين ﷺ يدرك المرء أنَّ بإمكانه النظر إلى النهضة الحسينيَّة بمنظارين في الواقع، وكلاهما صحيح، سوى أنَّ مجموعهما يكشف عن الأبعاد العظيمة لهذه النهضة. فالنظرة الأولى تكشف عن الحركة الظاهريَّة للإمام الحسين ﷺ، والتي قام بها في مواجهة حكومة فاسدة ومنحرفة وظالمة وقمعية وهي حكومة يزيد. وأمَّا باطن القضية وعمقها فتكشف عنه النظرة الثانية، وهي الحركة الأعظم والأعمق، لأنَّها ضدَّ جهل الإنسان وضلالته. فمع أنَّ الإمام الحسين ﷺ قام بمقارعة يزيد في الواقع، إلَّا أنَّ هذه المقارعة الواسعة التاريخيَّة لم تكن ضدَّ يزيد الفرد الفاني الذي لا يساوي شيئاً، بل كانت ضدَّ جهل الإنسان وانحطاطه وضلالته وذلِّه، وهو ما يكافحه الإمام الحسين ﷺ في الحقيقة. فلنهضة الإمام الحسين ﷺ بعدان آخران يمكن أن يسفر كلُّ منهما عن نتيجة طيِّبة؛ الأول: أن يستطيع الإمام الحسين ﷺ التغلب على حكومة يزيد واسترداد السلطة من يد أولئك الذين يقيمون الناس ويتلاعبون بمصيرهم ووضع الأمور في نصابها الصحيح؛ فلو كان قد حدث ذلك لتغيَّرت مسيرة التاريخ. وأمَّا الثاني: عدم تمكُّن الإمام الحسين ﷺ من إحراز هذا النصر السياسي والعسكري لأيِّ سبب من الأسباب التي قد ذكرناها باختصار، وعندئذ لم يكن أمامه سوى استبدال القول بالدم والمظلوميَّة وتحمل الخسارة التي لن ينساها التاريخ على مدى الزمان لتبقى كلمته إلى أبد الدهر، وهذا هو ما فعله الإمام الحسين ﷺ. وهناك مباحث أخرى لم نذكرها رعاية للاختصار. والمهمُّ أنَّ ابن تيمية وأتباعه إذا تأملوا في كلمات مولانا الإمام الحسين ﷺ لعرفوا حقيقة نهضة الإمام الحسين ﷺ وأبعادها. ولكنَّهم قصروا في حقِّه! أمَّا لماذا قصروا، وكيف قصروا، فإنَّ ذلك من الأبحاث الطويلة والمريرة التي تحتاج إلى البحث الطويل وهو خارج عما نحن بصددده، فلاحظ.

الحجة عليهم فأرسل ابن عمه إليهم ليختبرهم فبايعوه^(١).

(١) لا يخفى أنّ من الأحداث التي حدثت قبل خروج الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق، بعث مسلم بن عقيل سفير الإمام الحسين عليه السلام ووفده إلى الكوفة، بعد ما تابعت الكتب والرسائل من أهل الكوفة إلى الإمام الحسين عليه السلام ودعوه إلى قبول الخلافة والامامة لإنقاذهم من ظلم الأمويين لاسيما انقاذهم من يزيد شارب الخمر ومعلن الفجور، وكانت بعض تلك الرسائل تحمله المسؤولية أمام الله والأمة إن تأخر الإمام عليه السلام عن إجابتهم. وبعد ما وافته هذه الرسائل عزم الإمام عليه السلام على أن يوفد إليهم ممثله وسفيره مسلم بن عقيل لتمهيد البيعة له عليه السلام ويهيئ له الأجواء، وينقل له واقع الأحداث ليستطيع أن يقرّر الموقف المناسب. ولا بدّ لهذا السفير من صفات تؤهله لهذه السفارة، فوقع الاختيار على مسلم بن عقيل عليه السلام؛ لما كان يتّصف به من الحكمة والشجاعة والإخلاص. وكان مسلم بن عقيل عليه السلام من أجلة بني هاشم، وكان عاقلاً عالماً شجاعاً، وقد اختاره الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في حرب صفين، ووضعه على ميمنة عسكره مع الإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام (انظر مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٤: ص ٩٨). فلم يكن تنصيب الإمام الحسين عليه السلام هذا محاباة له بل كان على استحقاق وجدارة، فحاشا الإمام الحسين عليه السلام أن يجعل شخصاً في محل لا يستحقّه. ولقد كان مسلم بن عقيل عليه السلام في الذروة من الشجاعة والبطولة والإقدام، فكان مثل الأسد في ميادين الحروب، ومن قوته أنّه كان يأخذ الرجل بيده فيرمي به فوق البيت (بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٥٤). كما أشارت بعض المصادر إلى شباهته بالنبي ﷺ، فعن أبي هريرة أنّه قال: "ما رأيت من ولد عبد المطلب أشبه بالنبي ﷺ من مسلم بن عقيل (التاريخ الكبير للبخاري ج ٧ ص ٢٦٦، والثقات لابن حبان ج ٥ ص ٣٩١). فكان مسلم بن عقيل عليه السلام مؤهلاً تماماً لمثل هذه المهمة، وتوفّرت فيه الصفات المؤهّلة لهذه السفارة والانتخاب، ولذلك لقّبه الإمام الحسين عليه السلام بثقتي في رسالته إلى أهل الكوفة. وهي: «بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن عليّ إلى الملا من المسلمين والمؤمنين، أمّا بعد: فإنّ هاتئنا وسعيداً قدما عليّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليّ من رسلكم، وقد فهمت كلّ الذي اقتصصتم



وذكرتم، ومقالة جلّكم أنّه ليس علينا إمام فأقبل، لعلّ الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق، وإنّي باعث إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي، فإن كتب إليّ أنّه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الحجي والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم، وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله» (انظر الإرشاد للشيخ المفيد رحمته ج ٢: ص ٣٩، وتاريخ الطبري ج ٤: ص ٢٦٢). ولا يخفى ما لهذه الكلمات من معنى كبير وهي تفصح عن المزايا العظيمة التي امتاز بها مسلم... فعندما طلب الإمام عليه السلام منه ذلك، فاستجاب مسلم بن عقيل عليه السلام عن رضى ورغبة، فأرسله الإمام عليه السلام مع كتاب منه عليه السلام إلى أهل الكوفة، وقد أوصاه الإمام عليه السلام بقوله: «إنّي موجّهك إلى أهل الكوفة وسيقضي الله من أمرك ما يحبّ ويرضى وأرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء، فامض ببركة الله وعونه، فإذا دخلتها فأنزل عند أوثق أهلها» (انظر الفتوح لابن أعثم الكوفي ج ٥: ص ٣١). ولا يخفى المعنى العميق في قوله عليه السلام: «وأرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء» وهو يدلّ على أنّه عليه السلام كان ينظر إلى الواقع نظرة المتفحص الدقيق. وعلى أي حال فقد خرج أبو عبد الله مسلم بن عقيل عليه السلام من المدينة المنورة متوجّهاً إلى الكوفة في الخامس عشر من شهر رمضان سنة ٦٠ من الهجرة، ويصحبه قيس بن مسهر مع دليلين يدلّانه الطريق، حاملاً رسالة الإمام الحسين عليه السلام (انظر مروج الذهب للمسعودي ج ٣: ص ٥٥). وقد روى بعض المؤرّخين قصّة مختلفة عن رحلة مسلم إلى العراق، تصفه بالجبن والتطيّر (انظر تاريخ الطبري ج ٤: ص ٢٥٨). للحطّ من مقام هذا الشهيد وتشويه صورته، وللايحاء على أنّ انتفاضته في الكوفة كانت فاشلة وهي على عاتق مسلم بن عقيل وليس على عاتق أهل الكوفة، إذ يقولون: أنّه كان جباناً متطيّراً. والذي بعث منه مسلم رسالته إلى الإمام عليه السلام مكان يسمّى بالمضيق من بطن الحُبَيْت، ويقع هذا المكان ما بين مكّة والمدينة (انظر معجم البدان للحموي ج ٢: ص ٣٤٣). في حين أنّ الرواية تنصّ على أنّه استأجر الدليلين من المدينة، وخرجوا إلى العراق فضلّوا عن الطريق ومات الدليلان، وهذا يعني أن هذه الحادثة وقعت ما بين المدينة والعراق، ولم تقع ما بين مكّة والمدينة. ولو فرضنا أنّ هناك مكاناً يدعى بهذا الاسم يقع ما بين يثرب والعراق، فإنّ السفر منه إلى مكّة ذهاباً





وإياباً يستوعب زماناً يزيد على عشرة أيام، في حين أنّ سفر مسلم من مكة كان في اليوم الخامس عشر من شهر رمضان، وقد وصل إلى الكوفة في اليوم الخامس من شوال ع (انظر تاريخ الطبري ج ٤: ص ٢٥٨). فيكون مجموع سفره عشرين يوماً، وهي أسرع مدة يقطعها المسافر من مكة إلى المدينة، ثم إلى الكوفة، وإذا استثنينا من هذه المدة سفر رسول مسلم من ذلك المكان ورجوعه إليه، فإن مدة سفره من مكة إلى الكوفة تكون أقل من عشرة أيام، ويستحيل عادة قطع تلك المسافة بهذه الفترة من الزمن. والمؤسف أنّ بعض كبار علماء الشيعة نقل هذه الحكاية عن الطبري، بدون تمحيص ونقد، مع ما عرف عن الطبري من انحرافه عن المنهج الحق وانتقائية. وعلى كلّ تقدير خرج مسلم بن عقيل ع مع ثلاثة من وجوه الشيعة وأبطالهم إلى الكوفة وهم: قيس بن مسهر الصيداوي، وعمار بن عبد الله السلولي، وعبد الرحمن بن عبد الله الأرحبي، وكانوا قد جاءوا بالرسائل إلى الإمام الحسين ع فعادوا مع مسلم ع. ووصل مسلم إلى الكوفة في اليوم الخامس من شوال، نزل في دار البطل المختار بن أبي عبيد الثقفي حسب وصية الإمام ع، حيث كان من كبار الشيعة ومن أوثق الشخصيات في الكوفة (انظر الفتوح لابن أعثم الكوفي ج ٥: ص ٣٦، ومقتل الإمام الحسين ع للخوارزمي ج ١: ص ١٩٦). وروي أنّه نزل عند مسلم بن عوسجة (انظر مروج الذهب للمسعودي ج ٣: ص ٥٥). كما روي أنّه نزل عند هاني بن عروة ابتداءً (انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٣: ص ٢٩٩). لكن الأشهر هو أنّ مسلماً ع نزل في دار المختار بن أبي عبيد الثقفي ابتداءً ثمّ تحوّل منها بعد ذلك إلى دار هاني (انظر الإرشاد للشيخ المفيد ع ج ٢: ص ٤١، وتاريخ الطبري ج ٤: ص ٢٥٨، وإبصار العين للشيخ محمد السماوي: ص ٨). فتوافد عليه الناس فقرأ عليهم كتاب الإمام الحسين ع فكان أول المبايعين هو البطل المجاهد عابس بن شبيب الشاكري الذي تقدّم الناس ووقف بين يدي مسلم وقال: إنّني لا أخبرك عن الناس ولا أعلم ما في نفوسهم وما أغرك منهم، والله إنّني أحدثك عما أنا موطن نفسي عليه، والله لأجيبنكم إذا دعوتهم ولأقاتلنّ معكم عدوكم ولأضربنّ بسيفي دونكم حتّى ألقى الله، لا أريد بذلك إلا ما عند الله (انظر تاريخ الطبري ج ٤: ص ٢٦٤). وكان عابس موضع ثقة





مسلم، فبعثه برسالة إلى الإمام الحسين عليه السلام يخبره فيها عن أحوال الكوفة، فبقي عابس مع الإمام الحسين عليه السلام حتى خرج معه واستشهد. وقال حبيب بن مظاهر وكان المبايع الثاني: وأنا والله على مثل ما هو عليه (انظر تاريخ الطبري ج ٤: ص ٢٦٤). وجاءت المبايعة الثالثة من البطل سعيد بن عبد الله الحنفي الذي أيد موقف صاحبيه البطلين (انظر تاريخ الطبري ج ٤: ص ٢٦٤). فكان هؤلاء الثلاثة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ (سورة الأحزاب: ٢٣). وتوافد الناس للبيعة (المؤمنون والمنافقون) وبلغ عدد المبايعين خلال شهر إلى أكثر من ثمانية عشر ألف رجل في ستر ورفق (انظر الأخبار الطوال للدينوري: ص ٢٣٥، وروضة الواعظين للفتال النيسابوري: ص ١٧٣). والظاهر أن الإمام الحسين عليه السلام كان يعلم بأن مهمة مسلم بن عقيل سوف تنتهي بشهادته، ولذلك أوصاه بالتقوى، وكتمان أمره، أشعره بأن ختام أمره في هذا الطريق هو الفوز بدرجة الشهادة (انظر مقتل الإمام الحسين عليه السلام للخوارزمي ج ١: ص ١٩٦، والفتوح لابن أعثم ج ٥: ص ٣٦). وكان لا بدّ لمسلم من اعتماد السرّ والرفق في تعبئة أهل الكوفة حتى يستكمل العدد والعدة الكافيين لتأهيل الكوفة للقيام معه أو مع الإمام الحسين عليه السلام بعد أن يصل إليها. ولما تزايد عدد المبايعين لمسلم انتشر أمره وفشا بين الناس، وكان لا بدّ للسلطة الأموية من أن تعلم، والظاهر أن النعمان بن بشير بن سعد الخزرجي كان والياً على الكوفة، ولم يكن مستعداً لتنفيذ استعمال القوة ضدّ مسلم والمبادرة إلى الهجوم عليه، إمّا لأنّ مسلماً كان في بيت صهره المختار، وإمّا لأنه كان يتبنّى سياسة معاوية، وهي تحاشي المواجهة العلنية مع الإمام الحسين عليه السلام، بحيث أنّ معاوية لو اضطرّ إلى مواجهة علنية وقاتل ضدّ الإمام الحسين عليه السلام وظفر به لعفا عنه، وليس ذلك حباً للإمام عليه السلام وإنّما لأنّ معاوية كان يعلم أن إراقة دم الإمام عليه السلام علناً وهو بتلك القدسيّة البالغة في قلوب الأمة كفيل بأن يفصل الأموية عن الإسلام، ويذهب بجهود حركة النفاق عامّة والحزب الأموي خاصّة أدراج الرياح، خصوصاً تلك الجهود التي بذلها معاوية في مزج الأموية بالإسلام في عقل الأمة وعاطفتها، بحيث أنّه لم يعد أكثر هذه الأمة يعرف إلاّ الإسلام





الأموي، حتّى صار من غير الممكن بعد ذلك الفصل بين الإسلام والأموية إلا إذا أريق ذلك الدم المقدّس دم الإمام عليه السلام، ضدّ الحكم الأموي. فكان النعمان بن بشير يعتقد أنّ يزيد سوف يطبّق سياسة معاوية في تجنّب الاصطدام الدموي مع الإسلام المحمّدي الأصيل آنذاك، أي الإمام الحسين عليه السلام، خوفاً من وقوع الفرز بينه وبين الإسلام الأموي، وبالتالي انكشاف اللعبة النفاقية التي كان يحتاج إليها معاوية في بناء واستمرارية ملك بني أمية. وإمّا لأنّ القوّة المعنويّة لنهضة مسلم كانت قد انتشرت بحيث أنّها تحتاج لمواجهتها إلى استعمال شرس وعنيف للسلطة الأميّة، ولم تكن شخصيّة النعمان لذاتها قادرة على ذلك. هذه الاحتمالات الممكنة، فلم يكن النعمان بن بشير محبّاً لأهل البيت عليهم السلام ولا ذا ميل إليهم، بل كان له ولأبيه تاريخ أسود طويل في نصرة حركة النفاق بعد وفاة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، وكان عثماني الهوى، يجاهر ببغض الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ويسيء القول فيه، وقد حاربه يوم الجمل وصفين، كذلك فلم يكن النعمان حليماً ناسكاً يحبّ العافية ويغتنم السلامة، بل تلميذاً نبههاً في مدرسة معاوية السياسيّة، فكان يتضعّف مكرّاً وحيلة، ويعوّل على الأسلوب السريّ والخدعة الخفية للقضاء على الثورة والتخلّص من مسلم بن عقيل، بل التخلّص حتّى من نفس الإمام عليه السلام (انظر الأخبار الطوال للدينوري: ص ٢٣١). وعلى كلّ حال، لم يرق موقفه لحلفاء بني أمية في الكوفة، فأخذت تتوالى رسائلهم إلى يزيد في الشام وتخبره بمستجدات حركة الأحداث في الكوفة، وبموقف النعمان بن بشير منها، وقد أجمعت على أنّه إن كان لك بالكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قوياً، يُنفذ أمرك، ويعمل مثل عملك في عدوك، فإنّ النعمان بن بشير رجل ضعيف أو هو يتضعّف. ومن بين الرسائل التي وفدت على يزيد رسالة عبد الله الحضرمي التي جاء فيها: أمّا بعد، فإنّ مسلم بن عقيل قدم الكوفة، وبايعته الشيعة للحسين ابن علي، فإن كان لك بالكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قوياً يُنفذ أمرك، ويعمل مثل عملك في عدوك، فإنّ النعمان بن بشير رجل ضعيف، أو هو يتضعّف (انظر تاريخ الطبري ج ٤: ص ٢٦٥، وروضة الواعظين للفتال النيسابوري: ص ١٧٣). استدعى يزيد مستشاره ومستشار أبيه من قبل سرجون بن منصور النصراني، وسأله عن رأيه في من يكون الوالي





على الكوفة بدلاً من النعمان، فأشار عليه سرجون باستعمال عبيد الله بن زياد قائلاً بأنّ هذا هو رأي معاوية أيضاً، وأخرج له كتاباً كان معاوية قد كتبه بذلك قبل موته (انظر تاريخ الكوفة للسيد البراقى: ص ٣٢٦). فأمر يزيد بتولية عبيد الله بن زياد على الكوفة بدلاً من النعمان بن بشير (الإصابة لابن حجر ج ٢: ص ١٦). فلما أشرف عبيد الله على الكوفة ونزل حتّى أمسى ليلاً، فدخل المدينة في جنح الظلام، وكان معتمماً بعمامة سوداء وهو متلثم، والناس قد بلغهم إقبال الإمام الحسين عليه السلام، فقالت امرأة: الله أكبر ابن رسول الله وربّ الكعبة! فتصايح الناس، وظنّوا أنّه الإمام الحسين عليه السلام، وقالوا: إنّنا معك أكثر من أربعين ألفاً. وازدحموا عليه حتّى أخذوا بذنب دابّته، فأخذ لا يمرّ على جماعة من الناس إلّا سلّموا عليه وقالوا: مرحباً بك يا ابن بنت رسول الله، قدمت خير مقدم، فرأى من تباشرهم بالحسين عليه السلام ما ساءه (انظر انظر تاريخ الطبري ج ٤: ص ٢٦٦). وفي اليوم الثاني لوصوله إلى الكوفة خرج متقلّداً سيفه، فاعتلى أعواد المنبر وخطب الناس، فقال: أمّا بعد، فإنّ يزيد أمرني بإنصاف وبالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم، وبالشدة على مريبكم، فأنا لمطيعكم كالوالد البرّ الشفيق، وسيفي وسوطي على من ترك أمري وخالف عهدي (انظر انظر تاريخ الطبري ج ٤: ص ٢٦٧). ثمّ أتبع إجراءات أمنيّة، تمثّلت في إعادة ضبط وتفعيل التشكيلات الأمنيّة، وأهمّ فئة فيه هم العرفاء، أي المسؤولين الأمنيّين المباشرين في الأحياء ووسط القبائل، فاستدعاهم وأخذهم أخذاً شديداً، وطلب منهم تزويده بالتقارير: اكتبوا إليّ الغرباء، ومن فيكم من طلبه أمير المؤمنين، ومن فيكم من الحرورية، وأهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاق! فمن كتبهم لنا فبرئ، ومن لم يكتب لنا أحداً يضمن لنا ما في عرفته إلّا يخالفنا منهم مخالف، ولا ينبغي علينا منهم باغ، فمن لم يفعل برئت منه الذمّة، وحلال لنا ماله وسفك دمه، وأيما عريف وجد في عرفته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صلب على باب داره، وألغيت تلك العرافة من العطاء، وسيّر إلى موضع بعمان الزارة (انظر انظر تاريخ الطبري ج ٤: ص ٢٦٨، وتذكرة الخواص للسيط ابن الجوزي: ص ٢٠٠). لقد كان لمبادرة ابن زياد هذه أهميّة كبيرة في تحويل الأحداث في ساحة الكوفة إلى غير المجرى الذي كان تجري فيه بهدوء تحت إشراف ابن عقيل،





إذ كان العرفاء الواسطة بين السلطة والناس آنذاك، فهم المسؤولون عن أمور القبائل، يوزعون عليهم العطاء، ويقومون بتنظيم السجلات العامة، التي فيها أسماء الرجال والنساء والأطفال، ويسجل فيها من يولد ليفرض له العطاء، ويحذف منها الميت ليحذف عطاؤه، وكانوا أيضاً مسؤولين عن شؤون الأمن والنظام، وكانوا أيام الحرب يقومون بأمور تعبئة الناس لها، ويخبرون السلطة بأسماء المتخلفين عنها، وتعاقب السلطة العرفاء أشد العقوبة إذا أهملوا واجباتهم أو قصرّوا فيها، ولقد كان للعرفاء بعد هذا القرار دور كبير في تخذيل الناس عن الثورة، وإشاعة الخوف والرعبة بينهم، كما كان لهم بعد ذلك دور كبير في زجّ الناس لحرب الإمام الحسين عليه السلام، ولما سمع مسلم بن عقيل عليه السلام بمجيء ابن زياد إلى الكوفة ومقاتله التي قالها، وما أخذ به العرفاء والناس، لم يعد بقاؤه في دار صهر الوالي نافعا، إذ لم يعد هذا في السلطة، وكان عليه أن يبادر إلى الاستعانة بعناصر قوة سريّة، لا تعتمد فقط على البيعة والولاء لأهل البيت، بل على عنصر الولاء القبلي، لمواجهة التطور الأمني الجديد الذي تمثّل باستنهاض وتفعيل القوة الأمنية الأموية، خصوصاً وأنّ المختار ليس له من القوة القبليّة في الكوفة ما يجعله في منعة، بعكس ما عليه هاني بن عروة المرادي من العزّة والقوة القبليّة في الكوفة (انظر مروج الذهب للمسعودي ج ٣: ص ٦٩). فخرج من دار المختار حتّى انتهى إلى دار هاني بن عروة المرادي، شيخ مذحج، من أقوى قبائل الكوفة وزعيمها، فدخلها فأخذت الشيعة تختلف إليه في دار هاني بن عروة على تسرّ واستخفاء من عبيد الله، وتواصوا بالكتمان (انظر الإرشاد للشيخ المفيد رحمته الله ج ٢: ص ٤٥). فبدأ ابن زياد بتصفية كبار الشيعة في الكوفة للسيطرة على زمام الأمور والقضاء على حركة مسلم، فبادر إلى تقصّي رجال الشيعة في الكوفة وإلقاء القبض عليهم وقتلهم، فحبس ميثم التمار وقتله وصلب معه تسعة آخرون في دفعة واحدة، وقتل رشيد الهجري، وسجن المختار واستعرض وجهه بالقضيب فشرّ عينه، وسليمان بن صرد، وإبراهيم بن مالك الأشتر (انظر أنساب الأشراف للبلاذري ج ٥: ص ٢١٥). ثمّ حاول اكتشاف مكان مسلم بن عقيل عليه السلام وكان الهمّ الأكبر لعبيد الله بن زياد منذ بدء تفعيله لجهازه الأمني هو معرفة مكان مسلم بن عقيل، وقد تمّ له ذلك





بسهولة، عبر عميل تظاهر بأنه رجل من أهل الشام ومن أهل حمص، وأنه مولى لذي الكلاع الحميري في الشام، وأنه محب لأهل البيت وأنه يحمل مالا لهم، حتى لا يكون بإمكان مسلم بن عوسجة أن يسأل ويستفسر عن حقيقة حاله في قبائل الكوفة، ولعل أهل حمص آنذاك قد عُرِفَ أنَّ فيهم من يحب أهل البيت عليهم السلام، فيكون ذلك مدعاة لاطمئنان من يتّخذ "مقل" منفذاً لاختراق حركة مسلم، كما أنَّ المعروف عن جلّ الموالي حبهم لأهل البيت عليهم السلام (انظر مثير الأحران لابن نما الحلبي رحمته الله: ص ٣٢). فاخترق هذا العميل الموانع الأمنية المحيطة بمسلم ووصل إلى مركزه عبر إيقاع مسلم بن عوسجة في الفخ. ولا يحتاج تعرّفه على ابن عوسجة إلى كثير جهد ومشقة، إذ كان وجيهاً شيعياً معروفاً في الكوفة، وقد كشف له مقل عن سرّ سهولة تعرّفه عليه حين قال له: سمعت نفرأ يقولون: هذا رجل له علم بأهل هذا البيت، فأتيك لتقبض هذا المال وتدلني على صاحبك فأبايعه، وإن شئت أخذت البيعة له قبل لقائه، ولقد عبّر له ابن عوسجة عن استيائه لسرعة تعرّفه عليه وقوله: "... ولقد سائتني معرفتك إياي بهذا الأمر من قبل أن ينمي مخافة هذا الطاغية وسطوته" (انظر إِبصار العين في معرفة أصحاب الحسين للشيخ محمّد السماوي: ص ١٠٩). وإنّ عبارة مسلم بن عوسجة: ولقد سائتني معرفتك إياي بهذا الأمر من قبل أن ينمي مخافة هذا الطاغية وسطوته، تدلّ على مدى سيطرة عبيد الله بن زياد على الشارع وعلى مدى سرّيّة وتكتم وخفاء حركات مسلم بن عقيل، وتدلّ أيضاً على أنّ تشكيلات مسلم لم تنضج بعد وتنمو بشكل يصح الاعتماد عليها والانطلاق بها (انظر الأخبار الطوال للدينوري: ص ٢٣٥). ثمّ إنّ ابن عوسجة آخر معقلاً أَيْاماً قبل أن يطلب الإذن له، وكان يجتمع معه في منزله هو تلك الأيّام "اختلف إليّ أَيْاماً في منزلي فإتني طالب لك الإذن على صاحبك" ثمّ لم يدخله على مسلم بن عقيل حتّى طلب له الإذن، فأذن له (انظر الإرشاد للشيخ المفيد رحمته الله ج ٢: ص ٤٥). وهكذا، استطاع عبيد الله بن زياد اختراق جماعة مسلم عبر هذا العميل الذي أوصله مسلم بن عوسجة إلى مقرّ مسلم في دار هانئ، حيث كان يمكث النهار بطوله يراقب الغادين والرائحين، وفي الليل كان يضع عبيد الله بن زياد في حصيلة معلوماته. ثمّ إنّ من الأمور التي تجدر بالذكر هي فكرة اغتيال عبيد الله بن





زياد في دار هاني بن عروة، وسواء كان المريض في الروايات هو هاني بن عروة أو هو شريك بن الأعور الهمداني، وسواء كان الذي وضع خطة الاغتيال وحرّض عليها هو هاني بن عروة أم هو شريك... إلا أنّ الثابت أنّ مسلماً رفض تنفيذ هذه الخطة، لأنّ هاني أبى وكره أن يتمّ الاغتيال في داره، أو لأنّ امرأة في داره هي التي أبى ذلك، ولا غرابة في ذلك فليس من أخلاق أهل البيت خيانة الأمانة ولا الفتك ولا الغدر بمن استضافهم وأدخلهم داره، فقد كانت خطة الاغتيال وإن حققت نصراً عاجلاً تعتبر نقيصة في الأخلاق السياسيّة لأهل البيت لما فيها من الإساءة وعدم الوفاء لهاني، خصوصاً وأنّ عمليّة الاغتيال هذه سوف تكون في عرف العرب سبباً في السبّة والمعاينة على هاني، فقد جاء عبيد الله ليزوره أو ليعوده والعرب لا تسيء إلى ضيفها حتّى ولو كان عدوّاً (انظر الأخبار الطوال للدينوري: ص ٢٣٣، ومقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني: ص ٦٥، والإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ٢: ص ٤، وتاريخ يعقوبي ج ٢: ص ٢٤٣). خلافاً لقاعدته في النقل الأعمى عن الطبري، زاد هنا (انظر تاريخ الطبري ج ٤: ص ٢٦٨). ولكن ابن الأثير برهاناً على عمى بصيرته كلمة "بمؤمن" في رواية "فلا يفتك مؤمن بمؤمن" ونسبها إلى مسلم إلى علي بن أبي طالب عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وكأنّه يريد أنّ مسلماً يصف عبيد الله بن زياد بأنّه مؤمن، وهذا ينسجم مع قاعدته في تقدّيس السلطان وإن كان جائراً (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣: ص ٣٩١). ثمّ بعد أن علم عبيد الله بن زياد بموقع مسلم بادر إلى الهجوم واعتقال هاني بن عروة، وكانت أوّل خطوة اعتقال هاني، استدراجه عبر رؤوس أهل الكوفة، فاستأمن، ودخل القصر متخلياً عن الحذر، حيث واجهه عبيد الله ابن زياد بالجاسوس، فأوقع في يده واعترف، لكنّه بادر إلى الهجوم معتمداً على قوّة عشيرته، ولكن عبيد الله بن زياد اعتقله، وساعده قريبه عمرو بن الحجاج في تفريق عشيرته حينما جاءت لنجدته، كما لعب شريح القاضي دوراً سيئاً في التعمية على العشيرة، فبقي هاني معتقلاً في القصر، واستطاع عبيد الله بن زياد إخراج قبيلة مذحج من ساحة المعركة وجرد مسلم بن عقيل من قوّة قبيلة كانت ستكون تحت تصرّفه لو أنّ هانياً طليق (انظر تاريخ الطبري ج ٤: ص ٢٦٩، ومروج الذهب للمسعودي ج ٣: ص ٦٧، والفتوح





لابن أعثم ج ٥: ص ٨٤، والكامل لابن الأثير ج ٣: ص ٣٩١، والإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ٢: ص ٥، والإرشاد للشيخ المفيد رحمته الله ج ٢: ص ٤٦). ومن هنا بدأت انتفاضة مسلم بن عقيل عليه السلام وهل كان ينبغي لأهل الكوفة المعارضين للحكم الأموي أن يعدوا العدة ويستبقوا الأمور، والمبادرة إلى السيطرة على الوضع في الكوفة قبل مجيء الإمام عليه السلام إليها، وذلك بالقيام بإجراءات وقائية احترازية، كاعتقال الوالي الأموي ومعاونه، ومنع الخروج من الكوفة لحجب أخبارها عن مسامع السلطة الأموية أطول مدة ممكنة حتى يصل الإمام عليه السلام فيمسك بزمام الأمور ويقود الثورة؟ لم يكن من الممكن أن تصدر هذه المبادرة عن أهل الكوفة، حتى مع وجود ذوي الخبرات العسكرية فيهم، وإذا كان من المظنون جداً أن تكون فكرة هذه المبادرة قد خطرت في ذهن بعضهم، إلا أنها لم يكن من الممكن لها أن تتحول إلى مبادرة جماعية تنفيذية على الأرض. فقد كان أهل الكوفة من قبائل شتى، لكل قبيلة وجهائها وأشرافها المتعددون، ولكل منهم تأثير في قبيلته لا يتعداه إلى القبائل الأخرى، ولم يكن من السهل أن يكون لهذا العدد الكبير من القبائل عميد واحد يرجعون إليه في أمورهم، ويصدرون عن رأيه وقراره وأمره. كذلك لم يكن من السهل أبداً أن تصدر مواقفهم إزاء الأحداث عن تنسيق بينهم وتنظيم يوحد بين تلك المواقف. لقد كان ذلك شبيه بالمستحيل في ذلك الزمان!! ولقد ترسخت هذه الحالة، في أهل الكوفة خاصة والعراق عامة، نتيجة السياسات التي مارسها معاوية، وبتركيز خاص على الكوفة، وكان عمادها الإرهاب والقمع والمراقبة الشديدة والاضطهاد والقتل الذي تعرض له كثير من أهل الكوفة ومن زعمائهم خاصة، وبث عناصر الفرقة والتناحر بين القبائل، الأمر الذي زرع بين الناس على مدى عشرين سنة، الحذر المفرط والخوف الشديد من سطوة النظام الأمني الأموي وضعف الثقة بالنفس وعدم الإطمئنان لبعضهم البعض والفردية في اتخاذ الموقف والقرار. ولم تكن جميع قبائل الكوفة معادية للنظام الأموي، وإذا ما كانت قبيلة معادية له فلم تكن كذلك بجميع أفرادها، بل كثيراً ما نجد انقساماً للولاء في نفس أفراد القبيلة الواحدة، ففي كل قبيلة إذا كان هناك من يعارض الحكم الأموي أو يوالي أهل البيت عليهم السلام، فقد كان هناك أيضاً من





يوالي الحكم الأمويّ ويخدم في أجهزته، بل قد يكون في بعض هذه القبائل من الموالين للحكم الأموي أكثر من المعارضين له عامة والموالين لأهل البيت عليه السلام خاصّة. ولذلك كان من الصعب جداً أن يستطيع رؤساء القبائل التأثير النفسي والمعنوي على قبائلهم ودفعهم للثورة ضدّ الحكم الأموي علائقيّة، ذلك لأنّ عناصر أخرى، قد تكون أساسيّة أيضاً في نفس القبيلة، ممّن يخدمون في أجهزة الأمويين الأمنية أو يوالونهم، سوف يحبطون ذلك، بالتخريب من داخل القبيلة نفسها على مساعي الزعيم، أو من خارجها بالاستعانة بالسلطة الأموية نفسها، وذلك إمّا بإخبار السلطة الأمويّة بما عزم عليه زعيم قبيلتهم، وإمّا بالمبادرة إلى إجهاض تحرّك زعيم قبيلتهم، ومحاصرته ومنعه من استنهاض القبيلة ضدّ النظام الأموي، وذلك بإحداث حالة من التنازع الداخلي بين أفراد القبيلة ودفعها نحو عدم أخذ قرار إجماعي ضدّ أحد طرفي النزاع، فتميل القبيلة إلى الحياد بين الأطراف المتنازعة، وبهذا ينجو النظام الأموي، وتخرج هذه القبيلة من عداد أعدائه، فيُفضى بذلك على العمل قبل البدء فيه، هذا إذا لم يقض على الزعيم وعلى أنصاره أيضاً. ففي قبيلة مذحج الكبيرة في الكوفة مثلاً، كان زعيم القبيلة معاد للنظام الأموي، وهو هاني بن عروة، ولكن كان يازاءه زعيم آخر موال للنظام الأموي، وإن كان أقل منه مرتبة في القبيلة، هو عمرو بن الحجاج الزبيدي، الذي قدّم خدمة كبيرة للأمويين، حينما ركب موجة قبيلة مذحج التي استنفرت لإطلاق سراح هاني، فصرفهم عن اقتحام القصر وفرّق جمعهم بمكيدة شارك في حبكها عبيد الله بن زياد وشريح القاضي. ثمّ إنّ المهمّة الصعبة لمسلم بن عقيل عليه السلام التي أرسله من أجلها الإمام عليه السلام إلى الكوفة، هي تعبئة وإعداد الموالين للإمام الحسين عليه السلام والمعارضين للحكم الأموي في الكوفة، وتنظيمهم في تشكيلات أميّة وعسكريّة مؤاتية لمواجهة المهام المقبلة، التي أولها السيطرة على الوضع داخل الكوفة، وقد لا يكون آخرها الدخول في مواجهة عسكريّة شاملة مع الجيش الأموي الشامي. لقد كان ذلك يحتاج إلى وقت بحيث تسدّ كلّ الثغرات والنواقص المعنويّة والتنظيميّة، على الأقل من أجل إنجاز المرحلة الأولى وهي إعادة الكوفة إلى حظيرة الطاعة والانقياد لقيادة الإمام الحسين عليه السلام المقبلة من الحجاز، حتّى





إذا وصل الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة، فإنه سوف يكون هو القائد المباشر، ويواصل من موقعه المقدس في القلوب وعلى طريقته، قيادة الثورة واستكمال المشروع الإصلاحي والتغيري العام. من هنا، تحاشى مسلم الدخول في أي مواجهة ميدانية فاصلة قبل أوانها مع السلطة الأموية المحلية في الكوفة، حتى يستكمل الإعداد والتحضير، كذلك كانت هذه السلطة لا تريد تلك المواجهة الميدانية الفاصلة مع حركة مسلم بن عقيل، إنما لاعتبارات شخصية تربك حركة الوالي، كوجود قيادة هذه الحركة في دار صهره المختار، أو لطمع في نفس هذا الوالي بإمكانية السيطرة على هذه الحركة واستيعابها بالسياسة، على طريقة معاوية، أو لعدم وجود مقدرة شخصية سلطوية عند الوالي على تفعيل الامكانيات الأمنية المحلية في الكوفة، ومراهنته على وصول نجدة من الشام تتولّى هي الموقف. بينما نجد أنّ الأمر انقلب تماماً مع قدوم عبيد الله بن زياد، الشخصية السلطوية الأمنية الأقوى إلى الكوفة، فقد كان إلى جانب خبثه ودهائه عارفاً بالوضع السياسي والاجتماعي والنفسي في الكوفة وبرجالها وقبائلها، وقادراً على الإمساك بالجهاز الأمني وتفعيله وتشغيله بأقصى طاقاته، وأبوه زياد بن أبيه هو الذي أسّسه وبناءه، وكان قوامه أربعة آلاف رجل، فإذا ما كان هذا الوالي الجديد قادراً على الإمساك بالوضع الأمني، وكان طامحاً إلى إنجاز المهمة التي أوكلها إليه يزيد، طمعاً في تقوية موقعه الإداري ومركزه القيادي عنده فسوف يبادر إلى استعمال أقصى ما يملك من الدهاء والبطش والقسوة بدون الاستعانة بالجيش الأموي. فبادر إلى اختراق حركة مسلم من داخلها بواسطة أحد جواسيسه الأمنيين المحترفين، ثمّ تواطأ مع بعض زعماء الكوفة للإيقاع بهاني بن عروة واعتقاله، ثمّ شغل شريح القاضي في تضليل قبيلة هاني، ثمّ استعمل عمرو بن الحجاج في امتطاء موجة غضب مذبح الزاحفة نحو القصر، ثمّ لصرفها عنه وتفريق جموعها، وبعد أن فصل بين مسلم وأقوى قيادة قبلية كانت معه في الكوفة، أراد الانتقال إلى الخطوة الأخيرة، اعتقال رأس الحركة مسلم بن عقيل. ثمّ أنّ مثل اعتقال هاني منعطفاً حرجاً وخطيراً في تقديرات مسلم بن عقيل، اضطرّه إلى الخروج عن الخطة الأصلية التي كان قد اعتمدها، واتّخاذ قرار استثنائي لمواجهة الوضع الطارئ



٣٨٠..... منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨

ولمّا وصل إليهم ظهر غدرهم به فجاهدهم في سبيل الله حتّى رزقه الله الشهادة^(١).



الذي فرضه ابن زياد على الحركة باعتقاله هانياً، فلم يعد طبيعياً الاستمرار في مواصلة التعبئة والإعداد والتحضير، وكأن شيئاً لم يكن!! فإن هذه المواصلة، من جهة، لم تعد ممكنة بعد اعتقال هانئ، الذي يعد من أقوى وأمنع زعماء القبائل في الكوفة، ومن جهة ثانية، إذا تمكن ابن زياد من اعتقاله ولم يواجه بتحريك صارم من قبيلته ومن بقية عناصر حركة مسلم بن عقيل عليه السلام لإنقاذه، فسوف يبادر عبيد الله بن زياد إلى اعتقال المزيد والمزيد من أشرف وزعماء الكوفة بلا أدنى محذور، بدون أن يتحرك أحد لإنقاذ أيّ رجل من قبضة ابن زياد، أو إنّه من جهة ثالثة، سوف يعتقل مسلماً نفسه الذي لم يعد آمناً في الكوفة، ولا شكّ أنّه الرجل الثاني الذي سيُعتقل مباشرة بعد هانئ الذي كان أقوى وأمنع حصن يمكن أن يحميه. فأيّ فائدة تبقى بعد اعتقال هانئ في مواصلة التعبئة والتحضير؟! إذن لا بدّ من الانعطاف في طريقة العمل، والتخلّي عن مواصلة الإعداد والتحضير، والمبادرة إلى التحرك فوراً، تحت وطأة الضرورة والاضطرار، والدخول في مواجهة حاسمة سريعة مع السلطة الأمويّة المحليّة في الكوفة.

(١) ذكر المؤرّخون: أنّ مسلم بن عقيل عليه السلام وصل إلى الكوفة في الخامس من شهر شوال سنة ٦٠ من الهجرة (انظر الفتوح لابن أعثم الكوفي ج ٥: ص ٣٦، ومقتل الإمام الحسين عليه السلام للخوارزمي ج ١: ص ١٩٦). فنزل في دار المختار بن أبي عبيدة الثقفي (انظر الإرشاد للشيخ المفيد رحمته الله ج ٢: ص ٤١، وتاريخ الطبري ج ٤: ص ٢٥٨، وإبصار العين للشيخ محمّد السماوي: ص ٨). وأقبلت الناس تختلف إليه، فكلمّا اجتمع إليه منهم جماعة، قرأ عليهم كتاب الإمام الحسين عليه السلام وهم يبايعونه، ثمّ يبايعونه، حتّى بايعه منهم ثمانية عشر ألف رجل (انظر الأخبار الطوال للدينوري: ص ٢٣٥، وروضة الواعظين للفتّال النيسابوري: ص ١٧٣). فكتب مسلم بن عقيل عليه السلام كتاباً إلى الإمام الحسين عليه السلام، وجاء فيه: "أمّا بعد، فإنّ الرائد لا يكذب أهله، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً، فعجّل





الإقبال حين يأتيك كتابي، فإنّ الناس كلّهم معك، ليس لهم في آل معاوية رأي ولا هوى، والسلام" (انظر تاريخ الطبري ج ٤: ص ٢٨١، وتجارب الأمم لابن مسكويه ج ٢: ص ٦٠). وأرسل عملاء بني أمية إلى يزيد رسائل يخبرونه عن مجيء مسلم عقيل عليه السلام، ومن تلك الرسائل ما كتبه عبد الله الحضرمي التي جاء فيه: فإنّ مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة، فبايعته الشيعة للحسين بن عليّ، فإن يكن لك في الكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قوياً ينفذ أمرك، ويعمل مثل عملك في عدوك، فإنّ النعمان بن بشير رجل ضعيف أو هو يتضعّف (انظر الإرشاد للشيخ المفيد رحمته الله ج ٢: ٤٢، وتاريخ الطبري ج ٤: ص ٢٦٥ ومقتل الحسين لأبي مخنف الأزدي: ص ٢٢). وكتب يزيد بن معاوية إلى عبيد الله بن زياد وهو عامله على البصرة، يطلب منه أن يذهب إلى الكوفة ليسيّط على الوضع فيها، ويقف أمام مسلم بن عقيل عليه السلام وتحركاته (انظر تاريخ الطبري ج ٤: ص ٢٦٦). ومنذ وصول ابن زياد إلى قصر الإمارة في الكوفة أخذ يهدّد ويوعّد المعارضين والرافضين لحكومة يزيد بالقتل والسجن والتعذيب ونهب الأموال وهتك الأعراض غير ذلك من استعمال الإرهاب ضدهم (انظر مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني: ص ٩٨، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٤: ص ٢٦). ولما سمع مسلم بن عقيل عليه السلام بوصول ابن زياد وما توعّد به من الإرهاب، خرج من دار المختار سرّاً إلى دار هاني بن عروة المذحجي ليستقرّ بها، ولكنّ جواسيس ابن زياد عرفوا بمكانه، فأمر ابن زياد بإلقاء القبض على هاني بن عروة وسجنه بالمؤامرة الدنيئة، حيث أنّ هاني بن عروة كان متزوجاً من أخت عمرو بن الحجاج الزبيدي وقد أرسل ابن زياد عمرو لاستدعاء هاني ليضمن قدومه أولاً وليقوم بمهمة أخرى، وهي أنّه لما دخل هاني على ابن زياد خرج عمرو ليكمل الجزء الثاني من مؤامراته حيث جمع قبيلة مذحج ووقف أمام القصر متظاهراً بأنّه يريد تخليص هاني من عبيد الله بن زياد فوقف وقال: أنا عمرو بن الحجاج الزبيدي وهذه فرسان مذحج وقد بلغهم أن صاحبهم قتل فأعظموا ذلك! (انظر مقتل الإمام الحسين عليه السلام لأبي مخنف الأزدي: ص ٣٦) وقيل: إنّ جاء عبيد الله مع مولاه مهران وقد قال شريك لمسلم: إذا سمعتني أقول "اسقوني ماء" فاخرج عليه فاضربه. فجلس عبيد الله على فراش شريك وقام





على راسه مهران، فقال: اسقوني ماء. فأخرجت جارية بقدر فرات مسلماً فزالت، فقال شريك: اسقوني ماء، ثم قال الثالثة: ويلكم تحموني الماء اسقوني، ولو كانت فيه نفسي. ففطن مهران فغمز عبيد الله فوثب، فقال شريك: أيها الأمير إنني أريد أن أوصي إليك. قال: أعود إليك. فجعل مهران يطرد به وقال: أراد والله قتلك. قال: وكيف مع إكرامي شريكاً وفي بيت هانيء ويد أبي عنده، فقال له مهران: هو ما قلت لك (انظر تاريخ الطبري ج ٤: ص ٢٦٨، ومقتل الإمام الحسين عليه السلام لأبي مخنف الأزدي: ص ٢٩). ثم إنه قام فانصرف، فخرج مسلم فقال له شريك: ما منعك من قتله؟ فقال: خصلتان، أما إحداها فكراهية هانيء أن يقتل في بيته، والأخرى فحديث حدثني الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الإيمان قيد الفتك، فلا يفتك مؤمن». فقال له شريك: لو قتله لقتلت فاسقاً فاجراً كافراً غادراً (انظر والكمال في التاريخ لابن الأثير ج ٤: ص ٢٧). أقول: الفتك بالفاء والكاف، وما في بعض النسخ الفتل فهو تصحيف، والمراد أن المؤمن لا يقتل أحداً غيلة وفتكاً. قال ابن أبي الحديد في بيان عدم احتراس مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مع أنه كان يعلم كثرة أعدائه: «لم تكن العرب في ذلك الزمان تحترس ولا تعرف الغيلة والفتك وكان ذلك عندهم قبيحاً يعير به فاعله، لأن الشجاعة غير ذلك والغيلة فعل العجزة من الرجال» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٠: ص ٢٥٩). وقال ابن نما: فلمّا خرج ابن زياد دخل مسلم والسيوف في كفه، قال له شريك: ما منعك من الأمر؟ قال مسلم: هممت بالخروج فتعلقت بي امرأة وقالت: نشدتك الله إن قتلت ابن زياد في دارنا، وبكت في وجهي فرميت السيوف وجلست. قال هانيء: يا ويلها قتلتني وقتلت نفسها والذي فرّت منه وقعت فيه (انظر مثير الأحزان لابن نما الحلبي: ص ٢١). فلمّا رأى ابن زياد ذلك دعا جماعة من رؤساء القبائل، وأمرهم أن يسيروا في الكوفة ويخذلوا الناس عن مسلم، ويعلموهم بوصول الجند من الشام. فلمّا سمع الناس مقالتهم أخذوا يتفرقون، وكانت المرأة تأتي ابنها وأخاها وزوجها وتقول: انصرف، الناس يكفونك، ويجيء الرجل إلى ابنه وأخيه ويقول له: غداً يأتيك أهل الشام فما تصنع بالحرب والشر؟ فيذهب به فينصرف، فما زالوا يتفرقون حتى أمسى مسلم وحيداً، ليس معه أحد يدله على الطريق،





فمضى على وجهه في أزقة الكوفة، حتى انتهى إلى باب امرأة يُقال لها: "طوعة"، وهي على باب دارها تنتظر ولدًا لها، فسلم عليها وقال: يا أمة الله اسقيني ماءً، فسقته وجلس. فقالت: يا عبد الله، قم فاذهب إلى أهلك؟ فقال: يا أمة الله، ما لي في هذا المصر منزل، فهل لك في أجر ومعروف ولعلي أكافئك بعد اليوم؟ فقالت: ومن أنت؟ قال: أنا مسلم بن عقيل، فأدخلته إلى دارها (انظر الارشاد للشيخ المفيد رحمته الله ج ٢: ص ٥٤، والبداية والنهاية لابن كثير ج ٨: ص ١٦٦، تاريخ الطبري ج ٤: ص ٢٧٧). وفي الصباح عرف ابن زياد مكان مسلم عقيل عليه السلام، فأرسل جماعة لإلقاء القبض عليه ومقاتلته. هكذا كان مسلم عندما رأى الرجال يقتحمون الدار فقد جاءوا إلى الموت بأرجلهم فما إن اقتحموا الدار حتى شعروا كأن صاعقة نزلت على رؤوسهم من السماء، أما المرأة فقد وقفت وهي مذهولة تنظر إلى هذا الإنسان الذي يواجه هذه الجماعات من الرجال بهذه البطولة والشجاعة المتفردة، ولتترك للتاريخ أن يصور لنا تلك البسالة التي أذهلت التاريخ نفسه. يقول الطبري: واقتحموا عليه الدار فشدّ عليهم يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من الدار، ثم عادوا إليه فشدّ عليهم كذلك (تاريخ الطبري ج ٤: ص ٢٧٩). ويقول المسعودي: فاقتحموا على مسلم الدار فثار عليهم بسيفه، وشدّ عليهم فأخرجهم من الدار، ثم حملوا عليه ثانية، فشدّ عليهم وأخرجهم أيضاً، فلمّا رأوا ذلك منه (أي عجزهم عن الوقوف أمامه) علوا ظهور البيوت فرموه بالحجارة وجعلوا يلهبون النار بأطراف القصب، ثم يلقونها عليه من فوق البيوت، فلمّا رأى ذلك، قال: أكلّ ما أرى من الأجلاب لقتل مسلم بن عقيل؟ يا نفس اخرجي إلى الموت الذي ليس له محيص، فخرج إليهم مصلاً سيفه في السكة فقاتلهم (مروج الذهب ج ٣: ص ٧٢). ويقول ابن أعثم الكوفي: وخرج مسلم في وجوه القوم كأنه أسد مغضب، فجعل يضاربهم بسيفه حتى قتل منهم جماعة (الفتوح ج ٥: ص ٣٤). كان يهجم عليهم وهو يقول: هو الموت فاصنع ويك ما أنت صانع *** فأنت لكأس الموت لا شك جارع. فصبراً لأمر الله جلّ جلاله *** فحكم قضاء الله في الخلق ذائع. لم يخطر في بال ابن الأشعث أنّ الرجال السبعين الأشداء الذين اختارهم لهذه المهمة سيفشلون وسينتهي أمرهم إلى موت بعضهم وفرار البعض أمام رجل واحد!! رجل واحد حمل صفات الرجل





الكامل من شجاعة وبأس ونجدة ومروءة ويقين... رجل أعاد في أذهان أهل الكوفة شجاعة علي عليه السلام. رأى ابن الأشعث أصحابه وهم ما بين قتيل وجريح ومهزوم، فترك رجاله وذهب إلى القصر يطلب الإمدادات وما إن وصل خبر الإمدادات إلى أسماع ابن زياد حتى اضطرب وفزع وشعر بنزوله عليه كأن القصر قد هوى على رأسه، فنهض واقفاً وهو يرتعد غضباً وخوفاً وصاح في وجه ابن الأشعث: بعثناك إلى رجل واحد تأتينا به فثلم في أصحابك هذه الثلمة العظيمة؟ ولكن ابن الأشعث لم يترك استهانة ابن زياد بقوله "رجل واحد" دون ردٍ لذكره بأنه لم يرسله إلى رجل عادي من الناس الأبرياء الذين يقبض عليهم ابن الأشعث على التهمة والظنة ويودعهم غياهب السجن، فبين له من هو هذا الرجل الواحد فقال له: أتظن أنك بعثتني إلى بقال من بقال الكوفة أو جرمقاني من جرامقة الحيرة؟ أما تعلم أنك بعثتني إلى أسد ضرغام وسيف حسام في كف بطل همام!! (انظر الفتوح لابن أعثم الكوفي ج ٥: ص ٦٣). زاد رد ابن الأشعث من خوف ابن زياد وأدرك صعوبة المهمة أمام هذا البطل الطالب، فأرسل بالإمدادات على وجه السرعة وهو يزد ويعد لكنه لم ينس ما جبل عليه من الغدر، فاقترح على ابن الأشعث قائلاً: أعطه الأمان فإنك لن تقدر عليه إلا بالأمان... كان ابن الأشعث يعرف ما هو معنى الأمان عند ابن زياد، إنه يعني الغدر، فنظر إلى ابن زياد نظرة شيطانية وخرج مسرعاً مع عدة من الرجال... رجع ابن الأشعث إلى حيث مسلم بن عقيل فرأى ذلك البطل وهو يجهز على كل من يتصدى له، فخاف أن يكون مصير هؤلاء الرجال كسابقيهم ما دام هذا الرجل حاملاً سيفه وهو ينقض على من يواجهه كالأسد عندما ينقض على فريسته، فلجأ إلى مكيدة شيطانه ابن زياد فعرض على مسلم الأمان، فرد ابن عقيل على طلب الأمان بقوله: أقسمت لا أقتل إلا حراً*** وإن رأيت الموت شيئاً نكراً. كل امرئ يوماً ملاق شراً*** ويخلط البارد سحناً مرّاً. رد شعاع الشمس فاستقرأ*** أخاف أن أخدع أو أغرأ. وهجم عليهم فبدد شملهم وأوقع منهم قتلى... كان يعرف أن هؤلاء ليس لديهم أي قيم من القيم الإنسانية... وكان يعرف معنى الأمان عندهم، وازداد خوف ابن الأشعث وهو يسمع هذه الأبيات التي استمات صاحبها وهو مصمم على القتال حتى آخر رمق، ولكن





لا أحد يستطيع الوقوف بوجهه، فقال ابن الأشعث: إنك لا تكذب ولا تخدع ولا تغر، إن القوم بنو عمك وليسوا بقاتليك ولا ضاريك. ولكن لم يكن مسلم لتتطلي عليه هذه الخديعة فقال له: لا حاجة لي إلى أمان الغدرة. وبقي يقاتل بتلك البسالة رغم كثرة الجراح والحروق التي أصيب بها جسده، وهال ابن الأشعث هذا البطل الذي لم ير مثله في حياته... أنه لا يتأثر بالجراح التي تصيبه وكأنها تعطيه دافعاً وحافزاً لمواصلة القتال، ورغم كل الجراح فهو يدمي وجه كل من يبارزه ويسقطه قتيلاً أو جريحاً! وخاف ابن الأشعث أن يستنفد الرجال فدنا من مسلم قليلاً وجعل بينهما مسافة كافية للهرب إذا هجم عليه مسلم وقال: يا ابن عقيل لا تقتل نفسك، أنت آمن ودمك في عنقي!! ما أقبح هؤلاء الذين يحاولون أن يصلوا إلى أهدافهم الدنيئة بالكذب والخداع، إن سياسة معاوية القدرة قد نفست في المجتمع والناس على دين ملوكهم... أجابه مسلم وهو ينزف دماً وقد أعيتته الجراح مؤثراً الموت على الركون إلى هؤلاء الغدرة: أنظن يا ابن الأشعث أنني أعطي بيدي الأمان وأنا أقدر على القتال؟ لا والله لا كان ذلك أبداً... وهجم مسلم على ابن الأشعث لكن المسافة التي لم يجرؤ ابن الأشعث على أن يتجاوزها خوفاً قد مكنته من الهروب والنجاة، فلم يجد مسلم من يواجهه وجهاً لوجه... رجلاً لرجل خوفاً منه فقد صعد أغلبهم إلى السطوح وقاموا برمي الحجارة عليه وهو يزأر فيهم كالأسد: ويلكم! ما لكم ترموني بالحجارة كما ترمي الكفار؟! وأنا من أهل بيت الأنبياء الأبرار! ويلكم أما ترعون حق رسول الله ﷺ في ذريته؟ (انظر مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٣: ص ٢٤٤، والفتوح لابن أعمش الكوفي ج ٥: ص ٥٤، وبحار الأنوار ج ٤٤: ص ٣٥٤، وأسرار الشهادة للدربندي: ص ٢٢٥، ومعالي السبطين للمازندراني ج ١: ص ٢٣٧). وقال الشيخ المفيد رحمه الله والجزري وأبو الفرج: وقد اتخن مسلم بالجراح وعجز عن القتال، فانبهر وأسند ظهره إلى دار بجانب تلك الدار، فدنا منه محمد بن الأشعث فقال: لك الأمان. فقال له مسلم: آمن أنا؟ قال: نعم أنت آمن. فقال القوم جميعاً: نعم غير عبيد الله بن العباس أسلمي فإنه قال: لا ناقة لي في هذا ولا جمل فتحي، فقال ابن عقيل: إنني والله لولا أمانكم ما وضعت يدي في أيديكم. وأتي ببغلة فحمل عليها، فاجتمعوا عليه فزعوا سيفه من عنقه





فكأنه عند ذلك آيس من نفسه ودمعت عينه وعلم أن القوم قاتلوه وقال: هذا أول الغدر. فقال له محمد بن الأشعث: أرجو أن لا يكون عليك بأس. فقال: ما هو إلا الرجاء، فأين أمانكم؟ إنا لله وإنا إليه راجعون، فبكى. فقال له عبيد الله بن العباس السلمي: إن مثلك ومن يطلب مثل الذي طلبت إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك. قال: إني والله ما أبكي لفنسي ولا لها من القتل إرثي، وإن كنت لم أحب لها طرفة عين تلفاً، ولكن أبكي لأهلي المقبلين إليّ، أبكي للحسين عليه السلام وآل الحسين عليهم السلام (انظر الإرشاد للشيخ المفيد رحمته الله ج ٢: ص ٥٩، ومقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني: ص ٦٩، والكامل في التاريخ لابن أثير ج ٤: ص ٣٣). ثم أقبل على محمد بن الأشعث فقال: إني والله لأظنك ستعجز عن أمني (انظر الإرشاد للشيخ المفيد رحمته الله ج ٢: ص ٦٠). وسأله أن يبعث رسولاً إلى الحسين عليه السلام يعلمه الخبر ويسأله الرجوع. وفي رواية الشيخ المفيد رحمته الله: قال مسلم عليه السلام لمحمد بن الأشعث: يا عبد الله، إني أراك والله ستعجز عن أمني، فهل عندك خير تستطيع أن تبعث من عندك رجلاً على لساني أن يبلغ حسيناً عليه السلام، فإني لا أراه إلا قد خرج إليكم اليوم مقبلاً أو هو خارج غداً وأهل بيته ويقول له: إن ابن عقيل بعثني إليك وهو أسير في أيدي القوم لا يري أنه يمسي حتى يقتل وهو يقول: ارجع فداك أبي وأمي بأهل بيتك، ولا يغرتك أهل الكوفة، فإنهم أصحاب أهلك الذين (الذي خ ل) كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل، إن أهل الكوفة قد كذبوك (وكذبوني ظ) وليس لمكذوب رأي. فقال له ابن الأشعث: والله لأفعلن (انظر الإرشاد للشيخ المفيد رحمته الله ج ٢: ص ٦٠). وبقي يلاحق المبارزة في الأزقة فصاح ابن الأشعث فيهم وكأنه لم يلحقه عار الهزيمة: ويلكم إن هذا هو العار والفشل أن تجزعوا من رجل واحد هذا الجزع... احملوا عليه حملة واحدة... ولكن مسلم تصدى لهذه الحملة الواحدة وازدادت جراحه وكثر نزيفه وطعن من الخلف طعنة غادرة اخترقت ظهره وضرب على شفتيه بالسيف، فضرب صاحبها فقتله واجتمعوا عليه يضربونه بالسيف حتى سقط من كثرة النزف وأخذوه أسيراً (انظر مثير الأحرار لابن نما الحلبي رحمته الله: ص ٢٥-٢٦). لما أدخل مسلم بن عقيل عليه السلام على ابن زياد فلم يسلم عليه، فقال له الحرس: سلم على الأمير. فقال مسلم بن عقيل عليه السلام له: اسكت، ويحك، والله ما هو





لي بأمر. فقال ابن زياد: لا عليك، سلّمت أم لم تسلّم فإنّك مقتول. فقال له مسلم بن عقيل عليه السلام: إن قتلتنني فلقد قتل من هو شرّ منك من هو خير منّي، وبعد فإنّك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السريرة ولؤم الغلبة لا أحد أولى بها منك. فقال ابن زياد: يا عاق يا شاق خرجت على إمامك وشققت عصا المسلمين وألحقت الفتنة. فقال مسلم بن عقيل عليه السلام: كذبت يا بن زياد! إنّما شقّ عصا المسلمين معاوية وابنه يزيد، وأمّا الفتنة فإنّما ألحقها أنت وأبوك زياد بن عبيد عبد بني علاج من ثقيف، وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على يدي شرّ بريّته. فقال ابن زياد: منتك نفسك أمراً حال الله دونه وجعله لأهله. فقال مسلم بن عقيل عليه السلام: ومن يا ابن مرجانة؟ فقال ابن زياد: أهله يزيد بن معاوية. فقال مسلم بن عقيل عليه السلام: الحمد لله رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم. فقال له ابن زياد: أتظنّ أنّ لك في الأمر شيئاً؟ فقال مسلم بن عقيل عليه السلام: والله ما هو الظنّ ولكنّه اليقين. فقال ابن زياد: أخبرني يا مسلم بماذا أتيت هذا البلد وأمرهم ملتئم فشئت أمرهم بينهم وفرّقت كلمتهم. فقال مسلم بن عقيل عليه السلام: ما لهذا أتيت، ولكنكم أظهرتم المنكر ودفنتم المعروف ودفنتم المعروف، وتأمرتم على الناس من غير رضی، وحملتموهم على غير ما أمركم الله به، وعملت فيهم بأعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف، وننهاهم عن المنكر، وندعوهم إلى حكم الكتاب والسنة، وكنا أهل ذلك، ولم تنزل الخلافة لنا منذ قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ولا تزال الخلافة لنا فإنّا قهرنا عليها، لأنكم أوّل من خرج على إمام هدى، وشقّ عصا المسلمين، وأخذ هذا الأمر غضباً، ونازع أهله بالظلم والعدوان، ولا نعلم لنا ولكم مثلاً إلا قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (سورة الشعراء: ٢٢٧). فجعل ابن زياد يشتمه ويشتم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام، فقال مسلم بن عقيل عليه السلام: أنت وأبوك أحقّ بالثيمة منهم، فاقض ما أنت قاض، فنحن أهل بيت موكل بنا البلاء. فقال عبيد الله بن زياد: الحقوا به إلى أعلى القصر فاضربوا عنقه وألحقوا رأسه جسده. فقال مسلم بن عقيل عليه السلام: أما والله يا بن زياد! لو كنت من قريش أو كان بيني وبينك رحم أو قرابة لما قتلتنني ولكنك ابن أبيك!!! فأمر ابن زياد بكير بن حمران أن



وقد حاول القوم ذلته فأبى من ذلك^(١)،



يصعد به إلى أعلى القصر ليقنتله، فصعد به وهو يسبح الله تعالى ويكبره ويصلي على النبي ﷺ وكان يقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكذبونا وخذلونا. ثم استأذن فصلّي ركعتين وضرب عنقه، ورمي بجسده من أعلى القصر، وكانت شهادته ﷺ يوم التاسع من شهر ذي الحجة يوم عرفة سنة ستين من الهجرة يوم الذي خرج مولانا الإمام الحسين ﷺ من مكة إلى العراق (انظر الفتوح لابن اعثم الكوفي ج ٥: ص ٥٧).

(١) وتوضيح المقام أنّ كل من أراد العزة يلزم أن يعرف بأنّ مركز العزة هو الله جلّ شأنه، فإنّ العزة لله ولأوليائه، فقد قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ (سورة فاطر: ١٠). وقال الله تعالى: ﴿وَلَا يَخْزُنْكَ قَوْلُهُمْ، إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا، هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (سورة يونس: ٦٥). فالعزة هي حالة للرجال الواعين الذين أخذوا مبادئ الدين ومنهج التربية الإسلامية، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (سورة آل عمران: ١٣٩). ويعرف ذلك من خلال قوة الإيمان بالله والإنكال على الله والتمزام بأوامر الله ونواهيه. وفي قبالة يعرف بأنّ مركز الذلّة هو الشيطان، وكلّ من يقترب من الشيطان فهو ذليل. ونظراً لأهميّة هذا الرافد الثقافي والتربوي أنّ الله تعالى يؤكّد عليه في كتابه الكريم ويُعرّف الأعرّاء والأذلاء في التاريخ؛ فيبين سبحانه وتعالى أنّ أولئك الذين نالوا العزة هم الذين اتكلوا على الله بايمان خالص وباخلاص في العمل، ولذلك أنّ الله تعالى قد وضّح هذه الحقيقة من خلال المحاورّة بين المؤمنين والمنافقين، ويقول: أنّ المنافقين كانوا يسمّون أنفسهم الأعرّاء ويخاطبون المؤمنين ويقولون لهم: أنتم أيّها المؤمنون الأذلاء كما في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ (سورة المنافقين: ٨). لكن فليكن في علمهم أنّه لا عزة إلّا لله ورسوله ﷺ والمؤمنين، لأنهم قد سلكوا طريق العزة الذي هو العقيدة السليمة والعمل الصالح، كما قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة المنافقين: ٨). فبالطبع قد تكون الذلّة الصوريّة وبحسب الظاهر للمؤمن وفي الواقع أنّها كمال له، إذ





بهذه الحالة تتوفر أرضية الكمال؛ كما أنه قد يتصور أن في مظلومية أهل البيت عليهم السلام أو سجنهم أو تعذيبهم ذلة أحياناً، لكن الواقع هو أن مثل هذه الذلة تكون مشحونة بالعزة. لأنه ليس كل مظلوم منكسر، فإن الإنكسار لمن لا يصل إلى هدفه. فإن ابن مرجانة ندب لحرب مسلم بن عقيل عليه السلام، محمد بن الأشعث، وعمرو بن حريث المخزومي وضم إليهما ثلاثمائة رجل من فرسان الكوفة، وأقبلت تلك الوحوش الكاسرة التي لا عهد لها بالشرف والمروءة إلى حرب مسلم بن عقيل عليه السلام الذي أراد أن يحررهم من الذل ويرفعهم إلى عز العبودية وينقذهم من ظلم الأمويين وجورهم، فاقترحوا عليه وجالت الجلاوزة حوله. ولما قربت الجيوش من دار طوعة علم مسلم بن عقيل عليه السلام أنها قد أتت جند الشيطان لحربه، فسارع إلى فرسه فأسرجه وألجمه، وصب عليه درعه، وتقلد سيفه، والتفت إلى السيدة الكريمة طوعة فشكرها على حسن ضيافتها، واقتحم الجيش الدار على مسلم بن عقيل عليه السلام فشد عليهم كالليث يضربهم بسيفه، ففروا منهزمين من بين يديه يطاردهم الرعب والخوف، وبعد فترة عادوا إليه فحمل عليهم، وأخرجهم من الدار، وانطلق نحوهم فجعل يحصد رؤوسهم بسيفه، وقد أبدى من البطولات النادرة ما لم يشاهد مثله في جميع فترات التاريخ، فقد قتل منهم فيما يقول بعض المؤرخين واحداً وأربعين، عدا الجرحى، وكان من قوته النادرة، وعظيم بأسه أن يأخذ الرجل منهم بيده، ويرمي به فوق البيت كأنه حجر، ومن المؤكد أنه ليس في تاريخ الإنسانية مثل هذه البطولة، ولا مثل هذه القوة، وليس ذلك غريباً عليه، فعنه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أشجع الناس، وأقواهم بأساً وأشدّهم عزيمة. وجعل أنزال أهل الكوفة يرمون مسلماً بالحجارة وقذائف النار من فوق سطوح بيوتهم، ومما لا ريب فيه أن الحرب لو كانت في البيداء لأتى عليهم مسلم بن عقيل عليه السلام، ولكنها كانت في الأزقة والشوارع، ومع ذلك فقد فشلت جيوش أنزال أهل الكوفة، وعجزت عن مقاومة البطل العظيم، فقد أشاع فيه القتل والدمار، وأسرع ابن الأشعث بالطلب إلى أميره ابن مرجانة ليمدّه بالخيال والرجال، لأنه لا يقوى على مقاومة هذا البطل العظيم، وبهر الطاغية، وأخذ يندد بقيادة ابن الأشعث قائلاً: سبحان الله!! بعثناك إلى رجل واحد تأتينا به فتلم في أصحابك هذه الثلمة العظيمة. وثقل





على ابن الأشعث هذا التقرير، فراح يشيد بطولات ابن عقيل قائلاً: أظن أنك أرسلتني إلى بقال من بقال الكوفة، أو جرمقاني من جرامقة الحيرة؟ وإنما بعثتني إلى أسد ضرغام، وسيف حسام في كف بطل همام من آل خير الأنام. فأمدّه ابن زياد بقوة مكثفة من الجيش، فجعل بطل الإسلام وفخر عدنان يقاتلهم أشد القتال وأعنفه وهو يرتجز: أقسمت لا أقتل إلا حراً * وإن رأيت الموت شيئاً نكراً. أو يخلط البارد سخناً مرّاً * ردّ شعاع الشمس فاستقرا. كل امرئ يوماً يلاقي شراً * أخاف أن أكذب أو أغرا. أما أنت يا ابن عقيل فكنت سيد الأبهة والأحرار، فقد رفعت لواء العزة والكرامة، ورفعت شعار الحرية، وأما خصومك فهم العبيد الذي رضوا بالذل والهوان، وخضعوا للعبودية والذل، لقد أردت أن تحرّره وتعيد لهم الحياة الحرة الكريمة، فأبوا ذلك، وعدوا عليك يقاتلونك، وقد فقدوا بذلك إنسانيتهم ومقومات حياتهم.

ولما سمع ابن الأشعث رجز مسلم الذي أقسم فيه على أن يموت ميتة الأحرار والأشراف انبرى إليه ليخذه قائلاً: إنك لا تكذب، ولا تخدع، إنّ القوم بنو عمك وليسوا بقاتليك، ولا ضاريك. فلم يحفل مسلم بن عقيل عليه السلام بأكاذيب ابن الأشعث، وراح يقاتلهم أعنف القتال وأشدّه، وفرّوا منهزمين من بين يديه، وهو يحصد رؤوسهم، وجعلوا يرمونه بالحجارة، فأنكر عليهم مسلم بن عقيل عليه السلام ذلك وصاح بهم: ويلكم ما لكم ترموني بالحجارة كما ترمى الكفار، وأنا من أهل بيت الأبرار، ويلكم أما ترعون حق رسول الله ﷺ، وذريته؟! ولكن القوم الأجلاف قد فقدوا جميع القيم والأعراف، فلم يراعوا أية حرمة لرسول الله ﷺ الذي حرّره من حياة التيه في الصحراء وأقام لهم حضارة لم تعهدها الأمم والشعوب، فأوسعهم قتلاً وتنكيلاً. وعلى أي حال فإن جيوش ابن زياد لم تستطع مقاومة البطل العظيم وبان عليهم الانكسار، وضاق بابن الأشعث أمره، فدنا من مسلم عليه السلام ورفع عقيرته قائلاً: يا بن عقيل لا تقتل نفسك، أنت آمن، ودمك في عنقي. ولم يعن مسلم بأمان ابن الأشعث لعلمه أنّه من أسرة خبيثة لا تعرف أي معنى من معاني النبيل والوفاء، فردّ عليه قائلاً: يا بن الأشعث لا أعطي يدي أبداً، وأنا أقدر على القتال، والله لا كان ذلك أبداً. وحمل عليه مسلم ففرّ الجبان منهزماً يلهث كالكلب، وأخذ العطش





القاسي من مسلم مأخذاً عظيماً، فجعل يقول: اللهم إنَّ العطش قد بلغ منِّي. وتكاثرت الجنود على مسلم، وقد استولى عليهم الرعب والخوف، وصاح بهم ابن الأشعث: إن هذا هو العار والفشل أن تجزعوا من رجل واحد هذا الجزع، احملوا عليه بأجمعكم حملة واحدة. فكل إنسان لو تأمل في هذه الواقعة الأليمة سوف يتضح له التعاليم الإسلامية من القرآن الكريم في قبال الأقوام التي نالهم الذلَّة والمسكنة عندما انتخبوا لأنفسهم طريقاً غير طريق الله ورسوله، كما يقول سبحانه وتعالى في قصَّة بني اسرائيل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعَجَلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ (سورة الأعراف: ١٥٢). وذلك لأنهم عبدوا العجل، وأظهروا الكفر، وقتلوا الأنبياء، وصار العصيان والاعتداء ملكة لنفوسهم؛ أي طبقاً للمعيار المبين للذلَّة فإنهم قد وقفوا في مواجهة مع الباري تعالى ووضعوا لأنفسهم حداً مغايراً لحداً العبودية. ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ (سورة المجادلة: ٢٠). فانتخبوا لأنفسهم معبوداً غير المعبود الحقيقي، غافلين عن حقيقة أنه يكفي بالإنسان عزاً أن يكون عبداً لله ويكفي به فخراً أن يكون الله تعالى ربّه ومولاه. فعن عامر الشعبي، قال: تكلم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بتسع كلمات ارتجلهنّ ارتجالاً، فقأن عيون البلاغة، وأيتمن جواهر الحكمة، وقطعن جميع الأنام عن اللحاق بواحدة منهنّ: ثلاث منها في المناجاة، وثلاث منها في الحكمة، وثلاث منها في الأدب، فأما اللاتي في المناجاة فقال: «إلهي كفى بي عزاً أن أكون لك عبداً، وكفى بي فخراً أن تكون لي رباً، أنت كما أحبّ فاجعلني كما تحبّ»، وأما اللاتي في الحكمة فقال عليه السلام: «قيمة كل امرئ ما يحسنه، وما هلك امرء عرف قدره، والمرء مخبوء تحت لسانه»، وأما اللاتي في الأدب فقال عليه السلام: «امنن على من شئت تكن أميره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره، واستغن عن من شئت تكن نظيره» (انظر بحار الأنوار ج ٤: ص ٤٠٠). فمسلم بن عقيل هو خريج مدرسة عمّه، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقد أعطى العالم درس العبودية والعزّة والشجاعة وجميع القيم الإنسانية، فلاحظ.

فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ...^(١)،

(١) هذه العبارة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة المنافقين: ٨). فَإِنَّ حَقِيقَةَ الْعِزَّةِ وَالشَّرَافَةِ وَالْكَرَامَةِ فِي الْإِسْلَامِ هِيَ مَا تَرْتَبُطُ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، لَا الْمَظَاهِرَ الْمَادِّيَّةَ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ. وَلِذَلِكَ يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِيتُّهُنَّ عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (سورة النساء: ١٣٩). فَتَقُولُ الْآيَةُ: ﴿أَبِيتُّهُنَّ عَنْهُمْ الْعِزَّةَ﴾، فَإِنَّ الْعِزَّةَ وَالشَّرَفَ كُلُّهُمَا لِلَّهِ، ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾. فَحَقِيقَةُ الْعِزَّةِ الَّتِي يَعْتَزُّ بِهَا الْمَرْءُ هِيَ الْعِزَّةُ بَدَنِيَّةٌ، وَيَرْتَفِعُ بِصِفَاتِهِ الْحَمِيدَةِ، فَيَقْبِى مَوْفُورَ الْكَرَامَةِ، مَرْتَاحَ الضَّمِيرِ، مَرْفُوعَ الرَّأْسِ، شَامِخَ الْعَرِينِ، سَالِمًا مِنَ أَلَمِ الْهَوَانِ، مُتَحَرِّرًا مِنْ رِقِّ الْأَهْوَاءِ، وَمِنْ ذُلِّ الطَّمَعِ، لَا يَسِيرُ إِلَّا وَفْقَ مَا يَمْلِكُهُ عَلَيْهِ إِيْمَانُهُ، وَالْحَقُّ الَّذِي يَحْمِلُهُ وَيَدْعُو إِلَيْهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ (سورة فاطر: ١٠). وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (سورة يونس: ٦٥). فَالْعِزَّةُ هِيَ حَالَةٌ لِلرِّجَالِ الْوَاعِينَ الَّذِينَ أَخَذُوا مَبَادِئَ الدِّينِ وَمَنْهَجَ التَّرْبِيَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَهْنُؤُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (سورة آل عمران: ١٣٩). فَتَنْطَبِقُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة المنافقين: ٨) عَلَى مُسْلِمٍ بَنٍ عَقِيلٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﷺ حَيْثُ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﷺ أَحْيَى مَعْنَى الْعِزَّةِ فِي الْعَالَمِ بِجَمِيعِ جِهَاتِهَا كَمَا تَقَدَّمَ الْإِشَارَةُ إِلَى جِهَادِهِ الْعَظِيمِ وَنَهْضَتِهِ الْمُبَارَكَةِ وَشَجَاعَتِهِ وَبَلَاعَتِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِهِ الْحَمِيدَةِ. وَفِي قِبَالِ الْعِزَّةِ هِيَ الذَّلَّةُ، وَقَدْ وَصَفَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِلَّذِينَ لَمْ يَتَّبِعُوا آيَاتِ اللَّهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَنْتَبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾ (سورة طه: ١٣٤). فَالْمُنَافِقُونَ كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّ الْعِزَّةَ فِي النِّفَاقِ وَالْمَالِ وَالْعَشِيرَةِ وَالسُّلْطَةِ وَالْمَسَائِلِ الْمَادِّيَّةِ بِشَكْلِ عَامٍّ، فَكَانُوا يَسْعَوْنَ إِلَى تَحْصِيلِهَا. وَقَدْ بَيَّنَّ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ بِصُورَةٍ وَاضِحَةٍ بِأَنَّ الْعِزَّةَ وَالشَّرَافَةَ وَالْكَرَامَةَ فِي الْإِسْلَامِ هِيَ مَا تَرْتَبُطُ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ كَمَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَقُولُونَ لَنْ رَجِعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾

فعلم الفرق بين قتل الحسين عليه السلام الذي هو سبب لخلود قاتليه في جهنم ^(١)



وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ (سورة المنافقين: ٨).

(١) لا يخفى أن الخلود بمعنى الاستمرار والتأييد الحقيقي، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (سورة الأعراف: ٤٢). وهذه الآية تؤكد بأنه لا ينبغي لأحد أن يتصور بأن الإيمان بالله والإتيان بالعمل الصالح وسلوك سبيل المؤمنين، أمر متعسر غير مقدور إلا لأفراد معدودين، لأن التكليف الإلهي في حدود الطاقة البشرية وليست أكثر منها، وبهذا فتح الطريق في وجه كل أحد عالمًا كان أو جاهلاً، صغيراً كان أو كبيراً، ودعا الجميع إلى اللحاق بهذا الصف، فالمطلوب من كل أحد العمل بمقدار قابليته الفكرية والبدنية وإمكاناته. فالآية الكريمة جعلت وسيلة النجاة والسعادة الأبدية في الإيمان والعمل الصالح، ومن البديهي أنه عندما يستقر المؤمن في الجنة بسبب أعماله الصالحة فيكون خالداً فيها إلى الأبد. وحيث أن أهل الجنة قد تطهروا باطنًا وظاهرًا، جسمًا وروحًا، فهم يتحلون بالجمال الجسماني والجمال الروحاني معاً، ولهذا فهم لا يعانون، - مطلقاً - من الحسد والحقد. فما أسعد من يبنى لنفسه في هذه الدنيا جنة أخرى بتطهير صدره من الحقد والحسد ليتخلص من افرازاتهما المؤلمة. ولذلك يقول تعالى عن لسان هؤلاء المؤمنون: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تُلْكُمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (سورة الأعراف: ٤٣). وهنا يأتيهم النداء بأن ما ورثتموه من النعم إنما هو بسبب أعمالكم ونودوا أن تلکم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون. ومرة أخرى نصل إلى هذه الحقيقة، وهي أن النجاة رهن بالعمل الصالح، وليست بالأمان والظنون الخاوية. والإرث في الأصل بمعنى انتقال مال أو ثروة من شخص إلى آخر من دون أن يكون بينهما عقد (أي الانتقال عبر مسير طبيعي تلقائي، لا عن طريق البيع والشراء) ولهذا يطلق الإرث على انتقال أموال الميت إلى خلفه. لماذا عبر بالإرث؟ وهنا يتقدح سؤال وهو: كيف يقال





لأهل الجنة: هذه النعم أورثتموها لقاء أعمالكم؟ والجواب أوضحه حديث روي بطرق الشيعة والسنة عن رسول الله ﷺ حيث يقول: «ما من أحد إلا وله منزل في الجنة، ومنزل في النار، فأما الكافر فيرث المؤمن منزله من النار، والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة، فذلك قوله ﴿أُورِثُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾» (انظر بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ٨: ص ٩١، وسنن ابن ماجه ج ٢: ص ١٤٥٣). فهذا الحديث يشير إلى أن أبواب السعادة والشقاء مفتوحة أمام جميع الناس قاطبة، وإنه لم يخلق أحد يوم خلق وهو من أهل الجنة أو من أهل النار، بل يمتلك الجميع قابلية الوصول إلى كلا هذين المنزلين، وإنما إرادتهم هي التي تحدّد وتقرّر مصيرهم. ومن البديهي أنه عندما يستقرّ المؤمنون بسبب أعمالهم الصالحة في الجنة، ويستقرّ الكفار والأشرار في النار ينتقل مكان ومنزل كلّ واحد منهما إلى الآخر بصورة طبيعيّة. وعلى كلّ حال، فإنّ هذه الآية والحديث يدلان على معنى الخلود. كما أنّ أهل النار يكون كذلك فقد قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (سورة البقرة: ٣٩). فالخلود قطعي ومحرز ومستند إلى القرآن الكريم، ومن هنا يعرف الفرق بين أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وبين من قاتلهم، فالأول سبب للخلود في الجنة والثاني سبب للخلود في النار، لأنّ الله تبارك وتعالى وعد المؤمنين بالجنة في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (سورة التوبة: ٧٢)، وأنّ وعده الحقّ كما قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ (سورة الروم: ٦٠)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (سورة آل عمران: ٩). كما وعد الله الكافرين بنار جهنّم والخلود فيها في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنُهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (سورة التوبة: ٦٨)، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (سورة الحج: ٧٢). وإلى غير ذلك من الآيات، فلاحظ.

وبين عثمان الذي قد صدر بأمر الرحمن ونص عليه الفرقان من قتل المفسدين^(١).

(١) هذه العبارة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة المائدة: ٣٣). فَإِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَمْرُ بَقْلِ الْمَفْسِدِ فِي الْأَرْضِ، وَالْمَفْسِدِ فِي الْأَرْضِ لَيْسَ فَقَطٌّ مِنْ يَقْطَعُ الطَّرِيقَ عَلَى النَّاسِ لِيَسْلُبَهُمُ الْأَمْوَالَ، بَلْ وَحْتَى مِنْ يَقْطَعُ طَرِيقَ الدِّينِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَوْ يَقْطَعُ الْعَقِيدَةَ عَنْهُمْ، لِأَنَّ مِنْ يَقْطَعُ طَرِيقَ الدِّينِ، أَوْ يَقْطَعُ الْعَقِيدَةَ الْحَقَّةَ مِنَ النَّاسِ فَهُوَ مُحَارِبٌ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ أَيْضًا، بَلْ أَنَّ قَاطِعَ طَرِيقِ الْعَقِيدَةِ فَسَادُهُ أَكْبَرُ مِنْ قَاطِعِ الطَّرِيقِ لِسُلْبِ الْأَمْوَالِ؛ لِأَنَّ مِنْ يَقْطَعُ طَرِيقَ الْعَقِيدَةِ مِنَ النَّاسِ مُوجِبٌ لَضَلَالَتِهِمْ وَدُخُولِهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَأَمَّا مَنْ قَطَعَ الطَّرِيقَ عَلَى النَّاسِ مُوجِبٌ لِلْفَسَادِ وَلَكِنْ لَا يَكُونُ مُوجِبًا لِدُخُولِ النَّاسِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ. وَعَلَيْهِ فَالْحَاكِمُ الَّذِي يَأْمُرُ النَّاسَ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى الْبِدْعَةِ فِي الدِّينِ وَالْخُرُوجِ عَنْ سُنَنِ وَالْآدَابِ الدِّينِيَّةِ فَهُوَ مِنَ الطَّوَاعِيتِ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ فَهُمْ كَمَنْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِّهِمْ: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ (سورة القصص: ٤١). فَإِنَّ هَذَا النُّوعَ مِنَ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ مِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ الْفَسَادِ الْأَرْضِ. وَإِنَّ عُثْمَانَ وَعَمَّالَهُ كَبْقِيَّةَ أَتْبَاعِ خِلَافَةِ السَّقِيفَةِ كَانُوا يَسْعَوْنَ فِي إِغْرَاءِ النَّاسِ وَجَرِّهِمْ إِلَى الْفَسَادِ، وَكَانَ غَضَبُ الْخِلَافَةِ وَسِيلَةً لِمُحَارَبَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، فَبَنَصِّ الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ بِجَمِيعِ مَعَانِيهَا الْمَادِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ وَكَانُوا يَسْتَحَقُّونَ الْعُقُوبَةَ الَّتِي جَاءَتْ فِي الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ، إِذْ كَانَ النَّاسُ يَخْشَى مِنْ شَرِّهِمْ وَفَسَادِهِمْ فِي الْأَرْضِ فَهُمْ كَمَنْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِّهِمْ: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (سورة الكهف: ١٠٤). فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كَانَ مَفْسِدًا فِي الْأَرْضِ وَكُلُّ مَفْسِدٍ فِي الْأَرْضِ لَا بَدَّ أَنْ يَنْتَهِيَ مَكْرَهُهَا إِلَى دَارِ الْبَوَارِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ (سورة يونس: ٨٢). فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَظْهَرُ الْحَقُّ سِوَاهُ كَانَ بِمَعْجَزَاتِ



أنبيائه ﷺ أو بأسباب أخرى، فيفضحهم ويخزيهم ومن الأسباب يسلط الناس عليهم ليدفعوا الفساد عن أنفسهم. فعثمان ممن فضحه الله وأخزاه بقتله على أيدي الصحابة، لأنه أفسد في الأرض باسم الدين، فقتله كان بسبب إفساده في الأرض. وقد روى البلاذري في كتابه أنساب الأشراف بسنده عن سعيد بن المسيب قال: لما ولي عثمان كره ولايته نفر من أصحاب رسول الله ﷺ، لأن عثمان كان يحب قومه، فولي الناس اثنتي عشرة حجة، وكان كثيراً ما يولي من بني أمية من لم يكن له مع النبي ﷺ صحبة، فكان يجيء من أمرائه ما ينكره أصحاب محمد ﷺ، وكان يستعذب فيهم فلا يعزلهم، فلما كان في الست الأواخر استأثر ببني عمه فولاهم، وولي عبد الله ابن أبي سرح مصر فمكث عليها سنين فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه، وقد كانت من عثمان قبل هنات إلى عبد الله بن مسعود وأبي ذرٍّ وعمار بن ياسر، فكان في قلوب هذيل وبني زهرة وبني غفار وأحلافها من غضب لأبي ذرٍّ ما فيها. وحنقت بنو مخزوم لحال عمار بن ياسر. فلما جاء أهل مصر يشكون ابن أبي سرح كتب إليه كتاباً يتهدده فيه، فأبى أن ينزع عما نهاه عثمان عنه، وضرب بعض من كان شكاه إلى عثمان من أهل مصر حتى قتله. فخرج سبعمائة إلى المدينة فنزلوا المسجد وشكوا ما صنع بهم ابن أبي سرح في مواقيت الصلاة إلى أصحاب محمد. فقام طلحة إلى عثمان فكلّمه بكلام شديد. وأرسلت إليه عائشة تسأله أن ينصفهم من عامله ودخل عليه علي بن أبي طالب، وكان متكلم القوم. فقالوا: إنما يسألك القوم رجلاً مكان رجل، وقد ادّعوا قبله دماً فاعزله عنهم واقض بينهم، فإن وجب عليه حق فأنصفهم منه. فقال لهم: اختاروا رجلاً أوليه عليكم مكانه، فأشار الناس عليهم بمحمد بن أبي بكر، فقالوا: استعمل علينا محمد بن أبي بكر، فكتب عهده على مصر ووجه معهم عدّة من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بينهم وبين ابن أبي سرح (أنساب الأشراف ج ٤: ص ٥١٢). وروى علي بن إبراهيم القمي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تُشْهِدُونَ﴾ (سورة البقرة: ٨٤)، وقال أن الآية نزلت في أبي ذرٍّ رضي الله عنه وفيما فعل به عثمان ابن عفان وكان سبب ذلك أنه لما أمر عثمان بنفي أبي ذرٍّ رضي الله عنه إلى الربرة دخل عليه أبو





ذَرَّ وَكَانَ عَلِيًّا وَهُوَ مُتَكَيٍّ عَلَى عَصَاهُ وَبَيْنَ يَدَيْ عَثْمَانَ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ أَتَتْهُ مِنْ بَعْضِ النُّوَاحِي وَأَصْحَابِهِ حَوْلَهُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَطْمَعُونَ أَنْ يَقْسِمَهَا فِيهِمْ، فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ لِعَثْمَانَ: مَا هَذَا الْمَالُ؟ فَقَالَ: حَمَلَ إِلَيْنَا مِنْ بَعْضِ الْأَعْمَالِ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ أُرِيدُ أَنْ أَضُمَّ إِلَيْهَا مِثْلَهَا، ثُمَّ أَرَى فِيهَا رَأْيِي. قَالَ أَبُو ذَرٍّ: يَا عَثْمَانُ أَيْمًا أَكْثَرَ مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ أَمْ أَرْبَعَةَ دِنَانِيرٍ؟ قَالَ عَثْمَانُ: بَلْ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَقَالَ: أَمَا تَذَكَّرُ إِذْ أَنَا وَأَنْتَ دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِشَاءَ فَوْجَدْنَاهُ كَثِيرًا حَزِينًا فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ وَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْنَا السَّلَامَ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا أَتَيْنَاهُ فَرَأَيْنَاهُ ضَاحِكًا مُسْتَبْشِرًا فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَايَ أَنْتَ وَأُمِّي دَخَلْنَا عَلَيْكَ الْبَارِحَةَ فَرَأَيْنَاكَ كَثِيرًا حَزِينًا وَعُدْنَا إِلَيْكَ الْيَوْمَ فَرَأَيْنَاكَ ضَاحِكًا مُسْتَبْشِرًا!! فَقَالَ: «نَعَمْ كَانَ قَدْ بَقِيَ عِنْدِي مِنْ فِيءِ الْمُسْلِمِينَ أَرْبَعَةَ دِنَانِيرٍ لَمْ أَكُنْ قَسَمْتُهَا وَخَفْتُ أَنْ يَدْرِكَنِي الْمَوْتُ وَهِيَ عِنْدِي، وَقَدْ قَسَمْتُهَا الْيَوْمَ فَاسْتَرَحْتُ». وَنَظَرَ عَثْمَانُ إِلَى كَعْبِ الْأَحْبَارِ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَدَّى زَكَاةَ مَالِهِ الْمَفْرُوضَةَ، هَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ فِيمَا بَعْدَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: لَا وَلَوْ اتَّخَذَ لَبَنَةً مِنْ ذَهَبٍ وَلَبَنَةً مِنْ فِضَّةٍ مَا وَجِبَ عَلَيْهِ شَيْءٌ. فَرَفَعَ أَبُو ذَرٍّ عَصَاهُ فَضَرَبَ بِهَا رَأْسَ كَعْبٍ وَقَالَ: يَا بَنَ الْيَهُودِيَّةِ الْمَشْرُكَةِ، مَا أَنْتَ وَالنَّظَرُ فِي أَحْكَامِ الْمُسْلِمِينَ، قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَصْدَقُ مِنْ قَوْلِكَ حَيْثُ قَالَ: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (سُورَةُ التَّوْبَةِ: ٣٤) (... إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَذَوْقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (سُورَةُ التَّوْبَةِ: ٣٥). قَالَ عَثْمَانُ: يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ شَيْخٌ قَدْ خَرَفْتَ وَذَهَبَ عَقْلُكَ وَلَوْلَا صَحْبَتُكَ لِرَسُولِ اللَّهِ لَقَتَلْتُكَ. فَقَالَ: كَذَبْتَ يَا عَثْمَانُ وَيْلَكَ أَخْبِرْنِي حَبِيبِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «لَا يَفْتَنُونَكَ يَا أَبَا ذَرٍّ وَلَا يَقْتُلُونَكَ»، أَمَّا عَقْلِي فَقَدْ بَقِيَ مِنْهُ مَا أَذَكَّرَنِي حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَهُ فَيْكَ وَفِي قَوْمِكَ. قَالَ عَثْمَانُ: وَمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيَّ وَفِي قَوْمِي؟ قَالَ أَبُو ذَرٍّ: سَمِعْتُهُ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا بَلَغَ آلُ أَبِي الْعَاصِ ثَلَاثِينَ رَجُلًا صَيَّرُوا مَالَ اللَّهِ دَوْلًا وَكُتَابَ اللَّهِ دَعْلًا وَعِبَادَ اللَّهِ خَوْلًا وَالصَّالِحِينَ حَرْبًا وَالْفَاسِقِينَ حَزْبًا». قَالَ عَثْمَانُ: يَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ هَلْ سَمِعَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ؟ قَالُوا: لَا مَا سَمِعْنَا هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ. فَقَالَ عَثْمَانُ ادْعُوا عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَجَاءَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ عَثْمَانُ: يَا أَبَا الْحَسَنِ اسْمَعْ مَا يَقُولُ هَذَا الشَّيْخُ الْكَذَّابُ، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَهْ يَا عَثْمَانُ، لَا تَقُلْ





كذاب، فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر». قال أصحاب رسول الله: صدق علي عليه السلام سمعنا هذا القول من رسول الله ﷺ، فعند ذلك بكى أبو ذر وقال: ويلكم، كلكم قد مدّ عنقه إلى هذا المال، ظننتم إنني أكذب على رسول الله. ثم نظر إليهم فقال: من خيركم؟ فقالوا: أنت تقول إنك خيرنا، قال: نعم، خلفت حبيبي رسول الله ﷺ في هذه الجبة وهي علي بعد وأنتم قد أحدثتم أحداثاً كثيرة والله سائلكم عن ذلك ولا يسألني. فقال عثمان: يا أبا ذر أسألك بحق رسول الله ﷺ إلا ما أخبرني عما أنا سائلك عنه، فقال أبو ذر: والله لو لم تسألني بحق رسول الله ﷺ أيضاً لأخبرتكم، فقال: أي البلاد أحب إليك أن تكون فيها؟ فقال مكة حرم الله وحرّم رسوله ﷺ، أعبد الله فيها حتى يأتيني الموت فقال: لا ولا كرامة لك. قال: المدينة حرم رسول الله، فقال: لا ولا كرامة لك، قال: فسكت أبو ذر. فقال أي البلاد أبغض إليك أن تكون بها؟ قال: الربذة التي كنت بها على غير دين الإسلام. فقال: عثمان سر إليها، فقال أبو ذر: قد سألتني فصدقتك وأنا أسألك فأصدقني، قال: نعم. قال: أخبرني لو أنك بعثتني فيمن بعثت من أصحابك إلى المشركين فأسروني وقالوا لا نفديه إلا بثلاث ما تملك. قال: كنت أفديك. قال: فإن قالوا لا نفديه إلا بنصف ما تملك. قال: كنت أفديك، قال: فإن قالوا لا نفديه إلا بكل ما تملك، قال: كنت أفديك، فقال أبو ذر: الله أكبر، قال لي حبيبي رسول الله ﷺ يوماً: «يا أبا ذر كيف أنت إذا قيل لك أي البلاد أحب إليك أن تكون فيها فتقول: مكة حرم الله وحرّم رسوله أعبد الله فيها حتى يأتيني الموت، فيقال: لا ولا كرامة لك، فتقول: فالمدينة حرم رسول الله، فيقال: لا ولا كرامة لك. ثم يقال لك: فأأي البلاد أبغض إليك أن تكون فيها؟ فتقول: الربذة التي كنت فيها على غير دين الإسلام، فيقال لك: سر إليها»، فقلت: وإن هذا لكائن يا رسول الله ﷺ؟ فقال: «إي والذي نفسي بيده إنه لكائن». فقلت يا رسول الله: أفلا أضع سيفي على عاتقي فأضرب به قدماً قدماً، قال: «لا اسمع واسكت ولو لعبد حبشي وقد أنزل الله تعالى فيك وفي عثمان خصمك آية»، فقلت: وما هي يا رسول الله؟ فقال: «قول الله تعالى» وتلا هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ





ثم أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ (سورة البقرة: ٨٤) (انظر تفسير القمّي ج ١: ص ٥١). وروى ابن الأثير في تاريخه قضية نفي أبي ذرّ في حوادث سنة ثلاثين من الهجرة وقال: وفي هذه السنة كان ما ذكر في أمر أبي ذرّ وإشخاص معاوية إياه من الشام إلى المدينة، وقد ذكر في سبب ذلك أمور كثيرة من سبب معاوية إياه وتهديده بالقتل وحمله إلى المدينة من الشام بغير وطء ونفيه من المدينة على الوجه الشنيع لا يصحّ النقل به، ولو صحّ لكان ينبغي أن يعتذر عن عثمان، فإن للإمام أن يؤدّب رعيته وغير ذلك من الأعذار لا أن يجعل ذلك سبباً للطعن عليه كرهت ذكرها... (انظر الكامل في التاريخ ج ٣: ص ١١٤). وفي كتاب المجالس للشيخ المفيد رحمته الله: بسنده عن أبي جهضم، عن أبيه قال: لما أخرج عثمان أبا ذر الغفاري رحمته الله من المدينة إلى الشام كان يقوم في كل يوم فيعظ الناس ويأمرهم بالتمسك بطاعة الله، ويحذّرهم من ارتكاب معاصيه، ويروي عن رسول الله ﷺ ما سمعه منه في فضائل أهل بيته عليهم السلام ويحضّهم على التمسك بعترته، فكتب معاوية إلى عثمان: أما بعد، فإنّ أبا ذرّ يصبح إذا أصبح ويمسي إذا أمسى وجماعة من الناس كثيرة عنده، فيقول: كيت وكيت، فإن كان لك حاجة في الناس قبلي فأقدم أبا ذر إليك، فإنّي أخاف أن يفسد الناس عليك، والسلام. فكتب إليه عثمان: أما بعد، فاشخص إليّ أبا ذر حين تنظر في كتاب هذا، والسلام. فبعث معاوية إلى أبي ذر فدعاه وأقرأه كتاب عثمان، وقال له: النجا الساعة، فخرج أبو ذرّ إلى راحلته فشدّها بكورها وأنساعها، فاجتمع إليه الناس فقالوا له: يا أبا ذر رحمك الله أين تريد؟ قال: أخرجوني إليكم غضباً عليّ، وأخرجوني منكم إليهم الآن عبثاني، ولا يزال هذا الأمر فيما أرى شأنهم فيما بيني وبينهم حتّى يستريح برّاً، ويستراح من فاجر، ومضى وسمع الناس بمخرجه فاتبعوه حتّى خرج من دمشق، فساروا معه حتّى انتهى إلى دير المران، فنزل ونزل معه الناس فاستقدم فصلّى بهم، ثم قال: أيّها الناس إنّي موصيكم بما ينفعكم، وتارك الخطب والتشقيق، احمدا الله عزّ وجلّ، قالوا: الحمد لله، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمّد عبده ورسوله، فأجابوه بمثل ما قال، فقال: أشهد أنّ البعث حقّ، وأنّ الجنّة حقّ، وأنّ النار حقّ، وأقرّ بما جاء من عند الله، واشهدوا عليّ بذلك، قالوا: نحن على ذلك من الشاهدين، قال: ليبشر من مات





منكم على هذه الخصال برحمة الله وكرامته ما لم يكن للمجرمين ظهيراً، ولا لأعمال الظلمة مصلحاً ولا لهم معيناً، أيها الناس أجمعوا مع صلاتكم وصومكم غضباً لله عز وجل إذا عصي في الأرض ولا ترضوا أنتمكم بسخط الله، وإن أحدثوا ما لا تعرفون فجانبوهم وازرؤا عليهم، وإن عذبتم وحرمتهم وسيرتم، حتى يرضى الله عز وجل، فإن الله أعلى وأجل لا ينبغي أن يسخط برضا المخلوقين، غفر الله لي ولكم، أستودعكم الله، وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله. فناداه الناس أن: سلم الله عليك ورحمك يا با ذر يا صاحب رسول الله، ألا نردك إن كان هؤلاء القوم أخرجوك، ألا نمنعك؟ فقال لهم: ارجعوا رحمكم الله، فإنني أصبر منكم على البلوى، وإياكم والفرقة والاختلاف، فمضى حتى قدم عثمان، فلمّا دخل عليه قال له: لا قرب الله بعمر وعينا، فقال أبو ذر: والله ما سمانى أبواي عمروا، ولكن لا قرب الله من عصاه، وخالف أمره، واركب هواه، فقام إليه كعب الأبحار فقال له: ألا تتقي الله يا شيخ تجبه أمير المؤمنين بهذا الكلام؟ فرفع أبو ذر عصا كانت في يده فضرب بها رأس كعب، ثم قال له: يا ابن اليهوديين، ما كلامكم مع المسلمين؟ فوالله ما خرجت اليهودية من قلبك بعد، فقال عثمان: والله لا جمعتني وإياك دار، قد خرفت وذهب عقلك، أخرجوه من بين يدي حتى تركبوه قتب ناقته بغير وطاء، ثم انجوا به الناقة وتعتوه حتى توصّله الربرة، فنزلوه بها من غير أنيس، حتى يقضي الله فيه ما هو قاض، فأخرجوه متعتاً ملهوزاً بالعصي، وتقدّم ألا يشيعه أحد من الناس. فبلغ ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فبكى حتى بلّ لحيته بدموعه، ثم قال: «أهكذا يضع بصاحب رسول الله ﷺ؟ إنا لله وإنا إليه راجعون»، ثم نهض ومعه الحسن والحسين عليهما السلام وعبد الله بن العباس والفضل وقتهم وعبيد الله حتى لحقوا أبا ذر فشيعوه، فلمّا بضربهم أبو ذر رضي الله عنه حنّ إليهم وبكى عليهم، وقال: بأبي وجوه إذا رأيتها ذكرت بها رسول الله ﷺ وشملتني البركة برؤيتها، ثم رفع يديه إلى السماء وقال: اللهم إني أحبهم، ولو قطعت إرباً إرباً في محبتهم ما زلت عنها ابتغاء وجهك والدار الآخرة، فارجعوا رحمكم الله والله أسأل أن يخلفني فيكم أحسن الخلافة، فودّعه القوم ورجعوا وهم يكون على فراقه (انظر الأمالي للشيخ المفيد رحمته الله: ص ١٦٢)، ورواه العلامة المجلسي رحمته الله في بحار





الأنوار ج ٢٢: ص ٣٩٥. وقد ذكر العلامة السيد جعفر مرتضى رحمته الله بعد ذكر هذا الحديث: لنا مع هذا النص وقفات، هي التالية: فذكر أموراً لا تخلو عن القوة والأهمية والاستفادة (انظر الصحيح من سيرة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ج ١٧: ص ١٦٨). وفي خلاصة عبقات الأنوار للسيد حامد النقوي رحمته الله: اعتداء عثمان على عمار. لقد آذى عثمان بن عفان واعتدى عليه وظلمه قولاً وفعلاً مرة بعد أخرى، وذلك كله معروف، والشواهد عليه كثيرة جداً، وإليك بعضها: قال ابن قتيبة: ما أنكر الناس على عثمان. قال ذكروا أنه اجتمع ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فكتبوا كتاباً ذكروا فيه ما خالف فيه عثمان من سنة رسول الله وسنة صاحبيه. ثم تعاهد القوم، ليدفعن الكتاب في يد عثمان، وكان ممن حضر الكتاب عمار بن ياسر والمقداد بن الأسود وكانوا عشرة، فلما خرجوا بالكتاب ليدفعوه إلى عثمان - والكتاب في يد عمار - جعلوا يتسللون عن عمار حتى بقي وحده، فمضى حتى جاء دار عثمان فاستأذن عليه فأذن له في يوم شات، فدخل عليه وعنده مروان بن الحكم وأهله من بني أمية، فدفع إليه الكتاب فقرأه فقال له: أنت كتبت هذا الكتاب؟ قال: نعم، قال: ومن كان معك؟ قال: كان معي نفر تفرقوا فرقاً منك، قال: ومن هم؟ قال: لا أخبرك بهم، قال: فلم اجترأت علي من بينهم؟ فقال مروان: يا أمير المؤمنين، إن هذا العبد الأسود - يعني عماراً - قد جرأ عليك الناس وإنك إن قتلتهم نكلت به من وراءه. قال عثمان: اضربوه، فضربوه وضربه عثمان معهم حتى فتقوا بطنه فغشي عليه، فجروه حتى طرحوه على باب الدار فأمرت به أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فأدخل منزلها، وغضب فيه بنو المغيرة وكان حليفهم، فلما خرج عثمان لصلاة الظهر عرض له هشام بن الوليد بن المغيرة فقال: أما والله لئن مات عمار من ضربه هذا لأقتلن به رجلاً عظيماً من بني أمية، فقال عثمان: لست هناك. وقال ابن عبد ربّه: ومن حديث الأعمش - يرويه أبو بكر بن أبي شيبة - قال: كتب أصحاب عثمان عيبه وما ينقم الناس عليه في صحيفة، فقالوا: من يذهب بها إليه؟ فقال عمار: أنا، فذهب بها إليه، فلما قرأها قال: أرغم الله أنفك قال: وبأنف أبي بكر وعمر، قال: فقام إليه فوطئه حتى غشي عليه. ثم ندم عثمان وبعث إليه طلحة والزبير يقولان: اختر إحدى ثلاث، إما أن تعفو وإما أن تأخذ الأرض وإما أن تقتصص، فقال: والله





لا قبلت واحدة منها حتى ألقى الله. قال أبو بكر: فذكرت هذا الحديث للحسن بن صالح فقال: ما كان على عثمان أكثر مما صنع. وقال المسعودي: وفي سنة خمس وثلاثين كثر الطن على عثمان وظهر عليه النكير لأشياء ذكروها من فعله، منها: ما كان بينه وبين عبد الله بن مسعود وانحراف هذيل عن عثمان من أجله، ومن ذلك ما نال عمّار بن ياسر من الفتق والضرب وانحراف بني مخزوم عن عثمان من أجله. وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: وللحلف والولاء اللذين بين بني مخزوم وبين عمّار وأبيه ياسر كان اجتماع بني مخزوم إلى عثمان حين نال من عمّار غلمان عثمان ما نالوا من الضرب حتى انتفخ له فتق في بطنه ورغموا وكسروا ضلعاً من أضلاعه، فاجتمعت بنو مخزوم وقالوا: والله لئن مات لقتلنا به أحداً غير عثمان (الاستيعاب ج ٣: ص ١٣٦). وقال اليعقوبي: فأقام ابن مسعود مغاضباً لعثمان حتى توفي، وصلى عليه عمّار بن ياسر وكان غائباً، فستر أمره، فلمّا انصرف رأى القبر، فقال قبر من هذا؟ فقبل: قبر عبد الله بن مسعود، قال: فكيف دفن قبل أن أعلم؟ فقالوا: ولي أمره عمّار بن ياسر وذكر أنّه أوصى أن لا يخبر به، ولم يلبث إلاّ يسيراً حتى مات المقداد فصلى عليه عمّار، وكان أوصى إليه ولم يؤذن عثمان به، فاشتدّ غضب عثمان على عمّار وقال: ويلى على ابن السوداء، أما لقد كنت به عليمًا. وروى الطبري وابن الأثير في قصّة مسير الحسن عليه السلام وعمّار (رضي الله عنه) إلى الكوفة واللفظ للأول: فأقبلا حتى دخلا المسجد، فكان أول من أتاها مسروق بن الأجدع، فسلم عليهما وأقبل على عمّار فقال: يا أبا اليقظان على ما قتلتم عثمان؟ قال: على شتم أعراضنا وضرب أبنائنا، فقال: والله ما عاقبتم بمثل ما عوقبتم به، ولئن صبرتم لكان خيراً للصابرين. وفي النهاية وتاج العروس ولسان العرب في مادّة "صبر": وفي حديث عمّار حين ضربه عثمان، فلمّا عوتب في ضربه إياه قال: هذي يدي لعمّار فليصطبر. معناه: فليقتصّر. رسول الله ﷺ: «من عادى عمّاراً عاداه الله»، إذا عرفت ذلك وأحطت خبراً بصنيع عثمان فلنورد طرفاً من الأحاديث الواردة في ذمّ بغض عمّار (رضي الله عنه): قال ابن عبد البر: ومن حديث خالد ابن الوليد: أنّ رسول الله ﷺ قال: «من أبغض عمّاراً أبغضه الله تعالى». قال خالد: فما زلت أحبه من يومئذ. وقال الحافظ ابن حجر: عن خالد بن الوليد قال: كان بيني وبين





عمّار كلام فأغلظت له، فشكاني إلى النبي ﷺ، فجاء خالد فرفع رسول الله ﷺ رأسه فقال: «من عادى عمّاراً عاداه الله ومن أبغض عمّاراً أبغضه الله». وفي أسد الغابة: عن أحمد بن حنبل والمشكاة: واللفظ للأول: عن علقمة عن خالد بن الوليد قال: كان بيني وبين عمّار كلام فأغلظت له في القول، فانطلق عمّار يشكوني إلى النبي ﷺ، فجاء خالد وهو يشكوه إلى النبي ﷺ، قال: فجعل يغلظ له ولا يزيده إلا غلظة والنبي ﷺ ساكت لا يتكلّم، فبكى عمّار فقال: يا رسول الله ألا تراه؟ فرفع رسول الله ﷺ رأسه وقال: «من عادى عمّاراً عاداه الله ومن أبغض عمّاراً أبغضه الله». قال خالد: فخرجت فما كان شيء أحبّ إليّ من رضى عمّار، فلقيته فرضي (أسد الغابة ج ٤: ص ٤٥، والمشكاة ج ٥: ص ٦٤١ هامش المرقاة). وروى الممتقي الهندي: «كفّ يا خالد عن عمّار، فإنّه من يبغض عمّاراً يبغضه الله ومن يلعن عمّاراً يلعنه الله». وابن عساكر عن ابن عباس: «من يحقّر عمّاراً يحقّره الله، ومن يسبّ عمّاراً يسبّه الله، ومن يبغض عمّاراً يبغضه الله». وابن قانع عن خالد بن الوليد: «يا خالد، لا تسبّ عمّاراً، إنّه من يعادي عمّاراً يعاديه الله، ومن يبغض عمّاراً يبغضه الله، ومن يسبّ عمّاراً يسبّه الله ومن يسفه عمّاراً يسفهه الله، ومن يحقّر عمّاراً يحقّره الله». وسمويه، طب. ك. عن خالد بن الوليد: «وانظر أيضاً (كنز العمال ج ١٦: ص ١٤٢). وقال نور الدين الحلبي: وفي الحديث: «من عادى عمّاراً عاداه الله ومن أبغض عمّاراً أبغضه الله، عمّار يزول مع الحقّ حيث يزول، (عمّار) خلط الإيمان بلحمه ودمه، عمّار ما عرض عليه أمران إلا اختار الأرشد منهما». وجاء: إنّ عمّاراً دخل على النبي ﷺ فقال: «مرحبا بالطيب المطيب، إنّ عمّار بن ياسر حشي ما بين أخمص قدميه إلى شحمة أذنه إيماناً، وفي رواية: «أنّ عمّاراً ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه». وتخاصم عمّار مع خالد بن الوليد في سرية كان فيها خالد أميراً، فلمّا جاء إليه ﷺ استبا عنده، فقال خالد: يا رسول الله أيسرك أنّ هذا العبد الأجذع يشتمني؟ فقال رسول الله ﷺ: «يا خالد لا تسبّ عمّاراً، فإنّ من سبّ عمّاراً فقد سبّ الله ومن أبغض عمّاراً أبغضه الله ومن لعن عماراً لعنه الله»، ثمّ إنّ عمّاراً قام مغضباً، فقام خالد فتبعه حتّى أخذ بثوبه واعتذر إليه فرضي عنه. وأمّا عمّار فقتله على يد معاوية في صفين وقد قال





رسول الله ﷺ لعمار: «تقتلك الفئة الباغية» مذكورة في أغلب كتب التاريخ والسيرة. وفي الغدير: عن سليمان بن يسار: إن رجلاً يقال له "صبيغ" قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر وقد أعد له عراجين النخل، فقال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ، فأخذ عمر عرجوناً من تلك العراجين فضربه وقال: أنا عبد الله عمر. فجعل له ضرباً حتى دمي رأسه، فقال: يا أمير المؤمنين! حسبك قد ذهب الذي كنت أجد في رأسي. وعن نافع مولى عبد الله: إن صبيغ العراقي جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين حتى قدم مصر، فبعث به عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب، فلما أتاه الرسول بالكتاب فقرأه فقال: أين الرجل؟ فقال: في الرحل. قال عمر: أبصر أن يكون ذهب فتصيبك مني العقوبة الموجهة. فأتاه به فقال عمر: تسأل محدثة؟ فأرسل عمر إلى رطائب من جريد فضربه بها حتى ترك ظهره دبيرة ثم تركه حتى برأ، ثم عاد له ثم تركه حتى برأ فدعا به ليعود له، قال صبيغ: إن كنت تريد قتلي؟ فافقتلني قتلاً جميلاً، وإن كنت تريد أن تداويني؟ فقد والله برئت. فأذن له إلى أرضه وكتب إلى أبي موسى الأشعري: أن لا يجالسه أحد من المسلمين. فاشتد ذلك على الرجل فكتب أبو موسى عمر: أن قد حسنت توبته، فكتب عمر: أن يأذن الناس بمجالسته. وعن السائب بن يزيد قال: أتني عمر ابن الخطاب فقيل: يا أمير المؤمنين! إننا لقينا رجلاً يسأل عن تأويل مشكل القرآن، فقال عمر: اللهم مكّني منه. فبينما عمر ذات يوم جالساً يغدي الناس إذ جاء الرجل وعليه ثياب وعمامة صفدي حتى إذا فرغ قال: يا أمير المؤمنين! ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا﴾ * فَالْحَامَلَاتِ وِقْرًا؟ فقال عمر: أنت هو؟ فقام إليه وحسر عن ذراعيه فلم يزل يجلده حتى سقطت عمامته، فقال: والذي نفس عمر بيده لو وجدت لك محلوقاً لضربت رأسك، ألبسوه ثياباً واحملوه على قتب وأخرجوه حتى تقدّموا به بلاده، ثم ليقيم خطيب ثم يقول: إن صبيغاً ابتغى العلم فأخطأه. فلم يزل وضيعاً في قومه حتى هلك وكان سيد قومه. وعن أنس: إن عمر بن الخطاب جلد صبيغا الكوفي في مسألة عن حرف من القرآن حتى اضطربت الدماء في ظهره. وعن الزهري: إن عمر جلد صبيغا لكثرة مساءلته عن حروف القرآن حتى اضطربت الدماء في ظهره. قال الغزالي في إحياء العلوم: (عمر) هو الذي سدّ باب



منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨ ٤٠٥

وثبت من ذلك فرية السنّي بجعل عثمان مثل الحسين عليه السلام مظلوماً بعد علمه بظلمه وفساده وعدم جريه على ما نطق به الفرقان العظيم والسنة الشريفة ^(١).



الكلام والجدل وضرب صيغاً بالدرة لما أورد عليه سؤالاً في تعارض آيتين في كتاب الله وهجره وأمر الناس بهجره. (احياء العلوم للغزالي ج ١: ص ٣٠) وصيغ هذا هو صبيغ بن عسل، ويقال: ابن عسيل. ويقال: صبيغ بن شريك من بني عسيل (انظر خلاصة عقبات الأنوار للسيد حامد النقوي ج ٣: ص ١٩). وإلى غير ذلك مما ورد في مطاعن عثمان وأنه كان مفسداً في الأرض وقتله المسلمون لإفساده في الأرض، فلاحظ.

(١) لا يخفى أن القرآن الكريم والسنة النبوية فيهما بيان واضح لحقيقة الظالم والمظلوم والمفسد والمصلح، والحق والباطل ضمن آيات وروايات عديدة. وعلى سبيل المثال قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا...﴾ (سورة الإسراء: ٣٣). فقد نهى سبحانه وتعالى عن قتل النفس المحترمة إلا بالحق، أي: لا يجوز قتلاً إلا بالحق، فمَنْ يستحق ذلك لقود أو ردة أو لغير ذلك من الأسباب الشرعية، ولعل في توصيف النفس بقوله: ﴿حَرَّمَ اللَّهُ﴾ من غير تقييد إشارة إلى حرمة قتل النفس في جميع الشرائع السماوية فيكون من الشرائع العامة كما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة الأنعام: ١٥١). وقوله: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا...﴾ هو التسليط الشرعي المذكور، والمعنى: أن من قُتل مظلوماً فقد جعلنا بحسب التشريع لوليّه وهو ولي دمه سلطنة على القصاص واخذ الدية والعفو. وفي حديث نبوي معروف رواه الفريقين عن النبي ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة مناد أين الظلمة وأعوان الظلمة ومن لاق لهم دواة أو ربط كيساً أو مدّهم مدّة فلم فاحشروهم معهم» (انظر روضة المتّقين في شرح من لا يحضره الفقيه للمجلسي الأول ج ٩: ص ٣٢٠،





وربيع الأبرار للزمخشري ج ٣: ص ٣٢٠). وفي حديث آخر قال ﷺ: «ما اقترب عبد من سلطان إلا تباعد من الله ولاكثر ماله إلا اشتد حسابه ولاكثر تبعه إلا كثرت شياطينه» (انظر روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه للمجلسي الأول ج ٩: ص ٣٢٠). وفي حديث آخر قال ﷺ: «إياكم وأبواب السلطان وحواشيها فإن أقربكم من أبواب السلطان وحواشيها أبعدكم من الله عز وجل، ومن آثر السلطان على الله أذهب الله عنه بالورع وجعله حيراناً» (انظر روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه للمجلسي الأول ج ٩: ص ٣٢٠). فتحديد حقيقة الظالم والمظلوم من القرآن والروايات أمر سهل لا يحتاج إلى التكلف، والباحث إذا درس التاريخ دراسة علمية خارجة عن التعصب سوف يجد بوضوح أن عثمان قتل بسبب ظلمه وفساده قتله النفوس المحترمة واستباحة حرمة المسلمين في أيام حكومته الغاصبية، وقد أدت مجموع ذلك إلى ثورة شعبية عارمة من الصحابة والتابعين وعمت إلى أرجاء البلاد الإسلامية، فحكومة عثمان وعماله الظلمة قد هدّدت المجتمع الإسلامي بأخطار حقيقية، ووصل بهم في الفساد والجرائم إلى قمة هرمه. ثم الذين شاركوا في قتله هم الصحابة وكثيراً منهم كان إلى درجة يستحيل تجاهلهم. ولذلك روى الترمذي في سننه أن عثمان كان يناشد من سمع رسول الله ﷺ يذكر فضائله... (انظر سنن الترمذي ج ٥: ص ٢٩٠). فإذا كان عثمان يخاطبهم ويناشدهم بقوله: هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال:.... معناه أنه قد خاطب من يعرفه من الصحابة الذين سمعوا حديث رسول الله ﷺ، وكان بينهم وبين عثمان صلة، لأن الخطاب والمناشدة إنما تقع صحيحاً إذا كان المتكلم يعرف مخاطبه. وعليه فمن شارك في قتل عثمان كان من الصحابة المعروفين عند الناس. قال ابن حجر في الإصابة: وجاء من طرق شهيرة صحيحة عن عثمان لما أن حصروه أنشد الصحابة في أشياء منها تجهيزه جيش العسرة، ومنها مبايعة النبي ﷺ تحت الشجرة لما أرسله إلى مكة ومنها شراؤه بئر رومة وغير ذلك (انظر الإصابة لابن حجر ج ٣: ص ٢٢٣). وقد روى أحمد بن حنبل أن طلحة كان من ضمن المحاصرين له، فقد أخرج بسنده عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: شهدت عثمان يوم حوصر في موضع الجنائز ولو ألقى حجر لم يقع إلا على رأس رجل، فرأيت





عثمان أشرف من الخوخة التي تلي مقام جبريل عليه السلام، فقال: أيها الناس أفياكم طلحة؟ فسكتوا، ثم قال: أيها الناس أفياكم طلحة؟ فسكتوا، ثم قال: أيها الناس أفياكم طلحة؟ فسكتوا، ثم قال: أيها الناس أفياكم طلحة؟ فقال له عثمان: ألا أراك ها هنا؟ ما كنا أرى أنك تكون في جماعة تسمع ندائي آخر ثلاث مرّات ثم لا تجيبي، أنشدك الله يا طلحة تذكر يوم كنت أنا وأنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله في موضع كذا وكذا... (مسند أحمد بن حنبل ج ١: ص ٧٤). كما كتبت زوجة عثمان رسالة إلى معاوية بعد مقتل عثمان، ذكرت فيها أن أهل المدينة هم الذين حاصروا عثمان في بيته (انظر المنتظم لابن الجوزي ج ٥: ص ٦١). فالصحاباء الذين حاصروا بيت عثمان ومنعوه من شرب الماء ليجبروه على الاستقالة لم يبق لديهم أي خيار غير قتله، لأنّ عثمان أبى من كَفَ الظلم والفساد في حكومته، فقتلوه لشدة ظلمه وفساده. فأين هذا النوع من القتل من شهادة أبي الأحرار سبط الرسول صلى الله عليه وآله أبي عبد الله الحسين عليه السلام الذي تجلّت أهدافه من نهضته العظيمة، فحقاً أنّ النهضة الحسينيّة كانت قائمة على الوعي والإدراك الكاملين بضرورتهما، فإنّ النهضة الحسينية كانت قياماً لله وأداءً للتكليف الإلهي فإن مجيء سيّد الشهداء عليه السلام إلى مكة وخروجه منها قبل المناسك يعد حركة سياسية كبيرة لتجذير الأفكار والوعي العام، ففي الوقت الذي كان فيه الحجاج يدخلون مكّة كان الإمام الحسين عليه السلام يغادرها، ليعلم الأمة الإسلاميّة المصيبة التي ابتلت بها، فعندما يرى سيّد الشهداء عليه السلام أن حاكماً ظالماً جائراً يحكم الناس على حكم الجاهلية علناً، فإنه يصرّح ويقول: إنّ من يشاهد حاكماً جائراً يحكم بين الناس ويظلمهم فيجب عليه أن يقف بوجهه ويمنعه بقدر استطاعته. هذه المسؤولية والتكليف لا يرتفع عن ذمّة المؤمنين ولو بتقديم نفوسهم، فكان يجب عليه أن ينتفض، ويقدم دمه حتى يصلح هذه الأمة وحتى يقضي على راية يزيد، وهذا ما قام به الامام الحسين عليه السلام فعلاً وقد قدم نفسه الشريفة ودمه الزاكية ودماء أولاده وأنفسهم الطاهرة، وكل ما يملك من أجل الإسلام "وهي التي قضت على بني أمية ولو لا تلك الدم الطاهر لكان سحق الإسلام وانتهى ولا يمكن لمثل هذه الثورة أن يقال عنها بأنها كانت طلباً للدنيا أو لجهة العاطفيّة، ولمثل هذه الثورة



وثامنها: ما زعمه من حصول أعظم الفساد بقتل عثمان، فإنه من عظيم البهتان^(١)،



الواعية حقائق وماهيات متعددة ومختلفة وهي التي بيّت حقيقة شهادة مولانا أبي الأحرار أبي عبدالله الحسين عليه السلام وأنها مدرسة خالدة على مرّ الأزمان. وأنها مشكاة مقدّسة أنارت حقيقة الإسلام. فلقد كانت تلك النهضة المقدّسة انعطافة كبيرة في تاريخ الإسلام، أعادته إلى أصالته المحمّدية، وحفظته من الانحراف والضياع، فالباحث من خلال مطالعة مطالعة التاريخ يعرف فرية ابن تيمية في المقام كما هو واضح ظاهر فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أنّ المفاصد والانحرافات التي صدرت من عثمان وعمّاله وجلاوزته أيّام خلافته كانت سبباً للثورة عليه وقتله، وبقتله أراح المسلمين من فسادهم وظلمه. وبعبارة واضحة أنّ حكومة عثمان قد هددت المجتمع الإسلامي بأخطار جدية، لأنّ الآثار السلبية والسببية والسلبيات التي حصلت من حكومته قد وصل بهم الأمر إلى أعلى درجات الهبوط من الجهات العديدة، فإنّ الوثائق التاريخية التي رواها كبار علماء أهل السنة تدلّ على أنّ عثمان قد سلّط الطلقاء من بني أمية الحاقدين على الإسلام على المناصب الحكومية، وهم قد بذلوا تمام جهدهم لأخذ الثار من رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام وأصحابه الخلفاء فكانوا يظلمون الناس ويفسدون في الأرض بإجرائهم السنن الجاهلية بدل سنن رسول الله ﷺ، وذلك كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (سورة البقرة: ١١-١٢). والباحث إذا درس التاريخ دراسة علمية بقصد التمحيص يجد أنّ الذين شاركوا في الثورة عليه كانوا من الصحابة وكثيراً منهم كان إلى درجة يستحيل تجاهلهم. قال المسعودي: إنّ أبا ذرّ حضر مجلس عثمان ذات يوم فقال عثمان: أرايتم من زكّى ماله هل فيه حقّ لغيره؟ فقال كعب: لا يا أمير المؤمنين، فدفع أبو ذرّ في صدر كعب وقال له: كذبت يا ابن اليهودي، ثمّ تلا: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُؤُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ



وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ (سورة البقرة: ١٧٧). فقال عثمان: أترون بأساً أن نأخذ مالاً من بيت مال المسلمين فننفقه فيما ينوبنا من أمورنا ونعطيكموه؟ فقال كعب: لا بأس بذلك. فرفع أبو ذرّ العصا فدفّع بها في صدر كعب وقال: يا ابن اليهودي، ما أجراك على القول في ديننا؟ فقال له عثمان: ما أكثر أذاك لي، غيب وجهك عني فقد آذيتني. فخرج أبو ذرّ إلى الشام فكتب معاوية إلى عثمان: إنّ أبا ذرّ تجتمع إليه الجموع ولا آمن أن يفسدهم عليك، فإن كان في القوم حاجة فاحمله إليك. فكتب إليه عثمان يحمله، فحمله على بعير عليه قتب يابس معه خمسة من الصقالبة يطيطون به حتّى أتوا به المدينة قد تسلخت بواطن أفخاذه وكاد أن يتلف، فقيل له: إنّك تموت من ذلك. فقال: هيهات لن أموت حتّى أنفي، وذكر جوامع ما نزل به بعد ومن يتولّى دفنه، فأحسن إليه في داره أياماً، ثمّ دخل إليه فجلس على ركبتيه وتكلّم بأشياء، وذكر الخبر في ولد أبي العاص: إذا بلغوا ثلاثين رجلاً اتّخذوا عباد الله خولاً. ومرّ في الخبر بطوله وتكلّم بكلام كثير وكان في ذلك اليوم قد أتى عثمان بتركة عبد الرحمن بن عوف الزهري من المال، فنضت البدر حتّى حالت بين عثمان وبين الرجل القائم، فقال عثمان: إنّني لأرجو لعبد الرحمن خيراً، لأنّه كان يتصدّق ويقرّي الضيف وترك ما ترون. فقال كعب الأحبار: صدقت يا أمير المؤمنين! فشال أبو ذرّ العصا فضرب بها رأس كعب ولم يشغله ما كان فيه من الألم، وقال: يا ابن اليهودي! تقول لرجل مات وترك هذا المال إنّ الله أعطاه خير الدنيا وخير الآخرة وتقطع على الله بذلك وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما يسرّني أن أموت وأدع ما يزن قيراطاً. فقال له عثمان: وارعني وجهك، فقال: أسير إلى مكّة. قال: لا والله. قال: فتمنعني من بيت ربّي أعبده فيه حتّى أموت؟ قال: إي والله. قال: فإلى الشام. قال: لا والله. قال: البصرة. قال: لا والله، فاختر غير هذه البلدان، قال: لا والله ما أختار غير ما ذكرت لك، ولو تركتني في دار هجرتي ما أردت شيئاً من البلدان، فسيرني حيث شئت من البلاد. قال: فإنّي مسيرك إلى الريزة، قال:





الله أكبر صدق رسول الله ﷺ قد أخبرني بكل ما أنا لاق، قال عثمان: وما قال لك؟ قال: أخبرني بآتي أمتع عن مكة والمدينة وأموت بالربذة ويتولّى مواراتي نفر ممّن يردون من العراق نحو الحجاز، وبعث أبو ذرّ إلى جمل له فحمل عليه امرأته وقيل ابنته، وأمر عثمان أن لا يتجافاه الناس حتّى يسير إلى الربذة، فلمّا طلع عن المدينة ومروان يسيره عنها إذ طلع عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعه ابنه وعقيل أخوه وعبد الله بن جعفر وعمّار بن ياسر، فاعترض مروان فقال: يا علي، إنّ أمير المؤمنين قد نهى الناس أن يصحبوا أبا ذرّ في مسيره ويشيعوه، فإن كنت لم تدر بذلك فقد أعلمتك. فحمل عليه علي بن أبي طالب بالسوط بين أذني راحلته، وقال: «تنح نحاك الله إلى النار»، ومضى مع أبي ذرّ فشيعه ثمّ ودّعه وانصرف، فلمّا أراد الانصراف بكى أبو ذرّ وقال: رحمكم الله أهل البيت، إذا رأيته يا أبا الحسن! وولدت ذكرت بكم رسول الله ﷺ، فشكا مروان إلى عثمان ما فعل به علي بن أبي طالب فقال عثمان: يا معشر المسلمين! من يعذرني من علي، ردّ رسولي عمّار وجهته له وفعل كذا، والله لنعطينه حقّه؛ فلمّا رجع علي استقبله الناس فقالوا: إنّ أمير المؤمنين عليك غضبان لتشييعك أبا ذرّ، فقال علي: «غضب الخيل على اللجم». ثمّ جاء، فلمّا كان بالعشي جاء إلى عثمان فقال له: ما حملك على ما صنعت بمروان واجترأت علي ورددت رسولي وأمر؟ قال: «أما مروان فإنّه استقبلني يردّتي فرددته عن ردّي، وأما أمرك فلم أرد»، قال عثمان: أولم يبلغك أنّي قد نهيت الناس عن أبي ذرّ وعن تشييعه؟ فقال علي: «أو كلّ ما أمرتنا به من شيء يرى طاعة لله والحقّ في خلافه اتّبعنا فيه أمرك؟ بالله لا نفعل». قال عثمان: أقد مروان، قال: وما أقيده؟ قال: ضربت بين أذني راحلته، قال علي: «أما راحلتي فهي تلك، فإن أراد أن يضربها كما ضربت راحلته فليفعل، وأما أنا فوالله لئن شتمني لأشتمّك أنت مثلها بما لا أكذب فيه ولا أقول إلّا حقّاً». قال عثمان: ولم لا يشتمك إذا شتمته، فوالله ما أنت عندي بأفضل منه. فغضب علي بن أبي طالب وقال: «إليّ تقول هذا القول؟ وبمروان تعدلني؟ فأنا والله أفضل منك، وأبي أفضل من أبيك، وأمّي أفضل من أمّك، وهذه نبلي قد نثلتها وهلمّ، فأقبل بنبلك». فغضب عثمان واحمرّ وجهه فقام ودخل داره وانصرف علي، فاجتمع إليه أهل بيته ورجال من المهاجرين والأنصار،





فلما كان من الغد واجتمع الناس إلى عثمان شكوا إليهم علياً وقال: إنه يعينني ويظهر من يعينني، يريد بذل أبا ذرٍّ وعمّار بن ياسر وغيرهما، فدخل الناس بينهما وقال له علي: والله ما أردت تشييع أبي ذرٍّ إلا لله. وفي رواية الواقدي من طريق صهبان مولى الأسلميين قال: رأيت أبا ذرٍّ يوم دخل به على عثمان فقال له: أنت الذي فعلت ما فعلت؟ فقال له أبو ذرٍّ: نصحتك فاستغششتني ونصحت صاحبك فاستغششتني. فقال عثمان: كذبت ولكنك تريد الفتنة وتحبها قد أنغلت الشام علينا، فقال له أبو ذرٍّ: اتبع سنة صاحبك لا يكن لأحد عليك كلام. قال عثمان: مالك وذلك؟ لا أم لك، قال أبو ذرٍّ: والله ما وجدت لي عذراً إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فغضب عثمان وقال: أشيروا علي في هذا الشيخ الكذاب إما أن اضربه أو أحبسه أو أقتله، فإنه قد فرّق جماعة المسلمين أو أنفيه من أرض الإسلام. فتكلم علي عليه السلام وكان حاضراً وقال: «أشير عليك بما قاله مؤمن آل فرعون: ﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾». قال: فأجابه عثمان بجواب غليظ لا أحبّ ذكره وأجابه علي بمثله. قال: ثم إن عثمان حظر على الناس أن يقاعدوا أبا ذرٍّ ويكلموه، فمكث كذلك أياماً ثم أمر أن يؤتى به فأتى به، فلما وقف بين يديه قال: ويحك يا عثمان! أما رأيت رسول الله ﷺ ورأيت أبا بكر وعمر؟ هل رأيت هذا هديهم؟ إنك لتبشش بي بطنش الجبار فقال: أخرج عنا من بلادنا. فقال أبو ذرٍّ: ما أبغض إليّ جوارك فإلى أين أخرج؟ قال: حيث شئت. قال: فأخرج إلى الشام أرض الجهاد. قال: إنما جلبتك من الشام لما قد أفسدتها، فأردك إليها؟ قال: فأخرج إلى العراق. قال: لا. قال: ولم؟ قال: تقدّم على قوم أهل شبه وطعن في الأمة؟ قال: فأخرج إلى مصر. قال: لا. قال: فإلى أين أخرج؟ قال: حيث شئت. قال أبو ذرٍّ: فهو إذن التعرّب بعد الهجرة، أخرج إلى نجد. فقال عثمان: الشرف الأبعد أقصى فالأقصى، امض على وجهك هذا ولا تعدون الربذة، فسر إليها فخرج إليها (انظر الغدير ج ٨: ص ٢٩ نقلاً عن المسعودي). فكما ترى أنّ ما حصل من الاعتراضات ضدّ عثمان كان باستناد القرآن والسنة النبوية. وقال اليعقوبي: وبلغ عثمان أن أبا ذرٍّ يقعد في مجلس رسول الله ﷺ ويجمع إليه الناس فيحدث بما فيه الطعن عليه





وأنه وقف بباب المسجد فقال: "أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر الغفاري، أنا جندب بن جنادة الربذي، ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ". محمد الصفوة من نوح، فالأول من إبراهيم والسلالة من إسماعيل والعتره الهادية من محمد، إنه شرف شريفهم واستحقوا الفضل في قوم هم فينا كالسما المرفوعة، وكالكعبة المستورة، أو كالقبة المنصوبة، أو كالشمس الضاحية، أو كالقمر الساري، أو كالنجوم الهادية، أو كالشجر الزيتونة أضاء زيتها وبورك زيدها، ومحمد وارث علم آدم وما فضلت به النبيون، إلى أن قال:....، وبلغ عثمان أن أبا ذر يقع فيه ويذكر ما غير، وبدل من سنن رسول الله ﷺ وسنن أبي بكر وعمر، فسيره إلى الشام إلى معاوية، وكان يجلس في المجلس فيقول كما كان يقول، ويجتمع إليه الناس حتى كثر من يجتمع إليه ويسمع منه، وكان يقف على باب دمشق إذا صلى صلاة الصبح فيقول: جاءت القطار تحمل النار، لعن الله الآمرين بالمعروف والتاركين له، ولعن الله الناهين عن المنكر والآتين له. فقال: وكتب معاوية إلى عثمان: إنك قد أفسدت الشام على نفسك بأبي ذر، فكتب إليه أن أحمله على قتب بغير وطاء، فقدم به إلى المدينة وقد ذهب لحم فخذه، فلما دخل إليه وعنده جماعة قال: بلغني أنك تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كملت بنو أمية ثلاثين رجلاً اتخذوا بلاد الله دولاً، وعباد الله خولاً، ودين الله دغلاً» فقال: نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك. فقال لهم: أسمعتم رسول الله يقول ذلك؟ فبعث إلى علي بن أبي طالب فأتاه فقال: يا أبا الحسن! أسمعتم رسول الله يقول ما حكاه أبو ذر؟ وقص عليه الخبر، فقال علي: «نعم». قال: فكيف تشهد؟ قال: «لقول رسول الله: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء ذا لهجة أصدق من أبي ذر». فلم يبق بالمدينة إلا أياماً حتى أرسل إليه عثمان: والله لتخرجن عنها، قال: أخرجني من حرم رسول الله ﷺ؟ قال: نعم وأنفك راغم، قال: فإلى مكة؟ قال: لا. قال: فإلى البصرة؟ قال: لا. قال: فإلى الكوفة؟ قال: لا، ولكن إلى الربذة التي خرجت منها حتى تموت فيها، يا مروان! أخرجه ولا تدع أحداً يكلمه حتى يخرج. فأخرجه على جمل ومعه امرأته وابنته، فخرج علي والحسن والحسين وعبد الله بن جعفر





وعمار بن ياسر ينظرون، فلما رأى أبو ذرّ علياً قام إليه فقبل يده ثم بكى وقال: إني إذا رأيتك ورأيت ولدك ذكرت قول رسول الله ﷺ، فلم أصبر حتى أبكي. فذهب علي يكلمه، فقال مروان: إن أمير المؤمنين قد نهى أن يكلمه أحد. فرفع علي السوط فضرب وجه ناقة مروان وقال: تنح نحاك الله إلى النار. ثم شيعه وكلمه بكلام يطول شرحه، وتكلم كل رجل من القوم وانصرفوا وانصرف مروان إلى عثمان، فجرى بينه وبين علي في هذا بعض الوحشة وتلاحيا كلاماً (انظر تاريخ يعقوبي ج ٢: ص ١٧١). وأخرج ابن سعد من طريق الأحنف بن قيس قال: أتيت المدينة ثم أتيت الشام فجمعت فإذا أنا برجل لا ينتهي إلى سارية إلا خرّ أهلها يصلي ويخف صلاته. قال: فجلست إليه فقلت له: يا عبد الله من أنت؟ قال: أنا أبو ذرّ، فقال لي: فأنت من أنت؟ قال: قلت أنا الأحنف بن قيس، قال: قم عني لا أعدك بشر، فقلت له: كيف تعدني بشر؟ قال: إن هذا (يعني معاوية) نادى مناديه ألا يجالسني أحد (انظر الطبقات لابن سعد ج ٤: ص ٢٢٩). وأخرج ابن حجر من طريق ابن عباس قال: استأذن أبو ذرّ عثمان فقال: إنه يؤذينا فلما دخل قال له عثمان: أنت الذي تزعم إنك خير من أبي بكر وعمر؟ قال: لا، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أحبكم إليّ وأقربكم مني من بقي على العهد الذي عاهدته عليه» وأنا باق على عهده، قال: فأمره أن يلحق بالشام، وكان يحدثهم ويقول: لا يبيتنّ عند أحدكم دينار ولا درهم إلا ما ينفقه في سبيل الله أو يعده لغريم، فكتب معاوية إلى عثمان: إن كان لك بالشام حاجة فابعث إلى أبي ذرّ. فكتب إليه عثمان أن أقدم عليّ فقدم (انظر فتح الباري في شرح البخاري ج ٣: ص ٢١٧). وإلى غير ذلك من الروايات التي تدلّ بالصرحة على أنّ سياسة عثمان كانت مبنية على مخالفة النصوص القرآنية والسنن النبوية، ولذلك اعترض عليه الصحابة، ولما كان عثمان لا يهتمّ لاعتراض المعترضين عليه كاعتراض أبي ذرّ الصحابي الجليل الذي كان له منزلة عظيمة عند رسول الله ﷺ وإمثاله، بل وكان مقابلته لهم بأشد القساوة، فلم يراعي أي دهاء دينية ولا انسانية في ذلك كما قد مرّت الإشارة إليها، فلم يعتني بهم، بل تضاعفت منه ومن جلاوزته المخالفات لكتاب الله وسنن رسول الله ﷺ من تسليطه الطلقاء وبني أمية على المناصب الحكومية وما فعلوه من الفساد



لأنه قد حصل بقتله الخير^(١) من جهات عديدة:



والظلم حتى ثاروا عليه وقتلوه (انظر انظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ١: ص ٤٤، تاريخ الطبري ج ٣: ص ٣٩٩، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣: ص ١٥٠، ومروج الذهب للمسعودي ج ٢: ص ٣٤٣ وغيرهم). وقد روى الترمذي في سننه أن عثمان كان يناشد من سمع رسول الله ﷺ يذكر فضائله... (انظر سنن الترمذي ج ٥: ص ٢٩٠). وهذا معناه أن الذين شاركوا في قتله كانوا من الصحابة المقربين لرسول الله ﷺ، حيث كان يخاطبهم ويقول لهم: من سمع منكم أن رسول الله ﷺ، قال كذا... فالذين ثاروا على عثمان وقتلوه هم الصحابة، لشدة ظلمه وفساده وطغيانه، ومستدلين على ذلك بالنصوص القرآنية والسنة النبوية، لأن الجرائم التي ارتكبها عثمان وعماله مذكورة في التاريخ، وعليه فما ادّعاه ابن تيمية من حصول الفساد بقتل عثمان كذب محض، لأن الوثائق التاريخية التي نقلها كبار علماء أهل السنة تدل على الثورة ضد حكومة عثمان وقتله كان بسبب دفع الفساد عن المجتمع الإسلامي، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنه لا شك ولا شبهة في أن دفع الحاكم الفاسد والظالم، والنجاة منه من أعظم الخير للأمة الإسلامية، إذ وجود الحاكم الظالم والفساد على رأس الحكومة له تأثير مباشر على مصير المجتمع الإسلامي، بل وحتى على كل المجتمعات الانسانية، لأن الحاكم الظالم والفساد يهدّد حياة كلّ إنسان، وربما يتحوّل المجتمع بسبب ظلمه وفساده إلى جحيم لا يُطاق. ومن درس التاريخ والمصادر الإسلامية يجد أن المفساد والانحرافات التي صدرت من عثمان وجلالته أيام حكومته أكثر من أن تحصى وكان شدة الظلم والفساد منهم إلى حد لم يقطيها الناس فشاروا عليه، وقد أجمع المؤرخون والمحدثون على أن قتله كان بسبب ظلمه وفساده. ومن الواضح أن قتل المفسد موجب ودفع شره، والنجاة منه من أعظم الخير، لا سيما فيما يرتبط بالآخرة وعواقب الأمور، فإن دفع الشر فيه الخير والصالح لعموم الناس...

ومن باب المثال نذكر هنا بعض النماذج من ظلمه وفساده ليعرف القارئ الكريم سبب ثورة





المسلمين والصحابة ضده بأوضح الدليل. فمن أسباب انفجار الثورة ضد حكومة عثمان تقسيمه ثروات المسلمين بين الأمويين والطلقاء الذين استسلموا تحت الأسنة بعد فتح مكة، وقد سلطهم عثمان على مقدّرات الأمة، وأعانهم على نهب أموال المسلمين ثرواتهم على تعميق نفوذهم في الحكومة، مع وجود الفقر في أواسط المجتمع الإسلامي بشكل واسع، وقد أجبرت هذه المسألة الأمة الإسلامية للدخول في صراع طبقي، طالباً للمساواة الاجتماعية. وكان خط الأغنياء وخط الفقراء يتجهان بشكل معاكس. الغني ازداد اتساعاً إلى درجة فاحش، وازداد تبعاً لذلك الفقر عمقاً لعموم الناس إلى درجة الانسحاق، وبذلك اتسعت التوتر بين فئتين، إحداهما مسكت بأسباب الثراء فبلغت مستوى تكسير قطع الذهب بالفؤوس؛ وفئة أخرى قلب لها الواقع ظهر المجن، في حين أنّ كلا الطرفين كان في مستوى واحد في حياة رسول الله ﷺ. وقد كان عثمان تبعاً لخلفاء قبله ممّن جمع الثروات وكان يملك خمسين ومائة ألف دينار وألف ألف درهم، وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرهما مائة ألف دينار، وخلف إبلاً وخيلاً كثيرة (انظر مروج الذهب للمسعودي ج ١: ص ٤٣٣). وقال الذهبي في كتابه دول الإسلام: كان قد صار له (عثمان) أموال عظيمة وله ألف مملوك (انظر دول الإسلام للذهبي ج ١: ص ١٢). ونقل العلامة الأميني رحمته الله من مصادر أهل السنة عطايا عثمان إبان حكمه عن المصادر المزبورة، وإليك بعض ما ذكره في هذا المجال: فقد أعطى مروان خمسمائة ألف دينار، وأعطى ابن أبي سرح مائة ألف دينار، وأعطى طلحة مائتا ألف دينار، وأعطى عبد الرحمن بن عوف ألفاً ألف وخمسمائة وستين ألف دينار، وأعطى يعلى بن أمية خمسمائة ألف دينار، وأعطى زيد بن ثابت مائة ألف دينار، وأعطى ما اقتصه لنفسه في بعض الموارد مائة وخمسون ألف دينار، ما اقتصه لنفسه في بعض آخر من الموارد مائتا ألف دينار، ويبلغ المجموع أربعة ملايين وثلاثمائة وعشرة آلاف دينار؛ وفي مجموعة أخرى من الأعطيات الحكم: ثلاثمائة درهم آل الحكم، ألفاً ألف وعشرون درهم الحارث، ثلاثمائة درهم سعيد، مائة ألف درهم عبد الله، ثلاثمائة ألف الوليد بن عقبة، مائة ألف درهم عبد الله مرة أخرى، ستمائة ألف درهم أبو سفيان، مائتا ألف درهم





مروان مرة أخرى، مائة ألف درهم طلحة مرة أخرى، ألفا ألف ومائتا ألف درهم طلحة مرة ثالثة، ثلاثون ألف ألف درهم الزبير، خمسة وتسعون ألف ألف وثمانمائة ألف درهم سعد بن أبي وقاص، مائتان وخمسون ألف درهم ما اقتصه لنفسه مرة ثالثة، ثلاثون ألف ألف وخمسمائة ألف درهم ويبلغ مجموع المجموعة الثانية مائة وستة وعشرون مليوناً وسبعمائة وسبعون ألف درهم؛ انتهى ملخصاً (انظر الغدير ج ٨: ص ٢٨٥). وتحول بيت مال المسلمين في عهده إلى بيت مال لبني أمية. ولم يراع عثمان مشاعر المسلمين، ولا أحكام الشريعة في نهبه أموال المسلمين، وصحبها مدرارة في خزائن أهل بيته. ويذكر ابن خلدون في تاريخه: حدث أبو إسحاق عن عبد الرحمن بن يسار قال: رأيت عامل صدقات المسلمين على سوق المدينة إذا أمسى أتاه عثمان، فقال له: ادفعها إلى الحكم بن أبي العاص. وكان عثمان إذا أجاز أحداً من أهل بيته بجائزة جعلها فرضاً من بيت المال، فجعل يدافعه ويقول له: يكون فنعطيك إن شاء الله، فألح عليه فقال: إنما أنت خازن لنا، فإذا أعطيناك فخذ، وإذا سكتنا عنك فاسكت. فقال: كذبت والله! ما أنا لك بخازن، ولا لأهل بيتك، إنما أنا خازن المسلمين. وجاء بالمفتاح يوم الجمعة وعثمان يخطب فقال: أيها الناس، زعم عثمان أنني خازن له ولأهل بيته، وإنما كنت خازناً للمسلمين وهذه مفاتيح بيت مالكم. ورمى بها، فأخذها عثمان، ودفعها إلى زيد بن ثابت. كان بذلك عثمان، يرى أن الدولة الإسلامية ملكاً لعشيرته، وكان مبرّره في ذلك أنه تأول (انظر تاريخ ابن خلدون ج ١: ص ٢٠٥). وحسب ما ذكر الطبري في تاريخه بالنسبة إلى مال المسلمين: قدمت إبل من إبل الصدقة على عثمان فوهبها للحارث بن الحكم بن أبي العاص، كما روي الكلبي عن أبيه، مخنف بن مروان ابتاع خمس إفريقية بمائتي درهم ومائتي ألف دينار. وكلم عثمان فوهبها له فأنكر الناس ذلك على عثمان (انظر تاريخ الطبري ج ٣: ص ٣٩٩). وقال ابن أبي الحديد: وأعطى أبا سفيان بن حرب مائتي ألف من بيت المال، في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال، وقد كان زوجه ابنته أم أبان، فجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح، فوضعها بين يدي عثمان وبكى، فقال عثمان: أتبكي أن وصلت رحمي! قال: لا، ولكن أبكى لأنني أظنك





أَنَّكَ أَخَذْتَ هَذَا الْمَالَ عَوْضاً عَمَّا كُنْتَ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَاللَّهُ لَوْ أَعْطَيْتَ مِرْوَانَ مِائَةَ دِرْهَمٍ لَكَانَ كَثِيراً، فَقَالَ: أَلْقِ الْمِفَاتِيحَ يَا ابْنَ أَرْقَمَ، فَإِنَّا سَنَجِدُ غَيْرَكَ. وَأَتَاهُ أَبُو مُوسَى بِأَمْوَالٍ مِنَ الْعِرَاقِ جَلِيلَةٍ، فَقَسَمَهَا كُلَّهَا فِي بَنِي أُمَيَّةٍ. وَأَنْكَحَ الْحَارِثُ ابْنَ الْحَكَمِ ابْنَتَهُ عَائِشَةَ، فَأَعْطَاهُ مِائَةَ أَلْفٍ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ أَيْضاً بَعْدَ صَرْفِهِ زَيْدَ بْنِ أَرْقَمَ عَنْ خَزَنَةِ وَانْضَمَّ إِلَى هَذِهِ الْأُمُورِ أُمُورٌ أُخْرَى نَقِمَهَا عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ، كَتَسْيِيرِ أَبِي ذَرٍّ إِلَى الرَبَذَةِ، وَضَرْبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ حَتَّى كَسَرَ أَضْلَاعَهُ، وَمَا أَظْهَرَ مِنَ الْحِجَابِ وَالْعُدُولِ فِي إِقَامَةِ الْحُدُودِ، وَرَدِّ الْمِظَالِمِ، وَكَفِّ الْأَيْدِي الْعَادِيَةِ وَالِاتِّصَابِ لِسِيَاسَةِ الرِّعْيَةِ، وَخَتَمَ ذَلِكَ مَا وَجَدُوهُ مِنْ كِتَابِهِ إِلَى مَعَاوِيَةَ يَأْمُرُهُ فِيهِ بِقَتْلِ قَوْمٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَعَ الْقَوْمِ الَّذِينَ وَصَلُوا مِنْ مِصْرَ لَتَعْدِيدِ أَحْدَاثِهِ عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١: ص ١٩٩).

نعم يعلم حكم تلك العطايا والقطائع التي أقطعها عثمان ومن قبله من خليفة فإنها كانت من أراضي بيت المال كما جاء في من خطبة لمولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد رواها الكلبي عن ابن عباس قال: إنَّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام خطب في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة فقال: «أَلَا إِنَّ كُلَّ قِطِيعَةٍ أَقْطَعَهَا عُثْمَانُ، وَكُلَّ مَالٍ أَعْطَاهُ مِنْ مَالِ اللَّهِ، فَهُوَ مُرْدُودٌ فِي بَيْتِ الْمَالِ، فَإِنَّ الْحَقَّ الْقَدِيمَ لَا يَبْطُلُهُ شَيْءٌ، وَلَوْ وَجَدْتَهُ قَدْ تَزَوَّجَ بِهِ النِّسَاءَ، وَفَرَّقَ فِي الْبُلْدَانِ، لَرَدَدْتَهُ إِلَى حَالِهِ، فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً، وَمَنْ ضَاقَ عَنْهُ الْحَقُّ فَالْجُورُ عَنْهُ أَضِيقُ» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١: ص ٩٠، والسيرة الحلبية ج ٢: ص ٨٧). قال الكلبي: ثمَّ أمرَ عليه السلام بكلِّ سلاح وجد لعثمان في داره ممَّا تقوى به على المسلمين فقبض، وأمر بقبض نجائب كانت في داره من إبل الصدقة فقبضت، وأمر بقبض سيفه ودرعه، وأمر أن لا يعرض لسلاح وجد له لم يقاتل به المسلمون، وبالكفِّ عن جميع أمواله التي وجدت في داره وغير داره، وأمر أن ترجع الأموال التي أجاز بها عثمان حيث أصيبت أو أصيب أصحابها... (انظر أنساب الأشراف للبلاذري ج ٥: ص ١٦). فسيف الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي أقيم به صرح الإسلام، وشيد به دعائم الدولة الإسلامية، عاد مرة أخرى لإزالة الأود والعوج

منها: بث يد الغاصب حق أهل البيت عليهم السلام منه ^(١).



الذي حصل في نظام المسلمين السياسي والاجتماعي، وبناء النموذج الداخلي المثالي للدعوة إلى الإسلام، بل إن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أقام - قبل تسلمه مقاليد الأمور - مرابطاً في الخندق العلمي لوجه الدين الإسلامي أمام تحديات المسائل الحرجة التي ابتليت بها الأمة ولم يكن لها من يطلع على حكم الشريعة فيها، وقد ذكرت المصادر التاريخية الكثير من تلك الموارد، وكذا أمام تحدي الملل والنحل الأخرى. وعليه فإن ما ارتكبه عثمان من الفساد موجب لأن يشمل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة المائدة: ٣٣)؛ وطبقاً لهذه الآية الشريفة التي بينت جزاء وعقاب المفسدين في الأرض، فتقول: إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلف أو ينفوا من الأرض. ومعنى قطع الأيدي والأرجل من خلاف هو أن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى. وقال الفخر الرازي في تفسيره: وفي الآية مسائل، المسألة الأولى: في أول الآية سؤال، وهو أن المحاربة مع الله تعالى غير ممكنة فيجب حمله على المحاربة مع أولياء الله... وفي الخبر أن الله تعالى قال: «من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة»... (تفسير الفخر الرازي ج ١: ص ٢١٥). فالآية الكريمة تدل على أن قتل المفسد في الأرض فيه الخير لجميع الناس، إذ الناس يرتاحون من فساد في الأرض، وحيث أن مفسد في الأرض يكون محارباً لله ورسوله ولأولياء الله فقتله موجب للخير، فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أن بقتل عثمان انقطع يد الظلم والجور والعدوان عن أهل البيت عليهم السلام، لأن حكومة عثمان على ما شهد المؤرخون والمحدثون كانت الطامة الكبرى في الإسلام، حيث أن عثمان سلب ألد أعداء الإسلام على رقاب المسلمين، فقد أعطى المناصب الحكومية أيام خلافته إلى بطون قريش الذينهم أعدى عدو الإسلام وأهل البيت عليهم السلام،





لأنه كان يعلم بأنّ قریش ستستغلّ هذه الفرصة لأخذ ثار أسلافهم المقتولين في الحروب ضدّ الإسلام وضدّ أهل البيت عليه السلام. وبالفعل أنّ الأمر كان كذلك، لأنّ أكثر القتلى من الكفّار والمشرّكين في الحروب الإسلامية في الصدر الأوّل كانت بيد مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ولذلك قال عليه السلام: «فأطفئوا ما كمن في قلوبكم من نيران العصبية وأحقّاد الجاهلية، فإنّما تلك الحميّة تكون في المسلم من خطرات الشيطان ونخواته، ونزغاته ونفثاته. واعتمدوا وضع التذلل على رءوسكم، وإلقاء التعزّز تحت أقدامكم، وخلع التكبر من أعناقكم، واتخذوا التواضع مسلحة بينكم وبين عدوكم إبليس... ألا فالحذر الحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم، الذين تكبروا عن حسبهم وترفعوا فوق نسبهم... فإنّهم قواعد أساس العصبية ودعائم أركان اللفتنة وسيوف اعتزاء الجاهلية» (نهج البلاغة: الخطبة الرقم ١٩٢). وقد ترسّخت الممارسات التي استعملها عثمان طوال السنين أيام حكمته قال ابن عبد ربّه: إنّ ممّا نقم الناس على عثمان أنّه آوى طريد رسول الله صلى الله عليه وآله الحكم بن أبي العاص، ولم يؤوّه أبو بكر ولا عمر وأعطاه مائة ألف... (العقد الفريد ج ٣: ص ٢٩١). ومعناه أنّ توسع في الظلم ضدّ أهل البيت عليه السلام، بحيث فعل ما لم يفعله أبو بكر وعمر. ورواه ابن قتيبة في المعارف: ص ١٩٤، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ١: ص ١٩٨. وقال أبو الفداء: وأقطع عثمان مروان بن الحكم فذك وهي صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله التي طلبتها فاطمة ميراثاً، فروى أبو بكر عن رسول الله صلى الله عليه وآله: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة، ولم تزل فذك في يد مروان وبنه إلى أن تولى عمر بن عبد العزيز فانتزعها من أهله وردّها صدقة (تاريخ أبي الفداء ج ١: ص ١٩٦)، ورواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ١: ص ١٩٨، وابن قتيبة في المعارف: ص ١٩٥-١٩٨. وقال ابن أبي الحديد: أنكح عثمان الحارث بن الحكم ابنته عائشة فأعطاه مائة ألف من بيت المال أيضاً وبعد صرفه زيد بن أرقم عن خزنه (شرح نهج البلاغة ج ١: ص ١٩٩). وقال اليعقوبي: وزوّج عثمان ابنته من عبد الله بن خالد ابن أسيد وأمر له بستمائة ألف درهم وكتب إلى عبد الله بن عامر أن يدفعها إليه من بيت مال البصرة (تاريخ اليعقوبي ج ٢: ص ١٦٨). وقال ابن أبي الحديد: أمر عثمان لمروان بن





الحكم بمائة ألف من بيت المال وقد كان زوجة ابنته أم أبان، فجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح فوضعها بين يدي عثمان وبكى، فقال عثمان: أتبكي أن وصلت رحي؟ قال: لا والله، لو أعطيت مروان مائة درهم لكان كثيراً، فقال: ألق المفاتيح يا بن أرقم فإننا سنجد غيرك (شرح نهج البلاغة ج ١: ص ١٩٩). وقال أبو الفداء: وأقطع عثمان مروان بن الحكم فذك وهي صدقة رسول الله ﷺ التي طلبتها فاطمة ميراثاً فروى أبو بكر عن رسول الله ﷺ: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة، ولم تزل فذك في يد مروان وبنه إلى أن تولى عمر بن عبد العزيز فانتزعها من أهله وردّها صدقة (تاريخ أبي الفداء ج ١: ص ١٩٦)، ورواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ١: ص ١٩٨، وابن قتيبة في المعارف: ص ١٩٥، ورواه أبو هلال في كتابه الأوائل: ص ١٣٠. وقال ابن أبي الحديد: أعطى عثمان أبا سفيان بن حرب مائتي ألف من بيت المال في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال (شرح نهج البلاغة لا بن أبي الحديد ج ١: ص ١٩٩). وقال ابن أبي الحديد نقلاً عن الواقدي: إن زيد بن ثابت اجتمع عليه عصابة من الأنصار، وهو يدعوهم إلى نصرة عثمان، فوقف عليه جيلة بن عمرو بن حبة المازني، فقال له: وما ينهك يا زيد أن تذب عنه؟ قال: أعطاك عشرة آلاف دينار وحدائق من نخل لم ترث عن أبيك مثل حديقة منها (شرح نهج البلاغة ج ٣: ص ٨)، ورواه السيّد المرتضى في الشافي ج ٤: ص ٢٤٢. وقال البلاذري: لما أعطى عثمان زيد بن ثابت الأنصاري مائة ألف درهم جعل أبو ذر يقول: بشر الكافرين بعذاب أليم، ويتلو قول الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ...﴾ (أنساب الأشراف ج ٦: ص ١٦٦) وقال الطبري: عن سيم بن حفص: كان ربيعة بن الحارث بن عبد المطب شريك عثمان في الجاهلية، فقال العباس بن ربيعة عثمان: اكتب لي إلى ابن عامر يسألني مائة ألف، فكتب، فأعطاه مائة ألف وصله بها، وأقطعه داره، دار العباس بن ربيعة اليوم (تاريخ الطبري ج ٤: ص ٤٠٤)، ورواه البلاذري في أنساب الأشراف ج ٦: ص ١٥١، وابن قتيبة في المعارف. وقال البلاذري: أعطى عثمان طلحة في خلافته مائتي ألف دينار (أنساب الأشراف ج ٦: ص ١٠٨). وقال ابن سعد عن أبي حصين: إن عثمان أجاز الزبير بن العوام بستمائة ألف،





فنزّل على أخواله بني كاهل، فقال: أيّ المال أجود؟ قالوا: مال إصبهان، قال: أعطوني من مال إصبهان (الطبقات الكبرى ج ٣: ص ١٠٧). وقال ابن سعد نقلاً عن العروة: كان للزبير بمصر خطط وبالسكندرية خطط وبالكوفة خطط وبالبصرة خطط وبالبصرة دور، وكانت له غلاتّ تقدم عليه من أعراض المدينة (الطبقات الكبرى ج ٣: ص ١١٠). وقال اليعقوبي نقلاً عن عبد الرحمن بن يسار: رأيت عامل صدقات المسلمين على سوق المدينة إذا أمسى آتاها عثمان فقال له: ادفعها إلى الحكم بن أبي العاص، وكان عثمان إذا أجاز أحداً من أهل بيته بجائزة جعلها فرضاً من بيت المال، فجعل يدافعه ويقول له: يكون، فنعطيك إن شاء الله، فألحّ عليه فقال: إنّما أنت خازن لنا، فإذا أعطيناك فخذها وإذا سكتنا عنك فاسكت. فقال: كذبت والله! ما أنا لك بخازن، ولا لأهل بيتك، إنّما أنا خازن المسلمين، وجاء بالمفتاح يوم الجمعة - وعثمان يخطب - فقال: أيّها الناس زعم عثمان أنّي خازن له ولأهل بيته، وإنّما كنت خازناً للمسلمين، وهذه مفاتيح بيت مالكم - ورمى بها - فأخذها عثمان ودفعها إلى زيد بن ثابت (تاريخ اليعقوبي ج ٢: ص ١٦٨)، ورواه البلاذري في الأنساب ج ٦: ص ١٧٣. وقال البلاذري نقلاً عن أبي مخنف: لما قدم الوليد الكوفة ألقى ابن مسعود على بيت المال فاستقرضة مالا - وقد كانت الولاة تفعل ذلك ثم تردّ ما تأخذ - فأقرضه عبد الله ما سأله ثمّ إنّهُ اقتضاه إياه، فكتب الوليد في ذلك إلى عثمان فكتب عثمان إلى عبد الله بن مسعود: إنّما أنت خازن لنا، فلا تعرّض للوليد فيما أخذ من المال، فطرح ابن مسعود المفاتيح وقال: كنت أظنّ أنّي خازن للمسلمين، فأما إذا كنت خازناً لكم فلا حاجة لي في ذلك، وأقام بالكوفة بعد إلقائه مفاتيح بيت المال (أنساب الأشراف ج ٦: ص ١٤٠). وقال ابن عبد ربّه نقلاً عن عبد الله بن سنان: خرج علينا ابن مسعود ونحن في المسجد وكان على بيت مال الكوفة، وأمير الكوفة الوليد بن عقبة بن أبي معيط فقال: يا أهل الكوفة، فقدت من بيت مالكم الليلة مائة ألف، لم يأتني بها كتاب من أمير المؤمنين ولم يكتب بها براءة، قال: فكتب الوليد بن عقبة إلى عثمان في ذلك فزرعه عن بيت المال (العقد الفريد ج ٣: ص ٣٠٨). وأخرج أحمد بن حنبل في مسنده عن سالم بن أبي جعد: قال: دعا عثمان ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم عمّار بن ياسر فقال: إنّني



سائلكم وإني أحب أن تصدقوني، نشدتكم الله أن تعلمون أن رسول الله ﷺ كان يؤثر قريشاً على سائر الناس ويؤثر بني هاشم على سائر قريش؟ فسكت القوم، فقال عثمان: لو أن بيدي مفاتيح الجنة لأعطيها بني أمية حتى يدخلوا من عند آخرهم (مسند أحمد بن حنبل ج ١: ص ٦٢). وإلى غير ذلك من الروايات والأخبار الصريحة في أن عثمان قد أعطى القدرة والأموال لبني أمية الساقطين عن وجوه أهل الإيمان، وأثمار الشجرة الملعونة في كتاب الله لأنهم كانوا رجال العبث والخمور والفجور، ومن أعدى عدو الإسلام وأهل البيت ﷺ، فكان انقلاب الأمر على عثمان وحكومته معناه قلع مادة الفساد وبث أيدي الغاصبين لحقوق أهل البيت ﷺ ولذلك تجد أن الصحابة المؤمنين عندما ثاروا على عثمان وقتلوه، ثم التجأوا إلى مولانا الإمام أمير المؤمنين علي أبي طالب ﷺ ورجعوا إلى ما أمرهم الله ورسوله ﷺ، فاجتمعوا حول الإمام أمير المؤمنين علي أبي طالب ﷺ وطلبوا منه أن يبايعهم للخلافة والإمامة. فقالوا: إن عثمان قد قُتل، ولا بد للناس من إمام، ولا نجد اليوم أحق بهذا الأمر منك، ولا أقدم سابقة ولا أقرب من رسول الله ﷺ (انظر تاريخ الطبري ج ٣: ص ٤٥٠). وروى الطبري بسند آخر وقال: اجتمع المهاجرون والأنصار فيهم طلحة والزبير فاتوا علياً فقالوا: يا أبا الحسن، هلم نبايعك، فقال: «لا حاجة لي في أمركم، أنا معك فمن اخترتم فقد رضيت به، فاختاروا»، فقالوا: والله ما نختار غيرك؛ قال: فاختلفوا إليه بعدما قتل عثمان مراراً ثم أتوه في آخر ذلك، فقالوا له: إنه لا يصلح الناس إلا بامرة وقد طال الأمر، فقال لهم: «إنكم قد اختلفتم إليّ وأتيتم وإني قائل لكم قولاً إن قبلتموه قبلت أمركم وإلا فلا حاجة لي فيه»؛ قالوا: ما قلت قبلناه إن شاء الله، فجاءه فصعد المنبر فاجتمع الناس إليه فقال: «إني قد كنت كارهاً لأمركم فأبيتم إلا أن أكون عليكم، ألا وإنه ليس لي أمر دونكم، ألا إن مفاتيح ما لكم معي، ألا وإنه ليس لي أن آخذ منه درهماً دونكم، رضيتم؟» قالوا: نعم؛ قال: «اللهم اشهد عليهم». ثم بايعهم على ذلك (انظر تاريخ الطبري ج ٣: ص ٤٥٠). وروى البلاذري وقال: وخرج علي فأتى منزله، وجاء الناس كلهم يهرعون إلى علي، أصحاب النبي وغيرهم، وهم يقولون: إن أمير المؤمنين علي، حتى دخلوا داره فقالوا له: نبايعك، فمد يدك فإنه لا



ومنها: نجاة المسلمين من ظلمه وظلم عمّاله^(١).



بدّ من أمير، فقال علي: «ليس ذلك إليكم إنّما ذلك إلى أهل بدر، فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة، فلم يبق أحد من أهل بدر إلّا أتى عليّاً، فقالوا: ما نرى أحداً أحقّ بهذا الأمر منك... فلما رأى علي ذلك صعد المنبر وكان أوّل من صعد إليه فبايعه طلحة بيده، وكانت إصبع طلحة شلاءً، فتطير منها علي وقال: ما أخلقه أن ينكث (انظر أنساب الأشراف ج ٥: ص ٧٠)، ورواه الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين ج ٣: ص ١١٤. وإلى غير ذلك من الروايات فإنّها صريحة في أنّ الناس بعد قتل عثمان، وخلاصهم من شرّه توجّهوا إلى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وطلبوا منه أن يكون إماماً وخليفة لهم لبايعوه بأجمعهم، بعد ما تبين لهم أنّ الوحيد الذي يليق بهذا المقام العظيم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فلاحظ.

(١) لا يخفى على الخبير الباحث في التاريخ والأخبار أنّ بقتل عثمان اندفع الظلم والفساد وسياسة الدمار منه ومن حكومته الظالمة وجلاوزته الفاسدة، وعمّاله الفسقة، إذ قد ثارت عليه عموم الناس فقتلوه ودفنوه في مقابر اليهود ليعلموا بذلك أنّه مات على غير ملة الاسلام. فإنّ الاسلام قد جاء بأحكامه الرفيعة ليتحقّق على أساسها الحكومة الصالحة العادلة التي تقدر على إجراء المقرّرات وتنفيذها في جميع المجتمعات البشريّة مهما تطوّرت أفكارهم. ولذا أقرّ الله تعالى الحكومة والسلطة الإداريّة للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حيث جعل له ولخليفته الولاية لإقامة العدل في المجتمع ونظم أمور الناس بإجراء أحكام الاسلام في المجتمع الإسلامي، فأمر سبحانه وتعالى الأمة الإسلامية بطاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وطاعة خليفته في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (سورة النساء: ٥٩). وقد اهتمّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بالإضافة إلى إبلاغ الوحي وبيان وتفسير العقائد والأحكام والأنظمة





الإسلامية بإجراء الأحكام. وعندما عيّن الرسول الأكرم ﷺ الخليفة لما بعده لم يكن ذلك لمجرد بيان العقائد والأحكام، بل كان لأجل تطبيق الأحكام وتنفيذ القوانين الإلهية أيضاً. هذه هي أهمّ الضرورات الاجتماعية التي تتحقق بتوسط الحكومة والدولة. وفي رواية عن الإمام الرضا عليه السلام، يرويها الفضل بن شاذان في جواب سؤال عن أولي الأمر، وأنه لم فرض الله طاعتهم؟ قال عليه السلام: «إنّ الخلق لمّا وقفوا على حدّ محدود، وأمروا أن لا يتعدّوا ذلك الحدّ، لما فيه من فسادهم، لم يكن يثبت ذلك ولا يقوم إلّا بأن يجعل عليهم فيه أميناً، يمنعهم من التعديّ والدخول في خطر عليهم، لأنّه لو لم يكن ذلك كذلك، لكان أحد لا يترك لذّته ومنفعته لفساد غيره، فجعل عليهم قيماً يمنعهم من الفساد، وقيم فيهم الحدود والأحكام. ومنها، إنّنا لا نجد فرقة من الفرق، ولا ملّة من الملل، بقوا وعاشوا إلّا بقيم ورئيس، ولما لا بدّ لهم منه في أمر الدين والدنيا، فلم يجز في حكمة الحكيم أن يترك الخلق ممّا يعلم أنّه لا بدّ لهم منه ولا قوام لهم إلّا به، فيقاتلون به عدوّهم ويقسمون به فيئهم، وقيم لهم جمعتهم وجماعتهم، ويمنع ظالمهم من مظلومهم. ومنها أنه لو لم يجعل لهم إماماً قيماً أميناً حافظاً مستودعاً لدرست الملّة، وذهب الدين، وغيّرت السنّة والأحكام، ولزاد فيه المبتدعون، ونقص منه الملحدون، وشبهوا ذلك على المسلمين، لأنّنا قد وجدنا الخلق منقوصين محتاجين، غير كاملين، مع اختلافهم واختلاف أهوائهم وتشتّت أنحائهم، فلو لم يجعل لهم قيماً حافظاً لما جاء به الرسول ﷺ لفسدوا على نحو ما بيّنا، وغيّرت الشرائع والسنن والأحكام والایمان، وكان في ذلك فساد الخلق أجمعين...» (بحار الأنوار ج ٦: ص ٦١). وهنا بحث طويل في الفرق بين الحاكم الذي يتصدّى الحكومة بالولاية من قبل الله عزّ وجلّ والحاكم الذي يتسلّط على رقاب الناس ويتسلط عليهم باسم الإسلام وباسم الدين. فحكومة عثمان كانت تُعد من أكبر خطورة على الاسلام والمسلمين، لأنّ الحاكم المتقمّص بلباس الاسلام والدين يمحو الدين والأحكام الشرعية بذريعة جدلية لحاكميته باسم الدين، فلا يبقى لمسلم هوية دينية. ولقد ارتكب عثمان أبشع جرائم في هذا المجال عندما تسلّط على الناس. فمما عابوا به عليه توليته الوليد بن عقبة، وإقطاعه آل الحكم دوراً بناها وشرها لهم، وأعطى مروان بن





الحكم خمس إفريقية، وخص ناساً من أهله ومن بني أمية، فقال له الناس: قد ولي هذا الأمر قبلك خليفتان، فمنعنا هذا المال أنفسهما وأهليهما. فقال: إنما صنعا ذلك احتساباً، ووصلت به احتساباً (انظر الإصابة لابن حجر ج ٤: ص ٩). وقد صرح بعض المؤرخين أن قتله كان من جهة أنه غير أحكام الإسلام بصورة علانية، وأبدى مخالفته للقرآن والسنة النبوية في الملاء العام. فالذين شاركوا في قتل عثمان لم يكونوا مجهولين، وليسوا من أهل زنادقة، حتى يقال عنهم مجوسيون أو خارجيون، بل كانوا من الصحابة وكثير منهم كانوا إلى درجة يستحيل تجاهلهم. ومما يدل على أن المحرضين على قتل عثمان كانوا من الصحابة ما نقله الترمذي من أن عثمان كان يناشد من سمع رسول الله ﷺ يذكر فضائله (انظر سنن الترمذي ج ٥: ص ٢٩٠). فإن من خاطبهم عثمان وناشدهم بقوله: هل تعلمون أن رسول الله ﷺ... معناه أن المحرضين عليه كانوا من الصحابة الذين يعرفهم عثمان، ولذلك قال ابن حجر في الإصابة: وجاء من طرق شهيرة صحيحة عن عثمان أنه لما حصروه أنشد الصحابة في أشياء منها تجهيزه جيش العسرة، ومنها مبايعة النبي ﷺ تحت الشجرة لما أرسله إلى مكة، ومنها شراؤه بئر رومة وغير ذلك (انظر الإصابة لابن حجر ج ٣: ص ٢٢٣). وقد روى أحمد بن حنبل أن طلحة كان ضمن المحرضين والمحاصرين له، فقد أخرج أحمد بسنده عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: شهدت عثمان يوم حوصر في موضع الجنائز ولو ألقى حجر لم يقع إلا على رأس رجل، فرأيت عثمان أشرف من الخوذة التي تلي مقام جبريل عليه السلام، فقال: أيها الناس أفيكم طلحة؟ فسكتوا، ثم قال: أيها الناس أفيكم طلحة؟ فسكتوا، ثم قال: أيها الناس أفيكم طلحة؟ فقال: أيها الناس أفيكم طلحة؟ فقال له عثمان: ألا أراك ها هنا؟ ما كنا أرى أنك تكون في جماعة تسمع ندائي آخر ثلاث مرّات ثم لا تجيبني، أنشدك الله يا طلحة تذكر يوم كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ في موضع كذا وكذا...؟ (مسند أحمد بن حنبل ج ١: ص ٧٤). فيتضح أن طلحة ومحمد بن أبي بكر كانوا ممن حاصروا عثمان ومنعوه من شرب الماء ليجبروه على الاستقالة. ففي رواية الترمذي المتقدم ذكرها والتي فيها مناشدة عثمان وقوله: من سمع رسول الله ﷺ... (ثم قال): اتوني بصاحبيكم اللذين





ألباكم علي، قال: فجيء بهما فكأنهما جملان أو كأنهما حماران... (انظر سنن الترمذي ج ٥: ص ٢٩٠). وقال المالقي في مقتل عثمان: أشرف على الناس وهو محصور فقال: من يعذرني في هذين الرجلين اللذين ألبا علي الناس، يحتمل أن يريد بالرجلين طلحة والزبير، فإنهما كانا في جملة الذين تكلموا في شأن عثمان، ثم بان لهما الحق فانصرفا عنه وندما على ذلك، ولهذا قال طلحة لما طعن: اللهم خذ لعثمان مني حتى ترضى (انظر مقتل عثمان للمالقي ج ٢: ص ١٦٧). فإن قتله نتيجة ما ارتكبه من الفساد والظلم وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ (سورة البقرة: ٢٠٥). وفي حديث منسوب إلى النبي ﷺ قال: لا تصلح عوام أمتي إلا بخواصها. قيل: ما خواص أمتك؟ فقال: خواص أمتي أربعة: الملوك، والعلماء، والعباد، والتجار. قيل: كيف ذلك؟ قال: الملوك رعاة الخلق، فإذا كان الراعي ذنباً فمن يرعى الغنم؟ والعلماء أطباء الخلق، فإذا كان الطبيب مريضاً، فمن يداوى المريض؟ والعباد دليل الخلق، فإذا كان الدليل ضالاً، فمن يهدي السالك؟ والتجار أمناء الله في الخلق، فإذا كان الأمين خائناً، فمن يعتمد عليه؟ وعلى كل تقدير فإن عموم الناس كانوا راضين وموافقين لمقتل عثمان، أن قتله كان من أجل الفساد والظلم والجرائم التي ارتكبه. قال ابن أبي الحديد في حديث طويل أنه قال: بعد ما حوضر عثمان التمس إلى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقال له: قد ترى ما كان من الناس، ولست آمنهم على دمي، فارددهم عني، فإني أعطيهم ما يريدون من الحق من نفسي ومن غيري، فقال علي: «إن الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك، وإنهم لا يرضون إلا بالرضا وقد كنت أعطيهم من قبل عهداً فلم تف به، فلا تغرر في هذه المرة، فإني معطيهم عنك الحق»، قال: أعطهم فوالله لأفنين لهم (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢: ص ١٥١)، ورواه الطبري في تاريخه ج ٣: ص ٤٠٣، وابن الأثير في الكامل في التاريخ ج ٣: ص ١٧٠، وابن مسكويه في تجارب الأمم ج ١: ص ٤٥٠ وغيرهم. وملخص الكلام أن بقتل عثمان حصل نجاة الأمة من الظلم والفساد.

ومنها: جلوس إمام الحق في محله الذي جعله الله سبحانه فيه ^(١).

(١) وتوضيح المقام أن قتل عثمان كان سبباً لتحقيق حكومة عادلة بيد مولانا الإمام أمير المؤمنين علي أبي طالب عليه السلام، إذ بعد ما وجد الناس الفساد والانحراف من حكومة عثمان وعرفوا بأن منشأ الفساد كان من أصل خلافة السقيفة، حتى وصل الأمر بهم إلى سياسة الدمار الحاصل من حكومة عثمان وخلافته الجائرة، فثاروا عليه وقتلوه، والتجأوا إلى مولانا الإمام أمير المؤمنين علي أبي طالب عليه السلام لينجيهم من تلك الحكومة الطاغوتية التي أسسها السقيفة، وفي الحقيقة رجعوا إلى ما أمرهم الله ورسوله ﷺ، فاجتمعوا حول الإمام أمير المؤمنين علي أبي طالب عليه السلام وكانوا يطلبون منه أن يبايعهم الإمام عليه السلام للخلافة والإمامة. فقالوا: إن هذا الرجل (عثمان) قد قُتل، ولا بد للناس من إمام، ولا نجد اليوم أحق بهذا الأمر منك، ولا أقدم سابقة ولا أقرب من رسول الله ﷺ (انظر تاريخ الطبري ج ٣: ص ٤٥٠). وروى الطبري بسند آخر وقال: اجتمع المهاجرون والأنصار فيهم طلحة والزبير فاتوا علياً؛ فقالوا: يا أبا الحسن، هلم نبايعك، فقال: «لا حاجة لي في أمركم أنا معكم فمن اخترتم فقد رضيت به، فاختروا»، فقالوا: والله ما نختار غيرك؛ قال: فاختلفوا إليه بعدما قتل عثمان مراراً ثم أتوه في آخر ذلك، فقالوا له: إنه لا يصلح الناس إلا بإمرة وقد طال الأمر، فقال لهم: «إنكم قد اختلفتم إليّ وأيتتم وإني قائل لكم قولاً، إن قبلتموه قبلت أمركم وإلا فلا حاجة لي فيه»؛ قالوا: ما قلت قبلناه إن شاء الله، فجاء فصعد المنبر فاجتمع الناس إليه فقال: «إني قد كنت كارهاً لأمركم فأيتتم إلا أن أكون عليكم، ألا وإنه ليس لي أمر دونكم، ألا إن مفاتيح ما لكم معي، ألا وإنه ليس لي أن آخذ منه درهماً دونكم، رضيتُمْ؟» قالوا: نعم؛ قال: «اللهم اشهد عليهم». ثم بايعهم على ذلك (تاريخ الطبري ج ٣: ص ٤٥٠). وروى البلاذري وقال: وخرج علي فأتى منزله، وجاء الناس كلهم يهرعون إلى علي، أصحاب النبي وغيرهم، وهم يقولون: إن أمير المؤمنين علي حتى دخلوا داره فقالوا له: نبايعك، فمدّ يدك فإنه لا بد من أمير، فقال علي: «ليس ذلك إليكم إنما ذلك إلى أهل بدر، فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة»، فلم يبق أحد من أهل بدر إلا أتى علياً، فقالوا: ما نرى أحداً أحق بهذا الأمر منك... فلمّا رأى علي ذلك صعد المنبر



وكان أول من صعد إليه فبايعه طلحة بيده، وكانت إصبع طلحة شلاءً، فتطير منها علي وقال: «ما أخلقه أن ينكث» (انظر أنساب الأشراف ج ٥: ص ٧٠)، ورواه الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين ج ٣: ص ١١٤. وقال ابن الأثير في الكامل: لما قتل عثمان، اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار وفيهم طلحة والزبير، فأتوا علياً، فقالوا له: إنه لا بد للناس من امام! قال: «لا حاجة لي في أمركم، فمن اخترتم رضيت به»، فقالوا: ما نختار غيرك وترددوا إليه مراراً، وقالوا له في آخر ذلك: إنا لا نعلم أحداً أحقّ به منك؛ لا أقدم سابقة، ولا أقرب قرابة من رسول الله ﷺ. فقال: «لا تفعلوا، فإنني أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً». فقالوا: والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك. قال: «ففي المسجد، فإن بيعتي لا تكون خفية، ولا تكون إلا في المسجد» - وكان في بيته وقيل: في حائط لبني عمرو بن مبدول - فخرج إلى المسجد وعليه إزار وطاق وعمامة خز، ونعلاه في يده، متوكئاً على قوس، فبايعه الناس. وكان أول من بايعه من الناس طلحة بن عبيد الله. فنظر إليه حبيب بن ذؤيب فقال: إنا لله! أول من بدأ بالبيعة يد شلاءً، لا يتم هذا الأمر، وبايعه الزبير. وقال لهما علي: «إن أحببنا أن تبايعاني، وإن أحببنا بايعتكما»، فقالا: بل نبايعك (انظر الكامل في التاريخ ج ٢: ص ٣٠٢). وقال ابن عبد ربّه في العقد الفريد: لما قتل عثمان بن عفان، أقبل الناس يهرعون إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، فتراكت عليه الجماعة في البيعة، فقال: «ليس ذلك إليكم، إنما ذلك لأهل بدر ليبايعوا»، فقال: أين طلحة والزبير وسعد؟ فأقبلوا فبايعوا، ثم بايعه المهاجرون والأنصار، ثم بايعه الناس. وذلك يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وكان أول من بايع طلحة، فكانت إصبعة شلاءً، فتطير منها علي، وقال: «ما أخلقه أن ينكث» (انظر العقد الفريد ج ٢: ص ٣١١). وروى الخوارزمي في المناقب بسنده عن سعيد بن المسيب قال: خرج علي عليه السلام فأتى منزله، وجاء الناس كلهم يهرعون إلى علي، وأصحاب رسول الله ﷺ يقولون: أمير المؤمنين علي عليه السلام، حتى دخلوا عليه داره، فقالوا له: نبايعك، فمدّ يدك، فلا بدّ من أمير، فقال علي: «ليس ذلك إليكم، إنما ذلك لأهل بدر، فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة». فلم يبق من أهل بدر إلا أتى علياً، فقالوا:



ومنها: تمييز الخبيث من الطيب^(١)



ما نرى أحداً أحقّ بها منك، مدّ يدك نبايعك، فقال: «أين طلحة والزبير؟» فكان أول من بايعه طلحة، فبايعه بيده، وكانت إصبع طلحة شلاءً، فتطير منها عليّ وقال: «ما أخلقه أن ينكث». ثمّ بايعه الزبير، وسعد، وأصحاب النبي ﷺ جميعاً (انظر مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام للخوارزمي: ص ٤٩ ح ١١). وإلى غير ذلك من الروايات فإنها صريحة في أنّ الناس بعد قتل عثمان، رجعوا إلى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وطلبوا منه أن يكون إماماً وخليفة لهم. وبايعوه بعد قبول الإمام عليه السلام، وبذلك قد جلس الحق مكان الباطل، وهل يتصور خير فوق هذا الخير؟ فلاحظ.

(١) ولعل هذه العبارة إشارة إلى دلالة قوله تعالى: ﴿لَيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (سورة الأنفال: ٣٧). فإنّ هذه الآية الكريمة تشير إلى السّنة الإلهية الجارية دائماً لمعرفة المخلص من غير المخلص، والطاهر من غير الطاهر، والمجاهد الصادق من الكاذب، والأعمال الطيبة من الأعمال الخبيثة، إذ بذلك لا يبقى شيء مجهول أبداً، ففي النهاية الأمر تمتاز الصفوف بعضها عن بعض، ويسفر الحق عن وجهه. وهذا الأمر يتحقّق - طبعاً - عندما يكون أتباع الحق في مستوى كاف من التضحية والوعي، وقد قال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمَّنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة آل عمران: ١٧٩). وذكر المفسّرون أنّ هذه الآية المباركة نزلت قبل حادثة غزوة أحد وذلك عندما لم يكن المسلمون يعرفون عدوّاً لهم غير الكفّار، ولكن الهزيمة التي أفرزتها المنافقون من الصحابة في تلك الغزوة عرف المسلمون بأنّ لهم عدوّاً آخر أخطر ممّن كانوا يتفكرون، فأدركوا بأن يكون من الواجب عليهم أن يراقبوا تحركات المنافقون ونشاطاتهم كي لا يغتروا بعد ذلك أثر إغوائهم. وكان هذا أهمّ معطيات حادثة أحد ونتائجها الإيجابية التي تمّ بها عملية الفرز





بين الطيب الطاهر والخبيث الرجس. وهذا قانون عامّ وسنة إلهية خالدة وشاملة لكل عصر وزمان، إذ ليس كلّ من يدّعي الإيمان يكون مؤمناً حقيقةً، فلا بد من التمييز والتخليص ليعرف كلّ أحد مكانه في صفوف المسلمين، وتتكشف الحقائق بعد الاختبارات الإلهية المتتابعة لتبين الأمر ومعرفة الخبيث من الطيب، ولذلك قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة المائدة: ١٠٠). فإن الله تبارك وتعالى يخاطب رسوله الكريم ﷺ في الآية الكريمة ويقول له: قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث، إذ هناك من يظنّ بأن كثرة اتباع الخبيث، أو ما يسمى بـ"الأكثرية" تجعل ذلك الخبيث في مصاف الطيب، كما يحدث أحياناً أن نرى بعضهم يقع تحت تأثير الجماعة واتّجاه أهواء الأكثرية، ظانّاً أنّه حيثما مالت الأكثرية كان ذلك دليلاً قاطعاً على صحّة ما مالت إليه الأكثرية، بينما أنّ الأمر ليس كذلك، إذ كثيراً ما من القضايا التي أيدتها الأكثرية وظهر بطلانها. وفي الواقع أنّ الخبيث والطيب لهما ملاك غير الأكثرية والكيفية والكمية، فملاك التمييز بينهما أقوى وأرفع وأسمى وأنقى من الكثرة والقلة. فإنّ الميزان والعيار في تمييز الخبيث من الطيب الإيمان والتقوى، يشير القرآن إلى هذا الأمر في الآيات العديدة ليعرف الناس أنّ المقياس الصحيح لتمييز الحقّ من الباطل، التقرب إلى الله بالإيمان والعمل الصالح والتقوى والاخلاص في العمل كما سيتضح ذلك للقارئ الكريم في محله إن شاء الله تعالى. وعليه فمن الموارد التي عرف الناس الخبيث من الطيب بهذا المقياس هو ما حدث بعد قتل عثمان، وذلك عند ما شاهد الناس الحكومة العادلة لمولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حيث تصدّى للخلافة والإمامة بعد مقتل عثمان، فتميزوا بين الخبيث والطيب، لأنهم بعد تحقق الطيب عرفوا استبداد عثمان وفساده في الأرض، وما ورثه من خلافة السقيفة من الظلم والجور والانحراف. فعندما ثاروا عليه وقتلوه وصارت الخلافة بيد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عرفوا مكانة الطيب من الخبيث، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الروايات التي تميز الإيمان الصادق من الزائف، والتمييز بين المنافق والمؤمن، ولذلك تجد في الروايات أنّ رسول الله ﷺ قد أعطى المعيار والميزان لمعرفة الإيمان الصادق من الإيمان الزائف في حديث متواتر لدى الفريقين مدلوله: أنّ حبّ مولانا الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام علامة الإيمان وبغضه علامة النفاق والكفر، فقد روى مسلم في صحيحه بسنده عن الأعمش عن عدي بن ثابت عن زر قال: قال النبي ﷺ: «يا علي، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنّ لعهد النبي الأمي ﷺ إليّ أن لا يحبني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق» (صحيح مسلم ج ١: ص ٦١ كتاب الإيمان، باب "الدليل على أنّ حبّ الأنصار والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من الإيمان وعلاماته"). وقال النووي في شرح الحديث: أنّ من عرف علي بن أبي طالب عليه السلام وقربه من رسول الله ﷺ وحبّ النبي ﷺ له وما كان منه من نصرة الإسلام وسوابقه فيه، ثمّ أحبّ عليّاً لهذا كان ذلك من دلائل صحّة إيمانه وصدقه في إسلامه، لسروره بظهور الإسلام والقيام بما يرضى الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ ومن أبغضه كان بضدّ ذلك، واستدلّ به على نفاقه وفساد سريرته (شرح صحيح مسلم للنووي ج ٢: ص ٦٤). فدلالة الحديث في غاية الوضوح من أنّ حبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام علامة الإيمان الصادق بالله وبغضه علامة النفاق والكفر. إذن ما فعله الصحابة والمسلمون من الثورة ضد عثمان وقتله، ورجوعهم بعد ذلك إلى مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام معناه أنّهم اتخذوا بالميزان والمعيار الذي أعطاهم رسول الله ﷺ في هذا الحديث الشريف، حيث أنّهم بعد أن عرفوا فساد عثمان وانحرفه عن الدين اجتمع المؤمنون حول الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وطلبوا منه أن يولي أمرهم ويكون إماماً وخليفة لهم وقد ذكرت النصوص الكثيرة أنّ الناس قد ازدحمت على بيت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد مقتل عثمان يطلبون منه المبايعات فامتنع الإمام عليه السلام، فقالوا له: لا بدّ للناس من إمام حتّى اجتمع المهاجرون والأنصار، وفيهم طلحة والزبير فأثروا عليّاً. فقال الإمام عليه السلام: «لا حاجة لي في أمركم...»،

ومنها: فوز جماعات من المؤمنين بدرجة السعادة من الشهادة^(١).



فقالوا: ما نختار غيرك، وترددوا إليه مراراً وقالوا له في آخر ذلك: إنا لا نعلم أحداً أحقّ به منك، لا أقدم سابقة ولا أقرب قرابة من رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: «دعوني والتمسوا غيري فإننا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان لا تقوم القلوب ولا تثبت عليه العقول وإنّ الافاق قد أغامت والحجّة قد تنكّرت...» (نهج البلاغة الخطبة رقم ٩٠). فقالوا: والله ما نحن بفاعلين حتّى نبايعك (تاريخ الطبري ج ٣: ص ٤٥٠). وروى الطبري أنّه بعد إصرار الناس على المبايعة قال لهم: ففي المسجد يوم الجمعة... (انظر تاريخ الطبري ج ٣: ص ٤٥٠). وقال في الخطبة الشقشقية: «فما راعني إلّا والناس رسل إليّ لعرف الصنيع يتألون عليّ من كلّ وجه وجانب حتّى لقد وطئ الحسان وشق عطفائي مجمعين حولي كربيضة الغنم» (نهج البلاغة: الخطبة رقم ٢). فقال ﷺ: «فإذا بايعوا فلا خيار لهم...» (المعيار والموازنة لأبي جعفر الإسكافي: ص ١١٠). ومما يؤكّد ذلك هو ما رواه الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين بسنده عن أبي ذرّ أنّه قال: ما كنّا نعرف المنافقين إلّا بتكذيبهم الله ورسوله والتخلّف عن الصلوات والبغض لعلي بن أبي طالب ﷺ، ثمّ قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (انظر المستدرک على الصحيحين ج ٣: ص ١٢٩). فيعرف من خلال هذه الروايات خلال أنّ المعيار والميران لمرفة الإيمان الصادق من الإيمان الزايف هو حبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، وايضا يعرف بأنّ معرفة النفاق والكفر إنّما يعرف بنصب العداوة لمولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وبغضه، لأنّ الروايات المتواترة تدلّ على أنّ بغضه ﷺ علامة النفاق والكفر، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ الثورة ضد حكومة عثمان التي أدّت إلى قتله كانت من خلال الاشتبكات العنيفة العسكرية بين المؤمنين الثوّار من الصحابة والتابعين وبين المدافعين عن خليفة الفاسد. ومن الطبيعي أنّ الحرب والقتال صار سبباً لاستشهاد جمع كبير من الثوّار والمجاهدين المؤمنين على يد الطاغية وحكومة عثمان. وبما أنّ الله تبارك وتعالى



ومنها: قلة المنافقين بقتل ألوف عديدة منهم وطهارة الدنيا من شرهم^(١).



فضل المجاهدين على القاعدين كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (سورة النساء: ٩٥). فالمؤمنون من الصحابة والتابعين الذين استقاموا في الجهاد والمبارزة ضد الفساد والظلم التي استوعبت حكومة عثمان قد نالوا هذا المقام العظيم كما نال بعضهم الفوز بالشهادة في هذه الثورة عظيمة ضد الحكومة الفاسدة، فشملمهم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (سورة آل عمران: ١٦٩). فإنَّ الشهيد على قيد الحياة والدوام، وفي الحقيقة الشهادة انتقال من الحياة الحالية إلى الحياة الدائمة. كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنَّ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (سورة البقرة: ١٥٤). وبحسب ما ورد عن النبي الأكرم ﷺ: «أشرف الموت قتل الشهادة» (بحار الأنوار ج ٩٧: ص ٨). وقال مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «أكرم الموت القتل...» (نهج البلاغة الخطبة رقم ١٢٣). فالشهادة والقتل في سبيل الله ليست شكلاً من أشكال الموت بل أنها صفة من صفات الحياة المعقولة، التي تنتهي بمنطقة الجاذبية الإلهية، فالتأثرين على عثمان والمجاهدين الذين استشهدوا في المعارك ضد عثمان قد نالوا إلى مقام الشهادة ، ومن الأمور الخير التي تحققت بسبب قتل عثمان، هو الفوز بسعادة شهادة عدة من المؤمنين المجاهدين ، الذين رزقهم الله الشهادة في سبيله فاستشهدوا في المعارك العنيفة ضد الاستبداد وحكومة عثمان لاسقاطه واسقاط نظامه الظالم ، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنَّ الثورة ضد حكومة عثمان وصلت الى مرحلة التقابل العسكري بين الفريقين، بين المدافعين عن عثمان حكومته الفاسدة ، وبين الثوار المؤمنين من الصحابة والتابعين، فكان في المدافعين عن عثمان جماعة من الأوباش والأشرار والظالمين





والسفاكين من بني أمية واتباعهم، الذين سلطهم عثمان على رقاب الناس ليتحكموا عليهم بكل صلافة وشراسة، وفي مقابلهم الثوار المؤمنين الذين لم يكن لديهم هدف غير رضى الله ورسوله. فأنتهى الأمر إلى معركة دامية بينهم ، وقد نصر الله الثوار والمجاهدين، فقصوا على مرتزفة من السلطة الفاسدة والمنافقين الذين استخدمتهم حكومة عثمان، فقتل على يد الثوار الأحرار جمع كبير من الأراذل والأوباش والمنافقين وتطهرت الأرض من دناس وجودهم ، وأراحت البلاد والعباد من ظلمهم وفسادهم. وهذا ما ذكره المتون التاريخية التي رواها كبار علماء أهل السنة، وعلى سبيل المثال فليراجع الباحث إلى ما ذكره ابن كثير الشامي في تاريخه (انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ١٠: ص ٢٢٥، كتاب الفتنة الكبرى لطفه حسين ج ١: ص ١٢٢). وإلى ما ذكره طه حسين (انظر الفتنة الكبرى لطفه حسين ج ١: ص ٩٨ وص ١١٥ وص ١٨٥). وغيرها من المصادر التاريخية. ومن باب الإشارة الى ما حدث فإن عثمان قد جعل ابن عمه مروان بن الحكم طريد رسول الله ﷺ، وزيراً ومستشار للخليفة، وبذلك مكّن لسيطرة بني أمية على الخلافة، وبالتأكيد أنّ الولاة الذين اختارهم عثمان بن عفان وأعطاهم المناصب كلّهم بمشورة من مروان بن الحكم. وقد ذكر سعيد بن المسيّب أنّه كان في ثروة زيد بن ثابت "وهو من المدافعين الخليفة عثمان حين ما ثار عليه الناس، ويوم مات "كان له من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤس، غير ما خلف من الأموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار". أمّا يعلى بن منية فإنه يخلف في تركته ٥٠٠،٠٠٠ دينار، تضاف إليها عقارات وديون له على الناس تقوم بمبلغ ٣٠٠،٠٠٠ دينار!! ويشيع في المدينة بناء الدور الفخمة الحديثة، ويتخذون لها الأماكن الجميلة من "الضواحي"، فعلى بعد أميال من المدينة يبني "المقداد" بـ"الجرف" داراً، "مخصصة الظاهر والباطن"، ويجعل في أعلاها "شرفات"، ويصنع مثله "بالعقيق"، "سعد بن أبي وقاص" (انظر مستدركات أعيان الشيعة ج ٣: ص ٥٨). وإنّ الحكم بن أبي العاص كان بيته جوار بيت النبي ﷺ، وكان يتجسّس على النبي ﷺ في حجراته، ويسخر منه ويستهزئ به، وينقل أسواره للمشركين، لذلك طرده النبي ﷺ من المدينة، وقال: «لا يساكنني فيها أبداً»، ولأنّه عمّ عثمان، فقد طلب عثمان من النبي ﷺ عودته، فرفض النبي ﷺ. وحين تُوفي



ومنها: ظهور مذهب الحقّ لكثير من الخلق حسبما قال الذهبي: من كثرة التشيع في التابعين^(١).



النبى ﷺ كرّر طلبه من أبي بكر، فرفض أبو بكر. وحين تولّى عمر كرّر طلبه، فرفض عمر. لكن حين تولّى عثمان سمح بعودته، ثمّ جعل ابنه مروان ابن الحكم مستشاراً له، كما ولّى ابنه الثاني الحارث بن الحكم على سوق المدينة (انظر الفتنة الكبرى لطفه حسين ج ١: ص ١٨٤). والوليد بن عقبة قد بعثه النبى لجمع الجزية من بني المصطلق، إلّا أنّه رجع للنبى ﷺ وقال: إنهم رفضوا، وكادت تشتعل حرب بين المسلمين وبني المصطلق، إلّا أنّ النبى ﷺ علم أنّهم لم يرفضوا، بل جهّزوا الجزية ولم يأت الوليد! ورغم سيرة الوليد هذه إلّا أنّ عثمان ولّاه على الكوفة، وأثناء ولايته انتشر أنّه مدمن للخمر، حتّى أنّه صلّى بالناس الفجر أربع ركعات والتفت لهم، وقال وهو سكران: هل أزيدكم؟! ولمّا انتشر أمره، أمر عثمان بجلده (انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ١٠: ص ٢٣٣، وكتاب الخلافة والملك لأبي الأعلى المودودي: ص ٦٧). وعبد الله بن أبي السرح كان كاتباً للنبى ﷺ، وكان يُحرّف ما يكتبه، وارتدّ وترك المدينة، وحين دخل النبى ﷺ مكة أحلّ دمه، لكن شفع له عثمان، فقبل النبى ﷺ شفاعة عثمان. وحين تولّى عثمان الخلافة ولّاه مصر، واشتكى المصريون منه، فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل، فنزلوا بالمسجد وشكوا إلى الصحابة، فقام طلحة بن عبد الله فكلم عثمان بكلام شديد، كما أرسلت عائشة إلى عثمان: تقدّم إليك أصحاب محمّد وسألوك عزل الرجل فأبيت (انظر الفتنة الكبرى لطفه حسين ج ١: ص ١٢٤). وهكذا جمعوا المدافعين لهم بالأموال الطائلة، فمن الواضح أنّ بقتل عثمان قد انقطعت أيادي اللصوص والخونة من الحكومة الإسلاميّة، كما أنّ جمع كبيرة من جلاوزة عثمان الذين كانوا من الأراذل والأوباش قتلوا في الاشتباكات التي حصلت بينهم وبين الثوار المؤمنين من الصحابة فبقتلهم أراحوا البلاد والعباد من ظلمهم وفسادهم، فلاحظ.

(١) قال الذهبي في ترجمة أبان بن تغلب: على أنّ التشيع في التابعين وتابعيهم كثير مع الدين
←



والورع والصدق، ثم قال: فلو ردّ حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبويّة، وهذا مفسدة بيّنة (انظر ميزان الاعتدال ج ١: ص ٥). وفي الحقيقة أنّ ما ذكره المصنف رحمه الله هنا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (سورة الإسراء: ٨١). فإنّ أحد مصاديق هذه الآية المباركة قتل عثمان وتبديل حكومته الفاسدة بحكومة عادلة لمولانا الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام. وانتشار مذهب الحق التشيع في البلاد الإسلامية، وكان فيهم العلماء والصالحين، ولذلك ابن حجر: التشيع في عرف المتقدمين هو اعتقاد تفضيل علي على عثمان، وأن علياً كان مصيباً في حروبه، وأن مخالفه مخطئ، مع تقديم الشيوخ وتفضيلهما، وربما اعتقد بعضهم أن علياً أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وإذا كان معتقد ذلك ورعا ديناً صادقاً مجتهداً فلا ترد روايته بهذا، لا سيما إن كان غير داعية... (انظر تهذيب التهذيب ج ١: ص ٨١). وقال الخلال: أخبرني محمد بن أبي هارون ومحمد بن جعفر أن أبا الحارث حدثهم قال: وجهنا رقعة إلى أبي عبد الله ما تقول رحمك الله فيمن قال: لا أقول: عن معاوية كاتب الوحي، ولا أقول إنه خال المؤمنين، فإنه أخذها بالسيف غصباً؟ قال أبو عبد الله: هذا قول سوء رديء، يجانبون هؤلاء القوم ولا يجالسون، ونبين أمرهم للناس (انظر كتاب السنة لابن أبي عاصم ج: ص ٤٣٤). وروى الخلال عن الإمام أحمد أنه سئل أكتب عن الرجل إذا قال: معاوية مات على غير الإسلام أو كافر؟ قال: لا، ثم قال: لا يكفر رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله. (انظر كتاب السنة لابن أبي عاصم ج: ص ٤٧٤). وقال يحيى بن معين في ترجمة تليد بن سليمان المحاربي كذاب، لأنّه كان يشتم عثمان... (انظر تهذيب الكمال للمزي ج: ص ٣٢٢). وروى ابن عساكر بإسناده عن عبد الله بن المبارك قال: معاوية عندنا محنة فمن رأيناه ينظر إليه شراً اتهمناه على القوم، يعني الصحابة. (انظر تاريخ دمشق ج: ص ٢١١). وإلى غير ذلك ممّا ورد في كتبهم ممّا يدل على أنّ الشيعة قد عرفها الناس بعد مقتل عثمان، فإنّ قتل عثمان كان سبباً لظهور مذهب الحق لكثير من الخلق، فلاحظ.

فعلم فرية السنّي في دعوى لزوم الفساد من قتله بهذه الجهات المشار إليها التي هي خير قد ترتّب على قتله^(١).

(١) وملخص الكلام أنّ الثورة التي حقّقها الصحابة والتابعين ضد عثمان كانت سبباً رئيساً لازاحة الشرّ والفساد عن ساحة المجتمع الإسلامي، وتبدّلت الأمور بالانقلاب على الخليفة عثمان، فانتشر بذلك الخير في المجتمع الإسلامي على جميع ساحاتها وقد تحوّلت الى حكومة عادلة تحت ولاية مولانا الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام. والمتمعن في ذلك يجد بوضوح موقف حكومة عثمان من الصحابة المؤمنين كأبي ذر وأمثاله ثم بعد التحولات التي طرأت على الحياة الإسلاميّة ما تحقق من النظام الاسلامي المتقن على أساس ما ورد في الكتاب والسنة (انظر الغدير ج ٨: ص ٢٩ نقلاً عن المسعودي). ولقد تأثرت بالانقسامات التي حدثت على سلطة أبي بكر القائمة في "المدينة"، واستنفدت منها الحروب التي سمّيت بـ "حروب الردّة"، قدراً كبيراً من الجهد والنفقات، حتّى أنّ بيت مال المسلمين (خزانة الدولة) عند وفاة أبي بكر، لم يكن بها سوى دينار واحد قد سقط وتخلّف بطريق الخطأ والنسيان!! (كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب - الخصائص الكبرى - ج ٢: ص ١٥٣). وامتدّت فتوحات الدولة حتّى شملت المجتمعات الغنيّة الثلاثة التي كانت أهمّ مصادر للثروة في الامبراطوريّة العربيّة: مصر، والشام، والعراق... وجاءت إلى عاصمة الدولة كنوز القياصرة والأكاسرة، وفيها أكوام من التحف والعملات الذهبيّة التي ذهل لمرآها كثيرون من الصحابة. ويبدو أنّ الفرع الأموي بزعامة أبي سفيان، قد رأى في تولي عثمان الخلافة فرصة طالما انتظروها كي تعود لهم المكانة الأولى التي فقدوها منذ ظهور الإسلام على يد رسول الله صلى الله عليه وآله. ولقد ذكر عمّار بن ياسر أنه قد حدث "عقيب الوقت الذي بويع فيه عثمان، ودخل داره، ومعه بنو أميّة" أن قال لهم أبو سفيان، وكان قد كفّ بصره: أفياكم أحد من غيركم؟ قالوا: لا... قال: يا بني أميّة، تلقفوها تلقف الكرة، فو الذي يحلف به أبو سفيان، ما زلت أرجوها لكم، ولتصيرنّ إلى صبيانكم وراثّة (انظر تاريخ الطبري ج ٨: ص ١٨٥، ومروج الذهب للمسعودي ج ٢: ص ٣٤٢). ونمي هذا القول إلى المهاجرين والأنصار. فهو انقلاب سياسي



قد حدث، طالما رجاه وانتظره أبو سفيان وبنو أمية، وهي إذا بداية حقبة من الحكم الأموي يعدون أنفسهم لتلقفه كالكرة حتى تصير ملكاً وراثياً يتولاه الصبيان... ولقد سنحت لهم الفرصة، ورأوا في شخصية عثمان المناخ المناسب كي يحققوا ما يريدون... ولذلك كان حكم هذا الخليفة بداية لأحداث وتطورات استحدثت في الحياة الاجتماعية الإسلامية، سعى إليها البعض واغتنمها البعض وناضل ضدها البعض الآخر، ومن ثم كانت الصراعات التي برز فيها أبو ذر الغفاري وكانت الثورة التي شهدها آخر عهد عثمان بن عفان... فلقد انتشر كثير من الصحابة في الأمصار، وأقطعهم عثمان مساحات من الأرض التي كانت ملكية عامة لبيت مال المسلمين، فوزعت عليهم الأرض التي كانت مملوكة لكسرى وقيصر والأمراء والقواد الذين حاربوا ضد الفتح العربي لهذه البلاد، وهي التي كانت تسمى أرض الصوافي، وكان دخلها على عهد عثمان ٥٠٠، ٠٠٠، ٥٠ درهم، كما كان عثمان أول من أقطع أرض العراق (انظر مستدركات أعيان الشيعة ج ٣: ص ٥٨). وتغير حال العمال والولاة، فاستخدم عثمان الكثير من أقربائه، وحتى الذين كانوا يعملون على عهد عمر لم يعودوا يخشون شدة عمر، واستبدوا بالأمر من دون عثمان. وفي حديث للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، عشية الثورة على عثمان يعيب عليه في ضعفه إزاء الولاة والعمال، يقول له فيه: «إنّ عمر كان يظأ على صماخ من ولي... إن بلغه عنه حرف جلبه ثم بلغ به أقصى العقوبة، وأنت لا تفعل، ضعفت ورققت على أقربائك»، وعندما يقول له عثمان، وهم أقرباؤك أيضاً!! يقول له الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «أجل... إنّ رحمهم مني لقريبة، ولكن الفضل في غيرهم!» وعند ما يعترض عثمان ويحتج بأنه قد ولي معاوية بعد أن ولّاه عمر من قبل، يرد الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام قائلاً: «أنشدك الله، هل تعلم أنّ معاوية كان أخوف لعمر من "يرفا" غلام عمر له؟! أما الآن فإنّ معاوية يقطع الأمور دونك، ويقول للناس: هذا أمر عثمان، وأنت تعلم ذلك فلا تغير عليه؟!» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٩: ص ٢٦٤). وانعكست هذه التطورات السياسية والإدارية على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لدى عدد كبير من الولاة والصحابة والعمال... فسعيد بن العاص والي عثمان على الكوفة، يسير





في الناس سيرة منكرة، ويستبد بالأموال دونهم، ويقول عن أرض العراق إنها بستان قريش!! فيعترض عليه الأشتر مالك بن الحارث النخعي قائلاً: "أتجعل ما أفاء الله علينا بظلال سيوفنا ومراكز رماحنا بستاناً لك ولقومك؟! (انظر مروج الذهب للمسعودي ج ٢: ص ٣٣٧) وتبدى مظاهر الثراء والبذخ على عدد كبير من الصحابة، فالزبير بن العوام يني له عدة دور فخمة بالبصرة، والكوفة، ومصر، والإسكندرية، وعندما تحضره الوفاة يحصون في ثروته ٥٠٠٠٠ دينار، وألف فرس، وألفا من العبيد والإماء... إلى آخره... وطلحة بن عبيد الله [التيمي] التيمي يبتني لنفسه هو الآخر إحدى الدور الفخمة بالكوفة وأخرى بالمدينة يشيدها بـ"الآجر والجص" والساج"، ويبلغ دخله من ممتلكاته بالعراق وحدها ألف دينار في اليوم الواحد!! وقيل أكثر من ذلك، وبناحية "الشراة" أكثر مما ذكرنا!! (انظر مستدركات أعيان الشيعة ج ٣: ص ٥٨). وعبد الرحمن بن عوف الزهري، تصبح ثروته مضرب الأمثال، فعلى مربطه مائة فرس، وله ألف بغير، وعشرة آلاف شاة من الغنم. وعندما توفي قدّرت ثروته بأكثر من مليونين ونصف من الدراهم، ولقد بلغ حجم القدر الذي أحضر منها إلى عثمان بن عفّان في "البدر" و"الأكياس" قدراً من العظم جعله يحجب رؤية عثمان عن الرجل الواقف أمامه!! (انظر مستدركات أعيان الشيعة ج ٣: ص ٥٨). ويذكر سعيد بن المسيّب أنّه قد كان في ثروة زيد بن ثابت - وكان من المدافعين عن عثمان حين ثار الناس عليه - يوم مات من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤس، غير ما خلف من الأموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار (انظر مستدركات أعيان الشيعة ج ٣: ص ٥٨). أمّا يعلى بن منية فإنه يخلف في تركه ٥٠٠، ٠٠٠ دينار، تضاف إليها عقارات وديون له على الناس تقوم بمبلغ ٣٠٠، ٠٠٠ دينار!! ويشيع في المدينة بناء الدور الفخمة الحديثة، ويتخذون لها الأماكن الجميلة من "الضواحي"، فعلى بعد أميال من المدينة يبنى "المقداد" بـ"الجرف" داراً مجصّصة الظاهر والباطن، ويجعل في أعلاها "شرفات"، ويصنع مثله بـ"العقيق"، سعد بن أبي وقاص (انظر مستدركات أعيان الشيعة ج ٣: ص ٥٨). وإلى غير ذلك من الوثائق التاريخية الدالة على أنّ الناس كانوا يشهدون هذه التصرفات الظالمة بالنسبة إلى بيت المال المسلمين وهم محتاجون إلى قرصة خبز





ولهذا قال طلحة لما طعن: اللهم خذ لعثمان مني حتى ترضى (انظر مقتل عثمان للمالقي ج ٢: ص ١٦٧). وكان عمرو بن العاص، رائد الاتجاه الانتهازي، الذي يتحدّد ولاءه بالمصلحة. وعمرو بن العاص ليس من الذين أسلموا طوعاً، وقد كان حريصاً على محو أثر الإسلام، غير أنّه لم يوفّق. وهو واحد من الذين ساروا إلى النجاشي بالحبشة لتأليه على المهاجرين بقيادة جعفر بن أبي طالب عليه السلام، وظلّ عمرو حليفاً لبني أمية، بينهما مصالح قوضوا في سبيلها روح الإسلام وفي زمن عثمان، كان عمرو يمارس دهاءه بشكل دقيق. كان في نهاية الأمر يدرك أن عثمان مهزوز السلطان وأن الثورة ستنتشب لا محالة، فكان في كل مرّة، يظهر للناس مواقفه الخادعة، ليموه عليهم، ثمّ يبرّر ذلك لعثمان ليحافظ على مكانته عنده، قال مرّة لعثمان: اتّق الله يا عثمان! فإنّك قد ركبت نهاير وركبناها معك، فتب إلى الله نتب معك، فناداه عثمان: وإنّك هناك يا ابن النابغة قملت جبتك منذ عزلتك عن العمل، فنودي من ناحية أخرى: أظهر التوبة يا عثمان يكفّ الناس عنك ونودي من ناحية أخرى بمثل ذلك (انظر تجارب الأمم لأحمد بن محمد مسكويه الرازي ج ١: ص ٤٤٦). ولما تفرّق القوم قال له: لا والله، لأنّك أعزّ عليّ من ذلك، ولكن قد علمت أن الناس قد علموا أنّك جمعتنا لتستشيرنا، وسيلغهم قول كلّ رجل منّا، فأردت أن يبلغهم قولي فيثقبوا بي لأقود إليك خيراً وأدفع عنك شراً (انظر تجارب الأمم لأحمد بن محمد مسكويه الرازي ج ١: ص ٤٤٦). وبهذه الحالة بقي حتى قتل عثمان، حين جاء يتوسّط لعثمان مع الثوّار، فنهره واتهموه، فولّ خائباً. وعندما قتل عثمان، ولم تعد المصلحة لعمرو بن العاصّ في أن يتمسّك بشرعيّة عثمان. خرج إلى منزله بفلسطين، وكان يقول: والله إنّني كنت لألقى الراعي فأحرضه على عثمان... ولما مر به راكب من المدينة وهو مع ابنه محمد وعبد الله وسلامة بن روح الجذامي، فسأله عمرو عن عثمان، فقال: هو محصور، قال عمرو: أنا أبو عبد الله، قد يضطر العير والمكواة في النار (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣: ص ١٦٣). وعلى كلّ تقدير فقد استطاع الصحابة أن يتّصلوا بأهل الأمصار ليخبروهم بما سيجري في المدينة، فاجتمعت كلمة المسلمين في الداخل والخارج، واجتمع رأي الأمصار على إرسال الوفود تحت غطاء الحجّ. وكانت





الوفود تتألف من ثلاث أمصار الوفد المصري يتألف من خمسمائة إلى - ألف يتزعمهم محمد بن أبي بكر -، وفيهم عبد الرحمن بن عديس البلوي، وكنانة بن بشر الليثي وسودان بن حمران السكوني وقتيرة بن فلان السكوني. وكان محمد بن أبي بكر قد خرج وبقي محمد بن أبي حذيفة في مصر وغلب عليها لما ذهب عنها عبد الله بن سعد (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣: ص ١٥٨)، والوفد الكوفي، يتألف من عدد أهل مصر، على رأسهم مالك الأشتر وفيهم زيد بن صوحان العبدي والأشتر النخعي وزباد بن النضر الحارثي وعبد الله بن الأصم العامري (تاريخ الطبري ج ٥: ص ١١١). والوفد البصري، ويتألف من نفس عدد أهل مصر عليهم حكيم بن جبله العبدي، وذريع بن عباد وبشر بن شريح القيسي وابن المحترش، ويذكر ابن الأثير، أن أميرهم كان هو حوقوص بن زهير السعدي وكان خروجهم بشوأل جميعاً (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣: ص ١٥٨). وإلى غير ذلك من النصوص والوثائق التاريخية الدالة على أن قتل عثمان كان على يد الصحابة الثائرين عليه من مختلف البلاد رافعين أصواتهم ضد الفساد والطغيان، والمهاجمين حتى قتلوه في داره والقي بجسده في إحدى المزابل في المدينة، وبقي مطروحاً في المزابل ثلاثة أيام، حتى ذهبت الكلاب بفرد رجله، ثم دفنوه في مقابر اليهود، إلى جنب حائط البقيع (انظر تاريخ الطبري ج ٣: ص ٤٣٨، وتاريخ المدينة لابن شبه ج ٤: ص ١٢٤١). فلما ظهر معاوية بن أبي سفيان على الناس أمر بهدم ذلك الحائط، حتى أفضى به إلى البقيع، فأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حول قبره حتى اتصل ذلك بمقابر المسلمين (انظر تاريخ الطبري ج ٣: ص ٤٣٨). وعليه قد ثبت بهذه الوثائق التاريخية وغيرها مما جاءت في كتب أهل السنة كذب ما ادعاه ابن تيمية من لزوم الفساد من قتل عثمان، فإن هذه الوثائق التاريخية وغيرها أكبر شاهد على فريته، فلو كان قتله موجباً للفساد فلماذا دفنه الصحابة بعد قتله في مقابر اليهود؟! أليس أن دفنه في مقابر اليهود معناه إعلان الصحابة بأن عثمان مات على غير ملة الإسلام؟! فلاحظ.

ومن المعلوم ترتب الحكم العظيمة على قتل المفسدين^(١)، ولذلك هدر سبحانه دمائهم^(٢).

(١) هذه العبارة إشارة إلى مدلول الآية الشريفة التي فيها الحكم على قتل المفسدين في الأرض وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة المائدة: ٣٣)؛ وقد بينت هذه الآية الكريمة جزاء المفسدين في الأرض وعقابهم، بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ...﴾، من الواضح أن معنى المحاربة مع الله تعالى غير ممكنة فيجب حمله على محاربة دين الله... وفي الخبر أن الله تعالى قال: من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة... (تفسير الفخر الرازي ج ١: ص ٢١٥). فالآية الكريمة تدل على أن قتل المحارب لله الذي فسدت الآية بأنه الذي يفسد في الأرض واجب، لأن بقتله يرتفع الفساد عن المجتمع الاسلامي، وهذا أكبر خير للناس جميعاً، فإن قتل المفسد في الأرض موجب لرفع الشر والفساد والظلم، فما هو أحسن من هذا الخير؟.

(٢) هذه العبارة إشارة إلى الآية الشريفة التي فيها الأمر بقتل المفسد في الأرض وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة المائدة: ٣٣)؛ وملخص الكلام أن المفسد في الأرض هو المحارب لله ورسوله ﷺ والمقصود من المحارب من يكون سعيه الفساد في الأرض، والإفساد في الأرض يطلق على أنواع من الشر والتي منها الظلم والجور والعدوان وأنواع المعاصي والقبايح المنسوبة إلى البشر، فإنه بنص الآية الشريفة أن المفسد في الأرض دمه هدر، إذ قد أمر الله تبارك وتعالى بقتله في الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا...﴾ (سورة المائدة: ٣٣). ولا يخفى ما صدر من الفساد والظلم والجور والعدوان وأنواع المعاصي والقبايح من عثمان وجلاوزته أيام حكومته ولو أردنا أن نستقصي ذلك



لطلال بنا المقام. وإن كانت الانحرافات التي وقعت في خلافة عثمان هي نتيجة غضب الخلافة في السقيفة إلا أنها اشتدت في عهد عثمان إلى أعلى مراتبها، حيث لما دُفن عمر وتمت قصة الشورى، وزف عثمان الخلافة، وجلس على منبر رسول الله ﷺ غضباً، فقد خالف جميع ما تعهد به حتى التزام بسيرة الشيخين أبي بكر وعمر، حتى أصبح الناس موقنين بأن الحكومة والخلافة التي أسسها السقيفة هي الحكومة والخلافة الفاسدة وعلى رأسها المفسدين.... ومن أهم الأمور التي انتهجها عثمان في سياسته التي فتحت عليه أبواب الفتن هي مايلي من الأمور، الأول: أحاط نفسه بأزلام بني أمية، وترجع على العرش يهب أموال المسلمين لرجالات وبني عمومته من بني أمية، فكانوا هم المقررين منه، بحيث ترك مشورة كبار الصحابة، ولم يستعمل أحدهم على أمر من أمور المسلمين واستغنى برأيه ورأي مروان، والأنكر من كل ذلك أنه ألحق الضرر والضرب - وحتى الموت - بكبار صحابة رسول الله ﷺ، وسجن آخرين. فضرب عمّاراً وفق بطنه، وسير أبا ذرّ إلى الربرة، وسير عامر بن قيس من البصرة إلى الشام! وغير ذلك من الأمور الشنيعة، حتى غلب على عهده تسلط بني أمية على جمع الأموال، واكتفى في ذلك برأي أصحاب الحيلة والدهاء، من ذوي قرياه.

الثاني: استبدال الولاة الذين عيّنهم عمر بولاة جدّد من بني أمية من أصحاب المطامع، وليس لأحدهم دين وازع أو سلطان رادع، ولم يكن همّ أحدهم سوى جمع الأموال والترجع على عرش الملك. فجمع الشام كلّ لابن عمّه معاوية، وعبد الله بن أبي سرح - المرتدّ، الذي أمر رسول الله ﷺ بقتله ولو وجد متعلقاً بأستار الكعبة! - على مصر، وهو أخوه من الرضاع، وفي الكوفة - أخوه لأُمّه - الوليد بن عقبة، وفي البصرة ابن عمّه سعيد بن العاص، وولّى ابن خاله عبد الله بن عامر على خراسان، وفي المدينة المنورة مقرّ الخلافة كان مروان بن الحكم - طريد رسول الله ولعيّنه - وزير الخليفة ومستشاره، فهو ابن عمّه وكاتبه؛ وكلّهم من طعمة بني أمية خاصّة من مسلمة الفتح الطلقاء، والمؤلفة قلوبهم حتى أصبحت أموال الدولة والمسلمين متاعاً خاصاً لهم، وظنّوا أنّ الخلافة وراثّة لهم، كما قال أبو سفيان: يا بني أمية تلقّفوها تلقّف الكرّة، فوالذي يحلف به أبو سفيان مازلت أرجوها





لكم، ولتصيرنَّ إلى صبيانكم وراثته، فهؤلاء هم عمال عثمان الذين لا يريد أحدهم سوى أن يصبح جباراً في الأرض أو ملكاً يُطاع أو يسجد له!! وقد كانت هذه المفارقات وغيرها هي السبب الرئيس لثورة الناس ضده. فسعى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام للإصلاح وإخماد الفتنة، وكم ذكره بالله والدين، وبحقوق المسلمين، وكان ممّا قال له مرةً: والله لو ظلم عامل من عمالك حيث تغرب الشمس لكان إثمك شركاً بينه وبينك (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٩: ص ١٥). فنبّه الإمام عليه السلام على أنك مهّدت إلى ظهور الفتن والأزمات، وكم سعى الإمام عليه السلام ومن معه من الصحابة في إصلاحه فلم يستجب عثمان ومن حوله لدعوته، حتّى فلت الأمر من يده، لا سيّما وأنّ بعض أكابر الصحابة كانوا يساندون التأثيرين على عثمان والمعترضين بشدّة ويؤكّبون الجماهير ضده منهم عائشة التي كانت تقول: اقتلوا نعثلاً فقد كفر. وطلحة الذي كان يكتب أهل البصرة يحرضهم على النهوض لقتل عثمان (انظر الكامل للتاريخ ج ٣: ص ١٠٩). وعبد الرحمن بن عوف الذي قال لعثمان: لم فررتَ يوم أحد، وتخلّفت عن بدر، وخالفت سنة عمر؟ (انظر تاريخ الإسلام للذهبي ج ٣: ص ٤٣٢) ولما طالبت الجماهير المنتفضة عثمان بعزل الولاة الفاسدين واستبدالهم بولاة صالحين أبى ذلك، فعزل أهل الكوفة سعيد بن العاص الأموي ورشّحوا أبا موسى الأشعري، لكن عثمان أقرّ سعيداً ولم يعزله، وهكذا كان الأمر في بعض الولايات الإسلاميّة الأخرى بسبب ما لاقاه الناس من الولاة من جور وفساد، وحينئذ عادوا وطلبوا من عثمان أن يعزل نفسه، حينها قال عثمان: ما كنت لأخلع سربالاً سربلنيّه الله (انظر تاريخ الطبري ج ٤: ص ٣٧١). فجعل أمر الخلافة هبةً من الله تعالى له، ولا يمكن له أن ينزعها، وليس من حقّ الأمة أيضاً أن تثور عليه وتنزع الخلافة منه! فلمّا رأى عثمان أنّ الأمة كلّها ضده وسوف لا تتركه حتّى يستجيب لارادتها، ولم ير ناصحاً في هذه الأيام الشديدة من حياته غير الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، حينها اجتمع الناس إلى الإمام عليه السلام وبيّنوا له فساد الأمر بيد عثمان، فنهض الإمام عليه السلام ليكلّم الخليفة وينصحه، فقال له: «إنّ الناس ورائي، وقد استسفروني بينك وبينهم، ووالله ما أدري ما أقول لك! ما أعرف شيئاً تجهله، ولا أدلّك على أمر لا تعرفه، إنّك تعلم ما نعلم،





وما سبقناك إلى شيء فُنخبرك عنه، ولا خلونا بشيء فنبْلغْكه، وقد رأيت كما رأينا، وسمعت كما سمعنا، وصحبت رسول الله ﷺ كما صحبنا... وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطاب بأولى بعمل الحق منك... فالله الله في نفسك، فإنك والله ما تبصّر من عمي، ولا تعلم من جهل، وإن الطرق لواضحة، وإن أعلام الدين لقائمة... فاعلم أنّ أفضل عباد الله عند الله إمام عادل، هدي وهدى، فأقام سنّة معلومة، وأمات بدعة مجهولة، وإن السنن لنيرة لها أعلام، وإن البدع لظاهرة لها أعلام. وإن شرّ الناس عند الله إمام جائر، ضلّ وضلّ به، فأمات سنّة مأخوذة، وأحيا بدعة متروكة، وإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر، فيلقى في نار جهنّم فيدور فيها كما تدور الرحى، ثمّ يرتبط في قعرها"... وإنّي أنشدك الله ألا تكون إمام هذه الأمة المقتول! فإنّه كان يقال: يقتل في هذه الأمة إمام يفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة، ويلبس أمورها عليها، ويبثّ الفتن فيها، فلا يبصرن الحقّ من الباطل، يمجون فيها موجاً، ويمرجون فيها مرجاً، فلا تكوننّ لمروان سيّقة يسوقك حيث شاء بعد جلال السنّ وتقضي العمر! فقال له عثمان: كلّم الناس في أن يؤجلوني حتّى أخرج إليهم من مظالمهم. فقال عليه السلام: «ما كان بالمدينة فلا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك إليه» (نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٦٤). فكلّمهم الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فرجع المصريون إلى مصر، ولكنّ تأخّر عثمان عن تنفيذ ما وعدهم به، وكان الذي صرفه عن ذلك مروان بن الحكم، إذ قال لعثمان: تكلم وأعلم الناس أنّ أهل مصر قد رجعوا، وأنّ ما بلغهم عن إمامهم كان باطلاً، قبل أن يجيء الناس إليك من أمصارهم، ويأتيك ما لا تستطيع دفعه! ففعل عثمان ذلك (انظر الكامل في التاريخ ج ٣: ص ٥٤، وتاريخ الطبري ج ٤: ص ٣٦٠). فثارت الجموع، فتشبّث عثمان مرّة أخرى بالإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعد أن رجع المصريون وحاصروه، فقال له: يا ابن عمّ، إنّ قرابتي قريبة، ولي عليك حقّ عظيم، وقد جاء ما ترى من هؤلاء القوم، وهم مصبّحيّ، ولك عند الناس قدر وهم يسمعون منك، وأحبّ أن تركب إليهم فتردّهم عني. فقال له الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «على أيّ شيء أردّهم عنك؟» قال: على أن أصير إلى





ما أشرت إليه ورأيته لي. فقال الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «إني قد كَلَمْتُكَ مرّةً بعد أخرى، فكلّ ذلك نخرج ونقول، ثمّ ترجع عنه، وهذا من فعل مروان وابن عامر ومعاوية وعبد الله بن سعد، فإنّك أطعتهم وعصيتني». قال عثمان: فأنا أعصيه وأطيعك. فأمر الناس، فركب معه من المهاجرين والأنصار ثلاثون رجلاً، فأتى المصريّين فكلّمهم، فذكر لهم ما وعد به عثمان من العمل بالحقّ وإرضائهم (انظر الكامل في التاريخ ج ٣: ص ٥٣-٥٤). ولَمَّا عاد الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام من مهمّته في تبليغ الوعود، قال لعثمان: تكلمّ كلاماً يسمعه الناس منك، ويشهدون عليك، ويشهد الله على ما في قلبك من النزوع والإنابة، فإنّ البلاد قد تمخّضت عليك، فلا آمن أن يجيء ركب آخريّن من الكوفة، فتقول: يا عليّ اركب إليهم، ولا أقدر أن أركب إليهم ولا أسمع عذراً، ويقدم ركب من البصرة، فتقول: يا عليّ اركب إليهم، فإن لم أفعل رأيتني قد قطعت رحمتك واستخففت بحقّك. فخرج عثمان فخطب الناس، فقال بعد الحمد والثناء: أمّا بعد أيّها الناس، فوالله ما عاب من عاب منكم شيئاً أجهله، وما جئت شيئاً إلّا وأنا أعرفه، ولكنّي فتنتني نفسي وكذبتني وضلّ عني رشدي، ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من زلّ فليتّب، ومن أخطأ فليتّب، ولا يتماد في الهلكة، إنّ من تمادى في الجور كان أبعد من الطريق»، فأنا أوّل من اتّعظ، وأستغفر الله ممّا فعلت وأتوب إليه، فمثلي نزع وتاب، فإذا نزلت فليأتني أشرافكم فليروني رأيهم، فوالله لئن ردّني الحقّ عبداً لأستنّ بسنة العبد، ولأذلّن ذلّ العبد، ولأكوننّ كالمرقوق، إن ملّك صبر، وإن عتق شكر، وما عن الله مذهب إلّا إليه، فلا يعجزنّ عنكم خياركم أن يدنوا إليّ، لئن أبت يميني لتتابعني شمالي (انظر تاريخ الطبري ج ٤: ص ٣٦٠-٣٦١). فوالله لأعطينكم الرضا، ولأنحين مروان وذويه ولا أحتجب عنكم (انظر الكامل في التاريخ ج ٣: ص ٥٥). ولَمَّا نزل عثمان وعاد إلى بيته عاب عليه مروان إقراره بالخطأ، وما أعطاهم من الوعد بالإصلاح والصلاح، ولم يكن من عثمان إلّا أن يركن إلى كلامه ويقول: أخرج إلى الناس فكلّمهم، فإنّي أستحي أن أكلّمهم! وخرج مروان إلى الناس فقال لهم: ما شأنكم؟ قد اجتمعتم كأنكم جئتم لنهب! شاهت الوجوه! جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا! اخرجوا عنّا..





ارجعوا إلى منازلكم، فإننا والله ما نحن بمغلوبين على ما في أيدينا (انظر الكامل في التاريخ ج ٣: ص ٥٦، والبديّة والنهاية ج ٧: ص ١٩٣). ولما بلغ الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام هذا الكلام، بأنّ عثمان أصرّ على سياسته التي اختطّها مروان وغيره، ولم يستطع أن يغيّر من موقفهم، قال: «أي عباد الله، يا للمسلمين! إنّي إن قعدت في بيتي قال لي: تركتني وقرابتي وحقّي، وإنّي إن تكلمت فجاء ما يريد يلعب به مروان...»، وقام مغضباً حتّى دخل على عثمان فقال له: «أما رضيت من مروان ولا رضي منك، إلّا بتحريفك عن دينك وعن عقلك...، والله ما مروان بذى رأي في دينه ولا نفسه، وأيم الله إنّي لأراه يوردك ولا يُصدرك! وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعابتك، أذهبت شرفك، وغلبت على رأيك» (انظر تاريخ الطبري ج ٤: ص ٣٦٣). وندم عثمان على فعله، فبعث إلى الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يستصلحه، فقال الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «أخبرته إنّي غير عائد...». أمّا الناس فقد حاصروا عثمان في بيته ومنعوا عنه الماء... فاشتدّ عليه الأمر، وضلّ حائراً لا يلوي فعل شيء، إلّا أن يغلق عليه بابه وينتظر ما سيحدث! لكنّ الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أمر ولديه الإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام بحمل سيفيهما والذود عن عثمان يمنعان الناس عنه... وذهب عليّ عليه السلام إلى طلحة - وكان هو الذي قد منع الماء عن عثمان مع جماعة حوله - متناسياً كلّ ما حدث من عثمان، فقال له: «يا طلحة، ما هذا الأمر منك الذي وقعت فيه؟!». قال: يا أبا الحسن، بعد ما مسّ الحزام الطّيبين (انظر الكامل في التاريخ ج ٣: ص ٥٦) وقوله: «مسّ الحزام الطّيبين» كناية عن المبالغة في تجاوز حدّ الشرّ والأذى، لأنّ الحزام إذا بلغ الطيبين فقد انتهى إلى أبعد غاياته. فالطّبي حلّة الضرع (انظر لسان العرب مادة طبي)، وملخّص الكلام أنّ عثمان قتله كان مشروعاً بنصّ القرآن الكريم حيث أمر الله تعالى بقتل المفسد في الأرض وأنّ عثمان كان من أبرز مصاديقه، فقتله كان بسبب الفساد والانحراف الذي أحاط به من جميع الجهات ولا شكّ أنّ دفع هذا الفساد يعدّ أحسن خيراً كما أنّ العقلاء يقولون: دفع الشرّ أولى من جلب المصلحة. فدفع شرّه كان من أعظم المصالح للإسلام والمسلمين، فلاحظ.

وتاسعها: إنّ ما صدر من عجيب البليّات والطاقات بعد قتل الحسين عليه السلام دليل على شدة مصيبته وأعظميّتها من عامّة المصائب وشدة مظلوميّته ^(١).

(١) لا شك أنّ مصيبة الإمام الحسين عليه السلام أكبر مصيبة في تاريخ الكون وأعظم وأجل رزية على المؤمنين والمسلمين، بل على جميع الكائنات العاقلة وغير العاقلة والجمادات، وعلى سكّان السّماوات والجنّان، وهي مصيبة لا تبرد أبداً، وقد أكّدت الأخبار على الأحداث الإعجازية بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام. وتطرّق فيها إلى بيان بعض الحوادث وخصائص التي ليس لها نظير في عالم الكون. وقبل ذكر الأخبار لا بأس بتبيين مقدّمة ولو على نحو الإيجاز، وهي: أنّ الله تبارك وتعالى بيده التكوين والتشريع، والتكوين هو كخلق الشمس والقمر والسماوات والأرضين، وخلق الجنّة وجنّهم. والتشريع هو الصلاة والصيام والعبادات والواجبات والمحرمات والمستحبات والمكروهات والمباحات. ومن جملة ذلك العزاء على الإمام سيّد الشهداء عليه السلام، والتي له خصائص تشريعيّة، وخصائص خاصّة في عالم التكوين، وهي خصائص لم تكن قبله، نراها في مجموعة عظيمة من الروايات، إذا جُمعت فستكون سفراً ضخماً، وإليك بعض ما ورد في الأخبار، فمنها: ما رواه أبو مخنف في كتابه مقتل الحسين عليه السلام: وتزلزلت الأرض لمصرع الحسين عليه السلام وأظلم الشرق والغرب، وأخذت الناس الرجفة والصواعق، وأمطرت السماء دماً عبيطاً [أي خالصاً طرياً]... ولم تمطر السماء دماً إلاّ ذلك اليوم ويوم شرح فيه يحيى بن زكريا (مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ص ٩٣). ومنها: ما رواه الخوارزمي في مقتله: وارتفعت في السماء - في ذلك الوقت - غيرة شديدة مظلمة، فيها ريح حمراء، لا يرى فيها عين ولا أثر، حتّى ظنّ القوم أنّ العذاب قد جاءهم، فلبثوا بذلك ساعة ثمّ انجلت عنهم (مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ج ٢: ص ٣٧). ومنها: ما رواه السيوطي في تاريخ الخلفاء: لمّا قتل الحسين عليه السلام مكثت الدنيا سبعة أيّام، والشمس على الحيّطان كالملاحف المعصفرة، والكواكب يضرب بعضها بعضاً (تاريخ الخلفاء: ص ٢٠٧). ومنها: ما رواه الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام: عن معمر بن راشد قال: أوما عرف الزهري تلكم في مجلس الوليد



ابن عبد الملك، فقال الوليد: تعلم ما فعلت أحجار بيت المقدس يوم قتل الحسين، فقال الزهري: إنه لم يقلب حجر إلا وجد تحته دم عبيط. وروى الواقدي، عن عمر بن محمد بن عمر بن علي، عن أبيه قال: أرسل عبد الملك إلى ابن رأس جالوت فقال: هل كان في قتل الحسين علامة؟ قال: ما كشف يومئذ حجر إلا وجد تحته دم عبيط. وقال جعفر بن سليمان: حدثني أم سالم خالتي قالت: لما قتل الحسين مطرنا مطراً كالدم على البيوت والجدر (تاريخ الإسلام للذهبي ج ٥: ص ١٦). ومنها: ما رواه الشبراوي في الإتحاف بحب الأشراف: أنه قال الحسن الكندي: لما قتل الحسين عليه السلام مكثنا أياماً سبعة، إذا صلينا العصر نظرنا الشمس على الحيطان كأنها الملاحف المعصفرة، ونظرنا الكواكب كأنها يضرب بعضها بعضاً (الاتحاف بحب الأشراف: ص ٧٤) ومنها: ما رواه عن ابن سيرين: أن الحمرة التي مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين عليه السلام (الاتحاف بحب الأشراف: ص ٤١). ومنها: ما رواه البيهقي بسنده عن ابن لهيعة عن أبي قبيل قال: لما قتل الحسين بن علي عليه السلام كسفت الشمس كسفة بدت الكواكب نصف النهار حتى ظننا أنها هي (السنن الكبرى للبيهقي ج ٣: ص ٣٣٧). ومنها: ما رواه الهيثمي في كتابه مجمع الزوائد بسنده عن جميل ابن زيد قال لما قتل الحسين عليه السلام احمرت السماء (مجمع الزوائد ج ٩: ص ١٩٧). ومنها: ما رواه عن أبي قبيل قال: لما قتل الحسين بن علي عليه السلام انكسفت الشمس كسفة حتى بدت الكواكب نصف النهار حتى ظننا أنها هي (مجمع الزوائد ج ٩: ص ١٩٧). ومنها: ما رواه عن عيسى بن الحرث الكندي قال: لما قتل الحسين عليه السلام مكثنا سبعة أيام إذا صلينا العصر نظرنا إلى السماء على أطراف الحيطان كأنها الملاحف المعصفرة ونظرنا إلى الكواكب يضرب بعضها بعضاً (مجمع الزوائد ج ٩: ص ١٩٧). ومنها: ما رواه البغوي في تفسير قوله تعالى ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ (سورة الدخان: ٢٩): قال عطاء: بكاء السماء حمرة أطرافها، قال السدي: لما قتل الحسين بن علي عليه السلام بكث عليه السماء وبكاؤها حمرتها (تفسير البغوي ج ٤: ص ١٥٢). ومنها ما رواه القرطبي في تفسيره عن السدي أنه قال: لما قتل الحسين بن علي عليه السلام بكث عليه السماء، وبكاؤها حمرتها. وحكى جرير عن يزيد بن أبي زياد قال: لما قتل الحسين بن علي بن أبي





طالب عليه السلام احمر له آفاق السماء أربعة أشهر. قال يزيد: واحمرارها بكاؤها. وقال محمد ابن سيرين: أخبرونا أنّ الحمرة التي تكون مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين بن علي عليه السلام، وقال سليمان القاضي: مطرنا دما يوم قتل الحسين عليه السلام (تفسير القرطبي ج ١٦: ص ١٤١). ومنها: ما رواه ابن كثير في تفسيره عن يزيد بن أبي زياد قال: لما قتل الحسين بن علي عليه السلام احمرت آفاق السماء أربعة أشهر، قال يزيد: واحمرارها بكاؤها، وهكذا قال السدي في الكبير وقال عطاء الخراساني بكاؤها أن تحمر أطرافها وذكروا أيضاً في مقتل الحسين عليه السلام أنه ما قلب حجر يومئذ إلا وجد تحته دم عيط، وأنه كسفت الشمس واحمر الأفق وسقطت حجارة (تفسير ابن كثير ج ٤: ص ١٥٤). ومنها ما رواه ابن عساكر بسنده عن خلف بن خليفة عن أبيه قال: لما قتل الحسين عليه السلام اسودت السماء وظهرت الكواكب نهراً حتى رأيت الجوزاء عند العصر وسقط التراب الحمر (تاريخ مدينة دمشق ج ١٤: ص ٢٢٦). ومنها: ما رواه بسنده عن علي بن مسهر عن جدته قالت: لما قتل الحسين عليه السلام كنت جارية شابة، فمكثت السماء سبعة أيام بلباليها كأنها علقه (تاريخ مدينة دمشق ج ١٤: ص ٢٢٦). ومنها: ما رواه بسنده عن علي بن معمر عن إسحاق بن عباد عن المفضل بن عمر الجعفي قال سمعت جعفر بن محمد يقول: «حدثني أبي محمد بن علي: حدثني أبي علي بن الحسين قال: لما قتل الحسين بن علي عليه السلام جاء غراب فوق في دمه وتمرغ ثم طار فوق في المدينة على جدار فاطمة بنت الحسين بن علي وهي الصغرى ونعب فرفعت رأسها إليه فنظرت إليه فبكت بكاءً شديداً وأنشأت تقول: نعب الغراب فقلت من * تنعاه ويلك يا غراب. قال الإمام فقلت من؟ * قال الموفق للصواب. قلت الحسين فقال لي * حقاً لقد سكن التراب. إنّ الحسين بكربلا * بين الأسنة والضراب. فابك الحسين بعبرة * ترضي الإله مع الثواب. ثم استقل به الجناح * فلم يطق ردّ الجواب. فبكيتم ممّا حلّ بي * بعد الوصي المستجاب». قال محمد بن علي بن الحسين: «قال أبي علي بن الحسين: فنتعه لأهل المدينة فقالوا: قد جاءتنا بسحر عبد المطلب، فما كان بأسرع من أن جاءهم الخبر بقتل الحسين بن علي عليه السلام» (تاريخ مدينة دمشق ج ٧٠: ص ٢٤). ومنها: ما رواه البلاذري بسنده عن أبي حصين قال: لما قتل الحسين عليه السلام مكثوا شهرين أو ثلاثة وكأنا



مضافاً إلى طاقة قتله ﷺ، فإنه ريحانة رسول الله ﷺ^(١)،



يلطّخ الحيطان بالدم، من حين صلاة الغداة إلى طلوع الشمس (أنساب الأشراف ج ٣: ص ٢٠٩). ومنها: ما رواه القندوزي الحنفي في كتابه ينابيع المودة عن أبي نعيم الحافظ في كتابه "دلائل النبوة": عن نصره الأزدية أنها قالت: لما قتل الحسين ﷺ أمطرت السماء دماً، فأصبحنا فإذا رحائنا وجرارنا مملوءة دماً. وفي أحاديث غيرها ومما ظهر يوم قتله من الآيات أيضاً إنّ السماء اسودّت (اسوداداً عظيماً) حتّى رؤيت النجوم نهاراً، ولم يرفع حجر إلا وجد تحته دم عبيط (ينابيع المودة ج ٣: ص ١٥). ومنها: ما رواه القندوزي الحنفي في ينابيع المودة عن كثير بن شهاب الحارثي قال: بينا نحن جلوس عند علي في الرحبة إذ طلع الحسين ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ ذَكَرَ قَوْمًا بِقَوْلِهِ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ...﴾، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ليقتلن هذا ولتبكينّ عليه السماء والأرض» (ينابيع المودة ج ٣: ص ١٠١). وإلى غير ذلك من الروايات التي رواها كبار علماء أهل السنة. وإذا أردنا أن نذكر الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت ﷺ في هذا المجال لطال بنا المقام. وعليه فما صدر من عجيب البليات والطاقات بعد شهادة مولانا أبي عبد الله الحسين ﷺ دليل على شدة مصيبته وأعظمتها من عامة المصائب وشدة مظلوميته، فبكاء الكون والمكان والعزاء على مصيبة الإمام الحسين ﷺ بأنحائها المختلفة ليس أمراً يتلبس على أحد في الإسلام، بل أنّه من جهة مواصلة لخطّ رسول الله ﷺ ومنهجه إزاء أهل بيته ﷺ، وقد قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...﴾ (سورة الأحزاب: ٢١). كما أنّه يمثّل المودة لرسول الله ﷺ واستجابة لقول الباري تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (سورة الشورى: ٢٣).

(١) هذه العبارة إشارة إلى الروايات المتواترة لدى الفريقين التي تنصّ على أنّ الإمام الحسين ﷺ ريحانة رسول الله ﷺ. فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن محمد ابن أبي يعقوب: سمعت ابن أبي نعم، سمعت عبد الله بن عمر وسأله عن المحرم؟ قال شعبة: احسبه يقتل الذباب، فقال: أهل العراق يسألون عن الذباب وقد قتلوا ابن ابنة رسول





الله ﷺ وقال النبي ﷺ: «هما ريحانتي من الدنيا» (صحيح البخاري ج ٤: ص ٢١٧ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم). وأخرج الترمذي بسنده عن محمد بن أبي يعقوب عن عبد الرحمن بن أبي نعم: «إن رجلاً من أهل العراق سأل ابن عمر عن دم البعوض يصيب الثوب، فقال ابن عمر: انظروا إلى هذا يسأل عن دم البعوض وقد قتلوا ابن رسول الله ﷺ وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الحسن والحسين هما ريحانتي من الدنيا». هذا حديث صحيح (سنن الترمذي ج ٥: ص ٣٢٢). وأخرج أحمد بن حنبل بسنده عن شعبة: واحسبه سأله عن المحرم يقتل الذباب فقال عبد الله: أهل العراق يسألون عن الذباب وقد قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ وقد قال رسول الله ﷺ: «هما ريحانتي من الدنيا» (مسند أحمد بن حنبل ج ٢: ص ٨٥). وأخرج بسنده عن ابن أبي نعم قال: كنت جالساً عند ابن عمر فجاء رجل يسأل عن دم البعوض، فقال له ابن عمر: ممن أنت؟ قال: أنا من أهل العراق، قال: انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض وقد قتلوا ابن رسول الله ﷺ وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هما ريحانتي من الدنيا» (مسند أحمد بن حنبل ج ٢: ص ١١٤). وأخرج الهيثمي بسنده عن أبي أيوب الأنصاري قال: دخلت على رسول الله ﷺ والحسن والحسين يلعبان بين يديه أو في حجره فقلت: يا رسول الله أتحبهما؟ فقال: «وكيف لا أحبهما وهما ريحانتي من الدنيا أشمهما» (مجمع الزوائد ج ٩: ص ١٨١).

أقول: الريحانة أو الريحان كل نبات طيب الرائحة، من راح يراح الشيء وجد رايحته، على صيغة عطشان. وهذا التعبير إشارته إلى نهاية الحب، بحيث يتلذذ بلقائه ويتطيب بنسمات وجوده ويتعطر بروائح جمال ذاته. ثم إن هذه الكلمة مأخوذة من آية سورة الواقعة ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ﴾ (سورة الواقعة: ٨٨-٨٩). ولذلك أشار رسول الله ﷺ بقوله ﷺ: «ريحانتي من الدنيا...» فهو ريحانة رسول الله ﷺ في الدنيا في قبال ريحان الجنة في الجنة للمقربين... ولذلك قال ابن حجر في شرح الحديث: قوله ﷺ: «ريحانتي...» كذا للأكثر بالتثنية، ولأبي ذر ريحاني بالإنفراد والتذكير، شبههما بذلك لأن الولد يشم ويقبل، ووقع في رواية جرير بن حازم: «إن الحسن والحسين هما





ريحانتي» وعند الترمذي من حديث أنس: إن النبي ﷺ كان يدعو الحسن والحسين فيشمهما ويضمهما إليه، وفي رواية الطبراني في الأوسط من طريق أبي أيوب قال: دخلت على رسول الله ﷺ والحسن والحسين يلعبان بين يديه، فقلت: أتحبهما يا رسول الله؟ قال: «وكيف لا وهما ريحانتي من الدنيا أشمهم؟» (انظر فتح الباري في شرح البخاري ج ٧: ص ٧٨). فكيف لا يكون الإمام الحسين عليه السلام طاقة وهو ريحانة رسول الله ﷺ، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الحديث الذي رواه علماء الإسلام بأسناد صحيحة، عن النبي الأكرم ﷺ وهو من الأحاديث الذي أكد الفريقان على صدوره من النبي الأكرم ﷺ في عدة مواضع، فرواه كبار علماء أهل السنة طرقهم بأسانيدهم الكثيرة، بل أقر بعضهم بتواتر الحديث مثل المناوي في كتابه فيض القدير شرح الجامع الصغير (انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ج ٣: ص ٥٥٠). وعده الكتاني في الأحاديث المتواترة في كتابه نظم المتناثر في الحديث المتواتر قال: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» أورده في الأزهار من حديث أبي سعيد الخدري، وحذيفة بن اليمان، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وجابر بن عبد الله، والحسين بن علي، وأسامة بن زيد، والبراء بن عازب، وقرّة بن إياس، ومالك بن الحويرث، وأبي هريرة، وابن عمر، وابن مسعود، وأنس بن مالك، وبريدة، وابن عباس، ستة عشر نفساً صحابياً. قلت: ورد أيضاً من حديث الحسن بن علي، ونقل أيضاً في فيض القدير وفي التيسير عن السيوطي أنه متواتر (انظر نظم المتناثر في الحديث المتواتر: ص ١٩٦). وكذلك فإنّ ممّن صرّح بتواتره الألباني في كتابه سلسلة الأحاديث الصحيحة قال: وبالجملّة فالحديث صحيح بلا ريب بل هو متواتر كما نقله المناوي، وكذلك الزيادات فهي صحيحة ثابتة (انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة لمحمد ناصر الألباني ج ٢: ص ٢٩٥، ح ٧٩٦). وممّن صرّح بتصحيح أو تحسين بعض طرقه الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين قال: حدّثنا أبو





العبّاس محمد بن يعقوب، ثمّ ذكر سنده إلى أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنّه قال: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة إلاّ ابني الخالة» هذا حديث قد صحّ من أوجه كثيرة وأنا أتعجّب أنّهما لم يخرجاه يعني البخاري ومسلم (انظر المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج ٣: ص ١٦٦). وأورد الحديث من طريق آخر عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة وأبوهما خير منهما». ثم قال: هذا حديث صحيح بهذه الزيادة ولم يخرجاه (انظر المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج ٣: ص ١٦٧). ثمّ قال: وشاهده ما حدّثناه أبو الحسن بسند ذكره إلى ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة وأبوهما خير منهما». وعلّق الذهبي على سند الحديث من طريق ابن مسعود بقوله: صحيح (انظر المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري تعلیقة الذهبي ج ٣: ص ١٨٢). وأورد الحديث أيضاً بسند آخر عن زرّ بن حبیش عن حذيفة عن النبي ﷺ قال: «أتاني جبرئیل ﷺ فقال: "إنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة"، ثمّ قال لي رسول الله ﷺ: «غفر الله لك ولأمّك يا حذيفة». وعلّق الذهبي على سند الحديث بقوله: صحيح (انظر المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري، تعلیقة الذهبي ج ٣: ص ٤٢٩). ومنهم: الترمذي في سننه بسنده عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة». وقال: حدّثنا سفيان بن وكيع أخبرنا جرير وابن فضيل عن يزيد نحوه ثمّ قال الترمذي: هذا حديث صحيح حسن (انظر سنن الترمذي ج ٥: ص ٣٢١). وعلّق الألباني في كتابه صحيح وضعيف سنن الترمذي بقوله: صحيح (انظر صحيح وضعيف سنن الترمذي للألباني ج ٨: ص ٢٦٨). وأورد الترمذي في سننه الحديث بسند آخر عن حذيفة قال: "... فأتيت النبي ﷺ فصلّيت معه المغرب فصلّى حتّى صلّى العشاء، ثمّ انفتل فتبعته، فسمع صوتي فقال: «من هذا حذيفة؟» قلت: نعم. قال: «ما حاجتك غفر الله لك ولأمّك؟»، قال: «إنّ هذا ملك لم ينزل الأرض قطّ قبل هذه الليلة، استأذن ربّه أن يسلم عليّ ويبشّرني بأنّ فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة، وأنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة». قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا





الوجه (انظر سنن الترمذي الترمذي ج ٥: ص ٣٢٦). وعلق الألباني في كتابه صحيح وضعيف سنن الترمذي بقوله: صحيح (انظر صحيح وضعيف سنن الترمذي للألباني ج ٨: ص ٢٨١). ومنهم: ابن حبان، فقد أورد الحديث من طريق أبي سعيد وطريق حذيفة في صحيحه (انظر صحيح ابن حبان ج ١٥: ص ٤١٢). ولذلك أقر مثل العجلوني في كتابه كشف الخفاء بتصحیح ابن حبان للحديث قال: رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري رفعه وقال: حسن صحيح، وهو عند أحمد وصححه ابن حبان والحاكم (انظر كشف الخفاء للعجلوني ج ١: ص ٣٥٨). ومنهم: الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام، قال: وعن حذيفة قال: قال لي رسول الله ﷺ: «جاءني جبريل فبشّرني أنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة». قال: رواه أحمد في مسنده بإسناد حسن، وروى نحوه من حديث ابن عمر، وعلي بإسنادين جيدين (انظر تاريخ الإسلام للذهبي ج ٥: ص ٩٦). وأقر الذهبي في تاريخ الإسلام بتصحیح الترمذي للحديث من طريق أبي سعيد الخدري وتحسينه للحديث من طريق حذيفة بن اليمان (انظر تاريخ الإسلام للذهبي ج ٤: ص ٣٥). وكذلك أقرّ بتصحیح الترمذي للحديث من طريق أبي سعيد الخدري وتحسينه من طريق حذيفة في كتابه سير أعلام النبلاء (انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٣: ص ٢٥١). وأقرّ بذلك ابن كثير في البداية والنهاية (انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ٨: ص ٢٢٤). ومنهم: الهيثمي في مجمع الزوائد قال: وعن البراء يعني ابن عازب قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة». قال: رواه الطبراني وإسناده حسن (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج ٩: ص ١٨٤). ومنهم: الصالحي الشامي في كتابه سبل الهدى والرشاد، قال: وروى الإمام أحمد وأبو يعلى برجال الصحيح والترمذي من غير ذكر فاطمة ومريم عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة، وفاطمة سيّدة نسائهم إلا ما كان من مريم بنت عمران» (انظر سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي ج ١١: ص ٤٦). ومنهم: الألباني في كتابه صحيح وضعيف ابن ماجه الذي رواه بسنده عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما». علق عليه بقوله: صحيح (انظر صحيح وضعيف ابن ماجه للألباني





ج ١: ص ١٩٠). وقال في كتابه صحيح وضعيف الجامع الصغير معلقاً على ما أخرجه السيوطي وابن عساكر عن عليّ، وعن ابن عمر صحيح (انظر صحيح وضعيف الجامع الصغير للألباني ج ١: ص ٤٧). وكذلك صحّ الحديث من طريق كلّ من قرّة ومالك بن الحويرث، وابن مسعود، وابن عمر من تخريج السيوطي (انظر صحيح وضعيف الجامع الصغير للألباني ج ١٣: ص ٤٤٠). وصحّ كذلك في كتابه صحيح وضعيف الجامع الصغير المتون التالية، الأول: «أتاني جبرئيل فبشّرني أنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة» من تخريج السيوطي وابن سعد عن حذيفة (انظر صحيح وضعيف الجامع الصغير للألباني ج ١: ص ٦٣). الثاني: «أما رأيّ العارض الذي عرض لي قبل؟» قلت: بلى، قال: «هو ملك من الملائكة لم يهبط إلى الأرض قطّ قبل هذه الليلة استأذن ربّه أن يسلم عليّ وبشّرني أنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة وأنّ فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة»، من تخريج السيوطي (انظر صحيح وضعيف الجامع الصغير للألباني ج ٦: ص ١٥٥). الثالث: «إنّ هذا ملك لم ينزل إلى الأرض قطّ قبل هذه الليلة، استأذن ربّه أن يسلم عليّ وبشّرني أنّ فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة، وأنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة»، من تخريج السيوطي (انظر صحيح وضعيف الجامع الصغير للألباني ج ٩: ص ٤٦٧). وعلّق على ما أخرجه السيوطي عن النبي ﷺ: «أنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة» من طريق كلّ من أبي سعيد الخدري، وعمر بن الخطّاب، وعلي بن أبي طالب، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأبي هريرة، وأسامة بن زيد، والبراء بن عازب، وعبد الله بن مسعود، علّق على مجموع هذه الطرق بأنّها حسنة (انظر صحيح وضعيف الجامع الصغير للألباني ج ١٢: ص ٤٣٨). ومنهم: شعيب الأرئوط قال تعليقا على ما أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده من طريق أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة» قال: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير يزيد بن مردانبه فقد أخرج له النسائي وهو ثقة (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ٣: ص ٣، تعليقه شعيب الأرئوط). وعلّق على ما أخرجه أحمد في مسنده من طريق حذيفة عن النبي ﷺ: «أما رأيّ العارض الذي عرض لي قبيل؟» قال: قلت: بلى، قال: «فهو ملك من الملائكة لم





يهبط الأرض قبل هذه الليلة فاستأذن ربه أن يسلم عليّ ويشّرني أنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة وأنّ فاطمة سيّدة نساء أهل الجنة»، علّق بقوله: صحيح (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ٥: ص ٣٩١، تعليقة شعيب الأرناؤوط). وعلّق على ما أخرجه أحمد في مسنده من طريق حذيفة عن النبي ﷺ: «فإنّ جبريل جاء يشّرني أنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة»، علّق بقوله: صحيح (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ٥: ص ٣٩٢، تعليقة شعيب الأرناؤوط). هذه أقوال بعض علماء أهل السنة في سند الحديث، ولولا الخشية من أن ينتاب القارئ الكريم الضجر والسآمة لاستعرضنا أقوال الكثير منهم إلا أنّ فيما ذكرناه غنيّ لمن ألقى السمع وهو شهيد. وأمّا مدلول الحديث الشريف، فإنّه صريح في أنّ أمام الحسن ﷺ والإمام الحسين ﷺ سيّدا شباب أهل الجنة وهذا من المسلّمات بين الفريقين، وبه ثبت أنّ الحسن والحسين ﷺ أفضل الأولين والآخرين إلّا من استثنى بالنصّ، فلا تصحّ دعوى الاستثناء ودعوى الأفضليّة لأحد من عباد الله عليهما إلّا مع قيام نصّ ثابت صدوره لدى الفريقين، وتقريب ذلك يتّضح من خلال بيان مقدّمات، وهي: المقدّمة الأولى: أنّ أهل الجنة ليسوا من أمة النبي محمد ﷺ وحسب، بل هم من أمته ﷺ ومن أمم كلّ الأنبياء الذين سبقوا نبينا الكريم ﷺ من لدن آدم ﷺ، فإذا كان الإمامان الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة فهما سيّدا شباب أهل الجنة الذين كانوا من أمم الأنبياء السابقين ﷺ وسيّدا شباب أهل الجنة الذين هم من أمة النبي الكريم ﷺ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وهذه هي المقدّمة الأولى وهي مقدّمة واضحة لا مساغ للتردد في صوابيّتها، فالقرآن مليء بالآيات المصرّحة بأنّ الجنة سيدخلها كلّ من آمن بالأنبياء ﷺ واتّبع دينهم وشرائعهم.

المقدّمة الثانية: إنّ الذين أفاد الحديث الشريف بأنّ الإمامين ﷺ سيّدان لهم ويفوقانهم فضلا هم شباب أهل الجنة، فلفظ الشباب أضيف - في الحديث - لأهل الجنة، وذلك ظاهر في إرادة المتّصفين بوصف الشباب في الجنة أي حين يكونون في الجنة، فكما أنّ الظاهر من مثل قولنا: المتنبّي أفضل شعراء الدولة العباسيّة، هو إرادة تفضيل المتنبّي على المتّصفين بوصف الشعراء في حقبة الدولة العباسيّة كذلك فإنّ الظاهر من الحديث الشريف هو





تفضيل الإمامين على المتّصفين بوصف الشباب في الجنّة، وليس المراد من شباب أهل الجنّة هم كلّ مؤمن يموت شاباً، فإنّ المؤمن الذي يموت شاباً لا يكون متّصفاً بأنّه من أهل الجنّة إلّا مجازاً أي بلحاظ الأوّل، فلاّنّ مآله سينتهي بالجنّة لذلك يوصف مجازاً بأنّه من أهل الجنّة، فوصفه بأنّه من أهل الجنّة خلاف الأصل وخلاف الظاهر إلّا مع قيام القرينة على إرادة المعنى المجازي. وتعبير آخر: إنّ إضافة اسم أو وصف لشيء ظاهر في أمرين، الأمر الأوّل: هو تعنون ذلك الاسم أو الوصف بالشيء المضاف إليه أي اتّصافه بذلك الشيء المضاف إليه، فحينما يقال: جاء غلام زيد، فإنّ معنى ذلك هو مجيء الغلام المتّصف بأنّه لزيد، فالغلام اتّصف بأنّه لزيد بمقتضى الإضافة. الأمر الثاني: هو فعلية تلبّس الموصوف بتلك الصفة بلحاظ ظرف الإسناد، فحينما يقال غلام زيد فإنّ ظاهره فعلية تلبّس الغلام بوصف أنّه لزيد، فلو لم يكن لزيد ولكنه سيصبح لزيد بعد موت أبيه أو بعد البيع، فإنّ إضافة الغلام لزيد في هذا الفرض يكون خلاف الظاهر، فلا يصار إليه إلّا بقرينة. ثمّ إنّ المراد من فعلية تلبّس الموصوف بالصفة هو الفعلية بلحاظ ظرف أو حال الإسناد سواء كان ظرف الإسناد هو ظرف النطق بالإسناد كما في المثال السابق أو كان ظرف الإسناد مغايراً لظرف النطق بالإسناد فالمدار هو فعلية تلبّس الموصوف بالصفة في حال الإسناد، لذلك حينما يقال: هذا المشفى لعلماء البلد، فإنّ الظاهر من هذه الجملة أنّ هذا المشفى هو للمتلبّسين بوصف علماء البلد حين ارتيادهم للمشفى، فهذا هو معنى فعلية التلبّس بالوصف بلحاظ ظرف الإسناد، فظرف الإسناد هو حين ارتياد المشفى، فإذا كان الرجل متّصفاً بأنّه من علماء البلد في ذلك الظرف فهو ممّن يكون معنياً بقولنا: المشفى لعلماء البلد، أي لو كان حين التلقّف والنطق بالجملة المذكورة ليس من علماء البلد كما لو لم يكن من العلماء أو لم يكن من ذلك البلد ولكنه حين ارتياده للمشفى كان من علماء البلد فإنّه يكون مصداقاً للجملة المذكورة. لأنّ وصف شيء بشيء ظاهر في إرادة فعلية تلبّس ذلك الشيء بالوصف بلحاظ ظرف الإسناد. وبذلك يتّضح أنّ المراد من شباب أهل الجنّة هم المتلبّسون بهذا الوصف بلحاظ ظرف الإسناد، وحيث إنّ ظرف الإسناد هو دخول الجنّة فيصدق هذا العنوان على من مات كهلاً أو شيخاً ولكنه دخل





الجنة شاباً فهو من شباب أهل الجنة، فيكون الحسن والحسين عليهما السلام سيّداً لأنه من شباب أهل الجنة. ويؤيد ظهور الحديث الشريف في إرادة فعلية التلبس بوصف أنّهم من شباب أهل الجنة في ظرف دخول الجنة أنّ الحديث ظاهر في أنّ الإمامين شابان، لأنّ ذلك هو المناسب لاعتبارهما سيّدا شباب أهل الجنة، فكما أنّه حين يقال: زيد زين الشباب أو سيّد الشباب وهند سيّدة الفتيات أنّ زيدا شابّ وأنّ هندا فتاة، فكما أنّ ذلك هو الظاهر من المثالين فكذلك قوله عليه السلام: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة» فإنّه ظاهر في أنّ الحسن والحسين عليهما السلام شابان، فلو كان الوصف بلحاظ ظرف النطق بالحديث لكان إطلاق الشابين على الحسن والحسين غير صادق لأنّهما حين النطق بالوصف كانا صغيرين دون عمر الشباب بمراتب، وكذلك لو كان الوصف بلحاظ الموت - كما ادّعي - لكان وصف الإمامين بالشابين غير صادق، فالإمام الحسن عليه السلام استشهد بعد أن شارف على الخمسين والإمام الحسين عليه السلام استشهد وعمره الشريف قد تجاوز الخامسة والخمسين على أقلّ الروايات. ومن ذلك يتبيّن جليّاً أنّ وصفهما بالشابين إنّما كان بلحاظ ظرف الإسناد وهو دخول الجنة وليس بلحاظ ظرف النطق بالحديث ولا بلحاظ ظرف الموت وهما في ظرف الإسناد شابان حقيقة. وممّا ذكرناه يتّضح أن المراد من الحديث الشريف أنّ الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام سيّدان لكلّ من يكون شاباً في الجنة، ولأنّه ثبت أنّ أهل الجنة كلّهم يكونون في عمر الشباب لذلك يثبت أنّ الحسن والحسين سيّدان لعامة أهل الجنة سواء كانوا شباباً في الدنيا أو كانوا كهولاً أو شيوخاً. وأمّا دعوى أنّ أهل الجنة يكونون جميعاً في عمر الشباب فهي دعوى مسلّمة عند الفريقين، وقد نصّت عليها العديد من الروايات الصحيحة والحسنة: منها: ما أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن سعيد بن المسيّب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «يدخل أهل الجنة الجنة جرّداً مردّاً بيضاً جعاداً مكحليّين أبناء ثلاث وثلاثين». وعلّق الشيخ شعيب الأرناؤوط على سند الرواية بأنّه حسن بطرقه وشواهده (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ٢: ص ٢٩٥، تعليقه شعيب الأرناؤوط) ومنها: ما أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده أيضاً بسنده عن معاذ بن جبل قال: قال نبيّ الله صلى الله عليه وآله: «يبعث المؤمنون يوم القيامة جرّداً مردّاً مكحليّين بني ثلاثين سنة». ورواه





من طريق آخر عن معاذ بن جبل أنه سأل النبي ﷺ أو سمع النبي ﷺ يقول: «يدخل أهل الجنة الجنة جرّاءً مرداً مكحّلين بني ثلاثين أو ثلاث وثلاثين». وعلّق الشيخ شعيب الأرناؤوط على سند الروایتين بأنّ كلّاً منهما حسن لغيره (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ٥: ص ٢٣٢، تعلیقة شعيب الأرناؤوط، ورواه الترمذی في سننه بسنده عن معاذ بن جبل انظر سنن الترمذی ج ٤: ص ٨٨) وعلّق الهیثمی في مجمع الزوائد على رواية أحمد الأخيرة بأنّ اسنادها حسن متّصل ثمّ قال: وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة جرّاءً مرداً مكحّلين». رواه الطبرانی في الأوسط وإسناده جيّد. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة جرّاءً مرداً بيضاً جعداً مكحّلين أبناء ثلاث وثلاثين...»، رواه الطبرانی في الصغير والأوسط وإسناده حسن (انظر مجمع الزوائد للهیثمی ج ١٠: ص ٣٩٨). وقال الزیعلی في تخريج الأحاديث والآثار: الحديث الخامس: عن رسول الله ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة جرّاءً مرداً بيضاً جعداً مكحّلين أبناء ثلاث وثلاثين». قلت: رواه أحمد في مسنده، وابن أبي شيبة في مصنّفه في صفة الجنة، وأبو يعلى الموصلي في مسنده والطبرانی في معجمه الصغير وفي الوسط في حرف الميم، والبيهقي في البعث والنشور عن يزيد بن هارون وعفّان قال: حدّثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيّب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة جرّاءً بيضاً جعداً مكحّلين أبناء ثلاث وثلاثين...» انتهى. ورواه الثعلبي بهذا الإسناد ومن طريقه البغوي، قال ابن حاتم في علله: قال أبي ورواه أبو سلمة عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيّب عن النبي ﷺ، قال: وكلاهما صحيحان (انظر تخريج الأحاديث والآثار للزیعلی ج ٣: ص ٤٠٨). وقال الألباني في السلسلة الصحيحة تعلیقاً على ما وصفه بحسنه الترمذی: «يدخل أهل الجنة الجنة جرّاءً مرداً بيضاً جعداً مكحّلين أبناء ثلاث وثلاثين». قال: وهو صحيح بمجموع طرقه وشواهده (انظر السلسلة الصحيحة للألباني ج ٦: ص ٤٨٦). ووصفه بالصحيح في كتابه صحيح وضعيف الجامع الصغير (انظر صحيح وضعيف الجامع الصغير للألباني ج ٢٩: ص ٣٢). ووصفه بالصحة أيضاً في كتابه صحيح الجامع الصغير (انظر صحيح الجامع الصغير للألباني ج ١: ص ١٠) ←

وأحد من ذهب به الرسول ﷺ إلى المباهلة^(١)،



ص ٣٧٠). ومنها: ما رواه الترمذي في الشمائل المحمّدية بسنده عن الحسن قال: أتت عجوز إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يدخلني الجنة. فقال: «يا أمّ فلان! إنّ الجنة لا تدخلها عجوز»، قال: فوكت تبكي. فقال: أخبروها أنّها لا تدخلها وهي عجوز، إنّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * غُرُبًا أَتْرَابًا﴾ (سورة الواقعة: ٣٥-٣٧) (انظر الشمائل المحمّدية للترمذي: ص ١٣١). وعلّق الألباني على سند الحديث في كتابه مختصر الشمائل بأنّه حسن (انظر مختصر الشمائل المحمّدية للترمذي ج ١: ص ١٢٨). وهناك روايات أخرى لم نذكرها رعاية للاختصار فنكتفي بهذا المقدار.

(١) لا يخفى أنّ واقعة المباهلة من الحوادث التي وقعت في صدر الإسلام، وهي من قضايا المعروفة المتواترة في التاريخ الإسلامي والتي جاء ذكرها في كتب التفسير والتاريخ والحديث. وتعتبر من علامات أحقية دعوة رسول الله ﷺ، كما تدلّ على أفضلية أهل بيته ﷺ الذين سطّحهم النبي ﷺ معه في المباهلة، وهم: الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء ﷺ والإمام الحسن ﷺ والإمام الحسين ﷺ. وقد اختارهم الله لكرامتهم، وأعدّهم لهداية أمّته من بعد نبيه ﷺ. وكانت هذه الواقعة في يوم الخامس والعشرين من شهر ذي الحجة في السنة السادسة من الهجرة، وتلخّص هذه القصة فيما يلي: فقد كتب رسول الله ﷺ - يوم راسل ملوك العالم وامراء يدعوهم إلى الإسلام - كتاباً إلى أسقف نجران "أبو حارثة" ودعا فيه أهل نجران إلى الإسلام. ونجران أحد المناطق الحدودية بين الحجاز واليمن، وكانت هذه المنطقة في مطلع ظهور الإسلام المنطقة الوحيدة التي غادر أهلها الوثنية لأسباب معينة واعتنقوا المسيحية من بين مناطق الحجاز (انظر معجم البلدان للياقوت الحموي ج ٥: ص ٢٦٦-٢٧٧). ولما تسلّم أبو حارثة كتاب رسول الله ﷺ شاور جماعة من أصحابه، فأشاروا عليه بأن يبعثوا وفداً يمثلون أهل نجران إلى المدينة، ليتفاوضوا مع رسول الله ﷺ فاختير لهذه المهمة ستون شخصاً من أعلم أهل نجران وأعقلهم، وكان علي





رأسهم ثلاثة أشخاص من أساقفتهم هم: أبو حارثة بن علقمة أسقف نجران الأعظم والممثل الرسمي للكنائس الرومية في الحجاز. وعبد المسيح رئيس وفد نجران المعروف بعقله ودهائه، وتديره. والأيهم الذي كان من ذوي السن ومن الشخصيات المحترمة عند أهل نجران. فقدم هذا الوفد المسيحي المدينة ودخلوا المسجد على رسول الله ﷺ وهم يلبسون أزياءهم الكنسية ويرتدون الديباج والحريز، ويلبسون خواتيم الذهب ويحملون الصلبان في أعناقهم، فأزعج منظرهم هذا وخاصة في المسجد رسول الله ﷺ فسلموا على النبي ﷺ فردّ النبي ﷺ عليهم السلام واحترمهم، وقبل بعض هداياهم التي أهدوها إليه ﷺ، وقبل أن يبدءوا بمفاوضاتهم مع النبي ﷺ، قالوا: قد حان وقت صلاتنا فستأذنوا من النبي ﷺ لأدائها، فأذن لهم النبي ﷺ، وقال ﷺ للمسلمين: دعوهم، فاستقبلوا المشرق، فصلّوا صلاتهم (انظر السيرة الحلبية ج ٣: ص ٢١٢). وبذلك أعطى النبي الأكرم ﷺ درساً في التسامح الديني مع الأديان السماوية ليعرف كل أحد بأن الحرية في أتباع العقيدة من الأمور اللازمة في الإسلام. ثم بدأت المفاوضات بين وفد نجران المسيحي ورسول الله ﷺ، وقد نقل جمع من كتاب السيرة والمحدثين الإسلاميين نصّ الحوار، غير أنّ نقل جميع تفاصيل هذه الواقعة التاريخية الكبرى أمر خارج عن نطاق هذا الكتاب، ولهذا فأننا نكتفي بنقل جانب من هذا الحوار الذي نقله رواه الحلبي في سيرته، إليك ملخصه: فقد عرض رسول الله ﷺ على وفد نجران قبول الإسلام، وتلا عليهم القرآن، فامتنعوا وقالوا: قد كنّا مسلمين قبلك فقال رسول الله ﷺ: «كذبتم، يمنعكم من الإسلام ثلاث: عبادتكم الصليب، وأكلكم لحم الخنزير، وزعمكم أنّ الله ولدًا»، فقالوا: المسيح هو الله لأنّه أحيا الموتى، وأخبر عن الغيوب، وأبرأ من الأدواء كلّها، وخلق من الطين طيراً. فقال النبي ﷺ: «هو عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم». فقال أحدهم: المسيح ابن الله لأنّه لا أب له. فنزل الوحي بقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (سورة آل عمران: ٥٩). فأقام رسول الله ﷺ عليهم الحجّة فلم يقبلوا، فقال وفد نجران: إنّنا لا نزداد منك في أمر صاحبنا إلّا تبايناً، وهذا الأمر الذي لا نقرّه لك، فطلبوا من النبي ﷺ المباحلة أمام الله على





أن يجعلوا لعنة الله الخالدة وعذابه المعجل على الكاذبين. ولقد سجل القرآن الكريم هذا الحادث العظيم في تاريخ الرسالة الإسلامية بآية المباهلة، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (سورة آل عمران: ٦١). فدعاهم رسول الله ﷺ إلى المباهلة، فاتفق الطرفان على أن يحسموا الأمر بالمباهلة، وقرروا أن يستعدوا جميعاً للمباهلة في اليوم التالي خارج المدينة في الصحراء، فلما رجع وفد نجران إلى رحالهم قال لهم الأسقف: انظروا محمداً في غد فإن غداً بولده وأهله فاحذروا مباہلته، وإن غداً بأصحابه فباهلوه فإنه على غير شيء (السيرة الحلبية ج ٣: ص ٢٣٩). فلما كان الغد خرج رسول الله ﷺ في ذلك اليوم مع ابنته الزهراء ع، وصهره الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع، وسبطيه الحسن والحسين ع، إلى الصحراء للمباهلة، فسأل وفد نجران عنهم، فقليل لهم: هذا ابن عمه علي بن أبي طالب ع، وهذه ابنته فاطمة الزهراء ع، وهذان ابناه الحسن والحسين ع، وتقدم رسول الله ﷺ فجثا على ركبتيه. والأغصان الأربعة من شجرته المباركة بوجوه روحانية نيرة فأخذ ينظر بعضهم إلى بعض بتعجب ودهشة، كيف خرج رسول الله ﷺ بأهل بيته ع، وأفلاذ كبده المعصومين ع للمباهلة، فأدركوا أن النبي ﷺ واثق من نفسه ودعوته وثوقاً عميقاً، إذ أن المتردد غير الواثق بدعوته لا يخاطر بأحبابه وأعزته ويعرضهم للبلاء السماوي. قال أبو حارثة الأسقف: جثا والله كما جثا الأنبياء للمباهلة. فيا معشر النصاري إنني لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بهم، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبق على وجه الأرض نصرائي إلى يوم القيامة، ففرقوا فقالوا لرسول الله ﷺ، فقال أبو حارثة: يا أبا القاسم! إننا لا نباهلك ولكن نصالحك فصالحنا على ما ينهض به، فصالحهم رسول الله ﷺ على ألفي حلة من حلال الأواقي قسمة كل حلة أربعون درهماً، فما زاد أو نقص فعلى حساب ذلك أو على عارية ثلاثين درعاً وثلاثين رميً وثلاثين فرساً إن كان باليمن كيد، ورسول الله ﷺ ضامن حتى يؤذيها وكتب لهم بذلك كتاباً... وتقرر أن ينضوي نصاري نجران تحت مظلة الحكومة الإسلامية وهم على دينهم شريطة أن يدفعوا



وأحد من طهرهم الله من الرجس^(١)،



جزية وهي مبلغ ضئيل... (انظر تفسير الفخر الرازي ج ٨: ص ٨١، وفتح القدير للشوكاني ج ١: ص ٣٤٧، وتفسير النيسابوري بهامش تفسير الطبري ج ٣: ص ٢١٤، وتفسير القرطبي ج ٤: ص ١٠٤ وغيرها من التفاسير). ثم يقول الزمخشري في نهاية ذكر هذه الواقعة: وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام، وفيه برهان على صحة نبوة النبي ﷺ، لأنه لم يرو أحد من موافق ولا مخالف أنهم أجابوا إلى ذلك (تفسير الزمخشري ج ١: ص ٤٣٤). فالإمام الحسين عليه السلام أحد أهل البيت عليهم السلام الذين ذهب بهم رسول الله ﷺ إلى المباهلة، والمباهلة من الأدلة الدالة على أفضلية أهل البيت عليهم السلام على من سواهم، وتعتبر هذه الواقعة من علامات أحقية دعوة رسول الله ﷺ، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى آية التطهير، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (سورة الأحزاب: ٣٣)، وبالرغم من أن هذه الآية المباركة وردت ضمن الآيات المتعلقة بنساء النبي ﷺ، إلا أن تغيير سياقها - حيث تبدل ضمير الجمع المؤنث إلى ضمير الجمع المذكّر - دليل على أن لهذه الآية معنى ومحتوى مستقلاً عن تلك الآيات، فلو أراد الله تعالى إبقاء السياق في الكلام مع النساء كما أعرض عن ضمير التأنيث إلى التذكير، فإن ذلك يهدم السياق ويوهّم السامع. فالآية الكريمة مختصة برسول الله ﷺ والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، والإمام الحسن والحسين عليهما السلام، وللتأكيد على هذا المعنى فقد وردت روايات متواترة من الفريقين على أن رسول الله ﷺ جمع أهل بيته عليهم السلام تحت الكساء بعد نزول الآية المباركة، وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس...»، نذكر هنا بعضها من باب المثال، فمنها: ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن عائشة قالت: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحّل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (صحيح مسلم ج ٧: ص ١٣٠)





كتاب الفضائل، باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ). ورواه الفخر الرازي في تفسيره ثم قال: اعلم أنّ هذه الرواية كالمُتَّفَق على صحتها بين أهل التفسير والحديث (انظر تفسير الفخر الرازي ج ٨: ص ٨٥). ومنها: ما رواه الترمذي في سننه بسنده عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي ﷺ قال: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، وفي بيت أم سلمة، فدعا فاطمة وحسناً فجلبهم بكساء وعلى خلف ظهره فجلبه بكساء ثم قال: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَأُذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا»، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: «أنت على مكانك وأنت على خير» (سنن الترمذي ج ٥: ص ٣١). ومنها: ما رواه الحاكم في مستدرك الصحيحين، بسنده عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عن أبيه قال: لَمَّا نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الرَّحْمَةِ هَابِطَةً قَالَ: «ادْعُوا لِي، ادْعُوا لِي»، فقالت صفية: من يا رسول الله؟ قال: «أهل بيتي علياً وفاطمة والحسن والحسين»، فجئى بهم فألقى عليهم النبي ﷺ كساءه، ثم رفع يديه ثم قال: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ آلِي فَصْلٍ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ»، وأنزل الله عز وجل ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد (المستدرك على الصحيحين ج ٣: ص ١٤٨). ومنها: ما رواه السيوطي في تفسير الآية الشريفة قائلًا: وأخرج ابن أبي شيبة، وأحمد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه، والبيهقي في سننه عن واثلة بن الأسقع، قال: جاء رسول الله ﷺ إلى فاطمة ؓ، ومعه الحسن والحسين وعلي ؓ حتى دخل، فأدنى علياً وفاطمة وأجلسهما بين يديه، وأجلس حسناً وحسناً كل واحد منها على فخذه، ثم لفّ عليهم ثوباً ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، وقال: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي، اللَّهُمَّ أُذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا» (الدر المنثور ج ٥: ص ١٩٩). وهناك روايات كثيرة بهذه المضامين رواها كبار أهل السنة، لم نذكرها رعاية للاختصار. ثم ذكر المحدثون أنّه عندما نزلت الآية الشريفة: بقي رسول الله ﷺ ستة أشهر بعد نزول هذه الآية ينادي عند مروره من جانب بيت فاطمة ؓ وهو ذاهب إلى صلاة الصبح: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ





عَنْكُمْ الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» (سورة الأحزاب: ٣٣). فقد أخرج أحمد ابن حنبل في مسنده بسنده عن أنس بن مالك أنَّ رسول الله ﷺ كان يمرّ بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول: «الصلاة يا أهل البيت، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾» (مسند أحمد بن حنبل ج ٣: ص ٢٨٥)، ورواه الترمذي في سننه ج ٥: ص ٣١، والحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين ج ٣: ص ١٥٨، وابن كثير في تفسيره ج ٣: ص ٤٩٢ وغيرهم. وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في تفسير الآية. ويستفاد من الآية الكريمة والروايات الواردة في تفسيرها عدة أمور، الأمر الأول: إنَّ التعبير بـ"إنَّما" يدلُّ على الحصر وهذا دليل على أنَّ هذه المنقبة خاصّة بأهل بيت النبي ﷺ. الأمر الثاني: أنَّ كلمة "يريد" إشارة إلى إرادة الله التكوينية، وإلَّا فَإِنَّ الإرادة التشريعية لا تنحصر بأهل بيت النبي ﷺ، لأنَّ كلَّ الناس مكلفون بأن يتطهروا أنفسهم من القذارة الظاهرية أو من القذارة الباطنية كأن يتطهروا أنفسهم من كلِّ ذنب ومعصية. الأمر الثالث: أنَّ لفظة الرجس تعني الشيء القذر، سواء كان نجساً وقذراً من ناحية طبع الإنسان أو بحكم العقل أو الشرع أو جميعها، وما ورد في بعض الأحيان من تفسير الرجس بالذنب أو الشرك أو البخل والحسد، أو الاعتقاد بالباطل وأمثال ذلك، فإنَّه في الحقيقة بيان لمصاديقه، وإلَّا فَإِنَّ مفهوم هذه الكلمة عامٌّ وشامل لكلِّ أنواع الرجس والقذر، وهذا يعني أنَّ الله تعالى طهر أهل البيت ﷺ من كلِّ ذلك. الأمر الرابع: أنَّ كلمة التطهير مفعول مطلق يدلُّ على منتهى الطهارة، يعني إزالة النجس، هو تأكيد على مسألة إذهاب الرجس عن أهل البيت ﷺ، والنتيجة أنَّ هذه الآية والروايات من دون شكٍّ وترديد تثبت عصمة أهل البيت ﷺ الذين جمعهم رسول الله ﷺ تحت الكساء لا غيرهم، فالإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام أحد هذه الأنوار الساطعة الذين أذهب الله عنهم الرجس طهرهم الله تطهيراً. فمن الطبيعي أن يتغيّر الكون والمكان من شهادته ويصدر من عجيب البليات والطاقات في عالم السماوات والأرض، لشدة مصيبتهم وأعظميَّتها من عامّة المصائب وشدة مظلوميَّته، فلاحظ.

ومن الذين من لم يحبهم لم يدخل في قلبه إيمان^(١)،

(١) هذه العبارة إشارة إلى الروايات المتواترة التي رواها علماء الإسلام عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يدخل الإيمان في قلب أحد حتى يحب أهل البيت ﷺ لله ولقرباتهم من رسول الله ﷺ»، فقد روى كبار أهل السنة هذه الروايات بأسناد صحيحة في كتبهم، منهم: الترمذي في سننه بسنده عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب أن العباس ابن عبد المطلب دخل على رسول الله ﷺ مغضباً وأنا عنده، فقال: «ما أغضبك؟» قال: يا رسول الله ما لنا ولقريش؟ إذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مبشرة، وإذا لقونا لقونا بغير ذلك، قال: «فغضب رسول الله ﷺ حتى احمر وجهه»، ثم قال: «والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم الله ولرسوله»، ثم قال: «يا أيها الناس من آذى عمي فقد آذاني، فإنما عم الرجل صنو أبيه»، قال: هذا حديث حسن صحيح (سنن الترمذي ج ٥: ص ٣١٨). ومنهم الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين بسنده عن عبد الله بن عباس قال: أن رسول الله ﷺ، قال: «يا بني عبد المطلب، إنني سألت الله لكم ثلاثاً: أن يثبت قائمكم، وأن يهدي ضالكم، وأن يعلم جاهلكم، وسألت الله أن يجعلكم جوداء نجداء رحماء، فلو أن رجلاً صنف بين الركن والمقام فصلّى، وصام ثم لقي الله وهو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار»، هذا حديث حسن صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه (المستدرک على الصحيحين ج ٣: ص ١٤٩). ومنهم ابن أبي عاصم في كتابه السنة بسنده عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا بني عبد المطلب إنني سألت الله لكم ثلاثاً أن يثبت قائمكم ويهدي ضالكم وأن يعلم جاهلكم وأن يجعلكم جوداً مجداً رحماء، فلو أن رجلاً صف بين الركن والمقام، فصلّى وقام ثم لقي الله عز وجل وهو ينقص أهل بيت محمد دخل النار» (كتاب السنة لابن أبي عاصم ج ٢: ص ٦٤٢). منهم: الطبراني في كتابه المعجم الكبير بسنده عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا بني عبد المطلب إنني سألت الله لكم ثلاثاً: سألته أن يثبت قائمكم، ويعلم جاهلكم، ويهدي ضالكم، وسألته أن يجعلكم جوداء نجداء رحماء، فلو أن رجلاً صنف بين الركن والمقام وصلّى وصام، ثم مات وهو مبغض لأهل بيت محمد ﷺ ورضي



عنهم دخل النار» (المعجم الكبير ج ١: ص ١٧٦). ومنهم الفاكهي في كتابه أخبار مكة في قديم الدهر بسنده عن ابن عباس عن النبي ﷺ، أنه قال: «يا بني عبد المطلب، إني سألت الله عز وجل لكم ثلاثاً: أن يثبت قائمكم، وأن يهدي ضالكم، وأن يعلم جاهلكم، وسألته أن يجعلكم جوداً نجداً رحماً، ولو أن رجلاً صنف بين الركن، والمقام وصلى وصام، ثم لقي الله تعالى وهو مبغض لأهل بيت محمد ﷺ دخل النار». وقال الشاعر يذكر الصفون: لزم الصفون فما يزال كأنه *** مما يقوم على الثلاث كسيرا (أخبار مكة في قديم الدهر ج ١: ص ٤٧٠). ومنهم: محب الدين الطبري بسنده عن ابن عباس، قال: إنَّ العباس قال لرسول الله ﷺ: إنا لنخرج فرى قريشاً تتحدث، فإذا رأونا سكتوا، فغضب رسول الله ﷺ ودرّ عرق الغضب بين عينيه، ثم قال: «والله لا يدخل قلب امرئ إيمان حتى يحبكم الله ولقرايتي». أخرجه أحمد (ذخائر العقبى ج ١: ص ٩). وإلى غير ذلك من الروايات. والمستفاد منها أنَّ شرائط الإيمان بالله ورسوله ﷺ حبَّ أهل البيت ﷺ ومودتهم ﷺ، ومعناه أنَّ من لا يحب أهل البيت ﷺ فلا دين له، فإنَّ محبتهم ﷺ والبراءة من أعدائهم أساس الدين، ولا يخفى على الخبير أنَّ البراءة من أعدائهم مقدَّم على حبهم ﷺ، ولهذا ركزت عليها، لأنَّه لا يكون الولاء والحبَّ إلا بعد البراءة الصحيحة، ولذلك قال الله عز وجل: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ (سورة البقرة: ٢٥٦). فقدَّم سبحانه وتعالى الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله، إذ لا يستقيم إيمان بالله إلا بعد كفر بالطاغوت، فالذي عنده بقايا من الكفر بالطاغوت لا يؤمن بالله حقَّ إيمانه، فيبدأ بتطهير قلبه أولاً من الإيمان بالطاغوت كمثّل الإناء، فإذا كان في قعر الإناء بقايا من طين فصبت فيه الماء الزلال تعكر الماء كله، كذلك إذا كان في القلب بقايا من الإيمان بالطاغوت فصبت فيه الإيمان بالله تعكر الإيمان كله، فلا يسلم لك إيمانك إلا إذا كان القلب نقياً من الكفر بالطاغوت. ولهذا قال المفسرون في تفسير الآية الكريمة: قدَّم الله الكفر بالطاغوت على الإيمان به، لأنَّه لا بدَّ من التخلية قبل التحلية. فإنَّ الطاغوت صيغة مبالغة من طغيان بمعنى الاعتداء وتجاوز الحدود، ويطلق على كلِّ ما يتجاوز الحدَّ. لذلك فالطاغوت هو الشيطان والصنم





والمعتدي والحاكم الجبار والمتكبر وكل معبود غير الله وكل طريق لا ينتهي إلى الله. وهذه الكلمة تعني المفرد وتعني الجمع.

وأما الروايات فقد نقل العلامة المجلسي رحمته الله في البحار عن كتاب أنس العالم للصفواني قال: إن رجلاً قدم على أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين إنني أحبك وأحبّ فلاناً، وسمي بعض أعدائه، فقال عليه السلام: «أما الآن فأنت أعور، فإما أن تعمى وإما أن تبصر» (بحار الأنوار ج ٢٧: ص ٥٨). وفي حديث آخر وقيل للإمام الصادق عليه السلام: إن فلاناً يواليكم إلا أنه يضعف عن البراءة من عدوكم، فقال عليه السلام: «هيهات، كذب من ادعى محبتنا ولم يتبرأ من عدونا» (بحار الأنوار ج ٢٧: ص ٥٨). وهذه القضية ليست مختصة بالشيعة، فإن كتب أهل السنة مليئة بذكر أمثال هذه الروايات، فقد روى مسلم في صحيحه بسنده عن عدي ابن ثابت عن زر قال: قال علي: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وآله إليّ أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق» (صحيح مسلم ج ١: ص ٦١ كتاب الإيمان، باب حب الأنصار والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من الإيمان وعلاماته). وروى أبو يعلى الموصلي في مسنده بسنده عن فضيل عن أبي نصر عن مساور الحميري عن أمه عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لا يحبّ علياً منافق ولا يبغضه مؤمن» (مسند أبي يعلى الموصلي ج ١٢: ص ٣٦٢). وروى الطبراني في معجمه الأوسط بسنده عن ابن عباس قال: نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى علي فقال: «لا يحبّك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق، من أحبّك فقد أحبّني ومن أبغضك فقد أبغضني، وحيبي حبيب الله وبغضي قبل بغض الله، ويل لمن أبغضك بعدي» (انظر المعجم الأوسط ج ٥: ص ٨٧). وروى ابن حجر في الإصابة عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: «لقد عهد إليّ النبي صلى الله عليه وآله أن لا يحبّك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق». وأخرج الترمذي بإسناد قوي عن عمران بن حصين في قصة قال فيها: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما تريدون من علي؟ إنّ علياً مني وأنا من عليّ وهو ولي كل مؤمن بعدي» (انظر الإصابة في تمييز الصحابة ج ٤: ص ٤٦٨). وروى ابن عقيل في النصائح الكافية بسنده عن بن خالويه في كتاب الآل عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي: «حبك إيمان وبغضك نفاق، وأول من يدخل الجنة محبك





وأول من يدخل النار مبغضك» (النصائح الكافية: ص ٩٢). وقد شاعت هذه الأحاديث عند الصحابة وهم يطبقونها على من أحب الإمام عليه السلام فوصفوه بالإيمان وعلى من أبغضه بالنفاق. يقول الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري: ما كنّا نعرف المنافقين إلّا بتكذيبهم الله ورسوله والتخلف عن الصلوات والبغض لعليّ بن أبي طالب (انظر المستدرک على الصحيحين ج ٣: ص ١٢٩). وقال الصحابي الكبير جابر بن عبد الله الأنصاري: ما كنّا نعرف المنافقين إلّا ببغض عليّ بن أبي طالب عليه السلام (انظر الاستيعاب لابن عبد البر ج ٣: ص ١١١٠). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام وهي متواترة. إذن أنّ الإمام الحسين عليه السلام من الذين من لم يحبهم لم يدخل الإيمان في قلبه، بل وأنّ الإيمان الحقيقي يقتضي أولاً البرائة من أعدائه عليه السلام ثمّ المولات ولزوم المحبة والمودة في القلب، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى أحد المواصفات الشرعية للإمام الحقّ، وقد ورد عن مولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام في تبين هذه الحقيقة من بيان صفات الإمام الشرعي والحاكم الصالح لقيادة المسلمين وتدير أمورهم الدينية والدنيوية والذي تجب طاعته شرعاً. في كلام رفيع للإمام الحسين عليه السلام، وهو قوله عليه السلام في رسالة أرسلها إلى أهل الكوفة قائلاً: «فلعمري ما الإمام إلّا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحقّ، الحابس نفسه على ذات الله» (انظر تاريخ ابن خلدون ج ٣: ص ٢٢، والفتوح لابن أعثم الكوفي ج ٥: ص ٣٥، ومقتل الإمام الحسين عليه السلام للخوارزمي ج ١: ص ١٩٥، والإرشاد للشيخ المفيد رحمته الله ج ٢: ص ٣٩). فهذا الكلام الرفيع صدر من مولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام عندما عرف الناس في مختلف الأقطار امتناع الإمام الحسين عليه السلام عن البيعة مع يزيد، فاتّجهت إليه الأنظار وبخاصّة أهل الكوفة، فقد كانوا يومذاك من أشدّ الناس نقمة على يزيد وأكثرهم ميلاً إلى الإمام عليه السلام، فاجتمعوا في دار سليمان بن صرد الخزاعي، فقام فيهم خطيباً فقال: إنّ معاوية قد هلك، وإنّ حسيناً قد تقبّض على القوم ببيعته، وقد خرج إلى مكّة، وأنتم

←



شيعة وشيعة أبيه، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهد وعدوه، فاكتبوا إليه وأعلموه، وإن خفتم الفشل والوهن فلا تغرّوا الرجل في نفسه، قالوا: لا، بل نقاتل عدوه ونقتل أنفسنا دونه. قال: فاكتبوا إليه، فكتبوا إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن علي عليه السلام من سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شدّاد البجلي وحبيب بن مظاهر وشيعة من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة، سلام عليك، فإنّا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أمّا بعد، فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد، الذي انتزى على هذه الأمة فابتزّها أمرها، وغصبها فيئها، وتأمّر عليها بغير رضى منها، ثمّ قتل خيارها واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبايرتها وأغنيائها، فبعداً له كما بعدت ثمود، إنّه ليس علينا إمام غيرك، فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحقّ، وإنّ النعمان بن بشير في قصر الإمارة، وأنّا لم نجتمع معه في جمعة ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنّك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتّى نلحقه بالشام إن شاء الله تعالى. ثمّ سرّحوا بالكتاب مع عبد الله بن مسمع الهمداني وعبد الله بن وال وأمرهما بالنجاء، فخرجا مسرعين حتّى قدما على الإمام الحسين عليه السلام بمكة لعشر مضين من شهر رمضان، ولبت أهل الكوفة يومين بعد تسريحهم بالكتاب، وأنفذوا قيس بن مسهر الصيدائي وعبد الله وعبد الرحمن ابني شدّاد الأرحبي وعمارة بن عبد السلولي إلى الإمام الحسين عليه السلام ومعهم نحو من مائة وخمسين صحيفة من الرجل والاثنين والأربعة، ثمّ لبثوا يومين آخرين وسرّحوا إليه هاني بن هاني السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي، وكتبوا إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن علي عليه السلام من شيعة من المؤمنين والمسلمين. أمّا بعد، فإنّ الناس ينتظرونك، لا رأي لهم غيرك، فالعجل العجل، ثمّ العجل العجل، والسلام. ثمّ كتب شيب بن ربيعي وحجّار بن أبجر ويزيد بن الحارث بن رويم وعروة بن قيس وعمرو بن الحجّاج الزبيدي ومحمّد بن عمير التميمي. أمّا بعد، فقد اخضرّ الجناح وأينعت الثمار، فإذا شئت فأقدم على جندك مجنّدة، والسلام (انظر تاريخ الطبري ج ٤: ص ٢٦٢، وتذكرة الخواص لابن الجوزي: ص ٢١٣، والفتوح لابن أعثم ج ٥: ص ٣٣، ومقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ج ١: ص ١٩٥، الإرشاد للشيخ المفيد رحمته الله ج ٢: ص ٣٨، وروضة الواعظين للفتال النيسابوري: ص ١٧١).





وأجاب الإمام الحسين جواب الإمام عليه السلام على رسائل الكوفيين التي تابعت من الكوفة كالسيل إلى مولانا أبي عبد الله الإمام الحسين عليه السلام وهي تدعوه إلى المسير والقدوم إليهم لإنقاذهم من ظلم الأمويين وبطشهم، وكانت بعض تلك الرسائل تحملته المسؤولية أمام الله والأمة إن تأخر عن إجابتهم، ورأي الإمام عليه السلام - قبل كل شيء - أن يختار للقيام سفيراً له يعرفه باتجاهاتهم وصدق نيّاتهم، وقد اختار ثقته وكبير أهل بيته مسلم بن عقيل عليه السلام، وهو من أمهر الساسة وأكثرهم قدرة على مواجهة الظروف الصعبة والصمود أمام الأحداث الجسام، وزوّده برسالة، وهي كما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن عليّ إلى الملاء من المؤمنين والمسلمين. أمّا بعد، فإنّ هانئاً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليّ من رسلكم، وقد فهمت كلّ الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلّكم: أنّه ليس علينا إمام، فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحقّ والهدى، وإنّي باعث إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل، فإن كتب إليّ أنّه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الحجب والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم، وقرأت في كتبكم، فإنّي أقدم إليكم وشيكاً إن شاء الله، فلعمري ما الإمام إلّا الحاكم بالكتاب القائم بالقسط الدائن بدين الحقّ الحابس نفسه على ذات الله، والسلام» (انظر تاريخ ابن خلدون ج ٣: ص ٢٢، والفتوح لابن أعثم الكوفي ج ٥: ص ٣٥، ومقتل الإمام الحسين عليه السلام للخوارزمي ج ١: ص ١٩٥، والإرشاد للشيخ المفيد رحمته الله ج ٢: ص ٣٩).

وهنا يجب الوقوف المعرفي والمتفحص للتأسيس على ما بيّن الإمام الحسين عليه السلام. من مواصفات صالحة وحكيمة لشخص الإمام الحاكم بشكل عام، والاستناد في حكم الأمة إلى دستور سديد مثل كتاب الله العزيز القرآن الكريم الذي يعطي للحاكم ودولته مشروعية ورسمية في تدبير وإدارة أمور المسلمين دينياً ودنيوياً. فضلاً عن منحهم الثقة بالدين والمنهج القرآني إن تمّ الاعتماد عليه عملياً وتنظيرياً. وهذا ما ستوفّر عليه دولة الإمام المهدي عليه السلام في المستقبل الموعود، فدستورها سيكون القرآن الحكيم وحاكمها به الإمام المهدي عليه السلام وبإذن الله تعالى. والحكم بالكتاب ومنه القرآن الكريم ومن قبل





النبي ﷺ أو الإمام كدستور للناس أجمعين هو حقيقة قرآنية أكدتها النصوص الشريفة في مواضع متعددة من القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (سورة البقرة: ٢١٣). ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ (سورة النساء: ١٠٥)، والمقصود بالكتاب هنا: القرآن الكريم كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمَنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (سورة المائدة: ٤٨). وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ (سورة الأعراف: ١٧٠)، أي: والذين يتمسكون بالكتاب وهو القرآن الكريم هنا ويعملون بما فيه من العقائد والأحكام ويحافظون على الصلاة بحدودها، ولا يضيعون أوقاتها، فإن الله يشبههم على أعمالهم الصالحة ولا يضيعها. فهذه الآية الشريفة أكدت على لزوم التمسك الفعلي بجوهر القرآن الكريم والحكم به حياتياً بين الناس والمحافظة على الصلاة الواجبة. وهذان العنصران: عنصر التمسك بالكتاب وإقامة الصلاة، هما وقود التغيير في الذات والمجتمع وإصلاحه وهما أيضاً مطلباً للإمام المهدي ﷺ في حركته وظهوره وقيامه الشريف. كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا...﴾ (سورة الحج: ٤١). وبينه الإمام الحسين عليه السلام من قبل في توصيفه لماهية الإمام الحق الحاكم بالكتاب، وذلك قوله الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة النحل: ٦٤)، أي: وما أنزلنا عليك القرآن الكريم أيها الرسول الأكرم محمد ﷺ إلا لتوضح للناس ما اختلفوا فيه من الدين





والأحكام ولتقوم الحجة عليهم ببيانك ورشداً ورحمة لقوم يؤمنون. وقال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (سورة النحل: ٨٩). وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (سورة الحديد: ٢٥)، أي: لقد أرسلنا رسلنا بالحجج الواضحات، وأنزلنا معهم الكتاب بالأحكام والشرائع، وأنزلنا الميزان، ليتعامل الناس بينهم بالعدل، وأنزلنا لهم الحديد، فيه قوة شديدة. وهنا يكون المعنى كناية عن القوة التنفيذية التي يجب توافرها في كيان الدولة العادلة والحاكمة بالكتاب. ومنافع للناس متعددة، أي: ومنها تمكين الدولة العادلة من بسط نفوذها الحق وبالقوة التنفيذية العادلة والإجرائية فضلاً عن المنافع الأخرى، وليعلم الله علماً ظاهراً للخلق من ينصر دينه ورسله بالغيب. إن الله قوي لا يقهر، عزيز لا يغالب. وهذه الآية الشريفة توفرت هي الأخرى على العنصرين المركزيين في ماهية الإمام المعصوم عليه السلام وهما: الحكم بالكتاب والقيام بالقسط. وهما أيضاً مما أكد عليهما الإمام الحسين عليه السلام في نصوصه الشريفة في نهضته الخالدة. وهذان أيضاً وصفان نعتقد يقيناً بتوفرهما في هوية الإمام المهدي عليه السلام وقيامه الشريف. فالروايات أكدت بخصوص ظهور وقيام الإمام المهدي عليه السلام بأنه عليه السلام سيعيد العمل بالكتاب ويقوم بالقسط. وقد روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «والله لكأني أنظر إليه بين الركن والمقام يبايع الناس على كتاب جديد (القرآن الكريم)، على العرب شديد» (انظر الغيبة النعماني: ص ٢٠٠). أي: بمعنى أنه عليه السلام سيعيد الحكم بالكتاب وكأنه جديد في هويته وجوهره الذي هجره الناس ملياً فكان عليهم شديداً، وقد صرحت الروايات الصحيحة بأن القائم بالقسط هو الإمام عليه السلام بصورة عامة وإمامنا المهدي عليه السلام أبرز مصاديق القائمين بالقسط في وقتنا وقت الغيبة الكبرى وفي وقت ظهوره وقيامه بالحق. فقد ورد في تفسير العياشي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال حينما سئل عن معنى قوله تعالى ﴿وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ...﴾ قال عليه السلام: «هم الأنبياء





والأوصياء وهم قيام بالقسط والعدل في الظاهر» (تفسير العياشي ج ١: ص ١٦٦). وعن مرزبان القمي، قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قوله تعالى ﴿وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ...﴾ قال عليه السلام: «هو الإمام» (انظر بحار الأنوار ج ٢٣: ص ٢٠٤). وإن تأكيد الإمام الحسين عليه السلام على مفردة القائم بالقسط لهو أمر في غاية الأهمية والحكمة في تأسيس الدولة ويسط نفوذها على المسلمين. والأمر الأهم من ذلك هو أن يكون دين الحاكم دين الحق لا الباطل وأن يعمل لله تعالى لا أن يؤسس لذاته ولشهواته الدنيوية وتاركاً مصالح وصالح المسلمين خلف ذاته والقارئ اللبيب في قرآنه، لهذا النص يذعن لحقائنية ومشروعية الإمام الحسين عليه السلام ومدى التزامه بضرورة توفر الأهلية والشرعية في شخص الحاكم للمسلمين وعدم السماح للظالمين من التسلط على رعايهم. فالعمل والحكم بكتاب الله تعالى واجب شرعي واتباع منهج العدل والقسط في التعاطي مع أمور المسلمين وتديبرهم هو مطلب عقلائي وقرآني مركزي وحيوي. إن كل تلك المراكز الشرعية والعقلانية من ضرورة الحفاظ على العمل بكتاب الله والسير على منهج العدل والمساواة بين الناس وعدم ظلمهم جعلت الحسين عليه السلام يتحرك سريعاً لمعالجة الموقف آنذاك. فإصراره عليه السلام في رفض بيعة يزيد وبقوة هو لأجل عدم إعطاؤه الصفة الشرعية والقانونية في حكمه للمسلمين. ولذا أبلغ عليه السلام والي المدينة الوليد بن عتبة قائلاً له وبصورة نهائية: «أيها الأمير إننا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله»، أي فتح بنو محمد عليه السلام وبإمامة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وبنيه المعصومين عليهم السلام «وبنا ختم الله»، أي بإمامة المهدي عليه السلام خاتم الأئمة المعصومين عليهم السلام ختم الله. «ويزيد الفاسق فاجر شارب الخمر قاتل النفس المحترمة معلن بالفسق والفجور ومثلي لا يبيع مثله» (انظر الفتوح لابن أعثم ج ٥: ص ١٤). قوله عليه السلام: «ومثلي لا يبيع مثله»، هي مقولة مقدسة، تختزل في عمقها وواقعها القيمي المبدأ الحق والمائز التشريعي والشخصي بين المعصوم وغيره. وهي تشكل نقطة التقاء ونظام في هويتي الإمام الحسين عليه السلام والإمام المهدي عليه السلام، فكلاهما لم يكن في عنقهما بيعة لأحد. كما حصل مع الإمام الحسين عليه السلام في رفضه القاطع لمبايعة الطاغية الظالم يزيد عليه اللعنة. وكذلك



فإحدى الطامات نهبهم رحله بعد قتله وهو رحل النبوة^(١)،



سيكون الحال مع إمامنا المهدي عليه السلام، فإنه سيخرج وليس عنقه بيعة لأحد. وهذه الحقيقة أكّدها الروايات بصورة لا تقبل النكران. ففي رواية فعن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال: «يبعث القائم وليس في عنقه بيعة لأحد» (انظر الإمامة والتبصرة لابن بابويه القمي: ص ١١٦). فثبت أن إمام الحسين عليه السلام إمام الخلق في زمانه وسلام على الحسين في العالمين، وعجل الله تعالى فرج إمامنا المهدي عليه السلام.

(١) لقد ذكر المؤرخون والمحدثون أن أتباع بني أمية لم يكتفوا بشهادة مولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام بل بعد قتله، تسابقوا إلى نهب بيوت آل الرسول صلى الله عليه وآله وهتك حرم رسول الله صلى الله عليه وآله، قال الطبري: مال الناس على الورس والحلل والإبل وانتهبوا، قال: ومال الناس على نساء الحسين وثقله ومتاعه فإن كانت المرأة لتنازع ثوبها عن ظهرها حتى تغلب عليه فيذهب به منه... (تاريخ الطبري ج ٤: ص ٣٤٦). قالت فاطمة الصغرى: "كنت واقفة بباب الخيمة وأنا أنظر إلى أبي وأصحابي مجرزين كالأضاحي على الرمال، والخيول على أجسادهم تجول وأنا أفكر فيما يقع علينا بعد أبي من بني أمية، أيقتلونا أو يأسروننا؟ فإذا برجل على ظهر جواده يسوق النساء بكعب رمحه وهنّ يلذن بعضهن ببعض، وقد أخذ ما عليهنّ من أحمر وأسورة، وهنّ يصحن: «وا جداه، وأبتاه وا عليها، وا قلّة ناصره، وا حسناه، أما من مجير يجيرنا؟ أما من ذائد يزود عنا؟» قالت: "فطار فؤادي وارتعدت فرائصي، فجعلت أجيل بطرفي يميناً وشمالاً على عمّتي أمّ كلثوم خشية منه أن يأتيني. فيينا أنا على هذه الحالة وإذا به قد قصدني ففررت منهزماً، وأنا أظنّ أنّي أسلم منه، وإذا به قد تبعني، فذهلت خشية منه وإذا بكعب الرمح بين كتفي، فسقطت على وجهي فخرم أذني وأخذ قرطي ومقنعتي، وترك الدماء تسيل على خدي ورأسي تصهره الشمس، وولّي راجعاً إلى الخيم وأنا مغشي عليّ، وإذا أنا بعمّتي عندي تبكي وهي تقول: «قومي نمضي ما أعلم ما جرى على البنات وأخيك العليل»، فقمّت وقلت: يا عمّته هل من خرقة أستر بها رأسي عن أعين النظّار؟ فقالت: «يا بنتاه وعمّتك مثلك فرأيت رأسها مكشوفة،





ومتنها قد اسودَّ من الضرب، فما رجعنا إلى الخيمة إلا وهي قد نهبت وما فيها، وأخي علي بن الحسين مكبوب على وجهه، لا يطيق الجلوس من كثرة الجوع والعطش والأسقام، فجعلنا نكي عليه ويكي علينا" (بحار الأنوار ج ٤٥: ص ٦٠). وقال ابن أعثم: هجموا إلى خيام الحسين عليه السلام وأشعلوا في خيام ريحانة رسول الله ﷺ وأهل بيته وأصحابه النار، ونهبوا أموالهم وكان نهب المخيم بأمر مباشر من عمر بن سعد (انظر الفتوح لابن أعثم الكوفي ج ٥: ص ١٣٨، واللهوف للسيد بن طاوس: ص ١٨٠). فخرج بنات الرسول ﷺ وقرّة عين الزهراء عليها السلام، حتّى جعلوا يزعون ملحفة المرأة عن ظهرها (انظر بحار الأنوار ج ٤٥: ص ٥٨). روى حميد بن مسلم قال: رأيت امرأة من بكر ابن وائل كانت مع زوجها في أصحاب عمر بن سعد، فلما رأت القوم قد اقتحموا على نساء الحسين عليه السلام فسطاطنهم وهم يسلبونهنّ، أخذت سيفاً وأقبلت نحو الفساطط، فقالت: يا آل بكر بن وائل أتسلب بنات رسول الله؟ لا حكم إلا لله، يا ثارات رسول الله، فأخذها زوجها وردّها إلى رحله (انظر بحار الأنوار ج ٤٥: ص ٥٨). وروي عن السيدة زينب عليها السلام أنّها قالت: «كنت في ذلك الوقت واقفة في الخيمة إذ دخل رجل أزرق العينين، فأخذ ما كان في الخيمة، ونظر إلى علي بن الحسين عليه السلام وهو على نطع من الأديم - وكان مريضاً - فجذب النطع من تحته، ورماه إلى الأرض» (انظر كتاب زينب الكبرى عليها السلام من المهد الى اللحد: ص ٢٤٦). وقد أوصى الإمام الحسين عليه السلام أخته السيدة زينب عليها السلام بالمحافظة على العيال والأطفال بعد استشهاده عليه السلام، ويعلم الله كم كان تنفيذ هذه الوصية أمراً صعباً، وخاصةً بعد الهجوم الوحشي على مخيمات الإمام الحسين عليه السلام وبعد إحراق الخيام وتبعثر النساء والأطفال في الصحراء. ففي ساعة الهجوم على الخيام كانت النساء تلجأ إلى السيدة زينب عليها السلام وتخفي أنفسهنّ خلفها، وكان الأطفال - أيضاً - يفعون إليها ويتسترون وراءها خوفاً من الضرب بالسياط والعصا، فكانت السيدة زينب عليها السلام تحافظ عليهم - كما يحافظ الطير على فراخه حين هجوم الصقور على عشّه - فتجعل جسمها مانعاً من ضرب النساء والأطفال، وقد اسودَّ ظهرها - في مدّة زمنية قصيرة - بسبب الضرب المتوالي على جسمها! (انظر كتاب زينب الكبرى عليها السلام من المهد الى اللحد:





ص ٢٥٢). وإلى غير ذلك من الروايات والأخبار التي تنقل هذه الحوادث المؤلمة. فإحدى الطامات التي ارتكبتها شيعة آل أبي سفيان نهبهم رجل أبي عبد الله الحسين عليه السلام بعد شهادته ، وهو رجل النبوة، فقد روى السيد بن طاووس: أَنَّهُ لَمَّا دَخَلَ ثَقْلَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَنَسَائِهِ وَمَنْ تَخَلَّفَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ عَلَى يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ وَهُمْ مَقْرَنُونَ فِي الْجِبَالِ ، فَلَمَّا وَفَّقُوا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُمْ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَشِدَكَ اللَّهُ يَا يَزِيدُ مَا ظَنَنْتُكَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَوْ رَأَى أَنَا عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ فَأَمَرَ يَزِيدُ بِالْجِبَالِ فَقَطَعَتْ . ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَجْلَسَ النِّسَاءَ خَلْفَهُ لثَلَا يَنْظُرْنَ إِلَيْهِ فَرَأَاهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَمْ يَأْكُلْ بَعْدَ ذَلِكَ أَبَدًا وَأَمَّا زَيْنَبُ فَإِنَّمَا لَمَّا رَأَتْهُ أَهْوَتْ إِلَى جَيْبِهَا فَشَقَّتْهُ ثُمَّ نَادَتْ بِصَوْتٍ حَزِينٍ يَفْزَعُ الْقُلُوبَ يَا حُسَيْنَاهُ يَا حَبِيبَ رَسُولِ اللَّهِ يَا ابْنَ مَكَّةَ وَمَنَى يَا ابْنَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ سَيِّدَةِ النِّسَاءِ يَا ابْنَ بِنْتِ الْمُصْطَفَى . قَالَ الرَّاوي فَأَبْكْتَ وَاللَّهِ كُلُّ مَنْ كَانَ فِي الْمَجْلِسِ وَيَزِيدُ عَلَيْهِ لِعَائِنِ اللَّهِ سَاكِتٌ... (التهوف للسيد بن طاووس : ص ١٠٣). ولا يخفى على الخبير أَنَّ الْأُمُويِّينَ وَمَنْ سَارَ فِي مَسَارِهِمْ ، كَانُوا يَحَاوِلُونَ إِيصَاقَ أَنْفُسِهِمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِشَتَى السَّبِيلِ ، فَمَثَلًا كَانُوا يَقُولُونَ: أَنَّهُمْ مِنْ قَرِيشٍ وَمِنْ نَفْسِ سُلَالَةِ النَّبِيِّ ﷺ !! لَمَّا أَنَّ الْقُرْآنَ صَرِيحٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (سورة الأحزاب: ٢١)، وقوله تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (سورة الشورى: ٢٣). وإلى غير ذلك من الآيات والروايات الواردة في المقام عن رسول الله ﷺ وفي وجوب مودة أهل البيت عليه السلام ومحبتهم عليه السلام.

نعم، كان الهجوم على بيوت آل الرسول ﷺ والتسابق على نهب أموالهم وهتك حرمتهم من الأمور البعيدة عن الإنسانية، فضلاً عن مخالفة الدين ومخالفة جميع الشرائع السماوية، وقد وصف التاريخ ذلك الهجوم، بقوله: وتسابق القوم على نهب بيوت آل الرسول ﷺ وقرّة عين الزهراء البتول عليها السلام، حتّى جعلوا ينزعون ملحفة المرأة عن ظهرها. وكانت المرأة تجاذب على إزارها وحجابها حتّى تُغلب على ذلك. وخرجن بنات آل الرسول ﷺ



والثانية: تأسير ولده وهم ذرية المصطفى ﷺ وعترته ﷺ^(١)،



وحريمه يتساعدن على البكاء، ويندبن لفراق الحماة والأحباء. قالت فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام: "كنت واقفة باب الخيمة، وأنا أنظر إلى أبي وأصحابه مجزّرين كالأضاحي على الرمال والخيول على أجسادهم تجول. وأنا أفكر فيما يقع علينا بعد أبي من بني أمية، أيقتلوننا أم يأسروننا؟ فإذا برجل على ظهر جواده يسوق النساء بكعب رمحه، وهنّ يلذن بعضهنّ ببعض، وقد أخذ ما عليهنّ من أحمر وأسورة، وهنّ يصحن: «وا جدّاه! وا أبتاه! وا عليّاه! وا قلّة ناصراه! وا حسيناها! أما من مجير يجيرنا؟ أما من ذائد يذود عنّا؟"، قالت: "فطار فؤادي، وارتعدت فرائصي، فجعلت أجيل بطرفي يميناً وشمالاً على عمّتي أمّ كلثوم خشيةً منه أن يأتيني، فبينما أنا على هذه الحالة وإذا به قد قصدني، ففررت منهزمة وأنا أظنّ أنّي أسلم منه، وإذا به قد تبعني، فذهلت خشيةً منه، وإذا بكعب الرمح بين كتفي، فسقطت على وجهي، فخرم أذني وأخذ قرطي ومقنعتي، وترك الدماء تسيل على خدي، ورأسي تصهره الشمس، ووّلّي راجعاً إلى المخيم وأنا مغشيّ عليّ. وإذا بعمّتي عندي تبكي، وهي تقول: «قومي نمضي، ما أعلم ما جرى على البنات، وعلى أخيك العليل». فما رجعنا إلى الخيمة إلّا وهي قد نهبت وما فيها، وأخي علي بن الحسين عليه السلام مكبوب على وجهه لا يطيق الجلوس من كثرة الجوع والعطش والأسقام، فجعلنا نبكي عليه ونبكي علينا" (انظر بحار الأنوار ج ٤٥: ص ٦٠).

(١) لقد ذكرت المصادر المختلفة بشكل تفصيلي كيفية التعامل مع أسرى أهل البيت عليه السلام بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، فاعترف أرباب التاريخ والسير والحديث من أهل السنة بجرائم يزيد (لعنه الله) في سبي النساء العلويات الهاشميات من أهل البيت عليه السلام أسيرات مقيدات بالحبال حملوا على الجمال عرايا، فنبت لهم سنامات وهنّ مضروبات بالسياط من قبل الأندال. قال ابن أعثم الكوفي: وساق القوم حرم رسول الله ﷺ من كربلاء كما تساق الأسارى، حتّى إذا بلغوا بهم إلى الكوفة، خرج الناس إليهم فجعلوا يبكون وينوحون، قال علي بن الحسين في وقته ذلك قد نهكته العلة فجعل يقول: «ألا! إنّ هؤلاء





يكون وينوحون من أجلنا فمن قتلنا؟» (الفتوح لابن أعمش ج ٥: ص ١٢١) وقال ابن الأثير في كتابه أسد الغابة في ترجمة حياة السيدة زينب عليها السلام زينب بنت علي بن أبي طالب واسمه عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم القرشية الهاشمية. وأمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ أدركت النبي ﷺ ولدت له في حياته ولم تلد فاطمة بنت رسول الله ﷺ بعد وفاته شيئاً. وكانت زينب عليها السلام امرأة عاقلة ليبة جزلة زوجها أبوها علي عليه السلام من عبد الله بن أخيه جعفر، فولدت له علياً وعوناً الأكبر وعباساً ومحمداً وأم كلثوم. وكانت مع أخيها الحسين عليه السلام لما قتل وحملت إلى دمشق وحضرت عند يزيد بن معاوية وكلامها ليزيد حين طلب الشامي أختها فاطمة بنت علي من يزيد مشهور مذكور في التواريخ وهو يدل على عقل وقوة جنان... (أسد الغابة ج ٥: ص ٤٠٩)، ومثله ابن حجر في الإصابة ج ٨: ص ١٦٦. وقال المناوي في كتابه فتح القدير في شرح الجامع الصغير: (هالك أمتي) الموجودين إذ ذاك أو من قاربهم لا كل الأمة إلى يوم القيامة (على يدي) بالثنية وروي بلفظ الجمع (غلمة) كفتية جمع غلام وهو الطار الشارب أي صبيان وفي رواية أغلمة تصغير أغلمة قياساً ولم يجز ولم يستعمل كذا ذكره الزمخشري قال: والغلام هو الصغير إلى حد الالتحاء، فإن قيل له بعد الالتحاء غلام فهو مجاز اهـ. وهذا محتمل لتحقير شأن الحاصل منه هذا الهلاك من حيث إنه حدث ناقص العقل ويحتمل التعظيم باعتبار الحاصل منهم من الهلاك. وكيفما كان ليس المراد هنا الحقيقة اللغوية، فإن الغلام فيها ذكر غير بالغ ووردوه للبالغ على لسان الشارع غير عزيز كما في خبر الإسراء وغيره (من قريش). قال جمع منهم القرطبي: منهم يزيد بن معاوية وأضرابه من أحداث ملوك بني أمية، فقد كان منهم ما كان من قتل أهل البيت وخيار المهاجرين والأنصار بمكة والمدينة وسبي أهل البيت. قال القرطبي: وغير خاف ما صدر عن بني أمية وحجاجهم من سفك الدماء وإتلاف الأموال وإهلاك الناس بالحجاز والعراق وغيرهما قال: وبالجملة فبنو أمية قابلوا وصية المصطفى ﷺ في أهل بيته وأمتة بالمخالفة والعقوق فسفكوا دماءهم وسبوا نساءهم وأسروا صغارهم وخربوا ديارهم وجحدوا شرفهم وفضلهم واستباحوا نسلهم وسبيهم وسبهم، فخالفوا رسول الله ﷺ في وصيته وقابلوه بنقيض





قصده وأمنيته. فبا خجلهم إذا التقوا بين يديه ويا فضيحتهم يوم يعرضون عليه وهذا الخبر من المعجزات. وقال ابن حجر وتبعه القسطلاني: وفي كلام ابن بطال إشارة إلى أن أوّل الأعلامة يزيد كان في سنة ستين قال: وهو كذلك فإنّ يزيد بن معاوية استخلف فيها وبقي إلى سنة أربع وستين فمات، ثمّ ولى ولده معاوية ومات بعد أشهر. قال الطيّبي: رآهم المصطفى ﷺ في منامه يلعبون على منبره والمراد بالأمة هنا من كان في زمن ولايتهم (فتح القدير في شرح الجامع الصغير ج ٦: ص ٤٥٩). روى صاحب معالم السبطين بإسناده عن حميد بن مسلم أنّه قال: انتهيت إلى علي بن الحسين، وهو مريض ومنبسط على فراش، إذ أقبل شمر بن ذي الجوشن ومعه جماعة من الرّجال، وهم يقولون له: ألا تقتل هذا العليل؟ فهم اللعين بقتله، فقلت: سبحان الله! أقتل الصبيان؟! إنّما هو صبي. فلم يمتنع اللعين وسلّ سيفه ليقّته، فألقت زينب عليها بنفسيها عليه وقالت: «والله لا يقتل حتّى أقتل». فأخذ عمر بن سعد بيده وقال: أما تستحي من الله، تريد أن تقتل هذا الغلام المريض؟! فقال شمر: قد صدر أمر الأمير عبيد الله بن زياد أن أقتل جميع أولاد الحسين. فبالغ عمر في منعه، فكفّ عنه. إحراق خيام الإمام الحسين عليه السلام: ولما فرغ القوم من النهب والسلب، أمر عمر بن سعد بحرق الخيام، فأضرموا الخيم نارا ففرن، وذكر في بعض كتب المقاتل: أنّ زينب الكبرى عليها السلام أقبلت إلى الإمام زين العابدين عليه السلام وقالت: «بنات رسول الله من خيمة إلى خيمة، ومن خباء إلى خباء، يا بقية الماضين وثمان الباقيين! قد أضرموا النار في مضاربنا فما رأيك فينا؟» فقال عليه السلام: «عليكن بالفرار»، ففررن بنات رسول الله صائحات باكيات، قال بعض من شهد ذلك: رأيت امرأة جليّة واقفة بباب الخيمة، والنار تشتعل من جوانبها، وهي تارة تنظر يمنة ويسرة، وتارة أخرى تنظر إلى السماء وتصفق بيديها، وتارة تدخل في تلك الخيمة وتخرج. فأسرعت إليها وقلت: يا هذي! ما وقوفك ها هنا والنار تشتعل من جوانبك؟ وهؤلاء النسوة قد فررن وتفرّقن، ولم لم تلحقي بهن؟! وما شأنك؟ فبكت وقالت: «يا شيخ إنّ لنا عليلاً في الخيمة، وهو لا يتمكّن من الجلوس والنهوض، فكيف أفارقه وقد أحاطت النار به؟» وعن حميد بن مسلم قال: رأيت زينب عليها السلام - حين إحراق الخيام - قد دخلت في وسط النار، وخرجت وهي





تسحب إنساناً من وسط لهيب النار، فظننت أنها تسحب ميتاً قد احترق، فاقتربت لأنظر إليه فإذا هو زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام (معالي السبطين ج ٢: الفصل الثاني عشر، المجلس الثالث). أيها القارئ الكريم، انظر إلى هذه العملية الفدائية، وهذه التضحية بالحياة! كيف تقتحم هذه السيدة الجليلة المكان المشحون بلهيب النار، لتنقذ ابن أخيها، وإن شئت فقل: إمام زمانها من بين أنياب الموت؟! فهل تعرف نظيراً لهذه السيدة فيما قامت به من الخطوات والأعمال؟! إنها مغامرة بالحياة من أجل الدين. إنها ابنة ذلك البطل العظيم الذي كان يخوض غمار الموت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله للدفاع عن الإسلام والمحافظة على حياة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله. إنها ابنة أسد الله الغالب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام السيدة زينب عليها السلام تجمع العيال والأطفال. لقد أوصى الإمام الحسين عليه السلام أخته السيدة زينب عليها السلام بالمحافظة على العيال والأطفال بعد استشهادها عليها السلام، ويعلم الله كم كان تنفيذ هذه الوصية أمراً صعباً، وخاصةً بعد الهجوم الوحشي على مخيمات الإمام الحسين عليه السلام، وبعد إحراق الخيام وتبعثر النساء والأطفال في الصحراء! ففي ساعة الهجوم على الخيام كانت النساء تلجأ إلى السيدة زينب، وتخفي أنفسهن خلفها، وكان الأطفال - أيضاً - يفرعون إليها ويتسترون وراءها خوفاً من الضرب بالسياط والعصا، فكانت السيدة زينب عليها السلام تحافظ عليهم كما يحافظ الطير على فراخه حين هجوم الصقور على عشه، فتجعل جسمها مانعاً من ضرب النساء والأطفال، وقد اسودَّ ظهرها في مدة زمنية قصيرة بسبب الضرب المتوالي على جسمها! وبعد الهجوم والإحراق بدأت السيدة زينب تتفقد النساء والأطفال، وتنادي كل واحدة منهن باسمها، وتعهدهم واحدةً واحدةً، وتبحث عمن لا تجده مع النساء والأطفال! ونقرأ في بعض الكتب: أن السيدة زينب عليها السلام لما بدأت بجمع العيال والأطفال، لم تجد طفلين منهم، فذهبت تبحث عنهما هنا وهناك، وأخيراً وجدتتهما معتنقين نائمين، فلما حركتهما فإذا هما قد ماتا من الخوف والعطش!! ولما سمع العسكر بذلك قالوا لا بن سعد: رخص لنا في سقي العيال... وذكر في بعض الكتب أن طفلين لعبد الرحمن بن عقیل كانا مع الحسين عليه السلام، اسمهما: سعد وعقیل، وأنهما ماتا من شدة العطش ومن الدهشة والذعر بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام وهجوم الأعداء على المخيم





للسلب، وأمهما: خديجة بنت الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. ليلة الوحشة: باتت العائلة المفجوعة ليلة الحادية عشرة من المحرم بحالة لا يستطيع أي قلم شرحها ووصفها، ولا يستطيع أي مصوّر أن يصوّر جانباً واحداً من جوانب تلك الليلة الرهيبة. قبل أربع وعشرين ساعة من تلك الليلة باتت العائلة المكرومة وهي تملك كل شيء، وهذه الليلة أظلمت عليها وهي لا تملك شيئاً. رجالها صرعى مرمّلون بدمائهم، وأطفالها مذبحون، والأموال قد نهبت، والأزر والمقانع سلبت، والظهور والتمون قد سودتها السياط وكعاب الرماح. ليس لهم طعام حتى يقدّموه إلى من تبقى من الأطفال، ولا تسأل عن المراضع اللواتي جفّ اللبن في صدورهن جوعاً وعطشاً. واستولت على العائلة - وخاصة الأطفال - حالة الفواق، وهي حالة تشنّج تحصل للإنسان حينما يبكي كثيراً، فتشنّج الرئة ويخرج النفس متقطعاً. يا للفاجعة، يا للمأساة، يا للمصائب. لا غطاء ولا فراش ولا ضياء ولا أثاث ولا طعام. قد أهدقت السيدات بالإمام زين العابدين عليه السلام وهو بقية الماضين وثمان الباقيين، وهنّ يتفكّرن بما خبأ لهنّ الغد من أولئك السفّاكين. فالفاجعة لم تنته بعد، والظلم - بجميع أنواعه - كانت بانتظار آل رسول الله الطيّبين الطاهرين، والحوادث المؤلمة سوف امتدّت إلى غد وما بعد غد وإلى أيام وشهور، ممّا لا بالبال ولا بالخاطر. وسوف تبدأ رحلة طويلة مليئة بالآلام والآهات والدموع. وحكي أنّ السيّدة زينب عليها السلام تفقدت العائلة في ساعة من ساعات تلك الليلة، وإذا بالسيّدة الرباب لا توجد مع النساء، فخرجت السيّدة زينب ومعها أمّ كلثوم، وهما تناديان: «يا رباب، يا رباب». فسمعها رجل كان موكّلاً بحراسة العائلة، فسألها ماذا تريدين؟! فقالت السيّدة زينب: «إنّ امرأة منّا مفقودة ولا توجد مع النساء»، فقال الرجل: نعم، قبل ساعة رأيت امرأة منكم انحدرت نحو المعركة! فأقبلت السيّدة زينب حتى وصلت إلى المعركة، وإذا بها ترى الرباب جالسة عند جسد زوجها الإمام الحسين عليه السلام وهي تبكي عليه بكاءً شديداً وتنوح، وتقول في نياحتها: "وا حسينا وأين منّي حسين أقصدته أسنة الأعداء. غادروه في كربلاء قتيلاً لا سقى الله جانبي كربلاء". فأخذت السيّدة زينب عليها السلام بيدها وأرجعتها معها إلى حيث النساء والأطفال. وفي هذا الجو المتوتر والوضع المقرح للفؤاد، يقول الإمام زين



والثالثة: سوقهم نسائه سبايا من بلد إلى بلد إلى مجلس المنافق الطليق بن الطليق صاحب الفجور وشارب الخمر يزيد بن معاوية^(١).



العابدين عليه السلام: «فتحت عيني ليلة الحادية عشر من المحرم، وإذا أنا أرى عمتي زينب تصلي نافلة الليل وهي جالسة، فقلت لها: يا عمّة أتصلين وأنت جالسة؟ قالت: نعم يا ابن أخي، والله إنّ رجلي لا تحملني!» (انظر كتاب "زينب الكبرى عليها السلام" للشيخ جعفر النقدي رحمته الله: ص ٥٨) وإلى غير ذلك مما ورد في هذا المجال ولو أردنا أن نذكر جميع ما ورد في هذا المجال لطال بنا المقام.

(١) لقد ذكرت المصادر المختلفة بشكل تفصيلي كيفية سير سبايا أهل البيت عليهم السلام بعد شهادة مولانا أبي عبدالله الحسين عليه السلام في البلاد، ثم دخولهم في أشد الأحوال إلى مجلس يزيد عليه لعائن الله، قال السيد بن طاووس في اللهوف: أنّه لما دخل ثقل الإمام الحسين عليه السلام ونسائه ومن تخلف من أهل بيته على يزيد بن معاوية وهم مقرنون في الجبال، فلما وفقوا بين يديه وهم على تلك الحال قال علي بن الحسين عليه السلام أنشدك الله يا يزيد ما ظنك برسول الله ﷺ لو رأنا على هذه الصفة؟! فأمر يزيد بالجبال فقطعت. ثم وضع رأس الحسين عليه السلام بين يديه وأجلس النساء خلفه لثلا ينظرن إليه فرآه علي بن الحسين عليه السلام فلم يأكل بعد ذلك أبدا وأما زينب فإنها لما رآته أهوت إلى جيبها فشقتة ثم نادت بصوت حزين يفزع القلوب يا حسينا يا حبيب رسول الله يا ابن مكة ومنى يا ابن فاطمة الزهراء سيدة النساء يا ابن بنت المصطفى. قال الراوي فأبكت والله كل من كان في المجلس ويزيد عليه لعائن الله ساكت... (اللهوف للسيد بن طاووس: ص ١٠٣). وقد ذكروا الشعارات الشريرة التي نادى بها المهاجمون عليهم، فكان اسلوباً وحشياً، سواء كان في كربلاء أو الكوفة أو الشام. فقد ذكر المؤرخون والمحدثون نصوصاً تشير إلى حوادث سبي نساء أهل البيت عليهم السلام، قال ابن أعثم الكوفي: وساق القوم حرم رسول الله من كربلاء كما تساق الأسارى، حتّى إذا بلغوا بهم إلى الكوفة خرج الناس إليهم فجعلوا ييكون وينوحون، قال: وعلي بن الحسين عليه السلام في وقته ذلك قد نهكته العلة فجعل يقول: «ألا! إن





هؤلاء سيكون وينوحون من أجلنا فمن قتلنا؟» (انظر الفتوح لابن أعثم ج ٥: ١٢١). وروى أبو مخنف في مقتل الإمام الحسين عليه السلام أنه قال عوانة بن الحكم الكلبي: أنه لما قتل الحسين عليه السلام وجيء بالأثقال والأسارى حتى وردوا بهم الكوفة إلى عبيد الله ... وجاء كتاب من يزيد بن معاوية: بأن سرح الأسارى إليّ، قال: فدعا عبيد الله بن زياد محفز بن ثعلبة، وشمير بن ذي الجوشن، فقال: انطلقوا بالثقل والرأس إلى يزيد بن معاوية... (مقتل الإمام الحسين عليه السلام لأبي مخنف الأزدي: ص ٢١٧). قال الطبري: وجاء كتاب من يزيد بن معاوية: بأن سرح الأسارى إلى قال فدعا عبيد الله بن زياد محفز بن ثعلبة وشمير بن ذي الجوشن فقال انطلقوا بالثقل والرأس إلى يزيد بن معاوية قال فخرجوا حتى قدموا على يزيد... (تاريخ الطبري ج ٤: ص ٣٥٥). وخرجت قافلة سبايا الإمام الحسين عليه السلام من الكوفة إلى الشام تتقدمها رؤوس الشهداء، وفي مقدمتها رأس الإمام الحسين عليه السلام، وسارت خلف الرؤوس النساء والأطفال وفي مقدمتهم السيدة زينب عليها السلام بطة كربلاء والإمام زين العابدين عليه السلام، الذي وضعت بيده السلاسل وجمعت إلى عنقه، وحملوا جميعاً على أكتاف الإبل التي كانت بغير وطاء ولا غطاء، وساروا بهم من بلد إلى بلد، كما يسار بسبايا الكفار، يتصفّح وجوههن أهل الأقطار كرامة للحسين عليه السلام، وكان الطريق بين الكوفة ودمشق جعلوا أتباع بني أمية طويلاً وبفترة قصيرة لانتهاك سبايا آل النبي عليه السلام. لم يتواجد مع السبايا سوى الجيش الأموي. روى الطبري بسنده عن أبي مخنف قال: حدثني أبو حمزة الثمالي عن عبد الله الثمالي عن القاسم بن بخيت قال: لما أقبل وفد أهل الكوفة برأس الحسين عليه السلام دخلوا مسجد دمشق، فقال لهم مروان بن الحكم: كيف صنعتم؟ قالوا: ورد علينا منهم ثمانية عشر رجلاً فأتينا والله على آخرهم وهذه الرؤوس والسبايا. فوثب مروان فانصرف (تاريخ الطبري ج ٤: ص ٣٥٦). وقال ابن حبان: ثم أنفذ عبيد الله بن زياد رأس الحسين بن علي إلى الشام مع أسارى النساء والصبيان من أهل بيت رسول الله ﷺ على أكتاب مكشّفات الوجوه والشعور، فكانوا إذا نزلوا منزلاً أخرجوا الرأس من الصندوق وجعلوه في رمح وحرسوه إلى وقت الرحيل، ثم أعيد الرأس إلى الصندوق ورحلوا فينا هم كذلك إذ نزلوا بعض المنازل وإذا فيه دير راهب، فأخرجوا الرأس على





عادتهم وجعلوه في الرمح وأسندوا الرمح إلى الدير، فرأى الديراني بالليل نوراً ساطعاً من ديره إلى السماء، فأشرف على القوم وقال لهم: من أنتم؟ قالوا: نحن أهل الشام، قال: وهذا رأس من هو؟ قالوا: رأس الحسين بن علي، قال: بثس القوم أنتم، والله لو كان ليعسى ولد لأدخلناه أحداً. ثم قال: يا قوم عندي عشرة آلاف دينار ورثتها من أبي وأبي من أبيه، فهل لكم أن تعطوني هذا الرأس ليكون عندي الليلة وأعطيك هذه العشرة آلاف دينار؟ قالوا: بلى، فأحدر إليهم الدنانير فجاءوا بالنقاد ووزنت الدنانير ونقدت، ثم جعلت في جراب وختم عليه، ثم أدخل الصندوق وشالوا إليه الرأس فغسله الديراني ووضعه على فخذه وجعل يبكي الليل كله عليه، فلما أن أسفر عليه الصبح قال: يا رأس لا أملك إلا نفسي وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ جدك رسول الله ﷺ، فأسلم النصراني وصار مولى للحسين، ثم أحدر الرأس إليهم فأعادوه إلى الصندوق ورحلوا، فلما قربوا مكن دمشق قالوا: نحب أن نقسم تلك الدنانير، لأنّ يزيد إن رآها أخذها منّا ففتحوا الصندوق وأخرجوا الجراب بختمه وفتحوه فإذا الدنانير كلّها قد تحولت خزفاً وإذا على جانب من الجانبين من السكة مكتوب: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾، وعلى الجانب الآخر: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾، قالوا: قد افترضنا والله، ثم رموها في بردى نهر لهم، فمنهم من تاب من ذلك الفعل لمّا رأى ومنهم من بقى على إصراره وكان رئيس من بقى على ذلك الإصرار سنان بن أنس النخعي... (الثقات لابن حبان ج ٢: ص ٣١٢). وقال السيّد بن طاوس: قال الراوي: وسار القوم برأس الحسين عليه السلام ونسائه والأسرى من رجاله فلما قربوا من دمشق دنت أمّ كلثوم من شمر وكان من جملتهم فقالت له: "لي إليك حاجة"، فقال: ما حاجتك؟ قالت: "إذا دخلت بنا البلد فاحملنا في درب قليل النظارة، وتقدّم إليهم أن يخرجوا هذه الرؤوس من بين المحامل وينحونا عنها فقد خزيّا من كثرة النظر إلينا ونحن في هذه الحال"، فأمر في جواب سؤالها أن يجعل الرؤوس على الرماح في أوساط المحامل بغياً منه وكفراً وسلك بهم بين النظارة على تلك الصفة حتّى أتى بهم باب دمشق، فوقفوا على درج باب المسجد الجامع حيث يقام السبي فروى: أنّ بعض فضلاء التابعين لمّا شاهدوا رأس الحسين عليه السلام بالشام أخفى





نفسه شهراً من جميع أصحابه، فلما وجدوه بعد إذ فقدوه سألوه عن سبب ذلك فقال: ألا ترون ما نزل بنا؟ وأنشأ يقول: جاؤوا برأسك يا بن بنت محمد * مترملاً بدمائه ترميلاً. وكأنما بك يا بن بنت محمد * قتلوا جهاراً عامدين رسولا. قتلوك عطشاناً ولم يترقبوا * في قتلك التأويل والتنزيلا. ويكبرون بأن قتلت وإنما * قتلوا بك التكبير والتهليلا. قال الراوي: وجاء شيخ ودنا من نساء الحسين عليه السلام وعياله وهم في ذلك الموضع فقال: الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم وأراح البلاد عن رجالكم، وأمكن أمير المؤمنين منكم، فقال له علي بن الحسين عليه السلام: «يا شيخ هل قرأت القرآن؟» قال: نعم، قال: «فهل عرفت هذه الآية: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾؟» قال الشيخ: نعم قد قرأت ذلك، فقال علي عليه السلام له: «فنحن القربى يا شيخ، فهل قرأت في بني إسرائيل: ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾؟» فقال الشيخ: قد قرأت، فقال علي بن الحسين عليه السلام: «فنحن القربى يا شيخ، فهل قرأت هذه الآية: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾؟» قال: نعم، فقال له علي عليه السلام: «فنحن القربى يا شيخ، فهل قرأت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾؟» قال الشيخ: قد قرأت ذلك، فقال علي عليه السلام: «فنحن أهل البيت الذي خصصنا الله بآية الطهارة يا شيخ»، فبقي الشيخ ساكناً نادماً على ما تكلم به وقال: بالله إنكم هم؟ فقال علي بن الحسين عليه السلام: «تالله إننا لنحن هم من غير شك وحق جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله». فبكى الشيخ ورمى عمامته ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إننا نبرأ إليك من عدو آل محمد صلى الله عليه وآله من جن وإنس، ثم قال: هل لي توبة؟ فقال عليه السلام له: «نعم إن تبت تاب الله عليك وأنت معنا»، فقال: أنا تائب، فبلغ يزيد بن معاوية حديث الشيخ فأمر به فقتل (اللهوف في قتلى الطفوف للسيّد بن طاوس: ص ١٠١). وروى العلامة المجلسي رحمته الله بإسناده عن روى ابن لهيعة وغيره حديثاً أخذنا منه موضع الحاجة، قال: كنت أطوف بالبيت فإذا أنا برجل يقول: اللهم اغفر لي وما أراك فاعلاً، فقلت له: يا عبد الله اتق الله ولا تقل مثل هذا فإن ذنوبك لو كانت مثل قطر الأمطار وورق الأشجار، فاستغفرت الله غفرها لك فإنه غفور رحيم، قال: فقال لي: تعال حتى أخبرك بقصتي، فأتيته فقال: اعلم أننا كنا خمسين نفرًا





ممن سار مع رأس الحسين عليه السلام إلى الشام وكنا إذا أمسينا وضعنا الرأس في تابوت وشربنا الخمر حول التابوت فشرب أصحابي ليلة حتى سكروا ولم أشرب معهم، فلما جن الليل سمعت رعداً ورأيت برقاً فإذا أبواب السماء قد فتحت ونزل آدم عليه السلام ونوح عليه السلام وإبراهيم عليه السلام وإسماعيل عليه السلام وإسحاق عليه السلام ونبينا محمد ﷺ ومعهم جبرئيل وخلق من الملائكة، فدنا جبرئيل عليه السلام من التابوت فأخرج الرأس وضمه إلى نفسه وقبّله ثم كذلك فعل الأنبياء عليهم السلام كلهم وبكى النبي ﷺ على رأس الحسين عليه السلام فعزاه الأنبياء عليهم السلام، فقال له جبرئيل عليه السلام: «يا محمد إنّ الله تعالى أمرني أن أطيعك في أمّتك، فإن أمرتني زلزلت بهم الأرض وجعلت عاليها سافلها كما فعلت بقوم لوط»، فقال النبي ﷺ: «لا يا جبرئيل فإنّ لهم معي موقفاً بين يدي الله يوم القيامة»، قال: ثم صلّوا عليه ثم أتى قوم من الملائكة وقالوا: إنّ الله تبارك وتعالى أمرنا بقتل الخمسين، فقال لهم النبي ﷺ: «شأنكم بهم»، فجعلوا يضربون بالحربات ثم قصدني واحد منهم بحرته ليضربني فقلت: الأمان الأمان يا رسول الله، فقال: «اذهب فلا غفر الله لك»، فلما أصبحت رأيت أصحابي كلهم جاثمين رماداً، ثم قال صاحب المناقب: وبإسنادي إلى أبي عبد الله الحداذي، عن أبي جعفر الهندواني بإسناده في هذا الحديث فيه زيادة عند قوله ليحمله إلى يزيد قال: كل من قتله جفت يده وفيه: إذ سمعت صوت برق لم أسمع مثله، فقيل: قد أقبل محمد ﷺ فسمعت صهيل الخيل، وقعقة السلاح، مع جبرئيل وميكائيل وإسرافيل والكروبيين والروحانيين والمقربين عليهم السلام، فشكى النبي ﷺ إلى الملائكة والنبیین، وقال: «قتلوا ولدي وقرّة عيني»، وكلّهم قبّل الرأس وضمّوه إلى صدره والباقي يقرب بعضها من بعض. أقول: وفي بعض الكتب أنّهم لما قربوا من بعلبك كتبوا إلى صاحبها فأمر بالرايات فنشرت، وخرج الصبيان يتلقونهم على نحو من ستّة أميال، فقالت أمّ كلثوم: «أباد الله كثرتم وسلّط عليكم من يقتلكم»، ثم بكى علي بن الحسين عليه السلام وقال: «وهو الزمان فلا تفنى عجائبه * من الكرام وما تهدي مصائبه. فليت شعري إلى كم ذا تجاذبنا * فنونه وترانا لم نجاذبه. يسرى بنا فوق أقتاب بلا وطأ * وسابق العيس يحمي عنه غاربه. كآتنا من أسارى الروم بينهم * كأنّ ما قاله المختار كاذبه. كفرتم برسول الله ويحكم * فكنتم مثل من ضلت مذهبها





(انظر بحار الأنوار ج ٤٥: ص ١٢٥). وقال السيد بن طاوس: ثم أدخل ثقل الحسين عليه السلام ونسائه ومن تخلف من أهل بيته على يزيد بن معاوية (لعنة الله عليه) وهم مقرنون في الجبال، فلما وفقوا بين يديه وهم على تلك الحال قال علي بن الحسين عليه السلام: «أنشدك الله يا يزيد ما ظنك برسول الله ﷺ لو رأنا على هذه الصفة؟» فأمر يزيد بالجبال فقطعت. ثم وضع رأس الحسين عليه السلام بين يديه وأجلس النساء خلفه لئلا ينظرن إليه فرآه علي بن الحسين عليه السلام فلم يأكل بعد ذلك أبداً. وأما زينب فإنها لما رأتها أهوت إلى جيبها فشفتها ثم نادى بصوت حزين يفرع القلوب: «يا حسينا يا حبيب رسول الله يا ابن مكة ومنى يا ابن فاطمة الزهراء سيدة النساء يا ابن بنت المصطفى. قال الراوي: فأبكت والله كل من كان في المجلس، ويزيد عليه لعائن الله ساكت. ثم جعلت امرأة من بنى هاشم كانت في دار يزيد (لعنة الله) تندب على الحسين عليه السلام وتنادى: «يا حبيباه يا سيد أهل بيتاه يا ابن محمد يا ربيع الأرامل واليتامى يا قتيل أولاد الأدياء»، قال الراوي: فأبكت كل من سمعها. ثم دعا يزيد (عليه اللعنة) بقضيب خيزران فجعل ينكت به ثنايا الحسين عليه السلام، فأقبل عليه أبو برزة الأسلمي وقال: ويحك يا يزيد، أتنتك بقضيبك ثغر الحسين عليه السلام ابن فاطمة عليها السلام، أشهد لقد رأيت النبي ﷺ يرشف ثناياه عليه السلام وثنايا أخيه الحسن عليه السلام «أنتما سيدا شباب أهل الجنة، فقتل الله قاتلكما ولعنه وأعد له جهنم وسائر مصيراً». قال الراوي: فغضب يزيد وأمر بإخراجه، فأخرج سحياً، قال: وجعل يزيد يتمثل بأبيات ابن الزبير: ليت أشياخي بيدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الأسل. لأهلوا واستهلوا فرحا * ثم قالوا يا يزيد لا تشل. قد قتلنا القرم من ساداتهم * وعدلناه بيدر فاعتدل. لعبت هاشم بالملك فلا * خبر جاء ولا وحي نزل. لست من خندف إن لم أنتقم * من بني أحمد ما كان فعل. قال الراوي: فقامت زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام فقالت: «الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسول وآله أجمعين، صدق الله سبحانه كذلك يقول: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوْأَىٰ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾. أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء فأصبحنا نساق كما تساق الأسراء؟ إن بنا هواناً على الله وبك عليه كرامة وإن ذلك لعظم خطر كونه عندك فشمخت بأنفك ونظرت في





عطفك جذلان مسروراً حين رأيت الدنيا لك مستوثقة والأمور متسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا فمهلاً مهلاً، أنسيت قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّنا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾. أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإمائك وسوقك بنات رسول الله ﷺ سبايا؟ قد هتكت ستورهنّ وأبديت وجوههنّ تحدّوا بهنّ الأعداء من بلد إلى بلد ويستشرفهنّ أهل المناهل والمناقل ويتصفّح وجوههنّ القريب والبعيد والدني والشريف، ليس معهنّ من رجالهنّ ولي ولا من حماتهنّ حمى، وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأذكىاء ونبت لحمه من دماء الشهداء؟ وكيف ويستبطأ في بغضاء أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنان والإحن والأضغان ثمّ تقول غير متأثم ولا مستعظم: لأهلّوا واستهلّوا فرحاً * ثمّ قالوا يا يزيد لا تشل، متحياً على ثنابا أبى عبد الله ﷺ سيّد شباب أهل الجنّة تنكّتها بمخصرتك؟ وكيف لا تقول ذلك وقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة ياراقتك دماء ذرية محمّد ﷺ ونجوم الأرض من آل عبد المطلب وتهتف بأشياخك، وزعمت إنك تناديهم فلتردن وشيكاً موردهم ولتودنّ إنك شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت، اللهم خذ لنا بحقنا وانتقم ممّن ظلمنا وأحلل غضبك بمن سفك دماننا وقتل حماتنا فوالله ما قريب إلّا جلدك ولا حزرت إلّا لحملك ولتردنّ على رسول الله ﷺ بما تحمّلت من سفك ذريته وانتهكت من حرمة في عترته ولحمته، وحيث يجمع الله شملهم ويلمّ شعنتهم ويأخذ بحقهم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾. وحسبك بالله حاكماً ومحمّداً ﷺ خصيماً وبجبرائيل ظهيراً وسيعلم من سؤل لك ومكّنك من رقاب المسلمين بشس للظالمين بدلاً، وأيكم شرّ مكاناً وأضعف جنداً، ولئن جرت على الدواهي مخاطبتك إني لأستصغر قدرك وأستعظم تقريعك وأستكثر توبيخك لكن العيون عبرى والصدور حرى الا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحرب الشيطان الطلقاء فهذه الأيدي تنطف من دماننا والأفواه تتحلب من لحومنا وتلك الجثث الطواهر الزواكي تتناها العواسل وتعفرها أمّهات الفراعل، ولئن اتّخذتنا مغنماً لتجدنا وشيكاً مغرماً حين لا تجد إلّا ما قدّمت يداك ﴿وَمَا



فانظر هل صدر على من سلف من الرسل وغيرهم مثل ما صدر على
الحسين عليه السلام ^(١)،



رَبُّكَ بِظُلَامٍ لِّلْعَبِيدِ، فإلى الله المشتكى وعليه المعول، فكذلك واسع سعيك وناصب
جهدك فوالله لا عنك عارها، وهل رأيك إلا فند وأيامك إلا عدد وجمعك إلا بدد يوم
ينادي المنادي ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، فالحمد لله رب العالمين الذي ختم لأولنا
بالسعادة والمغفرة ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب ويوجب
لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة إنه رحيم ودود وحسبنا الله ونعم الوكيل (اللهوف في
قتلى الطفوف: ص ١٠٣).

(١) لا يخفى على الباحث الخير المتمعن في الأخبار والآثار أنه ليس مصيبة في العالم أعظم
من مصيبة الإمام الحسين عليه السلام، فإنها تضمنت جميع مصائب الأنبياء والمرسلين عليهم السلام،
وعباد الله الصالحين، وذلك لأن روايات الفريقين تنص على أن الله تبارك وتعالى أخبر
أنبيائه عليهم السلام بشهادة الإمام الحسين عليه السلام ومصائبه عليه السلام، وأن الأنبياء عليهم السلام نصبوا العزاء
والمأتم على مصيبة مولانا الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام حزناً عليه عليه السلام وهي كثيرة،
ولنبداً بحزن وبكاء وإقامة عزاء أشرف الأنبياء وخاتم المرسلين عليهم السلام على مصيبة الإمام
الحسين عليه السلام، منها: ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن عبد الله بن نجى عن أبيه
أنه سار مع علي عليه السلام وكان صاحب مطهرته، فلما حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفين
فنادى علي عليه السلام: «اصبر أبا عبد الله، اصبر أبا عبد الله بشطّ الفرات!!» قلت: وماذا؟! قال:
«دخلت على النبي صلى الله عليه وآله ذات يوم وعيناه تفيضان!! قلت: يا نبي الله أغضبك أحد، ما شأن
عينيك تفيضان؟! قال صلى الله عليه وآله: بل قام من عندي جبريل قبل، فحدثني أن الحسين يقتل بشطّ
الفرات!!» قال: «فقال: هل لك إلى أن أشمّك من تربته؟» قال: «قلت: نعم، فمدّ يده فقبض
قبضة من تراب فأعطانيها فلم أملك عيني أن فاضت» (مسند أحمد بن حنبل ج ١: ص ٨٥).
ومنها: ما رواه الهيثمي في مجمع الزوائد، ثم قال: رواه أحمد وأبو يعلى والبخاري
ورجاله ثقات (مجمع الزوائد ج ٩: ص ١٨٧). ومنها: ما رواه ابن سعد - كما في الفصل





الثالث من الباب الحادي عشر من الصواعق المحرقة لابن حجر عن الشعبي - قال: مرَّ علي عليه السلام بكربلاء عند مسيره إلى صفين، وحاذى نينوى، فوقف وسأل عن اسم الأرض؟ فقل: كربلاء، فبكى حتّى بلّ الأرض من دموعه، ثمّ قال: «دخلت على رسول الله ﷺ وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك بأبي أنت وأمي؟ قال: كان عندي جبرائيل آنفاً، وأخبرني أنّ ولدي الحسين يقتل بشاطئ الفرات، بموضع يقال له كربلاء...» (الصواعق المحرقة ج ٢: ص ٥٦٦). ومنها: ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن أنس بن مالك قال: إنّ ملك المطر استأذن ربّه أن يأتي النبي ﷺ فأذن له، فقال لأُمّ سلمة: «أملكيني علينا الباب، لا يدخل علينا أحد»، قال: وجاء الحسين ليدخل فمنعته فوثب فدخل فجعل يقعه على ظهر النبي ﷺ وعلى منكبه وعلى عاتقه، قال: فقال الملك للنبي ﷺ: «أتجبه؟» قال: «نعم» قال: «أما إنّ أمتك ستقتله، وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه»، فضرب بيده فجاء بطينة حمراء فأخذتها أمّ سلمة فصرتها في خمارها، قال: قال ثابت: بلغتها أنّها كربلاء (مسند أحمد بن حنبل ج ٣: ص ٢٤٢). ومنها: ما رواه الطبراني بسنده عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: دخل الحسين بن علي عليه السلام على رسول الله ﷺ وهو يوحى إليه، فنزا على رسول الله ﷺ وهو منكب ولعب على ظهره فقال جبريل لرسول الله ﷺ: «أتجبه يا محمّد؟» قال: «يا جبريل وما لي لا أحبّ مشهور» قال: «فإنّ أمتك ستقتله من بعدك»، فمدّ جبريل عليه السلام يده فأثاه بتربة بيضاء فقال: «في هذه الأرض يقتل ابنك هذا يا محمّد واسمها الطف»، فلمّا ذهب جبريل عليه السلام من عند رسول الله ﷺ خرج رسول الله ﷺ والتربة في يده يبكي فقال: «يا عائشة إنّ جبريل عليه السلام أخبرني أنّ الحسين مشهور مقتول في أرض الطف، وإنّ أمتي ستفتن بعدي»، ثمّ خرج إلى أصحابه فيهم علي وأبو بكر وعمر وحذيفة وعمّار وأبو ذر وهو يبكي فقالوا: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «أخبرني جبريل أنّ مشهور الحسين يقتل بعدي بأرض الطفّ وجاءني بهذه التربة وأخبرني أنّ فيها مضجعه» (المعجم الكبير للطبراني ج ٣: ١٠٧). ومنها: ما رواه ابن عبد البرّ بسنده عن ابن عباس، قال: رأيت النبي ﷺ فيما يرى النائم نصف النهار وهو قائم أشعث أغبر، بيده قارورة فيها دم فقلت: يا أبا أنت وأمي يا رسول الله! ما هذا؟ قال: «هذا





دم الحسين لم أزل ألتقطه منذ اليوم»، فوجد قد قتل في ذلك اليوم. وهذا البيت زعموا قديماً لا يدرى قائله: أترجو أمة قتلت حسيناً * شفاعته جده يوم الحساب. وبكى الناس الحسين فأكثروا (الاستيعاب لابن عبد البر ج ١: ص ٣٩٦). ومنها: ما رواه ابن الأثير في أسد الغابة بسنده عن سلمى قال دخلت على أم سلمة وهي تبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قالت: رأيت رسول الله ﷺ في المنام وعلى رأسه ولحيته التراب، فقلت: مالك يا رسول الله؟ قال ﷺ: «شهدت قتل الحسين آنفاً». وروى حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس قال: رأيت رسول الله ﷺ فيما يرى النائم نصف النهار وهو قائم أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم، فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا الدم؟ قال: «هذا دم الحسين لم أزل ألتقطه منذ اليوم»، فوجد قد قتل في ذلك اليوم (أسد الغابة ج ٢: ص ٢٢). ومنها: ما رواه الزرندي الحنفي بإسناده عن أم سلمة، وروت أم سلمة قالت: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فدخل عليه الحسين فقال: «إن أمتك تقتله بعدك» ثم قال: «ألا أريك تربة مقتله؟» فجاء بحصيات فجعلهن رسول الله ﷺ في قارورة، فلما كان في ليلة قتل الحسين سمعت قائل يقول: أيها القاتل جهلاً حسيناً * أبشروا بالعذاب والتنكيل. قد لعنتم على لسان ابن داود * وموسى وحامل الإنجيل. قالت: فبكي وفتحت القارورة فإذا الحصيات قد جرت دماً. وروى الترمذي بسنده عن سلمى امرأة من الأنصار قالت: دخلت على أم سلمة وهي تبكي فقلت: ما يبكيك؟ قالت: رأيت الآن رسول الله ﷺ وعلى لحيته التراب وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: «شهدت قتل الحسين آنفاً» (نظم درر السمطين: ص ٢١٧). منها: ما رواه محب الدين الطبري بإسناده عن أسماء بنت عميس قالت: عق رسول الله ﷺ عن الحسن يوم سابعه بكبشين أملحين وأعطى القابلة الفخذ وحلق رأسه وتصديق بزنة الشعر، ثم طلى رأسه بيده المباركة بالخلوق ثم قال: «يا أسماء الدم من فعل الجاهلية»، فلما كان بعد حول ولد الحسين فجاء النبي ﷺ ففعل مثل الأول قالت: وجعله في حجره فبكى ﷺ قلت: فذاك أبي وأمي مم بكائك؟ فقال: «ابني هذا يا أسماء إنه تقتله الفئة الباغية من أمتي لا أنا لهم الله شفاعتي، يا أسماء لا تخبري فاطمة فإنها قريبة عهد بولادة...». (ثم قال): وخرجه الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام





وعن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام: أن فاطمة عليها السلام حلفت حسناً وحسيناً يوم سابعهما فوزنت شعرهما فتصدقت بوزنه فضة. خرّجه الدولابي (ذخائر العقبى: ص ١١٨). وإلى غير ذلك من الروايات. وأما بالنسبة إلى بكاء آدم عليه السلام على الإمام الحسين عليه السلام، فمنها: ما رواه صاحب الدرّ الثمين في تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ...﴾ أنه رأى ساق العرش وأسماء النبي والأئمة عليهم السلام فلقنه جبرئيل عليه السلام قل: «يا حميد بحق محمد، يا عالي بحق علي، يا فاطر بحق فاطمة، يا محسن بحق الحسن والحسين ومنك الإحسان». فلما ذكر "الحسين" سالت دموعه وانخشع قلبه، وقال: «يا أخي جبرئيل في ذكر الخامس ينكسر قلبي وتسيل عبرتي؟» قال جبرئيل: «ولذلك هذا يصاب بمصيبة تصغر عندها المصائب»، فقال: «يا أخي وما هي؟» قال: «يقتل عطشاناً غريباً وحيداً فريداً ليس له ناصر ولا معين، ولو تراه يا آدم وهو يقول: واعطشاه واقلة ناصراه، حتى يحول العطش بينه وبين السماء كالدخان، فلم يجبه أحد إلا بالسيوف، وشرب الحتوف، فيذبح ذبح الشاة من قفاه، وينهب رحله أعداؤه وتشهر رؤوسهم هو وأنصاره في البلدان، ومعهم النسوان، كذلك سبق في علم الواحد المنان»، فبكى آدم وجبرئيل بكاء الثكلي (بحار الأنوار ج ٤٤: ص ٢٤٥ نقلاً عن كتاب الدرّ الثمين). ومن هنا يقول الشاعر مخاطباً الإمام الحسين عليه السلام ويصف فيها حالة نبي الله أبو البشر آدم عليه السلام: بكاك آدم حزناً يوم توبته * وكنت نوراً بساق العرش قد سطعاً. وأما تأسّي بعض الأنبياء عليهم السلام بالإمام الحسين عليه السلام، فمنها: ما رواه الفضل بن شاذان بسنده عن ابن عبدوس، عن ابن قتيبة، عن الفضل قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «لما أمر الله عزّ وجلّ إبراهيم أن يذبح مكان ابنه إسماعيل الكبش الذي أنزله عليه، تمنّى إبراهيم أن يكون قد ذبح ابنه إسماعيل بيده، وأنّه لم يؤمر بذبح الكبش مكانه ليرجع إلى قلبه ما يرجع إلى قلب الوالد الذي يذبح أعزّ ولده عليه بيده، فيستحقّ بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا إبراهيم من أحبّ خلقي إليك؟ فقال: يا رب ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ من حبيبك محمد، فأوحى الله إليه: أفهو أحبّ إليك أم نفسك؟ قال بل هو أحبّ إليّ من نفسي، قال: فولده أحبّ إليك أم ولدك؟ قال: بل ولده، قال فذبح ولده ظلماً على أيدي أعدائه أوجع



لقلبك أذبح ولدك بيدك في طاعتي؟ قال: يا رب بل ذبحه على أيدي أعدائه أوجع لقلبي، قال: يا إبراهيم فإن طائفة تزعم أنها من أمة محمد ستقتل الحسين ابنه من بعده ظلماً وعدواناً كما يذبح الكباش، ويستوجبون بذلك سخطي؛ فجزع إبراهيم لذلك وتوجع قلبه وأقبل يبكي، فأوحى الله عز وجل: يا إبراهيم قد فديت جزعك على ابنك إسماعيل لو ذبحته بيدك بجزعك على الحسين وقتله، وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب، وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ (انظر بحار الأنوار ج ١٢: ص ١٢٥). وأما بكاء نبي الله يحيى عليه السلام على الإمام الحسين عليه السلام فالروايات الواردة فيها كثيرة، حيث أن من المعلوم أن مصيبة نبي الله يحيى عليه السلام مشابهة لمصيبة الحسين عليه السلام من حيث طريقة الاستشهاد مع لحاظ الفارق أيضاً بينهما في جوانب أخرى تظهر عظم مصيبة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام على سائر المصائب، كما جاء في زيارة جابر بن عبد الله الأنصاري يوم زار الإمام الحسين عليه السلام في الأربعين، فقال: «وأشهد أنك مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريا». روي عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام، قال: «خرجنا مع الإمام الحسين عليه السلام، فما نزل منزلاً ولا ارتحل عنه إلا وذكر يحيى بن زكريا، وقال يوماً: من هوان الدنيا على الله أن رأس يحيى أهدي إلى بغي من بغايا بني إسرائيل» (بحار الأنوار ج ٤٥: ص ٨٩). كما أنه لم يذكر في التاريخ أن السماء والأرض بكّت على أحد غير شخصين هما الحسين بن علي عليه السلام ونبي الله يحيى بن زكريا عليه السلام، وهذا المعنى عظيم جداً لأهل الدراية والموعظة والتدبر. السماء تبكي على الحسين بن علي عليه السلام، وقد أخرج البغوي في تفسير قوله تعالى ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ (سورة الدخان: ٢٩): قال عطاء بكاء: السماء حمرة أطرافها، قال السدي: لما قتل الحسين ابن علي عليه السلام بكّت عليه السماء وبكاؤها حمرتها (تفسير البغوي ج ٤: ص ١٥٢). وأخرج القندوزي الحنفي في ينابيع المودة بسنده عن كثير بن شهاب الحارثي قال: بينا نحن جلوس عند علي في الرحبة إذ طلع الحسين عليه السلام قال: «إن الله ذكر قوماً بقوله ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾»، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ليقتلن هذا ولتبيكين عليه السماء والأرض» (ينابيع المودة ج ٣: ص ١٠١). وأخرج ابن قولويه بسنده عن محمد بن





عبد الرحمن بن أبي ليلى عن إبراهيم النخعي، قال: خرج أمير المؤمنين عليه السلام فجلس في المسجد واجتمع أصحابه حوله، وجاء الحسين حتى قام بين يديه، فوضع يده على رأسه فقال: «يا بني إنّ الله عبر أقواماً بالقرآن»، فقال: «وأيم الله ليقتلنك بعدي ثمّ تبكيك السماء والأرض» (كامل الزيارات: ص ١٨٠). وهذا نصّ في أنّ السماء بكت على الإمام الحسين عليه السلام ويحيى بن زكريا عليه السلام، عن محمد بن جعفر، عن محمد بن الحسين، عن وهب بن حفص النخاس، عن أبي بصير، عن مولانا أبي عبد الله، قال: «إنّ الحسين عليه السلام بكى لقتله السماء والأرض واحمرّتا، ولم تبكيا على أحد قطّ إلاّ على يحيى بن زكريا عليه السلام والحسين بن علي عليه السلام». وأخرج بسنده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «إنّ الحسين عليه السلام بكى لقتله السماء والأرض واحمرّتا، ولم تبكيا على أحد قطّ إلاّ على يحيى بن زكريا عليه السلام والحسين بن علي عليه السلام» (كامل الزيارات: ص ١٨١). وأخرج بسنده عن الحسن بن علي بن فضال، عن حماد بن عثمان، عن عبد الله ابن هلال، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنّ السماء بكت على الحسين بن علي ويحيى بن زكريا، ولم تبك على أحد غيرهما»، قلت: وما بكاؤهما؟ قال: «مكثوا أربعين يوماً تطلع الشمس بحمرة وتغرب بحمرة»، قلت: فذاك بكاؤهما؟ قال: «نعم» (كامل الزيارات: ص ١٨١). وأمّا بكاء نبي الله نوح عليه السلام على مصائب الإمام الحسين عليه السلام، فقد روي أنّه لما ركب في السفينة طافت به جميع الدنيا، فلما مرّت بكربلا أخذته الأرض، وخاف نوح الغرق فدعا ربّه وقال: «إلهي طفت جميع الدنيا وما أصابني فزع مثل ما أصابني في هذه الأرض»، فنزل جبرئيل وقال: «يا نوح في هذا الموضع يقتل الحسين سبط محمد خاتم الأنبياء، وابن خاتم الأوصياء»، فقال: «ومن القاتل له يا جبرئيل؟» قال: «قاتله لعين أهل سبع سماوات وسبع أرضين»، فلعنه نوح أربع مرّات فسارت السفينة حتّى بلغت الجودي واستقرّت عليه (بحار الأنوار ج ٤٤: ص ٢٤٣). وأمّا بكاء نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام على مصائب الإمام الحسين عليه السلام، فقد روي أنّ إبراهيم عليه السلام مرّ في أرض كربلا وهو راكب فرساً، فعثرت به وسقط إبراهيم وشجّ رأسه وسال دمه، فأخذ في الاستغفار وقال: «إلهي أي شيء حدث منّي؟» فنزل إليه جبرئيل وقال: «يا إبراهيم ما





حدث منك ذنب، ولكن هنا يقتل سبط خاتم الأنبياء، وابن خاتم الأوصياء، فسأل دمك موافقة لدمه». قال: «يا جبرئيل ومن يكون قاتله؟» قال: «لعين أهل السماوات والأرضين، والقلم جرى على اللوح بلعنه بغير إذن ربّه، فأوحى الله تعالى إلى القلم إنك استحققت الثناء بهذا اللعن». فرفع إبراهيم عليه السلام يديه ولعن ولعن كثيراً وأمن فرسه بلسان فصيح، فقال إبراهيم لفرسه: «أي شيء عرفت حتى تؤمن على دعائي؟» فقال: يا إبراهيم أنا أفخر بركوبك عليّ، فلما عثرت وسقطت عن ظهري عظمت خجلتي وكان سبب ذلك من يزيد لعنه الله تعالى (بحار الأنوار ج ٤: ٤٤ ص ٢٤٣). وأمّا بكاء إسماعيل عليه السلام على مصائب الإمام الحسين عليه السلام، فقد روي أنّ إسماعيل كانت أغنامه ترعى بشطّ الفرات، فأخبره الراعي أنّها لا تشرب الماء من هذه المشرعة منذ كذا يوماً، فسأل ربّه عن سبب ذلك فنزل جبرئيل وقال: «يا إسماعيل سل غنمك فإنّها تجيبك عن سبب ذلك»، فقال لها: «لم لا تشربين من هذا الماء؟» فقالت بلسان فصيح: قد بلغنا أنّ ولدك الحسين عليه السلام سبط محمد يقتل هنا عطشاً، فنحن لا نشرب من هذه المشرعة حزناً عليه، فسألها عن قاتله فقالت: يقتله لعين أهل السماوات والأرضين والخلائق أجمعين، فقال إسماعيل: «اللهم العن قاتل الحسين عليه السلام» (بحار الأنوار ج ٤: ٤٤ ص ٢٤٣). وأمّا بكاء موسى عليه السلام على مصائب الإمام الحسين عليه السلام، فقد روي أنّ موسى عليه السلام كان ذات يوم سائراً ومعه يوشع بن نون، فلما جاء إلى أرض كربلاء انخرق نعله، وانقطع شراكه، ودخل الخسك في رجله، وسال دمه، فقال: «إلهي أي شيء حدث منّي؟» فأوحى إليه: «أنّ هنا يقتل الحسين عليه السلام وهنا يسفك دمه، فسأل دمك موافقة لدمه» فقال: «ربّ ومن يكون الحسين؟» فقليل له: «هو سبط محمد المصطفى، وابن علي المرتضى»، فقال: «ومن يكون قاتله؟» فقليل: «هو لعين السمك في البحار، والوحوش في القفار، والطير في الهواء»، فرفع موسى يديه ولعن يزيد ودعا عليه وأمن يوشع بن نون على دعائه ومضى لشأنه (بحار الأنوار ج ٤: ٤٤ ص ٢٤٤). وفي حديث أنّ موسى عليه السلام سأل الله في مناجاته، وقال: «يا ربّ، لم فضّلت أمة محمد ﷺ على سائر الأمم؟» فقال الله تعالى: «فضّلتهم لعشر خصال»، قال موسى: «وما تلك الخصال التي يعملونها حتى أمر بني إسرائيل يعملونها؟» قال الله تعالى: «الصلاة والزكاة والصوم والحجّ





والجهاد والجمعة والجماعة والقرآن والعلم والعاشوراء»، قال موسى: «يا رب، وما العاشوراء؟» قال: «البكاء والتباكى على سبط محمد ﷺ، والمرثية والعزاء على مصيبة ولد المصطفى. يا موسى، ما من عبد من عبيدي في ذلك الزمان بكى أو تباكى وتعزى على ولد المصطفى إلا وكانت له الجنة ثابتاً فيها، وما من عبد أنفق من ماله في محبة ابن بنت نبيه طعاماً وغير ذلك درهماً أو ديناراً إلا باركت له في دار الدنيا الدرهم بسبعين، وكان معافى في الجنة وغفرت له ذنوبه. وعزتي وجلالي ما من رجل أو امرأة سال دمع عينيه في يوم عاشوراء وغيره قطرة واحدة إلا وكتب له أجر مائة شهيد» (جامع أحاديث الشيعة ج ١٢: ص ٥٥٧). وأمّا بكاء سليمان عليه السلام على مصائب الإمام الحسين عليه السلام، فقد روي أنّ سليمان عليه السلام كان يجلس على بساطه ويسير في الهواء، فمرّ ذات يوم وهو سائر في أرض كربلاء فأدارت الريح بساطه ثلاث دورات حتى خاف السقوط فسكنت الريح ونزل البساط في أرض كربلاء. فقال سليمان عليه السلام للريح: «لم سكنتي؟»، فقالت: إنّ هنا يقتل الحسين عليه السلام، فقال: «ومن يكون الحسين؟» فقالت: هو سبط محمد المختار ﷺ، وابن علي الكرار عليه السلام، فقال: «ومن قاتله؟» قالت: لعين أهل السماوات والأرض يزيد، فرفع سليمان عليه السلام يديه ولعنه ودعا عليه وأمن على دعائه الإنس والجن، فهبت الريح وسار البساط (بحار الأنوار ج ٤٤: ص ٢٤٤). وأمّا بكاء عيسى عليه السلام على مصائب الإمام الحسين عليه السلام، فقد روي أن عيسى كان سائحاً في البراري ومعه الحواريون، فمرّوا بكربلاء فرأوا أسداً كاسراً قد أخذ الطريق، فتقدّم عيسى عليه السلام إلى الأسد، فقال له: «لم جلست في هذا الطريق؟» وقال: «لا تدعنا نمرّ فيه؟» فقال الأسد بلسان فصيح: إنّني لم أدع لكم الطريق حتى تلعنوا يزيد قاتل الحسين عليه السلام، فقال عيسى عليه السلام: «ومن يكون الحسين؟» قال: هو سبط محمد النبي الأمي وابن علي الولي قال: «ومن قاتله؟» قال: قاتله لعين الوحوش والذباب والسباع أجمع خصوصاً أيام عاشوراء، فرفع عيسى يديه ولعن يزيد ودعا عليه وأمن الحواريون على دعائه، فتنحى الأسد عن طريقهم ومضوا لشأنهم (بحار الأنوار ج ٤٤: ص ٢٤٤). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام فإنّها تدلّ على أنّ جميع الأنبياء عليهم السلام قد بكوا على الإمام الحسين عليه السلام وهو نور بساق العرش، وعليه يعرف بأنّ



ولذلك لم يحصل تغيير في العالم مثل ما صدر في مصيبتة^(١)، فقد نقل ابن



حادثة كربلاء وقضية الإمام الحسين عليه السلام ومأساته أعظم مصيبة في الكون. وهذه قضية ليست قضيةً ظاهريّةً كي يعرف أبعادها بحسب المقاييس الظاهريّة، لأنّ عقول البشريّة قاصرة عن إدراك المقامات المعنويّة، وإنّما يعرف ذلك بحسب الروايات والأخبار، فلا حظ.

(١) لقد نقل المؤرّخون والمحدّثون بعض الأحداث الغريبة الخارقة للعادة التي تلت شهادة مولانا أبي عبدالله الحسين عليه السلام، ولا يحتاج العثور على هذه الروايات إلى الكثير من البحث والتقصّي في كتب السنّة والشيعة، بل يمكن التعرف عليها في كثير من مصادر الفريقين، وليكتشف الباحث عن هذه الواقعة والحادثة التي لا مثيل لها في تاريخ الإنسانيّة، ولذلك تستحقّ أن تُدرس ويُعاد النظر فيها مرّة بعد أخرى. والحوادث التي وقعت في هذا المجال لها صلة بالنظام الكونيّ كالشمس والقمر والنجوم والأرض. وبعضها له علاقة بالأنبياء عليهم السلام والملائكة، وبعضها الآخر يختصّ بالجنّ والحيوانات، وبعضها مرتبط ببعض البشر. وسوف نحاول، هنا دراسة للروايات الواردة حول هذه مصيبة في تاريخ الكون وبشكل موجز عن كتب السنّة والشيعة، وحتى يعرف بأنّ هذه الواقعة من أعظم وأجلّ رزية على المؤمنين وعلى المسلمين، بل على جميع الكائنات العاقلة وغير العاقلة والجمادات وعلى سكّان السّماوات والجنّان، وهي مصيبة لا تبرّد أبداً. وقبل ذكر الأخبار لا بأس بتبيين مقدّمة ولو على نحو الإيجاز، ألا وهي: أنّ الله تبارك وتعالى بيده التكوين والتشريع. والتكوين هو كخلق الشمس والقمر والسماوات والأرضين، وخلق الجنّة وجهنّم. والتشريع هو الصلاة والصيام والعبادات والواجبات والمحرمات والمستحبات والمكروهات والمباحات. ومن جملة ذلك العزاء على الإمام سيّد الشهداء عليه السلام، والتي له خصائص تشريعيّة وخصائص خاصّة في عالم التكوين، وهي خصائص لم تكن قبله. نراها في مجموعة عظيمة من الروايات إذا جمعت فستكون سफراً ضخماً. وإليك بعض ما ورد في الأخبار، فمنها ما رواه أبو مخنف في كتابه مقتل





الحسين عليه السلام: وتزلزلت الأرض لمصرع الحسين عليه السلام وأظلم الشرق والغرب، وأخذت الناس الرجفة والصواعق، وأمطرت السماء دماً عبيطاً (أي خالصاً طرياً)... ولم تمطر السماء دماً إلا ذلك اليوم ويوم شرح فيه يحيى بن زكريا عليه السلام (مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ص ٩٣). ومنها ما رواه الخوارزمي في مقتله: وارتفعت في السماء - في ذلك الوقت - غبرة شديدة مظلمة، فيها ريح حمراء، لا يرى فيها عين ولا أثر، حتى ظن القوم أن العذاب قد جاءهم، فلبثوا بذلك ساعة ثم انجلت عنهم (مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ج ٢: ص ٣٧). ومنها ما رواه السيوطي في تاريخ الخلفاء: لما قتل الحسين عليه السلام مكنت الدنيا سبعة أيام، والشمس على الحيطان كالملاحف المعصفرة، والكواكب يضرب بعضها بعضاً (تاريخ الخلفاء: ص ٢٠٧). ومنها ما رواه الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام: عن معمر بن راشد قال: أو ما عرف الزهري تلکم في مجلس الوليد بن عبد الملك؟ فقال الوليد: تعلم ما فعلت أحجار بيت المقدس يوم قتل الحسين، فقال الزهري: إنه لم يقلب حجر إلا وجد تحته دم عبيط. وروى الواقدي، عن عمر بن محمد بن عمر بن علي، عن أبيه قال: أرسل عبد الملك إلى ابن رأس جالوت فقال: هل كان في قتل الحسين علامة؟ قال: ما كشف يومئذ حجر إلا وجد تحته دم عبيط. وقال جعفر بن سليمان: حدثتني أم سالم خالتي قالت: لما قتل الحسين مطرنا مطراً كالدم على البيوت والجدر (تاريخ الإسلام للذهبي ج ٥: ص ١٦). ومنها ما رواه الشراوي في الإتحاف بحب الأشراف: أنه قال الحسن الكندي: لما قتل الحسين عليه السلام مكثنا أياماً سبعة، إذا صلينا العصر نظرنا الشمس على الحيطان كأنها الملاحف المعصفرة، ونظرنا الكواكب كأنها يضرب بعضها بعضاً (الإتحاف بحب الأشراف: ص ٧٤). ومنها ما رواه عن ابن سيرين: أن الحمرة التي مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين عليه السلام (الإتحاف بحب الأشراف: ص ٤١). ومنها ما رواه البيهقي بسنده عن ابن لهيعة عن أبي قبيل قال: لما قتل الحسين بن علي عليه السلام كسفت الشمس كسفة بدت الكواكب نصف النهار حتى ظننا أنها هي (السنن الكبرى للبيهقي ج ٣: ص ٣٣٧). ومنها ما رواه الهيثمي في كتابه مجمع الزوائد بسنده عن جميل بن زيد قال: لما قتل الحسين عليه السلام احمرت السماء (مجمع الزوائد ج ٩: ص ١٩٧). ومنها: ما رواه





عن أبي قبيل قال: لما قتل الحسين بن علي عليه السلام انكسفت الشمس كسفة حتى بدت الكواكب نصف النهار حتى ظننا أنها هي (مجمع الزوائد ج ٩: ص ١٩٧). ومنها ما رواه عن عيسى بن الحرث الكندي قال: لما قتل الحسين عليه السلام مكثنا سبعة أيام إذا صلينا العصر نظرنا إلى السماء على أطراف الحيطان كأنها الملاحف المعصفرة، ونظرنا إلى الكواكب يضرب بعضها بعضاً (مجمع الزوائد ج ٩: ص ١٩٧). ومنها ما رواه البغوي في تفسير قوله تعالى ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْتَظِرِينَ﴾ (سورة الدخان: ٢٩): قال عطاء: بكاء السماء حمرة أطرافها، قال السدي: لما قتل الحسين بن علي عليه السلام بكث عليه السماء وبكاؤها حمرتها (تفسير البغوي ج ٤: ص ١٥٢). ومنها ما رواه القرطبي في تفسيره عن السدي أنه قال: لما قتل الحسين بن علي عليه السلام بكث عليه السماء، وبكاؤها حمرتها. وحكى جرير عن يزيد بن أبي زياد قال: لما قتل الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام احمر له آفاق السماء أربعة أشهر. قال يزيد: وإحمرارها بكاؤها. وقال محمد ابن سيرين: أخبرونا أن الحمرة التي تكون مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين بن علي عليه السلام وقال سليمان القاضي: مطرنا دماً يوم قتل الحسين عليه السلام (تفسير القرطبي ج ١٦: ص ١٤١). ومنها ما رواه ابن كثير في تفسيره عن يزيد بن أبي زياد قال: لما قتل الحسين ابن علي عليه السلام احمرت آفاق السماء أربعة أشهر، قال يزيد: وإحمرارها بكاؤها، وهكذا قال السدي في الكبير، وقال عطاء الخراساني: بكاؤها أن تحمر أطرافها، وذكروا أيضاً في مقتل الحسين عليه السلام أنه ما قلب حجر يومئذ إلا وجد تحته دم عييط وأنه كسفت الشمس واحمر الأفق وسقطت حجارة (تفسير ابن كثير ج ٤: ص ١٥٤). ومنها ما رواه ابن عساكر بسنده عن خلف بن خليفة عن أبيه قال: لما قتل الحسين عليه السلام اسودت السماء وظهرت الكواكب نهراً حتى رأيت الجوزاء عند العصر وسقط التراب الحمر (تاريخ مدينة دمشق ج ١٤: ص ٢٢٦). ومنها ما رواه بسنده عن علي بن مسهر عن جدته قالت: لما قتل الحسين عليه السلام كنت جارية شابة، فمكثت السماء سبعة أيام بلياليها كأنها علقه (تاريخ مدينة دمشق ج ١٤: ص ٢٢٦). ومنها ما رواه بسنده عن علي بن معمر عن إسحاق بن عباد عن المفصل بن عمر الجعفي قال: سمعت جعفر بن محمد عليه السلام يقول: «حدثني أبي محمد بن





عليّ عليه السلام، حدّثني أبي علي بن الحسين عليه السلام قال: لمّا قتل الحسين بن علي عليه السلام جاء غراب فوقع في دمه وتمرّع ثمّ طار فوقع في المدينة على جدار فاطمة بنت الحسين بن علي وهي الصغرى، ونعب فرفعت رأسها إليه فنظرت إليه فبكت بكاءً شديداً، وأنشأت تقول: نعب الغراب فقلت من * تنعاه ويلك يا غراب. قال الإمام فقلت من؟ * قال الموفق للصواب. قلت الحسين فقال لي * حقاً لقد سكن التراب. إنّ الحسين بكر بلا * بين الأسنة والضراب. فابك الحسين بعبرة * ترضي الإله مع الثواب. ثمّ استقلّ به الجناح * فلم يطق ردّ الجواب. فبكيّت ممّا حلّ بي * بعد الوصي المستجاب». قال محمد بن علي ابن الحسين: «قال أبي علي بن الحسين: فنعته لأهل المدينة فقالوا: قد جاءتنا بسحر عبد المطلب، فما كان بأسرع من أن جاءهم الخبر بقتل الحسين بن علي عليه السلام» (تاريخ مدينة دمشق ج ٧٠: ص ٢٤). ومنها ما رواه البلاذري بسنده عن أبي حصين قال: لمّا قتل الحسين عليه السلام مكثوا شهرين أو ثلاثة وكأثما يلطّخ الحيطان بالدم، من حين صلاة الغداة إلى طلوع الشمس (أنساب الأشراف ج ٣: ص ٢٠٩). ومنها ما رواه القندوزي الحنفي في كتابه ينابيع المودة عن أبي نعيم الحافظ في كتابه "دلائل النبوة": عن نصرّة الأزدية أنّها قالت: لمّا قتل الحسين عليه السلام أمطرت السماء دماً، فأصبحنا فإذا رحائنا وجرارنا مملوءة دماً. وفي أحاديث غيرها وممّا ظهر يوم قتله عليه السلام من الآيات أيضاً إنّ السماء اسودّت (اسوداداً عظيماً) حتّى رُويت النجوم نهاراً، ولم يرفع حجر إلّا وجد تحته دم عبيط (ينابيع المودة ج ٣: ص ١٥). ومنها ما رواه القندوزي الحنفي في ينابيع المودة عن كثير بن شهاب الحارثي قال: بيّنا نحن جلوس عند عليّ في الرحبة إذ طلع الحسين عليه السلام قال: «إنّ الله ذكر قومًا بقوله: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ...﴾، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ليقتلنّ هذا ولتبكينّ عليه السماء والأرض» (ينابيع المودة ج ٣: ص ١٠١). وإلى غير ذلك من الروايات التي رواها كبار علماء أهل السنة. وإذا أردنا أن نذكر جميع الروايات الواردة في هذا في المجال لطال بنا المقام، لاسيّما الروايات التي وردت عن طريق أئمة أهل البيت عليهم السلام فإنّها كثيرة وذكرها يخرجنا عن طور البحث.

٥٠٤..... منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨

حجر الهيتمي مفتي الحجاز في رده على الشيعة الذي رددناه بأتقن دليل وبأقوم حجة عن جماعة من عمد أهل مذهبه أنّ الدنيا مطرت دماً عبيطاً يوم قتله عليه السلام حتى صبغت ثياب الخلق وحيطانهم وكسفت الشمس وطلعت النجوم حتى ظنّ الناس أنّ القيامة قد قامت، وضربت النجوم بعضها بعضاً واحمرّت آفاق سمائها ستّة أشهر، وحمرة الشفق حدثت من يوم قتله وقبله لم تر وهي باقية إلى اليوم، وتحول العدس في عسكر ابن سعد إلى الرماد ونحر العسكر ناقة فبان لهم في لحمها مثل الفار فطبخوها فوجدوها مرّة مثل العلقم فرموها، ولما جيء بكريمة الشريف إلى قصر ابن زياد سالت حيطانه دماً^(١)،

(١) انظر الصواعق المحرقة ج ٢: ص ٥٦٨-٥٧٠. لقد وردت هذه الحوادث وغيرها في الروايات والأخبار التي رواها الفريقين في كتبهم، وذلك لأنّ حادثة عاشوراء وشهادة الإمام الحسين عليه السلام فيها، من أهمّ الأحداث التي وقعت في تاريخ البشرية كلّها. ومن الشواهد والمؤشّرات الدالة على هذه العظمة الاستثنائية لثورة الإمام الحسين عليه السلام والفاجعة الإليمة لشهادة قائدها، ما ينقله المؤرّخون والمحدّثون عن بعض الأحداث الغريبة الخارقة للعادة التي تلت شهادته عليه السلام. ولا يحتاج العثور على هذه الروايات إلى الكثير من البحث والتقصّي في كتب السنّة والشيعة، بل يمكن التعرّف على بعض هذه الأحداث بنظرة عابرة، ليكتشف المرء أنّ هذه الواقعة حادثة لا مثيل لها في تاريخ الإنسانية. ومن هنا، نرى أنّ هذه الأحداث، تستحقّ أن تُدرس دراسة علمية متأنية لتشخيص أبعادها في مختلف المجالات الفردية والاجتماعية. والآن وبناءً على ما مرّ كلّهُ، ينبغي أن نمرّ على الروايات المتنوّعة المتعلّقة بالأحداث الغريبة التي حصلت بعد شهادة الامام الحسين عليه السلام في سياق مرتبط بنهضته المباركة. قال ابن حجر في الصواعق: ولما قتلوه (الامام الحسين عليه السلام) بعثوا برأسه إلى يزيد فنزلوا أوّل مرحلة فجعلوا يشربون



بالرأس، فبينما هم كذلك إذ خرجت عليه من الحائط يد معها قلم من حديد فكتبت سطر بدم: «أترجو أمة قتلت حسيناً * شفاعة جلّه يوم الحساب» فهربوا وتركوا الرأس. أخرجه منصور بن عمار وذكر غيره أنّ هذا البيت وجد بحجر قبل مبعثه بثلاثمائة سنة وأنّه مكتوب في كنيسة من أرض الروم لا يدري من كتبه. وذكر أبو نعيم الحافظ في كتاب دلائل النبوة فأصبحنا وحبابنا وجرارنا مملوءة دماً وكذا روي في أحاديث غير هذه ومما ظهر يوم قتله من الآيات أيضاً أنّ السماء اسودّت اسوداداً عظيماً حتّى رؤيت النجوم نهاراً ولم يرفع حجر إلّا وجد تحته دم عبيط. وأخرج أبو الشيخ أنّ الورد الذي كان في عسكرهم تحول رماداً، وكان في قافلة من اليمن تريد العراق فوافيتهم حين قتله وحكى ابن عيينة عن جدّته: أنّ جملاً ممّن انقلب ورسه رماداً، أخبرنا بذلك ونحروا ناقة في عسكرهم فكانوا يرون في لحمها مثل الفيران فطبخوها فصارت مثل العلقم وأنّ السماء احمرّت لقتله وانكسفت الشمس حتّى بدت الكواكب نصف النهار وظنّ الناس أنّ القيامة قد قامت، ولم يرفع حجر في الشام إلّا رؤي تحت دم عبيط. وأخرج عثمان بن أبي شيبة: أنّ السماء مكثت بعد قتله سبعة أيام ترى على الحيطان كأنّها ملاحف معصفرة من شدة حرّتها وضربت الكواكب بعضها بعضاً. ونقل ابن الجوزي عن ابن سيرين: أنّ الدنيا أظلمت ثلاثة أيام ثمّ ظهرت الحمرة في السماء. وقال أبو سعيد: ما رفع حجر من الدنيا إلّا وجد تحته دم عبيط ولقد مطرت السماء دماً بقي أثره في الثياب مدّة حتّى تقطعت. وأخرج الثعلبي وأبو نعيم ما مرّ من أنّهم مطروا دماً. زاد أبو نعيم فأصبحنا وحبابنا وجرارنا مملوءة دماً. وفي رواية أنّه مطر كالدّم على البيوت والجدر بخراسان والشام والكوفة، وأنّه لما جيء برأس الحسين إلى دار زياد سألت حيطانها دماً. وأخرج الثعلبي: أنّ السماء بكّت وبكاؤها حمرتها. وقال غيره: احمرّت آفاق السماء ستّة أشهر بعد قتله ثمّ زالت الحمرة ترى بعد ذلك. وأنّ ابن سيرين قال: أخبرنا أنّ الحمرة لم تر في السماء قبل قتله (انظر الصواعق المحرقة ج ٢: ص ٥٦٨-٥٧٠). ثمّ قال ابن حجر: أنّه قال الغزالي وغيره: ويحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين وحكاياته وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم فإنّه يهيج على بغض الصحابة والطعن فيهم... (ثمّ قال: وما ذكره من





حرمة رواية قتل الحسين وما بعدها لا ينافي ما ذكرته في هذا الكتاب، لأنّ هذا البيان الحقّ الذي يجب اعتقاده من جلاله الصّحابة وبراءتهم من كلّ نقص... (انظر الصواعق المحرقة ج ٢: ص ٦٤٠).

أقول: لا يخفى على الخبير التناقض الفاحش في كلام ابن حجر والغزالي وسائر علمائهم الذين سلكوا هذا المسلك المفتضح في إخفاء مصيبة مولانا أبي عبدالله الحسين عليه السلام مع إظهارها في النصوص والروايات. والعجيب في الأمر أنّهم يحاولون إخفاء بعض الحقائق التاريخية بحجج واهية باطلة مدّعيّاً بأنّ إظهار تلك الحقائق التاريخية يؤدّي الى الطعن في الصحابة وبغضهم، ولا يجوز ذلك... بل وبعضهم صرّح بأنّه يحرم على الواعظ نقل ما جرى على الإمام الحسين عليه السلام ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله من مصائبه في يوم عاشوراء للدعاء المذكور، وهذا هو رأي الناصبي الحاقّد الغزالي، فجعل سنن رسول الله صلى الله عليه وآله وما أمره القرآن من لزوم اتباع النبي صلى الله عليه وآله لكونه أسوة في سبيل لا يتحقّق الطعن في الصحابة. إلّا أنّ هؤلاء المتعصّبين من علماء أهل السنّة هم في المقابل الكثير من علمائهم يحثّون ويشجّعون على نقل قضية الإمام الحسين عليه السلام مهما كانت القضية، وذلك لأنّ قضية الإمام الحسين عليه السلام قضية الإسلام والحقّ والإصلاح في مقابل الكفر والباطل والإفساد. ثمّ أنّه ورد في الحديث الصحيح عند أهل السنّة عن عمر بن أبي سلمة، عن أمّ سلمة، أن أبا سلمة حدثها أنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «ما من مسلم يصاب بمصيبة فيفزع إلى ما أمر الله به، من قوله: "إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهمّ عندك احتسبت مصيبتني، فأجرني فيها وعوّضني منها"، إلّا آجره الله عليها وعاضه خيراً منها». قالت: فلمّا توفّي أبو سلمة ذكرت الذي حدّثني عن رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: «إنا لله وإنا إليه راجعون. اللهمّ عندك احتسبت مصيبتني هذه، فأجرني عليها». فإذا أردت أن أقول: «وعضني خيراً منها»، قلت في نفسي: أعاض خيراً من أبي سلمة؟ ثمّ قلتها فعاضني الله محمّداً صلى الله عليه وآله، وآجرني في مصيبتني (انظر سنن ابن ماجه ج ١: ص ٥١٠). وعليه فإنّ ما ذكره الغزالي وغيره من المتعصّبين من علمائهم نموذج واضح من التناقض والإرتباك التي وقع في كلامهم ممّن أذهلت عقولهم وعجزوا عن متابعة قول الحقّ، فهؤلاء أرادوا استتاب الأمر لبني لأمية وظنّوا أنّ قضية آل



منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨ ٥٠٧

وحسب طالب الحق المنصف في معرفة شدة عظمة هذه المصيبة ما نقلنا
هنا دون غيره ^(١).



البيت عليه السلام قد طويت وانتتهت، فلما أعلن الإمام الحسين عليه السلام ثورته وخط كلمة الحق
بدمائه الطاهرة على الأرض وفي السماء بل وفي الكون كله، لجأوا مرة أخرى إلى
الكتمان والتزييف لعل الناس ينسون، ولكن هيهات هيهات لما توعدون.

(١) لا شك أن من كان مسلماً حقيقياً وعرف عن حادثة كربلاء العظيمة وأبعادها الفجيعة
بشكل صحيح، وتأمل في ما جاء عن رسول الله ﷺ في خصائص مولانا أبي عبد الله
الحسين عليه السلام وفضائله، فيتأثر ويتفاعل لاستشهاده إذا كان يؤمن بالله ورسوله ﷺ حقيقة،
لأن الإمام الحسين عليه السلام رمز لاستمرار تعاليم الأنبياء عليهم السلام وهذا معنى قول رسول الله ﷺ:
«حسين مني وأنا من حسين» (انظر تاريخ الكبير للبخاري ج ٨: ص ٤١٥، سنن الترمذي
ج ٥: ص ٣٢٤، والمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج ٣: ص ١٧٧، وصحيح
ابن حبان ج ١٥: ص ٤٢٨، والمعجم الكبير للطبراني ج ٣: ص ٣٢، وغيرها من المصادر).
فإن إحدى معاني الفقرة الثانية من قوله ﷺ: «وأنا من حسين» هو أن بقاء الدين وبقاء
الشريعة السماوية مرهون بشهادة مولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام، إذ لولا شهادته عليه السلام لما
بقي من الدين المحمدي أثر. وعدم بقاء أثر من الدين المحمدي معناه عدم بقاء شريعة
سماوية، ولذلك قال السندي في الحاشية على سنن ابن ماجه: وقوله ﷺ: «حسين مني
وأنا من حسين» أي بيننا من الاتحاد والاتصال ما يصح أن يقال كل منهما من الآخر (انظر
حاشية السندي على سنن ابن ماجه ج ١: ص ٦٥). وقد اشتهر في العصر الأخير عن لسان
أحد العلماء الأعلام: أن الإسلام محمدي الحدوث وحسيني البقاء، كما عن لسان حال
الإمام الحسين عليه السلام: «إن كان دين محمد لم يستقم إلا بقتلي فيا سيوف خذيني»، فلولا
شهادة الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء المقدسة وفي يوم عاشوراء لما قام للإسلام عوداً،
ولا بقي له من صورة ورسم واسم، فإن بني أمية بنفاهم قد حاربوا الدين المحمدي
الأصيل، عند انبثاق نوره وإشراق شمسهِ في الجزيرة العربية وفي مكة المكرمة، فإن أبا





سفيان قد حارب الإسلام، ومن بعده أبنائه وأحفاده أبناء الطلقاء، فقد حاولوا طمس معالم الدين، وآثار سيّد المرسلين ومظاهر النبوة، وأنوار الإمامة والولاية، وقد فُسح لهم المجال بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام تسلّطوا على الحكم والأوضاع، فلولا قيام وثورة ونهضة الإمام الحسين عليه السلام لما بقي للإسلام المحمّدي ذكراً، ولكانت أمراطورية، ولأُعِيدت الجاهلية الأولى إلى المسلمين كما كانوا قبل الإسلام، وأرادوا أن يطفؤا نور الله، إلا أن الله سبحانه أبى وأراد أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون والمنافقون، فقد حفظ الإمام عليه السلام بشهادته إسلام جدّه، فكان جدّه منه في بقاء الإسلام، فبقاء الشريعة المحمّدية إنّما هو بذلك الدم الزكي الطاهر، وبدم الصفة الطيبة من أهل بيته وأصحابه الطاهرين عليهم السلام الذين لم يكن لهم آنذاك شبيه في الأرض، وكما قال رسول الله ﷺ: «حسين منّي وأنا من حسين». ومعناه سيبقى الإمام الحسين عليه السلام أسوة وقدرة لما بعده لتضحياته ببذل نفسه النفيس من أجل بقاء الدين المحمّدي الأصيل. ثم إنّ الإمام الحسين عليه السلام هو خامس أصحاب الكساء الذين أنزل الله تعالى في مدحهم آيات عديدة، فشهادة الإمام الحسين عليه السلام معناه خسارة جميع هذه الثروة العظيمة، وذلك كما قال مولانا الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إنّ يوم الحسين عليه السلام أعظم مصيبة من جميع سائر الأيام وذلك أنّ أصحاب الكساء الذي كانوا أكرم الخلق على الله تعالى كانوا خمسة، فلمّا مضى عنهم النبي ﷺ، بقي أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة عليها السلام والحسن والحسين عليهما السلام فكان فيهم للناس عزاء وسلوة، فلمّا مضت فاطمة عليها السلام كان في أمير المؤمنين عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام للناس عزاء وسلوة، فلمّا مضى الحسن عليه السلام كان للناس في الحسين عليه السلام عزاء وسلوة، فلمّا قتل الحسين عليه السلام لم يكن بقي من أهل الكساء أحد للناس فيه بعده عزاء وسلوة فكان ذهابه كذهاب جميعهم كما كان بقاءه كبقاء جميعهم فلذلك صار يومه أعظم مصيبة...» (انظر علل الشرايع للشيخ الصدوق رحمته الله ج ١: ص ٢٢٥). وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام دخل يوماً على الحسن عليه السلام فلمّا نظر إليه بكى فقال له: "ما يبكيك يا أبا عبد الله؟" قال: "أبكي لما يصنع بك". فقال له





الحسن: "إنّ الذي يؤتى إليّ سمّ يَدَسُّ إليّ فأقتل به، ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل، يدعون أنّهم من أمة جدنا محمد، ويتحلون دين الإسلام، فيجتمعون على قتلك وسفك دمك وانتهاك حرمتك وسبي ذراريك ونسائك وانتهاج ثقلك، فعندها تحلّ ببني أمية اللعنة، وتمطر السماء رماداً ودماءً، ويكي عليك كلّ شيء حتّى الوحوش في الفلوات، والحيتان في البحار" (انظر الأُمالي للشيخ الصدوق رحمته الله: ص ١٧٧). ولذلك أنّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام ورسالته العظيمة كانت عالمية تحمل معنى واحد وهو انتصار الحقّ على الباطل، والحقّ دائماً هو ما يريد الله تعالى، وعلى هذا الأساس انطلقت نهضة الامام الحسين عليه السلام وثورته نهضة الحقّ ضدّ الباطل، ونبراساً لكلّ المسلمين. لذلك أنّ مصيبتَه عليه السلام في حقيقة الأمر كانت عظيمة وجليلة على كلّ الأمة الإسلامية، فمن لم تتلوّث فطرته وصفته سريره كان بحقّ يشعر أنّ الامام الحسين عليه السلام يمثّله. ومثلما كانت المصيبة عظيمة على أهل الأرض كانت كذلك على أهل السماء، لأنّ الإمام عليه السلام إمامته نافذة على كلّ الكون بما فيها الملائكة والجنّ، ويتّضح هذا من خلال سؤال آدم عليه السلام لرّبّه كما جاء في الحديث: «إلهي وسيدي هل خلقت خلقاً هو أكرم عليك مني؟» فقال: «يا آدم لولا هذه الأسماء لما خلقت سماء مبنية، ولا أرضاً مدحية، ولا ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلًا، ولا خلقتك يا آدم...» (انظر روضة الواعظين للفتّال النيسابوري: ص ٨٤، والفضائل لشادان بن جبريل القمي: ص ١٢٨). ونرى هذا المعنى جيّاً بحديث الامام الصادق عليه السلام حيث قال: «إنّ أربعة آلاف ملك هبطوا يريدون القتال مع الحسين بن علي لم يؤذن لهم في القتال، فرجعوا في الاستئذان فهبطوا وقد قتل الحسين عليه السلام، فهم عند قبره شعثٌ، غُبرٌ، يكونه إلي يوم القيامة» (انظر كامل الزيارات لابن قولويه: ص ١٧١). ولم يقتصر الأمر على أهل السماء فقط، بل حتّى السماء والأرض والشمس والجبال، فقد ورد في بحار الأنوار أنّ الامام الصادق عليه السلام قال: «يا زرارَة إنّ السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً بالدم، وإنّ الأرض بكت أربعين صباحاً بالسواد، وإنّ الشمس بكت أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة، وإنّ الجبال تقطّعت وانتشرت، وإنّ البحار تفجّرت، وإنّ الملائكة بكت أربعين صباحاً على الحسين» (انظر كامل الزيارات





لابن قولويه: ص ١٦٧). فما أعظمها من مصيبة لم يرعوا هؤلاء الأوباش من بني أمية حرمة هذا الإمام العظيم في السماء والأرض، ولكنّها فعلت شيطانية حاكها إبليس بخيوطه الحاقدة على أولياء الله تعالى ونفّذها بجداره واحتراف تلاميذه من الفسقة الفجرة والأيادي التي أسستها السقيفة، والخطّ الأمويّ الذين حاولوا أن يغيّبوا هذه المصيبة العظيمة عن الأمة بأساليب مختلفة، على مدى القرون الكثيرة إمّا لمحو آثارها وإمّا لتخفيف شدّتها لئلاّ تطعن الناس في خلافة السقيفة والصحابة التابعة لها، ولذلك قال ابن حجر بعد ذكر بعض الحوادث والمصائب الشديدة التي حدثت يوم عاشوراء لمصيبة أبي عبدالله الحسين عليه السلام: أنّه قال الغزاليّ وغيره: ويحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين وحكاياته وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم فإنّه يهيج على بغض الصحابة والطعن فيهم... (ثم قال:) وما ذكره من حرمة رواية قتل الحسين وما بعدها لا ينافي ما ذكرته في هذا الكتاب، لأنّ هذا البيان الحقّ الذي يجب اعتقاده من جلالة الصّحابة وبراءتهم من كلّ نقص... (انظر الصواعق المحرقة ج ٢: ص ٦٤٠). فصارت كتبهم سطرّاً واحداً عن معركة عاشوراء، يؤرّخ لتاريخ الإسلام، وهذا يبيّن أنّ الاتجاه الأموي إلى حدّ ما استطاع أن يؤثّر في الأمة، والحمد لله ربّ العالمين. فقضية الإمام الحسين عليه السلام ومأساته أعظم مصيبة في الكون لأهل السماوات والأرض، كما ورد في زيارة الناحية: «بَكَتِ السَّمَاءُ وَسُكَّانُهَا، وَالْجَنَانُ وَخَزَائِنُهَا، وَالْهَضَابُ وَأَقْطَارُهَا، وَالْبَحَارُ وَحَيْثَانُهَا...»، بل وإلى حدّ أنّه في بعض الروايات ذكر أنّه: وما يُرى وما لا يُرى بكى على أبي عبدالله الحسين عليه السلام، فقد روى الشيخ الطوسي رحمه الله في أماليه بسنده عن الفضيل بن يسار أنّه قال: كنت عند أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام فقلت له: جعلت فداك، إنّي أحضر مجالس هؤلاء القوم، فأذكركم في نفسي، فأبي شيء أقول؟ فقال: «يا حسين، إذا حضرت مجالسهم فقل: "اللهم أرنا الرخاء والسرور" فإنّك تأتي على ما تريد». قال: فقلت: جعلت فداك، إنّي أذكر الحسين بن علي عليه السلام، فأبي شيء أقول إذا ذكرته؟ فقال: «قل: "صلّى الله عليك يا أبا عبد الله" تكررّها ثلاثاً». ثمّ أقبل علينا وقال: «إنّ أبا عبد الله الحسين عليه السلام لما قتل بكى عليه السماوات السبع والأرضون السبع، وما فيهنّ وما بينهنّ،



ونقل عن الزهري: إنّ مطر الدم قد صدر بعد قتل علي عليه السلام^(١). قلت: ولم



ومن يتقلب في الجنة والنار، وما يرى وما لا يرى، إلا ثلاثة أشياء، فإنها لم تبك عليه»، فقلت: جعلت فداك وما هذه الثلاثة أشياء التي لم تبك عليه؟ فقال: «البصرة، ودمشق، وآل الحكم بن أبي العاص» (الأمالى للشيخ الطوسي رحمته الله: ص ٥٤). فعظمة شهادة الإمام الحسين عليه السلام لا يمكن تحديدها بالمقاييس الظاهرية، لأنّ العقول البشرية لا سبيل لها لدرك تلك الأمور الواقعية، إلا بما ورد في الروايات والأخبار، لأنّ الأمور التي ترتبط بالمعنويات وترتبط بالروحانيات وترتبط بالأمور الإلهية بالثواب والعقاب وما شابه ذلك، هذه اختصاص الله سبحانه وتعالى، لا يستطيع الإنسان العادي أن يصل إليها بمقاييسه، ولا يستطيع في كثير من الأحيان أن يفهمها بعقله، لكن من اللازم أن يخضع لها إذا جاء الخبر الصادق عن الله سبحانه وتعالى، هذه النقطة الأولى. والنقطة الثانية: إنه ورد عن نبينا المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وعن أهل بيته الطاهرين عليهم السلام هذا المعنى، ليس حديثاً واحداً، ولا حديثين، ولا عشرة ولا أكثر، وإنما ورد متواتراً عن النبي صلى الله عليه وآله وعن أهل البيت عليهم السلام شدة وعظمة هذه المأساة بحيث لا يقارن بها غيره أبداً. وهذا المعنى لا يمكن بالمقاييس الظاهرية أبداً، لأنّ الإنسان لا يستطيع أن يستوعب درك المقامات المعنوية بعقله القاصر، بل كلّ ذلك يكون بحسب الروايات والأخبار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن أهل بيته الكرام عليهم السلام، بل وما ورد في الأخبار عن الله الباري سبحانه وتعالى، والباري هو الذي يستطيع أن يحدّد ذلك، فلاحظ.

(١) لقد روى ابن عبد ربّه القرطبي الأندلسي في كتابه المعروف العقد الفريد عن الزهري وحواره مع عبد الملك، جاء فيه أنّ الزهري قال: حدّثني فلان ولم يسمّه أنّه لم يرفع تلك الليلة التي صبيحتها قتل علي بن أبي طالب والحسين بن علي حجر في بيت المقدس، إلاّ وجد تحته دم عبيط (انظر العقد الفريد ج ٢: ص ٢٢٠). ثمّ قال عبد الملك: صدقت، حدّثني الذي حدّثك، وإنّي وإياك في هذا الحديث لغريان! وفي رواية أخرى لقرينان، وعن الزهري هذا وغيره نقل الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩: ص ١٩٦، والسيوطي في

تحدث حادثة في قتل عمر وعثمان تدلّ على وجود فضل فيهما^(١)،



تاريخ الخلفاء: ص ٨٠، والشبلنجي الشافعي في نور الأبصار في مناقب آل النبي المختار: ص ١٢٣، والسيوطي في الخصائص الكبرى ج ٢: ص ١٢٦. عن أمّ حَبان قالت: يوم قتل الحسين... لم يقلب حجر بيت المقدس إلّا وجد تحته دم عبيط! وعنّها أيضاً نقل الخوارزمي هذه الحقيقة في مقتل الحسين ج ٢: ص ٨٩، وابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب ج ٢: ص ٣٥٣. وتلك مؤشرات تكاملت حججها.

(١) لا يخفى أنّ قتل عمر وعثمان كان بسبب ارتكبهما الظلم والجور على الناس، وأنّ يد الانتقام الالهي في قتلها مكشوفة في الأدلة والأخبار. أمّا بالنسبة إلى عمر بن الخطّاب فقد اتّفق المؤرّخون والمحدّثون بأنّ قتله كان في المدينة المنورة على يد أبي لؤلؤة فيروز النهاوندي الذي كان أخاً لذكوان، والد أبي الزناد عبد الله بن ذكوان، عالم أهل المدينة بالحساب والفرائض والشعر والنحو والحديث والفقه و...، وقال الميرزا عبد الله الأفندي: أنّ فيروز كان من أكابر المسلمين والمجاهدين، بل من خلّص أتباع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (انظر رياض العلماء ج ٥: ص ٥٠٧)، ورواه البرسي في مشارق أنوار اليقين: ص ١٢٠، والشيخ عبّاس القمي في سفينة البحار ج ٧: ص ٥٥٩، والسيد هشام البحراني في مدينة المعاجز ج ٢: ص ٤٤، وص ٢٤٤-٢٤٧، والديلمى في إرشاد القلوب ص ٢٨٥-٢٨٦، والعلامة المجلسي في بحار الأنوار ج ٣٠: ص ٢٧٦، ومستدرك سفينة البحار ج ٩: ص ٢١٣، والمرندي في مجمع النورين: ص ٢٢١ و٣١٦، وعن الهداية الكبرى للخصيبي: ص ٣٢، وحلية الأبرار للسيد هاشم البحراني ج ٢: ص ٦٠١، وغيرهم). وروي عن مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، أنّه قال لعمر بن الخطّاب: «إنّي أراك في الدنيا قتيلاً بجراحة من عبد أمّ معمر، تحكم عليه جوراً، فيقتلك توفيقاً» (انظر سفينة البحار ج ٧: ص ٥٥٩). وروى المقدسي الشافعي بإسناده عن جابر الأنصاري، أنّه قال: لمّا طعن أبو لؤلؤة عمراً فقال عمر: يا عدوّ الله، ما حملك على قتلي؟ ومن الذي دسّك إلى قتلي؟! قال: اجعل بيني وبينك حكماً حتّى أتكلّم معك. فقال عمر: بمن ترضى





بيننا حكم عدل؟! قال: بعلي بن أبي طالب عليه السلام. فلما جاءه الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، قال عمر لأبي لؤلؤة: تكلم، فقد حكم بيننا حكم عدل! فقال: أنت أمرتني بقتلك يا عمر. قال: وكيف ذلك؟! قال: إنني سمعتك تخطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنت تقول: كانت بيعتنا لأبي بكر فلتة وقانا الله شرها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه، وقد عدت أنت إلى مثلها، فقال له: صدقت. ثم أغمي عليه ومات... (انظر عقد الدرر للمقدسي الشافعي: ص ٨٠). وقد ورد في حديث طويل عن الإمام الهادي عليه السلام: «أن حذيفة رضي الله عنه روى قضية قتل أبي لؤلؤة لعمر، ثم قال حذيفة في أواخر كلامه: فاستجاب الله دعاء مولاتي فاطمة الزهراء عليها السلام على ذلك المنافق، وأجرى قتله على يد قاتله رحمة الله عليه، فدخلت على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لأهنته بقتل المنافق ورجوعه إلى دار الانتقام...» (إلى أن قال): «وأجرى قتله على يد قاتله رحمة الله عليه...» (انظر بحار الأنوار ج ٣١: ص ١٢١). فالترحم على أبي لؤلؤة سواء أكان من حذيفة أم من الإمام الهادي عليه السلام، معناه علو درجة إيمان أبي لؤلؤة ومقامه في الإسلام. وفي حديث أن أبا بكر كتب للصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام بفدك كتاباً بعدما لم يجد بداً من الإذعان لحقها، فلما خرجت به وجدها عمر، فمد يده وأخذ الصحيفة فخرقها بعد أن تفل فيها ومحاها! فقالت عليها السلام لعمر: «بقر الله بطنك كما بقرت صحيفتي» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢٣٤، وأعلام النساء لكحالة ج ٤ ص ١٢٤). والمقصود: أخرج الله بطنك كما أخرجت صحيفتي. ولذلك ورد في حديث وفاة عمر بن الخطاب، عن ابن عباس في الحديث طويل وفيه: أنه قال عبد الله بن عمر: ولما دنت وفاة أبي كان يغمى عليه تارة ويفيق أخرى، فلما أفاق قال: يا بني أدركني بعلي بن أبي طالب قبل الموت، فقلت: وما تصنع بعلي بن أبي طالب، وقد جعلتها شوري، وأشرت عنده غيره؟ قال: يا بني، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إن في النار تابوتاً يحشر فيه اثنا عشر رجلاً من أصحابي»، ثم التفت إلى أبي بكر، وقال: «احذر أن تكون أولهم»، ثم التفت إلى معاذ بن جبل وقال: «إياك يا معاذ أن تكون الثاني»، ثم التفت إلي ثم قال: «يا عمر إياك أن تكون الثالث»، وقد أغمي عليه فأفاق. ثم قال: علي بابني، ورأيت التابوت وليس فيه إلا أبو بكر ومعاذ بن





جبل وأنا الثالث لا أشك فيه. قال عبد الله: فمضيت إلى أبي علي بن أبي طالب وقلت: يا بن عم رسول الله إن أبي يدعوك لأمر قد أحزنه، فقام علي عليه السلام معه، فلما دخل عليه قال له: يا بن عم رسول الله ألا تعفو عني وتحللي عنك وعن زوجتك فاطمة وأسلم إليك الخلافة؟ فقال له علي: «نعم، غير أنك تجمع المهاجرين والأنصار، وأعط الحق الذي خرجت عليه من ملكه، وما كان بينك وبين صاحبك من معاهدتنا، وأقر لنا بحقنا، وأعفو عنك وأحللك وأضمن لك عن ابنة عمي فاطمة». قال عبد الله: فلما سمع ذلك أبي حول وجهه إلى الحائط، وقال: «النار يا أمير المؤمنين ولا العار» فقام علي (صلوات الله عليه) وخرج من عنده، فقال له ابنه: لقد أنصفك الرجل يا أبت، فقال له: يا بني إنه أراد أن ينشر أبا بكر من قبره، ويضرم له ولأبيك النار، وتصيح قريش مواليين لعلي بن أبي طالب، والله لا كان ذلك أبداً. قال: ثم إن علياً قال لعبد الله بن عمر: «ناشدتك بالله يا عبد الله بن عمر ما قال لك حين خرجت من عنده؟» قال: أمّا إذا ناشدني الله وما قال لي بعدك فإنه قال: إن أصلع قريش يحملهم على المحجة البيضاء، وأقامهم على كتاب ربهم وسنة نبيهم. قال: «يا بن عمر فما قلت له عند ذلك؟» قال: قلت له: فما يمنعك أن تستخلفه؟ قال: «وما ردّ عليك». قال: ردّ عليّ: اكتمه. قال علي عليه السلام: «فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبرني به في حياته، ثم أخبرني في ليلة وفاته، فأنشدتك الله يا بن عمر إن أنا أخبرتك به لتصدقني»، قال: إذا سألت، قال: «إنه قال لك حين قلت له: فما يمنعك أن تستخلفه؟ قال: يمنعني الصحيفة التي كتبناها بيننا والعهد في الكعبة»، فسكت ابن عمر، فقال له علي: «سألتك بحق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما سكت عني». قال أبي سليم: رأيت ابن عمر في ذلك المحلّ قد خنقته العبرة ودمعت عيناه، ثم إن عمر تأوه ساعة ومات آخر ليلة التاسع من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، وقيل لأربع بقين من ذي الحجة من السنة المذكورة، والأوّل أصحّ، وله يومئذ ثلاث وسبعون سنة (انظر مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني ج ٢: ص ٩٥). وإلى غير ذلك من الروايات وإذا رجعنا إلى أقوال المؤرخين فسوف نجد أنّ قتل عمر بن الخطّاب كان انتقاماً من الله تعالى بسبب ظلمه وجوره على أولياء الله وغصب الخلافة من مولانا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والظلم والجور على الصديقة الطاهرة فاطمة



فتدبر ثم تبصر فإن الحق بنفس ما نقلوه قد ظهر^(١).



للمالقي ج ٢: ص ١٦٧). وقال ابن أبي الحديد في حديث طويل: أنه بعد ما حوضر عثمان التمس إلى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقال له: قد ترى ما كان من الناس، ولست آمنهم على دمي، فارددهم عني، فأني أعطيتهم ما يريدون من الحق من نفسي ومن غيري، فقال علي: «إن الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك، وإنهم لا يرضون إلا بالرضا وقد كنت أعطيتهم من قبل عهداً فلم تف به، فلا تغرر في هذه المرة، فأني معطيهم عنك الحق»، قال: أعطهم فوالله لأفين لهم (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢: ص ١٥١)، ورواه الطبري في تاريخه ج ٣: ص ٤٠٣، وابن الأثير في الكامل في التاريخ ج ٣: ص ١٧٠، وابن مسكويه في تجارب الأمم ج ١: ص ٤٥٠ وغيرهم. وإلى غير ذلك من النصوص والوثائق التاريخية الدالة على أن قتل عثمان كان بسبب ظلمه على العباد وهم رافعين أصواتهم ضد الفساد والطغيان، وهجموا عليه حتى قتلوه في داره وألقوا بجسده إلى خارج المدينة، ودفنوه في مقابر اليهود. فعموم الصحابة كانوا راضين وموافقين لقتل عثمان، لما كان في حكومته الفساد والظلم والجرائم البشعة من قتل النفوس والمحترمة ونهب أموال مسلمين وهتك أعراضهم وتسليط الطلقاء وبنى أمية عليهم وهم كانوا يفسدون في الأرض ويظلمون الناس بإجرائهم السنن الجاهلية بدل سنن رسول الله ﷺ، فثاروا عليهم وقتلوا عثمان وأراحوا البلاد من شره. وذلك كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (سورة البقرة: ١١-١٢). وعليه فمضافاً إلى ما أفاد المصنف رحمته الله من أنه لم تحدث حادثة في قتل عمر وعثمان... وعليه فإن قتل عمر وعثمان كان بسبب يد الانتقام الالهي منهما لارتكابهما الظلم على أوليائه، فلاحظ.

(١) وخلاصة الكلام أن السنة الإلهية والقوانين الكونية الجارية من خلال الأحداث الكونية قد جرت فيما نحن فيه للتنبيه على عظمة ما حدث في عالم الكون، ولكي يعرف كل إنسان أن الله تبارك وتعالى يرصد جميع أفعال مخلوقاته كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ





رَبِّكَ لَبِالْمَرْصَادِ...» (سورة الفجر: ١٤). والآية الكريمة تحذّر كلّ من سار على خطو أولئك الطواغيت بقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمَرْصَادِ﴾. والمرصاد: من الرصد، وهو الاستعداد للترقب، وهو في الآية يشير إلى عدم وجود أي ملجأ أو مهرب من رقابة الله وقبضته، فمتى شاء سبحانه أخذ المذنبين بالعقاب والعذاب. وبديهي أنّ التعبير لا يعني أنّ الله تعالى له مكان وكمين يرصد فيه الطواغيت، بل كناية عن إحاطة القدرة الإلهية بكلّ الجّارين والطغاة والمجرمين. وقد ورد في تفسير الآية الكريمة عن مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «معناه أنّ ربك قادر على أن يجزي أهل المعاصي جزاءهم» (انظر تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي ج ١٠: ص ٣٥١). وفي ذلك تسليّة لقلب النبي صلى الله عليه وآله واطميناناً لقلوب المؤمنين، فالوعد الإلهي قد أكّد على عدم انفلات الأعداء المعاندين من قبضة القدرة الإلهية أبداً أبداً، وفيه تحذير أيضاً لأولئك الذين يؤذون النبي صلى الله عليه وآله ويظلمون أهل بيته عليهم السلام وحتى المؤمنين، تحذير بالكفّ عن ممارساتهم تلك وإلاّ سيصيبهم ما أصاب الأكثر منهم قدرة وقوّة، وعندها فسوف لن تقوم لهم قائمة إذا ما أتنهم ريح عاصفة أو صيحة مرعبة أو سيل جارف يقطع دابرهم. وقد جاء في كثير من الآيات القرآنية الكريمة أنّ الله تبارك وتعالى توعدّ الظالمين فيها بالعقاب العظيم في الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة، منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُتَقِمُونَ﴾ (سورة السجدة: ٢٢). من الواضح أنّ المراد من "المجرمين" هنا هم الذين أظلم من الباقين ، وأنهم يستحقّون انتقام الله عزّ وجلّ بعد انتهاء الفرصة اللازمة لهم ، فيستحقّون أشدّ العذاب في الدنيا والآخرة. ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ...﴾ (سورة يوسف: ٢٣). ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة آل عمران: ٨٦). ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (سورة إبراهيم: ٤٢). ومنها قوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (سورة الشعراء: ٢٢٧)، وإلى غير ذلك من الآيات التي بيّن فيها سبحانه وتعالى عاقبة الظالمين. كما أنّ الروايات الواردة في مصادر الإسلاميّة فيها بيان واضح على أنّ لأنواع الظلم في دار الدنيا آثاراً مشينة، وعواقب



وعاشرها: ما زعمه من كون غاية ابن سعد أنه معترف بأنه طلب الدنيا بمعصيته، معترفاً بأنها معصية.... إلى آخره^(١)،



وخيمة، ونتائج مدمرة للفرد والمجتمع مضافاً للخزي والندامة في الدار الآخرة. وفي حديث رواه الكليني رحمه الله بسنده عن عبيد الله الطويل، عن شيخ من النخع قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إني لم أزل والياً منذ زمن الحجاج إلى يومي هذا فهل لي من توبة؟ قال: فسكت ثم أعدت عليه، فقال: «لا حتى تؤدِّي إلى كل ذي حقِّ حقَّه» (الكافي ج ٢: ص ٣٣١). عليه فإن الآثار الكونية إنما تكون أحد آيات الغضب الإلهي على المجرمين وإعلام لحقائبة المظلوم الذي استهدف من قبل الظالمين وأن الله لا يعجزه شيء، ولا يغيب عنه شيء، ولا يحدث في ملكه إلا ما يريد. قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ...﴾ (سورة يونس: ٣)، وقال: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ...﴾ (سورة الأعراف: ٥٤). لذلك فكل مؤمن لا بد أن يكون له اليقين بالله، ولا ينبغي أن تغيب عنه هذه الحقائق. ولكنه سبحانه وتعالى إنما له حكمة وتدبير وتقدير قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ (سورة إبراهيم: ٤٢). فإذا رأيت أن الله أمهلهم وأمد لهم، فلا تظن أن الله لم يبلغه ما يفعلون بالعباد من مظالم، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار. وقد أخرج الترمذي في سننه بسنده عن أبي بكره قال: أن النبي صلى الله عليه وآله بين لنا أن من سنن الله عز وجل أن يجعل عقوبة الظلم معجلة في الدنيا قبل الآخرة. فقال صلى الله عليه وآله: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم لكن الله سبحانه وتعالى». كما قال النبي صلى الله عليه وآله: «إن الله لا يعجل بعجلة أحدكم» (سنن الترمذي ج ٤: ص ٧٤). وهناك آيات وروايات كثيرة تدل على المقام وسنذكرها في محله إن شاء الله تعالى. وعليه فإن حدوث الحادث في عالم الكون لقتل المظلوم إنما يكون لمن له الفضل لا كل من يقتل مظلوماً، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أن ما زعمه ابن تيمية هنا من أن ما جاء في الأخبار من اعتراف عمر بن سعد وقبوله ما ارتكبه من الجناية وقتل الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام فهو ارتكاب





للمعصية طلباً الدين فقط، وليس فيه جهة اعتقادي على حدّ زعمه. ولكن بطلان كلامه أوضح من أن يخفى على أحد، حيث أنّ اعتراف عمر بن سعد على ما سجلّ عليه التاريخ يتبيّن من خلاله أنّه كان منكراً للمبدأ والمعاد. وها بين يدي القارئ الكريم ما رواه كبار علماء أهل السنّة عن لسان عمر بن سعد، فقد روى المؤرّخون من أهل السنّة أنّ عمر بن سعد قبل حدوث واقعة كربلاء كان في معسكر خارج الكوفة في منطقة تسمّى حمام أعين، متوجّهاً بجيشه إلى الريّ لقتال الديلم، ولما توقّف الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء أمر عبيد الله بن زياد عمر بن سعد بالتوجّه نحو كربلاء لقتال الإمام الحسين عليه السلام، فرفض عمر في بداية الأمر، ولكن حينما خيّر ابن مرجانة عبيد الله بين حكومة الري وقتال الإمام الحسين عليه السلام، اختار حكومة الري، وتوجّه بجيشه صوب كربلاء لحرب ريحانة رسول الله ﷺ. وقبل أن نعرض أسباب انتخابه نقدّم عرضاً لبعض شؤون. فقد اجتاز ابن سعد على النبي ﷺ فلما رآه نفر منه وأخبر ﷺ عن سوء عاقبته وقال: «يكون مع قوم يأكلون الدنيا بألستهم كما تلحس الأرض البقرة بلسانها» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٧: ص ٩٠). وقد اخبر مولانا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بسوء مصيره، كما جاء في كتب أهل السنّة، أنّ الإمام عليه السلام نظر إليه وحدثه فرأى فيه طيشاً واستهانة بالحقّ وجرأة على ارتكاب الباطل، فقال عليه السلام له: «ويحك يا ابن سعد!! كيف بك إذا قمت مقاماً تخيّر فيه بين الجنّة والنار فتختار النار» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٥: ص ٤٩). وكان سعد ناقماً على ولده عمر لما سمعه من رسول الله ﷺ فيه ويقول الرواة: أنّه عهد إلى ورثته أن لا يعطوه أيّ شيء من موارثه (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٥: ص ٤٩). وروى الطبري أنّه حينما تمّ التحكيم بين الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام ومعاوية في دومة الجندل، كان هناك، وبعد أن شاهد ما كان بين قوّد جيش الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ومعاوية أتى أباه وشجعه على طلب الخلافة فرفض أبوه (انظر تاريخ الطبري ج ٥: ص ٦٧). وروى أيضاً أنّ زياد بن أبيه دعاه للشهادة ضدّ حجر بن عدي، فكان ابن سعد ممّن شهد بأنّ حجراً أثار الفتنة وأنّه كافر. وقد اتخذ معاوية من هذه الشهادة ذريعة فقتل حجراً وأنصاره في مرج عذراء (انظر تاريخ الطبري ج ٥: ص ٢٦٩).





وروى أيضاً أنه حينما قدم مسلم بن عقيل الكوفة لأخذ البيعة للإمام الحسين عليه السلام كتب ابن سعد مع عدد من أشراف الكوفة رسائل إلى يزيد قائلين: إن كان لك حاجة في الكوفة فابعث إليها رجلاً ينفذ فيها أمرك فإن النعمان بن بشير ضعيف (انظر تاريخ الطبري ج ٥: ص ٣٥٦). وقال الدينوري: أنه بعد أن قبض عبيد الله بن زياد على مسلم بن عقيل وأسر مسلم بن عقيل بوصيته لعمر بن سعد في مجلس عبيد الله بن زياد أخبر ابن سعد عبيد الله بها وخان مسلماً (انظر الأخبار الطوال: ص ٢٤١). وتعود أكثر شهرة ابن سعد في تاريخ الإسلام إلى مشاركته في واقعة كربلاء الدموية التي استشهد فيها الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه. وقد جعلت هذه الحادثة ابن سعد واحداً من الوجوه الكريهة في التاريخ. وروى ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق بسنده عن سفيان عن سالم قال: قال عمر بن سعد للحسين: إن قوماً من السفهاء يزعمون أنني أقتلك، فقال حسين: «ليسوا بسفهاء ولكنهم حلماء». ثم قال: «والله إنّه ليقرب عيني أنك لا تأكل بُرّ العراق بعدي إلا قليلاً» (تاريخ مدينة دمشق ج ٤٥: ص ٤٨). ولما قدم عبيد الله بن زياد الكوفة وولي ابن سعد حكم الري ودستبي وهي معرب دشتبي، وهو سهل واسع بين الري وهمدان ألحق فيما بعد بقزوين (انظر مختصر البلدان لابن الفقيه: ص ٢٨٤) وأمره بالقضاء على فتنة الديالمة (انظر الأخبار الطوال: ص ١٥٣) فعسكر ابن سعد مع أربعة آلاف مقاتل خارج الكوفة، فدعاه عبيد الله بن زياد لمواجهة الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، وقد امتنع في البدء فهذه ابن زياد بأن يذهب للتصدي لمقاتلة الإمام الحسين عليه السلام أو يعيد العهد بحكم الري. فلما قال له ذلك قال له عمر بن سعد: أمهلني اليوم أنظر، قال: فانصرف عمر فجعل يستشير نصحاء فلم يكن يستشير أحداً إلاّ نهاه، قال: وجاء حمزة بن المغيرة بن شعبة وهو ابن أخته، فقال: أنشدك الله يا خال أن تسير إلى الحسين فتأثم بربك وتقطع رحمك، فوالله لأن تخرج من دنياك ومالك وسلطان الأرض كلّها لو كان خير لك من أن تلقى الله بدم الحسين، فقال عمر بن سعد: فإني أفعل إن شاء الله (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٥: ص ٤٩). ورغم كلّ ذلك قبل وعزم على حرب ابن بنت رسول الله ﷺ فجعل ينشد أبياتاً وشعره المذكور معروف جداً، رواه أصحاب الأخبار والتواريخ وهي ثمانية أبيات:



فإنه فرية منه على ابن سعد، لأنه قد نصّ صريحاً في شعره على زندقه نفسه
بانكاره المعاد^(١)،



فوالله ما أدري وإنّي لحائر *** أفكر في أمري على خطرين. أترك ملك الرّي والرّي
منيّ *** أم أرجع مأثوماً بقتل حسين. حسين ابن عمّي والحوادث جمّة *** لعمري
ولي في الرّي قرّة عين. وإنّ إله العرش يغفر زلّتي *** ولو كنت فيها أظلم الثقلين. ألا
إنّما الدنيا بخير معجل *** وما عاقل باع الوجود بدين. يقولون إنّ الله خالق جنّة ***
ونار وتعذيب وغلّ يدين. فإن صدقوا فيما يقولون فإنّني *** أتوب إلى الرحمن من
سنتين. وإن كذبوا فزنا بدنيا عظيمة *** وملك عظيم دائم الحجلين (انظر مقتل الحسين
للخوارزمي ج ١: ص ٢٣٣، وأنساب الأشراف للبلاذري ج ٣: ص ١٧١، والكامل في التاريخ
لابن الأثير ج ٤: ص ٥٣). وشعر عمر بن سعد الذي تمثّل به يوم عزمه على الخروج إلى
قتال مولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام، صريح في أنّه كان على علم تامّ ودراية كاملة
بعواقب وبتائج ما سيفعله من آثار الوضعية السيئة في الدنيا والعقوبة في الآخرة، والرجل
كان على يقين ومعرفة كاملة بشخصية الإمام الحسين عليه السلام وعظمته، وما سترتب على
انتهاك حرمة وسفك دمه، ولكنّه مع ذلك أصرّ على الخروج والإقدام على قتل سيد
الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام. هذا مضافاً إلى صراحة شعره في عدم اعتقاده بالمبدأ
والمعاد كما هو واضح ظاهر.

(١) وتوضيح المقام أنّ ما أنشده عمر بن سعد من الأبيات في هذا المجال يكفي لكشف
الحقيقة للباحثين عن شخصية هذا الرجل اللّيم العنيد بما كان يضمّره في نفسه من النفاق
والكفر، واليك شعره على ما رواه كبار علماء أهل السنّة: يقولون إنّ الله خالق جنّة * ونار
وتعذيب وغلّ بدين. فإن كان صدقاً ما يقولون إنّني * أتوب إلى الرحمن من سنتين
(انظر مقتل الحسين للخوارزمي ج ١: ص ٢٣٣، وأنساب الأشراف للبلاذري ج ٣: ص ١٧١،
والكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٤: ص ٥٣). وإذا كنا نحن وهذين البيتين من الشعر مع
قطع النظر عما ارتكبه عمر بن سعد من الجناية في كربلاء، فإنّ فالمستفاد منه الأمور
←



التالية: الأول: أنه كان يعلم بأن الإسلام والقرآن الكريم قد ركّز على حقيقة المعاد، إلى حدّ بلغت فيه الآيات التي تتحدّث عن المعاد إلى حوالي ألف وأربعمائة آية. ولا شكّ أنّه لم يرد مثل هذا العدد من الآيات في أيّ موضوع آخر، ولا جرى تأكيده بمثل هذه الكثافة. فالقرآن الكريم هكذا يدعو إلى الإيمان والاعتقاد بالمعاد. بحيث بلغت هذه المسألة حدّاً لم يبق سوى التسليم به. ثمّ الخبير يعلم بأنّ القرآن الكريم حينما يقيم الدليل على المعاد للإيمان والاعتقاد به، يكون دليله على نحوين: الأول: انطلاقاً من مسألة التوحيد: فمن يؤمن بوجود الله، وأنّه الخالق الحكيم لهذا الكون، لا بدّ أن يعتقد بأنّ يكون هناك حكمة وراء هذا الخلق، حيث لا يمكن أن يكون خلق الحكيم عبثاً. ولو لم يكن هناك معاد لكان هذا الخلق عبثاً وبلا حكمة، يقول تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (سورة المؤمنون: ١١٥). ثمّ إنّ الاعتقاد بقدرة الله المطلقة، يعني أنّه تعالى قادر على بعث كلّ شيء، بل إنّ مبدع الخلق الأول قادر على إعادته، وهو أهون عليه. وهو ما أشار إليه تعالى بقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ...﴾ (سورة الروم: ٢٧). الثاني: انطلاقاً من نظام الخلق والتكوين: إنّ الرجوع إلى النظام المحيط بنا، يدفع الإنسان إلى الإيمان بحقيقة المعاد. فالمتملّ في مراحل خلق الإنسان وتكوّنه من مبدأ انعقاده نقطة إلى صيرورته طفلاً فإنساناً كاملاً ثمّ موته، هذا التملّ يصل إلى حقيقة أنّ هذا السير التدريجي لا بدّ أن يستمرّ إلى المعاد، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَتُقَرَّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ...﴾ (سورة الحج: ٥)، وقال سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ (سورة المؤمنون: ١٥-١٦). وكذلك يدعو القرآن من يرتاب بالقيامة، إلى النظر والتأمّل في تجدد الأرض وانبعاث الحياة فيها بعد موتها، ليزيل أدران الشكّ والريب عن صدره. فالآيات تدلّ بالصراحة على أنّ للمعاد حقيقة واقعية، لا يمكن إنكاره. ومع ذلك كلّه أنّ عمر بن سعد أنكر ذلك في شعره.





الأمر الثاني الذي يستفاد من شعر عمر بن سعد هو: أنه كان عالماً بأن الله تبارك وتعالى خالق الجنة والنار، لأن نظرية التحقيق عند المتكلمين والمفسرين أن الجنة والنار مخلوقتان بالفعل، فأكثر المتكلمين والمحدثين على هذا الرأي . وقال العلامة الحلبي رحمته الله في كتابه كشف المراد: اختلف الناس في أن الجنة والنار هل هما مخلوقتان الآن أم لا؟ فذهب جماعة إلى الأول، وهو قول أبي علي، وذهب أبو هاشم والقاضي عبد الجبار إلى أنهما غير مخلوقتين، ثم نقل احتجاج كل على رأيه (انظر كشف المراد: ص ٢٩٨). وقال التفتازاني: جمهور المسلمين على أن الجنة والنار مخلوقتان الآن، خلافاً لأبي هاشم والقاضي عبد الجبار ومن يجري مجراهما من المعتزلة حيث زعموا أنهما يخلقان يوم الجزاء (انظر شرح المقاصد ج ٢: ص ٢١٨). واستدلوا على أن الله تبارك وتعالى أوصف الجنة بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾ (سورة الفرقان: ١٥). كما أن القرآن الكريم يصف الواردين عليها بأنهم خالدون، يقول سبحانه: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (سورة البقرة: ٢٥). وعلى كل حال فالآيات الكثيرة في القرآن الكريم تدلّ وجود الجنة والنار. ولكن عمر بن سعد أنكر وجودهما، وهذا معناه المخالفة مع القرآن والضرورة الدينية.

الأمر الثالث أن المستفاد من شعره: أنه قد أنكر الوعد الإلهي، مع علمه بأن الله تبارك وتعالى قد وعد المؤمنين وعداً حقاً بأن يدخلهم الجنة، والكافرين والمجرمين وعدهم بأن يعذبهم عذاباً شديداً، وعداً حقاً لا خلف فيهم الميعاد. حيث يدلّ على ذلك آيات عديدة، منها قوله تعالى: ﴿أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة آل عمران: ١٣٣)، أي وإن الجنة أعدت للمتقين. ومنها قوله تعالى: ﴿أَعَدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ (سورة الحديد: ٢١). ومنها قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (سورة آل عمران: ١٣١). ومنها: قوله: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (سورة الحديد: ٢١). ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (سورة التوبة: ١٠٠)، وإلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه سبحانه وتعالى يصف الجنة والنار بالإعداد، وإن الجنة أعدت للمتقين والنار للكافرين والمجرمين، ولفظ الإعداد حاك عن وجودهما في ظرف





الحكاية. فالآيات صالحة للاستدلال على الاعتقاد بأصل المعاد والقطع به، ولا دليل على تأويل الآيات. وعليه فإنه لم يكن جاهلاً بهذه الأمور، فمع العلم واليقين أنكر هذه الأمور الضرورية في الإسلام. ومن الواضح لدى الخبير أن منكر الضروري كافر. بل وأن الظاهر من شعره أن كان زنديقاً، حيث أن الزنديق هو الملحد المنكر للمبدأ والمعاد الذي لا يتمسك بشريعة، وقديماً كان يعبر عنه بالدهري. فهم ينكرون وجود الرب والجنة والنار، وقولهم: "وما يهلكنا إلا الدهر" كما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (سورة الجاثية: ٢٤). ولذا فقد صنّفهم الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ضمن الكفار الجاحدين عندما سئل عن أصناف الكفر ووجوهه فقد روى الشيخ الكليني عليه السلام بسنده عن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: أخبرني عن وجوه الكفر في كتاب الله عز وجل قال عليه السلام: «الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه، فمنها: كفر الجحود، والجحود على وجهين: والكفر بترك ما أمر الله. وكفر البراءة، وكفر النعم، فأما كفر الجحود فهو الجحود بالربوبية وهو قول من يقول: لا رب ولا جنة ولا نار وهو قول صنفين من الزنادقة يقال لهم: الدهرية وهم الذين يقولون: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾. وهو دين وضعوه لأنفسهم بالاستحسان على غير ثبوت منهم ولا تحقيق لشيء مما يقولون، قال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ أن ذلك كما يقولون وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، يعني بتوحيد الله تعالى فهذا أحد وجوه الكفر. وأما الوجه الآخر من الجحود على معرفة وهو أن يجحد الجاحد وهو يعلم أنه حق، قد استقرّ عنده وقد قال الله عز وجل: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾، وقال الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، فهذا تفسير وجهي الجحود. والوجه الثالث من الكفر كفر النعم وذلك قوله تعالى يحكي قول سليمان عليه السلام: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ

ومن هذه حاله ليس بمسلم^(١)، وشعره الذي نص فيه على ذلك قوله: يقولون



كَرِيمٌ»، وقال: ﴿لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ وقال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ﴾. والوجه الرابع من الكفر ترك ما أمر الله عز وجل به وهو قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرَجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ * ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرَجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتِوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُمْ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ...﴾، فكفرهم بترك ما أمر الله عز وجل به ونسبهم إلى الإيثار ولم يقبله منهم ولم ينفعهم عنده، فقال: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾. والوجه الخامس من الكفر، كفر البراءة، وذلك: قوله عز وجل يحكي قول إبراهيم عليه السلام: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾، يعني تبرأنا منكم، وقال: يذكر إبليس وتبرأته من أوليائه من الإنس يوم القيامة: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾، وقال: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ يعني يتبرأ بعضكم من بعض (الكافي ج ٢: ص ٣٨٩). فابن سعد مع علمه بأن الله وعد المؤمنين بالجنة والكافرين بالنار، أنكر الوعد الإلهي. وهل من كان حاله هذا يكون من المسلمين؟! فإن شناعة عمله القبيح وخطورته، أبلغ في التأثير، وتكشف عن حقيقة ما كان يضمه من الاعتقاد الفاسد، فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أن الكافر له عدة مصاديق يشمل بعضها عمر بن سعد وينطبق عليه بعضها من باب الإلحاد، أولاً: أنه كان لا يعترف بوجود الله تعالى، كما تفتت الإشارة إلى اعترافه ضمن أبيات من الشعر التي أنشدها (انظر مقتل الحسين للخوارزمي ج ١: ص ٢٣٣، وأنساب الأشراف للبلاذري ج ٣: ص ١٧١، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٤: ص ٥٣).



إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ جَنَّةٍ * وَنَارٍ وَتَعْذِيبٍ وَغُلٍّ يَدِينُ. فَإِنْ كَانَ صَدَقًا مَا يَقُولُونَ
إِنِّي * أَتُوبُ إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ سِتْنِينَ ^(١).



وثانياً: أنه أنكر المعاد في الآيات المذكورة. ومن الواضح أن الفقهاء قد ألحقوا المنكر للضروري إلى الكفار؛ لأن من أنكر وجحد ضرورياً - أي بديهياً - من ضروريات الدين الإسلامي كالصلاة والحج مع التفاته إلى كونه ضرورياً، ولم يكن إنكاره عن شبهة. عد من الكفار. حيث أنه وإن كان منتحاً لدين الإسلام لكنه بانكاره الضروري خرج عن الإسلام. مضافاً إلى أن عمر بن سعد الذي كان يعلم بأن مودة أهل البيت واجبة في القرآن الكريم، أنها من الضروريات الإسلامية فإنه بحربه لأهل البيت المعصومين عليهم السلام وقتلهم خرج من الإسلام. وقد أفتى فقهاء الشيعة على أن من خرج على أئمة أهل البيت عليهم السلام فهو يلحق بالكفار، فعمر بن سعد الذي خرج على أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وقتله فهو كافر عندنا الشيعة بلا إشكال، لأنه خارجي ناصبي (انظر منهاج الصالحين، للسيد الخوئي قدس سره، في باب العاشر من الأعيان النجسة الكافرة). وقريب من هذا المعنى المذكور في عبارات علماء أهل السنة، فقد حكم الياضي بكفر من قتل الإمام الحسين عليه السلام أو أمر بقتله. قال: وأما حكم من قتل الحسين أو أمر بقتله ممن استحل ذلك فهو كافر (انظر شذرات من ذهب، لابن العماد الحنبلي ج ١: ص ٦٨). وعليه فإن عمر بن سعد كافر عند الشيعة وأهل السنة بلا تردد من جهات عديدة؛ لأن الآيات التي أنشدها فيها اعتراف واضح بعدم اعتقاده بالمبدأ والمعاد، وأيضاً لانكاره الضروريات الإسلامية، وغير ذلك من أسباب الكفر كما سيوضح إن شاء الله تعالى من خلال المباحث الآتية.

(١) هذه الآيات أنشدها عمر بن سعد، وقد رواها كبار علماء أهل السنة، وذلك عند ما خيره عبيد الله بن زياد بين قتال الإمام الحسين عليه السلام أو أن يعيد العهد بحكم الري، فتخير عمر بن سعد فقال: أمهلنا الليلة، فقال له عبيد الله: قد أمهلتك، فانصرف عمر بن سعد إلى منزله، وهو يصف حال نفسه آن ذاك في أبيات شعره، إذ كان يعلم عواقب ونتائج فعله في الدنيا والآخرة، لأنه كان يعرف عظمة مولانا الإمام الحسين عليه السلام ومنزلته الرفيعة حقاً



فمن هذه عقيدته الشنيعة كيف يجعل في صفّ العصاة من المسلمين؟!^(١)



المعرفة، ولكن أمنيته كانت حكومة الري. فراجع نفسه فاختار الدنيا على الآخرة والكفر على الإيمان، فعزم على مقاتلة الإمام الحسين عليه السلام، للوصول إلى حكومة الري، فأخذ يردد هذه الأبيات، وهي: فو الله ما أدري وأني لحائر * أفكر في أمري على خطرين. أترك ملك الري والري منيتي * أم أرجع مأثوماً بقتل حسين. حسين ابن عمي والحوادث جمة * لعمري ولي في الري قرّة عين. يقولون إنّ الله خالق جنّة ونار * وتعذيب وغلّ يدين. فإن صدقوا فيما يقولون إنني * أتوب إلى الرحمن من ستين. وإن كذبوا فزنا بدنيا عظيمة * وملك عظيم دائم الحجلين (انظر مقتل الحسين للخوارزمي ج ١: ص ٢٣٣، وأنساب الأشراف للبلاذري ج ٣: ص ١٧١، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٤: ص ٥٣). ولنا أن نتصور كيف أن الطمع وحبّ الدنيا قد دفعت الرجل إلى تلك الجريمة العظيمة والاعراض عن جميع المقدسات الدينية بالعزم على قتل مولانا الإمام الحسين عليه السلام، لاسيما أنّ الوعد الذي وعدوه إياه كان وعداً مكذوباً، وقد حذرّه الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء عن ذلك، وفهمه بأنه لا يصل إلى هذه المنية، أنّ من وعده ذلك لا يفي بوعد، ولكن مع ذلك كلّ اختار خسران الدنيا والآخرة، فلم يصل إلى حكومة الري، بل لم يجد بعد ذلك خيراً. وهذا حال من كان على مشارف السبعين من عمره، فكيف في هذه القصة وهذا الموقف منه عبرة للآخرين، فيمكن لكلّ إنسان أن يستوفيه. والشاهد أنّ البيتين الأخريتين من شعره تدلّان على عدم اعتقاده حقيقةً بالمبدأ المتعال، وأيضاً على عدم اعتقاده بالمعاد والآخرة وستتضح هذه القضية للقارئ الكريم من خلال المباحث الآتية أكثر وضوحاً، فلاحظ.

(١) بعبارة أوضح أنّه مع اعتراف ابن تيمية بأنّ أشعار عمر بن سعد كانت تنبأ عن المعصية التي ارتكبتها، ومع ذلك لم يشير إلى ما ينبئ أشعاره عما كان في ضميره من الاعتقاد الفاسد، حيث أنّ شعره كان ظاهراً في عدم اعتقاد الرجل بالمبدأ والمعاد، وكلامه ظاهر في الكفر والزندقة، مع ذلك أنّ ابن تيمية يدعي بأنّ ما ارتكبه عمر بن سعد كانت معصية





كأحدى معاصي أهل الفسق والفجور، فلا تمسّ عقيدته.

أقول: لا يخفى أنّ هذا الدفاع المستميت عن قاتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام إنّما يكون بجهة شدّة نصبه وعداوته لأهل البيت عليه السلام، لا سيّما عداوته الشديدة لمولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام، لأنّ من يقرأ التاريخ من أهل السنّة عندما يقف على فاجعة كربلاء واستشهاد مولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام من أجل أهدافه السامية، يدعن بأنّ خلافة يزيد كانت استمراراً لخلافة السقيفة الباطلة، فنهضة الإمام الحسين عليه السلام يجعل خطّ البطلان على جميع مباني الاعتقادية لأهل السنّة. وهذا المعنى قد دفع ابن تيمية إلى العصبية المذهبية والعداوة الشديدة لسيد الشهداء عليه السلام. وللقارئ الكريم أن يراجع كتاب لقد شيعني الحسين عليه السلام للمستبصر السيد ادريس الحسيني التونسي.

ثم إنّ دلالة ما أنشده عمر بن سعد من الشعر على عدم اعتقاده بالمبدأ والمعاد أمر واضح لكلّ من يعرف اللغة العربيّة، حيث أنّه بالصراحة يقول: لو كان الله خالقاً للجنّة والنار... أي يصف ما هو المكنون في ضميره من الاعتقاد، بأنّه لو كان للعالم إله، وأنّ الله كان خالقاً للجنّة والنار فإنّه سوف يستغفر من ذنبه!! وهذا معناه أنّه كان لا يعتقد بوجود الله عز وجل ولا بوجود الجنّة والنار، فعلي حدّ اعتقاده أنّ الناس يقولون ذلك!! فكلامه صريح في عدم اعتقاده بأنّ الله تبارك وتعالى وعدم اعتقاده بالآخرة والمعاد. ولا يخفى أنّ كلّ مسلم يعلم من وجوب الالتزام بالمبدأ والمعاد، كما تقدمت الإشارة إلى بعض الآيات في هذا المجال، وكما أنّ الله تعالى قد أوصف نفسه في القرآن الكريم بصفات الحسنی كالقادر والحكيم والخالق والرازق والمتعال و...، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَبْجُزُونَ مَا كَانَُوا يَعْمَلُونَ * وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ * أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنَّهُ لَا يَنْزِلُ فِيهَا مُبِينٌ * أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ * مَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (سورة الأعراف: ١٨٠-)





١٨٦). فالقرآن بذكر هذه الأوصاف قد ردّ على جميع الذرائع التي قد تشبّث بها الكفار والمشركون أمام الدعوة إلى الله ورسوله ﷺ، فالقرآن الكريم قد ردّ على هؤلاء بقوله تعالى: قل: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾. وبهذه العبارة أشار القرآن الكريم إلى إنّ هؤلاء عميان البصيرة والقلب، غافلون عن أحداث ووقائع حياتهم اليومية حيث كانوا يذكرون أسماء مختلفة لشخص واحد أو لمكان واحد، وكلّ اسم من هذه الأسماء كان يعرف بشطر أو بصفة من صفات ذلك الشخص أو المكان. وبعد ذلك، هل من العجيب أن يكون للخالق أسماء متعدّدة تتناسب مع أفعاله وكمالاته وهو المطلق في وجوده وفي صفاته والمنبع لكلّ صفات الكمال وجميع النعم، وهو وحده عزّ وجلّ الذي يدير هذا العالم بعظمته. وأساساً حيث أنّ أفق عقولنا بدراية خاصة محدودة بالماديات، فإنّ سبحانه وتعالى ساعدنا في معرفة ذاته المقدّسة في القرآن الكريم، وذكر نفسه بأسماء متعدّدة في كتابه العظيم، ومن خلال كلمات أوليائه المعصومين عليه السلام وتصل اسماءه - تقدّس وتعالى - إلى ألف اسم. ومن طبيعي أنّ كلّ هذه الأسماء، علامة ورمز لمعرفة الله عزّ وجلّ، فأسماء الله سبحانه وتعالى علامات على ذاته الطاهرة، وجميع هذه العلامات تنتهي إلى نقطة واحدة، وهي التوحيد في الذات والصفات. وهناك قسم من هذه الأسماء ذو أهمية وعظمة أكثر، حيث تعطينا معرفةً ووعياً أعظم، تسمّى في القرآن الكريم وفي الروايات الإسلامية، بالأسماء الحسنى، كما قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ...﴾ لكن علينا أن نفهم أنّ الغرض من ذكر الأسماء الحسنى للدعوة إليه، وهناك كلام ينقله الشيخ الصدوق عليه السلام في كتاب التوحيد عن هشام بن الحكم جاء فيه يقول هشام بن الحكم: سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن أسماء الله عزّ ذكره واشتقاقها، فقلت: الله ممّا هو مشتقّ؟ قال عليه السلام: «يا هشام، الله مشتقّ من إله، وإله يقتضي مألوهاً، والاسم غير المسمّى، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك وعبد الاثنين، ومن عبد المعنى دون الاسم فذاك التوحيد، أفهمت يا هشام؟» قال هشام: قلت: زدني. قال: قال عليه السلام: «الله عزّ وجلّ تسعة وتسعون اسماً، فلو كان الاسم هو المسمّى لكان كلّ اسم منها هو إلهاً، ولكن الله عزّ



٥٣٠..... منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨

بل هو من أهل الزندقة الملحدين مثل الباطنية الهادمين باطناً لشريعة سيّد المرسلين ﷺ^(١). والعجيب الغريب من السنّي حيث تعرّض لهم في المقام



وجلّ معنى يدلّ عليه بهذه الأسماء وكلّها غيره. يا هشام، الخبز اسم للمأكل، والماء اسم للمشروب، والثوب اسم للملبوس، والنار اسم للمحرق» (انظر التوحيد للشيخ الصدوق رحمه الله: ص ٢٢٠). وعليه يجب أن يعرف كل مسلم هذا المعنى ولو إجمالاً، ويعتقد بما جاء في القرآن الكريم من أسماء الله وصفته. وعليه لو كان عمر بن سعد يعتقد بما جاء في القرآن الكريم في صفات الله عزّ وجلّ ولو على نحو الاجمال لما كان يتفوه بهذه المقالة السخيفة الدالة على عدم اعتقاده بخالق الله سبحانه وتعالى. وكذلك عدم اعتقاده بالآخرة والمعاد، حيث أنّه بعد ما قال: بأنّ الله خالق جنّة ونار * وتعذيب وغلّ يدين... قال: فإن صدقوا فيما يقولون إنّني * أتوب إلى الرحمن من سنتين. وإن كذبوا فزنا بدنيا عظيمة * وملك عظيم دائم الحجلين. فكأنّما يخبر عن عدم اعتقاده القبلي بالمعاد والآخرة، حيث يقول: بأنّ الناس المؤمنين الذين يعتقدون بالقرآن وسنة رسول الله ﷺ يقولون: بأنّ الله خالق الجنّة والنار، وأنّ الله يعذب... ولكن كلّ ذلك ما يقوله الناس، فإن صدقوا فيما يقولون إنّني * أتوب إلى الرحمن من سنتين. وهذا اعتراف منه بعدم اعتقاده بالوعد الالهي الذي هو من أظهر تجليات أسماء الله عز وجل، فإنّ تعليق توبته على فرض وجود خالق صادق الوعد يدلّ على أنّه لم يكن يعتقد بوجود الله الذي له الأسماء والصفات المذكورة لله تبارك وتعالى في القرآن الكريم، فإنّ تعليق توبته معناه اعترافه بعدم اعتقاده بالله وأسمائه وصفاته. ثم أنّ الايمان بالجزاء فرع على معرفة الله بصفاته التي جاءت في القرآن من كونه شديد العقاب و.... فأيضاً أنّه أنكر المعاد والجزاء في شعره. وعليه فإنّ ابن سعد عقيدته ظاهرة واضحة في شعره، ولا يمكن الدفاع عنه، فما ذكره ابن تيمية في دفاع دال على أنّ ابن تيمية ايضاً يعتقد بنفس ذلك الاعتقاد الفاسد، فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أنّ ما أنشده ابن سعد من الشعر ظاهره يدلّ على الكفر والزندقة، ولا



ليغشّ الغفلة بزعمه أنّ في الشيعة من هو أعظم جرماً ومفسدة في الدين من ابن سعد بعد علمه بأنّ الباطنية عند اثني عشرية الشيعة زنادقة ضالون^(١)،



يحتاج إلى بيان زائد، حيث أنّه أنكر فيه المبدأ والمعاد، والوعد الإلهي، فقال في شعره: يقولون إنّ الله خالق جنّة ونار * وتعذيب وغلّ يدين. فإن صدقوا فيما يقولون إنّني * أتوب إلى الرحمن من سنتين. وإن كذبوا فزنا بدننا عظيمة * وملك عظيم دائم الحجلين (انظر مقتل الحسين للخوارزمي ج ١: ص ٢٣٣، وأنساب الأشراف للبلاذري ج ٣: ص ١٧١، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٤: ص ٥٣). فلو كان عمر بن سعد يعتقد بما جاء في جاء في القرآن والسنة النبويّة لما كان يتفوه بهذه المقالة السخيفة الدالة على إلحاده الباطني، وبذلك يتضح عدم مبالاته من اظهار ما كان مكنوناً في قلبه من الزندقة والإلحاد، واعترافه بكفره من جهة انكاره المبدأ والمعاد من دون شبهة. فأبراز ذلك يكون من مصاديق اعترافه بالكفر كما يتّضح ذلك لمن له أدنى تأمل في شعره، فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّ الزنديق: كلمة يونانيّة، أو فارسيّة أصلها: "زن دين"، فزن: يعني المرأة، ودين: الدين، أي: دين المرأة، أي: دين الحمافة. والتّزندق: استبطان الكفر، وإظهار الإسلام للدسيّة، فهو أخص من المنافق، لأنّ المنافق قد يظهر الإسلام خوفاً فقط، ولا يريد الإفساد والدسيّة للمسلمين، وأمّا الزنديق فهو مضافاً إلى كونه منافقاً يريد الدسيّة. قال ابن حجر: أنّه قال النووي في لغات الروضة الزنديق الذي لا ينتحل ديناً، وقال محمد بن معن في التنقيب عن المذهب الزنادقة من الثنوية يقولون ببقاء الدهر وبالتناسخ قال ومن الزنادقة الباطنية وهم قوم زعموا أنّ الله خلق شيئاً ثم خلق منه شيئاً آخر فدبر العالم بأسره ويسمونهما العقل والنفس وتارة العقل الأول والعقل الثاني وهو من قول الثنوية في النور والظلمة إلا أنّهم غيروا الاسمين قال ولهم مقالات سخيفة في النبوات وتحريف الآيات وفرائض العبادات وقد قيل إن سبب تفسير الفقهاء الزنديق بما يفسر به المنافق قول الشافعي في المختصر وأي كفر ارتدّ إليه مما يظهر أو يسر من الزندقة وغيرها ثم تاب سقط عنه القتل وهذا لا يلزم منه اتحاد الزنديق والمنافق بل كل زنديق منافق من غير





عكس وكان من أطلق عليه في الكتاب والسنة المنافق يظهر الاسلام ويبطن عبادة الوثن أو اليهودية وأما الثنوية فلا يحفظ أن أحدا منهم أظهر الاسلام في العهد النبوي والله أعلم وقد اختلف النقلة في الذين وقع لهم مع علي ما وقع على ما سألينه واشتهر في صدر الإسلام الجعد بن درهم فذبحه خالد القسري في يوم عيد الأضحى ثم كثروا في دولة المنصور وأظهر له بعضهم معتقده فأبادهم بالقتل ثم ابنه المهدي فأكثر من تتبعهم وقتلهم ثم خرج في أيام المأمون بابك بموحدتين مفتوحتين ثم كاف مخففة الخرمي بضم المعجمة وتشديد الراء فغلب على بلاد الجبل وقتل في المسلمين وهزم الجيوش إلى أن ظفر به المعتصم فصلبه وله أتباع يقال لهم الخرمية وقصصهم في التواريخ معروفة (انظر فتح الباري ج ١٢: ص ٢٣٩). وعلى كل تقدير فإن الزنديق باتفاق المسلمين هو الكافر. وقد يطلق على الملحد وهو المنكر للمبدأ والمعاد، وقديماً كان يعبر عنه بالدهري. والدهرية قوم ينسبون إلى الدهر، والدهر هو الزمان ومرور السنين والأيام، وجمعه دهور. قال الراغب: الدهر في الأصل: اسم لمدة العالم من مبدأ وجوده إلى انقضائه، وعلى قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾، ثم يعبر به عن كل مدة كثيرة، وهو خلاف الزمان، فإن الزمان يقع على المدة القليلة والكثيرة... (انظر مفردات القرآن، مادة دهر). ومن جملة معتقدات الدهرية الخاطئة إنكار وجود الرب والجنة والنار، وقولهم: "ما يهلكنا إلا الدهر" كما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (سورة الجاثية: ٢٤). ولذا فقد صنفهم الإمام الصادق عليه السلام ضمن الكفار الجاحدين عندما سئل عن أصناف الكفر ووجوهه عن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: أخبرني عن وجوه الكفر في كتاب الله عز وجل، قال: «الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه: فمنها كفر الجحود، والجحود على وجهين: والكفر بترك ما أمر الله وكفر البراءة، وكفر النعم. فأما كفر الجحود فهو الجحود بالربوبية وهو قول من يقول: لا رب ولا جنة ولا نار وهو قول صنفين من الزنادقة يقال لهم "الدهرية" وهم الذين يقولون: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾، وهو دين وضعوه لأنفسهم بالاستحسان على





غير تثبت منهم ولا تحقيق لشيء مما يقولون، ولذلك قال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ...﴾ أي أنهم كما يقولون وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، يعني بتوحيد الله تعالى فهذا أحد وجوه الكفر وأما الوجه الآخر من الجحود على معرفة وهو أن يجحد الجاحد وهو يعلم أنه حق، قد استقرّ عنده، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾، وقال الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، فهذا تفسير وجهي الجحود. والوجه الثالث من الكفر كفر النعم وذلك قوله تعالى يحكي قول سليمان عليه السلام: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَازِيدُنِي شُكْرًا وَلِمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾، وقال: لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد وقال: ﴿فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ﴾. والوجه الرابع: من الكفر ترك ما أمر الله عز وجل به وهو قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرَجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ * ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرَجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُواكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ...﴾ فكفرهم بترك ما أمر الله عز وجل به ونسبهم إلى الايمان ولم يقبله منهم ولم ينفعهم عنده فقال: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾. والوجه الخامس: من الكفر كفر البراءة وذلك قوله عز وجل يحكي قول إبراهيم عليه السلام: كفروا بكم وبداء بيننا وبينكم العدواة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده يعني تبرأنا منكم، وقال يذكر إبليس وتبرئته من أوليائه من الإنس يوم القيامة: إني كفرت بما أشركتموني من قبل وقال: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَلَيَعَنَّ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾، يعني يتبرء بعضكم من بعض (الكافي ج ٢: ٢٠٠)



فأي نقص يرد على الشيعة من جهتهم، فإنّ نسبتهم نفوسهم إلى الشيعة غير موجبة لصيرورتهم منهم^(١)،



ص ٣٨٩). والعجيب من ابن تيمية أنّه تعرض للباطنية ولم يذكر معنى هذا المصطلح في المقام ليغش الغفلة من أهل نحلته بحسب زعمه. ثمّ ادّعى بأنّ الشيعة أعظم جرماً ومفسدة من ابن سعد بلا ذكر دليل، في حين أنّه كان يعلم بأنّ الباطنية عند اثني عشرية الشيعة هم من الزنادقة الضالّين. وقد يشير هذا المصطلح إلى الإسماعيلية والقرامطة والخرمية، وأيضاً قد تشير إلى بعض فرق غير إسلامية كالمزديكية، إلّا أنّه بشكل مخصوص يطلق على الفرقة الإسماعيلية (انظر الموسوعة الإسلامية الميسرة ج ٣: ص ٤٨٣). والإسماعيلية عند الشيعة من الفرق الضالّة. قال الشهرستاني: في كتابه الملل والنحل في تعريفه للباطنية: وإنّما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأنّ لكلّ ظاهر باطناً، ولكلّ تنزيل تأويلاً، ولهم ألقاب كثيرة سوى هذه على لسان قوم وقوم، ففي العراق - مثلاً - يسمّون بـ"الباطنية والقرامطة والمزديكية"، وفي خراسان بـ"التعليمية والملحدة"، وهم يقولون: نحن إسماعيلية، لأنّا تميّزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم وهذا الشخص (انظر الملل والنحل ج ١: ص ٢٣٣). فالفرقة الإسماعيلية من الفرق التي تميّزت عن غيرها - إلى يومنا هذا - بولعها في التفسير الباطني لحقائق الشريعة، وتتخذ موقفاً من الشريعة يقوم على أنّه يجب على من يريد هذه الفرقة نظاماً إباحيةً وزندقةً وإلحاداً، وفي الواقع معناه الخروج عن الدين الإسلامي الحنيف، فهم يطعنون في أئمة أهل البيت عليهم السلام ويحرضوا عليهم أصحاب الجهل وأهل التعصّب لمخالفة أئمة أهل البيت عليهم السلام لهذه الحركة الباطلة. وهل يصحّ بعد ذلك نسبة هذا الاصطلاح إلى الشيعة الإمامية؟! فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّ من أعظم الجنايات على الشيعة انتساب بعض الفرق الباطلة والضالّة إليهم ليأخذوها ذريعةً ويثيروا بها عليهم، مع أنّ علماء الشيعة يصرّحون بأنّ أكثر الفرق المنتسبة إلى الشيعة الإثني عشري ليسوا من المسلمين فضلاً عن كونهم من التشيع. والباحث في الآثار والأخبار المروية عن رسول الله ﷺ يعرف بأنّ الشيعة هم الذين يوالون الأئمة





الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام، وقد نصّ عليهم رسول الله ﷺ ليكونوا خلفاءه وأوصيائه من بعده على أُمَّته. وقد جاء ذكرهم وذكر عددهم في صحاح أهل السنة، وأنهم اثنا عشر خليفة، وقد رواه أرباب الصحاح منهم كالبخاري ومسلم وغيرهما من الصحاح (انظر صحيح البخاري ج ٨: ص ١٢٧ كتاب الأحكام، باب قبل باب إخراج الخصوم وأهل الريب من البيوت بعد المعرفة، وصحيح مسلم ج ٦: ص ٣ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش، ومسند أحمد بن حنبل ج ٣: ص ١٣). كما جاء ذكرهم بأسمائهم في بعض مصادرهم مُوضحاً بأنّ أولهم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وبعده ابنه الإمام الحسن عليه السلام، ثمّ أخوه الإمام الحسين عليه السلام، ثمّ تسعة من ذرية الحسين عليه السلام وآخرهم المهدي عليه السلام؛ فأخرج الحموي الجويني في كتابه فرائد السمطين: أنّه قدم يهودي يقال له "نعثل" فقال: يا محمد، أسألك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين، فإنّ أجبتي عنها أسلمت على يدك. قال: «سل يا أبا عمار»، فسأله عن أشياء إلى أن قال: صدقت، ثمّ قال: فأخبرني عن وصيّك من هو؟ فما من نبي إلاّ وله وصي، وإنّ نبينا موسى بن عمران أوصى إلى يوشع بن نون، فقال: «إنّ وصيّ علي بن أبي طالب، وبعده سبطاي الحسن والحسين، تتلوهم تسعة أئمة من صلب الحسين»، قال: يا محمد فسّمهم لي، قال: «إذا مضى الحسين فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه موسى، فإذا مضى موسى فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه الحسن، فإذا مضى الحسن فابنه الحجة محمد المهدي، فهؤلاء اثنا عشر»، قال: فأسلم اليهودي وحمد الله على الهداية (انظر فرائد السمطين ج ٢: ص ١٣٢)، ورواه القندوزي الحنفي في ينابيع المودة ج ٣: ص ٢٨١. ولو أردنا تصفّح كتب الشيعة والبحث عما فيها من الحقائق بخصوص هذا الموضوع لوجدنا فيها أضعاف هذه الروايات، ولكن يكفينا دليلاً أنّ نذكر هنا ما رواها علماء أهل السنة والجماعة. حيث يعتبر نقلهم لهذه الأحاديث المعتمدة عندهم اعترافاً ضمناً منهم على أحقية الأئمة الشيعة عليهم السلام. ولذلك كان الاعتقاد بالأئمة الاثني عشر من عصر النبي ﷺ، وكان بعض كبار الصحابة كسلمان وأبي ذرّ وعمّار والمقداد يعرفون بذلك والناس كانوا



٥٣٦..... منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨

بل هذه النسبة جعلوها فخاً لصيد القلوب الغفلة مثل من تسمّى ممّن قال بإمامة الثلاثة، فإنّ تسميتهم نفوسهم بأهل السنّة لصيد قلوب الجهلة لما عرفته من مخالفاتهم للسنّة وجريهم في عملهم على البدعة^(١)،



يسمّونهم بشيعة علي بن أبي طالب عليه السلام، كما جاء ذلك في الروايات والتاريخ (انظر كتاب الزينة لأبي حاتم السجستاني: مخطوط). وقد ذكر المفسّرون في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (سورة البينة: ٧)، قول النبي صلى الله عليه وآله: «هم عليّ وشيعته» (انظر شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج ٢: ص ٤٦٦، والدرّ المنثور للسيوطي ج ٦: ص ٣٧٩). فالشيعة من زمن رسول الله صلى الله عليه وآله والصّحابة، كانت لقب أتباع أئمة أهل البيت عليهم السلام ومن الواضح أنّ أتباع أئمة أهل البيت عليهم السلام يسيرون على نهجهم وسيرتهم فهذا معنى التشيع والشيعة فغير ليسوا من الشيعة، بل كلّهم ضالّين عند الشيعة، وعليه فأيّ نقص يرد على الشيعة بعد ثبوت الأدلّة على حقّانيتهم من كتب أهل السنّة؟ فلاحظ.

(١) لا شك أنّ الشيعة الإماميّة معروفون باقتدائهم بأئمة الأطهار عليهم السلام في جميع أفعالهم وأقوالهم ومعتقداتهم، فهم يمثلون أوامر الله ورسوله صلى الله عليه وآله ويتحدّرون عن النواهي الصادرة منهما، ويعظمون حرمة القرآن وحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام بامتنالهم الصادق لأوامرهم، ولهذا سموهم شيعة أهل البيت عليهم السلام. كما أنّهم التزموا بما أمرهم الله سبحانه في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (سورة الشورى: ٢٢). وبما جاء في النصوص في لزوم الإئتداء بهم عليهم السلام، وقد روى السيوطي بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كنّا عند النبي صلى الله عليه وآله فأقبل عليّ عليه السلام فقال النبي صلى الله عليه وآله: «والذي نفسي بيده إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة» (الدرّ المنثور ج ٦: ص ٣٧٩). وعن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلّي: «هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين» (الدرّ المنثور ج ٦: ص ٣٧٩). وروى الهيثمي بسنده أنّ رسول





الله ﷻ قال لعلي عليه السلام: «أنت وشيعتك تردون عليّ الحوض رواة مرويين مبيضة وجوهكم، وإن أعداءك يردون عليّ الحوض ظماء مقمحين» (مجمع الزوائد ج ٩: ص ١٣١). وفي رواية المناوي: «يا علي أنت وشيعتك تردون عليّ الحوض وروداً» (كنوز الحقائق للمناوي: ص ١٨٨). وروى الحافظ أبو نعيم بسنده عن الشعبي عن علي عليه السلام قال: «قال لي النبي ﷺ: "أنت وشيعتك في الجنة"» (حلية الأولياء ج ٤: ص ٣٢٩). وروى أحمد ابن حنبل في الفضائل بسنده عن عمرو بن موسى عن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن جده عليه السلام عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «شكوت إلى رسول الله ﷺ حسد الناس إياي، فقال: أما ترضى أن تكون رابع أربعة؟ أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين، وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذرائعنا خلف أزواجنا وشيعتنا من ورائنا» (فضائل الصحابة ج ٤: ص ٣٢٩). وإلى غير ذلك من الروايات الدالة على أنّ شيعة الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قد بشرهم النبي ﷺ بالجنة. ولذلك قال علماء أهل السنة أنّ الشيعة هم الذين يوالون الأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليه السلام ولا يخرجون منها، وإليك جانباً من هذه الأقوال: قال الشهرستاني في كتابه الملل والنحل: الشيعة هم الذين شايعوا علياً عليه السلام على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصّاً ووصية، إمّا جليّاً وإمّا خفياً، واعتقدوا أنّ الإمامة لا تخرج من أولاده (انظر الملل والنحل للشهرستاني ج ١: ص ١٤٦). وقال ابن منظور في لسان العرب، والفيروزآبادي في القاموس المحيط، والزيدي في تاج العروس: وقد غلب هذا الاسم (أي الشيعة) على من يتوالى عليّاً وأهل بيته عليه السلام حتى صار لهم اسماً خاصاً، فإذا قيل: (فلان من الشيعة) عُرف أنّه منهم (انظر لسان العرب ج ٨: ص ١٨٩، والقاموس المحيط ج ٣: ص ٤٩، تاج العروس ج ٢١: ص ٣٠٣). وقال الزهري: والشيعة قوم يهون هوى عترة النبي ﷺ ويوالونهم (انظر لسان العرب ج ٨: ص ١٨٩، وتاج العروس ج ٢١: ص ٣٠٣). قال ابن خلدون: اعلم أنّ الشيعة لغةً الصّحب والأتباع، ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على أتباع علي وبنيه عليه السلام (انظر مقدّمة ابن خلدون: ص ١٩٦). وجاء عن ابن القيم الجوزية في كتابه الصواعق المرسلّة: الوجه التاسع: إنّ فقهاء الإمامية من أولهم إلى آخرهم ينقلون عن أهل





البيت أنه لا يقع الطلاق المحلوف به وهذا متواتر عندهم عن جعفر بن محمد وغيره من أهل البيت، وهب أن مكابراً كذبهم كلهم، وقال: قد تواطئوا على الكذب عن أهل البيت، ففي القوم فقهاء وأصحاب علم ونظر في اجتهاد وإن كانوا مخطئين مبتدعين في أمر الصحابة، فلا يوجب ذلك الحكم عليهم كلهم بالكذب والجهل، وقد روى أصحاب الصحيح عن جماعة من الشيعة وحملوا حديثهم واحتجّ به المسلمون (انظر الصواعق المرسله ج ١: ص ٦١٦). وعن عامر عبد الله فالح، من كتاب السلفية المعاصرين، في كتابه معجم ألفاظ العقيدة الذي قال في مقدمته: (اخترت أوثق الأقوال في كثير من المسائل لعلماء متقدمين ومتأخرين ومعاصرين)... قال معرفاً بالشيعة: الشيعة: هم الذين شايعوا علياً على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصّاً ووصاية إماماً جلياً وإماماً خفياً، وقالوا: أن الإمامة لا تخرج عن أولاده وإن خرجت فبظلم من غيره أو بتقية من عنده (انظر معجم ألفاظ العقيدة: ص ٢٤٧). والنتيجة: أن الشيعة باعتراف مؤرخي الفرق والمذاهب الإسلامية، هي الفرقة الوحيدة التي تولّت إمامة أهل البيت (عليه السلام) وأخذت دينها عنهم فقهاً واعتقاداً. وإذا أضفنا إلى ما تقدّم من الأدلة حديث الثقلين وحديث اثني عشر خليفة تخرج جميع الفرق المنتسبة إلى الشيعة كالزيدية والإسماعيلية والواقفية وغيرهم لعدم اعتقادهم بأئمة الاثني عشر. فالشيعة يفتخرون بهذه التسمية المنصوص عليها. وفي قبائلهم أهل السنة الذين رفضوا هذه السنن النبوية وطمسوها وأبدلوا مكانها البدع في دين الله ومخالفة الله ورسوله (ﷺ) فجعلوا الاعوجاج في الدين، وبظلمهم وجورهم على أهل البيت (عليه السلام) وشيعتهم أصبحوا في مستقرين في زمرة أهل الجاهلية الذين حذر النبي الأكرم (ﷺ) أمته منهم، فلاحظ.

(١) ولعلّه إشارة إلى أن مصطلح الشيعة في الأخبار والروايات لا ينطبق إلا على الشيعة الاثني عشرية، لأن إطلاق الشيعة على غير الاثني عشري لا دليل عليه، وإطلاق كلمة الشيعة على بعض الفرق غير الاثني عشري إنما هي من كيد أعداء أهل البيت (عليه السلام)، حيث أنهم





أرادوا تشويه سمعة الموالين لأهل البيت عليه السلام، فكانوا ينشرون هذا المصطلح بين الناس وينسبونها إلى غير الاثني عشري في عصر إمامة أئمة الهدى عليه السلام ليتوهم الناس أن الشيعة بينهم اختلاف، كما دلّ على ذلك ما رواه الكشي في رجاله بسنده عن المفضل بن عمر، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يوماً ودخل عليه الفيض بن المختار، فذكر له آية من كتاب الله عزّ وجلّ تأولها أبو عبد الله عليه السلام فقال له الفيض: جعلني الله فداك ما هذا الاختلاف الذي بين شيعتكم؟ قال عليه السلام: «وأيّ الاختلاف يا فيض؟» فقال له الفيض: إني لأجلس في حلقهم بالكوفة فأكاد أشكّ في اختلافهم في حديثهم، حتّى أرجع إلى المفضل بن عمر، فيوقفني من ذلك على ما تستريح إليه نفسي ويطمئنّ إليه قلبي. فقال أبو عبد الله عليه السلام: «أجل، هو كما ذكرت يا فيض، إنّ الناس أولعوا بالكذب علينا، إنّ الله افترض عليهم لا يريد منهم غيره، وإني أحدث أحدهم بالحديث فلا يخرج من عندي حتّى يتأوله على غير تأويله، وذلك أنّهم لا يطلبون بحديثنا وبحبنا ما عند الله، وإنّما يطلبون به الدنيا، وكلّ يحب أن يدعي رأساً، أنّه ليس من عبد يرفع نفسه إلّا وضعه الله، وما من عبد وضع نفسه إلّا رفعه الله وشرّفه. فإذا أردت بحديثنا فعليك بهذا الجالس»، وأوماً بيده إلى رجل من أصحابه، فسألت أصحابنا عنه فقالوا: "زرارة بن أعين" (رجال الكشي ج ١: ص ٣٤٧). والملفت للنظر هو كثرة الفرق التي تسمّى باسم الشيعة، وتعدّها بدرجة كبيرة حتّى تكاد تنفرد الشيعة بهذه السمة، أو تقل: بهذا البلاء! فبعد وفاة كلّ إمام من الأئمة عليه السلام عند الشيعة تظهر فرقة جديدة، وكلّ طائفة تذهب في تعيين إمام خاصّ وكانت السلطة تساعد على ترويج تلك الطائفة باسم الشيعة لإيجاد الحيرة بين أتباع مدرسة أهل البيت عليه السلام في الرجوع إلى الإمام المعصوم الذي نصّ عليه رسول الله ﷺ من الأئمة الاثني عشر الذين عيّنهم رسول الله ﷺ في الأحاديث متواترة بين المسلمين الدالة على ذكر الأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليه السلام بأسمائهم واحداً بعد واحد، وبها يتمّ ما ذهب إليه الشيعة الاثني عشرية من أنّ الأئمة بعد رسول الله ﷺ الاثني عشر الأئمة من أهل البيت عليه السلام. وقد رواها علماء أهل السنّة في كتبهم، منها: ما رواه إبراهيم بن محمّد الحموي الشافعي في كتابه فرائد السمطين بسنده عن علي بن موسى الرضا عليه السلام، عن





أبيه عليه السلام، عن آبائه عليه السلام، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ والحديث طويل جداً وفيه قوله ﷺ: «فنظرت فرأيت اثني عشر نوراً، وفي كل نور سطر أخضر عليه اسم وصي من أوصيائي، أولهم علي وآخرهم القائم المهدي» (فرائد السمطين ج ٢: ص ٧٩)، ورواه القندوزي الحنفي في كتابه ينابيع المودة ج ٣: ص ٣٧٧. وروى الحموي أيضاً بسنده عن علي بن معبد، عن الحسين بن خالد عن علي بن موسى الرضا (عليه التحية والثناء)، عن أبيه عليه السلام، عن آبائه عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يستمسك بدينني ويركب سفينة النجاة بعدي فليقتد بعلي بن أبي طالب وليعاد عدوه وليوال وليه، فإنه وصيي وخليفتي على أمتي في حياتي وبعد وفاتي، وهو إمام كل مسلم وأمير كل مؤمن بعدي، قوله قولي وأمره أمري ونهيه نهيي وتابعه تابعي وناصره ناصر ي وخاذله خاذلي». ثم قال ﷺ: «من فارق علياً بعدي لم يرني ولم أره يوم القيامة، ومن خالف عليه حرّم الله عليه الجنة وجعل مأواه النار، ومن خذل علياً خذله الله يوم يعرض عليه، ومن نصر علياً نصره الله يوم يلقاه ولقّنه حجّته عند المسألة». ثم قال ﷺ: «والحسن والحسين إماما أمتي بعد أبيهما، وسيّد شباب أهل الجنة، وأمهما سيدة نساء العالمين، وأبوهما سيّد الوصيين. ومن ولد الحسين تسعة أئمة تاسعهم القائم من ولدي، طاعتهم طاعتي ومعصيتهم معصيتي، إلى الله أشكو المنكرين لفضلهم والمضيعين لحرمتهم بعدي وكفى بالله ولياً وناصراً لعترتي أئمة أمتي ومنتقماً من الجاحدين حقهم، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾» (فرائد السمطين ج ٢: ص ٣١٣). وروى القندوزي الحنفي في ينابيع المودة بسنده وعن عباية بن ربعي عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيّد النبيين وعليّ سيّد الوصيين، وإن أوصيائي بعدي اثنا عشر، أولهم علي عليه السلام وآخرهم القائم المهدي» (ينابيع المودة ج ٢: ص ٣١٦). ومنها: ما رواه بسنده عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال: جاء يهودي من يهود المدينة إلى علي عليه السلام قال: إنّي أسألك عن ثلاث وثلاث وعن واحدة، فقال علي عليه السلام: «لم لا تقول أسألك عن سبع؟» قال: أسألك عن ثلاث فإن أصبت فيهنّ سألتك عن الثلاث الآخر، فإن أصبت فيهنّ سألتك عن الواحدة، فقال علي عليه السلام: «ما تدري إذا سألتني فأجبتك أخطأت أم أصبت؟» فأخرج اليهودي من





كمه كتاباً عتيقاً قال: هذا ورثته عن آبائي وأجدادي عن هارون جدِّي إملأ موسى بن عمران وخطَّ هارون بن عمران عليه السلام وفيه هذه المسألة التي أسألك عنها، قال علي: «إن أجبته بالصواب فيهنّ لتسلم»، فقال: والله أسلم الساعة على يدك إن أجبته بالصواب فيهنّ، قال له: «سل»، قال: أخبرني عن أوّل حجر وضع على وجه الأرض، وعن أوّل شجرة نبتت على وجه الأرض، وعن أوّل عين نبعت على وجه الأرض. قال: «أمّا أوّل حجر وضع على وجه الأرض فإنّ اليهود يزعمون أنّها صخرة بيت المقدّس وكذبوا، ولكن هو الحجر الأسود نزل به آدم عليه السلام من الجنّة فوضعه في ركن البيت والناس يتمسّحون به ويقبلونه ويجدون العهد والميثاق، لأنّه كان ملكاً ابتلع كتاب العهد والميثاق وكان مع آدم في جنّة، فلمّا خرج آدم خرج هو فصار حجراً» قال اليهودي: صدقت، قال علي عليه السلام: «وأمّا أوّل شجرة نبتت على الأرض فإنّ اليهود يزعمون أنّها الزيتون وكذبوا، ولكنّها نخلة من العجوة نزل بها آدم عليه السلام من الجنّة فأصل كلّ النخلة العجوة»، قال اليهودي: صدقت، قال علي عليه السلام: «وأمّا أوّل عين نبعت على وجه الأرض فإنّ اليهود يزعمون أنّها العين التي كانت تحت صخرة بيت المقدّس وكذبوا، ولكنّها عين الحياة التي نسي عندها صاحب موسى السمكة المالحة، فلمّا أصابها ماء العين حييت وعاشت وشربت منه، فأتبعها موسى وصاحبه الخضر عليه السلام»، قال اليهودي: صدقت، قال علي عليه السلام: «سل عن الثلاث الآخر»، قال: أخبرني كم هذه الأئمة بعد نبيّها من إمام، وأخبرني عن منزل محمّد أين هو في الجنّة، وأخبرني من يسكن معه في منزله؟ قال علي عليه السلام: «لهذه الأئمة بعد نبيّها اثنا عشر إماماً لا يضرّهم خلاف من خالفهم» قال اليهودي: صدقت، قال علي عليه السلام: «ينزل محمّد صلى الله عليه وآله في جنّة عدن وهي وسط الجنان وأعلاها وأقربها من عرش الرحمن جلّ جلاله» قال اليهودي: صدقت، قال علي عليه السلام: «والذي يسكن معه في الجنّة هؤلاء الأئمة الاثنا عشر، أولهم أنا وآخرنا القائم المهدي»، قال: صدقت، قال علي عليه السلام: «سل عن الواحدة»، قال: أخبرني كم تعيش بعد نبيّك، وهل تموت أو تقتل؟ قال: «أعيش بعده ثلاثين سنة وتخضب هذه (أشار ببلحيته) من هذا (أشار برأسه الشريف)»، فقال اليهودي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله،





وأشهد أنك وصي رسول الله ﷺ (ينابيع المودة ج ٣: ص ٢٨٥). ومنها: ما رواه الحموي بإسناده عن أبي نصره قال: لما احتضر أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام عند الوفاة دعا بابنه الصادق عليه السلام ليعهد إليه عهداً، فقال له أخوه زيد بن علي: لو امتثلت في تمثال الحسن والحسين عليه السلام لرجوت أن لا تكون أتيت منكراً، فقال له: «يا أبا الحسين، إن الأمانات ليست بالمثل ولا العهود بالسوم، وإنما هي أمور سابقة عن حجج الله تبارك وتعالى». ثم دعا بجابر بن عبد الله فقال له: «يا جابر حدثنا بما عاينت من الصحيفة»، فقال له جابر: نعم يا أبا جعفر، دخلت على مولاتي فاطمة بنت رسول الله ﷺ لأهنيها بمولد الحسين عليه السلام فإذا بيدها صحيفة من درة بيضاء، فقلت: يا سيّدة النسوان ما هذه الصحيفة التي أراها معك؟ قالت: «فيها أسماء الأئمة من ولدي»، فقلت لها: ناوليني لأنظر فيها؟ قالت: «يا جابر، لولا النهي لكنت أفعل، لكنّه قد نهى أن يمسه إلا نبي أو وصي نبي أو أهل بيت نبي، ولكنّه مأذون لك أن تنظر إلى بطنها من ظاهرها». قال جابر: فقرأت فإذا: «أبو القاسم محمد بن عبد الله المصطفى وأمه آمنة، أبو الحسن علي بن أبي طالب المرتضى أمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، أبو محمد الحسن بن علي وأبو عبد الله الحسين بن علي التقي أمهما فاطمة بنت محمد، أبو محمد علي بن الحسين العدل أمّه شاه بانويه بنت يزدجرد بن شاهنشاه، أبو جعفر محمد بن علي الباقر أمّه أمّ عبد الله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق أمّه أمّ فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، أبو إبراهيم موسى بن جعفر الثقة أمّه جارية اسمها حميدة، أبو الحسن علي بن موسى الرضا أمّه جارية اسمها نجمة، أبو جعفر محمد بن علي الزكي أمّه جارية اسمها خيزران، أبو الحسن علي بن محمد الأمين أمّه جارية اسمها سوسن، أبو محمد الحسن بن علي الرفيق أمّه جارية اسمها سمانة، أبو القاسم محمد بن الحسن هو حجّة الله القائم أمّه جارية اسمها نرجس (صلوات الله عليهم أجمعين)» (فرائد السمطين ج ٢: ص ١٤٠). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام الدالة على أنّ أئمة أهل البيت عليه السلام اثني عشر قد جاء ذكرهم بأسمائهم وجميع خصوصياتهم في الروايات التي رواها الفريقين. فالشيعة هم الذين يوالون الأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليه السلام، فتسمية



وحادي عشرها: ما قاله من أنّ المختار^(١)



الشيعة بغير الاثني عشري لا دليل عليه من الشرع. فما ذكره بعض علماء الفرق في كتبهم لا دليل عليه من الشرع، بل الدليل قائم على خلاف ما ادعوه. فحال غير الاثني عشرية عند الشيعة كحال المخالفين لأهل البيت عليه السلام إن لم نقل أنّهم من المنافقين وأعداء أهل البيت عليه السلام الذين رسخوا بين الشيعة، فلاحظ.

(١) وهو المختار بن أبي عبيدة بن مسعود الثقفي، المكنى بأبي اسحاق. ولد في مدينة الطائف في السنة الأولى من الهجرة النبوية الشريفة، ويذكر أنّ والده أبو عبيدة حينما أراد أن يتزوج ذكر له قومه نساء فأبى أن يتزوج منهن، فأتاه آت في منامه فقال له: تزوج دومة الحسنة الحومة، فما تسمع فيها للائم لومة، فأخبر أهله، فقالوا له: قد أمرت فتزوج دومة بنت وهب بن عمرو... فلما حملت بالمختار قالت: رأيت في النوم قائلاً يقول: أبشري بالولد أشبه شيء بالأسد * إذا الرجال في كبد تقاتلوا على بلد (انظر ذوب النضار لابن نما الحلبي: ص ٦٠). وكان المختار في صباه يحظى برعاية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لما كان يعلم أنّه الآخذ بثأر ولده الإمام الحسين عليه السلام (انظر وسائل الشيعة للشيخ الحرّ العاملي ج ٢٠: ص ٣٤٧). يقول الأصمغ بن نباتة: رأيت المختار على فخذ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهو يمسح رأسه ويقول: «يا كيّس، يا كيّس» (الفصول المختارة للشيخ المفيد رحمته الله: ص ٢٩٦). فأصبحت فيما بعد لقباً للمختار (انظر معجم رجال الحديث للسيد الخوئي ج ١٨: ص ١٠٢). وقال الجوهرى في معجم الصحاح: كيّسان اشتقّ من "كيّس" لقب المختار وتعني: "الفطنة والعقل" وتنسب الفرقة الكيسانية (معجم الصحاح للجوهري ج ٢: ص ٩٧٠، في توضيح كلمة "كيّس"). ولم يعرف عن حياته الأولى كثير أخبار، ولكن المعروف عنه أنّه كان مقداماً شجاعاً يتعاطى معالي الأمور، وكان ذا عقل وافر، وجواب حاضر، وخلال مأثورة، ونفس بالسخاء موفورة، وفطرة تدرك الأشياء بفراسبتها، وهمّة تعلو على الفراق ببنفاستها، وحس مصيب، وكفّ في الحروب مجيب، مارس التجارب فحنكته، ولا بس الخطوب فهذبته، وكان يتمتع بخصال نادرة جعلته من أفاضال الرجال،





وقد تعددت مواهبه وصفاته الكريمة ومآثره النبيلة وشجاعته النادرة، فكان هذا الثائر الكبير بطلاً شجاعاً لا يرهب الأهوال والمخاطر، عميق التفكير، حسن التدبير والسياسة، يتمتع بالحكمة والكياسة، وقد كرّس كل هذه المزايا والخصال لنصرة الحق المتمثل بأهل البيت عليه السلام، وكان من الطبيعي أن تكون لكل من له هذه الصفات التي تمتع بها ضربيتها من ألسنة الحساد والبغض والنفاق التي ألصقت به التهم الباطلة وافترت عليه الافتراءات العظيمة. وقد مدحه الكثير من علماء أهل السنة، فوصفه ابن عبد البر في الاستيعاب، بقوله: كان معدوداً من أهل الفضل والخير والدين... (الاستيعاب ج ٤: ص ١٤٦٥). والمهم من حياته أنه أنلج قلوب الأئمة الأطهار عليهم السلام بثورته وانتفاضته الانتقامية، فورد عنهم عليهم السلام الترخّم عليه، فعن الإمام الباقر عليه السلام قال للحكم بن المختار: «رحم الله أباك، رحم الله أباك، ما ترك لنا حقاً عند أحد إلا طلبه، قتل قتلنا، وطلب بدمائنا» (انظر اختيار معرفة الرجال، رجال الكشي ج ١: ص ٣٤٠ ح ١٩٩). وقال عليه السلام: «لا تسبوا المختار، فإنه قتل قتلنا، وطلب بئارنا، وزوج أراملنا، وقسم فينا المال على العسرة» (انظر اختيار معرفة الرجال، رجال الكشي ج ١: ص ٣٤٠ ح ١٩٧). وعن الإمام الصادق عليه السلام: «ما امتشطت فينا هاشمية ولا اختضبت، حتى بعث إلينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين عليه السلام» (انظر اختيار معرفة الرجال، رجال الكشي ج ١: ص ٣٤١ ح ٢٠١). وعن عمر بن علي بن الحسين قال: إن علي بن الحسين عليه السلام لما أتى برأس عبيد الله بن زياد ورأس عمر بن سعد، فخرّ ساجداً وقال: «الحمد لله الذي أدرك لي ثاري من أعدائي، وجزى الله المختار خيراً» (انظر اختيار معرفة الرجال، رجال الكشي ج ١: ص ٣٤١ ح ٢٠٣). وقد تمكن المختار في ثورته هذه من قتل كل من: شمر بن ذي الجوشن خولي بن يزيد وعمر بن سعد، وقتل عبيد الله بن زياد، وكان ابن زياد بالشام فأقبل في جيش إلى العراق فسير إليه المختار إبراهيم بن الأشتر في جيش فلقه في أعمال الموصل فقتل ابن زياد وغيره. وكانت ميزة ثورة المختار متوجهة بالذات إلى القتل الإمام الحسين عليه السلام، وتطهير أرض العراق من جرائم العيث والفساد من الأمويين. فلما غادر من مكة إلى الكوفة اجتمع حوله كثير من الشيعة، يقول المسعودي: نزل ناحية من الكوفة وجعل يظهر البكاء





على الطالبين وشيعتهم، ويظهر الحنين والجزع لهم ويحثّ على أخذ الشار فمالت إليه الشيعة وانضافوا إلى جملته (انظر مروج الذهب للمسعودي: ج ٣: ص ٧٤-٧٣). ولمّا بلغ إلى ابن الزبير التفاف الشيعة حول المختار وأنه بصدد الخروج أحسّ خطراً وأنه سوف يخرج العراق من يده، وقد كان العراق تحت قدرته، فرأى أنّ التفاف الناس حول المختار يرجع إلى عدم كفاءة عامله، فحاول إبداله بعامل آخر لم يكن في الباقية أحسن منه فاستعمل عبد الله بن مطيع بالكوفة، وكان قدومه في رمضان لخمس بقين منه، ولمّا قدم صعد المنبر وخطبهم وقال: أمّا بعد فإنّ ابن الزبير بعثني على مصركم وثغوركم وأمرني بجباية فيئكم وأن لا أحمل فضل فيئكم عنكم إلّا برضا منكم، وأن أتبع وصية عمر بن الخطّاب التي أوصى بها عند وفاته، وسيرة عثمان بن عفان فاتقوا الله واستقيموا ولا تختلفوا وخذوا على أيدي سفهائكم فإن لم تفعلوا فلو موا أنفسكم ولا تلوموني، فوالله لأوقعنّ بالسقيم العاصي، ولأقيمّن درع الأصعر المرتاب... (الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٤: ص ٢١١). ولو كان كلامه مقياساً لشعوره ودهائه وسياسته، فهذه الخطابة التي ألّقاها، دليل على عدم تعرفه على بيئته، والنفسيات الحاكمة على سكان الكوفة، لأنّ الأكثرية الساحقة، كانوا لا يتجاوبون مع تلك الفكرة. فلمس المختار ما تتبناه الأكثرية الساحقة من أهل الكوفة والعراق ولم يكن آنذاك في وسعه تحقيق العدل الاجتماعي الذي سار به الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في أيامه، ولكن كانت فيه مقدرة عظيمة على أخذ الثأر من قتلة مولانا الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام حتّى يتمكن من الأخذ بمجامع القلوب. ثمّ وهب الثائرون إلى منزل المختار الذي أصبح مركزاً لقيادة الثورة ودارت معارك ضارية في شوارع الكوفة وأزقتها واستسلم جنود الوالي وشرطته، كما فرّ الوالي بنفسه إلى الحجاز. واشتدّ أمر المختار فأخذ يقتل كلّ من اشترك في قتل الإمام الحسين عليه السلام فلم يكن يأتونه برجل فيشهدون أنّه من قتلة الحسين عليه السلام أو ممّن أعان عليه إلّا قتله. ويذكر الطبري في تاريخه أنّ المختار تجرّد لقتلة الحسين عليه السلام وأهل بيته، وقال: إنّ المختار قال لهم: اطلبوا لي قتلة الحسين عليه السلام فإنّه لا يسوغ لي الطعام والشراب حتّى أظهر الأرض... (انظر تاريخ الطبري ج ٤: ص ٥٢٩). ونقلًا عن بعض المؤرّخين أنّه عذّب قتلة الحسين عليه السلام تعذيباً



أول الشيعة بل خيارهم، بهتان منه ^(١)،



يشابه فعلتهم الإجرامية في كربلاء، حتى أباد - كما قيل - ثمانية عشر ألفاً منهم خلال ثمانية عشر شهراً من حكمته، وهرب الكثير... فلاحقهم ونكل بهم. ويذكر أن المختار أعاد شيئاً من الحقوق المهتزمة المستلبة من أهل البيت عليه السلام ومن ذلك أنه بعث عشرين ألف دينار إلى الإمام السجاد عليه السلام، فقبلها منه وبنى بها دار عقيل بن أبي طالب ودارهم التي هدمت... (انظر بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ٤٥: ص ٣٤٤). استشهد المختار في الرابع عشر من شهر رمضان سنة ٦٧هـ، بعدما قاتل مصعب بن الزبير وجيشه أشد قتال، ودُفن بجوار مرقد مسلم بن عقيل عليه السلام، وقبره معروف يزار، فرحمه الله وأجزل له العطاء، وورق شفاعته المصطفى سيد الرسل والأنبياء عليه السلام، وشفاعة الأئمة الهداة الأئمة عليهم السلام.

(١) لا يخفى أن ما ادعاه ابن تيمية هنا مبني على اعتقاده الفاسد ومسلكه الأموي حيث أنه كان يتبع عقيدة الأمويين بجميع أبعادها ومفاهيمها وسلوكياتها كعقيدة ثابتة أسدلت الستار على جميع أقواله وأفعاله، حتى أنه كان يعتقد بأن يزيد بن معاوية شارب الخمر والمعلن بالفسوق، وناكح الأمهات والأخوات خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، والجهد والنهضة ضد حكومة يزيد وحكام بني أمية يكون عنده المروق عن الدين، فعلى هذا الأساس ادعى: بأن المختار أول الشيعة، بل من خيارهم.. ويقصد بذلك أن الشيعة الذين رفضوا خلافة خلفائهم كالمختار كانوا دائماً في الحرب مع خلفائهم، وإن كان خليفتهم معلناً للفسق والفجور كيزيد بن معاوية، وهدفه من هذه النسبة إلى الشيعة أن يوصل لأهل نحلته هذه الفكرة بأن الشيعة هم الخوارج على ما بنوا عليه في مذهبهم الفاسد، لأنهم يقولون: أن من خرج على خلفائهم كالمختار حكمه المروق عن الدين. ولذلك قال: أن المختار قام بالسيف ضد حكومة بني أمية... فمن هذه الجهة يكون المختار عند ابن تيمية من أول الشيعة ومن مقدمهم في محاربة خلفائهم. ولكن تدليسه بالنسبة إلى معنى الشيعة لا يخفى على الخبير، لأن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أوضح في الروايات العديدة من يوم حديث الدار بأن شيعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قد سمّاهم رسول الله صلى الله عليه وآله





بهذا الاسم، فقد أخرج ابن عساكر في تاريخه بسنده عن جابر بن عبد الله قال: كنا عند النبي ﷺ فأقبل علي بن أبي طالب، فقال النبي ﷺ: «قد أتاكم أخي»، ثم التفت إلى الكعبة فضربها بيده، ثم قال: «والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة»، ثم قال: «إنه أولكم إيماناً معي وأوفاكم بعهد الله وأقومكم بأمر الله وأعدلكم في الرعية وأقسمكم بالسوية وأعظمكم عند الله مزية»، قال: ونزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ قال: فكان أصحاب محمد ﷺ إذا أقبل علي قالوا: قد جاء خير البرية (تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٣٧١). وأخرج ابن المغازلي بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً لا حساب عليهم»، ثم التفت إلى علي عليه السلام فقال: «هم من شيعتك وأنت إمامهم» (المناقب لابن المغازلي: ص ٢٣٢). وأخرج الشيلنجي في نور الأبصار بسنده عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ قال النبي ﷺ لعلي: «أنت وشيعتك تأتي يوم القيامة أنت وهم راضين مرضيين، ويأتي أعداؤك غضاباً مقمحين» (نور الأبصار: ص ٧٠). وإلى غير ذلك من الروايات الدالة على الشيعة هم أتباع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كما أن الصحابة كانوا يسمون أتباع الإمام عليه السلام بالشيعة كما ذكره أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني من علماء أوائل القرن الثالث من الهجرة في كتابه الزينة ما هذا نص عبارته: إن لفظ الشيعة ظهر على عهد رسول الله ﷺ، وكان هذا لقب أربعة من الصحابة سلمان وأبي ذر والمقداد وعمار إلى أول صفين فاشتهر بين موالي علي عليه السلام (انظر المجلد الثالث من كتاب الزينة: المخطوط). إذن أن لقب التشيع كان ينسب إلى من يوالي الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من عهد رسول الله ﷺ، وذلك للنصوص والروايات الواردة في كتب الفريقين. ثم نمت هذه البذرة حتى كان المواليون لأهل البيت عليه السلام يسمون بهذا الاسم واللقب، وكثير من الصحابة والتابعين كانوا يعرفون هذه الحقيقة، وهناك روايات كثيرة في فضل الشيعة رواها علماء الشيعة وأهل السنة عن النبي ﷺ وعن أئمة أهل البيت عليه السلام، وسندكرها إن شاء الله تعالى في محله. وعليه كيف جاز لابن





تيمية أن يكذب على الشيعة ويفترى على ورسوله ﷺ وينكر هذه النصوص والروايات والوثائق التاريخية ويقول: بأن المختار من أول الشيعة... والشيعة يتميزون عن غيرهم باعتقادهم بأئمة الأطهار ﷺ ، فإنهم يعتقدون بأن الإمامة لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان النبي ﷺ. وعليه لا يحق لأحد أن يخالف ما فرضه الله أو يغير ويبدل ما شرعه الله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ اللَّهُ أَذَنْ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ (سورة يونس: ٥٩). وقال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ (سورة القصص: ٥٨). والمختار بسبب أتباعه ومواليته للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وأهل البيت ﷺ يكون من الشيعة. هذا المعنى يظهر من سيرة المختار وأقواله وأفعاله، فإنه عندما غلب على الحكومة ، ودخل القصر ، فجاء إلى المسجد فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وقال في نهاية كلامه: فلا والذي جعل السماء سقفاً محفوظاً والأرض فجاءاً سبلاً، ما بايعتم بعد بيعة علي بن أبي طالب ﷺ وآل علي ﷺ أهدى منها. ثم نزل المنبر ودخل عليه أشراف الكوفة فبايعوه على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ والطلب بدماء أهل البيت ﷺ وجهاد المحلّين والدفع عن الضعفاء، وقتال من قاتلنا وسلم من سالمنا (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٤: ص ٢١١). ونهض المختار بالكوفة فجذب في الأمر وبالغ في نصرة أهل البيت ﷺ وتبّع قتلة سيد الشهداء أولئك الأرجاس من أتباع آل أمية ، فأخذ الثأر من قتلة الإمام الحسين ﷺ. وقتل منهم خلقاً عظيماً حتى لم يبق منهم أحد، فقتل عمر بن سعد وشمراً وحرملة وغيرهم وحرقهم بالنار، وعذبهم بأنصاف العذاب... (انظر تاريخ يعقوبي ج ٢: ص ٢٥٩). وذكر ابن الأثير تفصيل قتل قادة الجيش الأموي في كربلاء. فقال: وكان عمرو بن الحجاج الزبيدي ممّن شهد قتل الحسين فركب راحلته، وقيل: أدركه أصحاب المختار وقد سقط من شدة العطش فذبحوه وأخذوا رأسه. وبعث المختار غلاماً له يدعى زربي في طلب شمر بن ذي الجوشن ومعه أصحابه فأحاطوا بالبيت الذي كان فيه شمر، وقام شمر وقد اتّزّر ببرد وكان أبرص فظهر بياض برصه من فوق البرد وهو يطاعنهم بالرمح وقد عجّلوه عن لبس ثيابه وسلاحه، وكان أصحابه قد فارقوه فلمّا أبعدوا عنه، سمعوا التكبير وقائلاً يقول: قتل





الخيث، قتله ابن أبي الكنود وألقيت جثته للكلاب (انظر الكامل في التاريخ ج ٤: ص ٢٣٦-٢٣٧). ثم أرسل إلى خولي بن يزيد الأصبحي وهو صاحب رأس الإمام الحسين عليه السلام فاخفى في مخبره فدخل أصحاب المختار يفتشون عنه فخرجت امرأته واسمها العيوف بنت مالك، وكانت تعاديه منذ جاء برأس الحسين فقالت لهم: ماتريدون؟ فقالوا لها: أين زوجك؟ قالت: لا أدري، وأشارت بيدها إلى المخرج فدخلوا فوجدوه وعلى رأسه قوصرة فأخرجوه وقتلوه إلى جانب أهله وأحرقوه بالنار. وبعث المختار أبا عمرة إلى عمر بن سعد فأتاه وقال: أجب الأمير، فقام عمر، فغثر في جبّة له، فضربه أبو عمرة بسيفه فقتله وأخذ رأسه فأحضره عند المختار، فقال المختار لابنه "حفص بن عمر" وهو جالس عنده: أتعرف من هذا؟ قال: نعم ولا خير في العيش بعده، فأمر به فقتل، وقال المختار: هذا الإمام الحسين عليه السلام، وهذا بعلي بن الحسين عليه السلام ولا سواء، والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش، ما وفوا أنملة من أنامله. ثم بعث برأسه ورأس ابنه إلى ابن الحنفية وكتب إليه يعلمه أنه قد قتل من قدر عليه وأنه في طلب الباقيين ممن حضر القتل (انظر الكامل في التاريخ ج ٤: ص ٢٤١-٢٤٢). ثم إن المختار أرسل إلى حكيم بن طفيل الطائي، وكان أصاب سلب العباس بن علي عليه السلام ورمى الإمام الحسين عليه السلام بسهم. كما بعث إلى قاتل علي بن الحسين عليه السلام وهو مرة بن منقذ فأحاطوا بداره، فخرج إليهم على فرسه ويده رمحه فطاعنهم فضرّب على يده وهرب منهم فنجوا ولحق بمصعب بن الزبير وشلت يده بعد ذلك. وطلب المختار سنان بن أنس الذي كان يدّعي قتل الحسين عليه السلام، فرآه قد هرب إلى البصرة فهدم داره، كما أرسل إلى محمد بن الأشعث ولم يجده وقد كان هرب إلى مصعب، فهدم المختار داره وبنى بلبنها وطينها دار حجر بن عدي الكندي، كان زياد قد هدمها (انظر الكامل في التاريخ ج ٤: ص ٢٤٢-٢٤٤). وقال ابن كثير: وكان مقتل عبيد الله بن زياد على يدي إبراهيم بن الأشتر النخعي؛ وذلك أن إبراهيم بن الأشتر خرج من الكوفة يوم السبت لثمان بقين من ذي الحجة في السنة الماضية، ثم استهلت هذه السنة وهو سائر لقصد ابن زياد في أرض الموصل فكان اجتماعهما بمكان يقال له: الخازر بينه وبين الموصل خمسة فراسخ، فبات ابن الأشتر





تلك الليلة ساهرا لا يغمض نوم ، فلما كان قريب الصبح نهض فعبأ جيشه وكتب كتابه ، وصلى بأصحابه الفجر في أول وقت ، ثم ركب فناهض جيش ابن زياد وزحف بجيشه رويدا وهو ماش في الرجالة حتى أشرف من فوق تل على جيش ابن زياد ، فإذا هم لم يتحرك منهم أحد ، فلما رأوهم نهضوا إلى خيلهم وسلاحهم مدهوشين ، فركب ابن الأشر فرسه وجعل يقف على رايات القبائل فيحرضهم على قتال ابن زياد ويقول : هذا قاتل ابن بنت رسول الله ﷺ ، قد جاءكم الله به وأمكنكم الله منه اليوم ، فعليكم به ، فإنه قد فعل في ابن بنت رسول الله ﷺ ما لم يفعله فرعون في بني إسرائيل ! هذا ابن زياد قاتل الحسين الذي حال بينه وبين ماء الفرات أن يشرب منه هو وأولاده ونساؤه ، ومنعه أن ينصرف إلى بلده أو يأتي يزيد بن معاوية حتى قتله ! ويحكم ، اشفوا صدوركم منه ، وارووا رماحكم وسيوفكم من دمه ، هذا الذي فعل في آل نبيكم ما فعل ، قد جاءكم الله به . ثم أكثر من هذا القول وأمثاله ، ثم نزل تحت رايته وقاتل ابن الأشر يومئذ قتالاً عظيماً ، وكان لا يضرب بسيفه رجلاً إلا صرعه ، وكثرت القتلى بينهم ، وقيل إن ميسرة أهل الشام ثبتوا وقاتلوا قتالاً شديداً بالرمح ثم بالسيوف ، ثم أردف الحملة ابن الأشر فانهزم جيش الشام بين يديه ، فجعل يقتلهم كما يقتل الحملان ، واتبعهم بنفسه ومن معه من الشجعان : وثبت عبيد الله بن زياد في موقفه حتى اجتاز به ابن الأشر فقتله وهو لا يعرفه... (انظر البداية والنهاية لابن كثير الشامي ج ٨ : ص ٣١٠). وإلى غير ذلك مما فعله المختار انتصاراً لأهل البيت ﷺ وأخذاً لثأر مولانا الإمام أبي عبد الله الحسين ﷺ بأشد الوجه.

(١) لقد كان المختار أحد وجوه الشيعة في المجتمع الكوفي، ويظهر من التاريخ أنه كان من أشهر أعلام الشيعة في الكوفة، لذلك عندما ورد مسلم بن عقيل الكوفة دخل بيت المختار لأنه كان من أجلة الشيعة في الكوفة، وعند ما قرأ عليه مسلم طلب الإمام الحسين ﷺ من أهل الكوفة، فهو أول من لبى نداء الإمام الحسين ﷺ وبايع مسلم بن





عقيل استجابةً لدعوة الإمام الحسين عليه السلام (انظر اللهوف لسيد بن طاوس: ص ٢٤). ففتح المختار أبواب داره لشيعة الكوفة فاجتمعوا في داره وبايعوا مسلم بن عقيل، وأظهروا استعدادهم الكامل لنصرة الإمام أبي عبدالله الحسين عليه السلام وطاعته (انظر مقتل الإمام الحسين عليه السلام لأبي مخنف الأزدي: ص ١٩). وفي رواية أن أهل الكوفة كتبوا إلى الإمام الحسين عليه السلام أن لك هنا مائة ألف سيف فلا تتأخر (الإرشاد للشيخ المفيد رحمته الله ج ٢: ص ٧١). فكان بيت المختار أن ذاك مركزاً لمرادة الشيعة (انظر حياة الإمام الحسين للشيخ باقر القرشي ج ٢: ص ٣٤٤). فهرعوا من كل حذب وصوب، وهم يظهرون لمسلم بن عقيل الولاء والطاعة، وكان مسلم يقرأ عليهم رسالة الإمام الحسين عليه السلام وهم يكونون، ويبدون تعطشهم لقدوم الإمام أبي عبدالله الحسين عليه السلام والتفاني في نصرتهم له عليه السلام ليعيد في مصرهم حكم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وينقذهم من جور الأمويين وظلمهم. وكان حبيب بن مظاهر هو الذي يأخذ منهم البيعة للإمام الحسين عليه السلام (انظر كتاب حياة الإمام الحسين عليه السلام للشيخ باقر القرشي رحمته الله ج ٢: ص ٣٤٧). فوصل عدد المبايعين أربعين ألفاً (انظر أنساب الأشراف للبلاذري ج ٥: ص ٢٤٣). وليس نزول مسلم عليه السلام في بيت المختار بالشيء اليسير إذا نظرناه من وجهة الظروف الراهنة آنذاك، ومن وجهة دعوة جديدة يُراد بها قلب نظام جماعي يدين بالولاء لبني أمية، فهو على أية حال يعطينا صورة واضحة عن عقيدة هذا الرجل الذي جعل بيته ندوة ينشر منها دعوة الإمام الحسين عليه السلام، بالرغم من كثرة أضرار السلطة الأموية في الكوفة التي كانت تراقب كل شيء. وهنا يبرز شخصية المختار كشخصية شيعية معارضة لحكومة الأمويين، وكان شجاعاً ومخلصاً، ثورياً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، فاختار طريق الكفاح والثورة للانتصار على الباطل في تلك الظروف الحرجة التي كانت حاکمة على الكوفة من قبل الدولة الأموية (انظر الأخبار الطوال للدينوري: ص ٣٤١، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣: ص ٣٨٦، بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ٤٥: ص ٣٥٣). ولم يهادن ولم يراوغ ولم يحترف سياسة اللف والدوران والنفاق والمكر والغدر وغيرها من الأساليب الدنيئة التي امتاز بها معاوية وأتباع السقيفة ومن على شاكلتهم. وقد جدّ المختار في الدعوة لنصرة مسلم بن عقيل حتى بلغ



عدد من بايعوه ثمانية عشر ألفاً (المختار الثقفي لأحمد الدجيلي: ص ٣٤). وقيل خمسة وعشرين ألفاً (انظر مروج الذهب للمسعودي ج ٢: ص ٨٦)، حيث اكتظت شوارع الكوفة بجماهير الهاتفين بتحيات الاستقبال، وامتألت الدار على سعتها بالمزدحمين من مختلف الطبقات على الترحيب به، حاملين وسام حفلة الحفاوة بقدمه، رافعين شعار التهاني والابتهاج بتشريفه. وكان أمير الكوفة يومئذ هو النعمان بن بشير، ولكن جماعة من بني أمية لم يسكتوا عن تحركات مسلم بن عقيل عليه السلام فكتبوا إلى يزيد بجلية الحال. وفزع يزيد حينما وافته الأنباء من عملائه بمجيء مسلم بن عقيل عليه السلام إلى الكوفة وأخذه البيعة للإمام الحسين عليه السلام، واستجابة الجماهير لبيعة الإمام عليه السلام، وشعر يزيد بالخطر الذي يهدد ملكه. وما كان من يزيد إلا أن يبعث عبيد الله بن زياد، واليه على البصرة ويضم إليه الكوفة. ثم تدور الدائرة وإذا بعبيد الله بن زياد أميراً على الكوفة وسيفه وسوطه على من ترك أمره وخالف نهيه، وإذا بأهل الكوفة الذين بايعوا مسلماً بالأمس القريب يتخاذلون عنه، فهم بين متخاذل وخائف مرتاب. وأول عمل قام به ابن زياد القضاء على شيعة أهل الكوفة، وذلك بتشيط عزائم قادتها، وتسجينهم في غياهب السجون. أما المختار فقد بعثه لجمع العدة والعدة وكان في قرية خارج الكوفة تسمى القفا، وحين علم بذلك أقبل بمواليه وطائفة من قبيلته لتلافي الموقف ومعه عبد الله بن الحارث، وهو يحمل رايته الخضراء حتى انتهى به المطاف إلى باب الفيل (تاريخ الطبري: ج ٥: ص ٣٨١). ولكن لما رأى استسلام أهل الكوفة إلى قوى السفاح عبيد الله بن زياد، سرعان ما مثل بين يدي اللعين ابن زياد. فقال له ابن زياد: أنت المقبل في الجموع لتنصر ابن عقيل وتتوكل أبا تراب وولده. فقال المختار: أما علي وأولاده فإنني أحبهم لمحبة رسول الله ﷺ لهم عليهم السلام، وأما نصرتي لمسلم فلم أفعل. فانبرى عمرو عند ذلك وشهد له بالبراءة، ولكن ابن زياد أبى أن يستجيب لهذه الشهادة والعمل على إخلاء سبيله، بل عمد إلى سوط واستعرض به وجهه ضرباً حتى أدماه، كما أصاب عينه فشتها، ثم أمر به أن يدخل السجن. وبعد أيام من اعتقال المختار يُعتقل ميثم التمار، ويودع السجن مع المختار، وبعد حديث بينهما ينبعث في روح المختار أمل بالنجاة والخلاص من يد هؤلاء الأشرار، بل والشرف العظيم



وما ينقم منه من تسمي بأهل السنة سوى قتله ، قتلة سيّد شباب أهل
الجنة عليه السلام ^(١) ،



بأخذ ثأر سيّد الشهداء عليه السلام وأصحابه الأخيار حيث يقول له ميثم نقلاً عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «إنك تفلت وتخرج ثائراً بدم الحسين عليه السلام فتقتل هذا الذي يقتلنا...» (اعلام الوري للشيخ الطبرسي رحمته الله: ص ١٧٦). فاطمئنت نفس المختار بهذا الكلام، لأنّه واثق من مصدره ومصدّق له، وبدأ يعدّ الساعات والدقائق، ويعدّ نفسه للقيام بالمهمّة الكبرى. وكانت الأيام تمرّ سراعاً في سجن ابن زياد (عليه اللعنة)، وكانت الأخبار لا تأتي إلاّ بما يسوء، وفجأة يقرع أسماع من كان مسجوناً في زنزانة ابن زياد نبأ الفاجعة العظمى والمجزرة الكبرى، التي ذبح فيها الإمام الحسين عليه السلام وآل الحسين عليه السلام وأنصاره وأريقّت دماؤهم الزكية على أرض كربلاء بعد ثلاثة أيّام من العطش المهلك، وفصلوا الرؤوس عن الأجساد، وتركوا أجسادهم مجرّدة، وأبدانهم مرمّلة وخدودهم معفّرة... تصهرهم الشمس وتسفي عليهم الريح، وبعد ذلك حملوا نساء آل بيت العلوي والأطفال على ظهور الجمال العجاف سبايا إلى أبناء الطلقاء. فكان كلّما ورد خبر من هذه الأخبار إلى أسماع المختار ورفاقه السجّاء تزداد جروحهم عمقاً، وتشتدّ فيه سورة الغضب على هؤلاء الجنة، ويشتدّ فيهم الشعور بالتقصير تجاه آل رسول الله صلى الله عليه وآله، وتأنّب الضمير لخذلانهم أهل الحقّ، وسكوتهم على جرأة الباطل. فبقى صامداً ينتظر الساعة التي يخرج من السجن ويعمل في الحياة السياسيّة الثوريّة، آملاً أن يحقّق ذلك بعد أن يعمد إلى الخلاص من السجن حين تنتهي هذه الظروف أو تأتي فرصة تسمح له بالخروج، فهو واثق من تحطيم أغلال السجن ويعيد العمل في الأمر الذي نذر نفسه من أجله وهو الطلب بثأر الإمام الحسين عليه السلام... وهكذا ابتلى المختار نفسه بلاءً حسناً في سبيل أهل البيت عليه السلام وبهذا المعنى يكون من خيار الشيعة، لا بما ادعاه ابن تيمية، فلاحظ.

(١) لا شكّ في أنّ ابن تيمية كان يريد الخدشة في حقّ المختار، وذلك لأنّه كان يعلم أنّ المختار كان من رؤساء الشيعة ومن القادة العسكرية عندهم، وكان من أشدّ الناس حباً





لأهل البيت عليهم السلام، وقد أخذ الثار من أتباع بني أمية الذين اشتركوا في قتل الإمام الحسين عليه السلام. فحيث أن المختار كان من أعداء بني أمية وحكومتهم، قام ضدهم لطلب الثار بدم الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، وقتل عمال بني أمية كعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد وشمر بن ذي الجوشن وحرملة بن كاهل وغيرهم، كان ابن تيمية يكرهه اكراهاً شديداً، لاسيما أن المختار سيطر على الحكم في الكوفة ورفع شعار "يا لثارات الحسين" وكان يخطط لبناء دولة علوية في العراق. وقد ذكر المؤرخون والمحدثون أن ثورته كانت بإذن الإمام زين العابدين عليه السلام. (انظر التحرير الطاووسي: ص ٥٥٩). وفي الحقيقة أن ابن تيمية كان يرى المختار ممثلاً لأوامر أهل البيت عليهم السلام في الكوفة، فهذه الجهات كانت سبباً لشدة عداوته وغضبه عليه.

وأما حياة المختار فلا يُعرف عن أوائله كثيراً غير أنه نشأ في الكوفة وهي عاصمة متأثرة بوجود مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأصبح من محبيه وشيعته. وقد بايع الإمام الحسن المجتبي عليه السلام بالخلافة والإمامة بعد استشهاد مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عام ٤٠ هـ ثم خرج منها ونزل المدائن، وكان عمه حاكماً عليها واسمه سعد بن مسعود.

وتروي المصادر أن المختار قال لعمه: هل لك في الغنى والشرف؟ قال: وما ذاك؟ قال: توثق الحسن، وتستأمن به إلى معاوية، فقال له سعد: عليك لعنة الله، أثب على ابن بنت رسول الله فأوفقه! بئس الرجل أنت (انظر تاريخ الطبري ج ٤: ص ١٢٢). وإن الشيعة هموا بقتل المختار لولا توسط عمه للعفو عنه (انظر علل الشرائع للشيخ الصدوق رحمته الله ج ١: ص ٢٢١). ويصف السيد الخوئي رحمته الله الرواية بأنها غير قابلة للاعتبار، ويستطرد قائلاً على أنه لو صحّت يقصد الرواية لأمكن أن يقال: أن طلب المختار هذا لم يكن طلباً جدياً، وإنما أراد بذلك أن يستكشف رأي قومه، فإن علم أن قومه يريدون ذلك لقيام باستخلاص في الدفاع عن الإمام الحسن عليه السلام، فكان قوله هذا شفقة منه على الإمام الحسن عليه السلام (انظر معجم رجال الحديث ج ١٩: ص ١٠٥). ويرى في المختار مواقف الشجاعة والتحدّي أحياناً، وهذا أشد ما تخشاه السلطات الأموية، فألقت القبض عليه، وأودعته في سجن





عبيد الله بن زياد في الكوفة. وكان هذا تمهيداً لتصفية القوى والشخصيات المعارضة، والتفرغ لإبادة أهل البيت عليه السلام بعد ذلك، حيث لا أنصار لهم ولا أتباع. ولم تطل الأيام حتى دعا عبيد الله بن زياد بالمختار من سجنه ليقتله، وإذا برسالة من يزيد بن معاوية تصل إلى ابن زياد يأمره فيها بإخراج المختار من السجن، وذلك أن أخت المختار كانت زوجة عبد الله بن عمر، فسألت زوجها أن يشفع لأخيها إلى يزيد، فشفع فأمضى يزيد شفاعته، فكتب بإخراج المختار. ولما أطلق سراحه ذهب المختار إلى مكة، وقد روى البلاذري والمسعودي وابن الأثير أن المختار قال لابن الزبير وهو عنده: إني أعلم قوماً لو أن لهم رجلاً له فقه وعلم بما يأتي ويذر لاستخرج لك منهم جنداً تقاتل بهم أهل الشام. قال: من هم؟ قال: شيعة علي بالكوفة. قال: فكن أنت ذلك الرجل. فبعثه إليهم (انظر أنساب الأشراف ج ٦: ص ٤٥٣، ومروج الذهب ج ٣: ص ٥٦، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٤: ص ١٧٣). وعلى كل تقدير لما رجع المختار إلى الكوفة اجتمع عليه كثير من شيعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حال وصوله لما رأوا منه من بكاء على الإمام الحسين عليه السلام ومجاهرة بالرغبة في الأخذ بثأره. وزاد على ذلك إخباره -أو ادّعاؤه طبقاً لرواية الطبري- بأنه مكلف من قبل محمد بن الحنفية؛ فبايعوه سرّاً. وبذلك انقسم شيعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في الكوفة بين المختار وسليمان بن صرد قائد جيش التوأمين، الذي خرج لقتال عبيد الله بن زياد للتكفير عن تخاذلهم عن نصرته الإمام الحسين عليه السلام والدود عنه. ولكن ما لبث أن اندحر ذلك الجيش وقتل قائده، فعادت الشراذم الناجية منها ولم تجد أمامها سوى المختار (انظر تاريخ الطبري ج ٤: ص ٤٢٨). فلما رأى والي ابن الزبير على الكوفة إبراهيم بن محمد بن طلحة تجمع الناس حول المختار، خاف أن تقوى شوكته فأمر بحبسه. لم يضع المختار فرصة حتى وهو في محبسه، فأرسل إلى أصحاب سليمان يمينهم ويعدّهم قائلاً: أبشروا، فإنني لو قد خرجت إليكم جرّدت فيما بين المشرق والمغرب من أعدائكم السيّف، فجعلتهم بإذن الله ركاماً، وقتلتهم فذاً وتوأمّاً، فرحب الله بمن قارب منكم واهتدى، ولا يبعد الله إلا من أبى وعصى. فلما وصلهم الكتاب استحسّوا رأيه وعرضوا عليه أن يخرجوه من محبسه بالقوة،





لكنه أثر تأجيل الصدام العسكري إلى حين. وأرسل لصهره عبد الله بن عمر يطلب شفاعته لإخراجه من السجن، فأجابه ابن عمر لطلبه وتشفع له عند ابن الزبير. فخرج من السجن واجتمع الناس حوله (تاريخ الطبري ج ٤: ص ٤٨٧). واتفق المختار وابن الأشتر على الخروج لطلب ثأر الإمام الحسين عليه السلام من قاتليه في ربيع الأول من عام ٦٦ للهجرة. فعبأوا الجيش وخرجوا على أمراء الكوفة وحاصروا واليها ابن مطيع في قصره إلى أن هرب. وبذا دانت لهم الكوفة فسعدوا لقتل كل من شارك في مقتل الإمام الحسين عليه السلام، أمثال: عمر بن سعد بن أبي وقاص، وشمر بن ذي الجوشن، وعبيد الله بن زياد، والحسين ابن نمير، وخولي بن يزيد. وقد قتل في الكوفة عام ٦٧ للهجرة على محبة أهل البيت عليه السلام. ومن هنا يعرف لماذا كان ابن تيمية وأهل السنة ينقمون من المختار، فإن جهته واضحة، لأن المختار قتل أتباع الدولة الأموية وقتل سيد شباب أهل الجنة عليه السلام، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أن الحركة الجهادية والسيرة العملية للمختار واردة في الأخبار والروايات من طرق الفريقين، وهي تدل بوضوح على أنه كان من خيرة المؤمنين والموالين لأهل البيت عليه السلام ومن الذين أخذ ثأر من قتله مولانا الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وبذلك أدخل السرور على قلوب أهل البيت عليه السلام، لا سيما الإمام السجاد عليه السلام، فإنه عندما وصله خبر انتقام المختار الثقفي من عبيد الله بن زياد وعمر بن سعد، سجد الإمام عليه السلام لله سجدة الشكر، ثم دعا في حق المختار (انظر اختيار معرفة الرجال ج ١: ص ٣٤١). ولو لم تكن للمختار فضيلة ومنقبة سوى الانتقام من أعداء سيد الشهداء عليه السلام لكفاه فخراً وشرفاً وكرامة له عند الله تعالى وعند النبي الأكرم ﷺ وأهل بيته الطيبين الطاهرين عليه السلام؛ وأي منقبة وفضيلة للمؤمن أرقى وأفضل من الانتقام من أعداء آل محمد؟! وهل هناك فضيلة ومنقبة تضاهي هذه المنقبة العظيمة والدرجة الرفيعة؟ وهل التنافس في الفضائل والمكرمات والقرب من الله تعالى يوجد أكبر من اجتثاث الظالمين بفي سبيل حب أهل البيت عليه السلام والولاء لهم عليه السلام؟ كلاً وألف كلاً؛ ففي الحديث





عن النبي موسى عليه السلام قال له الله عز وجل: «هل عملت لي عملاً قط؟» قال عليه السلام: «صليت لك وصمت وتصدقت وذكرتك لك»، قال الله تبارك وتعالى: «أما الصلاة فلك برهان، والصوم جنة، والصدقة ظل، والذكر نور، فأني عملت لي؟» قال موسى عليه السلام: «دلتني على عمل هو لك!» قال الله عز وجل: «يا موسى، هل واليت لي ولياً، وهل عادت لي عدواً قط؟» فعلم موسى عليه السلام أن أفضل الأعمال، الحب في الله والبغض في الله. وعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قال: «أوثق عرى الإيمان: الحب في الله والبغض في الله». (انظر بحار الأنوار ج ٦٦: ص ٢٥٣). فما فعله المختار من أبرز مصاديق التولي لأهل البيت عليه السلام والتبري من أعدائهم... وأي تول وتبر أفضل من قتل أعداء آل محمد...؟

ولقد اتفق أعلام الإمامية قديماً وحديثاً على أن الجهاد في سبيل الله تعالى - باللسان واليد - من أفضل القربات عند الله والحجج الإلهية عليه السلام، واعتمدوا في اتفاقهم المذكور على الآيات والروايات الكثيرة المادحة للمجاهدين في سبيل الله تعالى - بالقول والفعل - حيث أن جهاد الأعداء من أفضل الأعمال وأشرف الدرجات عند الله تعالى... والمختار كان من أفضل المجاهدين بعد زيد الشهيد عليه السلام الذي دعا للرضا من آل محمد عليه السلام. فقد جاهد المختار في الله جهاداً كبيراً للنيل إلى الرضا من أهل البيت عليه السلام، وقد ورد عن أئمة أهل البيت عليه السلام روايات كثيرة في مدحه وجهاده وانتقامه من أعداء أهل البيت، منها: ما رواه الكشي بسنده عن سدير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لا تسبوا المختار، فإنه قتل قتلنا، وطلب بئارنا، وزوج أراملنا، وقسم فينا المال على العسرة» (اختيار معرفة الرجال [رجال الكشي] ج ١: ص ٣٤٠). ما رواه عن عبد الله بن شريك، قال: دخلنا على أبي جعفر عليه السلام يوم النحر وهو متكى، وقد أرسل إلى الحلاق، فقعدت بين يديه، إذ دخل عليه شيخ من أهل الكوفة، فتناول يده ليقبلها فمنعه، ثم قال: «من أنت؟» قال: أنا أبو محمد الحكم بن المختار بن أبي عبيدة الثقفي، وكان متباعداً من أبي جعفر عليه السلام - فمد يده إليه حتى كاد يقعده في حجره بعد منعه يده، ثم قال: أصلحك الله! إن الناس قد أكثروا في أبي وقالوا والقول والله قولك، قال: «وأي شيء يقولون؟» قال: يقولون كذاب، ولا تأمرني بشيء إلا قبلته. فقال: «سبحان الله... أولم يبين دورنا، وقتل قاتلينا، وطلب بدمائنا؟ رحم الله أباك،





رحم الله أباك، ما ترك لنا حقاً عند أحد إلا طلبه، قتل قتلنا، وطلب بدمائنا» (اختيار معرفة الرجال [رجال الكشي] ج ١: ص ٣٤٠). ومنها: ما رواه بسنده عن جارود بن المنذر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما امتشطت فينا هاشمية ولا اختضبت حتى بعث إلينا المختار برؤس الذين قتلوا الحسين عليه السلام» (اختيار معرفة الرجال [رجال الكشي] ج ١: ص ٣٤١). ومنها: ما رواه بسنده عن عمرو بن علي بن الحسين: إن علي بن الحسين عليه السلام لما أتى برأس عبيد الله بن زياد ورأس عمر بن سعد، قال: فخر ساجداً وقال: «الحمد لله الذي أدرك لي ثاري من أعدائي، وجزى الله المختار خيراً» (اختيار معرفة الرجال [رجال الكشي] ج ١: ص ٣٤١). وإلى غير ذلك من الروايات. ولا يخفى على الخير أن ما ورد من الذم في حق المختار، فمضافاً إلى ضعف أسنادها تكون من الروايات الموافقة للعامة التي تكون الرشد في خلافها، واحتمال صدورها تقيّة قوي. وقد ذكر السيّد الخوئي رحمته الله بعض الروايات الواردة في ذم المختار وقال: هذه الروايات ضعيفة الأسناد جداً. ثم نقل قول العلامة المجلسي رحمته الله في كتابه بحار الأنوار أنه قال جعفر بن نما: اعلم أن كثيراً من العلماء لا يحصل لهم التوفيق بفطنة توقّفهم على معاني الأخبار، ولا رؤية تنقلهم من رقدة الغفلة إلى الاستيقاظ، ولو تدبّروا أقوال الأئمة في مدح المختار لعلموا أنه من السابقين المجاهدين الذين مدحهم الله تعالى جلّ جلاله في كتابه المبين، ودعاء زين العابدين عليه السلام للمختار دليل واضح وبرهان لائح، على أنه عنده من المصطفين الأخيار... (انظر ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص ١٤٥، وبحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ٤٥: ص ٣٨٦، ومعجم رجال الحديث للسيّد خوئي ج ١٩: ص ١٠٦).

أقول: ويؤيد صدور ما ورد في حقّه من الذمّ كونها تقيّة هو ما ورد من الذمّ في كتب الرجال من أهل السنة، بل ولا توجد فيها رواية واحدة تثني عليه. وإليك بعض ما ذكره علماء أهل السنة في حقّه: قال ابن الأثير وقد نقل كلام ابن عبد البر القرطبي: المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي أبو إسحاق، كان أبوه من أجلة الصحابة، ولد المختار عام الهجرة. وأخباره أخبار غير مرضية، وذلك مذ طلب الإمارة إلى أن قتله مصعب بن الزبير بالكوفة سنة سبع وستين، وكان قبل ذلك معدوداً في أهل الفضل والخير، يرأى بذلك كله ويكتف





الفسق، فظهر منه ما كان يضمّر والله أعلم (انظر أسد الغابة ج ٤: ص ٣٣٦، والاستيعاب لابن عبد البر ج ٤: ص ١٤٦٥). قال ابن حجر في الإصابة: روى موسى بن إسماعيل عن أبي عوانة عن مغيرة عن ثابت بن هرمز، قال: حمل المختار مالا من المدائن من عند عمّه إلى علي، فأخرج كيساً فيه خمسة عشر درهماً، فقال: هذا من أجور المومسات، فقال له علي: ويملك مالي وللمومسات؟! ثم قام وعليه مقطعة حمراء فلماً سلم، قال علي: «ما له قاتله الله؟ لو شقّ عن قلبه الآن لوجد ملاّن من حب اللات والعزّى». ومما ورد في ذلك ما أخرجه أحمد في مسند عمرو بن الحمق من طريق السدي عن رفاعة القتباني قال: دخلت على المختار، فألقى إليّ وسادة، وقال: لولا أنّ أخي جبرائيل قام عن هذه، وأشار إلى أخرى عنده، لا لقيتها لك... (الإصابة لابن حجر ج ٦: ص ٢٧٥). وقال ابن حبان في ترجمة صفية بنت أبي عبيد في كتابه الثقات: هي أخت المختار المتنبّي بالعراق (الثقات لابن حبان ج ٤: ص ٣٨٦). قال ابن حجر: وأقوى ما ورد في ذمّه ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أسماء بنت أبي بكر، أنّ رسول الله ﷺ قال: يكون في ثقيف كذاب ومبير، فشهدت أسماء أنّ الكذاب هو المختار المذكور... (الإصابة لابن حجر ج ٦: ص ٢٧٥). وذكر ابن سعد عن الواقدي بأسانيده، أنّ أبا عبيد والد المختار قدم من الطائف، في زمن عمر حين ندب الناس إلى العراق، فخرج أبو عبيدة فاستشهد يوم الجسر، وبقي ولده بالمدينة، وتزوّج عبد الله بن عمر صفية بنت أبي عبيد، وأقام المختار بالمدينة منقطعاً إلى بني هاشم، ثمّ كان مع علي بالعراق وسكن البصرة بعد علي، وله قصّة مع الحسن بن علي لمّا ولي الخلافة... (الإصابة لابن حجر ج ٦: ص ٢٧٧). وروى ابن عساكر بسنده عن يعقوب بن سفيان (صاحب كتاب المعرفة والتاريخ): حدّثني أبو عثمان (يحيى بن سعيد الأموي ت سنة ١٩٤ هجرية)، أخبرنا أبي (سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص الأموي)، أخبرنا مجالد (ت سنة ١٤٤ هجرية) عن عامر الشعبي قال: كنت أجالس الأحنف بن قيس، فأفاخر أهل البصرة بأهل الكوفة، فبلغ منه كلامي ذات يوم وأنا لا أدري، فقال: يا جارية هاتي ذلك الكتاب، فجاءت به فقال: اقرأ (وما يدري أحد من القوم ما فيه)، قال: فقرأته فإذا فيه، بسم الله الرحمن الرحيم، من المختار بن أبي عبيد إلى الأحنف بن قيس ومن قبله من





ربيعة ومضر:.... ولقد بلغني أنكم تكذبوني وتؤذون رسلي وقد كذبت الأنبياء وأوذوا من قبلي، فلست بخير من كثير منهم والسلام. فلما قرأته قال: أخبرني عن هذا من أهل البصرة أو من أهل الكوفة؟ قلت: يغفر الله لك أبا بحر إنما كنا نمزح ونضحك، قال: لتخبرني من هو؟ قلت: يغفر الله لك يا أبا بحر، قال: لتخبرني، قلت: من أهل الكوفة، قال: فكيف تفاخر أهل البصرة وهذا منكم (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٣: ص ٤٨٤). وقال الذهبي: المختار ابن أبي عبيد الثقفي الكذاب، كان من كبراء ثقيف، وذوي الرأي، والفصاحة، والشجاعة، والدهاء، وقلة الدين، وقد قال النبي ﷺ: "يكون في ثقيف كذاب ومبير"، فكان الكذاب هذا، ادعى أن الوحي يأتيه، وأنه يعلم الغيب، وكان المبير الحجاج، قبحهما الله (انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٣: ص ٥٣٨). وقال المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب، لا ينبغي أن يروي عنه شيء، لأنه ضالّ مضلّ. كان يزعم أن جبرائيل عليه السلام ينزل عليه. وهو شرّ من الحجاج أو مثله (انظر ميزان الاعتدال للذهبي ج ٤: ص ٨٠). وقال أحمد بن حنبل: حدثنا ابن نمير، حدثنا عيسى بن عمر، حدثنا السدي، عن رفاعة الفتياني قال: دخلت على المختار، فألقى لي وسادة، وقال: لولا أن جبريل قام عن هذه، لألقيتها لك، فأردت أن أضرب عنقه، فذكرت حديثاً حدثني عمرو بن الحمق، قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما مؤمن آمن مؤمناً على دمه فقتله، فأنا من القاتل بريء» (مسند أحمد بن حنبل ج ٥: ص ٢٢٤). وإلى غير ذلك من الروايات التي تطعن بالمختار وكلها مطعون بسندها ومضامينها. ولا يخفى أن أتباع السقيفة لا يتوقع منهم إلا الدفاع عن آل أمية والطعن في مخالفهم، وحيث أن المختار قام لنصرة أهل البيت عليه السلام وذلك نصرة منه لله ورسوله ﷺ ضد الحكومة الأموية ولذلك فقد ملئت كتب السيرة بالقدح منه، فلاحظ.

(١) لا شك في أن نهضة المختار كانت طلباً للشار بدم أبي عبد الله الحسين عليه السلام وشهداء كربلاء، وإن ثورته كانت تحت شعار "يا لثارات الحسين"، ومعناه أن نهضته كانت امتداداً لنهضة مولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فقام لقتل قتلة شهداء كربلاء تنليجاً لقلوب أهل





البيت عليه السلام، ولذلك مدحه الأئمة الطاهرين عليهم السلام في رواياتهم، كما مدحه علماء الشيعة التابعين لسيرة أهل البيت عليهم السلام، قال العلامة المجلسي رحمته الله: أنه قال جعفر بن نما: اعلم أن كثيراً من العلماء لا يحصل لهم التوفيق بفطنة توقفهم على معاني الأخبار، ولا رؤية تنقلهم من رقدة الغفلة إلى الاستيقاظ، ولو تدبروا أقوال الأئمة عليهم السلام في مدح المختار لعلموا أنه من السابقين المجاهدين الذين مدحهم الله تعالى جلّ جلاله في كتابه المبين، ودعاء زين العابدين عليه السلام للمختار دليل واضح وبرهان لائح، على أنه عنده من المصطفين الأخيار، ولو كان على غير الطريقة المشكورة ويعلم أنه مخالف له في اعتقاده لما كان يدعو له دعاء لا يستجاب، ويقول فيه قولاً لا يستطاب، وكان دعاؤه عليه السلام له عبثاً، والإمام منزّه عن ذلك، وقد أسلفنا من أقوال الأئمة عليهم السلام في مطاوي الكتاب تكرار مدحهم له ونهيه عن ذمّه ما فيه غنية لذوي الأبصار وبغية لذوي الاعتبار، وإنما أعداؤه عملوا له مثالب ليباعدوه عن قلوب الشيعة، كما عمل أعداء أمير المؤمنين عليه السلام له مساوى، وهلك بها كثير ممّن حاد عن محبّته، وحال عن طاعته، فالولي له عليه السلام لم تغيّره الأوهام، ولاباحته تلك الأحلام، بل كشفت له عن فضله المكنون وعلمه المصون. فعمل في قضية المختار ما عمل مع أبي الأئمة الاطهار... (انظر بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمته الله ج ٤٥: ص ٣٨٦، وذوب النصار لابن نما الحلّي: ص ١٤٥). وجاء في كتاب مقتل الإمام الحسين عليه السلام للسيد عبد الرزاق المقرّم رحمته الله قال: المختار بن أبي عبيدة الثقفي... انقطع إلى آل الرسول الأقدس عليه السلام فاستفاد منهم علماً جمّاً، وأخلاقاً فاضلة، وناصح لهم في السرّ والعلانيّة (انظر مقتل الإمام الحسين عليه السلام للسيد المقرّم رحمته الله: ص ٣٢٥). وحيث أن ثورة الإمام الحسين عليه السلام كانت سبباً لانبعاث الروح الثوريّة عند الأمة الإسلامية بعد فترة من الخمود والتسليم. فجاءت ثورة أبي عبد الله عليه السلام لتحطّم كلّ تلك الحواجز وتطلق العنان لثورات كثيرة لاحقة. ومن بين هذه الثورات تأتي ثورة المختار الثقفي التي انطلقت تحت شعار "يا لثارات الحسين عليه السلام". والباحث الخبير عندما يتأمل في المصادر الإسلامية ويبحث عن حياة المختار وشخصيته البارزة يجد أن ثورته كانت متوجّهة بالذات إلى أخذ الشار من قتلة شهداء كربلاء وتطهير الأرض من جرائم العيث والفساد من الأمويّين، فالذي حداه





إلى اتّخاذ هذا الأسلوب في الثورة هو الأخذ بسيرة مولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام ومكافحة طاغوت زمانه، فاستجاب له الشيعة الخُلص لتحقيق هذه المهمة. وهكذا أدخل المختار الرعب إلى قلوب المجرمين من قتلة الإمام الحسين عليه السلام حتّى زلزلت الأرض تحت أقدامه، فلم يهنأ أحد من قتلة سيد الشهداء عليه السلام عيش بعد أن خيم عليهم شبح الموت بنهضة المختار التي أخبر عنها الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. ومن سياسته الحنكة أنّه ارتبط بمحمّد بن الحنفية ابن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام رعاية للظروف الحرجة آن ذاك، ورعاية لحال الإمام السجاد عليه السلام. فقد ذكر المؤرخون أنّ المختار عندما رجع إلى الكوفة قال لهم: إنّ محمّد بن الحنفية بعثني إليكم أميناً ووزيراً، وأمرني بقتال الملحدين والطلب بدم أهل بيته، فبايعوه (انظر تاريخ الطبري ج ٤: ص ٤٤٩، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٤: ص ١٧٢، والفتوح لابن أعمش الكوفي ج ٦: ص ٢٠٨ وغيرهم). وهذا معناه ارتباطه بالإمام زين العابدين عليه السلام من غير مباشر، وإذنه من الإمام عليه السلام، لأنّ ارتباط الشيعة مع الإمام زين العابدين عليه السلام آن ذاك كان عن طريق محمّد بن الحنفية، فلذلك لمّا قال لهم: إنّ محمّد بن الحنفية بعثني إليكم أميناً ووزيراً...، جعل الناس تطمئنّ إليه وتلتحق بثورته، لأنّهم كانوا يعلمون بأنّ طريق الارتباط مع الإمام عليه السلام هو محمّد بن الحنفية، ولذلك تمكّن لتشكيل قوّة كبيرة، وأثارت هذه القوّة الرعب في قلوب عمّال بني أمية وبني الزبير وعلى رأسهم عبد الله بن مطيع عامل عبد الله ابن الزبير في الكوفة، وعبيد الله بن زياد عامل بني أمية فيها، وكذلك أنصارهم وأعوانهم الذين قتلوا الإمام الحسين عليه السلام، مثل عمر بن سعد والشمر بن ذي الجوشن، وعمرو بن الحجاج، وشيث بن ربيعي وأمّثالهم، ما حفّز الثوّار على المضي في ثورتهم والتصميم على النصر. فتورة المختار أنارت الطريق للشائرين لمن أراد نصرة أهل البيت عليه السلام، وكانت الشيعة تدعن بذلك، ولهذه الركيزة، لمّا دخل المنهال على الإمام زين العابدين عليه السلام في المدينة عند منصرفه من مكّة، فقال له الإمام عليه السلام: «يا منهال، ما صنع حرملة بن كاهل الأسدي؟» فقلت: تركته حيّاً بالكوفة. قال: فرفع يديه جميعاً، ثمّ قال عليه السلام: «اللّهم أذقه حرّ الحديد، اللّهم أذقه حرّ الحديد، اللّهم أذقه حرّ الحديد، اللّهم أذقه حرّ النار». قال المنهال:



فإن زعم أنه قد ادّعى نزول جبرئيل عليه ^(١)،



فقدمت الكوفة، وقد ظهر المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكان لي صديقاً، فكنت في منزلي أياماً حتى انقطع الناس عني، وركبت إليه، فلقينته خارجاً من داره، فقال: يا منهال، لم تأتينا في ولايتنا هذه، ولم تهتئنا بها، ولم تشركننا فيها؟ فأعلمته أنني كنت بمكة، وأنني قد جئت الآن، وسأيرته ونحن نتحدث حتى أتى الكناس، فوقف وقوفاً كأنه ينظر شيئاً، وقد كان أخبر بمكان حرمة بن كاهل، فوجه في طلبه، فلم يلبث أن جاء قوم يركضون، وقوم يشتدون، حتى قالوا: أيها الأمير البشارة، قد أخذ حرمة بن كاهل، فما لبثنا أن جيء به، فلما نظر إليه المختار، قال لحرمة: الحمد لله الذي مكّني منك، ثم قال: الجزار الجزار. فأتي بجزار، فقال له: اقطع يديه. فقطعنا، ثم قال له: اقطع رجله. فقطعنا، ثم قال: النار النار. فأتي بنار وقصب، فألقي عليه فاشتعل فيه النار، فقلت: سبحان الله! فقال لي: يا منهال، إن التسبيح لحسن فقيم سبحت؟ فقلت: أيها الأمير، دخلت في سفرتي هذه منصرفي من مكة على الإمام زين العابدين عليه السلام، فقال لي: «يا منهال، ما فعل حرمة بن كاهل الأسدي؟» فقلت: تركته حياً بالكوفة، فرفع يديه جميعاً، فقال: «اللهم أذقه حرّ الحديد، اللهم أذقه حرّ الحديد، اللهم أذقه حرّ الحديد، اللهم أذقه حرّ النار». فقال لي المختار: أسمعت على الإمام زين العابدين عليه السلام يقول هذا؟ فقلت: والله لقد سمعته يقول هذا. قال: فنزل عن دابته، وصلى ركعتين فأطال السجود، ثم قال: فركب وقد احترق حرمة (انظر الأمالي للشيخ الطوسي: ص ٢٣٨). وإلى غير ذلك من الروايات الدالة على أن ما نهضة المختار بإشارة أهل البيت عليهم السلام له وسياطع تفصيلها من خلال المطالب الآتية إن شاء الله تعالى. إذن قيام المختار وجهاده المنافقين وقتلة عترة رسول رب العالمين صلى الله عليه وآله وسلم دال على أنه أراد بنهضته نصره أهل البيت عليهم السلام، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى ما رواه بعض علماء أهل السنة الحاقدين على أهل البيت عليهم السلام

كأحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن أبي عائشة الهمداني قال: قال أبو رفاعة البجلي:

دخلت على المختار بن أبي عبيد قصره فسمعت يقول: ما قام جبريل إلا من عندي قبل



٥٦٤..... منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨

قيل هذه دعوى تفرّدت بها ، فهي غير مقبولة منكم^(١) ، بل هي بهتان معلوم عليه يلتفت حتّى السوقة إليه، فإنّ سيرته وشعاره المعلوم لدى الناس المنقول بالنقل اليقيني طبقة عن طبقة الطلب بثار الحسين عليه السلام^(٢) ،



قال فهممت أن أضرب عنقه، فذكرت حديثاً حدّثناه سليمان ابن صرد عن النبي صلى الله عليه وآله: أن النبي صلى الله عليه وآله كان يقول: إذا أمنك الرجل على دمه فلا تقتله، قال: وكان قد أمني على دمه فكرهت دمه (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ٦: ص ٣٩٤). والاستدلال بهذه الرواية على الشيعة باطل، لأنّها من المصادر السيّئة ، فلا توجد رواية حجّة عند الشيعة أو خالياً عن الاشكالات الواردة في مقام التعارض في قدح المختار كما لا يخفى على الخبير، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ خبر نزول جبرئيل على المختار رواه أحمد بن حنبل في مسنده كما تقدّم ذكره (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ٦: ص ٣٩٤). ولا ندري كيف جاز لابن تيمية أن يحتجّ على الشيعة بهذا الخبر من كتب أهل السنة مع أنّه كان يعلم بأنّ من شرائط الاحتجاج ، أن يكون الاستدلال بدليل حجّة عند الطرف الآخر، فلا يصحّ الاحتجاج بما لا يكون حجّة عند الخصم. وهذا أمر متّفق عليه بين جميع أهل العلم. قال ابن حزم الأندلسي في معرض الحديث عن احتجاج أهل السنة على الإمامية، فإنّه لا معنى لاحتجاجنا عليهم (الشيعة) برواياتنا فهم لا يصدّقونها، ولا معنى لاحتجاجهم (الشيعة) علينا برواياتهم فنحن لا نصدّقها، وإنّما يجب أن يحتجّ الخصوم بعضهم على بعض بما يصدّقه الذي تقام عليه الحجّة به، سواء صدّقه المحتجّ أو لم يصدّقه، لأنّ من صدّق بشيء لزمه القول به أو بما يوجبه العلم الضروري، فيصير حينئذ مكابراً منقطعاً إن ثبت على ما كان عليه (الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣: ص ١٢). وعليه فلا معنى لاحتجاج ابن تيمية بهذا الحديث على الشيعة، فلاحظ.

(٢) لا يخفى على الباحث الخبير أنّ النصوص الواردة في أحوال المختار طائفتان، الأولى: النصوص المادحة. والثانية: النصوص الدائمة. أمّا النصوص المادحة: فقد تقدّمت الإشارة





الى بعضها، وهي التي تمسك بها القائلون بحسن حاله وحكموا بأنه كان من المؤمنين الصالحين، لأنها تدل على أن قيام المختار كان طلباً لأخذ الثأر من قتلة الإمام الحسين عليه السلام، ومن المعلوم أن من يطلب الثأر للإمام الحسين عليه السلام يستكشف عن حسن عقيدته وحاله. وأما ما ورد من الأحاديث في ذمه فإنه مع قطع النظر عن ضعف أسنادها لا يترتب عليها الأثر، لأنها موافقة للعامة العمياء وأعداء أهل البيت عليه السلام، الذين استهدفوا شخصية المختار، للتغطي على جهاده، وقيامه بطلب ثأر الإمام الحسين عليه السلام، وهذا معناه أن الروايات التي فيها الذم تكون صادرة لجهة التقية، أو أنها تزوير من حكّام الظلمة من بني أمية وغيرهم، لأنهم كانوا يستعملون أنواع أساليب التزوير والاتهامات الباطلة ضدّ معارضيهم بغرض إسقاط المعارضة في نظر عامة الناس. فهم قد استهدفوا شخصية المختار وأصحابه بأشكال من الاتهامات التي تعبّر على أذهان العوام مثل السحر والشعوذة وأمثال ذلك، كما اتهموا النبي الأكرم ﷺ أوائل بعثته الشريفة.... فاتّهموا المختار بدعوى النبوة والألوهية ونزول جبرئيل عليه وما أشبه ذلك من الخزعبلات، سعياً في إبطال مفعول حركته وإبعاد الناس عنه والتشويش على نداءاته وشعاراته بالطلب بشارات الإمام الحسين عليه السلام وتأسفه على قتله وإعلانه عن هوية القاتلين وحمايته لبني هاشم من الأذى. ولقد تواترت أخبار البلاطين، واتّهامهم إيّاه على طريقة يقال: اكذب ثم اكذب حتى صدّقك الناس. وقد ملئت الصحف والكتب والأخبار بتلك الأكاذيب، حتى صدّقها الناس فعلاً!! وإذا كان المختار بتلك المنزلة التي أبداهها الحكام والنقلة والرواة والمؤرخون، وكان من أخبارهم الموحشة عنه ما ملأ مسامع الناس وأفكارهم: أنه ساحر، أو كذاب، أو مدّع للنبوة، وما إلى ذلك من الترهات والأكاذيب، فهل يجوز للإمام عليه السلام أن يدافع - علناً - عن حركته؟! أو أن يسكت إذا سئل عنه؟! فإن إظهار التعاطف معه، ولو بأدنى شكل، كانت الدولة تستغلّه لضرب الإمام عليه السلام وتشويه سمعته عند العامة العمياء. فلا نستبعد أن يكون الإمام عليه السلام قد أصدر ضدّ ما يعرفه الناس عن المختار ما يبرئ الساحة من شرّ السلطة وأيديهم المتفرعة بالموافقة عليه أو السكوت عنه أيضاً يكون دليلاً آخر على هذا الكلام، ففي رواية: قام الإمام زين العابدين عليه السلام على





باب الكعبة يلعن المختار! فقال له رجل: يا أبا الحسين، لم تسبه؟ وإنما ذبح فيكم؟! قال الإمام عليه السلام: إنه كان كذاباً، يكذب على الله ورسوله ﷺ (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤١: ص ٣٩٣). فلو صحَّ هذا الخبر، فإنَّ وقوف الإمام عليه السلام على باب الكعبة، وإعلانه بهذا الشكل عن ذمِّ المختار ولعنه، لا يخلو من قصد، حيث أنَّ في ذلك دلالة واضحة على إرادة مجرد الإعلان بذلك وتبيينه للناس. وفي قول المعترض: (ذبح فيكم) الهدف السياسي من تلطيخ سمعة أهل البيت عليهم السلام وتوريثهم بما لطخوا به سمعة المختار. إذ لا يصدر مثل هذا الاعتراض وهذا الإعلان عن شخص غير مغرض في مثل ذلك الموقف. ثمَّ إنَّ ما ورد من أمثال هذه الأحاديث المشتملة على ذمِّ المختار من قبل أهل البيت عليهم السلام ورواتهم، إنما كانت رواها رجال الدولة وكتّابهم ومؤرّخو البلاط، ممّا يدلّ على أن المستفيد الوحيد من ترويجها هم أولئك الذين يرتزقون من الارتباط بالدولة. هذا لو صحَّت تلك الأحاديث والنقول. وإلا فلا يشكُّ أحد من دارسي التاريخ في أنَّ المختار كانت حركته لأخذ الثار من قتلة الإمام الحسين عليه السلام، وقد وصفه زوجته - بعد قتله - بأنّه رجل يقول ربّي الله، وكان صائماً نهاره، وقائماً ليله، وقد بذل دمه لله ولرسوله ﷺ وفي طلب أخذ الانتقام من قتلة ابن بنت رسول الله ﷺ وأهله وشيعته، فأمكنه الله منهم حتّى شفى النفوس (انظر مروج الذهب للمسعودي ج ٣: ص ١٠٧، وتاريخ يعقوبي ج ٢: ص ٢٦٤)، وقتل معه سبعة آلاف رجل كلّهم طالبون بدم الإمام الحسين عليه السلام (انظر مروج الذهب للمسعودي ج ٣: ص ١٠٧). أليس ما قام به المختار من أخذ الثار، مكرمة تدعو إلى السكوت عنه، على الأقل؟! ولقد ذكر الإمام الباقر عليه السلام بمثل هذا في حديثه عن المختار لما دخل عليه أبو الحكم بن المختار، فتناول يد الإمام عليه السلام ليقبّلها فمنعه، ثمَّ قال له: أصلحك الله، إنَّ الناس قد أكثروا في أبي وقالوا، والقول - والله - قولك! ولا تأمرني بشيء إلا قبلته. فقال الإمام عليه السلام: «سبحان الله! أخبرني أبي - والله - أنَّ مهر أمّي كان ممّا بعث به المختار أولم بين دورنا، وقتل قتلتنا، وطلب بدمائنا، فرحمه الله. وأخبرني - والله - أبي: أنّه كان ليسمر عند فاطمة بنت علي يمهدّها الفراش ويثني لها الوسائد، ومنها أصاب الحديث. رحم الله أباك، رحم الله أباك، ما أصاب لنا حقّاً عند أحد إلا طلبه...» (اختيار





معرفة الرجال [رجال الكشي] ج ١: ص ٣٤٠ ح ١٩٩. وعلى حد قول ابن عباس - لما طلب منه سب المختار - قال: ذاك رجل قتل قتلنا، وطلب ثأرنا وشفى غليل صدورنا، وليس جزاؤه منا الشتم والشماتة (الكامل في التاريخ ج ٤: ص ٢٧٨). وإلى غير ذلك من النصوص. وملخص الكلام أن الروايات التي وردت في ذم المختار مردودة، لأنها إما اسنادها ضعيفة، وإما تكون صدورها لجهة التقيّة. وأما ما ورد في مدحه فهي روايات من الرجال المقبولين عند أئمة أهل البيت (عليه السلام). (انظر خلاصة الأقوال: ص ٢٧٦). ومن هنا نعرف أن إدراج العلامة (عليه السلام) المختار ضمن الممدوحين أنه كان حسن الحال من حيث الاعتقاد. وذهب السيّد ابن طاووس: إلى ترجيح روايات المدح على الروايات الذمّة (انظر الطرائف ج ١: ص ٤٩٧). كما أن السيّد الخوئي (رحمته الله) بعد ما استعرض الطائفتين من الروايات رجح الروايات المادحة على الذمّة. (انظر معجم رجال الحديث للسيّد خوئي ج ١٩: ص ١٠٦). وقال السيّد علي البروجردي (رحمته الله) في كتابه طرائف المقال ما نصّه: المختار بن أبي عبيد، وفيه أحاديث مختلفة قاذحة ومادحة والترجيح مع الثانية [أي المادحة] ويكفي في حقّه أنه انكسر قوارير الكفر وقتل جمّاً خطيراً من بني أميّة يبلغ إلى ثمانين ألف رجل كما في بعض الأحاديث (انظر طرائف المقال للسيّد علي البروجري ج ٢: ص ٧١). وذهب الشيخ عبد الله المامقاني (رحمته الله) إلى القول بصحة عقيدة المختار فقال: كان إمامي المذهب ومؤمناً بإمامة الأئمة المعصومين (عليهم السلام) وكانت ثورته وحرته بإذن من الإمام السجاد (عليه السلام)، وإنّ رضا الإمام (عليه السلام) تابع لرضا الباري تعالى ممّا يكشف عن صحة معتقد الرجل (انظر تنقيح المقال ج ٢٤: ص ٤٠٤). وذلك لما روي عن الإمام السجاد (عليه السلام) أنه قال: «جزى الله المختار خيراً» (انظر اختيار معرفة الرجال [رجال الكشي] ج ١: ص ٣٤١). وروي عن الإمام الباقر (عليه السلام) إنه لما أتاه أبو الحكم ولد المختار أكرمه وقربه حتّى كاد يقعه في حجره. فسأله أبو الحكم عن أبيه وقال: إنّ الناس قد أكثروا في أبي والقول قولك، فمدحه الإمام وترخّم عليه (انظر اختيار معرفة الرجال [رجال الكشي] ج ١: ص ٣٤٠) وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: «ما امتشطت فينا هاشميّة ولا اختضبت حتّى بعث إلينا المختار برؤس الذين قتلوا الحسين (عليه السلام)» (اختيار معرفة الرجال





[رجال الكشي] ج ١: ص ٣٤١). وإلى غير ذلك ممّا ورد في حسن حاله. ومن القديم الأيام كانوا يقولون: أنّ الموت يسدّ باب الحسد ويفتح باب الشهرة، وإنّها الضريبة التي يدفعها كلّ إنسان موهوب يرتفع اسمه في مجتمعه ويتميّز بين الناس، فأيّ باب يفتح للإنسان للشهرة بموهبة ما، يفتح مقابلها باباً للحسد، وكلا البابين متلازمان فلا يغلق باب الحسد حتّى يموت ذلك الإنسان، هذا إذا كان متمتعاً بمواهب ومزايا آنية تنتهي بموته، ولكن حينما يكون تاريخ هذا الإنسان متعلقاً بقضية كبيرة في حياة أمة، وارتبط اسمه ارتباطاً وثيقاً بتاريخه، بل في أكثر مراحل تاريخه يكون صراعاً قوياً، وكان له دوراً عظيماً وكبيراً في أهدافه، فإنّ أبواب الحسد والبغضاء والشحناء تفتح على مصراعها حتّى بعد موته كما حصل للقائد البطل الشيعي المختار بن أبي عبيدة الثقفي (رضوان الله تعالى عليه). فلقد كان المختار يتمتع بخصال نادرة جعلته من أفذاذ الرجال، وقد تعددت مواهبه وصفاته الكريمة ومآثره النبيلة وشجاعته النادرة، فكان هذا الثائر الكبير بطلاً شجاعاً لا يرهب الأهوال والمخاطر، عميق التفكير، حسن التدبير والسياسة، يتمتع بالحكمة والكياسة، وقد كرّس كلّ هذه المزايا والخصال لنصرة الحقّ المتمثّل بأهل البيت (عليهم السلام)، فكان من الطبيعي أن تكون فيه كلّ هذه الصفات التي تتمتع بها ضريبتها من ألسنة الحساد وأهل البغض والنفاق التي ألصقت به التهم الباطلة وافترت عليه الافتراءات العظيمة. ولكن كلّ هذه الأباطيل كانت تتساقط أمامه كما تساقط أصحابها، بل إنّها كشفت عن مدى عظّمته وصغرهم، وسموّه وخسّتهم، وخلوده وفنائهم، فكان وهم كما قال الشاعر: وإذا أراد الله نشر فضيلة *** طويت أتاح لها لسان حسود. لولا اشتعال النار فيما جاورت *** ما كان يعرف طيب عرف العود. لولا التخوف للعواقب لم تزل *** للحاسد النعمى على المحسود. ويكفي المختار فخراً وعزّاً وشرفاً وكرامةً أنّه أسّس دولة عمل بها بكتاب الله وطاعته وسار بها على نهج أهل البيت (عليهم السلام)، وأقام حدود الله، واقتصّ من أعداء الله، وأقرّ عين رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وجاهد الكفّار والمنافقين حتّى مضى شهيداً محتسباً. يكفيه فخراً أنّه انتصر للحقّ على الباطل، وأدخل السرور على قلب أهل البيت (عليهم السلام)، ورسم الفرحة على وجوه المؤمنين والمؤمنات، فسلام عليه يوم ولد ويوم



منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨ ٥٦٩
وقد فعل ذلك فاستأصل قتلته فقتلهم^(١).



استشهد ويوم يبعث حياً مع محمد وآل محمد، فلاحظ.
(١) وتوضيح المقام أنّ الصورة الكاملة لتعريف شخصية كل إنسان من التاريخ يعرف من سيرته المنقولة عنه على الحوادث التي حدثت أيام زمانه، مراعيّاً فيها مقتضيات السياسة المكان والزمان آن ذاك، وإذا أردنا أن نعرف شخصية المختار لابد أن نعرف الكوفة، ونعرف من سكنها من الشيعة وغير الشيعة، وايضاً نعرف الحوادث التي حدثت فيها كاختيار مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الكوفة عاصمة لدار الخلافة وما حدثت فيها من حروبه الثلاثة فترة خلافته ونتائجها وأسبابها... فمن أراد أن يعرف شخصية المختار يلزم عليه معرفة جميع هذه الأمور، لكي يعرف شخصية المختار بن أبي عبيده الثقفي المقرون بشخصيات وزمان لا يمكن الفصل بينهما، مثلاً لو أردت أن تستقرأ حركة الثورة التي قادها المختار، لا بد أن تقرأ مقدّماتها وكيفية تحقيقها، فالباحث لو تأمل في التاريخ سوف يجد بأن ثورة المختار كانت مرهونة بحركة الإمام الحسين عليه السلام بالأساس، أي لولا نهضة الإمام الحسين عليه السلام واستشهاده عليه السلام لما ثار المختار، ثم إفرافات ثورة التوابين في الكوفة كانت لها دوراً كبيراً في نجاح ثورة المختار، وحركة عبد الله بن الزبير في المدينة ومكة المكرمة، هذه الحوادث أدت إلى بلورة ثورة المختار الثقفي ونجاحها، ثم إجهاضها...

وعليه فلا بد لنا أن نعرف شخصية المختار بن أبي عبيده الثقفي من خلال هذه الأمور المتعددة، التي منها: الانتقام من قتلة الإمام الحسين عليه السلام والتشفّي لقلوب المؤمنين بأخذ الثار من عمال بني أمية. فقد ذكر المؤرخون والمحدثون أنّ المختار كان معروفاً بحبه لأهل البيت عليهم السلام، وبمقتضى حبه لأهل البيت عليهم السلام تناول حركته وقيامه لأخذ الثار من أعداء أهل البيت عليهم السلام، فشخصية المختار تُقيّم قبل كلّ شيء بحركته ونهضته وقيامه، وهذا أشدّ ما كانت تخشاه السلطات الأموية. فمن هنا تعرف شخصية المختار من التاريخ، ولذلك كان أتباع أهل البيت عليهم السلام يمدحونه إن لم تمنعهم التقية من الأعداء. ومن كان





من أعداء أهل البيت كان يذمه. وهناك شرارة أخرى انطلقت بعد معركة كربلاء وغيّرت ميزان القوى لصالح ابن الزبير... فكان ابن الزبير يعرف ضعف الأمويين في العراق والفوضى التي حصلت فيها بسبب شهادة مولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فاستغلّها لإجراء أهدافه. وحين أعلن ابن الزبير نفسه حاكماً في الحجاز بمساندة المختار له، والوقوف معه... فنجح ابن الزبير بسبب هذا الانضمام، يقول ابن الأثير في الكامل: إنّ المختار لازم ابن الزبير وشهد معه معاركه مع الحصين بن نمير وقاتل أشد قتال وكان وفياً في عهده لابن الزبير، ولكن ابن الزبير لم يف بما وعده به فحقد عليه، خاصّة بعد أن أخذ يتعرّض للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأبناءه عليهم السلام وظهر منه الحقد على شيعتهم... (انظر الكامل في التاريخ ج ٤: ص ١٧١). والمختار يسمع ولكنه لم يجهر بمشاعره نحوه وفي الوقت ذاته كان على صلة بأهل الكوفة، ولما تبين له أن الشيعة في الكوفة على استعداد للأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام ترك مكة وتوجّه إلى الكوفة... ولما كان الشيعة يبحثون عن زعيم جديد فوجدت المختار فانضمّوا إليه واستمرّ في تحرّكه حتّى استقطب أكثر الشيعة، وكان يترحم على سليمان بن صرد ويقول: لقد قضى ما عليه وجعل الله روحه مع أرواح الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين. وقد جاهر المختار في الدعوة إلى أهل البيت عليهم السلام وأخذ البيعة لهم وجعل يتصل بهم بين الحين والآخر، وكان يتصل بابن الحنفية لوجود خط قوي في مراقبة الإمام زين العابدين عليه السلام... (انظر إمتاع الأسماع للمقرئ ج ١٢: ص ٢٥٠، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٤: ص ٢٥٠-٢٥٤، وذوب النصار في أخذ الثار لابن نما الحلّي: ص ٩٧). ووصلت الأخبار لابن الزبير بشأن المختار فعزل عنها عامله عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمّد بن طلحة وولاه لعبد الله بن مطيع... (انظر تاريخ الطبري ج ٤: ص ٤٨٨). فغضب أهل الكوفة على ابن الزبير ومن ولاه عليهم ابن الزبير، فالتفّوا حول المختار وأخرجوا عامل ابن الزبير من الكوفة (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٤: ص ١٧٢). وانضمّ إلى المختار إبراهيم بن الأشتر وجرت معارك بينهم وبين بعض المؤيدين للأمويين الذين اتفقوا مع الزبيريين لمقاتلة المختار، ولكن حين وصل إبراهيم بن مالك الأشتر من النخيلة حسم الموقف





وسقطت الكوفة بيد المختار وشيعته. ودخل المختار قصر الإمارة وبسط يده يطلب البيعة من الناس على كتاب الله والطلب بثأر أهل البيت عليهم السلام (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٤: ص ٢١٤، والأخبار الطوال للدينوري: ص ٢٩٠). وفرّق ما وجده من الأموال في بيت المال بالسوية من غير أن يفرّق بين عربي وعجمي ممّا جعل الموالي يلتفون حوله ويتفانون في طاعته، هذا بالإضافة لسياسته التي تنطوي على التودّد لبني هاشم والعلويين... (انظر الكامل في التاريخ ابن الأثير ج ٤: ص ٢١٦). ولكن سياسته الاقتصادية أثارت غضب الأشراف عليه واعتبروا مساواتهم بالموالي اغتصاباً لحقوقهم، فانتهز الأشراف ومن التفّ حولهم خلوا الكوفة من الجند والمقاتلين الذين سرحهم بقيادة إبراهيم بن الأشتر إلى الموصل لقتال جيش الشام بقيادة ابن زياد، فثاروا عليه وتكلم شبت بن ربيعي مع المختار وعرض عليه مطالبهم فوعده المختار بتفضيلهم على الموالي إذا عاهدوه على قتال الأمويين والزبيريين ومناصرة العلويين، فرفضوا اقتراح المختار وانتهزوا فرصة وجود الجيش خارج الكوفة بقيادة ابن الأشتر فزحفوا على المختار وحاصروه في قصر الإمارة واحتلّوا المراكز الرئيسية في الكوفة وسيطروا على أكثر أحيائها، فبعث المختار برسول إلى ابن الأشتر وكان لا يزال قريباً من الكوفة ليخبره بكلّ ما حدث ويأمره بالرجوع بمن معه من الجيش إلى الكوفة بأقصى سرعة، وفي اليوم الثاني وصل إبراهيم الأشتر وجيشه يجوب شوارع الكوفة وعسكر بجوار مسجدّها ودارت المعركة بين الفريقين وكانت نتيجتها لصالح المختار خلال ساعات معدودات وقتل منهم خمسمائة وأسر نحواً من مائتين وافرّ الباقيون لخارج الكوفة، وكان السبب في هذه المعركة تعصّب العرب على الموالي التي استغلّها الأمويون وقتلوا الإمام الحسين عليه السلام. وجاء في الأخبار الطوال للدينوري أنّ الأمويين وقتلوا الإمام الحسين عليه السلام كانوا السبب في هذه الفتنة خاصّة شمر بن ذي الجوشن وعمر بن سعد ومحمّد بن الأشعث وأخاه قيس بن الأشعث وشبت بن ربيعي، هؤلاء بداية الثورة فرّوا من الكوفة عندما دخلها المختار، ودعا الشيعة للانتقام من قتلة الإمام الحسين عليه السلام وعندما بلغهم خروج الناس على المختار في الكوفة رجعوا إليها وجعلوا يحرضون الناس وقادوا المعركة مع الأمويين ضدّه وكان مصير معركتهم الفشل...





(انظر أخبار الطوال: ص ٣١٦). فتبين للمختار إن الأمويين وأتباعهم وراء تلك المعركة التي انتهت بانتصاره على حزب الأمويين في الكوفة، فرأى أن يعجل بالقضاء على من اشترك في مجزرة كربلاء، فأعلن الحرب عليهم وسار هو ومعه فرقة من الجيش في جهة وإبراهيم بن الأشتر ومعه بقية الجيش في جهة أخرى ونادى مناديه في الكوفة: من أغلق بابه فهو آمن إلا من اشترك في قتل الإمام الحسين عليه السلام، وقال لأصحابه: اطلبوا لي قتلة آل بيت الرسول عليه السلام فإنه لا يسوغ لي الطعام والشراب حتى أطهر الأرض (انظر تاريخ الطبري ج ٤: ص ٥٢٩). فتعالى الصباح من كل جانب: "يا لثارات الحسين عليه السلام"، وصاح أنصار الأمويين: يا لثارات عثمان، وكان هذا النداء سبباً في تفرق بعض أنصارهم... (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٤: ص ٢٣٤). واستطاع المختار أن يأسر في اليوم الأول خمسمائة رجل ولما عرضوا على المختار وجد أن من اشترك منهم في معركة الطف مائتين وثمانية وأربعين رجلاً فقتلهم عن آخرهم وأطلق سراح من بقي منهم، وذهب رجال المختار يميناً وشمالاً يبحثون عن بقية القتلة، وكان كل واحد منهم قد هباً لنفسه مخبأ واختفى فيه، فاستخرجوهم من مخابئهم وقتلوهم (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٤: ص ٢١١-٢٢٦). وحتى أن بعض النسوة كنّ يخبرن عن أزواجهنّ، ومن هؤلاء زوجة خولي بن يزيد الأصبحي الذي حمل رأس الإمام الحسين عليه السلام لما فصل عن جسده الشريف، وحينما رجع به إلى الكوفة أدخله عليها فنفرت منه وقالت: والله لا يجتمع رأسي ورأسك على وسادة واحدة. هذا اللعين اختبأ في داره، ولما هاجم أنصار المختار داره ولم يجدوه فيها سألوا عنه زوجته النوار، فقالت: لا أدري أين هو، وأشارت لهم بيدها إلى مكانه فاستخرجوه وأقبلوا به إلى بيته فقتله إلى جانب أهله وهم ينظرون إليه، ثم دعا بنار وأحرقه ولم يبرح المكان حتى صار رماداً (انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ٨: ص ٣٠٠). ثم قبض على عمر بن سعد وقتله واحتزّ رأسه ووضع بين يديه وأحضر ابنه حفصاً ووضع الرأس بين يديه وبكى، ثم قال: هذا برأس الإمام الحسين عليه السلام وهذا برأس علي الأكبر عليه السلام، والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش ما وفوا أنملة من أنامله (انظر المنتظم في التاريخ لابن الجوزي ج ٦: ص ٥٨). وبعد قتل ابن زياد بعث ابن الأشتر





برأس ابن زياد إلى المختار وأعيان من كان معه، فقدم بالرؤوس والمختار يتغذى، فألقيت بين يديه، فقال: الحمد لله رب العالمين، وضع رأس الحسين بن علي عليه السلام بين يدي ابن زياد (لعنه الله) وهو يتغذى، وأتيت برأس ابن زياد وأنا أتغذى، قال: رأينا حية بيضاء تخلل الرؤوس حتى دخلت في أنف ابن زياد وخرجت من أذنه، ودخلت في أذنه وخرجت من أنفه، فلما فرغ المختار من الغداء قام فوطئ وجه ابن زياد بنعله ثم رمى بها إلى مولى له وقال: اغسلها فإنني وضعتها على وجه نجس كافر (انظر الأمالي للشيخ الطوسي رحمه الله: ص ٢٤٢). ثم جاءت النوبة إلى بيوتهم يهدمها كما حرقوا خيم الإمام الحسين عليه السلام... (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٤: ص ٢٤٢-٢٤٤). وكلف المختار أبا عمرة بأن يجمع له عمال ويتبع دور من خرج لقتال الإمام الحسين عليه السلام، كان أبو عمرة عارفاً بهم فتبعهم في الكوفة ليهدم ويقتل من وجده منهم، والمختار يطاردهم حتى لم يبق منهم أحد إلا فرّ أو قتل، والتجأ الفارون إلى ابن زبير وإلى الأمويين (انظر الكامل في التاريخ ج ٤: ص ٢٤١-٢٤٢). ثم استأجر المختار نوادب من نساء الكوفة يندبن الحسين عليه السلام ومن قتل معه على باب عمر ابن سعد ليحرك عواطف الشيعة ضد الأمويين وأنصارهم، وهو أول مجلس وندب على الإمام الحسين عليه السلام في الشوارع. ثم بعث المختار عبد الله بن كامل إلى حكيم بن الطفيل وهو الذي سلب العباس عليه السلام ثيابه ورمي الإمام الحسين عليه السلام بسهم فكان يقول تعلق سهمي بسر باله ولم يضره، فأتاه ابن كامل فأخذه فذهب أهله إلى عدي بن حاتم ليشفع فيه فلحقهم في الطريق فقالوا: ليس أمره إلينا، إنما أمره إلى المختار. فمضى إلى المختار وكان المختار قد شفعه في جماعة من قومه أسروا يوم قتال المختار مع أهل الكوفة لم يكونوا نطقوا بشيء من أمر الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته عليه السلام، فقال أصحاب ابن كامل له: إننا نخاف أن يشفعه الأمير في هذا الخبيث وله من الذنب ما قد علمت فدعنا نقتله، قال: نعم، فأتوا به وهو مكتوف وقالوا له: سلبت ابن علي ثيابه والله لنسلبنك ثيابك وأنت حيّ تنظر، فنزعوا ثيابه وقالوا له: رميت حسينا واتخذته غرضاً لنبلك وقلت تعلق سهمي بسر باله ولم يضره، والله لنرمينك كما رميته بنبال ما تعلق بك منها أجزاك. فجعلوه غرضاً للنبل ورموه رشقاً واحداً حتى





صار كالقنفذ فخرٌ مَيَّتاً (انظر أصدق الأخبار للسيد محسن الأمين: ص ٦٥). وطلب زيد بن ورقاء قاتل عبد الله بن مسلم فقتلوه وأحرقوه، كما قتلوا شمر بن ذي الجوشن وقد قبضوا عليه بعد أن انهزم من الكوفة قاصداً مصعب بن الزبير وحاول أن يقاومهم ولكنهم تغلبوا عليه وأردوه صريعاً ثم أحرقوه (انظر الكامل في التاريخ ج ٤: ص ٢٣٦-٢٣٧). وقبضوا على ابن أنس وكان قد انتزع برنس الإمام الحسين عليه السلام عنه، فقال لهم المختار: اقطعوا يديه ورجليه، وتركوه يضطرب حتى مات (الأمالى للشيخ الطوسي رحمته الله: ص ٢٤٤). يقول ابن كثير: إن المختار كان يعاقب كلَّ حسب جريمته وبقي عليه عبيد الله بن زياد، حيث جاء للعراق لقتل الشيعة فاحتلَّ الموصل بجيش كبير أعدّه عبد الملك بن مروان، حينما علم أخباره المختار جهَّز جيشاً من سبعة آلاف مقاتل لمقابله... (انظر البداية والنهاية ج ٨: ص ٣١٤). وبعد أن قضى على الفتنة قرَّر ملاقاته ابن زياد، وقد احتلَّ الموصل وخرج المختار مع الجيش إلى المدائن وبقي فيها يتلقَّى أخبار المعركة ونتائجها، والتقى الجيشان على نهر الخازر قرب الموصل... وزحف الطرفان واستمرَّ القتال حتى امتلأت ساحة المعركة بالقتلى من الطرفين، وكان أكثرهم من جند الشام، واستطاع ابن الأشتر أن يهزم جموع أهل الشام رغم أنَّهم كانوا يبلغون عشرة أضعاف جنود المختار على حدِّ تعبير المؤرِّخين، وذلك بفضل مهارة القائد وحماس جنوده شيعة أهل البيت المخلصين، وحينما شاع نبأ مصرعه انهزم الجيش كله، ولحقهم العراقيون، وبلغ الحال إنَّهم كانوا يلقون أنفسهم في نهر الخازر لأمل النجاة من العراقيين فيموتون غرقاً، وانتهت المعركة بهزيمة منكرة التي لم يحدث التاريخ بأسوأ منها، وطلب الأشتر جثَّة ابن زياد واجتز رأسه ثم دخل الموصل فاستقبله أهلها استقبال الفاتحين وأرسل للمختار يشرِّه بانتصاره مصرع ابن مرجانه، وأرسل رأسه وبقية رؤوس قاداته... ثمَّ إنَّ المختار أرسل رأس ابن زياد ورأس ابن سعد إلى الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام وقال للرسول: إذا دخلت المدينة وبلغت دار الإمام عليه السلام ورأيت أبوابه قد فتحت ودخلها الناس فادخل عليه بالرأسين فإنَّه في ذلك الوقت يوضع لهم الطعام ليأكلوا، فأقبل الرسول نحو المدينة إلى بيت الإمام عليه السلام لما فتحت الأبواب ودخل الناس لتناول الطعام دخل معهم ونادى بأعلى صوته: يا أهل



فأمّا دعوى النبوة ونزول جبرئيل عليه السلام فلم يظهر لها تأثير في الدنيا، فمن سمعه ومن تابعه ومن ردّ عليه ذلك من معاصريه وغيرهم^(١)،



بيت النبوة ومعدن الرسالة ومهبط الوحي أنا رسول المختار بن أبي عبيدة ومعني رأس ابن مرجانة وعمر بن سعد، ثمّ وضع الرأسين أمام الإمام زين العابدين عليه السلام، فضجّ الرجال بالصراخ وهم ينادون "وا حسينا يا حبيب رسول الله يا ابن مكّة ومنى يا ابن فاطمة الزهراء سيّدة النساء..." وانتشر الخبر في دور بني هاشم ولم تبق امرأة إلاّ صرخت، ثمّ دخل ووضع الرأسين بين يدي الإمام عليه السلام فلمّا رآهما قال: «أبعدهما الله إلى النار»، وتبسّم الإمام ودموعه تجري على لحيته... وطافت به الذكريات يوم قام ابن مرجانة في قصر الإمارة ليضرب عمّته زينب عليها السلام، ثمّ صلّى وبقي ساجداً وهو يقول: «الحمد لله الذي أدرك تأري من أعدائي وجزى المختار خيراً» (انظر الأمالي للشيخ الطوسي عليه السلام: ص ٢٤٣). وهكذا استأصل المختار قتلة الإمام الحسين عليه السلام فقتلهم. وهذا ينفي الروايات الدائمة في شأنه.

(١) وتوضيح المقام أنّ الدعوى بلا إقامة الدليل لا تكون مقبولة عند أهل العلم، فما ادعاه ابن تيمية في المقام من الردّة والكفر والزندقة ونزول الجبرئيل عليه السلام على المختار لا سبيل إلى قبولها، لأنّها دعوى بلا دليل، فلو كان شيئاً من هذه الاتّهامات وما ألصقتها إلى المختار صحيحاً لتبيّن آثارها في أفعال المختار وأقواله، لأنّ أدلّ الدليل على ما في ضمير الإنسان هو فعله وقوله، ولذلك قال مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «قيمة كلّ امرئ ما يحسنه» (نهج البلاغة: كلمات القصار رقم ١١). وهذه الكلمات التي لا تصاب لها قيمة، ولا توزن بها حكمة، ولا تقرن إليها كلمة تعني أنّ قيمة كلّ امرئ تكمن في أهدافه التي يضعها، في خططه المستقبلية، فيما يريده، وفيما يعمله، على المستوى الفردي والاجتماعي والاعتقادي. وأيضاً قال عليه السلام: «المرء مخبوء تحت لسانه» (نهج البلاغة: كلمات القصار رقم ١٤٨)، أي أنّ شخصية الإنسان ومستواه يعرف من كلامه وعقله وتفكيره وقدراته. لأنّ جوهر الإنسان ينكشف عن طريق لسانه، وأعماله. ومن هنا





يعرف أنّ ما نسب إلى المختار من النبوة ونزول جبرئيل عليه وغير ذلك من الاتّهامات التي ألصقتها ابن تيمية وأضرابه إليه باطلة، لأنّه لا دليل عليه. كما أنّ علماء الشيعة الإمامية قد أجابوا عن هذه الأخبار والروايات التي كانت سبباً لايجاد هذه الشبهات في المقام. ولعل منشأ ذلك ما وردت من الأخبار الغيبية من بعض أصحاب السرى لمؤلانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كميثم التمار، الذي أخبر عن ثورة المختار وما سيحدث فيها من الحوادث، فأخذوا ذلك ذريعة لاتهامه بنزول جبرئيل عليه. فإنّ الشيعة كانت تعلم أنّ الأخبار قد أفشاها الخواصّ من أصحاب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولا يحتملها إلا المؤمن الذي امتحن الله قلبه للإيمان. فقد روى أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد الثقفي الكوفي في "الغارات" عن أحمد بن الحسن الميثمي، قال: كان ميثم التمار مولى علي عليه السلام عبداً لامرأة من بني أسد، فاشتراه علي عليه السلام وأعتقه، وقال له: «ما اسمك؟» قال: سالم، فقال: «إنّ رسول الله ﷺ أخبرني أنّ اسمك الذي سمّاك به أبوك في العجم ميثم»، فقال: صدق الله ورسوله، وصدقت يا أمير المؤمنين، فهو والله اسمي، قال: فارجع إلى اسمك ودع سالماً، فنحن نكنّيك به، فكناه أبا سالم. ثمّ قال: وقد كان أطلعه علي عليه السلام على علم كثير وأسرار خفية من أسرار الوصية، فكان ميثم يحدث ببعض ذلك، فيشكّ فيه قوم من أهل الكوفة وينسبون علياً عليه السلام في ذلك إلى المخرفة والإيهام والتدليس حتّى قال له يوماً بمحضر من خلق كثير من أصحابه وفيهم الشاك والمخلص: «يا ميثم، إنّك تؤخذ بعدي وتصلب، فإذا كان اليوم الثاني ابتدر منخراك وفمك دماً حتّى يخضب لحيتك، فإذا كان اليوم الثالث طعنت بحربة تقضي عليك، فانتظر ذلك، والموضع الذي تصلب فيه على باب دار عمرو بن حريث، إنّك لعاشر عشرة أنت أقصرهم خشبة، وأقربهم من المطهرة - يعني الأرض - ولأرئيك النخلة التي تصلب على جذعها»، ثمّ أراه إيّاها بعد ذلك بيومين، وكان ميثم التمار يأتيها فيصلي عندها ويقول: بوركت من نخلة لك خلقت ولي نبت، فلم يزل يتعاهدها بعد قتل علي حتّى قطعت، فكان يرصد جذعها ويتعاهده ويتردّد إليه ويبصره، وكان يلقي عمرو بن حريث فيقول له: إنّني مجاورك فأحسن جوارِي، فلا يعلم عمرو ما يريد، فيقول له: أتريد





أن تشتري دار ابن مسعود أم دار ابن حكيم؟ قال: وحج في السنة التي قتل فيها، فدخل على أم سلمة فقالت له: من أنت؟ قال: عراقي، فاستنسبه فذكر لها أنه مولى علي بن أبي طالب عليه السلام، فقالت: أنت ميثم؟ قال: بلى أنا ميثم، فقالت: سبحان الله، والله لربما سمعت رسول الله ﷺ يوصي بك علياً في جوف الليل، فسألها عن الحسين بن علي عليه السلام، فقالت: هو في حائط له. قال: أخبريه أنني قد أحبيت السلام عليه، ونحن ملتقون عند رب العالمين إن شاء الله، ولا أقدر اليوم على لقائه وأريد الرجوع، فدعت بطيب فطيب لحيته، فقال لها: أما إنها ستخضب بدم، فقالت: من أنباك هذا؟ قال: أنبأني سيدي، فبكت أم سلمة وقالت له: إنه ليس بسيّدك وحدك، وهو سيدي وسيّد المسلمين، ثم ودّعته، فقدم الكوفة فأخذ وأدخل على عبيد الله بن زياد، وقيل له: هذا كان من آثر الناس عند أبي تراب، قال: ويحكم هذا الأعجمي؟ قالوا: نعم، فقال له عبيد الله: أين ربك؟ قال: بالمرصاد لكل ظالم وأنت أحد الظلمة، قال: قد بلغني اختصاص أبي تراب لك؟ قال: قد كان بعض ذلك، فما تريد؟ قال: وإنه ليقال: إنه قد أخبرك بما سيلقاك؟ قال: نعم إنه أخبرني، قال: ما الذي أخبرك أنني صانع بك؟ قال: أخبرني إنك تصلبني عاشر عشرة وأنا أقصرهم خشبة، وأقربهم من المطهرة، قال: لأخالفه، قال: ويحك كيف تخالفه، إنما أخبر عن رسول الله ﷺ، وأخبر رسول الله عن جبرائيل، وأخبر جبرائيل عن الله، فكيف تخالف هؤلاء؟ أما والله لقد عرفت الموضع الذي أصلب فيه أين هو من الكوفة، وإنني لأول خلق الله ألجم في الإسلام بلجام كما تلجم الخيل، فحبسه وحبس معه المختار بن أبي عبيد الثقفي. فقال ميثم للمختار، وهما في حبس ابن زياد: إنك تفلت وتخرج ثائراً بدم الحسين عليه السلام فتقتل هذا الجبار الذي نحن في حبسه، وتطأ بقدمك هذا على جبهته وخديّه. فلما دعا عبيد الله بن زياد بالمختار ليقطله طلع البريد بكتاب يزيد بن معاوية إلى عبيد الله بن زياد يأمره بتخليه سبيله، وذاك أن أخته كانت تحت عبد الله بن عمر بن الخطّاب، فسألت بعلمها أن يشفع فيه إلى يزيد، فشفع فأمضى شفاعته، وكتب بتخليه سبيل المختار على البريد، فوافى البريد وقد أخرج ليضرب عنقه فأطلق. وأمّا ميثم فأخرج بعده ليصلب، وقال عبيد الله: لأمضين حكم أبي تراب فيه، فلقية رجل فقال له: ما كان أغناك عن هذا يا





ميثم، فتبسّم وقال و هو يؤمى إلى النخلة: لها خلقت ولي غذيت، فلما رفع الخشبة، اجتمع الناس حوله على باب عمرو بن حريث، فقال عمرو: لقد كان يقول لي: إني مجاورك، فكان يأمر جاريته كلّ عشية أن تكنس تحت خشبته وترشّه، وتجمّر بالمجمر تحته، فجعل ميثم يحدث بفضائل بني هاشم ومخازي بني أمية وهو مصلوب على الخشبة، فقبل لابن زياد: قد فضحككم هذا العبد، فقال: أجموه، فألجم فكان أول خلق الله ألجم في الإسلام، فلما كان في اليوم الثاني فاضت منخراه وفمه دماً، فلما كان في اليوم الثالث طعن بحربة فكبر فمات، وكان قتل ميثم قبل قدوم الحسين عليه السلام العراق بعشرة أيام (انظر الغارات ج ٢: ص ٧٩٧)، ورواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٢: ص ٢٩١، والقطب الدين الراوندي في الخرائج والجرائح ج ١: ص ٢٠٣، والعلامة المجلسي رحمته الله في البحار ج ٣٤: ص ٣٠٢، وغيرهم. فكان ميثم التمار من أصحاب السرّ لمولانا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وصاحب الكرامة الذي أخبر عن الحوادث والمغيبات، ر فيحتمل أن تكون أمثال هذه الروايات ذريعة لآتهام المختار بتك النسب الباطلة، وإلا فأفعال المختار وأقواله ليس فيها ما يدلّ على ذلك. ولا يخفى على الخبير أن ميثم التمار ايضاً اتهموه بهذه التهم الرخيصة، وكلّها مردودة. ويحتمل أن يكون السبب رواية عمر بن علي، وفيها: أن المختار أرسل إلى الإمام علي بن الحسين عليه السلام بعشرين ألف دينار فقبلها، وبنى بها دار عقيل بن أبي طالب ودارهم التي هدمت، ثم قال: ثم إنّه بعث إليه بأربعين ألف دينار بعدما أظهر الكلام الذي أظهره، فردّها ولم يقبلها (انظر اختيار معرفة الرجال [رجال الكشي] ج ١: ص ٣٤١). والمستفاد منه أن الإمام عليه السلام قد ردّ هدايا المختار. قال العلامة المامقاني رحمته الله في جواب هذه الشبهة: تحمل هذه النصوص على التقية، وأنّ المقصود من قوله عليه السلام: بعدما أظهر ما أظهر، يعني بعد ما شاع أمره وفشى ذكره بين الناس، فصار الإمام عليه السلام يتقي من بني أمية ومن عبد الملك (انظر تنقيح المقال ج ٢٤: ص ٤٠٤). وهناك نصّ يفسّر هذا الخبر، وهو ما ورد عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: أن أباه حدّثه أن الإمام علي بن الحسين عليه السلام أتى محمّد بن علي الأكبر، قال: إنّ هذا الكذاب أراه يكذب على الله وعلى رسوله وعلى أهل البيت، وذكر أنّه يأتيه جبرئيل وميكائيل، فقال له





محمد بن علي: «يا ابن أخي أتاك بهذا من يصدق؟» قال: نعم، قال: «اذهب فارو عني لا أقول هذا، وإنني أبرأ ممن قال به (ممن قاله)»، فلما انصرف من عنده دخل عليه عبد الله بن محمد وامرأته وسريته، فقالوا له: إنما أتاك علي بن الحسين بهذا أنه حسدك لما يبعث به إليك، فأرسل إليه محمد بن علي لا ترو عني شيئاً، فإنك إن رويت عني شيئاً، قلت: لم أقله (انظر مستطربات السرائر لابن ادريس الحلبي: ص ٥٦٥). وقد عقب العلامة المجلسي غواص بحار الأنوار رحمته الله هذا الخبر بقوله، بيان: المراد بالكذاب المختار، (وذكر أنه) أي ذكر المختار للناس أن محمد بن الحنفية يأتيه جبرئيل وميكائيل، فلما خرج عليه السلام دخل على ابن الحنفية ابنه وامرأته وسريته ليصرفوه عن رد المختار وتكذيبه، لئلا ينقطع عنهم ما يأتيهم من قبله من الأموال، فلم يقبل منهم، وبعث إلى المختار لا ترو عني الأكاذيب بعد ذلك، فإنك إن رويت عني قلت للناس: أنني لم أقله وإنه كاذب، هذا تأويل للكلام يناسب حال محمد بن الحنفية، وإلا فظاهر الكلام أنه قبل منه ذلك، وبعث إلى علي بن الحسين عليه السلام أن لا تقل ما أمرتك بروايته عني من تكذيب المختار وبراءتي منه، وإلا فأنا أكذبك في ذلك عند الناس (انظر بحار الأنوار ج ٤٢: ص ٨٩). ومنها: ما رواه ابن سنان عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: إنا أهل بيت صادقون، لا نخلو من كذاب يكذب علينا، فيسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس، كان رسول الله صلى الله عليه وآله أصدق البرية لهجة، وكان مسليمة يكذب عليه، وكان أمير المؤمنين عليه السلام أصدق من برأ الله من بعد رسول الله، وكان الذي يكذب عليه من الكذب عبد الله بن سبأ لعنه الله، وكان أبو عبد الله الحسين بن علي عليه السلام قد ابتلى بالمختار. ثم ذكر أبو عبد الله الحارث الشامي وبنان، فقال: «كانا يكذبان على علي بن الحسين عليه السلام، ثم ذكر المغيرة بن سعيد، وبزيعاً، والسري، وأبا الخطاب، ومعمراً، وبيشراً الأشعري، وحمزة اليزدي، وصائداً النهدي، فقال: لعنهم الله، إنا لا نخلو من كذاب يكذب علينا، أو عاجز الرأي، كفانا الله مؤنة كل كذاب، وأذاقهم الله حرّ الحديد» (انظر اختيار معرفة الرجال [رجال الكشي] ج ٢: ص ٥٩٣). وقد احتمل فيها السيد الخوئي رحمته الله التحريف، لكون المختار كان مقيماً في الكوفة والإمام الحسين عليه السلام كان مقيماً في المدينة، مما يجعل المختار المقصود في الصحيح شخصاً آخر غير المختار





بن أبي عبيدة الثقفي (انظر معجم رجال الحديث ج ١٥: ص ٢٦٣). ومنها: ما رواه سماعة قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: «إذا كان يوم القيامة مرّ رسول الله بشفير النار، وأمير المؤمنين والحسن والحسين، فيصيح صائح من النار: يا رسول الله أغثني يا رسول الله (ثلاثاً)، قال: «فلا يجيبه»، قال: «فينادي يا أمير المؤمنين يا أمير المؤمنين (ثلاثاً) أغثني، فلا يجيبه»، قال: «فينادي يا حسين يا حسين يا حسين أغثني، أنا قاتل أعدائك»، قال: «فيقول له رسول الله: قد احتجّ عليك»، قال: «فينقض عليه كأنه عقاب كاسر»، قال: «فيخرجه من النار». قال: فقلت لأبي عبد الله عليه السلام: ومن هذا جعلت فداك؟ قال: «المختار»، قلت له: «ولم عذب بالنار، وقد فعل ما فعل؟» قال: «إنه كان في قلبه منهما شيء، والذي بعث محمداً بالحق لو أن جبرئيل وميكائيل كان في قلوبهما شيء لأكبهما الله في النار على وجوههما» (انظر بحار الأنوار ج ٤٥: ص ٣٣٩). وقريب من الخبر السابق جاء في التهذيب في باب تلقين المحتضر من الزيادات (انظر التهذيب للشيخ الطوسي عليه السلام ج ١: ص ٤٦٧). وقد منع من الاستناد إليهما السيد الخوئي رحمه الله لضعفهما سنداً، وذلك لأن رواية السرائر منقولة من كتاب أبان بن تغلب، وهو بحسب الطبقة لا يتصور فيه أن يكون راوياً عن جعفر بن إبراهيم الحضرمي عن زرعة، مضافاً إلى أن جعفر نفسه لو كان المقصود به من عدّ في أصحاب الباقر عليه السلام لم تثبت وثاقته، ولو كان المقصود به من عدّه الشيخ في أصحاب الإمام الرضا عليه السلام فلا يتصور رواية أبان بن تغلب عنه. وبالجمله، فأهل الاختصاص في علم الرجال، يعلمون أن ابن إدريس ليس وارداً في هذا الفن، وأن كتابه يشتمل على تخليط كثير، وأما رواية التهذيب، فمضافاً لكونها مرسله، فإنّ سندها قد اشتمل على أمية بن علي القيسي، وهو لم تثبت وثاقته، وعليه فإنّ دعوى النبوة ونزول جبرئيل عليه السلام على المختار ادّعاء باطل، لعدم وجود الدليل المعتبر عليه بين الفريقين، هذا مضافاً إلى أنّه لم تظهر لهذه الدعوى تأثير في الدنيا، إذ لسائل أن يسأل ابن تيمية وأضرابه من أهل السنة هل انكم سمعتم من المختار صدر منه قولاً فيه دلالة على هذه الدعاوي والاتهامات؟ أو هل أنكم سمعتم من ثقة تابع أفعال المختار وشهد بأنّ عمله الفلاني كان يدلّ على هذه الافتراءات المنسوبة إليه؟ أو هل يوجد في الروايات من



وعثمان لو لم يصدر منه سوى إعانة عمّاله الظلمة بعدم رضاه بعزلهم وتسلم المظالم منهم وعزمه على نصرتهم بالحرب فحاصره الناس وهو خليفة عليهم فقتلوه لذلك لكفى في كونه مهدور الدم^(١).



يرى ذلك من المختار ثم يردّ عليه من معاصريه!! فتراه يقول: كلاً ثم كلاً فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ الباحث في كتب التاريخ والسيرة والحديث يعلم بأنّ قتل عثمان كان بسبب انحرافه وضلالته وارتكابه الظلم والفساد واستبداده وتسليطه الطلقاء وبني أمية على المناصب الحكوميّة، وهم الذين كانوا يفسدون في الأرض ويظلمون الناس حتّى وصل الأمر إلى قمّة هرمه، فانجرت إلى الثورة الشعبيّة العارمة وانتهت بقتله، فقتلوه، وألقوا جسده في الكنيسة، ثم دفنوه في مقابر اليهود تنبيهاً على أنّه خرج من ملة الاسلام، فقد روى ابن حجر في كتابه تلخيص الحبير بسنده عن مالك يعني ابن أنس قال: أقام عثمان مطروحاً على كناسة بني فلان ثلاثاً... (تلخيص الحبير لابن حجر ج ٥: ص ٢٧٥)، ورواه الطبراني في المعجم الكبير ج ١: ص ٧٨، وورى الهيثمي في مجمع الزوائد بسند صحيح عن مالك يعني ابن أنس، قال: قتل عثمان، فأقام مطروحاً على كناسة بني فلان ثلاثاً، وأتاه اثنا عشر رجلاً منهم: جدّي مالك بن أبي عامر، وحويطب بن عبد العزّي، وحكيم بن حزام، وعبد الله بن الزبير، وعائشة بنت عثمان، معهم مصباح في حقّ، فحملوه على باب وأنّ رأسه تقول على الباب طق طق... ثمّ أرادوا دفنه فقام رجل من بني مازن فقال: لئن دفتّموه مع المسلمين لأخبرنّ الناس غداً، فحملوه حتّى أتوا به حش كوكب، فلمّا دلّوه في قبره صاحت عائشة بنت عثمان، فقال لها ابن الزبير: اسكتي فوالله لئن عدت لأضربنّ الذي فيه عينك، فلمّا دفنوه وسووا عليه التراب قال لها ابن الزبير: صيحي ما بدا لك أن تصيحي... رواه الطبراني وقال الحش البستان، ورجاله ثقات (انظر مجمع الزوائد للهيثمى ج ٩: ص ٩٥). وروى ابن عبد البرّ في الاستيعاب بسنده عن مالك، قال: لمّا قتل عثمان ألقى على المذبلة ثلاثة أيّام، فلمّا كان من الليل أتاه اثنا عشر رجلاً، فيهم حويطب بن عبد العزّي، وحكيم بن حزام، وعبد الله بن الزبير، وجدّي، فاحتملوه، فلمّا صاروا به إلى





المقبرة ليدفنوه ناداهم قوم من بني مازن والله لئن دفنتموه هنا لنخبرن الناس غداً، فاحتملوه، وكان على باب، وإن رأسه على الباب ليقول: طق طق، حتى صاروا به إلى حشّ كوكب (الاستيعاب لابن عبد البر ج ٣: ص ١٠٤٧). وروى محبّ الدين الطبري بسنده عن مالك قال: لما قتل عثمان ألقى على المذبة ثلاثة أيام، فلما كان في الليل أتاه اثنا عشر رجلاً منهم حويطب بن عبد العزّي وحكيم بن حزام وعبد الله بن الزبير وجدى، فاحتملوه، فلما صاروا به إلى المقبرة ليدفنوه إذا هم يقوم من بني مازن قالوا: والله لئن دفنتموه ههنا لنجرنّ الناس غداً، فاحتملوه وكان على باب وإن رأسه على الباب ليقول طق طق، حتى صاروا به إلى حشّ كوكب فاحتفروا له، وكانت عائشة ابنته معها مصباح في حقّ، فلما أخرجوه ليدفنوه صاحت فقال لها الزبير: والله لئن لم تسكتي لأضربنّ الذي فيه عيناك، فسكتت فدفنوه. خرجه القلعي (انظر الرياض النضرة ج ٣: ص ٧٤). حتى قال ابن كثير الناصبي الأموي تلميذ ابن تيمية، في كتابه البداية والنهاية: وأما موضع قبره (عثمان) فلا خلاف أنّه دفن بحشّ كوكب - شرقي البقيع - وقد بني عليه زمان بني أمية قبة عظيمة وهي باقية إلى اليوم (البداية والنهاية ج ٧: ص ٢١٣). وروى المتقي الهندي في كنز العمال بسنده عن مالك قال: قتل عثمان فأقام مطروحاً على كناسة بني فلان ثلاثاً، ثمّ دفن بحشّ كوكب (كنز العمال ج ١٣: ص ٨٥). في رواية ابن قتيبة في الإمامة والسياسة: فاحتملوه على باب وإن رأسه ليقول: طق طق، فوضعه في موضع الجنائز، فقام إليهم رجال من الأنصار، فقالوا لهم: لا والله لا تصلّون عليه... فاحتملوه ثمّ انطلقوا مسرعين... فدفنوه، ولم يلحدوه بلبن، وحثوا عليه التراب حثواً (انظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ١: ص ٦٤). حشّ كوكب بفتح أوله وتشديد ثانيه بستان بجنب البقيع كانت اليهود تدفن فيه موتاهم (انظر معجم البلدان ج ٢: ص ٢٦٢). فلما ظهر معاوية بن أبي سفيان على الناس أمر بهدم ذلك الحائط حتى أفضى به إلى البقيع، فأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حول قبره حتى اتصل ذلك بمقابر المسلمين (انظر تاريخ الطبري ج ٣: ص ٤٣٨). فدفنوه في مقابر اليهود، لأنهم كانوا يعتقدون بأنّ عثمان مات على غير ملّة الإسلام، لأنّ ما ارتكبه من الجرائم كان في العلانية، ولم يخفى شيء على الناس، فحكموا بضالته وانحرفه عن الدين. ثمّ





الذين شاركوا في قتل عثمان هم من كبار صحابة رسول الله ﷺ الذين كانوا في درجة يستحيل تجاهلهم. فقد روى الترمذي في سننه: أنَّ عثمان كان يناشد من سمع رسول الله ﷺ يذكر فضائله... (انظر سنن الترمذي ج ٥: ص ٢٩٠). وهذا معناه أنَّ مخاطبه كان الصحابة بأجمعهم، فكان يناشدهم بقوله: هل تعلمون أنَّ رسول الله ﷺ قال:...، وكذلك خطابه بعد ذلك: تمنعوني...، فإنَّ هذا الخطاب يشمل أقربائه وأصدقائه!! ولذلك قال ابن حجر في الإصابة: وجاء من طرق شهيرة صحيحة عن عثمان لمَّا أن حصروه أنشد الصحابة في أشياء، منها: تجهيزه جيش العسرة، ومنها: مبايعة النبي ﷺ تحت الشجرة لمَّا أرسله إلى مكَّة، ومنها: شراؤه بئر رومة وغير ذلك (انظر الإصابة لابن حجر ج ٣: ص ٢٢٣). أليس أنَّ زملائه كانوا يرون هذه الأحاديث؟! وقد روى أحمد بن حنبل أنَّ طلحة كان ضمن المحاصرين له، فأخرج بسنده عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: شهدت عثمان يوم حوَصر في موضع الجنائز ولو ألقي حجر لم يقع إلَّا على رأس رجل، فرأيت عثمان أشرف من الخوخة التي تلي مقام جبريل عليه السلام، فقال: أيُّها الناس أفياكم طلحة؟ فسكتوا، ثمَّ قال: أيُّها الناس أفياكم طلحة؟ فسكتوا، ثمَّ قال: أيُّها الناس أفياكم طلحة؟ فقام طلحة بن عبيد الله فقال له عثمان: ألا أراك ها هنا؟ ما كنَّا أرى أنَّك تكون في جماعة تسمع ندائي آخر ثلاث مرَّات ثمَّ لا تجيبني، أنشدك الله يا طلحة تذكر يوم كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ في موضع كذا وكذا... (مسند أحمد بن حنبل ج ١: ص ٧٤). ويتّضح ممَّا سبق بطلان ما زعمه ابن تيمية من دعوى سعي الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في قتل عثمان، لأنَّ الأدلّة والشواهد والوثائق التاريخية ذكرت علّة قتل عثمان. وفي الرواية التي رواها الترمذي: أنَّ عثمان كان يناشد الصحابة من سمع رسول الله ﷺ...، ثمَّ قال: اتئوني بصاحبيكم الذين ألباكم عليّ، قال: فجيء بهما فكأنهما جملاَن أو كأنهما حماران... (انظر سنن الترمذي ج ٥: ص ٢٩٠). وقد ذكر المالقي بأنَّ المقصود من الرجلين هما طلحة والزبير، قال المالقي في مقتل عثمان أشرف على الناس وهو محصور فقال: من يعذرني في هذين الرجلين الذين ألبًا علي الناس؟ يحتمل أن يريد بالرجلين طلحة والزبير، فإنَّهما كانا في جملة الذين

←





تكلّموا في شأن عثمان، ثمّ بان لهما الحقّ فانصرفا عنه وندما على ذلك، ولهذا قال طلحة لمّا طعن: اللّهم خذ لعثمان منّي حتّى ترضى (انظر مقتل عثمان للمالقي ج ٢: ص ١٦٧). ثمّ كان عمرو بن العاص، رائد الاتّجاه الانتهازي الذي يتحدّد ولائه بالمصلحة، وكان حليفاً لبني أميّة وحريصاً على محو أثر الإسلام، غير أنّه كان يرى ما تقتضيه المصالح في سبيل القضاء على الإسلام، فهو وإن كان في أوّل الأمر شجع سلطة عثمان، وكان من أعوانه وأنصاره في حكومته الجائرة، إلّا أنّه كان يمارس دهائه بشكل دقيق، فكان في نهاية الأمر يدرك أنّ عثمان مهزوز السلطان وأنّ الثورة ستنبش لا محالة. فأظهر للناس موافقته الخادعة للثوّار ضدّ عثمان ليموه عليهم، ثمّ يبرّر ذلك لعثمان ليحافظ على مكانته عنده، قال مرّة لعثمان: اتّق الله يا عثمان! فإنّك قد ركبت نهابير وركبناها معك، فتب إلى الله نتب معك، فناداه عثمان: وإنّك هناك يا ابن النابغة قملت جبتك منذ عزلتك عن العمل. فنودي من ناحية أخرى: أظهر التوبة يا عثمان يكفّ الناس عنك، ونودي من ناحية أخرى بمثل ذلك (انظر تجارب الأمم لأحمد بن محمّد مسكويه الرازي ج ١: ص ٤٤٦). ولمّا تفرّق القوم قال له: لا والله يا أمير المؤمنين، لأنّك أعزّ عليّ من ذلك، ولكن قد علمت أنّ الناس قد علموا أنّك جمعتنا لتستشيرنا، وسيلغهم قول كلّ رجل منّا، فأردت أن يبلغهم قولي فينقوا بي لأقود إليك خيراً، وأدفع عنك شراً (انظر تجارب الأمم لأحمد بن محمّد مسكويه الرازي ج ١: ص ٤٤٦). وبهذه الحالة بقي حتّى مقتل عثمان، حين جاء يتوسّط لعثمان مع الثوّار، فنهره واتّهموه، فولّ خائباً. وعندما قتل عثمان، ولم تعدّ المصلحة لعمرو بن العاص في أن يتمسّك بشرعيّة عثمان، خرج إلى منزله بفلسطين وكان يقول: والله إنّني كنت لألقى الراعي فأحرضه على عثمان... ولمّا مرّ به راكب من المدينة وهو مع ابنه محمّد وعبد الله وسلامة بن روح الجذامي فسأله عمرو عن عثمان، فقال: هو محصور. قال عمرو: أنا أبو عبد الله، قد يضطرّ العير والمكواة في النار (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣: ص ١٦٣). ثمّ استطاع الصحابة أن يتّصلوا بأهل الأمصار ليخبروهم بما سيجري في المدينة، فاجتمعت كلمة المسلمين في الداخل والخارج، واجتمع رأي الأمصار على إرسال الوفود تحت غطاء الحجّ. وكانت الوفود تتألّف من ثلاث أمصار:





الوفد المصري يتألف من خمسمائة إلى ألف يتزعمهم محمد بن أبي بكر، وفيهم عبد الرحمن بن عديس البلوي، وكنانة بن بشر الليثي وسودان بن حمران السكوني وقتيرة بن فلان السكوني. وكان محمد بن أبي بكر قد خرج وبقي محمد بن أبي حذيفة في مصر وغلب عليها لما ذهب عنها عبد الله بن سعد (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣: ص ١٥٨). والوفد الكوفي يتألف من عدد أهل مصر على رأسهم مالك الأشتر وفيهم زيد بن صوحان العبدي والأشتر النخعي وزباد بن النضر الحارثي وعبد الله بن الأصم العامري (تاريخ الطبري ج ٥: ص ١١١). والوفد البصري، ويتألف من نفس عدد أهل مصر عليهم حكيم بن جبلة العبدي، وذريع بن عباد وبشر بن شريح القيسي وابن المحترش، ويذكر ابن الأثير: أن أميرهم كان هو حوقوص بن زهير السعدي وكان خروجهم بشؤال جميعاً (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣: ص ١٥٨). وقال ابن أبي الحديد في حديث طويل: أنه بعد ما حوضر عثمان التمس إلى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقال له: قد ترى ما كان من الناس، ولست آمنهم على دمي، فارددهم عني، فأني أعطيتهم ما يريدون من الحق من نفسي ومن غيري، فقال علي: «إن الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك، وإنهم لا يرضون إلا بالرضا وقد كنت أعطيتهم من قبل عهداً فلم تف به، فلا تغرر في هذه المرة، فأني معطيهم عنك الحق»، قال: أعطهم فوالله لأفين لهم (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢: ص ١٥١)، ورواه الطبري في تاريخه ج ٣: ص ٤٠٣، وابن الأثير في الكامل في التاريخ ج ٣: ص ١٧٠، وابن مسكويه في تجارب الأمم ج ١: ص ٤٥٠ وغيرهم. وإلى غير ذلك من النصوص والوثائق التاريخية الدالة على أن قتل عثمان كان على يد الصحابة والتائرين عليه من مختلف البلاد وهم رافعين أصواتهم ضد الفساد والطغيان، فهاجموا عليه حتى قتلوه في داره وألقوا بجسده إلى البقيع، ودفنوه في مقابر اليهود. وقد تبعه ما تبعه من الحوادث الهامة.

والمهم أن عموم الصحابة كانوا راضين وموافقين لقتل عثمان، لما كان في حكومته الفساد والظلم والجرائم البشعة من قتل النفوس المحترمة ونهب أموال مسلمين وهتك أعراضهم وتسليط الطلقاء وبني أمية على المناصب الحكومية وإجرائهم السنن الجاهلية بدل سنن



ومن يدعي ما هو كفر بضرورة الدين وهو رجل معروف بين الناس كيف لم يقابله من هو في عصره بالرد عليه ولم يتابعه على ما نسب إليه أحقق من الخلق^(١).



رسول الله ﷺ فتاروا عليه وقتلوه. وذلك كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (سورة البقرة: ١١-١٢). وعليه فإن قتل عثمان كان له وجه وجيه عند الصحابة والتابعين، وكان دمه مهدوراً بحسب النصوص القطعية المعتبرة عند جميع المسلمين، بخلاف المختار فإنه قتل في سبيل الدفاع عن أهل البيت ﷺ، ولم يكن له ذنب سوى حبه لأهل البيت ﷺ، فأين هذا من قتل عثمان، فأين الشرى من الثريا؟! فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أن المجتمع الإسلامي الذي يكون قواعده وأساسه مبنية على القرآن والحديث، فإن الناس عاداتاً يتوقعون من قائده الدعوة إلى الله، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (سورة يوسف: ١٠٨). فالقرآن الكريم والحديث لهما الدور الكامل في الدعوة الإسلامية في المجتمع الإسلامي. والمنهج الذي يتبعه المسلمون جاء في هذه الآية المباركة، فتقول: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾. وهذه الجملة توضح بأن كل فرد مسلم مقتد برسول الله ﷺ له نفس الدور في الدعوة إلى الحق، ولا بد من دعوة الآخرين إلى الله من خلال أفعالهم وأقوالهم، وكذلك تؤكد هذه الجملة على أن القائد يجب أن يكون على بصيرة من أمره وله المعرفة الكافية بأمر الدين، وإلا فإن دعوته ليست إلى الحق، والقرآن الكريم يؤكد على أن من خصائص القائد الصادق أن يعلن بصراحة عن أهدافه وخطته، وأن يسير هو والتابعين له على منهج واضح وسليم، لا أن تسودهم هالة من الإبهام في الهدف والطريقة. فالمختار كان من القادة الإسلامية الذين أوضحوا طريقتهم بالصراحة. فالمختار كان يعلن على رؤوس الأشهاد بأنه يتبع منهج أهل البيت ﷺ، وكان يوالي أئمة أهل البيت ﷺ، وكانت ثورته، بالإذن الشرعي من الإمام علي بن





الحسين عليه السلام كما أنَّ جميع تصرفاته كانت تابعة لسيرة رسول الله ﷺ وسيرة أهل بيته عليهم السلام حتى أنَّ خروجه ضد الحكّام الظلمة كانت بسيرة تابعة من أهل البيت عليهم السلام، وقد انضمَّ إلى جيشه ستّة عشر ألف من الموالي والعبيد (انظر الفصول المهمّة لابن الصباغ المالكي: ص ٨١). وإنَّ انخفاض منزلة الموالي الاجتماعيّة إبان حكم الأموي أدت إلى استعداد كثير منهم للانضمام إلى أيّ حركة معارضة ضدّ الوضع القائم آن ذاك، محاولة منهم للحصول على العدالة والمساواة. حتّى ظهر المختار فالتحق الموالي به كزعيم منشود، يحقّقن آمالهم في التساوي بين العرب والعجم. فانضمّوا إليه فساوى بينهم وبين العرب في الحقوق والواجبات. وجعل عطاءهم جميعاً واحداً. كما أباح لهم مشاركة العرب بالفيء وركوب الخيل (انظر كتاب الفتوح لابن أعمش الكوفي ج ٦: ص ٢٦٠). وكان يلقّبهم بشيعة الحقّ (انظر كتاب الأعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام للبياسي: ص ١٢٩). كما أنّه عيّن كيسان أبو عمرة مولى عرينة على حرسه، وربما كان هذا التعيّن لأنّه كان يثق به أكثر من غيره أو لأنّه كان أكثر نفوذاً بين الموالي من مؤيّديه وأعلن المختار أنَّ كلَّ عبد ينضمّ إليه يكون حرّاً (انظر أنساب الأشراف للبلاذري ج ٦: ص ٤٤٨). ثمّ ازداد عدد الموالي والعبيد بين أتباعه كانت إلى درجة كبيرة. فبعد أن كانوا في بداية الثورة خمسمائة فقط، انضمَّ إليه جميع الموالي في الكوفة تقريباً وهو في قمّة انتصاره، فكان الموالي في ثورة المختار عنصراً سياسياً مهماً في المجتمع. يقول المدائني: أنَّ المغيرة بن شعبة كان أوّل من جلب انتباه المختار إلى ذلك، حيث قال له: أما والله أنني لأعرف كلمة لو دعا بها أريب لاستمال بها أقواماً فصاروا له أنصاراً. قال المختار: وما هي؟ قال: يدعوههم إلى نصره آل محمّد والطلب بدمائهم (انظر أنساب الأشراف ج ٦: ص ٣٨٧). وعلى الرغم من أن مصلحة الأشراف كانت تتعارض تعارضاً تامّاً مع مصالح الموالي، فإنّ المختار ضمّهم إلى جيشه، ولم يكتف المختار بذلك فقد جعلهم شركاء مع الأشراف في أمور حياتهم اليوميّة. وقد غضب لذلك أشراف العرب، فتوجّهوا إلى المختار يعاتبونه، ففسّر لهم تقرّيبه الموالي بقوله: لا يبعد الله غيركم، أكرمتمكم فشمختم بأنوفكم، وليتكم فكسرتم الخراج، وهؤلاء العجم أطوع لي منكم،





وأوفى وأسرع إلى ما أريد (انظر أخبار الطوال للدينوري: ص ٣٠٦). ويرى الشهرستاني أن اعتماد المختار على الموالي لم يكن السبب فيما وصل إليه من نجاح ونفوذ، وإنما نسب نجاحه إلى عاملين: أولهما: أنه أعلن بأنه نائب ابن الحنفية، وثانيهما: إقدامه على الأخذ بثار الإمام الشهيد الحسين بن علي عليه السلام وقتلى كربلاء واشتغاله ليلاً ونهاراً بقتال الظلمة الذين اجتمعوا على قتل الحسين عليه السلام (انظر الملل والنحل للشهرستاني ج ١: ص ٢٣٧). كانت الظروف والأحداث التي شهدتها فترة سيادة المختار في العراق إنما هي نتيجة تطور لأحداث سابقة. وفي الحقيقة ورث المختار تركة مثقلة بالأعباء، ولم يكن بإمكانه أن يحلّ جميع المشاكل التي تبلورت في عهده ونمت وتطوّرت في سنوات كثيرة، كما أن المختار انشغل طوال فترة حكمه بقتال أعدائه، فكان يحارب في عدّة ميادين، حارب الزبيريين والأمويين، وأشرف الكوفة وقتلة الحسين عليه السلام وغيرهم. فكان من الطبيعي أن يستعين المختار في بلاد العراق بالموالي وهم الغالبية العظمى من السكّان، وكان لهم النشاط الاقتصادي إلى جانب ما كان لهم من نشاط سياسي وثقافي باعتبارهم ورثة الحضارة الفارسية. وقد وصفهم المختار بأنهم: أولاد الأساور من أهل فارس والمارزبة (انظر الأخبار الطوال للدينوري: ص ٤٣٢). ورغم عطف المختار على الموالي، وتحسينه أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية، فقد اختار جميع ولاته وقوّاده من العرب، وكانوا كلّهم من طبقة النبلاء (انظر الخوارج والشيعة للبدوي: ص ٢١١). فقد أرسل القائد العربي شرحبيل بن ورس، لإنقاذ ابن الحنفية من عبد الله بن الزبير، ومعه جيش قوامه ثلاثة آلاف رجل، سبعمائة فقط من العرب اليمنيين، أمّا الباقي فكانوا من الموالي (انظر تاريخ الطبري ج ٦: ص ٧٣). فنستنتج ممّا تقدّم أن المختار كان رجلاً تحرّياً لا يعرف جنساً، ولا يتعصّب لعنصر أو لون، فكان يرى جميع البشر على مستوى واحد بغض النظر عن قوميتهم أو لونها، وهذا المنهج اتّخذه المختار من سيرة أهل البيت عليهم السلام واتّبعها، ولهذا ضمّ الموالي إلى ثورته، وشاركهم مع العرب بالفيء، والزواج من العرييات، كما وعيّن كيسان أبا عمرة مولى عرينة على حرسه. كما كان المختار يرى أن الموالي هم أطوع من الأشراف وأوفى، لذلك استعان بهم للقضاء على كلّ من النفوذ الأموي، والنفوذ الزبيري،





بدليل أنّهم لم يتخلّوا عنه عندما حاصره مصعب بن الزبير في قصره، في حين تركه العرب، ولجأوا إلى قبائلهم. ويدافع (فلهوزن) عن المختار فيقول: وجد المختار الموالي وقد أصبحوا من جماعته، ولم يكن يرمي إلى إثارتهم ضدّ العرب، بل اتّبع سياسة المهادنة والتوفيق، وكانت الناس من ورائه حتّى استطاع أن يجتذب إليه كبار التجار العرب. وشاء القضاء على الفوارق بين المسلمين من الطبقة الأولى والمسلمين من الطبقة الثانية ممّن يأخذ عليه ذلك، لا يكن له الحق في أن يأخذ على الحجاج أنّه عمل العكس فأكد الفوارق بكل قوة وأعادها إلى ما كانت عليه. فالحق أن المختار كانت عقائده نفس عقائد الشيعة التابعين لأهل البيت (عليه السلام) فهو خليف بالمديح لكونه أسبق من غيره في إدراك الأحوال القائمة آنذاك، لا شك أنّ منهجه في الحكم هو منهج الإسلام واتباع القرآن وأهل البيت (عليه السلام) وأنّ ثورته وشعبيته كانت موفقة عند شيعة أهل البيت (عليه السلام) لهذه الجهة، ولذلك ذكره العلامة الحلي (رحمته الله) في القسم الأوّل من كتابه خلاصة الأقوال، المختصّ بالإماميّة فقط، ولم يذكر فيه من غير الإماميّة أحداً مهما بلغ من الوثاقة (انظر خلاصة الأقوال: ص ٢٧٦). فكان اهتمام المختار في حكمه باتّباعه للعترة الطاهرة (عليه السلام)، تمسّكاً بحديث الثقلين. ولذلك خبّأ رؤوس الفتنة والضلالة والجريمة، آفاً من قتلة سيّد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام)، فكان يحصدها انتقاماً لدم ولي الله، وثأراً ممّن قتل الأطفال والصالحين وسبى النساء والأرامل والثكالي، الذين جعلوا بيت النبي (صلى الله عليه وآله) في عزاء ونحيب وعويل ليل نهار. قال المنهال: دخلت على الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) قبل انصرافي من مكّة، فقال لي: «يا منهال، ما صنع حرمة بن كاهل الأسدي؟» فقلت: تركته حيّاً بالكوفة، فرفع يديه جميعاً ثمّ قال (عليه السلام): «اللّهم أذقه حرّ الحديد، اللّهم أذقه حرّ الحديد، اللّهم أذقه حرّ النار». قال المنهال: فقدمت الكوفة وقد ظهر المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكان صديقاً لي، فركبت إليه ولقيته خارجاً من داره، فقال: يا منهال، لم تأتنا في ولايتنا هذه، ولم تهنّئنا بها، ولم تشرّكنا فيها؟! فأعلمته أنّي كنت بمكّة، وأنّي قد جئت الآن. وسأيرته ونحن نتحدّث حتّى أتى (الكناسة) فوقف وقوفاً كأنه ينظر شيئاً، وقد كان أخبر بمكان حرمة فوجّه في طلبه. فلم يلبث أن جاء قوم يركضون، حتّى قالوا: أيّها





الأمير البشارة، قد أخذ حرملة بن كاهل! فما لبثنا أن جيء به، فلمّا نظر إليه المختار قال لحرملة: الحمد لله الذي مكّنتني منك، ثمّ قال: النار النار، فأُتي بنار وقصب، فألقي عليه فاشتعل فيه النار. قال المنهال: فقلت: سبحان الله! فقال لي: يا منهال، إنّ المسيح لحسن، ففيم سبّحت؟ قلت: أيّها الأمير، دخلت في سفرتي هذه - وقد كنت منصرفاً من مكّة - على الإمام علي بن الحسين عليه السلام فقال لي: «يا منهال، ما فعل حرملة بن كاهل الأسدي؟» فقلت: تركته حيّاً بالكوفة، فرفع يديه جميعاً فقال: «اللهم أذقه حرّ الحديد، اللهم أذقه حرّ الحديد، اللهم أذقه حرّ النار». فقال لي المختار: أسمعت علي بن الحسين يقول هذا؟! فقلت: والله لقد سمعته يقول هذا. فنزل عن دابّته وصلى ركعتين فأطال السجود... ثمّ ركب وقد احترق حرملة. وشيّع المختار إبراهيم بن مالك الأشتر ماشياً يبعثه إلى قتال عبيد الله بن زياد، فقال له إبراهيم: اركب رحمك الله، فقال المختار: إنّني لأحتسب الأجر في خطاي معك، وأحبّ أن تغبرّ قدماي في نصر آل محمد عليهم السلام. ثمّ ودّعه وانصرف، فسار ابن الأشتر إلى المدائن يريد ابن زياد، ثمّ نزل نهر الخازر بالموصل شمال العراق، وكان الملتقى هناك، فحضّ ابن الأشتر أصحابه خاطباً فيهم: يا أهل الحقّ وأنصار الدين، هذا ابن زياد قاتل حسين بن عليّ وأهل بيته، قد أتاكم الله به وبחزبه حزب الشيطان، فقاتلوهم بنية وصبر، لعلّ الله يقتله بأيديكم ويشفي صدوركم. وتزاحفوا... ونادى أهل العراق: "يا لثارات الحسين"، فجال أصحاب ابن الأشتر جولةً، وحمل ابن الأشتر يميناً فخالط القلب، وكسرهم أهل العراق فركبوهم يقتلونهم. فانجلت الغمّة وقد قتل عبيد الله بن زياد، وحصين بن نمير، وشرحبيل بن ذي الكلاع، وأعيان أصحابهم. وأمر إبراهيم بن الأشتر أن يطلب أصحابه ابن زياد، فجاء رجل فنزع خفيّه وتأمّله... فإذا هو ابن زياد على ما وصف ابن الأشتر، فاجتزأ رأسه، واستوقدوا عامّة الليل بجسده، ثمّ بعث إبراهيم بن الأشتر برأس ابن زياد ورؤوس أعيانه إلى المختار. فجاء بالرؤوس والمختار يتغلّدى، فألقيت بين يديه، فقال: الحمد لله ربّ العالمين! فقد وضع رأس الحسين بن علي عليه السلام بين يدي ابن زياد لعنه الله وهو يتغلّدى، وأتيت برأس ابن زياد وأنا أتغلّدى! فلمّا فرغ المختار من الغداء قام فوطى وجه ابن زياد بنعله، ثمّ رمى بالنعل إلى مولى له وقال له: اغسلها فإنّي



وقد نرى من يدّعي الباطل يتابعونه جماعات من ذوي الحماقة الطمّاعين ولم نجد متابعا له على ما نسبتموه إليه، بل من يصغي إلى ما تزعمونه في حقّه وفي حقّ غيره^(١). وقد فضحتكم بالبهتان على الله



وضعتها على وجه نجس كافر. ثمّ بعث المختار برأس ابن زياد إلى محمّد بن الحنفية وإلى علي بن الحسين عليه السلام، فأدخل عليه وهو يتغذى، فقال عليه السلام: أدخلت على ابن زياد (أي حينما أسر وجيء به إلى الكوفة) وهو يتغذى ورأس أبي بين يديه، فقلت: اللهم لا تمّتنني حتّى تريني رأس ابن زياد وأنا أتغذى، فالحمد لله الذي أجاب دعوتي. أمّا عمر بن سعد، فكان المختار قد سئل في أمانه، فأمنه على شرط ألا يخرج من الكوفة، فإن خرج منها فدمه هدر. فأتى عمر بن سعد رجل فقال له: إنني سمعت المختار يحلف ليقتلن رجلاً، والله ما أحسبه غيرك! قال الراوي: فخرج عمر حتّى أتى الحمّام (الذي سمّي فيما بعد بحمّام عمر) فقليل له: أترى هذا يخفي على المختار! فرجع ليلاً، ثمّ أرسل ولده حفصاً إلى المختار الذي دعا أبا عمرة وبعث معه رجلين فجاءوا برأس عمر بن سعد فتأسّف حفص وتمنّى أن يكون مكان أبيه، فصاح المختار يا أبا عمرة، ألحقه به... فقتله. فقال المختار بعد ذلك: عمر بالحسين، وحفص بعلي بن الحسين (أي علي الأكبر)، ولا سواء! واشتدّ أمر المختار بعد قتل ابن زياد، وأخاف الوجوه، وكان يقول: لا يسوغ لي طعام ولا شراب حتّى أقتل قتلة الحسين بن علي عليه السلام وأهل بيته، وما من ديني أترك أحداً منهم حيّاً. وقال: أعلموني من شرك في دم الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته عليه السلام، فلم يكن يأتونه برجل فيشهدون أنّه من قتلة الحسين أو ممّن أعان عليه، إلّا قتله (انظر الأمالي للشيخ الطوسي رحمته الله: ص ٢٣٨). وعليه فمن حاله هذا كيف يمكن لأحد أن يدّعي له الكفر بضرورة الدين؟! وكيف لم يقابله أحد من أصحابه المسلمين ممّن كان معه بالردّ عليه!! وهل يمكن أن ينسب إلى الآلاف من متابعيه كأمثال ابن الأشتر وغيره ممّن كانوا حوله من الحمقاء!!؟

(١) لا يخفى على الخبير أنّ المستفاد من بعض آيات القرآنية وجود الصراع الدائم بين الحقّ





والباطل وكأنما هذا الصراع من السنن الإلهية لمعرفة الحق ، وتمييزه عن الباطل، وأن الحياة لا يمكن أن يسودها الخير المطلق، إلا بعد صراعه مع الشر. والآيات التي تؤكد على هذه الحقيقة كثيرة لا يتسع المجال لذكر جميعها، لكن نذكر بعضها من باب المثال لإثبات ما نسعى ثبوته. فمن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ (سورة الرعد: ١٧). هذه الآية الكريمة قد بينت حقيقة رائعة من خلال ذكر مثال حسّي لتقريب المفاهيم الصعبة إلى أذهان الناس، حيث أن القرآن الكريم كتاب الهداية والتربية فيبين بعض الحقائق الصعبة والوقائع العينية بذكر الأمثال الحسية الرائعة من حياة الناس، وذلك من أجل أن يجسم تلك حقائق التي كانت تدور حول التوحيد والشرك، والإيمان والكفر، والحق والباطل، فيضرب الله مثلاً واضحاً لذلك. وهو أن أودية التي تسيل فيها الماء قد تتكوّن من اتصال الأنهار بعضها مع البعض، فتسيل المياه من سفوح الجبال العظيمة والوديان وتجرف كل ما يقف أمامها، وفي هذه الأثناء يظهر الزبد وهو ما يرى على وجه الماء كرجوة الصابون من بين أمواج الماء حيث يقول القرآن الكريم: فاحتمل السيل زبدًا رايياً، بمعنى أن العالي من الماء أو الطافي يحتمل الزبد الرابي، وهو بمعنى الشيء الذي لا فائدة فيه. وبعد بيان هذا المثال بشكله الواسع يستنتج القرآن الكريم ويتطرق إلى شرحه فيقول: فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض. فالزبد الذي لا فائدة فيه يذهب جفاء ويصير باطلاً متلاشياً، وأما الماء الصافي النقي المفيد فيمكث في الأرض أو ينفذ إلى الأعماق وتتكوّن منه العيون والآبار وتروي العطاش، وتروي الأشجار لثمر، والأزهار لتفتح، وتمنح لكل شيء الحياة. وفي آخر الآية يقول تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾. وبهذا المثال البليغ الذي ذكره القرآن يتبين أن الحق مفيد ونافع دائماً، كالماء الصافي الذي هو أصل الحياة. أما الباطل فلا فائدة فيه ولا نفع فيه، فهو كالزبد الطافي على الماء، فلا يروي ظمآنًا ولا يسقي أشجاراً، وإذا استخدمت لغرض فيكون استخدامها رديئاً لا يؤخذ بنظر الاعتبار... كما تستخدم نشارة الخشب للإحراق. فالباطل هو المستكبر والمرفه كثير الصوت، وكثير الأقوال لكنه فارغ من المحتوى. أما الحق فمتواضع قليل الصوت، وكبير





المعنى، وثقل الوزن. ويعتمد الحق على ذاته دائماً، أما الباطل فيستمدّ اعتباره من الحق ويسعى للتلبس به، كما أنّ (الكذب يتلبس بضياء الصدق) ولو فقد الكلام الصادق من العالم لما كان هناك من يصدق الكذب. ولو فقدت البضاعة السليمة من العالم لما وجد من يخدع ببضاعة مغشوشة. وعلى هذا فوجود الباطل راجع إلى شعاعه الخاطف واعتباره المؤقت الذي سرقه من الحق، أما الحق فهو مستند إلى نفسه واعتباره منه. ومن تلك الآيات التي تقرّر هذه الحقيقة قوله تعالى: ﴿وَيَجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ (سورة الكهف: ٥٦)، أي: وقد يناظر الكفار دفاعاً عن مذاهبهم بالباطل لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ، أي: ليزيلوا الحق عن قراره. ولكن حيث أنّ الحق من الله تبارك وتعالى وأنّ الإيمان لم يكن تقليدياً، أو أنّ الناس آمنوا بعد أن رأوا الحق فيه. فالآية تؤكد على أنّ الحق يأتي دائماً من قبل الله سبحانه فهو يصدر منه ويعود إليه. ومن تلك الآيات التي تقرّر هذه الحقيقة قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ (سورة محمد ﷺ: ٣). هذه الآية تعتبر في الحقيقة مقدّمة لأمر حربي مهمّ، فهي بيّنت وضع الكافرين وحالهم قبل الاستعداد للحرب، والعلة الأساسية لانتصار المؤمنين عليهم وهزيمتهم في الحروب، من خلال مقارنة مختصرة بليغة، فقالت: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾. هنا يكمن سرّ المسألة بأن خطي الإيمان والكفر يتفرعان عن خطي الحق والباطل، فالحق يعني الحقائق العينية وأسماءها ذات الله المقدّسة، وتليها الحقائق المتعلقة بحياة الإنسان، والقوانين الحاكمة في علاقته بالله تعالى وفي علاقته بالآخرين. والباطل يعني الظنون، والأوهام، والمكائد والخدع، والأساطير والخرافات، والأفعال الجوفاء التي لا هدف من ورائها، وكلّ نوع من الانحراف عن القوانين الحاكمة في عالم الوجود. نعم، إنّ المؤمنين يتبعون الحق وينصرونه، والكفار يتبعون الباطل ويؤازرونه، وهنا يكمن سرّ انتصار هؤلاء، وهزيمة أولئك. فهذه الآيات - وغيرها ليس بالقليل - تبين حقيقة مسار التاريخ، وصراع بين الحق والباطل، والتصارع بين الخير والشرّ. فلا تخفى في هذا المقام. لما فيه من فارق بين الحق



ورسوله ﷺ وخيار عباده المحسنين حسبما بينا ذلك بنفس ما رويتموه مما مضى وسيأتي زيادة على ما مضى ^(١).



والباطل، والهدى والضلال، ولما فيه من تفرقة بين نهج السماء ونهج الأرض، وبين تشريع البشر وتشريع رب البشر. وعليه فمن يدعي الباطل ويتابعونه جماعات من ذوي الحماقة والطماعين هذا معلوم الحال لمن يعرف القرآن وحقائقه من المسلمين، لأن القرآن الكريم قد بين ما يميز به الحق عن الباطل. إذ للحق علامات فإذا عرف الإنسان الحق فغيره يكون باطلاً. كما قال الله تعالى: ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصِرُّونَ﴾ (سورة يونس: ٣٢)، وعليه إذا كان الإنسان يتبع القرآن وسنن المعصومين عليه السلام فلا معنى للقول بأنه من الحمقى بخلاف من يخالف الله ورسوله والمعصومين عليه السلام فإنه سوف يخرج عن دائرة الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال، فلاحظ.

(١) لا يخفى على الباحث الخبير الروايات التي رواها كبار علماء أهل السنة من البهتان في حق المؤمنين، مما كان في الحقيقة البهتان على الله ورسوله، وقد فضحهم الله في ذلك وفي رواياتهم استعراض وسيع للمناكير والمخالفات والجرائم التي ارتكبتها الخلفاء الثلاثة والتابعين لهم من الصحابة ومن أتبعهم من خلفاء الجور والحكام التابعة لهم، فإن الفضائح من الاعمال الإجرامية، من سفك الدماء، ونهب الأموال، وشرب الخمر، وركوب الزنا وعدم المبالاة من المنكرات التي تكون موجبة لغضب الله ورسوله ﷺ أمر واضح في اتباع خلافة السقيفة مما لا يمكن إنكاره. نعم أنهم قاموا بتبريرهم وتبرير أعمالهم، كقولهم بأن الصحابة مجتهدون معذورون، محاولة منهم للتغطية على فضائحهم. أو ما يقولون في تبرير أفعالهم بالتوجيهات الباردة من دون إقامة الدليل عليها. وهناك تعميم إعلامي حول القضايا الواقعة في التاريخ لتطهيرهم من قبل علمائهم، فلماذا هذا التعميم على بعضها والتصريح عن البعض الآخر؟! أليس أن الاجابة عنها تكشف عن زيف وزيف النفوس التي تردت بغير رادءها وجلست في غير مجلسها؟! نشير هنا إلى بعض الفساد والشر والمبتدعات والمناكير التي ارتكبتها أتباع السقيفة، حيث أن سياسة الخلفاء الثلاثة





كانت قائمة على مخالفة القرآن الكريم والسنة النبوية، لأن حكومة السقيفة كانت مهمتها التسلط على رقاب الناس بأي طريق أمكن، وحيث أن القرآن الكريم والروايات المتواترة لدى الفريقين قد بينت أن الإمامة بعد رسول الله ﷺ إنما تكون في أهل البيت عليه السلام، وأن الغاصبين للخلافة وأتباعهم لم يجدوا سبيلاً لتحقيق أهدافهم إلا بمخالفتهم للكتاب والسنة وإحداثهم البدع والمناكير في الدين، فبدلوا أحكام الله بحسب مشتهياتهم وأهوائهم إلى أحكام ما أنزل الله بها من سلطان. وكانوا يسمون بدعهم الاجتهاد للتغطي على فضائحهم، وبذلك فتحوا باباً ومجالاً واسعاً لمن أراد أن يحدث في الدين ممّا لا يحصى عدده، وكلّها من ثمرات الانقلاب في السقيفة والرجوع إلى الجاهلية الأولى. فكان أبو بكر لا يبالي من المخالفة الصريحة للكتاب والسنة النبوية، لأنّ بغيته الوصول إلى السلطة والقدرة، وعلى سبيل المثال أن الله تعالى أمر المسلمين باتباع أهل البيت عليه السلام وقد أنزل فيهم آيات بينات وأكد سبحانه وتعالى في بعض الآيات على طهارتهم وتزكيتهم وفي بعضها على وجوب مودّتهم، وفي بعضها أكد على وجوب ولايتهم، وفي بعضها أمر باتباعهم... إلى ما يزيد على ثلاثمائة آية، كما أن رسول الله ﷺ أمر أمته باتباع أهل بيته عليه السلام وأوصى بوجوب اتباعهم، فقال ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي»، وقال ﷺ: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجي ومن تخلف عنها غرق». وإلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على انحصار المرجعية الدينية والدينية والاخرية بعد وفاة رسول الله ﷺ منحصرة فيهم عليه السلام. وأنّ الخلفاء الثلاثة كانوا يعلمون حرمة أهل البيت وعظمتهم عند الله ورسوله ﷺ علم اليقين، وكانوا يعلمون بأنّ الدين قائم مادام هؤلاء أهل البيت عليه السلام وعظمة مقامهم وشأنهم عند الله ورسوله ﷺ، مما لا يمكن انكارها. فالخلفاء الثلاثة مع علمهم بما أنزل الله في حق أهل البيت عليه السلام ومع علمهم بما أوصى رسول الله ﷺ في حقهم، وقفوا بوجه هذا البناء الأساسي للدين الحنيف، بالعنف وسياسة التزوير والإرهاب وإحداث البدع وإشاعة المناكير وإرجاع الناس إلى الجاهلية الأولى، واستعانوا على ذلك من بطون قريش العادية للإسلام، وبذلك فتحوا مجالاً للحكومة الجائرة في الإسلام. فكانوا يقابلون كلّ حركة





ضدّ الخلافة الجائرة بالعنف وبأشدّ العقوبات وبإسقاطهم من جميع حقوق الإنسانية. وتحالفوا على إقصاء أهل البيت عليه السلام والهجوم الى بيتهم عليه السلام وإحراق باب دارهم عليه السلام وضرب الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام وكسر ضلعها عليها السلام وإسقاط جبينها عليها السلام وغضب فذكها عليها السلام وإلى غير ذلك من الجرائم التي ارتكبوها والمخازي التي ارتكبوها فبلغ ما بلغ من الجناية على الأمة، وهكذا استمرّوا في مخالفة الله ورسوله ﷺ حتى شملهم قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوءًا﴾ (سورة الكهف: ١٠٣-١٠٦). وقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ الروايات الدالة على أنّ المراد بهم أهل البدعة في الدين، منها: ما رواه إبراهيم بن محمد الثقفي في كتاب الغارات بسنده عن أصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «هم الكفرة الذين ابتدعوا في الدين وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعا» (انظر الغارات ج ١: ص ١٨٠). فكلّ باحث لو درس التاريخ والمصادر الإسلامية يعلم بأنّ سياسة خلافة السقيفة كانت مبتنية على مخالفة الإسلام ومخالفة أوامر الله ورسول الله ﷺ وإبعاد أهل بيته عليه السلام عن الزعامة الدينية للنيل إلى القدرة والرئاسة بأيّ وسيلة حصل. ولو أردنا أن نكشف الغطاء عن بعض الجرائم التي ارتكبتها السلطة الجائرة والتي سجلها التاريخ والسيرة وكتب الحديث من صحاح أهل السنة ومسانيدهم وكتبهم المعتبرة لطال بنا المقام، وهنا أسأله نوجهها لأهل التحقيق لا بأس بعناية بها، وهي:

الأول: عندما كان رسول الله ﷺ يعاني حرارة السم الذي دسّ إليه من بعض المنافقين الذين لم يدخل الإسلام إلى قلوبهم قال لمسلمين وهو ينوء بنفسه: «احضروا لي دواة وقلم لاكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً»، فكان جواب القوم وعلى رأسهم عمر بن الخطّاب دعوه أنّه يهجر - والعياذ بالله - (انظر صحيح البخاري ج ٧: ص ٩ كتاب المرضى، باب قول المريض: قوموا عني). أما كان عمر يقرأ كتاب الله عزّ وجلّ ليرى الآيات تصرّح بان





الرسول بعيد عن الهوى والهجر!!! قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ (سورة النجم: ٣-٥). وهذا إن دل على شيء فقد دل على سوء الاخلاق العمرية اذ كيف يخاطب نبي الإنسانية محمد ﷺ بهذا الكلام الناشيء من أخلاق الأعراب وقساوتها؟! أو يدل على أن عمر كان جاهلاً بكتاب الله عز وجل ولم يكن يثق في كلام النبوي الشريف ﷺ!! أو يدل على سوء النوايا المضمرة فيه، وأنه كان يطبق قول أبي سفيان أن تلقوها: فو الذي يؤمن به أبا سفيان لا جنة ولا نار (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٥: ص ١٧٥).

الثاني: التاريخ يذكر بأن أبا بكر قتل مسموماً. فلماذا التعتيم الإعلامي على قضية مقتله. في حين نرى اللعن والسب والشتم تنهال وبائلها على أبي لؤلؤة والمدح والتبرير لما فعله عبد الرحمن بن ملجم لقتله الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام!!! فيا ترى من سم أبا بكر؟ ومن قتله ليأخذ كرسي الخلافة والسلطة منه؟!!! فللباحثين أن يحققوا حول هذا الموضوع.

الثالث: اغتصب أبو بكر فذك من السيدة الزهراء عليها السلام واحتج بحديث لم يروه غيره إلا وهو من أن الأنبياء لا يورثون، ما تركناه صدقة. فلماذا ارجع عمر فذك بعد أن أشار على أبي بكر بمنعه من إعطاء فاطمة فذك؟!

الرابع: يقول علماء السنة الخلافة إما شورى وإما بيعة. فهل كان أبا بكر جاهل بأبسط الأمور وهي قضية الخلافة كونه خليفة ليسلمها لعمر مغلفة مخطومة مرحولة دون أن يفرض نظام الشورى أو البيعة؟! وهل تعتبر بيعة عمر شرعية؟! وإن كانت بيعة عمر شرعية ستسقط بيعة أبا بكر كونها بيعة فلتة؟! وتسقط بيعة عثمان كونها شورى فما الحل؟!!

الخامس: لماذا قتلة عثمان يلعنون من قبل علماء السنة في حين هم صحابة والذين خرجوا على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقاتلوه هم صحابة مبشرين بالجنة؟! ولماذا لا عن أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية ويزيد رافضي ملعون والذي يسب علي سبعين مرة بكرة وعشية ثقة جليل يتبع سنة الله وسنة رسوله ﷺ؟! وهناك أسئلة كثيرة نطرحها من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى. وملخص الكلام أن صحفكم مليئة



وأما الحجاج فظلمه معلوم ليس يخفى على الناس^(١)،



بالبهتان على الله وعلى رسوله ﷺ وعلى خيار عباده المحسنين كالمختار وغيره ممن جاهدوا في الله، ودافعوا عن أهل بيت رسول الله ﷺ.

(١) لقد كان الحجاج بن يوسف الثقفي أداة لفرض سلطة الأمويين ومد سلطانهم، وعلى قدر شهرة الحجاج كانت شهرته في الظلم والجور وسفك دماء أبرياء، حتى عدّه كثير من المؤرخين بأنه كان صورة مجسمة للظلم، ومثالاً بالغاً للطغيان، وأصبح ذكر اسمه يستدعي في الحال معاني الظلم والاستبداد، وذكروا أنه كان قبيح الوجه وصغير الجسد (انظر البيان والتبيين للجاحظ ج ١: ص ٣٨٦). وقد ورد للحجاج سمات عدة، فذكر أنه كان جباراً وظالماً وكافراً وفاسقاً (انظر كتاب الوزراء والكتاب للجهمياري: ص ٢٦). وكان كذاباً وخبيثاً (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ١٢: ص ١٦٧). وروى العياشي بسنده عن زرارة عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: سمعته يقول: كان الحجاج ابن شيطان يباضع ذي الردهة، ثم قال: إن يوسف دخل على أم الحجاج فأراد أن يصيها، فقالت: أليس إنما عهدك بذلك الساعة؟ فأمسك عنها فولدت الحجاج (انظر تفسير العياشي ج ٢: ص ٣٠١). وروى ابن عبد ربّه الأندلسي في العقد الفريد بسنده عن عمر بن عبد العزيز، قال: لو جاءت كل أمة بمنافقيها وجننا بالحجاج، لفضلناهم (انظر العقد الفريد ج ٥: ص ٣٠٧). وروى ابن عساكر بسنده عن ميمون بن مهران، عن الأجلج، قال: قلت للشعبي: يزعم الناس أن الحجاج مؤمن!! قال: مؤمن بالجبت والطاغوت، كافر بالله (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ١٢: ص ١٨٧). وروى ابن كثير بسنده عن علي بن عبد العزيز، عن إسحاق بن يحيى، عن الأعمش، قال: اختلفوا في الحجاج، فقالوا: بمن ترضون؟ قالوا: بمجاهد، فأتوه فقالوا: إنا اختلفنا في الحجاج، فقال: أجئتم تسألونني عن الشيخ الكافر؟ (البداية والنهاية لابن كثير ج ٩: ص ١٥٧) وروى أيضاً بسنده عن محمد بن كثير، عن الأوزاعي، قال: سمعت القاسم بن محمد يقول: كان الحجاج بن يوسف ينقض عرى الإسلام، وذكر حكاية وقال أبو بكر بن عياش عن عاصم: لم يبق لله حرمة إلا ارتكيبها الحجاج بن





يوسف (انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ٩: ص ١٥٧). وقال ابن حجر: أخرج الترمذي من طريق هشام بن حسان: أحصينا من قتله الحجاج صبراً فبلغ مائة وعشرين ألفاً، وقال زاذان كان مفلساً من دينه. وقال طاوس: عجت لمن يسميه مؤمناً، وكفره جماعة، منهم: سعيد بن جبير، والنخعي، ومجاهد، وعاصم بن أبي النجود، والشعبي، وغيرهم (انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٢: ص ١٨٥). وقال الذهبي: وكان الحجاج ظلوماً جباراً ناصباً خيثراً سفاكاً للدماء... قد سقت من سوء سيرته في تاريخي الكبير...، ورميه الكعبة بالمنجنيق، وإذلاله لأهل الحرمين، ثم ولايته على العراق والمشرق كله عشرين سنة... وتأخيره للصلوات إلى أن استأصله الله. فنسبه ولا نحه، بل نبغضه في الله. فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان (سير أعلام النبلاء ج ٤: ص ٣٤٣). وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء: لو لم يكن من مساوي عبد الملك إلا الحجاج وتولته إياه على المسلمين وعلى الصحابة يهينهم ويدلّهم قتلاً وضرباً وشتماً وحساً، وقد قتل من الصحابة وأكابر التابعين ما لا يحصى، فضلاً عن غيرهم، وختم عنق أنس وغيره من الصحابة ختماً يريد بذلك ذلهم، فلا رحمه الله ولا عفا عنه (تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص ٢٤١). وروى أبو داود في سننه بسنده عن الربيع بن خالد الضبي، قال: سمعت الحجاج يخطب فقال في خطبته: رسول أحدكم في حاجته أكرم عليه أم خليفته في أهله؟ فقلت في نفسي: لله عليّ ألا أصلي خلفك صلاة أبداً، وإن وجدت قوماً يجاهدونك لأجاهدك معهم، زاد إسحاق في حديثه: قال: فقاتل في الجماجم حتى قتل (انظر سنن أبي داود ج ٢: ص ٤٠٠). وأما سيرته مع الشيعة، فيكفي في نصبه ما أخرجه ابن عبد ربّه الأندلسي في كتابه العقد الفريد من تهديده ليحيى بن يعمر، في استخراج بنوّة الحسين عليه السلام لرسول الله ﷺ من القرآن أو يضرب عنقه (العقد الفريد ج ٢: ص ٤٨، وج ٥: ص ٢٨١). وكان الحجاج من المؤسسين والمشجعين والحائنين على شتم ولعن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهذا ما ذكره المسعودي عن رواية عبد الله بن هانئ - وهو أحد المقرّبين من الحجاج وكان وحش المنظر - بدأ بذكر مناقب قومه عند الحجاج بعدما اعتبره الحجاج من قوم ليس لهم منقبة، وكان الحجاج يؤيده بعد كلّ أمر يذكره عبد الله ويقول له: نعم! هذه منقبة،





حتى قال ابن هانئ: ما منّا رجل عرض عليه شتم أبي تراب ولعنه إلا فعل، وقال: وأزيدكم
ابنيه الحسن والحسين وأمهما فاطمة. فقال له الحجاج: وهذه والله منقبة (انظر مروج
الذهب للمسعودي ج ٣: ص ١٢٠). ولم يقف الحجاج في عداوته وتمادييه وحقده على أهل
البيت عليهم السلام إلى هذا الحد بل تجاوز لأكثر من ذلك، فقد نفى أن يكون الإمام الحسين عليه السلام
من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وكذب النبي صلى الله عليه وآله الذي يقول: «الحسن والحسين ريحانتي
وسبطاي»؛ روى شريك، عن عبد الملك بن عمير. ورواه صالح بن موسى الطلحي، عن
عاصم بن بهدلة أنهم ذكروا الحسين (رضي الله عنه)، فقال الحجاج: لم يكن من ذرية
النبي صلى الله عليه وآله، فقال يحيى بن يعمر: كذبت أيها الأمير، فقال: لتأنيني على ما قلت بيّنة من
كتاب الله، أو لأقتلنك. فقال قوله تعالى: ﴿وَمَنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ﴾ إلى
قوله ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى﴾ (سورة الأنعام: ٨٤-٨٥)، فأخبر الله تعالى أن عيسى
من ذرية آدم بأمه، قال: صدقت، فما حملك على تكذبي في مجلسي، قال: ما أخذ الله
على الأنبياء لتبينه للناس ولا تكتُمونه. قال: فنفاه إلى خراسان (انظر تاريخ الإسلام
للذهبي ج ٦: ص ٣١٩، والسنن الكبرى للبيهقي ج ٦: ص ١٦٦). وقال المدائني كما في شرح
نهج البلاغة لابن أبي الحديد: وولي عبد الملك بن مروان فاشتد على الشيعة،
وولي عليهم الحجاج بن يوسف، فتقرّب الناس إليه ببغض علي عليه السلام وموالاة أعدائه ومولاة
من يدعي قوم من الناس أنهم أيضاً أعداؤه، فأكثرُوا في الرواية في فضلهم وسوابقهم
ومناقبهم، وأكثرُوا من الغضب من علي عليه السلام وعييه والطعن فيه والشتان له، حتى إن إنساناً
وقف للحجاج، ويقال إنه جد الأصمعي عبد الملك بن قريش، فصاح به: أيها الأمير إن
أهلي عقّوني فسمّوني عليّاً، وإني فقير بائس، وأنا إلى صلة الأمير محتاج، فتضاحك له
الحجاج، وقال: للطف ما توّسّلت به، قد وليتك موضع كذا (انظر شرح نهج البلاغة لابن
أبي الحديد ج ٣: ص ١٧). فماذا يذكر الإنسان عن الحجاج وأعماله؟! فلقد سوّد
صحائف من التاريخ لا تُنسى عمر الدهر، ونربأ بأقلامنا عن ذكرها. وكيف ننشر
تلك الفضائح على صحائف بيض تريد الفضيلة بما ترويه وتسطره؟ ولو
كانت أعماله القاسية مجهولة ولو لبعض الناس لتركنا ذكره ترك الكلاب والخنازير. قال





المسعودي: وكان عدّة من قتله الحجاج صبراً سوى من قتل في زحوفه مائة ألف وعشرين ألفاً، منهم سعيد بن جبير صاحب عبد الله بن العباس، وكميل بن زياد النخعي من بني صهبان صاحب علي بن أبي طالب عليه السلام، وتوفي وفي محبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة، وكان حبسه حائراً لا شيء فيه يكنهم فيه من حرّ ولا برد، ويسقون الماء مشوباً بالرماد (انظر التنبيه والإشراف: ص ٢٧٤). وقال الشيخ المفيد رحمته الله في الإرشاد: أنّ ما رواه أصحاب السيرة من طرق مختلفة: أنّ الحجاج بن يوسف الثقفي قال ذات يوم: أحبّ أن أصيب رجلاً من أصحاب أبي تراب فأقترب إلى الله بدمه!! فقيل له: ما نعلم أحداً كان أطول صحبة لأبي تراب من قبر مولاه، فبعث في طلبه فأتي به فقال له: أنت قبر؟ قال: نعم، قال: أبو همدان؟ قال: نعم، قال: مولى علي بن أبي طالب؟ قال: الله مولاي، وأمير المؤمنين علي ولي نعمتي، قال: أبرأ من دينه، قال: فإذا برئت من دينه تدلني على دين غيره أفضل منه؟ فقال: إنّني قاتلك فاختر أي قتلة أحبّ إليك؟ قال: قد صيرت ذلك إليك، قال: ولم؟ قال: لأنك لا تقتلني قتلة إلا قتلتك مثلها، ولقد خبرني أمير المؤمنين عليه السلام أنّ منيتي تكون ذبحاً ظلماً بغير حقّ، قال: فأمر به فذبح (الإرشاد للشيخ المفيد رحمته الله ج ١: ص ٣٢٨). وروى الفتال النيسابوري مناظرة سعيد بن جبير مع الحجاج عندما قبض عليه وأدخل على الحجاج بن يوسف الثقفي ليقتله. فقال له الحجاج: ما اسمك؟ قال سعيد: سعيد بن جبير. قال الحجاج: بل أنت شقي بن كسير. قال سعيد: بل أنا سعيد بن جبير. قال الحجاج: بل أنت شقي بن كسير. سعيد: أمي كانت أعلم باسمي منك. قال الحجاج: والله لأقتلنك. قال سعيد: إنّني إذن لسعيد كما سمّنتي أمي. قال الحجاج: شقيت أنت، وشقيت أمك. قال سعيد: الغيب يعلمه غيرك. قال الحجاج: لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظى. قال سعيد: لو علمت أنّ ذلك بيدك لاتخذتك إلهاً. قال الحجاج: فما قولك في محمد؟ قال سعيد: نبي الرحمة، وإمام الهدى، خير من بقى وخير من مضى. قال الحجاج: فما قولك في علي بن أبي طالب؟ قال سعيد: ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وأوّل من أسلم وزوج فاطمة عليها السلام وأبو الحسن والحسين عليهما السلام. قال الحجاج: أهو في الجنة أم في النار؟ قال سعيد: لو دخلتها، فرأيت أهلها لعرفت. قال الحجاج: فما قولك في الخلفاء؟ قال سعيد: لست عليهم بوكيل.





قال الحجاج: فأيهم أعجب إليك؟ قال سعيد: أرضاهم لخالقي. قال الحجاج: فأيهم أرضي للخالق؟ قال سعيد: علم ذلك عند ربّي يعلم سرّهم ونجواهم. قال الحجاج: أبيت أن تصدّقني. قال سعيد: إنّي لم أحب أن أكذبك. قال الحجاج: فما تقول في معاوية؟ قال سعيد: شغلني نفسي عن تصريح هذه الأمة وتمييز أعمالها. قال الحجاج: فما تقول في؟ قال سعيد: أنت أعلم بنفسك. قال الحجاج: بت بعلمك. قال سعيد: إذن يسؤك ولا يسرك. قال الحجاج: بت بعلمك. قال سعيد: اعفني. قال الحجاج: لا عفا الله عني إن عفوتك. قال سعيد: إنّي لأعلم أنّك مخالف لكتاب الله تعالى، ترى لنفسك أموراً تريد بها الهيبة وهي تقحمك الهلكة وسترد غداً فتعلم. قال الحجاج: أنا أحبّ إلى الله منك. قال سعيد: لا يقدم أحد على ربّه حتّى يعرف منزلته منه، والله بالغيب أعلم. قال الحجاج: كيف لا أقدم علي ربّي في مقامي هذا وأنا مع إمام الجماعة وانت مع إمام الفرقة والفتنة! قال سعيد: ما أنا بخارج عن الجماعة، ولا أنا براض عن الفتنة... قال الحجاج: والله لأقتلنك قتلة لم أقتلها أحداً قبلك، ولا أقتلها أحداً بعدك. قال سعيد: إذن تفسد عليّ دنياي وأفسد عليك آخرتك. قال الحجاج: فما بالك لم تضحك؟ قال سعيد: وكيف يضحك مخلوق خلق من طين والطين تأكله النار؟! قال الحجاج: فما بالنّا نضحك؟ قال سعيد: لم تستو القلوب. قال الحجاج: كيف ترى ما نجمع لأمر المؤمنين؟ قال سعيد: لم أر. ثمّ أمر الحجاج بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ فوضعت بين يدي سعيد. قال سعيد: إن كنت جمعت هذا لتفتدي به من فزع يوم القيامة فصالح والآففزعة واحدة تذهل كلّ مرضعة عمّا أرضعت، ولا خير في شيء جمع للدنيا إلّا ما طاب وزكا. قال الحجاج: ويلك يا سعيد. قال سعيد: الويل لمن زحزح عن الجنّة وأدخل النار. قال الحجاج: فاختر أيّ قتلة أقتلك؟ قال سعيد: اختر لنفسك - يا حجاج - فوالله، ما تقتلني قتلة إلّا أقتلك الله مثلها في الآخرة. قال الحجاج: أفتريد أن أعفو عنك؟ قال سعيد: إن كان العفو فمن الله، وأمّا أنت فلا براءة لك ولا عذر. قال الحجاج: اذهبوا به فاقتلوه. قال: فلمّا خرج من الباب ضحك. فأخبر الحجاج بذلك فأمر برده وقال: ما أضحكك؟! قال سعيد: عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عنك. فأمر الحجاج بالنطع فبسط، فقال: اقتلوه. قال سعيد: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ





السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿سورة الأنعام: ٧٩﴾. قال الحجاج: شدوا به لغير القبلة! قال سعيد: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (سورة البقرة: ١١٥). قال الحجاج: كبّوه على وجهه. قال سعيد: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ (سورة طه: ٥٥). قال الحجاج: اذبحوه. قال سعيد: أما أني أشهد وأحاج أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله. خذها مني حتى تلقاني يوم القيامة. ثم دعا سعيد الله فقال: اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي، فذبح على النطح رحمه الله. ولم يعيش الحجاج بعده طويلاً، وظلّ ينادي فيها: "مالي ولسعيد بن جبير! كلما أردت النوم أخذ برجلي (انظر روضة الواعظين: ص ٢٩٠)، ورواه باختصار ابن عبد البر في التمهيد ج ١٠: ص ٦، والذهبي في تذكرة الحفاظ ج ١: ص ٧٦، والبلاذري في أنساب الأشراف ج ٧: ص ٣٦٩، والمسعودي في مروج الذهب ج ٣: ص ١٦٤ وغيرهم. ولم يكتف الحجاج بن يوسف الثقفي (لعنه الله) تعالى في نصب العداء والبغض والظلم لشيعته ومحبي الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وتتبعهم وقتلهم وسفك دمائهم، كقتله لسعيد بن جبير، بل وصلت به الجراءة للتجاوز والتعدي على قدسيّة قبر رسول الله محمد ﷺ ومنبره الشريف. كما نقل ذلك ابن عبد ربّه الأندلسي فقال: ومما كفّرت به العلماء الحجاج، قوله ورأى الناس يطوفون بقبر رسول الله ﷺ ومنبره؛ إنّما يطوفون بأعواد ورمّ (انظر العقد الفريد لابن عبد ربّه ج ٥: ص ٣١٠). كما اعتبر الحجاج أن أي خليفة أموي هو أعلى مكانة من الملائكة والأنبياء والرسول الأكرم محمد ﷺ (انظر أنساب الأشراف للبلاذري ج ٦: ص ٤٨١). وكان يرى بأن طاعته - أي طاعة الخليفة الأموي - أولى من طاعة الله (انظر كتاب الحيوان للجاحظ ج ٣: ص ١٥-١٦). وعاش الحجاج بعد مقتل سعيد خمس عشرة ليلة، ووقعت الأكلة في بطنه، فدعا بالطبيب لينظر إليه، فنظر إليه، ثم دعا بلحم متن، فعلقه في خيط ثم أرسله في حلقة فتركه ساعة ثم استخرجه ويد لرق به من الدم، فعلم أنّه ليس بناج. وبلغنا أنّه كان ينادي بقيّة حياته: مالي ولسعيد بن جبير، كلّما أردت النوم أخذ برجلي (انظر تهذيب الكمال للمزي ج ١٠: ص ٣٧٣). وكان هلاكه في سنة خمس وتسعين لحق الحجاج الثقفي بدركات الجحيم



بل هو مسرف في قتل وحبس من لم يستحق العقوبة والحبس^(١)،



ودفن في بلدة واسط، وهي من مبانيه. وقد عفيت آثار مقبرته الملعونة وأجري عليها الماء، واتّصلت بها إلى يوم القيامة لعائن أهل الأرض والسماء (انظر تَمّة المنتهى: ص ١١٥).

(١) لا يخفى على من درس التاريخ ولو على نحو الإجمال أنّ الحجاج بن يوسف الثقفي كان سفاكاً ومتعطشاً لإسالة دماء الأبرياء دوماً وخصوصاً دماء الموالين لمولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام حيث كان ناصياً وحاقداً على أهل البيت عليهم السلام نتطرق إلى بعض النقاط القليلة التي سجّلها التاريخ من إجرامه ونعرضها على القراء ليعرفوا إرهاب ودموية هذا الرجل الموالي لبني أمية (لعنهم الله تعالى)، ومن جرائمه هي: قال الدميري: كان الحجاج لا يصبر عن سفك الدماء، وارتكاب أمور لا يقدر عليها غيره (انظر حياة الحيوان ج ١: ص ١٦٧). وقد أحصى المؤرخون عدد ما قتلهم الحجاج الثقفي ظلماً صبراً، سوى من قتل في حروبه، فكانوا مائة وعشرين ألفاً (انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٢: ص ٢١١)، وقيل: مائة وثلاثون ألفاً (انظر حياة الحيوان للدميري ج ١: ص ١٧١). وقد اعترف رسمياً بسفكه للدماء بغير حق، فقد قال: "والله ما أعلم اليوم رجلاً على ظهر الأرض هو أجراً على دم مني" (انظر الطبقات لابن سعد ج ٦: ص ٦٦). وروى ابن كثير بسنده عن الصلت بن دينار سمعت الحجاج على منبر واسط يقول: عبد الله بن مسعود رأس المنافقين، لو أدركته لأسقيت الأرض من دمه. قال: وسمعتة على منبر واسط وتلا هذه الآية ﴿وَهَبْ لِي مَلِكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ (سورة ص: ٣٥). قال: والله إن كان سليمان لحسوداً. وهذه جراءة عظيمة تفضي به إلى الكفر، قبحه الله وأخزاه، وأبعده وأقصاه (البداية والنهاية ج ٩: ص ١٤٩). وقال الدميري: اتخذ الحجاج الثقفي سجوناً لا تقي من حرّ ولا برد، يقول المؤرخون: مات في حبسه خمسون ألف رجل، وثلاثون ألف امرأة، منهنّ ستّة عشر ألفاً مجرّرات، وكان يحبس الرجال والنساء في موضع واحد (انظر حياة الحيوان ج ١: ص ١٧٠). وأحصي في محبسه ثلاث وثلاثون ألف





سجّين لم يحبسوا في دّين ولا تبعة (انظر معجم البلدان لياقوت الحموي ج ٥: ص ٣٤٩). وكان يقول لأهل السجن: اخسأوا فيها ولا تكلمون (انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٢: ص ٢١٢)، تشبيهاً لهم بأهل النار، وتشبيهاً لنفسه بالخالق تعالى، عتوّاً وتكبراً منه. وقد وضع سيفه في رقاب القراء والعبّاد لأنهم أيّدوا ثورة ابن الأشعث، وكان من جملة من قتلهم صبراً سعيد بن جبير أحد أبرز علماء الكوفة وزهادها، ولمّا بلغ الحسن البصري نبأ قتله قال: والله لقد مات سعيد بن جبير يوم مات وأهل الأرض من مشرقها الى مغربها محتاجون لعلمه (انظر حياة الحيوان ج ١: ص ١٧١). وعلى أيّ حال فقد أصبح أتباع أهل البيت (عليه السلام) في عهد هذا الجلّاد طعمة للسيوف والرماح، إذ نكّل بهم وقتلهم ولاحقهم تحت كلّ حجر ومدر وأودع الكثيرين منهم السجون، وأثار جوّاً من الإرهاب، لم نشهد له مثيلاً حتّى في أيّام الطاغية زياد بن أبيه وابنه عبيد الله. وامتّحت الكوفة في أيّام هذا الجبار كأشدّ ما تكون المحنة، فقد أخذ يقتل على الظّنة والتهمة، وخطب في الكوفة خطاباً قاسياً، لم يحمد الله فيه، ولم يثن عليه، ولم يصلّ على النبي (صلى الله عليه وآله) وكان من جملة ما قال فيه: يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق والمراق ومساوئ الأخلاق، إنّ أمير المؤمنين - يعني عبد الملك - قتل كنانته فجمعها عوداً عوداً، فوجدني من أمرها عوداً، وأصعبها كسراً، فرماكم بي، وأنّه قلّديني عليكم سوطاً وسيفاً، فسقط السوط وبقي السيف (تاريخ اليعقوبي ج ٢: ص ٢٧٣). ثمّ قال: إنّني والله لأرى أبصاراً طامحة، وأعناقاً متطاوله، ورؤوساً قد أينعت، وحن قطافها، وإنّي أنا صاحبها كأني أنظر إلى الدماء تفرق بين العمائم واللحي (انظر مروج الذهب للمسعودي ج ٣: ص ٦٨). وحكم جماعة من أعلام المسلمين بكفره وإلحاده، منهم سعيد بن جبير النخعي، ومجاهد، وعاصم بن أبي النجود، والشعبي وغيرهم (انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٢: ص ٢١١). وقال ابن عماد الحنبلي عنه: سنة خمس وتسعين فيها أراح الله العباد والبلاد بموت الحجاج بن يوسف الثقفي في ليلة مباركة على الأمانة... كان لا يصبر عن سفك الدماء، وإنّه أكبر لذّاته وله مقحّمات عظام (انظر شذرات الذهب ج ١: ص ١٠٦). ولمّا أراد الحجّ ولى على العراق شخصاً اسمه محمّد، وقد خطب بين الناس فقال لهم: إنّني قد استعملت عليكم محمّداً،



٦٠٦..... منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨
وهذه جراته في الظلم. وقد ركن عمد من تسمى بأهل السنة إليه في الصلاة
خلفه، بل صلى خلفه جماعة من الصحابة على ما يأتي نقل السني لذلك
عنهم^(١).



وقد أوصيته فيكم خلاف وصية رسول الله ﷺ بالأنصار، فإنه قد أوصى أن يقبل من
محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم، وقد أوصيته أن لا يقبل من محسنكم، ولا يتجاوز عن
مسيئكم... (انظر مرج الذهب للمسعودي ج ٣: ص ٨٦). وإلى غير ذلك مما ورد في قدحه.
(١) وتوضيح المقام أن من الأمور الضرورية عند جميع المسلمين أن من تسمى بأهل السنة
وجميع أتباع السقيفة يصلون خلف كل فاسق وفاجر، ويأتون بالحكام الظلمة، استناداً
إلى الأحاديث الكثيرة الدالة على أن الصحابة كانوا يصلون خلف الظلمة كالحجاج
وأمثاله، فقد روى البخاري في صحيحه أن ابن عمر صلى خلف الحجاج بن يوسف
الثقفي... (انظر صحيح البخاري ج ٢: ص ١٧٥ كتاب الحج، باب قصر الخطبة بعرفة).
وكان العمل بهذا الخبر عندهم من المسلمات بحيث أفتى جميع علمائهم بجواز الصلاة
خلف الإمام الفاجر استناداً بما فعله ابن عمر، قال الشرييني في مغني المحتاج: (والعدل
أولى) بالإمامة (من الفاسق)... وإنما صحّت لما رواه الشيخان أن ابن عمر كان يصلي
خلف الحجاج، قال الإمام الشافعي: وكفى به فاسقاً، والمبتدع الذي لا يكفر ببدعته
كالفاسق بل أولى، لأن اعتقاد المبتدع لا يفارقه بخلاف الفاسق... (مغني المحتاج ج ١:
ص ٢٤٢). وقال الدماطي في كتابه إعانة الطالبين: وإنما صحّت الصلاة خلفهما لما روى
الشيخان: أن ابن عمر كان يصلي خلف الحجاج. قال الشافعي: وكفى به فاسقاً... (إعانة
الطالب ج ٢: ص ٥٦). وقال ابن نجيم المصري في كتابه البحر الرائق: قوله: "وكره الإمامة
العبد والأعرابي والفاسق والمبتدع والأعمى وولد الزنا" بيان للشئين: الصحة والكراهة. أما
الصحة فمبنية على وجود الأهلية للصلاة مع أداء الأركان وهما موجودان من غير نقص
في الشرائط والأركان. ومن السنة حديث "صلّوا خلف كل برّ وفاجر". وفي صحيح
البخاري أن ابن عمر كان يصلي خلف الحجاج وكفى به فاسقاً كما قاله الشافعي. وقال





المصنف: إنه أفسق أهل زمانه. وقال الحسن البصري: لو جاءت كل أمة بخبيثاتها وجئنا بأبي محمد لغلبناهم (البحر الرائق ج ١: ص ٦١٠). وقال الشافعي الصغير في نهاية المحتاج: وإنما صحّت الصلاة خلف الفاسق لخبر الشيخين أنّ ابن عمر كان يصلّي خلف الحجّاج، قال الإمام الشافعي: وكفى به فاسقاً، وتكره خلفه وخلف مبتدع لا يكفر ببدعته، وإمامة من يكرهه أكثر القوم لمذموم فيه شرعاً، ويحرم على الإمام كما قاله الماوردي نصب الفاسق إماماً في الصلوات... (نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ج ٢: ص ١٨٠). وقال الشيخ سيّد سابق: كراهة إمامة الفاسق والمبتدع: روى البخاري: إنّ ابن عمر كان يصلّي خلف الحجّاج. وروى مسلم أنّ أبا سعيد الخدري صلّى خلف مروان صلاة العيد، وصلّى ابن مسعود خلف الوليد ابن عقبة ابن أبي معيط - وقد كان يشرب الخمر، وصلّى بهم يوماً الصبح أربعاً وجلده عثمان بن عفّان على ذلك - وكان الصحابة والتابعون يصلّون خلف ابن عبيد، وكان متّهماً بالإلحاد وداعياً إلى الضلال، والأصل الذي ذهب إليه العلماء أنّ كلّ من صحّت صلاته لنفسه صحّت صلاته لغيره، ولكنّهم مع ذلك كرهوا الصلاة خلف الفاسق والمبتدع، لما رواه أبو داود وابن حبان وسكت عنه أبو داود والمنذري عن السائب بن خلاد: أنّ رجلاً أمّ قوماً فبصق في القبلة (انظر فقه السنّة ج ١: ص ٢٣٨). وقال النووي: قال المصنف: "وتجوز الصلاة خلف الفاسق لقوله ﷺ صلّوا خلف من قال لا إله إلا الله وعلى من قال لا إله إلا الله، ولأنّ ابن عمر صلّى خلف الحجّاج مع فسقه..." أمّا صلاة بن عمر خلف الحجّاج بن يوسف فتأبته في صحيح البخاري وغيره وفي الصحيح أحاديث كثيرة تدلّ على صحّة الصلاة وراء الفاسق والأئمة الجائرين. قال أصحابنا: الصلاة وراء الفاسق صحيحة ليست محرّمة لكنّها مكروهة وكذا تكره وراءه المبتدع الذي لا يكفر ببدعته وتصحّ، فإنّ كفر ببدعته فقد قدمنا أنّه لا تصحّ الصلاة وراءه كسائر الكفّار ونصّ الشافعي في المختصر على كراهة الصلاة خلف الفاسق والمبتدع فإن فعلها صحّت... (المجموع للنووي ج ٤: ص ٢٥٣). وقال الشوكاني في نيل الأوطار: قد ثبت إجماع أهل العصر الأوّل من بقية الصحابة ومن معهم من التابعين إجماعاً فعلياً، ولا يبعد أن يكون قولياً على الصلاة خلف الجائرين، لأنّ الأمراء في تلك الأعصار كانوا أئمة





الصلوات الخمس، فكان الناس لا يؤمهم إلا أمراؤهم في كل بلدة فيها أمير، وكانت الدولة إذ ذاك لبني أمية، وحالهم وحال أمرائهم لا يخفى. وقد أخرج البخاري عن ابن عمر أنه كان يصلي خلف الحجاج ابن يوسف. وأخرج مسلم وأهل السنن أن أبا سعيد الخدري صلى خلف مروان صلاة العيد في قصة تقديمه الخطبة على الصلاة (نيل الأوطار ج ٣: ص ٢٠٠). وقال المناوي: "وصل خلف كل إمام ولو فاسقاً، ومن ثم كان ابن عمر يصلي خلف الحجاج قال الشافعي: وكفى به فاسقاً... (انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير ج ١: ص ٦٨٦). وقال ابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية: الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة وعلى من مات منهم (شرحه) قال ﷺ: صلوا خلف كل بر وفاجر، رواه مكحول عن أبي هريرة وأخرجه الدارقطني... وقد احتج به مسلم في صحيحه وخرج له الدارقطني أيضاً وأبو داود عن مكحول عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: الصلاة واجبة عليكم مع كل مسلم برأ كان أو فاجراً، وإن عمل بالكبائر والجهاد واجب عليكم مع كل أمير برأ كان أو فاجراً وإن عمل الكبائر وفي صحيح البخاري أن عبد الله بن عمر كان يصلي خلف الحجاج بن يوسف الثقفي وكذا أنس بن مالك وكان الحجاج فاسقاً ظالماً وفي صحيحه أيضاً أن النبي ﷺ قال: يصلون لكم فإن أصابوا فلكم ولهم وأن أخطأوا فلكم وعليهم. وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: صلوا خلف من قال لا إله إلا الله وصلوا على من مات من أهل لا إله إلا الله. أخرجه الدارقطني من طرق وضعفها، اعلم رحمك الله وإيانا أنه يجوز للرجل أن يصلي خلف من لم يعلم منه بدعو ولا فسقاً باتفاق الأئمة وليس من شرط الائتمام أن يعلم المأموم اعتقاد إمامه ولا أن يمتحنه فيقول ماذا تعتقد، بل يصلي خلف المستور الحال ولو صلى خلف مبتدع يدعوا إلى بدعته أو فاسق ظاهر الفسق وهو الإمام الراتب الذي لا يمكنه الصلاة إلا خلفه كإمام الجمعة والعديد والإمام في صلاة الحج بعرفة ونحو ذلك، فإن المأموم يصلي خلفه عند عامة السلف والخلف ومن ترك الجمعة والجماعة خلف الإمام الفاجر فهو مبتدع عند أكثر العلماء والصحيح أنه يصلّيها ولا يعيدها، فإن الصحابة كانوا يصلون الجمعة والجماعة خلف الأئمة الفجار ولا يعيدون كما كان عبد الله بن عمر



منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨ ٦٠٩

وليت شعري فأَي خبر نسب إلى المختار فبان فريته، وبأَي طريق ثبت ما نسبوه إليه من دعوى النبوة ونزول جبرئيل ﷺ عليه؟^(١)



يصلِّي خلف الحجاج بن يوسف، وكذلك أنس كما تقدّم وكذلك عبد الله بن مسعود وغيره يصلُّون خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط وكان يشرب الخمر حتَّى إنّه صلَّى بهم الصبح مرّة أربعاً، ثمّ قال أزيدكم، فقال له ابن مسعود: ما زلنا معك منذ اليوم في زيادة. وفي الصحيح أنّ عثمان بن عفّان لما حصر صلَّى بالناس شخص، فسأل سائل عثمان: إنك إمام عامّة وهذا الذي صلَّى بالناس إمام فتنة، فقال: يا ابن أخي إنّ الصلاة من أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسنوا فأحسن معهم وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم... (انظر شرح عقيدة الطحاوية: ص ٤٢١). وإلى غير ذلك من أقوالهم وفتواهم الدالّة على جواز الصلاة خلف الفاسق استناداً بحديث البخاري ومسلم. ويعتبرونها سنّة، وأيّ السنّة؟! فإنّ من أعظم الركون إلى الظلمة الانتماء بالظالم في الصلاة التي هي عمود الدين؟! وأيضاً الفاسق الذي أوجب الثبّت عند إخباره فكيف يجوز الصلاة خلفه؟! وحيث لم يجدوا بدءاً من ذلك لما فعله الصحابة فنسبوا إلى النبي ﷺ لما روى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: الصلاة واجبة عليكم مع كلّ مسلم برّاً كان أو فاجراً وإن عمل بالكبائر (سنن الدارقطني ج ٢: ص ٤٣). وروى ابن أبي شيبة بسنده عن مغيرة قال: صبحنا رجل من أهل اليمامة فحدّثنا أنّه رأى ابن عمر صلَّى خلف ابن الزبير بمنى ركعتين، قال: ورأيت صلَّى خلف الحجاج أربعاً (المصنف لابن أبي شيبة ج ٤: ص ٣٤٠). وقال الألباني في كتابه إرواء الغليل: حديث ابن عمر كان يصلِّي خلف الحجاج صحيح. قال الحافظ في التلخيص (انظر إرواء الغليل ج ٢: ص ٣٠٣). وإلى غير ذلك من الأحاديث وأقوال وإذا أردنا أن نذكر جميعها لطال بنا المقام. وعليه فإذا كانت هذه أدلّة من تسمّى بأهل السنّة في الاقتداء بالظلمة كيف يهجمون على المختار وينسبون إليه ما يليق بأمرائهم ويحكمون عليه بالإثم والعدوان!!

(١) وتوضيح المقام أنّ ما نسبته ابن تيمية وأتباع السقيفة إلى المختار بن عبيدة الثقفي ادّعاء





باطل، وعلى فرض وجود بعض الروايات السنية، لا يصح الاحتجاج بها على الشيعة الإمامية، أولاً: لعدم كونها حجة على الشيعة، وثانياً: لكونها ضعيفة من حيث السند والدلالة حتى عند أهل السنة، ولا ندري كيف جاز لابن تيمية أن يحتج على الشيعة بما لا يكون حجة عليهم. ولقد أجاب علماء الشيعة الإمامية عن هذه الأخبار، بأنها غير قابلة للاستناد، إذ يحتمل أن يكون منشأ هذه الاتهامات والنسب الباطلة التي ألصقوها إلى المختار وجود بعض الروايات التي وردت في أصحاب السر لمؤلانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كميثم التمار الذي كان من خواص أصحاب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وصاحب أسرارهِ وما لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان. فقد روى أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي في "الغارات" عن أحمد بن الحسن الميثمي، قال: كان ميثم التمار مولى علي عليه السلام عبداً لامرأة من بني أسد، فاشتراه علي عليه السلام وأعتقه، وقال له: «ما اسمك؟» قال: سالم، فقال: «إن رسول الله ﷺ أخبرني أن اسمك الذي سمّاك به أبوك في العجم ميثم»، فقال: صدق الله ورسوله، وصدقت يا أمير المؤمنين، فهو والله اسمي، قال: «فارجع إلى اسمك ودع سالماً، فنحن نكنيك به»، فكنّاه أبا سالم. ثم قال: وقد كان أطلع علي عليه السلام على علم كثير وأسرار خفية من أسرار الوصية، فكان ميثم يحدث ببعض ذلك، فيشك فيه قوم من أهل الكوفة وينسبون علياً عليه السلام في ذلك إلى المخرفة والإيهام والتدليس حتى قال له يوماً بمحضر من خلق كثير من أصحابه وفيهم الشاك والمخلص: «يا ميثم، إنك تؤخذ بعدي وتصلب، فإذا كان اليوم الثاني ابتدر منخراك وفمك دماً حتى يخضب لحيتك، فإذا كان اليوم الثالث طعنت بحربة تقضي عليك، فانتظر ذلك، والموضع الذي تصلب فيه على باب دار عمرو بن حريث، إنك لعاشر عشرة أنت أقصرهم خشبة، وأقربهم من المطهرة - يعني الأرض - ولأرنبك النخلة التي تصلب على جذعها»، ثم أراه إيّاها بعد ذلك بيومين، وكان ميثم التمار يأتيها فيصلّي عندها ويقول: بورك من نخلة لك خلقت ولي نبت، فلم يزل يتعاهدها بعد قتل علي حتى قطعت، فكان يرصد جذعها ويتعاهده ويتردّد إليه ويبصره، وكان يلقي عمرو بن حريث فيقول له: إنني مجاورك فأحسن جوارِي، فلا يعلم عمرو ما





يريد، فيقول له: أتريد أن تشتري دار ابن مسعود أم دار ابن حكيم؟ قال: وحج في السنة التي قتل فيها، فدخل على أم سلمة فقالت له: من أنت؟ قال: عراقي، فاستنسبته فذكر لها أنه مولى علي بن أبي طالب عليه السلام، فقالت: أنت ميثم؟ قال: بلى أنا ميثم، فقالت: سبحان الله، والله لربما سمعت رسول الله ﷺ يوصي بك علياً في جوف الليل، فسألها عن الحسين بن علي عليه السلام، فقالت: هو في حائط له. قال: أخبريه أنني قد أحببت السلام عليه، ونحن ملتقون عند رب العالمين إن شاء الله، ولا أقدر اليوم على لقائه وأريد الرجوع، فدعت بطيب فطيب لحيته، فقال لها: أما إنها ستخضب بدم، فقالت: من أنباك هذا؟ قال: أنبأني سيدي، فبكت أم سلمة وقالت له: إنه ليس بسيّدك وحدك، وهو سيدي وسيّد المسلمين، ثم ودّعته، فقدم الكوفة فأخذ وأدخل على عبيد الله بن زياد، وقيل له: هذا كان من آثار الناس عند أبي تراب، قال: ويحكم هذا الأعجمي؟ قالوا: نعم، فقال له عبيد الله: أين ربك؟ قال: بالمرصاد لكل ظالم وأنت أحد الظلمة، قال: قد بلغني اختصاص أبي تراب لك؟ قال: قد كان بعض ذلك، فما تريد؟ قال: وإنه ليقال: إنه قد أخبرك بما سيلقاك؟ قال: نعم إنه أخبرني، قال: ما الذي أخبرك أنني صانع بك؟ قال: أخبرني أنك تصلبني عاشر عشرة وأنا أقصرهم خشبة، وأقربهم من المطهرة، قال: لأخالفته، قال: ويحك كيف تخالفه، إنما أخبر عن رسول الله ﷺ، وأخبر رسول الله عن جبرائيل، وأخبر جبرائيل عن الله، فكيف تخالف هؤلاء؟ أما والله لقد عرفت الموضع الذي أصلب فيه أين هو من الكوفة، وإنني لأول خلق الله ألجم في الإسلام بلجام كما تلجم الخيل، فحبسه وحبس معه المختار بن أبي عبيد الثقفي. فقال ميثم للمختار، وهما في حبس ابن زياد: إنك تغلت وتخرج نائراً بدم الحسين عليه السلام فتقتل هذا الجبار الذي نحن في حبسه، وتطأ بقدمك هذا على جبهته وخذيه، فلما دعا عبيد الله بن زياد بالمختار ليقتله طلع البريد بكتاب يزيد بن معاوية إلى عبيد الله بن زياد يأمره بتخليه سبيله، وذاك أن أخته كانت تحت عبد الله بن عمر بن الخطّاب، فسألت بعلمها أن يشفع فيه إلى يزيد، فشفع فأمضى شفاعته، وكتب بتخليه سبيل المختار على البريد، فوافى البريد وقد أخرج ليضرب عنقه فأطلق. وأمّا ميثم فأخرج بعده ليصلب، وقال عبيد الله: لأمضين حكم أبي تراب فيه، فلقيه رجل فقال له: ما



٦١٢..... منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨

وهم يروونه المفتريات عن جماعة من الصحابة في صحاحهم بعد علمهم بأنهم مفترون فيما يروونه^(١)،



كان أغناك عن هذا يا ميثم، فتبسّم وقال "و هو يؤمى إلى النخلة": لها خلقت ولي غديت، فلما رفع الخشبة، اجتمع الناس حوله على باب عمرو بن حريث، فقال عمرو: لقد كان يقول لي: إني مجاورك، فكان يأمر جاريته كلّ عشية أن تكنس تحت خشبته وترشه، وتجمر بالمجمر تحته، فجعل ميثم يحدث بفضائل بني هاشم ومخازي بني أمية وهو مصلوب على الخشبة، فقبل لابن زياد: قد فضحكم هذا العبد، فقال: أجموه، فألجم فكان أول خلق الله ألجم في الإسلام، فلما كان في اليوم الثاني فاضت منخراه وفمه دمًا، فلما كان في اليوم الثالث طعن بحربة "فكبر" فمات، وكان قتل ميثم قبل قدوم الحسين عليه السلام العراق بعشرة أيام (انظر الغارات ج ٢: ص ٧٩٧)، ورواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٢: ص ٢٩١، والقطب الدين الراوندي في الخرائج والجرائح ج ١: ص ٢٠٣، والعلامة المجلسي رحمته الله في البحار ج ٣٤: ص ٣٠٢، وغيرهم. فلعلّ هذا الخبر قد صدر من المختار وأخبر به الناس عن إعجاز مولانا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وصار ذلك سبباً لاّتهامه بأنّه يدّعي الأخبار الغيبية وأنّه صاحب الكرامة وعالم بالحوادث والمغيبات، وأضافوا عليها دعوى النبوة ونزول جبرئيل عليه السلام عليه. وإذا جاء الاحتمال بطل الاستدلال فجميع هذه النسب باطلة وافتراء عليه وكلّها مردودة، كما لا يخفى على الخبير، فلاحظ.

(١) لا يخفى على الباحث في الآثار والنصوص التي رواها علماء أهل السنة الروايات المكذوبة الواردة في غلوّ بعض الصحابة أو القصص الخرافية التي يرونها لأتباع السقيفة، فإنّها كثيرة، نقتصر هنا بذكر بعضها من باب المثال، فمنها: ما رواه إبراهيم العبيدي المالكي في كتابه عمدة التحقيق نقلاً عن كتاب العقائق والصفوري في نقلاً عن عيون المجالس قالوا: روي أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال يوماً لعائشة: إنّ الله تعالى لمّا خلق الشمس خلقها من لؤلؤة بيضاء بقدر الدنيا مائة وأربعين مرّة وجعلها على عجلة، وخلق للعجلة ثمانمائة وستين عروة، وجعل في كلّ عروة سلسلة من الياقوت الأحمر، وأمر ستين ألفاً من





الملائكة المقربين أن يجروها بتلك السلاسل مع قوتهم التي اختصهم الله بها، والشمس مثل الفلك على تلك العجلة وهي تدور في القبة الخضراء، وتجلو جمالها على أهل الغبراء، وفي كل يوم تقف على خط الاستواء فوق الكعبة لأنها مركز الأرض وتقول: يا ملائكة ربي إنني لأستحي من الله عز وجل إذا وصلت إلى محاذاة الكعبة التي هي قبلة المؤمنين أن أجوز عليها، والملائكة تجر الشمس لتعبر على الكعبة بكل قوتها، فلا تقبل منهم وتعجز الملائكة عنها، فالله تعالى يوحى إلى الملائكة وحي إلهام فينادون: أيها الشمس بحرمة الرجل الذي اسمه منقوش على وجهك المنير إلا رجعت إلى ما كنت فيه من السير، فإذا سمعت ذلك تحرّكت بقدرة المالك، فقالت عائشة: يا رسول الله! من هو الرجل الذي اسمه منقوش عليها؟ قال: هو أبو يا عائشة قبل أن يخلق الله العالم علم بعلمه القديم أنه يخلق الهواء، ويخلق على الهواء هذه السماء، ويخلق بحراً من الماء، ويخلق عليه عجلة مركباً للشمس المشرقة على الدنيا، وإن الشمس تتمرد على الملائكة إذا وصلت إلى الاستواء، وإن الله تعالى قدر أن يخلق في آخر الزمان نبياً مفضلاً على الأنبياء وهو بعلك يا عائشة! على رغم الأعداء، ونقش على وجه الشمس اسم وزيره أعني أبا بكر المصطفى، فإذا أقسمت الملائكة عليها به زالت الشمس، وعادت إلى سيرها، بقدرة المولى، وكذلك إذا مرّ العاصي من أمّتي على نار جهنم وأرادت النار على المؤمن أن تهجم، فلحرمة محبة الله في قلبه ونقش اسمه على لسانه ترجع النار إلى ورائها هاربة، ولغيره طالبة (انظر كتاب نزهة المجالس ومنتخب النفائس للصفوري ج ٢: ص ١٨٤). وقد علّق عليه العلامة الأميني رحمته الله في كتابه الغدير ما هذا نص عبارته: إن ممّا يغمرني في الحيرة أن هذه لعجلة، لم لم يكشف عنها علماء الهيئة قديماً وحديثاً، مع توفر أدوات الكشف ومحصلاته لأهل الهيئة الجديدة خاصّة؟ وأنهم لماذا استقرّت آرائهم بعد تقدّم العلم واستفحال أمره وكثرة اكتشافاته على دوران الأرض على الشمس؟ وتعلمنا الرواية عن أنّ البخار لم يكن مستخدماً عند إنشاء تلك العجلة فيمدّها الله سبحانه به حتّى لا يشعر بإرادة مريد، ولا حياء من يستحي، فيمضي بالعجلة ويوصله في أسرع وقت إلى حيث شيء لها قدماً، ولكن العجب أنّ الله سبحانه لم لم يستبدل بالبخار عن الملائكة بعد





اكتشافه فيطلق صراح أولئك الآلاف المؤلفة المقيدة بسلاسل بلاء العجلة، ويعتقهم عن مكابدة تمرّد الشمس في كلّ يوم؟ وهناك مسألة لا أدري من المجيب عنها وهي: إنّ إرادة الله سبحانه الفائقة على كلّ قوّة جامحة وهي تمسك السماء بغير عمد ترونها، وتسير الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب، صنع الله الذي أتقن كلّ شيء، لم لم تقم مقام أولئك المسخرين لجرّ الشمس حتّى لا يوقفها تمرّد، ولا تحتاج إلى عرى وسلاسل، أو الأقسام بمن كتب اسمه عليها؟ وما الذي أحوج المولى سبحانه في تسيير الشمس إلى هذه الأدوات من العجلة والعرى والسلاسل، وخلق أولئك الجمّ الغفير من الملائكة واستخدامهم بالجرّ الثقيل، وهو الذي إذا أراد شيئاً أن يكون يقول له: كن. فيكون؟ ثم إنّ الشمس هلاً كانت تعلم أنّ إرادة الله سبحانه ماضية عليها بجريها إلى الغاية المقصودة؟ فما هذا التوقّف والتمرّد؟ والله تعالى أعلم بعظمة الكعبة وشرفها منها، وقد جعلها في خطّة سيرها. أنّى للشمس أن تجهل بها؟ وهي هي الشاعرة بخطّ الاستواء، ومحاذة الكعبة ووصولها إلى تلك النقطة المقدّسة، وهي العارفة بمقامات الصديق، وإنّ اسمه منقوش عليها، وإنّ من واجبها أن تنقاد لا تجمع على من أقسم به عليها. ومن عويصات لا تنحل: تجديد الشمس تمردها كلّ يوم ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (سورة يس: ٣٨). ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (سورة يس: ٤٠). وأعوص من ذلك: إنشاد الملائكة إياها في كلّ نهار بتلك الأنشودة الضخمة ووحى الله إليهم بها طيلة عمر الدنيا، هكذا تشوّه رواة السوء سمعة السنّة الشريفة، وهي مقدّسة عن هذه الأوهام الخرافيّة وأنّ هذه كلّها من جراء الغلوّ الممقوت في الفضائل، ولو كان مختلق هذه المرسلّة المقطوعة عن الاسناد يعلم ما ذكرناه من الفضايح المترتبة على افتعالها لما اقتحم هذا الاقتحام المزري (انظر الغدير ج ٧: ص ٢٣٨). ومنها: ما رواه أيضاً من أنّ النبي ﷺ دفع خاتمه إلى أبي بكر وقال: اكتب عليه: لا إله إلا الله، فدفعه أبو بكر إلى النقاش وقال: اكتب عليه: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله. فكتب عليه. فلمّا جاء به أبو بكر إلى النبي ﷺ وجد عليه لا إله إلا الله محمّد، رسول الله، أبو بكر الصديق. فقال: ما هذه الزيادة يا أبا بكر؟ فقال: ما





رضيت أن أفرّق اسمك عن اسم الله، وأما الباقي فما قلته، فنزل جبريل وقال: إنّ الله سبحانه وتعالى يقول: إني كتبت اسم أبي بكر، لأنّه ما رضي أن يفرّق اسمك عن اسمي، فأنا ما رضيت أن أفرّق اسمه عن اسمك (انظر نزّهة المجالس للصفوري ج ٢: ص ١٨٥)، ورواه الفخر الرازي في تفسيره الرازي ج ١: ص ١٦٩. وعلّق عليه العلامة الأميني رحمه الله ما هذا نصّ عبارته: المتسام عليه بين المحدثين أن نقش خاتم رسول الله ﷺ كان محمّد رسول الله بلا أيّ زيادة، ففي الصحاح عن أنس: أنّه ﷺ صنع خاتماً من ورق ونقش فيه: محمّد رسول الله، وقال: فلا ينقش أحد على نقشه (انظر صحيح البخاري ج ٤: ص ٤٦ كتاب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام، باب ما ذكر من درع النبي ﷺ وسيفه وقدحه وخاتمه...، وصحيح مسلم ج ٦: ص ١٥٠ كتاب اللباس والزينة، باب لبس النبي ﷺ خاتماً من ورق نقشه محمّد رسول الله وليس الخلفاء له من بعده). وفي رواية البخاري والترمذي عن أنس قال: كان نقش الخاتم ثلاثة أسطر: محمّد سطر، ورسول سطر، والله سطر (انظر صحيح البخاري ج ٤: ص ٤٦ كتاب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام، باب ما ذكر من درع النبي ﷺ وسيفه وقدحه وخاتمه...). وروى ابن سعد في طبقاته من مرسل ابن سيرين أن نقشه كان: بسم الله محمّد رسول الله (الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١: ص ٤٧٤). وقال ابن حجر: ولم يتابع على هذه الزيادة (انظر فتح الباري ج ١٠: ص ٢٧٢)، وذكره عنه الزرقاني في شرح المواهب ج ٥: ص ٣٩. وأخرج أبو الشيخ في الأخلاق النبويّة من رواية عرعة بن البرند عن أنس قال: كان مكتوباً على فصّ خاتم رسول الله ﷺ: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله. قال ابن حجر في فتح الباري ج ١٠: ص ٢٧٠: عرعة ضعّفه ابن المديني وزيادته هذه شاذة. وقال الزرقاني في شرح المواهب ج ٥: ص ٣٩: كان نقش الخاتم النبوي كما في الصحيحين وغيرهما: محمّد رسول الله. فلا عبرة بهذه الرواية كرواية أنّه كان فيه كلمتا الشهادة معاً، ورواية ابن سعد عن أبي العالية أنّ نقشه: صدق الله. ثمّ ألحق الخلفاء: محمّد رسول الله. فما قيمة ما جاء به من النقش صواغ القرون المتأخّرة، وصاغته يد الإفك والغلوّ بعد لأيّ من وفاة النبي الأعظم ﷺ وانقطاع الوحي عنه، ولا يوجد في تأليف الأوّلين منه عين ولا أثر؟ وأنت ترى السلف حاكمين





في حديث زيادة كلمة الإخلاص والبسمة بالشذوذ وأنه لا عبرة به ولا يتابع عليه، ولا يبحث أي متضلع في الفن عن هذه الزيادة المختلفة التي لا صلة لها بالموضوع، وليست هي إلا استهزاء بالله ونبيه ﷺ ووحيه وأمين وحيه. ثم قد صحّ عند القوم أن الخاتم ذلك المنقوش الخاص بالنبي ﷺ وكان يتختم به ويختم ﷺ ولم يكن له خاتم غيره ولم يحتمل التعدّد قطّ أحد في رفع اختلاف أحاديث النقش، كان عند أبي بكر في يمينه بعد رسول الله ﷺ، وبعده في يد عمر، وبعده عند عثمان في يمينه وسقط سنة ثلاثين من يده أو: من يد غيره في بئر أريس، واتخذ له خاتماً آخر (انظر صحيح البخاري ج ٧: ص ٥١ كتاب اللباس، باب خاتم الفضّة، وصحيح مسلم ج ٦: ص ١٥٠ كتاب اللباس والزينة، باب لبس النبي ﷺ خاتماً من ورق نقشه محمّد رسول الله ﷺ). وفي رواية ابن سعد عن الأنصاري كما في فتح الباري ١٠: ٢٧٠، وسنن النسائي ٨: ١٧٩، إنه كان في يد عثمان ستّ سنين من عمله. فلو كانت تلکم الأسطورة صحيحة وكان اسم الخليفة منقوشاً في خاتم كان يلبسه النبي الأقدس ﷺ طيلة حياته وتنظر إليه الصحابة من كتب وترى بريقه في خنصره كما في صحيح البخاري كان حقاً على الخليفة والخاتم بيده أن يحتجّ بها يوم تسنم عرش الخلافة، وكان هناك حوار وصخب، لكنّه لم يحتجّ لأنّ ذلك الخاتم ما كان مصوغاً بعد ولا منقوشاً، ولم يعط من المغيب أنّه يستتحت له ذلك بعد قرون متطاولة. وكان حقاً على الصحابة الملتائين به أن يحتجّوا بذلك النقش المصنوع في عالم الملكوت، فإنّ الاحتجاج به أولى من الاحتجاج بكبر السن وأمثاله، لكنّهم تركوا الحجّاج لأنّ هذا المولود لم يكن يولد بعد، وإنّما ولدته أم الغلوّ في الفضائل في آخر الدهر. ولا يتأتى لأحد عرفان سرّ ما جاء به جبريل الخيالي من القرآن بين اسم النبي الأعظم ﷺ وبين اسم أبي بكر في ذلك النقش المصوغ في عالم الغيب، أكان أبو بكر نفس النبي الأعظم ﷺ بنصّ القرآن الكريم؟ أم كان قرينه في العصمة والقداسة في الذكر الحكيم؟ أم نزلت فيه آية التبليغ مع ذلك الإرهاب؟ أم أكمل الله به الدين، وأتمّ به النعمة كما بدء بالنبي الطاهر ﷺ؟ أم كان رديف النبي الأقدس ﷺ في الإسلام والدعوة إلى الله من أوّل يومه؟ أم كان وصيّ وخليفته المنصوص عليه من بدء الدعوة؟





أم قرنت طاعته بطاعته ومعصيته بمعصيته كما في صحاح جاءت عنه ﷺ؟ أم كان نظيره في أمته بنص منه ﷺ؟ أم؟ أم؟ إلى مائة أم. لماذا ذلك القرآن؟ أنا لا أدري، ومختلف الرواية أيضاً لا يدري (انظر الغدير للعلامة الأميني ﷺ ج ٧: ص ٢٤٥). ومنها: ما رواه الصفوري في نزهة المجالس، قال: رأيت في الحديث أن الملائكة اجتمعت تحت شجرة طوبى، فقال ملك: وددت أن الله تعالى أعطاني قوة ألف ملك، وكساني ريش ألف طير، فأطير حول الجنة حتى أبلغ طرفها، فأعطاه الله ذلك فطار ألف سنة حتى ذهب قوته وتساقط ريشه، ثم أعطاه الله تعالى قوة وأجنحة فطار ألف سنة ثانية حتى ذهب قوته وتساقط ريشه، ثم أعطاه الله تعالى قوة وأجنحة فطار ألف سنة ثالثة حتى ذهب قوته وتساقط ريشه، فوقع على باب قصر باكية فأشرفت عليه حوراء فقالت: أيها الملك مالي أراك باكية وليست هذه بدار بكاء وحزن، وإنما هي دار فرح وسرور؟ فقال: لأنني عارضت الله في قدرته. ثم أعلمها بحديثه، فقالت له: لقد خاطرت بنفسك أتدري كم طرت في هذه الثلاثة آلاف سنة؟ قال: لا. قالت: وعزة ربي ما طرت أكثر من جزء واحد من عشرة آلاف جزء مما أعده الله تعالى لأبي بكر (انظر نزهة المجالس ج ٢: ص ١٨٣، والجرداني في مصباح الظلام ج ٢: ص ٢٥). وعلق عليه العلامة الأميني ﷺ: فمجموع ما أعده الله تعالى لأبي بكر في الجنة هو مسير ثلاثين ألف سنة لطائر يطير بقوة ألف ملك وريش ألف طير، جلّت قدرة الباري، أنا أكل حساب هذه الرواية إلى الشباب النابه العصري المتخرج من المدارس العالية في أرجاء العالم. كما أرى النظرة في رجال سندها من وظائف رجال الغيب إذ من المستحيل أن يقف عليه متبّع، ويعرفه حافظ ضليع، أو محدث بعيد الطناء، أو رجالي واسع الخطوة من رجال عالم الشهود (انظر الغدير ج ٧: ص ٢٤٧). منها: ما رواه أنس بن مالك قال: جاءت امرأة من الأنصار فقالت: يا رسول الله! رأيت في المنام كأن النخلة التي في داري وقعت، وزوجي في السفر. فقال: يجب عليك الصبر فلن تجتمعي به أبداً. فخرجت المرأة باكية فرأت أبا بكر، فأخبرته بمنامها ولم تذكر له قول النبي ﷺ، فقال: اذهبي فإنك تجتمعين به في هذه الليلة. فدخلت إلى منزلها وهي متفكرة في قول النبي ﷺ وقول أبي بكر، فلما كان الليل وإذا بزوجه قد





أتى، فذهبت إلى النبي ﷺ وأخبرته بزوجه، فنظر إليها طويلاً فجاءه جبرئيل وقال: يا محمد! الذي قلته هو الحق، ولكن لما قال الصديق إنك تجتمعين به في هذه الليلة استحيا الله منه أن يجري على لسانه الكذب، لأنه صديق فأحياه كرامة له (انظر نزهة المجالس ج ٢: ص ١٨٤). وعلق عليه العلامة الأميني رحمه الله: ليتنا كنّا نقف على رجال هذا الخيال النبهاء الذين أرادوا كسح معرة الكذب عن ساحة الصديق فجرّوها إلى الساحة النبوية، فكأن الله لم يبال بأن يجري الكذب على لسان نبيه الصادق المصدق، حيث أنه لم يخبر عن موت الرجل وإنما أخبر امرأته بأنها لن تجتمع به أبداً بكلمة "لن" المفيدة لتأييد النفي المؤكّد بقوله "أبداً" فظهر خلافه، لكنّه استحي من أبي بكر بعد أن رجم بالغيب إفكاً ظاهراً، فأراد أن يرحض عنه ذلك بإحياء الرجل وعدم إماتته كرامة له، وهل يرحضه ذلك بعد أن وقع الكذب؟ أنا لا أدري وهل كانت كرامة أبي بكر على الله أعظم من كرامة رسوله ﷺ عليه؟ حيث لم يرض بظهور الكذب عليه ورضيه على مصطفاه، ولم يكن في انتشاره عنه كسر للإسلام، لكن انتشاره عن النبي ﷺ فت في عضد الدين ثم أعجب من تعليل الرواية بأن أبا بكر كان صديقاً. أو لم يكن رسول الله ﷺ سيّد الصديقين أجمع؟ وهب أن وحي هذه المزعمة خفف عن ساحة النبوة شيئاً يمكن أن يفوه به من اختلقها بأن الأمر كان كما أخبر به رسول الله ﷺ، لكن أحصى الله الرجل للغاية التي ذكرها فلا كذب ﷺ لكن يدفعه ما قدّمناه من أنه ﷺ لم يخبر عن موت الرجل وإنما أخبر عن أنها لن تجتمع به أبداً وقد وقع خلاف ما أنبأ به. نعم، لعل ما مرّ من رأي الخليفة من جواز تقديم المفضل على الفاضل، أو الغلو في الفضائل، يرخصان بكل ما ذكر (انظر الغدير ج ٧: ص ٢٤٨). ومنها: ما رواه النسفي ذكر النسفي: أن رجلاً مات بالمدينة، فأراد النبي ﷺ أن يصلي عليه، فنزل جبريل وقال: يا محمد لا تصل عليه. فامتنع. فجاء أبو بكر فقال: يا نبي الله صل عليه فما علمت منه إلا خيراً. فنزل جبريل وقال: يا محمد صل عليه، فإن شهادة أبي بكر مقدّمة على شهادتي (انظر كتاب، مصباح الظلام للجرداني ج ٢: ص ٢٥، ونزهة المجالس ومنتخب النفائس للصفوري ج ٢: ص ١٨٤). وعلق عليه العلامة الأميني رحمه الله ما هذا نصّ عبارته: هلمّ معي تناقش راوي هذه السفسة الحساب بعد



منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨ ٦١٩
بل هم متابعون أبا بكر وعمر وعثمان على مبتدعاتهم ومازرون بالله سبحانه
ورسوله ﷺ لعدم متابعتهم لما علموه بأنه من الشريعة، وقد مضى بيان نبذة
من ذلك^(١)،



أن لم نقف لها على إسناد نناقش رجاله، ونسائله عن أن ما أداه جبريل من الشهادة أكان
من عند نفسه؟ ولم يكن لأمين الله على وحيه أن يأتي رسوله بشيء من قبل نفسه فحاجباً أبا
بكر بتقديم شهادته أم كان وحيّاً من المولى سبحانه؟ - وهو المطرد في كل هبوط له إلى
الرسول الأمين - فأبطل ذلك الوحي المبين مجازفة لمحض أن أبا بكر شهد بضد ما جاء
به؟ وأياً ما كان فإن إخباره كان لا محالة عن عدم تأهل الرجل في الواقع للصلاة عليه في
صورة نهي مفيد للتحريم، ومؤداه أن الله سبحانه يبغيض أن ترفع إليه صلاة على مثله من
نبيه والمحبوب، فهل يكون قول أبي بكر بتأهله المستنبط من ظاهر الحال الذي يخطأ
ويصيب، ولا شك أنه مخطأ في هذه المورد بالخصوص لنزول الوحي بخلافه، فهل يكون
قول هذا شأنه مبطلاً للوحي المبين؟ تبصر واحكم (انظر الغدير ج ٧: ص ٢٤٤). وإلى غير
ذلك من الروايات الواردة في الغلو وقصص الخرافة، ونحن ذكرنا هنا الروايات الخاصة
بأبي بكر وهناك روايات كثيرة بالنسبة إلى الغلو في شأن الخلفاء الثلاثة وبعض الصحابة
والتابعين، وكذلك أئمة المذاهب الأربعة السنية، ولو أردنا أن نذكر شيئاً منها لطال بنا
المقام.

(١) لا يخفى على الباحث الخبير والمتتبع في النصوص والعلوم الإسلامية أن مصيبة الأمة
الإسلامية انجرت عليها من المخالفات والتحريفات والبدع التي أحدثها الخلفاء الثلاثة
في الاسلام، ومن بعدهم حكام بني أمية وبني العباس وما ارتكبوها أيام خلافتهم
وسلطتهم، فلا يسعنا المجال لاستقصائها، وهذا البحث يكون بحثاً موضوعياً واسعاً جداً،
ولنكتفي في المقام بكلمة موجزة كرأس الخيط للباحث، وهو أن معاوية سيئة من سيئات
عمر بن الخطاب، لأنه الذي تولاه حكومة الشام. وإن عمر نفسه سيئة من سيئات أبي بكر،
لأنه الذي خلفه لما بعده. فكل بدعة أو سيئة صدر منهم في هذه الأمة بعد وفاة رسول
الله ﷺ





الله ﷺ أو كل ظلم وقع على الأمة أو كل معاناة شهدتها الأمة، فالمسؤول عنها أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية وجميع حكام بني أمية وبني العباس، لأنهم غصبوا الخلافة من أهل البيت ﷺ، وأحدثوا في الأمة البدع والمناكير لن يمكن تداركها إلى يوم القيامة. ففي ما يتعلق بأبي بكر فإن إمامته كانت سبباً لهبوط الأمة نحو الأسفل جيلاً بعد جيل إلى أن وصلت تحت أقدام اليهود، إذ به وبعمربن الخطاب تمكن كعب الأحبار اليهودي ويستغل الفرصة ويفرض وجوده على الصحابة، فربى مجموعة من التلاميذ منهم أبو هريرة، وعمر بن العاص، وعبد الله بن عمر و... (انظر تفسير ابن كثير ج ٣: ص ١٠٤). وبدأ كعب في السعي لرفع مكانة تلاميذه ساعياً إلى مساعدتهم في نشر أحاديثه بين المسلمين. فقال كعب عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أنت أفقه العرب. ودعا الناس للسؤال من عبد الله بن عمرو، ولما أجابهم الأخير قال كعب عنه: صدق الرجل عالم والله (تاريخ الطبري ج ١: ص ٤٠٢). ومدح كعب الأحبار أبا هريرة فقال: ما رأيت أحداً لم يقرأ التوراة أعلم بما فيها من أبي هريرة (انظر تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١: ص ٣٦، والإصابة لابن حجر ج ٤: ص ٢٠٦). وقد سعى أبو هريرة وغيره للإصاق أحاديث كعب بالنبي ﷺ في عملية تدليس خطيرة، قال ابن كثير في تفسيره بعد أن أورد حديثاً عن أبي هريرة: لعل أبا هريرة تلقاه عن كعب الأحبار، فإنه كان كثيراً ما يجالسه ويحدثه، فحدث أبو هريرة، فتوهم بعض الرواة أنه مرفوع فرفعه (انظر تفسير ابن كثير ج ٣: ص ١٠٤). فابتلاء المسلمين باليهود من عهد أبي بكر ثم عمر ثم عثمان وبعدهم خلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس، فإنهم مهدوا لأعدى عدو الإسلام بالنفوذ والرسوخ في المسلمين ليرجعوهم أصل الجاهلية الأولى. وهناك أسرار خطيرة: تدخل كعب في انتخاب خلفاء المسلمين، فلقد تدخل كعب في شؤون الخليفة عمر السياسية والدينية ووضع أحاديث كثيرة كاذبة في حقه لجذبه إلى جنبه وإعلاء شأنه في سبيل تمرير مخططاته الخطيرة. ومن أحاديثه: أن الحق سبحانه أول من يصفح عمر يوم القيامة (انظر سنن ابن ماجه ج ٢: ص ٣٩). وهو يلزم كونه سبحانه ذا يد يصفح بها غيره، تعالى عن ذلك علواً كبيراً. وأنه محدث، وغير ذلك من الأباطيل اليهودية. ثم إن كعب الأحبار لم يعلن إسلامه في زمن النبي ﷺ





بالرغم من كلِّ البراهين بل أعلن إسلامه في زمن عمر وليس ذلك حباً في الإسلام بل استغلالاً لفرصة متاحة. فإنَّ كعباً الذي جسَّم الله سبحانه وافترى على الأنبياء ﷺ ووصمهم بالخطيئة من المستبعد أن يكون محباً للمؤمنين، بل أنَّه سعى بكلِّ قدراته لتمجيد أفكار اليهودية وتحطيم الشريعة الإسلامية، ومن الطبيعي أن يكون عدواً للمسلمين. وعداء كعب لله سبحانه ولرسوله ﷺ وللمؤمنين بين جلاً. وأشهر دليل على ذلك حبه لمعاوية وكرهه للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وكذبه في الحديث النبوي. وإنَّ تدخُّله في شؤون المسلمين بأمر الخليفة عمر واضح ومعروف، فلقد أصبح مستشاراً له في الشؤون الدينية والسياسية يسأله الخليفة عن الجنة والنار وعن المستقبل وعن شروط الخلافة وغير ذلك. فذهب عمر إلى الشام بنصيحة كعب وامتنع عن زيارة العراق بإشارته. وتدخل كعب في شؤون الخلفاء والقيادات من ناحية إيجابية وسلبية. فلقد تدخل بصورة سلبية محضة ضدَّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، خوفاً من أن يتبعه الناس، وتدخل بصورة إيجابية محضة في صالح معاوية. فلقد عرف كعب كلَّ ما يتعلَّق ببني هاشم وبني أمية ورجالهما وأفكار المسؤولين في الدولة وتوجُّهات عمر وخططه ورغباته وأسراره الخاصة وأنه قد عاشه فترة غير قصيرة وسافر معه في رحلة طويلة إلى الشام، وأطلع كعب على علوم الغيب للنبي ﷺ في مقتل الخلفاء وحكم بني أمية. وإليك حديث كعب ثمَّ حديث عمر والحديثان متفقان في المعنى: قال عمر بن الخطَّاب لكعب الأحبار: كيف تجد نعتي؟ قال: أجد نعتك قرناً من حديد، قال: وما قرن من حديد؟ قال: أمير شديد لا تأخذه في الله لومة لائم، قال: ثمَّ مه؟ قال: ثمَّ يكون من بعدك خليفة تقتله فئة ظالمة، قال: ثمَّ مه؟ قال: ثمَّ يكون البلاء (انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص ١٢١). ومن أدلَّة معرفة كعب بخلافة عثمان لعمر قوله: نجده أمر الخلافة ينتقل بعد صاحب الشريعة والاثنين من أصحابه إلى أعدائه (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٣: ص ١١٥). ويعترف كعب هنا بأنَّ بني أمية قاطبة أعداء النبي ﷺ، وكعب يدعمهم وقد قال الخليفة عمر لعثمان قبل موته: هيهات إليك كائني بك قد قُلتك قريش هذا الأمر لحبِّها إياك، فحملت بني أمية وبني أبي معيط على رقاب





الناس، وآثرتهم بالفيء، فسارت إليك عصابة من ذئبان (ذؤبان) العرب فذبحوك على فراشك، والله لئن فعلوا لتفعلن، ولئن فعلت ليفعلن، ثم أخذ بناصيته فقال: فإذا كان ذلك فاذكر قولِي فإنه كائن (شرح نهج البلاغة ج ١: ص ٦٢). فكعب أخذ فكرة ثورة الناس على عثمان من عمر الذي عاصر عثمان لفترة طويلة، وعرف أعماله مع بني أمية من أمثال الحكم بن أبي العاص وعبد الله بن أبي سرح وغيرهم في زمن الرسول ﷺ وزمن أبي بكر ومن الطبيعي أن يزداد جنوح عثمان نحو بني أمية بعد توليه الخلافة لأنه فعل أفعالا عجيبة معهم والرسول ﷺ حاضر، فكيف يكون الأمر بعد وفاة الرسول ﷺ فإن معرفة كعب بتولي عثمان للخلافة من بعد عمر وفراصة عمر فيه يعتبر من الأسرار الخطيرة للدولة. وإطلاع كعب على مثل هذه الأسرار يبين وجود علاقة متينة بين عمر وكعب. وبتعبير آخر يبين انضمام كعب إلى جماعة الحكومة والحزب القرشي أن مسألة حب عثمان لبني أمية معروفة للصحابة، وخطورة هذه الأعمال واضحة، لأن المسلمين كانوا يعيشون في العصر الإسلامي الأول، وفي فترة قريبة من زمن الرسول ﷺ، وهذا يعني أنهم سيثورون على أي منهج يخالف أطروحة النبي ﷺ، ولأجل ذلك فقد عرف ذلك عمر والعباس وغيره. فقد قال العباس عم النبي ﷺ بعد معرفته بوصول عثمان إلى الخلافة من خلال مجلس عمر السداسي: وأيم الله لا يناله (الحكم) إلا بشر لا ينفع معه خير (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣: ص ٦٨). وعليه فإن الباحث لو تأمل في النصوص والروايات والوثائق التاريخية سوف يجد أن مصيبة الإسلام كان من عهد أبي بكر إلى يومنا هذا حيث أن المسلمين كانوا دائما مبتلون باليهود، وقد أعان على هذه القضية عمر بن الخطاب وتبعه الخلفاء السائرون على منهجه وأعانه على ذلك أوباش قريش ليصلوا إلى النتيجة التي كانوا يترصدونها. وذلك من أعظم المنكرات التي ارتكبتها الخلفاء الثلاثة، في حين أنهم حضرا غدير خم وبايعوا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالإمامة والولاية والخلافة. وقد نكثوا بيعتهم وغصبوا الخلافة، فشملمهم قوله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (سورة





التوبة: ٦٧). إذ لمّا كان المؤمنون يأمرّون بالمعروف وينهون عن المنكر كان هؤلاء الخلفاء يأمرّون بالمنكر وينهون عن المعروف، وقد أخبر الله تعالى عنهم بأنّهم سوف يظهرون الإيمان ويسرّون الكفر بعضهم من بعض. والمعنى: إنّ بعضهم يضاف إلى بعض بالاجتماع على النفاق، ونسوا الله، أي: نسوا ذكر الله، فنسيهم الله. أي: عاملهم معاملة من نسيهم كقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَنسِيكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (سورة التوبة: ٦٧)، أي الخارجون من طريق الحق والداخلون في طريق الضلالة. وأيضاً شملهم قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (سورة التوبة: ٦٨)، أي أنّهم مخلّدون في نار جهنّم، ولا يخفى على الخبير أنّ بدلالة الآيات والروايات أنّ الكفّار مخلّدون في نار جهنّم. ثم قال تعالى: حسبهم...، أي: يكفيهم أنّهم في العذاب ولعنهم الله أي طردهم وأبعدهم عن رحمته، ولهم عذاب مقيم. فهذه الآيات وغيرها تشير إلى أنّ العذاب من جهة البدعة في الدين وشدّتها من جهة أهميّة إضلال الناس عند الشارع الأقدس، لا سيّما أنّ النفاق تتجلّى بأشكال مختلفة وتبدو في صور متفاوتة بحيث لا تلفت النظر في أوّل الأمر، خصوصاً أنّ روح النفاق يمكن أن تختلف بصور مخدعة، والمنافقون يشتركون في مجموعة من الصفات، ولكن تختلف درجاتهم باختلاف أوصافهم الخادعة. فيدعون الناس إلى فعل المنكرات ويرغبونهم فيها من جهة، ويبعدونهم وينهونهم عن فعل الأعمال الصالحة من جهة أخرى، ويأمرّون بالمنكر وينهون عن المعروف؛ أي: أنّهم يسلكون طريقاً ويتبعون منهاجاً هو عكس طريق المؤمنين تماماً، فإنّ المؤمنين يسعون دائماً عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أن يصلحوا المجتمع وينقّوه من الشوائب والفساد، بينما هؤلاء المنافقون يسعون إلى الإفساد من كلّ زاوية في المجتمع، واقتلاع جذور الخير منها، والأعمال الصالحة من بين الناس من أجل الوصول إلى أهدافهم المشؤومة. ولا شك أنّ وجود مثل هذا المحيط الفاسد والبيئة الملوّثة من بدع الخلفاء كانت تساعدهم في تحقيق أهدافهم. فالآية الكريمة تنطبق على الخلفاء الثلاثة من جهة البدعة التي أحدثوها في الدين، وأمرهم





الناس بالمنكر، ونهيههم عن المعروف والواجبات الدينية كما بيّناه من خلال الموارد التي سبق ذكرها.

وقد دأب عليها الصحابة الغاصبين لحقوق أهل البيت عليهم السلام، وعلى رأسهم الخلفاء الثلاثة، فاخترقوا بذلك حدود الله ومحقوا السنة النبوية، وأصبح الناس التابعين لهم يرفضون النصوص الثابتة والمصادر التي يجب أن تؤخذ بها. بالرغم من أنهم كانوا يعلمون أن رسول الله ﷺ حجّة على الناس كما أن كتاب الله حجّة عليهم. والحقيقة أن أبا بكر وعمر وعثمان ومن تابعهم إنما منعوا من انتشار الأحاديث والسنة النبوية ليفتحوا مجال التأويل أمام أصحاب الأهواء ليأولوا القرآن حسب رغباتهم ومشتهايتهم، لأن كتاب الله ذو أوجه. أما السنة النبوية فلا يجد أحد عنها محيصاً. ومن هنا خالف الخلفاء الغاصبين نشر سنة الرسول ﷺ بالكتابة مع أنه قال: «اكتبوا هذا العلم فإنكم تتفخعون به إما في دنياكم وإما في آخرتكم، وإن العلم لا يضيع صاحبه» (انظر كنز العمال للمتقي الهندي ج ١٠: ص ٢٦٢ ح ٢٩٣٨٩). وأخرج أحمد بن حنبل بسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قلت: يا رسول الله، إنا نسمع منك أحاديث لا نحفظها أفلا نكتبها؟ قال: «بلى فاكتبوها» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ٢: ص ٢١٥)، ورواه الخطيب البغدادي في تقييد العلم: ص ٧٤، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج ٢١: ص ٢٥٩ وغيره. وأخرج الطبراني بسنده عن عباية بن رفاع عن رافع بن خديج قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «تحدثوا، وليتبوأ من كذب علي مقعده من جهنم»، قلت: يا رسول الله إنا نسمع منك أشياء فنكتبها؟ فقال: «اكتبوا ولا حرج» (انظر المعجم الكبير للطبراني ج ٤: ص ٢٧٦)، ورواه الخطيب البغدادي في تقييد العلم: ص ٧٢، والمتقي الهندي ج ١٠: ص ٢٢٢ ح ١٩٢٢٢ وغيرهم.

ومن جملة مبتدعاتهم في الدين ومخالفاتهم للقرآن والسنة النبوية منعهم صديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام فدكاً؛ وقد جاء في النصوص العديدة وهي تؤكد بصراحة على أن فدك كانت نحلة للزهراء عليها السلام، وأن النبي ﷺ قد أعطها إياها خالصة قبل وفاته. ومن تلك النصوص أخرجه الهيثمي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: لما نزلت ﴿وَأْتِ ذَا





الْقُرْبَى حَقَّهُ ﴿﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطاهما فذلك (انظر مجمع الزوائد للهيتمي ج ٧: ص ٤٩)، ورواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٧: ص ٤٩، وابن كثير في تفسيره ج ٣: ص ٣٩، والسيوطي في الدر المنثور ج ٤: ص ١٧٧، والشوكاني في فتح القدير ج ٣: ص ٢٢٤ وغيرهم. ولذلك قال مولانا أمير المؤمنين ﷺ في رسالته إلى عثمان بن حنيف: «بلى، كانت في أيدينا فذك من كل ما أظلمت السماء فشحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٥: ص ٩٩). ففي هذا الكلام لمولانا أمير المؤمنين ﷺ تصريح أن فذك كانت في أيديهم قبل أن يستولي عليها أبو بكر وعمر مما يعني أنها لم تكن ميراثاً بل هي نحلة، فما ادّعاه أبو بكر باطل بالنصوص التي أخرجها الفريقين. وعلى فرض كون الفذك إرثاً، فأيضاً من أوضح مخالفات أبي بكر للنص القرآني منع فاطمة الزهراء ﷺ بنت النبي ﷺ من الميراث، بل وقد نسب أبو بكر حديثاً إلى رسول الله ﷺ تفرد بنقله فزعم أن رسول الله ﷺ قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة. وبذلك زحزحوا عن الصديقة الطاهرة ﷺ فذكاً، وقد احتجّت الزهراء ﷺ عليه بقولها: «يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله أن تترث أباك ولا أرث أبي؟! لقد جئت شيئاً فرياً، أفعل على عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم، إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾، وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا، إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثْنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾». ثم قالت: «أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟! فدونها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشر، فنعلم الحكم الله، والزعيم محمد ﷺ والموعود القيامة وعند الساعة ما تخسرون ولا ينفعكم إذ تندمون». ثم رمت بطرفها نحو الأنصار وقالت: «يا معشر الفتية وأعضاء الملة وأنصار الإسلام ما هذه الغميمة في حقّي، والسنة عن ظلامي؟! (انظر تاريخ يعقوبي ج ٢: ص ١٢٧). وبذلك خالف أبو بكر سنة رسول الله ﷺ وأغضبه لأنه ﷺ قال: «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني» (انظر صحيح البخاري ج ٤: ص ٢١٠ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم). وإلى غير ذلك من مخالفاتهم. والنتيجة أن من اقتدى بالخلفاء الذين هم أهل البدعة معناه أنه اقتدى بأهل الضلالة، لأن



ولم ينقل عن المختار العمل في شيء مما خالف الشريعة^(١)،



كتبهم مليئة بالروايات التي تصرح بأن: «كل بدعة ضلالة» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ٤: ص ١٢٦)، ورواه الدارمي في سننه ج ١: ص ٤٥، وابن ماجه في سننه ج ١: ص ١٦، والحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين ج ١: ص ٩٦ وغيرهم. فكيف يمكن لمسلم متابعة أهل البدعة والمناكير والمرتدين من الصحابة؟! فلاحظ.

(١) لقد كان المختار من شيعة أهل البيت عليه السلام وكان يتبع أئمة أهل البيت عليهم السلام من صغره، وكان يحظى برعاية مولانا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وقد جاء ذكره وذكر صفاته وسيرته وجهاده في التاريخ، فلم يوجد فيها إلا ما يرجع بقيامه، وأخذه بثأر الإمام الحسين عليه السلام (انظر وسائل الشيعة للشيخ الحرّ العاملي ج ٢٠: ص ٣٤٧). يقول الأصمغ بن نباتة: رأيت المختار على فخذ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهو يمسح رأسه ويقول: «يا كَيْس، يا كَيْس» (الفصول المختارة للشيخ المفيد رحمته الله: ص ٢٩٦). فأصبحت فيما بعد لقباً للمختار (انظر معجم رجال الحديث للسيد الخوئي ج ١٨: ص ١٠٢). وقال الجوهرى في معجم الصحاح: كيسان اشتق من "كَيْس" لقب المختار وتعني: "الفطنة والعقل" وتُنسب الفرقة الكيسانية (معجم الصحاح للجوهري ج ٢: ص ٩٧٠؛ في توضيح كلمة "كَيْس"). ولم يعرف عن حياته الأولى كثير أخبار، ولكن المعروف عنه أنه كان مقداماً شجاعاً يتعاطى معالي الأمور، وكان ذا عقل وافر، وجواب حاضر، وخلال مأثورة، ونفس بالسخاء موفورة، وفطرة تدرك الأشياء بفراستها، وهمّة تعلو على الفراقد بنفاستها، وحس مصيب، وكفّ في الحروب مجيب، مارس التجارب فحنكته، ولابس الخطوب فهدبته، وكان يتمتع بخصال نادرة جعلته من أفذاذ الرجال، وقد تعددت مواهبه وصفاته الكريمة ومآثره النيلة وشجاعته النادرة، فكان هذا الثائر الكبير بطلاً شجاعاً لا يرهب الأهوال والمخاطر، عميق التفكير، حسن التدبير والسياسة، يتمتع بالحكمة والكياسة، وقد كرّس كل هذه المزايا والخصال لنصرة الحق المتمثل بأهل البيت عليهم السلام، وكان من الطبيعي أن تكون لكل من له هذه الصفات التي تمتع بها ضربيتها من السنة الحساد والبغض





والنفاق التي ألصقت به التهم الباطلة وافترت عليه الافتراءات العظيمة. وقد مدحه الكثير من علماء أهل السنة، فوصفه ابن عبد البر في الاستيعاب، بقوله: كان معدوداً من أهل الفضل والخير والدين... (الاستيعاب ج ٤: ص ١٤٦٥). والمهم من حياته أنه أثلج قلوب الأئمة الأطهار عليهم السلام بثورته وانتفاضته الانتقامية، فورد عنهم عليهم السلام الترحم عليه، فعن الإمام الباقر عليه السلام قال للحكم بن المختار: «رحم الله أباك، رحم الله أباك، ما ترك لنا حقاً عند أحد إلا طلبه، قتل قتلنا، وطلب بدمائنا» (انظر اختيار معرفة الرجال [رجال الكشي] ج ١: ص ٣٤٠ ح ١٩٩). وقال عليه السلام: «لا تسبوا المختار، فإنه قتل قتلنا، وطلب بثارنا، وزوج أراملنا، وقسم فينا المال على العسرة» (انظر اختيار معرفة الرجال [رجال الكشي] ج ١: ص ٣٤٠ ح ١٩٧). وعن الإمام الصادق عليه السلام: «ما امتشطت فينا هاشمية ولا اختضبت، حتى بعث إلينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين عليه السلام» (انظر اختيار معرفة الرجال [رجال الكشي] ج ١: ص ٣٤١ ح ٢٠١). وعن عمر بن علي بن الحسين قال: إن علي بن الحسين عليه السلام لما أتى برأس عبيد الله بن زياد ورأس عمر بن سعد، فخر ساجداً وقال: «الحمد لله الذي أدرك لي ثاري من أعدائي، وجزى الله المختار خيراً» (انظر اختيار معرفة الرجال [رجال الكشي] ج ١: ص ٣٤١ ح ٢٠٣). وقد تمكّن المختار في ثورته هذه من قتل كل من: شمر بن ذي الجوشن، خولي بن يزيد، وعمر بن سعد، وقتل عبيد الله بن زياد، وكان ابن زياد بالشام فأقبل في جيش إلى العراق فسير إليه المختار إبراهيم بن الأشر في جيش فلقه في أعمال الموصل فقتل ابن زياد وغيره. وكانت ميزة ثورة المختار متوجهة بالذات إلى القتل الإمام الحسين عليه السلام وتطهير أرض العراق من جراثيم العيث والفساد من الأمويين. فلما غادر من مكة إلى الكوفة اجتمع حوله كثير من الشيعة، يقول المسعودي: نزل ناحية من الكوفة وجعل يظهر البكاء على الطالبيين وشيعتهم، ويظهر الحنين والجزع لهم ويحث على أخذ النار، فمالت إليه الشيعة وانضافوا إلى جملة (انظر مروج الذهب للمسعودي: ج ٣: ص ٧٣-٧٤). ولما بلغ إلى ابن الزبير التفاف الشيعة حول المختار وأنه بصدد الخروج أحسّ خطراً وأنه سوف يخرج العراق من يده، وقد كان العراق تحت قدرته، فرأى أن التفاف الناس حول المختار يرجع إلى عدم كفاءة





عامله، فحاول إبداله بعامل آخر لم يكن في اللباقة أحسن منه فاستعمل عبد الله بن مطيع بالكوفة، وكان قدومه في رمضان لخمس بقين منه، ولما قدم صعد المنبر وخطبهم وقال: أما بعد فإن ابن الزبير بعثني على مصركم وثغوركم وأمرني بجباية فيئكم وأن لا أحمل فضل فيئكم عنكم إلا برضا منكم، وأن أتبع وصية عمر بن الخطاب التي أوصى بها عند وفاته، وسيرة عثمان بن عفان، فاتقوا الله واستقيموا ولا تختلفوا وخذوا على أيدي سفهائكم، فإن لم تفعلوا فلو موأ أنفسكم ولا تلوموني، فوالله لأوقعن بالسقيم العاصي، ولأقيمن درع الأصعر المرتاب... (الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٤: ص ٢١١). ولو كان كلامه مقياساً لشعوره ودهائه وسياسته، فهذه الخطابة التي ألقاها دليل على عدم تعرفه على بيئته والنفسيات الحاكمة على سكان الكوفة، لأن الأكثرية الساحقة كانوا لا يتجاوبون مع تلك الفكرة. فلمس المختار ما تتبناه الأكثرية الساحقة من أهل الكوفة والعراق، ولم يكن آنذاك في وسعه تحقيق العدل الاجتماعي الذي سار به الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في أيامه، ولكن كانت فيه مقدرة عظيمة على أخذ الثأر من قتلة مولانا الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام حتى يتمكن من الأخذ بمجامع القلوب. ثم وهب الثائرون إلى منزل المختار الذي أصبح مركزاً لقيادة الثورة ودارت معارك ضارية في شوارع الكوفة وأزقتها، واستسلم جنود الوالي وشرطته، كما فرّ الوالي بنفسه إلى الحجاز. واشتدّ أمر المختار فأخذ يقتل كل من اشترك في قتل الإمام الحسين عليه السلام، فلم يكن يأتونه برجل فيشهدون أنه من قتلة الحسين عليه السلام أو ممن أعان عليه إلا قتله. ويذكر الطبري في تاريخه أن المختار تجرّد لقتلة الحسين عليه السلام وأهل بيته، وقال: إن المختار قال لهم: اطلبوا لي قتلة الحسين عليه السلام فإنه لا يسوغ لي الطعام والشراب حتى أطهر الأرض... (انظر تاريخ الطبري ج ٤: ص ٥٢٩). ونقلاً عن بعض المؤرخين أنه عذب قتلة الحسين عليه السلام تعذيباً يشابه فعلتهم الإجرامية في كربلاء، حتى أباد - كما قيل - ثمانية عشر ألفاً منهم خلال ثمانية عشر شهراً من حكومته، وهرب الكثير... فلاحقهم ونكل بهم. ويذكر أن المختار أعاد شيئاً من الحقوق المهتزمة المستلبة من أهل البيت عليهم السلام ومن ذلك أنه بعث عشرين ألف دينار إلى الإمام السجاد عليه السلام، فقبلها منه وبنى بها دار عقيل بن أبي طالب ودارهم التي هدمت...



منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨ ٦٢٩
ولعلهم يزعمون أنّ قتل المختار لمن قتل الحسين عليه السلام مخالف للشريعة
لزعمهم إمامة يزيد وخروجه عليه ومن حارب إمام زمانه فدمه هدر، فليس
له ثار، وهو زعم فاسد، تقدّم بيان ما دلّ على فسادهِ ^(١)،



(انظر بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمته الله ج ٤٥: ص ٣٤٤). ومن كان حاله هذه، ولم ينقل
عنه العمل في شيء ممّا خالف الشريعة معناه أنّ كان على عقيدة صحيحة من الإسلام
وأنّه من أتباع أهل البيت عليهم السلام، فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أنّ مشروعية الخلافة عند من تسمى بأهل السنّة هو من ولّاه السقيفة أو
عيّنه خلفاء السقيفة، أو تسلّط على الحكم بالقهر والغلبة، ويعتقدون بأنّ من اللازم على
الناس طاعتهم، ومن خرج من طاعتهم فأنّما مرق عن الدين. ومن هذا المنطلق أنّ خلفاء
بني أميّة وبني العبّاس كلّهم في عداد خلفاء أهل السنّة، لأنّهم تولّوا الخلافة بهذا الطريق،
فيزيد بن معاوية خليفة أهل السنّة، بحسب هذا الملاك الثابت عندهم، لأنّه ولّاه معاوية،
كما أنّ معاوية ممن غلب على القدرة والسلطة بالقهر والغلبة. والمهمّ أنّ الخليفة عند
هؤلاء ليس فيها المعيار والميزان من الشرع الأقدس، بل المعيار عندهم هو من تولّى أمر
الخلافة عن طريق السقيفة أو بالقوانين الحاكمة فيها، كائنًا من كان، فبنوا على إمامة من
تولّى الإمارة بقانون السقيفة برّاً كان أم فاجراً. وعلى سبيل المثال أنّ يزيد بن معاوية
الطاغية له منزلة الخلافة عند أهل السنّة، لأنّه عيّنه معاوية للخلافة، ومعاوية أيضاً يكون
خليفته، لأنّه تولى الأمر بحسب قوانين السقيفة. والإمام الحسين عليه السلام ريحانة رسول
الله صلّى الله عليه وآله وسيد شباب أهل الجنّة الذي قام ضدّ حكومة يزيد الفاسق الفاجر المعلن
بالمنكرات والكفر، الذي كان قيامه عليه السلام ونهضته المباركة من أجل إجراء الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر وإرشاد الأمة في سبيل الله يكون عندهم خارجياً - والعياذ
بالله - لأنّه حسب اعتقادهم خرج على خليفته يزيد بن معاوية!! وهذا واقع الأمر في
اعتقاد أهل السنّة. وممّا يؤيد ذلك ما ذكره أبو يعلى الفراء عن أحمد بن حنبل قوله: إنّ
الخلافة تثبت بالغلبة والقهر، ولا تفتقر إلى العقد (انظر الأحكام السلطانية للماوردي:
←



ص ٧-٨). وفي رواية عبدوس بن مالك العطار: من غلب بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين، فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً برّاً كان أم فاجراً. واحتج بقول عبد الله بن عمر: نحن مع من غلب (انظر الأحكام السلطانية: ص ٢٠-٢٢). وبذلك أصبح أهل السنة والجماعة رهينة هذه البدعة في الإسلام. فهم يبايعون كل من غلب على الحكم، يقطع النظر عن ورعه وتقواه وعلمه، برّاً كان أم فاجراً. ولذلك تجد في التاريخ أن أغلب الصحابة التابعين لخلافة السقيفة، مع كونهم جاهدوا مع النبي ﷺ وقاتلوا معاوية بن أبي سفيان في عدة غزوات، ولكن بايعوا معاوية ويزيد بالخلافة فيما بعد على أنهما أميراً للمؤمنين، كما قبلوا بخلافة مروان بن الحكم الذي سمّاه رسول الله ﷺ «الوزغ» (انظر المستدرک على الصحيحين ج ٤: ص ٤٧٩). وطرده من المدينة وقال: «لا يساكنني حياً ولا ميتاً» (انظر الغدير ج ٨: ص ٢٤٣ نقلاً عن البلاذري في أنساب الأشراف). بل أنهم بايعوا يزيد بن معاوية وقبلوا خلافته. ولمّا ثار عليه الإمام الحسين ﷺ سبط النبي ﷺ قتلوه وأهل بيته ﷺ لتثبيت ملك يزيد وتصحيح خلافته دفاعاً عن عنه وعن جرائمه. فكل ذلك ممّا يؤيد عقيدة أهل السنة من أنهم يزعمون بأن قتل المختار لقتلة الإمام الحسين ﷺ مخالف للشريعة حسب زعمهم واعتقادهم بإمامة يزيد، وترفون على نهضة المختار وقيامه بالحكم بالخروج على إمام زمانه ويحكمون عليه بأن مهذور الدم، ويدعون بأنّه ليس له ثار حتى من قتلة الإمام الحسين ﷺ ريحانة رسول الله ﷺ وسيد شباب أهل الجنة، وهو زعم فاسد وباطل. وتقدّم بيان ما دلّ على فساده. ولا بدّ هنا من الإشارة إلى الهدف من نهضة أبي الأحرار الإمام الحسين ﷺ ليعلم أتباع السقيفة أنّه لماذا كان تحقّق هذا المعنى وما هي هذه الفريضة العظيمة التي قام به مولانا أبي عبد الله الحسين سيد الشهداء ﷺ، كما يستفاد ذلك من كلماته النورانية، حيث قال ﷺ: «أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحقّ فالله أولى بالحقّ، ومن ردّ علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحقّ، وهو خير الحاكمين...» (بحار الأنوار ج ٤٤: ص ٣٢٩). فإنّ المستفاد من كلامه ﷺ إحياء هذا العنصر المهمّ في ذلك الزمان الذي كان الناس يعانون حكومة





جَبَّارٌ لم يُبقَ في المجتمع الإسلامي من الإسلام إلا اسمه ومن القرآن إلا رسمه، إذ كان يزيد يحرم حلال الله ويحلل حرامه جهاراً، ويخالف الإسلام في جميع أفعاله وسلوكه علناً، حتَّى أضحي تعاطي الخمر ومنادمة القروذ والكلاب وما إلى ذلك من عاداته الدائمة، فأصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً؛ ففي تلك الأوضاع والأحوال السائدة الذي حوّل يزيد بن معاوية المجتمع الإسلامي إلى مستنقع حلّت فيه الرذائل بدل الفضائل، والأهواء بدل القيم، والانحراف في أصل الدين وتحريف الإسلام، والانحراف في أصل الولاية، وترك فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتبديل الخلافة والإمامة إلى سلطنة الجائرة، وبسط الظلم والجور، وعدم الاكتراث للانحرافات الثقافية والموبقات الأخلاقية، فكان من الطبيعي أنّ الخروج من المستنقع المذكور يتطلب تغييراً كبيراً وتحولاً عظيماً تستعيد فيه القيم مكانتها الأساسية، وتعود فيه الأصالة الواقعية إلى سابق عهدها في ظلّ سيرة رسول الله ﷺ وسيرة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. فالإمام الحسين عليه السلام بنهضته وثورته في تلك البرهة والظروف أقام فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما أقام الأنبياء والأوصياء المعصومين عليه السلام هذه الفريضة، ويمكن استكشاف ذلك من خلال مواقف الإمام عليه السلام في الأوقات المختلفة؛ فيستفاد من كلماته عليه السلام: أنّ أهمّ عامل من العوامل التي فجّرت ثورة عاشوراء هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل إنّ هذه الميزة هي التي رفعت قيمة النهضة الحسينية وأكسبتها مزيداً من التقدير والاحترام؛ ولذا ثار الإمام الحسين عليه السلام لأجل إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فجاء ذلك على لسانه حينما قال: «إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جديّ، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي ﷺ وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام». ففي مثل هذه الظروف، نادى الإمام الحسين عليه السلام: «إن كان دين محمد ﷺ لا يستقيم إلا بقتلي فيا سيوف خذيني». وإلى غير ذلك من أقواله عليه السلام. ويمكن القول بضرر قاطع: إنّ هذه العوامل تشكّل البنية التحتية والعمود الفقري لقيام الإمام الحسين عليه السلام ونهضة عاشوراء، على أنّ كلّ واحد من تلك العوامل بحاجة إلى بحث وتحليل مفصّل وهو



٦٣٢..... منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨

ونزيده في الفساد وضوحاً الخبر الذي صحّحه الذهبي على ما شرطه مسلم^(١)، وقد دلّ على خطاب الله سبحانه نبيّه بأنّه قتل يحيى عليه السلام سبعين ألفاً وقاتل بابن بنته الحسين عليه السلام سبعين ألفاً^(٢)، فقد دلّ الخبر على مظلوميّة



خارج عن دائرة هذه الدراسة. والباحث الخبير عندما يتأمل في المصادر الإسلامية ويبحث عن حياة المختار وشخصيته البارزة يجد أنّ ثورته انطلقت تحت شعار "يا لثارات الحسين عليه السلام". فكانت ثورته ونهضته المباركة متوجّهة بالذات إلى أخذ الثار من قتلة شهداء كربلاء وتطهير الأرض من جرائم العيث والفساد من الأمويين، فالذي حداه إلى اتّخاذ هذا الأسلوب في ثورته هو الأخذ بسيرة مولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام ومكافحة طاغوت زمانه، فاستجاب له الشيعة الخُلص لتحقيق العدل الاجتماعي والسير وراء الإصلاح الذي قام به الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأخذ بالثار من قاتل الإمام الحسين عليه السلام. وحيث لم يتمكّن من تحقّق الأمر الأوّل بشكل كامل، فتصدّوا للأمر الثاني وهو أخذ الثار من أمثال عبيد الله بن زياد وعمر بن سعد وشمر بن ذي الجوشن وشبث بن ربعي وغيرهم المقرّبين إلى السلطة، فصار ذلك سبباً لنهضته المباركة. وعليه فلا بدّ لنا أن نعرف أولاً: شخصيّة المختار بن أبي عبيدة الثقفي الذي قتل قتلة الإمام الحسين عليه السلام وشفّى قلوب المؤمنين من خلال ثورته وقيامه، ثمّ نحكم عليه بما يترتّب على هذه الشخصيّة العظيمة، فلاحظ.

(١) انظر الهامش على المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج ٣: ص ١٧٨، وصحّحه الذهبي في الهامش وقال: على شرط مسلم.

(٢) فقد روى الحاكم بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أوحى الله إلى نبيكم صلى الله عليه وآله: «إني قتلت يحيى بن زكريا سبعين ألفاً، وإني قاتل بابن ابتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً» (المستدرك على الصحيحين ج ٣: ص ١٧٨)، ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج ١٤: ص ٢٢٥، وج ٦٤: ص ٢١٦، والذهبي في تذكرة الحفاظ ج ١: ص ٧٧، وفي سير أعلام النبلاء ج ٤: ص ٣٤٢، وابن الجوزي في المنتظم ج ٥: ص ٣٤٦، وغيرهم.

الحسين عليه السلام وعلى أنّ المنتقم له هو الله سبحانه بقتله ضعف من قتله في يحيى عليه السلام^(١).

(١) وتوضيح المقام أنّ مظلومية الإمام الحسين عليه السلام يتضح ويتبين لمن يتأمل في خصائص مولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وسيرته، ونهضته المباركة، حيث أنّها كانت محطة من محطات الصراع بين الحقّ والباطل، وهي حركة متصلة اتصالاً وثيقاً بأعظم الرسالات السماوية على الإطلاق، ونعني بالرسالة السماوية هي رسالة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بما تمثله من معارف وشرائع وأحكام ومفاهيم... ومن هنا قال النبي صلى الله عليه وآله: «حسين مّني وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً» (انظر سنن الترمذي ج ٥: ص ٣٢٤). وليس في وسع أيّ كاتب أو باحث غضّ الطرف عنها أو تجاوزها. ولذلك انكبّ الباحثون على سيرته عليه السلام دراسة وتحليلاً وبحثاً وتحقيقاً وعرضاً وتأليفاً منذ يوم شهادته... فقد روى الكليني رحمه الله بسنده عن رزين قال: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «لما ضرب الحسين بن علي عليه السلام بالسيف فسقط رأسه ثم ابتدر ليقطع رأسه نادى مناد من بطنان العرش: ألا أيّتها الأمة المتحيّرة الضالّة بعد نبيّها، لا وفّقكم الله لأضحى ولا لفطر»، قال: ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: «فلا جرم» (الكافي ج ٤: ص ١٧٠). وقد ورد في مجموعة من الاحاديث القدسيّة وصف الامام المهدي عليه السلام بأنّه المأمور والمدخر من قبل الله عزّ وجلّ للأخذ بشأر الإمام الحسين عليه السلام والانتقام من عموم أعداء الله عزّ وجلّ. فمثلاً روى الشيخ الصدوق رحمه الله في كتاب علل الشرائع مسنداً عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «لما قتل جدّي الحسين عليه السلام ضجّت عليه الملائكة إلى الله تعالى بالبكاء والنحيب وقالوا: الهنا وسيدنا، اتمهل من قتل صفوتك وابن صفوتك وخيرتك من خلقك، فأوحى الله عزّ وجلّ اليهم: قرّوا ملائكتي، فوعزّتي وجلالي لأنتقمنّ منهم ولو بعد حين». ثمّ قال الامام الباقر عليه السلام: «ثمّ كشف الله عزّ وجلّ عن الأئمة من ولد الحسين عليه السلام للملائكة، فسرّت الملائكة بذلك، فإذا أحدهم قائم يصليّ، فقال الله عزّ وجلّ: بذلك القائم أنتقم منهم» (علل الشرائع ج ١: ص ١٦٠). وفي حديث أخرجه الطريحي في مجمع البحرين: أنّه إذا خرج القائم عليه السلام يطلب بدم الحسين عليه السلام وهو يقول: «نحن أهل الدم طلاب الثرة (أي الثار)» (مجمع البحرين ج ٣: ٣)



ص ٢٣٤). وقد جاء في دعاء الندبة: «أَيْنَ الطَّالِبُ بِدُخُولِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَبْنَاءِ الْأَنْبِيَاءِ أَيْنَ الطَّالِبُ بِدَمِ الْمَقْتُولِ بِكَرْبَلَاءَ...» (كتاب المزار للمشهدي: ص ٥٧٣). وفي زيارة مولانا صاحب العصر والزمان نقراً: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا صَاحِبَ الْفَتْحِ وَنَاشِرَ رَايَةِ الْهُدَى السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُؤَلِّفَ شَمْلِ الصَّلَاحِ وَالرُّضَا، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا طَالِبَ نَارِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَبْنَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَالثَّائِرِ بِدَمِ الْمَقْتُولِ بِكَرْبَلَاءَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمَنْصُورُ عَلَى مَنْ اغْتَدَى» (انظر بحار الأنوار ج ٩٩: ص ٨٥). ويقول الزائر لمولانا الامام الحسين عليه السلام في زيارة عاشوراء وهي أهم زياراته عليه السلام: «فأسأل الله الذي أكرم مقامك وأكرمني بك أن يرزقني طلب ثارك مع إمام منصور من أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله»، ويقول في عبارة لاحقة من الزيارة نفسها: «وأن يرزقني طلب ثاري مع إمام هدى مهدي ظاهر ناطق بالحق منكم». لكن ما هو سرّ في الادخار الإمام المهدي عليه السلام لمهمة الأخذ بثار سيّد الشهداء عليه السلام، ولماذا لم يستجب الله عزّ وجلّ لطلب الملائكة بإهلاك الظالمين فور قتلهم الحسين عليه السلام واستحلالهم لحرمة وهي حرمة الله ورسوله وأوليائه؟ يبدو أنّ الإجابة عن هذا السؤال ترتبط بالتخطيط الإلهي لإيصال خلقه الى الغاية من خلقهم، فالذي يتّضح من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة أنّ هذا الإمهال الإلهي للظالمين يستهدف إخراج جميع ما في أصلاب الكافرين من نساءم مؤهلة حسب العلم الإلهي للإيمان وقبول الحقّ، كما سنبينه تفصيلاً في محلّه إن شاء الله تعالى. وعليه فإنّ الله تبارك وتعالى قد أخذ ثار الإمام الحسين عليه السلام، قال المجلسي الأول رحمته الله في كتابه روضة المتقين: «ثار الله» أي من سفك في طاعة الله دمه ويطلبه الله بالقائم وأصحابه (صلوات الله عليه)، «السلام عليك يا وتر الله الموتور في السماوات والأرض» أي لم يطلب دمه الملائكة ولا بني آدم إلى الآن «واقشعرت له أظلة العرش» أي ما فوق العرش أو الروحانيين المطيفين به والحاملين له (وفي بعض النسخ مع أظلة الخلائق) أي السماوات السبع والكرسي والحجب إن كانت تحت العرش وإن كانت فوقه فهي أظلة العرش، أو المراد بهم جميع المجرّدات فإنّهم عالون على الجسمانيّات (روضة المتقين ج ٥: ص ٤٢٨). وقال العلامة المجلسي رحمته الله: المراد بـ «ثار الله» كما مرّ، أي: الذي الله تعالى طالب دمه. و«الوتر» الفرد، و«الموتور» الذي قتل له قتيل فلم



وثاني عشرها: ما زعمه من وجود شدة الشر في رجال الشيعة وشدة الخير في رجال المارقة^(١)،



يدرك بدمه ووتره حقّه نقصه، قاله الجوهرى (انظر ملاذ الأخبار ج ٩: ص ١٣٣). وإلى غير ممّا ورد في معنى ثار الله. فيتّضح من خلال الروايات وأقوال العلماء أنّ هذه العبارة صارت رمزاً لمولانا أبي عبدالله الحسين عليه السلام بحيث لُقّب الإمام الحسين عليه السلام بأنه "ثار الله"، ويتبيّن ذلك من خلال الحركات الثورية التي حدثت في التاريخ بعد استشهاد مولانا أبي عبدالله الحسين عليه السلام، والمباشرين لأخذ الثار على أيدي التوّابين أو المختار الثقفي وغيرهم. ولكن كلّ ذلك لا يحقّق هذا المعنى بتمام كلمته، إلّا بعد أخذ الثار الإلهي سيكون بيد بقية الله (أرواحنا فداه) فإنّه سيأخذ بثأر جدّه الامام الحسين عليه السلام.

(١) وتوضيح المقام أنّه لا شك ولا شبهة في بطلان ما زعمه ابن تيمية في المقام وتوضيح ذلك يحتاج الى تبين الأمور التالية: أولاً: لا بدّ أن نعرف معنى الخير والشرّ، وثانياً: يلزم علينا أن نعرف معنى شدة الخير وشدة الشرّ، وثالثاً: يلزم أن نعرف حقيقة الشيعة من خلال الأدلّة الشريعة، ورابعاً: أن نعرف حقيقة المارقة من خلال الأدلّة الشرعيّة، فعند ذلك يمكننا تطبيق الخيريّة والشريّة على ما قرّره الشرع الأقدس، أو تطبيق شدة الخير وشدة الشرّ على ما قرّره الشريعة المقدّسة.

فنعول: من معلوم أنّ المعنى في المصطلح الشرعي لا بدّ أن يؤخذ من الكتاب والسنة النبويّة المتّفق بين جميع المسلمين، فيلزم المراجعة إلى الكتاب والسنة الشريفة. وفي هذا المجال أنّ المستفاد من الآيات والروايات أنّ الخير ليس مطلق المرغوب فيه على كلّ حال، بل الخير هو ما فيه الصلاح للدنيا والآخرة، وقد جاء عنوان الخير في عدّة آيات منها: قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٤)، فإنّ الخير في الآية بمعنى الحقّ، حيث أنّ الآية تدعو إلى الحقّ ومكافحة الفساد، لأنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما - في الحقيقة - بمثابة غطاء وقائي اجتماعي لحماية الأمة وصيانتهم، إذ تقول الآية:





﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. وذلك لأن فقدان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يفسح المجال للعوامل المعادية للوحدة الاجتماعية بأن تنخرها من الداخل، وتأتي على كل جذورها لدمار الأمة. فالآية تتضمن دستوراً أكيداً للأمة الإسلامية بأن تقوم بهاتين الفريضتين دائماً، وأن تكون أمة آمرة بالمعروف وناهية عن المنكر أبداً، لأن فلاحها مرهونة بذلك حيث يقول تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. ومنها: قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة: ١٨٤). فإن الصوم - وإن كان على الظاهر نوعاً من التضييق والتحديد - ولكن نفعه على الصعيد المادي والمعنوي خير وصلاح للإنسان في الدنيا والآخرة، لأن الصوم في الدنيا سبب لصحة البدن، ومدرسة للتقوى في العمل، والتقوى سبب لنجاة الإنسان في الدنيا والآخرة. ومنها قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (سورة البقرة: ١٩٧)، هذه الآية أمرت بحمل الزاد، وأن خيرها التقوى. وقيل: إن جماعة من أهل اليمن كانوا يحجون دون أن يصحبوا معهم زاداً للطريق، قائلين: نحن ضيوف الله وطعامنا عليه. فهذه الفقرة من الآية أمرت بحمل الزاد، لأن الله سبحانه هياً للجميع طعامهم بالطريق الطبيعية، والآية تشير في الوقت نفسه إلى مسألة معنوية هي زاد التقوى، إذ هناك حاجة إلى زاد من نوع آخر هو التقوى. فالعبارة تنطوي على توعين من الزاد المادية والمعنوية. ولكن خير الزاد بالنسبة إلى الحج وغيره الزاد المعنوي الذي به تفتح الأبصار على ما في ساحة الحج. مما مر في تاريخ الرسل والأنبياء ﷺ، وبمشاهد تضحية إبراهيم عليه السلام بطل التوحيد، وبمظاهر عظمة الله سبحانه مما لا يوجد في مكان آخر، فلا بد للحاج أن يستلهم من هذه الساحة زاداً يعينه على مواصلة مسيرته نحو الله فيما بقي من عمره. ولذلك قال تعالى في آخر الآية: ﴿وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾، فالحديث موجه إلى أولي الأبواب والعقول، والتركيز إنما يكون على التقوى، لأن بالتزود عند العقلاء تحصل النتيجة. فالشاهد أن معنى الخير هو صلاح الدنيا والآخرة. كما أن المقصود بالخير في الروايات أيضاً يكون كذلك، واليك بعض الروايات الواردة في هذا المجال، منها: ما رواه ابن أبي شيبة في





كتابه المصنف بسنده عن سعيد المقبري أن النبي ﷺ قال: «خير الناس من يرجى خيره ويؤمن شره، وشر الناس من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره» (المصنف لابن أبي شيبة ج ٨: ص ١٤٤)، ورواه ابن عبد البر في الاستذكار ج ٨: ص ٢٧٧. فإن رجاء الخير هو ما يصدر من الإنسان بجهة صلاح الدنيا والآخرة. ومنها: ما رواه العلامة المجلسي رحمه الله بسنده عن جعفر بن محمد بن أبيه عليه السلام، عن جدّه عليه السلام، عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن النبي ﷺ أنه قال: «يا علي، أوصيك بوصية فاحفظها فلا تزال بخير ما حفظت وصيتي؛ يا علي من كظم غيظاً وهو يقدر على إمضائه أعقبه الله يوم القيامة أمناً وإيماناً يحدّ طعمه؛ يا علي من لم يحسن وصيته عند موته كان نقصاً في مروته، ولم يملك الشفاعة؛ يا علي أفضل الجهاد من أصبح لا يهتمّ بظلم أحد؛ يا علي من خاف الناس لسانه فهو من أهل النار؛ يا علي شر الناس من أكرمه الناس اتقاء شره؛ يا علي شر الناس من باع آخرته بدنياء، وشر من ذلك من باع آخرته بدنيا غيره» (بحار الأنوار ج ٧٤: ص ٤٦). فأيضاً أن المعنى هو ما كان فيه صلاح الدنيا والآخرة. ومنها: ما رواه المتقي الهندي في كنز العمال بسنده عن خالد بن الوليد قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إنني سائلك عمّا في الدنيا والآخرة، فقال له: «سل عمّا بدا لك»، قال: يا نبي الله! أحب أن أكون أعلم الناس، قال: «أتق الله تكن أعلم الناس»، فقال: أحب أن أكون أغنى الناس، قال ﷺ: «كن قنعاً تكن أغنى الناس»، قال: أحب أن أكون خير الناس، فقال: «خير الناس من ينفع الناس، فكن نافعاً لهم»، فقال: أحب أن أكون أعدل الناس، قال ﷺ: «أحب للناس ما تحب لنفسك تكن أعدل الناس»، قال: أحب أن أكون أخص الناس إلى الله تعالى، قال: «أكثر ذكر الله تكن أخص العباد إلى الله تعالى»، قال: أحب أن أكون من المحسنين، قال: «اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يرك»، قال: أحب أن يكمل إيماني، قال: «حسن خلقك يكمل إيمانك»، فقال: أحب أن أكون من المطيعين، قال: «أد فرائض الله تكن مطيعاً»، فقال: أحب أن ألقى الله نقيّاً من الذنوب، قال: «اغتسل من الجنابة متطهراً تلقى الله يوم القيامة وما عليك ذنب»، قال: أحب أن أحشر يوم القيامة في النور، قال: «لا تظلم أحداً تحشر يوم القيامة في النور»، قال: أحب أن يرحمني ربي، قال: «ارحم





نفسك وارحم خلق الله يرحمك الله»، قال: أحب أن تقل ذنوبي، قال: «استغفر الله تقل ذنوبك»، قال: أحب أن أكون أكرم الناس، قال: «لا تشكون الله إلى الخلق تكن أكرم الناس»، فقال: أحب أن يوسع علي في الرزق، قال: «دم على الطهارة يوسع عليك في الرزق»، قال: أحب أن أكون من أحب الله ورسوله، قال: «أحب ما أحب الله ورسوله وأبغض ما أبغض الله ورسوله»، قال: أحب أن أكون آمناً من سخط الله، قال: «لا تغضب على أحد تأمن من غضب الله وسخطه»، قال: أحب أن تستجاب دعوتي، قال: «اجتنب الحرام تستجب دعوتك»، قال: أحب لا يفضحني الله على رؤس الأشهاد، قال: «احفظ فرجك كيلا تفتضح على رؤس الأشهاد»، قال: أحب أن يستر الله على عيوبي، قال: «استر عيوب إخوانك يستر الله عيوبك»، قال: ما الذي يمحو عني الخطايا؟ قال: «الدموع والخضوع والأمراض»، قال: أي حسنة أفضل عند الله؟ قال: «حسن الخلق والتواضع والصبر على البلية والرضا بالقضاء»، قال: أي سيئة أعظم عند الله؟ قال: «سوء الخلق والشح المطاع»، قال: ما الذي يسكن غضب الرحمن؟ قال: «إخفاء الصدقة وصلة الرحم»، قال: ما الذي يطفى نار جهنم؟ قال: «الصوم» (كنز العمال ج ١٦: ص ١٢٧). وإلى غير ذلك من الروايات فالخير هو ما يتجمع فيه الصلاح في الدنيا والآخرة. ولذلك قال العلامة المجلسي قدس سره في معنى الخير: والخير والشر يطلقان على الطاعة والمعصية وعلى أسبابهما ودواعيهما، وعلى المخلوقات النافعة كالحبوب والثمار والحيوانات المأكولة والضارة كالسموم والحيات والعقارب، وعلى النعم والبلايا... (مرآة العقول ج ٢: ص ١٧١). وعليه فإن معنى الخير هو الطاعة والطاعة ما فيها المصلحة في الدنيا والآخرة، وإن كان الإنسان بحسب الظاهر لا يدرك واقع الأمر على ما هو عليه في الواقع، ولكن العقل السليم يرشده إلى الصلاح الواقعي، لأنه يدرك بأن طاعة المولى فيه الخير ومعصيته فيه الشر وهذا هو الصلاح الواقعي، وإن كان في ذلك شدائد وصعوبات. ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة: ٢١٦). فالمعيار في معرفة الخير والشر هو طاعة الله.





وأما الشرُّ فهو نقيض الخير، وذلك كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ (سورة البينة: ٦). وكقول النبي ﷺ: «شرُّ الناس عند الله يوم القيامة الذين يكرمون اتقاء شرِّهم» (انظر صحيح البخاري ج ٧: ص ٨١ كتاب الأدب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، وكتاب الكافي ج ٢: ص ٣٢٧). ومن هنا يعرف أنَّ شرَّ الناس عند الله هو من غضب الله عليه كما في قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (سورة الفاتحة: ٧). وعلامة هؤلاء في الدنيا أنَّهم يؤذون الله ورسوله ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (سورة الأحزاب: ٥٧). ولقد أشار الله تعالى بأنَّ هؤلاء شرُّ الناس في الدنيا والآخرة كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (سورة المائدة: ٦٠). فشرُّ الناس من غضب الله ورسوله ﷺ عليه.

وأما شدة الخير وشدة الشرِّ، فإنَّ الخير قد يستعمل بمعنى أخير أي من باب أفعل التفضيل، وذلك كقول رسول الله ﷺ: «علي خير البشر ومن أبي فقد كفر» (انظر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٤٢: ص ٣٢٧، والرياض النظرة لمحَبِّ الدين الطبري ج ٣: ص ١٩٨، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٧: ص ٤٣٣، وكنز العمال للمتقي الهندي ج ١١: ص ٦٣٥ وغيرها من المصادر). فمعنى قوله ﷺ: «خير البشر» أي أخير الناس بعد رسول الله ﷺ، لأنَّ رسول الله ﷺ أشرف خلق الله عند جميع المسلمين بنص آية المباهلة أنَّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو نفس رسول الله ﷺ، فيكون أشرف خلق الله بعد رسوله ﷺ، فهو «خير البشر»، وحيث أنَّ هذا الأمر من مسلّمات القرآن الكريم، فيكون المقصود بخير البشر في الحث بمعنى أفضل التفضيل، وعليه فمن أبى عن هذا الحق «فقد كفر». وبهذه العبارة يعرف معنى شدة الشرِّ، فإنَّه بتصريح القرآن أنَّ الأخير أو شدة الخير في من أطاع أولياء الله. والأشَرُّ أي شدة الشرِّ لمن أبى عن طاعة أولياء الله، ودخل في طاعة الطواغيت كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ





مُتُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ
الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ (سورة المائدة: ٦٠).

وأما التعيين المصداقي، فإن القرآن الكريم والسيرة النبوية العطرة تدلان على أن من أطاع الله
ورسوله ﷺ حق طاعته، أي أطاع الله ورسوله ﷺ إلى آخر لحظة من حياته فهو خير
الناس عند الله ورسوله ﷺ، وبعبارة أخرى: أن الآيات والروايات الواردة في مدح أهل
الطاعة مشروطة باستمرار أهل الإيمان على الطاعة والاتباع الرسول ﷺ إلى آخر لحظة
حياتهم، فإذا كانوا قائمين على الحق، وآخذين بالكتاب والسنة، وسائرین على ما كان
عليه النبي ﷺ كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ
خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (سورة البينة: ٧). وقد ورد عن الفريقين في تفسير قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمْ
خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ الروايات الكثيرة الدالة على أن المقصود بهم شيعة الإمام أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب عليه السلام، وإليك بعض ما ورد في هذا المجال من كتب أهل السنة، فمنها:
ما رواه الحاكم الحسكاني في كتابه شواهد التنزيل بسنده عن يزيد بن شراحيل الأنصاري
كاتب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: «حدثني
رسول الله ﷺ وأنا مسنده إلى صدري فقال: يا علي أما تسمع قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾؟ هم أنت وشيعتك، وموعدي
وموعدكم الحوض، إذا اجتمعت الأمم للحساب تدعون غرأً محجلين» (انظر شواهد
التنزيل ج ٢: ص ٤٥). ومنها: ما رواه السيوطي في تفسيره بسنده عن جابر بن عبد الله قال:
كنا عند النبي ﷺ، فأقبل علي عليه السلام فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته
لهم الفائزون يوم القيامة»، ونزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ
خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، فكان أصحاب النبي ﷺ إذا أقبل علي عليه السلام قالوا: "جاء خير البرية" (الدرر
المنثور ج ٦: ص ٣٧٩). ومنها: ما رواه عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: «هو أنت
وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين» (الدرر المنثور ج ٦: ص ٣٧٩). ومنها ما رواه ابن
مردويه عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «قال لي رسول الله ﷺ: ألم





تسمع قول الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾؟ أنت وشيعتك، وموعدي وموعدكم الحوض إذا جثت الأمم للحساب تدعون غرّاً محجّلين» (الدرّ المنثور ج ٦: ص ٣٧٩). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام. وهناك آيات وروايات كثيرة تدلّ على هذا المعنى، فالنبي الأكرم ﷺ كان يعدّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إعداداً رسالياً خاصاً، ليعرف المسلمون أنّ الفرقة الناجية الذين تمسّكوا بالكتاب والسنة النبوية، وساروا على نهج النبي الأكرم ﷺ هم شيعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ولذلك عُرف جماعة من كبار الصحابة في عصر رسول الله ﷺ بشيعة علي بن أبي طالب عليه السلام، فإنّ هذا اللقب كان منذ عهد رسول الله ﷺ، وعلى رأس هذه الجماعة: سلمان الفارسي، وأبي ذرّ الغفاري، وعمار بن ياسر، والمقداد بن الأسود، وغيرهم. وقد صرح بذلك أبو حاتم السجستاني في كتابه الزينة، وعقد فيه باباً لألفاظ المتداولة بين أهل العلم، فقال: أول اسم ظهر في الإسلام على عهد رسول ﷺ هو الشيعة، وكان هذا لقب أربعة من الصحابة، وهم: أبو ذرّ الغفاري، وسلمان الفارسي، والمقداد بن الأسود الكندي، وعمار بن ياسر، إلى أوان صفّين، فانتشرت بين موالي علي عليه السلام... (انظر كتاب الزينة: مخطوط). ومن هنا يعرف أنّ شيعة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هم خير الناس من عهد النبي الأكرم ﷺ إلى يوم القيامة، لأنهم متمسّكين بمفاهيم الرسالة السماوية وحقائقها، والتثقيف بالمعارف الوحيانية، والعمل على طبق المناهج الرسالة النبوية وإنجاز أهداف الرسالة السماوية وتحقيق أغراضه إلى يوم القيامة. ومن هنا روى الحاكم في المستدرک بسنده عن أبي إسحاق، قال: سألت القاسم بن العباس، كيف ورث عليّ رسول الله ﷺ؟ قال: لأنّه كان أولنا به لحوقاً وأشدّنا به لزوقاً... (المستدرک على الصحيحين ج ٣: ص ١٣٦). وروى النسائي بسنده عن عبد الله بن يحيى عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: «كانت لي منزلة من رسول الله ﷺ لم تكن لأحد من الخلائق؛ كنت أدخل على نبي الله ﷺ كل ليلة، فإن كان يصليّ سبّح فدخلت، وإن لم يكن يصليّ أذن لي فدخلت» (السنن الكبرى للنسائي ج ٥: ص ١٤٠). وروى أيضاً عن الإمام أمير المؤمنين





علي بن أبي طالب عليه السلام قوله: «كان لي من النبي صلى الله عليه وآله مدخلان مدخل بالليل ومدخل بالنهار...» (السنن الكبرى للنسائي ج ٥: ص ١٤١). وروى أيضاً عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه كان يقول: «كنت إذا سألت رسول الله صلى الله عليه وآله أعطيت، وإذا سكتَ ابتدأني...» (السنن الكبرى للنسائي ج ٥: ص ١٤٢)، ورواه الحاكم في المستدرک، وقال: صحيح على شرط الشيخين (انظر المستدرک على الصحيحين ج ٣: ص ١٣٥). وقال مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبته القاصعة الشهيرة، وهو يصف ارتباطه الفريد بالرسول القائد، وعناية النبي صلى الله عليه وآله بإعدادة وتربيته: «وقد علمتم موضعي من رسول الله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا ولدٌ، يضمّني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسّني جسده، ويشمّني عرقه، وكان يمضغ الشيء ثمّ يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل... ولقد كنت أتبعه أتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالافتداء به، ولقد كان يجاور في كلّ سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نورَ الوحي والرسالة، وأشمّ ريح النبوة...» (نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٩٢). وإلى غير ذلك من الروايات والشواهد الدالة على أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وأنّ شيعته هم الفائزون يوم القيامة فهم خير أهل الطاعة. وقد ورد في حديث متفق عليه بين الفريقين بأنّ الله سبحانه وتعالى خلق الجنّة لمن أطاعه ولو كان عبداً حبشياً، وخلق النار لمن عصاه ولو كان سيّداً قرشياً (انظر بحار الأنوار ج ٤٦: ص ٨٢، وتاريخ مدينة دمشق ج ٤١: ص ٣٩٥). وفي قبال هؤلاء المارقة الذين خرجوا عن طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وهم العصاة الذين انشقّوا وانفصلوا عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد قضية الحكميّة في حرب صفين وتحولوا إلى فئة عسكرية مسلّحة متطرّفة متمرّدة مخرّبة، ولم يكن هناك شيء يمنعهم من التطرّف والتمرد، وتسمّى هذه الفرقة بالخوارج. وقد ذكرهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عدّة مرّات وفي مناسبات مختلفة، منها: قوله عليه السلام: «فلما نهضتُ بالأمر نكثت طائفة ومركت أخرى...» (نهج البلاغة: الخطبة رقم ٣). ومنها قوله عليه السلام: «أنا





حجيج المارقين وخصيم الناكثين المُرتابين» (نهج البلاغة: الخطبة رقم ٧٥). وقد حاججهم الإمام عليه السلام لأنهم كانوا في أصحابه والتبس عليهم الحق فأعطاهم فرصة كبيرة ليعودوا عن طريق الغي ويعلنوا خطأهم، ومنع أصحابه في حمل السلاح بوجههم قبل أن يبدو أنهم بالقتال. وأخذ خطرهم يستشري عندما أخذوا في التبشير بأفكارهم المضللة وعندها قرّر الامام عليه السلام أن يتصدّى لهم، فأول عمل قام به الإمام عليه السلام المحاجة معهم، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في استراتيجيّة المارقين: «فإن أبيتم أن تزعموا إلاّ أنّي أخطأت وضللت فلم تضلّون عامّة أمة محمّد عليه السلام بضلالي، وتأخذونهم بخطائي، وتفكرونهم بذنوبي؟ سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البرء والسقم، وتخلطون من أذنب بمن لم يذنب» (نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٢٣). فالإمام عليه السلام أول حاكم يتكلّم مع المعارضة بهذا الشكل ويحاججهم بتلك الحجج القوية لعلمهم بتركوا غيهم وبيتعدوا عن مواقفهم الضالّة التي كانت تنتهي بهم إلى الشقاء في الدنيا والآخرة. فدار الحوار بين الإمام عليه السلام والمارقة قبل أن يعلن الحرب الدفاعية عليهم. ففي بحث المارقين وتعامل أمير المؤمنين عليه السلام دروس وعبر لجميع الحكومات كيف يجب أن يكونوا مع مخالفيهم وكيف يتعاملوا معهم معاملة الحسنى ولا يستخدموا القوة إلاّ في المرحلة النهائية. فعندما تتوقّف كلّ المحاولات وكان لا يمتنعهم أي مانع في الشريعة المقدّسة فقاتلهم الإمام عليه السلام. وبحسب ما هو الموجود في المصادر الحديثيّة للمسلمين يرجع بذرة هذه الفئة المتطرّفة والتمترّة والخارجة عن الدين إلى زمان رسول الله عليه السلام، وذلك أنّ النبي عليه السلام بعد أن قسّم غنائم في غزوة حنين بين المسلمين كان هناك رجل يراقب النبي عليه السلام يقال له: ذو الثدية أو ذو الخويصرة، فقال للنبي عليه السلام: قد رأيت ما صنعت؟! فقال له النبي عليه السلام: «وماذا صنعت أنا؟» فقال: لم تعدل بين الناس يا محمّد!! فقال له النبي عليه السلام: «ويحك إذا أنا لم أعدل فمن ذا الذي يعدل؟!» وانصرف ذلك الرجل وأشار النبي عليه السلام إليه فقال: «يخرج في الأمة أتباع هذا صلاتكم تهون عند صلاة أحدهم يقرؤون القرآن لا يتجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» (انظر صحيح البخاري ج ٤: ص ١٧٩ كتاب دعاء النبي عليه السلام إلى الإسلام، باب علامات النبوة



فمن ذمّه الشيعة فيهم من هو شرّ منه، ومن مدحه الشيعة في المارقة من هو خير منه^(١)،



والإسلام). فمن علائم هؤلاء القوم قراءة القرآن وحفظه والاهتمام بظواهر الألفاظ فيه، ولكن لا يتجاوز حالة الصوت والترنم والحفظ إلى المعنى وعمق القرآن. وهنا تشبيه جميل فهم وإن ألصقوا أنفسهم بالإسلام والمسلمين ولكنهم في الواقع خارجون عن دائرة الإسلام والدين كما شبههم رسول الله ﷺ بهذا التشبيه الجميل: «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»، وقال النووي في شرح هذه الفقرة أنه: قال الخطابي: هو هنا الطاعة أي من طاعة الإمام وفي هذه الأحاديث دليل لمن يكفر الخوارج... (شرح صحيح مسلم للنووي ج ٧: ص ١٦٠). وقال السيوطي في شرح الفقرة أنه: قال القاضي عياض فيه تأويلان، أحدهما معناه لا تفقهه قلوبهم ولا ينتفعون بما تلو منه ولا لهم حظ سوى تلاوة الغم والحنجرة والحلق إذ بهما تقطع الحروف. والثاني معناه لا يصعد لهم عمل ولا تلاوة ولا تتقبل يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم أي يخرجون منه خروج السهم إذا نفذ الصيد من جهة أخرى ولم يتعلق به شيء منه من الرمية هي الصيد المرمي فعيلة بمعنى مفعولة (شرح سنن النسائي للسيوطي ج ٥: ص ٩١). وإلى غير ذلك ممّا ذكروا في هذا المجال. فالمارقون هم الخوارج الذين خرجوا وبغوا على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وباتفاق المسلمين أنّهم كفّار بسبب خروجهم على إمام زمانهم وأنهم في النار مخلّدون. وعليه فما ادّعاه ابن تيمية شدة الخير فيهم على خلاف كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وسيُتضح لك الأمر أيها القارئ الكريم من خلال المطالب الآتية أكثر وضوحاً، إن شاء الله تعالى فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أنّ ما قصده ابن تيمية هنا من قوله: من ذمّه الشيعة فيهم من هو شرّ منه... دعوى مضحك، حيث أنّه يدّعي بأن الشيعة قد تدمّ بعض الظالمين كالحجاج وأمثاله، فإنّه وإن كان ذمهم في محلّه وبحقّ، إلّا أنّ في الشيعة من هو شرّ منه، ويقصد بذلك وجود المختار في الشيعة. ثمّ يدّعي بأن الشيعة قد تمدح شخص كالمختار ولو بحقّ، ولكن في



المارقة والخوارج من هو خير منه. ألا يتعجب الإنسان العاقل من سخافة هذه المقالة الجرافة التي ليس فيها إلا الدجل والتزوير، فإن إدراك الكلام الموزون إنما يأتي عن طريق الدراسة والبحث والتأمل، لا الدعوى الجرافية، والمعيار في المدح والذم هو الشرع الأقدس أعني القرآن الكريم وروايات المعصومين عليهم السلام، لا ما تهويه النفس وبحسب ما يضره من العقائد الفاسدة. ولتوضيح المقام نرجع الى كتاب الله والسنة رسوله ﷺ في معرفة المعيار الصحيح في المدح والذم في الشريعة المقدسة. ومن خلال الدقة في الآيات المحكمة نجد أن الله تبارك وتعالى مدح المؤمنين للصفات والأعمالهم الممدوحة، لا لأشخاصهم وذواتهم. وبعبارة أخرى أن الأعمال الصالحة والصفات الممدوحة موجبة لمدح المؤمنين في القرآن الكريم، كما أن الله تعالى مدح إبراهيم الخليل عليه السلام بصفاته، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (سورة البقرة: ١٣٠). فالمدح في الآية الكريمة متوجه لصفات الممدوح وأعماله المطابقة للشريعة المقدسة. كما أن الذم أيضاً يكون بسبب وجود الصفات المذمومة في الشخص، لا أن الذات تكون مذمومة. فالخبير يعلم بأن قتل النفس المحترمة مذموم، وذم الحجاج ليس من جهة كونه حجاجاً، كما أن المختار بجهة قتله الظالمين وقتله سيد الشهداء عليه السلام يكون ممدوحاً، لا أن ذاته تكون ممدوحة، فحيث أن عمل الحجاج يكون مذموماً وشرافاً في الشريعة المقدسة، وعمل المختار يكون ممدوحاً في الشريعة المقدسة يعرف المح والذم بالمعيار الشرعي. ومن هنا يعرف معنى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجَرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ...﴾ (سورة الأنفال: ٧٢). فالقرآن الكريم يهدف من وراء مدح الصالحين تشريفهم وبيان منزلتهم واستدعاء الناس لأن ينضموا إليهم، ويتخذوا أسلوب المؤمنين الممدوحين كأسوة من ناحية الشرع الأقدس وأسلوباً تربوياً للترغيب والدعوة للتشبه بصفات الممدوحين وسلوك طريقهم والتحلي بأخلاقهم. فالمختار حيث أخذ طريقة أعماله في ثورته من ثورة الإمام الحسين عليه السلام



فإنك قد عرفت بهتانه في هذه الدعوى مما مرّ بيانه بآيات الفرقان العظيم
والسنة الشريفة^(١)،



ونهبته المباركة، فيكون عمله ممدوحاً. وأمّا الحجّاج حيث أخذ أفعاله الشيعة من بني أمية وهم الشجرة الملعونة في القرآن الكريم يكون مذموماً، كما ذمهم الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ (سورة الإسراء: ٦٠). فإن الله تبارك وتعالى لما أرى نبيه بني أمية كالقردة على منبره، فأخبره بأنهم سوف يحكمون على أمته على خلاف الاسلام ما هو إلا الفتنة التي كانت سبباً لضلالة الأمة، لوضوح فسادهم وشناعة أعمالهم، فقله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً﴾، أي: ما جعلنا خلافتهم وأعمالهم إلا فتنة، وهذا إشارة إلى شدة ذمهم باعتبار ما يصدر منهم من استباحة الدماء المحترمة والفروج المحصنة وأخذ الأموال من غير محلّها ومنع الحقوق عن أهلها وتبديل الأحكام، والحكم بغير ما أنزل الله إلى غير ذلك من القبائح والمخازي التي ارتكبتها بنو أمية التي لا تكاد تنسى ما دامت الليالي والأيام. فالحجّاج أخذ أعماله من هذه الشجرة الملعونة في القرآن الكريم فأين هذا من المختار، الذي كان يتبع أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وكانت ثورته مأخوذة من تعاليم مدرسة ثورة الإمام الحسين (عليه السلام)، فأين الثرى من الثريا. وهل لعافل يقيس بينهما كمقايسة ابن تيمية، فلا شكّ في أن هذا النوع من المقايسة يدلّ على شدة جهله، فلاحظ.

(١) لا يخفى على الباحث الخبير أنّ آيات من القرآن الكريم وروايات من السنة النبوية قد مدحت الشيعة. أمّا ما وردت من الآيات في مدح الشيعة وقد ذكرها علماء أهل السنة في كتب تفسيرهم، فمنها: قوله تعالى: قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ (سورة الفاتحة: ٧)، فقد روى الحاكم الحسكاني في كتابه شواهد التنزيل بسنده عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه في قول الله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. قال النبي (ﷺ): «ومن معه وعلي بن أبي طالب وشيعته» (انظر شواهد التنزيل ج ١: ص ٨٥).





ومنها: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة البقرة: ٢)، فقد روى بسنده عن عبد الله بن عباس في قول الله عز وجل: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ﴾، يعني لا شك فيه أنه من عند الله نزل "هُدًى" يعني بياناً ونوراً "لِّلْمُتَّقِينَ" علي بن أبي طالب الذي لم يشرك بالله طرفة عين، اتقى الشرك وعبادة الأوثان وأخلص لله العبادة، يبعث إلى الجنة بغير حساب هو وشيعته (شواهد التنزيل ج ١: ص ٨٦). وقد روى القندوزي الحنفي في كتابه ينابيع المودة بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري في حديث طويل ذكر فيه النبي ﷺ أوصيائه الأئمة الاثني عشرية، حتى قال ﷺ: «طوبى للمقيمين على محبتهم، أولئك الذين وصفهم الله في كتابه، وقال: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ»، ثم قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾» (انظر ينابيع المودة ج ٣: ص ٢٨٥). ومنها قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة البقرة: ٥)، فقد روى الحاكم الحسكاني بسنده عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: حدثني أبي، عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «قال لي سلمان الفارسي: قلما طلعت على رسول الله ﷺ يا بالحسن وأنا معه إلا ضرب بين كتفي وقال: "يا سلمان هذا وحزبه هم المفلحون"» (انظر شواهد التنزيل ج ١: ص ٨٨). ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ (سورة آل عمران: ١٩٨)، فقد روى الحاكم الحسكاني في كتابه شواهد التنزيل بسنده عن الأصمغ بن نباتة قال: سمعت علياً يقول: «أخذ رسول الله ﷺ بيدي ثم قال: "يا أخي قول الله تعالى ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾، أنت الثواب وشيعتك الأبرار"» (شواهد التنزيل ج ١: ص ١٧٨). ومنها قوله تعالى: ﴿فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْ جَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ (سورة النساء: ٦٤)، فقد روى ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق بسنده عن جابر بن عبد الله قال: خطبنا رسول الله ﷺ فسمعته وهو يقول: «من أبغضنا أهل البيت حشره الله يوم القيامة يهودياً»، قال: قلت: يا رسول الله وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم؟ فقال: «نعم وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم، إنما احتجز بذلك من سفك دمه وأن يؤذي الجزية عن يد وهو صاغر»، ثم قال: «إِنَّ اللَّهَ





عَلَّمَنِي أَسْمَاءَ أُمَّتِي كُلَّهَا كَمَا عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا، وَمَثَلُ لِي أُمَّتِي فِي الطِّينِ فَمَرَّبِي
 أصحاب الرايات فاستغفرت لعلي وشيعته» (تاريخ مدينة دمشق ج ٢٠: ص ١٤٨). منها قوله
 تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ
 عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ (سورة الأعراف: ٤٦)، فقد روى العلامة السيّد
 هاشم البحراني في كتابه غاية المرام: تفسير الثعلبي في قوله في سورة الأعراف: ﴿وَعَلَى
 الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ...﴾ عن الأصمغ بن نباتة قال: كنت جالسا عند
 أمير المؤمنين عليه السلام فأثاه ابن الكوا فقال له: يا أمير المؤمنين أخبرني عن قول الله عز وجل:
 ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾. فقال عليه السلام: «يا بن الكوا نحن نقف
 على الأعراف يوم القيامة بين الجنة والنار، فمن نصرنا من شيعتنا ومحبينا عرفناه بسيما
 وأدخلناه الجنة، ومن كان مبغضا لنا متناقصا لنا عرفناه بسيما فأدخلناه النار» (غاية المرام:
 ص ٤٤). ومنها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾
 (سورة التوبة: ١١٩)، قال سبط ابن الجوزي: قال علماء السير: معناه كونوا مع علي وأهل
 بيته، قال ابن عباس: علي سيّد الصادقين (انظر تذكرة الخواص: ص ١٠). ومنها قوله تعالى:
 ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي
 السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
 يَتَذَكَّرُونَ﴾ (سورة ابراهيم: ٢٤-٢٥)، فقد روى الحاكم الحسكاني في تفسيره بسنده عن
 عامر السراج عن سلام الخنعمي قال: دخلت على أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام فقلت: يا
 ابن رسول الله قول الله تعالى: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ...﴾ قال: «يا سلام
 الشجرة محمد، والفرع علي أمير المؤمنين، والثمر الحسن والحسين! والغصن فاطمة،
 وشعب ذلك الغصن الأئمة من ولد فاطمة عليها السلام، والورق شيعتنا ومحبونا أهل البيت، فإذا
 مات من شيعتنا رجل تناثر من الشجرة ورقة، وإذا ولد لمحبينا مولود أخضر مكان تلك
 الورقة ورقة». فقلت: يا ابن رسول الله قول الله تعالى: ﴿تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ
 رَبِّهَا﴾ ما يعني؟ قال: «يعني الأئمة، تفتي شيعتهم في الحلال والحرام في كل حج
 وعمره» (انظر شواهد التنزيل ج ١: ص ٤٠٦). وروى الحاكم النيسابوري في المستدرک





على الصحيحين بسنده عن ميناء بن أبي ميناء مولى عبد الرحمن بن عوف قال: خذوا عني قبل أن تشاب الأحاديث بالأباطيل، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنا الشجرة وفاطمة فرعها وعلي لقاحها والحسن والحسين ثمرتها وشيعتنا ورقها، وأصل الشجرة في جنة عدن وسائر ذلك في سائر الجنة» (المستدرک على الصحيحين ج ٣: ص ١٦٠). ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمَنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ * لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ (سورة الحجر: ٤٥-٤٨)، فقد روى الهيثمي في مجمع الزوائد بسنده عن أبي هريرة: أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «يا رسول الله أيما أحب إليك، أنا أم فاطمة؟» قال: «فاطمة أحب إلي منك وأنت أعز علي منها، وكأنني بك وأنت على حوضي تذود عنه الناس، وإن عليه لأباريق مثل عدد نجوم السماء، وأني وأنت والحسن والحسين وفاطمة وعقيل وجعفر في الجنة إخواناً على سرر متقابلين، أنت معي وشيعتك في الجنة»، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ «لا ينظر أحد في قفا صاحبه» (مجمع الزوائد للهيثمي ج ٩: ص ١٧٣)، ورواه الطبراني في المعجم الأوسط ج ٧: ص ٣٤٣، وابن مردويه في المناقب: ص ٢٧١، والقندوزي الحنفي في ينايع المودة ج ١: ص ٣٩٥ وغيرهم. ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (سورة طه: ١٢٤)، فقد روى الحاكم الحسكاني في تفسيره بسنده عن ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ أن من ترك ولاية علي رضي الله عنه وأسمه (انظر شواهد التنزيل ج ١: ص ٤٩٦). ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة النور: ٥١)، فقد روى الحاكم الحسكاني في تفسيره ذيل الآية الشريفة، بسنده عن محمد بن عمر بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال: حدثني أبي، عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «قال لي سلمان الفارسي: قلما طلعت على رسول الله ﷺ يا با الحسن وأنا معه إلا ضرب بين كتفي وقال: "يا سلمان هذا وحزبه هم المفلحون"» (شواهد التنزيل ج ١: ص ٨٨).





ومنها قوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ (سورة الشعراء: ١٠٠-١٠١)، فقد أخرج الحاكم الحسكاني في تفسيره بسنده عن عيسى عن أبيه عن جعفر، عن أبيه قال: «نزلت هذه الآية فينا وفي شيعتنا: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾، وذلك إن الله يفضّلنا ويفضّل شيعتنا بأن نشفع، فإذا رأى ذلك من ليس منهم قال: فما لنا من شافعين» (انظر شواهد التنزيل ج ١: ص ٥٤١). ومنها: قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (سورة الزمر: ٩)، فقد روى الحاكم الحسكاني في تفسيره بسنده عن جابر عن أبي جعفر في قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ...﴾ الآية، قال: «الَّذِينَ يَعْلَمُونَ...» نحن، «وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» عدونا، «إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ...» قال: «شيعتنا» (انظر شواهد التنزيل ج ٢: ص ١٧٥). ومنها قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ (سورة الزمر: ٢٩)، فقد روى الحاكم الحسكاني في تفسيره ذيل الآية الكريمة بسنده عن بكير بن الفضيل عن أبي خالد الكابلي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «الرجل السالم لرجل علي وشيعته» (شواهد التنزيل ج ٢: ص ١٧٧). ومنها قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (سورة الواقعة: ١٠-١١)، فقد روى الحاكم الحسكاني في تفسيره بسنده عن ابن عباس قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن قول الله: ﴿السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾، قال: «حدثني جبرئيل عليه السلام بتفسيرها قال: "ذاك علي وشيعته إلى الجنة"» (انظر شواهد التنزيل ج ٢: ص ٢٩٥). ومنها قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ (سورة المدثر: ٣٨-٣٩)، فقد روى الحاكم الحسكاني بسنده عن محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي حدثنا أحمد بن نجدة بن العريان حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا عنبسة العابد، عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾، قال: «هم شيعتنا أهل البيت» (انظر شواهد التنزيل ج ٢: ص ٣٨٩). ومنها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ...﴾ (سورة الحديد: ١٩)، فقد روى ابن المغازلي في مناقبه بسنده عن إسماعيل





ابن علي بن علي بن رزيق بن عثمان قال: حدثنا أبي حدثنا أخى دعبل بن علي حدثنا مجاشع عن عمر بن ميسرة بن عبد الكريم الجزري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه سئل عن قول الله عز وجل ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ قال: سألت قوم النبي ﷺ فقالوا: فيمن نزلت هذه الآية يا نبي الله؟ قال: «إذا كان يوم القيامة عقد لواء من نور أبيض فإذا مناد: ليقيم سد المؤمنين ومعه الذين آمنوا بعد بعث محمد ﷺ فيقوم علي بن أبي طالب فيعطى اللواء من النور الأبيض بيده، تحته جميع السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار لا يخالطهم غيرهم حتى يجلس على منبر من نور رب العزة، ويعرض الجميع عليه رجلاً رجلاً فيعطى أجره ونوره، فإذا أتى على آخرهم قيل لهم: قد عرفتم موضعكم ومنازلكم من الجنة إن ربكم يقول: عندي مغفرة وأجر عظيم يعني الجنة فيقوم علي والقوم تحت لوائه معهم حتى يدخل بهم الجنة، ثم يرجع إلى منبره فلا يزال يعرض عليه جميع المؤمنين فيأخذ نصيبه منهم إلى الجنة وينزل أقواماً إلى النار، فذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ يعني السابقين الأولين من المؤمنين وأهل الولاية له ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ يعني بالولاية بحق علي، وحق علي الواجب على العالمين قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾ (مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي: ص ٢٥٣) منها: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة الحديد: ٢٨)، فقد روى الحاكم الحسكاني في تفسيره بسنده عن سعد بن طريف عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾، قال: «من تمسك بولاية علي فله نور» (انظر شواهد التنزيل ج ٢: ص ٣٠٩). ومنها قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * وَالتَّيْنِ وَالزَّيْتُونَ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ * لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ



غَيْرُ مَمْنُونٍ * فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ * أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿سورة التين: ٨-١﴾، فقد روى الحاكم الحسكاني في تفسيره بسنده عن محمد بن الفضيل الصيرفي قال: سألت موسى بن جعفر عليه السلام عن قول الله: ﴿وَالَّذِينَ وَالزَّيْتُونَ﴾، قال: «أما الذين فالحسن وأما الزيتون فالحسين، و﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ أمير المؤمنين، ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ رسول الله ﷺ، هو سبيل آمن الله به الخلق في سبلهم، ومن النار إذا أطاعوه ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ذاك أمير المؤمنين علي وشيعته، ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (انظر شواهد التنزيل ج ٢: ص ٤٥٥). ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتُ عَدْنٌ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (سورة البينة: ٧-٨). وقد أخرج علماء أهل السنة في تفسير هذه الآية أن النبي ﷺ قال للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «يا علي أنت وشيعتك خير البرية»؛ أخرج الطبري في تفسيره ذيل الآية الكريمة. وقد أخرج الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل بسنده عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، قال النبي ﷺ لعلي: «هو أنت وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين» (شواهد التنزيل ج ٢: ص ٤٦١). وقال السيوطي في تفسير الآية: أنه أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: كنا عند النبي ﷺ فأقبل علي، فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده، إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة»، ونزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، فكان أصحاب النبي ﷺ إذا أقبل علي قالوا «جاء خير البرية». وأخرج ابن عدي وابن عساكر عن أبي سعيد مرفوعاً «علي خير البرية». وأخرج ابن عدي عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، قال رسول الله ﷺ لعلي: «هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين». وأخرج ابن مردويه عن علي قال: «قال لي رسول الله ﷺ: "ألم تسمع قول الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾؟ أنت وشيعتك، وموعدي وموعدكم الحوض إذا جثت الأمم للحساب





تدعون غرّاً محجلين» (الدرّ المنثور ج ٦: ص ٣٧٩). وإلى غير ذلك من الآيات التي مدحت الشيعة، وأمّا الآيات التي ذمّت الخلفاء الثلاثة وأتباعهم سيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى. وعليه فإنّ ابن تيمية فقد افترى على الله بالآيات المادّة للشيعة والآيات التي ذمّت خلفاء أهل السنة.

وأما الروايات التي مدحت الشيعة في كتب أهل السنّة وهي كثيرة، وسنذكر لك بعض الأحاديث الواردة في هذا المجال: منها: ما رواه المسعودي في كتابه مروج الذهب بسنده عن العباس بن عبد المطلب قال: كنت عند رسول الله ﷺ إذا أقبل علي بن أبي طالب، فلما رآه أسفر في وجهه فقلت: يا رسول الله! إنك لتسفر في وجه هذا الغلام. فقال: «يا عمّ رسول الله، والله أشدّ حبّاً له منّي، ولم يكن نبيّ إلاّ وذريته الباقية بعده من صلبه، وإنّ ذريتي بعدي من صلب هذا، إنّه إذا كان يوم القيامة دعي الناس بأسمائهم وأسماء أمّهاتهم إلاّ هذا وشيعته فإنّهم يدعون بأسمائهم وأسماء آبائهم لصحّة ولادتهم» (انظر مروج الذهب ج ٣: ص ٤٢٨). ومنها ما رواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق بسنده عن الشعبي عن علي بن أبي طالب قال: «قال لي رسول الله ﷺ: أنت وشيعتك في الجنة» (انظر تاريخ دمشق ج ٤٢: ص ٣٣٢)، ورواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج ١٢: ص ٢٨٤، والذهبي في ميزان الاعتدال ج ١: ص ٤٢١ وغيرهم. ومنها: ما رواه ابن حجر باسناده عن ابن السّمّك قال: أنّ أبا بكر قال له: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يجوز أحد الصراط إلاّ من كتب له علي الجواز» (الصواعق الحارقة: ص ١٢٦ في الفصل الثالث في الثناء على الصحابة والسلف عليه). ومنها ما رواه الطبراني بسنده عن محمد بن عبد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جدّه: أنّ رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب: «إنّ أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وذراينا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذراينا وشيعتنا عن أيّماننا وعن شمائلنا» (انظر المعجم الكبير للطبراني ج ٣: ص ٤١). ومنها ما رواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ عن يمين العرش كراسي من نور عليها أقوام تلاًّأ وجوههم نوراً». فقال أبو بكر: أنا منهم يا نبي الله؟ قال: أنت على خير. قال: فقال عمر: يا نبي الله أنا منهم؟ فقال: «مثل ذلك،





ولكنهم قوم تحابوا من أجلي وهم هذا وشيعته»، وأشار بيده إلى علي بن أبي طالب (تاريخ مدينة دمشق ج ٤: ص ٣٣٣). ومنها ما رواه أحمد بن حنبل بسنده عن أم سلمة قالت: كان النبي ﷺ عندي في ليلتي فغدت عليه فاطمة وعلي فقال رسول الله ﷺ: «يا علي أبشر فإنك وأصحابك وشيعتك في الجنة» (فضائل الصحابة ج ٢: ص ٦٥٤). ومنها ما رواه الطبراني بسنده عن عبد الله بن نجى أن علياً أتى يوم البصرة بذهب أو فضة فنكته وقال: «ابيضني واصفرني وغريني غري، غري أهل الشام غداً إذا ظهروا عليك». فشق قوله ذلك على الناس، فذكر ذلك له، فأذن في الناس فدخلوا عليه فقال: «إن خليلي ﷺ قال: "يا علي إنك ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيين، ويقدم عليه عدوك غضاب مقمحين» (انظر المعجم الأوسط ج ٤: ص ١٨٧)، وراه المتقي الهندي في كنز العمال ج ١٣: ص ١٥٦. ومنها ما رواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق بسنده عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «يا علي إذا كان يوم القيامة يخرج قوم من قبورهم لباسهم النور على بخائب من نور أزمته يواقيت حمر تزفهم الملائكة إلى المحشر». فقال علي: «تبارك الله ما أكرم هؤلاء على الله». قال رسول الله ﷺ: «يا علي هم أهل ولايتك وشيعتك ومحبتك يحبونك بحبي ويحبوني بحب الله هم الفائزون يوم القيامة» (انظر تاريخ دمشق ج ٤: ص ٣٣٢). ومنها ما رواه ابن المغازلي بسنده عن كثير بن زيد قال: دخل الأعمش على المنصور وهو جالس للمظالم، فلما بصر به قال له: يا سليمان تصدر! فقال: أنا صدر حيث جلست، ثم قال: حدثني الصادق قال: حدثني الباقر قال: حدثني السجاد قال: حدثني الشهيد قال: حدثني التقي - وهو الوصي - أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: حدثني النبي ﷺ قال: «أتاني جبريل عليه السلام فقال: تختموا بالعقيق فإنه أول حجر شهد لله بالوحدانية، ولي بالنبوة، ولعلي بالوصية، ولولده بالإمامة، ولشيعته بالجنة» (انظر مناقب أمير المؤمنين لابن المغازلي: ص ٢٨١، باب ١٢٧، ح ٣٢٦). ومنها ما رواه ابن عساكر بسنده عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «شجرة أنا أصلها وعلي فرعها والحسن والحسين ثمرها والشعبة ورقها فهل يخرج من الطيب إلا الطيب، وأنا مدينة وعلي بابها فمن أرادها فليأت الباب» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤: ص ٣٨٣). ومنها ما رواه ابن





المغازلي بسنده عن علي بن أبي طالب عليه السلام، عن رسول الله ﷺ قال: «يا علي إن شيعتنا يخرجون من قبورهم يوم القيامة على ما بهم من العيوب والذنوب، وجوههم كالقمر في ليلة البدر، وقد فرجت عنهم الشدائد، وسهلت لهم الموارد، وأعطوا الأمن والأمان، وارتفعت عنهم الأحزان، يخاف الناس ولا يخافون، ويحزن الناس ولا يحزنون، شرك نعالهم تتلأأ نوراً على نوق بيض لها أجنحة قد ذللك من غير مهانة ونجبت من غير رياضة، أعناقها من ذهب أحمر ألين من الحرير لكرامتهم على الله عز وجل» (انظر مناقب الإمام أمير المؤمنين علي أبي طالب عليه السلام لابن المغازلي: ص ٢٩٦، باب ١٣٨). ومنها ما رواه الكنجي الشافعي بسنده عن عاصم بن ضمرة، عن علي عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: شجرة أنا أصلها، وعلي فرعها، والحسن والحسين ثمرتها - والحسنان ثمرها - والشيعه ورقها، فهل يخرج من الطيب إلا الطيب؟!» (انظر كفاية الطالب: ص ٩٨). ومنها ما رواه الحموي الجويني بسنده عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: يا علي إن الله عز وجل قد غفر لك ولأهلك ولشيعتك ولمحببي شيعتك، فأبشر فإنك الأنزع البطين، المنزوع من الشرك، البطين من العلم» (انظر فرائد السمطين ج ١: ص ٣٠٨)، ورواه ابن المغازلي في مناقبه: ص ٤٠٠. ومنها ما رواه الحاكم الحسكاني بسنده عن الأصبع بن نباتة قال: سمعت علياً يقول: «أخذ رسول الله ﷺ بيدي ثم قال: يا أخي قول الله تعالى: ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ»، أنت الثواب وشيعتك الأبرار» (انظر شواهد التنزيل ج ١: ص ١٧٨). ومنها ما رواه ابن المغازلي بسنده عن أبي أيوب النصاري - واسمه خالد بن زيد - قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «إن الله جعلك تحب المساكين وترضى بهم أتباعاً، ويرضون بك إماماً، فطوبى لمن تبعك، وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب فيك» (انظر مناقب أمير المؤمنين عليه السلام لابن المغازلي: ص ١٢١، باب ٦٠، ح ١٥٩). ومنها ما رواه الهيثمي بإسناده عن أبي رافع قال: إن النبي ﷺ قال لعلي: «أنت وشيعتك تردون على الحوض رواء مرويين مبيضة وجوهكم، وإن عدوك يردون على الحوض ظماء مقمحين» (انظر مجمع الزوائد ج ٩: ص ١٣١). ومنها ما رواه الحاكم الحسكاني بسنده عن أبي رافع قال: قال رسول الله ﷺ:





«يا علي فيكم نزلت ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾، أنت وشيعتك تطلبون في الموقف وأنتم في الجنان تتعَمون (انظر شواهد التنزيل ج ١: ص ٥٠٠). منها ما رواه عن أبي سعيد قال: نظر النبي ﷺ إلى علي فقال: «هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٣٣٣). منها ما رواه الطبراني بسنده عن أبي هريرة قال: قال علي بن أبي طالب: «يا رسول الله، أيما أحب إليك أنا أم فاطمة؟» قال: «فاطمة أحب إلي منك وأنت أعز عليّ منها، وكأني بك وأنت على حوضي تذود عنه الناس، وإنّ عليه لأباريق مثل عدد نجوم السماء، وإنّي وأنت والحسن والحسين وفاطمة وعقيل وجعفر في الجنة إخوانا على سرر متقابلين، أنت معي وشيعتك في الجنة». ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ لا ينظر أحدهم في قفا صاحبه (انظر المعجم الأوسط ج ٧: ص ٣٤٣). ومنها ما رواه ابن عساكر بسنده عن فاطمة بنت علي عن أم سلمة قالت: كانت ليلي - وقال السامي كان ليلي - وكان رسول الله ﷺ عندي قعدت عليه - وقال السامي إليه - فاطمة ومعها - وقال السامي معها علي - فرفع إليه رسول الله ﷺ رأسه - وفي حديث السامي فرفع إليه رأسه - وقال: «أبشر يا علي أنت وأصحابك في الجنة، أبشر يا علي أنت وشيعتك في الجنة...» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٣٣٤). ومنها ما رواه ابن المغازلي بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخلون من أمتي الجنة سبعون ألفاً لا حساب عليهم». ثم التفت إلى علي فقال: «هم شيعتك وأنت إمامهم» (مناقب أمير المؤمنين عليه السلام لابن المغازلي: ص ٣٥٧، باب ١٣٤، ح ٣٣٥). ومنها ما رواه ابن عساكر بسنده عن جابر بن عبد الله قال: كنّا عند النبي ﷺ فأقبل علي بن أبي طالب، فقال النبي ﷺ: «قد أتاكم أخي». ثم التفت إلى الكعبة فضربها بيده، ثم قال: «والذي نفسي بيده، إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة»، ثم قال: «إنّه أولكم إيماناً معي، وأوفاكم بعهد الله، وأقومكم بأمر الله، وأعدلكم في الرعية، وأقسمكم بالسوية، وأعظمكم عند الله مزية». قال: ونزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، قال: فكان أصحاب محمد ﷺ إذا أقبل علي قالوا: قد جاء خير البرية (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٣٧١). منها ما رواه ابن المغازلي بسنده عن جابر بن عبد الله





قال: لما قدم علي بن أبي طالب بفتح خيبر، قال له النبي ﷺ: «يا علي، لولا أن تقول طائفة من أمّتي فيك ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك مقالاً لا تمرّ بملاً من المسلمين إلا أخذوا التراب من تحت رجلك، وفضل طهورك يستشفون بهما، ولكن حسبك أن تكون منّي وأنا منك ترثني وأرثك، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى، غير أنّه لا نبي بعدي، وأنت تبرئ ذمّي وتستر عورتني، وتقاتل على سنّتي، وأنت غداً في الآخرة أقرب الخلق منّي، وأنت على الحوض خليفتي، وإنّ شيعتك على منابر من نور مبيضة وجوههم حولي، أشفع لهم ويكونون في الجنة جيرانني، وإنّ حربك حربي، وسلمك سلمني، وسريتك سريتي، وعلايتك علايتي، وإنّ ولدك ولدي، وأنت تقضي ديني وأنت تنجز وعدي، وإنّ الحقّ على لسانك، وفي قلبك، ومعك، وبين يديك، ونصب عينك، الإيمان مخالط لحكمك ودمك، كما خالط لحمي ودمي، لا يرد عليّ الحوض مبغض لك، ولا يغيب عنه محبّ لك فخرّ علي عليه السلام ساجداً وقال: الحمد لله الذي منّ عليّ بالإسلام، وعلمني القرآن، وحبّني إلى خير البرية، وأعزّ الخليقة، وأكرم أهل السماوات والأرض على ربّه، وخاتم النبيين، وسيد المرسلين، وصفوة الله في جميع العالمين إحساناً من الله العليّ إليّ، وتفضلاً منه عليّ»، فقال له النبي ﷺ: «لولا أنت يا علي ما عرف المؤمنون بعدي، لقد جعل الله عزّ وجلّ نسل كلّ نبيّ من صلبه، وجعل نسلي من صلبك، يا علي فأنت أعزّ الخلق، وأكرمهم عليّ، وأعزّهم عندي، ومحبّك أكرم من يرد عليّ من أمّتي» (انظر مناقب أمير المؤمنين عليه السلام لابن المغازلي: ص ٣٠٥ باب ٩٩، ح ٢٨٥). ومنها ما رواه ابن عساكر بسنده عن عيسى بن عبد الله بن عبيد الله بن عمر بن علي بن أبي طالب قال: حدّثني أبي عن أبيه عن جدّه عن علي قال: «قال لي: سلمان قلّما طلعت على رسول الله ﷺ وأنا معه إلا ضرب بين كتفي، فقال: "يا سلمان هذا وحزبه المفلحون"» تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٣٣٢. ومنها ما رواه الحاكم الحسكاني بسنده عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه في قول الله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، قال: النبي ﷺ ومن معه وعلي بن أبي طالب وشيعته (شواهد التنزيل ج ١: ص ٨٥). منها ما رواه الحاكم النيسابوري بسنده عن مينا مولى عبد الرحمن بن عوف قال: قال





عبدالرحمن: يا مينا ألا أحدثك حديثاً قبل أن تشاب الأحاديث بالأباطيل؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنا شجرة وفاطمة فرعها وعلي لقاحها، وحسن وحسين ثمرها، ومحبّوهم من أمتي ورقها». ثم قال: «هم في جنة عدن والذي بعثني بالحق» (انظر المستدرک علی الصحيحین ج ٣: ص ١٦٠). منها ما رواه الحاكم الحسكاني بسنده عن ابن عباس قال: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾، قال ﷺ: «حدثني جبرئيل بتفسيرها، قال: "ذاك علي وشيعته إلى الجنة"» (شواهد التنزيل ج ٢: ص ٢٩٥). ومنها ما رواه الحاكم الحسكاني بسنده عن ابن عباس قال: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ﴾، يعني «يحب الله ورسوله»، يعني «محمداً والذين آمنوا»، يعني «ويحب علي بن أبي طالب»، ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾، يعني شيعة الله وشيعة محمد وشيعة علي هم الغالبون، يعني العالون على جميع العباد الظاهرون على المخالفين لهم. قال ابن عباس: فبدأ الله في هذه الآية بنفسه ثم ثنى بمحمد، ثم ثلث بعلي. ثم قال: فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «رحم الله علياً، اللهم أدر الحق معه حيث دار»، قال ابن مؤمن: لا خلاف بين المفسرين أنّ هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين علي عليه السلام (شواهد التنزيل ج ١: ص ٢٤٦). ومنها ما رواه الطبري بسنده عن أبي الجارود عن محمد بن علي في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، فقال النبي ﷺ: «أنت يا علي وشيعتك» (تفسير الطبري ج ٣٠: ص ٣٣٥). وإلى غير ذلك من الروايات التي وردت في مدح الشيعة، وقد رواها كبار علماء أهل السنة وهذا معناه أنّ ما زعمه ابن تيمية في ذم الشيعة افتراء على رسول الله ﷺ بنص هذه الروايات الصادرة عن النبي الأكرم ﷺ، فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فيهما الدم على الخلفاء الثلاثة ومطاعنهم وذم من تابعهم بشكل وسيع، في مصادر الفريقين، وقد ملئت الكتب بذكرها مع أنّ بني أمية صرفت الدراهم والدنانير الكثيرة لجعل الأحاديث المكذوبة للدفاع المستमित لتقليل فضائحهم، وجعل الأحاديث المكذوبة في افتراض الفضل لهم،





والمرتزة من اتباع بني أمية قد أخذوا الألفاظ من روايات الرسول ﷺ في فضل أهل بيته ﷺ، ونسبوا إلى خلفائهم كذباً وزوراً. ولكن افتضحوا بكذبهم كما لا يخفى ذلك على الباحث الخبير، حيث أن هناك آيات من القرآن الكريم نزلت في ذم الخلفاء الثلاثة بتصريح كبار علمائهم بحيث ولا يمكنهم نفيه، فلا يفيدهم التزوير والخديعة وجعل الفضل المكذوب. وإليك نماذج من تلك الآيات: منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (سورة الحجرات: ٢)، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي مليكة قال: كاد الخيران أن يهلكا أبا بكر وعمر رفعاً أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخى بني مجاشع وأشار الآخر برجل آخر، قال نافع: لا أحفظ اسمه، فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، قال: ما أردت خلافاً، فارتفعت أصواتهما في ذلك فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ...﴾ الآية (صحيح البخاري ج ٦: ص ٤٦ كتاب التفسير، تفسير سورة الحجرات). ومنها: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة الحجرات: ١)، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن أبي مليكة: إن عبد الله بن الزبير أخبرهم أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد بن زرارة، فقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، قال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، قال عمر: ما أردت خلافاً، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾ حتى انقضت (صحيح البخاري ج ٥: ص ١١٦ كتاب المغازي، باب وفد بني تميم). والظاهر من الحديثين أن أبا بكر وعمر كانا لا يتأذبان بحضرة الرسول الأعظم ﷺ وسمحا لأنفسهما بأن يقدموا بين يدي الله ورسوله ﷺ بغير إذن ولا طلب منهما رسول الله ﷺ أن يديا رأيهما في تأمير أحد من بني تميم، ثم لم يكتفيا حتى تشاجرا بحضرة وارتفعت أصواتهما أمامه من غير احترام ولا مبالاة بما تفرضه عليهما الأخلاق والآداب التي لا يمكن لأي أحد من الصحابة أن





يجهلها أو يتجاهلها بعد ما قضى رسول الله ﷺ حياته في تعليمهم وتربيتهم، حيث أن وفد بني تميم قدم على رسول الله ﷺ في السنة التاسعة للهجرة (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٢: ص ٢٨٧). ولم يعيش بعدها رسول الله ﷺ إلا بضعة شهور. فإن القرآن الكريم قد ذمهما بما فيه التنديد والتهديد لأبي بكر وعمر بأن يحبط الله أعمالهما إن عادا لمثلها، حتى أن راوي هذه الحادثة بدأت كلامه بقوله: كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر. وقد حاول الراوي للحادثة وهو عبد الله بن الزبير أن يذكر في الحديث ما يدل على التزامهما بعد ذلك بما أمر الله في القرآن الكريم وأنهما ابتعدا عما نزل في شأنهما من الذم. ولكن التاريخ والأحداث التي ذكرها المحدثون تثبت عكس ذلك ويكفي لنقض ذلك قضية رزية يوم الخميس قبل وفاة رسول الله ﷺ بثلاثة أيام، حتى يجد الباحث عدم ابتعادهما عما نزل في ذمهما. فقد أخرج البخاري بسنده عن ابن عباس قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم بكى حتى خضب دمه الحصباء، فقال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس فقال: «أتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً»، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: هجر رسول الله ﷺ، قال: «دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه» (انظر صحيح البخاري ج ٤: ص ٣١ كتاب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام، باب هل يستشفع إلى أهل الذمة ومعاملتهم). ألا يتعجب المؤمن من هؤلاء الذين كانوا يعلمون عظمة رسول الله ﷺ فإن التصريح بكلمة "يهجر" من عمر بن الخطاب يمكن الوصول إليه من خلال أدنى تأمل في الألفاظ التي جاءت بها السنة الحادثة عند أهل السنة. فإن بشاعة هذا التعبير والتصريح أوضح من أن يخفى على أحد، فقد قال الجوهري في الصحاح في اللغة من باب "الراء" فصل "الهاء"، الهجر: الهذيان، وقال: ألم تر إلى المريض إذا هجر قال غير الحق (الصحاح ج ٢: ص ٨٥١). وهذا المعنى - أي الهذيان وقول غير الحق - منفي عن رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ (إلى قوله) ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (سورة النجم: ٢-٥). فقد شهد الله بعصمة نبيه ﷺ في كتابه العزيز وأن عمر بن الخطاب كجميع الصحابة كانوا يعلمون ذلك. وقد روى الحاكم في المستدرک في الحديث





الصحيح: أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان يكتب كل ما يسمعه من رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الرضا والغضب، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال له: «اكتب فو الذي بعثني بالحق ما يخرج منه إلا الحق»، وأشار إلى لسانه (انظر المستدرک على الصحيحين ج ١: ص ١٨٦)، وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي في الهامش، ورواه أحمد بن حنبل في مسنده ج ٢: ص ١٦٢. وكلامه ﷺ هنا عام ومطلق، وهو لا يبقى لأهل التأويل أي شيء يمكنهم الاستناد إليه في تمرير العثرة المتقدمة. قال المباركفوري في شرحه للحديث: «لا أقول إلا حق»، أي عدلاً وصدقاً، لعصمتي من الزلل في القول والفعل، ولا كل أحد منكم قادر على هذا الحصر لعدم العصمة فيكم (انظر تحفة الأحوذی في شرح الترمذی ج ٦: ص ١٠٨).

ومن العجيب من أتباع السقيفة في تعاملهم الموقفين فمرة تجدهم يقفون بجنب عمر في موقف الذي واجه رسول الله ﷺ بكل صراحة وحاول أن ينسب إليه ﷺ تجريده من قواه العقلية - والعياذ بالله - ونبزه بالخلط في الكلام بغية عدم كتابة الكتاب الذي أراد به ﷺ عدم ضلالة الأمة إلى يوم القيامة، وقد أخبرهم ﷺ بأنه لو اتخذوا به يعصمهم من الضلالة أبد الأبدین، ومرة أخرى تجدهم يقفون بجنب خلفائهم عندما كان أبو بكر في فراش الموت فكان يغمى عليه ثم يفيق وطلب من عثمان أن يكتب عهد الخلافة لعمر من بعده، فعمر بن الخطاب في هذا الموقف أمر المسلمين بالأخذ بالكتاب الذي كان من أبي بكر بين اغماق ومرض الموت، ولكن لم يتهم صاحبه بالهذيان والهجر أو غلبة الوجد عليه، بل رأى في كتابه الخير الوفير والنصيحة للمسلمين!! وإليك هذه الحقيقة من كلمات أهل السنة أنفسهم، فقد روى الطبري في تاريخه، وابن عساكر في تاريخ دمشق، وابن سعد في الطبقات، وابن حبان في الثقات: دعا أبو بكر عثمان خالياً فقال له: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين: أمّا بعد... قال: ثم أغمي عليه، فذهب عنه، فكتب عثمان: أمّا بعد: فإنني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب، ولم آلكم خيراً منه. ثم أفاق أبو بكر فقال: اقرأ عليّ. فقرأ عليه، فكبر أبو بكر وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن أفتلت نفسي في غشيتي! قال: نعم! قال: جزاك الله





خيراً عن الإسلام وأهله. وأقرّها أبو بكر من هذا الموضع (انظر تاريخ الطبري ج ٢: ص ٦١٨، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٣: ص ٤١١، والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣: ص ٢٠٠، الثقات لابن حبان ج ٢: ص ١٩٢ وغيرها من المصادرهم). بل وروى الطبري عن إسماعيل بن قيس، قال: رأيت عمر بن الخطّاب وهو يجلس والناس معه ويده جريده، وهو يقول: أيّها الناس اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله ﷺ، إنّهُ يقول لكم إنّني لم آلكم نصحاً. قال: ومعه مولى لأبي بكر يقال له شديد معه الصحيفة التي فيها استخلاف عمر. (انظر تاريخ الطبري ج ٢: ص ٦١٨). وأيضاً ذكر ابن سعد في الطبقات ما يستفاد منه بأن عمر بن الخطّاب كان حاضراً عند كتابة هذا الكتاب أيضاً، قال: فخرج - أي عثمان - بالكتاب مختوماً ومعه عمر بن الخطّاب، وأسير بن سعيد القرظي (انظر الطبقات الكبرى ج ٣: ص ٢٠٠). فهذا الكتاب تقبله عمر قبولاً تاماً، ولم يخالفه، أو يعترض عليه بشيء، ولم ينسب إلى قائله - وهو في حالة الإغماء، ولا إلى كاتبه، وقد أملى بغير إرادة القائل المغمي عليه - أي شيء من حالات الهجر والهديان أو غلبة الوجد، بل كان كلّ ذلك - برأيه - خيراً أفاضه الله على المسلمين من (الخليفة) الذي لم يأل النصح لهم، وهو يطلب من المسلمين على الأخذ به ويقول لهم: اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله ﷺ. ويستفاد من بعض الروايات أنّ عمر بن الخطّاب فهم ما يريده رسول الإسلام ﷺ من طلب الدواة والقلم، وذلك ليكتب الإمامة لمولانا أمير المؤمنين ﷺ، ولذلك أنّ عمر حدّث بعد مدّة من الزمن لابن عباس فقال له يوماً: يا عبدالله إنّ عليك دماء البدن إنّ كتمتها، هل بقي في نفس علي شيء من الخلافة؟ قال ابن عباس: قلت: نعم، قال: أو يزعم أنّ رسول الله ﷺ نصّ عليه؟ قلت: نعم، فقال عمر: لقد كان من رسول الله ﷺ... أراد في مرضه أن يصرّح باسمه فمنعت من ذلك اشفاقاً وحيطة على الإسلام، فعلم رسول الله ﷺ أنّي علمت ما في نفسه فأمسك (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٣: ص ١٧). وكأنّما الرجل كان يرى نفسه أشفق من رسول الله ﷺ على الإسلام. وقد ذكر البلاذري: إنّ أبا بكر بعث عمر بن الخطّاب إلى علي عليه السلام حين قعد عن بيعته وقال: ائنتني به بأعنف العنف! فلمّا أتاه جرى بينهما كلام فقال: احلب حلباً لك





شطره، والله ما حرصك على إمارته اليوم إلا ليؤثرك غداً (أنساب الأشراف ج ١: ص ٥٨٧). ومن مطاعن أبي بكر تأمره على الناس من دون أن يبيع الله تعالى له ذلك ولا رسوله ﷺ ومطالبة جميع الأمة بالبيعة له والانقياد إلى طاعته طوعاً وكرهاً، فكان ذلك منه أول ظلم ظهر في الإسلام بعد وفاة رسول الله ﷺ، إذ كان هو وأولياؤه مقرّين بأن الله ورسوله ﷺ لم يولياه ذلك ولا أوجبا طاعته ولا أمرا ببيعته. فقد ورد في حديث أن أعرابياً جاء إلى أبي بكر فقال: أنت خليفة رسول الله ﷺ؟ قال: لا، قال: فما أنت؟ قال: أنا الخليفة بعده، أنا القاعد بعده (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ١٩: ص ٤٩٧). فلما انتقاد الناس له طالبهم بالخروج إليه ممّا كان يأخذه رسول الله ﷺ من الصدقات والأخماس وما شاكلها، ثم سمّى نفسه خليفة رسول الله ونفذت بذلك كتبه إلى الأمصار من خليفة رسول الله، فكانت هذه الحالة منه جامعة للظلم والمعصية والكذب على النبي الأعظم ﷺ، وذلك أنّه لما طالبهم بالخروج إليه ممّا كان يأخذه منهم رسول الله ﷺ من الصدقات وغيرها كان ذلك منه ظلماً ظاهراً إذ كان يعلم أنّ الله ورسوله ﷺ لم يجعلوا له ولا إليه شيئاً من ذلك، فكان ظالماً في مطالبته لهم به فظهرت منه المعصية لله ولرسوله ﷺ إذ طالب بما ليس له بحق، ولدعواه أنّه خليفة رسول الله وقد علم وعلم معه الخاصّ والعام أنّ الرسول ﷺ لم يستخلفه كان ظالماً كاذباً بذلك على الله وعلى رسوله ﷺ، وصدق عليه قول النبي ﷺ: «من كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار» (انظر السنن الكبرى للبيهقي ج ٣: ص ٢٧٥). وأيضاً من مطاعنه أنّ النبي ﷺ لم يولّ أبا بكر شيئاً من الأعمال مع أنّه كان يولّيها غيره، ولمّا أنفذه لأداء سورة براءة إلى أهل مكّة عزله وبعث ﷺ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ليأخذها منه ويقرأها على الناس، ولمّا رجع أبو بكر إلى النبي ﷺ قال ﷺ: «لا يؤدّي عني إلا أنا أو رجل منّي» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ١: ص ٣). فمن لم يصلح لأداء سورة واحدة إلى أهل بلدة كيف يصلح للرئاسة العامّة المتضمّنة لأداء جميع الأحكام إلى عموم الرعايا في البلاد؟ وأيضاً من مطاعنه: لمّا انتقاد لأبي بكر الناس طوعاً وكرهاً امتنعت عليه قبيلة من العرب في دفع الزكاة إليه وقالوا له: إنّ الرسول ﷺ لم يأمرنا بالدفع إليك ولا أمرك بمطالبتنا به، فعلام تطالبتنا بما لا يأمرك





الله به ولا رسوله؟ فسمّاهم أهل الردّة، وبعث إليهم خالد بن الوليد في جيش فقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم واستباح أموالهم وجعله فيئاً قسّمه بين المسلمين، فقبلوا ذلك منه مستحلّين له إلا نفر كرهوا ذلك منهم عمر بن الخطّاب، فإنّه عزل سهمه منهم وكان عنده إلى أن ملك الأمر ثمّ ردّه عليهم، فكانت خولة بنت جعفر بن قيس والدّة محمّد بن الحنفية منهم، فبعث بها إلى أمير المؤمنين عليه السلام فتزوجها ولم يملكها، واستحلّ الباقر فزوج نساءهم، وقتل خالد بن الوليد رئيس القوم مالك بن نويرة وأخذ امرأته فوطأها من ليلته تلك من غير استبراء لها، ولا وقعت عليها قسمة، فأنكر عمر ذلك من فعله عليه وقال لأبي بكر في أمره، فاحتجّ عليه بأنّ خالداً تأوّل فأخطأ، فلمّا أكثر عليه عمر قال أبو بكر: ما كنت لأشيم سيفاً سلّه الله تعالى. ولقد نصر أبو بكر خالداً ولم ينكر عليه مع أنّ القوم الذين كانوا مع خالد قالوا: إنّ جماعة مالك أذن مؤذّنهم وصلّينا وصلّوا وشهدنا الشهادتين وشهدوا، فأبي ردّة لهؤلاء؟ (انظر تاريخ الطبري ج ٢: ص ٥٠٣، وتاريخ يعقوبي ج ٢: ص ٨٩، وتاريخ أبي الفداء ج ١: ص ٢٢١، وللإطلاع أكثر لاحظ ما ذكره العلامة الأميني رحمته الله في كتابه الغدير ج ٧: ص ١٥٨-١٦٥ رأي الخليفة في قصّة مالك). وفي لفظ ابن الأثير: قال عمر لأبي بكر: إنّ سيف خالد فيه رهق، وأكثر عليه في ذلك، فقال: هيه يا عمر! تأوّل فأخطأ، فارفع لسانك عن خالد، فإنّي لا أشيم سيفاً سلّه الله على الكافرين، وودى مالكاً وكتب إلى خالد أن يقدم عليه، ففعل، ودخل المسجد وعليه قباء، وقد غرز في عمامته أسهماً، فقام إليه عمر فنزعها وحطّمها وقال له: قتلت امرأ مسلماً ثمّ نزوت على امرأته، والله لأرجمنك بأحجارك... (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٢: ص ٣٥٨). وليت شعري كيف تأوّل أبو بكر فعل خالد ولم يتأوّل لمولاتنا بضعة المصطفى السيّد الزهراء عليها السلام عندما طالبت به بحقّها من الخمس وفدك، وإنكارها عليه اغتصابه الخلافة؟ ومن مطاعن الخلفاء الثلاثة مخالفتهم للنصّ الصريح من القرآن الكريم وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (سورة الأحزاب: ٣٦)، فالأمة مجمعة في روايتها على أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وبالرغم من ذلك أنّ أبا بكر وعمر وعثمان تخلفوا عن أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله في التحاقهم بجيش أسامة الذي





جهّزه رسول الله ﷺ قبل وفاته ﷺ وأمر جميع الصحابة من المهاجرين والأنصار بالمسير معه إلى الشام، وخرج أسامة في حياة الرسول ﷺ فعسكر خارج المدينة، وكرّر لهم النبي ﷺ مقالته «نفذوا» أي «جهّزوا جيش أسامة، لعن الله المتخلف عن جيش أسامة» (انظر الملل والنحل للشهرستاني ج ١: ص ٢٣، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٦: ص ٥٢، والمواقف للإيجي ج ٣: ص ٦٥٠). إلى أن ارتحل النبي ﷺ ولم ينفذوا جيش أسامة، ثم أقبلوا (أي: أبو بكر وعمر) يخاصمان الأنصار في طلب البيعة، فباع الناس أبا بكر، وأسامة على حال معسكره خارج المدينة يرأسهم فلا يلتفتون إليه حتّى إذا استوى لهم الأمر، بعث أبو بكر إلى أسامة: إنّ الناس نظروا في أمورهم فلم يجدوا لهم غنى غني، وقد نظرت في أمري فلم أجد عن عمر غنى، فخلفه عندي وامض في الوجه الذي أمرك به الرسول ﷺ بالمضي فيه. فكتب إليه أسامة: من الذي أذن لك في نفسك بالتخلف عني حتّى تطلب منّي الإذن لغيرك؟ إن كنت طائعاً لله ولرسوله فارجع إلى معسكرك ومركزك الذي أقامك فيه رسول الله ﷺ (انظر الاستغاثة لأبي القاسم الكوفي ج ١: ص ٢١). ولم يكتف القوم بتخلفهم عن جيش أسامة حتّى طعنوا بإمارته وقدحوا برسول الله ﷺ مدّعين أنّه أمّر عليهم غلاماً (انظر صحيح مسلم ج ٤: ص ٢١٣ كتاب المناقب، باب مناقب زيد بن حارثة). فغضب الرسول ﷺ غضباً شديداً، فخرج وقد عصب على رأسه عصابة وعليه قطيفة، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: «أمّا بعد، أيّها الناس، فما مقالة بلغني عن بعضكم في تأمير أسامة، ولئن طعنتم في تأميري أسامة فقد طعنتم في تأميري أباه من قبله، وأيم الله إنّ كان للإمارة لخليقاً، وإنّ ابنه من بعده لخليق للإمارة، وإن كان لمن أحبّ الناس إليّ فاستوصوا به خيراً فإنّه من خياركم...» (انظر المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ج ١١: ص ٢٣٤). وإلى غير ذلك من مطاعنهم. وحيث لا يسعنا المجال لذكرها في المقام، فللباحث أن يراجع الكتب المصنفة في بيان الروايات الواردة في مطاعن الخلفاء الثلاثة ومعاقبة وغيرهم من خلفاء بني أميّة وبني العباس وعدم صلاحيتهم لها، وهي كثيرة جداً، فعلى سبيل المثال لاحظ كتاب الغدير للعلامة الأميني رحمه الله، فإنّه روى مئات من الروايات الواردة في مطاعن الخلفاء من





الكتب المعتبرة عند أهل السنة والجماعة بأسناد صحيحة ومعتبرة عندهم، فروى مطاعن أبي بكر في كتاب الغدير ج ٧: ص ٧٣-٣٠٠، ومطاعن عمر في كتاب الغدير ج ٦: ص ٨٣-٣٣٣، ومطاعن عثمان في كتاب الغدير ج ٨: ص ٨٣-٣٦٧، وج ٩: ص ٣-٤٠١، ومطاعن معاوية في كتاب الغدير ج ١٠: ص ٨٠-٣٨٤ أهل السنة تجاهلوا عن الحقائق التي نقلها المؤرخون والمحدثون إلى أبعد الحدود خوفاً من أن يظهر قدح خلفائهم، فينتشر بين أهل السنة فيعرف أهل السنة مطاعنهم. فقد روى المؤرخون والمحدثون أنَّ المتوكل العباسي كان مدمناً على الخمر ليله ونهاره وهو على سدة الخلافة (انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ١١: ص ٢٠). حتَّى قُتل وهو على مائدة الخمر سكران لا يعقل! ومع ذلك قالوا عنه مظهر السنة، وقد أنشد السيوطي قصيدة المعروفة في مدحه ومن قوله في حقّه: وذو المتوكل ما أزكاه من خلف *** ومظهر السنة الغراء إذ نصرا. في عام سبع يليها أربعون قضى *** قتلا حباه ابنه المدعو منتصرا. فلم يقم بعده إلاّ اليسير كما *** قد سنّه الله فيمن بعضه غدرا (انظر تاريخ الخلفاء: ص ٢٥٥). وإنّ يزيد بن معاوية الذي هو موبقة من موبقات معاوية فقد روى الطبري أنّه بُعث إليه وفداً من أهل المدينة فيهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصاري... ورجالاً من أشرف أهل المدينة فقدموا على يزيد بن معاوية فأكرمهم... فلمّا قدم أولئك نفر الوفد المدينة قاموا فيهم فأظهروا شتم يزيد وعته وقالوا: إنّنا قدمنا من عند رجل ليس له دين ويشرب الخمر ويعزف بالطناير ويُضرب عنده القيان ويلعب بالكلاب ويسامر الخراب والفتيان، وإنّا نشهد أنّا قد خلعناه، فتابعهم الناس (انظر تاريخ الطبري ج ٤: ٣٦٨). كما أنّ معاوية كان موبقة من موبقات عمر بن الخطّاب، فكان يشرب الخمر أيام حكومته في الشام؛ فقد أخرج أحمد بن حنبل بسنده عن عبد الله بن بريدة قال: دخلت أنا وأبي على معاوية فأجلسنا على الفرش ثمّ أتينا بالطعام فأكلنا ثمّ أتينا بالشراب فشرب معاوية ثمّ ناول أبي ثمّ قال: ما شربته منذ حرّمه رسول الله ﷺ (مسند أحمد بن حنبل ج ٥: ص ٢٤٧). فهؤلاء خلفاء أهل السنة، وأتباعهم يقتدون بهم باعتبار أنّهم خلفاء رسول الله ﷺ، فلاحظ.

(١) وهم العصاة الذين الذين مرقوا من الدين لخروجهم على إمام زمانهم، فانشقوا وانفصلوا عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد قضية الحكمية في حرب صفين وتحوّلوا إلى فئة عسكرية مسلحة متطرّفة متمردة مخربة، ولم يكن هناك شيء يمنعهم من التطرّف والتمرد. وتسمّى هذه الفرقة بالخوارج. وقد ذكرهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عدّة مرّات وفي مناسبات مختلفة، منها: قوله عليه السلام: «فلما نهضتُ بالأمر نكثت طائفة ومرت أخرى...» (نهج البلاغة: الخطبة رقم ٣). ومنها قوله عليه السلام: «أنا حجاج المارقين وخصيم الناكثين المُرّتين» (نهج البلاغة: الخطبة رقم ٧٥). وقد حاججهم الإمام عليه السلام لأنّهم كانوا في أصحابه والتبس عليهم الحقّ فأعطاهم فرصة كبيرة ليعودوا عن طريق الغي ويعلموا خطأهم، ومنع أصحابه في حمل السلاح بوجههم قبل أن يبدو أنهم بالقتال. وأخذ خطرهم يستشري عندما أخذوا في التبشير بأفكارهم المضلّة وعندها قرّر الامام عليه السلام أن يتصدّى لهم، فأول عمل قام به الإمام عليه السلام المحاجة معهم، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في استراتيجية المارقين: «فإن أبيتم أن تزعموا إلّا أنّي أخطأت وضللت فلم تضلّون عامّة أمة محمّد صلى الله عليه وآله بضاللي، وتأخذونهم بخطائي، وتفكرونهم بذنوبي؟ سيفوكم على عواتقكم تضعونها مواضع البرء والسقم، وتخلطون من أذنّب بمن لم يذنّب» (نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٢٣). فالإمام عليه السلام أول حاكم يتكلّم مع المعارضة بهذا الشكل ويحاججهم بتلك الحجج القوية لعلمهم يتركوا غيهم ويتعدوا عن مواقفهم الضالة التي كانت تنتهي بهم إلى الشقاء في الدنيا والآخرة. فدار الحوار بين الإمام عليه السلام والمارقة قبل أن يعلن الحرب الدفاعية عليهم. ففي بحث المارقين وتعامل أمير المؤمنين عليه السلام دروس وعبر لجميع الحكومات كيف يجب أن يكونوا مع مخالفيهم وكيف يتعاملوا معهم معاملة الحسنى ولا يستخدموا القوة إلّا في المرحلة النهائية. فعندما تتوقّف كلّ المحاولات وكان لا يمنعهم أيّ مانع في الشريعة المقدّسة فقاتلهم الإمام عليه السلام. وبحسب ما هو الموجود في المصادر الحديثيّة للمسلمين يرجع بذرة هذه الفئة المتطرّفة والمتمردة والخارجة عن الدين إلى زمان رسول الله صلى الله عليه وآله، وذلك أنّ النبي صلى الله عليه وآله بعد أن قسم غنائم



في غزوة حنين بين المسلمين كان هناك رجل يراقب النبي ﷺ يقال له "ذو الثدية" أو "ذو الخوصرة"، فقال للنبي ﷺ: قد رأيت ما صنعت؟! فقال له النبي ﷺ: «وماذا صنعت أنا؟» فقال: لم تعدل بين الناس يا محمد!! فقال له النبي ﷺ: «ويحك إذا أنا لم أعدل فمن ذا الذي يعدل؟!» وانصرف ذلك الرجل وأشار النبي ﷺ إليه فقال: «يخرج في الأمة أتباع هذا صلاتكم تهون عند صلاة أحدهم يقرؤون القرآن لا يتجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» (انظر صحيح البخاري ج ٤: ص ١٧٩ كتاب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام، باب علامات النبوة والاسلام). فمن علائم هؤلاء القوم قراءة القرآن وحفظه والاهتمام بظواهر الألفاظ فيه، ولكن لا يتجاوز حالة الصوت والترنم والحفظ إلى المعنى وعمق القرآن. وهنا تشبيه جميل فهم وإن ألصقوا أنفسهم بالإسلام والمسلمين ولكنهم في الواقع خارجون عن دائرة الإسلام والدين، كما شبههم رسول الله ﷺ بهذا التشبيه الجميل: «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»، وقال النووي في شرح هذه الفقرة أنه: قال الخطابي: هو هنا الطاعة أي من طاعة الإمام وفي هذه الأحاديث دليل لمن يكفر الخوارج... (شرح صحيح مسلم للنووي ج ٧: ص ١٦٠). وقال السيوطي في شرح الفقرة أنه: قال القاضي عياض فيه تأويلان، أحدهما معناه لا تفقه قلوبهم ولا ينتفعون بما تلو منه ولا لهم حظ سوى تلاوة الفم والحجرة والحلق إذ بهما تقطيع الحروف. والثاني معناه لا يصعد لهم عمل ولا تلاوة ولا تقبل يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم أي يخرجون منه خروج السهم إذا نفذ الصيد من جهة أخرى ولم يتعلق به شيء منه من الرمية هي الصيد المرمي فعيلة بمعنى مفعولة (شرح سنن النسائي للسيوطي ج ٥: ص ٩١). وإلى غير ذلك مما ذكرنا في هذا المجال. فالمارقون هم الخوارج الذين خرجوا وبغوا على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وباتفاق المسلمين أنهم كفار بسبب خروجهم على إمام زمانهم وأنهم في النار مخلدون، وعليه كيف يزعم ابن تيمية ويدعي بأن الشيعة الذين قال في حقهم رسول الله ﷺ: «يا علي إن الله عز وجل قد غفر لك ولأهلك ولشيعتك ولمحببي شيعتك، فأبشر فإنك الآنزع البطين، المتزوع من الشرك، البطين من العلم» (انظر فرائد السمطين ج ١: ص ١٠٠)



منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨ ٦٦٩
فصدّقت بذلك الشيعة وتابعته^(١).

→

ص ٣٠٨)، ورواه ابن المغازلي في مناقبه: ص ٤٠٠. وقال عليه السلام لعلي: «أنت وشيعتك تردون على الحوض رواء مرويين مبيضة وجوهكم، وإنّ عدوك يردون على الحوض ظماء مقمحين» (انظر مجمع الزوائد ج ٩: ص ١٣١). وقال عليه السلام لعلي: «أنت معي وشيعتك في الجنة». ثم قرأ رسول الله ﷺ «إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ»، لا ينظر أحدهم في قفا صاحبه (انظر المعجم الأوسط ج ٧: ص ٣٤٣). وقال عليه السلام لعلي: «أبشر يا علي أنت وأصحابك في الجنة، أبشر يا علي أنت وشيعتك في الجنة...» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٣٣٤). وقال عليه السلام لعلي: «يدخلون من أمتي الجنة سبعون ألفاً لا حساب عليهم». ثم التفت إلى علي فقال: «هم شيعتك وأنت إمامهم» (مناقب أمير المؤمنين عليه السلام لابن المغازلي: ص ٣٥٧، باب ١٣٤، ح ٣٣٥). وعليه فلا شك في أنّ ما ادّعاه ابن تيمية في المقام بالنسبة إلى المارقة كذب وافتراء على الله ورسوله ﷺ، فلاحظ.

(١) من الواضح أنّ الشيعة الاثني عشرية هم الذين يوالون الأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام ولا يخرجون من هذه التبعية، حيث أمر رسول الله ﷺ أمتة بالتمسك بالقرآن وبإمامة العترة الطاهرة عليهم السلام في حديث متواتر لدى الفريقين المعروف بحديث الثقلين الذي رواه كبار علماء أهل السنة في صحاحهم ومسانيدهم وسنتهم، ولذلك قال علماء أهل السنة أنّ الشيعة هم الذين يوالون أهل البيت عليهم السلام وإليك جانباً من أقوالهم:

١- قال الشهرستاني في كتابه الملل والنحل: الشيعة هم الذين شايعوا علياً عليه السلام على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصّاً ووصية، إمّا جليّاً وإمّا خفيّاً، واعتقدوا أنّ الإمامة لا تخرج من أولاده (انظر الملل والنحل للشهرستاني ج ١: ص ١٤٦).

٢- وقال ابن منظور في لسان العرب، والفيروزآبادي في القاموس المحيط، والزبيدي في تاج العروس: وقد غلب هذا الاسم (أي الشيعة) على من يتوالى عليّاً وأهل بيته عليهم السلام حتّى صار لهم اسماً خاصّاً، فإذا قيل: (فلان من الشيعة) عُرف أنّه منهم (انظر لسان العرب ج ٨: ص ١٨٩، والقاموس المحيط ج ٣: ص ٤٩، تاج العروس ج ٢١: ص ٣٠٣).

←

٦٧٠..... منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨

وقد عرفت متابعة الشيعة للشريعة بنفس السنن الصحيحة التي وردت من



٣- وقال الزهري: والشيعة قوم يهودون هوى عترة النبي ﷺ ويوالونهم (انظر لسان العرب ج ٨: ص ١٨٩، وتاج العروس ج ٢١: ص ٣٠٣).

٤- قال ابن خلدون: اعلم أنّ الشيعة لغةً: الصَّحْبُ والأَتْبَاعُ، ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على أتباع علي وبنيه عليه السلام (انظر مقدّمة ابن خلدون: ص ١٩٦).

٥- وجاء عن ابن القيم الجوزية في كتابه الصواعق المرسلة: الوجه التاسع: إنّ فقهاء الإمامية من أولّهم إلى آخرهم ينقلون عن أهل البيت أنّه لا يقع الطلاق المحلوف به وهذا متواتر عندهم عن جعفر بن محمد وغيره من أهل البيت، وهب أنّ مكابراً كذبهم كلّهم، وقال: قد تواطئوا على الكذب عن أهل البيت، ففي القوم فقهاء وأصحاب علم ونظر في اجتهاد وإن كانوا مخطئين مبتدعين في أمر الصحابة، فلا يوجب ذلك الحكم عليهم كلّهم بالكذب والجهل، وقد روى أصحاب الصحيح عن جماعة من الشيعة وحملوا حديثهم واحتجّ به المسلمون (انظر الصواعق المرسلة ج ١: ص ٦١٦).

٦- وعن عامر عبد الله فالح، من كتاب السلفية المعاصرين، في كتابه معجم ألفاظ العقيدة الذي قال في مقدّمته: "اخترت أوثق الأقوال في كثير من المسائل لعلماء متقدّمين ومتأخّرين ومعاصرين..."، قال معرفاً بالشيعة: الشيعة: هم الذين شايعوا عليّاً على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصّاً ووصاية إماماً جلياً وإماماً خفياً، وقالوا: أنّ الإمامة لا تخرج عن أولاده وإن خرجت فبظلم من غيره أو بتقيّة من عنده (انظر معجم ألفاظ العقيدة: ص ٢٤٧). وإلى غير ذلك من أقوالهم وهذا معناه أنّ الشيعة يتبعون القرآن والسنة النبوية المتفق عليها بين جميع المسلمين. فيتمسكون بالقرآن والعترة الطاهرة عليهم السلام، استناداً الى القرآن والسنة النبوية، وعليه كيف جاز لابن تيمية أن يدّعي بأنّ الشيعة شرّ من المارقة!!؟

(١) لا يخفى أن الشيعة الإمامية يستدلون بالأدلة المتفقة بين جميع المسلمين على لزوم متابعة الشريعة المحمدية، وهي متفقة على لزوم الاعتقاد بامامة الأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام، فيستدلون بالقرآن الكريم والروايات المعتبرة عند جميع المسلمين على ذلك، بل بالروايات المتواترة عند المسلمين الدالة على إمامة أئمة الهدى عليهم السلام، وبذلك يتضح بأن الأدلة الدالة على الإمامة عند الشيعة موجودة في الكتب المعتبرة عند أهل السنة، سواء كانت الأدلة من القرآن الكريم، كآية الانذار والولاية وآية التطهير وآية المودة وغيرها، أو الروايات المتواترة الدالة على إمامتهم عليهم السلام، كحديث الغدير وحديث المنزلة وحديث الثقلين، وحديث السفينة وغيرها من الأحاديث الناصّة على إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، وأئمة أهل البيت عليهم السلام. وعليه فلا شك في أن كل من يؤمن بالله ورسوله ﷺ، لا بد له من هذا النوع من الاستدلال في عقائده، كي ينطلق من المسلمات عند جميع المسلمين. وإذا رجعنا إلى السنن الصحيحة التي صدرت من رسول الله ﷺ في خلافة أوصيائه المرضيين فتجد أن كتب أهل السنن مليئة بذكرها. واليك نماذج منها، فمنها: ما أوصى رسول الله ﷺ أمته بالرجوع إلى الثقلين في حديث متواتر لدى الفريقين، فقال ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفركا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما» (سنن الترمذي ج ٥: ص ٣٢٩)، ورواه أحمد بن حنبل في مسنده ج ٣: ص ٢٦، وج ٥: ص ١٨١ و ١٨٢، و ١٨٩، ومسلم في صحيحه ج ٧: ص ١٢٢ كتاب الفضائل، باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام، والمستدرک على الصحيحين ج ٣: ص ١٠٩، والسنن الدارمي ج ٢: ص ٤٣١، والمعجم الكبير للطبراني ج ٥: ص ١٧٠، وص ١٧١، ومجمع الزوائد للهيتمي ج ٩: ص ١٦٣، وغير ذلك من مصادر أهل السنة التي روت حديث الثقلين. وقد جعل النبي ﷺ فيه عترته الطاهرة عليهم السلام عدلاً للقرآن الكريم، وقال ﷺ: «أنهما لن يفترقا» إلى يوم القيامة، أي: أن العترة الطاهرة عليهم السلام كالقرآن مرجع لهداية الناس على نحو الإطلاق،



ومعناه: كما أنَّ القرآن نور يهتدي به الناس على نحو الإطلاق، كذلك العترة الطاهرة عليهم السلام نور يجب على الناس أن يهتدوا بهم. ومن هنا يعرف أنَّ الشيعة يتبعون السنة النبوية والشريعة المقدسة ويستدلون بالأدلة المعتبرة عند جميع المسلمين على إمامة أئمة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام. ومن تلك الروايات ما جاء ذكر عدد أئمة أهل البيت عليهم السلام بالاثني عشر (انظر صحيح البخاري ج ٨: ص ١٢٧ كتاب الأحكام، باب قبل باب إخراج الخصوم وأهل الريب من البيوت بعد المعرفة، وصحيح مسلم ج ٦: ص ٣ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش، ومسند أحمد بن حنبل ج ٣: ص ١٣). ولا تنطبق هذه الروايات المتفق عليها بين جميع المسلمين إلا على مذهب الشيعة الاثني عشري، كما جاء ذكر الأئمة الأطهار عليهم السلام بأسمائهم في بعض المصادر السنّية مُوضحاً بأنَّ أولهم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وبعده ابنه الحسن عليه السلام، ثمَّ أخوه الحسين عليه السلام، ثمَّ تسعة من ذرية الحسين عليهم السلام وآخرهم المهدي عليه السلام؛ فأخرج الحموي الجويني في كتابه فرائد السمطين: أنَّه قدم يهوديَّ يقال له "نعثل" فقال: يا محمد، أسألك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين، فإنَّ أجبتني عنها أسلمت على يدك. قال: «سل يا أبا عمار»، فسأله عن أشياء إلى أن قال: صدقت، ثمَّ قال: فأخبرني عن وصيِّك من هو؟ فما من نبي إلا وله وصيٍّ، وإنَّ نبيَّنا موسى بن عمران أوصى إلى يوشع بن نون، فقال: «إنَّ وصيَّي علي بن أبي طالب، وبعده سبطاي الحسن والحسين، تتلوهم تسعة أئمة من صلب الحسين» قال: يا محمد فسمِّهم لي، قال: إذا «مضى الحسين فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه موسى، فإذا مضى موسى فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه الحسن، فإذا مضى الحسن فابنه الحجة محمد المهدي، فهؤلاء اثنا عشر»، قال: فأسلم اليهودي وحمد الله على الهداية (انظر فرائد السمطين ج ٢: ص ١٣٢)، ورواه القندوزي الحنفي في ينابيع المودة ج ٣: ص ٢٨١. ولو أردنا التصفُّح في كتب الشيعة والبحث عمَّا فيها من الحقائق بخصوص هذا الموضوع لوجدنا فيها أضعاف الروايات المذكورة فيها عن رسول الله ﷺ، ولكن يكفي للشيعة دليلاً أنَّ يذكر الروايات التي رواها علماء أهل السنَّة



منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨ ٦٧٣

فأي شرٍ يتصور في قوم جرت سيرتهم على العمل بالشريعة، كتابها
وسنتها؟!^(١)



والجماعة في كتبهم ومصادرهم المعتبرة عندهم. فيكون ذلك اعترافاً ضمناً منهم على
خلافة الأئمة الاثني عشر بعد رسول الله ﷺ مباشرة. بل ويمكن للشيعة الاستدلال بالأدلة
المعتبرة عند أهل السنن على خلافة الأئمة الاثني عشر من عصر النبي ﷺ وكان بعض
كبار الصحابة كسلمان وأبي ذرٍّ وعمار والمقداد يعرفون بأنهم كانوا من الشيعة، وكانت
الصحابة تسمونهم بشيعة علي بن أبي طالب عليه السلام، كما جاء ذلك في الروايات والتاريخ
(انظر كتاب الزينة لأبي حاتم السجستاني: مخطوط). وقد ذكر المفسرون في تفسير قوله
تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (سورة البينة: ٧)
قول النبي ﷺ «هم علي وشيعته» (انظر شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج ٢: ص ٤٦٦،
والدر المنثور للسيوطي ج ٦: ص ٣٧٩). فالشيعة من زمن الصحابة، كانوا معروفين
بمتابعتهم لأئمة الأطهار عليهم السلام ومعناه أنهم يسرون على نهج أئمة أهل البيت عليهم السلام وسيرتهم
فهذا معنى التشيع. وملخص الكلام أن الشيعة قد التزموا بأوامر الله ورسوله ﷺ في إمامة
الأئمة الاثني عشر عليهم السلام وفي جميع المسائل الدينية. وهل من يكون كذلك تجد في عمله
ما يخالف الدين؟ وعليه فإن كان المقصود بالشيعة في كلام ابن تيمية الموالين للأئمة
الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام فلا تجد في أقوالهم وآثارهم إلا قول الله ورسوله ﷺ،
فافتراء ابن تيمية على الشيعة يتضح بالرجوع إلى آثارهم فلاحظ.

(١) لا يخفى أن من أبرز مصاديق الشرِّ المخالفة لله ورسوله ﷺ، لأن الشرَّ في قبال الخير
والخير مفهوماً ومصداقاً هو طاعة الله ورسوله ﷺ، لأن فيها صلاح الدنيا والآخرة.
ولذلك قال العلامة المجلسي رحمه الله في معنى الخير: والخير والشرُّ يطلقان على الطاعة
والمعصية وعلى أسبابهما ودواعيهما، وعلى المخلوقات النافعة كالحبوب والثمار
والحيوانات المأكولة والضارة كالسموم والحيات والعقارب، وعلى النعم والبلايا... (مرآة
العقول ج ٢: ص ١٧١). وتوضيح المقام أن الانسان بحسب الظاهر لا يدرك واقع الأمر على





ما هو عليه في الواقع، ولكن يعلم علم اليقين بأن طاعة الله ورسوله ﷺ موجب للسعادة في الدنيا والآخرة. وليس دائماً كل ما يرغب به الانسان يكون الصلاح فيه، إذ قد يكره النسان شيئاً وفيه صلاحه من جهة الشرع الأقدس وكذلك العكس، كما قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة: ٢١٦).

فالمعيار في معرفة الخير هو طاعة الله. وأمّا الشرّ فهو نقيض الخير، وذلك كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ (سورة البينة: ٦). وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: «شرّ الناس عند الله يوم القيامة الذين يكرمون اتقاء شرهم» (انظر صحيح البخاري ج ٧: ص ٨١ كتاب الأدب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، وكتاب الكافي ج ٢: ص ٣٢٧). ويستفاد من بعض الآيات والروايات أن شرّ الناس عند الله هو من غضب الله عليه كما في قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (سورة الفاتحة: ٧). وعلامة هؤلاء في الدنيا أنّهم يؤذون الله ورسوله ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (سورة الأحزاب: ٥٧). ولقد أشار الله تعالى بأن هؤلاء شرّ الناس في الدنيا والآخرة، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (سورة المائدة: ٦٠). فشرّ الناس من غضب الله ورسوله ﷺ عليه. وهو غير الشيعة، وإذا كان هذا معنى الشرّ، فأيّ شرّ يتصوّر من الشيعة بعد كونهم ملتزمين بأوامر الله ورسوله ﷺ وأن سيرتهم جارية على العمل بالشريعة المقدسة كتاباً وسنةً، لأنّ أساس النظام الإسلامي مبني على طاعة الله ورسوله ﷺ كما قال الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ (سورة النساء: ٥٩).

وفي الآية الكريمة أن الله تعالى أمرنا أن نتبعه ونتبع الرسول الأكرم ﷺ. وهذه التبعية تتعلق بجميع شؤون الحياة من دون استثناء، فهم صادقون في إيمانهم بالله ورسوله ﷺ، كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ





رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ...» (سورة الحديد: ١٩). وقد روى ابن المغازلي في مناقبه بسنده عن إسماعيل بن علي بن علي بن رزين بن عثمان قال: حدثنا أبي حدثنا أخي دعبل بن علي، حدثنا مجاشع عن عمر بن ميسرة بن عبد الكريم الجزري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه سئل عن قول الله عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾، قال: سأل قوم النبي ﷺ فقالوا: فيمن نزلت هذه الآية يا نبي الله؟ قال: «إذا كان يوم القيامة عقد لواء من نور أبيض فإذا نادى: لِيُقَمِّ سِدِّ المؤمنين ومعه الذين آمنوا بعد بعث محمد ﷺ، فيقوم علي بن أبي طالب فيعطى اللواء من النور الأبيض بيده، تحته جميع السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار لا يخالطهم غيرهم حتى يجلس على منبر من نور رب العزة، ويعرض الجميع عليه رجلاً رجلاً فيعطى أجره ونوره، فإذا أتى على آخرهم قيل لهم: قد عرفتم موضعكم ومنازلكم من الجنة، إن ربكم يقول: عندي مغفرة وأجر عظيم، يعني الجنة، فيقوم علي والقوم تحت لوائه معهم حتى يدخل بهم الجنة، ثم يرجع إلى منبره فلا يزال يعرض عليه جميع المؤمنين فيأخذ نصيبه منهم إلى الجنة وينزل أقواماً إلى النار، فذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ يعني السابقين الأولين من المؤمنين وأهل الولاية له، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾، يعني بالولاية بحق علي وحق علي الواجب على العالمين، قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾ (مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي: ص ٢٥٣). فأهل الولاية لمولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هم الشيعة، وهم الذين نزلت هذه الآية بحقهم، وهم الصديقون والشهداء عند ربهم... وكما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة الحديد: ٢٨)، فقد روى الحاكم الحسكاني في تفسيره بسنده عن سعد بن طريف عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾، قال: «من تمسك بولاية علي فله نور» (انظر شواهد





التنزيل ج ٢: ص ٣٠٩). وكما قال الله تعالى: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ * لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ * فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ * أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ (سورة التين: ١-٨)، فقد روى الحاكم الحسكاني في تفسيره بسنده عن محمد بن الفضيل الصيرفي قال: سألت موسى بن جعفر عليه السلام عن قول الله: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾، قال: «أما التين فالحسن وأما الزيتون فالحسين، ﴿وَوَطُورِ سِينِينَ﴾ أمير المؤمنين، ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ رسول الله ﷺ، هو سبيل آمن الله به الخلق في سبلهم، ومن النار إذا أطاعوه ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ذاك أمير المؤمنين علي وشيعته، ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (انظر شواهد التنزيل ج ٢: ص ٤٥٥). وكما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتُ عَدْنٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (سورة البقرة: ٧-٨). وقد أخرج علماء أهل السنة في تفسير هذه الآية أن النبي ﷺ قال للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «يا علي أنت وشيعتك خير البرية»؛ أخرجه الطبري في تفسيره ذيل الآية الكريمة. وقد أخرج الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل بسنده عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، قال النبي ﷺ لعلي: «هو أنت وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين» (شواهد التنزيل ج ٢: ص ٤٦١). وقال السيوطي في تفسير الآية: أنه أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: كنا عند النبي ﷺ فأقبل علي، فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده، إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة» ونزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، فكان أصحاب النبي ﷺ إذا أقبل علي قالوا «جاء خير البرية». وأخرج ابن عدي وابن عساكر عن أبي سعيد مرفوعاً «علي خير البرية». وأخرج ابن عدي عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: «هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين».



وما الخير الذي يتصور في معشر جرت سيرتهم على مخالفة الشريعة وعلى العمل بالمبتدعات والمناكير ومتابعة المبدعين ومحبتهم^(١).



وأخرج ابن مردويه عن عليّ قال: «قال لي رسول الله ﷺ: ألم تسمع قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾؟ أنت وشيعتك، وموعدي وموعدكم الحوض إذا جثت الأمم للحساب تدعون غرّاً محجلين» (الدر المنثور ج ٦: ص ٣٧٩). وإلى غير ذلك من الآيات والروايات التي وردت في مدح الشيعة. فالشيعة هم الذين من يتبعون الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأولاده المعصومين عليه السلام في جميع الأمور، لأنه قد ورد الأمر من الله تبارك وتعالى ورسوله ﷺ بطاعة الأئمة المعصومين من العترة الطاهرة عليه السلام باعتبار أنهم خلفاء رسول الله ﷺ، وعليه فإن الشيعة يلتزمين بما جاء في الشريعة المقدسة الذي هو الخير، ويعرضون عما نهاهم الشريعة المقدسة، فكيف جاز لابن تيمية أن ينسب اليهم الشر؟! فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أنه لا يمكن تصور الخير في مخالفة الله ورسوله ﷺ، فإن من جرت سياسته على مخالفة القرآن الكريم والسنة النبوية لا يمكن تصور الخير فيهم. وتوضيح المقام أن الباحث إذا درس التاريخ دراسة علمية مجردة عن التعصب يجد أن سياسة الخلفاء الثلاثة كانت قائمة على البدع والمناكير في الدين، والافتراء على الله ورسوله ﷺ، فإن حكومة السقيفة كانت سياستها من بداية أمرها مبنية على مخالفة الله ورسوله ﷺ وتبديل الأحكام الشريعة بالبدع التي ما أنزل الله بها من سلطان، وقد شجعوا الناس على مخالفة النصوص الدينية، وكان هدفهم الرئيس التسلط على رقاب الناس بأي طريق أمكن، مع أن أتباع السقيفة كانوا يعلمون بأن المرجعية الدينية في الإسلام، القرآن الكريم والعترة الطاهرة عليه السلام للنصوص الصريحة والواردة في هذا المجال، وايضا كانوا يعلمون بأن القرآن الكريم والروايات المتواترة لدى الفريقين قد بينت أن الإمامة بعد رسول الله ﷺ إنما تكون في أهل البيت عليه السلام، فالغاصبين للخلافة لم يجدوا سبيلاً لتحقيق أهدافهم إلا بمخالفتهم لكتاب الله العزيز والسنة النبوية العطرة، فبدلوا أحكام الله بحسب





مشتهياتهم وأهوائهم إلى أحكام ما أنزل الله بها من سلطان. ومن أجل تمشية ذلك على الجهال كانوا يسمّون بدعهم الاجتهاد، وبذلك فتحوا باباً ومجالاً واسعاً لمن أراد أن يحدث في الدين ممّا لا يحصى عدده. فتّمردوا عمّا أمرهم الله ورسوله ﷺ، وما أوصاهم رسول الله ﷺ بالثقلين، فمع علمهم بأنّ بقاء الدين مرهون بالتسمك بالثقلين إلى يوم القيامة اعرضوا عن الثقلين. وهذا هو حجر الأساس في حكومة السقيفة، لأنّ سياستها كانت مبنية على مخالفة الخلفاء الثلاثة للكتاب والسنة النبوية في الأواسط الأمة الإسلامية، كما أنّ معاوية كان سيئة واحدة من سيئات عمر بن الخطاب الذي أجلسه على الحكم، وإنّ عمر نفسه سيئة من سيئات أبي بكر، وهكذا تحققت الجريمة العظمى في الإسلام، التي لا يمكن تداركها إلى يوم القيامة. ففي ما يتعلّق بأبي بكر وخلافته فإنّ خلافته كانت سبباً لهبوط الأمة نحو الأسفل إلى أن وصلت تحت أقدام اليهود من عهد أبي بكر، وقد اصطحب عمر بن الخطاب أبحار اليهود أيام خلافته ليدسّوا التحريفات من العهد القديم في الإسلام، حيث أنّ أهدافهم الهدامة كانت تقتضي دفع الأمة إلى الأبحار والقصاصين من اليهود والنصارى لانتشار الاسرائيليات بين الأمة بدل المعارف الدينية التي كانت مصدرها الثقلين. فقد أخرج ابن شبه النميري في تاريخ المدينة بسنده عن ابن شهاب: أنّه سئل عن القصص فقال: لم يكن إلّا في خلافة عمر، سأله تميم أن يرخص له في مقام واحد في الجمعة، فرخص له فسأله أن يزيده فزاده مقاماً آخر. ثمّ استخلف عثمان فاستزاده، فزاده مقاماً آخر، فكان يقوم ثلاث مرّات في الجمعة (تاريخ المدينة ج ١: ص ١٢). وأخرج أيضاً بسنده عن عتبة أنّ تميم الداري استأذن عمر أن يقصّ، فقال: لا. ثمّ استأذن أيضاً، فقال: أمّا إني آذن لك فيه، وأعلمك أنّه الذبح، وأشار إلى حلقه (تاريخ المدينة ج ١: ص ١٢). وأخرج أيضاً بسنده عن عطاء بن أبي رباح قال: أمر عمر بن الخطاب عبيد بن عمير أن يذكر الناس بعد الصبح وبعد العصر في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة، فلم يزل ذلك جارياً إلى اليوم (تاريخ المدينة ج ١: ص ١٢). فإنّ عبيد بن عمير اللثي هو أوّل قصّ على عهد عمر، روى حماد بن سلمة، عن ثابت قال: أوّل من قصّ عبيد بن عمير على عهد عمر بن الخطاب (انظر تاريخ المدينة ج ١: ص ١٢). قال الذهبي





عنه في ميزان الاعتدال: أنه لا يعرف، تفرد عنه ابن أبي ذئب (انظر ميزان الاعتدال ج ٣: ص ٢١). ولم يذكر ابن حجر العسقلاني عبيد بن عمير في كتابيه الإصابة ولسان الميزان، ولم يذكره ابن منظور في كتاب مختصر تاريخ ابن عساكر. وقال الذهبي في تذكرة الحفاظ: إنه من أصل رومي فهو نصراني الأصل، ويقول عنه بعض العلماء: إنه كان يضع الحديث (أضواء على السنة المحمدية للدكتور محمود أبو رئة: ص ١٩٤). وبسبب كثرة الرواة المندسين والكاذبين قال الحافظ الدارقطني: إن الحديث الصحيح في الحديث الكذب كالشجرة البيضاء في جلد الثور الأسود (انظر كتاب الإسلام الصحيح: ص ٢١٥). ثم تطور القصص في زمن الأمويين وزاد فيه الكذب والافتراء على الله ورسوله ﷺ، فقد حدث عبد الله بن بريدة قال: حدثني أبي بريدة قال: أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالاً فقال: يا بلال بم سبقتني إلى الجنة؟ ما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي. دخلت البارحة الجنة، فسمعت خشخشتك أمامي، فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من العرب. فقلت: أنا عربي! لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من قريش. فقلت: أنا قرشي! لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من أمة محمد ﷺ، فقلت: أنا محمد! لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب! فقال بلال: يا رسول الله ما أدنت قط إلا صليت ركعتين، وما أصابني حدث قط إلا توضأت عندها، ورأيت أن الله علي ركعتين، فقال رسول الله ﷺ: بهما (انظر سنن الترمذي ج ١: ص ٢٠٥). فصور الراوي بلالاً وعمر أفضل من رسول الله ﷺ! فأصبح القصاصون وسيلة قوية بيد الدولة لإثبات أهدافها وكبح أعدائها وترويج أفكارها إلى درجة استصحاب معاوية للقصاصين معه إلى الكوفة يوم ذهب إلى حرب الإمام الحسن ﷺ (انظر تاريخ بغداد ج ١: ص ٢٠٨). ثم روج القصاصون للفتنة بين الشيعة والسنة في بغداد سنة ٣٦٧ هجرية فمنعهم عضد الدولة من عملهم (انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ١١: ص ٢٨٩، والمنظم لابن الجوزي ج ٧: ص ٥٨). وانتشرت الأحاديث والقصص في تفضيل الصحابة على النبي ﷺ، فقد وضع تميم وكعب أساساً للقصص المعارض لله والنبي ﷺ والإسلام. عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ جالساً فسمعنا لغطاً وصوت صبيان. فقام رسول الله ﷺ





فإذا حبشة تزفن (ترقص) والصبيان حولها فقال: يا عائشة تعالي فانظري، فجئت فوضعت لحيي على منكب رسول الله ﷺ، فجعلت أنظر إليها ما بين المنكب إلى رأسه، فقال لي: أما شبت، أما شبت؟ قالت: فجعلت أقول: لا. لأنظر منزلتي عنده إذ طلع عمر، قالت: فأرفض الناس عنها، قالت: فقال رسول الله ﷺ: إني لأنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فروا من عمر. قالت: فرجعت (انظر سنن الترمذي ج ٣: ص ٢٠٦). وأمثال هذه الأحاديث وضعت بعد زمن عمر، تمجيداً له وانتقاصاً من النبي ﷺ. ولقد أعطيت عائشة في زمن أبي بكر وعمر منصب المفتي والمرجع الديني فكانت تدعم الدولة بفتاواها. ولسوء رأيها في عثمان أقدمت على إصدار فتوى بإهدار دمه قائلة: اقتلوا نعثلاً فقد كفر (انظر تاريخ الطبري ج ٣: ص ٤٧٧). وفعلاً قال الرجل الأسود الذي ذبح عثمان: أنا قتلت نعثلاً. ومن الأحاديث المنتشرة زوراً بيد القصاصين ومن سار على نهجهم ما جاء: لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب (انظر سنن الترمذي ج ٥: ص ٢٨٢). لو لم أبعث فيكم لبعث عمر (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٢: ص ١٧٨). وأن شاعراً أنشد النبي ﷺ شعراً فدخل عمر، فأشار النبي ﷺ إلى الشاعر أن اسكت، فلما خرج عمر قال له: عد فعاد. فدخل عمر فأشار النبي ﷺ بالسكوت مرة ثانية، فلما خرج عمر سأل الشاعر رسول الله ﷺ عن الرجل، فقال: هذا عمر بن الخطاب وهو رجل لا يحب الباطل عمر (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٢: ص ١٧٨). وهدف راوي الحديث إثبات أن الرسول ﷺ كان يحب الباطل -والعياذ بالله- وبينما اخترع عمر بن الخطاب منصب القاص في المسجد كان الله تعالى قد حصر هذه الوظيفة بالنبي محمد ﷺ إذ جاء: مر الحسن يوماً وقاص يقص على باب مسجد رسول الله ﷺ فقال الحسن: «ما أنت؟» فقال: أنا قاص يا ابن رسول الله. قال: «كذبت، محمد ﷺ القاص، قال الله عز وجل: ﴿فَأَقْصُصْ الْقَصَصَ﴾». قال: فأنا مذكّر. قال: «كذبت، محمد المذكر، قال له عز وجل: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾». قال: فما أنا؟ قال: «المتكلف من الرجال» (انظر تاريخ اليعقوبي ج ٢: ص ٢٢٨). وأما كعب الأحرار فقد أعطاه عمر بن الخطاب المرجعية في هذا المجال وهو حاول تحطيم الإسلام بصور مختلفة إذ طلب عبد الله بن سلام من النبي ﷺ





أن يقيم على السبب وأن يقرأ من التوراة في صلاته فلم يأذن له (انظر السيرة الحليّة ج ١: ص ٢٣٠). لقد أصبح كعب الأبحار مرجعاً عاماً للدولة يرجع إليه الخليفة في شؤون الدولة المختلفة، عن سليمان بن يسار قال: كتب عمر بن الخطّاب إلى كعب الأبحار أن اختر لي المنازل، فكتب إليه:.... يا أمير المؤمنين، إنّه بلغنا أنّ الأشياء اجتمعت، فقال السخاء: أريد اليمن، فقال حسن الخلق: أنا معك، وقال الجفاء: أريد الحجاز، فقال الفقير: وأنا معك، وقال البأس: أريد الشام، فقال السيف: وأنا معك إلى نهاية، الحديث (انظر مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن منظور ج ١: ص ١٣٣). وسأل عمر كعباً عن عليّ عليه السلام والخلافة: ما تقول في عليّ؟ أشرّ عليّ في رأيك؟ واذكرني ما تجدونه عندكم (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٣: ص ١١٥). وسأل عمر كعباً عن الخليفة المقبل: إلى من يفضي الأمر عندكم؟ (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٣: ص ٦١) وقد يكون لتنبؤ أحد علماء أهل الكتاب باعتلاء عمر سلطة البلاد مستقبلاً تأثير كبير في أخذ عمر عن أهل الكتاب، وثانياً للمكانة الثقافيّة العالية لأهل الكتاب قبل الإسلام في نفوس البعض؛ جاء في تصانيف أبي أحمد العسكري: أنّ عمر كان يخرج مع الوليد بن المغيرة في تجارة للوليد إلى الشام، فلما كان باللقاء لقيه رجل من علماء الروم، فجعل ينظر إليه، ويطل النظر لعمر، ثمّ قال: أظنّ اسمك - يا غلام - عامراً أو عمران أو نحو ذلك؟ قال: اسمي عمر. قال: اكشف عن فخذيّك، فكشف فإذا على أحدهما شامة سوداء في قدر راحة الكفّ، فسأله أن يكشف عن رأسه، فإذا هو أصلع، فسأله أن يعتمد بيده فاعتمد فإذا أعسر أيسر. فقال له: أنت ملك العرب. قال: فضحك عمر مستهزئاً. فقال: أو تضحك؟ وحقّ مريم البتول أنت ملك العرب، وملك الروم، وملك الفرس، فتركه عمر وانصرف مستهيناً بكلامه، فكان عمر يحدث بعد ذلك، ويقول: تبغني ذلك الرومي، راكب حمار، فلم يزل معي حتّى باع الوليد متاعه، وابتاع بثمانه عطرّاً وثياباً، وقفل إلى الحجاز، والرومي يتبعني، لا يسألني حاجة، ويقبل يدي كلّ يوم... (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٢: ص ١٨٣). وقد ابتدع كعب شيئاً خطيراً جعل الكثير من الناس يتبعوه إذ قال: ما من شيء إلاّ وهو مكتوب في التوراة (انظر أضواء على السنّة





المحمّديّة للدكتور محمود أبو رئة: ص ١٦٥). ولمّا كان المسلمون لا يقرؤون اللغة العبريّة، فقد أصبحوا أسرى بيد كعب وأمثاله، ينقل لهم كلّ ما يهوى ويحبّ باسم قال الله تعالى في الكتاب المقدّس، وبواسطة هذه الحيلة أصبح كعب مرجعاً خطيراً لبعض المسلمين، يسيرهم كما يشاء. هذا بالنسبة للذين لم ينتبهوا لكذبه، أمّا الآخرون فقد ضربوا بأقواله عرض الحائط. وأمّا الذين انساقوا في تيّار كعب وأصبحوا من متهودّة المسلمين، فقد رووا حديثاً كعبيّاً باسم النبي ﷺ جاء فيه: حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج (انظر تفسير ابن كثير ج ١: ص ٤). وقد ذكرت الأخبار أنّ عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو أحد تلاميذ كعب، قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من علوم أهل الكتاب، فكان يحدث منهما، وزاد ابن حجر قائلاً: فتجنب الأخذ عنه لذلك كثير من أئمة التابعين (انظر فتح الباري لابن حجر ج ١: ص ١٦٧). وقد جاء في التوراة المزوّرة خطاب لليهود: قد اختارك الربّ لكي تكون له شعباً خاصاً فوق الشعوب على وجه الأرض (انظر سفر التثنية، الإصحاح: ١٤). ومن أدلّة كون هذا الشعب فوق الشعوب عندهم أن الله تعالى صارع يعقوب في طول الليل فعجز عنه؟! بل عجز الله تعالى عن التخلّص والفرار من يعقوب، فاضطرّ الباري عزّ وجلّ إلى استعطاف يعقوب والتوسّل به كي يطلقه قائلاً: أطلقني لقد طلع الفجر! فقال له يعقوب: لا أطلقك إن لم تباركني، فباركه الربّ وسماه إسرائيل، أي الذي يصارع ويجاهد الله؟! فهذه الأحاديث المخزية والمضحكة أصبحت مرجعاً للمسلمين في زمن كعب وعبد الله بن سلام وتميم الداري يقولها كعب وتميم لتحريف المسلمين في يوم الجمعة وبقية أيام الأسبوع في مسجد النبي ﷺ. في حين ينظر اليهود إلى أمم العالم كعبيد، إذ جاء في كتاب التلمود: نحن شعب الله المختار نحتاج إلى نوعين من الحيوان، نوع أعجم كالذباب والأنعام والطيور، ونوع الحيوان الإنساني، وهم سائر الأمم من الشرق والغرب. ولقد نجح كعب في إقناع عمر بأمور كثيرة مثل زيارة الشام، وعدم زيارة العراق، وتولية معاوية وعدم تولية علي عليه السلام والاهتمام بصخرة القدس وتنظيفها، وهي ليست أكثر من عجل بني إسرائيل. وقد دعا كعب إلى عدم التعبد بالنصوص الإلهيّة إن دعت الحاجة، ووافقه عمر على ذلك (انظر





شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١: ص ٣٦٠، وج ٣: ص ١١٥). وفي عام الرمادة سنة ١٨ هجرية قال كعب لعمر: إنّ بني إسرائيل كانوا إذا أصابهم مثل هذا استسقوا بعصبة الأنبياء، وهنا جاءت روايات بأنّ عمر قال: هذا عمّ رسول الله وصنو أبيه، وسيد بني هاشم العباس. وقال أنس: إنّ عمر قال: إنّنا كنّا نتوسّل إليك بنيّنا فتسقينا، وإنّا نتوسّل إليك بعمّ نيّنا فتسقينا (انظر أضواء على السنّة المحمّديّة للدكتور محمود أبو رثة: ص ١٦٠). وسأل عمر من كعب الأحبار عن الشعر هل يجد له ذكراً في التوراة (انظر كتاب العمدة لابن رشيقي: ص ٨)، وسأله: ما عدن؟ (انظر الدرّ المنثور للسيوطي ج ٤: ص ٥٧). فيكون عمر بن الخطّاب قد رجع إلى كعب في مسائل عديدة، كما سيّوضّح ذلك لاحقاً. والمجئ بكعب إلى مسجد النبي ﷺ لإلقاء دروسه وخطبه الدينيّة، جعل لأحاديثه قداسة دينيّة. وقال ابن كثير في تفسيره: لقد سعى أبو هريرة وغيره لإلصاق أحاديث كعب بالنبي ﷺ في عملية تدليس خطيرة (انظر تفسير ابن كثير ج ٤: ص ١٠٤). ولأجل سماح عمر لكعب بقول القصص والخطب في مسجد النبي الشريف وجلس عمر في مجلسه فقد أخذ الكثير من المسلمين عنه! إذ جاء أن كعب الأحبار قال: نجد مكتوباً في الكتاب أنّ مقبرة بغربي المدينة على حافة السيل، يحشر منها سبعون ألفاً ليس عليهم حساب! فأوصى أبو سعيد المقبري لابنه سعيد: إنّ أنا هلكت فادفني في مقبرة بني سلمة التي سمعت من كعب! (انظر كتاب وفاء الوفاء للسمهودي ج ٢: ص ٨١، وتاريخ المدينة لابن شبه ج ١: ص ٩٢) وقد ذكر البخاري في سننه حديث النبي ﷺ بحرمة استقبال واستدبار القبلة. وبعد أن ثبت ذلك، ذكر لاحقاً قول عبد الله بن عمر باستدبار النبي ﷺ للقبلة! إذ جاء عن عبد الله بن عمر تلميذ كعب: ارتقيت فوق ظهر بيت حفصة لبعض حاجتي، فرأيت رسول الله ﷺ يقضي حاجته، مستدبر القبلة مستقبل الشام (صحيح البخاري ج ١: ص ٤٦ كتاب الوضوء، باب التبرّز في البيوت). وذكر علماء الحديث في باب رواية الصحابة عن التابعين أو رواية الأكابر عن الأصاغر: أنّ أبا هريرة والعبادلة (ومنهج عبد الله بن عمر) ومعاوية وأنس وغيرهم قد رووا عن كعب الأحبار اليهودي الذي أظهر الإسلام خداعاً (انظر أضواء على السنّة المحمّديّة للدكتور محمود أبو رثة: ص ٢١٥). وفي حديث آخر





عن عبد الله بن عمر قال: لقد ظهرت ذات يوم على ظهر بيتنا فرأيت رسول الله ﷺ قاعداً على لبنتين مستقبل بيت المقدس (صحيح البخاري ج ١: ص ٤٦ كتاب الوضوء، باب التبرّز في البيوت). وذكر البخاري في نفس الصفحة حديثاً نبوياً، قال الرسول ﷺ: «إذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولّها ظهره» (انظر صحيح البخاري ج ١: ص ٤٥ كتاب الوضوء، باب لا يستقبل القبلة ببول ولا غائط إلّا عند البناء جدار أو نحوه). وهكذا درس البخاري السّم في العسل إذ ثبت مخالفة النبي ﷺ للشريعة التي جاء بها! هذا إن كان كتاب البخاري للبخاري نفسه، إذ أنّ محمود أبو رية يدّعي تزوير الكثير من أحاديث البخاري بعد موته، إذ مات البخاري قبل أن يبيّض كتابه (انظر أضواء على السّنّة المحمّدية للدكتور محمود أبو رية: ص ٣١٦). أمّا لو كان البخاري نفسه قد كتبه، فيكون لنا معه كلام آخر، إذ أنّ ذلك كافٍ لاثّامهما بالكذب والاعتداء على الساحة النبوية المقدسة ﷺ. وعلى كلتا صورتين يثبت عدم صحّة كلّ ما جاء في كتاب البخاري.

وأما رجوع عثمان إلى كعب الأخبار فإنّه أيضاً كان موضع ثقة لعثمان ومفتياً له في الأحكام يصدر الخليفة عن فتياه ويعمل بقوله، وإليك ما يلي: وقد ذكر المسعودي أنّه حضر أبو ذر مجلس عثمان ذات يوم، فقال عثمان: أترون بأساً أن نأخذ مالاً من بيت مال المسلمين فننفقه في ما ينوبنا من أمورنا ونعطيكموه؟ فقال كعب: لا بأس بذلك، فرفع أبو ذر العصا فدفع بها في صدر كعب وقال: يابن اليهودي، ما أجراًك على القول في ديننا، فقال له عثمان: ما أكثر أذاك لي، غيّب وجهك عنّي فقد آذيتنا (انظر مروج الذهب ج ٢: ص ٣٣٩). ونقل أيضاً: أنّه أتى عثمان بتركة عبد الرحمن ابن عوف الزهري من المال، فنُضدَ البدر حتّى حالت بين عثمان وبين الرجل القائل، فقال عثمان: إنّي لأرجو لعبد الرحمن خيراً، لأنّه كان يتصدّق ويقري الضيف وترك ما ترون، فقال كعب الأخبار: صدقت يا أمير المؤمنين، فشال أبو ذر العصا فضرب بها رأس كعب ولم يشغله ما كان فيه من الألم، وقال: يابن اليهودي، تقول لرجل مات وترك هذا المال، إنّ الله أعطاه خير الدنيا وخير الآخرة، وتقطع على الله بذلك، وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما يسرنّي أن أموت وأدع ما يزن قيراطاً» فقال له عثمان: وار عنّي وجهك (انظر مروج الذهب ج ٢: ص ٣٣٩).





ص ٣٤٠). وأما رجوع معاوية إلى كعب ودعّمه له، فقد ذكر ابن عساكر أن معاوية أمر كعباً بالقصص (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٣٢: ص ١٣١). وسأل معاوية كثيراً من كعب الأحبار كما كان يسأله عمر: نقل ابن عباس: كنت عند معاوية فقرأ الآية السادسة والثمانين من سورة الكهف بشكل خاص، فاعترضت. فسأل معاوية من عبد الله بن عمرو بن العاص فأتيده الأخير! فقال ابن عباس: إنّ القرآن نزل في بيتنا. وفي حلّ لمعاوية للأمر، فقد أرسل شخصاً يسأل ذلك من كعب الأحبار، وقال عنه: ألا إنّ كعب الأحبار أحد العلماء (انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢: ص ٣٥٨). فمعاوية يرفض رأي عبد الله بن عباس في القرآن ويسأل كعباً عنه وسأل عمر كعب الأحبار عن الشعر في التوراة. فقال كعب: إنّ مجموعة من أبناء إسماعيل وعلى صدورهم الإنجيل ينطقون بالحكمة، ويقولون الأمثال واعتقد بأنهم من العرب (انظر العمدة لابن رشيقي: ص ٢٥). ونسب كعب وعبد الله بن سلام ما قاله حذيفة عن حلول الفتنة مع موت عمر لأنفسهما، ونشرا ذلك في زمن عثمان على أنّه قيل في زمن عمر: إذ روى كعب أنّه قال لعمر: ويل لملك الأرض من ملك السماء. فقال عمر: إلا من حاسب نفسه. فقال كعب: إنّك مصراع الفتنة (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٤: ص ٣٣٥). وكان معاوية يتبرّك ببردة كعب (انظر التراتيب الإدارية لعبد الحي الكتاني ج ٢: ص ٤٤٦). في محاولة منه لإعطائه قداسة دينية على حساب المؤمنين. وإلى غير ذلك من الروايات التي رواها كبار علماء أهل السنة وهي تدلّ على أنّ خلفاء الجور كانوا ينشرون أباطيل القصّاصين بين المسلمين بدل المعارف الدينيّة التي كانت عند الثقلين، وقد أخبر النبي ﷺ عن متابعة الصحابة لليهود والنصارى، فقال ﷺ مخاطباً لهم: «لتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتّى لو سلكوا حجر ضبّ لسلكتموه»، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟! قال: «فمن؟» (صحيح البخاري ج ٤: ص ١٤٤ كتاب بدء الخلق، باب ما ذكر عن بني إسرائيل). وأخرج أيضاً بسنده عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «لتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً بذراع حتّى لو دخلوا حجر ضبّ تبعتموهم»، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟! قال: «فمن؟» (صحيح البخاري ج ٨: ص ١٥١ كتاب الاعتصام بالكتاب



٦٨٦..... منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨

فعلم ممّا نبّهنا عليه هنا وبَيّناه على وجه التفصيل فيما سبق بهتان ما قاله السنّي، من أنّ أهل السنّة يتولّون عامّة المؤمنين وينطقون بالعلم والعدل إلى غاية قول في المقام، فقد عرفت تولّيهم ومتابعتهم للمبدعين في الدين على مبتدعاتهم^(١)،



والسنّة، باب قول النبي ﷺ «لتبعن سنن من كان قبلكم»، وبعد هذه الجرائم فأين الخير منهم!!؟

(١) وتوضيح المقام أنّه لا شك في أنّ أحداث السقيفة وغضب الخلافة قد غيّرت مصير الأُمّة الإسلاميّة، وجعلت الأُمّة في مطبات الضلالة والهلاكة والأجواء الخطرة بسبب مخالفتها لكتاب الله العزيز وسنّة رسول الله ﷺ وأحداث البدع والتحريفات في الدين، وما حصلت منها من الويلات والمصيبة للأُمّة الإسلاميّة، حيث أنّها كشفت عن حالهم وسيرتهم بارتكابهم المحرّمات وما فعلها خلفائهم وحكامهم، فإنّهم خرّقوا حدود الله بالظلم والجور والفساد والبدع في الدين، التي قد تكون موجبة للارتداد والضلالة. وقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرّت عيناه وعلا صوته، واشتدّ غضبه، حتّى كأنّه منذر جيش، يقول: «صَبِّحْكُمْ وَمَسَاكُم»، ويقول: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ وَيَقْرَنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ: السَّبَابَةُ وَالْوَسْطَى»، ويقول: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»، ثمّ يقول: «أَنَا أَوَّلُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ مَنْ تَرَكَ مَا لَا فَلَأَهْلَهُ، وَمَنْ تَرَكَ دِينًا أَوْ ضِياعًا فَلِيَّ وَعَلَيَّ» (صحيح مسلم ج ٣: ص ١١ كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والجمعة). وروى النسائي مثله وفيه: «إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَأَحْسَنُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٍ وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ...» (سنن النسائي ج ٣: ص ١٨٨). وإلى غير ذلك من الروايات الدالّة على أنّ كثرة البدعة والإحداث في الدين صارت سبباً لارتداد الأُمّة. ويدلّ على ذلك حديث الحوض الذي هو من الأحاديث الصحيحة والمتواترة عند أهل





السنة. قال النووي أنه قال القاضي عياض: أحاديث الحوض صحيحة، والإيمان به فرض، والتصديق به من الإيمان وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لا يتأول ولا يختلف فيه. ثم قال: وقال القاضي: حديثه متواتر النقل روته خلائق من سعيد وجندب، وعبد الله بن عمرو، وابن عمرو بن العاص، وعائشة، وأم سلمة، وعقبة بن عامر، وابن مسعود، وحذيفة، وحارثة بن وهب، وأبي ذر، وثوبان، وأنس، وجابر بن سمرة، ورواه غير مسلم من رواية أبي بكر، وزيد بن أرقم، وأبي أمامة، وعبد الله بن زيد، وأبي برزة، وسويد بن جبلة، وعبد الله بن الصنابحي، والبراء بن عازب، وأسماء بنت أبي بكر، وخولة بنت قيس وغيرهم (انظر شرح مسلم للنووي ج ١٥: ص ٥٣). وقال الكتاني في نظم المتناثر: وأوردت فيه أحاديث كثيرة منها حديث الحوض من رواية ثيف وخمسين صحابياً (انظر نظم المتناثر من الحديث المتواتر لمحمد بن جعفر بن إدريس الكتاني الحسني الفاسي: ص ١٨). ولذلك قد ندم بعضهم من نقل هذا الحديث قال الصديق المغربي في كتابه فتح الملك العلي: حكى عن مالك أنه قال: ما ندمت على حديث أدخلته في الموطأ إلا هذا الحديث!! وعن الشافعي أنه قال: ما علمنا في كتاب مالك حديثاً فيه إضرار على الصحابة إلا حديث الحوض، وودنا أنه لم يذكره (انظر فتح الملك العلي لأحمد بن محمد بن الصديق الحسني المغربي الغماري: ص ١٥١). ومقتضى ذلك الارتداد أكثر الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، لأن هذه الروايات تدل على أن أكثر أصحاب النبي ﷺ ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ، حيث أنهم أحدثوا في الدين. فأتباع خلافة السقيفة قد وضعوا حجر الأساس للإحداث في الدين بعد وفاة رسول الله ﷺ، لأنهم بدلوا ما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، لأنهم سمعوا من النبي الصادق ﷺ قال: «إنما تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله عز وجلّ وحبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» (مسند أحمد بن حنبل ج ٣: ص ٢٦). فإن التمسك بالقرآن والعتر الطاهرة معناه السير على الصراط المستقيم الذي جاء في القرآن الكريم. وهو صراط النجاة في الإسلام الذي دعى الله تبارك وتعالى المؤمنين إليه بقوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾





(سورة الفاتحة: ٦-٧). وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (سورة الأنعام: ١٥٣)، والصراط المستقيم هو طريق التوحيد، وطريق الحق والعدل، طريق الطهر والتقوى الذي أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نمشي فيه ونتبعه ونسلكه ولا نسلك الطرق المنحرفة والسبل الضالة، لأنها لا تنتهي إلّا إلى الضلال. ومن هنا يعرف أن مقتضى الآية وحديث الثقلين أن الصراط المستقيم إنما يكون ممتداً بالثقلين الذي أمر النبي ﷺ بالتمسك بهما إلى يوم القيامة. ومعناه أن بالثقلين والتمسك بهما إنما تحصل الصيانة من الضلالة إلى يوم القيامة. وأما ما جرت في السقيفة من غصب الخلافة كان أساس البدعة في الدين والضلالة الأمة وانحرافها. فأكثر الصحابة الذين كان لهم الدور في ذلك فقد ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ وكانت مخالفتهم للدين وإحداثهم فيه مؤثرة في انحراف الأمة الإسلامية، وعلة تامة لضلالة الأمة بعد وفاة رسول الله ﷺ، إذ قد جعلوا الحرام حلالاً والحلال حراماً بغير إذن الله سبحانه وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (سورة النحل: ١١٦). ولأن القول على الله بغير علم جاء في القرآن الكريم مقروناً بأكبر الكبائر وأعظم الذنوب، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْأُثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة الأعراف: ٣٣). ومن المعلوم قطعاً أن التشريع المطلق - تحريماً وتحليلاً وتشريعاً - إنما هو حق خالص لله تعالى. كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (سورة الأحزاب: ٣٦)، فلا يحق لأحد أن يتدخل في سلطان الله وحظيره، ويعمل كيفما يشاء وكيف ما يقتضي مصلحته، فلذلك قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَدْنَى لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ (سورة يونس: ٥٩)، فالبدعة الصادرة من الصحابة قد أسست أساساً ضد الدين كما أن المشركين أسسوا أساساً ضد النبي ﷺ في





بداية الدعوة الإسلامية حيث جعلوا ما أنزل الله لهم من الرزق بعضه حراماً وبعضه حلالاً، فحرّموا حلال الله وحلّلوا الحرام الله، ولذلك وبخهم الله سبحانه بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَذَنُكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ (سورة يونس: ٥٩) أي كيف تحكمون ولم يأذن الله لكم في شيء، بل أنتم تكذبون على الله، ثم يهدّدهم بالعذاب كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (سورة يونس: ٦٠)، ويؤكد عليهم في آية أخرى ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكُذْبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (سورة النحل: ١١٦)، فأصحاب السقيفة وأتباعها قد أسسوا ببيان المخالفة للإسلام بعد وفاة رسول الله ﷺ وحديث الحوض دالّ على ارتدادهم، وعليه فما هذه النسبة التي ألصقها ابن تيمية إلى الشيعة مع وجود الروايات والنصوص المتفق عليها بين جميع المسلمين في أصحّ كتبهم؟! وعلى رأسهم أبي بكر، فإنه غير معالم الدين وبدّلها بالسنن الجاهلية والمناكير والافتراء على الله ورسوله ﷺ وغصب حقوق أهل البيت ﷺ وأنّ الصحابة التابعين لسياسة السقيفة كانوا راضين وموافقين لما ارتكبه من الفساد والظلم والإجرام. فهو وأتباعه كانوا يفسدون في الأرض ويظلمون الناس ويغنون في الأرض بغير الحقّ بإجرائهم السنن الجاهلية بدل سنن رسول الله ﷺ وذلك كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (سورة البقرة: ١١-١٢). هذه الآية الكريمة تحكي عن أحوال هؤلاء المنافقين الذين غصبوا الخلافة من أهل البيت ﷺ وكانوا يتشدقون بالإصلاح، بينما هم يتحرّكون على خطّ التخريب والفساد، والقرآن الكريم يصفهم بأنهم: ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. فإنّ الإنسان لو تمادى في الغي والضلال وكان الفساد عنده عادة، فإنه سوف يفقد قدرة التشخيص، بل تنقلب لديه الموازين، ويصبح الذنب والإثم عنده جزءاً من طبيعته. فهؤلاء المنافقين الذين غصبوا الخلافة من أهل البيت ﷺ كان إصرارهم على





الانحراف والانطباع على خط النفاق والضلالة والباطل. وهكذا انقلبت المعايير عندهم، فأصبح الفساد عندهم الإصلاح والإصلاح الفساد. وعليه فما زعمه ابن تيمية في المقام من أن من أهل السنة من يتولون عامة المؤمنين وينطقون بالعلم والعدل، كذب محض وواضح البطلان، فلاحظ.

(١) لا يخفى على الباحث في التاريخ والمصادر الإسلامية الروايات والنصوص الواردة في كتب أهل السنة الدالة على عدم لياقة الخلفاء الثلاثة بمقام الخلافة والإمامة، من جهة فقدانهم الشرائط المعتبرة عندهم في الإمامة كتاباً وسنةً. ومن تلك الشرائط المعتبرة عندهم: العلم، أي: لا بد أن يكون الإمام عالماً بالمسائل الشرعية والدينية، فلا تصح إمامة الجاهل. قال الباقلاني: يشترط أن يكون (الإمام) في العلم بمنزلة من يصلح أن يكون قاضياً من قضاة المسلمين... (انظر التمهيد: ص ١٨١). وقال عبد القاهر البغدادي: قال أصحابنا إن الذي يصلح للإمامة ينبغي أن يكون فيه أربعة أوصاف: أحدها: العلم؛ وأقل ما يكفيه منه أن يبلغ فيه مبلغ المجتهدين في الحلال والحرام وفي سائر الأحكام... (انظر أصول الدين لأبي منصور البغدادي: ص ٢٧٧). وقال أبو الحسن البغدادي الماوردي: الشروط المعتبرة في الإمامة سبعة: أحدها:... الثاني: العلم المؤدي إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام... (انظر الأحكام السلطانية: ص ٦). وقال ابن حزم: يشترط فيه أمور: أن يكون عالماً بما يلزمه من فرائض الدين... (انظر الفصل ج ٤: ص ١٨٦). وقال القاضي سراج الدين الأرموي: صفات الأئمة تسع، أحدها: أن يكون مجتهداً في أصول الدين وفروعه... (انظر مطالع الأنوار: ص ٤٧٠). وقال التفنازاني: قد ذكرنا في كتبنا الفقهية أنه لا بد للأئمة من إمام يحيي الشريعة ويقيم السنة ويتصف للمظلومين ويستوفي الحقوق ويضعها مواضعها، ويشترط أن يكون مكلفاً مسلماً عدلاً حراً ذكراً مجتهداً شجاعاً... (انظر شرح المقاصد ج ٢: ص ٢٧١). وقال الفضل بن روزهان: وشروط الإمام أن يكون مجتهداً في الأصول والفروع ليقوم بأمر الدين... (انظر دلائل الصدق ج ٢: ص ٤). وإلى غير ذلك





من أقوالهم في هذا المجال، فمع اختلافهم في بيان حد العلم فقد اتفقوا في اشتراط العلم في الإمام، وأن يكون هذا الشرط بمنزلة من يصلح أن يكون خليفة للمسلمين. ولكن عندما يأتون إلى تطبيق هذا الشرط على الخلفاء الثلاثة، بل على جميع خلفائهم سوف تراهم يقولون: لم نعهد لهم نبوغ في علم، أو تقدّمهم في العلم على سائر الناس، وقد روي في هذا المجال روايات كثيرة بالنسبة إلى جهل الخلفاء الثلاثة بالقرآن الكريم والسنة النبوية والأحكام الشرعية، وعلى سبيل المثال فقد روى كبار علماء أهل السنة بأسناد صحيحة أن رجلاً جاء إلى أبي بكر فسأله عن تفسير قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهِتًا أَبَابًا﴾، فقال أبو بكر: أي سماء تظّلني أو أي أرض تقلّني إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم؟ (انظر تفسير القرطبي ج ١: ص ٢٩، وأصول التفسير لابن تيمية في المقدمة: ص ٣٠، والكشاف للزمخشري ج ٣: ص ٢٥٣، وتفسير ابن كثير ج ١: ص ٥، أعلام الموقعين لابن القيم: ص ٢٩، وتفسير الخازن ج ٤: ص ٣٧٤، وتفسير النسفي في هامش تفسير الفخر الرازي ج ٨: ص ٣٨٩، والدر المنثور للسيوطي ج ٦: ص ٣١٧، وفتح الباري لابن حجر ج ١٣: ص ٢٣٠، وتفسير ابن جزي الكلبي ج ٤: ص ١٨٠ وغيرها من المصادر) فكيف يغيب هذا المعنى البسيط عن الخليفة العربي القحّ الذي لا يحتاج إلى معرفة أكثر من معرفة اللغة العربية؟! فعدم معرفته لأبسط الأشياء دليل على جهله بأمور، فكيف بأكبر وأهم من كلمة الأب الذي عجز عن معرفته؟! وهناك روايات أخرى في جهل الخليفة لم نذكرها للاختصار وللباحث أن يراجع كتاب الغدير للعلامة الأميني رحمته الله ج ٧: ص ١٠٣-١٩٩. كما أخرج كبار علماء أهل السنة الروايات الكثيرة في جهل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بالقرآن الكريم والسنة النبوية، فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزي عن أبيه أن رجلاً أتى عمر فقال: إني أجنبت فلم أجد ماء، فقال: لا تصل، فقال عمار: أما تذكر يا أمير المؤمنين أذاً وأنت في سرية فأجنبنا فلم نجد ماء، فأما أنت فلم تصل وأما أنا فتمعكت في التراب وصليت فقال النبي ﷺ: «إنما كان يكفيك أن تضرب بيدك الأرض ثم تنفخ ثم تمسح بهما وجهك وكفّيك»، فقال عمر: اتق الله يا عمار، قال: إن شئت لم أحدث به (صحيح مسلم ج ١: ص ١٩٣ كتاب الطهارة، باب التيمم). والآية





الكريمة تبين هذه الحقيقة بأجلى الوضوح فقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ (سورة النساء: ٤٣). فكيف يفسر عمر الآية الكريمة وما مدى علمه بها؟! وكيف لا يعرف الخليفة عمر بن الخطاب حكم الجنب؟ وكيف يمكن للمسلمين أن يعرفوا تفسير القرآن مع أن خليفته يكون جاهلاً به؟ والأمثلة على جهل عمر بالقرآن كثيرة وكثيرة، وهناك روايات كثيرة أخرجها كبار علماء أهل السنة بطرق صحيحة عن في جهل عمر بن الخطاب وقد أخرج بعضها العلامة الأميني رحمته الله في كتابه الغدير في باب سمّاه نواذر الأثر في علم عمر وهي مائة نادرة (انظر الغدير للعلامة الأميني ج ٦: ص ٨٣-٣٣٣). وكما أخرج الروايات الكثيرة في جهل عثمان بطرق صحيحة عن كبار علماء أهل السنة (انظر الغدير ج ٩: ص ٦٥-٣٩٧). وأيضاً أخرج كبار علماء أهل السنة الروايات الكثيرة الدالة على جهل الخليفة الثالث عثمان بالقرآن الكريم والسنة النبوية والأحكام الشرعية؛ فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما بسندهما عن عطاء بن يسار: إن زيد ابن خالد الجهني أخبره أنه سأل عثمان بن عفان قال: قلت رأيت إذا جامع الرجل امرأته ولم يمن؟ قال عثمان: يتوضأ كما يتوضأ للصلاة ويغسل ذكره. قال عثمان: سمعته من رسول الله ﷺ (انظر صحيح البخاري ج ١: ص ٧٦ كتاب الطهارة، باب غسل ما يصيب من رطوبة فرج المرأة، وصحيح مسلم ج ١: ص ١٨٤ كتاب الطهارة، باب نسخ الماء من الماء ووجوب الغسل بالتقاء الختانين). فمن أوليات الفقه في باب الطهارة وجوب الاغتسال بعد الجماع، لكن الخليفة عثمان لم يعرفه وهذا علم الخليفة بالقرآن، ألم يقرأ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ (سورة النساء: ٤٣)؛ يبدو أن





الخليفة لم تمرّ هذه الآية عليه من قبل، وهذا يعني أنّ الخليفة طوال عمره كان يغتسل فقط إذا أمني بعد الجماع، أمّا في غيرها عند الجماع وعدم الإنزال أو عدم خروج المنى فإنّه لم يغتسل!! ماذا يقول طلبة العلوم الدينيّة وهم في صفّهم الأوّل عند سماعهم مثل هذه الرواية في رجل ما؟! لا شكّ أنّ سعيّيون عليه جهله بالأحكام ويسخرون منه، فكيف إذا كان القائل هو الخليفة الثالث عثمان؟! وكذلك ما ورد من أنّ عثمان كان لا يعرف عدّة المطلقة والأرملة، من المعروف في الفقه أنّ المرأة التي يموت عنها زوجها أو تتطلّق منه تنتظر ثلاث حيضات بعد فراقه ثمّ يحقّ لها الزواج من غيره، ولكن عثمان على خلاف ما انزل الله قال: أنّ المرأة تتزوّج بلا عدّة! فقد أخرج البيهقي بسنده عن نافع أن ربيع (امرأة) خلعت (انفصلت وطلّقت) زوجها، فقال عثمان مجيباً عبد الله بن عمر: تنتقل ولا ميراث لها ولا عدّة إلاّ أنّها لا تنكح حتّى حيضة خشية أن يكون بها حبل! فقال عبد الله بن عمر: عثمان خيرنا وأعلمنا (انظر سنن البيهقي ج ٧: ص ٤٥٠). فالحديث نصّ صريح في أنّ عثمان أفتى بفتوى يخالف فيها القرآن والسنة النبويّة والشرع الأقدس، فالآية القرآنيّة من سورة البقرة تقول: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبَعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا لَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة البقرة: ٢٨٨). فحسب النصّ الصريح في هذه الآية الكريمة أنّ المطلقة لا بدّ أن تنتظر ثلاث قروء أي ثلاث حيضات بعد فراق زوجها ثمّ يحقّ لها بعد ذلك أن تتزوّج، فكيف جعل عثمان العدّة حيضة واحدة والقرآن يقول: ثلاث قروء!! ألم يقرأ الخليفة هذه الآية القرآنيّة قبل أن يحكم هذا الحكم الارتجالي؟ بلا شكّ أنّه كان لا يعرف سورة البقرة أيضاً، وما بال ابن عمر يحمده على ذلك الجواب المخالف للقرآن، ياللعجب!! وقد روى مالك في الموطأ بسنده عن قبيصة بن ذؤيب: أنّ رجلاً سأل عثمان بن عفّان عن الأختين من ملك اليمين، هل يجمع بينهما؟ فقال عثمان: أحلّتهما آية، وحرّمتهما آية، فأما أنا فلا أحبّ أن أصنع ذلك (الموطأ لمالك ج ٢: ص ٥٣٨). سبحان الله، يفتي على خلاف ما أنزل الله! ثمّ يقول:





فأما أنا فلا أحب أن أصنع ذلك! والجواب الصحيح أن الحكم حرام للحرائر وللإماء في الجمع بين الأختين، فأية التحريم تحرم كل المحارم نسيئاً وسببياً ورضاعياً ولا تستثني، لكن الخليفة عثمان يجهل الحكم في تلك المسألة البسيطة ويقول برأيه، وليس ذلك فقط، فإنه يقول بتناقض القرآن بقوله أحلتهما آية وحرمتها آية! وهناك روايات كثيرة في جهل عثمان أخرجه كبار علماء أهل السنة، وقد روى بعضها العلامة الأميني رحمته الله في كتابه الغدير من أصح كتبهم (راجع الغدير ج ٩: ص ٦٣-٣٩٧). فهذه أمثلة تبين جهل الخلفاء الثلاثة بالقرآن الكريم وتفسيره والسنة النبوية والأحكام الشرعية. فأين العلم الذي اشترطوه في الإمامة؟! وعليه إذا كان العلم أحد شرائط الإمامة كيف جاز لأهل السنة أن يجعل الجاهل إماماً وخليفة ومرجعاً للأمة في الفقه والتفسير...!!؟

(١) لا يخفى أن الخلفاء الثلاثة ومن سار على نهجهم ومن دخل في بيعتهم قد ارتكبوا أبشع الجرائم وأشنعها، فبسبب خروجهم عن طاعة الله ورسوله ﷺ ارتكبوا الظلم والجور والمخالفة لله ورسوله ﷺ إلى أبعد الحدود. ومن تلك الأعمال الشنيعة التي ارتكبها خلفاء الجور بحيث سوّدت وجه التاريخ من شناعتهما ما فعله أبو بكر من استباحته دماء المسلمين، فقد روى كبار علماء أهل السنة في كتبهم ما فعله أبو بكر وجلاوزته كخالد ابن الوليد من قتل الصحابي الجليل مالك بن نويرة وقتله المسلمين الأبرياء من قبيلته صبراً وسبي نساءهم المسلمات واستباحة فروجهم وأموالهم، وتعطيله الحدود الإلهية على هؤلاء المجرمين بعد ثبوت الجناية، وقد أطبق المؤرخون والمحدثون على أن مالك بن نويرة قدم على النبي ﷺ فيمن قدم من العرب، وأسلم وأسلم بنو يربوع بإسلامه، وولاه رسول الله ﷺ على صدقات قومه ثقة به (انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٥: ص ٦٦، والاستيعاب لابن عبد البر ج ٣: ص ١٣٦٢، والإصابة لابن حجر ج ٢: ص ٣٥٧). وكان رجلاً سرياً نبيلاً يردف الملوك، وكان فارساً، شاعراً، مطاعاً في قومه، وكان فيه خيلاء وتقدم، وكان ذا لمة كبيرة (انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٥: ص ٦٦، والإصابة لابن





حجر ج ٢: ص ٣٥٧). وأما ملخص قصته، أنه قال ابن الأثير في أسد الغابة: مالك بن نويرة ابن حمزة ابن شداد بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع التميمي اليربوعي أخو متمم بن نويرة قدم على النبي ﷺ وأسلم واستعمله رسول الله ﷺ على بعض صدقات بني تميم، فلما توفي النبي ﷺ وارتدت العرب وظهرت سجاح وادعت النبوة صالحها إلا أنه لم تظهر عنه ردة، وأقام البطاح، فلما فرغ خالد من بني أسد وغطفان سار إلى مالك وقدم البطاح فلم يجد به أحد، كان مالك قد فرقهم ونهاهم عن الاجتماع، فلما قدم خالد البطاح بث سراياه فأتى بمالك بن نويرة ونفر من قومه، فاختلفت السرية فيهم وكان فيهم أبو قتادة وكان فيمن شهد أنهم أذنوا وأقاموا وصلوا، فحبسهم في ليلة باردة وأمر خالد فنادى: أدفنوا أسراكم، وهي في لغة كنانة القتل، فقتلوهم، فسمع خالد الواقعة، فخرج وقد قتلوا، فتزوج خالد امرأته، فقال عمر لأبي بكر: سيف خالد فيه رهق وأكثر عليه، فقال أبو بكر: تأول فأخطأ ولا أشيم سيفاً سله الله على المشركين، وودى مالكا وقدم خالد على أبي بكر، فقال له عمر: يا عدو الله، قتلت امرء مسلماً ثم نزوت على امرأته؟ لأرجمنك، وقيل: إن المسلمين لما غشوا مالكا وأصحابه ليلاً أخذوا السلاح، فقالوا: نحن المسلمون، فقال أصحاب مالك: ونحن المسلمون، فقالوا لهم: ضعوا السلاح وصلوا، وكان خالد يعتذر في قتله أن مالكا قال ما أحال صاحبكم إلا قال كذا، فقال: أوما تعده لك صاحباً فقتله؟ فقدم متمم على أبي بكر يطلب بدم أخيه وأن يرد عليهم سبيهم، فأمر أبو بكر برد السبي، وودى مالكا من بيت المال، فهذا جميعه ذكره الطبري وغيره من الأئمة ويدل على أنه لم يرتد، وقد ذكروا في الصحابة أبعد من هذا، فتركهم هذا عجب، وقد اختلف في ردة، وعمر يقول لخالد: قتلت امرء مسلماً، وأبو قتادة يشهد أنهم أذنوا وصلوا، وأبو بكر يرد السبي ويعطي دية مالك من بيت المال، فهذا جميعه يدل على أنه مسلم (أسد الغابة ج ٤: ص ٢٩٥). إذن ليس بغريب على أبي بكر وحكومته أن يقتل المسلمين الأبرياء ويهتك حرمتهم ويسبي نسائهم وذريتهم. فإن المؤرخون ذكروا بأن أبا بكر بعث بخالد بن الوليد فأحرق قبيلة بني سليم (انظر الرياض النضرة ج ١: ص ١٢٩). وبعثه إلى اليمامة وبني تميم وقتلهم غدراً بعد ما كتفهم وضرب أعناقهم صبراً، وقتل مالك بن نويرة الصحابي الجليل





الذي ولّاه رسول الله ﷺ على صدقات قومه ثقة به، ودخل بزوجه في ليلة قتل زوجها، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وما ذنب مالك وقومه إلا أنهم لما سمعوا بما حدث من أحداث السقيفة بعد وفاة النبي ﷺ وما وقع من إبعاد الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام وظلم الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام حتى ماتت غاضبة على أبي بكر وعمر ومن ظلمها من الصحابة. لكل ذلك امتنع مالك وقومه من إعطاء الزكاة للسلطة الجائرة، فكان الحكم الصادر من الخليفة وأنصاره القتل وسبي نساءهم وذريّتهم وانتهاك حرماّتهم وإخماد أنفاسهم حتى لا يتفشى في العرب رأي للمعارضة أو المناقشة في أمر الخلافة. وهل لنا أن نسأل أهل السنة أليس أن رسول الله ﷺ حرّم قتال المسلمين بمجرد قولهم لا إله إلا الله؟! (انظر صحيح البخاري ج ٢: ص ١١٠ كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة) وهل أن في الإسلام الحكم بارتداد مانعي الزكاة؟! وهل أن مانعي الزكاة يحكم بقتله وسبي نسائه وذرائه؟! فكيف أمر أبو بكر خالد بن الوليد بذلك؟! ولما وصل خالد وجماعته بفنائهم، وما فعل من الإجماع بأمر أبي بكر حتى وصل الأمر إلى أن أبا بكر نفسه أبطل دعواه الكاذبة ضد هؤلاء المظلومين، فدفع ديتهم من بيت مال المسلمين، واعتذر عن قتلهم كما في تاريخ ابن الأثير (انظر الكامل في التاريخ ج ٢: ص ٣٥٩). فأهل السنة كيف يبرّرون أفعال أبي بكر مع أنهم لم يجدوا أي مبرر لشناعة ما ارتكبه.

وثانياً: لو كانت الزكاة حقّ المال فغاية ما في الباب أن الحاكم في هذه الحالة يبيع ماله، بأن يأخذ الزكاة منه بالقوة من دون أن يقتله ويسفك دمه. والسنة النبوية كانت واضحة في هذه الجهة، لأنّ ثعلبة الأنصاري امتنع عن إعطاء الزكاة، وقصّته كانت معروفة، فقد أخرج الطبري في تفسيره بسنده عن ثعلبة بن حاطب الأنصاري أنه قال لرسول الله ﷺ: ادع الله أن يرزقني مالاً، فقال رسول الله ﷺ: «ويحك يا ثعلبة، قليل تؤدّي شكره، خير من كثير لا تطيقه»، قال: ثمّ قال مرة أخرى، فقال: «أما ترضى أن تكون مثل نبي الله؟» فوالذي نفسي بيده لو شئت أن تسير معي الجبال ذهباً وفضة لسارت»، قال: والذي بعثك بالحق، لئن دعوت الله فرزقني مالاً لأعطين كل ذي حقّ حقه، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم ارزق ثعلبة مالاً»، قال: فاتخذ غنماً، فمات كما ينمو الدود، فضاقت عليه المدينة





فتنحى عنها، فنزل واديا من أدويتها، حتّى جعل يصلّي الظهر والعصر في جماعة، ويترك ما سواهما. ثمّ نمت وكثرت، فتنحى حتّى ترك الصلوات إلّا الجمعة، وهي تنمو كما ينمو الدود حتّى ترك الجمعة. فطفق يتلقّى الركبان يوم الجمعة يسألهم عن الأخبار، فقال رسول الله ﷺ: «ما فعل ثعلبة؟» فقالوا: يا رسول الله، اتّخذ غنماً فضاحت عليه المدينة، فأخبروه بأمره، فقال: «يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة»، قال: وأنزل الله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا...﴾ الآية. ونزلت عليه فرائض الصدقة، فبعث رسول الله ﷺ رجلين على الصدقة، رجلاً من جهينة ورجلاً من سليم، وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين، وقال لهما: «مرّا بثعلبة، وبفلان رجل من بني سليم، فخذوا صدقاتهما»، فخرجا حتّى أتيا ثعلبة، فسألاه الصدقة، وأقرءاه كتاب رسول الله ﷺ، فقال: ما هذه إلّا جزية، ما هذه إلّا أخت الجزية، ما أدري ما هذا؟ انطلقا حتّى تفرّغا ثمّ عودوا إليّ، فانطلقا، وسمع بهما السلمي، فنظر إلى خيار أسنان إبله، فعزلها للصدقة ثمّ استقبلهم بها، فلمّا رأوها قالوا: ما يجب عليك هذا، وما تريد أن نأخذ هذا منك، قال: بلى، فخذوه فإنّ نفسي بذلك طيبة، وإنّما هي لي فأخذوها منه، فلمّا فرغا من صدقاتهما رجعا حتّى مرّا بثعلبة فقال: أروني كتابكما! فنظر فيه فقال: ما هذه إلّا أخت الجزية، انطلقا حتّى أرى رأيي، فانطلقا حتّى أتيا النبي ﷺ، فلمّا رآهما قال: «يا ويح ثعلبة!» قبل أن يكلمهما، ودعا للسلمي بالبركة، فأخبراه بالذي صنع ثعلبة والذي صنع السلمي، فأنزل الله تبارك وتعالى فيه: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ...﴾ إلى قوله: ﴿...وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾، وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة، فسمع ذلك، فخرج حتّى أتاه، فقال: ويحك يا ثعلبة، قد أنزل الله فيك كذا وكذا، فخرج ثعلبة حتّى أتى النبي ﷺ، فسأله أن يقبل منه التراب، فقال له رسول الله ﷺ: «هذا عملك، قد أمرتك فلم تطعني»، فلمّا أبى أن يقبض رسول الله ﷺ رجع إلى منزله، وقبض رسول الله ﷺ ولم يقبل منه شيئاً، ثمّ أتى أبا بكر حين استخلف، فقال: قد علمت منزلتي من رسول الله ﷺ وموضعي من الأنصار، فاقبل صدقتي، فقال أبو بكر: لم يقبلها رسول الله ﷺ وأنا أقبلها؟ فقبض أبو بكر ولم يقبضها، فلمّا ولي عمر أتاه فقال:



وغلّوهم في حقّ المبدعين ومتابعيهم^(١)،



أقبل صدقتي، فقال: لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر، وأنا لا أقبلها منك، فقبض ولم يقبلها، ثم ولي عثمان، فأتاه فسأله أن يقبل صدقته، فقال: لم يقبلها رسول الله ﷺ، ولا أبو بكر ولا عمر وأنا لا أقبلها منك، فلم يقبلها منه، وهلك ثعلبة في خلافة عثمان (تفسير الطبري ج ١٠: ص ٢٤١). فإذا كانت قضية منع الإعطاء الزكاة بهذا الوضوح فلماذا أمر أبو بكر خالد بن الوليد وجلاوزته وأن يستحلّ دماء المسلمي كمالك بن نويرة وقومه وأموالهم وهتك نساءهم، وقد ارتكبوا أشنع الإجرام. وهل بعد ذلك يمكن لابن تيمية أو لأحد من أهل السنة أن يدعوا بأنهم يتولّوا العدول!!؟

(١) لا يخفى على الباحث الخبير الروايات المكذوبة التي وردت في المصادر السيئة في الغلوّ الفاحش في الخلفاء الثلاثة الذين ثبتت في حقهم المطاعن التي رواها كبار علمائهم، وما سجّلها عليهم التاريخ مما لا يمكن انكارها على أحد. ولا ندري كيف يمكنهم الجمع بين الأمرين المتناقضين!!؟ غير أنّ الباحث لو تأمل فيها يجد بوضوح أيدي الخيانة التي وضعت تلك الأخبار المكذوبة في فضائلهم المزعومة التي هي من الأساطير والقصص الخرافية والأوهام والترهات المسطرة بلا أي تعقل وتدبر، لأنها لا تجتمع مع الروايات التي رواها كبار علماء أهل السنة في مطاعنهم، ممّا فيها من الطامات والجنايات والأحداث والشنائع والفضائح التي فعلها الخلفاء الثلاثة، وإنّما كانت وصمات سوّدت صحيفة التاريخ وأبقت على الأمة عارها إلى منصرم الدنيا، لا تنسى قطّ بمرّ الأعصار والدهور.

فالباحث لو تأمل في كتب القوم يجد فيها بوضوح هذه الحقيقة الواضحة، وهي أنّه كلّما ورد في الأخبار والروايات من الفضائل في مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأهل البيت عليه السلام المروية عن لسان النبي الصادق عليه السلام قد افتعلوا مثلها في خلفائهم أو غيرهم من الصحابة زوراً وبهتاناً على رسول الله ﷺ، ليلبسوا الأمر على عوام الناس بأنّ الصحابة وخلفاء الجور ايضاً ورد في حقهم ما ورد في حق الإمام أمير المؤمنين علي بن





أبي طالب عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام. وقد يندهش القارئ من تلك أحاديث الموضوعة والمكدوبة التي وضعها الأيدي المرتزقة أيام بني أمية وبني العباس. وإليك ما ذكره ابن أبي الحديد في هذا المجال، قال: قد روي أن أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال لبعض أصحابه: «يا فلان، ما لقينا من ظلم قريش إيانا وتظاهروا بهم علينا وما لقى شيعتنا ومحبونا من الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وآله قبض وقد أخبر إننا أولى الناس بالناس، فتمالأت علينا قريش حتى أخرجت الأمر عن معدنه، واحتجّت على الأنصار بحقنا وحجبتنا، ثم تداولتها قريش واحد بعد واحد حتى رجعت إلينا، فنكثت بيعتنا ونصبت الحرب لنا ولم يزل صاحب الأمر في صعود كنود حتى قتل، فبوع الحسن عليه السلام ابنه وعوهد ثم غدر به وأسلم ووثب عليه أهل العراق، حتى طعن بخنجر في جنبه ونهبت عسكره وعولجت خلاليل أمهات أولاده، فوادع معاوية وحقق دمه ودماء أهل بيته وهم قليل حق قليل، ثم بايع الحسين عليه السلام من أهل العراق عشرون ألفاً ثم غدروا به وخرجوا عليه وبيعته في أعناقهم، وقتلوه ثم لم نزل - أهل البيت - نستذلّ ونستضام ونقصي ونمتهنّ ونحرم ونقتل ونخاف ولا نأمن على دماننا ودماء أوليائنا، ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجودهم موضعاً يتقربون به إلى أوليائهم، وقضاة السوء وعمال السوء في كل بلدة فحدثوهم بالأحاديث الموضوعة المكدوبة ورووا عنا ما لم نقله وما لم نفعله ليغضونا إلى الناس، وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام، فقتلت شيعتنا بكل بلدة وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة، وكان من يذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره، ثم لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام، ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلته، وأخذهم بكل ظنة وتهمة، حتى أن الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحبّ إليه من أن يقال شيعة علي عليه السلام، وحتى صار الرجل الذي يذكر بالخير - ولعله يكون ورعاً صدوقاً - يحدث بأحاديث عظيمة عجيبة، من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة ولم يخلق الله تعالى شيئاً منها ولا كانت ولا وقعت وهو يحسب أنها حق لكثرة من قد رواها ممن لم يعرف بكذب ولا بقلة ورع» (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١١: ص ٤٣). وقال: روى أبو الحسن علي بن محمد





ابن أبي سيف المدايني في كتاب الأحداث قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كلّ كورة وعلى كلّ منبر يلعنون علياً ويرأون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشدّ الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن سمّية وضمّ إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنّه كان منهم أيام علي عليه السلام، فقتلهم تحت كلّ حجر ومدر، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وطرفهم وشرّدهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم، وكتب معاوية إلى عمّاله في جميع الآفاق ألاّ يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة، وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فأدّنوا مجالسهم وقربوهم وكرمواهم، واكتبوا لي بكلّ ما يروى كلّ رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته. ففعلوا ذلك حتّى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلوات والكساء والحباء والقطائع ويفيضة في العرب منهم والموالي، فكثّر ذلك في كلّ مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا فليس يجرى أحد مردود من الناس عاملاً من عمّال معاوية فيروى في عثمان فضيلة أو منقبة إلّا كتب اسمه وقربه وشفعه فلبثوا بذلك حيناً. ثمّ كتب إلى عمّاله أنّ الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كلّ مصر وفي كلّ وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأوّلين ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلّا وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإنّ هذا أحبّ إليّ وأقرّ لعيني وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته وأشدّ عليهم من مناقب عثمان وفضله. فقرئت كتبه على الناس فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجد الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتّى أشادوا بذكر ذلك على المنابر وألقى إلى معلمي الكتاتيب، فعلموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتّى روه وتعلّموه كما يتعلّمون القرآن، وحتّى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله. ثمّ كتب إلى عمّاله نسخة واحدة إلى جميع البلدان انظروا من قامت عليه البيّنة أنّه يحبّ علياً





وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه، وشفع ذلك بنسخة أخرى من اتَّهَمْتوه بموالاته هؤلاء القوم فنكلوا به واهدموا داره فلم يكن البلاء أشدَّ ولا أكثر منه بالعراق ولا سِمْما بالكوفة، حتَّى إنَّ الرجل من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقى إليه سرّه ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدثه حتَّى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمنَّ عليه، فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة وكان أعظم الناس في ذلك بليّة القراء المرءون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك، فيفعلون الأحاديث ليحظُّوا بذلك عند ولائهم ويقربوا مجالسهم ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل حتَّى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلُّون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها وهم يظنُّون أنَّها حقّ ولو علموا أنَّها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها. فلم يزل الأمر كذلك حتَّى مات الحسن بن علي عليه السلام فازداد البلاء والفتنة فلم يبق أحد من هذا القبيل إلّا وهو خائف على دمه أو طريد في الأرض، ثمّ تفاقم الأمر بعد قتل الحسين عليه السلام وولي عبد الملك بن مروان، فاشتدَّ على الشيعة وولي عليهم الحجاج بن يوسف فتقرب إليه أهل النسك والصالح والدين بغض علي وموالاته أعدائه وموالاته من يدّعي من الناس أنَّهم أيضاً أعداؤه، فأكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم وأكثروا من الغضب من علي عليه السلام وعييه والطنع فيه والشنان له حتَّى إنَّ إنساناً وقف للحجاج - ويقال أنه جدّ الأصمعي عبد الملك بن قريب - فصاح به: أيها الأمير، إنَّ أهلي عقّوني فسمّوني عليّاً، وإنّي فقير بائس وأنا إلى صلة الأمير محتاج، فتضاحك له الحجاج وقال: للطف ما توسّلت به قد وليتك موضع كذا (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١١: ص ٤٤). وقال: وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم في تاريخه ما يناسب هذا الخبر وقال: إنَّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية تقريباً إليهم بما يظنُّون أنَّهم يرغمون به أنوف بني هاشم (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١١: ص ٤٦). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة بهذا المضمون في كتبهم، والمستفاد منها أنَّ النَّاس في عهد بني أمية كانوا يتسابقون في وضع الحديث بأمر من معاوية الذي أراد



وتذليلهم أهل البيت عليه السلام وجعلهم لهم دون درجاتهم الرفيعة التي جعلهم الله سبحانه فيها من إمامتهم لعامة الخلق ^(١)،



أن يرفع قدر أبي بكر وعمر مقابل فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وقد جاءت أحاديث هزيلة ومضحكة ومتناقضة في أصح كتبهم من فضائل مكذوبة لخلفائهم، ولو أردنا أن نذكر ما ورد في نقضها لطال بنا المقام. والمهم أن بطلان دعوى ابن تيمية في المقام حيث أنه ادعى بأن أهل السنة يتولون المؤمنين... وهذا كذب محض بشهادة ما ورد في كتب علمائهم من الروايات المعتبرة عندهم، فلاحظ.

(١) لا يخفى على الباحث أن السقيفة تأسست بنيانها على الظلم والجور والإيذاء لأهل البيت عليه السلام، وأن من أهداف خلفاء الجور إذلال أهل البيت عليه السلام بحسب تصوراتهم الواهية، وقد ملئت الآفاق والآثار بذكر هذه الحقيقة المثلثة والمشجية والمثيرة للحرز، بحيث لا يمكن إخفائها على أحد، وقد أخبر بها النبي الصادق عليه السلام في روايات كثيرة بالغة عن حد التواتر، ليعرف الناس مدى مظلومية أهل البيت عليه السلام، ومدى ظلم الغاصبين للخلافة. فقد أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرک بسنده عن أبي سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ: «إن أهل بيتي سيلقون من بعدي من أمتي قتلاً وتشريداً، وإن أشد قومنا لنا بغضاً بنو أمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم» (المستدرک على الصحيحين ج ٤: ص ٤٨٧).

وأخرج الطبراني في معجمه الكبير بسنده عن ابن مسعود قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ فأقبل نفر من بني هاشم فلما رأهم رسول الله ﷺ احمر وجهه واغرورت عيناه، فقلنا: يا رسول الله ما نزال نرى بوجهك شيئاً نكرهه، فقال: «إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي سيلقون من بعدي بلاء وتطريداً...» (المعجم الكبير ج ١٠: ص ٨٥). وأخرج الحموي الجويني في فرائد السمطين بسنده عن ابن عباس، قال: أن رسول الله ﷺ كان جالساً ذات يوم إذ أقبل الحسن عليه السلام، فلما رآه بكى ثم قال: «إلى أين يا بني؟» فما زال يديه حتى أجلسه على فخذه اليمنى، ثم أقبل الحسين عليه السلام فلما رآه بكى ثم قال: «إلى أين يا بني؟» فما زال يديه حتى أجلسه على فخذه اليسرى، ثم أقبلت





فاطمة عليها السلام فلما رآها بكى ثم قال: «إليّ إليّ يا بنية»، فأجلسها بين يديه، ثم أقبل أمير المؤمنين عليه السلام فلما رآه بكى ثم قال: «إليّ يا أخي»، فما زال يدينه حتى أجلسه إلى جنبه الأيمن، فقال له أصحابه: يا رسول الله ما ترى واحداً من هؤلاء إلا بكيت، أو ما فيهم من تسرّ برؤيته؟ فقال صلى الله عليه وآله: «والذي بعثني بالنبوة واصطفاني على جميع البرية إنني وإياهم لأكرم الخلق على الله عزّ وجلّ وما على وجه الأرض نسمة أحبّ إليّ منهم، أما عليّ بن أبي طالب عليه السلام فإنه أخي وشقيقي وصاحب الأمر بعدي وصاحب لوائي في الدنيا والآخرة وصاحب حوضي وشفاعتي، وهو مولى كلّ مسلم وإمام كلّ مؤمن وقائد كلّ تقيّ وهو وصيّ وخليفتي على أهلي وأمتي في حياتي وبعد موتي، محبّه محبّي ومبغضه مبغضي، وبولايته صارت أمتي مرحومة وبعداوته صارت المخالفة له منها ملعونة، وإنني بكيت حين أقبل لأنني ذكرت غدر الأمة به بعدي حتى أنه ليزال عن مقعدي وقد جعله الله له بعدي، ثم لا يزال الأمر به حتى يضرب على قرنه ضربة تخضب منها لحيته في أفضل الشهور ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾. وأما ابنتي فاطمة فإنها سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخريّن وهي بضعة منّي ونور عيني وهي ثمرة فؤادي وهي روعي التي بين جنبي وهي الحوراء الإنسيّة، متى قامت في محرابها بين يدي ربّها جلّ جلاله ظهر نورها لملائكة السّماء كما يظهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عزّ وجلّ لملائكته: "يا ملائكتي انظروا إلى أمتي فاطمة سيّدة إمائي قائمة بين يديّ ترتعد فرائصها من خيفتي وقد أقبلت بقلبها على عبادتي، أشهدكم أنّي قد آمنت شيعتها من النّار، وأنّي لمّا رأيتهما ذكرت ما يصنع بها بعدي كأنّي بها وقد دخل الدّلّ بيتها وانتهكت حرمتها وغصبت حقّها ومنعت إرثها وكسر جنبها (وكسرت جنبها) وأسقطت جنبها وهي تنادي: "يا محمّده" فلا تجاب وتستغيث فلا تغاث، فلا تزال بعدي محزونة مكروبة باكية، تتذكّر انقطاع الوحي عن بيتها مرّة وتذكّر فراقني أخرى وتستوحش إذا جنّها الليل لفقد صوتي الذي كانت تستمع إليه إذا تهجّدت بالقرآن، ثم ترى نفسها ذليلة بعد أن كانت في أيام أبيها عزيزة، فعند ذلك يؤنسها الله تعالى ذكره بالملائكة فنادت بها بما نادى به مريم بنت عمران فتقول: يا فاطمة





﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾، يا فاطمة ﴿أَقْتَنِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾، ثمَّ يبتدئ بها الوجد فتمرّض فيبعث الله عزَّ وجلَّ إليها مريم بنت عمران تمرّضها وتؤنسها في علّتها، فتقول عند ذلك ياربِّ إنِّي قد سئمت الحياة وتبرّمت بأهل الدّنيا فألحقني بأبي، فيلحقها الله عزَّ وجلَّ بي فتكون أوّل من يلحقني من أهل بيتي فتقدّم عليّ محزونة مكروبة مغمومة مغصوبة مقتولة، فأقول عند ذلك: اللَّهُمَّ العن من ظلمها وعاقب من غضبها وذلل من أذلّها وخلد في ناركَ من ضرب جنبها حتّى ألفت ولدها، فتقول الملائكة عند ذلك: "آمين" (فرائد السمطين ج ٢: ص ٢٤). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في كتب القوم، وهي تدلّ على عدم أنطباق الآيتين على الصحابة لارتكابهم الظلم والعدوان على أهل البيت عليهم السلام. ومن الواضح أنّ خلافة السقيفة أسست بنيانها على الظلم والعداء للعترة الطاهرة بعد النبي صلى الله عليه وآله، فبدؤوا بظلمهم على العترة الطاهرة عليهم السلام بغصب الخلافة، واستمرّوا بالظلم عليهم بمنع صديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام فدكاً، بعد ما أكّد النبي صلى الله عليه وآله بالصراحة على أنّ الفدك نحلة للزهراء عليها السلام خالصة. وقد أخرجها كبار علماء أهل السنّة، منهم: الهيثمي في مجمع الزوائد بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: لما نزلت: ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقُّهُ﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة فأعطاه فدك (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج ٧: ص ٤٩)، ورواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٧: ص ٤٩، وابن كثير في تفسيره ج ٣: ص ٣٩، والسيوطي في الدر المنثور ج ٤: ص ١٧٧، والشوكاني في فيض القدير ج ٣: ص ٢٢٤ وغيرهم. ولذلك قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في رسالته إلى عثمان بن حنيف: «بلى وكانت في أيدينا فدك من كلّ ما أظلّته السماء فشحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٥: ص ٩٩). ففي هذا الكلام لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام تصريح أنّ فدك كانت في أيديهم قبل أن يستولي عليها أبو بكر وعمر، ممّا يعني أنّها لم تكن ميراثاً بل هي نحلة، فما ادّعاه أبو بكر باطل بالنصوص التي أخرجها الفريقين. وعلى فرض كون فدك إرثاً، فأخذ الفدك من الزهراء عليها السلام أيضاً ظلم بها، إذ النصوص القرآنية والسنة النبويّة تدلّ على أنّ فدك كانت للزهراء عليها السلام وأخذها منها غصب وظلم وعدوان.





وقد احتجّت الزهراء عليها السلام عليه بقولها: «يا ابن أبي قحافة، أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟! لقد جئت شيئاً فرياً، أفعلني عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم، إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾، وقال فيما اقتصر من خبر يحيى بن زكريا، إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾». ثم قالت: «أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمّي؟! فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشر، فنعمة الحكم الله، والزعيم محمد عليه السلام، والموعود القيامة وعند الساعة ما تخسرون ولا ينفعكم إذ تندمون». ثم رمت بطرفها نحو الأنصار وقالت: «يا معشر الفتية وأعضاء الملة وأنصار الإسلام ما هذه الغميمة في حقّي، والسنة عن ظلامتي؟» (انظر تاريخ اليعقوبي ج ٢: ص ١٢٧) ولا يخفى أنّ الكذب على الله والرسول عليه السلام من أعظم الكبائر. ثم هنا مخالفة أخرى من أبي بكر لسنة رسول الله عليه السلام وهي مخالفته لقوله عليه السلام: «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني» (انظر صحيح البخاري ج ٤: ص ٢١٠ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم). فأغضبها أبو بكر كما جاء في صحيح البخاري بسنده عن عائشة أنّ فاطمة عليها السلام بنت النبي عليه السلام أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله عليه السلام ممّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر فقال أبو بكر: إنّ رسول الله عليه السلام قال: لا نورث، ما تركنا صدقة، إنّما يأكل آل محمد في هذا المال وإنّي والله لا أعير شيئاً من صدقة رسول الله عليه السلام عن حالها التي كان عليها في عهد رسول الله عليه السلام، ولأعملنّ فيها بما عمل به رسول الله عليه السلام، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتّى توفيت وعاشت بعد النبي عليه السلام ستة أشهر فلمّا توفيت دفنها زوجها علي ليلاً ولم يؤذن بها أباً بكر وصلى عليه (صحيح البخاري ج ٥: ص ٨٢ كتاب الغازي، باب غزوة خيبر). فوجدت (أي غضبت) فاطمة عليها السلام على أبي بكر...

وقد كان غضبها على أبي بكر عظيماً إلى الحدّ الذي أوصت إلى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أن لا يحضر أباً بكر جنازتها، وأن يدفن جثمانها الطاهرة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام سرّاً في الليل. وهناك الروايات المتواترة أثبتت أنّ





غضب فاطمة عليها السلام غضب رسول الله ﷺ، وأن غضب رسول الله ﷺ موجب لغضب الله عز وجل (انظر مجمع الزوائد للهيتمي ج ١٠: ص ٤٨). وقد قال تعالى: ﴿بِسْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (سورة البقرة: ٨٩-٩٠). وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (سورة الأحزاب: ٥٧)، فشمله العذاب الإلهي. ثم أنه لم يجد الخصم المهزوم في مقابل منطق الزهراء عليها السلام المؤزر بآيات الذكر الحكيم إلا بالاعتراف به، فالتجأوا حزب الحاكم بالإرهاب وقمع الأصوات التي قامت ضدهم وإخمادها. ولم يكن يخفى على أحد أن الحق كان مع فاطمة عليها السلام وأهل البيت عليهم السلام. والذي يؤيد ذلك ما رواه العلامة المجلسي قلبي عن البلاذري قال: لما قتل الحسين عليه السلام كتب عبد الله بن عمر إلى يزيد بن معاوية: أما بعد، فقد عظمت الرزية وجلت المصيبة وحدثت في الإسلام حدث عظيم ولا يوم كيوم الحسين. فكتب إليه يزيد: أما بعد يا أحمق، فإننا جئنا إلى بيوت منجدة، وفرش ممهدة، ووسائل منضدة، فقاتلنا عنها فإن يكن الحق لنا فعن حقنا قاتلنا، وإن كان الحق لغيرنا فأبوك أول من سنّ هذا وابتز واستأثر بالحق على أهله... (بحار الأنوار ج ٤٥: ص ٣٢٨). وإلى غير ذلك من الظلم والإيذاء الذي استحلوا إجرائها على أهل البيت عليهم السلام مع علمهم واعترافهم بعلو درجاتهم عند الله ورسوله ﷺ وإمامتهم على الخلق كما سنذكر اعترافاتهم في هذا المجال في محله إن شاء الله تعالى، فلاحظ.

(١) لا يخفى على الباحث الخبير أن أدلة عصمة أئمة أهل البيت عليهم السلام كتاباً وسنة قد ذكرها علماء الإسلام في كتبهم، وكثيراً منها قد جاءت في كتب أهل السنة والجماعة، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (سورة الاحزاب: ٣٣). هذه الآية نزلت في أصحاب الكساء وهم: رسول الله ﷺ والإمام أمير المؤمنين عليه السلام وسيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام والإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام،





وتواترت الروايات من أهل السنة على نزول الآية المباركة في هؤلاء الخمسة الطيبة عليهم السلام من أصحاب الكساء (انظر تفسير الطبري ج ٢٢: ص ٦، وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج ٢: ص ٣٦، وتفسير ابن كثير ج ٣: ص ٤٥٨، وأحكام القرآن للجصاص ج ٣: ص ٤٧١، وتفسير أبي عمرو الداني: ص ٢٥، وأسباب النزول للواحدي: ص ٢٣٩، معالم التنزيل للبغوي ج ٣: ص ٥٢٨، تفسير ابن العربي ج ٣: ص ٥٧١، والدر المنثور للسيوطي ج ٥: ص ١٩٨، وتفسير البيضاوي ج ٤: ص ٣٧٤، تفسير أبي السعود ج ٧: ص ١٠٣ وغيرهم من علماء السنة). ودلالة الآية على عصمة أصحاب الكساء صريحة، بدليل إذهاب الرجز عنهم والتطهير لهم على الإطلاق. وهناك آيات كثيرة تدل على عصمة أئمة أهل البيت عليهم السلام التي سندكرها في محله إن شاء الله تعالى. ومنها: الروايات الدالة على عصمتهم عليهم السلام فإنها كثيرة جداً، نذكر هنا بعض ما أخرجها علماء أهل السنة في كتبهم من باب المثال، فمنها: حديث الثقلين المتواتر لدى الفريقين، وقد نص بعض كبار علماء أهل السنة على صحته ووثاقه رواته، وتواتره في جميع طبقاته عن بضع وعشرين صحابياً كما نص على ذلك ابن حجر (انظر الصواعق المحرقة: ص ١٣٦). وهو قول رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما، وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض» (انظر صحيح مسلم ج ٧: ص ١٢٢ كتاب الفضائل باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام، وأحمد بن حنبل في مسنده ج ٥: ص ١٨١، والترمذي في سنن ج ٢: ص ٢٢٠، والدارمي في سننه ج ٢: ص ٤٣١، والنسائي في سننه ج ٥: ص ٤٥، والحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين ج ٣: ص ١٠٩، وأبو يعلى الموصلي في مسنده ج ٢: ص ٣٠٣، والطبراني في معجمه الكبير ج ٣: ص ٦٥، وابن أبي شبة في المصنف ج ٧: ص ١٧٦، وعمرو بن أبي عاصم في كتاب السنة: ص ٦٣٠، والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩: ص ١٦٢، وابن سعد في الطبقات ج ١: ص ١٩٤، وابن حجر في الصواعق المحرقة: ص ١٣٦، والمتقي الهندي في كنز العمال ج ١٥: ص ١٢٢ وغيرهم). وقد دل هذا الحديث على عصمة أهل البيت عليهم السلام، لأن صريح قول رسول الله ﷺ: أن العترة الطاهرة عليهم السلام عدل القرآن الكريم، وبما أن القرآن محفوظ من الزلل





ومعصوم من الخطأ، لأنه من عند الله تعالى فكذلك العترة الطاهرة عليهم السلام، لأن رسول الله ﷺ قرن العترة الطاهرة عليهم السلام بالقرآن الكريم. وإلّا لما صحّت المقارنة. وقد أعطى رسول الله ﷺ الضمان لسعادة من تمسك بهما من الأمة وحذّره من المخالفة لهما أو لواحد منهما. فيجب على كلّ مسلم أن يعرف أولاً عظمته القرآن، ثمّ يعرف معنى المعية في قول رسول الله ﷺ، وأيضاً يعرف معنى قوله ﷺ: «عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ»، ثمّ يعرف معنى عدم تفرّق الكتاب عن العترة الطاهرة عليهم السلام إلى يوم القيامة. فالبحث في المقام يتطلب مجالاً واسعاً. وللتأكيد على ما تقدم نذكر هنا بعض كلمات علماء أهل السنّة في شرح الحديث، قال المناوي: «عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ لن يتفرقا حتّى يردا عليّ الحوض»، وقال: ولهذا كان أعلم الناس بتفسيره (أي تفسير القرآن). قال المولى خسرو الرومي: عندما قال القاضي: إنّ جمع في تفسيره ما بلغه عن عظماء الصحابة، أراد بعظمائهم علياً وابن عباس والعبادة وأبي وزيد، قال: وصدرهم عليّ، حتى قال ابن عباس: ما أخذت من تفسيره فعن عليّ ويتلوه ابن عباس... (فيض القدير ج ٤: ص ٣٥٧). وهذا الكلام يدلّ على إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؛ لأنه كان أعلم الناس بالقرآن بعد رسول الله ﷺ باعترافهم بصحّة الحديث، ودلالته أنّ أعلم الناس بعد رسول الله ﷺ بالقرآن هم أهل بيته عليهم السلام؛ لأنّهم أعدل القرآن، فالحديث من جهة الدلالة واضحة، فلا يمكن إنكاره ومنها: حديث السفينة المتواتر بين المسلمين وهو قول النبي ﷺ: «مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى» (انظر المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج ٢: ص ٣٤٣، والمعجم الأوسط للطبراني ج ٤: ص ١٠، ومجمع الزوائد للهيتمي ج ٩: ص ١٦٨، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١: ص ٢١٨، والدرّ المنثور للسيوطي ج ١: ص ٢٧٣، وفيض القدير للمناوي ج ٢: ص ٦٥٨ وغيرها من المصادر). وهو صريح في وجوب الأخذ عن أهل بيته عليهم السلام، وإنّ النجاة منحصرة بهم، ومن الواضح الناجي في دينه يستلزم العصمة المطلقة، فالحديث يدلّ على وجوب التمسك بأهل البيت عليهم السلام لأنّهم معصومون. ومنها: قوله ﷺ: «النجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهب





ذهبوا، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي، ذهب أهل الأرض» (انظر المستدرک على الصحيحین ج ٢: ص ٤٤٨، والجامع الصغير للسيوطي ج ٢: ص ٦٨٠، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساکر ج ٤٠: ص ٢٠، ومسند أحمد بن حنبل كما في أرجح المطالب لعبيد الله الأمرتري: ص ٣٢٨، وفضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج ٢: ص ٨٣٥ ح ١١٤٥، وینابيع المودة للقندوزي الحنفي ج ١: ص ٧١، وكنز العمال للمتقي الهندي ج ١٢: ص ٩٦ وغيرها من المصادر). فالحديث صريح في أنّ أهل البيت عليهم السلام أمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء، وإطلاق قوله عليه السلام: «أمان لأهل الأرض» يقتضي الأمان في جميع الجهات، من المادية والمعنوية، وما جاء به الدين، من الأمور الدنيوية والأخروية، فمن اتّبع أهل البيت عليهم السلام فهم الأمان له في الدين والدنيا والآخرة. ونحن نكتفي بهذا المقدار من الأحاديث للاختصار، وعليكم بمراجعة كتاب "عمدة النظر" للبحراني حيث ذكر ٤٥ حديثاً على عصمتهم عليهم السلام، كما ذكر اثنا عشر دليلاً عقلياً على عصمتهم عليهم السلام. فالروايات الواردة في عصمة أهل البيت عليهم السلام وطهارتهم واصطفائهم للولاية والخلافة والإمامة في كتب علماء الإسلام بالغة عن حدّ التواتر. وإذا ثبتت عصمتهم بولايتهم وإمامتهم ثبتت مرجعيتهم بعد النبي صلى الله عليه وآله فيجب على كلّ مسلم أن يدرس معطيات هذه الأحاديث بصورة واعية ومدركة لئلاّ يتلّى بسوء العاقبة، إذ من الواضح أنّ العصمة من أهم شرائط الإمامة. قال الشيخ المفيد رحمته الله: العصمة من الله لحججه هي التوفيق واللفظ والاعتصام من الحجج بهما عن الذنوب والغلط في دين الله تعالى (شرح عقائد الصدوق: ص ٦٠). وقد بيّن رأي الشيعة الإمامية على النحو التالي: يرى الإمامية أن الأئمة في وجوب عصمتهم من جميع الرذائل والخبائث، من الولادة وحتى الوفاة، سواء تلك التي تصدر عمداً أو سهواً مثل الأنبياء عليهم السلام، لأنهم حفاظ الشريعة، ولا يختلفون عن الأنبياء من هذه الناحية (انظر أوائل المقالات في المذاهب والمختارات: ص ٦٥). ولا بدّ لنا أن نشير هنا إلى بعض أدلة العصمة من الكتاب والسنة. والأدلة التي يمكن إقامتها لإثبات عصمة الأنبياء عليهم السلام أو عصمة أئمة أهل البيت عليهم السلام تكون في مراحل ثلاث: الأول: مرحلة تلقّي الوحي وحفظه وأدائه إلى الأمة. الثاني: العصمة في مرحلة





القول والفعل والتقرير. الثالث: العصمة في مرحلة تطبيق الشريعة في حياته الفردية والاجتماعية. وإن جميع الأدلة العقلية والنقلية التي دلت على عصمة الأنبياء ﷺ هي بعينها تجري وبصورة واضحة وجليّة في حقّ الأئمة الطاهرين ﷺ إلا أنّ تلقي الوحي في الأنبياء ﷺ يكون من الله ابتداء من غير واسطة، وفي أئمة أهل البيت ﷺ يكون بواسطة النبي الأكرم ﷺ. وعليه فإنّ أئمة أهل البيت ﷺ في مرحلة تعليم الناس وهدايتهم يكونوا معصومين. ولو لم يكن كذلك لما صحّ طاعته على نحو الإطلاق، إذ لو جاز له الخطأ أو الاشتباه أو الذنب معناه جواز الاقتداء بالخطأ والذنب. فوجوب الطاعة المطلقة سواء كان للنبي أو الإمام تقتضي العصمة، لأنّ النبي قدوة وأسوة للناس، فإذا كان يجوز له الخطأ أو الذنب سوف لا يمكن أن يكون قدوة وأسوة للناس على نحو الإطلاق. وأيضاً أنّ الشارع لم يمكنه الأمر بالاقتداء به على نحو الإطلاق، لأنّ الأمر من الشارع الأقدس بالاقتداء به على نحو الإطلاق يرجع إلى الأمر باتيان الخطأ والذنب، وهو محال على الله سبحانه. فالملازمة بين الطاعة والعصمة أمر ثابت عقلاً، بل يكون ضرورياً لا يمكن إنكاره. وبعبارة أخرى أنّ العصمة متضمّنة لمفهوم النبوة والإمامة ولازمة لوجودهما، فلا يتسنى للنبي أو الإمام بدون العصمة أن ينفذ أوامر الله عزّ وجلّ.

وثانياً: لو لم يكن النبي أو الإمام معصوماً لذهب ثقة الناس به، لأنّ عدم العصمة يوجب عدم الوثوق به، لأنّ قلوب الناس ومشاعرهم وأحاسيسهم تمنع من ذلك، وعلى هذا الأساس فلا بدّ للنبي والإمام أن يكون معصوماً من كلّ أنواع الزلل والخطأ العمدي والسهوي لجلب وثوق الناس به واعتمادهم عليه ونفوذه في عقولهم وتفكيرهم. ولذلك أنّ الله تبارك وتعالى أكّد على هذا المعنى عندما خاطب لإبراهيم عليه السلام بقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، فإنّ الظالم غير معصوم، سواء ظلم نفسه أو ظلم غيره فلا ينال عهد النبوة والإمامة الذي جعله الله لرسله وصفوته. فالمستفاد من الآية الكريمة الملازمة بين الإمامة والعصمة في الشريعة المقدسة. قال السيّد الطباطبائي في تفسيره "الميزان" تحت عنوان "كلام في معنى العصمة" عند تفسيره للآية المباركة قوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ





مَنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿سورة النساء: ١١٣﴾، ظاهر الآية أن الأمر الذي تتحقق به العصمة نوع من العلم يمنع صاحبه عن التلبس بالمعصية والخطأ. وبعبارة أخرى علم مانع عن الضلال. كما أن سائر الأخلاق كالشجاعة والعفة والسخاء كل منها صورة علمية راسخة، موجبة لتحقيق آثارها، مانعة عن التلبس بأضدادها من آثار الجبن والتهور والخمود والشره والبخل والتبذير. ومن هنا يظهر أن هذه القوة المسماة بقوة العصمة سبب شعوري علمي غير مغلوب البتة، ولو كانت من قبيل ما تتعارفه من أقسام الشعور والإدراك لتسرب إليها التخلف، وخبطت في أثرها أحياناً. فهذا العلم من غير سنخ سائر العلوم، والإدراكات المتعارفة التي تقبل الاكتساب. ثم يقول عليه السلام: فقد بان من جميع ما قدمناه إن هذه الموهبة الإلهية التي نسميها قوة العصمة نوع من العلم والشعور يغاير سائر أنواع العلوم في أنه غير مغلوب لشيء من القوى الشعورية البتة، بل هي الغالبة القاهرة عليها المستخدمة إيّاها ولذلك كانت تصون صاحبها من الضلال والخطيئة مطلقاً (انظر الميزان في تفسير القرآن ج ٥: ص ٧٨-٨٠). فقله: إن الأمر الذي تتحقق به العصمة نوع من العلم يمنع صاحبه عن التلبس بالمعصية والخطأ... قول دقيق وصحيح، فالعلم أمر تتحقق به العصمة، أي: أن العصمة نوع من العلم اللدنية التي يمتنع معها صدور المعصية. فالمعصوم يحصل على علم يقيني تام يفاض عليه بالإلهام الإلهي الخفي والتعليم اللدني من خلال الإلقاء بالقلب. وتوضيح المقام أنه توجد في الإنسان ملكات نفسانية وقوى باطنية تحدّد الوجهة التي يتولّاها والهيئة التي تكون عليها أفعاله الصادرة منه. فالشجاع، أي الشخص الذي لديه ملكة الشجاعة، لا يهاب من عظام الأمور ولا ترتعد فرائصه عند مواجهة المخاطر، بل يقف أمامها ثابت الجنان مطمئن البال، بخلاف الرعيد الجبان، الفاقد لهذه الملكة الفاضلة. وهكذا سائر الملكات الفاضلة كالعفة والكرم والعدالة وغيرها التي يصدر عنها نوع من الأفعال مغاير تماماً لما يصدر عن مقابلاتها. والملكات النفسانية هذه نوع من العلم يحصل للإنسان بالمجاهدة العملية والمواظبة على الأعمال المناسبة لها تماماً كما تحصل العلوم والإدراكات النظرية





من خلال الدراسة والمذاكرة. فالإنسان الذي يخشى الوحدة والظلام يمكن له بالمجاهدة والتعود على العيش وحيداً في الأماكن المظلمة، ولو لفترات قليلة، أن يتخلص شيئاً فشيئاً من هذا الخوف. إلا أن ذلك يسهل عليه في نهاية المطاف وتصبح لديه ملكة. ومن معلوم أن قوة الملكة وشدتها تابعة لقوة العلم وشدته، ولما كان هذا العلم يقيني تام، فهو مانع من الضلال مطلقاً ويصون صاحبه عن الوقوع في الخطأ أو المعصية. وهكذا يمكن أن يقال حينئذ إن العلم بلا ريب له تأثيره الأكبر في العصمة، فيعرف العصمة بالعلم. وبعبارة أخرى: العصمة هي حالة نفسية، وأنوار باطنية التي تكون موهوبة من الله عز وجل، وليست صفة مكتسبة. وقد وردت أحاديث كثيرة في هذا المعنى عن أئمة أهل بيت عليهم السلام في العصمة والطهارة. فعن الإمام الرضا عليه السلام: «وإن العبد إذا اختاره الله عز وجل لأمر عبادته شرح صدره لذلك وأودع قلبه ينابيع الحكمة وألهمه العلم إلهاماً فلم يغير بعده بجواب ولا يحيد فيه عن الصواب، فهو معصوم مؤيد، موفّق مسدّد، قد أمن الخطايا والزلل والعتار يخصه الله بذلك ليكون حجته على عبادته، وشاهده على خلقه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم» (الكافي ج ١: ص ١٩٨). وإلى غير ذلك من الآيات والروايات الدالة على عصمة أئمة أهل البيت عليهم السلام. وعليه إذا كانت الطاعة المطلقة تقتضي العصمة، وأن لزوم عصمة الإمام من الأمور الثابتة في الشريعة المقدسة فما بال ابن تيمية ينسب الشر إلى الشيعة!!!

(١) لا شك في دلالة كثير من الآيات، والروايات المتواترة لدى الفريقين على وجوب طاعة أئمة أهل البيت عليهم السلام ولزوم متابعتهم، وأن طاعتهم المطلقة تستلزم وجوب عصمتهم. واليك بعض الآيات الدالة على وجوب طاعتهم عليهم السلام، منها: قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا الْأَمْرَ مِنْكُمْ﴾ (سورة النساء: ٥٩)، فإن الله سبحانه وتعالى أمر في الآية الكريمة بطاعة أولى الأمر على نحو الإطلاق كأمره سبحانه وتعالى فيها بطاعة النبي ﷺ، فتكون طاعة أولى الأمر واجبة مثل طاعة رسول الله ﷺ وذلك لعطف أولى





الأمر على الرسول ﷺ، ومعناه أن طاعة أولى الأمر لا بد أن تكون متصفاً بجميع شرائط الرسول ﷺ لظاهر العطف. ولا يخفى على الخبير أن وجوب الطاعة المطلقة تدلّ وجوب الإقتداء في جميع الشؤون، ووجوب الاقتداء في جميع الشؤون لا يصحّ إلا لمن كان معصوماً من الخطأ والنسيان والسهو والعصيان. وعليه فلا بد أن يكون أولى الأمر معصوماً كالرسول ﷺ، وإلا لما صحّ إطلاق عطف أولى الأمر على الرسول ﷺ. إذ لا يجوز الأمر بطاعة من لا يكون مصوناً من الخطأ والذنب على نحو الإطلاق، فالأمر من الله تعالى بطاعة أولي الأمر على نحو الإطلاق دليل على أنه لا بد أن يكون أولى الأمر بمنزلة رسول الله ﷺ في وجوب الطاعة. ثم أن أولى الأمر الذي تجب طاعته لا بد أن يكون الولاية الإلهية التي هي منحصرة في من تجب طاعتهم، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (سورة المائدة: ٥٥-٥٦). فقد بدأت الآية بكلمة إنما التي تفيد الحصر، وبذلك حصر ولاية أمر المسلمين في ثلاث وهم: الله ورسوله ﷺ والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راعون، والمقصود به هو من اجتمعت فيه هذه الصفات المذكورة في الآية: الإيمان وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة في حال الركوع، وقد أجمع المفسرون من الفريقين على أنها نزلت الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لأن الروايات المفسرة الآية المتفقة على ذلك. فالولاية والحاكمة أولاً وبالذات لله تعالى لأنه المبدأ للوجود، وكلّ الإنسان محتاج إليه في أصل وجوده وبقاؤه. فيجب على كلّ مؤمن يؤمن بالله وبكتابه المنزل أن يطيع الله، ثم يطيع من له الولاية. فبمقتضى الآية الكريمة يجب على جميع المسلمين الطاعة لمن له الولاية من قبل الله عز وجل، ومن له الولاية فهو أولى الأمر لقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (سورة النساء: ٥٩)، وقد أعطى سبحانه وتعالى هذا المقام إلى النبي ﷺ وإلى أولى الأمر المعصوم عليه السلام بعد رسول الله ﷺ. وإلى غير ذلك من الآيات الدالة على وجوب طاعة أئمة أهل البيت عليه السلام. كذلك النصوص والروايات المعتمدة لدى الفريقين تدلّ على وجوب طاعتهم عليه السلام، منها:





حديث الثقلين المتواتر لدى الفريقين وهو قول رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتُم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتّى يرثي عليّ الحوض» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ٣: ص ١٤). ورواه مسلم في صحيحه ج ٧: ص ١٢٢ كتاب الفضائل باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام، والترمذي في سننه ج ٢: ص ٢٢٠، والدارمي في سننه ج ٢: ص ٤٣١، والنسائي في سننه ج ٥: ص ٤٥، والحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين ج ٣: ص ١٠٩، وأبو يعلى الموصلي في مسنده ج ٢: ص ٣٠٣، والطبراني في معجمه الكبير ج ٣: ص ٦٥، وابن أبي شيبه في المصنف ج ٧: ص ١٧٦، وعمر بن أبي عاصم في كتاب السنّة: ص ٦٣٠، والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩: ص ١٦٢، وابن سعد في الطبقات ج ١: ص ١٩٤، وابن حجر في الصواعق المحرقة: ص ١٣٦، والمتقي الهندي في كنز العمال ج ١٥: ص ١٢٢ وغيرهم. وأنّ من له أدنى معرفة باللغة العربيّة يعرف أنّ اقتران العترة بالقرآن في حديث الثقلين يدلّ على وجوب اتّباع العترة الطاهرة عليه السلام كوجوب اتّباع القرآن الكريم؛ لأنّ النبي ﷺ بيّن في هذا الحديث بأفصح اللسان وأروع البيان عدم عدم الانفصال بين العترة الطاهرة عليه السلام والقرآن الكريم، ولو في مورد واحد. وهذا معناه مرجعية أئمة أهل البيت عليه السلام للأمة كمرجعية القرآن لهم، أي كما يجب على الأمة اتّباع القرآن ويحرم عليهم مخالفته كذلك يجب عليهم اتّباع أهل البيت عليه السلام وعدم مخالفتهم عليه السلام، وهو مدلول قوله ﷺ: «لن يفترقا» أي أنّ القرآن لن يفترق عن أهل البيت عليه السلام وأهل البيت عليه السلام لن يفترقوا عن القرآن، فهما في حيّز واحد من حيث الملاذ والمرجعية لهذه الأمة. ثمّ إنّ عدم افتراق القرآن عن أهل البيت عليه السلام يدلّ أيضاً على أن جميع أفراد الأمة بمختلف طبقاتهم وأصنافهم يحتاجون إلى العترة الطاهرة عليه السلام، كما أنّهم يحتاجون إلى القرآن الكريم في جميع المسائل الدينيّة والأحكام الشرعيّة، ووظائفهم الاجتماعيّة، وكيفيّة القضاء ورفع النزاع، وإصلاح الأمة ورفع الشبهات ومعرفة حقوق بعضهم على بعض، وإصلاح أمور المعاش والمعاد وطرق التقرب إلى الله عزّ وجلّ، وبشكل عامّ في كلّ أمور دينهم ودنياهم يحتاجون إلى القرآن وتعاليم أهل البيت عليه السلام. ولأنّ القرآن فيه جميع ما يحتاج



إليه الناس قال الله تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (سورة الأنعام: ٥٩) ويتبين من هذه العبارة القصيرة سعة علم الله اللامحدود وإحاطته بكل الكائنات بدون أي استثناء، إذ أنّ "الرطب" و"اليابس" كناية عن الشمول والعمومية، وهذا معناه أنّ الله تعالى جعل جميع العلوم في القرآن الكريم، والمستفاد من قوله بعد رسول الله ﷺ: «لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» أنّ العترة الطاهرة ﷺ عندهم جميع علوم القرآن. فالناس جميعاً يحتاجون إلى العترة الطاهرة ﷺ، كما يحتاجون إلى القرآن الكريم. ولا يستطيع الناس استنباط جميع ما يحتاجون إليه من محكماته بمفردها وليس لهم سبيل إلى تفسيره وتأويل متشابهاته واستخراج العلوم من بطونه إلا بالرجوع إلى أولئك الذين أختارهم الله ليكونوا عية لعلمه وأشار إليهم في موارد شتى حيث قال تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا...﴾، وقال أيضاً: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة النحل: ٤٣). وليس أهل الذكر إلا أهل البيت ﷺ، والمقصود بالذكر كلّ أنواع العلم والمعرفة والاطّلاع، وأهل الذكر من له الإحاطة بجميع المعارف والعلوم في المجالات المختلفة، فكما أنّ القرآن الكريم نموذج كامل وبارز للعلم والمعرفة أطلق عليه اسم الذكر، وكذلك شخص النبي ﷺ فهو مصداق واضح للذكر كذلك أئمة أهل البيت ﷺ باعتبار أنّهم أوارثوا علم النبي ﷺ، فإنّ جميع الناس يحتاجون إلى القرآن وأهل البيت ﷺ وهما لا يحتاجون إلى أحد من البشر. وبما أنّ النبي ﷺ أمر جميع أمته بالتمسك بالقرآن وأهل البيت ﷺ ولم يستثن في ذلك أحد، فلن تبقى شبهة لذوي الألباب في أنّ الجميع محتاجون إليهما وأنه ليس هنالك أحد من أفراد الأمة عالم بجميع علوم القرآن سواهم، فلاحظ. كما أنّ النصوص المتواترة لدى الفريقين تدلّ على وجوب طاعة أئمة أهل البيت ﷺ كحديث الثقلين وحديث الغدير والحديث السفينة وإلى غير ذلك من الآيات والروايات الدالة على وجوب طاعة أهل البيت ﷺ ومتابعتهم، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى أنّ المرجعية العلمية بعد وفاة رسول الله ﷺ لأئمة أهل





البيت عليه السلام، لأنهم ورثة علوم النبي صلى الله عليه وآله، فقد روى الحاكم النيسابوري في المستدرک بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب» (انظر المستدرک على الصحيحين ج ٣: ص ١٢٦)، ورواه الطبراني في المعجم الكبير ج ١١: ص ٥٥، وابن عبد البر في الاستيعاب ج ٣: ص ١١٠٢، والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩: ص ١١٤ وغيرهم. ولقد بلغت دلالة حديث مدينة العلم على أعلمية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حداً من الظهور والوضوح حتى صرح بذلك جماعة من علماء أهل السنة. قال ابن حجر في الدفاع عن معاوية: السادس: خروجه على علي عليه السلام ومحاربه له، مع أنه الإمام الحق بإجماع أهل الحل والعقد، والأفضل الأعدل أعلم بنص الحديث الحسن - لكثرة طرقه - خلافاً لمن زعم وضعه ولمن زعم صحته ولمن اطلق حسنه: «أنا مدينة العلم وعلي بابها...» (الصواعق المحرقة: ص ٧٤). وأخرج السيوطي: وقال ابن مسعود: أعلم هذه الأمة بعد نبينا صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب (انظر جامع الأحاديث للسيوطي ج ١: ص ٤٩١، والمناقب للخوارزمي: ص ٨٢). وأخرج القندوزي الحنفي في الينابيع بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «علي ابن أبي طالب أعلم أمتي وأقضاهم فيما اختلفوا فيه من بعدي» (ينابيع المودة ج ١: ص ٢٧١). وأخرج المغربي في كتابه فتح ملك العلي عن ابن المسيب قال: ما كان أحد بعد الرسول أعلم من علي عليه السلام (فتح ملك العلي: ص ٧٨). وذكر ابن الأثير وابن عبد البر وغيرهما بالفاظ متقاربة أنه قال عبد الملك بن أبي سلمان: قلت لعطاء: أكان في أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أعلم من علي عليه السلام؟ قال: لا والله (انظر أسد الغابة ج ٤: ص ٢٢، والاستيعاب لابن عبد البر ج ٣: ص ١١٠٤). وأخرج المحب الطبري بسنده عن أبي الحمراء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى يحيى بن زكريا في زهده، وإلى موسى بن عمران في بطشه فليتنظر إلى علي بن أبي طالب» (انظر الرياض النضرة ج ٣: ص ٩). وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس قال: قال عمر: وأقضانا علي... (صحيح البخاري ج ٥: ص ١٤٩ كتاب التفسير، باب باب قوله ما ننسخ من آية أو ننسها). وروى ابن عبد البر بسنده عن





إسماعيل بن أبي خالد، قال: قلت للشعبي: إن المغيرة حلف بالله ما أخطأ عليّ في قضاء قضى به قطّ (الاستيعاب لابن عبد البر ج ٣: ص ١١٠٤). وأخرج السيّد الرضيّ رحمته الله في خصائصه بسنده عن عمر قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «أعلمكم علي بن أبي طالب» (خصائص الرضي: ص ٥٩). وأخرج الحاكم الحسكاني بسنده عن ابن عمر أنّه قال: علي أعلم الناس بما أنزل على محمّد ﷺ (شواهد التنزيل ج ١: ص ٢٩). وأخرج بسنده عن عائشة أنّها قالت: علي أعلم أصحاب محمّد بما أنزل على محمّد (شواهد التنزيل ج ١: ص ٤٧). وأخرج المتقي الهندي بسنده عن إبراهيم بن سعيد الجوهري: حدّثني المأمون، حدّثني الرشيد، حدّثني المهدي، حدّثني المنصور، حدّثني أبي، حدّثني عبد الله ابن عباس قال: سمعت عمر بن الخطّاب يقول: كفّوا عن ذكر علي ابن أبي طالب عليه السلام، فقد رأيت من رسول الله ﷺ فيه خصالاً لأن تكون لي واحدة منهم في آل الخطّاب أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس، كنت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ، فانتهيت إلى باب أمّ سلمة وعلي عليه السلام قائم على الباب فقلنا: أردنا رسول الله ﷺ، فقال: يخرج إليكم، فخرج رسول الله ﷺ فسرنا إليه، فاتّكأ على علي بن أبي طالب عليه السلام ثمّ ضرب بيده منكبه ثمّ قال: «إنك مخاصم تخاصم، أنت أوّل المؤمنين إيماناً، وأعلمهم بأيّام الله، وأوفاهم بعهده، وأقسمهم بالسوية، وأرأفهم بالرعيّة وأعظمهم رزية، وأنت عاضدي، وغاسلي، ودافني، والمتقدّم إلى كلّ شديدة وكريهة، ولن ترجع بعدي كافراً، وأنت تتقدّمني بلواء الحمد وتذود عن حوضي»، ثمّ قال ابن عباس من نفسه: ولقد فاز علي بصهر رسول الله ﷺ وبسطة في العشيرة، وبذلاً للماعون، وعلماً بالتنزيل، وفقهاً للتأويل، ونيلاً للأقران (كنز العمال ج ١٣: ص ١١٧). وروى الراغب الأصفهاني بسنده عن ابن عباس قال: كنت أسير مع عمر بن الخطّاب في ليلة وعمر على بغلة وأنا على فرس، فقرأ آية فيها ذكر علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: أما والله يا بني عبد المطلب لقد كان علي فيكم أوّل بهذا الأمر منّي ومن أبي بكر، فقلت في نفسي: لا أقالني الله إن أقتله، فقلت: أنت تقول ذلك وأنت وصاحبك وثبتما وانتزعتما الأمر منّا دون الناس؟ فقال: إليكم يا بني عبد المطلب - أي هون عليك - أما إنكم أصحاب عمر بن الخطّاب؟ فتأخّرت وتقدّم





هنيهة فقال: سر لا سرت! وقال: أعد عليّ كلامك، فقلت: إنّما ذكرت شيئاً فرددت عليك جوابه، ولو سكت أنت يا عمر سكتنا، فقال: إنّنا والله ما فعلنا الذي فعلنا عن عداوة!! ولكن استصغرناه!! وخشينا أن لا يجتمع عليه العرب وقريش لما قد وترها، قال ابن عباس: فأردت أن أقول: كان رسول الله ﷺ يبعثه فينطح كبشها فلم يستصغره، أفتستصغره أنت وصاحبك؟ فقال: لا جرم، فكيف ترى والله ما نقطع أمراً دونه ولا نعمل شيئاً حتى نستأذنه (محاضرات الأدباء ج ٢: ص ٤٧٨). وأخرج ابن دريد البصري في كتابه المجتنى بسنده عن أنس بن مالك قال: أقبل يهودي بعد وفاة النبي ﷺ حتى دخل المسجد فقال: أين وصي رسول الله ﷺ؟ فأشار القوم إلى أبي بكر فوقف عليه فقال: أريد أن أسالك عن أشياء لا يعلمها إلا نبيّ أو وصي نبيّ، قال أبو بكر: سل عما بدا لك، قال اليهودي: أخبرني عما ليس لله وعما ليس عند الله وعما لا يعلمه الله؟ فقال أبو بكر: هذه مسائل الزنادقة يا يهودي، وهم أبو بكر والمسلمون باليهودي، فقال ابن عباس: ما أنصفتكم الرجل، فقال أبو بكر: أما سمعت ما تكلم به؟ فقال ابن عباس: إن كان عندكم جوابه وإلا فاذهبوا به إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «اللهم اهد قلبه، وثبت لسانه»، قال أنس: فقام أبو بكر ومن حضره حتى أتوا علي بن أبي طالب عليه السلام فاستأذنوا عليه، فقال أبو بكر: يا أبا الحسن، إنّ هذا اليهودي سألني مسائل للزنادقة، فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: «ما تقول يا يهودي؟» قال: أسالك عن أشياء لا يعلمها إلا نبيّ أو وصي نبيّ، فقال علي بن أبي طالب عليه السلام له: «قل»، فردّ اليهودي المسائل، فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: «أما ما لا يعلمه الله فذلك قولكم يا معشر اليهود: إنّ عزيراً ابن الله، والله لا يعلم أنّ له ولداً، وأما قولك: أخبرني بما ليس عند الله، فليس عنده ظلم للعباد، وأما قولك: أخبرني بما ليس لله، فليس لله شريك»، فقال اليهودي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله، وأنّك وصي رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر والمسلمون لعلي بن أبي طالب عليه السلام: يا مفرّج الكرب (انظر الغدير ج ٧: ص ١٧٨)، نقلاً عن كتاب المجتنى: ص ٣٥. وهناك روايات كثيرة رواه علماء أهل السنة في كتبهم وجوامعهم الحديثية وهي تدلّ على أنّ الخلفاء الثلاثة كانوا يراجعون الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ليحلّ لهم المعضلات والشدائد التي كانوا يواجهونها في أبواب





الفقه والقضاء والتفسير والأمور السياسيّة وغيرها من المسائل التي ترتبط بالدين ارتباطاً وثيقاً، وكان أكثرهم رجوعاً عمر بن الخطّاب، وكان يتعوّذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن (انظر الاستيعاب لابن عبد البر ج ٣: ص ١١٠٤). فكان الخلفاء يأتون إلى الإمام عليه السلام بأنفسهم ويسألونه عمّا لا يمكنهم الجواب عنه، ويأخذون منه الجواب، ويبعثونها إلى من سألها منهم وهم تورطوا في المشكلة لعدم قدرتهم على الجواب؛ فكان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يجيب على مسائلهم من دون مقدّمة، وكانت أجوبته في غاية الدقّة بحيث كانوا يتعجّبون منها، ويحسّون بعدها بالطمأنينة والارتياح، بل كانوا يدركون خطأ أنفسهم وأجوبتهم التي كانت مخالفة للواقع، ويقرّون بعدها بأنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو الحلالّ للمعضلات والكاشف للكرّيات، وما عساهم أن يكتّموا الحقائق إلّا أن يعترفوا بالحقّ فيقولون: لولا عليّ لهلك أبو بكر (انظر فيض القدير ج ٤: ص ٣٥٧)، ولولا عليّ لهلك عمر (انظر فيض القدير ج ٤: ص ٣٥٧)، ولولا عليّ لهلك عثمان (انظر زين الفتى في سورة هل أتى ج ١: ص ٣١٧)، أو عبارات وجملات أخرى يبدونها ممّا تدلّ على إقرارهم وإذعانهم بسموِّ رتبة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام العلميّة وكونه عليه السلام سنداً وملجأً لحلّ المعضلات. وليس بخفي على القارئ اللبيب أنّ قول عمر بن الخطّاب: "لولا عليّ لهلك عمر" لم يرد مرّة واحدة فحسب، بل كرّره عشرات المرّات، وذلك لما كان يواجه الشدائد على مختلف الأصعدة، ولم يكن هذا الاعتراف العمري في الخفاء، بل كان يقرّ ويعترف على رؤوس الأشهاد علانية وصراحة وبحضور الناس. ونحن رعايةً للإيجاز والاقتصار نكتفي بذكر بعض ما ورد فيه هذا التعبير، ويمكن للقارئ المراجعة إلى المصادر والتحقيق في هذا المجال ليطلع على الحقائق؛ فقد أخرج ابن عبد البر في الاستيعاب بسنده عن سعيد بن المسيّب قال: كان عمر يتعوّذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن. وقال في المجنونة التي أمر برجمها وفي التي وضعت لستّة أشهر، فأراد عمر رجمها، فقال له عليّ: «إنّ الله تعالى يقول: ﴿وَحَمْلُهُ وَفَصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا...﴾» الحديث. وقال له: «إنّ الله رفع القلم عن المجنون...» الحديث، فكان عمر يقول: لولا عليّ لهلك عمر (الاستيعاب لابن عبد البر





ج ٣: ص ١١٠٤). فقد أخرج الكنجي الشافعي بسنده عن حذيفة بن اليمان أنه لقي عمر بن الخطاب فقال له عمر: كيف أصبحت يا ابن اليمان؟ فقال: كيف تريدني أصبح؟ أصبحت والله أكره الحق وأحب الفتن وأشهد بما لم أره وأحفظ غير المخلوق وأصلي على غير وضوء ولي في الأرض ما ليس لله في السماء! فغضب عمر لقوله وانصرف من فوره، وقد أعجله أمر وعزم على أذى حذيفة لقوله ذلك، فبينا هو في الطريق إذ مرّ علي بن أبي طالب عليه السلام فرأى الغضب في وجهه، فقال: «ما أغضبك يا عمر؟» فقال: لقيت حذيفة بن اليمان فسألته، كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت أكره الحق، فقال علي عليه السلام: «صدق، يكره الموت وهو حق»، فقال عمر: يقول: وأحب الفتن، قال علي: «صدق، يحب المال والولد، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾»، فقال عمر: يا علي، يقول: وأشهد بما لم أره، فقال عليه السلام: «صدق، يشهد بالوحدانية والموت والبعث والقيامة والجنة والنار والصراط ولم ير ذلك كله»، فقال عمر: يا علي، وقد قال: إنني أحفظ غير المخلوق، قال عليه السلام: «صدق، يحفظ كتاب الله تعالى القرآن، وهو غير مخلوق»، قال عمر: ويقول: أصلي على غير وضوء، فقال عليه السلام: «صدق، يصلي على ابن عمي رسول الله ﷺ على غير وضوء، والصلاة عليه جائزة»، فقال: يا أبا الحسن، قد قال أكبر من ذلك، فقال عليه السلام: «وما هو؟» قال عمر: إن لي في الأرض ما ليس لله في السماء، قال عليه السلام: «صدق، له زوجة، وتعالى الله عن الزوجة والولد»، فقال عمر: كاد يهلك ابن الخطاب لولا علي بن أبي طالب. ثم قال الكنجي: هذا ثابت عند أهل النقل، ذكره غير واحد من أهل السير (انظر كفاية الطالب: ص ٢١٨). ورواه الحموي الجويني في فرائد السمطين فرائد ج ١: ص ٣٣٧، وفيه: «لولا علي لهلك عمر». وأخرج الخوارزمي في المناقب بسنده عن الحارث الأعور صاحب راية علي عليه السلام قال: بلغنا أن النبي ﷺ كان في جمع من أصحابه فقال: «أريكم آدم في علمه ونوحاً في فهمه وإبراهيم في حكمته»، فلم يكن بأسرع من أن طلع علي، فقال أبو بكر: يا رسول الله أقست رجلاً بثلاثة من الرسل؟ يخ لهذا الرجل، من هو يا رسول الله؟ قال النبي ﷺ: ألا تعرفه يا أبا بكر؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: «أبو الحسن علي بن أبي طالب»، فقال أبو بكر: يخ لك يا أبا الحسن وأين مثلك يا أبا





الحسن (المناقب للخوارزمي: ص ٨٩)، وإلى غير ذلك من الروايات، ولو أردنا استقصائها لطلال بنا المقام. فمرجعية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله مما لا يمكن إنكاره على أحد، لأن الآيات والروايات المتفقة بين الفريقين تدل على ذلك. في الحديث عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال: «أوليس الله تعالى يقول: ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهَرُ عَلَيْهِ أَحَدًا﴾ * إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ»، فرسول الله عند الله مرتضى، ونحن ورثة ذلك الرسول الذي أطلعه الله على ما شاء من غيبه، فعلمنا ما كان وما يكون إلى يوم القيامة» (انظر الخرائج والجرائح لقطب الدين الراوندي ج ١: ص ٣٤٣)، أي أن النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله أخذ العلم من الله وأهل البيت بدورهم أخذوه منه بالورثة. وعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: «والله لقد أعطينا علم الأولين والآخرين» (انظر مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٣: ص ٣٧٤). وإن هذا الحد من العلوم لا يمكن الوصول إليه ولا بلوغه لأي كان إلا لهم. وفي رواية عنه عليه السلام أيضاً قال: «والله إنني لأعلم ما في السموات وأعلم ما في الأرض وأعلم ما في الدنيا وأعلم ما في الآخرة...، إنني لأعلم ذلك من كتاب الله تعالى إذ يقول: ﴿يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَتَزَكَّى عَنْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾»، يشير الإمام عليه السلام إلى أن علمهم هذا مستقى من القرآن الكريم، فكل ما في السماوات وما على الأرض وما في الدنيا والآخرة من حساب وعقاب موجود في هذا الكتاب العظيم، ولكن لا يصل إليه أي كان، إذن فإن هذه الروايات تدل على أن علم أهل البيت عليهم السلام نابع من مصدرين رئيسيين وهما النبي الأكرم محمد الرسول بالورثة، والقرآن الكريم باعتبارهم الثقل الملازم له (انظر مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٣: ص ٣٧٤)، ورواه الصفار في بصائر الدرجات: ص ١٤٨. ليس ذلك فحسب بل تدل الروايات الشريفة على أكثر من ذلك، ففي رواية عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول فيها: «لو ثبت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الزبور بزورهم وبين أهل القرآن بقرآنهم»، فمن فضل الله عليهم أن وهب لهم علم





الكتب السماوية الأخرى زيادة على القرآن الكريم فهم، بهذا العلم لهم أن يثبتوا الحق من الباطل على أهل الديانات الأخرى بالحجة والدليل من كتبهم نفسها (انظر تفسير العياشي ج ١: ص ١٥)، ورواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ١٢: ص ١٩٧. وهم يتوارثون هذا العلم بعضهم من بعض، وروى الحاكم الحسكاني بإسناده عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (سورة فاطر: ٢٨) قال يعني به علياً كان عالماً بالله ويخشى الله ويراقبه ويعمل بفرائضه ويجاهد في سبيله ويتبع في جميع أمره مرضاته ومرضات رسول الله " (انظر تفسير البرهان ج ٣: ص ٤١٦، نقلاً عن الحاكم الحسكاني). وعن محمد بن مسلم قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «إن العلم يتوارث، ولا يموت عالم إلا وترك من يعلم مثل علمه، أو ما شاء الله». (انظر الكافي ج ١: ص ٢٢٢)، ونفهم من الرواية أن الله تعالى لا يتوفى عالم حتى يورث علمه إلى من يخلفه ممن يكون أهلاً لذلك العلم لكي لا يموت هذا العلم بموته، بإشارة إلى وراثتهم هذه العلوم أباً عن جد وهو منتقل فيما بينهم إلى القائم المهدي عليه السلام. كما دلت النصوص الروائية الشريفة على أنه لا يكون العلم صحيحاً إلا إذا خرج من عندهم عليه السلام، قال أبو جعفر عليه السلام لسلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة: «شرقاً وغرباً فلا تجدان عالماً صحيحاً إلا شيئاً خرج من عندنا أهل البيت»، فلو ذهب من طلب عالماً صحيحاً إلى شرق الأرض وغربها فإنه لن يناله أبداً، إلا إذا ورد بابهم وطلبه منهم، فهو يشير بذلك إلى أن أي علم كانت نتائجه صحيحة وتم الوصول إليه والإفادة منه نابع منهم عليه السلام وليس لغيرهم فضل فيه، فهم مفاتيح الحكمة، ومعدن العلم، فكما أن الجواهر المخزونة لا يمكن إخراجها من دون المفتاح، كذلك الحكمة المخزنة لا تظهر ولا تخرج من دون بيانهم (انظر بصائر الدرجات للصفار: ص ١٣٨). وهذا ما أكدّه الإمام أبي عبد الله عليه السلام في مقولته: «أبى الله أن يجري الأشياء إلا بالأسباب فجعل لكل شيء سبباً، وجعل لكل سبب شرحاً، وجعل لكل شرح مفتاحاً، وجعل لكل مفتاح عالماً، وجعل لكل علم باباً ناطقاً من عرفه عرف الله، ومن أنكره أنكر الله، ذلك رسول الله ونحن» (انظر الكافي ج ١: ص ٣٩٩)، ورواه الصفار في بصائر الدرجات: ص ٣٠. إن جري الأشياء بالأسباب مسألة مهمة في جميع ما خلق الله تعالى،





فلكل شيء سبب إلى أن ينتهي لمن لا سبب له - أي الله تعالى - وجعل لهذا السبب شرحاً وهي حدوده وكيفياته وشروطه، ولهذا الشرح علماً يختص به، وجعل لهذا العلم من ينطق به وباباً يلج منه من أراد هذا العلم إليه (انظر بصائر الدرجات: ص ٢٦). فما قصده بـ"الباب" هو الذي به يتوصل إلى هذا العلم وهو رسول الله ﷺ والأئمة عليهم السلام. وفي رواية عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يبين فيها علمه إذ يقول: «بل اندمجت على مكنون علم لو بحث به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة»، فلو كشف هذا العلم لسامعيه لاهتزوا واضطربوا لعدم تحملهم عجائب ما فيه، وهو محفوظ عند أهل البيت لا يوحون به إلا لخواصهم الموثوقين ممن امتحن الله قلبه للأيمان (انظر شرح أصول الكافي للمازندراني ج ٥: ص ١٣٩ - ١٤٠). وقد شهد لهم الأصحاب والعلماء وكل من عرف فضلهم، فعن ابن عباس: "علي علم علماً علمه رسول الله، ورسول الله علمه الله، فعلم النبي الأكرم ﷺ، من علم الله، وعلم علي عليه السلام من علم النبي وعلمي من علم علي، وما علمي وعلم أصحاب محمد في علم علي، إلا كقطرة في سبعة أبحر" (انظر الكافي ج ٧: ص ٤٢٤). ونجد الخليل بن أحمد الفراهيدي يقول عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب حين سئل ما تقول في علي بن أبي طالب؟ فقال: ما أقول في حق امرئ كتم مناقبه أولياؤه خوفاً، واعدائه حسداً، ثم ظهر من بين الكتمان ما ملأ الخافقين، وقيل له أيضاً: ما الدليل على أن علياً إمام الكل في الكل؟ قال: احتياج الكل إليه، واستغناؤه عن الكل (انظر سفينة البحار للشيخ عباس القمي ج ٢: ص ٧٢١، مادة خل). ومن ذلك يتبين إن حقيقة علم أهل البيت عليهم السلام، إذ إنه علم حضوري شهودي، وليس من سنخ العلوم الحسولية التي تحصل من خلال الألفاظ والمفاهيم، ومما يؤكد ذلك وصفهم بأنهم خزنة علم الله، وإنهم يعلمون بما في الأرض والسماء باذن الله، وإنهم ورثة علم النبي الأكرم ﷺ، وإنهم يعلمون كل شيء باذن الله. وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في كتب الخاصة والعامة الدالة على سعة علمهم عليهم السلام. فإذا وجب عقلاً وشرعاً أخذ العلم والمعارف الدينية منهم عليهم السلام كيف جاز لابن تيمية أن يدعي بأن أتباع أهل البيت عليهم السلام شر من المارقة؟! وهل يمكن لابن تيمية الجمع بين المتناقضين!!

وقد عرفت كذبه على الشيعة، بل حتى على رجل منهم في تقديم شخص بالفضل عليهم^(١)،

(١) لا يخفى على الباحث أن الشيعة معروفين منذ عهد النبي الأكرم ﷺ بولائهم وحبهم لمن قدمه الله ورسوله وفضله الله ورسوله على العالمين، فهم معروفين بولائهم للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وبغضهم أهل لأعداء الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأهل البيت عليه السلام، لأن الله ورسوله أمروا بذلك، كما ورد في الأحاديث المتواترة لدى الفريقين فقد أخرج الترمذي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: إن كنا لنعرف المنافقين ببغضهم علي بن أبي طالب عليه السلام (سنن الترمذي ج ٥: ص ٢٩٨). وأخرج الهيثمي في مجمع الزوائد بسنده عن جابر بن عبد الله قال: والله ما كنا نعرف منافقينا على عهد رسول الله ﷺ إلا ببغضهم علياً عليه السلام (مجمع الزوائد ج ٩: ص ١٣٢). وقال المباركفوري في التحفة الأحوزي: قوله "إن كنا" إن مخففة من المثقلة "معشر الأنصار" بالنصب على الاختصاص "ببغضهم علي بن أبي طالب" لأنه لا يبغض علياً إلا منافق كما في الحديث (التحفة الأحوزي ج ١٠: ص ١٥٠). ولذلك سأل بريدة بن الحصيب النبي ﷺ عن هذه الحقيقة، كما جاء في الحديث الذي رواه أحمد بن حنبل بسنده عن أبي بريدة قال ابن بريدة: حدثني أبي بريدة قال: أبغضت علياً بغضاً لم يبغضه أحد قط، قال: وأحببت رجلاً من قريش لم أحبه إلا علي بغضه علياً، قال: فبعث ذلك الرجل علي خيل فصحبته ما أصحابه إلا علي بغضه علياً، قال: فأصبنا سبياً، قال: فكتب إلى رسول الله ﷺ: ابعث إلينا من يخمس، قال: فبعث إلينا علياً وفي السبي وصيفة هي أفضل من السبي، فخمس وقسم، فخرج رأسه مغطى، فقلنا: يا أبا الحسن، ما هذا؟ قال: «ألم تروا إلى الوصيفة التي كانت في السبي، فإني قسمت وخمست فصارت في الخمس ثم صارت في أهل بيت النبي ﷺ، ثم صارت في آل علي ووقعت بها»، قال: فكتب الرجل إلى نبي الله ﷺ فقلت: ابعثني، فبعثني مصداقاً، قال: فجعلت أقرأ الكتاب وأقول: صدق، قال: فأمسك يدي والكتاب، وقال: «أتبغض علياً؟» قال: قلت: نعم، قال: «فلا تبغضه وإن كنت تحبه فازدد له حباً، فوالذي نفس محمد بيده لنصيب آل علي في الخمس أفضل من



وصيفة»، قال: فما كان من الناس أحد بعد قول رسول الله ﷺ أحب إلي من علي (مسند أحمد بن حنبل ج ٥: ص ٣٥٠). ويبدو أن خالد بن الوليد كان على رأي بريدة بدليل قول بريدة "صحت رجلاً من قريش لم أصحبه إلا على بغض علي" يقصد عندما بعثهم ﷺ إلى اليمن وقد جاء التصريح بخالد في أحاديث أخرى، حيث أثر ذلك جرت خصومة بين خالد وعمار فنهى النبي ﷺ خالداً فأنتهى. فلعل الخصومة كانت بسبب حب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وبغضه، وكان عمار من موالي بني مخزوم قوم خالد إلا أنه كان ممن يحب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، بل وحتى النصب - كأفراد أيضاً - فقد كان موجوداً في زمن النبي ﷺ والظاهر أن هذه المجموعة من الصحابة لم يظهروا نصبهم وعداوتهم حتى بعد وفاة النبي ﷺ واجتماعهم في سقيفة بني ساعدة ولذلك سمّوهم المنافقين كما تقدّم في الحديث، ثم اتّسع في عصر حكومة معاوية بن أبي سفيان الذي بدأ بسب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على المنابر. وقد ذكر الذهبي في ترجمة معاوية في النبلاء: أن أهل الشام نشأوا مع معاوية على النصب (انظر سير أعلام النبلاء ج ٣: ص ١٢٨). وقد اتّفق كلمات المسلمين على أن معاوية كان رأس النصب، لكنّ الذهبي خشي التصريح بهذا الأمر وإلاّ فعبارات المؤرّخين والمحدثين صريحة وواضحة في هذا المجال لمن تأملها بلا تعصّب. وما قيمة هذه العبارة وأمثالها من الذهبي غيره إلا أن الخير يعلم بأنّ الذهبي وأضرابه من علماء الشام قد لحقهم النصب والعداوة من حكام بني أمية وأسلافهم في الشام. والمهمّ أن من درس الروايات والنصوص الإسلامية بلا تعصّب يجد الحقيقة بأوضح صوره أن الإمامة بعد رسول الله ﷺ منحصرة في الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهذه القضية كانت واضحة منذ عهد الصحابة والتابعين وجميع علماء أهل السنة غير أن التعصّب والبغض لأهل بيت النبي ﷺ منعهم عن الاعتراف بذلك، وحيث أن هذه القضية تكون من القضايا الإيجابية للشيعه فلم يجد ابن تيمية وأتباعه خياراً في قبال الحقيقة إلا أن يفتروا على الشيعة، سواء كان على نحو العام أو على نحو الخاص كالمختار بن أبي عبيدة الثقفي الذي قتل أتباع بني أمية وغيرهم من أعداء أهل البيت، أو



٧٢٦..... منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨

وكذبه في نسبة القول، ولو إلى رجل منهم بوجود شيء من الفضل في
الثلاثة وفيمن تابعهم^(١)



يجعلون شخصاً ساقطاً من جميع الجهات الإنسانية كالحجاج في قبال المختار ليقّلوا عن منزلة وعظمة المختار، ولكن أتبعوا أنفسهم بلا فائدة، لأن الحقيقة لا تتغير عما هو عليها في الواقع ولا تقع تحت الستر، فإن الشيعة الإمامية معروفين برفضهم خلافة خلفاء الجور وبتمسكهم بأهل البيت عليهم السلام استناداً بالنصوص المعتبرة لدى جميع أهل السنة والجماعة، فلاحظ.

(١) لا يخفى على المتتبع في الآثار والأخبار غلو الفاحش من أتباع السقيفة في نقل الروايات المكذوبة والفضائل المزعومة للخلفاء الثلاثة، ولو تأمل باحث فيها يجد بوضوح أنها موضوعة من قبل حكام بني أمية وأيدي الخيانة التي وضعت تلك الأساطير والأوهام المسطرة بلا أي تعقل وتدبر، إذ هناك في مقابلها روايات رواها كبار علماء أهل السنة في مطاعنهم مما فيها من الطامات والجنايات والفظائع التي ارتكبتها الخلفاء الثلاثة، وإنما كانت وصمات سودت صحيفة التاريخ وأبقت على الأمة عارها إلى منصرم الدنيا، لا تنسى قط بمر الأعصار والدهور. فإذا تأمل الباحث في هذه الأخبار والروايات المزعومة يجد حقيقة واضحة وهي أن كل فضيلة ورد في حق مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام المروية عن لسان النبي الصادق عليه السلام افتعلوا مثلها في الخلفاء الثلاثة كذباً وزوراً وبهتاناً على رسول الله صلى الله عليه وآله، ليلبسوا الأمر على العوام وما بحكم العوام. حيث يندesh القارئ من التناقضات الموجودة في تلك أحاديث الموضوعية والمكذوبة التي وضعتها الأيدي المرتقة أيام بني أمية وبني العباس. وعلى سبيل المثال أنه روى الترمذي في سننه بسنده عن حذيفة أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر (سنن الترمذي ج ٥: ص ٢٧١). ورواه الالباني في كتابه صحيح سنن الترمذي ج ٣: ص ٥٥٠، وذكر في ذيل الحديث: وهدوا بهدي عمار. ولكن أصل هذه الرواية مردودة عند كبار علماء أهل السنة أولاً: لضعف سندها وثانياً: للتناقضات الموجودة فيها. فقد رد





عليها ابن حزم في كتابه الأحكام في أصول الأحكام ما هذا نصّ عبارته: وأما الرواية اقتدوا باللذين من بعدي فحديث لا يصح، لأنه مروى عن مولى لربيعي مجهول وعن المفضل الضبي وليس بحجة... (الإحكام لابن حزم ج ٦: ص ٨٠٩). فأولاً: أنّ سند الحديث ضعيف كما صرح به. ثم قال: ولو صح لكان عليهم لا لهم، لأنهم - نعني أصحاب مالك وأبي حنيفة والشافعي - أترك الناس لأبي بكر وعمر، وقد بينا أن أصحاب مالك خالفوا أبا بكر مما رووا في الموطأ خاصة في خمسة مواضع، وخالفوا عمر في نحو ثلاثين قضية مما رووا في الموطأ خاصة، وقد ذكرنا أيضاً أن عمر وأبا بكر اختلفا، وأن اتباعهما فيما اختلفا فيه متعذر ممتنع لا يقدر عليه أحد. (الإحكام في أصول الأحكام ج ٦: ص ٨٠٩). وإذا كان رسول الله ﷺ قال: اقتدوا باللذين ... كيف يمكن مخالفة المالكية والشافعية والحنفية مع أبي بكر وعمر؟! بل أنّ هؤلاء كانوا أترك الناس لأبي بكر وعمر. ثم يقول: أنّ المالكية قد خالفوا أبا بكر في خمسة مواقف، في ثلاثين قضية خالفوا عمر كما في الموطأ. ثم أنّ أبا بكر وعمر كانا يختلفان في بعض المسائل فإذا أخذ أهل التسنن بقول أحدهما يكون مخالفاً للقول الثاني فكيف يمكنهم حلّ هذا التناقض. وقال في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل: ولو أننا نستجيز التدليس والأمر الذي لو ظفر به خصومنا طاروا به فرحاً أو أبلسوا أسفاً لاحتججنا بما روي اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر، ولكنه لم يصحّ ويعيذنا الله من الاحتجاج بما لا يصحّ (الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٤: ص ١٠٨). وكذلك ابن قيم الجوزية فإنه أيضاً ردّ على هذا الحديث في كتابه أعلام الموقعين عن رب العالمين، فإنه بعد ذكر الحديث قال: أنّ مخالفة عمر لأبي بكر أشهر من أن يُذكر كما خالفه في سببي أهل الردة فسباهم أبو بكر وخالفه عمر وبلغ خلافه إلى ردّه حرائر إلى أهلهن إلا من ولدت لسيدها منهن، ونقض حكمه، ومن جملتهن خولة الحنفية، أم محمد بن علي، فأين هذا من فعل المقلدين بمتبوعهم؟ وخالفه في أرض العنوة فقسمها أبو بكر ووقفها عمر، وخالفه في المفاضلة في العطاء فرأى أبو بكر التسوية ورأى عمر المفاضلة، ومن ذلك مخالفته له في الاستخلاف وصرّح بذلك، فقال: إن استخلف فقد استخلف أبو بكر، وإن لم استخلف فإن رسول الله ﷺ لم





يستخلف، قال ابن عمر: فوالله ما هو إلا أن ذكر رسول الله ﷺ فعلمت أنه لا يعدل برسول الله ﷺ أحداً، وأنه غير مستخلف؛ فهكذا يفعل أهل العلم حين تتعارض عندهم سنة رسول الله ﷺ وقول غيره، لا يعدلون بالسنة شيئاً سواها، لا كما يصرح به المقلدون صراحاً، وخلافه له في الجد والإخوة معلوم أيضاً (انظر أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية ج ٣: ص ٥٣٠). وخلاصة ما ذكره هو أنه إذا قال النبي ﷺ: اقتدوا باللذين من بعدي.. هل أن قوله هذا يشمل أبو بكر وعمر أم لا؟ إذا كان يشملهم فكيف يمكن تحقق ذلك مع أنهما اختلافاً في مواطن عديدة. وبعبارة أخرى هل أن عمر اقتدى بأبي بكر أم لا؟ فإنه قد ذكر بعض موارد مخالفة عمر لأبي بكر من باب المثال، حيث يقول في أول كلامه: أن مخالفة عمر لأبي بكر أشهر من أن يذكر... فلا مفر من التناقض. ثم إن للحديث ذيل وهو: هدوا بهدي عمار... فإذا أراد الناس أن يهتدوا بهدي عمار فيستلزم مخالفة عثمان، لأن عمار خالف عثمان في مواقف عديدة بحيث أمر عثمان بنفي عمار إلى الشام... ثم أن عمار قتله الفئة الباغية معاوية وأصحابه، فيستلزم منه القول بكفر معاوية وأصحابه... وإلى غير ذلك مما يستفاد من هذا الحديث المجعول الذي دسّه المرتزقة من أتباع خلافة السقيفة. وهنا كلام لطيف لابن أبي الحديد، قال: قد روي أن أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال لبعض أصحابه: «يا فلان، ما لقينا من ظلم قريش إيانا وتظاهروا علينا وما لقى شيعتنا ومحبونا من الناس، إن رسول الله ﷺ قبض وقد أخبر إنا أولى الناس بالناس، فتمالأت علينا قريش حتى أخرجت الأمر عن معدنه، واحتجّت على الأنصار بحقنا وحجّتنا، ثم تداولتها قريش واحد بعد واحد حتى رجعت إلينا، فنكثت بيعتنا ونصبت الحرب لنا ولم يزل صاحب الأمر في صعود كئود حتى قتل، فبويع الحسن عليه السلام ابنه وعوهد ثم غدر به وأسلم ووثب عليه أهل العراق، حتى طعن بخنجر في جنبه ونهبت عسكره وعولجت خلاليل أمهات أولاده، فوادع معاوية وحقق دمه ودماء أهل بيته وهم قليل حق قليل، ثم بايع الحسين عليه السلام من أهل العراق عشرون ألفاً ثم غدروا به وخرجوا عليه وبيعته في أعناقهم، وقتلوه ثم لم نزل - أهل البيت - نستذلّ ونستضام ونقصي ونمتهنّ ونحرم ونقتل ونخاف ولا نأمن على دماننا ودماء أوليانا، ووجد





الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقربون به إلى أوليائهم، وقضاة السوء وعمال السوء في كل بلدة فحدّثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة ورووا عنّا ما لم نقله وما لم نفعله ليبغضونا إلى الناس، وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام، فقتلت شيعتنا بكل بلدة وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة، وكان من يذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره، ثم لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام، ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلته، وأخذهم بكل ظنة وتهمة، حتّى أنّ الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحبّ إليه من أن يقال شيعة علي عليه السلام، وحتّى صار الرجل الذي يذكر بالخير - ولعلّه يكون ورعاً صدوقاً - يحدث بأحاديث عظيمة عجيبة، من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة ولم يخلق الله تعالى شيئاً منها ولا كانت ولا وقعت وهو يحسب أنّها حقّ لكثرة من قد رواها ممّن لم يعرف بكذب ولا بقلة ورع» (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١١: ص ٤٣). وقال: روى أبو الحسن علي بن محمّد بن أبي سيف المدايني في كتاب الأحداث قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة أن برئت الذمّة ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علماً ويبرأون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشدّ الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن سميّة وضمّ إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنّه كان منهم أيّام علي عليه السلام، فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وطرفهم وشرّدهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم، وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق ألاّ يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة، وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فأدنوا مجالسهم وقربوهم واکرموهم، واكتبوا لي بكلّ ما يروى كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته. ففعلوا ذلك حتّى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلوات والكساء والحباء والقطائع ويفضيه في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كل مصر، وتنافسوا في





المنازل والدنيا فليس يحى أحد مردود من الناس عاملاً من عمال معاوية فيروى في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقربه وشفعه فلبثوا بذلك حيناً ثم كتب إلى عماله أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإن هذا أحب إلي وأقر لعيني وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله. فقرأت كتبه على الناس فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجد الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر وألقى إلى معلمي الكتاتيب، فعلموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتى روه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمتهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله. ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان انظروا من قامت عليه البيعة أنه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه، وشفع ذلك بنسخة أخرى من اتهمته بموالاته هؤلاء القوم فنكلوا به واهدموا داره فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق ولا سيما بالكوفة، حتى إن الرجل من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقى إليه سره ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمن عليه، فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة وكان أعظم الناس في ذلك بليّة القراء المرءون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك، فيفتعلون الأحاديث ليحفظوا بذلك عند ولائهم ويقربوا مجالسهم ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها وهم يظنون أنها حق ولو علموا أنها باطلة لما روهها ولا تدينوا بها. فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي عليه السلام فازداد البلاء والفتنة فلم يبق أحد من هذا القبيل إلا وهو خائف على دمه أو طريد في الأرض، ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين عليه السلام وولي عبد الملك بن مروان، فاشتد على الشيعة وولي عليهم الحجاج بن يوسف فتقرب إليه أهل النسك



فإنّ ذلك مخالف للسنن الثابتة الصّحة من طرق من تسمّى بأهل السنّة^(١)،



والصلاح والدين ببغض علي وموالاة أعدائه وموالاة من يدّعي من الناس أنّهم أيضاً أعداؤه، فأكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم وأكثروا من الغضب من علي عليه السلام وعيبه والطعن فيه والشنن له حتّى إنّ إنساناً وقف للحجّاج - ويقال أنه جدّ الأصمعي عبد الملك بن قريش - فصاح به: أيّها الأمير، إنّ أهلي عَقُونِي فسمّوني علياً، وإنّي فقير بئس وأنا إلى صلة الأمير محتاج، فتضاحك له الحجّاج وقال: للطف ما توسّلت به قد وليتكَ موضع كذا (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١: ص ٤٤). وقال: وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم في تاريخه ما يناسب هذا الخبر وقال: إنّ أكثر الأحاديث الموضوعية في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أميّة تقرّباً إليهم بما يظنون أنّهم يرغبون به أنوف بني هاشم (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١: ص ٤٦). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة بهذا المضمون في كتبهم، والمستفاد منها أنّ النّاس في عهد بني أميّة كانوا يتسابقون في وضع الحديث بأمر من معاوية الذي أراد أن يرفع قدر أبي بكر وعمر مقابل فضائل الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام. وقد جاءت أحاديث هزيلة ومضحكة ومتناقضة في أصحّ كتبهم من فضائل مكذوبة لخلفائهم، ولو أردنا أن نذكر ما ورد في نقضها لطال بنا المقام. والمهم أنّ خبر عائشة في المقام من قبيل هذه الروايات المكذوبة التي وردت في نقضها الآية المباركة المتقدّمة ذكرها والروايات الواردة في تفسيرها نذكرها من خلال المطالب الآتية إن شاء الله تعالى، فلاحظ.

(١) لا يخفى على الباحث الخبير أنّ ما ادعاه ابن تيمية في المقام من نقل الروايات المكذوبة في الفضائل المزعومة للخلفاء الثلاثة غير قابلة للتعلّل، لأنّها مناقضة بالروايات التي وردت في مطاعن الخلفاء الثلاثة، والباحث لو راجع كتب كبار علماء أهل السنّة لوجدها مشحونة بذكر مطاعن خلفائهم. والخير يعلم بأنّ المتناقضين لا يجتمعان، فيعرف من ذلك بوضوح أنّ الروايات في الفضائل الخلفاء الثلاثة مجعولة وإنّما دسّها حكام بني أميّة





وأيا دي الخيانة التي وضعت تلك الأساطير والأوهام المسطرة بلا أي تعقل وتدبر، إذ هناك في مقابلها روايات في مطاعنهم وذمهم، ممّا فيها من الطامات والجنايات والفظائع التي ارتكبتها الخلفاء الثلاثة، ولذلك قامت بنو أمية وبنو العباس والحكّام التابعة لخلافة السقيفة بالدفاع المستميت عن الخلفاء الثلاثة، فأعطوا الدراهم والدنانير لجعل الأحاديث المكذوبة في افتراض الفضل لهم، وقد أخذوا الألفاظ من روايات الرسول ﷺ في فضل أهل بيته عليه السلام، ولكن قد افتضحوا بكذبهم. ومن أجل وضوح الأمر في المقام نذكر بعض الروايات التي تبين هذه الحقيقة بشكل واضح، فنستعرض بعض مطاعن أبي بكر ليعرف الباحث مدى كذب الأخبار الواردة في روايات أهل السنة. الطعن الأول: تأمره على الناس من دون أن يبيح الله تعالى له ذلك ولا رسوله ﷺ ومطالبة جميع الأمة بالبيعة له والانقياد إلى طاعته طوعاً وكرهاً، فكان ذلك منه أوّل ظلم ظهر في الإسلام بعد وفاة رسول الله ﷺ، إذ كان هو وأولياؤه مقرّين بأنّ الله ورسوله ﷺ لم يولياه ذلك ولا أوجبا طاعته ولا أمراً ببيعته. فقد ورد في حديث أنّ أعرابياً جاء إلى أبي بكر فقال: أنت خليفة رسول الله ﷺ؟ قال: لا، قال: فما أنت؟ قال: أنا الخليفة بعده، أنا القاعد بعده (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ١٩: ص ٤٩٧). فلمّا انتقاد الناس له طالبهم بالخروج إليه ممّا كان يأخذه رسول الله ﷺ من الصدقات والأخماس وما شاكلها، ثمّ سمّى نفسه خليفة رسول الله ونفذت بذلك كتبه إلى الأمصار من خليفة رسول الله، فكانت هذه الحالة منه جامعة للظلم والمعصية والكذب على النبي الأعظم ﷺ، وذلك أنّه لما طالبهم بالخروج إليه ممّا كان يأخذه منهم رسول الله ﷺ من الصدقات وغيرها كان ذلك منه ظلماً ظاهراً إذ كان يعلم أنّ الله ورسوله ﷺ لم يجعلوا له ولا إليه شيئاً منه ولم يجعل الله ولا رسوله ولا ولاته شيئاً من ذلك، كان ظالماً في مطالبته لهم به فظهرت منه المعصية لله ولرسوله ﷺ إذ طالب بما ليس له بحق، ولدعواه أنّه خليفة رسول الله وقد علم وعلم معه الخاصّ والعام أنّ الرسول ﷺ لم يستخلفه كان ظالماً كاذباً بذلك على الله وعلى رسوله، وصدق عليه قول النبي ﷺ: «من كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار» (انظر السنن الكبرى للبيهقي ج ٣: ص ٢٧٥).





الطعن الثاني: أن النبي ﷺ لم يولّ أبا بكر شيئاً من الأعمال مع أنه كان يولّيها غيره، ولمّا أنفذه لأداء سورة براءة إلى أهل مكّة عزله وبعث ﷺ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ليأخذها منه ويقرأها على الناس، ولمّا رجع أبو بكر إلى النبي ﷺ قال عليه السلام: «لا يؤدّي عني إلا أنا أو رجل منّي» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ١: ص ٣). فمن لم يصلح لأداء سورة واحدة إلى أهل بلدة كيف يصلح للرئاسة العامة المتضمّنة لأداء جميع الأحكام إلى عموم الرعايا في البلاد؟

الطعن الثالث: لمّا انقاد لأبي بكر الناس طوعاً وكرهاً امتنعت عليه قبيلة من العرب في دفع الزكاة إليه وقالوا له: إنّ الرسول ﷺ لم يأمرنا بالدفع إليك ولا أمرك بمطالبتنا به، فعلام تطالبنا بما لا يأمرك الله به ولا رسوله؟ فسماهم أهل الردّة، وبعث إليهم خالد بن الوليد في جيش فقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم واستباح أموالهم وجعله فيئاً قسّمه بين المسلمين، فقبلوا ذلك منه مستحلّين له إلا نفر كرهوا ذلك منهم عمر بن الخطّاب، فإنّه عزل سهمه منهم وكان عنده إلى أن ملك الأمر ثمّ ردّه عليهم، فكانت خولة بنت جعفر بن قيس والدة محمد بن الحنفية منهم، فبعث بها إلى أمير المؤمنين عليه السلام فتزوّجها ولم يتملّكها، واستحلّ الباقر فزوج نسائهم، وقتل خالد بن الوليد رئيس القوم مالك بن نويرة وأخذ امرأته فوطأها من ليلته تلك من غير استبراء لها، ولا وقعت عليها قسمة، فأنكر عمر ذلك من فعله عليه وقال لأبي بكر في أمره، فاحتجّ عليه بأنّ خالداً تأوّل فأخطأ، فلمّا أكثر عليه عمر قال أبو بكر: ما كنت لأشيم سيفاً سلّه الله تعالى. ولقد نصر أبو بكر خالداً ولم ينكر عليه مع أنّ القوم الذين كانوا مع خالد قالوا: إنّ جماعة مالك أذن مؤذّنهم وصلّينا وصلّوا وشهدنا الشهادتين وشهدوا، فأبي ردّة لهؤلاء؟ (انظر تاريخ الطبري ج ٢: ص ٥٠٣، وتاريخ اليعقوبي ج ٢: ص ٨٩، وتاريخ أبي الفداء ج ١: ص ٢٢١، وللإطلاع أكثر لاحظ ما ذكره العلامة الأميني رحمه الله في كتابه الغدير ج ٧: ص ١٥٨-١٦٥ رأي الخليفة في قصّة مالك). وفي لفظ ابن الأثير: قال عمر لأبي بكر: إنّ سيف خالد فيه رهن، وأكثر عليه في ذلك، فقال: هيه يا عمر! تأوّل فأخطأ، فارفع لسانك عن خالد، فإنّي لا أشيم سيفاً سلّه الله على الكافرين، وودى مالكا وكتب إلى خالد أن يقدم عليه، ففعل، ودخل المسجد وعليه قباء،





وقد غرز في عمامته أسهماً، فقام إليه عمر فنزعها وحطّمها وقال له: قتلت امرأ مسلماً ثم نزوت على امرأته، والله لأرجمَنَّك بأحجارك... (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٢: ص ٣٥٨). وليت شعري كيف تأوّل أبو بكر فعل خالد ولم يتأوّل لمولاتنا بضعة المصطفى السيّد الزهراء عليها السلام عندما طالبت به حقّها من الخمس وفدك، وإنكارها عليه اغتصابه الخلافة؟؟

ونحن نسأل أتباع السقيفة: كيف يسوغ لكم أن تتبعوا رجلاً أفتى بدون علم بقتل الأبرياء وبالاعتداء على الأعراض، وهل يمكن الجمع بين هذه المطاعن والفضائل المزعومة في كتب القوم؟؟؟ فكيف تصدّقوهم لمجرد كونه صحابياً؟؟؟

الطعن الرابع: التخلّف عن جيش أسامة، فمن بدع التي أحدثها أبو بكر أنّه لم يمثّل أمر رسول الله ﷺ اجتهداً منه في مقابل النصّ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (سورة الأحزاب: ٣٦). فالأمة مجمعة في روايتها على أنّ رسول الله ﷺ كان قد ضمّه قبل وفاته إلى أسامة بن زيد مع صاحبه وجماعة من رؤساء المهاجرين والأنصار وأمرهم بالمسير معه إلى الشام، وخرج أسامة في حياة الرسول ﷺ فعسكر خارج المدينة واعتلّ الرسول ﷺ علته التي توفي فيها، وكرّر لهم النبي ﷺ مقالته «نفّذوا» (أي جهّزوا) جيش أسامة، لعن الله المتخلّف عن جيش أسامة» (انظر الملل والنحل للشهرستاني ج ١: ص ٢٣، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٦: ص ٥٢، والمواقف للإيجي ج ٣: ص ٦٥٠). إلى أن ارتحل النبي ﷺ ولم ينفذوا جيش أسامة، ثمّ أقبلوا (أي: أبو بكر وعمر) يخاصمان الأنصار في طلب البيعة، فبايع الناس أبا بكر، وأسامة على حال معسكره خارج المدينة يراسلهم فلا يلتفتون إليه حتّى إذا استوى لهم الأمر، بعث أبو بكر إلى أسامة: أنّ الناس نظروا في أمورهم فلم يجدوا لهم غنى عني، وقد نظرت في أمري فلم أجد عن عمر غنى، فخلفه عندي وامض في الوجه الذي أمرك به الرسول ﷺ بالمضي فيه. فكتب إليه أسامة: من الذي أذن لك في نفسك بالتخلّف عني حتى تطلب مني الإذن لغيرك؟! إن كنت طائعاً لله ولرسوله، فارجع إلى معسكرك ومركزك الذي أقامك فيه رسول الله ﷺ (انظر الاستغاثة





لأبي القاسم الكوفي ج ١: ص ٢١). ولم يكتف القوم بتخلفهم عن جيش أسامة حتى طعنوا بإمارته وقد حوا برسول الله ﷺ مدعين أنه أمر عليهم غلاماً (انظر صحيح مسلم ج ٤: ص ٢١٣ كتاب المناقب، باب مناقب زيد بن حارثة). فغضب الرسول ﷺ غضباً شديداً، فخرج وقد عصب على رأسه عصا، وعليه قطيفة، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد، أيها الناس، فما مقالة بلغني عن بعضكم في تأمير أسامة، ولئن طعنتم في تأميري أسامة فقد طعنتم في تأميري أباه من قبله، وأيم الله إنه كان للإمارة لخليقاً، وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليّ فاستوصوا به خيراً فإنه من خياركم...» (انظر المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ج ١: ص ٢٣٤). ولا يخفى على الفطن: أن تثاقلهم عن السير وتخلفهم عن الجيش ليحكموا قواعد سياستهم في سقيفة بني ساعدة ترجيحاً منهم على النصوص القرآنية والسنة النبوية ﷺ، ولو ذهبوا مع أسامة لكان فاتهم ما كانوا يرومونه من الطمع بالخلافة، فتخلفوا حتى مات النبي ﷺ، فهموا بإلغاء البعث وحلّ اللواء تارة، وبغزل أسامة أخرى. فإذا كان حال القوم مع نبيهم حال حياته من العصيان وعدم الاحترام وقلة الإيمان، فكيف بهم بعد وفاته ﷺ مع بضعة الطاهرة ﷺ وزوجها الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ الذي يدور الحق معه حيثما دار (انظر مسند أبي يعلى الموصلي ج ٢: ص ٣١٨). وهل يمكن أن نحسن بهؤلاء الأوباش الظن بحجة أن القوم من الصحابة، أو ليس الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء ؑ قد شهد الله ورسله بأفضليتهما على جميع العالمين، وهل يمكن أن الله تعالى يشهد بأفضلية من يؤيد أهل التمرد على الله ورسوله ﷺ؟! فإنّ تقديم أهل الطغيان والتمرد أمر قبيح شرعاً وعقلاً، وهل يمكن نسبة هذا القبح إلى أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً!!

الطعن الخامس: ما رواه ابن دريد بسنده عن أنس بن مالك قال: أقبل يهودي بعد وفاة رسول الله ﷺ، فأشار القوم إلى أبي بكر، فوقف عليه فقال: أريد أن أسألك عن أشياء لا يعلمها إلّا نبي أو وصي نبي. قال أبو بكر: سل عما بدا لك. قال اليهودي: أخبرني عما ليس لله، وعما ليس عند الله، وعما لا يعلمه الله. فقال أبو بكر: هذه مسائل الزنادقة يا يهودي! وهم





أبو بكر والمسلمون باليهودي، فقال ابن عباس: ما أنصفتهم الرجل. فقال أبو بكر: أما سمعت ما تكلم به؟ فقال ابن عباس: إن كان عندكم جوابه وإلا فاذهبوا به إلى علي عليه السلام يجيبه، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب: «اللهم اهد قلبه، وثبت لسانه»، قال: فقام أبو بكر ومن حضره حتى أتوا علي بن أبي طالب عليه السلام فاستأذنوا عليه فقال أبو بكر: يا أبا الحسن! إن هذا اليهودي سألني مسائل الزنادقة. فقال علي عليه السلام: «من تقول يا يهودي؟» قال: أسألك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي أو وصي نبي. فقال له: «قل». فرد اليهودي المسائل، فقال علي عليه السلام: «أما لا يعلمه الله فذلك قولكم يا معشر اليهود! إن العزيز ابن الله، والله لا يعلم أن له ولداً، وأما قولك: أخبرني بما ليس عند الله، فليس عنده ظلم للعباد، وأما قولك: أخبرني بما ليس لله فليس له شريك». فقال اليهودي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ، وأنت وصي رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر والمسلمون لعلي عليه السلام: يا مفرج الكرب (انظر المجتبى لابن دريد: ص ٣٥).

الطعن السادس: ما رواه أبو داود في سننه بسنده عن ابن عباس، قال: أتني عمر بمجنونة قد زنت، فاستشار فيها أناساً فأمر بها أن ترجم، فمر بها علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: «ما شأن هذه؟» قالوا: مجنونة بني فلان زنت فأمر بها عمر أن ترجم، قال: فقال: «ارجعوا بها»، ثم أتاه فقال: يا أمير المؤمنين، «أما علمت أن القلم قد رفع عن ثلاثة: عن المجنون حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يعقل؟» قال: بلى، قال: فما بال هذه ترجم؟ قال: لا شيء، قال: «فأرسلها»، قال: فأرسلها، قال: فجعل يكبر (سنن أبي داود ج ٢: ص ٣٣٩). واستدل ابن قدامة في كتابه المغني بهذا الحديث في باب اشتراط العقل في إجراء الحد، ما هذا نص عبارته: وقد روى أبو داود بأسناده قال: أتني عمر بمجنونة قد زنت فاستشار فيها أناساً فأمر بها عمر أن ترجم، فمر بها علي بن أبي طالب عليه السلام يقال: «ما شأن هذه؟» قالوا: مجنونة آل فلان زنت فأمر بها عمر أن ترجم، فقال: «ارجعوا بها» ثم أتاه فقال: يا أمير المؤمنين «أما علمت أن القلم قد رفع عن ثلاثة، عن المجنون حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يعقل؟» قال: بلى، قال: «فما بال هذه؟» قال: لا شيء، قال: «فأرسلها» قال: فأرسلها، قال: فجعل عمر يكبر... (المغني لعبد الله بن قدامة





ج ١٠: ص ١٦٩). فالباحث اذا تأمل في الحديث وما ورد في كتب القوم من الاستدلال بهذا الحديث يجد بوضوح أنّ عمر ومستشاريه كانوا يخالفون سنّة رسول الله ﷺ ويحكمون على خلاف الشريعة المقدّسة. وكان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان يصّر على إجراء سنّة رسول الله ﷺ والعمل بها فيعرف أنّ الخليفة عمر كان يصّر على مخالفة الشريعة المقدّسة والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان همّه اجراء الشريعة المقدّسة. ومنها: ما رواه عبدالرزاق الصنعاني بسنده عن سعيد بن المسيّب أن عبد الرحمن بن أبي بكر قال حين قتل عمر: انتهيت إلى الهرمزان وجفينة وأبي لؤلؤة وهم نجي فبغتهم فثاروا، وسقطمن بينهم خنجر له رأسان، نصابه في وسطه، فقال عبد الرحمن: فانظروا بما قتل عمر، فنظروا، فوجدوه خنجرا على النعت الذي نعت عبد الرحمن، قال: فخرج عبيد الله ابن عمر مشتملاً على السيف، حتّى أتى الهرمزان، فقال: اصحبني حتّى ننظر إلى فرس لي، وكان الهرمزان بصيراً بالخيّل، فخرج يمشي بين يديه، فعلاه عبيد الله بالسيف، فلمّا وجد حرّ السيف قال: لا إله إلاّ الله، فقتله، ثمّ أتى جفينة، وكان نصرانياً فدعاه، فلمّا أشرف له علاوة بالسيف، فصلب بين عينيه، ثمّ أتى ابنة أبي لؤلؤة، جارية صغيرة تدعى الإسلام فقتلها... (المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ج ٥: ص ٥٧٨). ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق وفيه أنّه: لمّا ولي عثمان قال أشيروا علي في هذا الرجل الذي فتق في الإسلام ما فتق يعني عبيد الله بن عمر فأشار عليه المهاجرون أن يقتله وقال جماعة من الناس قتل عمر أمس وتريدون أن تتبعوه ابنه اليوم أبعد الله الهرمزان وجفينة، فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين، إنّ الله قد أعفاك أن يكون هذا الأمر ولك على الناس سلطان إنّما كان هذا ولا سلطان لك فاصفح عنه يا أمير المؤمنين فتفرق الناس على خطبة عمرو بن العاص وودى عثمان الرجلين والجارية (تاريخ مدينة دمشق ج ٦٨: ص ٦٣). وتوضيح المقام أنّ الهرمزان كان أحد ملوك فارس، وكان قد عقد صلحاً مع المسلمين في السنة السادسة عشرة للهجرة، ما لبث أن نقضه فيما بعد بتحريض من يزجر، وعلم المسلمون بذلك فجهّزوا جيشاً لمحاربتة ومحاربة من تعاقد معه على ذلك، فأسر وأقبلوا به الى المدينة مكتوفاً وعليه تاجه وحليته،





فأراد عمر أن يضرب عنقه، فأعلن إسلامه في قصة طريفة. فقد روي أن عمر قال له: يا هرمزان، كيف رأيت وبال الغدر؟ فقال: يا عمر، إنا وإياكم في الجاهلية كنا نغلبكم، إذ لم يكن الله معكم، ولا معنا! فلما كان الله معكم غلبتمونا. قال: فما عذرك في انتفاضك مرة بعد مرة؟ قال: أخاف إن قلت أن تقتلني. قال: لا بأس عليك، فأخبرني. فاستسقى ماءً، فأخذه، وجعلت يده تُرعد قال: ما لك؟ قال: أخاف أن تقتلني وأنا أشرب. قال: لا بأس عليك حتى تشربه. فألقاه من يده، فقال: ما بالك! أعيدوا عليه الماء ولا تجمعوا عليه بين القتل والعطش، قال: كيف تقتلني، وقد أمنتني؟ قال: كذبت! قال: لم أكذب. فقال أنس: صدق يا أمير المؤمنين. قال: ويحك يا أنس! أنا أو من قاتل مجزأة بن ثور والبراء بن مالك! والله لتأتيني بالمخرج أو لأعاقبك! قال: إنك قلت: لا بأس عليك حتى تخبرني ولا بأس عليك حتى تشرب! وقال له ناس من المسلمين مثل قول أنس. فأقبل على الهرمزان، فقال: تخدعني! والله لا تخدعني إلا أن تُسلم، فأسلم، ففرض له الفين وأنزله المدينة (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٢: ص ١١٤). فلما قُتل عمر، ظن ابنه عبيد الله أن الهرمزان كان شريكاً لأبي لؤلؤة في قتل والده، فعمد إلى الهرمزان فقتله، وقتل معه جفينة ابنة أبي لؤلؤة. وأراد عبيد الله ألا يترك سبياً بالمدينة يومئذٍ إلقاء قتله، فاجتمع المهاجرون الأولون، فأعظموا ما صنع عبيد الله من قبل هؤلاء، واشتدوا عليه وزجروه عن السبي. فقال: والله لأقتلهم وغيرهم - يعرض ببعض المهاجرين - فلم يزل عمرو بن العاص يرفق به حتى دفع إليه سيفه (انظر الغدير للعلامة الأميني رحمته الله ج ٨: ص ١٣٢). فلما استخلف عثمان، دعا المهاجرين والأنصار، فقال: اشيروا علي في قتل هذا الذي فتق في الدين ما فتق! فاجمع رأي المهاجرين والأنصار على كلمة واحدة يشجعون عثمان على قتله. وقال جل الناس: أبعد الله الهرمزان وجفينة، يريدون يتبعون عبيد الله أباه!! وعن المطلب بن عبد الله قال: قال علي لعبيد الله بن عمر: «ما كان ذنب بنت أبي لؤلؤة حين قتلتها؟» فكان رأي علي عليه السلام حين استشاره عثمان، ورأي الأكابر من أصحاب رسول الله على قتله، لكن عمرو بن العاص كَلَّم عثمان حتى تركه. فكان علي يقول: «لو قدرت على عبيد الله بن عمر ولي سلطان لاقتصصت منه» (انظر الغدير للعلامة الأميني رحمته الله ج ٨: ص ١٣٢-١٣٥).





أمّا عثمان، فحين بلغه مقالة عليّ تلك، قام فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أيّها الناس، إنّ كان من قضاء الله أن عبید الله بن عمر بن الخطّاب، أصاب الهرمزان وهو رجل من المسلمين ليس له وارثٌ إلّا الله والمسلمون؟ وأنا إمامكم، وقد عفوت، أفتعفون عن عبید الله بن خليفتم بالأمس؟ قالوا: نعم. فعفا عنه (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٩: ص ٥٥). وفي ذلك اليوم قال المقداد مقالته الآنفه، فلمّا بلغ عليّاً - ما قاله عثمان - تضاحك، وقال: «سبحان الله! لقد بدأ بها عثمان! أيعفو عن حقّ امرئ ليس بوالیه! تالله! إنّ هذا لهو العجب!» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٩: ص ٥٤-٥٥). وكان عبید الله قد حبس في بيت، وقيل في السجن، فأطلقه عثمان وكان رجلاً من الأنصار يقال له: زياد بن لبید البياضي، إذا رأى عبید الله بن عمر قال: ألا يا عبید الله ما لك مهربٌ ولا خفرٌ* أصبت دماً والله في غير حلّه. حراماً وقتل الهرمزان له خطرٌ* على غير شيء غير أن قال قائل. أتتهمون الهرمزان على عمر* فقال سفيهٌ والحوادث جمّة. نعم، أتهمه قد أشار وقد أمر* وكان سلاح العبد في جوف بيته. فشكا عبید الله بن عمر إلى عثمان زياد بن لبید وشعره، فدعا عثمان زياداً فنّهاه، فقال زياد في عثمان: أبا عمرو عبید الله رهنٌ* فلا تشكّك بقتل الهرمزان. فإنّك إن غفرت الجرم عنه* وأسباب الخطأ فرساً رهان. أتعفو، إذ عفوت بغير حقّ* فما لك بالذي تحكي يدان. (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣: ص ٧٥). ولمّا أكثر الناس التحدث في دم الهرمزان، أمر عثمان عبید الله بالرحيل إلى الكوفة وأقطعه فيها داراً وأرضاً فسمّى ذلك الموضع بـ"كوفة بن عمر" وحين ولي الإمام عليّ عليه السلام الخلافة، طلب عبید الله فهرب إلى معاوية، فقال عليه السلام: «لئن فاتني في هذا اليوم لا يفوتني في غيره!» فلمّا كانت حرب صفّين قتل فيها. وقيل: إنّ عليّاً هو الذي قتله، ضربه ضربةً فقطع ما عليه من الحديد حتّى خالط سيفه حشوة جوفه (انظر مروج الذهب للمسعودي ج ٣: ص ٣٨٥). فالباحث لو تأمّل في هذه الحادثة يجد بوضوح إصرار عثمان على عدم إجراء القصاص على ابن عمر واهتمام مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى إجراء الحدود الإلهية.

وقد وردت بعض الروايات في كتب الشيعة الإمامية، وحيث أنّ استدلال الإمام عليه السلام فيها عن





طريق الكتاب والسنة النبوية والعقل فأيضاً يمكن عرضها عليهم، ومن تلك الروايات ما نقله الطبرسي رحمته الله في الاحتجاج في قضية معروفة وهي: أنَّ المأمون العباسي بعدما زوج ابنته أم الفضل الإمام أبا جعفر الجواد عليه السلام، كان في مجلس وعنده أبو جعفر عليه السلام ويحيى بن أكرم وجماعة كثيرة من العلماء، فقال له يحيى بن أكرم: ما تقول يا بن رسول الله في الخبر الذي روي أنَّه نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله ﷺ وقال: يا محمد، إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقرؤك السلام ويقول لك: سل أبا بكر هل هو عني راضٍ؟ فأني عنه راضٍ، فقال الإمام أبو جعفر عليه السلام: «... يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ مثال الخبر الذي قاله رسول الله ﷺ في حجة الوداع: قد كثرت عليَّ الكذابة وستكثر بعدي، فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، فإذا أتاكم الحديث عني فاعرضوه على كتاب الله وسنتي، فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به، وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلِمُ مَا تُوسَّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾، فالله عزَّ وجلَّ خفي عليه رضا أبي بكر من سخطه حتَّى سأل عن مكنون سرِّه، هذا مستحيل في العقول». ثمَّ قال يحيى بن أكرم: وقد روي: أنَّ مثل أبي بكر وعمر في الأرض كمثل جبرئيل وميكائيل في السماء! فقال أبو جعفر عليه السلام: «وهذا أيضاً يجب أن ينظر فيه، لأنَّ جبرئيل وميكائيل ملكان لله مقربان لم يعصيا الله قط، ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة، وهما قد أشركا بالله عزَّ وجلَّ وإنَّ أسلما بعد الشرك، فكان أكثر أيامهما الشرك بالله، فمحال أن يشبههما بهما». قال يحيى: وقد روي أيضاً: أنَّهما سيِّدا كهول أهل الجنة، فما تقول فيه؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: «وهذا الخبر محال أيضاً، لأنَّ أهل الجنة كلهم يكونون شباباً ولا يكون فيهم كهل، وهذا الخبر وضعه بنو أمية لمضادة الخبر الذي قال رسول الله ﷺ في الحسن والحسين عليهما السلام: بأنَّهما سيِّدا شباب أهل الجنة»، فقال يحيى بن أكرم: وروي: أنَّ عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة، فقال أبو جعفر عليه السلام: «وهذا أيضاً محال، لأنَّ في الجنة ملائكة الله المقربين، وآدم ومحمد ﷺ، وجميع الأنبياء والمرسلين، لا تضيء الجنة بأنوارهم حتَّى تضيء بنور عمر!» فقال يحيى: وقد روي: أنَّ السكينة تنطق على لسان عمر، فقال أبو جعفر عليه السلام: «لست



ولما نقلوه عنهم من المبتدعات والمناكير^(١).



بمنكر فضل عمر، ولكن أبا بكر أفضل من عمر، فقال على رأس المنبر: إن لي شيطاناً يعتريني، فإذا ملت فسدّوني»، فقال يحيى: قد روي أنّ النبي ﷺ قال: لو لم أبعث لبعث عمر، فقال أبو جعفر عليه السلام: «كتاب الله أصدق من هذا الحديث، يقول الله في كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾»، فقد أخذ الله ميثاق النبيين، فكيف يمكن أن يبدل ميثاقه؟ وكلّ الأنبياء عليهم السلام لم يشركوا بالله طرفة عين، فكيف يبعث بالنبوة من أشرك وكان أكثر أيامه مع الشرك بالله؟ وقال رسول الله ﷺ: ثَبَّتْ وَآدَمَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ، فقال يحيى ابن أكنم: وقد روي أيضاً أنّ النبي ﷺ قال: ما احتبس عني الوحي قطّ إلا ظننته قد نزل على آل الخطاب؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: «وهذا محال أيضاً، لأنه لا يجوز أن يشكّ النبي ﷺ في نبوته، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾، فكيف يمكن أن ينتقل النبوة ممّن اصطفاه الله تعالى إلى من أشرك به؟» قال يحيى: روي أنّ النبي ﷺ قال: لو نزل العذاب لما نجى منه إلا عمر، فقال أبو جعفر عليه السلام: «وهذا محال أيضاً، لأنّ الله تعالى يقول ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، فأخبر سبحانه أنّه لا يعذب أحداً ما دام فيهم رسول الله ﷺ وما داموا يستغفرون» (الاحتجاج ج ٢: ص ٢٤٥). وهناك روايات كثيرة في مطاعن الخلفاء التي تبين مخالفتهم للكتاب والسنة النبوية، ولو أردنا أن نذكرها هنا لطال بنا المقام. وعليه كيف يمكن لأهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس... أن يذكروا ما يخالف قول الله ورسوله ﷺ. وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في طعن خلفائهم، وهل يمكن لعامل أن يجمع بين هذه المطاعة الروايات الواردة في الفضائل المكذوبة لخلفائهم؟!؟

(١) لا يخفى أنّ ما واجهه المسلمون بعد وفاة رسول الله ﷺ من المصائب والنوازل التي حلّت بهم من الفساد والمبتدعات والمناكير من قبل السلطات، كلّها من ثمرات السقيفة والخلافة الجائرة التي مهّدت للأمة الانقلاب والرجوع إلى الجاهلية الأولى. فكان أبو بكر





لا يبالي من المخالفة الصريحة للكتاب والسنة، وأن بغيته الوصول إلى السلطة فلم يمنعه من ذلك مانع. وبعد ارتكاب المخالفة كيف كان يصبغها بالصبغة الدينية، أمر آخر من البدعة في الدين. وحيث أن سلطته كانت مستندة بالعنف والإرهاب فلم يتجرأ أحد أن يقف بوجهه ويعارض سياسته المبتئية على الإرهاب والعنف والقبلية الجاهلية المدعومة من قبل بطون قريش التي سادت وأيدت السلطة الجائرة ليفتح لهم المجال في الحكومة الجائرة. فكانوا يقابلون كل حركة ضد الخلافة الجائرة بالعنف وأشد العقوبات وبإسقاطهم من جميع حقوق الإنسانيّة، والمخازي التي كانوا يستندون إليها باسم الدين والسلطة الجائرة، وكانوا يسمونها خلافة رسول الله ﷺ. وفي نفس الوقت الذي كانت الخلافة الجائرة تستعمل أنواع الحيل لتقوية السلطة من جمع الأعوان والأنصار بالتطميع والتهديد والفك والإرغام ذريعة لحفظ نظام السلطة الجائرة وإن بلغ ما بلغ من الجناية على الأمة ولو بالهجوم على بيت أخي رسول الله ﷺ ووصيه ووزيره الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأهل بيت الرسالة عليه السلام ممن نزلت فيهم الآيات وأيدت طهارتهم وتزكيتهم من آية المباهلة وآية التطهير وآية الولاية ... إلى ما يزيد على ثلاثمائة آية، ومن أوصى بهم رسول الله ﷺ وقال فيهم: «إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي»، وقوله ﷺ: «فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله»، وقوله: «رضا فاطمة رضاي ورضيها غضبي». وجميع الصحابة على الأخص أبو بكر وعمر كانوا يعلمون حرمة ذلك البيت العظيم علم اليقين، وقد أحرقوا باب ذلك البيت العظيم بمن فيها من الأنوار الطاهرة عليه السلام، ولا يخفى للباحث أن الظلم الذي أباحه السلطة الجائرة على أهل البيت عليه السلام وقد بلغوا حد الجناية إلى أبعد حدودها، وذلك ليفتحوا المجال للأمة كي لا يقصروا في حق أهل البيت عليه السلام من ارتكاب أي جرم وجناية عليهم. ووصل بهم الأمر حتى أن أبا بكر وعمر خشيا انقلاب الأمر عليهما بعد ما فعلا العنف والإرهاب ضد أهل بيت الوحي عليه السلام، فذهبا ليسترضيا فاطمة عليه السلام، وقد أخرج ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة أنه قال عمر لأبي بكر: انطلق بنا إلى فاطمة فإننا قد أغضبناها، فانطلقا جميعاً فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما، فأتيا عليها فكلماه فأدخلهما





عليها، فلما قعد عندها حوَّلت وجهها إلى الحائط فسَلَّمَا عليها فلم تردَّ عليهما السلام، فتكلَّم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله، والله إنَّ قرابة رسول الله أحبَّ إليَّ من قرابتي، وإنَّك لأحبُّ إليَّ من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أنِّي متَّ ولا أبقى بعده، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله؟ فقالت: «أرايتكما إن حدَّثتكما حديثاً عن رسول الله ﷺ تعرفانه وتفعلان به؟» قالوا: نعم، فقالت: «نشدتكما الله ألَمْ تسمعا رسول الله يقول "رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبَّ فاطمة ابنتي فقد أحبَّني ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟"» قالوا: نعم، سمعناه من رسول الله، قالت: «فإني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي لأشكوَنَّكما إليه»، فقال أبو بكر: أنا عائد بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة، ثمَّ انتحب أبو بكر يبكي حتَّى كادت نفسه أن تزهق وهي تقول «والله لأدعون الله عليك في كلِّ صلاة أصليها»، ثمَّ خرج باكياً، فاجتمع إليه الناس فقال لهم: يبيت كلَّ رجل منكم معانقاً حليته مسروراً بأهله وتركتموني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم، أقيلوني بيعتي... (انظر الإمامة والسياسة ج ١: ص ١٧). فغضب الخلافة من أهل البيت ﷺ كان أول جناية ارتكبتها أتباع خلافة السقيفة وأنَّ التابعين لهم كانوا راضين وموافقين لما ارتكبه من الفساد والظلم والإجرام. فهم وأتباعهم فسدوا في الأرض وأجروا السنن الجاهليَّة بدل سنن رسول الله ﷺ وذلك كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (سورة البقرة: ١١-١٢). هذه الآية الكريمة تحكي عن أحوال هؤلاء المنافقين الذين غصبوا الخلافة من أهل البيت ﷺ وكانوا يتشدقون بالإصلاح، بينما هم يتحرَّكون على خطِّ التخريب والفساد، والقرآن الكريم يصفهم بأنهم: ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. فإنَّ الإنسان لو تَمَادى في الغي والضلال وكان الفساد عنده عادة، فإنَّه سوف يفقد قدرة التشخيص، بل تنقلب لديه الموازين، ويصبح الذنب والإثم عنده جزءاً من طبيعته. فهؤلاء المنافقين الذين غصبوا





الخلافة كانت إصرارهم على الانحراف والانطباع على خط النفاق والضلالة والباطل. وهكذا استمروا في مخالفة الله ورسوله ﷺ حتى شملهم قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ (سورة الكهف: ١٠٣-١٠٦) وقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ الروايات الدالة على أن المراد بهم أهل البدعة في الدين، منها: ما رواه إبراهيم بن محمد الثقفي في كتاب الغارات بسنده عن أصبغ بن نباته عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «هم الكفرة الذين ابتدعوا في الدين وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا» (انظر الغارات ج ١: ص ١٨٠). وكل ذلك قرينة واضحة على أن سياسة خلافة السقيفة كانت مبتنية على العنف والإرهاب الجاهلي التي تكفلها بطون قريش الحاكمة على النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام، للوصول إلى القدرة والرئاسة بأي وسيلة حصل. ولو أردنا أن نكشف الغطاء عن بعض ما فعلها السطة الجائرة من الأفعال الإجرامية والمناكير والبدع التي سجلها عليهم صحاح أهل السنة ومسانيدهم وكتبهم المعتمدة لطال بنا المقام. وسندكرها في محله إن شاء الله تعالى. وعليه فإن لفظ الشر الذي نسبة ابن تيمية إلى الشيعة إنما يكون لانتقاد لخلفائه، فلاحظ.

قال السنّي:

وأما قوله: بعضهم اشتبه عليه الحال إلى آخره... فيقال للمفتري الذي جعل مبايعي أبي بكر ثلاثة أصناف أكثرهم طلب الدنيا وصنف قصر في النظر وصنف عجز عنه، وما زعمه كذب ليس يعجز عنه أحد. والرفضة قوم بهت، فلو طلب منه دليل على ذلك لما قدر عليه لعدمه، والله سبحانه قد حرّم القول بغير علم، فكيف والمعروف ضدّ ما قاله، فإنّه لم يكن في الصحابة المعروفين ما زعمه فلو لم تكن عالين بحال الصحابة لم يجر لنا الشهادة عليهم بغير علم من فساد القصد والجهل بالمستحق، فكيف ونحن نعلم بأنّهم أكمل خير أمة في العقل والعلم والدين. ونقل عن ابن مسعود نفسه ما دلّ على ذلك بزعمه. وروى عنه قوله: ما رثاه المؤمنون حسناً فهو عند الله حسن، وما رثاه المؤمنون سيئاً فهو عند الله سيء، ثمّ برهن على ذلك بخبر خير القرون.

ثمّ زعم بأنّ الرفضة من أجهل الناس، ونفى وجود إمام شيعي في الفقه وفي الحديث وفي الزهد والعبادة وفي الجيوش المنصورة وفيمن نصر الدين من الملوك. وأكثر ما تجد الرفضة إمّا في الزنادقة وإمّا في جهّال ليس لهم علم بالمعقول والمنقول. وقد نشأت الشيعة في القفار والجبال متجبرين على المسلمين غير مجالسين أهل العلم، وتجد ظهور الرفض في نشر الفرق مثل النصيرية والباطنية والطرقية، وفيهم من البهتان والخيانة ومخالفة الوعد ما يدلّ على نفاقهم. ففي الصحيحين عن النبي ﷺ: «آية المنافق ثلاث:

٧٤٦..... منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨

يفتري في حديثه، ويخلف وعده ويخون في أمانته»، وعند مسلم زيادة «وإن صام وصلّى، وزعم أنّه مسلم».

ثمّ يقال للمفتري: هب أنّ المبايعين أبا بكر إمّا طالب دنيا وإمّا جاهل، فقد أتى بعدهم في القرون المتأخّرة من يعرف كلّ أحد زكائهم وذكائهم مثل سعيد بن المسيّب والحسن البصري وإبراهيم النخعي، وعدّ جملة غيرهم من طبقتهم وقال: ثمّ بعدهم أيّوب السخيتاني وعبدالله بن عون ويونس بن عبيد، وعدّ غيرهم وقال: ومن بعدهم مثل يحيى بن سعيد القطّان وعبد الرحمن بن مهدي وعبد الرحمن بن القاسم، وعدّ غيرهم من طبقتهم. ثمّ قال: وغيرهم ممّن ليس لهم غرض غير تقديم الفاضل غير قاصدين الرياسة والمال ممّن هم أعظم الناس معرفة بالعلم وكشفاً لحقائقه وهم جميعهم متّفقون على تقديم أبي بكر وعمر. ونقل عن جماعة منهم الشافعي وغيره القول بأنّ الصحابة والتابعين لم تختلف في تفضيل أبي بكر وعمر وتقديمهما. وقال شريك بن أبي نمر لمّا سئل أيّما أفضل علي أم ابن أبي قحافة؟ فقال: ابن قحافة، فقال له السائل: تقول ذلك وأنت من الشيعة؟ فقال: نعم إنّما الشيعي من يقوله والله لقد رقى علي عليه السلام على المنبر وقال: خير الناس بعد نبيّهم ابن أبي قحافة وعمر، أفكنا نردّ قوله؟ أفكنا نكذّبه؟ والله لم يكن كاذباً. انتهى ملخصاً من تكريره وحشوه ^(١).

(١) انظر منهاج السنّة ج ٢: ص ٧٥ - ٨٧

قلت:

وقد بان فساد جميعه ممّا مضى بيانه، ويلزم علينا حفظاً للجهلة أن
نشير هنا إلى بهتانه وغشه^(١) بوجوه:

(١) لا يخفى أنّ ابن تيمية كعاداته التجأ في هذا الفصل من كتابه إلى الكذب والافتراء والدجل والتدليس على الشيعة ليخدع عوام أهل السنة ويغرهم بأكاذيبه وتحريفاته، ومن مؤسف أنّ جماعة من أهل السنة مع علمهم بضلالته وانحرافه وإنكاره للحقائق، يقدّسونه ويلقبونه بشيخ الإسلام، نعوذ بالله من العماء والضلالة. يقول العالم الجليل السيد محسن الأمين العاملي: اعلم أنّ الوهابية ومؤسس دعوتهم محمد بن عبد الوهاب وباذر بذورها أحمد بن تيمية وتلميذه ابن القيم وأتباعهم ادّعوا أنّهم موحدون، وأنّهم باعتقاداتهم التي خالفوا بها جميع المسلمين حموا جناب التوحيد أن يتطرق إليه شيء من الشرك، وادّعى الوهابيون أنّهم هم الموحّدون وغيرهم من جميع المسلمين مشركون كما سيأتي. ولكن الحقيقة أنّ ابن تيمية وابن عبد الوهاب وأتباعهما قد أباحوا حمى التوحيد وهدّكوا ستوره وخرقوا حجابيه ونسبوا إلى الله تعالى ما لا يليق بقدس جلاله تقدّس وتعالى عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً... (انظر كشف الارتباب: ص ١٢٩). ومن أراد أن يقف على موقف العلماء من آرائه وأفكاره فعليه الرجوع إلى كتب أهل السنة وتراجمهم، فهو يرى أنّهم يترجمونه مع الإشادة بفضله وعلمه وإحاطته بالقرآن والسنة مشيرين إلى لجاجه وشذوذه واعوجاجه. ولأجل أن يكون ذلك الادّعاء مشفوعاً بالبرهان نأتي بنصوصهم في هذا المجال حتّى تقف على أنّ آراء الرجل كانت تخالف الرأي العام بين أهل السنة إلى حدّ، وقد منع من الكتابة حتّى في السجن، فما حال من كان على خلاف مع قضاة المذاهب وعلمائهم وحكّامهم، وبذلك تعرف أنّ الدعايات الأخيرة التي تريد أن تصوّره كشيخ الإسلام ومحبي السنة... لا تقوم على واقع صحيح فإنّ علماء وقضاة عصره ومن تأخّر عنهم أجمعوا على ضلاله وفساد عقيدته، فكيف يكون بعد ذلك شيخ الإسلام

←



عندهم!! وها نحن نذكر كلمات العلماء في حقّه سواء كان من معاصريه أو ممّن أتى من بعده حسب ترتيب التواريخ. منهم: صفى الدين الهندي الذي كان ممّن عاصر ابن تيمية وكان له تصانيف في العلوم المختلفة. وقد عقد له مجلس بدار السعادة عام ٧١٥ هـ ليناظر ابن تيمية، وكان طويل النفس في التقرير، فلما شرع يقرر، أخذ ابن تيمية يعجل عليه على عادته، ويخرج من شيء إلى شيء. فقال له الهندي: ما أراك يا ابن تيمية إلا كالعصفور حيث أردت أن أقبضه من مكان فرّ إلى مكان آخر. وكان الهندي شيخ الحاضرين كلّهم، فالكلّ صدر عن رأيه وحسب ابن تيمية بسبب تلك المسألة وهي التي تضمّنت قوله بالجهة ونودي عليه في البلاد وعلى أصحابه وعزلوا من وظائفهم (انظر طبقات الشافعية للسبكي ج ٩: ص ١٦٤-١٦٩، والبداية والنهاية لابن كثير ج ١٤: ص ٣٦-٣٨). ومنهم: كمال الدين الزملكاني الذي ولى قضاء حلب وتوفي سنة ٧٢٧ من الهجرة، وألف رسالة مستقلة في الرد على ابن تيمية في مسألتي الطلاق والزيرة (انظر طبقات الشافعية للسبكي ج ٩: ص ١٩٠-١٩١). ومنهم: شهاب الدين الحلبي المتوفى سنة ٧٣٣ من الهجرة، وقد عرفه السبكي بأنّه درس وأفتى وشغل بالعلم مدةً بالقدس ودمشق، وله تصنيف في نفي الجهة ردّاً على ابن تيمية، وقد جاء السبكي بنفس الرسالة في ترجمته وهي رسالة مفصلة في تنزيهه سبحانه عن الجسم والجسمانيات، قال في مقدّمته: أمّا بعد، الذي دعا إلى تصدير هذه النبذة ما وقع في هذه المدة ممّا علّقه بعضهم في إثبات الجهة، واغترّب بها من لم يرسخ له في التعليم، قدم ولم يتعلّق بأذيال المعرفة، فعجبت أن أذكر عقيدة أهل السنّة ثمّ أبين فساد ما ذكره، مع أنّه لم يدع دعوى إلا نقضها أو أوطد قاعدة إلاّ هدمها (انظر طبقات الشافعية للسبكي ج ٩: ص ٣٤-٣٥). ومنهم: شمس الدين الذهبي وكان الذهبي من الحنابلة المتعصّبين، فهو وإن لم يذكر في حقّ ابن تيمية شيئاً في كتاب "تذكرة الحفاظ"، لكنّه نصحه في رسالة بعثها إليه، وهذه الرسالة مطبوعة في تكملة كتاب السيف الصقيل للكوثري: ص ١٩٠، كتبه من خطّ قاضي القضاة برهان الدين ابن جماعة، وكتبه هو من خطّ الشيخ الحافظ أبي سعيد ابن العلاءي وكتبه هو من خطّ الذهبي وفي آخر الرسالة جاء: أما آن لك أن ترعوي؟ أما حان لك أن تتوب وتنب؟ أما





أنت في عمر سبعين وقد قرب الرحيل؟ والله ما أذكر أنك تذكر الموت، بل تزدرى بمن يذكر الموت، فما أظنك تقبل على قولي ولا تصغي إلي وعظي، بل لك همة كبيرة في نقض هذه الورقة بمجلدات! فإذا كان هذا حالك عندي وأنا الشفوق المحبّ الواد فكيف حالك عند أعدائك، وأعدائك والله فيهم صلحاء وعقلاء وفضلاء كما أن أولياءك فيهم فجرة كذبة جهلة... (انظر تكملة السيف الصقيل للكوثري: ص ١٩٠). ومنهم: صدر الدين المرخل، كان عالماً، يضرب المثل باسمه فارساً في البحث نظاراً مفرط الذكاء عجيب الحافظة وله مع ابن تيمية المناظرات الحسنة وبها حصل عليه التعصّب من أتباع ابن تيمية (انظر طبقات الشافعية للسبكي ج ٩: ص ٢٥٣). ومنهم: علي بن عبد الكافي السبكي كان أحد المناضلين ضدّ آراء ابن تيمية، خصوصاً في مسألة تحريم الزيارة والسفر إلى قبر الرسول ﷺ. يقول ولده: إمام ناضح عن رسول الله بنضاله، وجاهد بجداله، حمى جناب النبوة الشريف بقيامه في نصره... قام حين خلط على ابن تيمية الأمر وسوّ له الخوض في ضحضاح ذلك الجمر، حين سدّ باب الوسيلة، وأنكر شدّ الرحال لمجرد الزيارة (انظر طبقات الشافعية للسبكي ج ١٠: ص ١٤٩-١٥٠). ويقول السبكي أيضاً في ديباجة كتابه "الدرة المضيئة في الردّ على ابن تيمية" ما هذا نصّه: لما أحدث ابن تيمية ما أحدث في أصول العقائد ونقض من دعائم الإسلام الأركان والمعاهد، بعد أن كان مستتراً بتبعيّة الكتاب والسنة مظهرًا أنّه داع إلى الحقّ، هاد إلى الجنة، فخرج عن الاتّباع إلى الابتداع، وشدّ عن جماعة المسلمين بمخالفة الإجماع، وقال بما يقتضي الجسميّة والتركيب في الذات المقدّسة وأنّ الافتقار إلى الجزء ليس بمحال، وقال بحلول الحوادث بذات الله تعالى (انظر الدرة المضيئة للسبكي: ص ٥). له كتاب آخر أيضاً أسماه "شفاء السقام في زيارة خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام" أثبت فيه استحباب الزيارة بروايات كثيرة كما أثبت جواز السفر للزيارة وطبع بمصر عام ١٣١٨هـ وقدم له مقدّمة الشيخ محمّد بخيت أسماها بـ "تطهير الفؤاد من دنس الاعتقاد". ومنهم: محمّد بن شاكر الكتبي الذي ألّف كتاب "فوات الوفيات" تذيلاً لكتاب "وفيات الأعيان" لابن خلكان، فقال في ترجمة ابن تيمية أنّه ألّف رسالة في فضل معاوية وفي أنّ ابنه يزيد لا يسبّ (انظر فوات الوفيات





للكتبي ج ١: ص ٧٧). وهذه الرسالة تعرب عن نزعاته الأموية ويكفي القول في "الوالد وما ولد" أن الأول بدّل الحكومة الإسلامية إلى الملوكية الموروثة، ودعى عباد الله إلى ابنه يزيد، المتكبر، الخمير، صاحب الديوك والفهود والقروود، وأخذ البيعة له على خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعيد، وهو المجاهر بكفره بقوله: لعبت هاشم بالملك *** فلا خبر جاء ولا وحي نزل. والثاني قتل الإمام السبط الحسين عليه السلام أولاً، وارتكب مجزرة الحرّة ثانياً، وأحرق الكعبة ثالثاً. ومنهم: أبو محمد اليافعي، قال في ترجمة ابن تيمية: مات بقلعة دمشق تقي الدين أحمد بن تيمية معتقلاً ومنع قبل وفاته بخمسة أشهر عن الدواة والورقة، وسمع من جماعة، وله مسائل غريبة أنكر عليه وحبس بسببها مباينة لمذهب أهل السنة، ومن أقبحها نهيه عن زيارة النبي، وكذلك عقيدته في الجهة (انظر مرآة الجنان لليافعي ج ٤: ص ٢٤٠، في حوادث سنة ٧٢٨). ومنهم: أبو بكر الحصني الدمشقي، يقول: فاعلم إنني نظرت في كلام هذا الخبيث الذي في قلبه مرض الزيغ، المتتبع ما تشابه من الكتاب والسنة، ابتغاء الفتنة وتبعه على ذلك خلق من العوام وغيرهم ممن أراد الله عز وجل إهلاكه، فوجدت فيه ما لا أقدر على النطق به، ولا لي أنامل تطاوغي على رسمه وتسطيره، لما فيه من تكذيب رب العالمين، في تنزيهه لنفسه في كتابه المبين، وكذا الازدراء بأصفيائه المنتخبين، وخلفائهم الراشدين، وأتباعهم الموقفين، فعدلت عن ذلك إلى ذكر ما ذكره الأئمة المتقون وما اتفقوا عليه من تبديعه وإخراجه ببعضه من الدين (انظر كتاب دفع شبه من شبه وتمرد للدمشقي: ص ٢١٦). ومنهم: شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني، وهو أعرف وأشهر من أن يعرف قال في كتابه: "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة": أول ما أنكروا على ابن تيمية من مقالاته في شهر ربيع الأول سنة ٦٩٨، قام عليه جماعة من الفقهاء بسبب الفتوى الحموية وبحثوا معه ومنع من الكلام. ثم ذكر معتقلاته وسجونه إلى أن أدركته المنية (انظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ج ١: ص ١٧١). ومنهم: جمال الدين يوسف بن تغري الأتابكي، وهو مؤلف "المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي" نقل فيه عن القاضي كمال الدين الزملكاني الجملة التالية: ثم جرت له محن في مسألة الطلاق الثلاث وشدّ الرحال إلى قبور الأنبياء والصالحين،





وحبّب للناس القيام عليه، وحبس مرّات في القاهرة والإسكندرية ودمشق، وعقد له مجالس بالقاهرة ودمشق إلى أن ورد مرسوم شريف من السلطان في شعبان سنة ٧٢٦ بأن يجعل في قلعة دمشق، فأقام فيها مدة مشغولاً بالتصنيف، ثمّ بعد مدّة منع من الكتابة والمطالعة وأخرجوا ما كان عنده من الكتب ولم يتركوا عنده دواتا ولا قلم ولا ورقة. ثمّ إنه نقل أنه كتب عليه محضر وقد أمر فيه أنّه أشعري وإليك ما كتبه بخطّه: أنا أعتقد أن القرآن معنى قائم بذات الله وهو صفة من صفات ذاته القديمة وهو غير مخلوق وليس بحرف ولا صوت، وأنّ قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ليس على ظاهره، ولا أعلم كنه المراد به، بل لا يعلمه إلا الله، والقول في النزول كالقول في الاستواء، وكتبه أحمد ابن تيمية ثمّ أشهدوا عليه جماعة أنّه تاب ممّا ينافي ذلك مختاراً وشهد عليه بذلك جمع من العلماء وغيرهم (انظر الفتاوى الحديثة لابن حجر المكي: ص ٨٦، نقله العلامة الشيخ محمد بخيت في كتاب تطهير الفؤاد: ص ٩، طبع مصر، ولابن حجر كلمة أخرى في كتابه "الجوهر المنتظم في زيارة القبر الشريف النبوي المكرم" نقلها القضاعي العزامي في كتابه "فرقان القرآن": ص ١٣٢، وهو مقدّمة لكتاب "الأسماء والصفات" لليهقي).

ومنهم: شهاب الدين ابن حجر الهيتمي، وهو أشهر من أن يعرف. قال في ترجمة ابن تيمية: ابن تيمية عبد خذله الله وأضله وأعماه وأصمّه وأذله، وبذلك صرّح الأئمة الذين بيّنوا فساد أحواله وكذب أقواله ومن أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد، المتّفق على إمامته وجلالته وبلوغه مرتبة الاجتهاد، أبي الحسن السبكي وولده التاج والشيخ الإمام العزّ بن جماعة وأهل عصرهم وغيرهم من الشافعية والمالكية والحنفية ولم يقصر اعتراضه على متأخري الصوفية، بل اعترض على مثل عمر بن الخطّاب وعلي بن أبي طالب... (انظر شرح شرح الشفاء في هامش نسيم الرياض لملاّ علي القاري ج ٣: ص ٥١٤). ومنهم: ملاّ علي القاري إنّ كتاب "الشفاء في تعريف حقوق المصطفى" تأليف عياض بن موسى المتوفى عام ٥٤٤هـ، من أنفس الكتب وقد شرحه عدّة من الأعلام منهم ملاّ علي القاري، قال في الفصل المخصّص بزيارة النبي ﷺ: إنّ ابن تيمية من الحنابلة حرّم السفر لزيارة النبي وهو قد أفرط، كما أفرط غيره حيث قال: إنّ الزيارة قربة معلوم





من الدين بالضرورة وجاحده محكوم عليه بالكفر، ولعلّ الثاني أقرب إلى الصواب، لأنّ تحريم ما أجمع العلماء فيه بالاستحباب يكون كفراً، لأنّه فوق تحريم المباح المتفق في هذا الباب (انظر شرح شرح الشفاء في هامش نسيم الرياض لملاً علي القاري ج ٣: ص ٥١٤). ومنهم: أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي، الشهير بابن القاضي لقد ترجم ابن القاضي هذا ابن تيمية في ذيل وفيات الأعيان المسمى بـ "درة الحجال في أسماء الرجال" بقوله: أحمد بن عبد الحليم مفتي الشام ومحدثه وحافظه، وكان يرتكب شواذ الفتاوى ويزعم أنّه مجتهد (انظر درة الحجال للمكناسي ج ١: ص ٣٠). ومنهم: الشيخ محمد بخيت المصري، يقول في كتابه "تطهير الفؤاد من دنس الاعتقاد" الذي طبع مقدّمة لكتاب شفاء السقام للسبكي: ومن الفريق الثاني الذي طمس الله على قلبه وطبع عليه أهل البدع في العقائد والأعمال الذين خالفوا الكتاب والسنة والإجماع، فضلوا وأضلوا كثيراً قاتلهم الله أنّى يؤفكون، ومأواهم جهنّم وساءت مصيراً، وقد ابتلي المسلمون بكثير من هذا الفريق سلفاً وخلفاً، فكانوا وصمة وثلمة في المسلمين وعضواً فاسداً يجب قطعه حتّى لا يعدي الباقي، فهو المجدوم الذي يجب الفرار منه، ومنهم ابن تيمية الذي ألف كتابه المسمى بـ "الواسطية" وغيره، فقد ابتدع ما خرق به إجماع المسلمين، وخالف فيه الكتاب والسنة الصريحة والسلف الصالح، واسترسل مع عقله الفاسد وأضلّه الله على علم فكان إلهه هواه ظناً منه بأنّ ما قاله حقّ وما هو بالحقّ وإنّما هو منكر من القول وزور (انظر تطهير الفؤاد للسبكي: ص ٩). وقال: ولما أنّ تظاهر قوم في هذا العصر بتقليد ابن تيمية في عقائده الكاسدة وتعزيد أقواله الفاسدة وبثّها بين العامة والخاصّة واستعانوا على ذلك بطبع كتابه المسمى بـ "الواسطية" ونشره، وقد اشتمل هذا الكتاب على كثير ممّا ابتدعه ابن تيمية مخالفاً في ذلك الكتاب والسنة وجماعة المسلمين، فأيقظوا فتنة كانت نائمة، فقياماً بما يجب علينا كنّا عزمنا على جمع مؤلّف في الردّ على ذلك الكتاب حتّى لا يقع المسلمون بواسطة ابن تيمية ومن هم على شاكلته في مهود الضلال والهلاك الأبديّة، غير أنا وجدنا كتاب الإمام الجليل والمجتهد الكبير تقي الدين أبي الحسن السبكي بـ "شفاء السقام في زيارة خير الأنام" وافياً بالغرض المقصود... فاكفينا بطبعه ونشره (انظر تطهير





الفؤاد للسبكي: ص ٩). منهم: الشيخ يوسف النبهاني، قال في تأليفه "شواهد الحق" بعد ما نقل أسماء عدّة من الطاعنين فيه: فقد ثبت وتحقّق أنّ علماء المذاهب الأربعة قد اتّفقوا على ردّ بدع ابن تيمية، ومنهم من طعنوا بصحّة نقله، كما طعنوا بكمال عقله، فضلاً عن شدّة تشنيعهم عليه في خطئه الفاحش في تلك المسائل التي شدّ بها في الدين، وخالف بها إجماع المسلمين، ولا سيّما فيما يتعلّق بسيد المرسلين ﷺ (انظر شواهد الحق المطبوع ضمن مجموعة تحتوي رسائل أربع جمعه حسين حلمي وطبعه بإسلامبول). ومنهم: الشيخ سلامة القضاعي العزامي، وهو من كبار علماء مصر الأزهريين وكتابه "فرقان القرآن"، كتاب بديع كتبه ردّاً على هفوات ابن تيمية يقول في حقّه: ومن عجيب أمر هذا الرجل أنّه إذا ابتدّع شيئاً حكى عليه إجماع الأولين والآخرين كذباً وزوراً، وربما تجد تناقضه في الصفحة الواحدة فتجده في "منهاج السنّة" مثلاً يدّعي أنّه ما من حادث إلّا وقبله حادث إلى ما لا نهاية له في جانب الماضي، ثمّ يقول: وعلى ذلك أجمع الصحابة والتابعون، وبعد قليل يحكي اختلافاً للصحابة في أوّل مخلوق ما هو؟ أهو القلم أم الماء؟ وقد جمع تلميذه "ابن زفيل" (يريد: ابن القيم) سفاهاته ووساوسه في علم أصول الدين في قصيدته النونية (لاحظ فرقان القرآن: ص ١٣٢ و ١٣٧ ألفه عام ١٣٥٨، والقصيدة النونية تتجاوز عن خمسة آلاف بيت أكثرها يهدف إلى إثبات الجهة والجسميّة وغير ذلك وقد كتب السبكي عليه ردّاً سمّاه "السيف الصقيل"). ومنهم: الشيخ محمّد الكوثري المصري، وهو أكثر الناس تتبّعاً لمكامن حياة ابن تيمية، وقد خدم خدمة جليّة بنشر كتاب "السيف الصقيل" للسبكي وجعل له تكملة نشرها معاً، فمن وقف على هذا الكتاب وما ذيل به، يعرف مواقف هذا الرجل، وقيّمته في ميزان العلماء المعاصرين له والمتأخرين عنه. وإليك كلمة منه في حقّ الحشويّة يقول في تقديمه لكتاب "الأسماء والصفات" للحافظ البيهقي، بعد سرد أسماء عدّة من كتب الحشوية كالاستقامة لخشيش بن أصرم، و"السنة" لعبد الله بن أحمد، و"النقض" لعثمان بن سعيد الدارمي السنجري المجسم: وهو أوّل من اجترأ بالقول: "إنّ الله لو شاء لاستقرّ على ظهر بعوضة لاستقلت به بقدورته فكيف على عرش عظيم"، وتابعه الشيخ ابن تيمية الحرّاني في ذلك كما تجد نصّ



أحدها: ما زعمه من كذب ما قاله الشيعي في بيان أصناف الصحابة^(١)،



كلامه في "غوث العباد" المطبوع سنة ١٣٥١ بمطبعة الحلبي (انظر مقدمة الأسماء والصفات للبيهقي: ص ٨). وقال في حق ابن تيمية: كل ما في الرجل أنه كان له لسان طلق، وقلم سيال، وحافظة جيدة، قلب - بنفسه بدون أستاذ رشيد - صفحات كتب كثيرة جداً من كتب النحل التي كانت دمشق امتلأت بها بواسطة الجوافل من استيلاء المغول على بلاد الشرق، فاغتر بما فهمه من تلك الكتب من الوسوس والهواجس حتى طمحت نفسه إلى أن تكون قدوة في المعتقد والأحكام العملية (انظر تكملة السيف الصقيل للكوثري: ص ٥). ومنهم: الشيخ محمد أبو زهرة، وقد ألف كتاباً في حياة ابن تيمية وشخصيته وأغمض عن كثير من الجوانب السلبية في شخصيته وحياته، ومع ذلك انتقده في موارد، منها: منعه التبرك بآثار الرسول ﷺ وقال: إننا نخالف ابن تيمية منعه التبرك بزيارة قبر الرسول والمناجاة عنده وعدم الندب إليه، وإن التبرك الذي نريده ليس هو العبادة أو التقرب إلى الله بالمكان، وإنما التبرك هو التذكر والاعتبار والاستبصار... (انظر ابن تيمية، حياته وشخصيته للشيخ محمد أبو زهرة: ص ٢٢٨). وإلى غير ذلك من أقوالهم في ترجمته، فكما ترى مع علمهم بضلالته وانحرافه يقدسونه إلا القليل منهم، فكأنما شخصيته عندهم أعظم من شخصية رسول رب العالمين ﷺ وأهل بيته المعصومين عليهم السلام، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أن العلامة الحلبي رحمه الله قد قسم الصحابة إلى أقسام، فقال ما حاصل كلامه: وإنما وجب متابعة مذهب اثني عشرية الشيعة، فإنه لما عمت البلية في موت النبي ﷺ اختلف الناس من بعده بحسب أنظارهم، فبعضهم طلب سلطانه لنفسه بالباطل وتابعه الغالب طلباً للدنيا مثل اختيار ابن سعد قتل الحسين عليه السلام طلباً للدنيا، وبعضهم اشتبه عليه الحق ووجد لطالب الدنيا متابعاً فبايعه وتابعه ولم يفحص عن الحق، وبعضهم قلّد الجرم الغفير لقصور فطنته فتابعه، وبعضهم طلب ذلك لنفسه بحق وتابعه قليل منهم، كما قال





سبحانه: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سورة السبأ: ١٣). فوجب على كل عاقل الفحص عن الحق بعد إنصافه من نفسه حتى يجعل الحق في مقره (انظر منهاج الكرامة: ص ٣٥). ولا شك أن هذا التقسيم بحسب واقع الأمر بالنسبة إلى ما اختاره الصحابة بعد وفاة رسول الله ﷺ أمر محقق بلا ريب، ومعناه أن تقسيمه ﷺ مطابق لما جاء في الكتاب والسنة النبوية المتفق عليها بين الفريقين في وصف الصحابة، لأن اختيار كل صنف من الصحابة كان بحسب ما أخبر القرآن والروايات عن حالهم وأوصافهم. ولذلك قال السيد شرف الدين الموسوي عند ذكره رأي الشيعة في الصحابة في جواب موسى جاز الله ما هذا نص عبارته: إن من وقف على رأينا في الصحابة علم أنه أوسط الآراء، إذ لم نفرط فيه تفريط الغلاة الذين كفروهم جميعاً، ولا أفرطنا إفراط الجمهور الذين وثقوهم أجمعين، فإن الكاملية ومن كان في الغلو على شاكلتهم، قالوا: بكفر الصحابة كافة، وقال أهل السنة: بعدالة كل فرد ممن سمع النبي ﷺ أو رآه من المسلمين مطلقاً، واحتجوا بحديث كل من دب أو درج منهم أجمعين أكتعين أبصعين. أما نحن فإن الصحبة بمجردها وإن كانت عندنا فضيلة جلية، لكنّها - بما هي ومن حيث هي - غير عاصمة، فالصحابة كغيرهم من الرجال فيهم العدول، وهم عظمائهم وعلماؤهم، وأولياء هؤلاء وفيهم البغاة، وفيهم أهل الجرائم من المنافقين، وفيهم مجهول الحال، فنحن نحتج بعدولهم ونتولاهم في الدنيا والآخرة، أما البغاة على الوصي وأخي النبي، وسائر أهل الجرائم والعظائم كابن هند، وابن النابغة، وابن الزرقاء وابن عقبة، وابن أوطاة، وأمثالهم فلا كرامة لهم، ولا وزن لحديثهم، ومجهول الحال نتوقف فيه حتى نتبين أمره، هذا رأينا في حملة الحديث من الصحابة وغيرهم، والكتاب والسنة بيننا على هذا الرأي، كما هو مفصل في مظانه من أصول الفقه، لكن الجمهور بالغوا في تقديس كل من يسمونه صحابياً حتى خرجوا عن الاعتدال فاحتجوا بالغث منهم والسمين واقتدوا بكل مسلم سمع النبي ﷺ أو رآه ﷺ اقتداء أعمى، وأنكروا على من يخالفهم في هذا الغلو، وخرجوا في الإنكار على كل حد من الحدود، وما أشد إنكارهم علينا حين يروننا نرد حديث كثير من الصحابة مصرحين، بجرحهم أو بكونهم مجهولي الحال، عملاً بالواجب الشرعي في تمحيص الحقائق





الدينية، والبحث عن الصحيح من الآثار النبوية، وبهذا ظنوا بنا الظنوناً، فاتَّهمونا بما اتَّهمونا رجماً بالغيب، وتهافتاً على الجهل، ولو ثابت إليهم أحلامهم ورجعوا إلى قواعد العلم لعلموا أنَّ أصالة العدالة في الصحابة ممَّا لا دليل عليه، ولو تدبَّروا القرآن الحكيم لوجدوه مشحوناً بذكر المنافقين منهم، وحسبك من سوره التوبة والأحزاب وإذا جاءك المنافقون، ويكفيك من آياته المحكمة قوله تعالى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ (سورة التوبة: ٩٧)، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا يَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ (سورة التوبة: ١٠١)، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ ابْتِغَوْا نَفْتَةً مِنْ قَبْلُ وَكَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (سورة التوبة: ٤٨)، وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ أُولُوا بِمَا لَمْ يَنْالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (سورة التوبة: ٧٤). فليتني أدري أين ذهب المنافقون بعد رسول الله ﷺ وقد كانوا جرعه الغصص مدة حياة، حتَّى دحرجوا الدباب وصدَّوه عن الكتاب، وقد تعلمون أنَّه ﷺ خرج إلى أحد بألف من أصحابه فرجع منهم قبل الوصول ثلاث مئة من المنافقين، وربما بقي معه منافقون لم يرجعوا خوف الشهرة أو رغبة بالدفاع عن أحساب قومهم، ولو لم يكن في الألف إلا ثلاث مئة منافق، لكفى دليلاً على أنَّ النفاق كان زمن الوحي فاشياً، فكيف ينقطع بمجرد انقطاع الوحي ولحوق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى؟ فهل كانت حياته سبباً في نفاق المنافقين؟! وموته سبباً في إيمانهم وعدالتهم وصيرورتهم أفضل الخلق بعد الأنبياء ﷺ وكيف انقلبت حقائقهم بعد وفاته ﷺ فأصبحوا - بعد ذلك النفاق - بمثابة من الفضل لا يقدر فيها شيء ممَّا ارتكبه من الجرائم والعظائم، وما المقتضي للالتزام بهذه المكابرات؟! التي تنفر منها الأسماع والأبصار والأفئدة؟ وما الدليل على هذه الدعاوي من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس؟ وما ضررنا لو صدعنا بحقيقة أولئك المنافقين، فإنَّ الأمة في غنى عنهم بالمؤمنين المستقيمين من الصحابة، وهم أهل السوابق والمناقب، وفيهم الأكثرية الساحقة، ولا سيما علماؤهم وعظماؤهم حملة الآثار النبوية، وسدنة الأحكام الإلهية ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ



فإنه من عجيب مناقضاته لنفسه^(١)،



خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» وهم في غنى عن مدحة المادحين بمدحة الله تعالى،
وثنائه عليهم في الذكر الحكيم، وحسبهم تأييد الدين ونشر الدعوة إلى الحق المبين...
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ
آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (انظر أجوبة مسائل جار الله: ص ١٤). وعليه فما زعمه
ابن تيمية هنا واضح البطلان كما تبين من خلال بيان أقوالهم، ومن الواضح أن نظرية
الشيعة وأقوال علمائها واضحة وصريحة في كتبهم، وكفي للباحث المراجعة إلى
كتبهم، ومن راجع إلى كتبهم يتبين له بطلان ما زعمه ابن تيمية في هذا المجال، فلاحظ.
(١) وذلك لأن ما ذكره ابن تيمية هنا أولاً: اعتراف منه على عدم صحة نظرية عدالة الصحابة
بصورة جمعاء، لأنه قسم الصحابة إلى المعروفين وغير المعروفين، وهذا معناه صحة
تقسيم العلامة رحمته الله الصحابة إلى أقسام، ولو على نحو الاجمال، إذ لو صح تقسيمه عنده،
معناه رفع اليد عن العموم، ورفع اليد عن العموم معناه عدم صحة القول بعدالة الصحابة
بصورة العموم. وثانياً: أن ما ذكر ابن تيمية في الجواب لا يرتبط بما بينه العلامة
الحلي رحمته الله في تقسيم الصحابة، إذ تقسيم العلامة الحلي رحمته الله أعم من ملاحظة المعروفين
من الصحابة وعدمه. وتوضيح المقام أن نظرية الشيعة في الصحابة مطابقة لما أنزل الله
تعالى في حقهم من المدح والقدح، في القرآن الكريم، ولما ورد في حقهم من
الأحاديث النبوية الشريفة المتفقة عليها بين جميع المسلمين، ولو أنصف الباحث ودرس
الآيات والروايات مجردة من العصبية المذهبية لوجد أن هذا الرأي وسط الآراء، لأن
الشيعة تعتقد بأن الصحابة كبقية الناس يدخلون في الضابطة العامة ضمن قوله تعالى: ﴿إِنَّ
أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾ (سورة الحجرات: ١٣)، فإن الآية الكريمة تصرح أن الناس لا
يتفاضلون إلا بالتقوى دون استثناء، فكل المسلمين يعلمون منزلة أبي لهب عم النبي صلى الله عليه وسلم
حسب هذه الآية، فنزل فيه قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يُدَا أَيْ لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (سورة المسد: ١)،
فلم يكن للعنصر النسبي دور في الحكم، والميزان الحقيقي عند الله تعالى إنما هو التقوى.



لأنه قد نصّ بنفسه على أنه لم يكن في الصحابة المعروفين ذلك، فعلم من نفيه عن المعروفين وجوده فيهم في غير المعروفين^(١).



ولذا فإنّ الشيعة الإمامية تحترم كلّ صحابي آمن بالله ورسوله ﷺ، وعمل صالحاً، ولم يتبدّل أو يبدّل بعد رسول الله ﷺ. وعليه متى ما ثبت انحراف أحد من الصحابة، فإنّ الشيعة تخرجه من دائرة الاحترام فيما انحرف فيه من الاعتقاد أو السلوك، خصوصاً وإن جميع الفرق الإسلامية تنفي العصمة عن غير أنبياء الله ﷺ، بل وردت أخبار تشير الى هذا المعنى، منها قوله ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض، ألا ليزادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضالّ، أناديهم ألا هلمّ ألا هلمّ، فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً» (انظر صحيح مسلم ج ١: ص ١٨٠ كتاب الطهارة، باب استحباب الغرّة والتحجيل). وفي رواية «فأقولن: أي ربّ أصحابي أصحابي» (انظر صحيح مسلم ج ٧: ص ٧٠ كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ). فصحابة النبي الأكرم ﷺ وإن تشرفوا برؤية النبي الأكرم ﷺ وتشرفوا بكرامة صحبته ﷺ، وبذل ليف من نفوسهم والنفيس في نشر الإسلام، ورفع قواعده بجهادهم المتواصل، إلّا أنّ الحقائق التي ثبتت في التاريخ لا بدّ أن نلاحظها ونعرضهم على الموازين والمعايير التي علّمنا القرآن الكريم والسنة النبوية المتّفقة بين الفريقين لمعرفة إيمان الأشخاص وعدمه. فالشيعة تعتقد بأنّه لا يجوز لمسلم أن يحكم بأمر شرعيّ إلّا بالرجوع إليهما، ولا يخالفهما إلّا منافق أو التاجر بالدين. والكتاب والسنة يشيان على الصحابة المؤمنين ويقدحان في غير المؤمنين منهم، لما فعلوا من الجرائم والآثام، كما سيّضح ذلك في محلّه إن شاء الله تعالى. فهذا إجمال القواعد والضوابط التي وردت في القرآن والسنة النبوية في معرفة حقيقة الصحابة، وهذه وقد اتّبعها الشيعة، وحيث لا يمكن مخالفتها، فقد وقع ابن تيمية في تناقض عجيب، إذ من ناحية لا يمكنه الردّ على الكتاب والسنة بالصرحة، ومن ناحية أخرى لا يحبّ رفع اليد عمّا ادّعه أهل السنة بالنسبة إلى عدالة الصحابة بصورة جماعي، فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أنّ ما ذكره ابن تيمية في الردّ على التقسيم، اعتراف منه على وجود



والشيعي لم يقل بوجود ذلك في المعروفين، بل قال: بوجوده في الصحابة وهم صادقون على المعروفين وغيرهم^(١)،



التقسيم بين الصحابة إلى قسمين. وهذا مناقض لما ذكره علماء أهل السنة في باب عدالة الصحابة، فإنهم متفقون على نظرية عدالة الصحابة بصورة جماعية. وقد استشكل عليهم علماء الشيعة كالعلامة الحلي^(٢) وغيره بأن الصحابة بحسب اختيارهم تنقسم إلى أقسام؛ فإن كل الباحث لو راجع المصادر التاريخية ودرس حياة الصحابة في المجالات المختلفة يجد أن سيرتهم في حد نفسها دليل على عدم صحة هذه نظرية عدالة الصحابة مع قطع النظر عما ورد في الكتاب والسنة في حقهم، وأن هذه النظرية ليس مطابقة للواقع وليس تحتها شيء ولم تكن مبنية على معالم الدين. ومن هنا نجد أن ابن تيمية أراد بقوله المعروفين من الصحابة... التخلص من هذا الإشكال المتوجّه إلى جميع أهل السنة، وهو القول بعدالة جميع الصحابة. حيث أن هذه النظرية تنتهي إلى التناقض، ولذلك أن مالك ابن أنس قد أعلن ندامته لتدوين حديث الحوض في كتابه الموطأ، وكذلك الشافعي قد أظهر تأسفه لتدوين مالك لحديث الحوض، وغيرهم مع قبولهم صحة الحديث فهم يوافقون بطلان نظرية عدالة الصحابة بصورة جماعية. قال صاحب كتاب فتح الملك العلي: حكي عن مالك أنه قال: ما ندمت على حديث أدخلته في الموطأ إلا هذا الحديث!! وعن الشافعي أنه قال: ما علمنا في كتاب مالك حديثاً فيه إضرار على الصحابة إلا حديث الحوض، وودنا أنه لم يذكره (انظر فتح الملك العلي لأحمد بن محمد بن الصديق الحسني المغربي الغماري: ص ١٥١). فكما ترى وجود التناقض البين في هذه النظرية صار سبب تأسفهم على نقل حديث صحيح عندهم. وعلى كل تقدير فإن هذا التناقض قد دفع ابن تيمية إلى الاعتراف بتقسيم الصحابة إلى المعروفين وغيرهم، فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أن التقسيم الذي له أثر في المقام هو عبارة عن تقسيم الصحابة إلى الصادقين وغير الصادقين. وتوضيح المقام أن ما ذكره العلامة الحلي^(٢) في المقام تقسيم



فعلم من هذه الفقرة تصديق السنّي للشيوعي بأنّ ما قسّمه موجود في



الصحابة بحسب ما اختاروا من المسلك والمذهب بعد وفاة رسول الله ﷺ، حيث أنّهم اختلفوا من بعد وفاة رسول الله ﷺ، فبعضهم اختار الدنيا على الآخرة، وطلب السلطة الجائرة لنفسه، وتبعه جماعة منهم طلباً للدنيا، مثل اختيار ابن سعد قتل الإمام الحسين عليه السلام طلباً لحكومة الري. وبعضهم اشتبه عليه الحقّ ووجد لطالب الدنيا متابعاً فبايعه وتابعه من دون أن يفحص عن الحقّ، وبعضهم قلّد الجرم الغفير لقصور فطنتهم تابعوا السلطة الجائرة، وبعضهم تابعوا ما أمرهم الله ورسوله فطلبوا ما هو الحق بحسب ما جاء في النصوص كتاباً وسنة، وهؤلاء عددهم قليل، كما قال سبحانه: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سورة السبأ: ١٣)، ومن هنا يعرف أنّه يجب على كلّ عاقل أن يفحص عن الحقّ بعد إنصافه من نفسه حتّى يجعل الحقّ في مقرّه (انظر منهاج الكرامة: ص ٣٥). فما ذكره ﷺ من التقسيم مطابق لما تحقق في الخارج، والشاهد على ذلك التاريخ وسيرة الصحابة وهو أمر واضح لكل من راجع كتب الفريقين. ثم إنّ الخير يعلم بأنّ نظريّة عدالة الصحابة مخالف للمعايير الشرعيّة الواردة في الكتاب والسنة النبويّة المتّفقة عليها بين الفريقين، بل وحتّى مخالف للأدلة العقليّة والأصول العقلانيّة والعرفيّة، فما ذكره العلامة الحليّ ﷺ في المقام كلام دقيق ولذلك تجده أنّه ﷺ لم يذكر في تقسيمه المعروفين من الصحابة، لأنّ المعروفين منهم قد انتشروا بين الأقسام المذكورة، فلا حاجة لجعلهم في قسم خاصّ، ففي كلّ قسم منهم تجد بعضهم من المعروفين. بل أنّ تقسيمه قد ينطبق على المعروفين وقد لا ينطبق عليهم، ولكن حيث أنّ ابن تيمية لم يجد مفراً مما ذكره العلامة الحليّ ﷺ المطابق لواقع الأمر ولما ورد في النصوص، وما جاء في كتبهم، فأراد أن ينكر حقيقة الأمر تخلصاً مما وقع فيه، فالتجأ إلى أمر غير ذات أهمية بحسب الموضوع في المقام وهو تقسيم الصحابة إلى المعروفين وغيرهم. فإنّ كلّ عاقل يفهم من كلام العلامة ﷺ عدم الارتباط بين ما ذكره العلامة ﷺ وبين ما ذكره ابن تيمية من هذا الكلام التافه، فلاحظ.

الصحابة^(١)، وليست هذه منه بأول مناقضة ومخالفة للشريعة بل جرت سيرته على ذلك حسبما عرفت^(٢).

(١) وتوضيح المقام أنّ ما ذكره ابن تيمية بعنوان الجواب على ما بينه العلامة الحلبي رحمه الله في تقسيم الصحابة، أولاً: اعتراف منه على عدم صحة نظرية عدالة الصحابة بصورة جمعاء، لأنّ ما ذكره العلامة الحلبي رحمه الله في التقسيم هو: أنّ قسم من الصحابة خرجوا من الحق طلباً للدنيا والسلطة بالباطل سواء كانوا من المعروفين وغير المعروفين، فأقرّ بذلك ابن تيمية بقبوله تقسيم الصحابة فقط بالمعروفين وغير المعروفين. وهذا معناه قبول التقسيم تلويحاً لعدم تعرّضه على غير ذلك.

وثانياً: أنّ قبول التقسيم إلى المعروفين وغير المعروفين معناه صحة التقسيم في الصحابة، وصحة التقسيم في الصحابة معناه رفع اليد عن عموم قاعدة عدالة الصحابة، ورفع اليد عن العموم معناه صحة تقسيم الصحابة إلى عدول وغير العدول.

وثالثاً: أنّ ما ذكره ابن تيمية في الجواب لا يرتبط بما بينه العلامة الحلبي رحمه الله في تقسيم الصحابة، إذ تقسيم العلامة الحلبي رحمه الله أعمّ من ملاحظة المعروفين من الصحابة وعدمه، وعليه فلا وجه لما ذكره ابن تيمية في المقام، كما سيتضح ذلك للقارئ الكريم من خلال المطالب الآتية أكثر وضوحاً إن شاء الله تعالى.

(٢) لا يخفى على من تأمل في كتب ابن تيمية الأمور المتناقضة التي توجد في محاوراته، بحيث يدّعي الباحث أنّ طريقة الجارية عند الرجل عدم استحالة اجتماع النقيضين وارتفاعهما عنده. وعلى سبيل المثال نذكر بعض الموارد المذكورة في كتبه. منها: ما ذكره في باب خلافة أبي بكر من أنّ خلافته كانت بإجماع الصحابة الذين استقرّ رأيهم على خلافة أبي بكر في سقيفة بني ساعدة، وادّعى بأنّه قد أعطى رسول الله ﷺ هذا الإجماع الشرعيّ بقوله: لا تجتمع أمتي على خطأ.

أقول: بغضّ النظر عن أدلة بطلان حجّة الإجماع والنقاش فيه، فإنّه لا يوجد إجماع من قبل الصحابة على خلافة أبي بكر فقد تواترت الروايات التي ذكرها ابن تيمية على أنّ الأنصار بأسرهم كانوا مخالفين لخلافة أبي بكر، وعلى رأسهم سعد بن عبادَة قائد



المعارضة، ولذلك أنَّ عمر كان ينادي في السقيفة: اقتلوا سعد قتله الله، فهذا من ناحية يكون مناقضا لما ادعاه من الاجماع. ومن ناحية أخرى أنَّ من مسلم عند الكل أنَّ مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وجميع بني هاشم وكثير من الصحابة الذين كانوا من الشيعة واتباع الإمام لم يكونوا حاضرين في السقيفة ولم وكانوا من المخالفين لخلافة أبي بكر. ولذلك جاء عمر إلى بيت الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهدد بحرق الدار عليهم ان لم يبايعوا أبا بكر!! فهؤلاء الذين تخلفوا عن بيعة ابو بكر كانوا من أعظم الصحابة عند أتباع خلافة السقيفة. نذكر بعضهم من باب المثال: فمنهم: فروة بن عمرو، الذي شهد بيعة العقبة الثانية، وشهد بدرًا وأحدًا والخندق وباقي المشاهد، واستعمله رسول الله ﷺ على المغانم يوم خيبر، وكان من أصحاب علي بن أبي طالب في موقعة الجمل. وهو ممن تخلف عن أبي بكر، وهو من أصحاب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وممن شهد معه الجمل، وهو ممن تخلف عن بيعة أبي بكر. ومنهم: خالد بن سعيد الأموي، وقد أسلم قبل أبي بكر، بل قيل ثالث أو رابع من أسلم، وقيل خامس من أسلم، قال ابن قتيبة في المعارف: أسلم قبل إسلام أبي بكر وسعد بن عباد كما سلفنا، وحذيفة بن اليمان، وخزيمة، أبو بريدة الأسلمي، وسهل بن حنيف، وقيس بن سعد، وأبو أيوب الأنصاري، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأبي ذر الغفاري، وسلمان المحمدي، والزبير، والمقداد، وأبي بن كعب و... فكل هؤلاء من كبار الصحابة. وعليه فإنَّ حديث أنَّ أمتي لا تجتمع على الخطأ لم يصحَّ حتى عند السنة ولكن ابن تيمية يدعي صحَّة الحديث مع علمه بوجود الأمرين المتناقضين في المقام، حيث ذكر في كتابه مختصر الفتاوى المصرية: الإجماع حجة قاطعة، والاختلاف رحمة واسعة... (انظر مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية ج ١: ص ٣٤) وقال في كتابه مجموع الفتاوى: فمجموع أُمَّته تقوم مقامه في الدعوة إلى الله، ولهذا كان إجماعهم حجة قاطعة، فأتمته لا تجتمع على ضلالة (انظر مجموع الفتاوى ج ١٥: ص ١٦٦). وهنا نقول لابن تيمية وأتباعه: متى حصل الإجماع على بيعة أبي بكر؟! عندما كان الأنصار يقولون: منّا أمير ومنكم أمير وعمر يقول لا يجتمع سيفين بغمد واحد، نحن الأمراء وأنتم الوزراء أقول وتفرقة الأمة





ودارة بينها حروب طاحنة أكلت الأخضر واليابس تحت عناوين مختلفة؟ أو عندما منعت الصحابة الزكاة؟ أو عندما تحققت حروب الردة بين الصحابة؟ أو عندما خرجت الخوارج؟ أو عندما مرق المارقين وأصبحت الأمة فرق وطوائف ومذاهب؟ ثم الذي قال للأنصار نحن الأمراء وأنتم الوزراء؟ حتى هذا العهد والميثاق نقضوه، فبعدت الأنصار وأصبحت الأمانة والوزارة للطلاق وأبناء الطلقاء. نعم أن الأنصار الذين قاتلوا الطلقاء حتى أدخلوهم في الإسلام رغم أنوفهم، ولكن خلافة السقيفة مهدت لهم المجال حتى أصبح الطلقاء الحكام والأنصار محكومين.

أما قول ابن تيمية "الاختلاف رحمة واسعة" كيف يكون الاختلاف رحمة وهل أن في قتل عثمان عنده رحمة؟!!! وهل أن حرب الجمل ومحاربة عائشة والزبير وطلحة مع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، كانت من الرحمة؟!!! وهل أن حرب صفين ما جرت فيها من الويلات على الأمة كانت من الرحمة على الأمة؟!!!

أما تفسير الحديث عن أهل البيت عليهم السلام كما جاء عن عبد المؤمن الأنصاري، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن قوماً يروون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «اختلاف أمتي رحمة»، فقال: «صدقوا»، فقلت: إن كان اختلافهم رحمة فاجتماعهم عذاب؟ قال: «ليس حيث تذهب وذهبوا، إنما أراد قول الله عز وجل: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾»، فأمرهم أن ينفروا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيتعلموا، ثم يرجعوا إلى قومهم فيعلموهم، إنما أراد اختلافهم من البلدان، لا اختلافاً في دين الله، إنما الدين واحد» (انظر وسائل الشيعة للشيخ الحر العاملي ج ١٨: ص ١٠٢).

وايضاً هذا التناقض موجود في كلمات ابن تيمية في باب عدالة الصحابة، فإنه يقول: من صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولو ساعة واحدة، أي لحظة واحدة فهو صحابي، وهذا يعصمه بعد في الدنيا والآخرة، هذه نظريته في هذا المجال. ومن أهم الآثار المترتبة على هذه نظرية، أنه من انتقص فيهم فهو زنديق بشكل رسمي وصريح، وأنتم تعلمون أن الزنديق هو الذي لا دين له، يعني لا يؤمن بالله ولا بالمعاد ولا بشيء من العقائد الإسلامية. ثم يقول: من





أبغض صحابياً فهو كافر وزنديق ويقتل و... إلى غير ذلك... ويستغرب القارئ الكريم واقعاً من هذا كلام، مع وجود أولئك كبسر بن أبي أرطاة أو الحكم بن العاص أو معاوية أو عمرو بن العاص و... فإن بعضهم قد لعنه رسول الله ﷺ، مع ذلك يعتقد بأن من أبغض واحداً منهم فهو زنديق!

ثم أنه ذكر بعض الروايات الصريحة في أن من أبغض الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فهو منافق، إذ من علامات النفاق بغض الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام باتفاق علماء المسلمين، وابن تيمية يعتقد بأن هذا الحديث صحيح وهو أنه لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق. ومع ذلك أنه نقل ما رواه البخاري في صحيحه عن الحسن أنه قال: خرجت بسلاحي ليلي الفتنة فاستقبلني أبو بكر، فقال: أين تريد؟ قلت: أريد نصرة ابن عم رسول الله ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فكلاهما من أهل النار، قيل: فهذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه أراد قتل صاحب (انظر صحيح البخاري ج ٨: ص ٩٢ كتاب الفتن، باب إذا التقى المسلمان بسيفيهما). ولا أردى كيف يمكنه الجمع بين الحديثين، حيث لو أراد بحديث البخاري أن القاتل والمقتول في النار، كيف يمكنه الجمع بين هذا وبين بغض الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام علامة النفاق والكفر!!!

ثم أنه لا شك في أن حضور العشرة المبشرة عندهم من الصحابة في حروب الجمل وصفين وغير ذلك في طرفي الجبهة من القتال فكيف يمكن الجمع بحسب عقيدة ابن تيمية في العشرة المبشرة؟! وهل يمكنه الجمع بين حديث البخاري وحديث العشرة المبشرة؟! كما أن القضية حول مظلومية الزهراء عليها السلام وقضية الاقتحام بيتهما عليهما السلام من الأمور التي حدثت آن ذاك لا يمكنه الجمع. وإلى غير ذلك من تناقضاته التي لو أردنا أن نذكرها لطلال بنا المقام. وعليه فما ذكره ابن تيمية في المقام من التناقض ليس أول تناقضاته، وحيث أن تفصيل هذه المباحث يأتي في محله فاكثفينا بذكر الموجز فلاحظ.

وثانيها: ما زعمه من عدم الدليل على ذلك...^(١)

(١) وتوضيح المقام أنه قد ادعى ابن تيمية بأنه لا دليل على ما ذكره العلامة الحلبي رحمه الله من تقسيم بين الصحابة بعد وفاة رسول الله ﷺ إلى أصناف مختلفة بحسب مواقفهم ومعتقداتهم في باب الامامة، ولكن الخير يعلم بأن القرآن الكريم والسنة النبوية المعتمدة عند جميع المسلمين تدلّان بوضوح على تقسيم الصحابة إلى قسمين: المؤمن وغير المؤمن، والعاقل والفاقد. فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (سورة آل عمران: ١٤٤)، والآية صريحة في انقلاب أكثر الصحابة بعد وفاة رسول الله ﷺ على أعقابهم، وهذا معناه أن الصحابة على قسمين: قسم منهم ارتدوا على أعقابهم وقسم لم يرتدوا على الأعقاب، وهم الذين سمّاهم القرآن الكريم بالشاكرين. والذين لم يرتدوا على الأعقاب قد سمّاهم القرآن الكريم بالشاكرين. إذن أن الصحابة إما أن يكونوا مرتدين على الأعقاب وإما أن يكونوا شاكرين. وحيث أن الله تبارك وتعالى بين في قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ (سورة سبأ: ١٣)، يعرف بأن عدد المؤمنين من الصحابة قليل، أي: أن أكثر الصحابة انحرفوا بعد وفاة رسول الله ﷺ عن الخط السليم الذي رسمه الله ورسوله ﷺ لهدايتهم، والالتزام باستمرار الرسالة السماوية المتمثلة في إمامة أهل البيت ﷺ بعد وفاة رسول الله ﷺ، وبالرغم من تأكيد النصوص المعتمدة لدى الفريقين على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام وخلافته بعد رسول الله ﷺ مباشرة، فاجتمع جماعة كبيرة منهم في السقيفة لانتخاب الخليفة. وهذا معناه الانقلاب والرجوع إلى الأعقاب والجاهلية الأولى. والشاهد على ذلك قول الطبري في تاريخه، حيث صرح بأن العرب ارتدوا كلّهم بعد الرسول ﷺ عدا فئة في المدينة (انظر تاريخ الطبري ج ٢: ص ٤٧٥). وأما الروايات الواردة في مصادر أهل السنة فهي كثيرة جداً، وإليك نماذج منها: فمنها ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس قال: خطب النبي ﷺ فقال: «إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً» ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا



فَاعْلَيْنَ»، ثُمَّ إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يَكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا أَنَّهُ يَجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، يُقَالُ: لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بِعَدِّكَ، فَأَقُولُ: كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ «وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ...» (إِلَى قَوْلِهِ) «شَهِيدٌ» يُقَالُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مِنْذُ فَارَقْتَهُمْ» (صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ج ٥: ص ٢٤٠ كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابُ «كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا»). وَمِنْهَا: مَا رَوَاهُ بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ كَانَ يَحْدُثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُرَدُّ عَلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِي فَيَجْلُونَ عَنِ الْحَوْضِ، فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِي، يَقُولُ: إِنَّكَ لَا عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحْدَثُوا بِعَدِّكَ، إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى» (صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ج ٧: ص ٢٠٨ كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ فِي الْحَوْضِ، وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ»)، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ». فَإِنَّ قَوْلَهُ ﷺ: «ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى» مَعْنَاهُ: الْارْتِدَادُ عَنِ الْإِسْلَامِ، لِأَنَّ الرُّجُوعَ الْقَهْقَرَى مَشْعُرٌ بِالْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى. ثُمَّ إِنَّ قَوْلَهُ ﷺ: «لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بِعَدِّكَ» يَدُلُّ عَلَى الْبِدْعَةِ فِي الدِّينِ، لِأَنَّ مَا أَحْدَثُوا ظَاهِرٌ فِي الْإِحْدَاثِ فِي الْإِسْلَامِ، وَتَرَكُوا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ ﷺ، لِأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ هُوَ الْإِسْلَامُ، فَالْمُرَادُ بِالْإِحْدَاثِ لَيْسَ إِلَّا الْارْتِدَادُ عَنِ الدِّينِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ. وَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّ الْارْتِدَادَ يَتَحَقَّقُ بِالْخُرُوجِ عَنِ الضَّرُورَةِ الدِّينِيَّةِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ أَوْجَبَ الْوَاجِبَاتِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْإِمَامَةَ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ، لِأَنَّ الْإِمَامَةَ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ خِلَافَةُ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ ﷺ وَخِلَافَةُ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ ﷺ يُعْتَبَرُ عِنْدَهُمْ مِيرَاثُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِأَنَّ الرَّسُولَ الْأَعْظَمَ ﷺ خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ وَذَلِكَ بِمَعْنَى أَنَّهُ ﷺ خَاتَمُ الْأَصْفِيَاءِ، فَخِلَافَةُ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَصْفِيَاءِ خِلَافَةُ اللَّهِ وَخِلَافَةُ رَسُولِ اللَّهِ. وَهَذِهِ الضَّرُورَةُ قَدْ تَمَّتْ الْحُجَّةُ عَلَيْهَا بَبِيعَةِ الصَّحَابَةِ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍ لِمَوْلَانَا الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْأَدَلَّةُ الدَّالَّةُ عَلَيْهَا ثَابِتَةٌ لَدَى الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْكُتُبِ وَالسُّنَنِ وَالْإِجْمَاعِ، كَمَا لَا يَخْفَى ذَلِكَ عَلَى أَحَدٍ. فَارْتِدَادُ الصَّحَابَةِ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ بَبِيعَةِ الْغَدِيرِ، وَإِمَامَةُ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهَذَا مَعْنَاهُ الْإِنْقِلَابُ عَلَى الْأَعْقَابِ وَالرُّجُوعُ إِلَى الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى الَّتِي سَمَّاهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ الْإِنْقِلَابَ عَلَى الْأَعْقَابِ، فَلَا حَظَّ.

(١) لا يخفى أن ذكر البهتان على نحو الإطلاق يشعر بأن ما ادعاه ابن تيمية يكون بهتاناً على الله ورسوله وعلى الشيعة، وبعبارة أخرى: ما ادعاه ابن تيمية يكون بهتاناً بصورة عامة على الله ورسوله، وبصورة خاصة على الشيعة والعلامة الحلي رحمته الله، لأنه المخاطب في كلامه. أما كون دعواه بهتان على الله سبحانه وتعالى فلا والله تبارك وتعالى قسم الصحابة في القرآن الكريم إلى أقسام، فاستثنى منهم الشاكرين والمخلصين، والبقية الباقي وصفهم الله تبارك وتعالى بأوصاف الذم، مثل وصف الفاسقين، أو الخائنين، أو المتخاذلين، أو الناكثين، أو المتقلبين على الأعقاب، أو الشاكين في الله وفي رسوله رحمته الله، أو الفارزين من الزحف، أو المعاندين للحق، أو العاصين لأوامر الله ورسوله رحمته الله، أو المثبطين غيرهم عن الجهاد، أو المنفضين إلى اللهو والتجارة وتاركين الصلاة، أو القائلين ما لا يفعلون، أو الممنين على رسول الله رحمته الله إسلامهم، أو القاسية قلوبهم فلم تخشع لذكر الله وما نزل من الحق، أو الرافعين أصواتهم فوق صوت النبي رحمته الله، أو مؤذنين لرسول الله رحمته الله، و السماعين للمنافقين. ولنكتف بهذا القدر اليسير، وهذا معناه أن الصحابة تنقسم إلى أقسام: قسم ورد في حقهم المدح في القرآن الكريم وقسم ورد في حقهم الذم وهم يشكّلون أكثرية الصحابة ولتعميم الفائدة لا بد من ذكر بعض الآيات التي جاءت في ذم الصحابة الذين اتصفوا بتلك الصفات الذميمة، فمنها: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة التوبة: ٣٨-٣٩)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة المائدة: ٥٤)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ



عنده أجر عظيم ﴿سورة الأنفال: ٣٦﴾، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ * وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمْتُمْ مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿سورة الأنفال: ٢٤-٢٥﴾، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ * إِذْ جَاؤُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا * وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿سورة الأحزاب: ٩-١٢﴾، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (سورة الصف: ٢-٣)، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ (سورة الحديد: ١٨)، وقوله تعالى: ﴿يُمِثُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُوتُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (سورة الحجرات: ١٧)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (سورة التوبة: ٢٤)، وقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة الحجرات: ١٤)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رِيبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ (سورة التوبة: ٤٥)، وقوله تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (سورة توبة: ٨١)، وقوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ





وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ (سورة التوبة: ٤٧)، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ * أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ * وَلَوْ نَشَاءُ لَارَيْنَاكُمُ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠-٢٨﴾ (سورة محمد: ٣٠-٢٨)، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَانَمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦-٥﴾ (سورة الأنفال: ٦-٥)، وقوله تعالى: ﴿هَآ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (سورة محمد: ٣٨)، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ (سورة التوبة: ٥٨)، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ (سورة محمد: ١٦)، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة التوبة: ٦١)، فَإِنَّ هَذَا الْقَدْرَ مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ كَافٍ لِإِقْنَاعِ الْبَاحِثِينَ، فَالصَّحَابَةُ يَنْقَسِمُونَ إِلَى قَسَمَيْنِ: قَسَمٌ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ ﷺ وَأَسْلَمَ لِأَوَامِرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، وَأَطَاعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ وَتَفَانِي فِي حَبِّهِمَا وَضَحَى فِي سَبِيلِهَا وَكَانَ مِنَ الْفَائِزِينَ، فَهَؤُلَاءِ يُمَثِّلُونَ الْأَقْلِيَّةَ مِنَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ سَمَّاهُمُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ: ﴿الشَّاكِرِينَ﴾. وَقَسَمٌ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ ﷺ ظَاهِرِيًّا وَلَكِنْ قَلْبُهُمْ فِيهِ الْمَرَضُ، فَلَمْ يَسْلَمُوا وَاقِعًا بَلْ كَانَ إِسْلَامُهُمْ لِمَصْلَحَةِ شَخْصِيَّةٍ وَمَنَافِعِ دُنْيَوِيَّةٍ، فَهَؤُلَاءِ كَانُوا يِعَارِضُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي أَحْكَامِهِ وَأَوَامِرِهِ، وَيَقْدَمُونَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، وَكَانُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ، وَهَؤُلَاءِ يُمَثِّلُونَ الْأَكْثَرِيَّةَ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَقَدْ عَبَّرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾ (سورة الزخرف: ٧٨)، فَهَذِهِ الْآيَاتُ أَكْبَرُ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّ دَعْوَى ابْنِ تَيْمِيَّةٍ بِهَتَانِ عَلَى اللَّهِ، كَمَا أَنَّ الرِّوَايَاتِ الْوَارِدَةَ عَنْ





رسول الله ﷺ المتفق عليها بين الفريقين الدالة على قسم من الصحابة في النار أيضاً تدل على تقسيم الصحابة. وإليك بعض ما ورد بهذا المضمون، فمنها: ما رواه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق، باب قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «إِنَّكُمْ تَحْشَرُونَ حِفَاةَ عَرَاةٍ غَرَلًا»، ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾، وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم، وإن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: أصحابي أصحابي، فيقال: إنهم لم يزلوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم» (صحيح البخاري ج ٤: ص ١١٠ كتاب بدء الخلق، باب قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾). ومنها: ما رواه بسنده عن ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: «تَحْشَرُونَ حِفَاةَ عَرَاةٍ غَرَلًا»، ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾، فأول من يكسى إبراهيم ثم يؤخذ برجال من أصحابي ذات اليمين وذات الشمال، فأقول: أصحابي، فيقال: إنهم لم يزلوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم» (صحيح البخاري ج ٤: ص ١٤٢ كتاب بدء الخلق، باب قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾). ومنها: ما عن ابن عباس أيضاً قال: خطب النبي ﷺ فقال: «إِنَّكُمْ مُحْشَرُونَ إِلَى اللَّهِ حِفَاةَ عَرَاةٍ غَرَلًا»، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾، ثم إن أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم، ألا إنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي! فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ...﴾ (إلى قوله) ﴿شَهِيدٌ﴾، فيقال: إن هؤلاء لم يزلوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم» (صحيح البخاري ج ٥: ص ٢٤٠ كتاب التفسير، تفسير سورة الأنبياء، باب ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ...﴾). ومنها: ما رواه عن المغيرة قال: سمعت أبا وائل عن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ وَلِيرْفَعَنَّ رِجَالُكُمْ مِنْكُمْ، ثُمَّ لِيَخْتَلِجَنَّ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبُّ أَصْحَابِي، فيقال: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بِعَدِكَ» (صحيح البخاري ج ٧: ص ٢٠٦ كتاب الرقاق باب في الحوض...). ومنها: ما رواه عن سهل بن سعد قال: قال النبي ﷺ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مِنْ مَرٍّ عَلَى شَرْبٍ وَمِنْ شَرْبٍ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لِيَرُدَّنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يَحَالُ بَيْنِي





وبينهم»، قال أبو حازم: فسمعتي النعمان بن أبي عياش فقال: هكذا سمعت من سهل؟ فقلت: نعم، فقال: أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد فيها: «فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن غير بدعي» (صحيح البخاري ج ٧: ص ٢٠٨ كتاب الرقاق، باب الحوض). وإلى غير ذلك من الروايات وعليه فإن دعوى ابن تيمية تكون بهتاناً على رسول الله ﷺ، وكما أن دعواه تكون بهتاناً على الشيعة والعلامة الحلبي رحمه الله، لأنه ﷺ قد ذكر أقسام الصحابة وأصنافهم بحسب ما ورد في الكتاب والسنة، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة دلالة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (سورة البقرة: ١٥٠). على ما ادعاه ابن تيمية، إذ الآية الكريمة تتحدث عن الذين يكتمون ما أنزل الله تبارك وتعالى من البينات والهدى من بعد ما بينه الله للناس في الكتاب، بشدة فيقول سبحانه وتعالى: أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون، فالله سبحانه وعباده الصالحون والملائكته المقربون يلعنون من يكتم الحق، وبعبارة أخرى كل أنصار الحق يغضبون على من كتم الحق. وأية خيانة للعالم أكبر من محاولة العلماء كتمان آيات الله المودعة عندهم من أجل مصالحهم الشخصية ولتضليل الناس وعبارة من بعد ما بيناه للناس في الكتاب إشارة إلى أن هؤلاء الأفراد يصادرون في الواقع جهود الأنبياء ﷺ وتضحيات أولياء الله الصالحين، وهو ذنب عظيم والفعل "يلعن" تكرر في الآية للتأكيد، واستعمل بصيغة المضارع لبيان استمرار اللعن، ومن هنا فإن لعنة الله ولعنة اللاعنين تلاحق هؤلاء الكاتمين لآيات الله باستمرار، وذلك أقسى صور العقاب. ثم البينات والهدى لهما معنى واسع يشمل كل وسائل الهداية والتوعية والإيقاظ وإنقاذ الناس، ولما كان القرآن كتاب هداية، فإنه لا يغلق منافذ الأمل والتوبة أمام الأفراد، ولا يقطع أملهم في العودة مهما ارتكسوا في الذنوب، لذلك تبين الآية التالية طريق النجاة من هذا الذنب الكبير وتقول:





﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَاُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ عبارة ﴿أَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ جاءت بعد عبارة ﴿فَاُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ للدلالة على كثرة محبة الله، وسبق عطفه على عباده التائبين، فيقول سبحانه لهؤلاء: إن تبتن، أي عدتم إلى نشر الحقائق، فأنا أعود أيضاً إلى إغداق الرحمة والمواهب عليكم. ومن الملفت للنظر، أن الله لم يقل أنه يقبل التوبة ممن تاب، بل يقول: من تاب فأنا أيضاً أتوب عليه، والفرق في التعبيرين واضح، فالثاني فيه من التودد والتحنن وإغداق اللطف ما لا يمكن وصفه، ثم استعمال الضمير (أنا) في هذا الموضع يستهدف نوعاً من التودد وبيان الارتباط المباشر بين المتكلم والسامع، وخاصة إذا قال عظيم من العظماء: أنا أتكفل لك بالعمل الفلاني حيث يختلف عما لو قال: سنقوم نحن بإنجاز العمل، فالمحبة الكامنة في الأسلوب الأول غير خافية على أحد، وكلمة تَوَّاب صيغة مبالغة تبعث الأمل في نفوس المذنبين وتمزق أستار اليأس عن سماء أرواحهم خاصة، وأنها اقترنت بكلمة "رحيم" التي تشير إلى الرحمة الإلهية الخاصة. ثم إن مفاسد كتمان الحق أو كتمان الحقائق من المسائل التي عانت منها المجتمعات البشرية على مر التاريخ، وكان لها دوماً آثار سيئة عميقة استمرت قروناً وأعصاراً. ويتحمل تبعة هذه المساوئ دون شك أولئك العلماء الذين يعلمون تلك الحقائق ويكتمونها، لعل القرآن لم يهدد ويذم فئة كما هدد وذم هذه الفئة الكاتمة للحقائق. لأن عمل هؤلاء يجر أجيالاً متعاقبة إلى طريق الضلال والفساد، كما أن نشر الحقائق يدفع بالأمم إلى طريق الهداية والصلاح البشرية، وكتمان الحقائق عنها يعني صد البشرية عن طريق تكاملها الفطري المرسوم لها، فلو أن علماء اليهود والنصارى أعلنوا ما عندهم من حقائق بشأن النبي الخاتم ﷺ، ونشروا ما جاء في العهدين من بشائر حول رسول الإسلام ﷺ، لانضوى أهل الكتاب تحت راية الإسلام، ولأصبحوا مع المسلمين أمة واحدة، وكتمان الحقائق لا ينحصر في كتمان علامات النبوة والبشائر بالنبي الخاتم ﷺ، بل يشمل كتمان كل حقيقة تستطيع أن تدفع الناس إلى الفهم الصحيح بالمعنى الواسع لهذه الكلمة، فالكوت في بعض المواضع من مصاديق كتمان الحق، وذلك لأن الناس يحتاجون بشدة إلى فهم الحقائق ويستطيع العلماء فيها أن يلبوا هذه





الحاجة. وبعبارة أخرى نشر الحقائق التي يعاني منها الناس لا يتوقف على السؤال، وما يذهب إليه صاحب المنار من أن كتمان الحقائق يكون في مواضع السؤال ليس بصحيح. خاصة وأن القرآن لا يتحدث عن كتمان الحقائق فحسب، بل يتحدث في مواضع أخرى عن تبين الحقائق أيضاً، وهذا يرد على أولئك الذين يلتزمون جانب الصمت أمام الانحرافات بحجة عدم وجود سائل يطرح عليهم سؤالاً بشأن تلك الانحرافات. يقول سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾. وجدير بالذكر أن إلهاء الناس بالمسائل الفرعية، لصرف أنظارهم عن المسائل الأساسية الحياتية نوع من كتمان الحقائق. حتى إذا لم يشمل تعبير كتمان الحقائق فهو مشمول له بملاك، وفلسفة كتمان الحق في الأحاديث حملت على كاتمي الحق، فروي عن رسول الله ﷺ قال: «من سئل عن علم يعلمه فكتم ألجم يوم القيامة بلجام من نار». ونعيد هنا القول أن ابتلاء الناس بمسألة والحاجة إلى بيانها يحل محل السؤال. وبيان الحقائق في هذه الحالة واجب، وسئل مولانا الامام أمير المؤمنين عليه السلام من شر خلق الله بعد إبليس وفرعون؟ قال: «العلماء إذا فسدوا، هم المظهرون للأباطيل، الكاتمون للحقائق، وفيهم قال الله عز وجل: ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾. وأما معنى اللعن فهو في الأصل: الطرد والإبعاد الممزوج بالغضب والاستياء. فاللعن الإلهي إذن إبعاد الإنسان عن رحمة الله وعن جميع المواهب المغدقة على عباده وما قيل بشأن تقسيم اللعن إلى: لعن في الآخرة وهو العذاب والعقوبة، ولعن في الدنيا وهو سلب التوفيق، إنما هو من قبيل بيان المصداق لا حصر اللعن بهذين القسمين، وكلمة ﴿اللَّاعِنُونَ﴾ لها معنى واسع لا يقتصر على الملائكة والمؤمنين، بل يشمل كل الموجودات التي تتحدث بلسان القال أو الحال. وفي بعض الروايات نرى أن كل الموجودات تدعو لطلب العلم كقول المعصوم عليه السلام: «وإنه يستغفر لطالب العلم من في السماء ومن في الأرض حتى الحوت في البحر»، وإن استغفرت هذه الموجودات لطالب العالم، فمن الطبيعي أن تلعن كاتمته. ثم إن كلمة "تؤاب" صيغة مبالغة من تاب: عاد، وتبين حقيقة انفتاح باب التوبة أمام الإنسان، حتى ولو انخدع الإنسان بوساوس الشيطان بعد توبته، فيستطيع أن يتوب ثانية ويعود إلى الله



فأما قسمان منها فقد مضى بيان ما دلّ عليهما وهما: الطالب لذلك بالباطل والطالب له بالحق^(١).



ويكشف ما عنده من الحقّ، فالله تواب، ولا يجوز اليأس من رحمته وعفوه. ولكن ابن تيمية قد شمله اللعن من الله ورسوله واللاعنين، لأنه قد كتم الحقّ وهو كان يعلم بأنّ الصحابة فيهم أقسام بحسب الكتاب والسنة، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ الصحابة بحسب مقتضى القواعد الشرعية المقررة في الإسلام المأخوذة من القرآن الكريم والسنة النبوية ينقسمون إلى قسمين: قسم منهم كانوا يطلبون الحقّ، لأنّ إيمانهم كان نافذاً في أعماق قلوبهم فكانوا يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم من أجل الوصول إلى الحقّ، والسير على نهجه، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (سورة الحجرات: ١٥)؛ هذه الآية الكريمة بيّنت معنى الإيمان الحقيقي، حيث تقول بأنّ الإيمان له علائم خاصّة، فمن له هذه العلامات كثبت القدم وعدم الشكّ والتردد من جهة أصل الإيمان والجهاد بالأموال والأنفس في سبيل الله، أولئك هم المؤمنون حقّاً، أي أنّ هؤلاء قد نالوا التوفيق المعنوي لتمييز الحقّ ومواصلته والسير في طريقه. وذلك كما قال الله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ﴾ (سورة الكهف: ٢٩). بخلاف الذين أظهروا الاسلام ولم تؤمن قلوبهم، فهؤلاء هم القسم الثاني من الصحابة الذين فارقوا الحقّ وهم له كارهون، كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (سورة التوبة: ٤٨)، فالروح الإنسانيّة تخضع إمّا لله تعالى أو للأهواء، حيث لا يمكن الجمع بين الاثنين، فعبادة الأهواء أساسها الغفلة عن الله وعبادته، ولذلك قال الله تعالى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (سورة البقرة: ١٤٧)، أي لا تكون من الشاكين. فالحقّ هو أساس نهج جميع الأنبياء ﷺ والأولياء وهم مربوطون به، كقاعدة أسسها الله سبحانه وتعالى معياراً وميزاناً لمعرفة الأشخاص ومصاديقه، فالحقّ





والباطل لا يُعرفان بالرجال، كما قال مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «اعرف الحقّ تعرف أهله» (انظر تفسير السمعاني ج ١: ص ٧٢، وأنساب الأشراف للبلاذري ج ٢: ص ٢٣٩). أي اعرف مفهوم الحقّ من الكتاب والسنة تعرف أشخاصه ومصاديقه في الخارج. فالإنسان الذي لا يريد الانصياع للحقّ ويسعى للتذرع بشتى الحيل، لتوجيه نفاقه ولو بالذرائع المفضوحة. فإن القرآن الكريم يجب عن هؤلاء، ويقول لهم: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (سورة التوبة: ٤٩)، وأيضاً قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ (سورة الأنفال: ٥-٦)، فالآية تقول: بأنّ عدم رضا بعض الصحابة في شأن تقسيم الغنائم يشبه بعملية إخراجك من مكة وعدم رضى بعض المؤمنين بذلك: كما أخرجك ربك من بيتك بالحقّ ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾.، والتعبير بالحقّ هنا إشارة إلى أنّ أمر الخروج كان طبقاً لوجي الإلهي ودستور سماوي، وكانت نتيجة الوصول إلى الحقّ واستقرار المجتمع الإسلامي، إلا أن هؤلاء الأفراد لا يرون إلا ظواهر الأمور، ولهذا: يجادلونك في الحقّ بعد ما تبين الأمر لهم، فكأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون، إلا أن هؤلاء الأفراد لا يرون إلا ظواهر الأمور فيفارقون الحقّ، ويجادلون أهل الحقّ. فالصحابة الذين لم يؤمنوا بالله ورسوله حقيقةً، أو أنّهم خرجوا عن طاعة الله ورسوله ﷺ بعد وفاة رسول الله ﷺ وانقلبوا على أعقابهم، وانحرفوا عن الحقّ، وأتبعوا الخلافة الجائرة، فانغمسوا في رذائل السيئات ومهاوي الضلالة، فينطبق عليهم قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (سورة النساء: ٦٠)، فهم في زمرة المرتدين، فهم بسبب إعراضهم عن الحقّ وانحرافهم عنه وأتباعهم الطاغوت بعد وفاة رسول الله ﷺ. ومضافاً إلى ذلك فإنّ الصحابة الذين أظهروا ما هو المكنون في صدورهم من البغض والمعاداة والمحاربة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قد وردت في حقّهم أخبار تشير إلى ارتدادهم عن الدين كما في حديث الحوض الذي





رواه البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «يرد عليّ يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض، فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدّوا على أديبارهم القهقري» (صحيح البخاري ج ٧: ص ٢٠٨ كتاب الرقاق، باب في الحوض وقول الله تعالى ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ﴾). وغيره كما سنذكرها في محلّه. فتبيّن أنّ الصحابة ينقسمون إلى قسمين قسم منهم طالب للحقّ وقسم منهم على خلافه، فلاحظ.

(١) وبعبارة أخرى أنّ بعض الصحابة كانوا مقصّرين من جهة معرفتهم للحقّ وعدم متابعتهم له وعدم نصرتهم له. وبيان ذلك هو أنّ الله تعالى حين خلق الإنسان أودع فيه استعدادات ومواهب كثيرة، ومنها نعمة العلم التي بها يتتبع الإنسان أسرار الخلقة، وتحقّق لديه معرفة الحقّ، وكذلك نعمة العقل والذكاء والإدراك ليعرف الإنسان بها أنبياء الله ﷺ ورسله وأصفائه ويلتزم بأوامرهم ونواهيهم، والله سبحانه حين أودع هذه النعم لدى الإنسان، قد أعطاه فضيلة ليميز بها على سائر المخلوقات تفضيلاً واضحاً، فقال في كتابه العزيز: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوُجُوهِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (سورة الإسراء: ٧٠)، فهذه الفضيلة موجبة لارتقائه إن انتفع الإنسان من تلك النعم والمواهب الإلهية المودعة فيه لمعرفة الحقّ واتباعه ونصرته، وذلك لأنّ المعيار بنظر الإسلام هو أنّ كلّ عمل يصدر من الإنسان يلزم أن يكون صادراً عنه على أساس العقيدة الصحيحة. فعقل الإنسان يتحكّم بمجمل رؤيته للكون وللحياة، ولكلّ ما يفكر به بلزوم عقيدة راسخة صحيحة فيه، بحيث تكون هذه العقيدة حاضرةً لديه في كلّ فعل يقوم به أو قرار يتّخذه. كما أنّ قلب الإنسان: يمتاز الإنسان بأنّه يملك الشعور بالحبّ والبغض والإعجاب وغير ذلك. وأنواع الشعور، وهذه ترتبط أيضاً بما يحمله من عقيدة. وذلك لما أنّ صاحب العقيدة الراسخة لا يخاف بل يزداد إيماناً وصبراً عند الشدائد، فالعمل المقبول في الإسلام هو العمل الصادر عن العقيدة الصحيحة. من هنا



فقد نقل صاحب كتاب السياسة عن بشير بن سعد وهو رجل صحابي بدريّ عقبيّ أنصاريّ خزرجيّ في مخاطبته لعليّ عليه السلام بعد ما بيّن لهم ما دلّ على إمامته، قال له البشير المرقوم: لو سمع قومي هذه المقالة منك قبل البيعة في



يعرف أهميّة العقيدة في إيمان المؤمن، إذ لولا العقيدة الصحيحة لا يمكن للإنسان التوصل إلى الكمال إلا بتلك القيم والفضائل المعنوية، فيلزم على كل إنسان أن يتبع الأدلة لمعرفة الحقّ والعقيدة الصحيحة. لذا فإنّ أوّل سؤال يسأل عن هذا الإنسان بعد موته، وعند حضور الملكين إليه هو: من ربّك؟ وما هو دينك؟ ومن هو نبيّك؟ ومن هو إمامك؟ ... فيعرف أنّ فضيلة الإنسان وكماله إنّما تكون بالعقيدة الصحيحة المقبولة. والمسفاد من القرآن الكريم أنّ أكثر الصحابة كانوا مقصّرين عن معرفة العقيدة السليمة، لأنّهم انقلبوا على أعقابهم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وذلك لقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنَ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (سورة آل عمران: ١٤٤)، والآية الكريمة فيها دلالة واضحة على أنّ كثيراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله لم يبقوا ثابتين على إيمانهم إلا القليل منهم، ولذلك عبّر عنهم بـ"الشاكِرِينَ" دلالة على أنّ الشاكِرِينَ عددهم قليل كما في قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سورة سبأ: ١٣)، فالقرآن الكريم يدلّ على أنّ أكثر الصحابة انحرفوا عن الخطّ السليم الذي رسمه الله ورسوله صلى الله عليه وآله لهم في الهداية، واستمرار الرسالة السماوية المتمثلة في إمامة أهل البيت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، بالرغم من تأكيد النصوص المعتمدة على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام وخلافته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله مباشرة، فقد اجتمع أكثر الصحابة في السقيفة واتفقوا على رفض النصوص، وانتخاب الخليفة لهم، والانقلاب على الأعقاب والرجوع إلى الجاهليّة الأولى، فصريح الآية أنّ عدد الشاكِرِينَ قليل، فلاحظ.

السقيفة لم يختلف عليك منهم أحد^(١)، وقوله نصّ دلّ على تقصيرهم في البحث عن معرفة الخليفة^(٢)،

(١) ذكره ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة عند ذكر إباء الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن بيعة أبي بكر هذا نصّ عبارته: فقال علي عليه السلام: «الله الله يا معشر المهاجرين، لا تخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره وقعر بيته، إلى دوركم وقعور بيوتكم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقّه، فوالله يا معشر المهاجرين، لنحن أحقّ الناس به. لأنّا أهل البيت، ونحن أحقّ بهذا الأمر منكم ما كان فينا القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله، المضطلع بأمر الرعية، المدافع عنهم الأمور السيئة، القاسم بينهم بالسوية، والله إنّه لفينا، فلا تتبعوا الهوى فتضلّوا عن سبيل الله، فتزدادوا من الحقّ بعداً». فقال بشير بن سعد الأنصاري: لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا علي قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان (الإمامة والسياسة ج ١: ص ٢٩)، ورواه العلامة الطبرسي في الاحتجاج ج ١ ص ١٨٢، وابن أعثم الكوفي في الفتوح ج ١ ص ١٣، وابن ابن الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ١١، والعلامة الأميني رحمته الله في الغدير ج ٧: ص ٨٠ وغيرهم.

(٢) وذلك لأنّ الحجّة قد تمّت عليهم، بل تضاعفت عليهم بما لم تتضاعف على غيرهم ممّن لم يدركوا حياة النبي صلى الله عليه وآله، لأنّ الصحابة أدركوا النبي صلى الله عليه وآله وسمعوا حديثه وأخذوا منه السنّة مباشرة، بينما أنّ من لم يدرك النبي صلى الله عليه وآله فقد آمن به صلى الله عليه وآله أخذ سنّته صلى الله عليه وآله من الرواة، مع ما حدث في التاريخ على السنّة النبويّة. وأمّا الصحابة فقد تمّت عليهم الحجّة، القطعيّة من الكتاب والسنّة الشريفة. وعليه رغم أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قد أتمّ الحجّة على جميع الصحابة في إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وولايته التي فرضها الله تعالى على المؤمنين بالآيات والروايات التي منها حديث الغدير المتواتر لدى الفريقين، بل هو في أعلى درجات التواتر، بحيث يمكن التصريح بأنّه قطعيّ الصدور عند الفريقين، وواضح الدلالة على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام، وبالرغم من محاولات التعطيم عليه، وطمس معالمه، وكنتم الكاتمين!! فقد قاله النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عند



منصرفه من حجة الوداع في الثامن عشر من شهر ذي الحجة من السنة العاشرة للهجرة، ورواه عنه أكثر من مائة صحابي. وعندما انتهى رسول الله ﷺ من مراسم الغدير والخطبة الغراء، ونصب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام علماً للخلافة والإمامة من بعده، وقوله ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، وسائر فقرات الخطبة ودعائه للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أمر الحاضرين رجالاً ونساءً أن يبايعوا علي بن أبي طالب عليه السلام بالإمرة والخلافة من بعده، فكان الحاضرون يتهافون على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ويباعونه على ذلك حسب ما أمرهم النبي ﷺ حتى النساء بايعنه حيث وضع لهن طست فيه ماء - كما أمر بذلك النبي ﷺ فكان يدخلن أيديهن فيه وكان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام واضعاً يده أيضاً في الطست وهو جالس في الخيمة - احترازاً من ملامسة الأجنيب والتسليم عليهن مصافحة، وهكذا تمت البيعة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وأذعن الجميع بأنه عليه السلام مولاهم، وأقرّوا له بالاتباع والطاعة والتزام أوامره ونواهيه. والجدير بالذكر أنّ هذا الحديث المتواتر رواه أكثر من أربعين حافظاً ومؤرخاً بسندهم عن أبي بكر وعمر، وأنهما قالاً للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد خطبة النبي ﷺ وأمره بالبيعة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: "بخ بخ..." أو "هنيئاً لك..." وأمثال هذه العبارات الدالة على التهئة والتبريك وتعظيم منصب الولاية العظمى والخلافة الكبرى للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام تهئة أبي بكر وعمر للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وإليك - أيها القارئ العزيز - بعض النماذج من تلكم العبارات التهنيئة التي رويت عن أبي بكر وعمر معاً أو انفرد به أحدهما ممّا روي في مصادر أهل السنة المعتمدة عليها عندهم: أمّا ما اشترك فيه أبو بكر وعمر، وقولهما: "أصبحت وأمسيت يا بن أبي طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة..."، وقد أخرجه العلامة الأميني رحمه الله عن ستين مصدراً من مصادر أهل السنة (انظر الغدير ج ١: ص ٢٧٢-٢٨٣). وأمّا المصادر والمراجع التي أخرجت فيها حديث الغدير على لسان عمر بن الخطاب واعترافه بأن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مولاه ومولى كل مؤمن ومؤمنة، فهي كما يلي، أحدها: ما رواه أحمد بن





حنبل في مسنده بسنده عن البراء بن عازب قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا بغدير خمّ، فنودي فينا الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله ﷺ تحت شجرتين، فصلّى الظهر، وأخذ بيد علي عليه السلام فقال: «ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد علي فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، قال: فلقبه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمست مولى كلّ مؤمن ومؤمنة (مسند أحمد بن حنبل ج ٤: ص ٢٨١). وثانيها: ما رواه ابن أبي شيبة في كتابه المصنف بسنده عن البراء، قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر، قال: فنزلنا بغدير خمّ، قال: فنودي الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله ﷺ تحت شجرة، فصلّى الظهر، فأخذ بيد علي فقال: «ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد علي، فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، قال: فلقبه عمر بعد ذلك فقال: هنيئاً لك يا بن أبي طالب، أصبحت وأمست مولى كلّ مؤمن ومؤمنة (المصنف لابن أبي شيبة ج ٧: ص ٥٠٣). وثالثها: ما رواه المحب الطبري في كتابه الرياض النضرة في باب خاصّ بعنوان: ذكر ما رواه عمر في علي، وروى عنه مختصراً وقد تقدّم جميع ذلك مفرّقاً في أبوابه، فمنه حديث الراية يوم خيبر، وحديث ثلاث خصال لأن يكون لي واحدة منهنّ، وحديث أنّه قال: في علي ثلاث خلال لوددت أن لي واحدة منهنّ، وحديث: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى»، وحديث رجحان إيمانه بالسموات السبع والأرضين، وحديث: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، وقوله: ما أحببت الإمارة إلّا يومئذ لمّا قال لعلي: لأبعثه إلى كذا كذا، وقوله: أصبحت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة، وقوله: علي مولى من النبي ﷺ مولاه، وقوله في علي: إنّّه مولاي، وإحاطته في المسألة عليه غير مرّة في القضاء، وقوله: أقضانا علي، ورجوعه إلى قوله في مسائل كثيرة؛ كلّ ذلك في الخصائص والفضائل مفرّقاً في باب (الرياض النضرة ج ٣: ص ٢٣٣). رابعها: ما رواه ابن ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق بسنده عن أبي هريرة قال: من صام يوم ثمانية عشر من ذي الحجّة كتب الله





له صيام ستين شهراً وهو يوم غدیر خمّ لَمَّا أخذ رسول الله ﷺ بيد علي بن أبي طالب فقال: «أأنت مولی المؤمنین؟» قالوا: نعم یا رسول الله، فأخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، فقال له عمر بن الخطاب: بخ يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولی كلّ مسلم (تاریخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٢٣٤). خامسها: ما رواه الفخر الرازي في تفسيره نزلت الآية في فضل علي بن أبي طالب ﷺ، ولَمَّا نزلت هذه الآية أخذ بيده وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، فلقبه عمر فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولی كلّ مؤمن ومؤمنة (تفسير الفخر الرازي ج ١٢: ص ٤٩). سادسها: ما قاله الباقلاني في كتابه تمهيد الأوائل: ويدلّ على ذلك أيضاً ويؤكدّه ما يروونه من قول عمر: أصبحت مولاي ومولی كلّ مؤمن، فأخبر أنّه قد ثبت كونه مولی له ولكم مؤمن، فلم ينكر ذلك النبي ﷺ، فدلّ أنّه قد أثبت له الولاية عليهم ولزوم طاعتهم له (تمهيد الأوائل: ص ٤٠٤). وإلى غير ذلك ممّا ورد بهذا المضمون. وقد أخرج أحمد بن عقدة الكوفي في كتابه الولاية حديث الغدير عن أبي بكر وعمر بأسناد عديدة وبطرق مختلفة (انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٧: ص ٢٨٨ في ترجمة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام نقلاً عن ابن عقدة). وذكر المناوي في كتابه فيض القدير في شرح الحديث «من كنت مولاه فعلي مولاه» كلاماً لابن حجر في تغيير وجهي أبي بكر وعمر، ثمّ تطرّق إلى سرد مصادر وأسناد حديث الغدير فقال: ذكره الحافظ في اللسان بنصّه ولم أذكره إلاّ للتعجب من هذا الضلال وأستغفر الله، ثمّ قال: أخرجه الدارقطني عن سعد بن أبي وقاص عنهما قالاً: أمسيت يا بن أبي طالب مولی كلّ مؤمن ومؤمنة (انظر فيض القدير ج ٦: ص ٢١٧).

أقول: ألا يتعجب الإنسان من هذه العصبية والعناد، فإنّه مع تصديقه بوثاقة ابن حجر، ولما رواه من حديث الغدير وتصحيحه له، بل وتواتره عنده، مع ذلك ينكره ويقول: ولم أذكره إلاّ للتعجب من هذا الضلال وأستغفر الله... أليس هذا من مصاديق الجهل والعصبية العمياء!! ولا شك أنّ العصبية الجاهلية قد تنجرّ إلى الكفر. والسؤال الهامّ: في المقام أنّه لو لم تكن كلمة رسول الله ﷺ في غدیر خمّ «من كنت مولاه فعلي مولاه» مع كلّ ما



وبعد معرفته جرتهم الحمية الجاهلية إلى العمل ببيعهم الباطلة^(١).



احتوته من الميزات الظرفية والوقائع مثل الظروف المحلية والتاريخية واجتماع الحجاج وإبلاغهم أمر الخلافة وأخذ البيعة منهم رجالاً ونساءً الدالة على أهمية مسألة الإمامة والخلافة المتصلة بالنبوة المحمدية وأهميتها في مصير الأمة الإسلامية، وقلنا أنها موضوع عادي مثل أكثر المسائل التي تفقد الأهمية الدينية، فكيف يفسر الرجل تهنة الشيخين أبي بكر وعمر للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بقولهما له عليه السلام: بخ بخ لك يا علي، أو: طوبى لك يا أبا الحسن، أو: هنيئاً لك يا بن أبي طالب؟ وهذا هو السؤال المطروح الذي يحتاج إلى جواب صريح من دون اللفّ والنشر والتزوير والتهرب والتخوّص، بأن الاجتماع الكبير في غدير خم، وما قاله النبي ﷺ في ذلك الجمع الغفير من الصحابة، وما بيّنه ﷺ بأبلغ البيان في خلافة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وما ذكرها كبار الصحابة حتى عمر بن الخطاب أنه قد نقل هذه الواقعة العظيمة ورواها كبار علماء السنة منه، كابن حجر العسقلاني الذي روى عن ابن الجوزي فقال: أنه حضر مجلسه بالكوفة فقال: لما قال النبي ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه» تغير وجه أبي بكر وعمر، فنزلت ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (لسان الميزان لابن حجر ج ١: ص ٣٨٧). وعندئذ يختلج هذا السؤال في الذهن: من أنه لو كانت الغاية من قول النبي ﷺ: «من كنت مولاه...» هي مجرد إبلاغ الناس وأمرهم بالموادة والمحبة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقط ولم تكن تتعلق بما هو أهم من ذلك مسألة الخلافة والإمامة فلماذا تغير وجه أبي بكر وعمر بمجرد سماعهما ذلك من النبي ﷺ؟ وإلى غير ذلك من الروايات الدالة على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام خلافته بعد رسول الله ﷺ بلا فصل وهي كثيرة جداً، ولو أردنا أن نذكرها لطلال بنا المقام، وهي حجة قطعية على الصحابة وغيرهم، ومعناه أنهم مقصّرين في عدم عملهم بمقتضاها، لأنها قد أتمّت عليهم الحجة، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنه حيث أن بيعة أبي بكر كانت مخالفة صريحة للقرآن الكريم والسنة





النبوية فجرتهم إلى الجاهلية الأولى، إذ أن بيعته في السقيفة معناها رفض جميع النصوص الدالة على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. في حين أن بيعته أبي بكر تحققت في أجواء فوضى في السقيفة كما وصفها عمر بن الخطاب في رواية البخاري عن عمر بن الخطاب قال: بيعته أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرها... (صحيح البخاري ج ٨: ص ٢٥ كتاب المحاربين، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت). ومقتضى ذلك أنها تحققت في أجواء متشنجة الدالة على عدم رغبة الناس ببيعة أبي بكر، ومعناه أن بيعته أبي بكر كانت غير مشروعة حتى على المباني علماء السنة. وعليه فمن بايعه من الصحابة إنما بايعه ببيعة غير مشروعة. وبهذه البيعة نقضوا بيعة الغدير التي بايعوا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام للإمامة والخلافة بأمر الله ورسوله، مع كونهم عالمين عارفين بمقام ومنزلة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام للنصوص التي وردت في شأنه وإمامته وعظمته، وإليك بعض ما وردت بهذه المضامين من الطرق الخلفاء الثلاثة، ليكون اعترافاً ضمناً بذلك، فمنها: ما رواه ابن كثير في تاريخه بسنده عن أبي بكر وعمر وعثمان ابن عفان وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وعمران بن حصين وأنس وثوبان وعائشة وأبي ذرّ وجابر أن رسول الله ﷺ قال: «النظر إلى وجه علي عبادة» (البداية والنهاية ج ٧: ص ١٩٤). ومنها: ما رواه أحمد بن حنبل بإسناده، قال: قال رسول الله ﷺ لو فد ثقيف حين جاءوا: «والله لتسلمن أو لأبعثن إليكم رجلاً مني»، أو قال: «مثل نفسي فليضربن أعناقكم، وليسبن ذرايكم، وليأخذن أموالكم»، قال عمر: فوالله ما اشتھت - تمنيت - الإمارة إلا يومئذ جعلت أنصب صدري له رجاء أن يقول: هذا، فالتفت ﷺ إلى علي عليه السلام فأخذ بيده ثم قال: «هو هذا، هو هذا» - مرتين - يعني أن الذي يقاتلكم ويسبي ذرايكم هو علي عليه السلام (فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج ٢: ص ٥٩٣). ومنها: ما رواه محمد صالح الكشفي الترمذي الحنفي بسنده عن عمر بن الخطاب، عن سلمان قال: دخلت على رسول الله ﷺ في غمرات الموت فقلت: يا رسول الله، هل أوصيت؟ قال: «يا سلمان، أتدري من الأوصياء؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: «آدم عليه السلام وكان وصيه شيث، وكان أفضل من تركه بعده وكان من ولده، وكان وصي نوح عليه السلام سام،





وكان أفضل من تركه بعده، وكان وصي موسى عليه السلام يوشع، وكان أفضل من تركه بعده، وكان وصي سليمان عليه السلام آصف بن برخيا، وكان أفضل من تركه بعده، وكان وصي عيسى عليه السلام شمعون بن نرخيا، وكان أفضل من تركه بعده، وإني أوصيت إلى علي عليه السلام، وهو أفضل من أتركه بعدي» (انظر الكوكب الدرّي على جامع الترمذي: ص ١٣٣).

ومنها: ما رواه علي بن شهاب الدين الهمداني بسنده عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله ﷺ لَمَّا عقد المؤاخاة بين أصحابه: «هذا علي أخي في الدنيا والآخرة، وخليفتي في أهلي، ووصيي في أمّتي، ووارث علمي، وقاضي ديني، له منّي ما لي منه، نفعه نفعي، وضرّه ضرّي، من أحبّه فقد أحبّني، ومن أبغضه فقد أبغضني» (انظر المناقب المرتضوية: ص ١٢٩).

ومنها: ما رواه ابن عساكر الدمشقي بسنده عن إبراهيم بن سعيد الجوهري وصي المأمون قال: حدّثني المأمون العباسي قال: حدّثني الرشيد العباسي قال: حدّثني المهديّ العباسي قال: حدّثني المنصور الدوانيقي عن أبيه عن جدّه عبد الله بن العباس، قال: سمعت عمر بن الخطاب وعنده جماعة، فتذاكروا السابقين إلى الإسلام فقال عمر: أمّا علي فسمعت رسول الله ﷺ يقول فيه ثلاث خصال لوددت أن لي واحدة منهنّ فكان أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس: كنت أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة من الصحابة، إذ ضرب النبي ﷺ بيده على منكب علي فقال له: «يا علي، أنت أول المؤمنين إيماناً، وأول المسلمين إسلاماً، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى» (تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٢: ص ١٦٧).

وزاد ابن الصباغ المالكي بعد أن نقل الحديث عن الخصائص العلوية على سائر البرية لأبي الفتح محمد النطنزي إنّ النبي ﷺ قال لعلي عليه السلام: «كذب من زعم أنّه يحبّني وهو مبغضك، يا علي من أحبّك فقد أحبّني، ومن أحبّني أحبّه الله، ومن أحبّه الله أدخله الجنّة، ومن أبغضك فقد أبغضني، ومن أبغضني أبغضه الله تعالى وأدخله النار» (انظر الفصول المهمّة: ص ١٢٦).

ومنها: ما رواه محمد بن محمد الدرّكزني في كتابه نزل السائرّين في أحاديث سيّد المرسلين بسنده عن عمر بن الخطاب قال: كنت أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة من أصحابه إذ ضرب ﷺ بيده على منكب علي عليه السلام فقال: «يا علي أنت أول المؤمنين إيماناً، وأول المسلمين إسلاماً، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى؛ يا





علي، إنّما أنت بمنزلة الكعبة تؤتى ولا تأتي، فإذا أتاك هؤلاء القوم فسلّموا إليك هذا الأمر فاقبله منهم، فإن لم يأتوك فلا تأتهم» (انظر إحقاق الحق ج ١٧: ص ٧٩، نقلاً عن كتاب درر المناقب). ومنها: ما رواه العيني بسنده عن عمر بن الخطاب، قال: قال النبي ﷺ لعلي عليه السلام: «أنا خاتم الأنبياء، وأنت خاتم الأولياء» (مناقب سيّدنا علي للعيني: ص ٢٦)، ورواه ابن عساكر في تاريخه ج ٤٢: ص ٣٢٨، والمحب الطبري في الرياض النضرة ج ٣: ص ١٨٢، والمتقي الهندي في كنز العمال ج ١١: ص ٦٢٧ وغيرهم. ومنها: ما رواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة وذكر قصة حوار دار بين ابن عباس وبين عمر بن الخطاب بما يمت بأمر الخلافة والإمامة بعد النبي ﷺ... وملخص الحوار أنّه قال ابن عباس: دخلت على عمر في أوّل خلافته... فقال عمر: من أين جئت يا عبد الله؟ قلت: من المسجد، قال: كيف خلّفت ابن عمك... إنّما عنيت عظيمكم أهل البيت علياً؟ قلت: خلّفته يمتح بالغرب على نخيلات من فلان وهو يقرأ القرآن، قال: يا عبد الله، عليك دماء البدن إن كتمتها!! هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟ قلت: نعم، قال: أيزعم أنّ رسول الله ﷺ نصّ عليه؟ قلت: نعم، وأزيدك: سألت أبي عمّا يدّعيه، فقال: صدق، قال عمر: لقد كان من رسول الله ﷺ ذرو من قول في إعلان خلافة علي عليه السلام لا يثبت حجة ولا يقطع عذراً، ولقد كان النبي ﷺ يربع في أمره وقتاً ما أي كان يترقّب الفرصة لذلك - ولقد أراد أن يصرح باسمه علي عليه السلام - فمنعته من ذلك إشفاقاً وحيطة على الإسلام - وذلك بقوله: إنّ الرجل ليهجر - لا وربّ هذه البنية - أي خلافة علي - لا تجتمع عليه قريش أبداً، ولو وليها - علي - لا تنقضت عليه العرب من أقطارها، فعلم رسول الله أنّي علمت ما في نفسه فامسك، وأبي الله إلا إمضاء ما حتم (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٢: ص ٢٠). وأضاف ابن أبي الحديد: ذكر هذا الخبر أحمد بن أبي طاهر طيفور الخراساني في كتابه تاريخ بغداد مسنداً (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٢: ص ٧٩). وقال ابن أبي الحديد في موضع آخر: وقد روي معنى هذا الخبر بغير هذا اللفظ - وهو قول عمر -: إنّ رسول الله ﷺ أراد أن يذكره للأمر - الخلافة - في مرضه فصدّته عنه خوفاً من الفتنة وانتشار أمر الإسلام، فعلم رسول الله ﷺ ما في نفسي



وأمسك، وأبى الله إلا إمضاء ما حتم (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٢: ص ٧٩).
أقول: مع غض النظر عن الدلائل والبراهين الحديثية والتاريخية التي فيها دلالة واضحة على أن النبي ﷺ نصب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام علماً للإمامة والخلافة من بعده كما مرّ علينا نماذج منها، فإننا لو تمسكنا فقط بما اعترف به عمر بن الخطاب هنا لكفى في إثبات خلافة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهذا يدل على علمه بأولوية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالإمامة والخلافة، ومع ذلك أنه خالف رسول الله ﷺ ومعناه أنه قدم رأيه على إرادة رسول الله ﷺ، وهذا أمر واضح من كلامه. والعجيب من علماء أهل السنة الذين رووا هذا الحديث مع ما فيه من الدلالة الواضحة على إمامة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ومع اعتراف عمر بمخالفته الصريحة لرسول الله ﷺ كيف اقنعوا أنفسهم بخلافته للرسول الأعظم ﷺ؟! ثم التابعين والرواة والمحدثين من علماء أهل السنة جيلاً بعد جيل، وسلفاً عن خلف إلى يومنا هذا بعد نقلهم لهذه الأحاديث والروايات عن عمر بن الخطاب في إمامة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كيف يعتقدون بخلافه عمر؟! وهناك روايات كثيرة رواه خلفاء أهل السنة في إمامة أئمة المعصومين من أهل البيت عليه السلام وسندكرها إن شاء الله في محله. وعليه فإن عدم قبول الصحابة النصوص الصريحة التي رواها الخلفاء الثلاثة الدالة على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، معناه أن العصبيّة والحمية القبليّة قد جرّتهم إلى الرجوع إلى الجاهليّة الأولى. وقد أكّد سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بأن من حكم بغير حكم الله يكون حكمه حكم الجاهليّة، فقد قال الله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (سورة المائدة: ٥٠)؛ فقلّبه تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ استفهام توبيخي، كما أن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا﴾ استفهام إنكاري، أي: لا يوجد حكماً أحسن من حكم الله، وأنّ غير حكم الله يكون حكم الجاهليّة. فمن الواضح أنّ من حكم بغير حكم الله يشمله قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (سورة المائدة: ٤٤)؛ والوجه في تحذير الآية أنّ الحكم بغير ما أنزل الله موجب لوقوع الناس في



وأما قسم القاصر منها^(١)،



الضلالة، فصريح الآية أنّ من لم يحكم بما يغير ما أنزل الله فأولئك هم الكافرون، وهو عبارة أخرى عن أنّ غير حكم الله يكون حكم الجاهلية... سيأتي البحث فيه مفصلاً إن شاء الله تعالى. فالقسم المقصّر من الصحابة قد شملهم الآيات الدالة على رجوعهم إلى الجاهلية الأولى، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ الجاهل القاصر عبارة عن لا يلتفت إلى جهله أصلاً، أو لا علم له بالواقع، رغم حصول القطع لديه خلافاً لما هو في الواقع، فيكون معذوراً في جهله عند الله، ولا يُعدّ آثماً، لأنّه لم يقصر في جهله وعدم علمه. وبعبارة أخرى إذا صدر منه الخطأ لا يكون متعمداً في خطئه، لأنّه كان جاهلاً ومعذوراً في جهله، هذا إذا لم يكن سبب جهله ترك التعلّم عمداً، وأما إذا أمكن له السؤال والفحص ممّن يعتمد عليه في علمه، ويترك التعلّم والفحص فيدخل جهله في المقصّر، لأنّه كان يجب عليه الفحص لوجوب العمل بالعلم والحجة، فعدم الفحص وعدم التعلّم يُثبت بأنّه لم يكن معذوراً في جهله وفي رواية أنّ ترك التعلّم يوجب استحقاق العقاب. فقد روى الشيخ الطوسي رحمته الله في أماليه بسنده عن مسعدة بن زياد، قال: سمعت جعفر بن محمد رحمته الله وقد سئل عن قوله تعالى ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾، فقال رحمته الله: «إنّ الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: عبدي أكنت عالماً؟ فإن قال: نعم، قال له: أفلا عملت بما علمت؟ وإن قال: كنت جاهلاً، قال له: أفلا تعلمت حتّى تعمل؟ فيخصمه، فتلك الحجة البالغة» (الأمالي للشيخ الطوسي رحمته الله: ص ١٠). وروى القمي في تفسيره، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجَرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (سورة النساء: ٩٧)، أنّها نزلت في من اعتزل عن الإمام أمير المؤمنين رحمته الله ولم يقاتل معه، رحمته الله قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ رحمته الله، أي لم نعلم من الحق. فقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجَرُوا فِيهَا﴾، أي دين الله وكتابه واسعاً متسعاً، فتظنوا فيه، فترشدوا





وتهتدوا به سبيل الحقّ (تفسير القمّي ج ١: ص ١٤٩). فترك التعلّم بنفسه موجب لاستحقاق العقاب، وعليه فإنّ القاصر من الصحابة الذين تلوّثوا بقبول خلافة السقيفة معذرون إذا لم يمكنهم الفحص ولم يمكنهم تحصيل العلم بحال خلفاء الجور فلا حظ.

(١) وهو عثمان بن عامر، أبو قحافة، والد أبي بكر والمعلومات عنه قليلة. قيل إنّه كان حيّاً بعد وفاة أبي بكر، وورثه (انظر تاريخ اليعقوبي ج ٢: ص ١٣٨). ويقال أنّه أسلم يوم فتح مكّة (انظر سيرة ابن هشام ج ٤: ص ٤٨، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣: ص ٣٧٤-٣٧٥، والاستيعاب لابن ج ٣: ص ١٠٣٦). وابن عبد البر: أنّه قال قتادة: هو أوّل مخضوب في الإسلام. وعاش أبو قحافة إلى خلافة عمر، ومات سنة أربع عشرة وهو ابن سبع وتسعين سنة، وكانت وفاة ابنه قبله، فورث منه السدس، فردّه على ولد أبي بكر (الاستيعاب لابن عبد البر ج ٣: ص ١٠٣٦). وتوفّي في أوائل خلافة عمر وهو في سبع وتسعين من عمره (انظر تاريخ الطبري ج ٣: ص ٤٢٧، وتاريخ ابن الأثير ج ٣: ص ٣٥٧، تاريخ خليفة بن خياط ج ١: ص ١١٦). وروي أنّه لما قبض رسول الله ﷺ وبوع لأبي بكر كان بالطائف، فكتب ابنه أبو بكر إليه كتاباً عنوانه: من خليفة رسول الله إلى أبي قحافة، أمّا بعد: فإنّ الناس قد تراضوا بي، فإنّي اليوم خليفة الله، فلو قدمت علينا كان أقرّ لعينك. قال: فلمّا قرأ أبو قحافة الكتاب، قال للرسول: ما منعكم من عليّ؟ قال (الرسول): هو حدث السنّ، وقد أكثر القتل في قريش وغيرها، وأبو بكر أسنّ منه. قال أبو قحافة: إن كان الأمر في ذلك بالسنّ، فأنا أحقّ من أبي بكر، لقد ظلموا عليّاً حقّه، وقد بايع له النبي ﷺ وأمرنا ببيعته!! ثمّ كتب إليه: من أبي قحافة إلى ابنه أبي بكر، أمّا بعد، فقد أتاني كتابك فوجدته كتاب أحق، ينقض بعضه بعضاً، مرّة تقول: خليفة رسول الله ﷺ، ومرّة تقول: خليفة الله، ومرّة تقول: تراضى بي الناس! وهو أمر ملتبس، فلا تدخلنّ في أمر يصعب عليك الخروج منه غداً، ويكون عقباك منه إلى النار والندامة، وملامة النفس اللوامة لدى الحساب بيوم القيامة، فإنّ للأمور مداخل ومخارج، وأنت تعرف من هو أولى بها منك، فراقب الله



منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨ ٧٨٩

فقد روى حافظهم المغربي في استيعابه عنه والحاكم في مستدركه أنه لما بلغه إمامة ابنه أبي بكر قال: أَرْضَيْتَ بِذَلِكَ آلَ عَبْدِ مَنْفٍ؟ قِيلَ لَهُ: نَعَمْ، فَقَالَ: لَا وَاضِعَ لِمَنْ رَفَعْتَ وَلَا رَافِعَ لِمَنْ وَضَعْتَ^(١)، انتهى.



كَأَنَّكَ تَرَاهُ، وَلَا تَدْعُنْ صَاحِبَهَا، فَإِنَّ تَرْكَهَا الْيَوْمَ أَخَفُّ عَلَيْكَ وَأَسْلَمَ لَكَ وَالسَّلَامُ (الاحتجاج للشيخ الطبرسي ج ١: ص ١١٥). وإلى غير ذلك ما ورد في أنه طعن في خلافة ابنه ، فلاحظ.

(١) فقد أخرج ابن عبد البر في الاستيعاب بسنده عن سعيد بن المسيب، قال: لما قبض رسول الله ﷺ ارتجّت مكة، فسمع بذلك أبو قحافة، فقال: ما هذا؟ قالوا: قبض رسول الله ﷺ قال: أمر جليل، قال: فمن ولي بعده؟ قالوا: ابنك!! قال: فهل رضيت بذلك بنو عبد مناف، وبنو المغيرة؟!! قالوا: نعم!! قال: لا مانع لما أعطى الله، ولا معطي لما منعه الله!!! ومكث أبو بكر في خلافته سنتين وثلاثة أشهر إلا خمس ليال. وقيل: سنتين وثلاثة أشهر وسبع ليال (الاستيعاب لابن عبد البر ج ٣: ص ٩٧٧). وروى الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين بسنده عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال لما قبض النبي ﷺ بلغ أهل مكة الخبر، قال: فسمع أبو قحافة الهائعة فقال: ما هذا؟ قالوا: توفي النبي ﷺ، قال: أمر جليل، فمن قام بالأمر من بعده؟ قالوا: ابنك!! قال: ورضيت بنو مخزوم وبنو المغيرة؟!! قالوا: نعم!!! قال: اللهم لا واضع لما رفعت ولا رافع لما وضعت. فلما كان رأس الحول توفي أبو بكر، قال: فبلغ أهل مكة الخبر فسمع أبو قحافة الهائعة فقال: ما هذا؟ قالوا: توفي ابنك، قال: أمر جليل، والذي كان قبله أجل منه، قال: فمن قام بالأمر بعده؟ قالوا: عمر بن الخطاب، قال: هو صاحبه، صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (المستدرک على الصحيحين ج ٣: ص ٢٤٥)، ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج ٣٠: ص ٤٥٩، وابن الأثير في أسد الغابة ج ٣: ص ٢٢٢، والصفدي في الوافي بالوفيات ج ١٧: ص ١٦٧، والسيوطي في تاريخ الخلفاء: ص ٨٠، والمحب الطبري في رياض النضرة ج ١: ص ٢٥٦، وغيرهم. والحديث يدل على أن أبا قحافة كان جاهلاً قاصراً بالنسبة إلى نصوص الواردة



٧٩٠..... منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨

وهو دليل على قصور فطنته من جهة زعمه أنّ المعيار في إمامة الرجل على الخلق رضا آل عبد مناف ولم يصل عقله إلى أنّ هذه المنزلة منزلة ربّانية شرعية^(١).



في الإمامة كتاباً وسنةً، ولذلك تخيل أنّ الإمامة تكون برضى الناس فسأل ابنه بأنّه هل رضى بنو مخزوم وبنو المغيرة؟ وعندما قالوا: نعم، قال: اللّهم لا واضع لما رفعت ولا رافع لما وضعت... وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: قيل لأبي قحافة يوم ولي الأمر ابنه: قد ولي ابنك الخلافة، فقرأ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾. ثم قال: لم ولّوه؟ قالوا: لسنّه!! قال: أنا أسنّ منه (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١: ص ٢٢٢). والمستفاد من هذا الحديث أنّه وإن كان جاهلاً مقصراً ولم يعرف معنى الآية إلا أنّ ذيل الحديث يدلّ على أنّه لم يقبل خلافة ابنه، لأنّه عند ما سأل عن الوجه والدليل على ذلك؟ وأجابوا بأنّه حيث كان أسنّ صار خليفة، فقال: إذا كان لهذا الأمر من هو أسنّ، فأنا أسنّ منه ، والمفروض أنّ أكون خليفة لا هو. وهناك خبر يمكن اعتباره شاهداً على اعتراض أبي قحافة على ابنه وفيه أنّه رفض إرث أبي بكر، كما روى ابن سعد في طبقاته بسنده عن مجاهد قال: كلّ أبو قحافة في ميراثه من أبي بكر، فقال: قد رددت ذلك على ولد أبي بكر (انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣: ص ٢١٠)، ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ج ٣٠: ص ٤٦١، والبلاذري في أنساب الأشراف ج ١٠: ص ٩٧، وابن الجوزي في المنتظم ج ٤: ص ١٣١ وغيرهم. ونحن نسأل أهل السنة أنّه لماذا سئل عن ذلك؟ ولماذا رفض إرثه وردّه؟ وأليس فعله هذا إنكار على ابنه لمّا سئل عن سبب عدم ميراثه من ابنه؟!!

(١) وتوضيح المقام أنّ منصب الإمامة منصب إلهي قد جعله الله لمن فرض ولايته على الناس، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (سورة الأنبياء: ٧٣)، ففي منطق القرآن





الكريم أن الأئمة الذين جعلهم الله إماماً وهادياً للناس هو من يكون لانفاً بمنصب الإمامة من قبل الله عز وجل، كما أن الأنبياء ﷺ كانوا يليقون بمنصب النبوة عنده سبحانه وتعالى. فالإمام هو المنصوب من قبل الله عز وجل، وهو كما قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا كَانُوا بِآيَاتِنَا يُوْقُنُونَ﴾ (سورة السجدة: ٢٤)، فالأئمة الذين يهدون بأمر الله، أي لهم الولاية من الله عز وجل كالأنبياء الذين بعثهم الله تعالى لهداية الناس. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (سورة الأنبياء: ٧٣)، وقد فسر علماء أهل السنة هذه الآية بالأنبياء ﷺ. ومن الواضح عدم الفرق في الملاك والهداية الإلهية بين من بعثه الله نبياً وله الرسالة السماوية والولاية الإلهية، وبين من نصبه الله اماماً، وجعل له الولاية، وأوجب طاعته كما أوجب طاعة الأنبياء ﷺ. وهذه الحقيقة تتضح لمن تأمل في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (سورة المائدة: ٥٥)، فقد بدأ سبحانه في هذه الآية بكلمة إنما التي تفيد الحصر، وبذلك حصر ولاية أمر المسلمين في ثلاث وهم: الله ورسوله ﷺ والمؤمن الذي آمن بالله ورسوله وهو الذي أقام الصلاة وأعطى في حالة الصلاة الزكاة في حال الركوع. وقد أجمعت النصوص المفسرة لهذه الآية أن المقصود بمن اجتمعت فيه هذه الصفات: هو الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فبنص الروايات المتفقة بين الفريقين والمفسرة لهذه الآية، أنها نزلت في الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام... فأثبت الله تعالى في هذه الآية الكريمة الولاية لنفسه سبحانه ولنبيه ﷺ ولوليّه، ومعناه أن منصب الإمامة كمنصب النبوة منصب إلهي، لأن الله تبارك وتعالى يمنحه لمن يشاء من عباده. والآية تدل بوضوح على أن من أعطاه الله مقام الولاية فهو يليق بمنصب النبوة والإمامة. وأيضاً يستفاد من القرآن الكريم أن من له الولاية الإلهية تجب طاعته، لأنه ولي الأمر، وذلك بمقتضى قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (سورة النساء: ٥٩)، ومقتضى هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد أوجب طاعة أولي الأمر على الإطلاق، كما





أوجب فيها طاعته وطاعة رسوله ﷺ على الإطلاق، وهذا معناه أنّ النبي ﷺ يكون معصوماً، إذ لا يجوز الأمر بطاعة غير المعصوم على الإطلاق، فحيث أنّ غير المعصوم لا يكون مصوناً من الخطأ والذنب، فالأمر من الله تعالى بطاعة النبي ﷺ يستلزم عصمته، لأنّه يلزم القبيح على الحكيم أن يفرض طاعة من لا يؤمن عليه من الخطأ والمعصية. كما أنّ ذلك يكون نقضاً لغرضه في باب الطاعة كما هو واضح ظاهر. كذلك أولي الأمر لا بدّ أن يكون معصوماً كالنبي ﷺ، وذلك لإطلاق العطف على الرسول ﷺ، ومعناه كما تجب طاعة الرسول ﷺ على نحو الإطلاق كذلك تجب طاعة أولي الأمر نحو الإطلاق، وإلا لما جاز العطف عليه.

والجدير بالانتباه هو أنّ بعض العلماء المعروفين من أهل السنّة، ومنهم الفخر الرازي اعترف بهذه الحقيقة في مطلع حديثه عند تفسير هذه الآية الكريمة حيث قال: إنّ الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومن أمر الله بإطاعته على سبيل الجزم والقطع لا بدّ أن يكون معصوماً عن الخطأ، إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ قد أمر الله بمتابعته، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ، والخطأ لكونه خطأ منهي عنه، فهذا يفضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد، فثبت أن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم، وثبت إنّ كلّ من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ... (انظر تفسير الفخر الرازي ج ١٠: ص ١٤٤). فهكذا يقيم الفخر الرازي الدليل على أنّ المراد من أولي الأمر في الآية يجب أن يكون معصوماً. فأبو قحافة من جهة قصور فطنته غفل عن المعيار والميزان الشرعي في باب إمامة كتاباً وسنّة، حيث يعرف من كلامه وقوله المنسوب الي: أنّه يلزم رضى آل عبد مناف.... فالمعيار القرآني يدلّنا على أنّه ليس في باب الإمامة المعيار رضى آل عبد مناف، بل أنّ هذه المنزلة منزلة ربّانية شرعية ومنهج قرآني. فرعمه كان على قدر قصور فطنته، ولذلك سأل هل أنّ آل عبد مناف يرضون بذلك؟ فكان يتصوّر أنّه يلزم فيها رضى آل عبد مناف... فلاحظ.

ومن جهة قصور فطنته غفل عن الفحص عن حال نفس الخبر الذي وصل إليه هل هو صدق أم بهتان؟^(١)

(١) وبعبارة أوضح أنّ أبا قحافة كان جاهلاً قاصراً بالنسبة إلى مسألة الإمامة، وتفاجأ بخبر خلافة ابنه. فكان من وظيفته آن ذاك يفحص عن صدق الخبر وكذبه. وقد ذكر علماء أصول أنّ الجهل في أمثال هذه الموارد لا يكون عذراً، لأنّ المكلف يمكنه تحصيل العلم بالفحص. كما ورد من أنه يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقال له: هلا عملت؟ فيقول: ما علمت، فيقال له: هلا تعلمت؟ (انظر الأمالي للشيخ الطوسي ج ١: ص ٨). والمستفاد منه أن المؤاخذه على ترك الفحص وعدم التعلّم. فإنّ الجهل عن القصور وعدم الاستعداد وإن كان عذراً شرعياً وعقلياً، لأنّ القاصر أشبه بالحيوان، أما الجهل عن الإهمال والتقصير فليس بعذر، فالجاهل الذي ترك الفحص عمداً فهو كالعمد. كما أنّ القرآن الكريم له بيان حول هذه المسألة ومن تأمل في الآيات التي وردت فيها مادة "جهل" بمشتقاتها المختلفة: كتجهلون، ويجهلون، وجاهلين، وجاهلون، وجاهليّة يوقن بأنّ كلّ جاهل في القرآن الكريم يحمل ذمّاً. وإليك نماذج من الآيات: قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (سورة البقرة: ٦٧)، أي إنّ الاستهزاء من عمل الجاهلين، وأنبياء الله مبرأون من ذلك. فبعد أن أيقنوا جدية المسألة، قالوا: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾. وعبارة "ربك" تتكرّر في خطاب بني إسرائيل لموسى عليه السلام، وتنطوي على نوع من إساءة الأدب والسخرية، وكان ربّ موسى عليه السلام غير ربّهم!! موسى عليه السلام أجابهم: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾، أي أنّها لا كبيرة هزمة ولا صغيرة، بل متوسطة بين الحالتين، ﴿فَفَاعِلُوا مَا تُمَرُونُ﴾. لكن بني إسرائيل لم يكفوا عن لجاجتهم، ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا؟﴾ أجابهم موسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْثُهَا تَسُرُّ النَّاسَ مِنْ أَثَرِهَا فَذُكِّرَتْ عَلَيْهَا صُفْرَتُهَا فَاصْبِرْ لَهَا يَوْمَ ذِئْبِهَا وَلَهَا عِشْرُونَ هَدًى لِمَنْ حَظَّ مِنْهُنَّ وَأَنَّ اللَّهَ يَكُونُ غَافِلًا عَنِ مَا يَكُونُ لَكُمْ عَمَلًا﴾، أي أنّها حسنة الصفرة لا يشوبها لون آخر. ولم يكتف بنو إسرائيل بهذا، بل أصرّوا على لجاجهم، وضيقوا دائرة انتخاب البقرة على أنفسهم. عادوا و﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾، طالبن بذلك مزيداً



من التوضيح، متذرعين بالقول: ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾، أجابهم موسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾، أي ليست من النوع المذلل لحث الأرض وسقيها. ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ من العيوب كلها، ﴿لَّا شَيْءَ فِيهَا﴾ أي لا لون فيها من غيرها، حينئذ: ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ أي أنهم بعد أن وجدوا بقرة بهذه السمات ذبحوها بالرغم من عدم رغبتهم بذلك. بعد أن ذكر القرآن تفاصيل القصة، عاد فملخص الحادث بآيتين: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ أي فاختلفتم في القتل وتدافعتم فيه، ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾. ومن الآيات قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبَرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (سورة الأنعام: ٣٥). هذه الآية الكريمة استمرار لمواساة النبي ﷺ التي بدأت في الآيات السابقة، لقد كان رسول الله ﷺ يشعر بالحزن العميق لضلال المشركين وعنادهم، وكان يودّ لو أنّه استطاع أن يهديهم جميعاً إلى طريق الإيمان بآية وسيلة كانت، فيقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبَرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾، أي إذا كان إعراض هؤلاء المشركين يصعب ويثقل عليك، فشقّ أعماق الأرض أو وضع سلماً يوصلك إلى السماء للبحث عن آية ﴿إِنْ اسْتَطَعْتَ﴾ ولكن اعلم أنهم مع ذلك لن يؤمنوا بك. في هذه الآية يخبر الله نبيه ﷺ بأنّ ليس في تعليماتك ودعوتك وسعيك أي نقص، بل النقص فيهم، لأنهم هم الذين رفضوا قبول الحق، لذلك فأَي دليل تقيمه لن يكون له أثر فلا تقلق. ولكن لكيلا يظنّ أحد أنّ الله غير قادر على حملهم على التسليم يقول: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ أي لو أراد حملهم على الاستسلام والرضوخ لدعوتك والإيمان بالله لكان على ذلك قديراً. غير أنّ الإيمان الإجباري لا طائل تحته، إنّ خلق البشر للتكامل مبني على أساس حرّية الاختيار والإرادة، ففي حالة حرّية الاختيار وحدها يمكن تمييز "المؤمن" من "الكافر"، و"الصالح" من "غير الصالح" و"المخلص" من "الخائن" و"الصادق" من "الكاذب". أمّا في الإيمان الإجباري فلن يكن ثمة اختلاف بين





الطيب والخبيث، وعلى صعيد الإجبار تفقد كل هذه المفاهيم معانيها تماماً. ثم يقول سبحانه لنبيه: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، أي لقد قلت هذا لئلا تكون من الجاهلين، أي لا تفقد صبرك ولا تجزع، ولا يأخذك القلق بسبب كفرهم وشركهم. وما من شك أن النبي ﷺ كان يعلم هذه الحقائق ولكن الله ذكرها له من باب التطمين وتهذئة الروع تماماً كالذي نقوله نحن لمن فقد ابنه: لا تحزن فالدنيا فانية، سنموت جميعاً، وأنت ما تزال شاباً ولسوف ترزق بابن آخر، فلا تجزع كثيراً. فلا ريب أن فناء دار الدنيا، أو كون المصاب شاباً ليسا مجهولين عنده، ولكنها أمور تقال للتذكير. في الآية التي تليها استكمال لما سبق ومزيد من المواساة للرسول الكريم ﷺ، فتقول الآية إنما يستجيب الذين يسمعون، أما الذين هم في الواقع أشبه بالأموات فإنهم لا يؤمنون حتى يبعثهم الله يوم القيامة. ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ كُنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (سورة النمل: ٥٥). وإلى غير ذلك من الآيات المباركة، فالقرآن الكريم استخدم لفظ الجهل والجاهل في مقابل العلم، وقد يستعمل الجاهل بمعنى المنافق، والكافر، أو الغبي والمتعطر كما في قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (سورة البقرة: ٢٧٣) حيث يمكن تفسير الجاهل بأنه المنافق، والكافر، أو الغبي والمتعطر البخل المستغل، فهو يتعجب من حال إنسان مهاجر محتاج، أكل عليه الدهر وشيع؛ كيف لا يسأل الناس. وبما أنه ما سأل فهو فعلاً غير محتاج، إذ لربما لديه من الأموال والثروات ما يخفيه!! فالجاهل هنا مذموم مثل كل كلمة جاهل في القرآن الكريم، ولا يعني الجهل هنا الأمي أو ما يأتي ضد العلم، أو غير العالم بحالهم، إذ العلم بفقرهم واضح، لكن ينطع الرجل ولا يريد أن يصدق فقره! وهذا ما كان عليه أبو قحافة، حيث كان يمكنه السؤال عن حقيقة الإمامة بعد وفاة رسول الله ﷺ ولكنه تجاهل ولم يفحص عن حقيقة الأمر، فلا يكون معذوراً، فلاحظ.

فإنه لو كان قد فحص لعلم بتخلف سادة بني عبد مناف عن بيعة ولده^(١)،

(١) هذه العبارة اشارة إلى المتخلفين عن بيعة أبي بكر والمخالفين لاجتماع الناس في السقيفة، لأن مخالفتهم كانت عن يقين وعلم ودليل بعد فحصهم الأدلة من الكتاب والسنة النبوية المتفق عليها بين جميع المسلمين. والباحث المتتبع يجد كتب أهل السنة مشحونة بذكر الصحابة المتخلفين عن بيعة أبي بكر، كسلمان وأبي ذر وعمر والمقداد وجماعة من المهاجرين والأنصار وبني هاشم. فقد روى الزبير بن بكار عن محمد بن إسحاق أنه قال: إن أبا بكر لما بوع افتخرت تيم بن مرة!! قال: وكان عامة المهاجرين وجل الأنصار لا يشكون أن علياً عليه السلام هو صاحب الأمر بعد رسول الله ﷺ، فقال الفضل بن العباس: يا معشر قريش! وخصوصاً يا بني تيم! إنكم إنما أخذتم الخلافة بالنبوة ونحن أهلها دونكم، ولو طالبنا هذا الأمر الذي نحن أهله لكانت كراهة الناس لنا أعظم من كراهتهم لغيرنا حسداً منهم لنا وحقداً علينا، وإننا لنعلم إن عند صاحبنا عهداً هو ينتهي إليه (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج: ٦ ص ٢١). وروى أيضاً الزبير بن بكار ضمن رواية: قال زيد بن أرقم: إنا لنعلم إن من قريش من لو طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه أحد... علي بن أبي طالب عليه السلام (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج: ٦ ص ٢١). وذكر الواقدي أن زيد بن أرقم قال - عقيب بيعة السقيفة لعبد الرحمن بن عوف - يا ابن عوف! لولا أن علي بن أبي طالب عليه السلام وغيره من بني هاشم اشتغلوا بدفن النبي ﷺ وبحزنهم عليه فجلسوا في منازلهم ما طمع فيها من طمع!!! (كتاب الرد للواقدي: ص ٤٥) وقال يعقوبي: وتخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار ومالوا مع علي بن أبي طالب، منهم العباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس، والزبير بن العوام، وخالد بن سعيد، والمقداد بن عمرو، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، وعمر بن ياسر، والبراء بن عازب، وأبي ابن كعب (تاريخ يعقوبي ج: ٢ ص ١٢٤) وغيرهم. بل يظهر من عبارة بعض أهل السنة تخلف جمع كثير، قال ابن عبد البر: وتخلف عن بيعته سعد بن عباد وطائفة من الخزرج وفرقة من قريش... ثم ذكر علياً عليه السلام والزبير وطلحة وخالد بن سعيد... (الاستيعاب ج: ٣ ص ٩٣٧). وقال محمد أبو الفضل محمد - من أعلام أهل السنة



في القرن الثامن والتاسع :- إنّ علياً عليه السلام كان في غاية الشجاعة ومعه فاطمة والحسن والحسين عليهما السلام وكثير من أكابر الصحابة، حتّى روي عنهم أنّه اجتمع عنده سبعمائة من الأكابر مريدين إمامته... إلى أن قال: أجاب الشيعة: بأنّه وإن كان معه سبعمائة لكن جميع عوام الصحابة مع أبي بكر، وكانوا أكثر من ثلاثين ألفاً، فأين القدرة...؟! (انظر قاموس البحرين: ص ٣٣٧) وروى البخاري ومسلم والذهبي وابن كثير وغيرهم: إنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وبنو هاشم جميعاً لم يبايعوا أبا بكر في حياة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام (انظر صحيح البخاري ج ٥: ص ٨٢ كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، وصحيح مسلم ج ٥: ص ١٥٤ كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ﷺ لا نورث ما تركناه صدقة، وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٣: ص ١٤، والبداية والنهاية لابن كثير ج ٥: ص ٣٠٧). فعلى حدّ أصحّ كتب القوم أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لم يبايع هؤلاء لمدة ستة أشهر. ومن الواضح أنّ من كان تابعاً للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كذلك لم يبايعه تبعاً للإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، قال المقدسي: ولم يبايع علي عليه السلام أبا بكر ما لم يدفن فاطمة عليها السلام، وذكر ابن دأب: أنّها (أي فاطمة عليها السلام) ماتت عاتبة على أبي بكر وعمر (انظر البدء والتاريخ ج ٥: ص ٢٠). وقال المسعودي: لمّا بويع أبو بكر في يوم السقيفة وجدّدت البيعة له يوم الثلاثاء على العامة، خرج علي عليه السلام فقال: «أفسدت علينا أمورنا ولم تستشر ولم ترع لنا حقّاً؟!» فقال أبو بكر: بلى، ولكنّي خشيت الفتنة. وكان للمهاجرين والأنصار يوم السقيفة خطب طويل ومجادبة في الإمامة، وخرج سعد بن عبادة ولم يبايع، ولم يبايعه أحد من بني هاشم حتّى ماتت فاطمة عليها السلام (انظر مروج الذهب ج ٢: ص ٣٠١). وقال يعقوبي: جاء البراء بن عازب، فضرب الباب على بني هاشم وقال: يا معشر بني هاشم! بويع أبو بكر! فقال بعضهم: ما كان المسلمون يحدّثون حدثاً نغيب عنه، ونحن أولى بمحمّد ﷺ، فقال العباس: فعلوها وربّ الكعبة، وكان المهاجرون والأنصار لا يشكّون في علي عليه السلام، فلمّا خرجوا من الدار قام الفضل بن العباس، وكان لسان قريش، فقال: يا معشر قريش، إنّ ما حقّت، لكم الخلافة بالتصويّة ونحن أهلها دونكم وصاحبنا أولى بها منكم، وقام عتبة بن أبي لهب فقال: ما كنت أحسب أنّ الأمر



٧٩٨..... منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨

من جهة السنن التي سمعوها من خاتم الرسل ﷺ في بيان خليفته من بعده
وسمعوها غيرهم وخالفها الغالب^(١)،



منصرف * عن هاشم ثم منها عن أبي الحسن. عن أول الناس إيماناً وسابقة * وأعلم
الناس بالقرآن والسنن. وآخر الناس عهداً بالنبي ﷺ، ومن * جبريل عون له في الغسل
والكفن. من فيه ما فيهم لا يمترون به * وليس في القوم ما فيه من الحسن (تاريخ
اليقوبي ج ٢: ص ١٢٤). وروى محب الدين الطبري: وتخلّف... سعد بن عبادة في طائفة
من الخزرج، وعلي بن أبي طالب وابناه عليّ، وبنو هاشم والزبير وطلحة وسلمان وعمّار
وأبو ذر والمقداد وغيرهم من المهاجرين، وخالد بن سعيد بن العاص (انظر الرياض
النضرة ج ١: ص ٢٤١). ثم إنّ اثنا عشر رجلاً من المهاجرين والأنصار أنكروا على أبي بكر
جلوسه في الخلافة وتقدّمه على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهم: خالد
بن سعيد بن العاص، والمقداد بن الأسود، وأبي بن كعب، وعمّار بن ياسر، وأبو ذر
الغفاري، وسلمان الفارسي، وعبد الله بن مسعود، وبريدة الأسلمي ومن الأنصار: خزيمه
ابن ثابت ذو الشهادتين، وسهل بن حنيف، وأبو أيوب الأنصاري، وأبو الهيثم بن التيهان
(انظر الاحتجاج ج ١: ص ٩٧). وسنذكر تفصيل الكلام في محلّه إن شاء الله تعالى. وعليه
فإنّ أبا قحافة لو كان يفحص عن الإمام الذي افترض الله طاعته على الناس، لعلم أنّ سادة
بني عبد مناف تخلّفوا عن بيعة ولده، لأنّهم كانوا يعتقدون بامامة من نصبه الله للإمامة،
فلاحظ.

(١) وبعبارة أخرى أنّه لو كان أبو قحافة جاهلاً بمسألة الإمامة، فإن كان فطناً لسأل الصحابة
عن حقيقة الإمامة كتاباً وسنة، وايضا كان بإمكانه أنّ يسأل الصحابة هل أنّ بني عبد
مناف خالفوا خلافة ابنه أم لا؟

ومن الواضح أنّه بعد الفحص كان يحصل له العلم بأنّ كثيراً من الصحابة بايعوا الإمام أمير
المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالخلافة والامامة يوم غدير خم. بل والروايات الواردة
في إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وفضائله التي رواها الصحابة عن





رسول الله ﷺ مما لا يحصى عدده، ومن تلك الروايات ما رواه سليم بن قيس قال: سمعت سلمان الفارسي يقول: إنّ علياً باب فتحه الله، من دخله كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً (كتاب سليم بن قيس الكوفي: ص ٢٤٨). وقال: سمعت سلمان وأبا ذر والمقداد وسألت الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن ذلك فقال: «صدقوا»، قالوا: دخل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على رسول الله ﷺ وعائشة قاعدة خلفه والبيت غاص بأهله فيهم الخمسة أصحاب الكتاب والخمسة أصحاب الشورى فلم يجد مكاناً، فأشار إليه رسول الله ﷺ «ها هنا»، يعني خلفه وعائشة قاعدة خلفه وعليها كساء، فجاء علي عليه السلام فقعده بين رسول الله ﷺ وبين عائشة فغضبت، وقالت: ما وجدت لإستك موضعاً غير حجري؟ فغضب رسول الله ﷺ وقال: «يا حميراء، لا تؤذيني في أخي علي، فإنه أمير المؤمنين وسيد المسلمين وصاحب الغر المحجلين يوم القيامة يجعله الله على الصراط». وفي رواية أخرى «يقعده الله يوم القيامة على الصراط فيقاسم النار فيدخل أولياءه الجنة ويدخل أعداءه النار» (كتاب سليم بن قيس الكوفي: ص ١٧٩). وما رواه زر بن حبیش قال: مرّ علي بن أبي طالب عليه السلام على بغلة رسول الله ﷺ وسلمان في ملاء، فقال سلمان: ألا تقومون تأخذون بحجزته تسألونه، فوالله الذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا يخبركم سرّ نبيكم أحد غيره، وإنّه لعالم الأرض وزرّها وإليه تسكن، ولو فقدتموه لفقتم العلم (الأمالى للشيخ المفيد رحمه الله: ص ٨٩). ومنها: ما قال جابر ابن عبد الله الأنصاري: لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول في علي عليه السلام خصالاً لو كانت واحدة منها في رجل اكتفى بها فضلاً وشرفاً، قوله ﷺ: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»، وقوله: «عليّ منّي كهارون من موسى»، وقوله: «عليّ منّي وأنا منه»، وقوله: «عليّ منّي كنفسى، طاعته طاعتي ومعصيته معصيتي»، وقوله: «حربُ عليّ حرب الله، وسلم عليّ سلم الله»، وقوله: «وليّ عليّ ولي الله وعدوّ عليّ عدوّ الله»، وقوله: «عليّ حجة الله على عباده»، وقوله: «حبّ عليّ إيمان وبغضه كفر»، وقوله: «حزب عليّ حزب الله، وحزب أعدائه حزب الشيطان»، وقوله: «عليّ مع الحقّ والحقّ معه لا يفترقان»، وقوله: «عليّ قسيم الجنة والنار»، وقوله: «من فارق عليّاً فقد فارقني، ومن فارقني فقد فارق الله»، وقوله ﷺ: «شيعة





عليّ هم الفائزون يوم القيامة» (ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ج ١: ص ١٧٢). وقال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيّد النّبيّين وعليّ سيّد الوصيّين، وإنّ أوصيائي بعدي اثنا عشر، أولهم عليّ وآخرهم القائم المهدي» (ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ج ٢: ص ٣١٦). وقال: كنت عند النبي ﷺ وعنده أبو بكر وعمر، فقال النبي ﷺ لعليّ ﷺ: «اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله»، فقال أبو بكر لعمر: هذه والله الفضيلة (انظر أخبار أصبهان ج ٢: ص ٣٥٨). وسأل الإمام محمّد بن علي الباقر ﷺ جابر ابن عبد الله الأنصاري لمّا دخل عليه عن عايشة وما جرى بينها وبين عليّ ﷺ فقال له جابر: دخلت عليها يوماً وقلت لها: ما تقولين في علي بن أبي طالب؟ فأطرقت رأسها ثمّ رفعت وقالت: إذا ما التبر حك على المحكّ * تبين غشّه من غير شكّ. وفينا الغشّ والذهب المصقّى * عليّ بيننا شبه المحكّ (انظر نظم درر السمطين للزرندي الحنفي: ص ١٣٣). وقال عبيد الله بن أبي الجعد سأل جابر بن عبد الله عن قتال عليّ فقال: ما يشكّ في قتال عليّ إلّا كافر (انظر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٤٢: ص ٤٤٤). وقال جابر بن عبد الله: إنّ رسول الله ﷺ نزل بخمّ فتنحى الناس عنه وأمر عليّاً ﷺ فجمعهم، فلمّا اجتمعوا قام فيهم وهو متوسّد يد علي بن أبي طالب، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: «أيّها الناس إنّّه قد كرهت تخلفكم عنّي حتّى خيل إليه أنّه ليس شجرة أبغض إليكم من شجرة تليني»، ثمّ قال: «لكن علي بن أبي طالب أنزله الله منّي بمنزلي منه، فرضي الله عنه كما أنا عنه راض، فإنّه لا يختار على قربي ومحبّي شيئاً» ثمّ رفع يديه فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه» قال: فابتدر الناس إلى رسول الله ﷺ ليكون ويتضرّعون ويقولون: يا رسول الله ما تنحينا عنك إلّا كراهة أن نثقل عليك فنعود بالله سبحانه من سخط رسوله. فرضي رسول الله ﷺ عنهم عند ذلك (العمدة لابن بطريق: ص ٥٣). ومنها ما قال أبو بكر، فقد روى محبّ الدين الطبري ذكر ما رواه أبو بكر في فضل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ منه: حديث النظر إليه ﷺ عبادة، وحديث استواء كفه ﷺ وكفّ النبي ﷺ، وحديث أنّه ﷺ خيم عليه وعلى بنه خيمة، وحديث أنّه ﷺ من النبي ﷺ بمنزلة النبي ﷺ من ربّه، وحديث لا يجوز أحد





الصراف إلا بجواز يكتبه عليّ عليه السلام، وقوله: من سرّه أن ينظر إلى أقرب الناس قرابةً، وإحاليته على عليّ عليه السلام لما سئل عن وصف رسول الله صلى الله عليه وآله (انظر الرياض النضرة ج ٣: ص ٢٩٥). وقال: قال معقل بن يسار: سمعت أبا بكر يقول: علي بن أبي طالب عترة رسول الله صلى الله عليه وآله، أي الذين حثّ النبي صلى الله عليه وآله على التمسك بهم والأخذ بهديهم، فإنهم نجوم الهدى ومن اقتدى بهم اهتدى، وخصّه أبو بكر بذلك لأنّه الإمام في هذا الشأن وباب مدينة العلم والعرفان، فهو إمام الأئمة وعالم الأمة، وكأنّه أخذ ذلك من تخصيصه صلى الله عليه وآله له من بينهم يوم غدیر خمّ كما سبق. وهذا حديث صحيح لا مرية فيه ولا شكّ لنا فيه (انظر وسيلة المآل: ص ٢٣٠ مخطوط). قال الشعبي: رأى أبو بكر علياً عليه السلام فقال: من سرّه أن ينظر إلى أعظم الناس منزلةً من رسول الله صلى الله عليه وآله وأقربه قرابةً وأفضله دالةً وأعظمه عناءً عن نبّيه فلينظر إلى هذا (انظر معارج العلى ص ١٨٦ مخطوط، ورواه السهمودي في جواهر العقدین: ص ٢٩٤). وقال الشعبي: بينا أبو بكر جالس إذ طلع علي بن أبي طالب عليه السلام من بعيد، فلمّا رآه قال أبو بكر: من سرّه أن ينظر إلى أعظم الناس منزلةً وأقربهم قرابةً وأفضلهم حالاً وأعظمهم عناءً عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فلينظر إلى هذا الطالع (انظر جواهر العقدین الذکر: ص ٢٩٤). وقال حبشي بن جنادة: كنت جالساً عند أبي بكر، فقال: من كانت له عند رسول الله صلى الله عليه وآله عدّة فليقم، فقام رجلٌ فقال: يا خليفة رسول الله، إنّه وعدني ثلاث حثيات من تمر، فأحثها لي، فقال: أرسلوا إلى علي عليه السلام فجاء فقال له: يا أبا الحسن إن هذا يزعم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وعده أن يحثي له ثلاث حثيات من تمر فأحثها له، فلمّا حثّاها له، فقال له أبو بكر: عدّوها فعدّوها فوجدوها في كلّ حثية ستين تمرة لا تزيد واحدة على الأخرى، فقال أبو بكر: صدق الله ورسوله، قال لي رسول الله ليلة الهجرة ونحن خارجون من الغار يريد المدينة: يا أبا بكر «كفّي وكفّ علي في العدد سواء» (انظر المناقب للخوارزمي: ص ٢١٠). ومنها ما قال عائشة، فإنّها قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله التزم علياً وقبله وهو يقول: «بأبي الوحيد الشهيد، بأبي الوحيد الشهيد» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٥٤٩، ومجمع الزوائد للهيتمي ج ٩: ص ١٣٧). وايضاً سئلت أيّ الناس أحبّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالت: فاطمة، قيل: من الرجال؟ قالت: زوجها، إنّه





كان ما علمت صوماً قواماً (انظر أسنى المطالب للوصابي: ص ٣٨ مخطوط). وقالت: قال جميع بن عمير: قالت عمّتي لعائشة وأنا أسمع: أرأيت مسيرك إلى علي ما كان؟ قالت: دعينا منك، إنه ما كان من الرجال أحبّ إلى رسول الله ﷺ من علي، ولا من النساء أحبّ إليه من فاطمة (انظر بشارة المصطفى لشيعه المرتضى لمحمد بن محمد الطبري: ص ٢٤٠). ومنها: ما قال عمر بن الخطاب فإنه قال: لقد أعطي علي بن أبي طالب ثلاث خصال لأن تكون لي خصلة منها أحبّ إلي من أن أعطى حمر النعم، قيل: وما هي؟ قال: تزويجه فاطمة بنت رسول الله، وسكناه المسجد مع رسول الله يحلّ له فيه ما يحلّ له، والراية يوم الخير. هذا حديث صحيح الإسناد (انظر المستدرک على الصحيحين ج ٣: ص ١٢٥)، وأسنى المطالب للجزري ص ١١، والمناقب للخوارزمي ص ٢٣٨). وقال: إن رسول الله ﷺ قال لعلي: «يا علي، لك سبع خصال لا يحاجك فيه أحد يوماً: أنت أول المؤمنين بالله إيماناً وأوفاهم بعهد الله وأقومهم بأمر الله وأرفهم بالرعية وأقسمهم بالسوية وأعلمهم بالقضية وأعظمهم مزية يوم القيامة (انظر مفتاح النجاء لأبي نصر الجامي: ص ٣٧). وقال عمر: كانت لأصحاب محمد ﷺ ثمانية عشر سابقة، فخصّ عنها علي بثلاثة عشر وشركنا في الخمس (انظر المناقب للخوارزمي: ص ٥٢، وتوضيح الدلائل في تصحيح الفضائل للسيد شهاب الدين أحمد: ص ٤٨١ مخطوط). وفي حديث جاء رجلان إلى عمر فقالا له: ماترى في طلاق الأمة؟ فقام إلى حلقة فيها رجل أصلع فقال له: ماترى في طلاق الأمة؟ فقال: اثنتان. فالتفت عمر إليهما فقال: اثنتان، فقال له أحدهما: جئناك وأنت الخليفة، فسألناك عن طلاق الأمة فجئت إلى رجل فسألته فوالله ما كلمك، فقال له عمر: ويلك أتدري من هذا؟ هذا علي بن أبي طالب، إنني سمعت رسول الله يقول: «لو أن السماوات والأرض وضعت في كفة ميزان، ووزن إيمان علي لرجح إيمان علي على السماوات والأرض» (انظر المناقب للخوارزمي: ص ١٣١، والمناقب لابن المغازلي: ص ٢٨٩، والرياض النضرة لمحبة الدين الطبري ج ٣: ص ٢٦٣، توضيح الدلائل في تصحيح الفضائل للسيد شهاب الدين أحمد: ص ٣٤٧ مع فرق يسير، ووسيلة المال للحضرمي: ص ٢٦٧، أسنى المطالب للوصابي: ص ٨٩). وقال: كفّوا عن علي فإنني سمعت





من رسول الله ﷺ فيه خصالاً لو أن خصلة منها في جميع آل الخطاب كان أحب اليّ ممّا طلعت عليه الشمس، إنّي كنت ذات يوم وأبو بكر وعبد الرحمن وعثمان بن عفّان وأبو عبيدة بن الجراح في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فانتبهينا إلى باب أم سلمة إذا نحن بعلي متكىء على نجف الباب فقلنا: أردنا رسول الله، فقال: هو في البيت يخرج عليكم الآن، قال: فخرج علينا رسول الله ﷺ فثرنا حوله فاتكى على عليّ ثمّ ضرب يده على منكبه وقال: «يا ابن أبي طالب، فإنك تخاصم بسبع خصال ليس لأحد بعدهنّ إلاّ فضلك: إنك أول المؤمنين معي إيماناً وأعلمهم بأيام الله وأوفاهم بعهده وأرفهم بالريّة وأقسمهم بالسوية وأعظمهم عند الله مزيّة» قال ابن عساكر: وسقطت منهم واحدة (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٥٨). وقال سويد بن غفلة: رأى عمر رجلاً يخاصم عليّاً فقال له عمر: إنّي لأظنّك من المنافقين، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عليّ منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٣٣٠). وقال عمر بن الخطاب: قال رسول الله ﷺ: «ما اكتسب مكتسب مثل فضل عليّ، يهدي صاحبه إلى الهدى ويرد عن الردى» (انظر الرياض النضرة لمحّب الدين الطبري ج ٣: ص ٢٤٠). وقال عمر لعليّ عليه السلام: عظمي يا أبا الحسن، قال: «لا تجعل يقينك شكّاً ولا علمك جهلاً ولا ظنّك حقّاً، واعلم أنّه ليس لك من الدنيا إلاّ ما أعطيت فامضيت وقسمت فسويت ولبست فألبيت»، قال: صدقت يا أبا الحسن (تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٤٩٣). وقال محّب الدين الطبري في ذكر ما رواه عمر في عليّ عليه السلام: منه حديث الراية يوم خيبر، وحديث ثلاث خصال لأن يكون لي واحدة منهنّ، وحديث أنّه ﷺ قال في عليّ ثلاث خصال لوددت أن لي واحدة منهنّ، وحديث «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى»، وحديث رجحان إيمانه بالسموات السبع والأرضين، وحديث «من كنت مولاه فعلي مولاه»، وقوله: ما أحببت الإمارة إلاّ يومئذ لما قال لعليّ «لأبعثنه... إلى كذا وكذا»، وقوله: أصبحت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة، وقوله: عليّ مولى من النبيّ مولاه، وقوله في عليّ أنّه مولاي وإحالة في المسألة عليه غير مرّة في القضاء، وقوله: أقضانا عليّ ورجوعه إلى قوله في مسائل كثيرة (انظر الرياض النضرة ج ٣: ص ٢٩٥). وقال عمر: تحبّبوا إلى الأشراف وتودّدوا، واتّقوا





على أعراضكم من السفلة، واعلموا أنه لا يتم شرف إلا بولاية علي عليه السلام (انظر جواهر العقدين للسهمودي: ص ٢٩٤). وقال ابن عباس: مشيت أنا وعمر بن الخطاب في بعض أزقة المدينة، فقال لي: يا ابن عباس أظن القوم استصغروا صاحبكم إذ لم يولوه أموركم، فقلت: والله ما استصغره رسول الله إذ اختاره لسورة براءة يقرؤها على أهل مكة، فقال لي: الصواب تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب: «من أحبك أحبني، ومن أحبني أحب الله، ومن أحب الله أدخله الجنة» (انظر جواهر العقدين للسهمودي: ص ٩٧ مخطوط). وقال سالم بن أبي جعدة: قيل لعمر بن الخطاب: إنك تصنع بعلي ما لا تصنعه بأحد من أصحاب النبي ﷺ، فقال: إنه مولاي (وسيلة المال للحضرمي: ص ٢٣٠ مخطوط). ومنها: ما قاله معاوية بن أبي سفيان، فقد روى قيس بن أبي حازم قال: سأل رجل معاوية عن مسألة، فقال: سل عنها علي بن أبي طالب فهو أعلم مني، قولك أحب إلي من قول علي، قال: بئس ما قلت ولؤم ما جئت به، لقد كرهت رجلاً كان رسول الله ﷺ يغره بالعلم غراً، ولقد قال له: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»، وكان عمر بن الخطاب يسأله ويأخذ عنه، ولقد شهدت عمر إذا أشكل عليه أمر قال: أها هنا علي بن أبي طالب؟ ثم قال معاوية للرجل: قم لا أقام الله رجلك، ومحا اسمه من الديوان (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ١٧٠، ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي: ص ١٣٤، وسيلة المال للحضرمي: ص ٢٤٣). وقال أبو اسحاق: جاء ابن أحمور التميمي إلى معاوية فقال: جئتك من عند الأم الناس وأبخل الناس وأعيا الناس وأجبن الناس، فقال له معاوية: ويلك وأنى أتاه اللؤم، ولكننا نتحدث أن لو كان لعلي بيت من تبن وآخر من تبن لأبعد التبر قبل التبن، وأنى أتاه العي وإن كنا نتحدث أنه ما جرت المماسي على رأس رجل من قريش أفصح من علي، ويلك وأنى أتاه الجبن وما برز له رجل قط إلا صرعه، والله يا ابن أحمور لو لا أن الحرب خدعة لضربت عنقك، اخرج فلا تقيم في بلدي، قال عطاء: وإن كان معاوية يقاتله فإنه كان يعرف فضله (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٤١٤). وقال جابر: كنا عند معاوية، فذكر علينا فأحسن ذكره وذكر أبيه وأمه، ثم قال: وكيف لا أقول هذا لهم، وهم خيار خلق الله (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٤٢)





ص ٤١٤). وعن مغيرة قال: جاء نعي علي بن أبي طالب إلى معاوية وهو نائم مع امرأته فاخته بنت قرظة، فقعد باكياً مسترجعاً، فقالت له فاختة: أنت بالأمس تطعن عليه واليوم تبكي عليه؟ فقال: ويحك أنا أبكي لما فقد الناس من حلمه وعلمه (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٥٨٢). وقال: لما جاء معاوية وفاة علي، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، وهو قائل مع امرأته ابنة قرظة في يوم صائف، وقال: ماذا فقدوا من العلم والفضل والخير!!! فقالت امرأته، تسترجع عليه اليوم؟ قال: ويلك لا تدرين ماذا ذهب من علمه وفضله وسوابقه (انظر تاريخ دمشق ج ٤٢: ص ٥٨٣). وروى أنس عن عمر بن الخطاب قال: حدثني أبو بكر قال: سمعت أبا هريرة يقول: جئت إلى النبي ﷺ وبين يديه تمر، فسلمت عليه فرد عليّ وناولني من التمر ملء كفه فعدّته ثلاثاً وسبعين تمرة، ثم مضيت من عنده إلى عند علي بن أبي طالب وبين يديه تمر، فسلمت عليه فرد عليّ وضحك إليّ، وناولني من التمر ملء كفه فعدّته فإذا هو ثلاث وسبعون تمرة، فكثرت تعجّبي من ذلك، فرجعت إلى النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، جئتك وبين يديك تمر، فناولتني ملء كفك، فعدّته ثلاثاً وسبعين تمرة، ثم مضيت إلى علي بن أبي طالب وبين يديه تمر، فناولني ملء كفه فعدّته ثلاثاً وسبعين، فتعجّبت من ذلك، فتبسّم النبي ﷺ وقال: «يا أبا هريرة، أما علمت أنّ يدي ويد عليّ في العدل سواء» (انظر كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ص ٢٥٦). ومنها: ما قال عبد الله بن عمر بن الخطاب، فقد روى عطاء عن ابن عمر أنّه بلغه أنّ رجلاً يذكر علي بن أبي طالب فقال له ابن عمر: لم تفعل؟ فوربّ هذه البنية لقد سبقت له الحسن من الله ما لها من مردود. قال سعد بن عبيدة: قال رجل لابن عمر: ما تقول في عليّ فإنّي أبغضه؟ قال: أبغضك الله فإنّي أبغضك (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٤١٤). وقال: جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن علي، فذكر محاسن عمله، وقال: هو ذاك بيته أوسط بيوت النبي ﷺ، ثم قال: لعلّ ذاك ليسوءك، قال: أجل، قال: فأرغم الله بأنفك، انطلق فاجهد على جهدك (انظر نزل الأبرار: ص ٩). وقال: جاء رجل إلى عبد الله ابن عمر، فقال: حدثني عن علي، فقال ابن عمر: إن سرّك أن تعلم ما كانت منزلته من رسول الله ﷺ فانظر إلى بيته من بيوت رسول الله ﷺ. قال الرجل: فإنّي أبغضه، قال:





أبغضك الله (نظر انساب الأشراف ج ٢: ص ١٨٠). وقال عبد الله بن عمر: كنّا نتحدّث أنّ أفضل هذه الأمة علي بن أبي طالب (انظر أسنى المطالب للوصابي: ص ٩٥ مخطوط). وقال ابن عمر: لقد أعطي علي بن أبي طالب ثلاثاً لأن أكون أعطيتهنّ أحبّ إليّ من حمر النعم، زوجته رسول الله ﷺ فاطمة فولدت له، وأعطي الراية يوم خيبر، وسدّت أبواب المسجد إلّا باب علي (انظر أخبار أصبهان ج ٢: ص ٢١٠). وقال عبد الله بن عمر: سألت النبي ﷺ عن علي بن أبي طالب فغضب وقال: «ما بال أقوام يذكرون منزلة من له منزلة كمنزلي؟ ألا ومن أحبّ عليّاً فقد أحبّني ومن أحبّني رضي الله عنه، ومن رضي الله عنه كافاه بالجنة، ألا ومن أحبّ عليّاً يقبل الله صلاته وصيامه وقيامه واستجاب الله له دعاءه، ألا ومن أحبّ عليّاً فقد استغفرت له الملائكة وفتحت له أبواب الجنة فيدخل من أي باب شاء بغير حساب، ألا ومن أحبّ عليّاً لا يخرج من الدنيا حتّى يشرب من الكوثر ويأكل من شجرة طوبى ويرى مكانه من الجنة، ألا ومن أحبّ عليّاً هون الله تبارك وتعالى عليه سكرات الموت وجعل قبره روضة من رياض الجنة، ألا ومن أحبّ عليّاً أعطاه الله بعدد كلّ عرق في بدنه حوراء ويشفع في ثمانين من أهل بيته وله بكلّ شعرة في بدنه مدينة في الجنة، ألا ومن أحبّ عليّاً بعث الله إليه ملك الموت يرفق به ودفع الله عزّ وجلّ عنه هول منكر ونكير ونور قلبه وبَيَض وجهه، ألا ومن أحبّ عليّاً أظلّه الله في ظلّ عرشه مع الشهداء والصديقين، ألا ومن أحبّ عليّاً نجاه الله من النار، ألا ومن أحبّ عليّاً تقبل الله منه حسناته وتجاوز عن سيئاته وكان في الجنة رفيق حمزة سيد الشهداء، ألا ومن أحبّ عليّاً ثبتت الحكمة في قلبه وجرى على لسانه الصواب وفتح الله له أبواب الرحمة، ألا ومن أحبّ عليّاً سمّي في السماوات أسير الله في الأرض، ألا ومن أحبّ عليّاً ناداه ملك من تحت العرش يا عبد الله استأنف العمل فقد غفر الله لك الذنوب كلّها، ومن أحبّ عليّاً جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر، ألا ومن أحبّ عليّاً وضع الله على رأسه تاج الكرامة وألبسه حلّة الكرامة، ألا ومن أحبّ عليّاً مرّ على الصراط كالبرق الخاطف، ألا ومن أحبّ عليّاً وتولاه كتب الله له براءة من النار وجوازاً على الصراط وأماناً من العذاب، ألا ومن أحبّ عليّاً لا ينشر له ديوان ولا ينصب له ميزان ويقال له أو قيل له: ادخل الجنة





بغير حساب، ألا ومن أحب آل محمد صافحته الملائكة وزاره الأنبياء وقضى الله له كل حاجة كانت له عند الله عز وجل، ألا ومن مات على حب آل محمد فأنا كفيhle بالجنة (قالها ثلاثاً)). قال قتية بن سعيد أبو رجاء: كان حماد بن زيد يفتخر بهذا الحديث ويقول: هو الأصل لمن يُقربَه (انظر نهج الإيمان لابن جبر: ص ٢٥). ومنها: ما قال ابن عباس: فقد قال ابن عباس: لعلي أربع خصال ليست لأحد: هو أول عربي وأعجمي صلى مع رسول الله ﷺ، وهو الذي كان لوائه معه في كل زحف، والذي صبر معه يوم المهراس، وهو الذي غسله وأدخله قبره (انظر المستدرک على الصحيحين ج ٣: ص ١١١، ورواه ابن عبد البر في الاستيعاب ج ٣: ص ١٠٩٠، والهيتمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٠، وغيرهم). وقال رجل لابن عباس: سبحان الله ما أكثر مناقب علي وفضائله؟ إني لأحسبها ثلاثة آلاف، فقال ابن عباس: أولا تقول: أنها إلى ثلاثين ألفاً أقرب، قلت: ويدل على ذلك ما روينه عن إمام أهل الحديث أحمد بن حنبل وهو أعرف اصحاب أهل الحديث في علم الحديث: ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ ما جاء لعلي بن أبي طالب. وقال الحافظ البيهقي: وهو أهل كل فضيلة ومنقبة، ومستحق لكل سابقة ومرتبة، ولم يكن أحد في وقته أحق بالخلافة منه (انظر كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ص ٢٥٢). وقال ابن عباس: ما انتفعت بكلام بعد النبي ﷺ شيء كتب به إلي علي به أبي طالب ﷺ فإنه كتب: «بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، يا أخي فإنك تسر بما يصل إليك مما لم يكن يفوتك، ويسوؤك ما لم تدركه، فما نلت يا أخي من الدنيا فلا تكن به فرحاً وما فاتك فلا تكن عليه حزناً، وليكن عملك لما بعد الموت، والسلام» (انظر الرياض النضرة ج ٣: ص ٢٥٦). وقال عمرو بن ميمون: إني لجالس إلى ابن عباس إذ أتاه تسعة رهط، فقالوا: يا ابن عباس، إما أن تقوم معنا وإما أن يخلونا هؤلاء، قال: فقال ابن عباس: بل أقوم معكم، قال: وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى، قال: فابتدأوا فتحدثوا فلا ندري ما قالوا قال: فجاء ينفذ ثوبه ويقول: أف وتف، وقعوا في رجل له عشر، وقعوا في رجل قال له النبي ﷺ: «لأبعثن رجلاً لا يخزيه الله أبداً يحب الله ورسوله»، قال: فاستشرف لها من استشرف، قال: «أين علي؟» قالوا: هو في الرحل يطحن، قال: «وما كان أحدكم





ليطحن»، قال: فجاء وهو أرمَد لا يكاد يبصر، قال: فنفت في عينيه، ثم هز الراية ثلاثاً فأعطاه إياه فجاء بصفية بنت حيي، قال: ثم بعث فلاناً بسورة التوبة فبعث علياً خلفه فأخذها منه، قال: «لا يذهب بها إلا رجل مني وأنا منه»، قال: وقال لبني عمه: «أيكم يوالي في الدنيا والآخرة؟»، قال: وعلي معه جالس فأبوا، فقال علي: «أنا وأليك في الدنيا والآخرة»، قال: «أنت ولي في الدنيا والآخرة»، قال: فتركه، ثم أقبل على رجل منهم فقال: «أيكم يوالي في الدنيا والآخرة؟» فأبوا، قال: فقال علي: «أنا وأليك في الدنيا والآخرة»، فقال: «أنت ولي في الدنيا والآخرة»، قال: وكان أول من أسلم من الناس بعد خديجة، قال: وأخذ رسول الله ﷺ ثوبه فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، قال: وشرى علي نفسه لبس ثوب النبي ﷺ ثم نام مكانه، قال: وكان المشركون يرمون رسول الله ﷺ فجاء أبو بكر وعلي نائم، قال: وأبو بكر يحسب أنه نبي الله، قال: فقال: يا نبي الله، قال: فقال له علي: «إن نبي الله ﷺ قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركه»، قال: فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار، قال: وجعل علي يرمى بالحجارة كما كان يرمى نبي الله وهو يتصور قد لف رأسه في الثوب لا يخرج حتى أصبح، ثم كشف عن رأسه، فقالوا: إنك للثيم كان صاحبك نراميه فلا يتصور وأنت تتصور وقد استنكرنا ذلك، قال: وخرج بالناس في غزوة تبوك، قال: فقال له علي: «أخرج معك»، قال: فقال له نبي الله: «لا»، فبكى علي، فقال له: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنك لست بنبي، أنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي»، قال: وقال له رسول الله ﷺ: «أنت ولي في كل مؤمن من بعدي»، وقال: سدوا أبواب المسجد غير باب علي، فكان يدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره، قال: وقال: «من كنت مولاه فإن مولاه علي» (انظر مسند أحمد ج ١: ص ٣٣١، والمستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج ٣: ص ١٣٢، ومجمع الزوائد للهيتمي ج ٩: ص ١١٩ وغير ذلك). وقال ابن عباس في جواب من سأل عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: رحمة الله على أبي الحسن، كان والله علم الهدى، وكهف التقى، وطود النهى، ومحل الحجى، وغيث الندى، ومنتهى العلم للورى، ونوراً أسفر في





الدجى، وداعياً إلى المحجّة العظمى، مستمسكاً بالعروة الوثقى، انقى من تَقَمَّص وارتدى، وأكرم من شهد النجوى بعد محمّد المصطفى، وصاحب القبلتين، وأبو السبطين، وزوجته خير النساء فما يفوقه أحد، لم تر عيناى مثله، ولم أسمع بمثله؛ فعلى من بغضه لعنة الله ولعنة العباد إلى يوم التناد. أخرجه أبو الفتح القواس. قوله: طود هو الجبل العظيم، استعير منه التعظيم، والنهى العقول، والحجى العقل أيضاً، والنجوى المشاورة والمسارة (انظر ذخائر العقبى لمحبّ الدين الطبري: ص ٧٨). وقال مجاهد: قيل لابن عباس ما تقول في علي بن أبي طالب؟ فقال: ذكرت والله أحد الثقلين، سبق بالشهادتين، وصلى القبلتين، وبايع البيعتين، وأعطى السبطين الحسن والحسين، وردّت عليه الشمس مرّتين بعد ما غابت عن المقلتين، وجرّد السيف تارتين، وهو صاحب الكرّتين، فمثله في الأمة مثل ذي القرنين، ذلك مولاي علي بن أبي طالب عليه السلام (انظر مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ج ١: ص ٤٧). وقال ابن عباس: العلم ستّة أسداس، فلعلي بن أبي طالب من ذلك خمسة أسداس وللناس سدس، ولقد شاركنا في سدسنا حتّى هو أعلم به منّا (انظر مقتل الحسين للخوارزمي ج ١: ص ٤٤). وقال: كنّا نتحدّث أن رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إلى علي سبعين عهداً لم يعهد لها غيره (انظر مجمع الزوائد للهيثمى ج ٩: ص ١١٣، كفاية الطالب للكنجى: ص ٢٩١). وقال ميمون بن مهران: كنت مع عبد الله بن عباس في الطواف، فإذا هو بشابّ متعلّق بأستار الكعبة وهو يقول: اللهمّ إنّي أبرأ إليك من علي بن أبي طالب وممّا أحدث في الإسلام، فقال لي ابن عباس: ادع لي ذلك الشابّ، قال: فدعوته إليه، فجاء وجلس عن يمين ابن عباس، فقال له ابن عباس: من أنت وما اسمك؟ قال: أنا زمعة بن خارجة الخارجي، قال: فقال له ابن عباس: يا زمعة، وما أحدث علي في الإسلام؟ قال: إنّه قتل المسلمين يوم الجمل وصفين، فقال له ابن عباس: إنّك بغى الرأى مخذول الرأس، إنّ علي بن أبي طالب شهر سيفه على من خرج على الأمة وقابل الأئمة، لو لم يكن لعلي إلا أربع خصال كانت له أربع سوابق لو قسمت على جميع الخلائق لوسعتهم، قال: وما هي يا ابن عباس؟ قال: إنّه كان أوّل الناس إسلاماً لم يعبد صنماً ولم يشرب خمرأً، والثانية كان يسمع حسّ جبرئيل عليه السلام حين ينزل على محمّد صلى الله عليه وآله بالوحي دوننا، والثالثة: لما أراد الله





أن يزوج كريمته فاطمة من علي فأمر الحور العين أن برزن فأمر طوبى أن تنشر فنشرت الدرّ مثل القلال فكن يلتقطن وهنّ يتهادين إلى يوم القيامة ويقلن: هذه هدايا فاطمة بنت محمد ﷺ، والرابعة: لما كان فتح مكة وسكن الناس وسقطت الشمس للمغيب قال النبي ﷺ لعلي: «يا علي انطلق بنا حتى نكسر صنم بني خزاعة»، وكان لبني خزاعة صنم عند الميزاب، فانطلقا فلما انتهيا إليه أنحنى علي وقال: «ارق يا رسول الله»، فقال له النبي ﷺ: «إنك لا تقدر على حملي ولا أهل الدنيا كلهم يقدرون على أن يحملوا عضواً من أعضاء نبي»، فوضع النبي ﷺ رجله على كتف علي، فكاد علي ينكسر فاستغاث بالنبي ﷺ وقال: «الأمان يا رسول الله فقد كادت أعضائي تختلف بعضها في بعض»، فرفع النبي ﷺ رجله عن كتف علي وقال: «يا علي، ذلك ثقل النبوة»، ثم قال: «ارق» وانحنى النبي ﷺ، فارتقى علي وكان طول الكعبة أربعين ذراعاً، فقال له النبي ﷺ: «يا علي هل وصلت؟» قال: «يا رسول الله والله لو أردت أن أمس السماء لمسستها»، فأخذ الصنم وطرحه على الأرض وألقى نفسه على الأرض فسقط سقطة، ثم وثب وهو يضحك، فقال له النبي ﷺ: «ما لك تضحك يا علي؟! قال: «إنما أضحك إذ لم يصنبي نكبة»، فقال له النبي ﷺ: «كيف يصيبك الألم وإنما حملك محمد ونزل بك جبرئيل». قال: فتاب زمعة بن خارجة الخارجي على يديه، وصار محباً لعلي (انظر زين الفتى للعاصمي: ص ١٧٠ مخطوط). وقال ابن عباس: كانت لعلي ثماني عشرة منقبة ما كانت لأحد من هذه الأمة (انظر مجمع الزوائد للهيثمى ج ٩: ص ١٢٠). وقال: والله لقد أعطي علي تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شاركم في العشر العاشر (انظر توضيح الدلائل للسيد شهاب الدين أحمد: ص ٤٢٤، وكفاية الطالب للشنقيطي: ص ٥١). وقد سأله بعض الناس أي رجل كان علياً؟ قال: كان ممتليء جوفه حكماً وعلماً وبأساً ونجدة مع قرابته من رسول الله ﷺ. قال ابن عباس: علم رسول الله ﷺ من علم الله، وعلم علي من علم رسول الله ﷺ، وعلمي من علم علي، وما علمي وعلم أصحاب محمد في علم علي إلا كقطرة في سبعة أبحر، فانظر كيف تفاوت الخلق في العلوم والفهوم (انظر كفاية الطالب للشنقيطي: ص ٥١-٥٢). وقد سئل عن رسول الله ﷺ، فقال: كان أشدنا برسول الله ﷺ





لزوماً وأولنا إسلاماً (انظر أسنى المطالب للوصابي: ص ٣٩). وعنه: إنَّ علياً دخل على النبي ﷺ فقام إليه وعانقه وقَبِلَ بين عينيه، فقال العباس: أتَحَبُّ هذا يا رسول الله؟ قال: «يا عمّ، والله أشدَّ حُبّاً له مِنِّي» (انظر كفاية الطالب للشنقيطي: ص ٥١-٥٢). وقال سعيد بن جبیر: ذكر عند ابن عباس علي بن أبي طالب ﷺ فقال: إنَّكم تذكرون رجلاً كان يسمع وطء جبرئيل فوق بيته (انظر فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج ٢: ص ٦٥٤). ومنها ما قال سعد بن أبي وقاص، فقد روى عبد الله بن أبي نجيح عن أبيه، قال: لَمَّا حَجَّ معاوية أخذ بيد سعد بن أبي وقاص فقال: يا أبا إسحاق إنا قومٌ قد أجفانا هذا الغزو عن الحجِّ حتَّى كدنا ننسى بعض سنته، فطف نطفَ بطوافك قال: فلَمَّا فرغ أدخله في دار الندوة فأجلسه معه على سريره، ثمَّ ذكر علي بن أبي طالب فوقه فيه، قال: أدخلتني دارك وأقعدتني على سريرك ثمَّ وقعت فيه تشتمه، والله لأن تكون في أحد خلاله الثلاث أحبَّ إليَّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، ولأن يكون قال لي ما قال له حين رآه غزا تبوكاً، «ألا ترضى أن تكون مِنِّي بمنزلة هارون من موسى إلاَّ أنَّه لا نبي بعدي»، أحبَّ إليَّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، ولأن أكون صهره على ابنته ولي منها من الولد، أحبَّ إليَّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، ثمَّ قال لمعاوية: لا أدخل عليك داراً بعد اليوم، ثمَّ نفّض رداءه وخرج (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ١١٩). قال سعد بن أبي وقاص: إنَّ أبا بكر وعمر قالوا: أمسيت يا ابن أبي طالب مولى كلِّ مؤمن ومؤمنة (انظر وسيلة المآل للحضرمي: ص ٢٣٠). وقال: لو وضع المنشار على مفرقي على أن أسبَّ علياً ما سببته أبداً بعد ما سمعت من رسول الله ﷺ ما سمعت (انظر معارج العلى في مناقب المرتضى لمحمّد صدر العالم: ص ١٩١ مخطوط). وروى مسلم في صحيحه أنَّه أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً، فقال: ما منعك أن تسبَّ أبا تراب؟ فقال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهنَّ له رسول الله ﷺ فلن أسبّه، لأن تكون لي واحدة منهنَّ أحبَّ إليَّ من حمر النعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول له وقد خلّفه في بعض مغازيه، فقال له علي: «يا رسول الله خلّفني مع النساء والصبيان»، فقال له رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تكون مِنِّي بمنزلة هارون من موسى إلاَّ أنَّه لا نبوة بعدي؟»، وسمعت يقول يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلاً





يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»، قال: فتناولنا لها، فقال: «ادعوا لي علياً»، فأوتني به أرمداً، فبصق في عينيه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه، ولمّا نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ (صحيح مسلم ج ٧: ص ١٢٠ كتاب الفضائل، باب فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام). وروى أيضاً أنه دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: «اللهم هؤلاء أهلي» (صحيح مسلم ج ٧: ص ١٢٠ كتاب الفضائل، باب فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام). قال الشيخ منصور علي ناصف: فهذه الأحاديث الثلاثة في علي لم يقلها النبي ﷺ لأحد غيره، ففيها دلالة على رفع مكانة علي عليه السلام وفي الحديث اثنتان من علامات النبوة فعلية وقولية؛ أما الفعلية، فبصقه في عين علي وبرؤها في الحال، وأما القولية، فهي قوله: «خذ الراية وسر إليهم فسيفتح الله عليك». وكان كذلك (انظر التاج ج ٣: ص ٢٩٦). قال الحارث بن مالك: أتيت مكة فلقيت سعد بن أبي وقاص، فقلت: هل سمعت لعلّي منقبة؟ قال: قد شهدت له خمساً لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليّ من الدنيا أعمر فيها مثل عمر نوح، إنّ رسول الله ﷺ بعث أبا بكر ببراءة إلى مشركي قريش فسار بها يوماً وليلة، ثم قال لعلّي: «اتبع أبا بكر، فخذها وبلغها» وردّ علي أبا بكر فرجع أبو بكر فقال: يا رسول الله أنزل في شيء؟ قال: لا إلاّ خيراً، «إلاّ أنه ليس يبلغ عني إلاّ أنا أو رجل مني»، أو قال «من أهل بيتي»، وقال: وكنا مع النبي ﷺ في المسجد، فنودي فينا ليلاً: ليخرج من في المسجد إلاّ آل الرسول وآل علي قال: فخرجنا نجرّ نعالتنا، فلمّا أصبحنا أتى العباس النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أخرجت أعمامك وأصحابك، وأسكنت هذا الغلام؟ فقال رسول الله ﷺ: «ما أنا أمرت بإخراجكم ولا إسكان هذا الغلام، إنّ الله هو أمر به»، وقال: والثالثة، أن نبي الله بعث عمرو سعداً إلى خيبر، فخرج سعد ورجع عمر، فقال رسول الله ﷺ: «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله في ثناء كثير أخشى أن أحصى»، فدعا علياً فقالوا: إنّهُ أرمداً فجيء به يقاد، فقال له: «افتح عينيك»، فقال: «لا أستطيع»، قال: فتفل في عينه من ريقه ودلكها بإبهامه وأعطاه الراية، والرابعة: يوم غدیر خم قام رسول الله ﷺ فأبلغ، ثم قال: «أيّها الناس ألسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» ثلاث مرّات، قالوا: بلى، قال: «ادن يا





علي»، ورفع يده، ورفع رسول الله ﷺ يده حتى نظرت إلى بياض ابطنه، فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» - حتى قالها - ثلاث مرّات. والخامسة من مناقبه: أنّ رسول الله ﷺ غزا على ناقته الحمراء وخلف علياً، فنفس ذلك عليه قريش، وقالوا أنّه إنّما خلفه أنّه استقله وكره صحبته، فبلغ ذلك علياً، قال: فجاء حتى أخذ بعرز الناقة، فقال: «زعمت قريش أنّك إنّما خلفتني أنّك استقلتي وكرهت صحبتني»، قال: وبكى علي قال: فنادى رسول الله ﷺ في الناس فاجتمعوا ثمّ قال: «أيّها الناس ما منكم أحدٌ إلّا وله حامة، أما ترضى يا ابن أبي طالب أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي؟». فقال علي: رضيت عن الله ورسوله. قال الكنجي: هذا حديث حسن وأطرافه صحيحة (انظر في كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ص ٢٨٥). قال خيثمة بن عبد الرحمن: قلت لسعد بن أبي وقاص: ما خلفك عن علي، شيء رأيته أو سمعته من رسول الله قال: لا بل شيء رأيته، أما إنّني قد سمعت له من رسول الله ﷺ ثلاثة لو تكون واحدة لي منها أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس ومن الدنيا وما فيها. الأولى منها: لمّا كانت غزوة تبوك خلف رسول الله ﷺ علياً في أهله، قال فوجد علي في نفسه، فقال: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه ليس بعدي نبوة؟». والثانية، قال رسول الله ﷺ يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّ الله ورسوله، ليس بفرار لا يرجع حتى يفتح الله عليه»، فلمّا أصبح صلّى الفجر، ثمّ نظر في وجوه القوم فرأى علياً منكسراً في ناحية القوم يشتكي عينيه، قال: فدعاه فقال: يا رسول الله «إنّي أرمده»، قال فأخذه إليه فمسح عينيه ودعا له، قال علي: «فو الذي بعثه بالحقّ ما شكيتهما بعد»، قال: ثمّ أعطاه الراية، قال: فمضى بها وأتبعه الناس من خلفه، قال: فما تكامل الناس من خلفه حتى لقي مرحب فاتقاه بالرمح فقتله، ثمّ مضى إلى الباب حتى أخذ بحلقة الباب، ثمّ قال: «انزلوا يا أعداء الله على حكم الله وحكم رسوله وعلى كلّ بيضاء وصفراء»، قال: فجاء رسول الله ﷺ فجلس على الباب فجعل علي يخرجهم على حكم الله وحكم رسوله، فبايعهم وهو أخذ بيد رسول الله ﷺ قال: فخرج حيي بن أخطب، قال: فقال له رسول الله ﷺ: «برئت منك ذمّة الله إذا كتمتني شيئاً»، قال: نعم، وكانت له سقاية في الجاهليّة، فقال له



فثبت بنقل أهل مذهب السنّي صدق ما قاله الشيعي من التقسيم، وبأن بهتان السنّي^(١).



رسول الله ﷺ: «ما فعلت سقايتكم التي كانت لكم في الجاهليّة»، قال: فقال: يا رسول الله أجلينا يوم النضير فاستهلكناها لما نزل بنا من الحاجة، قال: «فبرئت منك ذمّة الله وذمّة رسوله إن كذبتني»، قال: نعم، قال فأتاه الملك فأخبره فدعاه رسول الله ﷺ فقال: «اذهب إلى جذوع نخلة كذا وكذا، فإنّه قد نقرها وجعل السقاية في جوفها»، قال: فاستخرجها فجاء بها، قال: فلمّا جاء بها قال لعلي: «قم فاضرب عنقه»، قال: فقام إليه فضرب عنقه وضرب عنق ابن أبي الحقيق، وكان زوج صفية بنت حيي وكان عروساً بها، قال: فأصابها رسول الله ﷺ. والثالثة، قال رسول الله ﷺ يوم غدیر خم ورفع يده علي فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ١١٨). قدم معاوية في بعض حجّاته فدخل عليه سعد فذكروا علياً فقال منه، فغضب سعد وقال: تقول هذا لرجل رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه» وسمعتة يقول: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبي بعدي» وسمعتة يقول: «لأعطين الراية اليوم رجلاً يحبّ الله ورسوله» (انظر سنن ابن ماجه ج ١: ص ٤٥). وقال: قال رسول الله ﷺ في علي بن أبي طالب ثلاث خصال: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله»، وحديث الطير وحديث غدیر خم (انظر حلية الأولياء ج ٤: ص ٣٥٦). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على لسان الصحابة والخلفاء الدالّ على إمامته وخلافته بعد رسول الله ﷺ، بلا فصل، ولاندري مع وجود هذه الروايات والاعترافات كيف بايعوا أبا بكر مع علمهم بأنّه غصب الخلافة من مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى أنّ علماء الشيعة ملتزمون بشروط المناظرة عند إقامة الحجة على الخصم. وعلى هذا الأساس ثبت باعتراف ابن تيمية أنّ ما ذكره العلامة الحلي عليه السلام من تقسيم الصحابة إلى أقسام ثابت كتاباً وسنةً، وهما حجة شرعية عند جميع أهل السنة كما



ثالثها: ما زعمه من أنّ الرفضة قوم بهت^(١)،



تقدّمت الإشارة إليها ، ولذلك اعترف ابن تيمية بصحة التقسيم ، إن كان ابن تيمية وعلماء أهل السنة ينقضونه ما ثبت عندهم بما يدعون من عدالة الصحابة. ولكن الذي أخرج ابن تيمية عن طور البحث في المناظرة هو ما نسب من البهتان الى طرفه المقابل بغضاً منه ورجاءً للفرار من البحث ، ولكن لم يمكنه التخلص من الاشكال ، إلاّ أنّه أثبت بذلك عجزه في المناظرة مع العلامة الحلبي رحمته الله لما بيّنا فيما تقدّم من الأدلة كتاباً وسنةً، فلاحظ.

(١) قال ابن منظور: بهت الرجل أبهته بهتاً إذا قابله بالكذب. وقوله عز وجل: ﴿اتَّخِذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾، أي مباهتين آثمين. قال أبو إسحاق: البهتان الباطل الذي يتحير من بطلانه، وهو من البهت والتحير، والألف والنون زائدتان، وبهتاناً موضع المصدر، وهو حال المعنى: أتأخذونه مباهتين وآثمين؟ وبهت فلان فلاناً إذا كذب عليه، وبهت وبهت إذا تحير. وقوله عز وجل: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بُهْتَانٍ يَفْتَرِيهِ﴾، أي لا يأتيين بولد عن معارضة من غير أزواجهنّ، فينسبهنه إلى الزوج، فإنّ ذلك بهتان وفرية، ويقال: كانت المرأة تلتقطه فتبتّاه. وقال الزجاج في قوله: بل تأتيهم بغتة فتبهتهم، قال: تحيرهم حين تفجأهم بغتة. والبهوت: المباهت، والجمع بهت... (انظر لسان العرب ج ٢: ص ١٣ مادة: بهت). وقال الفاضل الهندي في شرح العينية الحميرية: بهت فلان أي دهش وحير، قال تعالى: ﴿فَبَهْتَ الَّذِي كَفَرَ...﴾، البهتان: الكذب العظيم الذي يبهت السامع لفظاعته، وكذا كل فعل شنيع، بهت من أطلع عليه لفظاعته، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بُهْتَانٍ يَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ﴾. أراد به الزنا، أو كل فعل شنيع (انظر شرح العينية الحميرية للفاضل الهندي: ص ٥٠٢). ولا يخفى أنّ أسلوب الكذب والافتراء والبهتان من أساليب وديدن من يكون ضعيفاً في الجهات العلمية والحوارية، وبعبارة أخرى الافتراء آلة حرب لمن لا جواب له أمام الحقّ، فلا يدري ما يقول في جواب الحقّ، فيلوذ بالأوهام والأكاذيب والافتراءات والبهتان ونحو ذلك ليمرّ عن ساحة البحث العلمي ودراسات الباحثين عن الحقّ والحقيقة بحالة الطفرة فيغيّر منهجه ويتغلّب على نفسه بعصبية عمياء. وهذا المنهج





مذموم في القرآن وسنة أهل البيت عليهم السلام وسيرتهم عليهم السلام، لأن القرآن الكريم عبر عن الافتراء والكذب بالظلم كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ (سورة العنكبوت: ٦٨)، ولا يخفى على الخبير أنه ليس ذنب فوق الظلم في القرآن الكريم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة لقمان: ١٣)، وذلك لأن الشرك بالله أساس كل الانحرافات وضلالات ومعاصي. فإن أتباع القرآن الكريم يمتثلون أوامر ربهم في هذا المجال كبقية المجالات، وعلماء الشيعة قد أخذوا هذا المنهج القرآني نصب أعينهم، ولذلك عندما يتوجهون إلى أمثال هذه الاتهامات من ابن تيمية وأمثاله يتلون قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ (سورة الأنعام: ٦٨)، فإن معنى الآية يشملهم وهذا ما قام به علماء الشيعة الإمامية في هذه الفتن التي أثارها أهل الباطل، فهم بحسب الأدلة يبينون الحق ويوضحونه بصورة واضحة وشفافة وقد أخذوا هذا المنهج من النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام في حواراتهم العلمية. فالشيعة هم أتباع المنهج القرآني وأتباع منهج أهل البيت عليهم السلام. قد جاهدوا في الرد على شبهات أهل الباطل بأسلوب جميل وبيان قوي ناصح لعباد الله، كما هو ديدن القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام، فإن ديدن القرآن الكريم والعتر الطاهرة عليهم السلام على أن الكذب على الشخص حرام كله، سواء كان الرجل مسلماً أو كافراً، برّاً أو فاجراً، لكن الافتراء على المؤمن أشدّ بل الكذب وكله حرام. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من بهت مؤمناً أو مؤمنة، أو قال فيه ما ليس فيه، أقامه الله على تلّ من نار، حتّى يخرج ممّا قاله فيه» (انظر عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢: ص ٣٧، وكنز العمال للمتقي الهندي ج ٣: ص ٥٦٤). وعن ابن أبي يعفور: قال الصادق عليه السلام: «من بهت مؤمناً أو مؤمنة بما ليس فيه، بعته الله عزّ وجلّ في طينة خبال حتّى يخرج ممّا قال» قلت: وما طينة الخبال؟ قال: «صديد يخرج من فروج المومسات» (الكافي ج ٢: ص ٣٥٨). فأتباع أهل البيت عليهم السلام استجابةً لحديث رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي يفرقا حتّى يردا عليّ الحوض»، يتبعون القرآن وأهل البيت عليهم السلام في جميع أفعالهم وأقوالهم. ومن



فإنّه يجوز فيه معنيان^(١)، فإن قصد بهم غير اثني عشرية الشيعة فليس يضرّ بهتهم، بل ونفاقهم وكفرهم باثني عشريةهم للفرق المعلوم بينهم^(٢)،



الواضح أنّه ليس في كلام القرآن والعترّة الطاهرة عليه السلام ما نسب ابن تيمية إلى الشيعة، بل أنّ الباحث لو تأمل في كتب أتباع خلافة السقيفة يجدها مليئة بالكذب والافتراء والبهتان والتزوير والتليبس والخيانة في النقل وكتمان الحقّ والسبّ والشتّم ونحو ذلك من أساليب الساقطين. وأمّا لو تأمل الباحث في كتب ابن تيمية يجدها مشحونة بهذه الأساليب الساقطة، كما مرّ بعض كلماته بذينة، وسيأتي أكثر من السابق في المباحث الآتية، فلاحظ.

(١) لا يخفى على الخبير أنّ من شرائط البحث العلمي، والمحاورات العلمية أنّ لا يستخدم كل من الطرفين الكلمات المجملّة والمزدوجة بين المعنيين لئلا يمكن لأحد الطرفين التزوير والتليبس في الكلام، ولكن كما ترى منهج ابن تيمية على العموم في كتبه منهج التحريف والتزوير وتليبس الحقائق والكذب والافتراء والبهتان، واستخدام الكلمات المجملّة والمزدوجة ليغشّ أتباعه والغفلة من أهل السنّة فيستخدم الألفاظ والكلمات المشتركة ليتصوّر أهل نحلته المعنى المحرف هو ما قصده في البحث. وهذا ما نجده بوفور في كلماته، على سبيل المثال أنّه يستخدم كراراً مراراً لفظ الشيعة ويقصد بذلك بعض الفرق المنتسبة إلى الشيعة، ليلبس على أهل نحلته معنى الشيعة، من دون أن يذكر أنّ هؤلاء ليسوا من الشيعة الاثني عشرية. ولكن كما يقال: حبل الكذب والبهتان قصير، والحقيقة لا تبقى تحت الستار فتتكشف للباحثين ولو بعد حين. فإنّ من كذب فقد كذب على نفسه، إذ أنّه سيفتضح بكذبه وبهتانه. وذلك لأنّ الفرق المنسوبة إلى الشيعة الاثني عشرية كلّهم فرق باطلة ضالّة عند الشيعة كأهل السنّة، بل وأنّ بعضهم أضلّ من أهل السنّة عند الشيعة الاثني عشرية كما سيّضح ذلك من خلال المطالب الآتية إن شاء الله تعالى.

(٢) من المؤسف حقّاً أنّه قد ظهرت على مسرح الحياة الإسلاميّة فرق ينسبونّها إلى الشيعة





افتراءً وبهتاناً كالزيدية والإسماعيلية والواقفية والغلاة وغيرهم ممن جرى مجراهم فمأهم من الشيعة، بل ولا هم من الإسلام. وكان وراء هذه العملية العدائية خصوم الشيعة الذين كانوا يستخدمون المرتزقة ويطلبون منهم الانتماءات الكاذبة إلى التشيع، وعندما كان الناس يعترضون عليهم بما كانوا يرون منهم من الأعمال المخالفة للشريعة المقدسة في المجتمع كانوا ينسبون أنفسهم إلى التشيع، ليشيروا عليهم وعلى أئمة أهل البيت عليهم السلام حتى أنّ ما كان يصدر من بعضهم كان مخالفاً للضروريات الإسلامية المتسالم عليها بين المسلمين. والهدف من انتساب هؤلاء إلى الشيعة لجهة تخريب وتشويه سمعة الشيعة، بل وتخريب أصل الدين ومحو آثاره والنهمة إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم الموالين لهم. ولا يخفى أنّ أعداء الشيعة كانوا يعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي غرس بذرة التشيع ونصّ على إمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام كما نصّ عليهم بالمدح والثناء وأنّ الدين قائم بهم مادام هذه الدنيا باقية. فمن الواضح لدى الخبير أنّ أمثال هذه الفرق المنتسبة باسم الشيعة والتشيع لا صلة لهم بالإسلام فضلاً عن التشيع. يقول أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي صاحب كتاب الزينة: كانت طائفة من الشيعة قبل ظهور زيد بن علي مجتمعين على أمر واحد، فلما قتل زيد انحازت منهم طائفة إلى جعفر بن محمد وقالوا بإمامته (انظر كتاب الزينة: ص ٢٠٧). فالشيعة هم الذين شايعوا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة الأحد عشر من ولده عليهم السلام منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانوا متمسكين بإمامتهم وقيادتهم ولم يبرز أيّ اختلاف ديني بينهم وهم الذين كانوا من حيث الأفكار والسلوك، ومن حيث كلّ مقومات شخصية والفردية والاجتماعية يتبعون أئمة أهل البيت عليهم السلام. ولكن من خلال مساعدة الحكّام التابعة لخلافة السقيفة والتلاعب السياسي للخلط السريّة والمواقف المضللة التي تخدع الناس لاصطناع التشابه بين مفهوم ومضمون كلمة الشيعة التي جاءت اسمها في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله، والفرق التي اصطنعتها أيادي المرتزقة للسلطات السيئة لتخريب سمعة الشيعة، ولذلك كان موقف أئمة أهل البيت عليهم السلام قبال هذه الفرق موقفاً صريحاً مضاداً لحركتهم العدائية، وقد بينوا للناس ولشيعتهم أنّ هؤلاء ليسوا من الشيعة كما ورد هذا المعنى بصورة واضحة وشفافة في



منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨ ٨١٩

بل هم مثل من تسمّى بأهل السنّة وسائر فرق أهل القبلة في تأسيس دينهم على البهتان من حيث مخالفة ما هم عليه لشريعة سيّد بني عدنان ﷺ دلّ على ذلك^(١)،



رواياتهم ﷺ بل صرّحوا في رواياتهم ﷺ بكفر بعض هذه الفرق كما سندكرها في محلّه ان شاء الله تعالى. وعليه فإن كان ما قصده ابن تيمية من قوله: إنّ الشيعة قوم بهت... غير الاثني عشري، فليس يضرّهم بهت هؤلاء الفرق، بل ونفاقهم وكفرهم، لأنّ تلك الفرق ليست من الشيعة كما هو واضح ظاهر، ولكن لماذا لم يبيّن مقصوده؟! أليس هذا من التزوير؟! فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ الفرق المنسوبة الى التشيع التي تجحد إمامة أئمة الاثني عشر من أهل البيت ﷺ أو تجحد بعضهم ﷺ، كلّها ضالّة ومضلّة عند الشيعة، لأنّها مخالفة لما جاء به النبي الأكرم ﷺ، إذ لا يخفى على الباحث في الآثار والأخبار المروية عن رسول الله ﷺ، ما ورد في إمامة أئمة الهدى ﷺ وأنّهم خلفاء وأوصياءه من بعده. وقد جاء ذكرهم بعددهم في صحاح أهل السنّة، وأنّهم اثنا عشر خليفة، وأنّ الدين قائم بهم مادام هذه الدنيا باقية... ومن جملة تلك الروايات ما أخرجها البخاري ومسلم وغيرهما في صحاحهم ومسانيدهم (انظر صحيح البخاري ج ٨: ص ١٢٧ كتاب الأحكام، باب قبل باب إخراج الخصوم وأهل الريب من البيوت بعد المعرفة، وصحيح مسلم ج ٦: ص ٣ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش، ومسنّد أحمد ابن حنبل ج ٣: ص ١٣). كما جاء ذكرهم بأسمائهم في بعض المصادر السنيّة موضحاً بأنّ أوّلهم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، وبعده ابنه الحسن ﷺ، ثمّ أخوه الحسين ﷺ، ثمّ تسعة من ذريّة الحسين ﷺ وآخرهم المهدي ﷺ؛ فأخرج الحموي الجويني في كتابه فرائد السمطين: أنّه قدم يهوديّ يقال له "نعثل" فقال: يا محمّد، أسألك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين، فإنّ أجبتني عنها أسلمت على يدك. قال: «سل يا أبا عمارة»، فسأله عن أشياء إلى أن قال: صدقت، ثمّ قال: فأخبرني عن وصيّك من هو؟ فما من نبي إلا وله



حيث فرقة منها ناجية والباقي في النار^(١).



وصي، وإن نبينا موسى بن عمران أوصى إلى يوشع بن نون، فقال: «إن وصي علي بن أبي طالب، وبعده سبطاي الحسن والحسين، تتلوهم تسعة أئمة من صلب الحسين» قال: يا محمد فسمهم لي، قال: إذا «مضى الحسين فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه موسى، فإذا مضى موسى فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه الحسن، فإذا مضى الحسن فابنه الحجة محمد المهدي، فهؤلاء اثنا عشر»، قال: فأسلم اليهودي وحمد الله على الهداية (انظر فرائد السمطين ج ٢: ص ١٣٢)، ورواه القندوزي الحنفي في ينابيع المودة ج ٣: ص ٢٨١. ولو أردنا تصفح كتب الشيعة والبحث عما فيها من الحقائق بخصوص هذا الموضوع لوجدنا فيها أضعاف هذه الروايات، ولكن يكفينا دليلاً أن نذكر هنا ما رواها علماء أهل السنة والجماعة. حيث يعتبر نقل هذه الأحاديث المعتمدة اعترافاً منهم على خلافة الأئمة الاثني عشر بعد رسول الله ﷺ مباشرة، موضحاً بأسمائهم وخصوصياتهم عن لسان النبي ﷺ. ولذلك كان الاعتقاد بالأئمة الاثني عشر من عصر النبي ﷺ، وكان بعض كبار الصحابة كسلمان وأبي ذر، وعمار، والمقداد، يعرفون بأنهم شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام، كما جاء ذلك في الروايات والتاريخ (انظر كتاب الزينة لأبي حاتم السجستاني: مخطوط). وقد ذكر المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّ﴾ (سورة البينة: ٧) قول النبي ﷺ «هم علي وشيعته» (انظر شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج ٢: ص ٤٦٦، والدر المنثور للسيوطي ج ٦: ص ٣٧٩). وعليه فإن الشيعة هم الذين يوالون الأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليه السلام، ومن أنكر إمامة أحد هذه أئمة الاثني عشر من أهل البيت عليه السلام فقد أنكر ما جاء به رسول الله ﷺ، وقد أجمع علماء الإسلام على كفر من أنكر سنة رسول الله ﷺ، وعليه فلا فرق من هذه الجهة بين أهل السنة والفرق المنتسبة بالشيعة، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الحديث المتواتر بين الفريقين وهو قول النبي ﷺ: «ستفترق أمتي





على ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النار إلا واحدة، وهي الناجية من النار»، فقد أخرج ابن ماجة في سننه بسنده عن عوف بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «افتقرت اليهود على احدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وسبعون في النار. وافتقرت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، فاحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة. والذي نفس محمد بيده! لتفتقرن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة واثنان وسبعون في النار» (سنن ابن ماجة ج ٢: ص ١٣٢٢). وأخرج أبو داود في سننه بسنده عن معاوية بن أبي سفيان: إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال: «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، اثنان وسبعين في النار، واحدة في الجنة» (سنن أبي داود ج ٤: ص ١٩٧). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة بهذا المضمون في كتبهم ومصادرهم المعتبرة. وقد أكد كبار علماء أهل السنة على صحة هذا الحديث وتواتره، قال عبد القاهر البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية: للحديث الوارد في افتراق الأمة أسانيد كثيرة، وقد رواه عن النبي ﷺ جماعة من الصحابة... وهذا الحديث حديث ثابت صحيح (انظر الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية: ص ٥). وقال المناوي: أنه قال جلال الدين السيوطي الشافعي: هذا الحديث متواتر، ذكره المناوي في كتابه فيض القدير (انظر فيض القدير في شرح الجامع الصغير ج ٢: ص ٢٧). وقال الكتاني في كتابه نظم المتناثر في حديث المتواتر نقلاً عن السيوطي: أن حديث «تفترق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة...»، أخرجه أبو داود، والترمذي، والحاكم، وابن حبان، والبيهقي، وصحّحه من حديث أبي هريرة وغيره، وعده المؤلف من المتواتر (انظر نظم المتناثر في حديث المتواتر: ص ٤٨٤). وإلى غير ذلك من أقوالهم الواردة في كتبهم. ولا يخفى على الخبير أن الفرق الناجية لا بد وأن تكون مميزة عن جميع الفرق بما يقطع جميع أهل الإسلام بكونها أهل النجاة من النار. وبعبارة أخرى يستفاد من ظاهر الحديث أن قوله ﷺ: «ستفتقر أمتي...»، أن مدار النجاة يوم القيامة ليس الإيمان وقبول الإسلام وحده، لأن النبي ﷺ قد استعمل لفظ أمتي لجميع الفرق المنتسبة إلى أئمة، ومعناه أن جميع من آمن برسول الله ﷺ هم من أئمة، ولكن ليس كل





من آمن برسول الله ﷺ هو من الفرقة الناجية. وعليه لا بد أن تكون لفرقة الناجية مميزات تعرف بها عن غيرها. ومن هنا يعرف أهمية كبرى في فهم الحديث.

وأما معرفة الفرقة الناجية من أمة رسول الله ﷺ فالمستفاد من الآيات والروايات المتفق عليها بين جميع المسلمين. هم الذين آمنوا بالله ورسوله حقيقةً وتمسكوا بالقرآن الكريم واتبعوا الرسول ﷺ حق الاتباع ، أي: أنهم اتبعوا الرسول ﷺ في جميع ما جاء به من عند الله ، كما قال الله تعالى: ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (سورة التباين: ٨). فمضافاً إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى وبرسوله ﷺ، أمر الناس باتباع النور الذي أنزله الله. والمقصود بالنور الذي أنزله هو القرآن الكريم، كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة الأعراف: ١٥٦)، فمن الواضح أن القرآن الكريم هو النور الذي يهتدي به الناس من ظلمات الضلال إلى نور الهداية الربانية. والخير يعلم أن معارف القرآن الكريم تحتاج إلى التبيين، والرسول الأكرم ﷺ هو المبين للقرآن الكريم كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة النحل: ٤٤). ولذلك قد أوصى رسول الله ﷺ أمته بالرجوع إلى الثقلين من بعده، في حديث متواتر لدى الفريقين. فقال ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفريقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما» (سنن الترمذي ج ٥: ص ٣٢٩). فجعل ﷺ عترته الطاهرة ﷺ عدلاً للقرآن الكريم، ومعناه أن المرجع لتبيين القرآن بعد رسول الله ﷺ هو عدل القرآن الكريم أعني العترة الطاهرة ﷺ. ويعرف من خلال قوله ﷺ: «لن يفترقا»، أن العترة الطاهرة ﷺ كالقرآن مرجع لهداية الناس على نحو الإطلاق، ومعناه: كما أن القرآن نور يهتدي به الناس على





نحو الإطلاق، كذلك العترة الطاهرة عليها السلام هم أنوار يجب على الناس أن يهتدوا بهم. ومن هنا يعرف معنى الفرقة الناجية وحقيقتها، حيث أنّ التمسك بالقرآن الكريم والسنة النبوية المتفقة بين جميع المسلمين يرشدنا الى وجوب التمسك بحديث الثقلين. ومن تمسك بحديث الثقلين يجب أن يتمسك بالقرآن والعترة الطاهرة عليها السلام معاً. ومن تمسك بهما معاً فهو لن يضل أبداً بنص حديث الثقلين. ومن هنا يتضح معنى الفرقة الناجية، وهي الفرقة التي تتمسك بالقرآن والعترة الطاهرة معاً. وحيث أنّ الشيعة الاثني عشرية، تمسكوا بالثقلين أي: تمسكوا بالقرآن وإمامة العترة الطاهرة عليها السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله فمعنى الفرقة الناجية ينحصر فيهم؛ وقد اعترف كبار علماء أهل السنة بأن الشيعة هم الذين يوالون الأئمة الاثني عشر من العترة الطاهرة عليها السلام، ولا يخرجون منها، وإليك جانباً من هذه الأقوال: قال الشهرستاني في كتابه الملل والنحل: الشيعة هم الذين شايعوا علياً عليه السلام على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إماماً جلياً وإماماً خفياً، واعتقدوا أنّ الإمامة لا تخرج من أولاده (انظر الملل والنحل للشهرستاني ج ١: ص ١٤٦). وقال ابن منظور في لسان العرب، والفيروز آبادي في القاموس المحيط، والزبيدي في تاج العروس: وقد غلب هذا الاسم (أي الشيعة) على من يتوالى علياً وأهل بيته عليهم السلام حتى صار لهم اسماً خاصاً، فإذا قيل: "فلان من الشيعة" عُرف أنّه منهم (انظر لسان العرب ج ٨: ص ١٨٩، والقاموس المحيط ج ٣: ص ٤٩، تاج العروس ج ٢١: ص ٣٠٣). وقال الزهري: والشيعة قوم يهوون هوى عترة النبي صلى الله عليه وآله ويوالونهم (انظر لسان العرب ج ٨: ص ١٨٩، وتاج العروس ج ٢١: ص ٣٠٣). قال ابن خلدون: اعلم أنّ الشيعة لغة: الصّحب والأتباع، ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على أتباع علي وبنيه عليهم السلام (انظر مقدمة ابن خلدون: ص ١٩٦). وجاء عن ابن القيم الجوزية في كتابه الصواعق المرسلة: الوجه التاسع: إنّ فقهاء الإمامية من أولهم إلى آخرهم ينقلون عن أهل البيت أنّه لا يقع الطلاق المحلوف به وهذا متواتر عندهم عن جعفر بن محمد وغيره من أهل البيت، وهب أنّ مكابراً كذبهم كلّهم، وقال: قد تواطئوا على الكذب عن أهل البيت، ففي القوم فقهاء وأصحاب علم ونظر في اجتهاد وإن كانوا مخطئين مبتدعين في أمر الصحابة، فلا يوجب



٨٢٤..... منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨

ولو قصد بهم اثني عشرية الشيعة فقد عرفت بهتاناً في ذلك ممّا تقدم نقله
عن أهل مذهبه من السنن وغيرها التي دلّت على صدق اثني عشرية
الشيعة^(١)،



ذلك الحكم عليهم كلّهم بالكذب والجهل، وقد روى أصحاب الصحيح عن جماعة من
الشيعة وحملوا حديثهم واحتجّ به المسلمون (انظر الصواعق المرسلة ج ١: ص ٦١٦). وعن
عمر عبد الله فالج، من كتاب السلفية المعاصرين، في كتابه معجم ألفاظ العقيدة الذي قال
في مقدّمته: "اخترت أوثق الأقوال في كثير من المسائل لعلماء متقدمين ومتأخرين
ومعاصرين..."، قال معرفاً بالشيعة: "الشيعة: هم الذين شاعوا عليّاً على الخصوص، وقالوا
بإمامته وخلافته نصّاً ووصاية إماماً جلياً وإماماً خفياً، وقالوا أنّ الإمامة لا تخرج عن أولاده
وإن خرجت فبظلم من غيره أو بتقيّة من عنده" (انظر معجم ألفاظ العقيدة: ص ٢٤٧).
والنتيجة: أنّ الشيعة باعتراف مؤرّخي الفرق والمذاهب الإسلاميّة، هي الفرقة الوحيدة
التي تولّت إمامة أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وأخذت معالم دينها منهم فقهاً واعتقاداً. وإذا
أضفنا إلى حديث الثقلين حديث اثني عشر خليفة تخرج جميع الفرق المنتسبة إلى
الشيعة كالزيدية والإسماعيلية والواقفية وغيرهم لعدم اعتقادهم بأئمة الاثني عشر. وعليه
فإنّ ما زعمه ابن تيمية من أنّ الشيعة قوم بهت بهتان وافتراء واضح عليهم، فلاحظ.

(١) لا يخفى على الباحث في الآثار والأخبار المروية عن رسول الله ﷺ كذب وافتراء ما
نسبه ابن تيمية إلى الشيعة، حيث أنّ الخبير يعلم بأنّ الشيعة هم الذين يأخذون معالم
دينهم من القرآن الكريم والعترة الطاهرة (عليهم السلام) بنصّ حديث الثقلين المتواتر لدى
الفريقين، وقد دلّ هذا الحديث على أنّ العترة الطاهرة (عليهم السلام) عدل للقرآن الكريم، وبما أنّ
القرآن محفوظ من الزلل ومعصوم من الخطأ، لأنّه من عند الله تعالى فكذلك العترة
الطاهرة (عليهم السلام)، لأنّ رسول الله ﷺ قرن عترته الطاهرة (عليهم السلام) بالقرآن الكريم. ومعناه عصمة
أهل البيت (عليهم السلام)، وإلّا لما صحّت المقارنة. وقد أعطى رسول الله ﷺ الضمان لسعادة من
تمسك بهما من الأئمة وحذّرهم عن المخالفة لهما أو لواحد منهما. فيجب على كلّ مسلم
←



أن يعرف أولاً عظمته القرآن الكريم، ثم يعرف معنى المعية في قول رسول الله ﷺ، وأيضاً يعرف معنى قوله ﷺ: «عليّ مع القرآن والقرآن مع علي»، ثم يعرف معنى عدم تفرّق الكتاب عن العترة الطاهرة ﷺ إلى يوم القيامة. فالبحث في المقام يتطلب مجالاً واسعاً. وسيأتي البحث في ذلك مفصلاً. والمهم هنا أنّ الشيعة هم الضين يوالون الأئمة الاثني عشر من أهل البيت ﷺ، الذين نصّ عليهم النبي الأكرم ﷺ ليكونوا خلفاءه وأوصيائه من بعده على أمته. وقد جاء ذكرهم وذكر عددهم الاثني عشر في صحاح أهل السنة، ومسانيدهم بسياقات وعبارات مختلفة، وإليك بعض ما جاء في كتبهم: منها ما أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن شعبة عن عبد الملك قال: سمعت جابر بن سمرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يكون اثنا عشر أميراً»، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه يقول: «كلّهم من قريش» (صحيح البخاري ج ٨: ص ١٢٨ كتاب الأحكام، باب قبل باب إخراج الخصوم وأهل الريب من البيوت بعد المعرفة). ومنها: ما أخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن حصين عن جابر بن سمرة قال: دخلت مع النبي ﷺ فسمعتة يقول: «إنّ هذا الأمر لا ينقضي حتّى يمضى فيهم اثنا عشر خليفة»، ثم تكلم بكلام خفي عليّ، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: «كلّهم من قريش» (صحيح مسلم ج ٦: ص ٢ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش). ومنها: ما أخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن سمّك بن حرب قال: سمعت جابر بن سمرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة»، ثم قال كلمة لم أفهمها، فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: «كلّهم من قريش» (صحيح مسلم ج ٦: ص ٣ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش). ومنها: ما أخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن الشعبي عن جابر بن سمرة قال: قال النبي ﷺ: «لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى اثني عشر خليفة»، قال: ثم تكلم بشيء لم أفهمه، فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: «كلّهم من قريش» (صحيح مسلم ج ٦: ص ٣ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش). ومنها: ما أخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال: كتبت إلى جابر بن سمرة مع غلامي نافع أن أخبرني بشيء سمعته من رسول الله ﷺ، قال: فكتب إليّ: سمعت رسول الله ﷺ





يوم الجمعة عشية رجم الأسلمي يقول: «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش» (صحيح مسلم ج ٦: ص ٤ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش). ومنها: ما أخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن سفيان بن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً»، ثم تكلم النبي ﷺ بكلمة خفيت عليّ، فسألت أبي: ماذا قال رسول الله ﷺ؟ فقال: «كلهم من قريش». ورواه أيضاً عن قتيبة بن سعيد عن أبي عوانه عن سمّك عن جابر بن سمرة عن النبي ﷺ ولم يذكر «لا يزال أمر الناس ماضياً» (صحيح مسلم ج ٦: ص ٣ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش). ومنها: ما أخرجه أبو داود في سننه بسنده عن عامر، عن جابر ابن سمرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة»، قال: فكبر الناس وضجّوا، ثم قال كلمة خفية، قلت لأبي: يا أبة ما قال؟ قال: «كلهم من قريش» (سنن أبي داود ج ٢: ص ٣٠٩). ومنها: ما أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن عامر عن جابر ابن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة» فكبر الناس وضجّوا، ثم قال كلمة خفيت، قلت لأبي: يا أبة ما قال؟ قال: «كلهم من قريش» (مسند أحمد بن حنبل ج ٥: ص ٩٨). ومنها: ما أخرجه الحاكم في المستدرك بسنده عن مجالد بن سعيد عن الشعبي عن مسروق قال: كنّا جلوساً ليلة عند عبد الله يقرئنا القرآن، فسأله رجل فقال: يا با عبد الرحمن هل سألتم رسول الله ﷺ كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال عبد الله: ما سألتني عن هذا أحد منذ قدمت العراق قبلك، قال: سألتها فقال: «اثنا عشر عدّة نقيب بني إسرائيل» (المستدرك على الصحيحين ج ٤: ص ٥٠١). ومنها: ما أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن عامر عن جابر بن سمرة السوائي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في حجة الوداع: «لا يزال هذا الدين ظاهراً على من ناواه لا يضره مخالف ولا مفارق حتى يمضي من أمتي اثنا عشر أميراً كلهم»، ثم خفي من قول رسول الله ﷺ، قال: وكان أبي أقرب إلى راحلة رسول الله ﷺ مني، فقلت: يا أبتاه، ما الذي خفي من قول رسول الله ﷺ؟ قال: يقول: «كلهم من قريش»





(مسند أحمد ابن حنبل ج ٥: ص ٨٧). ومنها: ما أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق بسنده عن الشعبي عن مسروق قال: سأل رجل عبد الله بن مسعود: هل حدثكم نبيكم ﷺ بعدة الخلفاء من بعده؟ قال: نعم وما سألتني عنها أحد قبلك، قال: «إن عدة الخلفاء بعدي عدة نقيب موسى عليه السلام» (تاريخ مدينة دمشق ج ١٦: ص ٢٨٦). ومنها: ما أخرجه القندوزي الحنفي في ينابيع المودة بسنده عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال: كنت مع أبي عند رسول الله ﷺ فسمعتة يقول: «بعدي اثنا عشر خليفة»، ثم أخفى صوته فقلت لأبي: ما الذي قال في ما أخفى صوته؟ قال: قال: «كلهم من بني هاشم» (ينابيع المودة ج ٢: ص ٣١). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في كتبهم بهذه المضامين. ولو أضفنا إليها غيرها من الروايات الواردة في كتب أهل السنة الدالة على ذكر الأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليه السلام بأسمائهم واحداً بعد واحد، يتم ما ذهب إليه الشيعة الاثنا عشرية من أن خلفاء رسول الله ﷺ هم الأئمة الاثنا عشر من أهل البيت عليه السلام. فقد أخرج إبراهيم بن محمد الحموي الشافعي في فرائد السمطين بسنده عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قدم يهودي يقال له نعثل، فقال: يا محمد أسألك عن أشياء تلجج في صدري منذ حين، فإن أجبتني عنها أسلمت على يدك؟ قال ﷺ: «سل يا أبا عمار» فقال: يا محمد صف لي ربك، فقال ﷺ: «لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، وكيف يوصف الخالق الذي تعجز العقول أن تدركه والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحده، والأبصار أن تحيط به، جلّ وعلا عما يصفه الواصفون، نائي في قربه، وقريب في نأيه، هو كيف الكيف، وأين الأين، فلا يقال له أين هو؟ وهو منقذ الكيفية والأينونية، فهو الأحد الصمد كما وصف نفسه، والواصفون لا يبلغون نعتة، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد». قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن قولك إنه واحد لا شبيه له، أليس الله واحد والإنسان واحد؟ فقال ﷺ: «الله عزّ وعلا واحد حقيقي، أحدي المعنى، أي لا جزء ولا تركيب له، والإنسان واحد ثنائي المعنى، مركّب من روح وبدن». قال: صدقت، فأخبرني عن وصيك من هو؟ فما من نبي إلا وله وصي، وإن نبينا موسى بن عمران أوصى يوشع بن نون، فقال: «إن وصيي عليّ بن أبي طالب، وبعده سبطاي الحسن والحسين،





تتلوه تسعة أئمة من صلب الحسين»، قال: يا محمد فسمهم لي؟ قال: «إذا مضى الحسين فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه موسى، فإذا مضى موسى فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه الحسن، فإذا مضى الحسن فابنه الحجة محمد المهدي، فهؤلاء اثنا عشر»، قال: أخبرني كيفية موت علي والحسن والحسين؟ قال ﷺ: «يقتل علي بضربة على قرنه، والحسن يقتل بالسّم والحسين بالذبح»، قال: فأين مكانهم؟ قال: «في الجنة في درجتي»، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، وأشهد أنهم الأوصياء بعدك، ولقد وجدت في كتب الأنبياء المتقدمة، وفيما عهد إلينا موسى بن عمران عليه السلام أنه إذا كان آخر الزمان يخرج نبي يقال له أحمد ومحمد، هو خاتم الأنبياء، لا نبي بعده، فيكون أوصياؤه بعده اثنا عشر: أولهم ابن عمه وختنه، والثاني والثالث كانا أخوين من ولده، ويقتل أمة النبي: الأول بالسيف، والثاني بالسّم، والثالث مع جماعة من أهل بيته بالسيف وبالعتش في موضع الغربة، فهو كولد الغنم يذبح ويصبر على القتل لرفع درجاته ودرجات أهل بيته وذريته، وإخراج محبيه وأتباعه من النار، وتسعة الأوصياء منهم من أولاد الثالث، فهؤلاء الاثنا عشر عدد الأسباط قال ﷺ: «أتعرف الأسباط؟» قال: نعم كانوا اثنا عشر، أولهم لاوي بن برخيا، وهو الذي غاب عن بني إسرائيل غيبة ثم عاد، فأظهر الله به شريعته بعد اندراسها، وقاتل قرسطيا الملك حتى قتل الملك، قال ﷺ: «كائن في أمّتي ما كان في بني إسرائيل، حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة، وإنّ الثاني عشر من ولدي يغيب حتى لا يرى، ويأتي على أمّتي بزمن لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ولا يبقى من القرآن إلا رسمه، فحينئذ يأذن الله تبارك وتعالى له بالخروج، فيظهر الله الإسلام به ويجدّده، طوبى لمن أحبهم وتبعهم، والويل لمن أبغضهم وخالفهم، وطوبى لمن تمسك بهداهم»، فأنشأ نعتل شعراً: صَلَّى الإله ذو العلى عليك يا خير البشر * أنت النبي المصطفى والهاشمي المفتخر. بكم هداانا ربنا وفيك نرجو ما أمر * ومعشر سميتهم أئمة اثنا عشر. حباهم ربّ العلى ثم اصطفاهم من كدر * قد فاز من والا هم وخاب من عادى الزهر. آخرهم يسقي الظما وهو الإمام المنتظر * عترتك الأخيار



فيما قالوه وفعلوه من حيث متابعتهم للشريعة^(١)،



لي والتابعين ما أمر. من كان عنهم معرضاً * فسوف تصلاه سقر (انظر فرائد السمطين للحمويني الجويني ج ٢: ص ١٣٢ ح ٤٣١، وينايع المودة للقندوزي الحنفي ج ٣: ص ٢٨١). فحديث اثني عشر خليفة يدل على إمامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام. ولو أردنا التصفح في كتب الشيعة والبحث عما فيها من الحقائق بخصوص هذا الموضوع لوجدنا فيها أضعاف هذه الروايات، ولكن يكفينا دليلاً أن نذكر هنا ما رواها علماء أهل السنة والجماعة. حيث يعتبر نقل هذه الأحاديث المعتبرة اعترافاً منهم على خلافة الأئمة الاثني عشر بعد رسول الله ﷺ مباشرة، موضحاً بأسمائهم وخصوصياتهم عن لسان النبي ﷺ. ولذلك كان الاعتقاد بالأئمة الاثني عشر من عصر النبي ﷺ، وكان بعض كبار الصحابة كسلمان وأبي ذر، وعمار، والمقداد، يعرفون بذلك وكانوا يسمونهم بشيعة علي بن أبي طالب. قال أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني: إن لفظ الشيعة على عهد رسول الله ﷺ كان لقب أربعة من الصحابة... سلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود الكندي، وعمار بن ياسر (انظر كتاب الزينة لأبي حاتم السجستاني في ملحق كتاب الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية للدكتور عبد الله السلام السامرائي: ص ٢٥٩). وقد ذكر المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّ﴾ (سورة البينة: ٧)، قول النبي ﷺ «هم علي وشيعته» (انظر شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج ٢: ص ٤٦٦، والدر المنثور للسيوطي ج ٦: ص ٣٧٩). فالشيعة الاثني عشرية هم الذين دل على صدقهم الروايات المتواترة التي رواها كبار علماء أهل السنة. وعليه إذا قصد ابن تيمية من الشيعة الاثني عشرية قوم بهت... فإنه افتراء على رسول الله ﷺ لأن النصوص المتواترة من طرق أهل السنة تدل على أن الشيعة الاثني عشرية هم خير البرية وهم أهل الجنة، فلاحظ.

(١) لا شك ولا شبهة في أن الشيعة الإمامية أحرص الناس على متابعة الشريعة المقدسة والتزام العمل بطاعة الله ورسوله ﷺ، ومن الواضح أن معنى الطاعة العملي لله ورسوله





هو السير على نهج القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة المتفق عليها بين جميع المسلمين ، إذ العمل بسنة رسول الله ﷺ يقتضي العمل بالأحاديث المتفقة عليه بين جميع المسلمين. ولا يخفى على الخبير أن من الأحاديث المتفق عليها بين جميع المسلمين هو حديث الثقلين المتقدم ذكره، ومدلوله لزوم العمل بالقرآن الكريم والسنة النبوية وسنة المعصومين ﷺ، كما مرّ توضيحه، فهذا هو نهج الحق الذي أخذ به الشيعة الامامية، لذلك شايعوا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، واعتقدوا بإمامته وإمامة أحد عشر من أولاده المعصومين ﷺ. وعلى سبيل المثال أنهم يعتقدون في الإمامة المفترض الطاعة بأمر الله، بأنها عهد إلهي قد جعلها الله لمن يراه صالحاً لهذا المنصب، سواء كان نبياً من الأنبياء أو وصياً من الأوصياء، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (سورة البقرة: ١٢٤). هذه الآية الكريمة صريحة في أن الله عز وجل جعل إمامة إبراهيم ﷺ جعلاً شرعياً، وذلك لقوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾. فالإمامة منصب إلهي وشرعي من قبل الله عز وجل، لمن اصطفاه من خلقه ليقوم بين الناس بالقسط والعدل، ويتحمل مسؤولية قيادة الناس على عاتقه، ويهديهم إلى صراط مستقيم، ويحقق أهداف الدين والرسالة الإلهية. وكذلك الإمامة المتمثلة في خليفة رسول الله ﷺ، فإنها أيضاً تكون عهداً إلهياً ومنصباً إلهياً يعطيه لمن يشاء من عباده، لقوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا...﴾ كما توضّح الآية: بأن الإمامة هي عهد من الله لا ينال إلا العباد الصالحين الذين اصطفاهم الله لهذا الغرض وانتفائه عن الظالمين الذين لا يستحقّون عهده. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (سورة الأنبياء: ٧٣). فالإمامة تمثل الركيزة الأساسية في العقيدة الإسلامية، وبها تبين وتوضح معالم الدين. ولذلك أن الشيعة الإمامية أخذت جذور الإمامة من القرآن الكريم، كما أن الله تبارك وتعالى أمر المسلمين بالرجوع إلى أهل الذكر فقال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة النحل: ٤٣).



ومتابعة من تسمى بأهل السنة للمبتدعات الشنيعة^(١)،



فالشيعة الإمامية يعتقدون بأن الإمامة منصب إلهي، كما يعتقدون بالأدلة القاطعة والروايات والنصوص المتواترة الواردة من طرق الفريقين من النبي الأكرم ﷺ الدالة على إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأولاده المعصومين عليه السلام في كثير من المناسبات والمواقف لا سيما يوم غدير خمّ عند منصرفه من حجة الوداع، فقد عيّن رسول الله ﷺ خليفته الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إماماً وعلماً للأمة، وأخذ البيعة له، فبايعه جميع الصحابة للإمامة والخلافة. وقد روى هذه الواقعة العظيمة جماعة كبيرة من علماء الإسلام على اختلاف مذاهبهم ونحلهم حتى أنهوا رواة هذا الحديث إلى التابعين والصحابة عن رسول الله ﷺ طبقة بعد طبقة إلى أكثر من مائة طريق من أهل السنة، وقد ألف كبار علماء الإسلام فيه مؤلفات، منهم العلامة الأميني رحمه الله، ألف كتابه الغدير وقد خصّص الجزء الأول منه للكلام حول ثبوت حديث الغدير سنداً ومتناً، فأثبت تواتر الحديث في جميع الطبقات وأنهى الرواة لذلك من الصحابة إلى مائة وعشرة، ومن التابعين إلى أربعة وثمانين. فالحديث من حيث السند مجاوز حدّ التواتر، ومن الطبيعي أنّ هذه المجموعة العظيمة من الحديث لا يسع المجال لاستقصائها، وسنذكرها إن شاء الله في محله. والمهم أنّ الشيعة الإمامية قد تمسكوا بالقرآن والروايات المتواترة المتفقّة عند جميع المسلمين وهي الروايات الدالة على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من أهل البيت عليه السلام. وعليه فما قاله الشيعة أو فعله إنّما يكون بسبب متابعتهم للشريعة المقدسة.

(١) لا يخفى أنّ من مصائب الأمة الإسلامية هي البدع والمناكير التي أحدثها الخلفاء الثلاثة في الإسلام وهي كثيرة جداً وذكرها يخرجنا عن موضوع الكتاب، فنشير هنا إلى بعض ما رواه علماء أهل السنة في المقام ونترك الاستقصاء للقارئ العزيز ورجوعهم إلى الكتب التي تناولت هذا البحث بشكل وسيع. فمن البدع التي أحدثها أبو بكر في الإسلام قتل المؤمنين المانع من إعطاء الزكاة للحكومة الجائرة، وقصّتها معروفة لا حاجة لبيانها، إذ





أنها من القضايا المسلمة في التاريخ والتي أخرجها البخاري في صحيحه (انظر صحيح البخاري ج ٢: ص ١١٠ كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة). وغيره من الصحاح والمسانيد. فمن الواضح لدى كل مسلم أن من امتنع عن إعطاء الزكاة للسلطة الحاكمة وأتباع السقيفة لم يرتد عن الإسلام، كيف يمكن هذا الإتهام وهم كانوا يصلون ويعطون الزكاة ولكن حيث أن مالك بن نويرة لم يره الخلافة الحاكمة صالحة لدفع الزكاة إليها امتنع عن إعطائها لهم. وجاء في النصوص الصحيحة عند أهل السنة أن مالك بن نويرة وأصحابه قد صلوا مع خالد وجماعته عندما حلوا بفنائهم. ثم إن أبا بكر نفسه أبطل هذه الدعوى بدفعه دية مالك بن نويرة من بيت مال المسلمين واعتذر عن قتله، والمرتب لا يعتذر عن قتله ولا تدفع ديته من بيت المال، قال ابن الأثير: وقدم متمم بن نويرة (أخو مالك بن نويرة) على أبي بكر يطلب بدم أخيه ويسأله أن يرد عليهم سبيهم، فأمر أبو بكر برد السبي وودي مالكا من بيت المال (انظر الكامل لابن الأثير ج ٢: ص ٣٥٩). وقد ورد في صحاحهم صريحا بأن «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» (انظر صحيح البخاري ج ١: ص ١٧ كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر). فكيف يمكن نسبة الارتداد إليهم؟! ولكن حيث عرف علماء أهل السنة هذه النصوص وعرفوا ما يترتب عليها من الآثار، فوقعوا في معظلة عند الدفاع عن خلفائهم، ولم يروا طريقا لحلها، ففسبوا الكفر والردة إلى الطرف المقابل من السلطة الحاكمة، لئلا يخطر بذهن أحد أن الحكام الذين كانوا في مقابل المسلمين هم كانوا مرتدين، وحتى أن البخاري عندما أراد أن يجعل عنواناً لهذا الباب، قال: باب من أبى قبول الفرائض ولم ينسب إليهم الردة (انظر صحيح البخاري ج ٨: ص ٥٠). وهذا دليل على أن البخاري نفسه لا يعتقد بردة هؤلاء الذين قتلهم الخليفة ظلماً كما لا يخفى.

ثانياً: لو كانت الزكاة حق المال فغايتها كان يبيح للحاكم الشرعي أن يأخذ الزكاة بالقوة في هذه الحالة من مانعها بدون قتله وسفك دمه. فكيف هؤلاء المجرمين قتلوا المسلمين الأبرياء بداعي منع الزكاة؟!؟

وثالثاً: لو كان قتال مانع الزكاة جائزاً لقاتل رسول الله ﷺ ثعلبة الأنصاري الذي امتنع عن



منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨ ٨٣٣

فالقوم البهت هم من تسمّى بأهل السنّة، ومن سار بسيرتهم في المخالفة للشريعة وهم القائلون حسبما مضى بيانه بغير علم وبما خالف العلم^(١)،



أداء الزكاة لرسول الله ﷺ، وقصّته معروفة لا داعي لذكرها. والنتيجة فمن اقتدى بالخلفاء الذين خالفوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، معناه أنّه اقتدى بأهل البدعة والضلال، وأنّ كتب أهل السنّة مليئة بذكر الروايات الواردة عن النبي ﷺ التي تفيد فيها تصريح عل أن: «كلّ بدعة ضلالة» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ٤: ص ١٢٦)، ورواه الدارمي في سننه ج ١: ص ٤٥، وابن ماجّة في سننه ج ١: ص ١٦، والحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين ج ١: ص ٩٦ وغيرهم. فالأدلة القاطعة عند جميع المسلمين تثبت بأنّ خلافة الخلفاء الثلاثة كانت قائمة على البدعة والضلالة، فكيف يدعي ابن تيمية بأنّ الشيعة قوم بهت... مع أنّه يعلم أنّ خلفائه كانوا أهل البدعة، وكلّ بدعة ضلالة، فهو يتبع أهل الضلال، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام: أنّ ممّن ينطبق عليه عنوان البهت هم خلفاء الجور الذين، لأنّهم كانوا يحكون الناس بغير ما أنزل الله. فكانوا يفترون على الله الكذب، والقرآن الكريم حذّرهم وحذّر جميع المسلمين بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ (سورة العنكبوت: ٦٨). ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكُذْبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة النحل: ١١٦-١١٧). فهم الذين كانوا يفترون على الله الكذب وصاروا سبباً لانحراف الأمة وتضليلهم لقولهم بغير العلم وما ترتّب على أحكامهم الآثار السلبية، وقد تقدّم ذكر بعض انحرافاتهم من كتبهم، وثبت أنّهم كانوا يفترون على الله الكذب، ولذلك ينطبق عليهم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (سورة الإسراء: ٣٦)، فإنّ قوله تعالى: ﴿لَا تَقْفُ﴾ مأخوذة من "قفو" على وزن "عفو" وهي تعني متابعة شيء ما، ومن المعلوم





أن الأمور التي نتابعها هي أمور لا تقف عند حدٍّ، لذلك فإنَّ النهي الوارد في الآية يشملها جميعاً. ومعنى: أنه لا تقف عند حدٍّ، في ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾، أي: في جميع الشؤون الحياتية والشخصية والاجتماعية والقضائية و...، لأنَّ العلم أساس المعرفة في كل شيء، فمن الممكن أن يقع ذلك مقياساً للقضاء والشهادة والعمل، في حين أن مصدره يكون غير علمي، أي: يكون مشكوكاً أو مظنوناً، فالآية تنهى وتحذر عن القول بغير العلم، وتقول: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾، أي: أن السؤال الذي تواجه به الأعضاء المذكورة يعود إلى مسؤولياتها عن الأعمال، إذ السمع مسئول عن الكلام المشكوك غير الموثق، والبصر عن موارد ادعاء الإنسان للمشاهدة والرؤية مع أنه لم يشاهد أو يرى، والفؤاد يسأل عن الأفكار الخاطئة التي تدخل في الأحكام الخاطئة، فتقع مسؤوليتها على عاتق صاحبها بالذات. ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (سورة النحل: ١١٦)، أي إن ما جئتم به من الأفكار المنحرفة والتقاليد العمياء التي تدفعكم إلى إحداث البدع في الدين ليس إلا كذبة صريحة أطلقتها ألسنتكم في تحليلكم أشياء بحسب ما تهوى أنفسكم، وتحريمكم لأخرى! افتراءً على الله، ويحذر القرآن في آخر الآية بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾، لأن من مسببات الشقاء الأساسية الكذب والافتراء على أي إنسان، فكيف به إذا كان على الله عز وجل؟! فلا أقلَّ والحال هذه من مضاعفة آثاره السيئة. لأنَّ تحريم الحلال وتحليل الحرام بدعة في الدين وهذا ما يفعله القادة الضالَّة. منها قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا يُضِلُّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة الأنعام: ١٤٤)، ويستفاد من الآية الكريمة أن الافتراء على الله من أكبر الذنوب والآثام، حيث عبّر عنه بالظلم لله تعالى ولمقامه الربوي العظيم، وظلم لعباد الله، وظلم النفس، لأنَّ هذا النوع من الظلم يترتب عليه ضلالة الناس والردُّ على الدين والانحراف عن الداية الإلهية، فليس أكبر منه ظلم في العالم. وإلى غير ذلك من الآيات الرادعة عن القول بغير العلم الدالة على حرمة الإحداث في الدين





والبدعة فيه. كما أنَّ الروايات الكثيرة في السنَّة النبويَّة تدلُّ على ذلك وتذكر آثارها السليبيَّة، ومع ذلك أنَّ الصحابة وعلى رأسهم الخلفاء الثلاثة تشملهم الآيات الناهية عن القول بغير العلم، لأنَّهم خرَّقوا حدود الله وأحدثوا في الدين ما أحدثوا من البدع والتحريفات والمخازي الشنيعة والمنكرات ممَّا لا تعدُّ ولا تحصى، فلم يبقوا من الإسلام إلَّا اسمه ومن القرآن إلَّا رسمه، ومحقَّقوا سنَّة رسول الله ﷺ، فأصبح الناس التابعين لهم يرفضون النصوص الثابتة، بالرغم من أنَّهم يعلمون صدورها من الله ورسوله ﷺ وهما مصدرين أساسيين للتشريع عند جميع المسلمين، فبنذوهما وراء ظهورهم فصارتا عندهم نسيًّا منسيًّا. ولا يخفى على الخبير ما ورد في مصادر أهل السنَّة من تحريفات وبدع في الدين من الخلفاء الثلاثة وتلاعبهم بالأحكام الشرعيَّة. وهناك وثائق تاريخيَّة وروايات صحيحة عند أهل السنَّة وتوارىخهم تدلُّ على أنَّهم نسبوا إلى الإسلام أحكاماً ما أنزل الله بها من سلطان، وتوسَّعوا في أجراء البدع في الدين، وسعوا في إحياء المنكرات وإماتة المعروف ونشر الأباطيل للوصول إلى مقاصدهم ولإرجاع الناس إلى الجاهليَّة الأولى وانحرافهم عن خطِّ الرسالة السماويَّة. فمن بدعهم التي أحدثوها في الدين وهو كحجر الأساس لإجراء لقيَّة المنكرات هو منعهم تدوين سنَّة رسول الله ﷺ، حتَّى أنَّ أبا بكر أحرق أحاديث رسول الله ﷺ التي جمعت عنده لئلاَّ تنتشر سنَّة رسول الله ﷺ، فقد روى الذهبي عن ابن أبي مليكة: أنَّ أبا بكر جمع الناس بعد وفاة رسول الله ﷺ فقال: إنَّكم تحدِّثون عن رسول الله ﷺ أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشدَّ اختلافاً، فلا تحدِّثوا عن رسول الله ﷺ شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلُّوا حلاله وحرِّموا حرامه (تذكرة الحفاظ ج ١: ص ٢). وبذلك جمد الحديث واقتصر بالحفظ بما في صدور بعض الصحابة وصاروا يتناقلونه شفاهاً، فأصاب أتباع خلافة السقيفة ركوداً وجموداً في الحديث لعدم كونه مدوَّناً عندهم. قالت عائشة: جمع أبي الحديث عن رسول الله ﷺ وكانت خمسمائة حديث، فبات ليلته يتقلَّب كثيراً، فلمَّا أصبح قال: أي بنيَّة، هلمِّي الأحاديث التي عندك، فجئته بها فدعا بنار فحرقها! فقلت: لم أحرقها؟ قال: خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت به ولم





يكن كما حدثني فأكون قد نقلت ذلك! (تذكرة الحفاظ ج ١: ص ٥) وعلى أثر هذه البدعة والمخالفة للدين التزم الحكام التابعة لسلطة السقيفة بمنع تدوين الحديث وروايته لا سيما في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب الذي منع تدوين الحديث بأسلوبه المعروف بالشدّة والغلظة، فهدّد وتوعد وضرب من خالف منع تدوين الحديث وكتابته، وقال: حسينا كتاب الله! (انظر صحيح البخاري ج ٧: ص ٩: كتاب المرضى، باب قول المريض قوموا عني) فأبعد الناس من نقل الحديث في الرعيل الأول من الصحابة، وقرب إليهم حَمَلَة الأفكار الهدامة وأعداء الإسلام أمثال كعب الأحبار وعبد الله بن سلام وعبد الله بن أبيّ وغيرهم وأطلق لهم العنان ليحدثوا الناس بالإسرائيليات الضالة وبثّها بين المسلمين وكان كثيراً ما يسمع الحديث من أهل الكتاب ولا سيما كعب الأحبار، فيسندّه إلى النبي ﷺ أو إلى أحد كبار الصحابة تدليساً وتمويهاً على العامة، فقد روى ابن كثير في البداية والنهاية نقلاً عن مسلم بن الحجاج في صحيحه بسنده عن بسر بن سعيد، قال: اتقوا الله وتحفظوا من الحديث، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله ﷺ ويحدث عن كعب الأحبار، ثم يقوم، فاسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله ﷺ عن كعب، وحديث كعب عن رسول الله ﷺ، وفي رواية يجعل ما قاله كعب عن رسول الله ﷺ، وما قاله رسول الله ﷺ عن كعب، فاتقوا الله وتحفظوا في الحديث، وقال يزيد بن هارون: سمعت شعبة يقول: أبو هريرة كان يدّلس - أي يروي ما سمعه من كعب وما سمعه من رسول الله ﷺ ولا يميز هذا من هذا - ذكره ابن عساكر (انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ٨: ص ١١٧). حتّى أنّ عمر بن الخطاب قال لقرظة بن كعب: جرّدوا القرآن وأقلّوا الرواية عن رسول الله ﷺ (انظر المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج ١: ص ١٠٢). فقد جُمّد الحديث واقتصر بالحفظ في صدور بعض الصحابة وصاروا يتناقلونه شفاهاً في الاختفاء. وإنّ عمر بن الخطاب كتب إلى الآفاق: إنّ من كتب حديثاً فليمحّه (انظر تقييد العلم للخطيب البغدادي: ص ٥٣). ثمّ نهى عن التحدّث فتركت عدّة من الصحابة الحديث عن رسول الله ﷺ (راجع المستدرک للحاكم النيسابوري ج ١: ص ١٠٢). وبقي هذا الجمود سارياً قرناً كاملاً بين الصحابة





والتابعين بسبب الحظر الذي فرضه الخليفة الثاني عمر بن الخطاب إلا في صدور بعض الصحابة الذين حفظوا الأحاديث التي سمعوها والأحكام التي وعوها من الرسول الأعظم ﷺ. والتزم الحكماء من بعد عمر هذه السنة السيئة منه وسياسته في منع تدوين الحديث وروايته، وقد أعلن عثمان ومعاوية عن اتباعهما لعمر في منع الحديث النبوي إلا حديثاً كان على عهد عمر (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ٤: ص ٩٩). وظلت سياسة عمر بمنع الحديث سارية المفعول حتى بلغ الأمر إلى أن الحجاج الثقفي - سفاك العراق - قام بالاعتداء على كبار صحابة الرسول ﷺ فختم على أيديهم وأعناقهم حذراً من أن يحدثوا الناس أو يسمع الناس حديثهم (انظر أسد الغابة لابن الأثير ج ٢: ص ٤٧٢ في ترجمة سهل الساعدي). فلم يكن القيام بأمر رواية الحديث في مثل هذه الفترة بالذات، وفي مثل هذه الأجواء أمراً سهلاً ولا هيناً. وهذه السياسة المخربة باتت من رزية يوم الخميس وهي رزية عظيمة التي كان ابن عباس يقول وفي وصفها: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم كان يبكي حتى اخضب دمه الحصباء، فقال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس فقال: «اتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً»، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: هجر رسول الله ﷺ، قال: «دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه» (انظر صحيح البخاري ج ٤: ص ٣١ كتاب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام، باب هل يستشفع إلى أهل الذمة ومعاملتهم). ألا يتعجب المؤمن من هؤلاء الظلمة الذين يأمرهم الرسول ﷺ بأن يأتونه بالدواة والقرطاس ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً، فردوا على النبي ﷺ بكل قسوة وقالوا: إن النبي يهجر!! - والعياذ بالله - ولا يطيعونه حتى يُعرض عنهم. ويا حسرة على ذلك الكتاب الذي لم يُكتب والذي قال عنه الرسول الأعظم ﷺ: «لن تضلوا بعده»، ولو فعل الصحابة ما أمروا به لما اختلف مسلمان إلى يوم القيامة، فانظر إلى ما جناه علينا هؤلاء الظلمة من الصحابة ومن الضلال وما حرّمونا من ذلك الكتاب. هذه سياسة الخلفاء الثلاثة كانت جارية في عصر خلافتهم، وامتدت إلى قرن كامل، في حين أنهم كانوا يعلمون أن رسول الله ﷺ حجّة على الناس ولم يكن مجرد حاكم، بل كان مبلغاً للشريعة من قبل الله، عالماً بها وبمعاني كتاب الله عز وجل،



الذي من جملته تعديلهم لعامة الصحابة مخالفين في ذلك لما تقدم التنبيه عليه من الفرقان العظيم والسنة^(١)،



وشاهدًا على المسلمين، وقائداً سياسياً يجب أن يطاع على كل حال، سواء كان خائفاً ملاحقاً في غار ثور، أو كان رئيساً للدولة منتصراً على الأعداء، فوجوب طاعته ﷺ وكونه ولي الأمر لم يكن بسبب حاكميته على الدولة، بل من حيث أن حكمه ﷺ حكم الله، لأن الله تبارك وتعالى جعل حكمه ﷺ وحكومته ﷺ واجبة على جميع المسلمين، لأن حكمه ﷺ حجة الله عليهم، لأن قوله وفعله وتقريره حجة شرعية. وإن قيادته في الناس ليست فقط قيادة سياسية، بل إنها من وظائف النبوة ﷺ. فالمفروض على الصحابة أن يأخذوا بجميع ما جاء به النبي ﷺ باعتبار أن جميع ما جاء به حجة شرعية. وهذه الحجة الشرعية تكون مستمرة وممتداً بين الناس إلى يوم القيامة، وقد قال تعالى: ﴿لَنَلَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (سورة النساء: ١٦٥)، وهذه الحجة مستمرة من بعد وفاته ﷺ في عترته الطاهرة، لأن حديث الثقلين المتواتر لدى الفريقين يدل على أن القرآن والعتره الطاهرة ﷺ حجتين شرعيتين على جميع المسلمين إلى يوم القيامة. ومعناه أنهما يسدان الفراغ الحاصل برحلة رسول الله ﷺ، وهذا معنى الإمامة الإلهية التي تعتقد بها الشيعة الإمامية. وعليه فإن القوم البهت هم من تسمى بأهل السنة، ومن سار بسيرتهم في المخالفة للشريعة وهم القائلون بيانه بغير علم وبما خالف العلم، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أن من تحريفات خلافة السقيفة وأتباعهم القول بعدالة الصحابة جمعاء، ولا يخفى أن هذا القول ينافي القرآن الكريم والسنة النبوية المتفق عليها بين جميع المسلمين، فإن القرآن الكريم يرد هذا القول بشكل صريح، وينتقد أقوال أكثر الصحابة وأفعالهم في مختلف سوره وآياته، كما يشني على طائفة منهم في بعض الآيات الأخرى، فها نحن ندرس بعض الآيات التي تنقد أفعال أكثر الصحابة.

أولاً: أن القرآن الكريم أخبر عن ارتداد أكثر الصحابة بعد رحلة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، وذلك في قوله تعالى: قوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ





الرُّسُلُ أَفَانُ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ (سورة آل عمران: ١٤٤). هذه الآية الكريمة نزلت بعد ما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد وقتل من قتل منهم. يقول ابن كثير: نادى الشيطان على أن محمداً ﷺ قد قتل. فوقع ذلك في قلوب كثير من الناس واعتقدوا أن رسول الله ﷺ قد قتل وجوزوا عليه ذلك، فحصل ضعف ووهن وتأخر عن القتال، روى ابن نجيب عن أبيه إن رجلاً من المهاجرين مرّ على رجل من الأنصار وهو يتشخط في دمه، فقال له: يا فلان أشعرت أن محمداً ﷺ قتل؟ فقال الأنصاري: إن كان محمد قد قتل فقد بلغ، فقاتلوا عن دينكم. فأنزل الله سبحانه قوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (انظر تفسير ابن كثير ج ١: ص ٤١٨). وقال ابن قيم الجوزية: كانت وقعة أحد مقدّمة وإرهاصاً بين يدي محمد ﷺ وتبأهم وويّخهم على انقلابهم على أعقابهم إن مات رسول الله ﷺ أو قتل (انظر زاد المعاد ج ٢: ص ٢٥٣). فالآية تخبر عن إمكانية الانقلاب على الأعقاب بعد رحيل الرسول ﷺ، وعليه هل يمكن أن يوصف جميع الصحابة بالعدالة التامة التي هي أخت العصمة من كان يُحتمل فيه تلك الإمكانية؟

وثانياً: أن القرآن الكريم أخبر عن خيانة بعض البدرين، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغُلَّ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (سورة آل عمران: ١٦١). قال ابن كثير: نزلت هذه الآية في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر، فقال بعض الناس: لعل رسول الله ﷺ أخذها فأكثروا في ذلك، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ لَنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغُلَّ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وهذا تنزيه له ﷺ من جميع وجوه الخيانة في أداء الأمانة وقسم الغنيمة، ثم تبين أنه قد غلّ بعض أصحابه (انظر تفسير ابن كثير ج ١: ص ٤٣٠). وهذه الآية الكريمة تعرب عن مدى حسن ظن بعض الصحابة واعتقادهم برسول الله ﷺ حتى اتهموه بالخيانة في الأمانة وتقسيم الأموال، ثم تبين أنه قد غلّه بعض أصحابه. فهؤلاء الجاهلون بمكانة النبي ﷺ، أو من





مارس الخيانة في أموال المسلمين لا يوصفون بالعدالة. وهذا حال بعض البدرين، لا الأعراب ولا الطلقاء ولا أبنائهم ولا المنافقين، فكيف حال من أتى بعدهم؟

وثالثاً: يتضح فساد القول بعدالة الصحابة من تنازعهم في الغنائم التي كانت إلى حدّ التخاصم، حيث بعد انتصارهم على المشركين في غزوة بدر استولوا على أموالهم وتنازعوا فيها إلى حدّ التخاصم، قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب. وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم أحقّ بها منا ونحن منعنا عنه العدو وهزمناهم. وقال الذين أهدقوا برسول الله: لستم بأحقّ بها منا نحن أهدقنا برسول الله ﷺ وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به، فنزل ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الأنفال: ١). قال ابن كثير: سأل أبو أمامة عبادة عن الأنفال؟ قال: فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا، فانتزعه الله من أيدينا وجعله إلى رسول الله، فقسّمه رسول الله بين المسلمين عن سواء (انظر تفسير ابن كثير ج ٢: ص ٢٩٥). وفي الآية إلماعات إلى سوء أخلاقهم حيث يعظ سبحانه هؤلاء السائلين ويأمرهم بأمر ثلاثة بقوله: ١- واتقوا الله في أموركم وأصلحوا فيما بينكم ولا تظالموا ولا تخاصموا ولا تشاجروا، فما آتاكم الله من الهدى والعلم خير ممّا تختصمون بسببه ٢- وأصلحوا ذات بينكم: أي لا تسبوا ٣- وأطيعوا الله ورسوله: أي لا تخالفوه ولا تشاجروا.

ورابعاً: فقد أخبر الله عن الصحابة فاسق يغرّ النبي ﷺ وأصحابه، يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (سورة الحجرات: ٦). أمر الله سبحانه بالتثبت في خبر الفاسق ليحاط له لئلا يحكم بقوله فيكون في نفس الأمر كاذباً أو مخطئاً. قال ابن كثير: قد ذكر كثير من المفسرين أنّ الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق إلى حارث بن ضرار وهو رئيسهم ليقبض ما كان عنده ممّا جمع من الزكاة، فلمّا أن سار الوليد حتّى بلغ بعض الطريق فرق - أي خاف - فرجع حتّى أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنّ الحارث قد منعني الزكاة وأراد قتلي، فغضب





رسول الله ﷺ وبعث البعث إلى الحارث وأقبل الحارث بأصحابه حتى إذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث، فقالوا: هذا الحارث. فلما غشيهم قال لهم: إلى من بعثتم؟ قالوا: إليك. قال: ولم؟ قالوا: إن رسول الله ﷺ بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعه الزكاة وأردت قتله، قال عنه: لا والذي بعث محمدًا ﷺ بالحق ما رأيته بته ولا أتاني، فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال: «منعت الزكاة وأردت قتل رسولي؟» قال: لا، والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني، وما أقبلت إلا حين احتبس علي رسول الله ﷺ خشيت أن تكون سخطة من الله تعالى ورسوله، قال: فنزلت الحجرات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ﴾ إلى قوله: ﴿حَكِيمٌ﴾ (تفسير ابن كثير ج ٤: ص ٢٢٤).

وخامساً: استحقاقهم مسّ عذاب عظيم لما ارتكبوا من الكبائر، حيث كانت السنة الجارية في الأنبياء الماضين ﷺ أنهم إذا حاربوا أعداءهم وظفروا بهم ينكّلون بهم بالقتل ليعتبر به من وراءهم حتى يكفّوا عن عدائهم لله ورسوله ﷺ، وكانوا لا يأخذون أسرى حتى يتخنوا في الأرض ويستقرّ دينهم بين الناس، فعند ذلك لم يكن مانع من الأسر، ثم يعقبه المن أو الفداء.

يقول سبحانه: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَنتَحْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا أَلْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ (سورة محمد: ٤). فأجاز الله أخذ الأسر، لكن بعد الإثخان في الأرض واستتباب الأمر، غير أن لفيماً من الصحابة كانوا يصرون على النبي ﷺ بالعفو عنهم وقبول الفداء منهم قبل الإثخان في الأرض فأخذوا الأسرى، فنزلت الآية في ذم هؤلاء وعرفهم بأنهم استحقوا مسّ عذاب عظيم لولا ما سبق كتاب من الله، يقول سبحانه: ﴿مَا كَانَ لَنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ * لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة الأنفال: ٦٧-٦٨). والمستفاد من الآيتين أمران:

الأول: أن الحافر لأكثرهم أو لفئة منهم هو الاستيلاء على عرض الدنيا دون الآخرة كما يشير
←



إليه سبحانه بقوله: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ (سورة الأنفال: ٦٧).
 الثاني: لقد بلغ عملهم من الشناعة درجة، بحيث استحقوا مسّ عذاب عظيم، غير أنّه سبحانه دفع عنهم العذاب لما سبق منه في الكتاب، قال سبحانه: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ أخذ الأسرى عذاب عظيم. فقوله: عذاب عظيم يعرب عن عظم المعصية التي اقترفوها حتّى استحقوا بها العذاب العظيم. أفيمكن وصف من أراد عرض الدنيا مكان الآخرة واستحقّ مسّ عذاب عظيم بأنّه ذو ملكة نفسانيّة تصدّه عن اقتراف الكبائر والإصرار على الصغائر، كلاّ، ولا.

وسادساً: فرارهم من الزحف؛ فإنّهم عصوا أمر الرسول ﷺ يوم أحد، وتركوا مواقعهم على الجبل طمعاً في الغنائم فأصابهم ما أصابهم من الهزيمة التي ذكرتها كتب السيرة والتاريخ على وجه مبسوط، وبالتالي تركوا النبي ﷺ في ساحة الحرب وليس معه إلاّ عدد قليل من الصحابة، ولم تنفع معهم دعواته ﷺ بالعودة إلى ساحة القتال ونصرته، فقد خذلوه في تلك الساعات الرهيبة، وأخذوا يلتجئون إلى الجبال حذراً من العدو، ويتحدّث سبحانه تبارك وتعالى عن تلك الهزيمة النكراء بقوله: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لَّكِيلاً تَحْزَنُونَ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (سورة آل عمران: ١٥٣). نعم كان هذا وصف طوائف منهم وكانت هناك طائفة أخرى، التفت حول النبي ﷺ ودفعت عنه شرّ الأعداء، وهم الذين أشرّ إليهم بقوله سبحانه: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (سورة آل عمران: ١٤٤).

ثمّ إنّ سبحانه يصرح بتوليّهم وفرارهم عن الجهاد وينسب زلّتهم إلى الشيطان ويقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ التَّقْيِ الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بَعْضَ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة آل عمران: ١٥٥). وليس هؤلاء من أصحاب النفاق (لأنّ المنافق لا يُغفر له ولا يعفى عنه) بل من الصحابة الذين أوصفهم أهل السنّة بالعدول!

وسابعاً: نسبة الغرور إلى الله ورسوله ﷺ: إنّ غزوة الأحزاب من المغازي المعروفة في





الإسلام، حيث اتحد المشركون واليهود للانقضاض على الإسلام، فحاصروا المدينة وهم عشرة آلاف مدججين بالسلاح، وحفر المسلمون خندقاً حول المدينة لمنع العدو من اقتحامها وقد طال الحصار نحو شهر. وفي هذه الغزوة امتحن أصحاب النبي ﷺ وزلزلوا زلزالاً عظيماً، وتبين الثابت من المستزل، وانقسم أصحابه إلى قسمين:

١- المؤمنون وشعارهم ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ آلَ حَزَابٍ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (سورة الأحزاب: ٢٢).

٢- المنافقون والذين في قلوبهم مرض وشعارهم: ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (سورة الأحزاب: ١٢).

فضعفاء الإيمان من المؤمنين كانوا يظنون بالله أنه وعدهم وعداً غروراً، فهل يصح وصف هؤلاء بالعدالة والتركيز؟! وهم - طبعاً - غير المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويطنون الكفر، ويدل على ذلك، عطف ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ على المنافقين، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾. ومن يمعن النظر في الآيات الواردة حول غزوة الأحزاب يعرف مدى صمود كثير من الصحابة أمام ذلك السيل الجارف، فإن كثيراً منهم كانوا يستأذنون للرجوع إلى المدينة بحجة أن بيوتهم عورة ويقول سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا * وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ (سورة الأحزاب: ١٣ و ١٥).

وثامناً: المنافقون المندسّون بين الصحابة: لقد شاع النفاق بين الصحابة منذ نزول النبي ﷺ بالمدينة، وقد ركّز القرآن على عصبية المنافقين وصفاتهم وفضح نواياهم، وندّد بهم في السور التالية: البقرة، وآل عمران، والمائدة، والتوبة، والعنكبوت، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والحديد، والمجادلة، والحشر، والمنافقون.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن المنافقين كانوا جماعة هائلة في المجتمع الإسلامي، بين معروف عرف بسمة النفاق ووصمة الكذب، وغير معروف بذلك، ولأنه



فإن قال: قال عبد الله بن مسعود ما رآه المؤمنون حسناً... إلى آخره^(١)،



مقنع بقناع الإيمان والحب للنبي ﷺ، فلو كان المنافقون جماعة قليلة غير مؤثرة لما رأيت هذه العناية البالغة في القرآن الكريم. وهناك ثلثة من المحققين ألفوا كتباً ورسائل حول النفاق والمنافقين، وقد قام بعضهم بإحصاء ما يرجع إليهم فبلغ مقداراً يقرب من عشر القرآن الكريم. ومع ذلك فهل يمكن عد جميع من صحب النبي ﷺ عدولاً؟!! نعم المنافقون ليسوا من الصحابة ولكنهم كانوا منسبين فيهم، وعند ذلك فكثيراً ما يشبهه الصحابي الصادق بالمنافق، ولا يتميز المنافق عن المؤمن، حتى أن النبي ﷺ ربما كان لا يعرفهم، يقول سبحانه: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ (سورة التوبة: ١٠١).

فهذا يجز الباحث - الذي يريد الإفتاء على ضوء ما قاله الصحابة - التفتيش عن حال الصحابي حتى يعرف المنافق عن غيره، فلو اشتبه الحال فلا يكون قوله ولا روايته حجة؛ إذن لا معنى للقول بعدالة الصحابة جمعاء. وهناك روايات كثيرة صحيحة عند أهل السنة وهي تدل على أن أكثر الصحابة أهل النار كحديث الحوض وغيره التي سنذكرها إن شاء الله في محله. وعليه كيف يمكن لأهل السنة الخلاص من هذا التناقض وكيف يمكنهم الجمع بين عدالة الصحابة والآيات والروايات الدالة على أن أكثرهم أهل النار؟! والحاصل: ما نسبته ابن تيمية إلى الشيعة من أنهم القوم البهت افتراء، بل أن القوم البهت هم من تسمى بأهل السنة، ومن سار بسيرتهم، لأنهم قائلون بعدالة الصحابة المخالفة لقول الله ورسوله، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن عبد الله بن مسعود قال: إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن



فبعد غرض النظر عن سنده وفرض ثبوته عنه^(١) فهل يسمّى من شاقّ الرسول ﷺ^(٢)



وما رأوا شيئاً فهو عند الله سيئ (مسند أحمد بن حنبل ج ١: ص ٣٧٩). والاستدلال بهذا الحديث على تعديل الصحابة على فرض تمامية سنده وحجيته عند أهل السنة غير صحيح، لأنّه لو كان مدلول الحديث: أنّ من رآه المسلمون حسناً فهو حسن... فهل أنّ المقصود به: رآه حسناً بحسب اجتهاده، ولو كان اجتهاده مخالفاً للكتاب والسنة، أو لا يكون كذلك؟ فلو كان اجتهاده مخالفاً للكتاب والسنة، كما أنّ الآيات الواردة في قبح الصحابة تدلّ على ذلك، فيكون اجتهاده، اجتهاداً في مقابل النصّ، فلا يمكن الإعتماد عليه مع وجود النصّ على خلافه. وإن كان المقصود غير الاجتهاد مع شرائطه ولوازمه، فلا يكون حجة، لأنّ رأي المسلم لا يكون حجةً بإجماع المسلمين، حتّى إذا كثر عددهم، فاجتماع لا حجة في جنب لا حجة لا ينتج إلّا لا حجة، فالحديث لا يمكن الاستدلال به على مدعاهم على مباني جميع أهل السنة، فضلاً عن عدم حجية الخبر عند الشيعة، فلاحظ.

(١) وذلك لأنّ الشيعة لا يصدّقون الروايات التي رواها علماء أهل السنة بطرقهم، لأنّ علماء أهل السنة يعتقدون بعدالة جميع الصحابة وعلى هذا الأساس يؤثّقون جميع الصحابة بما فيهم من الغث والثمين. وأمّا الشيعة لا تعتقد بعدالة جميع الصحابة بصورة جمعاء، لأنّ فيهم الفساق وأهل الكذب والافتراء. وعليه فإنّ روايات أهل السنة لا تكون حجة عند الشيعة. فاحتجاجهم بالرواية الواردة من طرقهم لا تكون حجة عند الشيعة، والاحتجاج بما لا يكون حجة عندهم باطل كما لا يخفى على الخبير.

(٢) هذه العبارة إشارة قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (سورة النساء: ١١٥). وقد بيّن سبحانه وتعالى في هذه الآية المباركة أنّ من تمرد على الرسول ﷺ وعاداه، سوف يجد أثر تمرده وعدائه وعناده ومخالفته لرسول الله ﷺ، لاسيّما بعد ما تبين له



فجعل إماماً في مقام خليفة وغيره من المبتدعات والمناكير



الحقّ بأحسن الوضوح، حيث أعلنت الآية الكريمة أنّ مخالفتهم وعنادهم تكون بعد وضوح الحقّ لهم، فقال تعالى: ﴿مَنْ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾، أي من بعد ما قامت لهم الحجة وصحّت لهم الأدلة، ومع ذلك أخذوا طريق العداء لله ورسوله ﷺ، وهو طريق غير طريق المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فإنّ الله سوف لن يهديه إلى الطريق الحقّ، فتقول الآية: ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ فسيرسله الله يوم القيامة إلى جهنّم، وما أسوأ هذا المكان الذي ينتظره. فالآية تلزم على جميع المؤمنين بأن لا يسلكوا سبيل المخالفين والمعاندين للدين، وأشارت إلى الآثار والعواقب السيئة التي ستكون لهذا الطريق. وبعبارة أخرى أنّ الآية أعلنت أنّ من يواجه النبي ﷺ بالعناد والمخالفة بعد وضوح الحقّ له، معناه أخذ طريق العداء لله ورسوله ﷺ، فهو ممّن يشاقق الرسول ﷺ من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين، فنولّه ما تولى ونصله جهنّم وساءت مصيراً. فيجب انتباه التابعين لخلافة السقيفة إلى هذه عبارة من الآية الكريمة: ومن يشاقق... حيث أنّ هذه القضية مستمرة، بل وقد تتوسّع بذلك زاوية انحرافه عن جادة الحقّ والصواب، إلى أن يصل إلى محاربة الله ورسوله ﷺ، وأنّ من يختار هذا الطريق إنّما يكون سلبياته عليه، لأنّه هو الذي اختاره لنفسه والبناء الذي وضع أساسه بيده، فالآية تنطبق أولاً على مخالفة الخلفاء الثلاثة وعنادهم لله ورسوله ﷺ. وثانياً تنطبق على من تبعهم في هذه المحاربة والمشاقة للرسول ﷺ، فشمول الآية لهم من جهة متابعتهم لغير سبيل المؤمنين ووقوفهم أمام الله ورسوله ﷺ ولذلك قال الله تعالى: ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ...﴾ وهي إشارة إلى حرمانه ما اختاروا لأنفسهم من الأولياء واستحقاقهم العقاب الإلهي، لمواصلتهم السير في طريق الضلالة، كما قال تعالى: ﴿وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا...﴾ فهي تشير إلى مصير هؤلاء يوم القيامة، فلاحظ.

مؤمناً؟! ^(١) حاشى.

(١) وبعبارة أوضح أنه على فرض أن المسلمين كانوا يرون من يحارب الله ورسوله ﷺ انساناً حسناً، فهل يصح أن يقال: أنه حسن مع ما وجدوا منه المنكرات والبدع في الدين؟! حاشا وكلاً ثم حاشا وكلاً، إذ من الواضح لدى الخبير أنه لا يمكن تزكية من صدر منه المناكير، لأنه تناقض محض. وإذا كان الأمر كذلك فتعال معنا لنرى حال خلفاء أهل السنة في كتبهم في هذا المجال، فإنه فيها استعراض وسيع لارتكاب الخلفاء الثلاثة المناكير وانتشار البدع والافتراء على الله ورسوله ﷺ في مختلف الأبواب والأحكام الشرعية، فإنهم قد غصبوا الخلافة من آل محمد وأنكروا إمامتهم جهاراً وتقمصوا مناصبهم غصباً، وابتلوا الدين بكل بلية وآفة ولم يكتفوا بذلك حتى هيئوا جميع التمهيدات لدولة الطلقاء وأشد أعداء الإسلام فأحدثوا في الدين ما أحدثوا من البدع والتحريفات والمخازي الشنيعة والمنكرات مما لا تعد ولا تحصى، فشملمهم قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ (سورة القصص: ٤١). فالجعل في الآية بمعنى: الجعل التكويني في أصل الخلقة، لا بما يلزم منه الجبر، بل ذلك بما علمه الله في سابق علمه من صفات أئمة الضلال ودعوتهم النار وظلمهم وجبروتهم وعنادهم للدين، وكل ذلك ثابت وله واقع لا شك ولا مرية فيه. وهذه سنة الله، حيث جعل لكل ولي من أوليائه عدواً من الشياطين كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (سورة الأنعام: ١١٢). فالجعل هنا بمعنى علمه من اختيار الناس أئمة الضلال، الذين وقفوا بوجوه الأنبياء والأولياء، فتشير الآية إلى هذه السنة الإلهية وتخاطب الرسول ﷺ: يا أيها الرسول كما ابتليناك بأعدائك من المشركين والمنافقين ابتلينا جميع الأنبياء عليهم السلام بأعداء من المعاندين اللجوجين المتعصيين الذين هم من شياطين الإنس والجن. والشيطان يريد أن يضل الإنسان فيلقي إغوائاته الباطلة ليغتر بها الناس، ليضلهم عن سبيل الله. طبعاً هناك من الشياطين من هو من الإنس. ففي حديث عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إن الأئمة في كتاب الله عز وجل إمامان، قال الله تبارك وتعالى: ﴿

فإن هذه سيرة من جانب سبيل المؤمنين، ولذلك قال سبحانه: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾^(١)،



﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾، لا بأمر الناس، يقدمون أمر الله قبل أمرهم، وحكم الله قبل حكمهم. قال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾، يقدمون أمرهم قبل أمر الله، وحكمهم قبل حكم الله، ويأخذون بأهوائهم خلاف ما في كتاب الله عز وجل (الكافي ج ١: ص ٢١٦). وفي رسالة الإمام الصادق عليه السلام إلى أصحابه، جاء فيها: «فقد كُذِّبَ نبي الله والرسول من قبله وأوذوا مع التكذيب بالحق، فإن سرَّكم أمر الله فيهم الذي خلقهم له في الأصل - أصل الخلق - من الكفر الذي سبق في علم الله أن يخلقهم له في الأصل ومن الذين سمَّاهم الله في كتابه في قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ فتدبروا هذا واعقلوه ولا تجهلوه...» (الكافي ج ٨: ص ٥). فيظهر من ذلك سياسة الخلفاء الثلاثة ويتضح من خلال الآية الكريمة كيفية حكم هؤلاء الذين وصفهم الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾، فكيف يمكن أن يقال من رآه المسلمون حسناً وكان من رآه المسلمين حسناً من أئمة الضلال الذين سمَّاهم الله بأئمة يدعون إلى النار، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى أن من كان يراه أهل السنة حسناً فهو ممن أعلنت الآية الكريمة بمخالفتهم وعنادهم للحق، فقال تعالى: ﴿مَنْ يَعْزِزْ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾، أي من بعد ما قامت لهم الحجة وصحت لهم الأدلة، ومع ذلك أخذوا طريق العداء لله ورسوله ﷺ، وهو طريق غير طريق المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فإن الله سوف لن يهديهم إلى الطريق الحق، فتقول الآية: ﴿تَوَلَّاهُ مَا تَوَلَّىٰ وَتُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾، فهؤلاء مشمولون لقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (سورة آل عمران: ١٤٤)؛ والآية صريحة وجلية في أن أكثر الصحابة انقلبوا على أعقابهم بعد وفاة الرسول ﷺ ولم يثبت منهم إلا القليل كما دل على ذلك التعبير عن المؤمنين الثابتين بالشاكرين، وذلك لأن الله تعالى قال





في كتابه العزيز: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سورة سبأ: ١٣). فالشاكرين من الصحابة الذين يجزيهم الله جزاء إيمانهم خيراً عددهم قلة بنص هذه الآية المباركة. وعليه فإن الصحبة في حد نفسها لم تكن مزية إلا أن يكون من المؤمنين الذين سماهم الله بالشاكرين. ومن خرج عن هذا الإطار فهو من المنحرفين الذين سماهم الله تعالى بالمنقلبين على الأعقاب. وعليه فإن الانحراف عن الخط السليم الرسالة السماوية، الذي رسمه الله ورسوله ﷺ للأمة بالنسبة إلى الخلافة من بعد رسول الله ﷺ المتمثلة في إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو نوع من التراجع والارتداد عن منهج الرسالة السماوية وعدم تطبيق الأوامر الإلهية، وهذا هو معنى الروايات الواردة في مصادر أهل السنة بأن العرب ارتدوا كلهم بعد الرسول ﷺ عدا فئة في المدينة (انظر تاريخ الطبري ج ٢: ص ٤٧٥). وهناك نصوص وأدلة تدل على ارتداد أكثر الصحابة بعد وفاة الرسول ﷺ في مصادر أهل السنة كتاباً وسنةً، وهي كثيرة جداً، منها: ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس قال: خطب النبي ﷺ فقال: «إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً»، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾، ثم إن أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم، ألا إنه يجاء برجال من أمّتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ...﴾ (إلى قوله) ﴿شَهِيدٌ﴾، فيقال: إن هؤلاء لم يزوالا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم» (صحيح البخاري ج ٥: ص ٢٤٠ كتاب تفسير القرآن، باب ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا﴾). ومنها: ما رواه بسنده عن أبي هريرة أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض، فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري» (صحيح البخاري ج ٧: ص ٢٠٨ كتاب الرقاق، باب في الحوض وقول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، وقال عبد الله بن زيد: قال النبي ﷺ: «اصبروا حتى تلقوني على الحوض...»). فإن قوله ﷺ: «ارتدوا على أدبارهم القهقري» معناه: الارتداد عن الإسلام، لأن الرجوع القهقري مشعر بالجاهلية الأولى. ثم



وقال ﷺ: «ستة لعنتهم ولعنهم الله وكل نبي مجاب»^(١). وعدّ منهم: التارك



إنّ قوله ﷺ: «لا تدري ما أحدثوا بعدك»، فإنّ ما أحدثوا ظاهر في أنّهم أحدثوا في الإسلام، لأنّ الأحداث بقرينة الجاهلية ليس إلاّ الارتداد عن الدين بعد النبي ﷺ، أي من الأمور المحدثّة على الدين التي ليست منه. ومن الواضح أنّ بقاء الدين إنّما يكون بمن يقوم مقام النبي ﷺ، حيث أنّ من مسؤوليات النبي ﷺ حفظ الدين، فتكون هذه المسؤولية بعد النبي ﷺ على عاتق الإمام وخليفته، ولذلك أنّ الإمامة تكون من أوجب الواجبات على المسلمين بعد النبي ﷺ حتّى عند أهل السنة، لأنّ الدين يحفظ بالإمام والخليفة. والأدلة الثابتة لدى الفريقين من الكتاب والسنة تدلّ على أنّ الصحابة بايعوا مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يوم غدير خم للإمامة والخلافة، وقد تمتّ هذه البيعة عليهم الحجّة من الله ورسوله ﷺ، ولكن بغضب الخلافة من مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في السقيفة ارتدّوا بعد وفاة رسول الله ﷺ، وهذا معنى الانقلاب على الأعقاب، لأنّ الارتداد عن الإسلام تراجع إلى الجاهلية الأولى، وسيأتي البحث فيه مفصلاً إن شاء الله تعالى. فثبت أنّ المرتدّين من الصحابة بعد وفاة رسول الله ﷺ هم المنقلبون على الأعقاب في الآية المباركة، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الحديث المعروف الذي رواه علماء الإسلام من الشيعة وأهل السنة بأسناد صحيحة عن النبي الأكرم ﷺ، فقد أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين بسنده عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «ستة لعنتهم الله وكل نبي مجاب: المكذّب بقدر الله، والزائد في كتاب الله، والمتسلّط بالجبروت يذلّ من أعزّ الله ويعزّ من أذلّ الله، والمستحلّ لحرم الله، والمستحلّ من عترتي ما حرّم الله، والتارك لسنتي» (ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولا أعرف له علّة ولم يخرجاه (المستدرک على الصحيحين ج ١: ص ٢٦ وج ٢: ص ٥٢٥، وج ٤: ص ٩٠)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١: ص ١٧٦، وابن حبان في صحيحه ج ١٣: ص ٦٠، والطبراني في المعجم الكبير ج ٣: ص ١٢٧ وغيره. ودلالة الحديث على المقام واضحة حيث أنّه يدلّ



لسنته وأول من تركها بعده ابن أبي قحافة ومن بايعه، تركهم خبر الثقلين^(١)،



على أن الموارد المذكورة في الحديث ينطبق على الصحابة الذين صدر منهم ما ينطبق عليهم الموارد الستة ، بل وبعضهم شملهم الحديث من جهتين الموجب للعنهم وبعضهم من الجهات العديدة المذكورة في الحديث. ، فكانوا ملعونين على لسان الله ورسوله ﷺ وكلّ نبيّ مجاب. ولا يخفى أنّ الخلفاء الثلاثة وأتباعهم قد شملهم الحديث من الجهات العديدة المذكورة في الحديث ، وسنذكر ما فعله الخلفاء وأتباعهم من البدع والمنكرات ومخالفة القرآن وتركهم سنة رسول الله ﷺ وغير ذلك ممّا يشملهم الحديث بجهات عديدة .

(١) لا يخفى على الخبير أنّ حديث الثقلين من الأحاديث التي اتّفق على صحّته جميع علماء الإسلام، وقد ثبت تواتره عند كثير منهم، واذعنوا بصدوره من النبي الأكرم ﷺ كما لا يخفى على المتتبع في الآثار. وإنّ الكتب نقلت هذا الحديث أكثر من أن تحصى، فأخرجه كبار علماء أهل السنّة وحفّاظهم وأئمة الحديث في صحاحهم ومسانيدهم وسننهم، ونصّوا على صحته ووثاقه رواته، قال ابن حجر المكي: ولهذا الحديث طرق كثيرة عن نيف وعشرين صحابياً... (انظر الصواعق المحرقة: ص ١٣٦). وقال السخاوي: إنّ حديث الثقلين هذا مروي عن أبي سعيد الخدري وزيد بن أرقم وجابر وحذيفة بن أسيد الغفاري وخزيمة ثابت وسهل بن سعد وضميرة وعامر بن أبي ليلى وعبد الثرى بن عوف وعبد الله ابن عباس وعبد الله بن عمر وعدي بن حاتم وعقبة بن عامر وعلي بن أبي طالب وأبي ذر وأبي رافع وأبي تسريح الخزاعي وأبي قدامة الأنصاري وأبي هريرة وأبي الهيثم ابن التيهان وأمّ سلمة وأمّ هاني بنت أبي طالب ورجال من قريش... (انظر استجلاب ارتقاء الغرف للسخاوي: ص ٤٠ مخطوط). وقد أفرد العلامة السيّد مير حامد حسين لکنهوي لحديث الثقلين جزئين من موسوعته عبقات الأنوار وذكر فيه طرق الحديث من طرق أهل السنّة إلى الصحابة فهي أكثر من بضع وعشرين صحابياً. فالحديث في أعلى





درجة الاعتبار. وممن روى هذا الحديث أحمد بن حنبل في مسنده بطرق عديدة، فإنه قد روى بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي الثقيلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» (مسند أحمد بن حنبل ج ٣: ص ٥٩). والترمذي في سننه بسنده عن جابر بن عبد الله قال: رأيت رسول الله ﷺ في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعتة يقول: «يا أيها الناس، إني تركت فيكم من [ما] إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي» (سنن الترمذي ج ٥: ص ٣٢٨). والحاكم النيسابوي بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» (المستدرک على الصحيحين ج ١: ص ٩٣). وروى بسنده عن أبي الطفيل عن ابن واثلة أنه سمع زيد بن أرقم يقول: نزل رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة عند شجرات خمس دوحات عظام، فكس الناس ما تحت الشجرات ثم راح رسول الله ﷺ عشية فصلّى ثم قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ فقال ما شاء الله أن يقول، ثم قال: «أيها الناس، إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن اتبعتموهما وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي» ثم قال: «أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ (ثلاث مرات)» قالوا: نعم، فقال رسول الله ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه» (ثم قال الحاكم): وحديث بريدة الأسلمي صحيح على شرط الشيخين (المستدرک على الصحيحين ج ٣: ص ١١٠).

وأما دلالة الحديث فهي واضحة جداً كالشمس في رابعة النهار، حيث أنّ النبي الأكرم ﷺ حصر فيه وجوب اتباع الأمة من القرآن والعتر الطاهرة ﷺ إلى يوم القيامة، فمن له أدنى معرفة بألفاظ اللغة العربية وأساليبها يعرف بأنّ الحديث صريح في وجوب طاعة العتر الطاهرة ﷺ كوجوب طاعة القرآن، لأنّ النبي الأكرم ﷺ قرّن طاعة عترته الطاهرة ﷺ بمحكم الكتاب العزيز، حيث جعل ﷺ: العتر الطاهرة ﷺ عدلاً للقرآن وشريكاً للوحي، وقد حصر الفوز للسعادة بالتمسك بهما معاً، وحذّر الأمة من الضلالة





ومخالفتهما أو مخالفة واحد منهما. ومعناه أنه كما يجب الأخذ بالقرآن واتباعه كذلك يجب اتباع العترة الطاهرة عليهم السلام وجوباً شرعياً، ومن ثبت وجوب اتباعه على الإطلاق ثبتت إمامته. فالحديث صريح في إمامة الأئمة الطاهرين من العترة الطاهرة عليهم السلام. ولا بأس هنا بذكر بعض النصوص وال عبارات من بعض المحققين من أهل السنة واعترافيهم تأييداً بما قلناه في دلالة الحديث: قال الزرقاني: أنه قال الحكيم الترمذي: حضّ على التمسك بهم، لأنّ الأمر لهم معانية، فهم أبعد عن المحنة (انظر شرح المواهب اللدنية ج ٧: ص ٥ نقلاً عن نواذر الأصول للترمذي). وقال النووي: قوله عليه السلام: «وأنا تارك فيكم ثقلين»، فذكر كتاب الله وأهل بيته. قال العلماء: سمياً ثقلين لعظمهما وكبير شأنهما، وقيل لثقل العمل بهما (انظر شرح صحيح مسلم للنووي ج ١٥: ص ١٨٠). وقال ابن الأثير: فيه (أي في حديث: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي»؛ سمّاهما ثقلين لأنّ الأخذ بهما والعمل بهما ثقل. ويقال لكلّ خطير نفيس: ثقل، فسّماهما ثقلين إعظاماً لقدرهما وتفخيماً لشأنهما) (انظر النهاية ج ١: ص ٢١٦ مادة ثقل). وقال القاري: والمراد بالأخذ بهم: التمسك بمحبّتهم، ومحافظة حرمتهم، والعمل بروايتهم، والاعتماد على مقاتلتهم (انظر مرقاة المفاتيح ج ٥: ص ٢٠٠). وقال شهاب الدين الخفاجي: أي: تمسّكتم وعملتُم واتبعتموه (انظر نسيم الرياض في شرح الشفاء للقاضي عياض ج ٢: ص ٤١٠). وقال المناوي: «إني تارك فيكم بعد وفاتي خليفتين»، زاد في رواية: «أحدهما أكبر من الآخر»، وفي رواية بدل «خليفتين»: «ثقلين»، سمّاهما به لعظم شأنهما، «كتاب الله القرآن، جبل»، أي: هو «جبل ممدود ما بين السماء والأرض»، قيل: أراد به عهده، وقيل: السبب الموصل إلى رضاه، «وعترتي» (بمثناة فوقية) «أهل بيتي». تفصيل بعد إجمال، بدلاً أو بياناً، وهم أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً (انظر فيض القدير في شرح الجامع الصغير ج ٣: ص ١٤). وإلى غير ذلك ممّا ورد في كتبهم في شرح الحديث. فحديث الثقلين صريح في وجوب اتباع العترة الطاهرة عليهم السلام. ومن الواضح أنّ أبا بكر وأتباع خلافة السقيفة تركوا هذه السنة الصحيحة عند جميع المسلمين والصريحة في وجوب الاتباع، لأنّهم بغضب الخلافة خرجوا عن طاعة الله ورسوله ﷺ وتمردوا وأمر





القرآن الكريم والسنة النبوية، وايضا بتركهم خبر الثقلين خرجوا عن طاعة العترة الطاهرة عليه السلام ايضا. وبنص حديث الثقلين، أن من لم يتمسك بإمامة أهل البيت عليهم السلام فهو ضالّ، وهذا الوعيد سيلحق بهم. وعليه فيشملهم قوله عليه السلام: ستة لعنهم الله وكل رسول مجاب.... وإذا كان الأمر كذلك فما بال ابن تيمية يزعم بأن الشيعة وأتباع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة الطاهرين من أهل البيت عليهم السلام قوم بهت؟! فالحري أن يتأمل في هذه النصوص ويرى أن خلفائه وأهل نحلته لماذا تركوا حديث الثقلين أليس هم قوم بهت؟ فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أن حديث السفينة من الأحاديث النبوية الشهيرة المتواترة، وقد رواه علماء الفريقين بطرق عديدة عن الصحابة عن الرسول الأكرم عليه السلام، قال ابن حجر: جاء (الحديث) من طرق عديدة يقوّي بعضها بعضاً: «إنما مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا». وفي رواية مسلم: «ومن تخلف عنها غرق»، وفي رواية: «هلك» (انظر الصواعق المحرقة: ص ٢٣٤). فالحديث من حيث السند في غاية القوة والإجادة، ومن جهة الدلالة يدلّ بوضوح على إمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام، حيث فيه دلالة واضحة على أن طريق الهدى والنجاة من الهلاكة والضلالة منحصرة في أهل البيت عليهم السلام، وإليك بعض متون الحديث؛ فقد أخرج أحمد بن حنبل بسنده عن حنش الكناني قال: سمعت أبا ذر يقول وهو آخذ بباب الكعبة: "من عرفني فأنا من قد عرفني، ومن أنكرني فأنا أبو ذر، سمعت النبي عليه السلام يقول: «ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك» (انظر كتاب فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج ٢: ص ٧٨٥)، ورواه الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين ج ٢: ص ٣٤٣، والهيتمي في مجمع الزوائد ج ٩: ص ١٦٨، والطبراني في المعجم الأوسط ج ٤: ص ١٠ وغيرهم. وأخرج الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين بسنده عن حنش الكناني قال: سمعت أبا ذر يقول وهو آخذ بباب الكعبة: "أيها الناس من عرفني فأنا من عرفتم، ومن أنكرني





فأنا أبو ذر سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق». ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (المستدرک على الصحيحين ج ٢: ص ٣٤٣). وأخرج الهيثمي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة في بني إسرائيل من دخله غفر له» (مجمع الزوائد ج ٩: ص ١٦٨)، ورواه الطبراني في المعجم الأوسط ج ٦: ص ٨٥، وابن كثير في تفسيره ج ٤: ص ١٢٣، والمناقب لابن المغازلي: ص ٣٢٤ وغيرهم. ومن الطبيعي أنّه لا يسعنا المجال هنا لاستقصاء طرق الحديث وذكر جميع المصادر والروايات الواردة في كتب القوم، والمهم أنّ الحديث بهذا المضمون ورد في الجوامع الحديثية من أهل السنّة بطرق عديدة.

وأما من حيث الدلالة فإنّه يدلّ على لزوم متابعة أهل البيت (عليهم السلام)، وما أروعه من تشبيه دالّ وموقظ، بحيث يبيّن وجوب الاتباع ويحذر عن ترك الاتباع، فرسول الله ﷺ يتطلّع صوب المستقبل من وراء حُجب الغيب، فيبصره مليئاً بالفتن والضلالات التي يشبّوها بالأمواج المتلاطمة العاتية، وقد شبّه ﷺ الدنيا ببحر يموج بأمواله الجبلية، وبأمواج الثقافات البشرية، والناس في وسط هذا البحر يبحثون عن لوح يتشبّثون به من أجل النجاة؛ وفي الأثناء تأتي سفينة النجاة للجاناس بها في وسط تلك المعمة، ليأخذون بها في الأمواج المدهشة الموجة للغرق! ويهتدون بها إلى ساحة النجاة. فقد مثّل رسول الله ﷺ أهل بيته (عليهم السلام) بمثل هذه السفينة التي تأخذ بيد كلّ إنسان ويهديه إلى ساحل الأمان والسلام. فالتشبيه بسفينة نوح من أجل أنّ الوضع هو كوضع قوم نوح (عليهم السلام)، وأنّ الناس في وسط المعمة في لجة ظلماء؛ يحتاج كلّ الإنسان منهم إلى النجاة والركوب في تلك السفينة. فإذا ينبغي أن تكون الأمة على حذر، وأن تُدرك أنّ طريق النجاة الوحيد الذي يكمن في ركوب السفينة اللوذ بأهل البيت (عليهم السلام) والاعتصام بحجزتهم والتمسك بتعاليمهم وسنتهم، فليس هناك شكّ في دلالة الحديث على وجوب طاعة أهل البيت (عليهم السلام) وإلاّ هل لعائل أن يأخذه أمواج عاتية من البحر، فيشرف حتماً على الغرق





والضياح، ويترك سفينة النجاة ولا يركب فيها ولا يخلص نفسه من الغرق!!
وقد اعترف بذلك شراح الحديث من أهل السنة؛ قال الطيبي بشرح الحديث عن أبي ذر الغفاري: قوله: وهو آخذ باب الكعبة، أراد الراوي بهذا مزيد توكيد لإثبات هذا، وكذا أبو ذرّ اهتم بشأن روايته، فأورده في هذا المقام على رؤوس الأنام ليمسكوا به، وفي رواية له بقوله: "من عرفني فأنا من قد عرفني، ومن أنكرني فأنا أبو ذر"، سمعت النبي ﷺ يقول: ألا: «إنّ مثل أهل بيتي...» الحديث، أراد بقوله: فأنا أبو ذر، المشهور بصدق اللهجة وثقة الرواية، وأنّه هذا حديث صحيح لا مجال للردّ فيه، وهذا تلميح إلى ما روينا عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق من أبي ذر»، وفي رواية أبي ذر: «من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذر شبه عيسى بن مريم»، فقال عمر بن الخطاب كالحاسد: يا رسول الله أتعرف ذلك؟! قال: ذلك فاعرفوه، أخرجه الترمذي وحسنه الصنعاني في كشف الحجاب شبه الدنيا بما فيها من الكفر والضلالات، والبدع والأهواء الزائغة ببحر لجّي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، ظلمات بعضها فوق بعض، وقد أحاط بأكنافه وأطرافه الأرض كلّها، وليس فيه خلاص ومناص إلا تلك السفينة، وهي: محبة أهل بيت رسول الله ﷺ (انظر كتاب شرح المشكاة للطّيبي المسمّى بالكشاف عن حقائق السنن لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي: المخطوط)، وقال القاري بمثل كلمات الطيبي واستشهد بها (انظر المرقاة في شرح المشكاة ج ٥: ص ٦١٠). وقال السمهودي: قوله ﷺ: «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه» الحديث؛ ووجه: إنّ النجاة ثبت لأهل السفينة من قوم نوح ﷺ... ومحصّله: الحثّ على التعلّق بحبلهم وحبهم وإعظامهم شكراً لنعمة مشرفهم ﷺ، والأخذ بهدي علمائهم ومحاسن أخلاقهم وشيمهم، فمن أخذ بذلك نجا من ظلمات المخالفة وأذى شكر النعمة الوافرة، ومن تخلف عنه غرق في بحار الكفران وتيار الطغيان فاستوجب النيران (انظر كتاب جواهر العقدين في فضل الشرفين شرف العلم الجلي والنسب العلي، لعلي بن عبد الله الحسني السمهودي: مخطوط). وقال المناوي: «إنّ مثل أهل بيتي» فاطمة وعلي وابنيهما، وبينهما أهل العدل والديانة «فيكم





مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك»، وجه التشبيه: أنَّ النجاة ثبت لأهل السفينة من قوم نوح، فأثبت المصطفى ﷺ لأُمَّته بالتمسك بأهل بيته النجاة، وجعلهم وصلة إليها، ومحصولة: الحثُّ على التعلُّق بحبِّهم وحبلهم وإعظامهم شكراً لنعمة مشرفهم والأخذ بهدي علمائهم، فمن أخذ بذلك نجا من ظلمات المخالفة وأدَّى شكر النعمة المترادفة، ومن تخلف عنه غرق في بحار الكفران وتيار الطغيان فاستحق النيران، لما أن بغضهم يوجب النار كما جاء في عدَّة أخبار، كيف وهم أبناء أئمة الهدى ومصايح الدجى الَّذِينَ احتجَّ الله بهم على عباده، وهم فروع الشجرة المباركة وبقايا الصفوة الَّذِينَ أذهب عنكم الرجس وطهرهم وبرَّأهم من الآفات وافترض مودتهم في كثير من الآيات، وهم العروة الوثقى ومعدن التقى، واعلم أنَّ المراد بأهل بيته في هذا المقام العلماء منهم، إذ لا يحثُّ على التمسك بغيرهم وهم الَّذِينَ لا يفارقون الكتاب والسنة حتَّى يردوا معه على الحوض (انظر فيض القدير في شرح الجامع الصغير للمناوي ج ٢: ص ٥١٩). وقال ابن حجر المكي مثل ذلك (انظر الصواعق المحرقة: ص ٢٣٤). ونستنتج من جميع ذلك أنَّ حديث السفينة يدلُّ على وجوب اتباع أئمة أهل البيت ﷺ، وحيث أنَّ أبا بكر ومن تبعه من أهل السنة تركوا هذه السنة الصحيحة عند جميع المسلمين قد شملهم حديث ستة لعنهم الله ورسوله ﷺ وكل نبي مجاب.... وحيث أنَّ حديث السفينة يدلُّ بوضوح على إمامة أئمة أهل البيت ﷺ فكان من الواجب على أبي بكر وجميع الصحابة وأهل السنة أن يتبعوا أئمة أهل البيت ﷺ عملاً بهذا النصَّ الصحيح الصريح على إمامتهم ﷺ وأمرهم بالركوب في سفينتهم، إن كانوا من المؤمنين، لأنَّ كناية عن وجوب الاتِّباع أبلغ من التصريح، وهذا ما يؤيده شرح علماء أهل السنة لحديث السفينة، فعلى ضوء كلمات علماء أهل السنة والمحقِّقين منهم، أنَّ الحديث دال على إمامة أئمة أهل البيت ﷺ، وعليه فما بال ابن تيمية يزعم بأنَّ الشيعة وأتباع أهل البيت قوم بهت؟! فلا حظ.

إلى غير ذلك^(١)، والمنقلب على العقب، والملعون بهذه الدرجة، ومن حكم عليه بالهلكة ليس بمؤمن قطعاً^(٢)،

(١) وذلك كحديث الغدير وحديث المنزلة وحديث الراية وحديث «علي مع الحق» وحديث «لكل نبي وصي» وحديث الكساء وغيرها من الأحاديث، فإنها تدل على وجوب اتباع أئمة أهل البيت عليهم السلام، وإلا سوف يدخلون في من ترك سنة رسول الله صلى الله عليه وآله ويشملهم حديث ستة لعنهم الله.... فلاحظ.

(٢) وبعبارة أوضح أن المؤمن الصادق يلزم عليه العمل بالقرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، فمن خرج عن طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله بانقلابه على العقب، وبرجوعه الى الجاهلية الأولى أو كان ممن ترك سنة رسول الله صلى الله عليه وآله ووقع في الهلاكة والضلالة، فينطبق عليه حديث ستة لعنهم الله... أما من انقلب على عقبيه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، فهو كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (سورة آل عمران: ١٤٤)؛ فيكون خارج عن دائرة الايمان؛ لأن الآية صريحة وجلية في أن المؤمنين الصادقين لا ينقلبون على أعقابهم، ومن انقلب على عقبيه فهو خارج دائرة المؤمنين الصادقين. وكذلك يلزم عليه أن لا يترك سنة رسول الله صلى الله عليه وآله، وإلا سوف يكون مشمولاً لحديث «ستة لعنهم الله ورسوله وكل نبي مجاب...» (المستدرک على الصحيحين ج ١: ص ٢٦ وج ٢: ص ٥٢٥، وج ٤: ص ٩٠)، كما أن النجاة من الضلالة والهلاكة يلزمهم العمل بـ «حديث الثقلين» و«حديث السفينة» وأمثالهما فمن تركهما فقد ترك سنة رسول الله صلى الله عليه وآله ومن ترك سنة رسول الله صلى الله عليه وآله فهو من الضالين الذين خرجوا عن دائرة طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله، فمن الصحابة من خرجوا عن طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله، بل وبعضهم وكان اسلامه عن الخوف كالطلقاء، ومنهم من أسلم طمعا لحطام الدنيا كالأعراب الذين قال الله تعالى في وصفهم: قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا.. (سورة الحجرات: ١٤) وبعد هذه الآية الكريمة قد ذكر الله اوصاف المؤمنين حقاً في قوله تعالى: إِنَّمَا



الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (سورة الحجرات: ١٥). فالمؤمن الحقيقي هو من لا يخرج عن طاعة الله ورسوله ﷺ أبداً . فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى ما رواه علماء أهل السنة في صحاحهم، وقد أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله عن النبي ﷺ قال: خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته، قال إبراهيم: وكانوا يضربوننا على الشهادة والعهد (انظر صحيح البخاري ج ٣: ص ١٥١ كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد)، ورواه مسلم في صحيحه ج ٧: ص ١٨٥ كتاب الفضائل، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، والترمذي في سننه ج ٣: ص ٣٧٦، والحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين ج ٣: ص ١٩١ غيرهم. وقال النووي في شرح الحديث: أنه وفي رواية خير الناس قرني ثم الذين يلونهم... (إلى آخره) اتفق العلماء على أن "خير القرون" قرنه ﷺ والمراد أصحابه وقد قدمنا أن الصحيح الذي عليه الجمهور أن كل مسلم رأى النبي ﷺ ولو ساعة فهو من أصحابه ورواية خير الناس على عمومها... (انظر شرح صحيح مسلم ج ١٦: ص ٨٥).

أقول: لا يخفى أن مقتضى ما ذكره النووي في شرح هذا الخبر هو أن يكون الناس في ذلك العصر أكمل الناس من جهة الإيمان والورع والتقوى، وحيث أن القرآن والسنة النبوية قد أعطيا الملاك في الأفضلية بالإيمان والتقوى والورع وأمثال هذه الصفات المميّزة. فمثلاً أن القرآن الكريم جعل ملاك الأفضلية التقوى، فقال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (سورة الحجرات: ١٣). هذه الآية صريحة في أن الميزان الواقعي للقيم الإنسانية الذي يميز به الإنسان في مقام التفاضل التقوى، فإن التقوى هي التي تعطي الإنسان الفضل والكرامة، لأن التقوى هي التي تعطي للإنسان الوعي وتفتح له أبواب البصيرة وتجعل الإنسان دائماً متذكراً لما أمره الله به أو نهاه عنه، فيتصبر بذلك على وساوس الشيطان





وهمزاته وتبقى بصيرته على أحسن حالة الصفاء والنقاء. ولذلك جعل الله تبارك وتعالى قبول أعمال العباد بالتقوى فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (سورة المائدة: ٢٧). والتقوى هي الاستقامة على جادة الشريعة المقدسة بامتثال أوامر الله والتجنب عن نواهيه التحريمية، فكل من أتى بما عليه من واجب الشرعي وترك جميع المحرمات الشرعية، فقد صار في زمرة المتقين، غير أن الله تبارك وتعالى أمر أهل التقوى بأن يكونوا مع الصادقين، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (سورة التوبة: ١١٩). ويستفاد من هذه الآية المباركة أن الأمر بالتقوى كمقدمة للأمر بأن يكون مع الصادقين، أي إذا كنتم من المتقين فعليكم أن تكونوا مع الصادقين وتتبعون الصادقين حقاً. وذلك لأن التقوى وحدها لا تكون سبباً للسعادة الأبدية إلا بالاتباع الصادقين. ولا يخفى على الخبير أن الصادقين الذين أمر الله تعالى باتباعهم هم المعصومون، لأن الأمر باتباع الصادقين على نحو الإطلاق يقتضي عصمتهم عن كل خطأ، لأن الصادق على الإطلاق هو من حاز الصفات الخاصة من الصدق في جميع الجهات، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (سورة الحجرات: ١٥)، فإن من جمع فيه جميع هذه الجهات فهو الصادق الذي أمر سبحانه باتباعه. وهذا هو المعيار الذي حدده الإسلام لمعرفة المؤمنين الحق وتمييزهم عن الكاذبين المدعين بالإسلام تظاهراً، وليس هذا المعيار منحصرًا بالمؤمنين في زمان دون زمان آخر. وعليه لا بد أن نرجع إلى هذا المعيار من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ لنعرف الصحابة هل أنهم كانوا من المؤمنين حقاً أم لا؟ وبعبارة أخرى هل أنهم كانوا يمتلكون هذه الصفات التي جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية أم لا؟ وعندما نرجع إلى القرآن الكريم نجد أن القرآن الكريم يتكلم عن الصحابة بحيث لو استثنينا منهم الصحابة المخلصين الشاكرين الذين عددهم قليل، فالبقية الباقية منهم وصفهم الله تعالى بأوصاف ذميمة: كقوله تعالى: أَنَّهُمْ فَاسِقُونَ، أو أَنَّهُمْ خَائِنُونَ، أو أَنَّهُمْ مَتَخَذِلُونَ، أو أَنَّهُمْ نَاكُثُونَ، أو أَنَّهُمْ مَنَقِلِبُونَ عَلَى الْأَعْقَابِ، أو أَنَّهُمْ شَاكُونَ فِي اللَّهِ وفي رسوله ﷺ، أو أَنَّهُمْ



على وجه يناسب معاني هذه السنن وغيرها^(١).



فَارُونَ من الزحف، أو أَنَّهُمْ معاندون للحقّ، أو أَنَّهُمْ عاصون أوامر الله ورسوله ﷺ، أو أَنَّهُمْ مثبّطون غيرهم عن الجهاد، أو أَنَّهُمْ منفضّون إلى اللهو والتجارة، أو أَنَّهُمْ تاركون الصلاة من أجل التجارة، أو أَنَّهُمْ قائلون ما لا يفعلون، أو أَنَّهُمْ ممنّون على رسول الله ﷺ إسلامهم، أو أَنَّهُمْ قاسية قلوبهم فلم تخشع لذكر الله وما نزل من الحقّ، أو أَنَّهُمْ رافعون أصواتهم فوق صوت النبي ﷺ، أو أَنَّهُمْ مؤذون رسول الله ﷺ، أو أَنَّهُمْ سمّاعون للمنافقين وإلى غير ذلك من الأوصاف التي ذكرها القرآن الكريم في توصيفهم. كما إذا رجعنا إلى السّنة النبويّة، أو تاريخ الصحابة نجد أنّ الأمر كما وصفهم الله تعالى، وسندكرها إن شاء الله تعالى في محله.

وفي حديث عن مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «خير الناس من نفع الناس بعلمه وأعماله ومساعيه وأمواله» (انظر غرر الحكم: ح ٢٩٨٩، و ٥٠٠١، و ٩٠٧٨) فقد بيّن الإمام عليه السلام معنى الخيريّة. فقلوله ﷺ: "خير القرون..."، معناه أن يكون الناس في ذلك القرن أكمل الناس من جهات الفضل، لاسيّما من جهة الإيمان والتقوى والورع ولا يخفى على من راجع تاريخ الإسلام بعد وفات رسول الله ﷺ، وأحداث السقيفة أنّ أكثر الصحابة قد خالفوا أوامر الله ورسوله ﷺ في ولاية مولانا الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام وإمامته؛ ومعناه أَنَّهُمْ خرجوا عن معنى الخيريّة التي جعلها الله لهم. وعليه كيف يمكن أن يكون قرن الصحابة "خير القرون"!!! فلا ينطبق عليهم خبر "خير القرون" بالمعنى الذي ذكرنا في الخيريّة كما هو واضح ظاهر، فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أنّه إذا كان المقصود بـ "خير القرون قرني..."، هو أنّ الصحابة كانوا خير الناس على الإطلاق في جميع القرون، فلا يمكن تطبيقه مع الآيات والروايات الواردة في قدح أكثر الصحابة؛ إذ لو أردنا أن نعرف الصحابة من خلال القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ لعرفنا أنّ أكثرهم أحدثوا في الدين وارتدّوا على أعقابهم بعد وفاة رسول الله ﷺ. وقد تقدّمت الإشارة إلى ما ورد في القرآن الكريم من القدح في أكثرهم الذين





ارتدوا على أعقابهم وكانوا أهل الضلال بنص القرآن الكريم. كما أن أكثرهم بنص الأحاديث الصحيحة عند جميع المسلمين كانوا أهل الضلال والنار لدلالة حديث الحوض المتواتر لدى الفريقين الذي أخرجه جميع أهل الصحاح من أهل السنة بما فيه البخاري ومسلم؛ فأخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «إنكم تحشرون حفاة عراة، وأن أناسا من أصحابي يؤخذ بهم ذات اليمين وذات الشمال فأقول: أصحابي أصحابي فيقول: إنهم لم يزلوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾» (انظر صحيح البخاري ج ٤: ص ١١٠ كتاب بدء الخلق، باب قول الله عز وجل: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا...﴾، وج ٤: ص ١٤٢، كتاب بدء الخلق، باب ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا...﴾)، وأخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «ليردن علي الحوض رجال ممن صاحبي حتى إذا رأيتهم ورفعوا إلي اختلجوا دوني، فلاقولن أي رب أصحابي أصحابي، فليقلن لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» (انظر صحيح مسلم ج ٧: ص ٧١ كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ). وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عن المغيرة بن النعمان، قال: سمعت سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس، إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلا»، ثم قال: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (إلى آخر الآية)، ثم قال ﷺ: «ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم، ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾» فيقال: إن هؤلاء لم يزلوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم» (انظر صحيح البخاري ج ٥: ص ١٩٢ كتاب التفسير، باب ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾). وأخرج بسنده عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض، فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا



ورابعها: ما زعمه من كون الشيعة من أجهل الناس...^(١)،



على أدبارهم القهقري» (انظر صحيح البخاري ج ٧: ص ٢٠٨ كتاب الرقاق، باب وفي الحوض قول الله ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾). فهذه الأحاديث وغيرها صريحة جداً وواضحة الدلالة في ارتداد الصحابة، فلا تقبل التأويل حيث قال ﷺ: «أصحابي»، أو قال ﷺ: «أقول: يا رب أصحابي»، فلا إشكال في أن المقصود بهم في الحديث صحابة النبي ﷺ، كما لا إشكال في موضوع في الحديث الارتداد والتبديل والإحداث في الدين، فإن معنى الارتداد كما يستفاد من القرآن الكريم: الرجوع على الأدبارهم، فرجوع الصحابة على أدبارهم القهقري معناه الارتداد، كما أن معنى التبديل بعد النبي ﷺ والإحداث في الدين أيضاً واضح، حيث أن المقصود بهما: هو التحريف في الدين والشريعة المقدسة. ومن الواضح أن من كان حاله هذا لا يمكن أن يكون المقصود بـ"خير القرون" في الحديث النبوي، إذ لو كانت الخيرية بمعنى الفضل كالتقوى وأمثال ذلك، فلا ينطبق على هؤلاء الصحابة حيث أنهم كانوا أهل الضلال والخلود في الجهنم، فكيف يمكن أن يكون المقصود بهم أنهم "خير القرون"!!!؟ وعليه كيف جاز لابن تيمية أن يدعي أن الشيعة قوم بهت.. من أن أهل السنة أهل الضلال والخلود في نار جهنم، فلاحظ.

(١) لا يخفى أن ما زعمه ابن تيمية هنا كذب وافتراء محض. ولتوضيح المقام لا بد أن نرجع إلى كتاب الله العزيز وسنة رسول الله ﷺ لنرى أولاً: ما هو معنى الجاهل بحسب الكتاب والسنة، ثم نرى من هو الأجهل... وبعد ذلك نبحت عن تطبيق ذلك على الأفراد والمصاديق حقيقة.

أما القرآن الكريم ففيه آيات وردت فيها كلمة "الجهل"، منها قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (سورة الفرقان: ٦٣). هذه الآية المباركة تصف بعض صفات المؤمنين الذين يقابلون الجاهلين بكلام متين، فتقول الآية: إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ حِينَما يَرِيدُونَ أَن يَعْرِفُوا اللَّهَ لِلْمُشْرِكِينَ يَعْرِفُونَهُ





بصفاته الرحمانية بأدلة اعتقادية، ولكن المشركين يقابلونهم بالاستهزاء والغرور فيقولون لهم: وما الرحمن؟ وحينما يرى المؤمنون عدم تأثير كلام الحق في المشركين يقابلوهم بأساليب أخلاقية في أعمالهم وأقوالهم وحركاتهم الدالة على مشيتهم المتواضعة، فتقول الآية: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾، فإن السلام هنا ليس سلام التحية بل سلام الوداع، وذلك بمعنى عدم استمرار البحث مع الجهلة الحمقى. نعم، المظهر الآخر من مظاهر عظمتهم الروحية، هو التحمل وسعة الصدر، فإن التواضع مفتاح الإيمان، في قبال الغرور والكبر الذين هما مفتاح الكفر. والمستفاد من الآية الكريمة أن أهل الضلال هم الجاهلون، وأهل الإيمان أهل العلم والمعرفة والحكمة كما يظهر من الآية المباركة. ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ (سورة الزمر: ٦٤)، هذه الآية الكريمة تستهدف أولئك الذين قالوا بوجود شريك لله - والعياذ بالله - وقد بيّنت الآيات السابقة عليها بشأن فروع التوحيد، بحيث يمكن الحصول على نتيجة جيدة، وهي أن التوحيد في العبادة، حقيقة لا يمكن نكرانها، إذ كل إنسان عاقل لا يسمح لنفسه بالسجود للأصنام التي لا فائدة لها، ولا قيمة لها، لأنها عاجزة عن تقديم أدنى مساعدة وعون لعبادتها. ولهذا فإن البحث في الآية ينتهي بلهجة حازمة ومتشددة وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾. فبالنظر إلى أن المشركين والكفرة كانوا أحياناً يدعون رسول الله ﷺ إلى احترام آلهتهم وعبادتها، أو على الأقل عدم الانتقاص منها أو النهي عن عبادتها، فالآية أعلنت وبمنتهى الصراحة أن مسألة توحيد الله وعدم الإشراك بالله سبحانه وتعالى هي مسألة لا تقبل المساومة والاستسلام أبداً، إذ يجب أن تزال كافة أشكال الشرك وتمحى من على وجه الأرض. فالآية تعني أن عبدة الأصنام على العموم هم أناس جهلة، وهذا الموقف ليس بعجيب من أفراد جهلة، إذ من الجهل والغباء أن يترك الإنسان عبادة البارئ عز وجل رغم مشاهدته للكثير من الأدلة في هذا العالم والتي تدل على علمه سبحانه وتعالى وقدرته وتدبيره وحكمته، ثم يتمسك بعبادة موجودات تافهة لا قيمة لها وعاجزة عن تقديم أدنى مساعدة وعون لعبادتها. فهذه الآية المباركة أيضاً تدل على أن أهل الضلال هم الجاهلون. ومنها: قوله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ





غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةُ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ...» (سورة آل عمران: ١٥٤)؛ هذه الآية الكريمة تستعرض طبيعة حال المنافقين وضعاف الإيمان الذين إذا دار الحديث والحوار بينهم وبين أهل الإيمان كانوا يظنون بالله الظن الذي كانوا يظنون أيام الجاهلية وقبل أن تبزغ عليهم شمس الإسلام، وكانوا يتصورون أن وعود النبي ﷺ غير محققة ولا صادقة، فبعضهم كان يقول للآخر: ﴿هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ؟﴾ أي: هل سيصينا النصر ونحن في هذه الحالة من السقوط والهزيمة والمحنة والبلية؟ فكانوا يستبعدون أن ينزل عليهم نصر من الله بعد ما لقوا، أو كانوا يرون ذلك محالاً. وكانوا يظنون بالله غير الحقّ ظنّ الجاهلية، ولكن القرآن يجيبهم قائلاً: قل إنّ الأمر كلّهُ لله...، أي: كيف تستبعدون ذلك أو ترونه محالاً!!! والأمر كلّهُ بيد الله، وهو قادر أن ينزل عليكم النصر متى وجدكم أهلاً لذلك. وكأنّهم كانوا يتصورون أنّ الهزيمة في "غزوة أحد" من العلائم الدالة على بطلان الإسلام، ولذا كانوا يقولون: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا...، أي: لو كنا على حقّ لكسبنا المعركة، ولم نخسر كلّ هذه الأرواح والنفوس. ولكن الله تعالى أجابهم وهو يشير في هذه الإجابة إلى مطلبين، الأول: أنّه لا تتوهموا بأنّ الفرار من ساحة المعركة وتجنّب الصعاب ينقذكم من الموت الذي هو مقدّر لكل إنسان، ولهذا يقول سبحانه ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾، فإن الذين جاء أجلهم وحين موتهم لا بدّ أن يموتوا ولا محالة هم مقتولون حتّى لو كانوا في مضاجعهم. فالأجدر بها أن تموت في ساحات المعارك، وتحت ضربات السيوف، وهي تسطر ملاحم البطولة، وتخطّ أسطر البسالة، لا أن تموت خائفة، أو تقتل ذليلة على فراشها، وما أروع ما قاله الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): «لألف ضربة بالسيف أحبّ إليّ من ميتة على فراش» (انظر الكافي ج ٥: ص ٥٣). والثاني: أنّ هذه الحوادث لا بدّ أن تقع حتّى يبدي كلّ واحد مكنون صدره، ومكتوم قلبه، فتتشخص الصفوف، وتتميز جواهر الرجال. هذا مضافاً إلى أنّ هذه الحوادث سبب لتربية الأشخاص شيئاً فشيئاً، ولتخليص نياتهم، وتقوية إيمانهم، وتطهير قلوبهم، قال الله تعالى: وَلَيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلَيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (سورة آل عمران: ٢٠١)





(١٥٤). فهذه الآية أيضاً تدلّ على أنّ أهل الضلال هم الجاهلون. ومنها: قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (سورة المائدة: ٥٠)، قد ذكر بعض المفسرين في سبب نزول هذه الآية عن ابن عباس قوله: إنّ رهطاً من وجهاء اليهود تأمروا واتفقوا على الذهاب إلى النبي الأكرم ﷺ، فذهبوا إليه ﷺ وذكروا أنّهم قوم من مفكري وعلماء اليهود، وأنّهم إن اتبعوه ﷺ اقتدى بهم بالتأكيد بقية اليهود، وزعموا أنّ بينهم وبين جماعة أخرى نزاع (في قضية قتل أو أمر آخر) وطلبوا من النبي ﷺ أن يحكم في النزاع المزعوم لمصلحتهم، ووعدوه أنّه إن استجاب لأمرهم يؤمنوا به، فامتنع النبي ﷺ عن إصدار حكم غير عادل، فنزلت الآية المذكورة. وفي الآية تساءل بصيغة استفهام استنكاري، أي: هل أنّ هؤلاء الذين يدعون أنّهم أتباع الكتب السماوية يتوقعون أن تحكم بينهم بأحكام الجاهلية؟ الخطاب في الآية إلى النبي ﷺ حيث تقول الآية: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ؟﴾ فإنّ أهل الإيمان لا يرون أيّ حكم أرفع وأفضل من حكم الله، ثم تقول الآية: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾. وذلك لأنّ في أوساط اليهود كانت نوعاً من التمايز الغريب حتّى في القضاء والحكم، فكانت بعض القبائل منهم تسودهم بحيث لو أنّ فرداً من يهود بني قريظة قتل فرداً من يهود بني النضير لتعرض للقصاص، بينما لو حصل العكس لم يكن ليطبق حكم القصاص في القاتل، وقد شمل هذا التمايز المقيت - أيضاً - حكم الغرامة والدية عند هؤلاء، فكانوا يأخذون ضعف الدية من جماعة، ولا يأخذونها من جماعة أخرى، أو يأخذون أقلّ من الحدّ المقرّر، ولذلك استنكر القرآن هذا النوع من التمايز واعتبره من أحكام الجاهلية، في حين أنّ الأحكام الإلهية تشمل البشر أجمعين وتطبق دون أيّ تمايز. وجاء في كتاب "الكافي" عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «الحكم حكمان، حكم الله وحكم الجاهلية، فمن أخطأ حكم الله حكم بحكم الجاهلية» (الكافي ج ٧: ص ٤٠٧). وهكذا يتضح أنّ أيّ مسلم يتبع الأحكام الوضعيّة ولا يلتزم بالأحكام والقوانين الإلهية السماوية إنّما يسير في الحقيقة في طريق الجاهلية. إذن هذه الآية الكريمة أيضاً تدلّ على أنّ أهل الضلال هم الجاهلون. ومنها قوله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا





عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿سورة الأعراف: ١٣٨﴾؛ هذه الآية المباركة تبين حقيقة الجهلة الغافلون إلى درجة حيث قالوا لموسى ﷺ من دون إبطاء: يا موسى اتَّخِذْ لَنَا مَعْبُودًا وَإِلَهًا عَلَى غَرَارِ مَعْبُودَاتِ أَهْلِ الشَّرْكِ، ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾. فانزعج موسى ﷺ من هذا الطلب الأحمق بشدة، وقال لهم: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾. ويعرف من هذه الآية الكريمة أنَّ الجهل منشأ الوثنية ويستفاد أيضاً من الآية الكريمة أنَّ جهل الإنسان قد يتسبب أحيانا في أن ينسب الحوادث إلى سلسلة من العلل الخرافية والخيالية، ومنها الأصنام. ومن جانب ثالث جهل الإنسان بما وراء الطبيعة، وقصور فكره قد تصل إلى درجة بحيث أنه لا يرى ولا يؤمن إلا بالقضايا الحسية. فهذه الجهالات تضافرت وتعاضدت وصارت على مدار التاريخ منشأ للوثنية وعبادة الأصنام، وإلا فكيف يمكن أن يأخذ إنسان واع فاهم عارف بالله وصفاته، عارف بعلم الحوادث، وعارف بعالم الطبيعة وعالم بما بعد الطبيعة عبادة قطعة من الصخر المنفصلة من الجبل مثلاً، الذي قد يستعمل قسماً منها في بناء بيته، أو صنع سلالم منزله، ويتخذ قسماً آخر معبوداً يسجد أمامه، ويسلم مقدراته بيده. والجدير بالذكر أننا نقرأ في كلام موسى ﷺ في الآية الحاضرة كيف يقول لهم: أنتم غارقون في الجهل دائماً: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، لأنَّ "تجهلون" فعل مضارع وهو يدلّ غالباً على الاستمرارية. وبخاصة أنَّ متعلّق الجهل لم يبين في الآية، وهذا يدلّ على عموميّة المجهول وشموليّته. والأغرب من كلّ ذلك أنَّ بني إسرائيل يقولهم اجعل لنا إلهاً... أظهروا أنَّ من الممكن أن يصير الشيء الثافه ثميناً عندهم - بمجرّد اختيارهم وجعلهم ووضع اسم الصنم والمعبود عليه - وتوجب عبادته التقرب إلى الله، وعدم عبادته البعد عنه تعالى، وتكون عبادته منشأ للخير والبركة، واحتقاره منشأ للضرر والخسارة، وهذه هي نهاية الجهل والغفلة. هل الدافع لذلك العمل شيء سوى الجهل والخرافة، والخيال الواهي والتصور الخاوي!!!

فيستفاد من الآية أنَّ أرضيّة الوثنية عند بني إسرائيل كانت بسبب مشاهدتهم فريق من الوثنيين المصريين، فحصلت لهم هذه الأرضيّة من جهة معاشرتهم الدائمة مع الوثنيين. ولكن





مشاهدة هذا المشهد كان بمثابة كشف دفائن جبلتهم الناشئة من جهلهم. وعلى كل حال فإن هذه القضية تكشف لنا مدى تأثير الجهل في إيجاد أرضية الانحراف والضلال. وهناك آيات كثيرة تدل على المقام كما أن الروايات الواردة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام تدل هذا المعنى. وإليك نماذج مختلفة من الروايات التي جاء فيها: أن الجهل ممهد للضلال، فنذكر هنا عدة نماذج، منها ما ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في رسالة الى مالك الأشتر قال عليه السلام: «لا يجتريء على الله الا جاهل شقي» (نهج البلاغة: الرسالة رقم ٥٣). وقال عليه السلام: «الجهل معدن البشر» (ميزان الحكمة ج ١: ص ٤٦٢). وقال عليه السلام: «الجهل اصل كل شر» (ميزان الحكمة ج ١: ص ٤٦٢). وقال عليه السلام: «الجهل يفسد المعاد» (ميزان الحكمة ج ١: ص ٤٦٢). وقال عليه السلام: «الجهل فساد كل أمر» (ميزان الحكمة ج ١: ص ٤٦٢). وقال عليه السلام: «قصم ظهري رجلان، عالم متهتك وجاهل متنسك» (نهج البلاغة: كلمات القصار رقم ١٢٧). وقال عليه السلام: «إياكم والجهل من المستبدلين والفجار من العلماء، فإنهم فتنة كل مفتون» (نهج البلاغة: كلمات القصار رقم ١٢٨). وقال عليه السلام: «لا ترى الجاهل إلا مفرطاً أو مفرطاً» (نهج البلاغة: كلمات القصار رقم ٧٠). وعن الامام الصادق عليه السلام مخاطباً سماعة بن مهران: «إن الله خلق العقل وهو أول خلق من الروحانيين عن يمين العرش من نوره فقال له: أدبر، فأدبر، ثم قال له: أقبل، فأقبل؛ فقال الله سبحانه وتعالى: خلقتك خلقاً عظيماً وكرمتك على جميع خلقي»، قال: «ثم خلق الجهل من البحر الأجاج ظلمانياً، فقال له: أدبر فأدبر؛ ثم قال له: أقبل فلم يقبل. فقال له: استكبرت فلعنه، ثم جعل للعقل خمسة وسبعين جنداً، فلما رأى الجهل ما أكرم الله به العقل وما أعطاه، أضمر له العداوة، فقال الجهل: يا رب هذا خلق مثلي خلقتة وكرّمته وقوّيته وأنا ضده ولا قوّة لي به، فأعطني من الجند ما أعطيته، فقال: نعم فإن عصيت بعد ذلك أخرجتك وجندك من رحمتي، قال: قد رضيت، فأعطاه خمسة وسبعين جنداً...» (الكافي ج ١: ص ٢١). وفي حديث عن مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «لم يوجس موسى عليه السلام خيفة على نفسه، بل أشفق من غلبة الجهل ودول الضلال» (نهج البلاغة: الخطبة رقم ٤). ويتبين لنا من هذا الحديث بصورة واضحة كيف أن الجهل يهيئ





الأرضية الضلالة وارتكاب الذنوب الكبيرة كمحاربة الأنبياء ﷺ بصورة علنية ومساندة ودعم الطغاة. ولذلك قال الامام الصادق عليه السلام: «إن بني أمية أطلقوا للناس تعليم الإيمان ولم يطلقوا تعليم الشرك لكي إذا حملوهم عليه لم يعرفوه» (انظر الكافي ج ٢: ص ٤١٥). فينبى لنا هذا الحديث الشريف أن بني أمية قد منعوا ولم يطلقوا تعليم الشرك وأنواعه، لأنه إذا عرف الناس المعنى الحقيقي للشرك وأنواعه أدركوا أن بني أمية قد غرقوا في الشرك وعندها يعرضون عن بني أمية ويتجهون نحو أئمة أهل البيت عليهم السلام البعيدين كل البعد عن الشرك، نعم إن معرفة الناس للقوانين الإسلامية الموقظة كانت تجعل الطواغيت قلقين دائماً، فلذا حرصوا على بقاء الجهل في الناس حتى يبرروا أفعالهم من جهة ويهيئوا الأرضية لانحراف الناس من جهة أخرى. ومن هنا يعرف أن أجهل الناس أشدهم ضلالاً وأشد الناس ضلالاً أعداهم للحق وأكثرهم إغراضاً عن الحق ورغبتهم عنه وعدم إنصافهم مع المؤمنين، فلو هدوا لرشدهم الى القرآن الكريم والسنة العترة الطاهرة ﷺ لاتبعوا الحق.

فتعالوا معنا لتطبيق الآيات الروايات لمعرفة من هو أجهل الناس. فإن الشيعة تفتخر بالتمسك بالثقلين أعني: كتاب الله وسنة عترة رسول الله ﷺ، وهو مضمون حديث الثقلين الذي رواه الفريقين بأسناد صحيحة عن النبي ﷺ، بل وأنه من أهم الأحاديث النبوية باعتبار أنه يحتوي على أهم وصية النبي ﷺ من وصاياه وذلك باعتبار أن نجات أمة كانت متوقفة على العمل بهذا الحديث، وأن ضلالة أمة وهلاكهم إنما تكون بسبب عدم التمسك بالثقلين أو الإغراض عنهما أو الإغراض عن واحد منهما. وهذا المعنى يعرف من سيرة كل أحد في التعامل مع الكتاب وسنة المعصومين عليهم السلام، وحيث أن ابن تيمية كانت سيرته معروفة عند الكل بالتمايل إلى بني أمية ونصب العداء لأهل البيت عليهم السلام باعتراف علماء أهل السنة، فابتعاده عن حديث الثقلين أوضح من أن يخفى على أحد. وهذا معناه الضلالة الذي أكد عليه رسول الله ﷺ في حديث الثقلين. وحيث أن جهله وضلالته أوضح عند علماء أهل السنة أشد من الآخرين فمعناه أنه كان أجهل الناس بسبب اتباعه عن أهل النصب كبنى أمية وأضرابهم، فقد جعله من المحسوبين على خطهم. ونحن





نذكر هنا بعض كلمات علماء أهل السنة في حقّه ليعرف الباحث مدى جهل ابن تيمية أو يعرف أجهليته في الناس، لأنه أشدّ ضلالاً من الآخرين حتّى من أهل السنة. وإليك اعترافات علماء أهل السنة، فمنها: ما ذكره ابن حجر العسقلاني في كتابه الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، قال: وقال ابن تيمية في حقّ عليّ: أخطأ في سبعة عشر شيئاً، ثمّ خالف فيها نصّ الكتاب... ثمّ يقول - أي: الحافظ ابن حجر -: وافترق الناس فيه - أي: في ابن تيمية - شيعاً، فمنهم من نسبة إلى التجسيم؛ لما ذكر في العقيدة الحموية والواسطية وغيرهما من ذلك، كقوله: إنّ اليد والقدم والساق والوجه صفات حقيقة لله، وأنّه مستو على العرش بذاته... (إلى أن يقول:): ومنهم من ينسبه إلى الزندقة، لقوله: النبيّ ﷺ لا يستغاث به، وأنّ في ذلك تنقيصاً ومنعاً من تعظيم النبيّ ﷺ... (إلى أن يقول:): ومنهم من ينسبه إلى النفاق، لقوله في عليّ ما تقدّم - أي: قضية أنّه أخطأ في سبعة عشر شيئاً - ولقوله: إنّ - أي عليّ - كان مخذولاً حيث ما توجه، وإنّه حاول الخلافة مراراً فلم ينلها، وإنّما قاتل للرياسة لا للديانة، ولقوله: إنّ كان يحبّ الرياسة... ولقوله: أبو بكر أسلم شيخاً يدري ما يقول، وعليّ أسلم صبيّاً، والصبي لا يصحّ إسلامه على قول، وبكلامه في قصّة خطبة بنت أبي جهل... فإنّه شنع في ذلك، فألزموه بالنفاق، لقوله ﷺ: «ولا يبغضك إلّا منافق...» (انظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ج ١: ص ٩٢). وقال ابن حجر الهيثمي المكي في كتابه "الفتاوى الحديثية": ابن تيمية؛ عبد خذله الله، وأضله وأعماه، وأصمّه وأذله، وبذلك صرّح الأئمة الذين بيّنوا فساد أحواله، وكذب أقواله، ومن أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد المتفق على إمامته وجلالته وبلوغه مرتبة الاجتهاد، أبي الحسن السبكي، وولده التاج، والشيخ الإمام العزّ بن جماعة، وأهل عصرهم وغيرهم من الشافعية والمالكية والحنفية، ولم يقصر اعتراضه على متأخري الصوفية، بل اعترض على مثل عمر بن الخطّاب وعليّ بن أبي طالب... (انظر الفتاوى الحديثية: ص ٨٣). وعن الشيخ محمّد ناصر الدين الألباني في كتابه "سلسلة الأحاديث الصحيحة"؛ إذ صرّح بعد تصحيحه لحديث: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهمّ وال من ولاه وعاد من عاداه»: إذا عرفت هذا، فقد كان الدافع لتحرير الكلام على الحديث



فإنك قد علمت بهتانه في هذه الدعوى^(١).



وبيان صحته، أنني رأيت شيخ الإسلام ابن تيمية، قد ضعف الشطر الأول من الحديث، وأما الشطر الآخر، فزعم أنه كذب! وهذا من مبالغاته الناتجة في تقديري من تسرعه في تضعيف الأحاديث قبل أن يجمع طرقها ويدقق النظر فيها (انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ٤: ص ٣٤٤ ح ١٧٥٠). وإلى غير ذلك من أقوالهم التي سنذكرها في محله إن شاء الله تعالى. وعليه فإن النصوص الكثيرة من القرآن الكريم وروايات المعصومين عليه السلام تدل بوضوح على أن أجهل الناس وأشدّهم ضلالاً، وأكثرهم إغراضاً عن الحق ورغبتهم عن الحق هم أهل السنة وأن أبرز مصاديقة وأوضحها ابن تيمية وأتباعه، فلاحظ.

(١) لا يخفى على الخبير أن ما نسبته ابن تيمية إلى الشيعة من أنهم أجهل الناس كذب محض، لأن الشيعة بسبب متابعتهم لأئمة أهل البيت عليهم السلام أعلم الناس في جميع الأعصار، حيث أن أئمة أهل البيت عليهم السلام بنص النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أعلم الناس، وأعرفهم بجميع المعارف الدينية، حيث قد روى كبار علماء أهل السنة هذه الحقيقة في كتبهم، منهم: القندوزي الحنفي في كتابه ينابيع المودة روى عن ابن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «لما صرت بين يدي ربي كلّمني وناجاني فما علمت شيئاً إلا علمته علياً فهو باب مدينة علمي» (ينابيع المودة ج ١: ص ٢١٤). ومنهم: ابن عساكر في كتابه تاريخ مدينة دمشق بسنده عن ابن مسعود قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله فسئل عن علم علي فقال: «قسمت الحكمة عشرة أجزاء فأعطي علي تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٣٨٤)، ورواه محمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤل: ص ١٢٧، وابن المغازلي في المناقب: ص ٢٢٨، والمتقي الهندي في كنز العمال ج ١١: ص ٦١٥، والشوكاني في فيض القدير ج ٣: ص ٦٠، والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج ١: ص ١٣٥، والقندوزي الحنفي ج ١: ص ٢١٥ وغيرهم. ومنهم: الخوارزمي في كتابه المناقب بسنده عن سلمان الفارسي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «أعلم أمتي من بعدي علي بن أبي طالب عليه السلام» (المناقب للخوارزمي: ص ٨٢). ومنهم: الحاكم النيسابوري في المستدرک





بسند عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب» (انظر المستدرک على الصحيحين ج ٣: ص ١٢٦)، ورواه الطبراني في المعجم الكبير ج ١١: ص ٥٥، وابن عبد البر في الاستيعاب ج ٣: ص ١١٠٢، والهيتمي في مجمع الزوائد ج ٩: ص ١١٤ وغيرهم. ومنهم: ابن عبد البر في الاستيعاب عن مسلم بن عبيد عن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: «علي أقضى أمتي» (الاستيعاب لابن عبد البر ج ١: ص ١٧). وأخرج البخاري في صحيحه بسند عن ابن عباس قال: قال عمر: ... أقضانا علي (صحيح البخاري ج ٥: ص ١٤٩ كتاب التفسير، باب قوله ما نسخ من آية أو نساها). ومنهم: أحمد بن بن حنبل بسند عن ابن عباس قال: قال عمر: علي أقضانا (مسند أحمد بن حنبل ج ٥: ص ١١٣). ومنهم: الكنجي الشافعي في كتابه كفاية الطالب بسند عن أم سلمة عن رسول الله ﷺ قال: «علي وعاء علمي، ووصي، وبابي الذي أوتى منه» (كفاية الطالب: ص ٧٠). ومنهم: القندوزي الحنفي في ينابيع المودة بسند عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «علي باب علمي ومبين لأمتي ما أرسلت به من بعدي، حبه إيمان، وبغضه نفاق، والنظر إليه رافة، ومودته عبادة» (ينابيع المودة ج ٢: ص ٢٤٠). ومنهم: الترمذي في سننه عن مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا دار الحكمة وعلي بابها» (سنن الترمذي ج ٥: ص ٣٠١). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام، ولذلك كان جميع الصحابة يقرّون للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالأعلمية، ويرجعون إليه عندما تشكل عليهم أمور الدين، ويقبلون حكمه من دون توقّف، لمعرفةهم بأنّه باب مدينة علم النبي ﷺ، ووارث حكمته، وقد قال فيه أبو الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب: ما كنت أحسب أنّ الأمر منصرف عن هاشم ثمّ منها عن أبي حسن، أليس أول من صلّى لقبلكم وأعلم الناس بالقرآن والسنن؟! (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٦: ص ٢١) وإلى غير ذلك من الروايات الدالة على أعلمية أئمة أهل البيت عليه السلام. وعليه فإنّ الشيعة فإنّ أعلمية أئمة أهل البيت عليه السلام قد ثبتت بالدليل القطعي، وهذا معناه أنّ الشيعة أعلم من غيرهم بسبب متابعتهم لأئمة أهل البيت عليه السلام، لأنّ التابع للأعلم فهو أعلم من غيره، فما زعمه ابن تيمية هنا باطل بالدليل



وحسبهم علماً ومعرفةً ودينًا وصدقاً وورعاً متابعتهم للشريعة^(١)



القطعي، فلاحظ.

(١) لا يخفى أن القرآن والسنة النبوية قد أعطانا الملاك في الإيمان والتقوى والورع وأمثال هذه الصفات المميزة للمؤمنين حقاً. فمثلاً أن القرآن الكريم صرح بأن الإيمان الحقيقي خير للناس بجميع معاني الكلمة كما قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ (سورة النساء: ١٧٠)، فإن إطلاق كلمة الخير في الآية الكريمة تدل على جميع الصفات الممدوحة للمؤمنين كالإيمان والتقوى والورع و... وكذلك قوله تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا...﴾ (سورة التغابن: ٨). فإن الإيمان الحقيقي يتبلور في القلب عندما يتعهد الإنسان بالالتزام والعمل بلوازم إيمانه. أما إذا علمنا بشيء ولم نعزم على الالتزام بلوازمه، فهذا يكون لدينا علم فقط، ولا يتحقق الإيمان والصفات المميزة له. ويكفي لبيان حقيقة الإيمان ما ذكره رسول الله ﷺ في قوله: «الإيمان معرفة بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالأركان» (انظر بحار الأنوار ج ٦: ص ٦٨، سنن ابن ماجه ج ١: ص ٢٦). وعن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «قال لي رسول الله ﷺ: "يا علي، اكتب"، فقلت: ما أكتب؟ فقال: "اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، الإيمان ما وقّر في القلوب، وصدقته الأعمال"» (مستدرک الوسائل ج ٥: ص ١١١). ثم إن ملاك الأفضلية في جميع الصفات المميزة للمؤمن الحقيقي هو التقوى كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (سورة الحجرات: ١٣). هذه الآية صريحة في أن الميزان الواقعي للقيم الإنسانية الذي يميز به الإنسان المؤمن في مقام التفاضل هو التقوى، والتقوى هي التي تعطي الإنسان الوعي وتفتح له أبواب البصيرة، فينتصر بذلك على وساوس الشيطان وهمزاته وتبقى بصيرته على أحسن حالة الصفاء والنقاء. ولذلك جعل الله تبارك وتعالى قبول أعمال العباد بالتقوى فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (سورة المائدة: ٢٧). والتقوى هي الاستقامة على جادة الشريعة المقدسة بامتثال أوامر الله ورسوله ﷺ والتجنب عن نواهيها. فالإنسان المؤمن بسبب





متابعته للشريعة المقدسة يكون أهل التقوى. غير أن الله تبارك وتعالى أمر أهل التقوى بأن يكونوا مع الصادقين، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (سورة التوبة: ١١٩). ويستفاد من الآية المباركة أن الأمر بالتقوى كمقدمة للأمر بأن يكون مع الصادقين، أي إذا كنتم من المتقين فعليكم أن تكونوا مع الصادقين وتتبعون الصادقين حقاً. وذلك لأن التقوى وحدها لا تكون سبباً للسعادة الأبدية إلا بالاتباع الصادقين على نحو الإطلاق. ولا يخفى على الخبير أن مقتضى المعية على الإطلاق لزوم اتباع الصادقين في جميع الجهات على الإطلاق، ومن الواضح أن لزوم التبعية على نحو الإطلاق معناه عصمة الصادقين الذين أمر الله سبحانه وتعالى باتباعهم على نحو الإطلاق. وهناك روايات كثيرة وردت عن الفريقين وهي تدل على أن المقصود بالصادقين هم أئمة أهل البيت عليهم السلام؛ منها: ما رواه السيوطي في "الدر المنثور" بسنده عن ابن عباس في تفسير الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ...﴾، أنه قال: «مع علي بن أبي طالب عليه السلام» (انظر الدر المنثور ج ٣: ص ٢٩٠)، ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٣٦١، والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج ١: ص ٢٥٩، والخوارزمي في المناقب: ١٨٩ وغيرهم. ومنها: ما رواه القندوزي الحنفي في "ينابيع المودة" عن سلمان الفارسي قال: لما نزلت آية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، قال سلمان: يا رسول الله هذه عامة أم خاصة؟ قال النبي ﷺ: «أما المأمورون فعامة الناس، وأما الصادقون فخاصة، أخي علي وأوصياؤه من بعده إلى يوم القيامة» (ينابيع المودة ج ١: ص ٣٤٨). ومنها: ما رواه الحاكم الحسكاني في "شواهد التنزيل" عن عبد الله بن عمر في ذيل عبارة «وكونوا مع الصادقين» قوله: "يعني محمداً وأهل بيته عليهم السلام" (انظر شواهد التنزيل ج ١: ص ٢٦٢). ومنها ما رواه الحموي الجويني في "فرائد السمطين" والشيخ أبو الحسن الكازروني في "شرف النبي" عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام في ذيل هذه الآية قوله: «مع آل محمد، أو مع محمد وآله، أو مع محمد وعلي» (انظر إحقاق الحق، ج ١٤، ص ٢٧٤ و ٢٧٥، والغدير ج ٢: ص ٢٧٧؛ وإحقاق الحق ج ٣: ص ٢٩٦ وما بعدها، وج ١٤: ص ٢٧٠ - ٢٧٧). وهذا الأمر يحظى بالأهمية أيضاً،



ومناظرتهم لخصمهم بما هو حجة عليه ملزم به حسبما جرينا على ذلك^(١)،



حيث يأمر الله تعالى المؤمنين أن يكونوا دوماً مع الصادقين، فهو حكم مطلق بلا قيد ولا شرط، وهذا المعنى لا يتحقق أبداً إلا بشأن المعصومين عليهم السلام، لأن غير المعصوم ربما يخطيء، وفي هذه الحالة لا يكون من الصادقين، وعليه فالمراد من الصادقين على الإطلاق هم الذين لا سبيل للكذب إليهم - لا عمداً ولا سهواً - والعجيب من بعض مفسري أهل السنة المعروفين كالألوسي في تفسيره روح المعاني، فإنه بعد ذكره لبعض الأخبار التي تفسر الصادقين بالإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، يضيف: بأن الشيعة قد استدلووا بالآية الكريمة على أحقية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالخلافة والامامة، ثم ينكر ذلك تعصباً ويمرّ منها بدون أن يأتي بدليل واحد على مزاعمه. وإن مثل هذه المواقف تدلّ على أنّ حجاب التعصب قد حال بينه وبين أن يتفكر، فإنّ التعصب الجاهلية قد سلب منه حرية التفكير. وفي المقابل يبرّر اناس متحرّرو التفكير كالدكتور محمّد التيجاني الذي شخص طريقه في ظلّ هذه الآية، وأظهر إيمانه بالإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وسائر أئمة أهل البيت عليهم السلام بشجاعة فائقة، وألف كتاباً ظريفاً ولطيفاً للغاية في هذا المجال وسماه "أكون مع الصادقين"، وقد ترك هذا الكتاب أثراً عجبياً في نفوس الكثير من المسلمين، وعليه فإنّ الشيعة من جهة التزامهم بالقرآن الكريم وسنة المعصومين عليهم السلام أعلم الناس من جهة المعرفة الدينية وأصدق الناس من جهة متابعتهم للقرآن وسنة المعصومين عليهم السلام، وأورع الناس من جهة متابعتهم للشريعة المقدسة، فلاحظ

(١) لا يخفى أنّ من تأمل في آيات القرآن الكريم وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام يرى بوضوح مدى أهميّة المناظرة والمحاجة في تثبيت الحقائق الفكرية والعقائدية بالأدلة العلمية المرتكزة على أسس شرعية راسخة في الدين الإسلامي - كما هو أمر ثابت في جميع الأديان السماوية الماضية - فاحتلّت المجادلة بالتالي هي أحسن جانباً حيويّاً ووسيلة مؤثرة في إبطال ودفع الشبهات التي قد يثيرها أرباب الأفكار





المنحرفة والضالة، كما لها الاثر الكبير في إقناع جمهور الناس ومفكرهم بحقانية الشريعة المحمدية ووجوب الانقياد لها. وهكذا فإن بعض الآيات المباركة تبين هذه الحقائق المهمة بصورة واضحة، كما أن سيرة رسول الله ﷺ وسيرة أئمة الأطهار عليهم السلام أيضاً تبين هذه الحقيقة بصورة جلية. والتي تدل بوضوح أن المناظرة والمحااجة ليست أمراً دخيلاً على مجمل العقائد الإسلامية المختلفة، بل تعد من صلب أسس الدين الإسلامي الحنيف، حيث إن كتاب الله تعالى تناولها في أكثر من موضع مبيناً أبعادها، وأشكالها المتعددة عن هذا الطريق كما قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (سورة النحل: ١٥٢)؛ وفي هذه الآية الكريمة إشارة واضحة الى نوع المجادلة التي يأمر بها الله تعالى عباده المؤمنين من خلال رسوله الكريم ﷺ، وهي المجادلة بالتي هي أحسن. وقد ورد في التفسير الإمام العسكري عليه السلام - بعد كلام مبسوط بشأن المناظرة وعدم النهي عنها مطلقاً، بل النهي عن الجدل بغير التي هي أحسن - : «وأما الجدل بغير التي هي أحسن فإن تجحد حقاً لا يمكنك أن تفرق بينه وبين باطل من تجادله، وإنما تدفعه عن باطله بأن تجحد الحق، فهذا هو المحرم لأنك مثله، جحد هو حقاً، وجحدت أنت حقاً آخر» (انظر التفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٥٢٩). وتؤكد الآيات الشريفة على المنع من الجدل بعد تبين الحق للعناد والاستعلاء، والآيات الناهية عن هذا النوع من الجدل كثيرة، نذكر منها: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجِبْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلَمْ تُحَاجُّوْا فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة آل عمران: ٦٦). ومنها: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ...﴾ (سورة الأنفال: ٦). ومنها: ﴿وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ (سورة الكهف: ٥٦). ومنها: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ (سورة الحج: ٣)، وإلى غير ذلك من الآيات. وأما الآيات الكريمة التي تطلب من الكفار البرهان والدليل فهي كالتالي: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (سورة البقرة: ١١١)، ولكن ينهي عن المجادلة مع الظالمين وللغلبة على الخصم لا لإحقاق الحق، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ (سورة العنكبوت: ٤٦)،





وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (سورة الحج: ٦٨)، بل ذم القرآن الكريم الاستعلاء والخصومة، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (سورة الكهف: ٥٤). والى غير ذلك من الآيات الواردة في هذا المجال. وقال الشيخ المفيد رحمته الله في كتاب تصحيح الاعتقاد: الجدل على ضربين: أحدهما بالحق، والآخر بالباطل، فالحق منه مأمور به ومرغَّب فيه، والباطل منه منهي عنه ومزجور من استعماله ثم أورد جملة من الآيات الكريمة: منها قوله تعالى لنبّيه: ﴿وَجَادِلْهُمْ بَالْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (سورة النحل: ١٢٥)، قال: فأمر بجدال المخالفين وهو الاحتجاج معهم اذ كان جدال على النحو الأحسن. ومنها قوله تعالى لكافة المسلمين: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ (سورة العنكبوت: ٤٦)، فأطلق لهم جدال أهل الكتاب بالحسن ونهاهم عن جدالهم بالقبيح. ومنها حكايته لقول أصحاب نوح عليه السلام بالإشارة إلى مجادلته عليه السلام لهم، حيث قال تعالى سبحانه: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ (سورة هود: ٣٢)، فلو كان الجدال كله باطلاً لما أمر الله تعالى نبّيه به، ولا استعمله الأنبياء عليهم السلام من قبله، ولا إذن للمسلمين فيه. كما أنّ القرآن الكريم - أورد عند ذكره للأنبياء والرسل السابقين عليهم السلام - أشكالاً مختلفة من المحاجات والمناظرات التي دارت بين أولئك الأنبياء عليهم السلام وبين أممهم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ (سورة البقرة: ٢٥٨)، وقال عز اسمه: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ﴾ (سورة الأنعام: ٨٣)، وقال سبحانه آمراً نبّيه عليه السلام بمحاجة مخالفيه: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ (سورة الأنعام: ١٤٨)، وقال تعالى بعد قوله: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلٰلًا لِّبَنِي إِسْرَٰئِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰئِيلُ... فَآتَوْا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلَوْهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (سورة آل عمران: ٩٣)، وقال لنبّيه الكريم محمد عليه السلام: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا...﴾ (سورة آل عمران: ٦١)، إذا عرفنا ذلك فلننظر إلى روايات العترة الطاهرة عليهم السلام لنرى ما موقفنا من مسألة المناظرة. وقبل ذلك ينبغي الإشارة الى الفرق بين الكتاب والسنة في هذه المسألة، وهو أنّ الآيات





الشريعة تنظر غالباً إلى مناظرة النبي ﷺ مع الكفار في التوحيد والنبوة، بخلاف الروايات فإنها ناظرة إلى المناظرة مع المخالفين في مسألة الإمامة في الأكثر، وإن تضمن أحياناً أبحاثاً حول صفات الله وسائر البحوث الكلامية. وعلى أية حال فنحن في مواجهة الروايات التي تأمر المسلمين بالذب عن دين الله باللسان، وعلى جهود المدافعين عن حريم الولاية بنحو عام أو مع ذكر أسمائهم، نذكر بعض الروايات الواردة في المقام كنموذج، منها: ما رواه الشيخ المفيد ﷺ في أماليه بسنده عن الإمام جعفر بن محمد الصادق ﷺ عن أبيه الإمام الباقر ﷺ قال: «من أعاننا بلسانه على عدونا أنطقه الله بحجته يوم موقفه بين يديه عز وجل» (انظر الأمالي للشيخ المفيد ﷺ: ص ٣٣). ومنها ما رواه الكشي عن أبي جعفر الأحول - المعروف باسم مؤمن الطاق - عن أبي عبد الله الصادق ﷺ قال: «ما فعل ابن الطيار؟» فقلت: توفي، فقال ﷺ: «رحمه الله، أدخل الله عليه الرحمة والنصرة، فإنه كان يخاصم عنا أهل البيت» (انظر اختيار معرفة الرجال ج ٢: ص ٦٣٨). وهناك رواية أخرى تشابهها عن هشام بن الحكم عن الإمام الصادق ﷺ أوردها المفيد ﷺ في تصحيح الاعتقاد (انظر تصحيح الاعتقاد: ص ٢٧). ومن جانب آخر كان للنبي ﷺ والأئمة المعصومين ﷺ مناظرات كثيرة مع مخالفهم جمعها الشيخ الطبرسي ﷺ في كتابه القيم "الاحتجاج"، وقد ناظر أصحاب الأئمة بحضرتهم، بل يأمرهم، فقد كان أبو عبد الله الصادق ﷺ يقول لعبد الرحمن بن الحجاج: «يا عبد الرحمن كَلِّمْ أَهْلَ الْمَدِينَةِ، فَإِنِّي أَحَبُّ أَنْ يُرَى فِي رِجَالِ الشَّيْعَةِ مِثْلُكَ» (انظر اختيار معرفة الرجال ج ٢: ص ٧٤١). وكان الإمام أبو الحسن الكاظم ﷺ يأمر محمد بن حكيم أن يجالس أهل المدينة في مسجد رسول الله ﷺ وأن يكلمهم ويخاصمهم، حتى كَلَّمَهُمْ فِي صَاحِبِ الْقَبْرِ، فَكَانَ إِذَا انصَرَفَ إِلَيْهِ، قَالَ لَهُ: «مَا قُلْتَ لَهُمْ؟ وَمَا قَالُوا لَكَ؟» ويرضى بذلك منه (انظر اختيار معرفة الرجال ج ٢: ص ٧٤٦). وروى الكليني ﷺ في الكافي بسنده عن يونس بن يعقوب قال: كان عند أبي عبد الله الصادق ﷺ جماعة من أجلة أصحابه في الكلام، منهم: حمران بن أعين، ومحمد بن النعمان، وهشام بن سالم، والطيار وجماعة فيهم هشام بن الحكم وهو شاب، فقال أبو عبد الله الصادق ﷺ: «يا





هشام! ألا تخبرني كيف صنعت بعمر بن عبيد وكيف سألته؟» فقال هشام: يا ابن رسول الله، إنني أجلك وأستحيك ولا يعمل لساني بين يديك. فقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «إذا أمرتكم بشيء فافعلوا». فأخذ هشام يحدث عن مناظرته مع عمرو بن عبيد في مسجد البصرة وإفحامه إيّاه. وبعد نقل المناظرة ضحك أبو عبد الله الصادق عليه السلام وقال: «يا هشام، من علمك هذا؟» قال: شيء أخذته منك وألفته. فقال عليه السلام: «هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى» (الكافي ج ١: ص ١٦٩). ومع هذا كله فقد تخيل المخالفون أنّ المناظرة كانت ممنوعة في مكتب أهل البيت عليهم السلام وأنّ ما يفعله الشيعة يخالف أمر أئمّتهم. قال السيّد المرتضى رحمته الله في الفصول المختارة: قلت للشيخ أبي عبد الله المفيد (أدام الله عزّه): إنّ المعتزلة والحشوية يزعمون أنّ الذي نستعمله من المناظرة شيء يخالف أصول الإمامية ويخرج عن إجماعهم، لأنّ القوم لا يرون المناظرة ديناً وينهون عنها، ويروون عن أئمّتهم تبديع فاعلها وذمّ مستعملها، فهل معك رواية عن أهل البيت عليهم السلام في صحّتها، أم تعتمد على حجج العقول ولا نلتفت إلى من خالفها وإن كان عليه إجماع العصابة؟ فقال: أخطأت المعتزلة والحشوية في ما ادّعوه علينا من خلاف جماعة أهل مذهبنا في استعمال المناظرة، وأخطأ من ادّعى ذلك من الإمامية أيضاً وتجاهل، لأنّ فقهاء الإمامية ورؤسائهم في علم الدين كانوا يستعملون المناظرة. ويدينون بصحّتها وتلقّي ذلك عنهم الخلف ودانوا به، وقد أشبعت القول في هذا الباب وذكرت أسماء المعروفين بالنظر وكتبهم ومدائح الأئمة لهم في كتابي الكامل في علوم الدين وكتاب الأركان في دعائم الدين وأنا أروي لك في هذا الوقت حديثاً من جملة ما أوردت في ذلك إن شاء الله. أخبرني أبو الحسن أحمد بن محمد بن الحسن بن الوليد، عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى، عن يونس بن عبد الرحمان - مولى آل يقطين - عن أبي جعفر محمد بن النعمان، عن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: قال لي: «خاصموهم ويبنوا لهم الهدى الذي أنتم عليه، ويبنوا لهم ضلالهم وباهلهم في علي عليه السلام» (الفصول المختارة: ص ٢٨٤). ولعلّ المقصود من ذكر السند هنا أنّ الأكابر من علماء الشيعة يروون صحّة المناظرة كابن الوليد وسعد بن عبد الله وأحمد بن محمد بن





عيسى ويونس بن عبد الرحمن، ومعه كيف يتخيل أن علماء الإمامية يخالفون المناظرة وينكرونها. وقد نقل الشيخ المفيد رحمته الله ما سأله يحيى بن خالد البرمكي بحضرة الرشيد هشام بن الحكم رحمته الله، وهذه المناظرة مفيدة من جهة التعرف على منهج المناظرة ومن جهة المدح الذي قاله الصادق عليه السلام بشأن هشام، فلنقرأ المناظرة من الفصول المختارة. قال يحيى لهشام: أخبرني يا هشام عن الحق هل يكون في جهتين مختلفتين؟ قال هشام: لا، قال: فخبّرني عن نفسين اختصما في حكم في الدين وتنازعا واختلفا هل يخلوان من أن يكونا محقّين أو مبطلين أو يكون أحدهما مبطلاً والآخر محقّقاً؟ فقال هشام: لا يخلوان من ذلك، وليس يجوز أن يكونا محقّين على ما قدّمت من الجواب. قال له يحيى بن خالد: فخبّرني عن علي عليه السلام والعبّاس لما اختصما إلى أبي بكر في الميراث، أيهما كان المحقّق من المبطل اذ كنت لا تقول أنّهما كانا محقّين ولا مبطلين؟ قال هشام: فنظرت فإذا أنّني أن قلت بأنّ عليّاً عليه السلام كان مبطلاً كفرت وخرجت عن مذهبي، وإن قلت: إنّ العبّاس كان مبطلاً، ضرب الرشيد عنقي، ووردت عليّ مسألة لم أكن سألت عنها قبل ذلك ولا أعددت لها جواباً، فذكرت قول أبي عبد الله عليه السلام وهو يقول لي: «يا هشام لا تزال مؤيِّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك»، فعلمت أنّي لا أخذل وعنّ لي الجواب في الحال، فقلت له: لم يكن من أحدهما خطأ وكانا جميعاً محقّين، ولهذا نظير قد نطق به القرآن في قصّة داود عليه السلام حيث يقول الله جلّ اسمه: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ (إلى قوله) خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ ﴿(سورة ص: ٢١-٢٢)، فأَيّ الملكين كان مخطئاً وأيُّهما كان مصيباً؟ أم تقول إنّهما كانا مخطئين؟ فجوابك في ذلك جوابي بعينه. فقال يحيى: لست أقول: إنّ الملكين أخطأ، بل أقول إنّهما أصابا، وذلك أنّهما لم يختصما في الحقيقة ولا اختلفا في الحكم، وإنّما أظهرّا ذلك لينبّها داود عليه السلام على الخطيئة ويعرفاه الحكم ويوقفاه عليه، فقال: فقلت له: كذلك علي عليه السلام والعبّاس لم يختلفا في الحكم ولا اختصما في الحقيقة، وإنّما أظهرّا الاختلاف والخصومة لينبّها أبا بكر على غلظه ويقفاه على خطئه ويدلّاه على ظلمه لهما في الميراث، ولم يكونا في ريب من أمرهما، وإنّما كان ذلك منهما على حدّ ما كان الملكين. فلم يحر جواباً واستحسن ذلك الرشيد





(الفصول المختارة: ص ٢٦). إذا عرفت هذا فلتأمل في كتاب تصحيح الاعتقاد ونرى كلام المفيد رحمته الله حول المناظرة، فنقول: إنه بعدما أورد الآيات الآمرة بالجدال بالتي هي أحسن، والآيات الأخرى الناهية عن الجدال بغير التي هي أحسن، استدللّ بدليلين على صحة المناظرة: الأول: ما زال الأئمة عليهم السلام يناظرون في دين الله سبحانه ويحتجون على أعداء الله تعالى، الثاني: كان شيوخ أصحابهم - في كل عصر يستعملون النظر ويعتمدون الحجاج - وكان الأئمة عليهم السلام يحمّدونهم على ذلك ويشنون عليهم. ثمّ أورد عدّة روايات لمدح الأئمة للمتكلّمين المناظرين. منها ما ذكره الكليني رحمته الله في كتاب الكافي - وهو من أجلّ كتب الشيعة وأكثرها فائدة - من حديث يونس بن يعقوب مع أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «وددت أنّك يا يونس تحسن الكلام» فقال له يونس: جعلت فداك، سمعتك تنهى عن الكلام. وقد أجاب الإمام عن سؤاله بما سنذكره إن شاء الله، ثمّ دعا حمران بن أعين ومحمّد بن الطيّار وهشام بن سالم وقيس الماصر فتكلّموا بحضرته وتكلّم هشام بعدهم فأثنى عليه ومدحه وقال له: «مثلك من يكلم الناس!» (انظر الكافي ج ١: ص ١٧١، وتصحيح الاعتقاد للشيخ المفيد رحمته الله: ص ٢٧). ثمّ روى الشيخ المفيد عدّة أحاديث نذكر جملة منها: قال أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام لمحمّد بن حكيم: «كلم الناس وبين لهم الحقّ الذي أنت عليه، وبيّن لهم الضلالة التي هم عليها» (تصحيح الاعتقاد للشيخ المفيد رحمته الله: ص ٢٧). وقال الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام لبعض أصحابنا: «حاجّوا النّاس بكلامي فإن حجّوكم فأنا المحجّوج» (تصحيح الاعتقاد للشيخ المفيد رحمته الله: ص ٢٧). وقال عليه السلام لهشام بن الحكم وقد سأله عن أسماء الله تعالى واشتقاقها، فأجابه عن ذلك، ثمّ قال له بعد الجواب: «أفهمت يا هشام فهماً تدفع به أعداءنا الملحدين في دين الله وتبطل شبهاتهم؟» فقال هشام: نعم. فقال له: «وفّقك الله» (انظر تصحيح الاعتقاد للشيخ المفيد رحمته الله: ص ٢٧، والكافي ج ١: ص ٨٧). ومن الطريف أنّ بعض المتكلّمين من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام نقلوا ما جرى لهم من المناظرة له عليه السلام فأرشدتهم الى النهج الصواب، فقد روى الكشي عن إسماعيل بن عبد الخالق عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال لمؤمن الطاق: «بما تخاصم الناس؟» قال: فأخبره بما يخاصم الناس، ولم أحفظ منه





ذلك، فقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «خاصمهم بكذا وكذا» (انظر اختيار معرفة الرجال ج ٢: ص ٤٢٤). ومن طريف ما يرى في أصحاب أبي عبد الله الصادق عليه السلام أيضاً: «المناظرات التخصصية، فقد حكى لنا عن ذلك الكشي في رجاله حيث أورد الرواية التالية عن يونس بن يعقوب، عن هشام بن سالم قال: كنّا عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام - جماعة من أصحابه - فورد رجل من أهل الشام فاستأذن فأذن له، فلما دخل سلّم فأمره أبو عبد الله الصادق عليه السلام بالجلوس، ثم قال له: «حاجتك أيها الرجل؟» قال: بلغني أنّك عالم بكلّ ما تسأل عنه، فصرت إليك لأناظرك. فقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «في ماذا؟» قال: في القرآن وقطعه وإسكانه وخفضه ونصبه ورفع. فقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «يا حمران دونك الرجل». فقال الرجل: إنّما أريدك أنت لا حمران. فقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «إن غلبت حمران فقد غلبتني»، فأقبل الشامي يسأل حمران حتّى غرض وحمران يجيبه، فقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «كيف رأيت يا شامي؟» قال: رأيت حاذقاً، ما سألته عن شيء إلا أجابني فيه. فقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «يا حمران سل الشامي» فما تركه يكشر. فقال الشامي: أريد يا أبا عبد الله أناظرك في العربية. فالتفت أبو عبد الله الصادق عليه السلام فقال: «يا أبان بن تغلب ناظره»، فناظره فما ترك الشامي يكشر. أريد أن أناظرك في الفقه! فقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «يا زرارّة ناظره»، فناظره فما ترك الشامي يكشر. قال: أريد أن أناظرك في الكلام. قال: «يا مؤمن الطاق ناظره»، فناظره فسجل الكلام بينهما، ثم تكلم مؤمن الطاق بكلامه فغلبه به. فقال: أريد أن أناظرك في الاستطاعة. فقال عليه السلام للطّيار: «كلّمه فيها!» قال: فكلّمه فما تركه يكشر. ثم قال: أريد أكلمك في التوحيد. فقال عليه السلام لهشام بن سالم: «كلّمه»، فسجل الكلام بينهما، ثم خصمه هشام. فقال: أريد أن أتكلّم في الإمامة. فقال لهشام بن الحكم: «كلّمه يا أبا الحكم»، فكلّمه فما تركه يرتّم ولا يحلي ولا يمرى. قال: فبقي يضحك أبو عبد الله الصادق عليه السلام حتّى بدت نواجذه. فقال الشامي: كأنك أردت أن تخبرني أنّ شيعتك مثل هؤلاء الرجال. قال: «هو ذاك». ثم قال: «يا أخا أهل الشام، أمّا حمران، فحرّفك فحرت له، فغلبك بلسانه وسألك عن حرف من الحق فلم تعرفه. وأمّا أبان بن تغلب، فمغث حقّاً بباطل فغلبك. وأمّا





الطيار، فكان كالطير يقع ويقوم وأنت كالطير المقصوص لا نهوض لك. وأمّا هشام بن سالم، فأحسن أن يقع ويطير. وأمّا هشام بن الحكم، فتكلّم بالحقّ فما سوّغك بريقك. يا أخا أهل الشام إنّ الله أخذ ضغثاً من الحقّ وضغثاً من الباطل فمغتهما ثمّ أخرجهما إلى الناس، ثمّ بعث الأنبياء يفرّقون بينهما، ففرّقها الأنبياء والأوصياء، وبعث الله الأنبياء ليعرفوا ذلك، وجعل الأنبياء قبل الأوصياء ليعلم الناس من يفضّل الله ومن يختصّ، ولو كان الحقّ على حدة والباطل على حدة، كلّ واحد منهما قائم بشأنه، ما احتاج الناس إلى نبي ولا وصيّ، ولكنّ الله خلطهما وجعل تفريقهما إلى الأنبياء والأئمة من عباده». فقال الشامي: قد أفلح من جالسك. فقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «إنّ رسول الله ﷺ كان يجالسه جبرائيل وميكائيل وإسرافيل يصعد إلى السماء فيأتيه بالخبر من عند الجبار، فإن كان ذلك كذلك فهو كذلك». فقال الشامي: اجعلني من شيعتك وعلمني. فقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «يا هشام علّمه فإنّي أحبّ أن يكون تلميذاً لك». قال علي بن منصور وأبو مالك الحضري: رأينا الشامي عند هشام بعد موت أبي عبد الله الصادق عليه السلام، ويأتي الشاميّ بهدايا أهل الشام وهشام يزوّده هدايا أهل العراق. قال علي بن منصور: وكان الشاميّ ذكيّ القلب (انظر اختيار معرفة الرجال ج ٢: ص ٥٥٤). وتترتّب على هذه الرواية جملة من الملاحظات الهامة يمكن تثبيتها بما يلي: الأول: تخصّص أصحاب الإمام الصادق عليه السلام كلّ واحد في حقل من حقول العلم. الثاني: تقييم الإمام عليه السلام لمناظرة أصحابه وبيان خطأها عن صوابها. الثالث: إرجاع الإمام عليه السلام مسألة التوحيد إلى هشام بن سالم لا لهشام بن الحكم ربما يومئ إلى أنّ رأي هشام بن الحكم في تلك المسألة لم يكن مرضياً لديه عليه السلام (انظر اختيار معرفة الرجال ج ٢: ص ٥٦٤). الرابع: تقدير الإمام عليه السلام لهشام بن الحكم أكثر من سائر أصحابه، حيث أنّ الإمام عليه السلام كنّى هشام بن الحكم ومنحه أرفع درجات التقسيم، والظاهر أنّه المأمور بتعليم الشاميّ، وهذا ممّا يكشف عن مدى أهميّة مسألة الإمامة لدى الأئمة عليهم السلام. هذا وقد روى هذه المناظرة يونس بن يعقوب عن هشام بن سالم، وقد روى يونس بن يعقوب مباشرة نظير هذه المناظرة على ما في الكافي، فيحتمل وحدة الروايتين في الأصل، ولكنّ الأظهر - بملاحظة كثرة فروق





الخبرين - تعدّد القضية، فيحسن بنا أن ننقل هذه الرواية أيضاً. عن يونس بن يعقوب قال: كنت عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام فورد عليه رجل من أهل الشام، فقال: إنّي رجلٌ صاحب كلام وفقه وفرائض وقد جئت لمناظرة أصحابك. فقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «كلامك من كلام رسول الله ﷺ أو من عندك؟» قال: من كلام رسول الله ﷺ ومن عندي. فقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «فأنت إذاً شريك رسول الله؟!» قال: لا. قال: «فسمعت الوحي عن الله عزّ وجلّ يخبرك؟» قال: لا. قال: «فتجب طاعتك كما تجب طاعة رسول الله ﷺ؟» قال: لا. فالتفت أبو عبد الله الصادق عليه السلام إليّ فقال: يا يونس بن يعقوب، هذا قد خصم نفسه قبل أن يتكلّم، ثمّ قال: يا يونس لو كنت تحسن الكلام كلّمته. قال يونس: فيالها من حسرة، فقلت: جعلت فداك إنّي سمعتك تنهى عن الكلام وتقول: ويل لأصحاب الكلام... ثمّ قال لي: «أخرج إلى الباب فانظر من ترى من المتكلّمين فأدخله». قال: فأدخلت حمران بن أعين - وكان يحسن الكلام - وأدخلت الأحول - وكان يحسن الكلام - وأدخلت هشام بن سالم - وكان يحسن الكلام - وأدخلت قيس بن الماصر - وكان عندي أحسنهم كلاماً -، وكان قد تعلّم الكلام من عليّ بن الحسين عليهما السلام - فلمّا استقرّ بنا المجلس - وكان أبو عبد الله الصادق عليه السلام قبل الحجّ يستقرّ أليماً في جبل في طرف الحرم في فارة له مضروبة قال: فأخرج أبو عبد الله الصادق عليه السلام رأسه من فازته فإذا هو ببيعر يخبّ. فقال: «هشام وربّ الكعبة». قال: فظننّا أنّ هشاماً رجلاً من ولد عقيل - كان شديد المحبة له - قال: فورد هشام بن الحكم وهو أوّل ما اختطت لحيته، وليس فينا إلّا من هو أكبر سنّاً منه. قال: فوسّع له أبو عبد الله الصادق عليه السلام وقال: «ناصرنا بقلبه ولسانه ويده». ثمّ قال: «يا حمران، كلّم الرجل»، فكلّمه. فظهر عليه حمران، ثمّ قال: «يا طاقى، كلّمه»، فكلّمه. فظهر عليه الأحول، ثمّ قال: «يا هشام بن سالم كلّمه»، فتعارفا. ثمّ قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام لقيس الماصر: «كلّمه» فكلّمه. فأقبل أبو عبد الله الصادق عليه السلام يضحك من كلامهما ممّا قد أصاب الشامي، فقال للشامي: «كلّم هذا الغلام (يعني هشام بن الحكم)»، فقال: نعم، فقال لهشام: سلني في إمامة هذا. فغضب هشام حتّى ارتعد ثمّ قال للشامي: يا هذا أرّبك أنظر لخلقه أم خلقه لأنفسهم؟ فقال الشامي: بل ربّي أنظر لخلقه.





قال: ففعل بنظره لهم ماذا؟ قال: أقام لهم حجةً ودليلاً كيلا يتشتتوا أو يختلفوا، بتألفهم وقيم أودهم ويخبرهم بفرض ربهم. قال: فمن هو؟ قال: رسول الله ﷺ. قال هشام: فبعد رسول الله ﷺ؟ قال: الكتاب والسنة. قال هشام: فهل نفعا الكتاب والسنة في رفع الاختلاف عنا؟ قال الشامي: نعم. قال: فلم اختلفنا أنا وأنت وصرت إلينا من الشام في مخالفتنا إياك. قال: فسكت الشامي. فقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «ما لك لا تتكلم؟! قال الشامي: إن قلت: لم تختلف كذبت، وإن قلت: إن الكتاب والسنة يرفعان عنا الاختلاف أبطلت، لأنهما احتملان الوجوه، وإن قلت: قد اختلفنا وكل واحد منا يدعي الحق فلم ينفعنا إذن الكتاب والسنة إلا أن لي عليه هذه الحجة. فقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «سله تجده مَلِيًّا». فقال الشامي: يا هذا! من أنظر للخلق أربهم أو أنفسهم؟ فقال هشام: ربهم أنظر لهم منهم لأنفسهم. فقال الشامي: فهل أقام لهم من يجمع لهم كلمتهم وقيم أودهم ويخبرهم بحقهم من باطلهم؟ قال هشام: في وقت رسول الله ﷺ أو الساعة؟ قال الشامي: في وقت رسول الله ﷺ والساعة من؟ فقال هشام: هذا القاعد الذي يشد إليه الرجال ويخبرنا بأخبار السماء والارض، وراثة عن أب عن جد. قال الشامي: فكيف لي أن اعلم ذلك؟ قال هشام: سله عما بدا لك. قال الشامي: قطعت عذري فعلي السؤال. فقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «يا شامي، أخبرك كيف كان سفرك وكيف كان طريقك؟ كان كذا وكذا». فأقبل الشامي يقول: صدقت، أسلمت لله الساعة! فقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «بل آمنت بالله الساعة، إن الإسلام قبل الإيمان وعليه يتوارثون ويتناكحون، والإيمان عليه يثابون». فقال الشامي: صدقت، فأنا الساعة أشهد ان لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ، وأنت وصي الأوصياء. ثم التفت أبو عبد الله الصادق عليه السلام إلى حمran فقال: «تجري الكلام على الأثر فتصيب»، والتفت إلى هشام بن سالم فقال: «تريد الأثر ولا تعرفه»، ثم التفت إلى الأحول، فقال: «قياس، رواج تكسر باطلاً بباطل، إلا أن باطلك أظهر»، ثم التفت إلى قيس بن الماصر، فقال: «تتكلم وأقرب ما تكون من الخبر عن رسول الله ﷺ أبعد ما تكون منه، تمزج الحق مع الباطل وقليل الحق يكفي عن كثير الباطل، أنت والأحول قفازان حاذقان»، قال يونس: فظننت والله أنه يقول لهشام





قريباً ممّا قال لهما، ثمّ قال عليه السلام: «يا هشام لا تكاد تقع، تلوي رجلك إذا هممت بالأرض طرت مثلك فليكلّم الناس، فاتّق الزلّة، والشفاعة من ورائها إن شاء الله» (الكافي ج ١: ص ١٧١). نقف عند بابه الحديث رويداً ونقتبس منه أموراً: الأول: إنّ الإمام عليه السلام يحترم هشام بن الحكم - ذاك الشاب - احتراماً كبيراً، وهذا يدلّ على أنّ عند العترة الطاهرة عليه السلام قيمة العلم أكبر من قيمة السنّ، والعالم الشاب أفضل من الشيخ غير العالم، ونقل الراوي خصوص مناظرة هشام بن الحكم يدلّ على الجوّ الحاكم على تلك القضية، حيث كانت الأنظار متوجّهة نحو هشام بن الحكم فحسب. الثاني: إنّ الرواية تتضمن مناظرة كاملة مشتملة على السؤال والجواب، والغرض منها هو الوصول إلى الحقّ، والخصم أيضاً إنّما يبحث عن ذاك الغرض، ولذلك تراجع عن رأيه عند ما ظهر له بطلانه. الثالث: إنّ طلب الشامي من هشام - عند مناظرته له - أن يكون سائلاً استخفافاً به، ولكنّه تراجع بعد ذلك عندما تبين قوة خصمه وكفاءته. الرابع: تشتمل هذه المناظرة على شكلين من أشكال المناظرة، وترسمهما بدقّة فائقة، وقد ظفر هشام في كلا المنهجين، وهذا ممّا يدلّ بوضوح على مقدرة هشام على المناظرة ومعرفته بقواعدها. الخامس: إنّ الإمام عليه السلام أصرّ على إيقاف الشامي على عجزه حينما بين له جهله في التمييز بين الإسلام والإيمان. وإلى غير ذلك من الروايات الواردة عنهم عليه السلام وتشجيعهم عليه السلام أصحابهم بالمناظرة العلميّة مع العلماء ومناظرتهم لخصمهم بما هو حجّة عليه ملزم به حسبما جرينا على ذلك. وهذا يدلّ على أعلميّة الشيعة من غيرهم، لأنّ أعلم الناس أعرفهم باختلافات الدنيّة والمسائل الشرعيّة. ومن الفنون المبتكرة فنّ المسائل المشكّلة وهي المسائل التي تكون في ظاهرها معقّدة، لما هي عليه من اختلاف الأحكام المرتبطة بموضوع معين، اختلافاً إلى لا يمكن الطرف المقابل للجواب حتّى يصل إلى حدّ التنافي والتناقض، مع وحدة الموضوع ظاهرياً. أو وحدة الحكم في موضوعات متعدّدة مختلفة متباعدة في النظر الأولي، بما يدعو إلى الاستغراب والدهشة في ظاهر الحال. ولذلك أنّ أئمة أهل البيت عليه السلام لكانوا يشجّعون علماء شيعتهم للمناظرة مع المخالفين، والشيعة كانوا يأخذون معالم دينهم معارف الدنيّة من أهل البيت عليه السلام وينقلونها في المباحث الدنيّة إلى طرفهم



منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨ ٨٨٧

والجهل حقّ السنّي من حيث مقابلته لخصمه بما علم بنفسه بأنّه ليس بحجّة عليه وهو ما تفرّد أهل مذهبه بنقله^(١)،

بل بعد علم السنّي بأنّ ما تفرّد به أهل مذهبه فاسد بنفس ما ثبت من طرقهم من السنن العديدة الغير المقابلة للتأويل والردّ لتظاferها ولو من حيث المعنى، ونصوصيتها في المقصود^(٢)



المقابل، وبذلك كانوا يفحسون أعدائهم، فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّ من شرائط المناظرة العلميّة عند أهل العلم احتجاج كلّ من متناظرين بما يكون حجّة عند الطرف الآخر، فلا يصحّ الاحتجاج بما لا يكون حجّة عند الخصم. وهذا أمر متفق عليه بين جميع أهل العلم. وعليه فلا معنى لاحتجاج ابن تيمية بما لا يكون حجّة عند الشيعة. ويؤكد بطلان كلامه ما ذكره ابن حزم الأندلسي في معرض الحديث عن احتجاج أهل السنّة على الإماميّة، فإنّه قال: لا معنى لاحتجاجنا عليهم (الشيعة) برواياتنا فهم لا يصدّقونها، ولا معنى لاحتجاجهم (الشيعة) علينا برواياتهم فنحن لا نصدّقها، وإنّما يجب أن يحتجّ الخصوم بعضهم على بعض بما يصدّقه الذي تقام عليه الحجّة به، سواء صدّقه المحتجّ أو لم يصدّقه، لأنّ من صدّق بشيء لزمه القول به أو بما يوجه العلم الضروري، فيصير حينئذ مكابراً منقطعاً إن ثبت على ما كان عليه (الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣: ص ١٢). وعليه فلا يجوز لابن تيمية أن يحتجّ على الشيعة برواية سنّة على الشيعة في المقام ثمّ يستنتج منها الدعاوي الباطلة كما لا يخفى ذلك على الخبير، فلاحظ.

(٢) لا يخفى أنّ استدلال الشيعة الإماميّة على الإمامة والخلافة الشرعية بعد النبي ﷺ ليس فقط بالروايات التي المروية في كتبهم، بل أنّها ثابتة بالروايات التي رواها كبار علماء أهل السنّة في صحاحهم وهي التي تدلّ أولاً: على عدم لياقة خلفاء أهل السنّة بمقام الإمامة والخلافة. وقد أخبر النبي ﷺ عن مقاصدهم، وأشار إلى نوايا المناقضين
←



القاصدين إلى قمع بنيان الإسلام، ورجوعهم إلى الكفرة والجاهلية الأولى. والشاهد على ذلك ما رواه السيوطي في كتاب الحوالم في شرح موطأ لمالك بسنده عن أبي نصر مولى عمر بن عبيد الله أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال لشهداء أحد: «هؤلاء أشهد عليهم»، فقال أبو بكر: ألسنا يا رسول الله إخوانهم، أسلمنا كما أسلموا، وجاهدنا كما جاهدوا؟ فقال رسول الله ﷺ: «بلى ولكن لا أدري ما تحدثون بعدي»، فبكى أبو بكر، ثم بكى ثم قال: أئنا لكائنون بعدك؟ (انظر كتاب تنوير الحوالك في شرح موطأ مالك للسيوطي الشافعي ج ٢: ص ٣١٦). وما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «إِنَّكُمْ تَحْشَرُونَ حِفَاةَ عَرَاةٍ غَرَلًا»، ثم قرأ ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾، وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم، وإن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: أصحابي أصحابي، فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم» (صحيح البخاري ج ٤: ص ١١٠ كتاب بدء الخلق، باب قوله تعالى: ﴿وَأَتَّخِذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا...﴾). وما رواه بسنده عن ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: «تَحْشَرُونَ حِفَاةَ عَرَاةٍ غَرَلًا»، ثم قرأ ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾، فأول من يكسى إبراهيم، ثم يؤخذ برجال من أصحابي ذات اليمين وذات الشمال فأقول: أصحابي، فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم» (صحيح البخاري ج ٤: ص ١٤٢ كتاب بدء الخلق، باب قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا...﴾). وإلى غير ذلك من الروايات. فإذا كان أكثر صحابة النبي ﷺ من أهل النار فلا يليق أحد منهم بمقام الإمامة، إذ كيف يؤمن بهم مع أن أكثرهم أهل النار؟! فإن هذه الروايات الصحيحة عند جميع أهل السنة تدلّ بالصراحة على أن أكثر الصحابة الذين اجتمعوا في السقيفة لانتخاب الخليفة كانوا أهل النار!!

وثانياً: بالروايات التي رواها كبار علماء أهل السنة في صحاحهم الدالة على أن الوحيد الذي يليق بمقام الإمامة بعد رسول الله ﷺ هو الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ومن بعده الأئمة الأحد عشر المعصومين عليهم السلام من ولده عليه السلام. فالشيعة يحتجون على أهل السنة برواياتهم على هذا المعنى، فهذا أبو بكر أول خليفة أهل السنة قد روى الروايات





الصحيحة عند أهل السنة بعدم لياقته لمقام الخلافة؛ فقد أخرج أحمد بن حنبل بسنده عن أبي بكر: إن النبي ﷺ بعثه بالبراءة لأهل مكة وإبلاغهم ببعض الآيات من سورة التوبة، وفيها -أيضاً- لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ مدة فأجله إلى مدته، والله برئ من المشركين ورسوله. فسار بها ثلاثاً متوجّهاً نحو مكة، ثم قال ﷺ لعلي عليه السلام: «الحقه فرد عليّ أبا بكر وبلغها أنت»، قال: ففعل علي عليه السلام ما أمر. فلما قدم أبو بكر على النبي ﷺ بكى فقال: يا رسول الله، حدث في شيء؟ قال ﷺ: «ما حدث فيك إلا خير، ولكن أمرت أن لا يبلغه إلا أنا أو رجل مني» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ١: ص ٣). وقال العلامة الأميني رحمه الله: هذه الإثارة أخرجها كثير من أئمة الحديث وحفاظه، وعدد منهم ٧٣ نسمة (لاحظ الغدير ج ٦: ص ٣٣٨-٨٨٦). وأخرج ابن حجر العسقلاني بإسناده عن أبي الأسود الدؤلي قال: سمعت أبا بكر يقول: أيها الناس، عليكم بعلي بن أبي طالب، فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «علي خير من طلعت عليه الشمس وغربت بعدي» (انظر لسان الميزان ج ٦: ص ٧٨ في ترجمة المغيرة بن سعد البجلي). وأخرج المحب الطبري بسنده عن ابن عباس قال: جاء أبو بكر وعلي يزوران قبر النبي ﷺ بعد وفاته بستة أيام... فقال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «علي مني كمنزلي من ربي» (انظر الرياض النضرة ج ١: ص ١٢٤). وأخرج المحب الطبري بسنده عن قيس بن أبي حازم قال: التقى أبو بكر وعلي بن أبي طالب عليه السلام، فتبسم أبو بكر في وجه علي عليه السلام، فقال عليه السلام له: «مالك تبسمت؟» قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له علي عليه السلام الجواز» (انظر الرياض النضرة ج ١: ص ٢٠٧). وأخرج الخطيب البغدادي بسنده عن أنس بن مالك قال: قال أبو بكر عند موته: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن علي الصراط لعقبة لا يجوزها أحد إلا بجواز من علي بن أبي طالب» (انظر تاريخ بغداد ج ١٠: ص ٢٥٥ في ترجمة عبيد الله بن لؤلؤ بن جعفر بن حموي). وأخرج ابن عساكر بسنده عن أبي رافع، قال: كنت قاعداً بعد ما بايع الناس أبا بكر، فسمعت أبا بكر يقول للعباس: أنشدك الله هلاًن رسول الله ﷺ جمع بني عبد المطلب وأولادهم وأنت فيهم وجمعكم





دون قريش، فقال ﷺ: «يا بني عبد المطلب، إنه لم يبعث الله نبياً إلا جعل له من أهله أخاً ووزيراً ووصياً وخليفة في أهله، فمن منكم -يقوم و- يبايعني على أن يكون أخي ووزير ووصي وخليفة في أهلي؟» فلم يقم منكم أحد فقال ﷺ: «يا بني عبد المطلب، كونوا في الإسلام رؤساء ولا تكونوا أذناً، والله ليقومن قائمكم أو لتكونن في غيركم ثم لتندمن»، فقام علي من بينكم، فبايعه على ما شرط له ودعا إليه، أتعلم هذا له من رسول الله ﷺ؟ قال العباس: نعم (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٥٠). وأخرج اليعقوبي بسنده عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ أنه كان عند أبي بكر إذ جاء علي والعباس، فقال العباس: أنا عم رسول الله ووارثه وقد حال علي بيني وبين تركته، فقال أبو بكر: فأين كنت يا عباس حين جمع النبي ﷺ بني عبد المطلب وأنت أحدهم فقال: «أيكم يؤازرنني ويكون وصي، وخليفة في أهلي، وينجز عديتي، ويقضي ديني؟» فقال له العباس: بمجلسك تقدمته وتأمرت عليه؟ أي إن كان هكذا كما تقول: لماذا تقدمت عليه وغصبت أمره؟ فقال أبو بكر: أغدراً يا بني عبد المطلب؟ أي إنكما يا علي ويا عباس أردتما بدعواكما هذه المصطنعة على إرث النبي ﷺ وتركته أن تأخذوا مني الإقرار والاعتراف بحق علي عليه السلام وأولويته للخلافة، وتحكموا علي بما أتفوه به وأقوله بنفسي ولساني، يعني: تديناني وتلزمانني من فمي (تاريخ اليعقوبي ج ٢: ص ١٥٨).

وأما ما رواه عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ، فقد أخرج جمال الدين الموصلي الحنفي المشهور بابن حسويه بسنده عن أنس بن مالك، قال: لما كان يوم المؤاخاة وآخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، وعلي عليه السلام واقف يراه ويعلم مكانه لم يؤاخ بينه وبين أحد، فانصرف علي عليه السلام باكي العين قال ﷺ: «يا بلال، اذهب فائتني به». فمضى بلال وأتى علياً وقد دخل منزله، فرأته فاطمة عليها السلام فقالت: «ما يبكيك لا أبكي الله عينيك؟» قال ﷺ: «يا فاطمة، آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار وأنا واقف يراني ويعلم مكاني لم يؤاخ بيني وبين أحد» قالت ﷺ: «لا يحزنك، لعلك إنما أخرك لنفسه» فطرق بلال الباب وقال: يا علي، أجب رسول الله ﷺ فأتى علي إلى النبي ﷺ. فقال النبي ﷺ: «ما يبكيك، يا أمير المؤمنين؟» فقال علي عليه السلام: «آخيت بين المهاجرين





والأنصار وأنا واقف تعرف مكاني لم تؤاخ بيني وبين أحد». فقال ﷺ: «يا علي، إنما أخرت لك نفسي كما أمرني ربي، قم، يا أبا الحسن»، فأخذ بيده ورقى المنبر وقال: «اللهم إن هذا مني وأنا منه، ألا إنه بمنزلة هارون من موسى، أيها الناس، ألسنت أولى بكم من أنفسكم؟» قالوا: بلى. قال ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه، ومن كنت وليه فعلي وليه، اللهم إني قد بلغت ما أمرتني به». ثم نزل وقد سرّ علي عليه السلام، فجعل الناس يبائعونه وعمر ابن الخطاب يقول: بخ بخ لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة، امرأة من يعاديك طالق طلقة (انظر احقاق الحق ج ٦: ص ٤٦٨ نقلاً عن كتاب بحر المناقب لابن حسويه: ص ٤٢). وأخرج الخطيب البغدادي بسنده عن سويد بن غفلة عن عمر بن الخطاب: أنه رأى رجلاً يسب علياً عليه السلام فقال عمر: إني أظنك منافقاً سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» (انظر تاريخ بغداد ج ٧: ص ٤٦٢ في ترجمة الحسن بن يزيد بن معاوية أبو علي الجصاص). وأخرج الخطيب الخوارزمي بسنده عن عمر بن الخطاب، قال رسول الله ﷺ يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحب الله ورسوله، كراراً غير فرار، يفتح الله عليه، جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره» فبات المسلمون كلهم يستشرفون لذلك، فلما أصبح قال ﷺ: «أين علي بن أبي طالب؟» قالوا: أرمد العين، قال ﷺ: «آتوني به»، فلم آتاه، قال رسول الله ﷺ: «ادن مني»، فدنا منه، فتفل في عينيه ومسحهما بيده، فقام علي بن أبي طالب عليه السلام بين يديه وكأنه لم يرمد وأعطاه الراية، فقتل مرحب وأخذ مدينة خيبر (انظر المناقب للخوارزمي: ص ١٧٠ ح ٢٠٣). وأخرج القندوزي الحنفي بسنده عن عمر ابن الخطاب، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو اجتمع الناس على حب علي بن أبي طالب لما خلق الله النار» (ينابيع المودة ج ٢: ص ٢٩٠). أخرج الحافظ ابن عساكر الدمشقي عن طريقين وروى غيره بطرق مختلفة: أتى عمر بن الخطاب - في عهده - رجلان سألاه عن طلاق الأمة - كم عدده للبينونة -؟ فقام معهما فمشى حتى أتى حلقة في المسجد فيها رجل أصلع، فقال عمر: أيها الأصلع ما ترى في طلاق الأمة، فرفع رأسه إليه ثم أوماً إليه بالسبابة والوسطى، فقال له عمر: تطليقان، فقال أحدهما: سبحان الله جنناك





وأنت أمير المؤمنين فمشيت معنا حتّى وقفت على هذا الرجل فسألته، فرضيت منه أن أوماً إليك، فقال لهما عمر: ما تدریان من هذا؟ قالاً: لا، قال عمر: هذا علي بن أبي طالب، أشهد على رسول الله ﷺ لسمعته وهو يقول: «لو أن السماوات السبع والأرضين السبع وضعن في كفه ميزان ووضع إيمان علي في كفة ميزان لرجح إيمان علي عليه السلام» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٢: ص ٢٤٠). وأخرج القندوزي الحنفي بسنده عن عمر بن الخطاب، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي: «لو كان البحر مداداً، والرياح أعلاماً، والإنس كتاباً، والجنّ حساباً، ما أحصوا فضائلك يا أبا الحسن» (انظر ينابيع المودة ج ٢: ص ٢٨٥). وأخرج ابن عساكر الدمشقي بسنده عن ابن عباس، قال: مشيت وعمر بن الخطاب في بعض أزقة المدينة فقال لي: يا ابن عباس، أظنّ أن القوم استصغروا صاحبكم إذ لم يولّوه أموركم، فقلت: والله! ما استصغره الله إذ اختاره لسورة براءة مع عزل أبي بكر يبلغها أهل مكة، فقال لي: الصواب تقول!! والله لسمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب: «من أحبّك أحبّني، ومن أحبّني أحبّ الله، ومن أحبّ الله أدخله الجنة مدلاً» (تاريخ مدينة دمشق ج ١٤: ص ٤). وأخرج السيّد محمد صالح الكشفي الترمذي بسنده عن عمر بن الخطاب، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «من أحبّك يا علي كان مع النّبيين في درجتهم يوم القيامة، ومن مات يبغضك فلا يبالى مات يهودياً أو نصرانياً» (انظر تاريخ يعقوبي ج ٢: ص ١٨٥). وأخرج القندوزي الحنفي بسنده عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله ﷺ لمّا عقد المؤاخاة بين أصحابه: «هذا علي أخي في الدنيا والآخرة، وخليفتي في أهلي ووصيي في أمّتي، ووارث علمي، وقاضي ديني، له منّي ما لي منه، نفعه نفعي، وضرّه ضرّي، من أحبّه فقد أحبّني، ومن أبغضه فقد أبغضني» (انظر ينابيع المودة ج ٢: ص ٢٨٢). وأخرج ابن عساكر الدمشقي بسنده عن إبراهيم بن سعيد الجوهري وصي المأمون العباسي قال: حدّثني المأمون قال: حدّثني أبي هارون الرشيد خامس قال: حدّثني المهدي ثالث الخلفاء العباسيين قال: حدّثني المنصور ثاني الخلفاء العباسيين عن أبيه، عن جدّه، عن عبد الله بن العباس، قال: سمعت عمر بن الخطاب وعنده جماعة، فتذكروا السابقين إلى الاسلام فقال عمر: أمّا علي فسمعت





رسول الله ﷺ يقول فيه ثلاث خصال لوددت أن لي واحدة منهن فكان أحب إلي مما طلعت عليه الشمس: كنت أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة من الصحابة، إذ ضرب النبي ﷺ بيده على منكب علي فقال له: «يا علي، أنت أول المؤمنين إيماناً، وأول المسلمين إسلاماً، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٨٦). وأخرج السيد محمد بن محمد الدرگزيني في كتابه نزل السائرين في أحاديث سيد المرسلين بسنده عن عمر بن الخطاب قال: كنت أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة من أصحابه إذ ضرب بيده على منكب علي عليه السلام فقال: «يا علي، أنت أول المؤمنين إيماناً، وأول المسلمين إسلاماً، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى، يا علي، إنما أنت بمنزلة الكعبة تؤتى ولا تأتي، فإذا أتاك هؤلاء القوم فسلموا إليك هذا الأمر فاقبله منهم، فإن لم يأتوك فلا تأتهم» (انظر احقاق الحق ج ١٧: ص ٧٩ نقلاً عن السيد محمد بن محمد الدرگزيني في كتابه نزل السائرين). وأخرج الخطيب البغدادي وابن عساكر الدمشقي بسندهما عن عمر بن الخطاب، قال: قال النبي ﷺ لعلي عليه السلام: «أنا خاتم الأنبياء، وأنت خاتم الأولياء» (انظر تاريخ بغداد ج ١٠: ص ٣٦٥، وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٤: ص ٢٥٤). وأخرج ابن عساكر الدمشقي بسنده عن ابن عمر قال: لما طعن عمر وأمر بالشورى فقال: ما عسى أن يقولوا في علي عليه السلام؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا علي، يدك في يدي تدخل معي الجنة يوم القيامة حيث أدخل» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٣٢٨). وأخرج ابن أبي الحديد حواراً دار بين ابن عباس وبين عمر بن الخطاب بما يمت بأمر الخلافة والإمامة بعد النبي ﷺ... وملخص الحوار أنه قال ابن عباس: دخلت على عمر في أول خلافته، فقال عمر: من أين جئت يا عبد الله؟ قلت: من المسجد، قال: كيف خلفت ابن عمك... إنما عنيت عظيمكم أهل البيت علياً؟ قلت: خلّفته يمتح بالغرب على نخیلات من فلان وهو يقرأ القرآن قال: يا عبد الله، عليك دماء البدن إن كتمتها!! هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟ قلت: نعم، قال: أيزعم أن رسول الله ﷺ نصّ عليه؟ قلت: نعم، وأزيدك: سألت أبي عما يدعيه، فقال: صدق، قال عمر: لقد كان من رسول الله ﷺ ذرو من قول في إعلان خلافة علي عليه السلام.. وقد أراد في مرضه أن يصرح باسمه





علي عليه السلام فمنعته من ذلك إشفافاً وحيطة على الإسلام لا ورب هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبداً، ولو وليها - أي: الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام - لانتقضت عليه العرب من أقطارها، فعلم رسول الله أنني علمت ما في نفسه فأمسك، وأبى الله إلا إمضاء ما حتم (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٢: ص ٢٠).

وأما ما رواه عثمان عن رسول الله ﷺ فقد أخرج القندوزي الحنفي بسنده عن عثمان بن عفان، قال: قال رسول الله ﷺ: «خلقت أنا وعلي من نور واحد قبل أن يخلق الله آدم بأربعة آلاف عام، فلما خلق الله آدم ركب فيه ذلك النور في صلبه، فلم يزل شيئاً واحداً حتى افترقنا في صلب عبد المطلب، ففي النبوة وفي علي الوصية» (انظر ينابيع المودة ج ٢: ص ٣٠٧). وأخرج ابن عساكر الدمشقي بسنده عن يونس مولى الرشيد، قال: كنت واقفاً على رأس المأمون وعنده يحيى بن أكثم القاضي فذكروا علياً عليه السلام وفضله، فقال المأمون: سمعت الرشيد يقول: سمعت المهدي يقول: سمعت المنصور يقول: سمعت أبي يقول: سمعت جدِّي يقول: سمعت ابن عباس يقول: رجع عثمان إلى علي عليه السلام فسأله المصير إليه، فصار إليه فجعل يحدّ النظر إليه، فقال له علي عليه السلام: يا عثمان، مالك تحدّ النظر إليّ؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «النظر إلى وجه علي عبادة» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ١٤٠). وخرج الحافظ أحمد بن محمد بن علي بن أحمد العاصمي عن أبي بكر محمد بن إسحاق بن محمّشاد قال: أت رجلأ أتى عثمان بن عفان وبيده جمجمة إنسان ميت، فقال: إنكم تزعمون أنّ النار تعرض على هذا وأنه يعذب في القبر، وأنا قد وضعت عليها يدي فلم أحسّ منها حرارة النار! فسكت عثمان وأرسل إلى علي بن أبي طالب عليه السلام يستحضره، فلما أتاه وهو في ملأ من أصحابه قال عثمان للرجل: أعد المسألة، فأعادها ثم قال عثمان لعلي عليه السلام: أجب الرجل عنها، يا أبا الحسن فقال علي عليه السلام: «أئتوني بزند وحجر» - والرجل السائل والناس ينظرون إليه - فأتي بهما فأخذهما وقدهما في النار، ثم قال للرجل: «ضع يدك على الحجر»، فوضعها عليه، ثم قال عليه السلام: «ضع يدك على الزند»، فوضعها عليه. فقال عليه السلام: «هل أحسست منهما حرارة النار؟» فبهت الرجل - لأنه رأى النار ولم يحسّ بالحرارة - فقال عثمان: «لولا علي لهلك عثمان» (انظر زين الفتى في تفسير





سورة هل أتى: ص ٣١٤).

وأما ما رواه معاوية في المقام قال الحافظ المناوي الشافعي: إن معاوية كان يرسل أناساً يسأل علياً عليه السلام عن المشكلات - سواءً معضلاته أو معضلات غيره - فكان علي عليه السلام يجيبه، فقال أحد بني: تجيب عدوك؟! قال عليه السلام: «أما يكفيننا أن احتاجنا وسألنا؟» (انظر فيض القدير ج ٤: ص ٣٥٦). فقد أخرج أحمد بن حنبل وآخرون من حفاظ أهل السنة ومفسريهم بأساندهم عن قيس بن أبي حازم - وهو من ثقات الرواة عند أهل السنة - أنه قال: إن رجلاً سأل معاوية عن مسألة فقال: اسأل عنها علياً فهو أعلم فقال: يا أمير المؤمنين، جوابك فيها أحب إلي من جواب علي، قال معاوية: بنس ما قلت، لقد كرهت رجلاً كان رسول الله ﷺ يغره بالعلم غراً، ولقد قال له: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»، وكان عمر إذا أشكل عليه شيء أخذ منه ويلجأ إلى علي في حلّ مسأله، ثم قال معاوية للرجل: قم لا أقام الله رجلك، ومحا اسمه من الديوان (انظر فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج ٢: ص ٦٧٥ ح ٥٥٩٣). وأخرج الحافظ ابن عساكر بسنده عن عبيد الله بن عبد الله المديني قال: حجّ معاوية بن أبي سفيان فمرّ بالمدينة فجلس في مجلس فيه سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس، فالتفت إلى عبد الله بن عباس فقال: يا ابن عباس، إنك لم تعرف حقنا من باطل غيرنا، وقرعه ابن عباس بجواب فحار منه معاوية، فتركه وأقبل على سعد فقال: يا أبا إسحاق، أنت الذي لم تعرف حقنا وجلس فلم يكن معنا ولا علينا، فقال سعد: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي: «أنت مع الحق والحق معك حيثما دار»، فقال معاوية: لتأتيني على هذا ببينة، فقال سعد: هذه أم سلمة تشهد على رسول الله ﷺ، فقاموا جميعاً فدخلوا على أم سلمة فقالوا: يا أم المؤمنين، إن الأكاذيب قد كثرت على رسول الله ﷺ وهذا، قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام فقال معاوية لسعد: يا أبا إسحاق، ما كان ألوم الآن - أي إنك يا سعد ألوم الناس عندي - إذ سمعت هذا من رسول الله ﷺ وجلست عن علي عليه السلام، لو سمعت هذا من رسول الله ﷺ لكنت خادماً لعلي عليه السلام حتى أموت (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٢٠: ص ٣٦٠). وإلى غير ذلك من الروايات التي رواها خلفاء أهل السنة الدالة على إمامة



وشهادة ما صدر من سلفهم من المشاقات والمبتدعات والمناكير بهذه السنن حسبما مرّ تفصيل ذلك^(١)،



مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

(١) لا شك أنّ الباحث لو درس التأريخ والسيرة والحديث والتفسير وغيرها دراسة علميّة موضوعيّة بقصد التمهّك يجد أنّ ما واجهه المسلمون من المصائب والنوازل التي حلّت للإسلام والمسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ من الفساد والشرّ والمبتدعات والمناكير كلّها من ثمرات السقيفة والخلافة الجائرة التي مهّدت للأمة الانقلاب والرجوع إلى الأعقاب والجاهليّة الأولى. فهذا أبو بكر كان لا يبالى من المخالفة الصريحة للكتاب والسنة، وأنّ بغيته الوصول إلى السلطة فلم يمنعه من ذلك مانع. وإن كان بدعة في الدين. وحيث أنّ سلطته كانت مستندة بالعنف والإرهاب فلم يتجرأ أحد أن يقف بوجهه ويعارض سياسته المبتنيّة على الإرهاب والقبليّة الجاهليّة المدعومة من قبل بطون قريش التي ساندته لغصب الخلافة، وأيده لركوب السلطة الجائرة، ليفتح لهم المجال في الحكومة البائدة والثقافة الطاغوتية. فكانوا يقابلون كلّ حركة ضدّ الخلافة الجائرة بالعنف ويعاقبون عليها بأشدّ العقوبات وبإسقاطهم من جميع حقوق الإنسانيّة، والمخازي التي كانوا يستندون إليها باسم الدين والسلطة الجائرة، وكانوا يسمّونها تلك الحكومة الجائرة، خلافة رسول الله ﷺ. وفي نفس الوقت كانوا يستعملون أنواع الحيل لتقوية السلطة من جمع الأعوان والأنصار بالتطميع والتهديد والفتك والإرغام ذريعة لحفظ نظام السلطة الجائرة وإن بلغ ما بلغ من الجناية على الأمة. وقد أقرّ بذلك الكتب المدوّنة المعتبرة لفحول العامّة والخاصّة. ففي رواية قال ابن عمر: أشهد أنّي كنت عند أبي يوماً وقد أمرني أن أحبس الناس عنه، فاستأذن عليه عبد الرحمن بن أبي بكر، فقال عمر: دويبة سوء ولهو خير من أبيه (الإيضاح: ص ١٣٥). وفي رواية أخرى عن إياس بن قبيصة الأسدي وكان شهد فتح القادسية يقول: سمعت أبا بكر يقول: ندمت على أن أكون سألت رسول الله ﷺ عن ثلاث كنت أغفلتهنّ، ووددت أنّي كنت فعلت ثلاثاً لم أفعلهنّ، ووددت أنّي لم أكن





فعلت ثلاثاً قد كنت فعلتهنّ، فقليل له: وما هنّ؟ فقال: ندمت أن لا أكون سألت رسول الله ﷺ عن هذا الأمر لمن هو من بعده؟ وأن لا أكون سألته عن الحدّ، وأن لا أكون سألته عن ذبائح أهل الكتاب. وأمّا الثلاث اللاتي فعلتهنّ وليتني لم أفعلنّ فكشفي بيت فاطمة رضي الله عنها، وتخلّفي عن بعث أسامة، وتركّي الأشعث بن قيس ألا أكون قتلته فإنّي لا أزال أراه يبغّي للإسلام عوجاً، وأمّا الثلاث اللاتي لم أفعلنّ وليتني كنت فعلتهنّ، فوددت أنّي كنت أقدت من خالد بن الوليد بمالك بن نويرة، ووددت أنّي لم أتخلّف عن بعث أسامة، ووددت أنّي كنت قتلت عيينة بن حصين وطلحة بن خويلد (الإيضاح: ص ١٥٩). وقد نقل ابن قتيبة الحديث المكذوب في كتابه الإمامة والسياسة بصورة أخرى وأسقط عنه ندامته عن تخلّفه عن جيش أسامة (الإمامة والسياسة ج ١: ص ١٨). وممّا يؤيد أنّ أبا بكر كان من أعدى أعداء الإسلام اعتراف أكثر مواليه وحمله أوزاره وإقرارهم بخطاياهم وجنایاتهم وخياناته، والكتب مملوءة منها لا مجال لنا للتعرض لها في هذا المجال، فنقتصر على نقل رسالة مكتوبة من محمّد بن أبي بكر (رضي الله تعالى عنه)، ومعاوية بن أبي سفيان (عليه لعائن الله والخلود في النيران) نقلهما "نصر بن مزاحم المنقري" (المتوفى ٢١٢هـ)، وهو من أقدم علماء التاريخ: قال في كتابه المسمى بـ"وقعة صفين" أنّه كتب محمّد بن أبي بكر إلى معاوية، بسم الله الرحمن الرحيم من محمّد بن أبي بكر إلى الغاوي بن صخر؛ سلام على أهل طاعة الله ممّن هو مسلم لأهل ولاية الله. أمّا بعد، فإنّ الله بجلاله وعظمته وسلطانه وقدرته خلق خلقاً بلا عنت ولا ضعف في قوّته، ولا حاجة به إلى خلقهم، ولكنّه خلقهم عبيداً، وجعل منهم شقيّاً وسعيداً، وغويّاً ورشيداً، ثمّ اختارهم على علمه، فاصطفى وانتخب منهم محمّداً ﷺ، فاخصّه برسالته، واختاره لوحيه، وائتمنه على أمره، وبعثه رسولاً مصدّقاً لما بين يديه من الكتب، وذليلاً على الشرائع، فدعا إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة، فكان أوّل من أجاب وأناب، وصدق ووافق، وأسلم وسلم أخوه وابن عمّه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فصدّقه بالغيب المكتوم، وآثره على كلّ حميم، فوقاه كلّ هول، وواساه بنفسه في كلّ خوف، فحارب حربه، وسالم سلمه، فلم يبرح مبتدلاً لنفسه في ساعات الأزل ومقامات الروع، حتّى برز سابقاً لا نظير له





في جهاده، ولا مقارب له في فعله. وقد رأيتك تساميه وأنت أنت. وهو هو المبرز السابق في كل خير، أول الناس إسلاماً، وأصدق الناس نية، وأطيب الناس ذرية، وأفضل الناس زوجة، وخير الناس ابن عم. وأنت اللعين ابن اللعين، ثم لم تزل أنت وأبوك تبغيان الغوائل لدين الله، وتجهدان على إطفاء نور الله، وتجمعان على ذلك الجموع، وتبذلان فيه المال، وتخالفان فيه القبائل. على ذلك مات أبوك، وعلى ذلك خلفته، والشاهد عليك بذلك من يأوي ويلجأ إليك من بقية الأحزاب، ورؤوس النفاق والشقاق لرسول الله ﷺ. والشاهد لعلي مع فضله المبين وسبقه القديم، أنصاره الذين ذكروا بفضلهم في القرآن فأثنى الله عليهم من المهاجرين والأنصار، فهم معه عصائب وكتائب حوله، يجالدون بأسيا فهم، ويهريقون دماءهم دونه، يرون الفضل في اتباعه، والشقاء في خلافه، فكيف - يا لك الويل - تعدل نفسك بعلي، وهو وارث رسول الله ﷺ، ووصيه وأبو ولده وأول الناس له اتباعاً، وآخرهم به عهداً، يخبره بسرّه ويشركه في أمره، وأنت عدوّه وابن عدوّه؟! فتمتّع ما استطعت بباطلك، وليمدد لك ابن العاص في غوايتك، فكأنّ أجلك قد انقضى، وكيدك قد وهي. وسوف يستبين لمن تكون العاقبة العليا. واعلم أنّك (إنّما) تكايد ربك الذي قد أمنت كيده، وأيست من روحه. وهو لك بالمرصاد، وأنت منه في غرور، وبالله وأهل رسوله عنك الغناء، والسلام على من اتبع الهدى (وقعة صفين: ص ١١٨). فكتب إليه معاوية: بسم الله الرحمن الرحيم من معاوية بن أبي سفيان إلى الزاري على أبيه محمد بن أبي بكر؛ سلام على أهل طاعة الله. أمّا بعد، فقد أتاني كتابك، تذكر فيه ما الله أهله في قدرته وسلطانه، وما أصفى به نبيّه، مع كلام ألفته ووضعت، لرأيك فيه تضعيف، ولأبيك فيه تعنيف. ذكرت حقّ ابن أبي طالب، وقديم سوابقه وقرباته من نبيّ الله ﷺ، ونصرت له ومواساته إيّاه في كلّ خوف وهول، واحتجاجك على بفضل غيرك لا بفضلك. فأحمد إلهاً صرف الفضل عنك وجعله لغيرك. وقد كنّا وأبوك معنا في حياة من نبينا ﷺ نرى حقّ ابن أبي طالب لازماً لنا، وفضله مبرزاً علينا، فلمّا اختار الله لنبيّه ﷺ ما عنده، وأتمّ له ما وعده، وأظهر دعوته وأفلج حجّته. قبضه الله إليه، فكان أبوك وفاروقه أول من ابتزّه وخالفه. على ذلك اتّفقا واتّسقا، ثمّ دعوا إلى أنفسهم فأبطأ عنهما وتكأ عليهما، فهما به





الهموم، وأرادا به العظيم، فبايع وسلم لهما، لا يشركانه في أمرهما، ولا يطلعانه على سرهما، حتى قبضا وانقضى أمرهما. ثم قام بعدهما ثالثهما عثمان بن عفان، يهتدي بهديهما، ويسير بسيرتهما، فعبتة أنت وصاحبك، حتى طمع فيه الأفاصي من أهل المعاصي، وبطنتما له وأظهرتما، (وكشفتما) عداوتكما وغلكما، حتى بلغتما منه منا كما. فخذ حذرك يا ابن أبي بكر، فسترى وبال أمرك. وقس شبرك بفترك تقصر عن أن تساوي أو توازي من يزن الجبال حلمه، (و) لا تلين على قسر قناته، ولا يدرك ذو مدى أناته. أبوك مهّد مهاده، وبنى ملكه وشاده، فإن يكن ما نحن فيه صواباً فأبوك أوله، وإن يك جوراً فأبوك أسسه، ونحن شركاؤه، وبهديه أخذنا، وبفعله اقتدينا. ولولا ما سبقنا إليه أبوك ما خالفنا ابن أبي طالب وأسلمنا له، ولكنّا رأينا أباك فعل ذلك فاحتدينا بمثاله، واقتدينا بفعله. فعب أباك ما بدا لك أو دع، والسلام على من أناب، ورجع عن غوايته وتاب... (وقعة صفين: ص ١١٩).

أقول: وهذه شهادة ممن رأى مظالم الثلاثة، وكان شريكاً لهم في كلّ خيانة وجناية وحذى حذوهم، واقتدى بفعلهم، وأقرّ صريحاً بأنّ أساس مخالفتهم، وبنیان طغيانهم مع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ليس إلا من سبقه من الطغاة البغاة الفجرة خذلهم الله. وإنّ المصادر السنّة فيها استعراض واسع لأعمال الخلفاء الثلاثة وأقوالهم المخالفة للقرآن والسنة النبويّة وتلاعبهم بالدين والأحكام الشرعيّة، وعلى سبيل المثال نحن نذكر هنا جملة يسيرة من تلك المخالفات الكثيرة للدين الحنيف، فمن تلك المخالفات مخالفة أبي بكر للقرآن والسنة النبويّة في منع صديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام فذكاً، رغم أنّ النصوص العديدة أكّدت على أن فذك كانت نحلة للزهراء عليها السلام، وأنّ النبي صلى الله عليه وآله قد أعطها إياها خالصة قبل وفاته. فقد أخرج الهيثمي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: لما نزلت ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام فأعطها فذك (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج ٧: ص ٤٩)، ورواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٧: ص ٤٩، وابن كثير في تفسيره ج ٣: ص ٣٩، والسيوطي في الدر المنثور ج ٤: ص ١٧٧، والشوكاني في فيح القدير ج ٣: ص ٢٢٤، وغيرهم. ولذلك قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في رسالته





إلى عثمان بن حنيف: «بلى كانت في أيدينا فذك من كل ما أظنته السماء فشحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٥: ص ٩٩). ففي هذا الكلام لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام دلالة واضحة على أن فذك كانت في أيديهم ملكاً، لأن اليد إمارة على الملكية. ولكن غضبها أبو بكر رغم هذه الملكية. وعليه فما ادّعاه أبو بكر من أن الأنبياء لا يورثون، ممّا يعني أنها كانت ميراثاً لها في غير محلّه، وباطل بالنصوص التي أخرجها الفريقين. وعلى فرض الإغماض بأن يكون فذك إرثاً، فإنّ منع فاطمة عليها السلام فذكاً أيضاً كانت مخالفة صريحة من أبي بكر للنصّ القرآني. وقد احتجّت الزهراء عليها السلام على أبي بكر في خطبتها المعروفة قائلًا: «يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟! لقد جئت شيئاً فريباً، أفعلني عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾، وقال فيما اقتصّ من خبر يحيى بن زكريّا، إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾؟» ثمّ قالت: «أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمّي؟! فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشر، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد صلى الله عليه وآله والموعود القيامة وعند الساعة ما تخسرون ولا ينفعكم إذ تندمون»، ثمّ رمت بطرفها نحو الأنصار وقالت: «يا معشر الفتية وأعضاء الملة وأنصار الإسلام ما هذه الغمزة في حقّي، والسنة عن ظلامي؟» (انظر تاريخ يعقوبي ج ٢: ص ١٢٧). ثمّ إنّ أبا بكر لم يكتفه بمخالفة النص في غضب فذك، بل خالف سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله فيما أغضب فاطمة الزهراء عليها السلام، لأنّ صريح الروايات من أهل السنّة دالة على أنّ غضب فذك من الزهراء عليها السلام صار سبباً لسخط الزهراء عليها السلام وغضبها (انظر صحيح البخاري ج ٥: ص ٨٢ كتاب المغازي، باب غزوة خيبر). فإنّ أبا بكر أغضب فاطمة الزهراء عليها السلام مع علمه بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال في شأنه: «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني» (انظر صحيح البخاري ج ٤: ص ٢١٠ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم). من أغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وآذاه فقد أغضب الله عزّ وجلّ، وهذا ما أقرّت به عائشة حينما قالت للنبي صلى الله عليه وآله: من أغضبك يا رسول الله أدخله الله النار (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ٦: ص ١٧٥). وروى ابن ماجه عن عائشة أيضاً أنّها





رأت الغضب في وجه رسول الله ﷺ فقالت: من أغضبك؟ أغضبه الله (سنن ابن ماجه ج ٢: ص ٩٩٣).

ومنها: مخالفة الخلفاء الثلاثة للقرآن والسنة النبوية في منعهم تدوين حديث رسول الله ﷺ، فقد أبو بكر أحاديث رسول الله ﷺ التي جمعت في عهده (انظر تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١: ص ٥، والرياض النضرة للمحب الطبري ج ٢: ص ١٤٤، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج ٢: ص ٦٠١، وكتاب حجة السنة لعبد الغني عبد الخالق: ص ٣٩٤ وغيرهم). والغاية من ذلك عدم إنتشار أحاديث رسول الله ﷺ عند الصحابة وغيرهم من المسلمين الذين كانوا يتلهفون لمعرفة سنة نبيهم ﷺ! وتابعه عمر متوخياً نفس السياسة بأسلوبه المعروف بالشدّة والغلظة، فهذد وتوعّد وضرب من خالف منع تدوين الحديث!! (انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٥: ص ١٤٢ في ترجمة القاسم بن محمّد، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج ٥: ص ٥٩، والمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج ١: ص ١٩٣، والمعجم الأوسط للطبراني ج ٢: ص ٣٣٠ وغيرهم). والحقيقة أنّ منع كتابة الحديث من أبي بكر وعمر وعثمان ومن تابعهم كان من أجل عدم انتشار أحاديث الإمامة التي كانت نصّاً جلياً في إمامة أئمة أهل البيت ﷺ. حيث أنّهم كانوا يعلمون أنّ القرآن الكريم يحتاج إلى تفسير. فوجدوا أنّ باب التفسير والتأويل بحسب مشتهاهم مفتوحة، لأنّ كتاب الله ذو وجوه كثيرة، أمّا السنة النبوية فلا يجد أحد عنها محيصاً.

ومنها: مخالفة أبي بكر وأتباعه لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ في قتل المسلمين الأبرياء كمالك بن نويرة الصحابي الجليل، الذي قال ابن الأثير في ترجمته: مالك بن نويرة المقتول المزني بزوجه في نفس الليلة ما يلي... إلّا أنّه لم تظهر عليه ردّة (يقصد مالك بن نويرة الصحابي الجليل) وأقام بالطاح، فلمّا فرغ خالد من بني أسد وغطفان سار إلى مالك وقدم البطاح، فلم يجد به أحداً، كان مالك قد فرّقهم ونهاهم عن الاجتماع (لو كان مالك مرتدّاً فعلاً لأعدّ العدة لقتال خالد) (انظر أسد الغابة ج ٤: ص ٢٩). وذكر المؤرّخون: أنّه لمّا قدم خالد بن الوليد البطاح بث سراياه، فأتى بمالك بن نويرة ونفر من قومه. فاختلفت السرية فيهم، وكان فيهم أبو قتادة، وكان فيمن شهد أنّهم أدّنوا وأقاموا وصلّوا، فحبسهم





في ليلة باردة وأمر خالد فنادى: أدفنوا أسراكم - وهي في لغة كنانة القتل - فقتلوهم (انظر الى مكر خالد وغدره)، فسمع خالد الواعية فخرج وقد قتلوا، فتزوج خالد امرأته، فقال عمر لأبي بكر: سيف خالد فيه رهق وأكثر عليه، فقال أبو بكر: تأول فأخطأ ولا أشيم سيفاً سلّه الله على المشركين، وودى مالكا، وقدم خالد على أبي بكر فقال له عمر: يا عدوّ الله قتلت امرأة مسلماً ثم نزوت على امرأته، لأرجمنك وأبو قتادة يشهد أنّهم أذّنوا وصلّوا، وأبو بكر يردّ السبي ويعطي دية مالك من بيت المال (انظر تاريخ الطبري ج ٢: ص ٥٠٤، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٢: ص ٢٥٩، وأبو الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ج ١٥: ص ٢٠٣، وتاريخ الاسلام للذهبي ج ٣: ص ٣٦ وغيرهم). فقد أجمع المؤرّخون على أنّ مالكا كان من المسلمين غير أنّه امتنع عن إعطاء الزكاة للسلطة الجائرة لعدم وثوقه بخلافة أبي بكر حتّى ورد أنّ عمر الذي كان معروفاً بالغلظة، قال له: يا أبا بكر، كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتّى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله عصم منّي ماله ونفسه إلا بحقّه وحسابه على الله (انظر صحيح البخاري ج ٢: ص ١١٠ كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة). والملفت للنظر أنّ في هذه القصة اعتراف ضماني من أبي بكر على أنّ عمله كان مخالفاً للسنة النبويّة، إذ أنّه دفع دية مالك من بيت المال واعتذر عن قتله بعد ذلك، والمرتد لا يعتذر عن قتله (انظر الإصابة لابن حجر العسقلاني ج ٥: ص ٧٥٥، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج ١: ص ٣٦٦).

ومنها: مخالفة أبي بكر لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ في عدم إقامته الحدّ على خالد بن الوليد بعد قتله مالك بن نويرة وزنى بزوجه من ليلته، وعندما وصل خبر ذلك إلى أبي بكر لم يجري عليه القصاص ولم يقيم عليه حدّ الزاني ولم يضربه حدّ المفترى ولم يعزّره تعزير المعتدي على ما ملكته أيدي المسلمين! بل وقد دافع عنه دفاعاً حتّى اعترض عليه جلاوزته، بل أنّه غضب على بعض الصحابة الذين أنكروا على خالد (انظر الإصابة لابن حجر ج ٥: ص ٧٥٥، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج ١: ص ٣٦٦، وتاريخ الطبري ج ٣: ص ٢٧٨، وتاريخ أبي الفداء ج ١: ص ٢٢١، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٢: ص ٣٥٨ وغيره).





ومنها: مخالفة أبي بكر لسنة رسول الله، بأمره بإحراق فجاءة السلمى بالنار وقد قال رسول الله ﷺ «لا يعذب بالنار إلا رب النار» (انظر سنن أبي داود ج ٢: ص ٤٠٥، ومجمع الزوائد للهيتمي ج ٦: ص ٢٥١، ومسند أحمد بن حنبل ج ٢: ص ٤٩٤ وغيرهم).

ومنها: مخالفة عمر للكتاب والسنة في بدعة صلاة التراويح، مع اعترافه بأنها بدعة في الدين (صحيح البخاري ج ٢: ص ٢٥٢ كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان). وقد أخرج أصحاب الصحاح والسنن في باب نوافل الليل، «إن خير صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة»، فروى البخاري في صحيحه بسنده عن زيد بن ثابت قال: احتج رسول الله ﷺ بحجيرة مخضفة أو حصيراً، فخرج رسول الله ﷺ يصلي إليها فتتبع إليه رجال وجاؤا يصلون بصلاته، ثم جاؤوا ليلة فحضروا وأبطأ رسول الله ﷺ عنهم فلم يخرج إليهم فرفعوا أصواتهم وحصبوا الباب، فخرج إليهم مغضباً فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما زال بكم صنعكم حتى ظننت أنه سيكتب عليكم فعليكم بالصلاة في بيوتكم، فإن خير صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة» (صحيح البخاري ج ٧: ص ٩٩ كتاب الأدب، باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله عز وجل). وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً» (صحيح مسلم ج ٢: ص ١٨٧ كتاب الصلاة، باب استحباب النافلة في البيت وجوازها في المسجد). وإلى غير ذلك من الروايات التي تدل على أن رسول الله ﷺ كان يؤكد على الإتيان بصلاة النوافل عموماً في البيوت؛ لأن هذا الأمر أقرب للإخلاص وأدعى للقبول، بل قد نهى رسول الله ﷺ عن صلاة النوافل جماعة لما رأى بعض الأصحاب يصلون خلفه خلصةً، ووجههم إلى إخفاء النوافل وعدم تشريع الجماعة فيها كما سيأتي بيانه إن شاء الله في محله.

ومنها: مخالفة أبي بكر لسنة الرسول ﷺ وتغييره لها في الطلاق من الثلاث إلى الواحدة، فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن ابن عباس قال: كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطاب: إن الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم (انظر صحيح



مسلم ج ٤: ص ١٨٤ كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم امراته ولم ينو (الطلاق). وبهذا غير عمر سنة رسول الله ﷺ وخالف الكتاب، حيث يقول الله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ... تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (سورة البقرة: ٢٢٩). وفَسَّرَت هذه الآية بأن المرأة لا تحرم على زوجها إلا بعد ثلاث تطليقات، ولكن عمر بن الخطاب تجاوز حدود الله بحكمه أن طلقة واحدة بلفظ الثلاثة توجب حرمة الزوجة على الزوج، فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن ابن عباس قال: طَلَّقَ رَكَاةَ بَنِ عَبْدِ يَزِيدَ أَخُو بَنِي مُطَّلَبٍ امْرَأَتَهُ ثَلَاثًا فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ فَحَزَنَ عَلَيْهَا حَزْنًا شَدِيدًا، قَالَ: فَسَأَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ طَلَّقْتَهَا؟» قَالَ: طَلَّقْتُهَا ثَلَاثًا، قَالَ: فَقَالَ: «فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنَّمَا تِلْكَ وَاحِدَةٌ فَارْجِعْهَا إِنْ شِئْتَ»، قَالَ: فَارْجِعْهَا فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَرَى إِنَّمَا الطَّلَاقُ عِنْدَ كُلِّ (مسند أحمد بن حنبل ج ١: ص ٢٦٥). وفي رواية أَنَّ رَجُلًا طَلَّقَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثًا فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَضَبًا وَقَالَ: «يَلْعَبُ بِكِتَابِ اللَّهِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ» (انظر سنن النسائي ج ٦: ص ١٤٢). وإلى غير ذلك من مخالفاتهم لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. وعليه كيف يمكنهم القول بخلافة خلفائهم الثلاثة مع وجود المطاعن الكثيرة فيهم؟! فلاحظ.

(١) لا يخفى على الباحث الخبير أنَّ من الشرائط المعتمدة في الإمامة والخلافة عند أهل السنة، العلم بالكتاب والسنة النبوية، أي: لا بدَّ أن يكون الخليفة والإمام عالماً بالمسائل الشرعية والدينية، فلا تصحَّ إمامة الجاهل، ومع ذلك فقد اعترف كبار علمائهم بجهل خلفائهم وعدم لياقتهم بمقام الخلافة والإمامة. أمَّا اعتبار العلم بالكتاب والسنة في الإمامة، فقد قال الباقلاني في كتابه التمهيد: يشترط أن يكون (الإمام) في العلم بمنزلة من يصلح أن يكون قاضياً من قضاة المسلمين... (انظر التمهيد: ص ١٨١). وقال عبد القاهر البغدادي: قال أصحابنا إنَّ الَّذِي يصلح للإمامة ينبغي أن يكون فيه أربعة أوصاف: أحدها: العلم؛





وأقل ما يكفيه منه أن يبلغ فيه مبلغ المجتهدين في الحلال والحرام وفي سائر الأحكام... (انظر أصول الدين لأبي منصور البغدادي: ص ٢٧٧). وقال أبو الحسن البغدادي الماوردي: الشروط المعتبرة في الإمامة سبعة: أحدها: ... الثاني: العلم المؤدي إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام... (انظر الأحكام السلطانية: ص ٦). وقال ابن حزم: يشترط فيه أمور: أن يكون عالماً بما يلزمه من فرائض الدين... (انظر الفصل ج ٤: ص ١٨٦). وقال القاضي سراج الدين الأرموي: صفات الأئمة تسع، أحدها: أن يكون مجتهداً في أصول الدين وفروعه... (انظر مطالع الأنوار: ص ٤٧٠). وقال التفتازاني: قد ذكرنا في كتبنا الفقهية أنه لا بد للأئمة من إمام يحيي الشريعة ويُقيم السنة وينتصف للمظلومين ويستوفي الحقوق ويضعها مواضعها، ويشترط أن يكون مكلفاً مسلماً عدلاً حراً ذكراً مجتهداً شجاعاً... (انظر شرح المقاصد ج ٢: ص ٢٧١). وقال الفضل بن روزبهان: وشروط الإمام أن يكون مجتهداً في الأصول والفروع ليقوم بأمر الدين... (انظر دلائل الصدق ج ٢: ص ٤). وإلى غير ذلك من أقوالهم في هذا المجال، فمع اختلافهم في بيان حد العلم فقد اتفقوا في اشتراط العلم في الإمام، وأن يكون هذا الشرط بمنزلة من يصلح أن يكون خليفة للمسلمين. ولكن عندما يأتون إلى تطبيق هذا الشرط على الخلفاء الثلاثة، بل على جميع خلفائهم سوف تراهم يقولون: لم نعهد لهم نبوغ في علم، أو تقدمهم على سائر الناس، وقد روي في هذا المجال روايات كثيرة بالنسبة إلى جهل الخلفاء الثلاثة بالقرآن الكريم والسنة النبوية والأحكام الشرعية، وعلى سبيل المثال فقد روى كبار علماء أهل السنة بأسناد صحيحة أن رجلاً جاء إلى أبي بكر فسأله عن تفسير قوله تعالى: ﴿وَفَاكَّهُهُ الْآبَاءُ﴾، فقال أبو بكر: أي سماء تظلني أو أي أرض تقلني إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم؟ (انظر تفسير القرطبي ج ١: ص ٢٩، وأصول التفسير لابن تيمية في المقدمة: ص ٣٠، والكشاف للزمخشري ج ٣: ص ٢٥٣، وتفسير ابن كثير ج ١: ص ٥، أعلام الموقعين لابن القيم: ص ٢٩، وتفسير الخازن ج ٤: ص ٣٧٤، وتفسير النسفي في هامش تفسير الفخر الرازي ج ٨: ص ٣٨٩، والدر المنثور للسيوطي ج ٦: ص ٣١٧، وفتح الباري لابن حجر ج ١٣: ص ٢٣٠، وتفسير ابن جزي الكلبي ج ٤: ص ١٨٠ وغيرها من المصادر). فكيف يغيب هذا المعنى البسيط عن الخليفة العربي



القحّ الذي لا يحتاج إلى معرفة أكثر من معرفة اللغة العربيّة. فعدم معرفته لأبسط الأشياء دليل على جهله بأمور، فكيف بأكبر وأهمّ من كلمة الأب الذي عجز عن معرفته؟! وهناك روايات أخرى في جهل الخليفة لم نذكرها للاختصار وللباحث أن يراجع كتاب الغدير للعلامة الأميني رحمته الله ج ٧: ص ١٠٣-١٩٩، كما أخرج كبار علماء أهل السنّة الروايات الكثيرة في جهل الخليفة الثاني عمر بن الخطّاب بالقرآن الكريم والسنّة النبويّة، فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبيه عن رجلٍ أتى عمر فقال: إنني أجنت فلم أجد ماء، فقال: لا تصلّ، فقال عمّار: أما تذكر يا أمير المؤمنين أذاً وأنت في سرية فأجنبنا فلم نجد ماء، فأما أنت فلم تصلّ وأما أنا فتمعّكت في التراب وصلّيت فقال النبي صلّى الله عليه وآله: «إنما كان يكفيك أن تضرب بيدك الأرض ثم تنفخ ثم تمسح بهما وجهك وكفّيك»، فقال عمر: اتّق الله يا عمّار، قال: إن شئت لم أحدث به (صحيح مسلم ج ١: ص ١٩٣ كتاب الطهارة، باب التيمم). والآية الكريمة تبين هذه الحقيقة بأجلى الوضوح فقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ (سورة النساء: ٤٣). فكيف يفسّر عمر الآية الكريمة وما مدى علمه بها؟! وكيف لا يعرف الخليفة عمر بن الخطّاب حكم الجنبات؟ وكيف يمكن للمسلمين أن يعرفوا تفسير القرآن مع أنّ خليفته يكون جاهلاً به؟ والأمثلة على جهل عمر بالقرآن كثيرة وكثيرة، وهناك روايات كثيرة أخرجها كبار علماء أهل السنّة بطرق صحيحة عن في جهل عمر بن الخطّاب وقد أخرج بعضها العلامة الأميني رحمته الله في كتابه الغدير في باب سمّاه نوادر الأثر في علم عمر وهي مائة نادرة (انظر الغدير للعلامة الأميني ج ٦: ص ٨٣-٣٣٣). وكما أخرج الروايات الكثيرة في جهل عثمان بطرق صحيحة عن كبار علماء أهل السنّة (انظر الغدير ج ٩: ص ٦٥-٣٩٧). وأيضاً أخرج كبار علماء أهل السنّة الروايات الكثيرة الدالة على جهل الخليفة الثالث عثمان بالقرآن الكريم والسنّة النبويّة والأحكام الشرعيّة؛ فقد





أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما بسندهما عن عطاء بن يسار: إن زيد بن خالد الجهني أخبره أنه سأل عثمان بن عفان قال: قلت أرأيت إذا جامع الرجل امرأته ولم يمن؟ قال عثمان: يتوضأ كما يتوضأ للصلاة ويغسل ذكره. قال عثمان: سمعته من رسول الله ﷺ (انظر صحيح البخاري ج ١: ص ٧٦ كتاب الطهارة، باب غسل ما يصيب من رطوبة فرج المرأة، وصحيح مسلم ج ١: ص ١٨٤ كتاب الطهارة، باب نسخ الماء من الماء ووجوب الغسل بالتقاء الختانين). فمن أوليات الفقه في باب الطهارة وجوب الاغتسال بعد الجماع لكن الخليفة عثمان لم يعرفه، وهذا علم الخليفة بالقرآن، ألم يقرأ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ (سورة النساء: ٤٣)؛ يبدو أن الخليفة لم تمر هذه الآية عليه من قبل، وهذا يعني أن الخليفة طوال عمره كان يغتسل فقط إذا أمني بعد الجماع، أما في غيرها عند الجماع وعدم الإنزال أو عدم خروج المنى فإنه لم يغتسل!! ماذا يقول طلبة العلوم الدينية وهم في صفهم الأول عند سماعهم مثل هذه الرواية في رجل ما؟! لا شك أن سعييون عليه جهله بالأحكام ويسخرون منه، فكيف إذا كان القائل هو الخليفة الثالث عثمان؟! وكذلك ما ورد من أن عثمان كان لا يعرف عدة المطلقة والأرملة، من المعروف في الفقه أن المرأة التي يموت عنها زوجها أو تتطلق منه تنتظر ثلاث حيضات بعد فراقه ثم يحق لها الزواج من غيره، ولكن عثمان على خلاف ما أنزل الله قال: أن المرأة تتزوج بلا عدة! فقد أخرج البيهقي بسنده عن نافع أن ربيع (امرأة) خلعت (انفصلت وطلقت) زوجها، فقال عثمان مجيباً عبد الله بن عمر: تنتقل ولا ميراث لها ولا عدة إلا أنها لا تنكح حتى حيضة خشية أن يكون بها حمل! فقال عبد الله بن عمر: عثمان خيرنا وأعلمنا (انظر سنن البيهقي ج ٧: ص ٤٥٠). فالحديث نص صريح في أن عثمان أفتى بفتوى يخالف فيها القرآن والسنة النبوية والشرع الأقدس، فالآية القرآنية من سورة البقرة تقول: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ





يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَعُولُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا لَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» (سورة البقرة: ٢٨٨). فحسب النص الصريح في هذه الآية الكريمة أنَّ المطلقة لا بدَّ أن تنتظر ثلاث قروء أي ثلاث حيضات بعد فراق زوجها ثمَّ يحقَّ لها بعد ذلك أن تتزوَّج؛ فكيف جعل عثمان العدة حيضة واحدة والقرآن يقول: ثلاث قروء!!! ألم يقرأ الخليفة هذه الآية القرآنية قبل أن يحكم هذا الحكم الارتجالي؟ بلا شكَّ أنه كان لا يعرف سورة البقرة أيضاً، وما بال ابن عمر يحمده على ذلك الجواب المخالف للقرآن، ياللعجب!!! وقد روى مالك في الموطأ بسنده عن قبيصة بن ذؤيب أنَّ رجلاً سأل عثمان بن عفَّان عن الأختين من ملك اليمين، هل يجمع بينهما؟ فقال عثمان: أحلَّتهما آية، وحرَّمتهما آية، فأما أنا فلا أحبُّ أن أصنع ذلك (الموطأ لمالك ج ٢: ص ٥٣٨). سبحان الله، يفتي على خلاف ما أنزل الله! ثمَّ يقول: فأما أنا فلا أحبُّ أن أصنع ذلك! والجواب الصحيح أنَّ الحكم حرام للحرائر وللإماء في الجمع بين الأختين، فأية التحريم تحرم كلَّ المحارم نسبياً وسببياً ورضاعياً ولا تستثني، لكن الخليفة عثمان يجهل الحكم في تلك المسألة البسيطة ويقول برأيه، وليس ذلك فقط، فإنَّه يقول بتناقض القرآن بقوله أحلَّتهما آية وحرَّمتهما آية! وهناك روايات كثيرة في جهل عثمان أخرجها كبار علماء أهل السنة، وقد روى بعضها العلامة الأميني رحمته الله في كتابه الغدير من أصحَّ كتبهم (راجع الغدير ج ٩: ص ٦٣-٣٩٧). فهذه أمثلة من جهل الخلفاء الثلاثة بالقرآن الكريم وبتفسيره والسنة النبوية والأحكام الشرعية. فأين العلم الذي اشترطوه في الإمامة!!! وعليه إذا كان العلم أحد شرائط الإمامة وأنَّ خليفة أهل السنة كان من الجهال، فمن الواضح أن يكون أتباع الخلفاء من أجهل الناس، ولكن مع ذلك أنَّ العصبية العمياء قد دفع ابن تيمية وأتباعه إلى الافتراء على الشيعة. وقد روى الدارمي عن سفيان بن عيينة أنه قال: أجهل الناس من ترك ما يعلم واعلم الناس من عمل بما يعلم (سنن الدارمي ج ١: ص ٩٦). وقد ورد عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال في خطبة له على المنبر: «أيُّها الناس إذا علمتم فاعملوا بما علمتم لعلكم تهتدون، إنَّ العالم العامل بغيره، كالجاهل





الحائر الذي لا يستفيق عن جهله بل قد رأيت أنّ الحجّة عليه أعظم والحسرة أودم»
(الكافي ج ١: ص ٤٥). وقال ابن أبي الحديد: يقال أنّ أجهل الناس من يرضى لنفسه بما
يسخطه من غيره (انظر شرح نهج البلاغة ج ١٩: ص ٢٦٥). فابن تيمية بحسب هذه
النصوص القرآنية والسنة النبوية أجهل الناس وأبعدهم عن الدين، فلاحظ.

(١) لعل هذه العبارة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ
عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا
وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ (سورة الكهف: ٥٧)؛ هذه الآية الكريمة
تحدّث عن مجموعة من أعداء الدين المتعصّبين، الذين كانوا يعرضون عن الحقّ بعد
وضوحه لديهم، والآيات التي كانت بين أيديهم، فتقول الآية: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ
بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾، استخدم تعبير "ذكر" الذي يوحى
إلى أنّ تعليمات الأنبياء ﷺ هي بمثابة التذكير بالحقائق الموجودة بشكل فطري في
أعماق الإنسان، وإن مهمة الأنبياء ﷺ هي رفع الحجب عن نقاء وشفافية هذه الفطرة.
وهذا المعنى ورد في الخطبة الأولى من خطب مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب ﷺ في نهج البلاغة حيث يقول ﷺ: «ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسي
نعمته، ويحتجوا إليهم بالتبليغ، ويشيروا لهم دفائن العقول» (نهج البلاغة: الخطبة رقم ١).
والطريف في الأمر أن الآية الكريمة رسمت ثلاثة مسالك ليقظة هؤلاء وإعادتهم إلى نور
الهداية، وهي، أولاً: أنّ هذه الحقائق تلائم بشكل كامل ما هو مكنون في فطرتكم
ووجدانكم وأرواحكم. وثانياً: أنّها جاءت من قبل خالقكم. وثالثاً: عليكم أن لا تنسوا
أنكم اقترفتُم الذنوب، وأنّ منهاج عمل الأنبياء ﷺ هو فتح باب التوبة من الذنوب
والهداية للصواب. لكن هذه الفئة من الناس لم تؤمن برغم كلّ ذلك: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى
قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾، وبذلك لا تنفع معهم دعوتك: وإن تدعهم
إلى الهوى فلن يهتدوا إذا أبداً. ولا نعتقد أنّنا بحاجة إلى أن نوضح أنّ سبب انعدام قابليّة
←



التشخيص والقدرة والإحساس والسمع لدى هؤلاء، إنما كان من عند الله، ولكن بسبب ما قدّمت يده وبسبب الأعمال التي قاموا بها سابقاً، وهذا هو الجزاء المباشر لأعمالهم ولما كسبت أيديهم. بعبارة أخرى: إنّ الأعمال القبيحة السيئة، والمخزية تحولت إلى ستار وثقل، أي "كنان ووقر" على قلوبهم وآذانهم، وهذه الحقيقة تذكرها الكثير من الآيات القرآنية، إذ نقرأ على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (سورة النساء: ١٥٥). فإنّ هؤلاء الذين أسدل النفاق والكفر على قلوبهم حجب قلوبهم الظلمات والذنوب، وابتعدوا عن رحمة الله، فكانوا يستهزؤون بآيات الله، لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب. فإذا كانت الإرادة الإلهية تقتضي إنزال العذاب بسبب ارتكابهم للذنوب لتحقيق ذلك فوراً. ولكن حيث أنّ البرنامج الإلهية برنامج التربوية، فإنّ الله تعالى يعطي لعباده الفرصة بعد الأخرى، وهو جلّ وعلا لا يعاقب بشكل فوري مثل الجبارين والظالمين، بل إنّ رحمته الواسعة تقتضي دوماً إعطاء أوسع الفرص للمذنبين، لذا فإن الآية التي بعدها تقول: وربك الغفور ذو الرحمة... وعليه فإنّ أظلم الناس هم الذين يعرضون الحقّ بعد ما توجه إليهم وعرفوه حقّ المعرفة ولكن بعد ما عرفوه أنكروه. ومن أبرز مصاديق هذه الآية هو ابن تيمية حيث أنّه عرف الحقّ وجحد به وكان من أبرز مصاديق قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (سورة النمل: ١٤).

(١) لعل الأمر بالتدبر هنا إشارة إلى أنّ العلم من دون العمل لا فائدة له، حيث لو فرضنا أنّ علماء أهل السنة لديهم العلم بالقرآن والسنة النبوية، ولكن خاسرين، لعدم مطابقة عملهم بما يعلمون من الكتاب والسنة، لإنكارهم بما جاء في الكتاب والسنة في باب الإمامة. وكما جاء في الحديث الشريف: «إنّ العالم بلا عمل كشجرة بلا ثمر» (الفردوس بمأثور الخطاب ج ٣: ص ٧٣). وذلك لأنّ العلم بصيرة والعمل به فضيلة. فإنّ البصيرة إنّما تكون منتجة إذا كانت تتبعه الفضيلة، إذ قد يكون الإنسان عالماً بما جاء في الكتاب العزيز





وحافظاً لسنة رسول الله ﷺ ولكنه لم يعمل بعلمه، فهذا الإنسان مذموم بحسب الكتاب والسنة، فقد قال الله تعالى في وصف علماء اليهود الذين كانوا يعلمون التوراة ولكن لم يعملوا بها بقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ (سورة الجمعة: ٥)؛ فإن علماء اليهود كلفوا بالعمل بالتوراة، ولكنهم لم يؤدوا حقها ولم يعملوا بآياتها، فمثلهم الله سبحانه وتعالى بمثل الحمار الذي يحمل أسفاراً، حيث أن الحمار لا يشعر بما يحمل ظهره إلا الثقل سواء كان حمله الكتاب أو الخشب أو الحجر أو غير ذلك. فعلماء اليهود الذين كانوا لا يعملون بعلمهم فمثلهم الله بالحمار الذي يحمل أسفار. ويشمل هذا الخطاب جميع المسلمين الذين يتعاملون بألفاظ القرآن دون إدراك أبعاده وحكمه الثمينة. ثم يقول تعالى: ﴿يُنْسِ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِ اللَّهِ وَآيَاتِ الْيَاسِرِ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، إذ لم يكتفوا بمخالفة القرآن عملاً، بل أنكروه بلسانهم أيضاً، كما قال تعالى في حقهم: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (سورة البقرة: ٨٧)؛ هذه الآية تشير إلى حقيقة هامة وهي: أن الانغماس في الأهواء يبعد الفرد عن الله، ويسدل الحجب على قلبه، فلا تكاد الحقيقة تجد لها طريقاً إلى نفسه، ويصل إلى مرحلة كما تقول الآية: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾، فإنهم يستهزئون بآيات الله ورسوله. فهؤلاء قلوبهم مغفلة، كما قال الله تعالى عن لسانهم: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة البقرة: ٨٨). وكيف يهدي الله الذين لا يريدون السعادة والله تبارك وتعالى يقول: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة آل عمران: ٨٦). وهذا حال المسلمين أيضاً ممن وقف بوجه الرسالة بعد ما تبين له الحقيقة كما قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (سورة البقرة: ٨٩). صحيح أن الهداية شأن إلهي، ولكن ينبغي أن تهياً لها الأرضية اللازمة، وهي الروح التواقة لطلب الحق والبحث



والعجيب العجاب منه شناعةً بهتانه على الشيعة حيث إمامة رجل منهم فيما عدّه من المطالب^(١)،



عنه، وهي أمور يجب أن يهينها الإنسان نفسه، ولا شك أنّ الظالمين يفتقدون مثل هذه الأَرْضِيَّة. وعلى أية حال فإنّ الآيات تعتبر للمسلمين كافّة من أن ينتهوا إلى ما انتهى إليه اليهود فقد شملتهم الرحمة الإلهية ونزل عليهم القرآن الكريم، لا لكي يضعوه على الرفوف يعلوه الغبار، أو يحملوه كما تحمل التعاويذ أو ما إلى ذلك. وقد لا يتعدّى اهتمام بعض المسلمين بالقرآن أكثر من تلاوته بصوت جميل في أغلب الأحيان ويشملهم هذا الخطاب كما شمل ابن تيمية وأتباعه حيث يدعون العلم ولكن سيرتهم جارية على مخالفة الكتاب والسنة النبوية، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ ابن تيمية عدّ بعض علماء مدرسة السقيفة كالحسن البصري وإبراهيم النخعي و...، بأنّ هؤلاء كانوا متقدّمين على الشيعة في العلم. ولكن من الواضح لدى الخبير ادّعائه باطل كبقية دعاويه، لأنّ دراسة العلوم الإسلامية متوقّفة على معرفة علوم القرآن والحديث، وأنّ مفتاح معرفة تلك العلوم بيد من له علم التأويل؛ فمن عنده علم التأويل يكون عالماً حقائق القرآن وأسراره، ولما كانت تلك الحقائق أسراراً إلهية منزلة من عالم القدس والطهارة، فلا بدّ أن تكون النفوس المستلهمة منه والأوعية التي تقع فيها مطهّرة كذلك. فأسرار القرآن وحقائقه أسرار إلهية وحقائق ربّانية، منزلة من عالم القدس والطهارة على النفوس المقدّسة الطاهرة والذوات الشريفة المنزّهة، لقال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (سورة الواقعة: ٧٧-٧٩). وقال تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ * فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ (سورة عبس: ١١-١٦). فمعرفة حقائق القرآن وأسراره إنّما هي في نفوس كاملة وذوات طاهرة من الذنب والمعاصي المعبر عنها بالرجس والخبث كقوله تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ (سورة النور: ٢٦)، وليس هذه النفوس الطاهرة



وهم السابقون أهل مذهبه في التصنيف في العلوم جميعها^(١)،



والذوات الكاملة إلا للأنبياء والرسل، والأئمة الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. ولم يبين القرآن مصداقاً للمطهرين إلا أهل البيت عليهم السلام، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (سورة الأحزاب: ٣٣). فلولا تلك النفوس الزكية لكانت دراسة العلوم والمعارف الإلهية ممتنعة وغير ميسورة جداً. بل لولاهم لحرم جميع المسلمين حتى العرب من الاستفادة من القرآن الكريم والحديث، لأن مصادر المعرفة الدينية الأساسية التي تبنى عليها الثقافة الدينية في مجال العقيدة والفقه والأخلاق لا يمكن معرفتها إلا عن طريق من له علم التأويل، ومن ليس له هذا المقام لا يمكنه تعليم الآخرين. وفي علم المنطق يقولون بأنّ المعرف (بالكسر) يجب أن يكون أجلى من المعرف (بفتح)، فيجب أن يستخدم في معرفة مفاهيم ومعارف القرآن والسنة من له معرفة بهما. وعليه لابد أن تتحقّق التعليم بيد من يكون بينه وبين تلك الحقائق مناسبة وسخية، وعندما أثبتنا أنّ هذا المقام لا يناله إلا أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وجعلهم ورثة علوم الأنبياء عليهم السلام وأن الله عز وجلّ يلهمهم العلم إلهاماً ويفيضة عليهم عليهم السلام فيضاً، بعد كل هذا يجب القول: بأنّ معرفة القرآن والسنة النبوية إنما يتيسر عن طريق أهل البيت عليهم السلام، فهؤلاء الذين لهم الإحاطة التامة بإبعاد المختلفة من معارف القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وعلومهما. وعليه فإنّ تلامذة أئمة أهل البيت عليهم السلام أعرف وأقدم من جميع الناس بجميع علوم القرآن والسنة النبوية فيكونوا مقدّمين على غيرهم، لأنّه بعد ما عرفنا بأنّ علوم القرآن والسنة النبوية متوقّفة على من يعلم ذلك. وثبت بالدليل القطعي بأنّ معارف الدين عند أئمة أهل البيت عليهم السلام، فهم مقدّمون على غيرهم في جميع العلوم والفنون. وعليه فمن ذكره ذكره ابن تيمية من تقدم علماء أتباع السقيفة لا يقبلها عاقل فضلاً عن العالم، فلاحظ.

(١) لا يخفى على الخبير تقدّم علماء الشيعة في العلوم الإسلامية على غيرهم من المذاهب





الإسلامية، ودورهم في تطوير وازدهار العلوم الدينية، وذلك لأن علماء الشيعة أخذوا معارف دينهم من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وهم كانوا يشجعون شيعتهم على تأليف الكتب والرسائل في العلوم الإسلامية، وكانوا يعلمون تلامذتهم وأصحابهم علوم القرآن والحديث، وفي طليعتهم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان من المشجعين للتدوين (انظر كتاب الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع رواية، لعياض بن موسى اليحصبي: ص ١٤٧، وعلوم الحديث لابن الصلاح: ص ١٨١، وتدريب الراوي لجلال الدين السيوطي: ص ٢٨٥، ومعالم العلماء، لابن شهر آشوب: ص ٢، ومؤلفو الشيعة في صدر الإسلام لشرف الدين: ص ١٣). وروى الرازي عن شعبة: إن روايتي التابعين عامر الشعبي عن علي، وعطاء بن أبي رباح عن علي إنما هي من كتاب (انظر كتاب الجرح والتعديل المقدمة، لابن أبي حاتم ج ١: ص ١٣٠). وقال: كان عند أبي هارون العبدى كتاب في علي عليه السلام (انظر كتاب الجرح والتعديل ج ١: ص ١٤٩). واحتمل أن "في علي" مصحفة من "عن علي". وقال أحمد: خلاص بن عمرو البحري، روايته عن علي عليه السلام من كتاب، ويقال: وقعت عنده صحف عن علي عليه السلام (انظر كتاب المراسيل للرازي: ص ٤١). وأما الكتب المنسوبة إليه عليه السلام بعناوينها الخاصة، فهي الأول: كتاب في علوم القرآن (انظر سؤلات الحاكم الدار القطني: ص ٢٠٣، والمراسيل للرازي: ص ٤١، وجامع التحصيل للعلاني: ص ١٧٣)، أملاه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فذكر فيه ستين نوعاً من أنواع علوم القرآن، رواه الحافظ أبو العباس، أحمد بن محمد بن سعيد، ابن عقدة بسنده عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام (انظر بحار الأنوار ج ٩٣: ص ٣)، ورواه جمع من كبار الطائفة فنسب إليهم وقد أورد المحدث المجلسي نصه الكامل في كتاب (انظر بحار الأنوار ج ٩٣: ص ١-٩٧). وفيه تقسيم أنواع القرآن: أنه قد أُملى ستين نوعاً من أنواع علوم القرآن، وذكر لكل نوع مثلاً يخصه، وذلك في كتاب ورد عن عدة من الطرق (انظر بحار الأنوار ج ٩٠: ص ٣، ووسائل الشيعة ج ١٨: ص ١٤٧ ح ٦٢، ومستدرک السفينة ج ٨: ص ٢٠٠). وهو موجود بأيدينا إلى اليوم، وهو الأصل لكل من كتب في أنواع علوم القرآن (انظر بحار الأنوار ج ٩٠: ص ١-١٤٥). فإن هذا سند وثيق بأيدينا، والباحث





عندما يلاحظه ويطابقه مع الكتب المؤلفة في علوم القرآن يجد بوضوح انسجاماً متشابكاً بينه وبين تلك الكتب في جميع أنواع الدراسات من علوم القرآن. وأول مصحف جُمع فيه القرآن على ترتيب النزول بعد وفاة رسول الله ﷺ، هو مصحف الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والروايات في ذلك من طريق أهل البيت عليه السلام متواترة (انظر انظر كتاب سليم بن قيس: ص ١٤٦ ح ٢، وبصائر الدرجات للصفار: ص ٢١٤ ح ٥، والكافي ج ١: ص ٦٢ ح ١، والمسائل السرورية للشيخ المفيد عليه السلام: ص ١٣١، وإكمال الدين: ص ٣٧، والاحتجاج للطبرسي: ص ٩٨ وص ١٠٧، وص ٢٧٨، وص ٣٧٠، وج ٢: ص ٦، وتفسير القمي ج ٢: ص ٤٥١، وبحار الأنوار ج ٨٩: ص ٤٠-٥٠، والمناقب لابن شهر آشوب ج ٢: ص ٤٠-٤١، ووسائل الشيعة ج ١٨: ص ١٥٣ ح ١، وكتاب الأربعين لمحمد طاهر القمي: ص ٢٣٨، ونور البراهين للسيد نعمه الله الجزائري ج ١: ص ٥٢٥، ومؤلفو الشيعة في صدر الإسلام لشرف الدين: ص ١٣، وآلاء الرحمن للبلاغي ج ١: ص ١٨، والبيان للإمام الخوئي: ص ٢٥٧، وتدوين القرآن للكوراني: ص ٣٣٩ وغير ذلك). ومن طرق أهل السنة مستفيضة (انظر المصنف للصنعاني ج ٥: ص ٤٥٠ ح ٩٧٦٥، وكنز العمال ج ٢: ص ٥٨٨ ح ٤٧٩٢، وج ١٣: ص ١٢٧ وص ٣٨ ح ٢٧، وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٣٩٨، والتسهيل لعلوم القرآن لابن جزري الكلبي ج ١: ص ٤، والفهرس لابن النديم: ص ٤٤ في الفن الثالث من المقالة الأولى، والإتقان في علوم القرآن ج ١: ص ١٨١ في النوع الثامن عشر، وغير ذلك). كما كتب مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أحاديث رسول الله ﷺ بخطه ياملأه، وجمعت هذه الأحاديث في كتاب كبير سمي بكتاب علي عليه السلام (لاحظ كتاب علي عليه السلام: ص ٢). وقد قيل في ذلك أنه "أول كتاب في الإسلام" (انظر الذريعة للشيخ آغا بزرك الطهراني ج ٢: ص ٣٠٦). فالإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أول من دون علوم القرآن والحديث في مدرسة أهل البيت عليه السلام بأمر من رسول الله ﷺ، حيث كتب الصحيفة التي علقت بقراب سيف رسول الله ﷺ (انظر وسائل الشيعة ج ١: ص ٦٠). وتدل النصوص على أن الإمام عليه السلام قد ألف كتباً كثيرة؛ روي الصفار بسنده عن عبد الملك بن أعين، قال: أراني أبو جعفر عليه السلام بعض كتب علي عليه السلام، ثم قال لي: «لأي





شيء كتب هذا الكتاب؟» قلت: ما أبين الرأي فيها! قال: «هات». قلت: علم أن قائمكم يقوم يوماً فأحب أن يعمل بما فيها. قال: «صدقت» (انظر بصائر الدرجات: ص ١٨٢). كتاب السنن والقضايا والأحكام كتاب كبير حوى أبواب العلم، وفقه الشريعة المقدسة، ومنها ما قضى به الإمام عليه السلام في الحوادث الخاصة، وكما يبدو من اسمه فإن فيه السنن والآداب الشرعية، والعبادات من الطهارة والصلاة والصوم والحج والزكاة، والأقضية والحدود والديات، وأبواب المعاملات من البيوع، وغيرها. وقد روى هذا الكتاب جمع من أصحاب الإمام عليه السلام، تارة بعنوانه العام، وأخرى بعنوان باب من أبوابه (لاحظ مؤلفو الشيعة في الإسلام، للسيد شرف الدين رحمه الله: ص ١٨، وأعيان الشيعة ج ١: ص ٤٠٤، وترجمة الجلودي في رجال النجاشي: ص ٢٤١ رقم ٦٤٠). ونورد هنا قائمة بأسماء من رواه، أو روى قسماً منه، مع ذكر كتبهم ومحل رواياتهم: الأول: عن عمر بن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، روى عن أبيه هذا الكتاب كاملاً (انظر رجال النجاشي: ص ٧ ذيل الرقم ٢). الثاني: أبو رافع مولى النبي صلى الله عليه وآله، وصاحب بيت مال الإمام عليه السلام روى الكتاب عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كاملاً ورواه عنه ابنه عبيد الله بن أبي رافع، كاتب الإمام عليه السلام (انظر رجال النجاشي: ص ٦ الرقم ١، وتاريخ بغداد ج ٨: ص ٤٤٩). روى الكتاب عن أبيه عن الإمام عليه السلام، كما يظهر من ترجمة أبيه وغيره (لاحظ رجال النجاشي: ص ٦ الرقم ١، وص ٧ الرقم ٢، ومعرفة علوم الحديث للحاكم: ص ١١٨). وعلي بن أبي رافع، كاتب الإمام عليه السلام: روى الكتاب عن أبيه كاملاً (انظر رجال النجاشي: ص ٦ رقم ٢). الثالث: ربيعة بن سميع روى قسم الزكاة عن أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب كتبه له بخطه لما بعثه على الصدقات (رجال النجاشي: ص ٧، وانظر الكافي ج ٣: ص ٥٣٩ [كتاب الزكاة، باب أدب التصديق] وفيه "زعة بن سبيع" وهو تصحيف)، وانظر الجامع في الرجال للزنجاني ج ١: ص ٧٧). الرابع: محمد بن قيس البجلي، روى قسم القضايا، وقد عرض كتابه على الباقر عليه السلام، فصدق أنه كتاب أمير المؤمنين عليه السلام (انظر رجال النجاشي: ص ٣٢٣). ويعلى بن مرة الثقفي: له نسخة عن الإمام عليه السلام. والحرث بن عبد الله الأعور الهمداني: روى الكتاب كاملاً عن أمير المؤمنين عليه السلام. والأصغر بن نباتة المجاشعي، وعبد الله بن عباس: كان



منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨ ٩١٧
سوى علم البديع لتعاصر المصنّفين منهم ومن أهل مذهبه، فلم يعلم التقدّم
والتأخّر والتقارن^(١).



يَتَّخِذُ صحفًا فيها قضاء عليّ عليه السلام. وميثم بن يحيى التمار: له كتاب، كان متداولاً حتّى القرن السابع الهجري، حيث نقل عنه مباشرة الطبري صاحب كتاب بشارة المصطفى، وعبيد الله بن الحرّ الكوفي، الشاعر، الجعفي: روى عن الإمام عليه السلام نسخة. وغيرهم (انظر الشيعة وفنون الإسلام للسيد حسن الصدر). وهناك كتب كثيرة عن مولانا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد رواها علماء الإسلام، فبدل على أنّ الشيعة وأتباع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هم السابقون على جميع العلوم الإسلامية على علماء المذاهب الإسلامية. وسيُتضح ذلك للقارئ الكريم من خلال المراجعة إلى كتاب تأسيس الشيعة، أو كتاب الشيعة وفنون الإسلام للسيد حسن الصدر عليه السلام، فإنّه قد استوفى البحث في ذلك مفصلاً، فلاحظ.

(١) فإنّ البحث عن معرفة علم البديع وحقيقته ونشأته وتطوره بحثاً طويلاً. ويلزم فيه التحليل العلمي والمقارنة التاريخية للوصول إلى أصحّ البيانات وأشملها. فكانت نتيجة البحث تدلّ على أنّ حقيقة علم البديع عند علماء اللغة وأئمة البلاغة أنّها كانت موجودة في كلام العرب المتقدّمين من حيث التطبيق، وكذلك في القرآن الكريم والحديث الشريف. فكانت النشأة الأولى لعلم البديع من حيث التسمية معروفة عند المحدثين العرب كأبي نواس الحسن بن هانئ. وكانت النشأة الأولى لعلم البديع، من حيث تطبيق الحي في القرآن أجمع، السكاكي، ثمّ الزمخشري، وغيرهم. ذكر أهل الفضا أنّ أوّل من وضعه وأسسّه وصنّف فيه هو أبو عبد الله محمّد بن عمران بن موسى بن سعيد بن عبد الله المرزباني الخراساني البغدادي (الذريعة ج ٢١: ص ٣٦٩ رقم ٥٤٩٩، وهدية العارفين ج ٢: ص ٥٤). فإنّه صنّف فيه كتابه المسمّى بـ"المفصل في علم البيان والفصاحة"، وقال ابن النديم في الفهرست: وهو نحو ثلاثمائة ورقة (انظر الفهرست لابن النديم: ص ٢١٥ في الفن الثاني من المقالة الثالثة). وقال السيوطي: أوّل من صنّف فيه عبد القاهر الجرجاني





(انظر الوسائل في مسامرة الأوائل: ص ١١١ رقم ٨١٢). وأنت خبير بأنّ أبا عبد الله المرزباني توفي سنة ٣٧٨ ثمان وسبعين وثلاثمائة (انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٤: ص ٣٥٥). و وفاة الشيخ عبد القاهر الجرجاني سنة ٤٤٤ أربع وأربعين وأربعمائة (انظر بُغية الوعاة للسيوطي ج ٢: ص ١٠٦ رقم ١٥٥٧). وقد ذكر اليافعي في تاريخه عند ترجمته للمرزباني المذكور: أنّه أخذ عن ابن دريد وابن الأنباري العلوم الأدبية... قال: وهو صاحب التصانيف المشهورة والمجاميع الغريبة، ورواية الأدب وصاحب التأليفات الكثيرة، ثقة في الحديث، قائل بمذهب التشيع، وشعره قليل لكنّه من الجيد. ثمّ نقل قطعة من شعره (انظر مرآة الجنان ج ٢: ص ٤١٨ في وفيات سنة ٣٨٤). وذكره ابن خلكان بعين ما ذكره اليافعي حتّى النصّ على تشيعه (انظر وفيات الأعيان ج ٤: ص ٣٥٤-٣٥٥). ووصفه في كشف الظنون بالعلامة عند ذكره لكتابة أخبار المتكلمين (انظر كشف الظنون ج ١: ص ٢٩، وج ٢: ص ١١٠٦ وص ١٧٣٤). وأيضاً تقدّم على الشيخ عبد القاهر في ذلك من الشيعة، محمّد بن أحمد الوزير ابن محمّد الوزير أبو سعيد العميدي (لاحظ ترجمته في الفهرست لمنتجب الدين: ص ١١٣ رقم ٤٢٥ وص ٤٣١، وأعيان الشيعة ج ٩: ص ٧٠، وجامع الرواة ج ٢: ص ٦٣، ومعجم الأدباء ج ١٧: ص ٢١٢ رقم ٦٨، والوافي بالوفيات ج ٢: ص ٧٥ رقم ٣٨٢، وبُغية الوعاة ج ١: ص ٤٧ رقم ٧٦، وكشف الظنون ج ١: ص ٤٩٩، وهدية العارفين ج ٢: ص ٦٤، والأعلام للزركلي ج ٥: ص ٣١٤، ومعجم المؤلفين ج ٨: ص ٣٠٥). صنّف كتابه "تنقيح البلاغة" (انظر كشف الظنون ج ١: ص ٤٩٩). وذكره منتجب الدين ابن بابويه في فهرست أسماء المصنّفين من الشيعة الإمامية (انظر الفهرست لمنتجب الدين: ص ١٣٣ رقم ٤٢٥). وذكره ياقوت، وقال: نحوي، لغوي، أديب، مصنّف، سكن مصر وتولّى ديوان الإنشاء وعزل عنه، ثمّ ولي ديوان الإنشاء، وصنّف "تنقيح البلاغة" وكتاب "العروض والقوافي" وغير ذلك، مات يوم الجمعة خامس جمادي الآخرة سنة ثلاث وثلثين وأربعمائة (معجم الأدباء ج ١٧: ص ٢١٢ رقم ٦٨). وعليه فإنّ الشيعة مقدّم في هذا العلم أيضاً.

وقد بيّن ذلك بعض معاريف أفاضل عصرنا سدد الله في كتابه الذي سمّاه تأسيس الشيعة^(١)،

(١) وهو من تراث العلامة آية الله السيّد حسن الصدر العاملي الكاظميني رحمته الله من كبار علماء الشيعة وفقهائهم، ومن أبرز تلامذة المجدّد الشّيرازي الكبير رحمته الله، وقد نقل المحدث الشيخ عبّاس القمّي رحمته الله في كتابه الكُنَى والألقاب: وكنت أيام هجرتي العلميّة إلى سامراء وذلك سنة ١٣١٠ أرى المقدّس الميرزا محمّد تقي الشيرازي يبكر في كلّ يوم إلى بيت السيّد حسن الصدر للمباحثة معه، ثمّ ينصرف إلى درسه العام الذي يُلقيه على تلامذته العلماء (انظر الكُنَى والألقاب للشيخ عبّاس القمّي رحمته الله ج ٣: ص ٣٦، في ترجمة القاتاني). وبعد وفاة أستاذه الميرزا الشيرازي رحمته الله لم يلبث السيّد حسن الصدر رحمته الله في سامراء إلاّ عامين، فرجع إلى مسقط رأسه الكاظميّة سنة ١٣١٤ للهجرة، فحطّ الرحال بفناء جدّه باب الحوائج الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، واستأنف نشاطه العلمي. وكان السيّد حسن الصدر رحمته الله قدوةً في العلم والعمل، مرجعاً في أحكام الله تعالى، متبحراً في الأخبار والتاريخ، رأساً في أصول الفقه وعلم الرجال والدراية، راسخ القدم في التفسير. وقد أُوتي بلاغةً في البيان، وجزالةً في العبارة، وبسطةً في المنطق والحكمة، ورسوخاً في الكلام والمحااجة، أمّا في علم الأخلاق فكان بحراً لا ينزف، وخِصْماً لا يُسبر غوره. لم يجد الزمان بمثله في مناظراته دفاعاً عن الدين والمذهب، فقد منّ الله تعالى عليه بنفس طویل في البحث، وبعْد غور في الحجّة، وكان يقتضب جوامع الكلم ونوايغ الحكم. يعلّق السيّد عبد الحسين شرف الدين رحمته الله على هذا الجانب في شخصيّة السيّد الصدر رحمته الله قائلاً: "لم أفتح عيني على مثله، ثبت الغدَر [الأرض الرخوة] في مناظراته دفاعاً عن الدين الإسلاميّ وانتصاراً للمذهب الإمامي، يقطع المبطّل بالحقّ فيرميه بسكاته [أي بما يُسكته]، ويدفعه بأحقاف رأسه فإذا هو زاهق. ولا سمعت أذني بمثله، يقتضب - في إحقاق الحقّ - جوامع الكلم، ونوايغ الحكم، فتكون فصل الخطاب، ومفصل الصواب". وعن منزلته العلميّة، قال معاصره السيّد محسن الأمين في "أعيان الشيعة": "كان عالماً فاضلاً، بهيّ الطلعة، مُتبحراً، مُتنبّهاً، أصوليّاً، فقيهاً، متكلماً، مواظباً على الدرس والتأليف والتصنيف طول حياته، رأيناه



وعاصرناه في العراق". وفي مقدّمته على "تكملة أمل الآمل" للمترجم له، وصفه آية الله المرعشي النجفي رحمته الله، بـ"شيخ الإجازة ومركز الرواية وقطب رَحَاهَا"، بل هو: "أعظم شيخ تدور عليه طبقات الأحاديث العالية في هذا العصر..."، كما في "نزهة الحرمين" للسيد النقوي. زاره الأديب اللبناني أمين الريحاني في بيته، وسجّل في كتابه "ملوك العرب" انطباعه عن هذه الشخصية الفذة بقوله: "زرتُ السيد حسن الصدر في بيته بالكاظميّة، فألفيته رجلاً عظيم الخلق والخلق، ذا جبين رفيع وضّاح، ولحية كثة بيضاء، وكلمة نبويّة... ما رأيتُ في رحلتي العربيّة كلّها من أعاد إليّ ذكر الأنبياء كما يصوّرهم التاريخ ويصفهم الشعراء والفنّانون مثل هذا الرجل الشيعي الكبير، وما أجمل ما يعيش فيه من البساطة والتقشّف! ظننتني - وأنا أدخل إلى بيته - أعبرُ بيتَ أحد خدامه إليه... ووددتُ لو أنّ في رؤسائنا الدينيّين الذين يرفلون بالأرجوان ولا يندر في أعمالهم غير الإحسان، بضعة رجال أمثاله". أمّا تلميذه وابن شقيقته الشيخ مرتضى آل ياسين، فيقول في مقدّمة كتاب "تأسيس الشيعة" الآتي ذكره: "لقد كنت أسمع عن السيد المؤلّف - زمان كان شاباً قويّ العضلات - أنّه كان لا يكاد ينام اللّيل في سبيل تحصيله، كما أنّه لا يعرف القيلولة في النهار، ولكّني بدل أن أسمع ذلك عنه في زمن شبّيته، فقد شاهدتُ ذلك منه بأمّ عيني في زمن شيخوخته. وإنّ مكتبته التي يأوي إليها ليلاً نهاراً، ويجلس هناك يُمناه القلم ويسراه القرطاس، لهي الشاهد الفدّ بأنّ عينيّ صاحبها المفتوحين في اللّيل لا يُطبق أجفانها الكرى في النهار، وإن جاءها الكرى فإنّما يجيئها حثّاً لا يكاد يلبث حتّى يزول..." فكان آية الله السيد حسن الصدر رحمته الله متبحّراً في علوم مختلفة، وله آثار ومؤلّفات متنوّعة في العقائد والفقه والحديث والدراية وعلم الرجال والأصول والتاريخ وغير ذلك، ولعلّ أنّ عدد مصنّفاته يتجاوز من مائة تصنيف؛ منها: كتاب تأسيس الشيعة الكرام لعلوم الإسلام. وأمّا قصّة تأليف هذا الكتاب، فقد كان جرجي زيدان (١٨٦١-١٩١٤م) قد ذكر في كتابه "تاريخ آداب اللغة العربيّة" متحدّثاً عن الشيعة: "أنّ الشيعة طائفة صغيرة لم تترك أثراً يُذكر، وليس لها وجود في الوقت الحاضر". فدفع هذا القول الشيخ آغا بزرك الطهراني رحمته الله (١٨٧٦-١٩٧٠م) ورفيقه في العلم: السيد حسن





الصدر رحمته الله، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء رحمته الله (١٨٧٧-١٩٥٤م) أن يتعاهدوا للرد على هذا الزعم الباطل، فأخذ كل واحد منهم على عاتقه بيان جانب من جوانب الثقافة الشيعية الغنية، والتعريف بالمذهب الإمامي. وتقرر أن يبحث العلامة السيد حسن الصدر رحمته الله في الآثار العلمية لمدرسة أهل البيت عليهم السلام وبيان فضلهم وسهمهم الوافر في تأسيس علوم الإسلام، وظهرت ثمرة هذا البحث في كتابه "تأسيس الشيعة الكرام لعلوم الإسلام"، وطبع بمساعدة الشيخ آغا بزرك سنة ١٣٧٠ للهجرة في ٤٤٥ صفحة. أما الشيخ آغا بزرك رحمته الله فقد ألف موسوعته الشهيرة "الذريعة إلى تصانيف الشيعة" في ٢٥ مجلدًا استوعب فيه مصنّفات الشيعة في شتى أنواع العلوم والفنون. وأما الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء رحمته الله فقد ألف كتاب "أصل الشيعة وأصولها" في بيان عقائد الشيعة في أصولهم وفروعهم. يقول الشيخ آغا بزرك صاحب كتاب "الذريعة" وهو يتحدث عن كتاب "تأسيس الشيعة": "لسيد مشايخنا آية الله السيد حسن صدر الدين الموسوي العاملي الكاظمي [كتاب]... ابتكر [فيه] موضوعاً خصّصه بالتدوين، وأبدع فيه غاية الإبداع، وقرّر فيه بما صحّ من التواريخ والسير، فقدم علماء الشيعة على سائر علماء الإسلام في تأسيس أنواع العلوم الإسلامية، من النحو، والصرف، وعلوم البلاغة، والعروض، واللغة، والكلام، والمعقول، والفقه، والأصول، والتفسير، والأخلاق، وغير ذلك، وأثبت فيه سبقهم في التصنيف والتأليف في تلك الأنواع على من عداهم، وأورد تراجم المؤسّسين وأحوالهم، فذكر بعض القدماء المصنّفين وتصانيفهم...". ولعلّ أهميّة هذا الكتاب من جهة أنّه يتمثّل في جملة خصائص بارزة التي منها: البحث والرصد في مؤلفات الشيعة، من حيث التاريخ وأوّل من صنّف في العلوم الإسلامية، ثمّ تبعه الآخرون في الفهرسة المذكورة. وعلى سبيل المثال الرصد في كتب العلوم القرآنية، وأوّل من صنّف في الإسلام التفسير أو أحكام القرآن، أو غريب القرآن، وغير ذلك. ولا يخفى على الخبير أنّ أمثلة هذا الرصد ليست بأمر يسير، خاصّة أنّه ألف كتابه في زمان لا أثر للطباعة الحديثة، ولا للأجهزة المتوفّرة في هذا العصر للبحث والتحقيق، إذ كانت الطباعة آن ذاك في مجالات محدودة، كما أنّ التوصل إلى المكتبات غير متاحة كما هو حالياً، ولذلك إنّ الرصد





المذهل بهذا الشكل لأوّل كتاب أو لأوّل ضرب من العلوم لا يمكن تصوّره إلّا لمن كان أهل الدقة والتحقيق وأوتي ذكاءً خارقاً. ولما صنّف كتابه تأسيس الشيعة، فقد استقبله العلماء والزعماء، والأفاضل في المراكز العلميّة، وقد طلب منه جماعة من الأفاضل أن يلخّص كتابه ليكون أليق بمرام الموضوع له، فاختصره في كتاب وسماه "الشيعة وفنون الإسلام". وبعد تحقيق هذا الكتاب بتوفيق الله عزّ وجلّ قد طبعه مؤسسة السبطين سنة ١٤٣٧ الهجري القمري.

(١) قال الشيخ آغا بزرك الطهراني في كتابه الذريعة إلى تصانيف الشيعة: كتاب تأسيس الشيعة الكرام لفنون الإسلام لسيد مشايخنا آية الله السيد حسن صدر الدين الموسوي العاملي الكاظمي المولود بها سنة ١٢٧٢، والمتوفى سنة ١٣٥٤، ابتكر موضوعاً خصّصه بالتدوين وأبدع فيه غاية الإبداع وقرّر فيه بما صحّ من التواريخ والسير تقدّم علماء الشيعة على سائر علماء الإسلام في تأسيس أنواع العلوم الإسلاميّة من النحو والصرف وعلوم البلاغة والعروض واللغة والكلام والمعقول والفقه والأصول والتفسير والأخلاق وغير ذلك، وأثبت فيه سبقهم في التصنيف والتأليف في تلك الأنواع على من عداهم، وأورد تراجم المؤسّسين وأحوالهم فذكر بعض القدماء المصنّفين وتصانيفهم وفرغ منه حدود سنة ١٣٢٩، ومع اكتفائه في جميع ذلك عن الكثير باليسير خرج الكتاب في مجلّد ضخم كبير فطولب اختصاره فاستخرج منه لباب المقال في كتابه الموسوم بـ "الشيعة وفنون الإسلام" المطبوع، وقد استخرجت مختصراً من تراجم الرجال المذكورين فيه وسمّيته بـ "الدّر النفيس" في تلخيص رجال التأسيس يأتي (الذريعة ج ٣: ص ٢٩٩). فكتاب تأسيس الشيعة الكرام لفنون الإسلام، قد رتبته آية الله السيد حسن صدر الدين الموسوي العاملي الكاظمي على فصول تجمع العلوم التي تقدمت الشيعة في تأسيسها، وعقد في كل فصل صحائف عديدة، لأوّل من وضع ذلك العلم، ولأوّل من صنّف فيه، ولأوّل من اخترع علماً من فروع ذلك العلم وصنّف فيه، ولأوّل من ابتكر معنى اتبع فيه، ولأوّل من أفرد نوعاً من



منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨ ٩٢٣
وليت شعري ما يفيد أهل مذهبه زهدهم وعبادتهم ونصرة جيوشهم وهم
مخالفون للحقّ خارجون عن الفرقة الناجية^(١).



العلم في التصنيف. وأمثال هذه العناوين، وصحيفة في مشاهير ذلك العلم وأئمة
المتقدمين ذكرتهم على ترتيب الطبقات، الأقدم فالأقدم، لا على ترتيب الحروف، وذلك
لأداء لحقّ لأولئك الكرام، الحائزين قصب السبق في هذا المقام، ضرورة فضل المتقدم
على المتأخر، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الحديث المتواتر بين الفريقين وهو قول النبي ﷺ: «ستفترق أمتي
على ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النار إلا واحدة، وهي الناجية من النار»، فقد أخرج ابن
ماجة في سننه بسنده عن عوف بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «افترقت اليهود على
أحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وسبعون في النار. وافترقت النصارى على اثنتين
وسبعين فرقة، فأحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة. والذي نفس محمد بيده!
لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة واثنان وسبعون في النار» (سنن
ابن ماجه ج ٢: ص ١٣٢٢). وأخرج أبو داود في سننه بسنده عن معاوية بن أبي سفيان: إنّ
رسول الله ﷺ قام فينا فقال: «ألا إنّ من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين
وسبعين ملّة، وإنّ هذه الملّة ستفترق على ثلاث وسبعين، اثنتان وسبعين في النار، واحدة
في الجنة» (سنن أبي داود ج ٤: ص ١٩٧). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة بهذا
المضمون في كتبهم ومصادرهم المعتبرة. وقد أكّد كبار علماء أهل السنّة على صحّة هذا
الحديث وتواتره، قال عبد القاهر البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية:
للحديث الوارد في افتراق الأمة أسانيد كثيرة، وقد رواه عن النبي ﷺ جماعة من
الصحابة... وهذا الحديث حديث ثابت صحيح (انظر الفرق بين الفرق وبيان الفرقة
الناجية: ص ٥). وقال المناوي: أنّه قال جلال الدين السيوطي الشافعي: هذا الحديث
متواتر، ذكره المناوي في كتابه فيض القدير (انظر فيض القدير في شرح الجامع الصغير
ج ٢: ص ٢٧). وقال الكتاني في كتابه نظم المتناثر في حديث المتواتر نقلاً عن السيوطي:





أنّ حديث تفرق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، أخرجه أبو داود، والترمذي، والحاكم، وابن حبان، والبيهقي، وصحّحوه من حديث أبي هريرة وغيره، وعدّه المؤلف من المتواتر (انظر نظم المتناثر في حديث المتواتر: ص ٤٨٤). وإلى غير ذلك ممّا ورد في كتبهم. ولا يخفى على الخبير أنّ الفرقة الناجية لا بدّ وأن تكون مميزة عن جميع الفرق بما يقطع جميع أهل الإسلام بكونها أهل النجاة من النار. وبعبارة أخرى يستفاد من ظاهر الحديث أنّ قوله ﷺ: «ستفترق أمتي...»، أنّ مدار النجاة يوم القيامة ليس الإيمان وقبول الإسلام وحده، لأنّ النبي ﷺ قد استعمل لفظ «أمتي» لجميع الفرق المنتسبة إلى أمته، ومعناه أنّ جميع من آمن برسول الله ﷺ هم من أمته، ولكن ليس كلّ من آمن برسول الله ﷺ هو من الفرقة الناجية. وعليه لا بدّ أن تكون لفرقة الناجية مميزات تعرف بها الفرقة الناجية عن غيرها. ومن هنا يعرف أهميّة كبرى في فهم الحديث. وأمّا معرفة الفرقة الناجية من أمة رسول الله ﷺ لا بدّ أن تكون من خلال القرآن والروايات المتفق عليها بين جميع المسلمين. وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم نجد أنّ الله تبارك وتعالى قد أشار إلى هذه الحقيقة بصورة واضحة وهي قوله تعالى: ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (سورة التغابن: ٨). فمضافاً إلى أنّ الله سبحانه وتعالى أمر الناس بالإيمان بالله ورسوله ﷺ، أمرهم باتباع النور الذي أنزله الله. والمقصود بالنور الذي أنزله الله تعالى هو القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة الأعراف: ١٥٦)؛ فمن الواضح أنّ القرآن الكريم هو النور الذي يهتدى به الناس من ظلمات الضلال إلى نور الهداية الربانية. ثم إنّ معارف القرآن الكريم تحتاج إلى من التبيين من الرسول الأعظم ﷺ كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة النحل: ٤٤) فرسول الله ﷺ كان مبيّناً لكتاب الله عزّ وجلّ. وقد أوصى رسول الله ﷺ





أُمَّتُهُ بِالرَّجُوعِ إِلَى الثَّقَلَيْنِ، فِي حَدِيثِ الثَّقَلَيْنِ الْمَتَوَاتِرِ لِدَى الْفَرِيقَيْنِ. فَقَالَ ﷺ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضَلُّوا بَعْدِي، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ: كِتَابُ اللَّهِ، حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعِزَّتِي أَهْلُ بَيْتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَاَنْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُقُونِي فِيهِمَا» (سنن الترمذي ج ٥: ص ٣٢٩). فَجَعَلَ عِزَّتَهُ الطَّاهِرَةَ عِدْلًا لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَيَعْرِفُ مَنْ خَلَالَ قَوْلِهِ ﷺ: «لَنْ يَفْتَرَقَا»، أَنَّ الْعِتْرَةَ الطَّاهِرَةَ ﷺ كَالْقُرْآنِ مَرْجِعٌ لِهَدَايَةِ النَّاسِ عَلَى نَحْوِ الْإِطْلَاقِ، وَمَعْنَاهُ: أَيُّ فَكَمَا أَنَّ الْقُرْآنَ نَوْرٌ يَهْتَدِي بِهِ النَّاسُ عَلَى نَحْوِ الْإِطْلَاقِ، كَذَلِكَ الْعِتْرَةُ الطَّاهِرَةُ ﷺ كَذَلِكَ هُمُ النُّورُ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَهْتَدِيَ بِهِمُ النَّاسُ. وَمِنْ هُنَا يَعْرِفُ حَقِيقَةُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ، حَيْثُ أَنَّ مَنْ تَمَسَّكَ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْمُتَّفَقَةِ بَيْنَ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِحَدِيثِ الثَّقَلَيْنِ. وَمِنْ خِلَالِ الْحَدِيثِ الثَّقَلَيْنِ يَعْرِفُ أَنَّ الْعِتْرَةَ الطَّاهِرَةَ ﷺ كَالْقُرْآنِ مَرْجِعٌ لِهَدَايَةِ النَّاسِ. فَالْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ هِيَ الَّتِي تَمَسَّكَتْ بِالْقُرْآنِ وَالْعِتْرَةِ الطَّاهِرَةِ ﷺ. مِنْ هُنَا يَعْرِفُ أَنَّ كَلَامَ عِزَّتِهِ الطَّاهِرَةِ ﷺ نَوْرٌ كَالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِهِ النَّاسُ فِي عَقَائِدِهَا وَعِبَادَاتِهَا وَأَحْكَامِهَا وَأَخْلَاقِهَا. وَمِنْ الْوَاضِحِ حَيْثُ أَنَّ الشَّيْعَةَ الْإِثْنِي عَشْرِيَّةً، تَمَسَّكُوا بِالثَّقَلَيْنِ فَهَمُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ فِي كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذْ أَنَّهُمْ تَمَسَّكُوا بِالْقُرْآنِ وَبِإِمَامَةِ الْعِتْرَةِ الطَّاهِرَةِ ﷺ، وَهَمُ آلُ بَيْتِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى ﷺ أُمَّةُ أَهْلِ الْبَيْتِ ﷺ، وَلِذَلِكَ قَالَ عُلَمَاءُ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ الشَّيْعَةَ هُمُ الَّذِينَ يُوَالُونَ الْأُمَّةَ الْإِثْنِي عَشَرَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ ﷺ وَلَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا، وَإِلَيْكَ جَانِبًا مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ:

الأوّل: قال الشهرستاني في كتابه الملل والنحل: الشيعة هم الذين شايعوا علياً عليه السلام على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصّاً ووصيّة، إمّا جليّاً وإمّا خفياً، واعتقدوا أنّ الإمامة لا تخرج من أولاده (انظر الملل والنحل للشهرستاني ج ١: ص ١٤٦).

الثاني: قال ابن منظور في لسان العرب، والفيروزآبادي في القاموس المحيط، والزبيدي في تاج العروس: وقد غلب هذا الاسم (أي الشيعة) على من يتوالى عليّاً وأهل بيته عليه السلام حتّى صار لهم اسماً خاصّاً، فإذا قيل: (فلان من الشيعة) عُرف أنّه منهم (انظر لسان العرب ج ٨: ص ١٨٩، والقاموس المحيط ج ٣: ص ٤٩، تاج العروس ج ٢١: ص ٣٠٣).





الثالث: قال الزهري: والشيعة قوم يهودون هوى عترة النبي ﷺ ويوالونهم (انظر لسان العرب ج ٨: ص ١٨٩، وتاج العروس ج ٢١: ص ٣٠٣).
الرابع: قال ابن خلدون: اعلم أنّ الشيعة لغةً: الصَّحْب والأَتباع، ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على أتباع علي وبنيه ﷺ (انظر مقدّمة ابن خلدون: ص ١٩٦).

الخامس: وجاء عن ابن القيم الجوزية في كتابه الصواعق المرسلّة: الوجه التاسع: إنّ فقهاء الإمامية من أولّهم إلى آخرهم ينقلون عن أهل البيت أنّه لا يقع الطلاق المحلوف به وهذا متواتر عندهم عن جعفر بن محمد وغيره من أهل البيت، وهب أنّ مكابراً كذبهم كلّهم، وقال: قد تواطئوا على الكذب عن أهل البيت، ففي القوم فقهاء وأصحاب علم ونظر في اجتهاد وإن كانوا مخطئين مبتدعين في أمر الصحابة، فلا يوجب ذلك الحكم عليهم كلّهم بالكذب والجهل، وقد روى أصحاب الصحيح عن جماعة من الشيعة وحملوا حديثهم واحتجّ به المسلمون (انظر الصواعق المرسلّة ج ١: ص ٦١٦).

السادس: عن عامر عبد الله فالح، من كتاب السلفية المعاصرين، في كتابه معجم ألفاظ العقيدة الذي قال في مقدّمته: (اخترت أوثق الأقوال في كثير من المسائل لعلماء متقدّمين ومتأخّرين ومعاصرين)... قال معرفاً بالشيعة: "الشيعة: هم الذين شايعوا عليّاً على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصّاً ووصاية إماماً جليّاً وإماماً خفياً، وقالوا: أنّ الإمامة لا تخرج عن أولاده وإن خرجت فبظلم من غيره أو بتقيّة من عنده" (انظر معجم ألفاظ العقيدة: ص ٢٤٧).

والنتيجة: أنّ الشيعة باعتراف مؤرّخي الفرق والمذاهب الإسلامية، هي الفرقة الوحيدة التي تولّت إمامة أهل البيت ﷺ وأخذت دينها ومعارفها عنهم فقهاً واعتقاداً. وإذا أضفنا إلى حديث الثقلين حديث اثني عشر خليفة تخرج جميع الفرق المنتسبة إلى الشيعة كالزيدية والإسماعيلية والواقفية وغيرهم لعدم اعتقادهم بأئمة الاثني عشر. وعليه فإنّ من تأمل في هذه الأدلّة يدعن بأنّ ما نسبته ابن تيمية إلى الشيعة باطل كما لا يخفى على أحد، فلاحظ.

وأما الشيعة فإنّ ملوكهم وغيرهم من ساداتهم مشهورون في تشييد الدين
مثل آل بويه^(١)

(١) لا يخفى أنّ آل بويه - أو البويهيّون أو بنو بويه - هم: أولاد وأحفاد (أبو شجاع) بويه، وهم أسرة فارسيّة ذات ميول شيعة. وقد ساق بعض المؤرّخين نسبهم إلى ملوك الفرس، وقد نُسبوا إلى الديلم بسبب مجاورتهم لهم وطول مقامهم في بلادهم (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٧: ص ٦). وبدأت هذه الأسرة بالظهور مع بدايات القرن الرابع الهجري، فقد كان لأبي شجاع بويه ثلاثة أولاد فرسان وشجعان، وهم: علي، والحسن، وأحمد، وكانوا في بداية أمرهم من جملة قوّد (ماكان بن بالي)، ثمّ تحولوا إلى جانب "مرداويج بن زيار"، و"ماكان"، ومرداويج هذان هما من جملة الأمراء الطامحين إلى السيطرة على صقع من أصقاع الدولة العبّاسية إبّان ضعفها وتصدّعها (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٧: ص ٧-٨). ثمّ بعد ذلك بدأ الإخوة الثلاثة يستقلّون بقيادة الجيوش، وانفصلوا عن مرداويج، وأسّسوا سنة (٣٢٢هـ) في شيراز - قلب بلاد فارس - نواة دولتهم (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٧: ص ١٤). التي بدأت تتّسع يوماً بعد يوم، حتّى شملت أراضي شاسعة من إيران والعراق، والتي وصفها ابن خلدون بقوله: "وكانت لهم الدولة العظيمة التي باهى الإسلام بها سائر الأمم" (انظر تاريخ ابن خلدون ج ٤: ص ٤٢٠). ففي سنة ٣٣٤هـ سيطر البويهيّون على مقاليد الحكم في إيران والعراق، وأصبحوا هم الحكّام الحقيقيين في هذين البلدين، وقد جرّدوا الخليفة العبّاسي المستكفي بالله من أغلب سلطاته الدنيّة والدنيوية، ولُقّب علي بن بويه بـ"عماد الدولة"، والحسن بن بويه بـ"ركن الدولة"، وأحمد بن بويه بـ"معز الدولة" (انظر المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي ج ١٤: ص ٤٢). ولذا نجد أنّ بعض المؤرّخين يعتبر سنة ٣٣٤هـ بداية الظهور الحقيقي للدولة البويهيّة، مع أنّ نواة هذه الدولة قد عُرست في شيراز منذ سنة ٣٢٢هـ كما ذكرنا، أي: قبل هذا التاريخ باثني عشر عاماً. ونبغي التأكيد هنا أنّ البويهيين لم يعلنوا عن أنفسهم كدولة مستقلة عن مركز الخلافة العبّاسية في بغداد طوال فترة حكمهم، بل كانوا يعملون بوصفهم نواباً وممثّلين للخليفة العبّاسي، غير أنّ هذا



الاعتراف لم يكن سوى اعتراف شكلي، إذ كانت السلطة الحقيقية في أيديهم، فكان الحاكم الحقيقي للدولة وعقلها المدبر هو علي بن بويه الملقب بـ "عماد الدولة وأمير الأمراء". منصب "أمير الأمراء": منصبٌ استُحدث في الدولة العباسية أيام ضعفها، ويمكن مقارنته بمنصب رئيس الوزراء في النظام السياسي الحديث، بحيث تنتقل أغلب صلاحيات منصب "الخلافة" إلى هذا المنصب، وقد استحوذ البويهيون على هذا المنصب منذ سيطرتهم على بغداد سنة ٣٣٤هـ وبقي متداولاً فيما بينهم يتوارثه الأبناء عن الآباء. فكان يدير الأمور ويدبرها من شيراز، فلمّا مات عماد الدولة صار أخوه ركن الدولة أمير الأمراء، وكان معز الدولة هو المستولي على العراق والخلافة، وهو كالثائب عنهما (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٧: ص ١٨٨). قال ابن الأثير - واصفاً حال الخلافة العباسية بعد سيطرة البويهيين على العراق -: ازداد أمر الخلافة إدباراً، ولم يبق لهم من الأمر شيء البتّة، وقد كانوا يراجعون ويؤخذ أمرهم فيما يفعل، والحرمة قائمة ببعض الشيء، فلمّا كان أيام معز الدولة، زال ذلك جميعه، بحيث إنّ الخليفة لم يبق له وزير، إنّما كان له كاتب يدبر أقطاعه وإخراجاته لا غير، وصارت الوزارة لمعز الدولة، يستوزر لنفسه من يريد... تسلّم معز الدولة العراق بأسره، ولم يبق بيد الخليفة منه شيء البتّة، إلّا ما أقطعه معز الدولة ممّا يقوم ببعض حاجته (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٧: ص ١٦٠). وقد بلغت الدولة البويهية عصرها الذهبي في أيام عضد الدولة ابن ركن الدولة، الذي يعدّ أقوى ملوك البويهيين، وهو أوّل من خوطب في الإسلام بـ "شاهنشاه" (انظر المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي ج ١٤: ص ٢٩١). أي: "ملك الملوك"، وكانت مدّة حكمه من أفضل الفترات التي مرّت على المسلمين عموماً، وعلى الشيعة خصوصاً. وقد أنشد فيه أبو الطيب المتنبّي (انظر أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ج ٨: ص ٤٢٢). وقد رأيت الملوك قاطبة * وسرت حتّى رأيت مولاه. أبا شجاع بفارس عضد الدولة * فناخسرو شاهنشاه. أسامياً لم تزده معرفة * وإنّما لذّة ذكرناها (انظر الشيعة في الميزان للشيخ محمّد جواد المغنية: ص ١٤٧). وبعد عضد الدولة بدأ العد التنازلي لأفول دولة البويهيين، فوقعت الانشقاقات والصراعات داخل الأسرة البويهية،





وقد استمرّ هذا الحال إلى سنة ٤٤٧هـ وهي السنة التي دخل فيها السلاجقة بغداد وطوّوا صفحة البويهيين؛ والسبب الأول لانهاير دولتهم وزوالها على أيدي السلجوقيين، شغلهم بالحروب الخارجية والداخلية، بخاصة بين أمراء البيت البويهي، بعضهم مع بعض حول الملك (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٧: ص ٨). كانت السطور المتقدمة ملخصاً لتاريخ الدولة البويهيّة منذ النشأة حتّى السقوط، وسنحاول الآن أن نركّز على بعض الجوانب المهمّة، والتي تحتاج إلى شيء من التفصيل أن نتحدّث عن أسباب تقدّم البويهيين، وتطوير الجانب العلمي والعمراني في العصر البويهي، وتقدّم المذهب الإمامي في العصر البويهي، والمؤسسة الدينيّة الشيعيّة في العصر البويهي. أمّا أسباب تقدّم البويهيين، فإضافة إلى ما كانت عليه الخلافة العبّاسيّة من ضعف وعجز في تلك الحقبة التاريخيّة، كانت هناك مجموعة أسباب تقف وراء تقدّم البويهيين وتوسّع دولتهم، منها: الصفات الحميدة التي كان يتمتع بها الأمراء البويهيون من شجاعة وغيرها. قال ابن الأثير: كان السبب في ارتفاع علي بن بويه من بينهم - بعد الأقدار - أنّه كان سمحاً، حليماً، شجاعاً (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٧: ص ٨). وحينما سار إلى كرج، أحسن إلى الناس، ولطف بعمّال البلاد، فكتبوا إلى "مرداويج" يشكرونها، ويصفون ضبطه البلد وسياسته، وحينما افتتح قلاعاً كانت للخرميّة، وظفر منها بدخائر كثيرة، صرفها جميعاً في استمالة الرجال، والصلات والهبّات، فشاع ذكره، وقصده الناس وأحبّوه (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٧: ص ٩). وممّا يُذكر في شجاعته أنّه حينما استعدّ لمواجهة ياقوت، أحضر عليّ بن بويه أصحابه، ووعدهم أنّه يترجّل معهم عند الحرب، ويقاتل كأحدهم، ومنّاهم ووعدهم الإحسان (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٧: ص ١٤). ووصف ابن الأثير ركن الدولة بقوله: كان حليماً، كريماً، واسع الكرم، كثير البذل، حسن السياسة لرعاياه وجنده، رؤوفاً بهم، عادلاً في الحكم بينهم، وكان بعيد الهمة، عظيم الجدّ والسعادة، متحرّجاً من الظلم، مانعاً لأصحابه منه، عفيفاً عن الدماء، يرى حقها واجباً إلاّ فيما لا بدّ منه، وكان يحامي على أهل البيوتات، وكان يجري عليهم الأرزاق، ويصونهم عن التبذّل، وكان يقصد المساجد الجامعة في أشهر الصيام للصلاة، وينتصب لردّ





المظالم، ويتعهد العلويين بالأموال الكثيرة، ويتصدق بالأموال الجلييلة على ذوي الحاجات، ويلين جانبه للخاص والعام. قال له بعض أصحابه في ذلك، وذكر له شدة مرداويج، فقال: أنظر كيف اخترم، ووثب عليه أخص أصحابه به وأقربهم منه؛ لعنفه وشدة، وكيف عمّرت وأحبّني الناس، للين جانبي (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٧: ص ٣٤٤). ووصف ابن الجوزي عضد الدولة بقوله: وكانت هيمنته عظيمة، فلو لطم إنسان إنساناً قابله أشدّ مقابلة، فانكف الناس عن التظالم، وكان غزير العقل، شديد التيقظ، كثير الفضل، بعيد الهمة، محباً للفضائل، مجتنباً للردائل (انظر المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ج ١٤: ص ٢٩٢). ووصفه ابن الأثير بقوله: وكان عاقلاً، فاضلاً، حسن السياسة، كثير الإصابة، شديد الهيبة، بعيد الهمة، ثاقب الرأي، محباً للفضائل وأهلها، باذلاً في مواضع العطاء، مانعاً في أماكن الحزم، ناظراً في عواقب الأمور (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٧: ص ٣٨٨).

ومن أسباب توسّع دولتهم: أنّه لعبت الأقدار دوراً مهماً في تثبيت دولة آل بويه وتمدها في الآفاق، فبعد أن سيطر علي بن بويه على شيراز وملكها، نفذت أمواله، وكادت دولته الفتية تنهار، فاعتمّ لذلك، واستلقى على ظهره مفكراً، فإذا حيّة قد خرجت من سقف ذلك المجلس فدخلت موضعاً آخر، فدعا الفراشين لبيحثوا عنها، فوجدوا ذلك السقف يفضي إلى غرفة بين سقفين، فأمر بفتحها ففتحت، فإذا فيها صناديق من المال والصياغات ما قيمته خمسون ألف دينار، فأخذ المال وفرقه عليهم، فثبت أمره. وكان قد وصف له خياط يخطط لبعض من كان يحاربه فأحضره، وكان بالخياط طرش، فظنّ أنّه قد سعي به إليه، فلمّا خاطبه في خياطة الثياب، وكان جوابه: والله، ما لفلان عندي إلا اثنا عشر صندوقاً، فما أدري ما فيها؟ فتعجّب علي بن بويه من الجواب ووجّه من حملها، فوجد فيها مالاً عظيماً. وكان قد ركب يوماً، وطاف في خرابات البلد، يتأمل أبنية الأوائل وآثارهم، فتهور تحت قوائم فرسه، فاستراب بذلك الموضع، وأمر بالكشف عنه، فإذا مال عظيم (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ١٣: ص ٣٤١-٣٤٢). وقال مسكويه تحت عنوان (ذكر اتفاق حسن): لمّا مات معزّ الدولة ألحّ المطر ببغداد ثلاثة أيّام بلياليها إلحاحاً





شديداً منع الناس من الحركة، ولم يتمكن الديلم من إطلاع رؤوسهم، ومنع سائر الناس من البروز وتردد النقباء إلى رؤسائهم، فأرضى كلُّ أحد بما سكن إليه، وانجلت السماء عن سكون الجند ورضا الكافة. فكاتب عز الدولة "سبكتكين" وسائر العسكر بمصالحة "عمران بن شاهين" والانصراف عنه إلى بغداد، ففعل ونفّس خناق عمران، ووصلح صاحب الموصل، واستقرت الأمور بيده (انظر الرازي، تجارب الأمم وتعاقب الهمم لابن مسكويه ج ٦: ص ٢٧٠). ومن أسباب توسع دولتهم: الاعتدال الذي كان عليه البويهيون، وعدم تعصّبهم للمذهب الإمامي على حساب المذاهب الأخرى، ونحن لا ننكر أنّ آل بويه قد خدموا المذهب الإمامي كثيراً، وتقدّم المذهب الإمامي بجميع مؤسساته في عصرهم تقدّماً كبيراً كما سنؤكّده قريباً، ولكنّ البويهيين مع هذا لم يضطهدوا مذهباً من المذاهب، ولم يحاربوا أحداً بسبب فكره أو عقيدته أو مذهبه. وعندما كانت تحدث فتنة طائفية، كانوا يقفون من الجميع على مسافة واحدة، فعلى الرغم من المكانة العالية التي كان يحتلّها الشيخ المفيد رحمته الله في الدولة البويهية إلى درجة أنّ عضد الدولة كان يزوره في بيته، ويعوده إذا مرض (انظر ميزان الاعتدال للذهبي ج ٤: ص ٢٦، ولسان الميزان لابن حجر العسقلاني ج ٥: ص ٣٦٨). قد تعرّض للنفي مرتين خارج بغداد بسبب اشتداد الفتنة الطائفية بين الشيعة والسنة آنذاك (انظر أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ج ٩: ص ٤٢٢). ولا ريب في أنّ هذا الأمر كان يعطي انطباعاً بعدم تعصّب البويهيين لمذهب دون آخر، فكان هذا من مقومات استمرار دولتهم وديمومتها. يقول الشيخ السبحاني: بالرغم من أنّ في عصرهم كان يغلب على أكثر البلاد مذهب التسنن، إلّا أنّ البويهيين لم يقفوا موقف المعادي لهم، على الرغم ممّا وقفه غيرهم من الملوك الآخرين من غير الشيعة من معاداة التشيع ومحاربتهم (انظر أضواء على عقائد الشيعة الإمامية وتاريخهم للشيخ جعفر السبحاني: ص ٨٦). ويقول المظفر: كان ابتداء سلطان آل بويه في شيراز، ثمّ سرى نفوذهم إلى إيران والعراق، بل إلى جميع بلاد بني العباس، وكانوا أرباب تدبير في جميع المملكة على عهد دولتهم، وليس للخليفة العباسي إلّا مراسم الخلافة، وهذا معلوم الشأن لا يجهله من سبر شيئاً من التاريخ. وكان التسنن في عهدهم يغلب على أكثر البلاد من





فارس والعراق، وهم على ظهورهم في التشيع لم يحاربوا التسنن، كما فعل الكثير من ملوك أهل السنة مع الشيعة، ومع قوة شوكتهم وغلبتهم على الخلافة والبلاد، أحسنوا السيرة مع الرعية، ولم يتعصبوا للشيعة على السنة، بل وقعت في أيامهم حوادث بين الشيعة والسنة، كان التحريش فيها من السنة، ولم يراعوا في ذلك السلطان، ولم يعبأوا بسطوته، ولكنهم لم يوقعوا بأهل السنة انتصاراً للشيعة (انظر تاريخ الشيعة للشيخ محمد حسين المظفر: ص ٢٠٦). أمّا تطوير الجانب العلمي والعمراني في العصر البويهى، فهو من مآثر البويهيين ومفاخرهم - التي ينبغي التركيز عليها هنا - هو اهتمامهم بالعلم والعلماء وأهل الفضل من جميع التخصصات، وعمارة المساجد والمشاهد، والأسواق والطرق، وبناء المستشفيات والمكتبات العامة، ولا سيما في عصر عضد الدولة الذي شرع في سنة ٣٦٩هـ في عمارة بغداد، وكانت قد خربت بتوالي الفتن فيها، وعمر مساجدها وأسواقها، وأدرّ الأموال على الأئمة، والمؤذنين، والعلماء، والقراء، والغرباء، والضعفاء الذين يأوون إلى المساجد، وألزم أصحاب الأملاك الخراب بعمارته، وجدّد ما دثر من الأنهار، وأعاد حفرها وتسويتها، وأطلق مكوس الحجاج، وأصلح الطريق من العراق إلى مكة (شرقها الله تعالى)، وأطلق الصلات لأهل البيوتات والشرف، والضعفاء المجاورين بمكة والمدينة، وفعل مثل ذلك بمشهدى عليّ والحسين، وسكن الناس من الفتن، وأجرى الجرايات على الفقهاء، والمحدثين، والمتكلمين، والمفسرين، والنحاة، والشعراء، والنسابين، والأطباء، والحساب، والمهندسين... (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٧: ص ٣٧٠). قال ابن الأثير في وصف عضد الدولة: كان محباً للعلوم وأهلها، مقرباً لهم، محسناً إليهم، وكان يجلس معهم يعارضهم في المسائل، فقصده العلماء من كل بلد، وصنّفوا له الكتب، منها: الإيضاح في النحو، والحجة في القراءات، والملكي في الطب، والتاجي في التاريخ، إلى غير ذلك، وعمل المصالح في سائر البلاد كالبيمارستانات [المستشفيات] والقناطر، وغير ذلك من المصالح العامة (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٧: ص ٣٩١). ويقول آدم متز عن عضد الدولة: كان يحب العلم والعلماء، ويُجري الأرزاق على الفقهاء والمحدثين، والمتكلمين والمفسرين، والنحاة والشعراء والنسابين، والأطباء والحساب





والمهندسين، وأفرد لأهل الاختصاص من العلماء والحكماء موضعاً يقرب من مجلسه، وأنشأ مكتبة تحتوى على كل كتاب صنف إلى وقته من جميع أنواع العلوم (انظر الشيعة في الميزان للشيخ محمد جواد المغنية: ص ١٤٣). قال السيد مير علي: لقد شجع البويهيون الروح الأدبية في البلاد، وعضدوا مدرسة بغداد التي كان قد اضمحل شأنها في أثناء تدهور الخلافة، وحفروا الجداول وهياؤها إلى الملاحاة، حتى مدينة شيراز، فأزالوا بذلك خطر الفيضانات الدورية التي كانت تغمر المناطق، كما شيد عز الدولة مستشفى فخماً، وفتح عدة كليات في بغداد (انظر مختصر تاريخ العرب: ص ٢٦٢، نقلاً عن كتاب الشيعة في الميزان للشيخ محمد جواد المغنية: ص ١٤٧). وقال الغناوي: امتاز عهد آل بويه بالخصب العلمي والأدبي بتأثيرهم الخاص أو بتأثير وزرائهم، ذلك أنهم استوزروا أبرع الكتاب وأبرزهم، واعتمدوا عليهم في تدبير شؤون الحرب وأمور السياسة والإدارة والمال جميعاً، فلمعت أسماءهم، وعظمت هيبتهم، وطار صيتهم في الآفاق، فقصدهم أهل العلم والأدب، فأفادوا منهم كثيراً، وأنتجوا كثيراً في ميدان الأدب والفلسفة والعلم، فكان أثرهم في الحياة الفكرية قوياً جداً، ربما فاق أثر أسيادهم، أي: الخلفاء العباسيين (انظر كتاب الأدب في ظل بني بويه لمحمود غناوي الزهيري: ص ١٢٧، نقلاً عن كتاب الشيعة في الميزان: ص ١٤٧). وأما تقدم المذهب الإمامي في العصر البويهي فلا نقاش في النزعة الشيعية التي كانت عند البويهيين، بل ذهب بعض الباحثين إلى إماميتهم، فقد قال شبولر: كان البويهيون إمامية اثني عشرية منذ البداية، وظلوا أوفياء للمذهب الإمامي حتى النهاية (انظر كتاب برتولد، تاريخ إيران در قرون نخستين إسلامي للشبولر: ص ٣٢٩، نقلاً عن كتاب الشيعة في التاريخ للرسول: جعفریان: ص ٢٨٠). وقد أيد الباحث الإيراني رسول جعفریان الباحث الإيراني المتخصص في التاريخ، وهو الآن أستاذ في جامعة طهران، ورئيس المكتبة المتخصصة في تاريخ الإسلام وإيران. هذا الرأي ودعّمه بعدة قرائن: كنص البعض على رجوع معز الدولة إلى ابن الجند في الفقه، وكنعتهم من قبل بعض مؤرخي السنة بالغلو تارة وبالرفض أخرى، وكتأييدهم لعبارات اللعن التي كانت تكتب على أبواب المساجد في عهد معز الدولة وبموافقته، وهي عبارات مفصلة تشير





إلى بعض الأشخاص بالاسم أو الصفة، وهذا يُرجح إماميتهم؛ لأنّ الزيدية يتحاشون اللعن المفصل عادةً، وقد تراجع معزّ الدولة عن ذلك خوفاً من وقوع فتنة طائفية (أنظر الشيعة في إيران، للرسول جعفریان ص ٢٨٠-٢٨١). ونضيف إلى ذلك: العلاقة الحميمة التي كانت تربط البويهيين برموز المؤسسة الشيعية، ودعمهم لهذه المؤسسة كما سيأتي، واستوزارهم لبعض الشخصيات المقطوع بإماميتها مثل: صاحب بن عبّاد وغيره. إنّ عدم إظهار البويهيين تعصباً للمذهب الإمامي على حساب المذاهب الأخرى، ومداراتهم لجميع المذاهب وأبنائها كما أشرنا، لا ينفي اهتمامهم الخاصّ بالمذهب الإمامي، ودعمهم لعلمائه ومؤسّساته بشكل مباشر أو غير مباشر، ولقد تقدّم المذهب الإمامي في عصرهم تقدّماً كبيراً، وتطوّرت مؤسّساته تطوّراً ملموساً، وقد أشار الشيخ جعفر سبحاني إلى وجود من يفترض أنّ المذهب الإمامي تكوّن ونشأ في أيام البويهيين. وهذه الفرضية وإن لم يكن لها قيمة من الناحية العلمية، غير أنّها بلا شكّ تدلّ على عمق وسعة التطوّرات التي حصلت للمذهب الشيعي ومؤسّساته في أيام البويهيين، فلقد راج مذهب الشيعة في عصرهم واستنشق رجاله نسيم الحرية بعد أن تحمّلوا الظلم والاضطهاد طيلة حكم العبّاسيين، خصوصاً في عهد المتوكّل ومن بعده، غير أنّ تكوّن مذهب الشيعة في أيامهم شيء وكونهم مروّجين ومعارضين له شيء آخر، ومن السدّاجة بمكان الخلط بين الحالين وعدم التمييز بينهما (انظر أضواء على عقائد الشيعة الإمامية وتاريخهم للشيخ جعفر السبحاني: ص ٨٦-٨٧). وقال السيّد الطباطبائي: ظهرت عوامل في القرن الرابع الهجري ساعدت على انتشار مذهب التشيع وتقويته، منها: ضعف الخلافة العبّاسية، وظهور وزراء آل بويه. كان لوزراء آل بويه - وهم شيعة - التأثير البالغ في مركز الخلافة ببغداد، وكذا في الخليفة، وهذه القدرة مكّنت الشيعة من الوقوف أمام المخالفين الذين طالما حاربوهم لما كان لهم من قدرة خلال خلافتهم، وتمكّن الشيعة من نشر عقائدهم بكلّ حرية (انظر الشيعة في الإسلام للسيّد محمّد حسين الطباطبائي: ص ٦٧-٦٨). وقال محمّد جواد مغنية: أمّا مناصرتهم لمذهب التشيع، فقد ذهبوا فيه إلى أقصى حدّ، وكان الغالب في بغداد عاصمة الدولة مذهب التسنّن قبل البويهيين، وبعدهم نما فيها مذهب





التشيع وانتشر (انظر كتاب الشيعة في الميزان للشيخ محمد جواد المغنية: ص ١٤٧). وقد تجلّى دعم البويهيين للمذهب الشيعي من خلال دعم مؤسساته وتطويرها، وسنشير في الفقرة التالية إلى مستوى الدعم الذي قدّمه البويهيون للمؤسسة الدينية في قم وبغداد، كما أنّ هذا البحث برّمته معقود للحديث عن تطوّر مؤسسة المآتم الحسيني وتقديمها في عهد البويهيين، وسنلاحظ في القسم الثاني من هذا البحث مستوى ما قدّمه البويهيون من دعم ومساندة لهذه المؤسسة. وينبغي أن نؤكد هنا أنّ البويهيين لم يعلنوا المذهب الشيعي مذهباً رسمياً - بشكل مباشر - طيلة فترة حكمهم، وإن كانوا قد اتخذوا العديد من الخطوات التي تعدّ بمثابة الإعلان العملي في هذا المجال، ومن تلك الخطوات: إعلان معزّ الدولة سنة ٣٥٢هـ المآتم الحسيني مؤسسة رسمية، وقد اعتبر البعض هذا الإعلان إعلاناً عن المذهب الشيعي كمذهب رسمي للدولة، فقد نُقل أنّ إقامة شعائر المآتم، وإحياء ذكرى مصائب آل عليّ عليه السلام، وإنشاد المراثي، وإقامة العزاء على الحسين عليه السلام، قد راجت في إيران لأول مرة على أيدي البويهيين، وأنّ أحمد معزّ الدولة رحل من إيران إلى بغداد سنة ٣٣٤هـ وأعلن المذهب الشيعي فيها رسمياً (انظر كتاب تاريخ النياحة على الإمام الشهيد الحسين بن علي عليه السلام للسيد صالح الشهرستاني ج ١: ص ٦٠). ولا بدّ من الإشارة إلى أحداث سنة ٣٥٢هـ فقد أجمع المؤرّخون على تأخّر إعلان البويهيين المآتم الحسيني مؤسسة رسمية إلى هذا التاريخ، وسيأتي تفصيل ذلك في القسم الثاني من هذا البحث. ومنها: وفي خطوة أخرى لا تقلّ في عمق دلالتها عن الخطوة السابقة، إن لم تكن أعمق، أصدر معزّ الدولة في نفس السنة أوامره بالاحتفال بعيد الغدير، قال ابن الأثير في أحداث سنة ٣٥٢هـ وفيها في الثامن عشر ذي الحجة، أمر معزّ الدولة بإظهار الزينة في البلد، وأشعلت النيران بمجلس الشرطة، وأظهر الفرح، وفتحت الأسواق بالليل، كما يفعل ليالي الأعياد، فعل ذلك فرحاً بعيد الغدير، يعني: غدير خم، وضربت الدبادب والبقوات، وكان يوماً مشهوداً (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٧: ص ٢٤٥-٢٤٦). ومنها: من المعلوم أنّ إثبات "حيّ على خير العمل" في الأذان هو شعار الشيعة؛ وبالتالي فإنّ إعادة هذا الجزء إلى الأذان في أيام البويهيين والجهر به في مشهد الكاظمين عليه السلام وفي



مساجد الكرخ معقل الشيعة آنذاك ببغداد، كان بمثابة الإعلان عن رسميَّة المذهب الشيعي، وقد منع الشيعة - ظلماً وعدواناً - من رفع هذا الشعار في مشهد الكاظمين عليه السلام وفي مساجد الكرخ بعد سقوط الدولة البويهية (انظر النجوم الزاهرة للأتابكي ج ٥: ص ٥٩). منها: تسليمهم كرسي الكلام والإفادة للشيخ الطوسي عليه السلام، وهو منصب ديني ورسمي رفيع لا يعطى إلا لأبرز شخصيَّة دينيَّة وعلميَّة في وقتها، وقد سلَّم هذا المنصب للشيخ الطوسي عليه السلام في عهد الخليفة القائم بأمر الله وبموافقته، وهي خطوة من الخطوات التي يمكن أن تقرأ على أنها إعلان غير مباشر عن رسميَّة المذهب الشيعي (انظر أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ج ٩: ص ١٥٩). فهذه الخطوات هي نماذج وعينات، وهناك خطوات أخرى مماثلة أعرضنا عن ذكرها اختصاراً المؤسَّسة الدينيَّة الشيعيَّة في العصر البويهي. ليس في أيدينا معطيات دقيقة تكشف لنا عن مديات العلاقة التي كانت تربط الدولة البويهية بالمؤسَّسة الدينيَّة الشيعية المتمثلة آنذاك بمدرستي قم وبغداد، فربما تصوّر بعض أعداء المؤسَّسة الدينيَّة الشيعية أن هذه المؤسَّسة لم تكن سوى أداة بيد البويهيين يستخدمونها للوصول إلى أهدافهم السياسيَّة، كما استخدموا الخلافة العبَّاسيَّة، وربما بالغ بعض أنصار هذه المؤسَّسة في إيجابيتها من خلال تصويرها شريكاً ومعيناً للبويهيين في تكوين دولتهم وديمومتها. والواقع أننا نرى أن كلا هذين التصرّوين مبالغ فيهما، فالمؤسَّسة الدينيَّة كانت قائمة بذاتها قبل مجيء البويهيين إلى الحكم، وقد بقيت محافظة على استقلالها قدر الإمكان طيلة الحكم البويهي، كما أن البويهيين لم يستعينوا بهذه المؤسَّسة في تكوين دولتهم، بل اعتمدوا على إمكانياتهم الذاتيَّة، وخبرتهم السياسيَّة، وضعف الدولة العبَّاسيَّة، وهذا واضح لمن سبر صفحات تاريخ تلك الحقبة. نعم، لا ريب في أن الدولة البويهية قد قدمت للمؤسَّسة الدينيَّة الكثير من الدعم، وساهمت في تقدّمها وتقدّم المذهب الشيعي بشكل عام، كما أن المؤسَّسة الدينيَّة كانت تساند الدولة البويهية وترحب بوجودها، ولكن هذا لا يعني أبداً أن المؤسَّسة الدينيَّة كانت أداة بيد البويهيين أو العكس. وسنحاول في السطور التالية ترسيم العلاقة بين الدولة البويهية والمؤسَّسة الدينيَّة، من خلال بيان ما كانت عليه العلاقة بين البويهيين ورؤساء الطائفة وزعمائها في





ذلك العصر، الأول: الشيخ الصدوق رحمته الله المتوفى سنة ٣٨١هـ وكان على علاقة طيبة مع ركن الدولة البويهى (٢٨٤-٣٦٦هـ)، الذي كان حاكماً على الري وأصفهان وهمدان، فلما نزل الشيخ الصدوق رحمته الله الري أكرمه ركن الدولة وأدناه، وقد كان يعقد المناظرات المذهبية والدينية في دار إمارته وبمحضره ومشاركته (انظر كتاب الصدوق الثاني محمد ابن بابويه القمي رحمته الله (القسم الثاني)، لصفاء الخزرجي، مجلة فقه أهل البيت عليه السلام، العدد المزدوج ٥-٦: ص ٢٩٩-٣٠٠. وأيضاً كتاب كمال الدين وتمام النعمة، للشيخ الصدوق رحمته الله المؤلف وموجز من حياته: ص ٢٦-٢٧). وقد نقل القاضي نور الله التستري رحمته الله في "مجالس المؤمنين" بعض تلك المناظرات (انظر مجالس المؤمنين للقاضي نور الله التستري رحمته الله ج ١: ص ٤٥٦). كما نقل الشيخ الصدوق رحمته الله نفسه بعض تلك المناظرات في "كمال الدين وتمام النعمة" (انظر كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق رحمته الله: ص ٨٧). وفي سنة ٣٥٢هـ استأذن ركن الدولة البويهى في زيارة الإمام الرضا عليه السلام ثم عاد إلى الري (عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق رحمته الله: ص ٣١٢). وإذا كان التاريخ قد أغفل الحديث عن طبيعة العلاقة التي كانت تربط الصدوق رحمته الله بأمرأه البويهيين الذين جاؤوا بعد ركن الدولة، فإنه لم يغفل عن الحديث عن العلاقة الوثيقة والحميمة التي كانت تربط الصدوق رحمته الله بالصاحب بن عباد، وهو: صاحب بن عباد أبو القاسم، إسماعيل بن عباد، الملقب بـ"الصاحب"، لصحبته مؤيد الدولة من الصبا، وهو ممن جمع بين الوزارة والعلم والأدب، ولأجله ألف الصدوق رحمته الله كتاب "عيون أخبار الرضا عليه السلام"، كما صرح في دياحة الكتاب. الذي كان وزيراً لمؤيد الدولة، ثم لفخر الدولة. الثاني: الشيخ المفيد رحمته الله: فقد كان له مقام مرموق ومكانة رفيعة عند البويهيين، وكان عضد الدولة البويهى يعظمه ويجله ويهتم بأمره اهتماماً خاصاً، فكان يزوره في داره، ويعوده إذا مرض كما نقل المؤرخون (انظر ميزان الاعتدال للذهبي ج ٤: ص ٢٦، ولسان الميزان لابن حجر العسقلاني ج ٥: ص ٣٦٨). ومع كل هذه الوجاهة والجلالة قد اضطرت السلطات الحاكمة - وأدأ للفتن الطائفية والاضطرابات المذهبية - إلى نفي الشيخ المفيد رحمته الله مرتين إلى خارج بغداد: أولاً في سنة ٣٩٣هـ وثانيها في سنة ٣٩٨هـ





(انظر أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ج ٩: ص ٤٢٢). وهذا الأمر قد يقرأ - من جهة - على أنه نابع من السياسة المرنة التي كان يتمتع بها البويهيون حيال المذاهب المخالفة للمذهب الشيعي، وعدم إظهار تعصبهم للمذهب الذي ينتمون إليه بشكل علني، وقد كان هذا الأمر من مقومات توسع دولتهم، واستمرارها إلى ما ينيف على القرن من الزمان، كما أكدنا ذلك سابقاً، وقد يقرأ من جهة أخرى على أنه أحد الوثائق التي تؤكد استقلال المؤسسة الدينية الشيعية، وعدم خضوعها للسلطة البويهية، وأنها قد لا تلتقي مع السلطة البويهية ولا تتفق معها في بعض الشؤون العامة. الثالث: السيد المرتضى علم الهدى عليه السلام المتوفى سنة ٤٣٦هـ؛ كان السيد المرتضى علم الهدى عليه السلام قد جمع بين الرئاستين الدينية والدنيوية، فكان شيخ الطائفة في وقته وزعيمها، كما أنه قد تقلد نقابة العلويين بعد وفاة أخيه الرضي، وقد ورثا هذا المنصب من أبيهما الطاهر الحسين بن موسى بن محمد الموسوي، وقد ذكر المؤرخون ما لبهاء الدولة البويهية من دور رئيس في وصول الحسين إلى هذه المناصب، فقد كانت منزلته عند بهاء الدولة أرفع المنازل، ولقبه بالطاهر والأوحد وذو المناقب (انظر النجوم الزاهرة للأتابكي ج ٤: ص ٢٢٣). وقلده قضاء القضاة والحج والمظالم ونقابة الطالبين (انظر النجوم الزاهرة للأتابكي ج ٤: ص ٢٢٣). قال ابن الجوزي في أحداث سنة ٤٠٦هـ في يوم السبت الثالث من صفر قلد الشريف المرتضى أبو القاسم الموسوي الحج والمظالم ونقابة نقباء الطالبين، وجميع ما كان لأخيه الرضي، وجمع الناس لقراءة عهده في الدار الملكية، وحضر فخر الملك والأشراف والقضاة والفقهاء (انظر المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي ج ١٥: ص ١١١). ونظراً لضعف الأمراء البويهيين المعاصرين للسيد المرتضى عليه السلام، وتضعف الدولة البويهية في زمانه من جانب، وما كان يتمتع به السيد المرتضى من سلطة روحية وسياسية من جانب آخر، نلاحظ أنه كان للسيد المرتضى عليه السلام حضور واسع في الشؤون السياسية (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير في أحداث سنة ٤١٥هـ وسنة ٤٢٠هـ وسنة ٤٢٢هـ الرابع: الشيخ الطوسي عليه السلام المتوفى سنة ٤٦٠هـ؛ بعد وفاة السيد المرتضى في سنة ٤٣٦هـ آلت زعامة الشيعة إلى الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي عليه السلام الملقب بـ"شيخ الطائفة"، الذي





لم يكن أقلّ شأنًا وهيبة في نفوس الحكّام من السيّد المرتضى عليه السلام، فقد بلغ الأمر من الاعتناء به والإكبار له أن جعل له خليفة الوقت القائم بأمر الله عبد الله بن القادر بالله أحمد كرسيّ الكلام والإفادة، وقد كان لهذا الكرسي يومذاك عظمة وقدر فوق الوصف؛ إذ لم يسمحوا به إلا لمن برز في علومه، وتفوّق على أقرانه، ولم يكن في بغداد يومذاك من يفوقه قدرًا أو يفضل عليه علمًا، فكان هو المتعيّن لذلك الشرف (انظر أعيان الشيعة للسيّد محسن الأمين ج ٩: ص ١٥٩). وهذا الأمر يكشف لنا عن الانسجام التام بين الشيخ الطوسي عليه السلام وبين البويهيين، فإنّ تسليم كرسي الكلام والإفادة لأيّ شخص لا يكون إلاّ بموافقة البويهيين؛ لكونهم الحكّام الفعلين آنذاك، ولم يكن بمقدور الخليفة العبّاسي الاستقلال بهذا قرار خطير دون موافقتهم. وخلاصة الكلام في هذا الجانب أنّ المؤسسة الدينيّة قد حافظت على استقلالها طوال فترة حكم البويهيين، وقد كان للبويهيين دور كبير في تقديم الدعم لهذه المؤسسة، وقد ازدهرت في زمانهم وتقدّمت تقدّمًا ملحوظًا، وكان هناك تعاطف واضح وترحيب كبير من قبل المؤسسة الدينيّة بوجود البويهيين في السلطة، كما هو واضح من المعطيات المتقدّمة، ولكننا لم نظفر بوثائق تاريخية تتحدّث عن مواقف تفصيليّة للمؤسسة الدينيّة تجاه النشاطات التي كانت تقوم بها الدولة البويهيّة، لا سيّما تلك النشاطات التي ترتبط بالتشيع ومؤسساته، ومن ضمنها المؤسسة الشعائريّة التي تطوّرت في العهد البويهي تطوّرًا كبيرًا، كما سنبين ذلك في محلّه إن شاء الله تعالى. إذن من الملوك الذين تشيّدوا الدين ومذهب أهل البيت عليهم السلام هم آل بويه، فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّه قد تداولت السلطة في البلاد الإسلاميّة بعد السقيفة إلى دول تابعة لسياسة أتباع السقيفة إلاّ الأيّام القليلة التي كان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حاكمًا على البلاد الإسلاميّة. وأمّا بعد شهادة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وصلاح الإمام الحسن عليه السلام فجميع البلاد الإسلاميّة كانت تحت سيطرة الحكّام الأميّة التابعة لخلافة السقيفة، ثمّ بعدهم العبّاسيين، والدول العثمانيّة. فكان المسلمون في





قرون متمادية تحت سيطرة الدول السنية المعادية لأهل بيت النبي ﷺ وأتباعهم، وما كان أحد يجرأ على نشر معارف أهل البيت ﷺ، لأن السلطات كانت تتهمهم بالرفض والتشيع، وهذه جريمة كبرى عندهم وكانت السلطات تعاقب عليها، وتردع وتمنع الناس من انتشار نهج أهل البيت ﷺ. وهكذا جرت العادة في كل الحكومات السياسية التي تحسب على النظام الإسلامي من ذلك التاريخ المظلم إلى أن ظهرت بعض الملوك التي شيدت شيعة أهل البيت ﷺ، كدولة البويهية، ثم الدولة الصفوية، وهذا المصطلح الذي بات يتردد في وسائل الإعلام حالياً، حيث دأب العديد من الصحف والقنوات الفضائية على وصف بعض الحكومات بـ"الصفوية" وذلك بسبب ما أنهم اعتنقوا بمذهب أهل البيت ﷺ واستقبلوا علماء الشيعة وتعاونوا معهم.

فالصفوية هي دولة شيعية التي قامت في إيران في القرن العاشر الهجري (السادس عشر: الميلادي) على يد الشاه إسماعيل، الذي يعدّ أول ملوكها، وهو إسماعيل بن حيدر بن جنيد بن صفى الدين الذي ينتهي نسبه إلى الإمام موسى الكاظم ﷺ. وهو أول ملوك الصفوية، ومؤسس دولتهم، وكان آباؤه وأجداده من العرفاء وشيوخ الصوفية، فلقّبوا لذلك بلقب سلطان، وما أن أتمّ إسماعيل العام الرابع عشر من عمره، حتّى ألف جيشاً من أتباع أبيه ومريديه، وقاده بنفسه للغزو والفتح، وكانت إيران يومذاك موزعة الأطراف بين عديد من الملوك والأمراء ورؤساء القبائل، فاستخلصها منهم الواحد تلو الآخر، ووحدها تحت سلطانه. في سنة ٩٠٥ هجري استولى على شيروان بعد أن قتل حاكمها، وفي سنة ٩٠٦ فتح تبريز بلا مقاومة، وفي سنة ٩٠٧ توجّه إلى همدان واستولى عليها بلا كبير عناء، وفي سنة ٩٠٩ ملك كيلان، وفي سنة ٩١٢ أخذ ديار بكر، وفي سنة ٩١٤ دخلت بغداد في حكمه. قال "رونلدس": مدّ الشاه إسماعيل سلطانه من خراسان حتّى هراة، فضلاً عن ضمّه المقاطعات الجنوبية إلى أملاكه، حتّى إذا جاء عام ١٥٠٩ م كانت رقعة مملكته تمتد من نهر جيحون إلى خليج البصرة، ومن بلاد الأفغان إلى الفرات (انظر في كتاب "عقيدة الشيعة" معرب: ص ٧٧). وخاف الأتراك على سلطانهم من قوة الشاه إسماعيل، فهاجمه بايزيد بجيش مؤلف من الأتراك والتركمان، ففرّق الشاه شمله وانتصر عليه. ولمّا





خلع بايزيد وقام مقامه ولده السلطان سليم هاجم إيران بمائة وخمسين ألف جندي ومائتي مدفع، وتوغّل في إيران، حتّى دخل العاصمة تبريز، وكان الشاه غائباً عنها في همدان، وكان الأتراك يحاربون بالمدافع والأسلحة الحديثة، والإيرانيون يدافعون عن أنفسهم بالسلح القديم، ولكن الأتراك اضطروا للانسحاب حين جاء الشتاء لشدة البرد وقلة الزاد وانتشار الوباء في جيوشهم، وكان السلطان التركي قد قتل عشرات الألوف من الشيعة. قال "لونكريك" في كتاب "أربعة قرون من تاريخ العراق" ص ١٧ الطبعة الثانية: كانت بطولة القضية السيّة أوّل حجة تذرّع بها سليم لإعلان الحرب. وقد خلد الأشهر من حكمه بالذبح المتقن لجميع الشيعة أينما وجدوا (انظر كتاب "أربعة قرون من تاريخ العراق" ص ١٧). هذا بعد أن استحصل السلطان من شيوخ السوء على فتوى باستباحة دماء الشيعة وحریمهم وأموالهم. وقال السيّد الأمين في ترجمة الشاه اسماعيل: قتل السلطان سليم أربعة وأربعين ألفاً، وقيل سبعين ألفاً من الشيعة في الأناضول، وفي هذا العصر استولى الإسبانيون على بلاد الأندلس، وأزالوا دولة بني الأحمر العربيّة، واستنجد بنو الأحمر بالسلطان التركي والد السلطان سليم، فلم ينجدهم، حتّى فعل بهم الإسبانيون ما فعلوا، ولكن السلطان التركي قتل الشيعة المسلمين في بلاده، وحارب السلطان الفارسي المسلم... (أعيان الشيعة شاه اسماعيل الصفوي). وهكذا كان بأس الملوك المسلمين بينهم. قال المستشرق الكبير "براون" المتخصّص بالأدب الإيراني في: كان الفاطميّون في مصر أكبر خصوم العبّاسيّين من الناحية الدينيّة والسياسيّة، وكانوا يمثّلون فريقاً من الفريقين العظيمين الذين انقسم إليهما المتشيعون لعلّي، فالفريق الأوّل هم الإسماعيليّة الذين ينتسب إليهم الفاطميّون، والفريق العظيم الآخر من فرق الشيعة هم الاثنا عشرية، وكان الفرس دائماً يميلون إليه، حتّى اتّخذوه مذهباً رسمياً لهم عند قيام الدولة الصفوية على يد الشاه عبّاس سنة ٩٠٨ هجري (انظر كتاب "الأدب في إيران" معرب: ص ٢٠). وأمر الشاه عبّاس أن يؤذن بـ"حيّ على خير العمل" في جميع بلاد إيران، ونقش على النقود اسم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأولاده المعصومين عليه السلام، ونشر في الأقطار المجاورة لإيران الدعاة لمذهب التشيع، وحين دخل إلى بغداد، وذلك في ٢٥





جمادى الآخرة سنة ٩١٤، فرح الناس بقدومه، والتجأوا إلى عدله، وكانوا ينتظرونه بفارغ الصبر، وأخذوا يقدمون القرابين والذبائح إكراماً له، وفي اليوم التالي بلا فاصل توجه إلى كربلاء، وأدى مراسم الزيارة، وبات ليلته معتكفاً في الحائر، منكباً على قبر الإمام الحسين الشهيد عليه السلام، وأمر بصنع الصندوق المذهب للقبر الشريف، وعلق بالحضرة ١٢ قنديلاً من الذهب، وفرشها بأنواع السجاد الثمين، كما أمر بصنع صناديق أخرى للنجف الأشرف والكاظمية وسامراء بدلاً عن صناديقها القديمة. ثم سافر إلى النجف الأشرف، وتشرف بزيارة المشهد العلوي، وقدم القناديل من الذهب والفضة، والمفروشات الثمينة، وفي هذه السنة شرع ببناء حرم الكاظمين عليه السلام والمسجد الكبير المعروف بمسجد الصفويين. وأمر بحفر النهر الذي كان قد حفره عطا ملك، ثم اندثر بمرور الزمن، فجده الشاه إسماعيل، ووقف ريعه على خدام المشهدين: العلوي والحسيني، هذا، إلى حبه وتعظيمه العلماء والعلويين، وإنعامه عليهم بالأموال والمناصب، والاستعانة بأهل الكفاءة والمقدرة على نشر المذهب، وإعلان أسماء الأئمة الاثني عشر عليهم السلام على المنابر وفي المحافل، وبشتى المناسبات. ولده الشاه عباس سنة ٨٩٢، وتولى السلطنة سنة ٩٠٥، وتوفي سنة ٩٣٠ في تبريز، ودفن في مقبرة جدّه صفي الدين بأردبيل، ومدة ملكه ٢٤ سنة وخلفه ولده الشاه طهماسب. وما إن ملك الشاه طهماسب بعد أبيه، حتى قامت في وجهه القلاقل، والفتن الداخلية، وثار عليه أخوه القاص ميرزا، وكان له أعوان وانصار. وأعلن سليمان القانوني ابن السلطان سليم الحرب على الشاه، واستولى على أذربيجان، ودخل جيشه تبريز، ومكث فيها غير أن البرد القارس والأمطار الشديدة جرفت قسماً من المدفعية وأماتت الحيوانات، فاضطر الأتراك إلى الانسحاب، واتجه السلطان إلى بغداد، فاستولى عليها، وزار العتبات المقدسة في الكاظمية وكربلاء (انظر تاريخ الشيعة للمظفر، وأعيان الشيعة ج ١١ للسيد الأمين، وتاريخ إيران لمكاريوس، وتاريخ العراق بين احتلالين للغزالي، وأربعة قرون من تاريخ العراق للونكريك، وعقيدة الشيعة لروندس، والأدب في العراق لبراون وغير هذه الكتب). وعليه فإن بعض الملوك التي شيدت الشيعة كانت في القلة جداً، مع ذلك لهم آثارهم القيمة وبركاتهم في الإسلام، فلاحظ.

منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨ ٩٤٣

وممّا نبّهنا عليه هنا وتشهد له صحفهم علمت بأنّهم أهل العلم والزهد والعبادة والصدق^(١).

(١) وتوضيح المقام أنّ الله تبارك وتعالى أرسل النبي الأكرم ﷺ رحمة للعالمين، ليؤسّس لهم المجتمع السليم والأفراد الصالحين، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (سورة إبراهيم: ١)؛ وفي الحقيقة أنّ جميع الأهداف التربويّة والإنسانيّة، المعنويّة والماديّة من إرسال الرسول ﷺ ونزول القرآن قد جمعت في هذه الجملة "الخروج من الظلمات إلى النور"، أي: الخروج من ظلام الجهل إلى نور المعرفة، ومن ظلام الكفر إلى نور الإيمان، من ظلم الظالمين إلى نور العدالة، ومن الفساد إلى الصلاح، ومن الذنوب إلى الطهارة والتقوى، ومن التفرقة والنفاق إلى نور الوحدة. ومن الطريف أنّ "الظلمات" هنا، كما في بعض السور الأخرى، جاءت بصيغة الجمع و"النور" بصيغة المفرد، وهذه إشارة إلى أنّ كلّ الحسنات والطّيبات والإيمان والتقوى لها حالة واحدة في ظلّ التوحيد ونوره، فهي مترابطة ومتحدّة فيما بينها، فتصنع مجتمعاً واحداً متّحداً وطاهراً من كلّ جهة. بينما الظلمات تعني التشتّت وتفرقة الصفوف، وحتّى الطواغيت والمذنبين والمفسدين والمنحرفين في مسيرتهم الانحرافيّة نراهم غير متوحّدين غالباً، وفي حالة حرب فيما بينهم. ومن هنا كان مصدر كلّ الخير هي الذات الإلهيّة المقدّسة، والشرط الأساس لدرك التوحيد هو الالتفات إلى هذه الحقيقة، فإنّه يضيف بلا فاصلة بإذن ربّهم. والمتتبع في كتب الشيعة الإماميّة يجدهم ينقطعون في كلّ الأمور الله ورسوله ﷺ عن طريق الأئمة الاثني عشر من أهل البيت ﷺ فهكذا عندهم مصادر التشريع. وذلك كما قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة التوبة: ٨٨). ويستفاد من هذه الآية بوضوح أنّ "الإيمان" و"الجهاد" إذا اتّحدا في شخص، فسيصحبهما كلّ خير وبركة، ولا سبيل إلى الفلاح والإخلاص، أو إلى شيء من الخيرات والبركات الماديّة والمعنويّة إلّا في ظلّ هذين العاملين. وهناك ←

فثبت بهتانهم عليه بقوله جهّال بالمعقول والمنقول وتريتهم صارت في القفار والجبال غير مجالسين أهل العلم^(١).



نقطة أخرى تستحق التنبيه لها، وهي أننا نستفيد من خلال مقارنة صفات هاتين المجموعتين أنّ المنافقين - لفقدانهم الإيمان، وتلوّثهم المضاعف بالمعاصي والذنوب - أفراد جاهلون، لذلك فهم محرومون من "علوّ الهمة" التي هي وليدة الفهم والشعور والوعي، فهم يرضون أن يكونوا مع القاعدين من المرضى والصبيان، ويأبون الحضور في سوح الجهاد رغم افتخاراته وامتيازاته. أمّا في المقابل، فإنّ المؤمنين قد اتّضحت لهم الأمور وأدركوا عواقبها فعلت همّتهم بحيث رأوا أنّ الجهاد هو الطريق الوحيد للانتصار على المشاكل التي تعترضهم، فسعوا إليه بكلّ وجودهم وقدراتهم. إنّ هذا الدرس الكبير هو الذي علّمنا القرآن إيّاه في كثير من آياته، فتشهد كتب الشيعة بأنّهم يتمسّكون بالقرآن وبما جاء به النبي الأكرم ﷺ من النور الذي نزل على قلب النبي ﷺ ليتنشر ويعمّ المجتمع، ويعالج أمراضه في الدنيا بما يكفل التوازن وعدم الطغيان، ويفعل الطاقات الإنسانيّة بالاتّجاه الصحيح الذي يخدم البشر ويؤسّس لحياة كريمة في الدنيا ليعتبر من خلالها إلى آخرة بنية بسلوك شريف ونفس سليمة وعقائد صحيحة، لتكون جنّات عرضها السماوات والأرض... الشيعة ينطبق عليهم الآيات، لأنّهم أهل العلم والزهد والعبادة والصدق... وعندما يتعرّض المجتمع للخطر ينبري أولياء الله المخلصون ليدافعوا عنه ويجاهدوا في سبيل الله لقمع أعداء الله ورسوله ﷺ كما لا يخفى ذلك على المتتبّع في كتب الفريقين. وعليه فإنّ كتب الشيعة أكبر دليل على افتراءات ابن تيمية ضدّ الشيعة، فعلى خلاف ما زعم ابن تيمية أنّ علماء الشيعة هم أهل العلم والزهد والعبادة والصدق و...، فلاحظ.

(١) لا يخفى على من قرأ تاريخ الحواضر العلميّة أنّه يجد لعلماء الشيعة فيه ذكراً جميلاً وثناءً حسناً وقبولاً عاماً، حيث أبناء مدرسة أهل البيت ﷺ زهرت أرجاؤها بأفذاذ من المصلحين وزخرت بعباقره مرشدين أدّوا رسالاتهم بأمانة وإخلاص، فاستحقّوا بذلك





التعظيم والتبجيل، وخلّدهم التاريخ بإكبار وحفظ آثار بكلّ فخر جميل. ولقد كان لآثارهم دوراً مميّزاً في المجد بثقافتها وعلومها، وآدابها ومعارفها، بحيث لا يوجد مثلها في غيرها من الطوائف الأخرى. وإنّ ذلك التراث ثمار جهود ونبوغ جلّة من كبار علماء الدين وفطاحل الفضل، الذين افنوا زهرة حياتهم من أجل رفع شأن الإسلام وتحقيق أهدافه السامية وتثبيت قواعده المحكمة، ولكن من المؤسف الشديد أنّ أكثر تلك المآثر الخالدة لا تزال مجهولة لأهل العلم من أبنائها فضلاً من عوامها وعامة أغيارها من سائر المذاهب والملل. والباحث عندما يلاحظ هذه الجهة في التاريخ ملاحظة التحقيق يجد أنّ السبب الرئيس فيه الظروف القاسية التي مرّت على الشيعة طوال التاريخ والأعصار المتמادية، فإنّهم كانوا مختلفين في كلّ عصر وزمان في زوايا الاستتار ومحتجبين احتجاب الأسرار في صدور الأحرار، وذلك لما توجّه اليهم من معاداة أهل الضلال والإلحاد ومناوأة أولي النصب والعناد، وكثرة التحامل عليهم والنسب الباطلة إليهم، فبالرغم من تلك الظروف الصعبة والحرجة نهض علماء الشيعة ومحقّقوهم لتبيين فنون الإسلام وساقوا الجدّ والاجتهاد في جميع المجالات العلميّة والعقدية والفقهية والأصولية وغير ذلك وحازوا قصب السبق من غيرهم وكشفوا بعلوبهم دياجير الجهل، وشقوا الفتن بسفن الإيمان واستضاءوا في كلّ ذلك بالأنوار المقدّسة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فأخذوا معارف دينهم من ينبوعه الصافي ومعينه العذب مباشرة. وهكذا مارست علماء مدرسة أهل البيت (عليه السلام) في نشر العلوم منذ عصر أئمة أهل البيت (عليه السلام) وممن أدّوا رسالتهم في نشر ثقافة أهل البيت (عليه السلام) بجميع أنواعها، في مجالات مختلفة. ومنهم: العلامة الحليّ الحسن بن يوسف بن مطهر (رحمته الله) المتوفى سنة ٧٢٦هـ. فإنّ من جملة مقاماته العالية أنّه اشتهر عند أهل الإيمان أنّ بعض علماء أهل السنة ممّن تتلمذ عليه العلامة في بعض الفنون ألّف كتاباً في ردّ الإمامية، ويقرأ للناس في مجالسه ويضلّهم، وكان لا يعطيه أحداً خوفاً من أن يرده أحد من الإمامية، فاحتال (رحمته الله) في تحصيل هذا الكتاب إلى أن جعل تتلمذه عليه وسيلة لأخذه الكتاب منه عارية، فالتجأ الرجل واستحى من رده وقال: إنّني آليت على نفسي أن لا أعطيه أحداً أزيد من ليلة، فاعتنم الفرصة في



هذا المقدار من الزمان، فأخذه منه وأتى به إلى بيته لينقل منه ما تيسر منه. فلما اشتغل بكتابته وانتصف الليل غلبه النوم، فحضر الحجّة عليه السلام وقال: «ولني الكتاب وخذ في نومك»، فانتبه العلامة رحمته الله وقد تمّ الكتاب بإعجازه عليه السلام (انظر جنة المأوى في ذكر من فاز بلقاء الحجّة، أو معجزته في الغيبة الكبرى للعلامة الشيخ حسين النوري رحمته الله: ص ٢٥٢). يقول المؤلف: وجدت هذه الحكاية في كشكول الفاضل الألمعي علي بن إبراهيم المازندراني المعاصر للعلامة المجلسي رحمته الله بنحو آخر وهو كما نقله: أنه طلب من بعض الأفاضل نسخة فأبى من إعطائه، وكان كتاباً كبيراً، إلى أن اتفق على إعطائه بشرط أن يبقى عنده ليلة واحدة، ولا يمكن استنساخ ذلك الكتاب إلا بسنة أو أكثر، فأخذه العلامة رحمته الله إلى داره فابتدأ بكتابته في تلك الليلة، فبعد كتابته عدة صفحات وتضجره رأى رجلاً دخل من الباب بصفة أهل الحجاز وسلّم وجلس، ثم قال ذلك الرجل: يا شيخ أنت تسطر لي هذه الأوراق وأنا أكتب، فكان الشيخ يسطر له وهو يكتب ومن سرعة الكتابة لا يلحق به بالتسطير، وعندما كان نداء ديك الصبح تمّ ذلك الكتاب بالكامل. وقال بعضهم: فعندما تعب الشيخ نام، فلما استيقظ رأى الكتاب قد كتب، والله أعلم. وقال أيضاً السيد الأجل علي بن طاوس رحمته الله في كتاب فرج المهموم: ومن جملتها أذكر خبراً علمته ممّن تحققت صدقه لي في ذلك، فسألت مولاي المهدي عليه السلام أن يخبرني أبقى فيما كنت فيه ممّن تشرف بصحبته وخدمته في زمان الغيبة مقتدياً بمن يخدمه عليه السلام من مواليه وخواصه، ولم أطلع على مقصودي هذا أحداً من العباد. فحضر عندي ابن الرشيد بن العباس الواسطي الذي ذكر سابقاً في يوم الخميس التاسع والعشرين من رجب المرجب سنة خمس وثلاثين وستمائة وقال مبتدئاً من نفسه: يقولون لك ليس عندنا قصد إلا الرحمة معك، فإذا توطّن نفسك على الصبر يحصل مقصودك. فقلت له: من هو الطرف الذي تقول عنه هذا الكلام؟ فقال عن طرف مولانا المهدي عليه السلام (انظر منهج الجعوات للسيد بن طاوس: ص ٢٩٦، وروى عنه المحقق النوري، في جنة المأوى: ص ٣٠٣). وقال ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان ما لفظه: الحسين بن يوسف بن المطهر الحلبي عالم الشيعة وإمامهم ومصنّفهم، وكان آية في الذكاء، شرح مختصر ابن الحاجب شرحاً جيّداً





سهل المأخذ غاية في الإيضاح واشتهرت تصانيفه في حياته، وهو الذي ردّ عليه الشيخ تقي الدين ابن تيمية في كتابه المعروف بالردّ على الرافضي، وكان ابن المطهر مشتهر الذكر وأحسن الأخلاق، ولما بلغه بعض كتاب ابن تيمية قال: لو كان يفهم ما أقول أجبته، ومات في المحرم سنة ستّ وعشرين وسبع مائة عن ثمانين سنة، وكان في آخر عمره انقطع في الحلة إلى أن مات (لسان الميزان ج ٢: ص ٣١٧). وقال: يوسف بن الحسن ابن المطهر الحلبي الرافضي المشهور، كان رأس الشيعة الإمامية في زمانه، وله معرفة بالعلوم العقلية، شرح مختصر ابن الحاجب الموصلي شرحاً جيداً بالنسبة إلى حلّ ألفاظ وتوضيحه، وصنّف كتاباً في فضائل علي عليه السلام، نقضه الشيخ تقي الدين ابن تيمية في كتاب كبير، وقد أشار الشيخ تقي الدين السبكي إلى ذلك في أبياته المشهورة حيث قال: وابن المطهر لم يظهر خلائفه ولا ابن تيمية ردّ عليه أي الردّ واستيفاء أجوبة لكنّا نذكر بقية الأبيات في ما يعاب به ابن تيمية من العقيدة، طالعت الردّ المذكور فوجدته كما قال السبكي في الاستيفاء، لكن وجدته كثير التحامل إلى الغاية في ردّ الأحاديث التي يوردها ابن المطهر وإن كان معظم ذلك من الموضوعات (انظر لسان الميزان ج ٦: ص ٣١٩). ومع أنّ ابن تيمية لم يراع أدب المناظرة في شيء من جدله الذي ردّ به على العلامة فإنّه لم يعهد من العلامة عليه السلام أن يحمل عليه في شيء من كلامه بما يشابه تعابير ابن تيمية. وقد جاء في هامش الدرر لابن حجر ما لفظه بخطّ السخاوي: قال لي شيخنا - ابن حجر -: إنّ بلغه أنّ ابن المطهر لمّا حجّ اجتمع هو وابن تيمية وتذاكرا، وأعجب ابن تيمية كلامه فقال له: من تكون يا هذا؟ فقال: الذي تسميه ابن المنجس، فحصل بينهما أنس ومباشرة (انظر الدرر كامنة لابن حجر ج ٢: ص ٧٢). وليس هذا الخلق الإسلامي الرائع الذي تحلّى به العلامة ابن المطهر أمراً اختصّ به فقد عرف ذلك من عامة علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام في سيرتهم مع مخالفيهم، وذلك ممّا ورثوه عن أئمتهم عليهم السلام الذين كانوا يبالغون في التأكيد على حسن السيرة مع العامة، وعلى ردّ الإساءة بالإحسان.

ومن روائع أخبار مولانا الإمام ابن المطهر قضية تشيع السلطان المغولي الشاه محمد خدابنده على يديه، وقد نقل العلامة محسن الأمين في موسوعته الشهيرة أعيان الشيعة عن العلامة





المجلسي الأول في شرح الفقيه، ما نصّه: إنّ السلطان أولجايتو محمّد المغولي الملقب بـ"شاه خدابنده" غضب على إحدى زوجاته، فقال لها: أنت طالق ثلاثاً، ثمّ ندم فسأل العلماء فقالوا: لا بدّ من المحلّل، فقال: لكم في كلّ مسألة أقوال فهل يوجد هنا اختلاف؟ فقالوا: لا، فقال أحد وزرائه: في الحلة عالم يفتي بطلان هذا الطلاق، فقال العلماء: إنّ مذهبه باطل، ولا عقل له ولا لأصحابه، ولا يليق بالملك أن يبعث إلى مثله، فقال الملك: أمهلوا حتّى يحضره ونرى كلامه. فبعث، فأحضر العلامة الحلّي رحمته الله، فلمّا حضر جمع له الملك جميع علماء المذهب، فلمّا دخل على الملك أخذ نعله بيده ودخل وسلم، وجلس إلى جانب الملك، فقالوا للملك: ألم نقل لك إنّهم ضعفاء العقول؟ فقال: استلوه عن كلّ ما فعل. فقالوا: لماذا لم تخضع للملك بهيئة الركوع؟ فقال لأنّ رسول الله ﷺ لم يكن يركع له أحد، وكان يسلم عليه وقال الله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ (سورة النور: ٦١). ولا يجوز الركوع والسجود لغير الله، قالوا: فلم جلست بجانب الملك؟ قال: لأنّه لم يكن مكان خال غيره، قالوا: فلم أخذت نعليك بيدك وهو مناف للأدب؟ قال: خفت أن يسرقه بعض أهل المذاهب كما سرقوا نعل رسول الله ﷺ، فقالوا: إنّ أهل المذاهب لم يكونوا في عهد رسول الله ﷺ، بل ولدوا بعد المائة فما فوق من وفاته ﷺ، كلّ هذا والترجمان يترجم للملك كما يقوله العلامة رحمته الله، فقال للملك: قد سمعت اعترافهم هذا، فمن أين حصروا الاجتهاد فيهم ولم يجوزوا الأخذ من غيرهم، ولو فرض أنّه أعلم. فقال الملك: ألم يكن أحد من أصحاب المذاهب في زمن النبي ﷺ ولا الصحابة؟ قالوا: لا، قال العلامة: ونحن نأخذ مذهبنا عن علي بن أبي طالب عليه السلام نفس رسول الله ﷺ، وأخيه وابن عمّه ووصيه، وعن أولاده من بعده. فسأله عن الطلاق، فقال: باطل، لعدم الشهود العدول، وجرى البحث بينه وبين العلماء حتّى ألزمهم جميعاً، فتشيع الملك، وخطب، بأسماء الأئمة الاثني عشر عليهم السلام في جميع بلاده، وأمر فضربت السكّة بأسمائهم، وأمر بكتابتها على المساجد والمشاهد (انظر أعيان الشيعة ج ٥: ص ٣٩٩). وقال المجلسي رحمته الله: والموجود بأصبهان في الجامع القديم في ثلاثة مواضع بتاريخ ذلك الزمان، وفي معبد "بيرمكران لنجان" وكذا





في معبد قطب العارفين نور الدين عبد الصمد النطنزي الذي لي نسبة إليه من جانب الأمّ، موجود الآن. والحمد لله رب العالمين على هذه النعمة أنّ أصبحنا بعد ما كان أبعد البلاد من التشيع، صار بحيث لا يوجد في البلد ولا في قراه (والمشهور أنّه ألف قرية وذكر أكثرها الفيروزآبادي في قاموسه)، من خلاف المذهب الحقّ أحد حتّى إنّ لا يتّهم بالتسنّن إلّا واحد وهو محض الاتّهام، وكلّما يوجد بلدة أن يكون هكذا من البلاد التي كانت على التشيع في زمن الأئمة عليهم السلام إلى الآن كبلاد جبل عامل، وتون، وأسترباد، وسبزوارة، وطوس، وتبريز، وقم، والكوفة، ومازندران، وكاشان، وكشمير، وتبت، وحيدرآباد، وآبة، وتستر، والبحرين، وحويزة، ونصف الشام، وغيرها ممّا ذكره الفاضل السيّد نور الله رحمه الله في مجالسه، فإنّه يوجد في أكثرها أو في قراها من هو على خلاف المذهب الحقّ. والحمد لله رب العالمين على شيوع التشيع في جميع البلاد سيّما في بلاد إيران قاطبة... (انظر روضة المتّقين في شرح من لا يحضره الفقيه للمجلسي الأول قدس سره ج ٩: ص ٣٢).

ومن لطائفه أنّه بعد إتمام المناظرة وبيان أحقيّة مذهب الإماميّة الاثني عشرية، خطب الشيخ (قدس الله لطيفه) خطبة بليغة مشتملة على حمد الله والصلاة على رسوله صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، فلما استمع ذلك السيّد الموصلي الذي هو من جملة المسكوتين بالمناظرة. قال: ما الدليل على جواز توجيه الصلاة على غير الأنبياء عليهم السلام؟ فقرأ الشيخ في جوابه بلا انقطاع الكلام: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿ (سورة البقرة: ١٥٦-١٥٧). فقال الموصلي على طريق المكابرة: ما المصيبة التي أصاب آلّه حتّى أنّهم يستوجبون لها الصلاة؟ فقال الشيخ رحمه الله: من أشنع المصائب وأشدّها أن حصل من ذراريهم مثلك الذي يرجّح المنافقين الجهّال المستوجبين للعنة والنكال على آل رسول الملك المتعال، فاستضحك الحاضرون، وتعجّبوا من بداهة جواب آية الله في العالمين، وقد انشد بعض الشعراء: إذا العلوي تابع ناصبيّاً * بمذهبه فما هو من أبيه. وكان الكلب خيراً منه حقّاً * لأنّ الكلب طبع أبيه فيه (انظر روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات للسيّد محمّد ←



باقر الخونساري ج ٢: ص ٢٨٤).

أمّا بالنسبة إلى شيخ الإسلام لأهل السنّة ابن تيمية، فإنّ أتباع سياسة السقيفة قد أطبقت آراء علمائهم من المذاهب الأربعة على انحراف وضلالة ابن تيمية، وكلماتهم في ذلك كثيرة واسعة لا نستطيع حصرها هنا، ولكن على سبيل المثال لا الحصر نذكر موارد، سواء كان من معاصريه أو ممّن أتى من بعده حسب ترتيب التواريخ. منهم: صفي الدين الهندي المتوفّى سنة ٧١٥ هـ كان صفي الدين الهندي من أعلم الناس بالأصلين، ومن تصانيفه في علم الكلام "الزبدة" وفي أصول الفقه "النهاية"؛ وكلّ مصنّفاته حسنة جامعة لا سيما النهاية، وقد عقد له مجلس بدار السعادة عام ٧١٥ هـ لينظر ابن تيمية، وكان طويل النفس في التقرير، فلمّا شرع يقرّر أخذ ابن تيمية يعجّل عليه على عادته، ويخرج من شيء إلى شيء. فقال له الهندي: ما أراك يا ابن تيمية إلّا كالعصفور حيث أردت أن أقبضه من مكان فرّ إلى مكان آخر. وكان الهندي شيخ الحاضرين كلّهم، فالكُلّ صدر عن رأيه. وحسب ابن تيمية بسبب تلك المسألة وهي التي تضمّنت قوله بالجهة، ونودي عليه في البلاد وعلى أصحابه وعزلوا من وظائفهم (انظر الطبقات الشافعية ج ٩: ص ١٦٤، والبداية والنهاية لابن كثير ج ١٤: ص ٣٦). ومنهم: كمال الدين الزمكاني المتوفّى سنة ٧٢٧ هـ وقد ولي قضاء حلب، وألّف رسالة مستقلة في الردّ على ابن تيمية في مسألتي الطلاق والزبارة (انظر الطبقات الشافعية ج ٩: ص ١٩٠). ومنهم: شهاب الدين الحلبي المتوفّى سنة ٧٣٣ هـ عرفه السبكي بأنّه درس وأفتى وشغل بالعلم مدةً بالقدس ودمشق، وله تصنيف في نفى الجهة ردّاً على ابن تيمية، وقد جاء السبكي بنفس الرسالة في ترجمته وهي رسالة مفصّلة، في تنزيهه سبحانه عن الجسم والجسمانيات، قال في مقدّمته: "أمّا بعد، الذي دعا إلى تصدير هذه النبذة ما وقع في هذه المدة ممّا علّقه بعضهم في إثبات الجهة، واغترّبها من لم يرسخ له في التعليم، قدّم ولم يتعلّق بأذيال المعرفة، فعجبت أن أذكر عقيدة أهل السنّة ثمّ أبين فساد ما ذكره، مع أنّه لم يدع دعوى إلّا نقضها أو أوطد قاعدة إلّا هدمها" (انظر الطبقات الشافعية ج ٩: ص ٣٤). ومنهم: شمس الدين الذهبي المتوفّى سنة ٧٤٨ هـ وكان الذهبي من الحنابلة المتعصّبين، فهو وإن لم يذكر في حقّ ابن تيمية شيئاً في كتاب





"تذكرة الحفاظ"، لكنّه نصحه في رسالة بعثها إليه، وهذه الرسالة مطبوعة في تكملة السيف الصقيل للكوثري: ص ١٩٠، كتبه من خط قاضي القضاة برهان الدين ابن جماعة، وكتبه هو من خط أبي سعيد ابن العلائي وكتبه هو من خط الذهبي وفي آخر الرسالة جاء: أما آن لك أن ترعوي؟ أما حان لك أن تتوب وتنب؟ أما أنت في عمر سبعين وقد قرب الرحيل؟ والله ما أدكر أنك تذكر الموت، بل تزدرى بمن يذكر الموت، فما أظنك تقبل على قولي ولا تصغي إلى وعظي، بل لك همّة كبيرة في نقض هذه الورقة بمجلدات! فإذا كان هذا حالك عندي وأنا الشفوق المحبّ الواد، فكيف حالك عند أعدائك، وأعدائك والله فيهم صلحاء وعقلاء وفضلاء كما أن أولياءك فيهم فجرة كذبة جهلة... (انظر السيف الصقيل لتقي الدين السبكي ج ١: ص ١٥٢). ومنهم: صدر الدين المرخل المتوفى حوالي سنة ٧٥٠ هـ وكان له مع ابن تيمية المناظرات الحسنة وبها حصل عليه التعصّب من أتباع ابن تيمية (انظر طبقات الشافعية ج ٩: ص ٢٥٣). ومنهم: علي بن عبد الكافي السبكي المتوفى سنة ٧٥٦ هـ يقول السبكي أيضاً في دياحة كتابه: "الدرة المضينة في الرد على ابن تيمية" ما هذا نصّه: لما أحدث ابن تيمية ما أحدث في أصول العقائد ونقض من دعائم الإسلام الأركان والمعاهد، بعد أن كان مستتراً بتبعية الكتاب والسنة مظهراً أنّه داع إلى الحق، هاد إلى الجنة، فخرج عن الاتباع إلى الابتداع، وشذ عن جماعة المسلمين بمخالفة الإجماع، وقال بما يقتضي الجسميّة والتركيب في الذات المقدسة وأنّ الافتقار إلى الجزء ليس بمحال وقال بحلول الحوادث بذات الله تعالى... (انظر الدرة المضينة لابن الجزري: ص ٥). وله كتاب آخر أيضاً أسماه "شفاء السقام في زيارة خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام" أثبت فيه استحباب الزيارة بروايات كثيرة كما أثبت جواز السفر للزيارة وطبع بمصر عام ١٣١٨، وقدم له مقدمة العلامة الشيخ محمد بخيت أسماها بـ "تطهير الفؤاد من دنس الاعتقاد" زمّنهم: محمد بن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ وهو الذي ألف كتاب "فوات الوفيات" تذيلاً لكتاب "وفيات الأعيان" لابن خلكان، فقال في ترجمة ابن تيمية: أنّه ألف رسالة في فضل معاوية وفي أنّ ابنه يزيد لا يسبّ (انظر فوات الوفيات ج ١: ص ٧٧). وهذه الرسالة تعرب عن نزعاته الأموية ويكفي



القول في "الوالد وما ولد" أنَّ الأول بدل الحكومة الإسلامية إلى الملوكية الموروثة، ودعى عباد الله إلى ابنه يزيد، المتكبر، الخمير، صاحب الديوك والفهود والقروود، وأخذ البيعة له على خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعيد، وهو المجاهر بكفره بقوله: لعبت هاشم بالملك * فلا خبر جاء ولا وحي نزل. والثاني قتل الإمام السبط الحسين أولاً، وارتكب مجزرة الحرّة ثانياً، وأحرق الكعبة ثالثاً. ومنهم: أبو محمد اليافعي المتوفى سنة ٧٦٨ هـ قال في ترجمة ابن تيمية: مات بقلعة دمشق تقي الدين أحمد بن تيمية معتقلاً ومنع قبل وفاته بخمسة أشهر عن الدواة والورقة، وسمع من جماعة، وله مسائل غريبة أنكر عليه وحبس بسببها مباينة لمذهب أهل السنة، ومن أقبحها نهيه عن زيارة النبي، وكذلك عقيدته في الجهة (انظر مرآة الجنان لليافعي ج ٤: ص ٢٤٠). ومنهم أبو بكر الحصني الدمشقي المتوفى سنة ٨٢٩ هـ يقول: فاعلم إنني نظرت في كلام هذا الخبيث الذي في قلبه مرض الزيف، المتبع ما تشابه من الكتاب والسنة، ابتغاء الفتنة وتبعه على ذلك خلق من العوام وغيرهم ممن أراد الله عز وجل إهلاكه، فوجدت فيه ما لا أقدر على النطق به، ولا لي أنامل تطاوعني على رسمه وتسطيره، لما فيه من تكذيب رب العالمين، في تنزيهه لنفسه في كتابه المبين، وكذا الازدراء بأصفياه المتخبين، وخلفائهم الراشدين، وأتباعهم الموقنين، فعدلت عن ذلك إلى ذكر ما ذكره الأئمة المتقون وما اتفقوا عليه من تبديعه وإخراجه ببغضه من الدين (انظر دفع شبه من شبه وتمرد للدمشقي: ص ٢١٦). منهم: أحمد بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ وهو أعرف وأشهر من أن يعرف قال في كتابه: "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة": أول ما أنكروا على ابن تيمية من مقالاته في شهر ربيع الأول سنة ٦٩٨، قام عليه جماعة من الفقهاء بسبب الفتوى الحموية وبحثوا معه، ومنع من الكلام. ثم ذكر معتقلاته وسجنونه إلى أن أدرسته المنية... (انظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ج ١: ص ٩٢). ومنهم: جمال الدين يوسف بن تغري الأتابكي المتوفى سنة ٨٧٤ هـ هو مؤلف "المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي" نقل فيه عن القاضي كمال الدين الزملكاني الجملة التالية: ثم جرت له محن في مسألة الطلاق الثلاث وشد الرحال إلى قبور الأنبياء والصالحين، وحجّب للناس القيام عليه،





وحبس مرّات في القاهرة والإسكندرية ودمشق، وعقد له مجالس بالقاهرة ودمشق إلى أن ورد مرسوم شريف من السلطان في شعبان سنة ٧٢٦ بأن يجعل في قلعة دمشق، فأقام فيها مدة مشغولاً بالتصنيف، ثمّ بعد مدة منع من الكتابة والمطالعة وأخرجوا ما كان عنده من الكتب ولم يتركوا عنده دواتاً ولا قلماً ولا ورقة. ثمّ إنّه نقل أنّه كتب عليه محضر وقد أمر فيه أنّه أشعري، وإليك ما كتبه بخطّه: "أنا أعتقد أنّ القرآن معنى قائم بذات الله وهو صفة من صفات ذاته القديمة وهو غير مخلوق وليس بحرف ولا صوت وأنّ قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ليس على ظاهره، ولا أعلم كنه المراد به، بل لا يعلمه إلا الله، والقول في النزول كالقول في الاستواء، وكتبه أحمد ابن تيمية، ثمّ أشهدوا عليه جماعة أنّه تاب ممّا ينافي ذلك مختاراً وشهد عليه بذلك جمع من العلماء وغيرهم (انظر الفتاوى الحديثة لابن: ص ٨٦، نقله الشيخ محمّد بخيت في كتاب تطهير الفؤاد: ص ٩، ولابن حجر كلمة أخرى في كتابه "الجواهر المنتظم في زيارة القبر الشريف النبوي المكرّم" نقلها القضاعي العزامي في كتابه "فرقان القرآن": ١٣٢، وهو مقدّمة لكتاب "الأسماء والصفات" للبيهقي). ومنهم: شهاب الدين ابن حجر الهيتمي المتوفى سنة ٩٧٣ هـ وهو أشهر من أن يعرف. قال في ترجمة ابن تيمية: ابن تيمية عبد خذله الله وأضله وأعماه وأصمّه وأذله، وبذلك صرّح الأئمة الذين بينوا فساد أحواله وكذب أقواله ومن أراد ذلك، فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد، المتفق على إمامته وجلالته وبلوغه مرتبة الاجتهاد، أبي الحسن السبكي وولده التاج والشيخ الإمام العز ابن جماعة وأهل عصرهم وغيرهم من الشافعية والمالكية والحنفية، ولم يقصّر اعتراضه على متأخري الصوفية، بل اعترض على مثل عمر بن الخطّاب وعلي بن أبي طالب (انظر شرح الشفاء في هامش نسيم الرياض لملاّ علي القاري ج ٣: ص ٥١٤). وإلى غير ذلك من أقوالهم في قدحه وعليه يستحقّ ابن تيمية أن نقول في حقّه: ويل لمن كفره نمروذ، فإذا كان علماء أهل نحلته يقدحون في دينه وإيمانه فما تتوقع منه؟ فإنّ الافتراء على الشيعة إنّما يكون من أمثاله، فلا حظ.

وخامسها: ما زعمه من ظهور الرفض في شرّ الفرق مثل النصيرية...^(١)

(١) الظاهر أنّ الفرقة النصيرية هي الفرقة التي تسمى بالعلوية، وهم طائفة في بلاد الشام وغيره نسبةً إلى محمد بن نصير العبدي البكري النميري، وهو أقدم وأشهر اسم عُرفوا به عبر التاريخ. ويحكى أنّ نشأة فرقة النصيري بدأت في جنوب العراق على يد محمد بن نصير، الذي ولد في البصرة جنوب العراق مطلع القرن الهجري الثالث، ثمّ سكن سامراء، وخلال مرحلة التأسيس الفرقة النصيرية في العراق كان يتحفّظ بشيء من الاعتدال الفكري، ويقرّ بكثير من الشعائر الإسلامية. ثمّ انتقلت النصيرية إلى بلاد الشام، وبالأخصّ إلى حلب، على يد الخصيي المصري الذي سكن حلب أيام سيف الدولة، وأخذ يدير أمور وشؤون النصيريين، وهو أهمّ رجل في تاريخ المذهب، حيث استطاع أن يحرف وجهة المذهب بشكل كليّ، فألف العديد من الكتب التي عرفت الناس بمذهبهم وعقيدتهم المنحرفة، ومنها كتابي "المجموع" و"راست باش" أي كن مستقيماً، وكتاب "الهداية الكبرى"، واستطاع أن يجعل لنفسه خلفاء في كلّ من بغداد وحلب، وأسس للنصيرية مراكز فيهما، وتوفّي في حلب سنة ٣٤٦ هـ. ثمّ انتقلت النصيرية إلى اللاذقية على يد الميمون الطبراني، وهو أيضاً من أهمّ رجالات المذهب، وقد ألف الكتب وسنّ القوانين ورتّب الأعياد، وله كتاب "مجموع الأعياد" و"الحاوي" و"الدلائل في معرفة المسائل" و"رسالة التوحيد"، وتوفّي في اللاذقية سنة ٤٢٦ هـ.

وأما من حيث العقيدة والعبادات، فهم يؤمنون بالثالوث الإلهي، ويزعمون أنّهم يتشكّلون في عليّ عليه السلام النبي محمد ﷺ وصاحبه سلمان الفارسي عليه السلام، ويرمزون لهم بـ"ع م س"، وهؤلاء الثلاثة يؤلّفون حسب رأيهم الذات الإلهية، فعلي هو المعنى أي: ذات الله، ومحمد هو الاسم أي: اسم الله في الوجود وانعكاسه في الواقع، وسلمان هو الباب الذي يتمّ الوصول إلى الله عن طريقه، ويدعون أنّه بذلك نستطيع أن نقول: إنّ النصيريين يؤلهون عليّاً ويعبدونه ويرونه هو الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وهذا يشبه بشكل كبير الثالوث المسيحي النصراني "الأب والابن وروح القدس". يؤمنون أيضاً بعقيدة التجلي الإلهي، فيعتقدون أنّ الله قد تجلّى في البشر، سواء بصورة الخير أو الشرّ، فالخير

إلى آخره، فإنه من عجيب غشه للغفلة^(١).



كالإنسان الحَيِّ، والشرُّ كالإنسان العاصي، وقد أشاروا في بعض كتبهم إلى أنَّ علياً "الإله" ظهر بصورة شيث ويوسف ويوشع وآصف وشمعون، ثمَّ تجلَّى في صورة علي. وتعتقد النصيرية بكفر الخلفاء الثلاثة، وخلفاء الدولة الأموية والمذاهب الأربعة "الحنفية" والمالكية والشافعية والحنبلية"، وقد ورد ذلك في قداس الإشارة في كتبهم. وللنصيريين أساطير في بداية الخلق تخالف العقيدة الإسلامية، ولا تلتقي معها إلا في بعض التفاصيل الدقيقة. كما تؤمن النصيرية بالتناسخ، وهو انتقال النفوس من جسم إلى جسم، وله تسميات وتفصيلات دقيقة في كتبهم، بحسب الجسم الثاني الذي تنتقل إليه النفس، فقد تنتقل إلى إنسان أو حيوان أو نبات أو وسخ أو أرض. ويؤمنون بأنَّ علياً هو من سيجمع الناس ليقوم القيامة، وسيعلم امتلاكه للعالم كلّه، وسيكون لقبه في يوم الحساب "الدبور". وينقسم النصيريون إلى خاصّة وعامّة، فالخاصّة هم حملة المذهب، وتعلم المذهب محصور في عائلات وأفراد معيّنين وفق شروط معيّنة، وهذه يسمونها مرتبة "تسليم الدين"، فإن تمَّ قبول فرد لتعلّم الدين يرتقي لمرتبة "السماع" ويبدأ بعدها بالاطلاع على أسرار المذهب وتعاليمه وإلى غير ذلك ممَّا يذكر في شأنهم. هذا ولكن أيّ ارتباط بين هؤلاء والشيعية الإمامية؟! فإنَّ ابن تيمية حيث لم يمكنه الردّ على الشيعة الإمامية فجعل ينسب إليهم الفرق المنحرفة، فمرة ينسب إليهم الباطنية والإسماعيلية، وأخرى ينسب إليهم بعض الفرق الغالية، ومرة ينسب إليهم النصيرية والعلوية. وهذا يدلّ على إفلاس الرجل من جهة الأدلّة في مقابل الشيعة، فإنَّ كلَّ خير يعلم بأنَّ النصيرية ليست من الشيعة الإمامية، مع ذلك قد أظهر ابن تيمية عداوته للشيعة في أمثال هذه النسب الباطلة. وسندكر أدلّة بطلان هذه الفرق من القرآن الكريم والروايات وردّ دعوى ابن تيمية إن شاء الله تعالى. وعليه فما زعمه ابن تيمية في المقام باطل وافتراء على الله ورسوله ﷺ وعلى شيعة أهل البيت عليه السلام، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنَّ ما زعمه ابن تيمية هنا يدلّ على شدة عداوته لأهل البيت عليه السلام





وشيعتهم، وحيث لم يمكنه الرد على الشيعة بالدليل، فالتجأ كعادته إلى الافتراء والكذب على أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم. وليس هذا أوّل مرة يصدر منه هذه الأكاذيب والافتراءات، بل يظهر من كتبه ومصنّفاته أنّه كان من عادته، ولذلك قال العلامة الأميني رحمته الله في كتابه الغدير بمناسبة ذكر بعض ما ورد كتبه لاسيّما كتابه منهاج السنّة في شأن الرجل ما نصّ عبارته: إذا أردت أن تنظر إلى كتاب سمّاه بضدّ معناه فانظر إلى هذا الكتاب الذي استعير له اسم منهاج السنّة وهو الحري بأن يسمّى منهاج البدعة، وهو كتاب حشوه ضلالات وأكاذيب وتحكّمات، وإنكار المسلّمات، وتكفير المسلمين، وأخذ بناصر المبدعين، ونصب وعداء محتدم على أهل بيت الوحي عليهم السلام، فليس فيه إلاّ تدجيل محض، وتمويه على الحقائق، وتحريف الكلم عن مواضعه، وقول بالبداء، ورمى بالمقذعات، وقذف بالفواحش، وتحكّك بالوقية، وتحرشّ بالسباب... (انظر الغدير ج ٣: ص ١٤٧). فمما يدلّ على صحة ما ذكره العلامة الأميني رحمته الله افتراءه على الشيعة في نسبة النصيرية إليهم. وهو كان يعلم بأنّ فرقة النصيرية كاحدى فرق الغلاة التي نشأت في بلاده، أعني الشام، والشاهد على افتراءه وكذبه أنّه لم يسجّل أيّ مصدر من كتب الرجال والتاريخ الشيعة القديمة، ما يوحى بوجود ودّ بين هذه الفرقة والشيعة الاثني عشرية، أو اعتراف من جانب الشيعة بالفرقة النصيرية على أنّها من الشيعة. ويتّضح ذلك أكثر وضوحاً من خلال ما ورد في كتب الشيعة في قدح "محمد بن نصير" رأس الفرقة النصيرية (العلوية)، فقد أجمع كلّ من الطوسي والنوبختي وابن داوود الحلبي والخاقاني والكشيّ وابن شهر آشوب... وغيرهم على أن ابن نصير كذاب غالي ملحد ادّعى النبوة وأباح المحارم، و... قال الكشيّ في رجاله: وقالت فرقة بنوّة محمد بن نصير النميري، وذلك أنّه ادّعى أنّه نبي رسول! وأنّ علي بن محمد العسكري عليه السلام أرسله، وكان يقول بالتناسخ والغلوّ في أبي الحسن عليه السلام، ويقول فيه بالربوبية، ويقول: بإباحة المحارم، ويحلّل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم ويقول أنّه من الفاعل والمفعول به أحد الشهوات والطيبات وأنّ الله لم يحرم شيئاً من ذلك. وكان محمد بن موسى بن الحسن بن فرات يقوي أسبابه ويعضده، وذكر أنّه رأى بعض الناس محمد بن نصير عياناً، وغلام له على ظهره، وأنّه عاتبه على ذلك، فقال:





إنّ هذا من اللذات وهو من التواضع لله وترك التجبر، وافترق الناس فيه وبعده فرقاً (انظر اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي ج ٢: ص ٨٠٥). وقال العلامة الحلي في رجاله: محمد بن نصير النميري، لعنه علي بن محمد العسكري عليه السلام (انظر خلاصة الأقوال: ص ٤٠١). وقال: وكان من أصحاب أبي محمد العسكري عليه السلام، فلما مات ادعى مقام أبي جعفر محمد بن عثمان أنّه صاحب الزمان، وادّعى النيابة، ففضحه الله تعالى (خلاصة الأقوال: ص ٤٣٣). وقال السيّد بن طاوس: محمد بن نصير النميري لعنه علي بن محمد العسكري عليه السلام فيما رواه نصر (انظر التحرير الطاوسي: ص ٥٢٨). وقال الشيخ الطوسي رحمته الله في كتابه الغيبة: أنّه قال سعد بن عبد الله: كان محمد بن نصير النميري يدّعي أنّه رسول نبي وأنّ علي بن محمد عليه السلام أرسله، وكان يقول بالتناسخ ويغلو في أبي الحسن عليه السلام ويقول فيه بالربوبية، ويقول بالإباحة للمحارم، وتحليل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم ويزعم أنّ ذلك من التواضع والإخبات والتذلل في المفعول به، وأنّه من الفاعل إحدى الشهوات والطيبات، وأنّ الله عزّ وجلّ لا يحرم شيئاً من ذلك (انظر كتاب الغيبة للشيخ الطوسي رحمته الله: ص ٣٩٨). وقال العلامة الطبرسي رحمته الله في كتاب الاحتجاج: روى أصحابنا: أنّ أبا محمد الحسن السريعي كان من أصحاب أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام، وهو أول من ادّعى مقاماً لم يجعله الله فيه من قبل صاحب الزمان عليه السلام وكذب على الله وحججه عليهم السلام، ونسب إليهم ما لا يليق بهم وما هم منه براء، ثمّ ظهر منه القول بالكفر والإلحاد، وكذلك كان محمد بن نصير النميري من أصحاب أبي محمد الحسن عليه السلام، فلما توفيّ ادّعى الباطنية لصاحب الزمان، ففضحه الله تعالى بما ظهر منه من الإلحاد والغلوّ والتناسخ، وكان يدّعي أنّه رسول نبي أرسله علي بن محمد عليه السلام، ويقول بالإباحة للمحارم (انظر الاحتجاج ج ٢: ص ٢٨٩). وروى العلامة المجلسي رحمته الله في البحار عن مناقب ابن شهر آشوب: روى أنّ سبعين رجلاً من الزط أتوه (يعني أمير المؤمنين عليه السلام) بعد قتال أهل البصرة يدعونه إلهاً بلسانهم وسجدوا له، فقال لهم: «ويلكم، لا تفعلوا، إنّما أنا مخلوق مثلكم»، فأبوا عليه فقال: «لئن لم ترجعوا عمّا قلتم في وتوبوا إلى الله لأقتلنكم!» قال: فأبوا، فخذل عليه السلام لهم أخاديد وأوقد ناراً، فكان قبر يحمل الرجل بعد الرجل على منكبه



فأي دخل لهذه الفرق بمن قد ردّ السنّي عليهم بزعمه^(١)،



يفقدفه في النار، ثمّ قال: إنّي إذا أبصرت أمراً منكراً * أوقدت ناراً ودعوت قنبراً. ثمّ احتفرت حفراً فحفراً * وقنبر يحطم حطماً منكراً. ثمّ قال: أحيى ذلك رجل اسمه محمّد بن نصير النميري البصري، زعم أنّ الله تعالى لم يظهره إلّا في هذا العصر، وأنّه عليّ السلام وحده، فالشذمة النصيرية ينتمون إليه، وهم قوم إباحية تركوا العبادات والشرعيّات واستحلّت المنهيّات والمحرمّات، ومن مقالهم أنّ اليهود على الحقّ ولسنا منهم، وأنّ النصاريّ على الحقّ ولسنا منهم (بحار الأنوار ج ٢٥: ص ٢٨٦). وإلى غير ذلك ممّا ورد في قدحه في كتب علماء الشيعة.

أضف أنّ فرقة النصيرية أو العلويين يعتبرون يوم كربلاء وقتل الإمام الحسين (عليه السلام) يوم فرح وسرور لا يوم ترح وبكاء كما يذكر ذلك المكزون السنجاري بقوله: وليوم عاشور فعندي والذي بسط البسيطة يوم عيدي والهنا. وعليه فهؤلاء فرقة مرتدة عند الشيعة لا يحكم عليهم بالإسلام. ولا يخفى أنّ الحكومات الظالمة دعمت هذه الفرقة ودفعتهم إلى تلك العقائد الباطلة المقالات الكفرية. وهكذا يعامل مع كلّ عميل يعمل لصالح المستكبر على أنّه لم يكن لمنهجهم معتق قابل للذكر إلّا شذاذ الآفاق أو ساقاة الناس، فمن مال إليهم لغاية دنيوية أو لشكوك وأوهام. وعليه فإنّ ابن تيمية بهذه النسب الباطلة للشيعة أن يستغلّ الغفلة من أهل نحلته، ولكن الخبير الباحث يعرف أنّه كذّب وافترأ على الشيعة، فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّ عقائد الشيعة المذكورة في كتبهم وبإمكان كلّ باحث أن يراجع كتبهم ويبحث عن عقيدتهم ومعارف دينهم، كما بإمكان كلّ باحث أن يبحث عن الفرقة النصيرية ثم يرى ما هي عقيدة الشيعة في النصيرية، فإنّه سوف يجد بأنّ علماء الشيعة صرّحوا بأنّ النصيرية من الغلاة ومن أتباع محمّد بن نصير النميري؛ قال السيّد الخوئي (رحمته الله) في معجم رجال الحديث: محمّد بن نصير النميري؛ قال الكشي: قال أبو عمرو: وقالت فرقة بنوّة محمّد بن نصير الفهري النميري، وذلك أنّه ادّعى أنّه نبي رسول،





وأن علي بن محمد العسكري عليه السلام أرسله، وكان يقول بالتناسخ والغلو في أبي الحسن عليه السلام، ويقول فيه بالربوبية، ويقول بإباحة المحارم، ويحلل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم، ويقول: أنه من الفاعل والمفعول به، أحد الشهوات والطيبات، وأن الله لم يحرم شيئاً من ذلك، وكان محمد بن موسى بن الحسن بن فرات يقوي أسبابه ويعضده، وذكر أنه رأى بعض الناس محمد بن نصير عياناً، وغلّام على ظهره، فرآه على ذلك، فقال: إن هذا من اللذات، وهو من التواضع لله وترك التجبر، وافترق الناس فيه بعده فرقاً. وتقدم في ترجمة الحسن بن محمد بن بابا القمي: إن علي بن محمد العسكري عليه السلام، لعنه ولعن محمد بن نصير النميري، وفارس بن حاتم القزويني. وقال الشيخ: قال ابن نوح: أخبرنا أبو نصر هبة الله بن محمد، قال: كان محمد بن نصير النميري من أصحاب أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام، فلما توف عليه السلام ي أبو محمد، ادعى مقام أبي جعفر محمد بن عثمان أنه صاحب إمام الزمان عليه السلام وادعى له البائية، وفضحه الله تعالى بما ظهر منه من الإلحاد، ولعن أبي جعفر محمد بن عثمان له، وتبريه منه واحتجابه عنه، وادعى ذلك الأمر بعد الشريعي، قال أبو طالب الأنباري: لما ظهر محمد بن نصير بما ظهر، لعنه أبو جعفر (رضي الله عنه) وتبرأ منه، فبلغه ذلك، فقصد أبا جعفر (رضي الله عنه) ليعطف بقلبه عليه أو يعتذر إليه، فلم يأذن له وحجبه وردّه خائباً. وقال سعد بن عبد الله: كان محمد بن نصير النميري يدّعي أنه رسول نبي، وأن علي بن محمد عليه السلام أرسله، وكان يقول بالتناسخ، ويغلو في أبي الحسن عليه السلام، ويقول فيه بالربوبية، ويقول بالإباحة للمحارم، وتحليل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم، ويزعم أن ذلك من التواضع والإخبات والتذلل في المفعول به، وأنه من الفاعل إحدى الشهوات والطيبات، وأن الله عز وجل لا يحرم شيئاً من ذلك، وكان محمد بن موسى بن الحسن بن فرات يقوي أسبابه ويعضده. أخبرني بذلك عن محمد بن نصير، أبو زكريا يحيى بن عبد الرحمن بن خاقان، أنه رآه عياناً، وغلّام له على ظهره، قال: فلقيته فعاتبته على ذلك، فقال: إن هذا من اللذات، وهو من التواضع لله، وترك التجبر، قال سعد: فلما اعتل محمد بن نصير العلة التي توفي فيها، قيل له وهو مثقل اللسان: لمن هذا الأمر من بعدك؟ فقال بلسان ضعيف ملجلج: أحمد،





فلم يدروا من هو، فافترقوا بعده ثلاث فرق، قالت فرقة: أنه أحمد ابنه، وفرقة قالت: هو أحمد بن محمد بن موسى ابن الفرات، وفرقة قالت: أنه أحمد بن أبي الحسين بن بشر بن يزيد، فافترقوا فلا يرجعون إلى شيء. الغيبة: باب المذمومين الذين ادّعوا البائية لعنهم الله (انظر معجم رجال الحديث ج ١٨: ص ٣١٧). قال العلامة الطبرسي رحمته الله بعد ما ذكر أبا محمد الحسن السريعي قال: كذلك كان محمد بن نصير النميري، من أصحاب أبي محمد الحسن عليه السلام، فلما توفي ادّعى البائية لصاحب الزمان عليه السلام، فضحه الله بما ظهر منه من الإلحاد والغلو والتناسخ، وكان يدّعي أنه رسول نبي أرسله علي بن محمد عليه السلام، ويقول بالإباحة للمحارم (انظر الاحتجاج ج ٢: ص ٢٨٩ توقيعات الناحية المقدسة). وقال ابن شهر آشوب بعد ما ذكر عبد الله بن سبأ: ثم أحيا ذلك رجل اسمه محمد بن نصير النميري البصري، زعم أن الله تعالى لم يظهره إلا في هذا العصر، وأنه علي وحده، فالشرذمة النصيرية ينتمون إليه، وهم قوم إباحية تركوا العبادات والشرعيات، واستحلوا المنهيات والمحرمات، ومن مقالهم أن اليهود على الحقّ ولنا منهم، وأنّ النصاري على الحقّ ولنا منهم (مناقب آل أبي طالب ج ١: ص ٢٢٨ في الرد على الغلاة). وقال: الحسن بن محمد بن بابا القمي: غال، من أصحاب الهادي عليه السلام، رجال الشيخ، وذكره في أصحاب العسكري عليه السلام، من دون توصيف بالقمي. وقال الكشي الحسن بن محمد المعروف "بابن بابا": وذكر أبو محمد الفضل بن شاذان في بعض كتبه: إن من الكذابين المشهورين ابن بابا القمي. قال سعد: حدثني العبيدي، قال: كتب إلي العسكري عليه السلام ابتداء منه: «أبرأ إلى الله من الفهري، والحسن بن محمد بن بابا القمي، فابراً منهما، فإنني محذرك وجميع موالي، وإنني ألعنهما، عليهما لعنة الله، مستأكلين يأكلان بنا الناس فتانين مؤذيين، آذاهما الله، أرسلهما في اللعنة وأركسهما في الفتنة ركساً، يزعم ابن بابا: أنني بعثته نبياً، وأنه باب، عليه لعنة الله، سخر منه الشيطان فأغواه، فلعن الله من قبل منه ذلك، يا محمد إن قدرت أن تخذش رأسه بالحجر فافعل، فإنه قد آذاني، آذاه الله في الدنيا والآخرة» (مناقب آل أبي طالب ج ٦ ص ١٢١). وإلى غير ذلك من أقوالهم، وهل بعد هذه الأقوال يمكن لأحد أن يدّعي بأن النصيرية من الشيعة؟!!

منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨ ٩٦١
فإنه عالم بأن هذه الفرق عند اثني عشرية الشيعة منافقون ضالّون مضلّون
كفرة ظهر الرفض منهم أم لم يظهر^(١)،

(١) لا يخفى على الباحث أنّ علماء الشيعة قد كفّروا النصيرية، وهم أتباع محمد بن نصير النمري، لأنهم من جملة الغلاة عندهم، حيث ادّعوا بأن محمد بن نصير النمري نبي ورسول!!! وعليه فهم من الغلاة عند علماء الشيعة ومن أهل الضلال. وإليك قول بعض علماء الشيعة في كفر هذه الطائفة: منهم: الحسن بن موسى النوبختي المتوفى في أواخر القرن الثالث: "وقد شذت فرقة من القائلين بامامة علي بن محمد في حياته، فقالت بنبوة رجل يقال له محمد بن نصير النميري، وكان يدّعي أنّه نبي بعثه أبو الحسن العسكري عليه السلام، وكان يقول بالتناسخ والغلو في أبي الحسن عليه السلام، ويقول فيه بالربوبية ويقول بالإباحة للمحارم ويحلّل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في ادبارهم، ويزعم أنّ ذلك من التواضع والتذلل، وأنّه احدى الشهوات والطيبات، وأنّ الله عزّ وجلّ لم يحرم شيئاً من ذلك" (انظر فرق الشيعة: ص ٩٥). قال الذهبي في ترجمة النوبختي: العلامة ذو الفنون أبو محمد الحسن بن موسى، النوبختي الشيعي، المتفلسف صاحب التصانيف. ذكره محمد بن إسحاق النديم، وابن النجّار بلا وفاة. وله كتاب "الآراء"، و"الديانات"، وكتاب "الردّ على التناسخية"، وكتاب "التوحيد وحدث العالم"، وكتاب "الإمامة وأشياء" (انظر سير أعلام النبلاء ج ١٥: ص ٣٣٧).

قال أبو جعفر الطوسي عليه السلام المتوفى ٤٦٠ هـ محمد بن نصير النميري أنّه قال ابن نوح: أخبرنا أبو نصر هبة الله بن محمد قال: كما محمد بن نصير النميري من أصحاب أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام، فلمّا توفي أبو محمد ادّعى مقام أبي جعفر محمد بن عثمان أنّه صاحب إمام الزمان وادّعى له البائية، وفضحه الله تعالى بما ظهر منه من الإلحاد والجهل، ولعن أبي جعفر محمد بن عثمان له، وتبريه منه، واحتجابه عنه، وادّعى ذلك الأمر بعد الشريعي (انظر الغيبة للشيخ الطوسي عليه السلام: ص ٣٩٨). وروى أيضاً عن أبي طالب الأنباري أنّه قال: لمّا ظهر محمد بن نصير بما ظهر لعنه أبو جعفر (رضي الله عنه) وتبرأ منه، فبلغه ذلك، فقصد أبا جعفر (رضي الله عنه) ليعطف بقلبه عليه أو يعتذر إليه، فلم يأذن له وحجبه
←



ورده خائباً (انظر الغيبة للشيخ الطوسي رحمته الله: ص ٣٩٨). وروى عن سعد بن عبد الله أنه قال: كان محمد بن نصير النميري يدعي أنه رسول نبي وأن علي بن محمد عليه السلام أرسله، وكان يقول بالتناسخ ويغلو في أبي الحسن عليه السلام ويقول فيه بالربوبية، ويقول بالإباحة للمحارم، وتحليل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أديارهم، ويزعم أن ذلك من التواضع والإخبات والتذلل في المفعول به، وأنه من الفاعل إحدى الشهوات والطيبات، وأن الله عز وجل لا يحرم شيئاً من ذلك. وكان محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات يقوي أسبابه ويعضده (انظر الغيبة للشيخ الطوسي رحمته الله: ص ٣٩٨). وقال أخبرني بذلك عن محمد بن نصير أبو زكريا يحيى بن عبد الرحمن بن خاقان، أنه رآه عياناً وغيلاً له على ظهره، قال: فلقيته فعاتبته على ذلك، فقال: إن هذا من اللذات، وهو من التواضع لله وترك التجبر (انظر الغيبة للشيخ الطوسي رحمته الله: ص ٣٩٨).

قال ابن البطريق الحلبي المتوفى ٦٠٠ هـ: أما الطائفة التي أفرطت في حبه، فهم النصيرية: وهم الذين يعتقدون أنه اله الخلق الذي يحيي ويميت ويرزق، وما ذلك إلا لشيء عاينوه من أفعاله الباهرة التي يريد الله تعالى بها تصديق الأنبياء عليهم السلام، ثم الأوصياء عليهم السلام، ليصح بها صدق الأنبياء في ادعاء النبوة، وصدق الأوصياء في ادعاء الخلافة، فلما أهملوا وظيفة النظر في الدليل، كان ذلك سبباً لهلاكهم، فضّلوا وهلكوا حيث شَبَّهوا الصانع بالمصنوع والربّ بالمربوب (انظر عمدة شرح صحاح الأخبار: ص ٢١٣). قال ابن شهر آشوب بعد ما ذكر عبد الله بن سبأ: ثم أحيى ذلك رجل اسمه محمد بن ناصر النميري البصري زعم أن تعالى لم يظهر إلا في هذا العصر وأنه علي وحده، فالشرذمة النصيرية ينتمون إليه، وهم قوم إباحية؛ تركوا العبادات والشرعيات، واستحلوا المنهيات والمحرمات. ومن مقالهم: أن اليهود على الحقّ ولسنا منهم، وأنّ النصارى على الحقّ ولسنا منهم. قال المؤلف: ذلّ قوم بنصير انتصروا * وعموا في أمرهم ما نظروا. أسرفوا في بغيهم وانهمكوا * ربّحوا فيما ترى أم خسروا. فافر أن في حقهم ما قاله * كيف يهدي الله قوماً كفروا (انظر مناقب آل أبي طالب ج ١: ص ٢٢٨).

وقال محمد بن علي الأردبيلي الغروي في كتابه جامع الرواة: محمد بن نصير النميري لعنه





على بن محمد العسكري عليه السلام روى الكشي ذلك عن نصر بن الصباح كما تقدم في المحسن بن محمد بن بابا. ثم قال: قال سعد: حدثني العبيدي قال: كتب إلي العسكري عليه السلام: «ابتداء منه أبرء إلى الله من النميري والحسن بن محمد بن بابا القمي، فابره منهما فإنني محذرك وجميع موالي، وإنني ألعنهما، عليهما لعنة الله، مستأكلين بنا الناس، فتانين مؤذيين إذا همّا الله، واركسهما في الفتنة ركساً». قال أبو عمرو: فقالت فرقة بنوّة محمد بن نصير النميري، وذلك أنه ادّعى أنه نبي رسول الله، وأنّ علي بن محمد العسكري عليه السلام أرسله، وكان يقول بالتناسخ والغلو في أبي الحسن عليه السلام ويقول فيه بالربوبية، ويقول بإباحة المحارم، ويحلّ نكاح الرجال، وكان محمد بن موسى بن الحسن بن فرات يقوى أسبابه ويعضده (انظر جامع الرواة ج ٢: ص ٢٠٨).

وقال السيد نعمة الله الجزائري رحمته الله في كتابه نور البراهين: النصيرية قالوا: حلّ الله في علي عليه السلام، فإنه من جانب الخير كظهور جبرئيل عليه السلام عليه بصورة البشر. وأمّا في جانب الشرّ، فكظهور الشيطان في صورة الإنسان، قالوا: وما كان علي وأولاده أفضل من غيرهم، وكانوا مؤيدين بتأييدات متعلّقة بباطن الأسرار، وظهر الحقّ تعالى بصورتهم ونطق بلسانهم وأخذ بأيديهم، ومن هاهنا أطلقنا الآلهة على الأئمة، ألا ترى أنّ النبي صلى الله عليه وآله قاتل المشركين، وعلياً قاتل المنافقين؟ فإنّ النبي صلى الله عليه وآله يحكم بالظاهر والله تعالى يتولّى السرائر (انظر نور البراهين ج ١: ص ١٦١).

وقال محمد بن إسماعيل المازندراني رحمته الله: النصيرية: من الغلاة، أصحاب محمد بن نصير النميري لعنه الله، كان يقول: الربّ هو علي بن محمد العسكري عليه السلام، وهو نبي من قبله، وأباح المحارم من النساء، وأحلّ نكاح الرجال (متهى المقال في أحوال الرجال، ج ٧: ص ٤٥٠).

وقال الملا علي كني رحمته الله: النصيرية، أنّهم من الغلاة أصحاب محمد بن نصير النميري لعنه الله، كان يقول: الربّ هو علي بن محمد العسكري عليه السلام، وهو نبي من قبله، وأباح المحارم من النساء، وأحلّ نكاح الرجال (توضيح المقال في علم الرجال: ص ٢٢٢).

وقال الشيخ عبد الله بن حسن المامقاني رحمته الله في كتابه دراسات في علم الدراية تلخيص





مقابس الهداية للمامقاني: النصيرية، هم من الغلاة أصحاب محمد بن نصير النميري (لعنه الله) كان يقول: الرب هو علي بن محمد العسكري عليه السلام، وهو نبي من قبله، وأباح المحارم من النساء، وأحلّ نكاح الرجال. إنّ المعروف عند الشيعة عوامهم وأكثر خواصهم لا سيّما شعرائهم إطلاق النصيريّ على من قال بربوبية علي عليه السلام (انظر كتاب دراسات في علم الدراية تلخيص مقابس الهداية للمامقاني رحمته الله: ص ١٤٨).

وقال الشيخ علي الخاقاني في رجاله الموسوم برجال الخاقاني: النصيرية هم من الغلاة أصحاب محمد بن نصير النميري (لعنه الله) وكان يقول: الرب هو علي بن محمد العسكري وهو نبي من قبله، فأباح المحارم من النساء وأحلّ نكاح الرجال (رجال الخاقاني: ص ١٣٥).

وقال الشيخ علي النمازي الشاهرودي: النصيرية هم المنسوبون إلى محمد بن نصير النميري الملعون، يستحلّون ترك العبادات، وارتكاب المنهيات والمحرمات، ويقولون: إنّ اليهود على الحقّ ولسنا منهم، والنصارى على الحقّ ولسنا منهم (انظر مستدرك سفينة البحار ج ١٠: ص ٦٩).

وقال الشيخ ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي في كتابه منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: النصيرية والإسحاقية من غلاة الشيعة، قالوا: إنّ الظهور الروحاني في الجسماني لا ينكر، ففي طرف الشرّ كالشياطين، فإنّه كثيراً ما يتصوّر الشيطان بصورة انسان ليعلمه ويكلّمه بلسانه، وفي طرف الخير كالملائكة، فإنّ جبرئيل كان يظهر بصورة دحية الكلبي والأعرابي، قالوا: فلا يمتنع أن يظهر الله تعالى في صورة بعض الكاملين وأولى الخلق بذلك أشرفهم وأكملهم هو العترة الطاهرة، وهو من يظهر فيه العلم والقدرة التامة من الأئمة من تلك العترة، ولم يتحاشوا عن إطلاق الإلهية على أئمتهم، وهذه ضلالة بينة لا يحتاج بطلانه إلى بيان، ومع ذلك نقول ظهور شيء في صورة شيء آخر لا يقتضي الحلول والاتحاد، فإنّ جبرئيل لم يتحد بدحية ولا حلّ فيه فلا يلزم مطلوبكم (منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ج ١٤: ص ٢٠).

وقال السيّد محمد كاظم القزويني العلامة الخطيب في كتابه الإمام المهدي عليه السلام من المهد



وبهتانهم وخيانتهم غير مضرّة بغيرهم مثل بهتان وخيانة من تسمّى بأهل السنة، فإنّه غير مضرّ بغيرهم ممّن لم يتابعهم عليه^(١).



إلى الظهور، باب الذين ادّعوا السفارة أو الوكالة كذباً وزوراً: محمّد بن نصير النميري كان من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام، فلمّا توفي الإمام عليه السلام ادّعى النميري كذباً وزوراً أنّه سفير الإمام المهدي عليه السلام ونائبه، ولكن الله تعالى فضحه حينما ظهرت منه عقيدة الإلحاد، فلعه النائب الثاني محمّد بن عثمان وتبرأ منه، وكان اللعين يقول بربوبية الإمامين الهادي والعسكري عليه السلام ويدّعي أنّه نبي مرسل من عند الهادي عليه السلام، ويقول بالتناسخ ويفتي بإباحة المحارم واللواط ويقول أنّه من اللذات والشهوات في الفاعل ومن التواضع في المفعول به... الخ (الإمام المهدي عليه السلام من المهد إلى الظهور ج ١: ص ١٧١).

وقال الشيخ جعفر السبحاني من معاصرين: ويغلب الغلو على عقائد النصيرية، إذ يؤلهون علماً، ويتركون ظاهر الشرع، ويهملون المساجد وصيام رمضان، ويخالفون بعض الأحكام في النكاح وغيره، ويقولون بثالوث من علي ومحمّد وسلمان الفارسي، وأنّ معنى الألوهية تشخص في علي، ثمّ محمّد، ثمّ سلمان الفارسي، ثمّ المقداد. وتتسم عقيدتهم بالمبالغة في السرية، وهم في هذا كلّهم يقدّون من سبقهم من غلاة الشيعة منذ عبد الله بن سبأ، ومن جاء بعده، وخاصة "الخطابية" أتباع "أبي الخطاب الكاهلي" الذي زعم أنّه "الباب" للإمام الخامس "موسى الكاظم عليه السلام"، ثمّ قال بتأليه الأئمة ونسخ بعض الأحكام الشرعية، والإسراف في التأويل الباطني، فأخذ النصيرية بهذا كلّهم. ولكن "الاثني عشرية" ينكرون مزاعم "ابن نصير" ويكفرون من اعتقد هذه الأقاويل، بصرف النظر عن العلاقات العملية التي قد تقوم بين الطائفتين (انظر رسائل ومقالات ج ١: ص ٢٠٣). وإلى غير ذلك من أقوال علماء الشيعة في قدح وذمّ وكفر النصيرية. وعليه فما بال ابن تيمية يفترى على الشيعة وينسب إلى الشيعة بهتاناً بأنّ النصيرية منهم.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الجواب عن السؤال المقدّر، وهو: أنّه لو ادّعى أحد أنّ النصيرية من الشيعة ما هو جوابكم؟! فإنّ الجواب واضح، حيث أنّ هذا الادّعاء والبهتان لا يضرّ





الشيعة، لأن عقائد الشيعة مذكورة في كتبهم وهي معروفة وواضحة ومأخوذة من الكتاب والسنة النبوية المتفق عليها بين جميع المسلمين، وهي عقائد حقة. لا يضر بحالهم ادعاء الآخرين بل وأن ادعائهم في الحقيقة بهتان مبین، حيث أن النصيرية كسائر الفرق الباطلة لهم أصول في عقائدهم، ولهم كتب ومصنفات معروفة، فبإمكان كل أحد أن يرجع إلى كتبهم ثم يرجع كتب الشيعة فيرى البون بينهما ما بين المشرقين. فدعوى أنهم من الشيعة لا تكون مقبولة عند أحد، حتى عند النصيرية أنفسهم، ولا تغير الواقع على ما هو عليه. مضافاً إلى أن الكتب الإسلامية من الفريقين مليئة بذهمهم وتفسيقهم وتكفيرهم، ونحن نسرد قبل كل شيء ما ذكرته معاجم الفرق في هذا المقام من دون أي تعليق مسهب. فالنصيرية في معاجم الملل والنحل، ولعل أول من ذكرهم من أصحاب المقالات هو الشيخ الحسن بن موسى النوبختي من أعلام القرن الثالث، ويظهر منه أنها نشأت بعد وفاة الإمام الهادي عليه السلام عام ٢٥٤هـ فقال: وقد شذت فرقة من القائلين بإمامة علي بن محمد في حياته، فقالت بنبوة رجل يقال له محمد بن نصير النميري، وكان يدعي أنه نبي، بعثه أبو الحسن العسكري عليه السلام، وكان يقول بالتناسخ والغلو في أبي الحسن عليه السلام، ويقول فيه بالربوبية، ويقول بالإباحة للمحارم ويحلل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم، ويزعم أن ذلك من التواضع والتذلل، وأنها إحدى الشهوات والطيبات، وأن الله عز وجل لم يحرم شيئاً من ذلك، وكان يقوي أسباب هذا النميري، محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات (انظر فرق الشيعة: ص ٩٣). وقال الكشي: وقالت فرقة بنبوة محمد بن نصير وكان يقول بالتناسخ والغلو في أبي الحسن عليه السلام، ويقول فيه بالربوبية، ويقول بإباحة المحارم ويحلل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم، ويقول: أنه من الفاعل والمفعول به أحد الشهوات والطيبات، وإن الله لم يحرم شيئاً من ذلك. وكان محمد بن موسى بن الحسن ابن فرات يقوي أسبابه ويعضده، وذكر أنه رأى بعض الناس محمد بن نصير عياناً وغلماً له على ظهره، فرآه على ذلك، فقال: إن هذا من اللذات وهو من التواضع لله وترك التجبر، واختلف الناس فيه بعده فرقاً (انظر اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي ج ٢: ص ٨٠٥). وقال الأشعري المتوفى سنة ٣٢٤هـ أن من أصناف الغالية، أصحاب الشرعي،





وقال: يزعمون أنّ الله حلّ في خمسة أشخاص، ثمّ انتقل منه إلى ذكر النميرية، وقال: إنّ فرقة من الرافضة يقال لهم النميرية أصحاب النميري يقولون إنّ الباري كان حالاً في النميري (انظر مقالات الإسلاميين ج ١: ص ١٥). وقال عبد القاهر البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩هـ في فصل عقده لبيان الفرقة الشريعية أتباع الشريعي والنميرية أتباع محمد بن نصير النميري، ونقل نفس ما نقله الأشعري في حقّ الرجلين ولم يزد عليه شيئاً. ومن قارن كتاب الفرق بين الفرق مع كتاب مقالات الإسلاميين يجد أنّه صورة ملخصة من الثاني، غير أنّه زاد في بيان الفرق سبباً وذمّاً غير لائق بشأن الكاتب (انظر الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي: ص ٢٥٢). وقد عقد الشيخ الطوسي رحمته الله المتوفى سنة ٤٦٠هـ فصلاً لمُدّعي البائية وذكر منها الشريعي، ومحمد بن نصير النميري. قال: كان محمد بن نصير النميري من أصحاب أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام، فلمّا توفي أبو محمد ادّعى مقام أبي جعفر محمد بن عثمان أنّه صاحب إمام الزمان، وادّعى له البائية، وفضحه الله تعالى بما ظهر منه من الإلحاد والجهل، ولعن أبي جعفر محمد بن عثمان له وتبرّأه منه واحتجابه عنه، وادّعى ذلك الأمر بعد الشريعي. ثمّ قال: قال أبو طالب الأنباري: لمّا ظهر محمد بن نصير بما ظهر لعنه أبو جعفر (رض) وتبرّأ منه فبلغه ذلك، فقصد أبا جعفر (رض) ليعطف بقلبه عليه أو يعتذر إليه، فلم يَأْذَن له وحجبه وردّه خائباً. ثمّ نقل عن سعد بن أبي عبد الله ما نقلناه آنفاً عن النوبختي. ثمّ قال: فلمّا اعتلّ محمد بن نصير العلة التي توفي فيها، قيل له وهو مثقل اللسان: لمن هذا الأمر من بعدك؟ فقال بلسان ضعيف ملجلج: أحمد، فلم يدروا من هو؟ فافترقوا بعده ثلاث فرق، قالت فرقة: أنّه أحمد ابنه، وفرقة قالت: هو أحمد ابن محمد بن موسى بن الفرات، وفرقة قالت: أنّه أحمد بن أبي الحسين بن بشر بن يزيد، فافترقوا فلا يرجعون إلى شيء (انظر كتاب الغيبة للشيخ الطوسي رحمته الله: ص ٣٩٨-٣٩٩). وإلى غير ذلك من أقوال علماء الفريقين الدالة على أنّ النصيرية ليست من الشيعة. وعليه فإنّ نسبة النصيرية إلى الشيعة بهتان وافتراء عليهم، ولا تضر الشيعة. كما أنّ أكاذيب أهل السنّة وافتراءاتهم على الشيعة لا تضرّ بهم. فلا يغترونّ مسلم بما يسمعه هنا وهناك من كلام مزيف لا يقوم على دليل واضح ولا برهان ساطع. والباحث إذا درس الموضوع وكشف



فإن قلت: ما بهتانهم وما خيانتهم؟ قلنا: قد مضى نبذة من ذلك، منها: قولهم:
بأنّ أبا بكر إمام المسلمين^(١)،



عن هذه الحقيقة، يرى بوضوح أنّ هذه الداوي المفترية لا يمكنها أن تقلل من شأن الشيعة وعظمتها بعد المعرفة بأنّ جميع ما لدى الشيعة مأخوذة من أئمة أهل البيت عليهم السلام. وسنذكر بعض الحقائق من خلال المطالب الآتية حتّى تشرق شمس هدايتها وتتبدّد سحب الضلال ويحلّ النور محلّ الظلام ان شاء الله تعالى.

(١) وتوضيح المقام أنّ افتراءات أتباع السقيفة إلى الشيعة لا تقل عن يفتري على الشيعة وينسب اليهم بعض الفرق الباطلة والضالة، فإنّ أبا بكر قد طلب الخلافة والحكومة في السقيفة بلا وجه شرعي، وقد تمّت بيعته فيها بعد نزاع طويل بين المهاجرين والأنصار، فاستولى على الخلافة غصباً بالعنف والإرهاب. وهذا ما جاء في حديث طويل رواه البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطّاب الذي يشرح فيه تفاصيل بيعة أبي بكر في السقيفة، ما جرى فيها من النزاع بين الصحابة، وهو يعترف بأنّ النزاع فيها إنّما كانت لأجل الوصول إلى الخلافة. ونحن نشير هنا إلى بعض مقاطع هذا الحديث الصحيح عند جميع أهل السنّة، فقد روى البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عبّاس، عن عمر بن الخطّاب الذي كان يروي الحوادث التي وقعت في السقيفة، فقال: كنت أقرئ رجلاً من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف، فبينما أنا في منزله بمنى وهو عند عمر بن الخطّاب في آخر حجّة حجّها، إذ رجع إليّ عبد الرحمن فقال: لو رأيت رجلاً يقول: لو قد مات عمر لقد بايعت فلاناً، فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلّا فلتة فتمت. فغضب عمر ثمّ قال: إنّني إن شاء الله لقائم العشية في الناس فمحدّثهم... قال ابن عبّاس: فقدمنا المدينة في عقب ذي الحجّة، فلمّا كان يوم الجمعة... خرج عمر ابن الخطّاب... فجلس على المنبر، فلمّا سكت المؤذّنون قام... ثمّ قال: أمّا بعد... بلغني أنّ قاتلاً منكم يقول: والله لو مات عمر بايعت فلاناً، فلا يغترّ امرؤ أن يقول إنّما كانت بيعة أبي بكر فلتة، وتمّت إلّا وأنّها قد كانت كذلك ولكن الله وقى شرّها، وليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر من





بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين، فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا، وأنه قد كان من خبرنا حين توفي الله نبيه ﷺ أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنا علي والزبير ومن معهما، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت لأبي بكر: يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، فانطلقنا نريدهم، فلمّا دنونا منهم لقينا رجلاً من صالحيان، فذكر ما تمالى عليه القوم فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، فقالا: لا عليكم أن لا تقربوهم اقضوا أمركم، فقلت: والله لنأتينهم، فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا رجل مزمل بين ظهرائهم، فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا سعد بن عباد، فقلت: ماله؟ قالوا: يوعك، فلمّا جلسنا قليلاً تشهد خطيبهم فأثنى على الله لما هو أهله، ثم قال: أمّا بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم معشر المهاجرين رهط، وقد دفت دافّة من قومكم، فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يحضنونا من الأمر، فلمّا سكت أردت أن أتكلّم وكنت زوّرت مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر، وكنت أداري منه بعض الحدّ، فلمّا أردت أن أتكلّم قال أبو بكر: على رسلك، فكرهت أن أغضبه، فتكلّم أبو بكر فكان هو أحلم مني وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلّا قال في يديته مثلها أو أفضل حتى سكت فقال: ما ذكرتم فيكم من خير، فأنتم له أهل ولم يعرف هذا الأمر إلّا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب نسباً وداراً وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيّهما شئتم، فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا فلم أكره ممّا قال غيرها، كان والله أن أقدم فتضرب عنقي، لا يقربني ذلك من إثم أحبّ إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر، اللهم إلّا أن تسوّل إليّ نفسي عند الموت شيئاً لا أجده الآن، فقال قائل الأنصار: أنا جدي لها المحكك وعذيقها المرجب، منّا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، فكثرت اللغط وارتفعت الأصوات حتى فرقت من الاختلاف، فقلت: أبسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون، ثمّ بايعته الأنصار، ونزونا على سعد بن عباد، فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عباد، فقلت: قتل الله سعد بن عباد، قال عمر: وإنّا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر، خشينا أن فارقنا





القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا، فإمّا بايعناهم على ما لا نرضى وإمّا نخالفهم فيكون فساد فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا (صحيح البخاري ج ٨: ص ٢٥ كتاب المحاربين، باب رجم الحبلى من الزنا إذا احصنت).

أقول: أنّ هذا الحديث صريح في عدم مشروعية بيعة أبي بكر في السقيفة، أولاً: لأنّ ظاهر منه يدلّ على أنّ بيعته التي وقعت يوم السقيفة كانت على أمر غير مشروع في الإسلام، حيث أنّ الأمر المشروع لا بد من اثباته من الكتاب والسنة وحيث لا دليل عليه من الكتاب والسنة فهو أمر غير مشروع، والشاهد على ذلك وقوع النزاع بين الصحابة في السقيفة على هذا الأمر، فلو كان أمراً مشروعاً كالصلاة والصيام وأمثال ذلك لما وقع النزاع فيها بينهم، فيبدوا أنّ الأمر المتنازع عليه كان غير ثابت شرعاً. وبعبارة أخرى أنّ البيعة المشروعة هي البيعة التي تكون على أمر ثابت شرعاً في المرتبة السابقة عليها. فلو كانت بيعة أبي بكر مشروعة لما وقع النزاع بينهم. فحيث لم تكن خلافته مشروعة من قبل الله تعالى ولا من قبل رسوله ﷺ. وحتىّ لم تكن مشروعة من قبل الناس، على مبنى أهل السنة فقد وقعت المنازعة بينهم.

وثانياً: كيف يمكن لأهل السنة دعوى الخلافة والإمامة لأبي بكر مع وجود الروايات الصحيحة الدالة على أنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة وفي أجواء الفوضى كما وصفها عمر بن الخطاب بأنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة، ومقتضى ذلك أنّها تحققت من دون رغبة الناس الى بيعته، وعليه فإنّ بيعته على جميع مباني أهل السنة تكون غير مشروعة، لأنّهم يدعون بأنّ مشروعية البيعة إنّما تتم بالاجماع، وحيث لا اجماع في بيعة أبي بكر، فبيعته كانت غير مشروعة.

وثالثاً: كيف يمكن لأهل السنة دعوى الخلافة والإمامة لأبي بكر مع وجود الروايات الصحيحة الدالة على أنّ أبا بكر كان لا يرى نفسه مستحقاً للخلافة، كما اعترف بذلك في أوّل يوم خلافته عندما خطب في المسجد فقال: أمّا بعد، أيّها الناس، فإنّي قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني... (تاريخ الطبري ج ٢: ٢)





ص ٤٥٠). قال ابن حزم: قد صحَّ أنَّ أبا بكر خطب الناس حين ولي بعد موت رسول الله ﷺ، فقال: أيُّها الناس، إني وليتكم ولست بخيركم، فقد صحَّ عنه، أنَّه أعلن بحضرة جميع الصحابة أنَّه ليس بخيرهم، ولم ينكر هذا القول منهم أحد (الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٤: ص ١٠٥). وإذا كان أبو بكر معترفاً بأنَّه لا يستحقُّ الخلافة كيف جاز له أن يمدَّ يده للبيعة عندما قال له عمر: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده... (انظر صحيح البخاري ج ٨: ص ٢٥ كتاب المحاربين، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت). ورابعاً: أنَّ أبا بكر قد استقال عن الخلافة على رؤوس الأشهاد كما ورد في الأحاديث الصحيحة لدى كبار علماء أهل السنَّة وهي بالغة عن حدِّ الاستفاضة، ولذلك قد عقد المحبُّ الطبري باباً في كتابه رياض النضرة بعنوان استقالة أبي بكر عن البيعة، وذكر فيه الروايات الكثيرة الدالة على أنَّ أبا بكر استقال على رؤوس الأشهاد، منها: ما رواه بسنده عن زيد بن أسلم قال: دخل عمر على أبي بكر وهو أخذ بطرف لسانه، وهو يقول: إنَّ هذا أوردني الموارد، ثمَّ قال: يا عمر لا حاجة لي في إمارتكم. قال عمر: والله لا نقيلك ولا نستقيلك، ثلاثاً خرَّجه حمزة بن الحارث. وعن أبي الجحاف قال: قام أبو بكر بعد ما بويع له وبايع له علي وأصحابه، فأقام ثلاثاً يقول: أيُّها الناس قد أفلتكم بيعتكم هل من كاره...؟ خرَّجه ابن السَّمَّان في الموافقة. وعنه قال: احتجب أبو بكر عن الناس ثلاثاً يشرف عليهم كلَّ يوم يقول: قد أفلتكم بيعتي فبايعوا من شئتم...، خرَّجه الحافظ السُّلَفي في المشيخة البغدادية وابن السَّمَّان في الموافقة. وأبو الجحاف هذا هو داود بن أبي عوف البرجمي التميمي مولاهم، كوفي ثقة، روى عن غير واحد من التابعين (انظر الرياض النضرة لمحبِّ الطبري ج ٢: ص ٢٥١). ومنها: ما رواه ابن حَبَّان: إنَّ أبا بكر قام في الناس بعد مبايعتهم إيَّاه يقلبهم في بيعتهم ويستقيلمهم فيما تحمَّله من أمرهم، ويعيد ذلك عليهم، كلَّ ذلك يقولون له: والله لا نقيلك ولا نستقيلك... (تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس: باب ذكر بيعة أبي بكر، من الموطن الحادي عشر). وقال الدهلوي: فلمَّا توفيت فاطمة بعث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على أبي بكر وقال: «اثنني وحدك»، فجاءه أبو بكر في بيته، فجلسا وتحدَّتا، ثمَّ قال علي لأبي بكر: «إنَّك استأثرت هذا الأمر دوننا...»،





فقال أبو بكر: يا أبا الحسن، كان الأنصار يدعون هذا الأمر لأنفسهم، وكانوا يريدون أن ينصبوا أميراً منهم، وكان يخاف منهم الفتنة، فتسارعت إلى إطفاء الفتنة وأخذت بيعة الأنصار. وإن كان لك في هذا الأمر رغبة، فأنا أخطب الناس وأقيل بيعتهم وأبايعك والناس، فقال أمير المؤمنين: «الموعود بيني وبينك بعد صلاة الظهر»، فلما صلوا الظهر رقى أبو بكر المنبر وقال: أقيلوني، فلست بخيركم وعلي فيكم... (انظر دلائل الصدق ج ٣: ص ٨١). وقال السرخسي أن أبا بكر قال: أقيلوني فلست بخيركم وعلي فيكم (انظر السير الكبير للسرخسي ج ١: ص ٣٦). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام وعليه. فياللعجب إذا كان مستحقاً للخلافة كيف جاز له أن يستقل منها؟ فإن استقالته دليل على عدم مشروعة خلافته حتى على مباني علماء أهل السنة. ولذلك قال مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «فيا عجباً، بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشدة ما تشطراً ضرعها» (نهج البلاغة: الخطبة رقم ٣ المعروف بالخطبة الشقشقية). لقد أشار الإمام عليه السلام في هذا المقطع من الخطبة إلى عهد الخليفة الثاني فقال: «حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى فلان بعده، (ثم تمثّل بقول الأعشى): شتان ما يومي على كورها...». قال ابن أبي الحديد المعتزلي: وعمر هو الذي شدّ بيعة أبي بكر، ورغم المخالفين فيها فكسر سيف الزبير لما جرّده، ودفع في صدر المقداد، ووطىء في السقيفة سعد بن عباد، وقال: اقتلوا سعداً، قتل الله سعداً. وحطم أنف الخباب بن المنذر الذي قال يوم السقيفة: أنا جديله المحكك، وغذيقها المرجب. وتوعد من لجأ إلى دار فاطمة عليها السلام من الهاشميين، وأخرجهم منها، ولولاه لما ثبت لأبي بكر أمر، ولا قامت له قائمة (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١: ص ١٧٤). ومن هنا تتضح روعة تعبير الإمام عليه السلام بأدلى البيان، في التمثيل بقول الأعشى: «شتان ما يومي على كورها * ويوم حيّان أخي جابر». حيث أراد الإمام عليه السلام أن يقول كنت أقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وآله، وأعظمهم منزلة وحرمة، بل كنت نفس رسول الله صلى الله عليه وآله غير أنهم أقصوني بعده وأخذوا يتلافقون الخلافة التي لا تصلح إلّا لي، فيرمون بها لمن يشاؤون. ثم يعبر الإمام عليه السلام عن اندهاشه وذهوله لما حصل فقال عليه السلام: «فيا عجباً، بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر





بعد وفاته لشدة ما تشطرا ضرعها»، والواقع أنّ هذه العبارة إشارة إلى الحديث معروف الذي نقلناه عن أبي بكر أنّه خاطب به الناس أوائل خلافته حيث قال: أقيّلوني ولست بخيركم... وعليه رغم أنّ خلافة أبي بكر كانت غير مشروعة عند جميع أهل السنّة فإنّهم اعتقدوا بخلافته وهذا الأمر لا يضرّ أحداً إلّا أنفسهم، لأنّهم خسروا الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى بطلان خلافة عمر بن الخطّاب وعثمان كبطلان خلافة أبي بكر، لأنّ خلافة عمر كانت بعهد من أبي بكر بخلافته، لأنّه أولاً: أنّ خلافة أبي بكر كانت غير مشروعة حتّى على مباني أهل السنّة، فعهدّه إلى عمر يكون غير مشروع، لأنّ البيعة التي تحقّقت في السقيفة كانت غير مشروعة باعتراف عمر بن الخطّاب نفسه على ما رواه البخاري في صحيحه، وقد تقدّمت الإشارة إلى ذلك، فلا نعيده.

وثانياً: أنّ من أمعن النظر في عهد أبي بكر إلى عمر بالخلافة، ما ورد في هذا المجال من الحوادث التاريخية والآثار التي سجّلها المصادر السنّية يستطيع أن يعرف حقيقة هذه اللعبة السياسية والاستخلاف الصورية لعمر، إذ قد اتّفق المؤرّخون على أنّ استخلاف أبي بكر لعمر كانت بدون استشارة الصحابة، بل وكانت رغم أنف الصحابة وهم له كارهون لذلك، قال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة أنّ أبا بكر دعا عثمان بن عفّان في مرضه الذي توفّي فيه، فقال: اكتب عهدي، فكتب عثمان وأملى عليه: هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة آخر عهده في الدنيا نازحاً عنها... إنّي استخلفت عليكم عمر بن الخطّاب، فإن تروه عدل فيكم، فذلك ظنّي به ورجائي فيه، وإن بدل وغير فالخير أردت، ولا أعلم الغيب، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. ثمّ ختم الكتاب ودفعه إلى عمر، فدخل عليه المهاجرون والأنصار حين بلغهم أنّه استخلف عمر، فقالوا: نراك استخلفت علينا عمر، وقد عرفته، وعلمت بوائقه فينا وأنت بين أظهرنا، فكيف إذا وليت عناً وأنت لاق الله عزّ وجلّ فسائلك، فما أنت قائل؟ (الإمامة والسياسة ج ١: ص ٢٤) وقد بادر أكثر المهاجرين





والأنصار إلى أبي بكر يعلنون كراهيتهم لخلافة عمر، فدخل طلحة على أبي بكر غاضباً معترضاً على أبي بكر وقد كره خلافة عمر قائلاً له: ماذا تقول لرَبِّك إذا وليت علينا فظاً غليظاً؟ فقال: أبا لله تخوفوني؟ أقول: وليت عليهم خيرهم... (انظر تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر ج ٤٤: ص ٢٥٠). وهذا معناه أنَّ الصحابة لم يكونوا راضين عن استخلاف عمر وقد فرضته عليهم فرضاً بدون استشارتهم. وهذا معنى ما أشار إليه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عندما قال لعمر: «احلب حلباً لك شطره، واشدد له اليوم أمره يردده عليك غداً» (الإمامة والسياسة ج ١: ص ٢٩). فأنَّ أبا بكر مع علمه بأنَّ أكثرية الشعب كانوا ينقمون عليه في هذا الأمر فقد فرضه عليهم ولم يمنحهم الحرية في انتخاب مَنْ شأوا لرئاسة الحكم؟! وعلى أيّ حال فقد لازم عمر أبا بكر في مرضه ولم يفارقه؛ خوفاً من التأثير عليه وكان يعزّز مقالته ورأيه في انتخابه له قائلاً: أيها الناس، اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله. ووقع أبو بكر الكتاب فتناوله عمر وانطلق به يهرول إلى الجامع ليقرأه على الناس فانبرى إليه رجل وقد أنكر عليه ما هو فيه قائلاً: ما في الكتاب يا أبا حفص؟ فنفي عمر علمه بما فيه إلاَّ أنَّه أكّد التزامه بما جاء فيه قائلاً: لا أدري ولكنني أوّل مَنْ سمع وأطاع؛ فرمقه الرجل وقد علم واقعه قائلاً: ولكنني والله أدري ما فيه أمّرتَه عام أوّل وأمرَك العام؛ وانبرى عمر إلى الجامع فقرأه على الناس وبذلك تمَّ له الأمر بسهولة من دون منازع إلاَّ أنَّ ذلك قد ترك أعمق الأذى في نفس الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فراح بعد سنين يدلي بما انطوت عليه نفسه من الشجون يقول الإمام عليه السلام في خطبته الشقشقية: «فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجاً أرى تراثي نهباً، حتّى مضى الأوّل لسبيله فأدلى بها إلى فلان (يعني عمر) بعده». ثمّ تمثّل بقول الأعشى: «شَتان ما يومي على كورها * ويوم حيّان أخي جابر. فيا عجباً! بينا هو يستقيها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشدّ ما تشطّراً ضرعيها...» (نهج البلاغة: الخطبة رقم ٣). وكشفت هذه الكلمات عن مدى أحزانه عليه السلام وآلامه عليه السلام على ضياع حقّه الذي تناهته الرجال فقد وضعوه في تيم مرّة وفي عدي تارة أخرى...

وأما بطلان خلافة عثمان فلائنه خلافته كانت ببيعة بعض أهل الشورى، حيث أنَّ عمر بن





الخطاب حدّد طريقة انتخاب الخليفة بالشورى، فاختار ستة لتولي الأمر، وألزمهم على أن يختاروا من بينهم واحداً، ولكن حدّد طريقة التعيين بحسب رغبته. فإنّه أمرهم بأن يجتمعوا في بيت أحدهم ويتشاوروا على أن يكون عبد الله بن عمر يحضر معهم ليستشيروه، ويصلي بالناس أثناء التشاور الصهيب الرومي، وقال له: "أنت أمير الصلاة في هذه الأيام الثلاثة"، واستعمل أبا طلحة زيد بن سهل الأنصاري، وقال له: "إن رضي أربعة وخالف اثنان، فاضرب عنق الاثنين، وإن رضي ثلاثة وخالف ثلاثة، فاضرب أعناق الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن" (انظر تاريخ يعقوبي ج ٢: ص ١٦٠)، وحدّد الفترة بثلاثة أيام، فقال لهم: "لا يأتي اليوم الرابع إلا وعليكم أمير"، وقال لهم: "فإن رضي ثلاثة رجلاً منهم وثلاثة رجلاً منهم فحكموا عبد الله بن عمر، فأى الفريقين حكم له فليختاروا رجلاً منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف"، ووصف عبد الرحمن بن عوف بأنّه مسدد رشيد، فقال عنه: "ونعم ذو الرأي عبد الرحمن بن عوف، مسدد رشيد، له من الله حافظ، فاسمعوا منه" (انظر تاريخ يعقوبي ج ٢: ص ١٦٠). ثمّ طلب عمر أبا طلحة الأنصاري وقال له: "يا أبا طلحة، فاختر خمسين رجلاً من الأنصار فاستحث هؤلاء الرهط حتّى يختاروا رجلاً منهم" (انظر تاريخ يعقوبي ج ٢: ص ١٦٠).

وقال للمقداد بن الأسود: "إذا وضعتُموني في حفرتي، فاجمع هؤلاء الرهط في بيت حتّى يختاروا رجلاً منهم..." (انظر تاريخ الطبري ج ٣: ص ٢٩٤). وقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عمرو بن ميمون قال: "رأيت عمر بن الخطاب قبل أن يصاب بأيّام بالمدينة وقف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف قال: كيف فعلتما، أتخافان أن تكونا قد حملتما الأرض ما لا تطيق؟ قال: حملناها أمراً هي له مطيقة ما فيها كبير فضل قال: انظرا أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق، قال: قال: لا، فقال عمر: لئن سلمني الله لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبداً، قال: فما أتت عليه إلا أربعة حتّى أصيب، قال: إنّي لقائم ما بيني وبينه إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب، وكان إذا مرّ بين الصفيين، قال: استتوا حتّى إذا لم ير فيهن خلاً، تقدّم فكبر وربما قرأ سورة يوسف أو





النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس فما هو إلا أن كبر فسمعه يقول: قتلني أو أكلني الكلب حين طعنه، فطار العليج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يميناً ولا شمالاً إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنساً، فلما ظن العليج أنه مأخوذ نحر نفسه وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه، فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى، وأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون غير أنهم قد فقدوا صوت عمر وهم يقولون: سبحان الله سبحان الله، فصلّى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة، فلما انصرفوا قال: يا ابن عباس انظر من قتلني، فجال ساعة ثم جاء، فقال غلام المغيرة: قال الصنع، قال: نعم، قال: قاتله الله، لقد أمرت به معروفاً، الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدعي الإسلام، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة وكان العباس أكثرهم رقيقاً، فقال: إن شئت فعلت أي إن شئت قتلنا، قال: كذبت بعد ما تكلموا بلسانكم وصلّوا قبلتكم وحجّوا حجكم، فاحتمل إلى بيته فانطلقنا معه، وكانّ الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، فقائل يقول: لا بأس وقائل يقول: أخاف عليه، فأتي بنبيذ فشربه فخرج من جوفه، ثم أتى بلبن فشربه فخرج من جرحه، فعلموا أنه ميت فدخلنا عليه، وجاء الناس فجعلوا يشنون عليه وجاء رجل شاب، فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله ﷺ وقدم في الإسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة، قال: وددت أن ذلك كفاف لا علي ولا لي، فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض، قال: ردوا علي الغلام، قال: يا ابن أخي ارفع ثوبك فإنه أبقى لثوبك وأتقى لربك يا عبد الله بن عمر، انظر ما عليّ من الدين، فحسبوه فوجدوه ستّة وثمانين ألفاً أو نحوه، قال: إن وفي له مال آل عمر فأده من أموالهم وإلا فسل في بني عدي بن كعب فإن لم تف أموالهم فسل في قريش ولا تعدهم إلى غيرهم فأدّ عني هذا المال انطلق إلى عائشة، فقل: يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل أمير المؤمنين، فإنّي لست اليوم للمؤمنين أميراً، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فسلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدتها قاعدة تبكي، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسه ولأوثرن به اليوم على نفسي، فلما أقبل قيل: هذا عبد





الله بن عمر قد جاء، قال: ارفعوني، فأسنده رجل إليه، فقال: ما لديك، قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين أذنت، قال: الحمد لله ما كان من شيء أهم إلي من ذلك، فإذا أنا قضيت فاحملوني ثم سلم فقل يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فأدخلوني وإن ردّتي ردّوني إلى مقابر المسلمين، وجاءت حفصة والنساء تسير معها، فلما رأيناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة، واستأذن الرجال فولجت داخلاً لهم فسمعنا بكاءها من الداخل، فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين استخلف، قال: ما أجد أحداً أحقّ بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفّي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فسمي علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء كهينة التعزية له، فإن أصابت الإمرة سعداً فهو ذاك وإلا فليستعن به أيكم ما أمر فيني لم أعزله عن عجز ولا خيانة، وقال: أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيراً الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم وأن يعفى عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً فإنهم ردة الإسلام وجباة المال وغيظ العدو وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيراً فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن يؤخذ من حواشي أموالهم ويرد على فقرائهم، وأوصيه بدمّة الله ودمّة رسوله ﷺ أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا إلا طاقتهم. فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي، فسلم عبد الله بن عمر، قال: يستأذن عمر بن الخطاب، قالت: أدخلوه، فأدخل فوضع هنالك مع صاحبيه، فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي، فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف، فقال عبد الرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه والله عليه والإسلام لينظرنّ أفضلهم في نفسه؟ فأسكت الشيخان، فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إلي؟ والله عليّ أن لا آل عن أفضلكم، قالوا: نعم فأخذ بيد أحدهما، فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمت، والله عليك لئن أمرتك لتعدلنّ ولئن أمرت عثمان لتسمعنّ ولتطيعنّ، ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق



ونقلهم في إمامتهم عن النبي ﷺ ما يدل على ذلك^(١).



قال: ارفع يدك يا عثمان فبايعه، فبايع له علي وولج أهل الدار فبايعوه" (انظر صحيح البخاري ج ٤: ص ٢٠٥ كتاب المناقب، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان). فصريح هذه الرواية أنّ بيعة عثمان تمت ببعض أصحاب الشورى، وهناك مصادر كثيرة من أهل السنة نقلت هذه القصة؛ فلاحظ السنن الكبرى للبيهقي ج ٨: ص ١٥٠، وصحيح ابن حبان ج ١٥: ص ٣٥٥، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٤٤: ص ٤١٧، ورياض النضرة لمحّب الطبري ج ٣: ص ٥٢، وأسد الغابة لابن الأثير ج ٣: ص ٣٨١، والمنتظم لابن الجوزي ج ٤: ص ٣٢١، وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ص ١٥٠، وغيرها من المصادر السيئة. وعليه فإنّ خلافة عثمان كصاحبه باطلة لعدم مشروعيّتها عند جميع أهل السنة فضلاً عن الشيعة. فالقول بخلافة الخلفاء الثلاثة بهتان وخيانة على الله ورسوله والمؤمنين، ومن الواضح أنّ ذلك لا يضرّ أحداً إلاّ أنفسهم، فهم قد خسروا بذلك الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين، فلاحظ.

(١) لا يخفى على الباحث المتتبع في الآثار والأخبار ما ورد من الغلو الفاحش وذكر الفضائل المزعومة والمكذوبة في الخلفاء الثلاثة، بل وقد ورد في كتبهم الروايات المكذوبة التي قد يستفاد منها خلافتهم، وقد نسبوها إلى النبي ﷺ كذباً وزوراً!! فلا يخفى على الباحث الخبير أيادي الدسّ والتحريف في نقل تلك الروايات المفتراة التي لا تساعد العقول قبولها، حيث أنّ كلّ إنسان لو عرف الخلفاء الثلاثة بما ورد في حقّهم المجمع عليه لدى جميع أهل السنة، فإنّه سوف يدعن بأنّ كلّ ما ورد في حقّهم من الفضائل المكذوبة والمزعومة إنّما هي من مرمعات الحديث ومن مختلقات عمال بني أمية ومرترقتهم، لأنّها لا تنسجم مع ما جاء في محكم كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ المتفق عليها بين جميع المسلمين. فدونك شيئاً ممّا عزوه إلى الروايات من فضائل الثلاثة. إذ هناك في مقابلها روايات رواها كبار علماء أهل السنة في مطاعنهم، ممّا فيها من الطامات والجنيات والأحداث والشنائع والفظائع التي ارتكبتها الخلفاء الثلاثة، وإنّما كانت وصمات سوّدت





صحيفة التاريخ وأبقت على الأمة عارها إلى منصرم الدنيا لا تنسى قط بمرّ الأعصار والدهور. والباحث لما يتأمل في تلك الروايات المدسوسة من قبل عمّال خلفاء الجور المزعومة في فضائلهم يجد أنهم متابعين لكل فضيلة ورد في حقّ مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام المروية عن لسان النبي الصادق عليه السلام فافتعلوا مثلها في خلفائهم زوراً وبهتاناً على رسول الله صلى الله عليه وآله، ليلبسوا الأمر على العوام وما بحكم العوام. وقد يندعش القارئ من تلك أحاديث الموضوعية والمكذوبة التي وضعتها الأيدي المرتزقة أيام بني أمية وبني العباس. وإليك ما ذكره ابن أبي الحديد في هذا المجال، قال: قد روي أن أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال لبعض أصحابه: «يا فلان، ما لقينا من ظلم قريش إيانا وتظاهروا علينا وما لقي شيعتنا ومحبونا من الناس، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قبض وقد أخبر إنا أولى الناس بالناس، فتمالأت علينا قريش حتى أخرجت الأمر عن معدنه، واحتجّت على الأنصار بحقنا وحجّتنا، ثمّ تداولتها قريش واحد بعد واحد حتى رجعت إلينا، فنكثت بيعتنا ونصبت الحرب لنا ولم يزل صاحب الأمر في صعود كنود حتى قتل، فبوع الحسن عليه السلام ابنه وعوهد ثمّ غدر به وأسلم ووثب عليه أهل العراق، حتى طعن بخنجر في جنبه ونهبت عسكره وعولجت خلاليل أمّهات أولاده، فوداع معاوية وحقق دمه ودماء أهل بيته وهم قليل حقّ قليل، ثمّ بايع الحسين عليه السلام من أهل العراق عشرون ألفاً ثمّ غدروا به وخرجوا عليه وبيعته في أعناقهم، وقتلوه ثمّ لم نزل - أهل البيت - نستذلّ ونستضام ونقصي ونمتهنّ ونحرم ونقتل ونخاف ولا نأمن على دماننا ودماء أوليائنا، ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقربون به إلى أوليائهم، وقضاة السوء وعمّال السوء في كلّ بلدة فحدّثوهم بالأحاديث الموضوعية المكذوبة ورووا عنّا ما لم نقله وما لم نفعله لئيبغضونا إلى الناس، وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام، فقتلت شيعتنا بكلّ بلدة وقطعت الأيدي والأرجل على الظّنة، وكان من يذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره، ثمّ لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام، ثمّ جاء الحجاج فقتلهم كلّ قتلّة، وأخذهم بكلّ ظنّة وتهمّة، حتى أنّ الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحبّ إليه





من أن يقال شيعة علي عليه السلام، وحتى صار الرجل الذي يذكر بالخير - ولعله يكون ورعاً صدوقاً - يحدث بأحاديث عظيمة عجيبة، من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة ولم يخلق الله تعالى شيئاً منها ولا كانت ولا وقعت وهو يحسب أنها حق لكثرة من قد رواها ممن لم يعرف بكذب ولا بقلّة ورع» (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١١: ص ٤٣). وقال: روى أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سيف المديني في كتاب الأحداث قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً ويرأون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشدّ الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضمّ إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف، لأنّه كان منهم أيام علي عليه السلام، فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وطرفهم وشرّدهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم، وكتب معاوية إلى عمّاله في جميع الآفاق ألاّ يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة، وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه، فأدنوا مجالسهم وقربوهم وأكرمواهم، واكتبوا لي بكل ما يروى كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته. ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلوات والكساء والحباء والقطائع ويفيضة في العرب منهم والموالي، فكثرت ذلك في كل مصر، وتنافسوا في المنازل والدينا، فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملاً من عمّال معاوية فيروى في عثمان فضيلة أو منقبة إلاّ كتب اسمه وقربه وشفّعه فلبثوا بذلك حيناً. ثم كتب إلى عمّاله أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلاّ وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإنّ هذا أحبّ إليّ وأقرّ لعيني وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته وأشدّ عليهم من مناقب عثمان وفضله. فقرئت كتبه على الناس فرويت





أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجد الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر وألقى إلى معلمي الكتائب، فعلموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتى روه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله. ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: انظروا من قامت عليه البيّنة أنّه يحبّ علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه، وشفع ذلك بنسخة أخرى من اتّهمته بموالاته هؤلاء القوم فنكلوا به واهدموا داره، فلم يكن البلاء أشدّ ولا أكثر منه بالعراق ولا سيّما بالكوفة، حتى إنّ الرجل من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقى إليه سرّه ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدّثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمنّ عليه، فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة وكان أعظم الناس في ذلك بلية القراء المرءون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك، فيفتعلون الأحاديث ليحطّوا بذلك عند ولاتهم ويقربوا مجالسهم ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديّانين الذين لا يستحلّون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها وهم يظنون أنّها حقّ ولو علموا أنّها باطلة لما روهها ولا تدينوا بها. فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي عليه السلام فازداد البلاء والفتنة فلم يبق أحد من هذا القبيل إلّا وهو خائف على دمه أو طريد في الأرض، ثمّ تفاقم الأمر بعد قتل الحسين عليه السلام وولي عبد الملك بن مروان، فاشتدّ على الشيعة، وولي عليهم الحجّاج ابن يوسف فتقرّب إليه أهل النسك والصلاح والدين ببغض علي عليه السلام وموالاته أعدائه وموالاته من يدّعي من الناس أنّهم أيضاً أعداؤه، فأكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم وأكثروا من الغضب من علي عليه السلام وعيبه والطعن فيه والشنّان له، حتى إنّ إنساناً وقف للحجّاج - ويقال أنّه جدّ الأصمعي عبد الملك بن قريب - فصاح به: أيّها الأمير، إنّ أهلي عقّوني فسمّوني عليّاً، وإنّي فقير بائس وأنا إلى صلة الأمير محتاج، فضاحك له الحجّاج وقال: للطف ما توسّلت به قد وليتك موضع كذا (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١: ص ٤٤). وقال: وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه وهو من أكابر





المحدثين وأعلامهم في تاريخه ما يناسب هذا الخبر وقال: إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية تقريباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بني هاشم (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١١: ص ٤٦). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة بهذا المضمون في كتبهم، والمستفاد منها أن الناس في عهد بني أمية كانوا يتسابقون في وضع الحديث بأمر من معاوية الذي أراد أن يرفع قدر أبي بكر وعمر مقابل فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وقد جاءت أحاديث هزيلة ومضحكة ومتناقضة في أصح كتبهم من فضائل مكذوبة لخلفائهم، بل وحتى وردت دعوى نزول بعض آيات المدح فيهم مما لو سمعه الثكلي يموت من الضحك. فعلى سبيل المثال أنه روى كبار علماء أهل السنة أن معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (سورة البقرة: ٢٠٧) نزلت في حق قاتل الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام (أي عبد الرحمن بن ملجم المرادي) فلم يقبل سمرة بهذا المقدار ولكن معاوية زاد له في المبلغ حتى بلغ أربعمائة ألف درهم، فقبل الرجل بذلك، فقام بتحريف الحقائق الثابتة، مسوداً بذلك صفحته السوداء أكثر من ذي قبل، وذلك عندما رقى المنبر وفعل ما طلب منه معاوية (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٤: ص ٧٣). ثم قال ابن أبي الحديد: قال: وقد صح أن بني أمية منعوا من إظهار فضائل علي عليه السلام، وعاقبوا على ذلك الراوي له، حتى إن الرجل إذا روى عنه حديثاً لا يتعلق بفضله بل بشرائع الدين لا يتجاسر على ذكر اسمه، فيقول: عن أبي زينب وروى عطاء، عن عبد الله بن شداد بن الهاد، قال: وددت أن أترك فأحدث بفضائل علي بن أبي طالب عليه السلام يوماً إلى الليل، وأن عنقي هذه ضربت بالسيف (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٤: ص ٧٣). وإلى غير ذلك من الحقائق التي وردت في كتبهم. والحقيقة لا يمكن أن تخفى بمثل هذه الحجب الواهية، ولا يمكن أن تنسى بمثل هذه المحاولات العنكبوتية الرخيصة. فقد زالت حكومة معاوية وزال معها أعوانها، واندثرت آثار الاختلاق والافتعال الذي وقع في عهدها المشؤوم، وطلعت شمس الحقيقة من وراء





حُجِبُ الجَهِل والافتراء مرّة أخرى، واعترف أغلب المفسرين والمحدثين في العصور والأدوار المختلفة بأنّ الآية المذكورة نزلت في "ليلة المبيت" في شأن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ومفاداته النبي صلى الله عليه وآله بنفسه، كما لا يخفى ذلك على الباحثين. ويتبيّن تزويرهم من خلال الروايات التي وردت في المصادر الإسلامية؛ منها: ما رواه الطبرسي رحمته الله في الاحتجاج من أنّ المأمون العباسي بعدما زوج ابنته أمّ الفضل أبا جعفر الجواد عليه السلام، كان في مجلس وعنده أبو جعفر عليه السلام ويحيى بن أكثم وجماعة كثيرة، فقال له يحيى بن أكثم: ما تقول يا بن رسول الله في الخبر الذي روي أنّه نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: يا محمد، إنّ الله عزّ وجلّ يقرؤك السلام ويقول لك: سل أبا بكر هل هو عنّي راضٍ؟ فإنّي عنه راضٍ، فقال الإمام أبو جعفر عليه السلام: «...يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ مثال الخبر الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع: قد كثرت عليّ الكذابة وستكثر بعدي، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، فإذا أتاكم الحديث عنّي فاعرضوه على كتاب الله وسنتي، فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به، وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾، فالله عزّ وجلّ خفي عليه رضا أبي بكر من سخطه حتّى سأل عن مكنون سرّه، هذا مستحيل في العقول». ثمّ قال يحيى بن أكثم: وقد روي: أنّ مثل أبي بكر وعمر في الأرض كمثل جبرئيل وميكائيل في السماء! فقال أبو جعفر عليه السلام: «وهذا أيضاً يجب أن ينظر فيه، لأنّ جبرئيل وميكائيل ملكان لله مقربان لم يعصيا الله قطّ، ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة، وهما قد أشركا بالله عزّ وجلّ وإن أسلما بعد الشرك، فكان أكثر أيامهما الشرك بالله، فمحال أن يشبههما بهما». قال يحيى: وقد روي أيضاً: أنّهما سيّدا كهول أهل الجنة، فما تقول فيه؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: «وهذا الخبر محال أيضاً، لأنّ أهل الجنة كلّهم يكونون شباباً ولا يكون فيهم كهول، وهذا الخبر وضعه بنو أميّة لمضادة الخبر الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله في الحسن والحسين عليهما السلام: بأنّهما سيّدا شباب أهل الجنة»، فقال يحيى بن أكثم: وروي: أنّ عمر بن الخطّاب سراج أهل الجنة، فقال أبو جعفر عليه السلام: «وهذا أيضاً



وقولهم: بأن إمامة علي عليه السلام بعد إمامتهم^(١).



محال، لأن في الجنة ملائكة الله المقربين، وآدم ومحمد ﷺ، وجميع الأنبياء والمرسلين، لا تضيء الجنة بأنوارهم حتى تضيء بنور عمر! فقال يحيى: وقد روي: أن السكينة تنطق على لسان عمر، فقال أبو جعفر عليه السلام: «لست بمنكر فضل عمر، ولكن أبا بكر أفضل من عمر، فقال علي رأس المنبر: إن لي شيطاناً يعتريني، فإذا ملت فسدّ دوني»، فقال يحيى: قد روي أن النبي ﷺ قال: لو لم أبعث لبعث عمر، فقال أبو جعفر عليه السلام: «كتاب الله أصدق من هذا الحديث، يقول الله في كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾، فقد أخذ الله ميثاق النبيين، فكيف يمكن أن يبدل ميثاقه؟ وكل الأنبياء عليهم السلام لم يشركوا بالله طرفة عين، فكيف يبعث بالنبوة من أشرك وكان أكثر أيامه مع الشرك بالله؟ وقال رسول الله ﷺ: بُنِيتُ وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ»، فقال يحيى بن أكثم: وقد روي أيضاً أن النبي ﷺ قال: ما احتبس عني الوحي قط إلا ظننته قد نزل على آل الخطاب؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: «وهذا محال أيضاً، لأنه لا يجوز أن يشك النبي ﷺ في نبوته، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾، فكيف يمكن أن ينتقل النبوة ممن اصطفاه الله تعالى إلى من أشرك به؟» قال يحيى: روي أن النبي ﷺ قال: لو نزل العذاب لما نجى منه إلا عمر، فقال أبو جعفر عليه السلام: «وهذا محال أيضاً، لأن الله تعالى يقول ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، فأخبر سبحانه أنه لا يعذب أحداً ما دام فيهم رسول الله ﷺ وما داموا يستغفرون» (الاحتجاج ج ٢: ص ٢٤٥). وهناك روايات كثيرة في مطاعن الخلفاء التي تبين مخالفتهم للكتاب والسنة النبوية، ولو أردنا أن نذكرها لطلال بنا المقام. وسنبين هذه المسرحية في محله إن شاء الله تعالى، فلاحظ.

(١) لا يخفى أن ما ذكره أهل السنة من أن إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

كانت بعد امامة خلفهم مناقض لما رواها خلفائهم من الروايات عن رسول الله ﷺ في





إمامته وخلافته بعد رسول الله ﷺ بلا فصل. ومن الطبيعي أنه لا يسعنا المجال لنقل جميعها في المقام، فنقتصر هنا على ذكر بعض تلك الروايات التي رواها كبار علمائهم باسنادهم عن الخلفاء الثلاثة عن رسول الله ﷺ ليكون اعترافاً ضمناً منهم على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وإليك بعض ما ورد في هذا المجال. فمنها: ما رواه أبو بكر عن رسول الله ﷺ، فقد أخرج أحمد بن حنبل بسنده عن أبي بكر: إن النبي ﷺ بعثه بالبراءة لأهل مكة وإبلاغهم ببعض الآيات من سورة التوبة، وفيها - أيضاً - لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ مدة فأجله إلى مدته، والله برئ من المشركين ورسوله، فسار بها ثلاثاً متوجّها نحو مكة. ثم قال ﷺ لعلي عليه السلام: «الحق فرّد عليّ أبا بكر وبلغها أنت»، قال: ففعل علي عليه السلام ما أمر. فلما قدم أبو بكر على النبي ﷺ بكى فقال: يا رسول الله، حدث في شيء؟ قال ﷺ: «ما حدث فيك إلا خير، ولكن أمرت أن لا يبلغه إلا أنا أو رجل مني» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ١: ص ٣). وقال العلامة الأميني رحمه الله: هذه الإثارة أخرجها كثير من أئمة الحديث وحفاظه، وعدد منهم ٧٣ نسمة (لاحظ الغدير ج ٦: ص ٣٣٨-٨٨٦). وأخرج ابن حجر العسقلاني باسناده عن أبي الأسود الدؤلي قال: سمعت أبا بكر يقول: أيها الناس، عليكم بعلي بن أبي طالب، فأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «علي خير من طلعت عليه الشمس وغربت بعدي» (انظر لسان الميزان ج ٦: ص ٧٨ في ترجمة المغيرة بن سعد البجلي). ومنها: ما أخرجه المحب الطبري بسنده عن ابن عباس قال جاء أبو بكر وعلي يزوران قبر النبي ﷺ بعد وفاته بستة أيام... فقال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «علي منّي كمنزلتي من ربّي» (انظر الرياض النضرة ج ١: ص ١٢٤). وأخرج المحب الطبري بسنده عن قيس ابن أبي حازم قال: التقى أبو بكر وعلي بن أبي طالب عليه السلام، فتبسّم أبو بكر في وجه علي عليه السلام، فقال عليه السلام له: «مالك تبسّم؟» قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له علي عليه السلام الجواز» (انظر الرياض النضرة ج ١: ص ٢٠٧). وأخرج الخطيب البغدادي بسنده عن أنس بن مالك قال: قال أبو بكر عند موته: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن علي





الصراط لعقبة لا يجوزها أحد إلا بجواز من علي بن أبي طالب» (انظر تاريخ بغداد ج ١٠: ص ٢٥٥ في ترجمة عبيد الله بن لؤلؤ بن جعفر بن حموي). وأخرج ابن عساكر بسنده عن أبي رافع، قال: كنت قاعداً بعد ما بايع الناس أبا بكر، فسمعت أبا بكر يقول للعبّاس: أنشدك الله هالأّن رسول الله ﷺ جمع بني عبد المطّلب وأولادهم وأنت فيهم وجمعكم دون قریش، فقال ﷺ: «يا بني عبد المطّلب، أنّه لم يبعث الله نبياً إلاّ جعل له من أهله أخاً ووزيراً ووصياً وخليفة في أهله، فمن منكم -يقوم و- يبايعني على أن يكون أخي ووزير ووصي وخليفتي في أهلي؟» فلم يقم منكم أحد فقال ﷺ: «يا بني عبد المطّلب، كونوا في الاسلام رؤساء ولا تكونوا أذناً، والله ليقومنّ قائمكم أو لتكوننّ في غيركم ثمّ لتندمنّ» فقام علي من بينكم، فبايعه على ما شرط له ودعا إليه، أتعلم هذا له من رسول الله ﷺ؟ قال العبّاس: نعم (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٥٠). وأخرج اليعقوبي بسنده عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ أنّه كان عند أبي بكر إذ جاء علي والعبّاس، فقال العبّاس أنا عمّ رسول الله ووارثه وقد حال علي بيني وبين تركته، فقال أبو بكر: فأين كنت يا عبّاس حين جمع النبي ﷺ بني عبد المطّلب وأنت أحدهم فقال: «أيّكم يؤازرنّي ويكون وصي، وخليفتي في أهلي، وينجز عدّتي، ويقضي ديني؟» فقال له العبّاس: بمجلسك تقدّمته وتأمرت عليه؟ أي إن كان هكذا كما تقول لماذا تقدّمته عليه وغصبت أمره؟ فقال أبو بكر: أغدراً يا بني عبد المطّلب؟ أي إنكما يا علي ويا عبّاس أردتما بدعواكما هذه المصطنعة على إرث النبي ﷺ وتركته أن تأخذوا منّي الإقرار والاعتراف بحقّ علي عليه السلام وأولويّته للخلافة، وتحكموا عليّ بما أئفوه به وأقوله بنفسني ولساني، يعني: تديناني وتلزمانني من فمي (تاريخ اليعقوبي ج ٢: ص ١٥٨).

ومنها: ما رواه عمر بن الخطّاب عن رسول الله ﷺ، فقد أخرج جمال الدين الموصلي الحنفي المشهور بابن حسنويه بسنده عن أنس بن مالك، قال: لما كان يوم المؤاخاة وآخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، وعلي عليه السلام واقف يراه ويعلم مكانه لم يؤاخ بينه وبين أحد، فانصرف علي عليه السلام باكي العين قال ﷺ: «يا بلال، اذهب فائتني به». فمضى بلال وأتى علياً وقد دخل منزله، فرأته فاطمة عليها السلام فقالت: «ما يبكيك لا أبكي الله





عينك؟» قال عليه السلام: «يا فاطمة، آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار وأنا واقف يراني ويعلم مكاني لم يؤاخ بيني وبين أحد»، قالت عليها السلام: «لا يحزنك، لعلك إنما أخرك لنفسه» فطرق بلال الباب وقال: يا علي، أجب رسول الله ﷺ، فأتى علي إلى النبي ﷺ. فقال النبي ﷺ: «ما يبكيك، يا أمير المؤمنين؟» فقال علي عليه السلام: «آخيت بين المهاجرين والأنصار وأنا واقف تعرف مكاني لم تؤاخ بيني وبين أحد». فقال عليه السلام: «يا علي، إنما أخرتك لنفسك كما أمرني ربي، قم، يا أبا الحسن»، فأخذ بيده ورقى المنبر وقال: «اللهم إن هذا مني وأنا منه، ألا أنه بمنزلة هارون من موسى، أيها الناس، ألسنت أولى بكم من أنفسكم؟» قالوا: بلى. قال عليه السلام: «من كنت مولاه فعلي مولاه، ومن كنت وليه فعلي وليه، اللهم إني قد بلغت ما أمرتني به». ثم نزل وقد سرّ علي عليه السلام، فجعل الناس يبائعونه وعمر ابن الخطاب يقول: بخ بخ لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة، امرأة من يعاديك طالق طلقة (انظر احقاق الحق ج ٦: ص ٤٦٨ نقلاً عن كتاب بحر المناقب لابن حسويه: ص ٤٢). وأخرج الخطيب البغدادي بسنده عن سويد بن غفلة عن عمر بن الخطاب: أنه رأى رجلاً يسبّ علياً عليه السلام فقال عمر: إني أظنك منافقاً سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» (انظر تاريخ بغداد ج ٧: ص ٤٦٢ في ترجمة الحسن بن يزيد بن معاوية أبو علي الجصاص) وأخرج الخطيب الخوارزمي بسنده عن عمر بن الخطاب: قال رسول الله ﷺ يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحب الله ورسوله، كراراً غير فرار، يفتح الله عليه، جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره»، فبات المسلمون كلهم يستشرفون لذلك، فلما أصبح قال عليه السلام: «أين علي بن أبي طالب؟» قالوا: أرمد العين، قال عليه السلام: «آتوني به». فلم آتاه. قال رسول الله ﷺ: «ادن مني»، فدنا منه، فتفل في عينيه ومسحهما بيده، فقام علي ابن أبي طالب عليه السلام بين يديه وكأنه لم يرمد وأعطاه الراية، فقتل مرحب وأخذ مدينة خيبر (انظر المناقب للخوارزمي: ص ١٧٠ ح ٢٠٣). وأخرج القندوزي الحنفي بسنده عن عمر ابن الخطاب، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو اجتمع الناس على حب علي بن أبي طالب لما خلق الله النار» (ينابيع المودة ج ٢: ص ٢٩٠). وأخرج ابن عساكر الدمشقي عن





طريقين وروى غيره بطرق مختلفة: أتى عمر بن الخطاب - في عهده - رجلاً سألته عن طلاق الأمة - كم عدده للبينونة -؟ فقام معهما فمشى حتى أتى حلقة في المسجد فيها رجل أصلع، فقال عمر: أيها الأصلع ما ترى في طلاق الأمة، فرفع رأسه إليه ثم أوماً إليه بالسبابة والوسطى. فقال له عمر: تطليقان، فقال أحدهما: سبحان الله جئناك وأنت أمير المؤمنين فمشيت معنا حتى وقفت على هذا الرجل فسألته، فرضيت منه أن أوماً إليك، فقال لهما عمر: ما تدرين من هذا؟ قالاً: لا، قال عمر: هذا علي بن أبي طالب، أشهد على رسول الله ﷺ لسمعته وهو يقول: «لو أن السماوات السبع والأرضين السبع وضعن في كفة ميزان ووضع إيمان علي في كفة ميزان لرجح إيمان علي عليه السلام» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٢٤٠). وأخرج القندوزي الحنفي بسنده عن عمر بن الخطاب، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي: «لو كان البحر مداداً والرياض أقلاماً، والإنس كتاباً والجن حساباً ما أحصوا فضائلك يا أبا الحسن» (انظر ينابيع المودة ج ٢: ص ٢٨٥). وأخرج ابن عساكر الدمشقي بسنده عن ابن عباس، قال: مشيت وعمر بن الخطاب في بعض أزقة المدينة فقال لي: يا ابن عباس، أظن أن القوم استصغروا صاحبكم إذ لم يولوه أموركم، فقلت: والله! ما استصغره الله إذ اختاره لسورة براءة مع عزل أبي بكر يبلغها أهل مكة، فقال لي: الصواب تقول!! والله لسمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب: «من أحبك أحبني، ومن أحبني أحب الله، ومن أحب الله أدخله الجنة مدلاً» (تاريخ مدينة دمشق ج ١٤: ص ٤). ومنها: ما أخرجه السيد محمد صالح الكشفي الترمذي بسنده عن عمر بن الخطاب، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «من أحبك يا علي كان مع النبيين في درجتهم يوم القيامة، ومن مات يغضك فلا يبالي مات يهودياً أو نصرانياً» (انظر تاريخ اليعقوبي ج ٢: ص ١٨٥). وأخرج القندوزي الحنفي بسنده عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عقد المؤاخاة بين أصحابه: «هذا علي أخي في الدنيا والآخرة، وخليفتي في أهلي ووصيي في أمّتي، ووارث علمي، وقاضي ديني، له مني ما لي منه، نفعه نفعي، وضره ضري، من أحبّه فقد أحبّني، ومن أبغضه فقد أبغضني» (انظر ينابيع المودة ج ٢: ص ٢٨٢). وأخرج ابن عساكر الدمشقي بسنده عن إبراهيم بن





سعيد الجوهري وصي المأمون العباسي قال: حدثني المأمون قال: حدثني أبي هارون الرشيد خامس قال: حدثني المهدي ثالث الخلفاء العباسيين قال: حدثني المنصور ثاني الخلفاء العباسيين عن أبيه، عن جده، عن عبد الله بن العباس، قال: سمعت عمر بن الخطاب وعنده جماعة، فتذكروا السابقين إلى الإسلام فقال عمر: أما علي فسمعت رسول الله ﷺ يقول فيه ثلاث خصال، لوددت أن لي واحدة منهن فكان أحب إلي مما طلعت عليه الشمس: كنت أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة من الصحابة، إذ ضرب النبي ﷺ بيده على منكب علي فقال له: «يا علي، أنت أول المؤمنين إيماناً، وأول المسلمين إسلاماً، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٨٦). وأخرج السيد محمد بن محمد الدرگزني في كتابه نزل السائرين في أحاديث سيد المرسلين بسنده عن عمر بن الخطاب قال: كنت أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة من أصحابه إذ ضرب بيده على منكب علي ﷺ فقال: «يا علي أنت أول المؤمنين إيماناً، وأول المسلمين إسلاماً، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى يا علي، إنما أنت بمنزلة الكعبة توتى ولا تأتي، فإذا أتاك هؤلاء القوم فسلموا إليك هذا الأمر فاقبله منهم، فإن لم يأتوك فلا تأتهم» (انظر إحقاق الحق ج ١٧: ص ٧٩ نقلاً عن السيد محمد بن محمد الدرگزني في كتابه نزل السائرين). ومنها: ما أخرجه الخطيب البغدادي وابن عساكر الدمشقي بسندهما عن عمر بن الخطاب، قال: قال النبي ﷺ لعلي ﷺ: «أنا خاتم الانبياء، وأنت خاتم الأولياء» (انظر تاريخ بغداد ج ١٠: ص ٣٦٥، وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٤: ص ٢٥٤). وأخرج ابن عساكر الدمشقي بسنده عن ابن عمر قال: لما طعن عمر وأمر بالشورى فقال: ما عسى أن يقولوا في علي ﷺ؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا علي، يدك في يدي تدخل معي الجنة يوم القيامة حيث أدخل» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٣٢٨). وأخرج ابن أبي الحديد حواراً دار بين ابن عباس وبين عمر بن الخطاب بما يمت بأمر الخلافة والإمامة بعد النبي ﷺ... وملخص الحوار أنه قال ابن عباس: دخلت على عمر في أول خلافته، فقال عمر: من أين جئت، يا عبد الله؟ قلت: من المسجد، قال: كيف خلفت ابن عمك... إنما عنيت عظيمكم أهل البيت علياً؟ قلت: خلفته يمتح بالغرب





على نخیلات من فلان وهو یقرأ القرآن. قال: یا عبد الله، عليك دماء البدن إن کتمتینها!! هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟ قلت: نعم. قال: أیزعم أن رسول الله ﷺ نصّ عليه؟ قلت: نعم، وأزیدک: سألت أبي عمّا يدّعه، فقال: صدق. قال عمر: لقد كان من رسول الله ﷺ ذرو من قول (في إعلان خلافة علي عليه السلام لا یثبت حجة ولا یقطع عذراً، ولقد كان النبي ﷺ یربع في أمره وقتاً ما أي كان یترقّب الفرصة لذلك) ولقد أراد أن یصرّح باسمه علي عليه السلام فمنعته من ذلك إشفافاً وحیطة على الإسلام (وذلك بقوله: إن الرجل لیهجّر)، لا وربّ هذه البنية (أي خلافة علي) لا تجتمع علیه قریش أبداً، ولو ولیها (علي) لانتقضت علیه العرب من أقطارها فعلم رسول الله ﷺ أنني علمت ما في نفسه فأمسك، وأبى الله إلا إمضاء ما حتم (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٢: ص ٢٠).

ومنها: ما رواه عثمان عن رسول الله ﷺ فقد أخرج القندوزي الحنفي بسنده عن عثمان بن عفّان، قال: قال رسول الله ﷺ: «خلقت أنا وعلي من نور واحد قبل أن یخلق الله آدم بأربعة آلاف عام، فلما خلق الله آدم ركب فيه ذلك النور في صلبه، فلم یزل شيئاً واحداً حتّى افترقنا في صلب عبد المطلب، ففي النبوة وفي علي الوصية» (انظر ینابيع المودة ج ٢: ص ٣٠٧). وأخرج ابن عساکر الدمشقي بسنده عن یونس مولى الرشید، قال: كنت واقفاً على رأس المأمون وعنده یحیی ابن أکثم القاضي فذكروا علیاً عليه السلام وفضله، فقال المأمون: سمعت الرشید یقول: سمعت المهدي یقول: سمعت المنصور یقول: سمعت أبي یقول: سمعت جدّي یقول: سمعت ابن عباس یقول: رجع عثمان إلى علي عليه السلام فسأله المصیر إليه، فصار إليه فجعل یحدّ النظر إليه، فقال له علي عليه السلام: «یا عثمان»، مالک تحدّ النظر إليّ؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ یقول: «النظر إلى وجه علي عبادة» (انظر تاریخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ١٤٠). وأخرج الحافظ أحمد بن محمد بن علي بن أحمد العاصمي عن الأستاذ أبا بکر محمد بن إسحاق بن محمّشاد یرفعه: إن رجلاً أتى عثمان بن عفّان وبیده جمجمة إنسان میت، فقال: إنکم تزعمون أن النار تعرض علی هذا وأنه یعذب في القبر، وأنا قد وضعت علیها یدی فلم أحسّ منها حرارة النار! فسکت عثمان وأرسل إلى علي بن أبي طالب عليه السلام یتحضّره، فلما أتاه وهو في ملأ من أصحابه قال





عثمان للرجل: أعد المسألة. فأعادها ثم قال عثمان لعلي عليه السلام: أجب الرجل عنها يا أبا الحسن، فقال علي عليه السلام: «أئتوني بزند وحجر» - والرجل السائل والناس ينظرون إليه - فأتي بهما فأخذهما وقدح منهما النار، ثم قال للرجل: «ضع يدك على الحجر»، فوضعها عليه، ثم قال عليه السلام: «ضع يدك على الزند»، فوضعها عليه. فقال عليه السلام: «هل أحسست منهما حرارة النار؟» فبهت الرجل - لأنه رأى النار ولم يحس بالحرارة - فقال عثمان: «لولا علي لهلك عثمان» (انظر زين الفتى في تفسير سورة هل أتى: ص ٣١٤).

ومنها: ما رواه معاوية في المقام قال الحافظ المناوي الشافعي: إن معاوية كان يرسل أناساً يسأل علياً عليه السلام عن المشكلات - سواء أعضلاته أو معضلات غيره - فكان علي عليه السلام يجيبه، فقال أحد بني: تجيب عدوك؟! قال عليه السلام: «أما يكفيننا أن احتاجنا وسألنا؟» (انظر فيض القدير ج ٤: ص ٣٥٦). فقد أخرج أحمد بن حنبل وآخرون من حفاظ أهل السنة ومفسريهم بإسنادهم عن قيس بن أبي حازم - وهو من ثقات الرواة عند أهل السنة - أنه قال: إن رجلاً سأل معاوية عن مسألة فقال: اسأل عنها علياً فهو أعلم، فقال: يا أمير المؤمنين، جوابك فيها أحب إلي من جواب علي، قال معاوية: بشئ ما قلت، لقد كرهت رجلاً كان رسول الله ﷺ يغره بالعلم غراً، ولقد قال له: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»، وكان عمر إذا أشكل عليه شيء أخذ منه ويلجأ إلى علي في حل مسأله ثم قال معاوية للرجل: قم لا أقام الله رجلك، ومحا اسمه من الديوان (انظر فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج ٢: ص ٦٧٥ ح ٥٥٩٣). ومنها: ما أخرجه الحافظ ابن عساكر بسنده عن عبيد الله بن عبد الله المدني قال: حج معاوية بن أبي سفيان فمر بالمدينة فجلس في مجلس فيه سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس، فالتفت إلى عبد الله بن عباس فقال: يا ابن عباس، إنك لم تعرف حقنا من باطل غيرنا، وقرعه ابن عباس بجواب فحار منه معاوية فتركه وأقبل على سعد فقال: يا أبا إسحاق، أنت الذي لم تعرف حقنا وجلس فلم يكن معنا ولا علينا. فقال سعد: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي: «أنت مع الحق والحق معك حيثما دار». فقال معاوية: لتأتيني على هذا بينة، فقال سعد: هذه أم سلمة تشهد على رسول الله ﷺ، فقاموا جميعاً فدخلوا على



وقولهم: بأن الصحابة بأجمعهم عدول^(١)،



أم سلمة فقالوا: يا أم المؤمنين، إن الأكاذيب قد كثرت على رسول الله ﷺ وهذا، قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام فقال معاوية لسعد: يا أبا إسحاق، ما كان ألوم الآن - أي إنك يا سعد ألوم الناس عندي - إذ سمعت هذا من رسول الله ﷺ وجلست عن علي عليه السلام، لو سمعت هذا من رسول الله ﷺ لكنت خادماً لعلي عليه السلام حتى أموت (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٢٠: ص ٣٦٠). وإلى غير ذلك من الروايات التي رواها خلفائهم مما يدل على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، وعليه لا ندري كيف ينكرون أهل السنة إمامة مولانا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام بعد أن روى خلافهم ما يدل على إمامته وخلافته؟! فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أن جمهور أهل السنة ادّعوا بأن جميع الصحابة عدول، فلا يتطرق إليهم الجرح والذم وما يوجب الانتقاص فيهم. ويعتقدون بأن من انتقص في أحد منهم فهو من الزنادقة. وهذه النظرية عندهم من الثوابت الاعتقادية، بل أنها أحد أصول دينهم، لأنهم يعتقدون بأن القرآن والسنة النبوية لا بد أن يؤخذ من الصحابة، فيدعون بأن الطريق الواحد للكتاب والسنة هم الصحابة. ولكن هذا الاعتقاد باطل لوجوه عديدة:

وقبل الورود في البحث لا بأس بذكر هذه النقطة المهمة، وهي: أن المنصف لو تأمل في كلمات أهل السنة يجد بأنهم قد وقعوا في تناقض لا يمكنهم الخلاص منها، حيث أنهم قد رووا صدور أعظم المنكرات منهم، أو مباشرتهم لأكبر المعاصي والذنوب، ومخالفتهم لما نطق به القرآن وما جاء به النبي الأكرم ﷺ.

ومن أجل وضوح الأمر لا بأس أولاً بذكر بعض كلمات أهل السنة في هذا المجال ليعرف الباحث حد الغلو في كلماتهم ثم تتعرض لردّها. فقد اتفق جميع أهل السنة على أن الصحابة عدول ومجتهدون في جميع ما صدر منهم، ويقولون: بأن من أصاب منهم في آرائه وأعماله الواقع فله ثواب من أدرك الحق وعمل به، ومن أخطأ فله أجر المجتهدين العارفين، وعلى حدّ تعبير الغزالي في المستصفى: أنه عندما تنتهي الرواية إليهم يجب





الوقوف عندها، وليس لأحد أن يطبق عليها أصول علم الدراية وقواعده، ولو كان الراوي لها مروان بن الحكم أو أبو سفيان أو غيرهما ممن وصفهم القرآن بالنفاق والرسول الكريم ﷺ بالارتداد (انظر المستصفى: ص ٢٠٤). وقال أيضاً: والذي عليه السلف وجماهير الخلف أن عدالتهم معلومة بتعديل الله عز وجل إياهم وثناؤه عليهم في كتابه وهو معتقدنا فيهم إلا أن يثبت بطريق قاطع ارتكاب واحد لفسق مع علمه به، وذلك مما لم يثبت، فلا حاجة لهم إلى التعديل، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...﴾ ومضى يسرد الأدلة على عدالتهم من الكتاب والسنة، وأضاف إليها أنه لو لم ترد النصوص القرآنية والنبوية بعدالتهم لكان فيما اشتهر وتواتر من حالهم في الهجرة والجهاد وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأهل في موالاة رسول الله ﷺ ونصرته، لو لم ترد النصوص لكانت هذه النواحي كافية في عدالتهم، وبعد أن تعرض لبعض الآراء التي تحملهم مسؤولية أعمالهم وتصرفاتهم المنسوبة إلى بعض أعيان المعتزلة وغيرهم، بعد أن عرضها قال: وكل هذه الأقوال جرأة على السلف، ومخالفة للسنة، وأخيراً رجح الرأي الشائع بين فقهاء السنة ومحدثيهم فيما يتعلق بتصرفات الصحابة المنافية لأصول الإسلام وفروعه، الذي ينص على أنهم مجتهدون في كل ما وقع منهم، فالمصيب منهم مأجور، والمخطئ معذور (انظر المستصفى: ص ٢٠٤-٢٠٥).

وقال ابن حجر في الإصابة: اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذاذ من المبتدعة، وأضاف إلى ذلك: إن عدالتهم ثابتة بتعديل الله لهم، ونقل عن ابن حزم بأنهم جميعاً عدول ومن أهل الجنة قطعاً على حدّ تعبيره، ومن قال بأنهم كغيرهم من الناس يتفاوتون بمقدار أعمالهم وخدماتهم وجهادهم فقد تعرض لأعنف الهجمات من جمهور أهل السنة (الإصابة ج ١: ص ١٣١). فألبسوا جميع الصحابة ثياب القديسين وأعطوهم صفات الأنبياء والمرسلين، وقد ناقضوا أنفسهم بذكر الروايات التي فيها دلالة صريحة على أن كثيراً من الصحابة ارتكبوا المعاصي والمنكرات بشكل أو ثقل، وتوالت حياتهم بالأحداث، والتنافس على المال الحرام والجاه والسلطان، حتى يصل الأمر بهم أنهم يتبعون اليهود والنصارى طابق النعل بالنعل، وقد أخبر بذلك النبي الأكرم ﷺ بأن





أكثرهم أهل النار كما في حديث الحوض وغيره. فالآيات والروايات الدالة على أنهم ارتكبوا أكبر الجرائم مما لا يمكن إنكارها. وعليه كيف يمكن لأهل السنة الجمع بين هذه الأدلة وما يعتقدون بعدالة الصحابة بصورة جمعاء؟! فإن القرآن الكريم والروايات المتواترة المتفقة بين الفريقين تردّ هذه نظرية بشكل صريح، إذ أنّ القرآن الكريم في مختلف سوره وآياته ينقد أقوال بعض الصحابة وأفعالهم بوضوح كما أنّه في بعض آياته يثني على طائفة منهم، فهذا نحن ندرس بعض الآيات التي تنقد أفعال بعضهم وآراءهم.

أولاً: قد أخبر الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم عن ارتداد بعض الصحابة بعد رحلة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، وذلك عند الانهزام الصحابة في غزوة أحد، فإنه لما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد وقتل من قتل منهم. يقول ابن كثير: نادى الشيطان على أنّ محمداً ﷺ قد قتل. فوقع ذلك في قلوب كثير من الناس واعتقدوا أنّ رسول الله ﷺ قد قتل وجوزوا عليه ذلك، فحصل ضعف ووهن وتأخر عن القتال، روى ابن نجيب عن أبيه إنّ رجلاً من المهاجرين مرّ على رجل من الأنصار وهو يتشخط في دمه، فقال له: يا فلان أشعرت أنّ محمداً ﷺ قتل؟ فقال الأنصاري: إن كان محمد قد قتل فقد بلغ، فقاتلوا عن دينكم. فأنزل الله سبحانه قوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (انظر تفسير ابن كثير ج ١: ص ٤١٨). وقال ابن قيم الجوزية: كانت وقعة أحد مقدّمة وإرهاصاً بين يدي محمّد ﷺ ونّبأهم ووبّخهم على انقلابهم على أعقابهم إنّ مات رسول الله ﷺ أو قتل (انظر زاد المعاد ج ٢: ص ٢٥٣). فالآية تخبر عن الانقلاب على الأعقاب التي ستتحق بعد رحيل الرسول ﷺ، وعليه هل يمكن أن يوصف جميع الصحابة بالعدالة التامة؟!؟

وثانياً: أنّ القرآن الكريم أخبر عن خيانة بعض البدرين، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ توفى كل نفس ما كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (سورة آل عمران: ١٦١). قال ابن كثير: نزلت هذه الآية في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر، فقال بعض الناس: لعلّ رسول الله ﷺ أخذها فأكثرها في ذلك،





فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غُلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وهذا تنزيه له ﷺ من جميع وجوه الخيانة في أداء الأمانة وقسم الغنيمة، ثم تبين أنه قد غلّ بعض أصحابه (انظر تفسير ابن كثير ج ١: ص ٤٣٠). وهذه الآية الكريمة تعرب عن مدى حسن ظنّ بعض الصحابة واعتقادهم برسول الله ﷺ حتى اتهموه بالخيانة في الأمانة وتقسيم الأموال، ثم تبين أنه قد غلّ بعض أصحابه. فهؤلاء الجاهلون بمكانة النبي ﷺ، أو من مارس الخيانة في أموال المسلمين لا يوصفون بالعدالة. وهذا حال بعض البدرين، لا الأعراب ولا الطلقاء ولا أبنائهم ولا المنافقين، فكيف حال من أتى بعدهم؟

وثالثاً: يتضح فساد القول بعدالة الصحابة من تنازعهم في الغنائم التي كانت إلى حدّ التخاصم، حيث بعد انتصارهم على المشركين في غزوة بدر استولوا على أموالهم وتنازعوا فيها إلى حدّ التخاصم، قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب. وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم أحقّ بها منّا ونحن منعنا عنه العدو وهزمناهم. وقال الذين أهدقوا برسول الله: لستم بأحقّ بها منّا نحن أهدقنا برسول الله ﷺ وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به، فنزل ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الأنفال: ١). قال ابن كثير: سأل أبو أمامة عبادة عن الأنفال؟ قال: فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا، فانتزعه الله من أيدينا وجعله إلى رسول الله، فقسّمه رسول الله بين المسلمين عن سواء (انظر تفسير ابن كثير ج ٢: ص ٢٩٥). وفي الآية إلماعات إلى سوء أخلاقهم حيث يعط سبحانه هؤلاء السائلين ويأمرهم بأمور ثلاثة بقوله: ١- واتّقوا الله في أموركم وأصلحوا فيما بينكم ولا تظالموا ولا تخاصموا ولا تشاجروا، فما آتاكم الله من الهدى والعلم خير ممّا تختصمون بسببه ٢- وأصلحوا ذات بينكم: أي لا تسبوا ٣- وأطيعوا الله ورسوله: أي لا تخالفوه ولا تشاجروا.

ورابعاً: فقد أخبر الله عن الصحابة فاسق يغرّ النبي ﷺ وأصحابه: يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (سورة الحجرات: ٦). أمر الله سبحانه بالتثبت في خبر الفاسق لاحتياط له





لثلاً يحكم بقوله فيكون في نفس الأمر كاذباً أو مخطئاً. قال ابن كثير: قد ذكر كثير من المفسرين أنّ الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق إلى حارث بن ضرار وهو رئيسهم ليقبض ما كان عنده ممّا جمع من الزكاة، فلمّا أن سار الوليد حتّى بلغ بعض الطريق فرق - أي خاف - فرجع حتّى أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنّ الحارث قد منعني الزكاة وأراد قتلي، فغضب رسول الله ﷺ وبعث البعث إلى الحارث وأقبل الحارث بأصحابه حتّى إذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث، فقالوا: هذا الحارث. فلمّا غشيهم قال لهم: إلى من بعثتم؟ قالوا: إليك. قال: ولم؟ قالوا: إنّ رسول الله ﷺ بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنّك منعه الزكاة وأردت قتله، قال عنه: لا والذي بعث محمداً ﷺ بالحق ما رأيته بتة ولا أتاني، فلمّا دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال: «منعت الزكاة وأردت قتل رسولي؟» قال: لا، والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني، وما أقبلت إلّا حين احتبس عليّ رسول الله ﷺ خشيت أن تكون سخطة من الله تعالى ورسوله، قال: فنزلت الحجرات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ﴾ إلى قوله: ﴿حَكِيمٌ﴾ (تفسير ابن كثير ج ٤: ص ٢٢٤).

وخامساً: استحقاقهم مسّ عذاب عظيم لما ارتكبوا من الكبائر، حيث كانت السنّة الجارية في الأنبياء الماضين ﷺ أنّهم إذا حاربوا أعداءهم وظفروا بهم ينكّلون بهم بالقتل ليعتبر به من وراءهم حتّى يكفّوا عن عدائهم لله ورسوله ﷺ، وكانوا لا يأخذون أسرى حتّى يشحنوا في الأرض ويستقرّ دينهم بين الناس، فعند ذلك لم يكن مانع من الأسر، ثمّ يعقبه المنّ أو الفداء. يقول سبحانه: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَتْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا لَوَاتِقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءٌ﴾ (سورة محمد: ٤). فأجاز الله أخذ الأسر، لكن بعد الإثخان في الأرض واستتباب الأمر، غير أنّ لفيفاً من الصحابة كانوا يصرون على النبي ﷺ بالعفو عنهم وقبول الفداء منهم قبل الإثخان في الأرض فأخذوا الأسرى، فنزلت الآية في ذمّ هؤلاء وعرفهم بأنّهم استحقّوا مسّ عذاب عظيم لولا ما سبق كتاب من الله، يقول سبحانه: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْحَنَ فِي





أَلَاَرْضُ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (سورة الأنفال: ٦٧-٦٨). والمستفاد من الآيتين أمران:

الأول: أنَّ الحافز لأكثرهم أو لفئة منهم هو الاستيلاء على عرض الدنيا دون الآخرة كما يشير إليه سبحانه بقوله: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ (سورة الأنفال: ٦٧). الثاني: لقد بلغ عملهم من الشناعة درجة، بحيث استحقوا مسَّ عذاب عظيم، غير أنَّه سبحانه دفع عنهم العذاب لما سبق منه في الكتاب، قال سبحانه: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ أخذ الأسرى عذاب عظيم. فقوله: عذاب عظيم يعرب عن عظم المعصية التي اقترفوها حتَّى استحقوا بها العذاب العظيم. أفيمكن وصف من أراد عرض الدنيا مكان الآخرة واستحقَّ مسَّ عذاب عظيم بأنَّه ذو ملكة نفسانيَّة تصدَّه عن اقتراف الكبائر والإصرار على الصغائر، كلاً، ولا.

وسادساً: فرارهم من الزحف؛ فإنَّهم عصوا أمر الرسول ﷺ يوم أحد، وتركوا مواقعهم على الجبل طمعاً في الغنائم فأصابهم ما أصابهم من الهزيمة التي ذكرتها كتب السيرة والتاريخ على وجه مبسوط، وبالتالي تركوا النبي ﷺ في ساحة الحرب وليس معه إلا عدد قليل من الصحابة، ولم تنفع معهم دعواته ﷺ بالعودة إلى ساحة القتال ونصرته، فقد خذلوه في تلك الساعات الرهيبة، وأخذوا يلتجئون إلى الجبال حذراً من العدو، ويتحدَّث سبحانه تبارك وتعالى عن تلك الهزيمة النكراء بقوله: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلَوُّونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لَّكَيْلًا تَخْزِنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (سورة آل عمران: ١٥٣). نعم كان هذا وصف طوائف منهم وكانت هناك طائفة أخرى، التفت حول النبي ﷺ ودفعت عنه شرَّ الأعداء، وهم الذين أُشير إليهم بقوله سبحانه: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (سورة آل عمران: ١٤٤). ثمَّ أنَّه سبحانه يصرِّح بتوليهم وفرارهم عن الجهاد وينسب زلَّتْهم إلى الشيطان ويقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة آل عمران: ١٥٥).





وليس هؤلاء من أصحاب النفاق (لأنّ المنافق لا يُغفر له ولا يعفى عنه) بل من الصحابة الذين أوصفهم أهل السنّة بالعدول!

وسابغاً: نسبة الغرور إلى الله ورسوله ﷺ: إنّ غزوة الأحزاب من المغازي المعروفة في الإسلام، حيث اتّحد المشركون واليهود للانقضاض على الإسلام، فحاصروا المدينة وهم عشرة آلاف مدجّجين بالسلاح، وحفر المسلمون خندقاً حول المدينة لمنع العدو من اقتحامها وقد طال الحصار نحو شهر. وفي هذه الغزوة امتحن أصحابُ النبي ﷺ وزلزلوا زلزالاً عظيماً، وتبيّن الثابت من المستزلّ، وانقسم أصحابه إلى قسمين:

١- المؤمنون وشعارهم ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (سورة الأحزاب: ٢٢).

٢- المنافقون والذين في قلوبهم مرض وشعارهم: ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (سورة الأحزاب: ١٢).

فضعفاء الإيمان من المؤمنين كانوا يظنون بالله أنّه وعدهم وعداً غروراً، فهل يصحّ وصف هؤلاء بالعدالة والتزكية؟! وهم - طبعاً - غير المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويطنون الكفر، ويدلّ على ذلك، عطف ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ على المنافقين، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾. ومن يمعن النظر في الآيات الواردة حول غزوة الأحزاب يعرف مدى صمود كثير من الصحابة أمام ذلك السيل الجارف، فإنّ كثيراً منهم كانوا يستأذنون للرجوع إلى المدينة بحجّة أنّ بيوتهم عورة ويقول سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ * وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدِّبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ (سورة الأحزاب: ١٣ و ١٥).

وثامناً: المنافقون المندسّون بين الصحابة: لقد شاع النفاق بين الصحابة منذ نزول النبي ﷺ بالمدينة، وقد ركّز القرآن على عصبية المنافقين وصفاتهم وفضح نواياهم، وندّد بهم في السور التالية: البقرة، وآل عمران، والمائدة، والتوبة، والعنكبوت، والأحزاب، ومحمّد،





والفتح، والحديد، والمجادلة، والحشر، والمنافقون.

وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على أنّ المنافقين كانوا جماعة هائلة في المجتمع الإسلامي، بين معروف عرف بسمه النفاق ووصمة الكذب، وغير معروف بذلك، ولأنّه مقنّع بقناع الإيمان والحبّ للنبي ﷺ، فلو كان المنافقون جماعة قليلة غير مؤثرة لما رأيت هذه العناية البالغة في القرآن الكريم.

وهناك ثلّة من المحقّقين ألفوا كتباً ورسائل حول النفاق والمنافقين، وقد قام بعضهم بإحصاء ما يرجع إليهم فبلغ مقداراً يقرب من عشر القرآن الكريم. ومع ذلك فهل يمكن عدّ جميع من صحب النبي ﷺ عدولاً؟! نعم المنافقون ليسوا من الصحابة ولكنهم كانوا مندسّين فيهم، وعند ذلك فكثيراً ما يشتهب الصحابي الصادق بالمنافق، ولا يتميّز المنافق عن المؤمن، يقول سبحانه: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ (سورة التوبة: ١٠١).

فهذا يجزّ الباحث - الذي يريد الإفتاء على ضوء ما قاله الصحابة - التفتيش عن حال الصحابي حتّى يعرف المنافق عن غيره، فلو اشتبه الحال فلا يكون قوله ولا روايته حجة. وهناك روايات كثيرة صحيحة عند أهل السنّة وهي تدلّ على أنّ أكثر الصحابة أهل النار كحديث الحوض، وإليك بعض متون هذا الحديث: فمنها: ما رواه البخاري بسنده عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «إِنَّكُمْ تَحْشَرُونَ حِفَاةَ عِزَّةٍ غُرْلًا»، ثمّ قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾، وأوّل من يكسى يوم القيامة إبراهيم، وإنّ أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: أصحابي أصحابي، فيقال: أنّهم لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم» (صحيح البخاري ج ٤: ص ١١٠ كتاب بدء الخلق، باب قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا...﴾). ومنها: ما رواه عن سهل بن سعد قال: قال النبي ﷺ: «إِنِّي فرطكم على الحوض، من مرّ عليّ شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً؛ ليردّ عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثمّ يحال بيني وبينهم»، قال أبو حازم: فسمعتني النعمان بن أبي عياش فقال: هكذا سمعت من سهل؟ فقلت: نعم، فقال: أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد فيها: «فأقول: إنّهم منّي، فيقال: إنّك لا تدري ما



بآية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ...﴾^(١)،



أحدثوا بعدك، فأقول: سحقا سحقا لمن غير بعدي» (صحيح البخاري ج ٧: ص ٢٠٨ كتاب الرقاق، باب الحوض). ومنها: ما رواه عن ابن المسيب أنه كان يحدث عن أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ قال: «يرد عليّ الحوض رجال من أصحابي فيحلثون عنه، فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، أنهم ارتدوا على ادبارهم الفهقرى» (صحيح البخاري ج ٧: ص ٢٠٨ كتاب الرقاق، باب الحوض). ومنها: ما رواه عن أسماء بنت أبي بكر عن أسماء بنت أبي بكر قالت: قال النبي ﷺ: «إني على الحوض حتى أنظر من يرد عليّ منكم، وسيؤخذ ناس من دوني فأقول: يا رب مني ومن أمّتي، فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم»، فكان ابن أبي مليكة يقول: اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن عن ديننا أعقابكم تنكصون ترجعون على العقب (صحيح البخاري ج ٧: ص ٢٠٩ كتاب الرقاق، باب الحوض). ومنها: ما رواه بسنده عن المغيرة قال: سمعت أبا وائل عن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «أنا فرطكم على الحوض وليرفعن رجال منكم، ثم ليختلجنّ دوني، فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» (صحيح البخاري ج ٧: ص ٢٠٦ كتاب الرقاق باب في الحوض...). وغير ذلك من الروايات التي سنذكرها إن شاء الله في محله. وعليه كيف يمكن لأهل السنة الخلاص من هذا التناقض وكيف يمكنهم الجمع بين عدالة الصحابة والآيات والروايات الدالة على أن أكثرهم أهل النار؟! والحاصل أن أهل السنة بسبب التزامهم بهذه العقيدة الفاسدة هم أهل البهتان والخيانة، فلاحظ.

(١) سورة آل عمران: ١١٠؛ هذه الآية الكريمة أشارت إلى مسألة مهمّة، وهي توصيف المسلمين بخير أمة. من الواضح أن الخيريّة بمعناه الواسع لا يمكنهم القول به، فذكروا أنها بمعنى النفع للناس، للقرينة التي جاءت بعد هذه الجملة وهي اتصاف الأمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ





تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ، فمتى تتّصف الأمة بهذه الصفة تكون أنفع الناس حقيقةً للمجتمع الإنساني، فالآية الكريمة قد بينت بأنّ الأمة لا تتصف بالخيرية إلا بعد قيامها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعند ذلك تصلح لهذه الصفة. ومن الواضح أنّ إصلاح المجتمع البشري لا يمكن بدون هذين الوظيفتين. والآية الكريمة تقول: بأنّ الإيمان بالله والدعوة إلى الحقّ، ومكافحة الفساد، وهاتين الوظيفتين تجعل الأمة خير أمة.

والجدير بالذكر أنّ القرآن الكريم يصف المسلمين - في هذه الآية - بأنّهم خير أمة، بعد إقامتهم بهذه المهمة الكبرى، أعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإيمان بالله. وبعبارة أوضح أنّ مقتضى قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ...﴾ أنّ هذه الصفة (خير أمة) مشروطة بإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع، أي: متى قامت الأمة بهذين الفريضتين قياماً حقيقياً بحيث لم تترك مورداً منهما، كانت لائقة بهذه الصفة القرآنية. وأمّا إذا توقّفت الأمة عن القيام بهما ولو في بعض الموارد منهما، فإنّ عنوان خير أمة يسقط عنها، حيث أنّ الخيرية في الآية مقرونة ومشروطة بما ذكرت الآية من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا فقدت الأمة عن هاتين الصفتين فقدت خيريتها. وذلك بمقتضى انتفاء المشروط بانتفاء شرطه. ومعناه أنّ الأمة متى وجدت المنكر من الحاكم والسلطان تجب عليها إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولو بعزل السلطان عن منصبه. وأمّا مع عدم الالتزام بمداول الآية ولو بعض مواردها، فإنّ المشروط ينتفي بانتفاء شرطه حتّى بحسب مباني أهل السنة. وهذا يفيد أنّ إصلاح المجتمع البشري، ولا يمكن بدون مكافحة الفساد، ولذلك قال مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): «ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيتولّى عليكم شراركم ثمّ تدعون فلا يستجاب لكم» (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٦: ص ١٢٠). وقال الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام): «إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصلحاء، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض وتأمين المذاهب وتحلّ المكاسب وتردّ المظالم وتعمّر الأرض ويتنصف من الأعداء ويستقيم الأمر» (الكافي ج ٥: ص ٥٥). وقال (عليه السلام): «الأمر بالمعروف





والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله، فمن نصرهما أعزّه الله ومن خذلهما خذله الله» (الكافي ج ٥: ص ٥٩). حيث أنّ هذين الفريضتين متقومتان بالإيمان بالله، إذ القيام بهما سبب لانتشار الإيمان بالله تبارك وتعالى، واتساع رقعته، وتعميق جذوره في النفوس، وتنفيذ كل القوانين الفردية والاجتماعية. ولا ريب أنّ ما يضمن تنفيذ القانون وتطبيقه مقدّم على نفس القانون، ولذا أنّ تعطيل هذين الواجبين يوجب ضعف العقائد في القلوب وانهايار قواعد الإيمان في النفوس. فيتّضح مما تقدّم أنّ أهل السنة حيث لم يعملوا بالآية لأنّهم قد مهدوا الحكومة لشرار خلق الله أمثال معاوية وابنه يزيد الذين أمروا بالمنكر ونهيا عن المعروف وكانت حكومتهم رزية من الرزايا على المسلمين. وعلى سبيل المثال أنّ معاوية قد أمر بسبّ مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على المنابر، وسنّ هذا العمل المنكر الذي لا يوجد منكر أشدّ منه على المسلمين، فكيف يمكنهم بعد ذلك الاتّصاف بالخيرية؟! فإنّ المستفاد من الآية الكريمة أنّ إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على نحو الحقيقة لا يتحقّق إلا بوجود النبي ﷺ أو المعصومين القادة الإلهية عليهم السلام. ولذلك ورد في الحديث أنّ المقصود بخير الأمة هم أهل بيت النبي ﷺ، فقد أخرج السيوطي في الدر المنثور في تفسير الآية بسنده عن ابن أبي حاتم عن أبي جعفر قال: «كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» قال: «أهل بيت النبي ﷺ» (الدر المنثور ج ٢: ص ٦٤). فالصحاباء الذين غصبوا الخلافة من أهل البيت عليهم السلام كانوا سبباً لعدم تحقّق وصف الخيرية في الأمة، ولا فرق بينهم وبين النصيرية الذين كذبوا على الله ورسوله ﷺ من هذه الجهة، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ الآيات والروايات تدلّ بوضوح على أنّ أتباع السقيفة كغيرهم ممن أنكروا معارف الدين من الكتاب والسنة، فلا فرق بينهم وبين النصيرية من هذه الجهة، حيث أنّ مصيبة الأمة الإسلامية انجرت عليها من غضب الخلافة وما لحقه من سائر المخالفات والتحريفات والبدع التي أحدثها الخلفاء الثلاثة في الإسلام، ومن بعدهم





حكّام بني أمية وبني العباس وأتباع السقيفة الذين كانوا سبباً لضيالة الأمة وانحرفها عن خط الرسالة السماوية، ومخالفة النصوص القرآنية والسنة النبوية الشريفة، رغم تأكيد الله سبحانه وتعالى على الأمة بأنّ الولاية المشروعة هي الولاية التي جعلها الله عزّ وجلّ لخيرة عباده، في مقابل حاكمية الطاغوت، التي تتسلّط على رقاب الناس بالقهر والغلبة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (سورة النحل: ٣٦). والمستفاد من الآية الكريمة أنّ أساس دعوة جميع الأنبياء ﷺ الدعوة إلى الله ثمّ محاربة الطاغوت، والطاغوت مشتقة من الطغيان وهي بمعنى التجاوز والتعدّي وكسر الحدود وتجاهل القيود، وإنّما تطلق هذه الكلمة على السلاطين والحاكم بالباطل، لأنّه يتجاوز حدود الله، ويتعدّى عن القوانين الإلهية وهي قوانين الحقّ والعدل. ولذلك قد حذّر الله المؤمنين إلّا يخرجوا من طاعة الله ورسوله وطاعة من له الولاية الشرعية من قبل الله عزّ وجلّ وإلّا سوف يقعون تحت حكومة الطاغوت، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (سورة النساء: ٦٠). وفي الحقيقة أنّ القرآن الكريم يقول: أنّ قضية التحاكم إلى الطاغوت ليس خطأ عابراً يمكن أن يعالج ببعض التذكير، بل أنّها أساس لجميع مهاوي الضلالات والتوريط للوقوع في الهلكات، والغور في مصاديق الشياطين ولذلك قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (سورة المائدة: ٦٠). والمستفاد من الآية الكريمة أنّ الخروج عن طاعة الله عزّ وجلّ وطاعة من أمر الله بطاعته يدخل الإنسان في عبدة الطاغوت، كما فعله قوم موسى فخرجوا عن طاعة الله وطاعة نبيهم عندما خالفوا أمر نبيهم وأتبعوا السامري في عبادة العجل. وإذا كان بنو إسرائيل الذينهم من النجباء ومن أولاد الأنبياء دخلوا في طاعة الطاغوت، فما ظنك بحال جماعة مضى أكثر عمرهم في الكفر والجاهلية





وأن الرسوب الجاهلية كانت تستأثر بنفوذها في وجودهم وتستهدف الأمة الإسلامية، حيث أنها لم تنضج بعد فكرياً لتشعب جذور الجاهلية في نفوسهم وقصر مدة الإسلام في ربوعه وغيرها من العوامل التي كانت سبباً لرفض النصوص القرآنية والروائية وغصب الخلافة من مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، في حين البدع التي أحدثها الخلفاء الثلاثة في الإسلام والمحرمات التي ارتكبوها ومخالفتهم للشريعة المقدسة في أموال المسلمين أكثر من أن تحصى. وهذه الحقيقة تتبين للباحثين من خلال الرجوع إلى كتب التاريخ والسيرة، إذ هناك نصوص وروايات رواها كبار علماء الإسلام وكثيراً منهم من علماء أهل السنة وهي تدلّ بالصراحة على بدعة الخلفاء الغاصبين في الإسلام وما فعلوه من الإجرام من قتل النفوس المحترمة ونهب أموال المسلمين وما فيها من الويلات من سوء المصير والكوارث التي جرت على الأمة ما يعلمه كل عارف بالتاريخ. ولا بأس بالعرض اليسير هنا من بعض تلك نصوص تنويراً للأذهان السليمة الخالية عن الشوائب والأوهام. فمنها ما رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج البلاغة، قال: لما بنى عثمان قصره طمار الزوراء وضع طعاماً كثيراً ودعا الناس إليه كان فيهم عبد الرحمن، فلما نظر إلى البناء والطعام قال: يا بن عفان لقد صدقنا عليك ما كنّا نكذب فيك، وإني أستعذ بالله من بيعتك، فغضب عثمان وقال: أخرجه عني يا غلام، فأخرجوه وأمر الناس أن لا يجالسوه فلم يكن يأتيه أحد إلا ابن عباس كان يأتيه فيتعلم منه القرآن والفرائض. ومرض عبد الرحمن فعاده عثمان وكلمه فلم يكلمه حتى مات (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١: ص ١٩٦). روى البلاذري في أنساب الأشراف، وقال أبو مخنف والواقدي في روايتهما: أنكر الناس على عثمان إعطاء سعيد بن العاص مائة ألف درهم. وكلمه عليّ والزبير وطلحة وسعد وعبد الرحمن بن عوف في ذلك، فقال: إن له قرابة ورَحماً، قالوا: أما كان لأبي بكر وعمر قرابة ورَحَم؟ فقال: إن أبا بكر وعمر كانا يحتسبان في منع قرابتهما وأنا أحتسب في إعطاء قرابتي. قالوا: فهديهما والله أحب إلينا من هديك، فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله (انساب الأشراف ج ٥: ص ٥١٥). وقال الشيباني: أول من آثر القرابة والأولياء عثمان بن عفان (انظر العقد الفريد ج ٢: ص ٣٦٥). وروى





الطبري عن الواقدي عن أسامة بن زيد عن كعب قال: لَمَّا وَجَّهَ عثمان عبد الله بن سعد إلى أفريقية كان الذي صالحهم عليه بطريق أفريقية جرجير ألفي ألف دينار وخمسمائة ألف دينار وعشرين ألف دينار، فبعث ملك الروم رسولا وأمره أن يأخذ منهم ثلاثمائة قنطار كما أخذ منهم عبد الله بن سعد. إلى أن قال: كان الذي صالحهم عليه عبد الله بن سعد ثلاثمائة قنطار ذهب، فأمر بها عثمان لآل الحكم. قلت: أو لمروان؟ قال: لا أدري (تاريخ الطبري ج ٣: ص ٣١٤). وقال ابن الأثير في الكامل: وحمل خمس أفريقية إلى المدينة فاشترى مروان بن الحكم بخمسمائة ألف دينار فوضعها عنه عثمان، وكان هذا ممَّا أخذ عليه، وهذا أحسن ما قيل في خمس أفريقية، فإن بعض الناس يقول: أعطى عثمان خمس أفريقية عبد الله بن سعد. وبعضهم يقول: أعطاه مروان الحكم، وظهر بهذا أنه أعطى جميع أفريقية (الكامل في التاريخ ج ٣: ص ٩١). وروى ابن عساكر: لَمَّا وَلِيَهُم عثمان لأنَّ لهم ووصلهم، ثمَّ توانى في أمرهم واستعمل أقرباءه وأهل بيته في الستِّ الأواخر وكتب لمروان بخمس مصر، وفي نسخة أخرى بخمس أفريقية، وأعطى أقرباءه المال وتأول في ذلك الصلة التي أمر الله بها واتخذ المال واستسلف من بيت المال وقال: إنَّ أبا بكر وعمر تركا من ذلك ما هو لهما، وإنِّي أخذته فقسمته في أقربائي، فأنكر الناس عليه ذلَّ (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٣٩: ص ٢٥١). وأخرج البلاذري في الأنساب من طريق الواقدي عن أمِّ بكر بنت المسور قالت: لَمَّا بَنَى مروان داره بالمدينة دعا الناس إلى طعامه وكان المسور فيمن دعا، فقال: مروان وهو يحدِّثهم: والله ما أنفقت في داري هذه من مال المسلمين درهماً فما فوقه. فقال المسور: لو أكلت طعامك وسكت لكان خيراً لك، لقد غزوت معنا أفريقية وإنَّك لأقلنا مالاً ورقيقاً وأعواناً وأخفنا ثقلًا، فأعطاك ابن عفَّان خمس أفريقية وعملت على الصدقات فأخذت أموال المسلمين. فشكاه مروان إلى عروة وقال: يغلظ لي وأنا له مكرم متق (انساب الأشراف ج ٥: ص ٥١٥). وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: أمر (عثمان) لمروان بمائة ألف من بيت المال وقد زوَّجه ابنته أم أبان، فجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح فوضعها بين يدي عثمان وبكى فقال عثمان: أتبكي إن وصلت رحمي؟ قال: لا. ولكن أبكي لأنني أظنُّك إنَّك



وقد عرفت فيما مضى فساد ذلك، إلى غير ذلك من مفترياتهم المتقدمة^(١).



أخذت هذا المال عوضاً عما كنت أنفقت في سبيل الله في حياة رسول الله ﷺ، ولو أعطيت مروان مائة درهم لكان كثيراً، فقال: ألق المفاتيح يا ابن أرقم فإننا سنجد غيرك، وأتاه أبو موسى بأموال من العراق جليلة فقسّمها كلّها في بني أميّة! (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١: ص ١٩٩) وقال الحلبي في سيرته: وكان من جملة ما انتقم به على عثمان أنّه أعطى ابن عمّه مروان بن الحكم مائة ألف وخمسين أوقية، وأعطى الحارث عشر ما يباع في السوق أي سوق المدينة وأنّه جاء إليه أبو موسى بكيلة ذهب وفضّة، فقسّمها بين نسائه وبناته، وأنّه أنفق أكثر بيت المال في عمارة ضياعه ودوره، وأنّه حمى لنفسه دون إبل الصدقة وأنّه حبس عبد الله بن مسعود وهجره وحبس عطاء وأبي بن كعب، ونفى أبا ذر إلى الربدّة، وأشخص عبادة بن الصامت من الشام لما شكاه معاوية، وضرب عمّار بن ياسر وكعب بن عتبة ضربه عشرين سوطاً ونفاه إلى بعض الجبال، وقال لعبد الرحمن بن عوف: إنك منافق، وإنّه أقطع أكثر أراضي بيت المال وأن لا يشتري أحد قبل وكيله وأن لا تسير سفينة في البحر إلّا في تجارته وأنه أحرق الصحف التي فيها القرآن وأنه أتم الصلاة بمنى ولم يقصرها لما حج بالناس وأنّه ترك قتل عبيد الله وقد قتل الهرمزان، وقد أجاب عن ذلك كلّ في الصواعق فراجع (السيرة الحلبيّة ج ٢: ص ٢٧٣).

وإلى غير ذلك من الروايات والنصوص التي رواها علماء أهل السنّة في مخالفة خلفائهم للشريعة المقدّسة، من البدع في الدين من نهبهم أموال المسلمين من بيت المال وهتك أعراضهم وقتل نفوسهم وغير ذلك، فلاحظ

(١) لا يخفى أنّ المخالفات والانحرافات والضلالات والبدع التي صدرت من الصحابة، وعلى رأسهم الخلفاء الثلاثة، قد هيئت الأسباب لارتكاب أكبر جرائم على البشريّة، إذ اخترقوا بذلك حدود الله ومحقّقوا سنّة رسول الله ﷺ، وأصبح الناس التابعين لهم يرفضون النصوص الثابتة عندهم حجّيتها، والمصادر التي كان من الواجب عليهم أن يأخذوا بها. وبالرغم أنّهم كانوا يعتقدون برسالة النبي الأكرم ﷺ، وكانوا يعلمون بأنّ مصدر التشريع



عندهم الكتاب والسنة، وأيضاً كانوا يعلمون أنّ سنة رسول الله ﷺ حجة على الناس ولم يكن رسول الله ﷺ مجرد حاكم، بل كان مبلغاً للشريعة من قبل الله، عالماً بها وبمعاني كتاب الله عز وجل، وشاهداً على المسلمين، وقائداً سياسياً يجب أن يطاع على كلّ حال، سواء كان خائفاً ملاحقاً في غار ثور، أو كان رئيساً للدولة منتصراً على الأعداء، فوجوب طاعته ﷺ وكونه ولي الأمر لم يكن بسبب حاكميته على الدولة، بل من حيث أنّ حكمه ﷺ حكم الله، لأن الله تبارك وتعالى جعل حكمه ﷺ وحكومته ﷺ واجبة على جميع المسلمين، وحكمه ﷺ حجة عليهم، فقلوه وفعله وتقريره حجة شرعية، وأنّ قيادته في الناس ليست فقط قيادة سياسية، بل أنّها من وظائف النبوة ﷺ. فالمفروض على الصحابة أن يأخذوا بجميع ما جاء به النبي ﷺ باعتبار أنّ جميع ما جاء به حجة شرعية. وهذه الحجة الشرعية تكون مستمرة وممتداً بين الناس إلى يوم القيامة، وقد قال تعالى: ﴿لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (سورة النساء: ١٦٥)، ومن الواضح أنّ استمرار هذه الحجّة كانت ثابتة في عترته الطاهرة ﷺ، لأنّ حديث الثقلين المتواتر لدى الفريقين يدلّ على أنّ القرآن والعتره الطاهرة ﷺ حجّتين شرعيتين على جميع المسلمين إلى يوم القيامة. ومعناه أنّهما يسدّان الفراغ الحاصل برحلة رسول الله ﷺ، وهذا معنى الإمامة الإلهية التي تعتقد بها الشيعة الاثني عشرية.

ولكن الأحداث التي حدثت في السقيفة بعد وفاة النبي ﷺ قد غيرت مصير الأمة عمّا رسمه الله ورسوله ﷺ لهم، فما تتوقع من مصير الحجّة بعده ﷺ على أرض الواقع؟ لا شكّ أنّ أحداث السقيفة وما توالى بعد ذلك من غصب الخلافة والبدع والانحرافات في الدين قد غيرت المصير الذي جعله الله لهداية الناس فجعلت الأمة في أجواء خطيرة بسبب مخالفة الخلفاء للنصوص الدينية كتاباً وسنةً ومعارضاتهم لهما. وقد بدأت هذه المعارضات والتمردات من حياة النبي ﷺ، ومن أقبحها موقفاً هو عندما طلب رسول الله ﷺ من الصحابة القلم والدواة ليكتب لهم كتاباً لن يضلّوا بعده أبداً، فلم يلبّوا طلبه، وخرجوا عن طاعته طغياناً تمرداً، بل وواجهوه بأشدّ الكلام الدال على قسوتهم، حيث أنّه مع قطع النظر عن المخالفة الدينية والخروج عن طاعة الله ورسوله ﷺ كان عملاً غير





إنساني، حيث أن رسول الله ﷺ كان في فراش مرضه الذي توفي فيه وطلب منهم شيئاً بسيطاً، فإنّ الإنسانيّة كانت تقتضي أن يلبّوا طلبه كما لو كان يطلب منهم الماء، فكانت الانسانية تقتضي أن يلبوا طلبه. فعمّر بن الخطّاب بقوله: إنّ الرجل ليهجر - العياذ بالله - حسبنا كتاب الله! (انظر صحيح البخاري ج ١: ص ٢٧ كتاب العلم، باب كتابة العلم، وج ٥: ص ١٣٨ كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته). لم يراعي أي جهة من الجهات، فكانت هذه العمليّة من أعظم المخالفة منه لله ورسوله ﷺ، لأنّه مخالفة صريحة بوجه رسول الله ﷺ كما أنّه مخالفة صريحة لكتاب الله. ولا شك أنّ أساس السقيفة بدأت من هذه المخالفة، حيث أنّ تأسيس السقيفة وعمليّة غصب الخلافة كانت فيها مخالفات عديدة لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ونحن نذكر هنا بعض تلك المخالفات من باب المثال، فمنها مخالفة أبي بكر وأبي بكر وعمر للقرآن والسنة النبويّة بسبب حضورهم في السقيفة وغصب الخلافة بخروجهم عن طاعة الله ورسوله ﷺ، فقد أمر الله تعالى جميع المسلمين بطاعة الرسول ﷺ في قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ (سورة النساء: ٨٠)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (سورة آل عمران: ٣٢)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (سورة النساء: ٥٩). فإنّ الآيات تدلّ بالصرّاحة على أنّ طاعة الرسول ﷺ واجبة عليه على الإطلاق، وإنّ اجتماع الصحابة في السقيفة كانت لتغيير مسير الأمة عمّا رسمه الله لهم في باب الإمامة، لأنّ الله تبارك وتعالى أمر الله الصحابة باتباع أولي الأمر المعصوم حيث قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (سورة النساء: ٥٩)؛ فإنّه سبحانه وتعالى أمر في الآية الكريمة بطاعة أولي الأمر فتكون طاعته مثل طاعة رسول الله ﷺ واجبة ومعناه أنّ طاعة أولي الأمر مطلقة كطاعة الرسول ﷺ، كما أنّ معناه أنّ أولى الأمر لا بدّ أن يكون متّصفاً بجميع شرائط الرسول ﷺ لظاهر العطف. ولا يخفى على الخبير أنّ وجوب الطاعة المطلقة تدلّ على





العصمة، لأنّ الطاعة المطلقة معناه وجوب الاقتداء في جميع الشؤون، ووجوب الاقتداء في جميع الشؤون لا يصحّ إلا لمن كان معصوماً من الخطأ والنسيان والسهو والعصيان. وعليه فلا بدّ أن يكون أولى الأمر معصوماً كالرسول ﷺ، لأنّ مقتضى عطف أولى الأمر على الرسول ﷺ أن يكون أولى أمر كالرسول واجب الطاعة، وإلاّ لما صحّ إطلاق العطف، إذ لا يجوز الأمر بطاعة غير المعصوم على الإطلاق، حيث أنّ غير المعصوم لا يكون مصوناً من الخطأ والذنب، فالأمر من الله تعالى بطاعة أولى الأمر على نحو الإطلاق دليل على أنّه لا بدّ أن يكون أولى الأمر بمنزلة رسول الله ﷺ في وجوب الطاعة. فالآية قد حصرت الطاعة المطلقة لله ولرسوله ﷺ ولأولي الأمر المعصومين الذين تكون طاعتهم كطاعة الرسول ﷺ. والجدير بالانتباه هو أنّ بعض العلماء المعروفين من أهل السنّة، ومنهم الفخر الرازي اعترف بهذه الحقيقة في مطلع حديثه عند تفسير هذه الآية حيث قال: إنّ الله تعالى أمر بطاعة أولى الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومن أمر الله بإطاعته على سبيل الجزم والقطع لا بدّ أن يكون معصوماً عن الخطأ، إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ قد أمر الله بمتابعته، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ، والخطأ لكونه خطأ منهى عنه، فهذا يفضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد، فثبت أنّ الله تعالى أمر بطاعة أولى الأمر على سبيل الجزم، وثبت إنّ كلّ من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ... (انظر تفسير الفخر الرازي ج ١٠: ص ١٤٤). فهكذا يقيم الفخر الرازي الدليل على أنّ المراد من أولى الأمر في الآية يجب أن يكون معصوماً. فإنّ غصب الخلافة معناه مخالفة أمر الله في طاعته وطاعة رسوله ﷺ وطاعة أولى الأمر. وهناك آيات عديدة في وجوب طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، وإنّ تأسيس السقيفة يكون مخالفة لها. كما أنّ تأسيس السقيفة تكون مخالفة لسنة رسول الله ﷺ، حيث أنّ رسول الله ﷺ أوصى جميع المسلمين بالتمسك بعد رحيله بالثقلين؛ فقد أخرج ابن كثير في تفسيره بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن النبي ﷺ: «يا أيها الناس، إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي» (انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤: ص ١٢٣).





وأخرج الترمذي في سننه بسنده عن زيد بن أرقم عن رسول الله ﷺ قال: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ولن يتفردا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما» (انظر سنن الترمذي ج ٥: ص ٢٢٩). فالحديث في غاية الأهمية حيث فيها وصية النبي ﷺ وهو من أهم الأدلة على إمامة أئمة أهل البيت ﷺ حيث أمر النبي ﷺ فيه بالتمسك بالقرآن وأهل بيته ﷺ معاً فيدل على إمامة أئمة أهل البيت ﷺ وعصمتهم كعصمة القرآن واستمرارية حجته إلى يوم القيامة، وقد حظي الحديث بالكثير من الاهتمام كما سيأتي تسليط الضوء عليه إن شاء الله تعالى. وبذلك يمكن القول بأن حديث الثقلين يعد من أهم الأحاديث في موضوع الولاية والإمامة بحيث لا نجد نظيراً له بين الروايات الواردة في هذا الشأن. وحديث المنزلة: وهو من الأحاديث التي وردت بالفاظ ومواضع ومناسبات متعددة عن النبي الأكرم ﷺ الذي تناقله جُلّ علماء المسلمين، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر البخاري الذي رواه عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ للامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» (انظر صحيح البخاري ج ٥: ص ١٢٩ كتاب الغازي، باب غزوة خيبر)، ورواه مسلم في صحيحه بسنده عن سعيد بن مسيب... (انظر صحيح مسلم ج ٧: ص ١٢٠ كتاب المناقب، باب الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة عن النبي ﷺ في كتب أهل السنة ومصادرهم المعتبرة، ونستنتج من ذلك أن الأحاديث النبوية تدل بوضوح على الإمامة أئمة أهل البيت ﷺ، وأن هذا المنصب منصب إلهي، بمعنى أن تعيين الإمام يكون بأمر الله تبارك وتعالى عن طريق النبي الأكرم ﷺ. وهذا بخلاف أهل السنة الذين يعتقدون بإمامة من غصب الخلافة، ثم توسعوا دائرته إلى أولاد الطلقاء والفساق والسفّاكين من بني أمية وآل العباس، فأصبحت الخلافة وراثية السلطة والقدرة وإمارة الجائرين الظلمة، الذين كانت الخلافة عندهم لعبة مبتذلة، يختارونه يوم ويخلعون غداً، ويباعونه ساعة، ويسلمونه أو يقتلونهم بعد ساعة. هذا ومن حمل كتاب الله، وعلم نبيه من آل البيت ﷺ



وقد مرّ جملة من خياناتهم لله ولرسوله ﷺ في الدين مثل حكمهم بإنظارهم وحكمهم بغير ما نزل من عند الله في مقامات عديدة^(١).



خائف يترقب، أو محبوس يتعذب، أو شريد غريب عن أهله ودياره، وأعداء الإسلام يقتطعون أرضه قطعة قطعة، ويقتلون أهله جماعة جماعة. فهذه الخلافة التي جعلها جمهور الصحابة بدل الإمامة الإلهية، والحال أنّ الله تبارك وتعالى قال في كتابه العزيز: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (سورة آل عمران: ١٤٤). هذه الآية تُبين حقيقة هامة ألا وهي أنّ الإسلام لا ينتهي بموت النبي ﷺ أو استشهاده، حتّى إذا قتل النبي ﷺ ونال الشهادة لا ينتهي كل شيء، لأنّ الإسلام هو الدين الحقّ الذي أنزل ليقى خالداً إلى الأبد. فالآية الكريمة تقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ؟﴾ فيستكر الآية ما دار بين بعض الصحابة في بعض الغزوات من أنّ كل شيء في هذا الدين ينتهي بغياب نبي الإسلام ﷺ. والجدير بالذكر أنّ القرآن استخدم للتعبير عن الردة إلى الجاهلية بكلمة ﴿انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ والأعقاب جمع عقب بمعنى مؤخّرة القدم، فهو تعبير موح يصوّر التراجع إلى الوراء والارتداد الواقعي وهو أكثر إيحاءً وأقوى تصويراً من لفظة الردة والرجوع والعودة، لأنّه بمعنى السير الفهقرى، فلا حظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ...﴾ (سورة الأنفال: ٢٧). لقد وردت في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تحذّر المسلمين من الخيانة، والميل إلى الخائنين أو الركون إليهم، أو الدفاع عنهم، حيث أنّ الخيانة من أقبح صفات أهل النفاق، لأنّ الخائن يخون من ائتمنه، ويعاديه في الخفاء، ولذلك ورد في الحديث المتفق عليه بين الفريقين عن النبي ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان» (انظر الكافي ج ٢: ص ٢٩١،





صحيح البخاري ج ١: ص ١٤ كتاب الايمان، باب علامات المنافق). ومن هنا يعرف بأن من أعظم أنواع الخيانة، هي الخيانة لله ورسوله ﷺ. وإذا أردنا أن نعرف معنى خيانة الله ورسوله ﷺ لا بد أن نعرف أولاً معنى أمانة الله ورسوله ﷺ، لأن الخيانة ضد الأمانة، فأمانة الله سبحانه عند الناس هي كتاب الله وأحكامه المشرفة من عنده. وأمانة الرسول ﷺ وهي عبارة عن السنن التي أمر بها وسيرته في حياته العملية. فمعنى خيانة الله ورسوله أي ترك أوامر الله ورسوله ﷺ. ولذلك ورد في الحديث عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في تفسير الآية الكريمة قال: «خيانة الله والرسول ﷺ معصيتهما، وأما خيانة الأمانة فكل إنسان مأمون على ما افترض الله عليه» (انظر بحار الأنوار ج ٢٢: ص ٦٧). وفي رواية أخرى عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «لكنه سبحانه جعل حقه على العباد أن يطيعوه، وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضلاً منه...» (نهج البلاغة: الخطبة رقم ٢١٦). فخيانة الله ورسوله ﷺ هي مخالفتهم، لاسيما إذا كانت المخالفة موجبة لانحراف الناس وضلالتهم، فقد ورد في الحديث عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «من أعان باطلاً ليدحض بباطله حقاً قد برئ من ذمة الله وذمة رسوله ﷺ، ومن ولي ولياً من المسلمين شيئاً من أمور المسلمين وهو يعلم أن في المسلمين من هو خير للمسلمين منه وأعلم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فقد خان الله ورسوله ﷺ وخان جماعة المسلمين» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٥٣: ص ٢٥٦). ومنها: ما رواه الحاكم بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من استعمل رجلاً على عصابة وفي تلك العصابة من هو أَرْضَى لله منه فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين». ثم قال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (المستدرک على الصحيحين ج ٤: ص ٩٢)، ورواه ابن حجر في سبل السلام ج ٤: ص ١١٧. وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام. فهذه الأحاديث وغيرها تدل على أن غضب الخلافة من الخلفاء الثلاثة وتقديمهم على الإمام الذي فرض الله تعالى طاعته وولايته وإمامته على جميع الخلق بعد رسول الله ﷺ فقد خانوا الله ورسوله ﷺ؛ لأن الإمامة أمانة الله عز وجل، حيث أن الإمامة تعتبر من الأمور المشروعة من الله عز وجل، فغضب هذا المقام من أهله خيانة لله ورسوله ﷺ، فيجب على كل



منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨ ١٠١٣
وأما خلفهم الوعد فمن حيث وعدهم للرسول ﷺ بالمحافظة على شريعته
ومتابعتها^(١)،



مسلم - بصريح هذه الآية - أن لا يخون الله ورسوله في أية أمانة دون استثناء. وأيضاً قال
الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (سورة المؤمنون: ٨)؛ وقال السلمي
في تفسير الآية: أنه قال بعضهم: الأمانة سرّ الله عند عباده يساورهم بها في خواطرهم
ويساورونه... (انظر تفسير السلمي ج ٢: ص ٣٥١)، فلاحظ.

(١) لا شك أنّ كتب أهل السنّة مليئة بذكر الروايات التي رواها الصحابة عن النبي ﷺ،
الدالة على مرجعية أهل البيت ﷺ وإمامتهم ووجوب طاعتهم إلى يوم القيامة في
أحاديث متواترة رواه جميع علماء الإسلام، منها: حديث الثقلين، المتواتر لدى الفريقين،
وقد رواه كبار علماء أهل السنّة بطرق عديدة منها: ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن
زيد بن الأرقم عن رسول الله ﷺ قال: «ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول
ربّي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله
واستمسكوا به»، فحثّ على كتاب الله ورعّب فيه، ثمّ قال: «وأهل بيتي، أذكركم الله في
أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» (صحيح مسلم ج ٤:
ص كتاب الفضائل باب فضائل علي بن أبي طالب ﷺ). ومنها: ما رواه أحمد بن حنبل في
مسنده والحاكم في المستدرک على الصحيحين بلفظ: «كأنّي دُعيت فأجبت، إنّي قد
تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني
فيهما، فإنهما لن يتفرقا حتّى يردا عليّ الحوض» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ٣: ص ١٧،
والمستدرک على الصحيحين ج ٣: ص ١٠٩). ويبدو أنّ هذا المضمون قد صدر في موارد
عديدة من الروايات التي رواها علماء أهل السنّة حتّى كثرت عبارات الحديث في كتبهم
وجاء متواتراً بهذا المضمون. والتمعّن في هذا الحديث يدرك بوضوح اهتمام النبي
الأكرم ﷺ بالعترة الطاهرة وأهل بيته ﷺ كاهتمامه بالقرآن الكريم حيث أوصى ﷺ
بهما معاً، فجعل ﷺ عترته الطاهرة عدلاً للقرآن الكريم، وأمر بوجوب اتّباعهما معاً، لئلاّ
←



تقع الأمة في الضلال والانحراف والحسرة والندامة. وكان من الواجب على جميع الأمة العمل بوصية رسول الله ﷺ باتباع القرآن الكريم واتباع العترة الطاهرة من أهل البيت ﷺ معاً. فالحديث صريح في وجوب التمسك بالقرآن وبأهل البيت ﷺ في كل عصر وزمان معاً إلى يوم القيامة. وعليه فإنّ حديث الثقلين يدلّ على وجوب أخذ التعاليم الإسلاميّة من أهل البيت ﷺ كما يجب على المسلمين الأخذ من معالم القرآن الكريم، وحيث أنّ الحديث أكّد على استمرار هذه الوظيفة إلى يوم القيامة، معناه أنّ إمامة أهل البيت ﷺ باقية في جنب القرآن إلى قيام يوم الدين، ولا يخفى على الخبير أنّ أساس السقيفة التي عقدها الصحابة بعد وفاة رسول الله ﷺ كانت مبنية على مخالفة هذه الروايات المتواترة التي رواها الصحابة في إمامة العترة الطاهرة ﷺ، وغضب الخلافة من أهل البيت ﷺ كان متوقفاً على إنكار هذه النصوص الصحيحة المتواترة لدى الفريقين. فبيعة أبي بكر كانت متوقفة على دعوى عدم وجود النصّ على خلافة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ. رغم وجود الروايات المتواترة التي رواها كبار علماء أهل السنة في كتبهم بأسناد صحيحة عن خلفائهم عن رسول الله ﷺ في إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، ومن تلك النصوص حديث الغدير الذي رواه أبو بكر وعمر وعثمان عن النبي ﷺ، وهم أوّل من هتّوا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ بالإمامة والخلافة وبإمرة المسلمين آن ذاك، وممّن روى عنهم حديث الغدير أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني المعروف بابن عقدة المتوفّى ٣٣٣ هـ في كتابه الولاية الذي روى منه كبار علماء أهل السنة، فإنّه روى حديث الغدير بمائة وخمس طريق من كتب علماء الإسلام والمحدثين من الفريقين. وأكثر النقل عنه ابن الأثير في أسد الغابة، وابن حجر في الإصابة، فإنهما بعد ذكرهما كلّ طريق من حديث الغدير صحّحوا أسنادها. فاعتنى ابن حجر بطرق أبي العباس ابن عقدة فأخرج الحديث من كتابه من طرق سبعين صحابياً أو أكثر (انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٧: ص ٣٣٧). وقال في فتح الباري: أمّا حديث «من كنت مولاه فعليّ مولاه» فقد أخرجه الترمذي والنسائي وهو كثير الطرق جداً وقد استودعها ابن عقدة في كتاب مفرد وكثير





من أسانيدھا صحيح وحسان (فتح الباري ج ٧: ص ٦١). حكى شمس الدين المناوي الشافعي في فيض القدير قول ابن حجر قائلًا: حديث (الغدير) كثير الطرق صححه... (انظر فيض القدير ج ٦: ص ٢١٨). ونسبه إليه الكنجي الشافعي في كفاية الطالب، فروى عن ابن عقدة حديث الغدير في كتابه الولاية عن الخلفاء الثلاثة (انظر كفاية الطالب: ص ١٥). كما روى أبو بكر الجعابي حديث الغدير عن الخلفاء الثلاثة في كتابه النخب، وغيرهم كما سنذكرها في محله إن شاء الله تعالى. وأمّا حديث تهنئة الخلفاء الثلاثة لمولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقد أخرجه ابن عقدة أيضاً في كتاب الولاية وهو أوّل الكتاب عن شيخه إبراهيم بن الوليد بن حمّاد عن يحيى بن يعلى عن حرب بن صبيح عن ابن أخت حميد الطويل عن ابن جدعان عن سعيد بن المسيّب قال: قلت لسعد بن أبي وقاص: إني أريد أن أسألك عن شيء وإني أتقيك. قال: سل عما بدا لك فإنما أنا عمك. قال: قلت: مقام رسول الله ﷺ فيكم يوم غدير خم؟ قال: نعم، قام فينا بالظهير فآخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه». قال: فقال أبو بكر وعمر: أمسيت يا بن أبي طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة (انظر الغدير ج ١: ص ٢٧٣ نقلاً عن كتاب ابن عقدة). وأخرج الطبري في كتابه الولاية بسنده عن زيد بن أرقم قال: لما نزل النبي ﷺ بغدير خم في رجوعه من حجة الوداع وكان في وقت الضحى وحرّ شديد، أمر بالدوحات فقامت ونادى الصلاة جامعة، فاجتمعنا فخطب خطبة بالغة ثم قال: «إن الله تعالى أنزل إليّ: ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾»، وقد أمرني جبرئيل عن ربي أن أقوم في هذا المشهد وأعلم كل أبيض وأسود: إن علي ابن أبي طالب أخي ووصيي وخليفتي والإمام بعدي، فسألت جبرئيل أن يستعفي لي ربي لعلمي بقلة المتقين وكثرة المؤذنين لي واللائمين لكثرة ملازمتي لعلي وشدة إقبالي عليه حتى سموني أذنًا، فقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ﴾. ولو شئت أن أسميهم وأدلّ عليهم لفعلت ولكني بسترهم قد تكرّمت، فلم يرض الله إلاّ بتبليغي فيه، فاعلموا معاشر الناس ذلك، فإن الله قد نصبه لكم ولياً وإماماً وفرض





طاعته على كل أحد، ماض حكمه، جائز قوله، ملعون من خالفه، مرحوم من صدقه، اسمعوا وأطيعوا، فإن الله مولاكم وعليّ إمامكم، ثم الإمامة في ولدي من صلبه إلى القيامة، لا حلال إلا ما أحله الله ورسوله، ولا حرام إلا ما حرّم الله ورسوله وهم، فما من علم إلا وقد أحصاه الله فيّ ونقلته إليه، فلا تضلّوا عنه ولا تستنكفوا منه، فهو الذي يهدي إلى الحقّ ويعمل به، لن يتوب الله على أحد أنكره ولن يغفر له، حتماً على الله أن يفعل ذلك أن يعذّبه عذاباً نكراً أبداً الأبدین، فهو أفضل الناس بعدي ما نزل الرزق وبقي الخلق، ملعون من خالفه، قلبي عن جبرئيل عن الله، ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾، افهموا محكم القرآن ولا تتبعوا متشابهه، ولن يفسّر ذلك لكم إلا من أنا آخذ بيده وشأنل بعضه ومعلّمكم أنّ من كنت مولاه فهذا فعلي مولاه، وموالاته من الله عزّ وجلّ أنزلها عليّ. ألا وقد أدّيت، ألا وقد بلغت، ألا وقد أسمعت، ألا وقد أوضحت، لا تحلّ إمرة المؤمنين بعدي لأحد غيره». ثمّ رفعه إلى السماء حتّى صارت رجله مع ركة النبي ﷺ وقال: «معاشر الناس، هذا أخي ووصيي وواعي علمي وخليفتي على من آمن بي وعلى تفسير كتاب ربّي» (وفي رواية) «اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، والعن من أنكره، وأغضب على من جحد حقّه، اللهم إنك أنزلت عند تبين ذلك في عليّ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بإمامته، فمن لم يأتّم به وبمن كان من ولدي من صلبه إلى القيامة فأولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون، إنّ إبليس أخرج آدم ﷺ من الجنة مع كونه صفوة الله بالحسد، فلا تحسدوا فتحبط أعمالكم وتزلّ أقدامكم في عليّ نزلت سورة ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾. معاشر الناس آمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزل معه ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ آلِ سَبْتٍ﴾، النور من الله فيّ ثمّ في عليّ ثمّ في النسل منه إلى القائم المهدي. معاشر الناس سيكون من بعدي أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون، وإنّ الله وأنا بريئان منهم، أنّهم وأنصارهم وأتباعهم في الدرك الأسفل من النار، وسيجعلونها ملكاً اغتصاباً فعندها يفرغ ﴿لَكُمْ أَتَىٰ الثَّقَلَانِ﴾؟ و﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾... معاشر الناس، قولوا أعطيناك على ذلك عهداً عن أنفسنا وميثاقاً بألستنا





وصفقة بأيدينا نؤديه إلى أولادنا وأهالينا لا نبغي بذلك بدلاً وأنت شهيد علينا وكفى بالله شهيداً، قولوا ما قلت لكم، وسلّموا على علي بإمرة المؤمنين، وقولوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾، فإن الله يعلم كل صوت وخائنة كل نفس، ﴿فَمَنْ نَكثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، قولوا ما يرضي الله عنكم فإن تكفروا فإن الله غني عنكم». قال زيد بن أرقم: فعند ذلك بادر الناس بقولهم: نعم سمعنا وأطعنا على أمر الله ورسوله بقلوبنا، وكان أول من صافق النبي ﷺ وعلياً: أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وباقي المهاجرين والأنصار وباقي الناس إلى أن صلى الظهرين في وقت واحد، وامتد ذلك إلى أن صلى العشائين في وقت واحد وأوصلوا البيعة والمصافحة... (انظر كتاب الغدير ج ١: ص ٢١٤، وص ٢٧٠ نقلاً عن محمد بن جرير الطبري في كتاب الولاية). وقال الغزالي في كتابه سرّ العالمين في باب ترتيب الخلافة والمملكة: وأجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته ﷺ في يوم غدیر خمّ باتّفاق الجميع وهو يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، فقال عمر: بخ بخ يا أبا الحسن لقد أصبحت مولاي ومولى كلّ مولى (سرّ العالمين ج ١: ص ٣١). وهناك روايات كثيرة وفي باب التهئة لا يسعنا المجال لذكرها، وقد جمعها العلامة الأميني رحمه الله في كتابه الغدير فوصل العدد إلى ستين مصدراً من مصادر أهل السنة (لاحظ الغدير ج ١: ص ٢٧٠-٢٨٣). وعليه فإنّ مصادر أهل السنة تشهد باعتراف أبي بكر وعمر وعثمان بالنصوص الواردة في إمامة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ومعناه أنّ بيعة أبي بكر في السقيفة كانت مبنية على إنكار هذه النصوص في باب الإمامة، وهكذا يكون الأمر بالنسبة إلى جميع الصحابة ومن بعدهم ممّن تعاقدوا مع الله ورسوله ﷺ في الالتزام والعمل بما جاء به رسول الله ﷺ فأخلفوا الوعد والمواعيد. وخالفوا أوامر الله ورسوله ﷺ في إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والأئمة المعصومين عليهم السلام من أهل البيت. فهم قد خرجوا ببيعة السقيفة عن وعدهم الذي وعدوه للرسول ﷺ بالمحافظة على شريعته ومتابعتها، فلاحظ.

وقد عرفت تضييعهم لها، ومخالفتها^(١).

(١) لقد ثبت بالأدلة القطعية من الكتاب والسنة والنصوص التاريخية جرائم التي ارتكبتها أكثر الصحابة والتابعين، من مخالفتهم للدين والشريعة المقدسة، وظلمهم لأهل البيت عليه السلام وبدعهم التي أحدثوها في الدين، وقتلهم نفوس المسلمين ونهبهم أموالهم و... وفي كتب أهل السنة استعراض وسيع لأعمال أكثر الصحابة وأقوالهم ومخالفتهم للقرآن الكريم والسنة النبوية وتلاعيبهم بالدين والأحكام الشرعية، والجرائم التي ارتكبتها لاسيما الخلفاء الثلاثة، ولو أردنا أن نذكر جانب يسيراً من تلك الجنايات لطال بنا المقام. وعلى سبيل المثال مخالفتهم للكتاب والسنة في قتل مانعي الزكاة الأبرياء مالك بن نويرة الصحابي الجليل، الذي يقول ابن الأثير في ترجمته: مالك بن نويرة المقتول المزني بزوجه في نفس الليلة ما يلي... إلا أنه لم تظهر عليه ردة (يقصد مالك بن نويرة الصحابي الجليل) وأقام بالبطاح، فلما فرغ خالد من بني أسد وغطفان سار إلى مالك وقدم البطاح، فلم يجد به أحداً، كان مالك قد فرّقهم ونهاهم عن الاجتماع (لو كان مالك مرتداً فعلاً لأعد العدة لقتال خالد) (انظر أسد الغابة ج ٤: ص ٢٩). وذكر المؤرخون: أنه لما قدم خالد بن الوليد البطاح بث سراياه، فأتي بمالك بن نويرة ونفر من قومه. فاختلفت السرية فيهم، وكان فيهم أبو قتادة، وكان فيمن شهد أنهم أذّنوا وأقاموا وصلّوا، فحبسهم في ليلة باردة وأمر خالد فنادى: أدفنوا أسراكم - وهي في لغة كنانة القتل - فقتلوهم (انظر إلى مكر خالد وغدره). فسمع خالد الواعية فخرج وقد قتلوا، فترّج خالد بامرأته، فقال عمر لأبي بكر: سيف خالد فيه رهق وأكثر عليه، فقال أبو بكر: تأول فأخطأ ولا أشيم سيفاً سلّه الله على المشركين، وودى مالكا، وقدم خالد على أبي بكر فقال له عمر: يا عدوّ الله قتلت امرءاً مسلماً ثم تزوت على امرأته، لأرجمنك وأبو قتادة يشهد أنهم أذّنوا وصلّوا، وأبو بكر يرد السبي ويعطي دية مالك من بيت المال (انظر تاريخ الطبري ج ٢: ص ٥٠٤، والكمال في التاريخ لابن الأثير ج ٢: ص ٢٥٩، وأبو الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ج ١٥: ص ٢٠٣، وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٣: ص ٣٦، وغيرهم). وقد أجمع المؤرخون على أنّ مالكا كان من المسلمين ولكنه امتنع عن إعطاء الزكاة للسلطة الجائرة، لعدم وثوقه بخلافة أبي بكر



حتى ورد في بعض رواياتهم: أن عمر قال لأبي بكر: كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله (انظر صحيح البخاري ج ٢: ص ١١٠ كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة). فلم يبالى أبو بكر بما ذكره عمر، وأجابه بعنف وشدة حتى تقاعد عمر ليستتب أمر الخلافة لهم ولا يجرأ أحد على الاعتراض عليهم.

والملفت للنظر أن في هذه القصة اعتراف ضمني من أبي بكر على أن عمله كان مخالفاً للسنة النبوية، إذ أنه دفع دية مالك من بيت المال واعتذر عن قتله بعد ذلك. ومن الواضح لدى الخبير أن المرتد لا يعتذر عن قتله ولا تدفع ديته من بيت المال (انظر الإصابة لابن حجر العسقلاني ج ٥: ص ٧٥٥، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج ١: ص ٣٦٦). فقتل مالك بن نويرة وقومه الأبرياء من الإجماع التي ارتكبتها أبو بكر وبه خالف كتاب الله وسنة رسول ﷺ. ولاندري كيف سكت عن ذلك الصحابة ومن بعدهم علماء أهل السنة مع أن هذه المخالفة من أبي بكر كانت واضحة للجميع حيث أن عمر اعترض عليه ومعناه أن عمله بشكل واضح كان مخالفاً للشريعة حتى أن عمر خاف انقلاب الناس عليهم!! ولكن مع ذلك سكت عنه الصحابة. ويا للتعصب من محفز للتبرير!!

ثم إن ترك إقامة الحد على خالد بن الوليد بعد قتله مالك بن نويرة من خالفهم لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، لأن ارتكابه الزنا بزوجة مالك من ليلة قتله مما نص عليه القرآن، وسنة رسول الله ﷺ كما لا يخفى على أحد. كما أنه عندما وصل خبر قتله إلى أبي بكر لم يجري على خالد القصاص ولم يقم عليه حد الزاني ولم يضربه حد المفتري ولم يعزّره تعزير المعتدي على ما ملكته أيدي المسلمين! وإنما دافع عنه ولما وجد تقبيح الناس لتبريره عمّا فعله خالد أمره بطلاق زوجة مالك، ولاندري من أين جاء بهذا الحكم؟! وعندما اعترض عليه بعض الصحابة فغضب عليهم... (انظر الإصابة لابن حجر ج ٥: ص ٧٥٥، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج ١: ص ٣٦٦، وتاريخ الطبري ج ٣: ص ٢٧٨، وتاريخ أبي الفداء ج ١: ص ٢٢١، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٢: ص ٣٥٨ وغيره). والإسلام يحرم نكاح المتوفى عنها زوجها حتى تعتد، فإن نكحت وبنى بها النكاح وهي حية



في العدة حرمت عليه مؤبداً، فما معنى الطلاق؟!!! ولو فرضنا أن خالداً اعتبرها سبية، فالسبية لا يحل وطؤها إلا بعد الاستبراء الشرعي، ولا استبراء هنا! لأن خالداً ارتكب الزنا بزوجة مالك بن نويرة بعد قتل مالك. وإن وطئها في تلك الحال معناه الزنا في العدة. وما معنى الطلاق بعد هذه الأعمال الشنيعة؟! ثم إن الزكاة هي حق المال، فلا يجوز قتل مانعي الزكاة: أولاً: لأن رسول الله ﷺ حرّم قتل من قال "لا إله إلا الله" فقط، وفي ذلك أحاديث كثيرة أثبتها الصحاح (انظر صحيح البخاري ج ٢: ص ١١٠ كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة). وثانياً: لو كانت الزكاة حق المال، فإن للحاكم الشرعي أن يُبيح في هذه الحالة ماله بأن يأخذ الزكاة منه بالقوة من دون قتله وسفك دمه. وثالثاً: لو كان قتل مانعي الزكاة صحيحاً لقاتل رسول الله ﷺ ثعلبة الأنصاري الذي امتنع عن أداء الزكاة، وقصّته معروفة، ذكرها المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَيْنَاهُ مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿(سورة التوبة: ٧٥-٧٨)، ولا داعي لذكرها هنا. ألا يتعجب الباحث من هذه الدماء التي سالت بيد الخليفة أبي بكر، وهتك الأعراض، والأموال هدرًا، استباحة تلك الحرمات وتعطيل حدود الله الشرعية، ألا يتعجب الباحث عندما يرى التاريخ أن أبا بكر حتى لم يعزل خالد عن تلك الإمارة ولم ينقص شيء من صلاحياته في الدولة الغاصية.

ومنها: مخالفة أبي بكر لسنة رسول الله ﷺ في أمره بإحراق فجاءة السلمى بالنار وقد قال رسول الله ﷺ: «لا يعذب بالنار إلا رب النار» (انظر سنن أبي داود ج ٢: ص ٤٠٥، ومجمع الزوائد للهيتمي ج ٦: ص ٢٥١، ومسند أحمد بن حنبل ج ٢: ص ٤٩٤ وغيرهم).

ومنها: مخالفة عمر بن الخطاب للسنة النبوية في جعله الشورى بينهم وفي وقت وفاته، على قول أهل السنة بأن الاستخلاف يتم بالشورى، فإن ذلك مخالف للقرآن والسنة النبوية ﷺ (انظر الصواعق المحرقة لابن حجر ج ١: ص ٢٥٤، والطبقات الكبرى لابن





سعد ج ٣: ص ٢٠٧، وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ص ٨٢).

ومنها: مخالفة عمر للسنة في بدعة صلاة التراويح. فقد أجمع أهل السنة على أن صلاة التراويح نافلة، ولم يرد في الشرع الأقدس دليل على مشروعيتها جماعة، مع اعتراف عمر ابن الخطاب نفسه بأنه روج هذه البدعة في الدين وقال: أنها بدعة ونعم البدعة (صحيح البخاري ج ٢: ص ٢٥٢ كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان). وقد أخرج أصحاب الصحاح والسنن في باب نوافل الليل، «إن خير صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة»، فقد روى البخاري في صحيحه بسنده عن زيد بن ثابت قال: احتجر رسول الله ﷺ حجارة مخضفة أو حصيراً فخرج رسول الله ﷺ يصلي إليها فتتبع إليه رجال وجاؤا يصلون بصلاته، ثم جاؤوا ليلة فحضروا وأبطأ رسول الله ﷺ عنهم فلم يخرج إليهم، فرفعوا أصواتهم وحصبوا الباب، فخرج إليهم مغضباً فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما زال بكم صنعكم حتى ظننت أنه سيكتب عليكم، فعليكم بالصلاة في بيوتكم، فإن خير صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة» (صحيح البخاري ج ٧: ص ٩٩ كتاب الأدب، باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله عز وجل). وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً» (صحيح مسلم ج ٢: ص ١٨٧ كتاب الصلاة، باب استحباب النافلة في البيت وجوازها في المسجد). وإلى غير ذلك من الروايات التي تدل على أن رسول الله ﷺ كان يؤكد على صلاة النوافل عموماً في البيوت، لأن هذا الأمر أقرب للإخلاص وأدعى للقبول، بل قد ورد النهي من رسول الله ﷺ عن صلاة النوافل جماعة لما رأى بعض الأصحاب يصلون خلفه خلصةً، ووجههم إلى إخفاء النوافل وعدم تشريع الجماعة فيها (انظر صحيح البخاري ج ٧: ص ٩٩ كتاب الأدب، باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله عز وجل). كما سيأتي بيانه إن شاء الله في محله.

ومنها: التغيير في سنة الرسول ﷺ في الطلاق من الثلاث إلى الواحدة، فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن ابن عباس قال: كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطاب: إن الناس قد



فالخبر الذي نقله عن الصحيحين شامل لهم دون اثني عشرية الشيعة^(١)،



استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيته عليهم فأمضاه عليهم (انظر صحيح مسلم ج ٤: ص ١٨٤ كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرّم امراته ولم ينو الطلاق). وبهذا غير عمر سنة رسول الله ﷺ وخالف الكتاب، حيث يقول الله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ... تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (سورة البقرة: ٢٢٩). وفُسِّرَت هذه الآية بأن المرأة لا تحرم على زوجها إلا بعد ثلاث تطليقات، ولكن عمر بن الخطاب تجاوز حدود الله بحكمه أن طليقة واحدة بلفظ الثلاثة توجب حرمة الزوجة على الزوج. فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن ابن عباس قال: طلق ركانة بن عبد يزيد أخو بني مطلب امرأته ثلاثاً في مجلس واحد، فحزن عليها حزناً شديداً، قال: فسأله رسول الله ﷺ: «كيف طلقته؟» قال: طلقته ثلاثاً، قال: فقال: «في مجلس واحد؟» قال: نعم، قال: «فإنما تلك واحدة فارجعها إن شئت»، قال: فرجعها فكان ابن عباس يرى إنما الطلاق عند كل طهر (مسند أحمد بن حنبل ج ١: ص ٢٦٥). وفي رواية: أن رجلاً طلق في عهد رسول الله ﷺ ثلاثاً في مجلس واحد، فقام غضبان وقال: «يلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم» (انظر سنن النسائي ج ٦: ص ١٤٢). وإلى غير ذلك من مخالفاتهم لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. والنتيجة أن من اقتدى بالخلفاء الذين غصبوا الخلافة من أهل البيت ﷺ فقد اقتدى بأهل البدعة ومعناه أنه اقتدى بأهل الضلالة، لأن كتبهم مليئة بالروايات التي تصرّح بأن: «كل بدعة ضلالة» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ٤: ص ١٢٦)، ورواه الدارمي في سننه ج ١: ص ٤٥، وابن ماجه في سننه ج ١: ص ١٦، والحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين ج ١: ص ٩٦ وغيرهم. وعليه فإن الخلفاء الثلاثة وأتباعهم قد ضيعوا أحكام الله والشريعة الإسلام، فهم أولى بأن يقول ابن تيمية في حقهم أنهم مثل النصيرية وأهل الضلال والإلحاد، فلاحظ.

(١) والمقصود بالخبر هو ما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما بسندهما عن أبي هريرة عن





النبي ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث إذ حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان» (صحيح البخاري ج ١: ص ١٤ كتاب الإيمان، باب علامات المنافق، وصحيح مسلم ج ١: ص ٥٦ كتاب الإيمان، باب خصال المنافق). وروى الكليني في الكافي بسنده عن عبد الله ابن سنان عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث من كن فيه كان منافقاً وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: من إذا ائتمن خان وإذا حدث كذب وإذا وعد أخلف، إن الله عز وجل قال في كتابه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ " وقال: أَلَا لَعْنَتُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ»، وفي قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ كُتِبَ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلُ أَنَّهُ كَانَتْ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾» (الكافي ج ٢: ص ٢٩١). وقد جاء في حديث آخر أنه سأل الراوي فيه عن الإمام الصادق عليه السلام وقال: قلت له: رجل على هذا الأمر إن حدث كذب وإن وعد أخلف وإن ائتمن خان، ما منزلته؟ فقال عليه السلام: «هي أدنى منازل الكفر وليس بكافر» (الكافي ج ١: ص ٢٩٠). فالنفاق في مفهومه الخاص صفة أولئك الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر. وفي نهج البلاغة نص رائع عن مولانا الإمام أمير المؤمنين علي أبي طالب عليه السلام يقول فيه: «أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحذركم أهل النفاق، فإنهم الضالون المضلون، والزالون المزلون، يتلوون ألواناً، ويفتنون إفتاناً، ويعمدونكم بكل عماد، ويرصدونكم بكل مرصاد، قلوبهم دوية وصفاحهم نقيّة. يمشون الخفاء، ويدبون الضراء، وصفهم دواء، وقولهم شفاء، وفعلهم الداء العياء، حسدة الرخاء، ومؤكّدو البلاء، ومقنطوا الرجاء، لهم بكل طريق صريع وإلى كل قلب شفيح، وإلى كل شجو دموع يتقارضون الثناء ويتراقبون الجزاء: إن سألوا ألحفوا، وإن عدلوا كشفوا (نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٩٤). فمضمون هذه الأحاديث الواردة في كتب الفريقين بطرق صحيح، فيلزم على جميع المسلمين العمل بمضمونها، أي: أن من كان فيه هذه الصفات الذميمة لا يعتمد عليه. وفي مقام التطبيق يلزم على الباحثين أن يتأملوا في كتب الشيعة وأهل السنة ويبحثوا عمّن فيه صفات المنافق، كائناً من كان وإن كان من الصحابة والتابعين يلزم عليهم أن لا يعتمدوا على قول المنافقين.

ولا شك في أنّ الباحث لو راجع كتب الشيعة يجد فيها أنّ أحد أسباب الجرح في الرواية





عند الشيعة النفاق، ولذلك يرفضون عدالة الصحابة بصورة جماعية، وذلك لوجود المنافقين في الصحابة. كما أنهم يعتقدون بأن هذه الأحاديث تشمل أهل الأهواء وأهل البدعة، وأهل النصب والعداء لأهل البيت عليه السلام، فيرفضون العمل بحديثهم. كما أن أهل السنة أيضا ذكروا ذلك في كتبهم، أن أحد أسباب الجرح في الرواية النفاق ولكن في مقام التطبيق تراهم يعتقدون بعدالة جميع الصحابة من دون استثناء بما فيهم المنافقين، وأهل الأهواء والخوارج والنواصب فيوثقونهم. قال الذهبي: أنه قال أبو داود: ليس في أهل الأهواء أصح حديثاً من الخوارج، ثم ذكر عمران بن حطان، وأبا حسان الأعرج... (انظر سير أعلام النبلاء ج ٤: ص ٢١٤). ومثله ابن حجر في مقدمة فتح الباري (انظر مقدمة فتح الباري: ص ٤٣٢). وقد عقد محمد اسماعيل أمير الصنعاني في كتابه ثمرات النظر باباً بعنوان ثقة المبتدع، فيقول: قد روى علماء أهل السنة عن الخوارج وهم أشد الناس بدعة... وفي البخاري: من المبتدعة أمم لا يحصون وناهيك أنه أخرج لعمران بن حطان الخارجي المادح لقاتل علي بأبيات... (انظر ثمرات النظر في علم الأثر: ص ٨٤-٨٥). وقال ابن كثير في تفسيره بعد ذكر أقوال في تفسير بعض الآيات ما هذا نص عبارته: وهذه الأقوال والله أعلم كلها مأخوذة عن كعب الأحبار، فإنه لما أسلم في الدولة العمرية جعل يحدث عمر عن كتبه قديماً، فربما استمع له عمر فترخص الناس في استماع ما عنده ونقلوا ما عنده عنه غثها وسمينها... (تفسير ابن كثير ج ٤: ص ٢٠). ألا يتعجب الباحث مما فعله عمر بن الخطاب في ترخيصه كعب الأحبار ونقله الخرافات من الكتب القديمة، مع شدة منعه في حديث عن رسول الله ﷺ بأسلوبه المعروف الغلظة، فإنه كان يهدد ويوعد ويضرب بعض الصحابة الذين كانوا يحدثون الروايات عن رسول الله ﷺ (انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٥: ص ١٤٢ في ترجمة القاسم بن محمد، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج ٥: ص ٥٩، والمستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج ١: ص ١٩٣، والمعجم الأوسط للطبراني ج ٢: ص ٣٣٠ وغيرهم). ولكن مع ذلك قرب إليهم حملة الأفكار الهدامة وأعداء الإسلام أمثال كعب الأحبار وعبد الله بن سلام وعبد الله بن أبي وغيرهم، وأطلق لهم عنان ليحدثوا الناس بالاسرائيليات الضالة، فكانوا يبثون الاسرائيليات بين





المسلمين، وكثيراً ما كانوا يسندوها إلى النبي ﷺ أو إلى أحد كبار الصحابة تدليساً وتمويهاً على المسلمين، فقد روى ابن كثير في البداية والنهاية نقلاً عن مسلم بن الحجاج في صحيحه بسنده عن بسر بن سعيد، قال: اتقوا الله وتحفظوا من الحديث، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله ﷺ ويحدث عن كعب الاحبار، ثم يقوم، فاسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله ﷺ عن كعب، وحديث كعب عن رسول الله ﷺ، وفي رواية يجعل ما قاله كعب عن رسول الله ﷺ، وما قاله رسول الله ﷺ عن كعب، فاتقوا الله وتحفظوا في الحديث، وقال يزيد بن هارون: سمعت شعبة يقول: أبو هريرة كان يدلس - أي يروي ما سمعه من كعب وما سمعه من رسول الله ﷺ - ولا يميز هذا من هذا -، ذكره ابن عساكر (انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ٨: ص ١١٧). حتى أن عمر ابن الخطاب قال لقرظة بن كعب: جرّدوا القرآن وأقلّوا الرواية عن رسول الله ﷺ (انظر المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج ١: ص ١٠٢). فقد جُمّد الحديث واقتصر بالحفظ في صدور بعض الصحابة وصاروا يتناقلونه شفاهاً في الاختفاء؛ وأن عمر بن الخطاب كتب إلى الآفاق: أن من كتب حديثاً فليمححه (انظر تقييد العلم للخطيب البغدادي: ص ٥٣). ثم نهى عن التحدث فتركت عدّة من الصحابة الحديث عن رسول الله ﷺ (راجع المستدرک للحاكم النيسابوري ج ١: ص ١٠٢). وقد أعلن عثمان ومعاوية عن اتّباعهما لعمر في منعهم لحديث رسول الله ﷺ إلا حديثاً كان على عهد عمر (انظر مسند أحمد بن حنبل ج ٤: ص ٩٩). وظلّت سياسة عمر بمنع الحديث سارية المفعول حتى بلغ الأمر إلى أن الحجاج الثقفي - سفاك العراق - قام بالاعتداء على كبار صحابة الرسول ﷺ فختم على أيديهم وأعناقهم حذراً من أن يحدثوا الناس أو يسمع الناس حديثهم (انظر أسد الغابة لابن الأثير ج ٢: ص ٤٧٢ في ترجمة سهل الساعدي). وعليه فإنّ كتاب صحيح البخاري الذي هو من أهمّ الكتب عند القوم بعد كتاب الله، نجده كثير رواياته عن الخوارج والنواصب وأهل الأهواء والبدع كعواوية وعمر بن العاص وأبي هريرة وغيرهم، وإسرائيليات كعب الاحبار وعبد الله بن سلام وعبد الله بن أبيي وغيرهم ممّن أطلق لهم العنان من قبل الخليفة الثاني ليحدثوا الناس بالإسرائيليات



١٠٢٦ منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨

لما عرفته من صدقهم في النقل ومحافظتهم على الدين وعلى العمل به
وحكمهم بما نزل من عند الله^(١)،



الضالة. ومعناه أن عمل هؤلاء على عكس ما جاء في الحديث الذي رواه الصحيحين،
فلاحظ.

(١) لا يخفى أن من المقومات الأساسية لاعتقاد الشيعة الصدق في الحديث، ورعاية الأمانة
والعمل بالوعد والعهد. لأن مكانة هذه الصفات عندهم ترجع إلى مباني الاعتقادية
عندهم، وعلى فرض المثال أن مكانة الصدق عندهم مكانة عظيمة، حيث أمر الله تعالى
بأن يكونوا مع الصادقين كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا
مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (سورة التوبة: ١١٩)؛ ويستفاد من هذه الآية المباركة أن التقوى وحدها لا
تكون كاملة، وإن كان قبول الأعمال من المؤمنين مشروطة بالتقوى كما قال تعالى:
﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (سورة المائدة: ٢٧). حيث يلزم ويشترط أن يكون
المتقي مع الصادقين. فالآية تخاطب المؤمنين وتقول: بأنكم إذا كنتم من المتقين فعليكم
أن تكونوا مع الصادقين وتتبعون الصادقين، لأن التقوى وحدها لا تكون سبباً للسعادة
الأبدية إلا بالاتباع الصادقين. والخير يعلم بأن الصادقين الذين أمر الله تعالى باتباعهم هم
المعصومون عليهم السلام، لأن الصادق على الإطلاق هو من حاز الصفات الخاصة من الصدق في
جميع الجهات على نحو الإطلاق، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ
الصَّادِقُونَ﴾ (سورة الحجرات: ١٥). والمستفاد من الآية أن الصدق على الإطلاق ومن
جميع الجهات والحالات وفي جميع المجالات معناه العصمة، لأن الصدق على الإطلاق
يستلزم جميع الصفات الحميدة ومن له جميع الصفات الحميدة فهو في الحقيقة معصوم،
لأن الصدق على الإطلاق يستلزم العصمة. فهذا هو المعيار الذي حدده الله تعالى
للمؤمنين في باب الصدق. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ (سورة
النساء: ١٢٢). فصدق الحديث من المقومات الأساسية في الاعتقاد بالله سبحانه وتعالى





وبعثة الأنبياء ﷺ ونصب الأولياء ﷺ، فعن الإمام الصادق ﷺ: «إن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا بصدق الحديث وأداء الأمانة إلى البرّ والفاجر» (الكافي ج ٢: ص ١٠٤). وفي البعثة المباركة لخاتم الأنبياء ﷺ كان لصدق حديثه دور أساس في تصديق الناس دعوته الشريفة، فقد اشتهر ﷺ بين الناس قبل البعثة بالصادق الأمين، وفي بدايات الدعوة الميمونة اعتمد ﷺ على صدقه بين الناس، حينما صعد على صخرة المروة ونادى الناس فاجتمعوا، فقال لهم: «أرايتم لو أخبرتكم أنّ خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدّقي؟» فقالوا: بلى والله، ما جرّبنا عليك كذباً، فقال ﷺ: «إنّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد» (انظر صحيح البخاري ج ٦: ص ١٦ كتاب التفسير، تفسير سورة الشعراء). وقد ودعانا الله تعالى إلى الاقتداء بأولياء الله ﷺ بوصفهم "الصادقين" فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (سورة التوبة: ١١٩). وأخبرنا الإمام الصادق ﷺ أنّ المقياس في صلاح الإنسان هو صدقه وأداؤه للأمانة، فعنه ﷺ أنّه قال: «لا تغتروا بصلاتهم ولا بصيامهم، فإنّ الرجل ربما لهج بالصلاة والصوم حتّى لو تركه استوحش، ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة» (الكافي ج ٢: ص ١٠٤). وهكذا علّم أئمة أهل البيت ﷺ شيعتهم أهميّة صدق الحديث ورعاية الأمانة. ثمّ إنّ آثار الصدق: بين أهل البيت ﷺ أثاراً حميدة، منها: أنّ الصدق منح الانسان على كلّ حال: فعن الإمام أمير المؤمنين ﷺ أنّه قال: «الصدق ينجيّك وإن خفته، والكذب يردّيك وإن أمنت» (ميزان الحكمة ج ٢: ص ١٥٧٢)، ورواه المناوي في فيض القدير بشرح الجامع الصغير ج ٣: ص ٣٠٥. ومنها: أنّه ينمي العمل: فعن الإمام الكاظم ﷺ أنّه قال: «من صدق لسانه زكى عمله» (الكافي ج ٢: ص ١٠٤). ومنها: أنّ الصدق فيه الصلاح: فعن الإمام أمير المؤمنين ﷺ أنّه قال: «الصدق صلاح كلّ شيء والكذب فساد كلّ شيء» (ميزان الحكمة ج ٢: ص ١٥٧٢). ومنها: أنّ الصدق عزّ: فعن الإمام أمير المؤمنين ﷺ أنّه قال: «الصدق عزّ» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢: ص ٣٢٩). ومنها: يقرب من النبي ﷺ: فعنه ﷺ: «أقربكم منّي غداً في الموقف أصدقكم للحديث» (الأمالى للشيخ الصدوق ﷺ: ص ٥٩٨). وعليه فإنّ



١٠٢٨ منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨

فما حال من يفترى على الله ورسوله ﷺ ويخونهما في الدين الذي هو أمانتها عند المسلمين وقد صدر منهم الوعد لهما على حفظه والعمل به فخالفوه^(١).



الصدق في الحديث عند الشيعة له علاقة وثيق بالإيمان: وقد ركّز أئمة أهل البيت عليه السلام على هذه العلاقة الوثيقة بين الإيمان والصدق ليعلموا شيعتهم بأن الإيمان الخالص إنّما يتم بالصدق، ولذلك ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «الصدق رأس الإيمان» (ميزان الحكمة ج ٢: ص ١٥٧٣). وعنه عليه السلام أنّه قال: «الصدق أقوى دعائم الإيمان» (ميزان الحكمة ج ٢: ص ١٥٧٣). وعليه فمن ترك هذه الصفة الحميدة فهو يهدم دعامة أساسية من دعائم الإيمان، لذا ورد عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام: «الكذب هو خراب الإيمان» (انظر الوافي للفيض الكاشاني ج ٥: ص ٩٢٨). وفي الحقيقة إنّ مثل هذه الأخبار تهز أعماق الإنسان وتقضم ظهره، فالإيمان الذي هو رأس مال حياة عالم الآخرة إنّما يكون قوامه بالصدق ورعاية الأمانة، وعدم خلف الوعد وهذه الصفات من أركان اعتقادات الشيعة، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ من أعظم الخيانة وأشدّها إثماً، هي الخيانة لدين الله، وقد حذّر الله المؤمنين من الخيانة لله ورسوله في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ...﴾ (سورة الأنفال: ٢٧). فإنّ الخيانة في الأمانة في حدّ نفسها تكون من أقبح الأعمال وشرّ الذنوب، فكيف بالخيانة لله ورسوله ﷺ فإنّها نفاق وكفر. فإنّ من يخون الله ورسوله ﷺ منافق في الحقيقة، قال الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة الأنفال: ٧١)، قال: أنّ المراد بالخيانة في الآية هي الخيانة في الدين وهو الكفر... (تفسير الفخر الرازي ج ١٥: ص ٢٠٦). وعليه فإنّ غضب الخلافة وتعتدي خلفاء الجور على أهل البيت عليه السلام وعدم نصرة الصحابة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وعدم الدفاع عن حقّه عليه السلام، بل ومحاربته وسبّه على المنابر، مع علمهم بالروايات التي سمعوها





من رسول الله ﷺ في امامته وولايته على الناس من أعظم خيانتهم في الدين. فالخلفاء الثلاثة وأكابر الصحابة الذين حضروا في السقيفة لغصب الخلافة إنما كان غايتهم الخيانة في الدين، لأنهم قاموا بترجمة الإسلام وبيانه بشكل سيء، ولا تخفى هذه المصيبة على الأمة، إذ المصادر الإسلامية والنصوص الدينية من الفريقين مليئة بذكر البدع التي أحدثها الخلفاء الثلاثة والتحريفات والمنكرات والمخازي الشنيعة التي ارتكبتها أصحاب السقيفة، فهي مما لا تعد ولا تحصى، وقد شملهم قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ (سورة القصص: ٤١). فشوهوا وجهة الإسلام، وهذا البحث يكون بحثاً موضوعياً واسعاً جداً، ولنكتفي في المقام بكلمة موجزة كرأس الخيط للباحث، وهو أن معاوية سيئة من سيئات عمر بن الخطاب، لأنه الذي تولاه حكومة الشام؛ وإن عمر نفسه سيئة من سيئات أبي بكر، لأنه الذي خلفه لما بعده. فكل بدعة أو سيئة صدر في هذه الأمة بعد وفاة رسول الله ﷺ، أو كل ظلم وقع على الأمة، أو كل معاناة شهدتها الأمة، فالمسؤول عنها أبو بكر وعمر، لأنهما غصبا الخلافة من أهل البيت ﷺ، وأحدثا في الأمة حدثاً لن يمكن تداركه إلى يوم القيامة. ففي ما يتعلق بأبي بكر فإن إمامته كانت سبباً لهبوط الأمة نحو الأسفل جيلاً بعد جيل إلى أن وصلت تحت أقدام اليهود، إذ به ويعمر ابن الخطاب تمكن كعب الأحبار اليهودي واستغل فرصة وجوده بين الصحابة فربى مجموعة من التلاميذ منهم أبو هريرة، وعمرو بن العاص، وعبد الله بن عمر و... (انظر تفسير ابن كثير ج ٣: ص ١٠٤). وبدأ كعب في السعي لرفع مكانة تلاميذه ساعياً إلى مساعدتهم في نشر أحاديثه بين المسلمين. فقال كعب عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أنت أفقه العرب. ودعا الناس للسؤال من عبد الله بن عمرو، ولما أجابهم الأخير قال كعب عنه: صدق الرجل عالم والله (تاريخ الطبري ج ١: ص ٤٠٢). ومدح كعب الأحبار أبا هريرة فقال: ما رأيت أحداً لم يقرأ التوراة أعلم بما فيها من أبي هريرة (انظر تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١: ص ٣٦، والإصابة لابن حجر ج ٤: ص ٢٠٦). وقد سعى أبو هريرة وغيره لإلصاق أحاديث كعب بالنبي ﷺ في عملية تدليس خطيرة وقال ابن كثير في تفسيره بعد أن أورد حديثاً عن أبي هريرة: لعل أبا هريرة تلقاه عن كعب الأحبار، فإنه





كان كثيراً ما يجالسه ويحدثه، فحدث أبو هريرة، فتوهم بعض الرواة أنه مرفوع فرفعه (انظر تفسير ابن كثير ج ٣: ص ١٠٤). فابتلاء المسلمين باليهود من عهد أبي بكر ثم عمر ثم عثمان وبعدهم خلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس، فإنهم مهّدوا لأعدى عدو الإسلام بالنفوذ والرسوخ في المسلمين ليرجعوهم أصل الجاهلية الأولى. وهناك أسرار خطيرة: تدخل كعب في انتخاب خلفاء المسلمين، فلقد تدخل كعب في شؤون الخليفة عمر السياسية والدينية ووضع أحاديث كثيرة كاذبة في حقه لجذبه إلى جنبه وإعلاء شأنه في سبيل تمرير مخططاته الخطيرة. ومن أحاديثه: أن الحق سبحانه أول من يصفح عمر يوم القيامة (انظر سنن ابن ماجه ج ٢: ص ٣٩). وهو يلزم كونه سبحانه ذا يد يصفح بها غيره، تعالى عن ذلك علواً كبيراً. وأنه محدث، وغير ذلك من الأباطيل اليهودية. ثم إن كعب الأحبار لم يعلن إسلامه في زمن النبي ﷺ بالرغم من كل البراهين بل أعلن إسلامه في زمن عمر وليس ذلك حباً في الإسلام بل استغلالاً لفرصة متاحة. فإن كعباً الذي جسّم الله سبحانه وافترى على الأنبياء ﷺ ووصمهم بالخطيئة من المستبعد أن يكون محباً للمؤمنين، بل أنه سعى بكل قدراته لتمجيد أفكار اليهودية وتحطيم الشريعة الإسلامية، ومن الطبيعي أن يكون عدواً للمسلمين. وعداء كعب لله سبحانه ولرسوله ﷺ وللمؤمنين بين جدّاً. وأشهر دليل على ذلك حبه لمعاوية وكرهه للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، وكذبه في الحديث النبوي. وإن تدخله في شؤون المسلمين بأمر الخليفة عمر واضح ومعروف، فلقد أصبح مستشاراً له في الشؤون الدينية والسياسية يسأله الخليفة عن الجنة والنار وعن المستقبل وعن شروط الخلافة وغير ذلك. فذهب عمر إلى الشام بنصيحة كعب وامتنع عن زيارة العراق بإشارته. وتدخل كعب في شؤون الخلفاء والقيادات من ناحية إيجابية وسلبية. فلقد تدخل بصورة سلبية محضة ضد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، خوفاً من أن يتبعه الناس، وتدخل بصورة إيجابية محضة في صالح معاوية. فلقد عرف كعب كل ما يتعلق ببني هاشم وبني أمية ورجالهما وأفكار المسؤولين في الدولة وتوجهات عمر وخططه ورغباته وأسراره الخاصة وأنه قد عاشه فترة غير قصيرة وسافر معه في رحلة طويلة إلى الشام، واطّلع كعب على علوم





الغيب للنبي ﷺ في مقتل الخلفاء وحكم بني أمية. وإليك حديث كعب ثم حديث عمر والحديثان متفقان في المعنى: قال عمر بن الخطاب لكعب الأحبار: كيف تجد نعتي؟ قال: أجد نعتك قرناً من حديد، قال: وما قرن من حديد؟ قال: أمير شديد لا تأخذه في الله لومة لائم، قال: ثم مه؟ قال: ثم يكون من بعدك خليفة تقتله فئة ظالمة، قال: ثم مه؟ قال: ثم يكون البلاء (انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص ١٢١). ومن أدلة معرفة كعب بخلافة عثمان لعمر قوله: نجده أمر الخلافة ينتقل بعد صاحب الشريعة والاثنين من أصحابه إلى أعدائه (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٣: ص ١١٥). ويعترف كعب هنا بأن بني أمية قاطبة أعداء النبي ﷺ، وكعب يدعمهم، وقد قال الخليفة عمر لعثمان قبل موته: هيهات إليك كأني بك قد قلدتك قريش هذا الأمر لحبها إياك، فحملت بني أمية وبني أبي معيط على رقاب الناس، وآثرتهم بالفئ، فسارت إليك عصابة من ذئبان (ذؤبان) العرب فذبحوك على فراشك، والله لئن فعلوا لتفعلن، ولئن فعلت ليفعلن، ثم أخذ بناصيته فقال: فإذا كان ذلك فاذكر قولي فإنه كائن (شرح نهج البلاغة ج ١: ص ٦٢). فكعب أخذ فكرة ثورة الناس على عثمان من عمر الذي عاصر عثمان لفترة طويلة، وعرف أعماله مع بني أمية من أمثال الحكم بن أبي العاص وعبد الله بن أبي سرح وغيرهم في زمن الرسول ﷺ وزمن أبي بكر ومن الطبيعي أن يزداد جنوح عثمان نحو بني أمية بعد توليه الخلافة لأنه فعل أفعالا عجيبة معهم والرسول ﷺ حاضر، فكيف يكون الأمر بعد وفاة الرسول ﷺ فإن معرفة كعب بتولي عثمان للخلافة من بعد عمر وفراصة عمر فيه يعتبر من الأسرار الخطيرة للدولة. وإطلاع كعب على مثل هذه الأسرار يبين وجود علاقة متينة بين عمر وكعب. وبتعبير آخر يبين انضمام كعب إلى جماعة الحكومة والحزب القرشي أن مسألة حب عثمان لبني أمية معروفة للصحابة، وخطورة هذه الأعمال واضحة، لأن المسلمين كانوا يعيشون في العصر الإسلامي الأول، وفي فترة قريبة من زمن الرسول ﷺ، وهذا يعني أنهم سيثورون على أي منهج يخالف أطروحة النبي ﷺ، ولأجل ذلك فقد عرف ذلك عمر والعباس وغيره. فقد قال العباس عم النبي ﷺ بعد معرفته بوصول عثمان إلى الخلافة من خلال مجلس عمر السداسي: وأيم الله لا يناله





(الحكم) إلا بشر لا ينفع معه خير (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣: ص ٦٨). وعليه فإن الباحث لو تأمل في النصوص والروايات والوثائق التاريخية سوف يجد أن مصيبة الإسلام كان من عهد أبي بكر إلى يومنا هذا، حيث أن المسلمين كانوا دائماً مبتلون باليهود، وقد أعان على هذه القضية عمر بن الخطاب وتبعه الخلفاء السائرون على منهجه وأعانه على ذلك أوباش قريش ليصلوا إلى النتيجة التي كانوا يترصدونها. وذلك من أعظم المنكرات التي ارتكبها الخلفاء الثلاثة، في حين أنهم حضرا غدير خم وبايعوا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالإمامة والولاية والخلافة. وقد نكثوا بيعتهم وغصبوا الخلافة، فشملمهم قوله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (سورة التوبة: ٦٧). إذ لما كان المؤمنون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر كان هؤلاء الخلفاء يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، وقد أخبر الله تعالى عنهم بأنهم سوف يظهرون الإيمان ويسرون الكفر بعضهم من بعض. والمعنى: إن بعضهم يضاف إلى بعض بالاجتماع على النفاق، ونسوا الله، أي: نسوا ذكر الله، فسيهم الله، أي: عاملهم معاملة من نسيهم كقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَنسِيكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (سورة التوبة: ٦٧)، أي الخارجون من طريق الحق والداخلون في طريق الضلالة. وأيضاً شملهم قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (سورة التوبة: ٦٨)، أي أنهم مخلدون في نار جهنم، ولا يخفى على الخبير أن بدلالة الآيات والروايات أن الكفار مخلدون في نار جهنم. ثم قال تعالى: حسبهم....، أي: يكفيهم أنهم في العذاب ولعنهم الله أي طردهم وأبعدهم عن رحمته، ولهم عذاب مقيم. فهذه الآيات وغيرها تشير إلى أن العذاب من جهة البدعة في الدين وشدتها من جهة أهميّة إضلال الناس عند الشارع الأقدس، لا سيما أن النفاق تتجلى بأشكال مختلفة وتبدو في صور متفاوتة بحيث لا تلفت النظر في أول الأمر، خصوصاً أن روح النفاق يمكن أن تختلف بصور مخدعة، والمنافقون يشتركون في مجموعة من



منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨ ١٠٣٣

وسادسها: ما زعمه من تزكيته لمن قال: بإمامة الثلاثة من الطبقات المتأخرة عن الصحابة^(١)،



الصفات، ولكن تختلف درجاتهم باختلاف أوصافهم الخادعة. فيدعون الناس إلى فعل المنكرات ويرغبونهم فيها من جهة، ويعدونهم وينهونهم عن فعل الأعمال الصالحة من جهة أخرى، ويأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، أي: أنهم يسلكون طريقاً ويتبعون منهاجاً هو عكس طريق المؤمنين تماماً، فإن المؤمنين يسعون دائماً عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أن يصلحوا المجتمع وينقوه من الشوائب والفساد، بينما هؤلاء المنافقون يسعون إلى الإفساد من كل زاوية في المجتمع، واقتلاع جذور الخير منها، والأعمال الصالحة من بين الناس من أجل الوصول إلى أهدافهم المشؤومة. ولا شك أن وجود مثل هذا المحيط الفاسد والبيئة الملوثة من بدع الخلفاء كانت تساعدهم في تحقيق أهدافهم. فالآية الكريمة تنطبق على الخلفاء الثلاثة من جهة البدعة التي أحدثوها في الدين، وأمرهم الناس بالمنكر، ونهيهم عن المعروف والواجبات الدينية كما بيناه من خلال الموارد السابقة التي تقدمت ذكرها. وما أشدها من طعنة، وما أبشعها من نكسة، وما أقساها من محنة... أنها الخيانة القبيحة بكل صورها التي لعنتها كل الشرائع السماوية والقوانين الأرضية، وكفى بالخائن إثماً أنه ابتاع دنياه بسوء السيرة وآخرته بغضب الرحمن، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْخَائِنِينَ﴾ (سورة يوسف: ٥٢). وعليه فإن من يفترى على الله ورسوله والمؤمنين هو المنافق والخائن الذي ليس لديه التزام فوق اتباع السقيفة وخلفائها، فلاحظ.

(١) لقد ادعى ابن تيمية بأن أكثر الناس من أهل المعرفة والعلم ممن تأخر حياتهم عن الخلفاء متفقون على تقديم أبي بكر وعمر... فزعم بأن تقديم هؤلاء دليل على أفضليتهم. ولكن يردّ عليه أولاً: أن تزكية الناس بالنسبة إلى خلفاء الجور غير مقبولة، لأنّ التزكية لا تتحقق بالادّعاء، وإنما يلزم إثباتها بالدليل المتفق عليه بين جميع المسلمين، وأنّى لهم ذلك بالنسبة إلى خلفائهم. وعندما يرجع إلى كتاب الله العزيز يجد بأنّ التزكية هي إحدى





المهام التي بعث الله عز وجل الرسل من أجلها الأنبياء ﷺ، بل وأنها هدف أساسي في دعوة الأنبياء ﷺ، ففي دعوة نبي الله إبراهيم عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (سورة البقرة: ١٢٩). فإنه بعد ما طلب إبراهيم عليه السلام وإسماعيل عليه السلام من الله ظهور نبي الإسلام ﷺ، يذكران ثلاثة أهداف لبعثته ﷺ: الأول: تلاوة آيات الله على الناس، أي إيقاظ الأفكار والأرواح في ظل الآيات الإلهية المبشرة والمنذرة. الثاني: "تعليم الكتاب والحكمة" لغاية تربية الناس. الثالث: التزكية وهي تطهير النفس من الرذائل، فإن التعليم والتربية لا تتحقق إلا بالتزكية. فالهدف النهائي من بعثة الأنبياء ﷺ هي التزكية ودفع الإنسان على مسيرة التكامل العلمي والعملية للوصول إلى السعادة والكمال، ولذلك قدم سبحانه وتعالى التزكية على العلم في قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة: ١٥١). وفي قوله تعالى ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (سورة آل عمران: ١٦٤). وفي قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (سورة الجمعة: ٢). ومن هنا يعرف بأن التزكية من المسائل الأساسية في حياة الإنسان، فلا تحصل بدون الإيمان الصادق والإسلام التام، كما قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (سورة الشمس: ٩)، بل وأن المقصود بالتزكية الإيمان الصادق والإسلام التام لله بنية الالتزام العملي بما جاء به الرسول الأكرم ﷺ. ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى لنبيه عن المشركين الذين أقبل عليهم يدعوهم للدخول في الإسلام: ﴿أَمَّا مَنْ اسْتَعْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَزَكِّي﴾ (سورة عبس: ٥-٧)، فواضح أن التزكية هنا أخذت مفهوم قبول الإسلام عن رضى واقتناع. ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾ (سورة الفاطر: ١٨)، فإن هذا التعبير يبين حقيقة الدعوة الإلهية التي تكون في خدمة البشر في جميع أبعادها، فعندما





ينتهي الإنسان إلى المصير الذي يحصل به هدف جميع الأنبياء ﷺ يتزكى، وتحصل له التزكية. وبعد وضوح هذا المعنى كيف جاز لابن تيمية أن يدعي بأن تزكية الناس وتقديمهم الخلفاء الثلاثة على العترة الطاهرة ﷺ بلا وجه من القرآن والسنة النبوية دليل على أفضليتهم!!؟

وثانياً: كيف جاز لابن تيمية هذا الزعم مع علمه بوجود النصوص الصريحة الدالة على وجوب تقديم العترة الطاهرة ﷺ على جميع الناس حتى الخلفاء الثلاثة بعد رسول الله ﷺ التي منها حديث الثقلين، فقد أخرج الطبراني في معجمه الكبير بسنده عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لكم فرط، وإنكم واردون عليّ الحوض عرضه ما بين صنعاء إلى بصرى فيه عدد الكواكب من قدحان الذهب والفضة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين»، فقام رجل فقال: يا رسول الله وما الثقلان؟ فقال رسول الله ﷺ: «الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به لن تزلوا ولا تضلّوا، والأصغر عترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض وسألت لهما ذاك ربي فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تعلّموهما فإنهما أعلم منكم» (انظر المعجم الكبير ج ٣: ص ٦٦). ورواه ابن حجر في الصواعق المحرقة، وفيه: «فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهما فإنهم أعلم منكم» (انظر الصواعق المحرقة لابن حجر: ص ١٤٨). ومعنى قوله ﷺ: «فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تعلّموهما فإنهما أعلم منكم»: أي دائماً كونوا ورائهما، ودائماً كونوا في خطهما، ودائماً كونوا باتباعهما، «لا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا»، دائماً أنتم معهما لا تتقدّموا عليهما ولا تتأخّروا عنهما، «ولا تعلّموهما فإنهم أعلم منكم». ولا يخفى على الخبير أنّ النهي في هذا الحديث قد تعلق بالتقدّم على العترة الطاهرة ﷺ، على نحو الطبيعة المطلقة من التقدم عليهم ﷺ. ومعناه أنّ صرف الوجود من التقدم عليهم ﷺ موجب للضلالة والهلاك. كما أنّ النهي بالنسبة إلى تعلمهم ﷺ أيضاً متعلّق بالطبيعة المطلقة، وصرف الوجود منه موجب للضلالة والهلاك. وهذا معناه عصمة العترة الطاهرة ﷺ، إذ غير العصوم يجوز التقدّم عليه وكذلك يجوز تعليمه. وأمّا هل يستطيع غير المعصوم أن يعلم





المعصوم؟! فإن القرآن الكريم معصوم يلزم على جميع المسلمين التعليم منه وأن لا يتقدموا عليه، كذلك العترة الطاهرة وأهل بيت عليهم السلام بنص هذا الحديث الشريف. وفي رواية جاء لفظ فتزكوا بدل كلمة فضلوا (انظر كنز العمال للمتقي الهندي ج ١: ص ١٨٦). والحديث يدل بالصراحة على عدم جواز التقديم على أهل البيت عليهم السلام، كما يدل على عدم الجواز التقديم على القرآن الكريم، لأنهما أعلم من جميع الأمة. وبعبارة أخرى أن القرآن الكريم كتاب صامت وأهل البيت عليهم السلام، هم القرآن الناطق. أي أن العترة الطاهرة وأهل البيت عليهم السلام يكون عندهم علم الكتاب، فهم أعلم الناس بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. وإذا كان الأمر كذلك كيف جاز لابن تيمية أن يزكي من قدم أبا بكر وعمر على مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام!!

وثالثاً: كيف جاز لابن تيمية هذا الزعم مع علمه باعتراف أبي بكر وعمر بعدم لياقتهما لمقام الخلافة والامامة، فهذا أبو بكر قد اعترف بعدم لياقته لمنصب الخلافة والامامة. وذلك في النصوص الكثيرة التي رواها كبار علماء أهل السنة، واليك بعض ما ورد في كتبهم. فمنها: ما رواه المحب الطبري في الرياض النضرة لسنده عن حمزة بن الحارث وابن السمان في الموافقة قال: خطب أبو بكر على منبر رسول الله ﷺ فخفته العبرة، فحمد الله وأثنى عليه فقال: يا أيها الناس، إنني ما جعلت لهذا المكان أن أكون خيركم... ولوددت أنني كفاني هذا الأمر بعضكم... وإن أخذتموني بما كان الله عز وجل يقوم به لرسول الله ﷺ من الوحي فما ذاك عندي ما أنا إلا كأحدكم، فإن رأيتموني استقمتم فاتبعوني وإذا أنا زغت فقوموني (الرياض النضرة ج ١: ص ٢٥٣). ومنها: اعترافه بأنه لا زال كان يعيش مغلولاً بحبال الشيطان، والنفس الأمارة، ويقترب الإثم، ويعتريه الشيطان، فقد أخرج الطبراني في معجمه الأوسط بسنده عن بن عطية قال: قام أبو بكر الغد حين بويع فخطب الناس، فقال: يا أيها الناس، إنني قد أقلتكم رأيكم إنني لست بخيركم فبايعوا خيركم... يا أيها الناس، إن لي شيطاناً يحضرني، فإذا رأيتموني قد غضبت فاجتنبوني... وراعوني بأبصاركم فإن استقمتم فاتبعوني وإن زغت فقوموني، وإن أطعت الله فأطيعوني وإن عصيت الله فاعصوني (المعجم الأوسط ج ٨: ص ٢٦٧). ففي مثل هذه الحالة كيف جاز





لهؤلاء الناس أن يقدموا أبا بكر على ضعفاء الأمة فضلاً عن كبار الصحابة أمثال سلمان، وأبي ذرٍّ، وعمّار، والمقداد، وحذيفة، وجابر بن عبد الله الأنصاري، بل وحتى من الأمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام صاحب العصمة الكبرى والولاية العظمى، فكيف يجوز لهم أن يحكموا بأن هؤلاء يتبعوه؟!!!

كما أنّ عمر بن الخطّاب كان يعترف ويقول: كلّ الناس أئمة من عمر (انظر مجمع الزوائد للهيتمي ج ٤: ص ٢٨٤، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١: ص ١٨٢، والمجموع للنووي ج ١٦: ص ٣٢٧، والمبسوط للسرخي ج ١٠: ص ١٥٣، وفقه السنّة للشيخ سيّد سابق ج ٢: ص ١٥٨ وغيرهم). وقد أخرج الهيتمي بسنده عن مسروق قال: ركب عمر بن الخطّاب منبر رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ قال: يا أيّها الناس، ما أكاثركم في صدق النساء وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه، وإنّما الصدقات فيما بينهم أربعمئة درهم فما دون ذلك، فلو كان الإكثار في ذلك تقوى عند الله أو مكرمة لم تسبقوهم إليها فلا أعرفنّ ما زاد رجل على أربعمئة درهم، قال: ثمّ نزل فاعترضته امرأة من قريش فقالت: نهبت الناس أن يزيدوا النساء في صدقاتهم على أربعمئة درهم؟ قال: نعم، قال: أما سمعت ما أنزل الله عزّ وجلّ في القرآن؟ فقال: فأنتي ذلك؟ قالت: أما سمعت الله عزّ وجلّ يقول ﴿وَأَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قَنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾، فقال عمر: كلّ الناس أئمة من عمر، قال: ثمّ رجع فركب المنبر، فقال: أيّها الناس إنّي كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهنّ على أربعمئة درهم، فمن شاء أن يعطى من ماله ما أحبّ، قال أبو يعلى: قال: وأظنّه قال: فمن طابت نفسه فليفعل (انظر مجمع الزوائد للهيتمي ج ٤: ص ٢٨٣). وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: مرّ عمر بشاب من الأنصار وهو ظمآن فاستسقاها فخاض له عسلاً فردّه ولم يشرب، وقال: إنّي سمعت الله سبحانه يقول ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾، فقال الفتى: أنّها والله ليست لك، فاقراً يا ما قبلها: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾، أفنحن منهم فشرّب؟ فقال عمر: كلّ الناس أئمة من عمر (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٢: ص ١٥). وهذا ممّا اتّفق عليه من رجوعه إلى غيره واستفتائه الناس من





الصغير والكبير، وقوله "كلّ الناس أفتق من عمر"، وفيه كفاية لمن أراد أن يعرف شخصيّة الرجل، إذ معنى ذلك أنّ جميع الناس أفضل منه بجميع طبقاته، بما فيهم من أجهل الناس. ولو أردنا أن نذكر جميع الطبقات لطال بنا المقام. وهناك روايات كثيرة من رجوع الناس إلى الخلفاء الثلاثة فلم يقدروا على الجواب فإمّا سألوهم أئمة أهل البيت عليهم السلام وإمّا اعترفوا بعدم علمهم وهي كثيرة سنذكرها إن شاء الله في محلّه. وعليه كيف جاز تقديمهما على غيرهما من الناس فضلاً عن تقديمهما على مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام!!؟

ورابعاً: كيف جاز لابن تيمية هذا الزعم مع علمه بما أحدث الخلفاء الثلاثة في الدين من البدع، وارتكابهم أشنع المحرمات من قتل النفوس المحترمة ونهب أموال المسلمين وهتك أعراضهم ومخالفتهم للشريعة المقدسة ممّا لا تعدّ ولا تحصى، وهذه الحقيقة تتبيّن وتنكشف للباحثين من خلال الرجوع إلى كتب التاريخ والسيرة، إذ هناك نصوص وروايات رواها كبار علماء الإسلام وكثيراً منهم من علماء أهل السنّة وهي تدلّ بالصرامة على أنّ الخلفاء الثلاثة وغيرهم من الغاصبين أنّ ما فيها من الولايات من سوء المصير والكوارث التي جرت على الأئمة ويعلمه كلّ عارف بالتاريخ، وبما ارتكبوا من الظلم ضدّ أهل البيت عليهم السلام أيام خلافتهم فلا يسع المجال لاستقصائه، وسنذكرها في محلّه إن شاء الله تعالى. وعليه ما زعمه ابن تيمية بطلانه أوضح من أن يخفى على أحد فكيف يدعي بأنّ أكثر الناس من أهل المعرفة والعلم ممّن تأخّر حياتهم عن الخلفاء متفقون على تقديم أبي بكر وعمر!!؟

(١) وتوضيح المقام أنّه لا يخفى على الخبير أنّ للإمامة والخلافة شرائط خاصّة في الإسلام، كالعلم والعدالة والتقوى والورع والشجاعة و.... (انظر التمهيد للباقلاني: ص ١٨١، و أصول الدين، لأبي منصور البغدادي: ص ٢٧٧، والأحكام السلطانية للماوردي: ص ٦، والفصل في الأهواء والملل والنحل لابن حزم ج ٤: ص ١٨٦، ومطالع الأنوار لسراج الدين





الأرموي: ص ٤٧٠، و شرح المقاصد للتفتازاني ج ٢: ص ٢٧١، وغيرها من المصادر السنية). ومن الواضح أنّ الفاقد لتلك الشرائط لا يستحقّ منصب الإمامة، لأنّ المشروط ينتفي بانتفاء شرطه. وقد اعترف كبار علماء أهل السنة بفقدان خلفائهم لتلك الشرائط المذكورة في كتبهم. ومن تلك الشرائط العلم بالأحكام الشرعية، والمسائل الدينية والاجتماعية وغير ذلك. فإنّ النصوص والروايات الواردة في كتب القوم تدلّ على جهل خلفائهم بأبسط المسائل الدينية والأحكام الشرعية فضلاً عن المسائل العويصة التي لا يعرفها إلاّ الراسخون في العلم. وقد ذكر العلامة الأميني رحمته جملة من الروايات التي رواها كبار علماء أهل السنة في كتبهم، الدالة على جهل الخلفاء الثلاثة بالأحكام الشرعية والمسائل الدينية (راجع كتاب الغدير للعلامة الأميني رحمته ج ٦: ص ٨٣-٣٣٣، وج ٧: ص ١٠٣-١٩٩، وج ٩: ص ٦٣-٣٩٧). ويكفي في المقام اعتراف الخلفاء أنفسهم بجهلهم وبأفضلية جميع الناس منهم. فهذا أبو بكر قد اعترف على المنبر في خطبة خطبها بعد أحداث السقيفة وغضب الخلافة قائلاً: وليتكم ولست بخيركم. رواه ابن هشام في سيرته ج ٤: ص ٢٤٠، وابن قتيبة في عيون الأخبار ج ٢: ص ٢٣٤، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ١: ص ١٦٩، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة ج ١: ص ٢١ وغيرهم. وهو اعتراف منه بعدم لياقته للخلافة والإمامة. ولا يخفى على الخبير ما يلزمه من هذا كلام، إذ لو كان صادقاً في قوله، فلا يجوز له التقدّم على غيره؛ لأنّه اعترف منه بعدم لياقته للتقدّم على الآخرين، واعتراف العقلاء على أنفسهم نافذ، فكيف تقدّم على من هو أفضل منه؟! فتقدّمه على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من أعظم مصاديق الظلم في العالم. وإن كان كذباً في قوله، فأيضاً لا يليق بمقام الخلافة ضرورة اشتراط العدالة في الإمام والخليفة على مباني القوم، لأنّ الكاذب فاسق، والفاسق لا يليق بمقام الخلافة، فإنّهم قد صرّحوا في كتبهم بأنّ من شرائط الخلافة العدالة. فعلى كلا الحالتين لا يليق بمقام الخلافة. فكيف تقدّم على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي هو أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؟! وأيضاً اعترافه: بأنّ له شيطاناً يعتريه، فقال في حديث معروف: إنّ لي شيطاناً يعتريني فإذا رأيتم ذلك فلا تقربوني (انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣: ٣٠٠)





ص ٢١٢، وكنز العمال ج ٥: ص ٥٩٠). أو قال في ملأ من المهاجرين والأنصار: فإياكم وإياي إذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني... (انظر نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٦: ص ٢٠). ويتضح لازم كلامه وشأنه بملاحظة قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (سورة الزخرف: ٣٦). فإن الغفلة عن ذكر الله والغرق في الأمور الدنيوية والانبهار بزخارفها ومغرياتها يؤدي إلى تسلط شيطان على الإنسان فهو يكون قريناً له دائماً، ويلقي لجامه حول رقبتة ويشده به ويجره إليه ليذهب به حيث يشاء. وذلك نتيجة الانغماس في ملاذ الدنيا والتلوّث بأنواع المعاصي، فيكون حجاباً على القلب والسمع والبصر ويبعده عن الله سبحانه ويسلّط الشياطين عليه. وقد يستمر هذا الحال بالنسبة إليه حتّى يغلق بوجهه باب الرجوع إلى الله. فيبقى هو والشياطين وأفكارهم التي تحيط به من كلّ جانب، وهذا معنى أنّ الشيطان يعتريه. وقد عبّر عنه القرآن الكريم في آيات أخرى بعنوان تزوين الشياطين لهم أعمالهم كما قال تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة النحل: ٦٣)، أو بعنوان ولاية الشيطان عليهم كما قال تعالى: ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ﴾. وممّا يستحقّ الانتباه أنّ جملة نقیض... تدلّ على استيلاء الشياطين كما تدلّ على كونهم أقراناً له. وفي الوقت نفسه فقد جاءت جملة: فهو له قرين بعدها لتؤكد هذا المعنى، وهو أن الشياطين لا يفارقون مثل هؤلاء الأفراد، ولا يبتعدون عنهم مطلقاً! وبملاحظة قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوْزُؤُهُمْ أَزًّا﴾ (سورة مريم: ٨٢). تبين الآية عاقبة المشؤومة للكافرين، وثبتت هذه الحقيقة وهي أن طريقة الشيطان التي اتّخذوها للغلبة على المؤمنين لم تكن سبب عزّتهم بل أصبحت سبب ذلّتهم وشقائهم، فتقول أولاً: ﴿أَلَمْ تَرَ إِنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوْزُؤُهُمْ أَزًّا﴾. فالأز في الأصل - كما يقول الراغب في المفردات - يعني غليان القدر، وتقلّب محتواه عند شدّة غليانه، وهو هنا كناية عن مدى تسلّط الشياطين على هؤلاء، بحيث أنّهم يوجهونهم بالصورة التي يريدونها وفي المسير الذي يشاؤون، ويقلبونهم كيف يشتهون! وأيضاً بملاحظة قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَبَّكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ





أُثِمَ ﴿سورة الشعراء: ٢٢١-٢٢٢﴾. فَإِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ تَبَيَّنَ أَنَّ مَا تَلْقِيهِ الشَّيَاطِينُ لَهُ عَلَائِمٌ وَاضِحَةٌ، وَيُمْكِنُ مَعْرِفَتُهُ بِعَلَائِمِهِ أَيْضاً. فَالشَّيْطَانُ مُوجِدٌ مُؤَذِّمٌ وَمُخَرَّبٌ، وَمَا يَلْقِيهِ يَجْرِي فِي مَسِيرِ الْفَسَادِ وَالتَّخْرِيبِ، وَأَتْبَاعُهُ هُمُ الْكَذَّابُونَ الْمُجْرِمُونَ بِإِلْقَاءِ الشَّيَاطِينِ، وَالْمُرَادُ مِنْ "الْأَفَّاكِ الْأُثِمِ" هُوَ الْمُرْتَبِطُ بِالشَّيَاطِينِ، فَتَارَةً يَقُومُ الشَّيَاطِينُ بِاسْتِرَاقِ السَّمْعِ لِأَحَادِيثِ الْمَلَائِكَةِ، ثُمَّ بَعْدَ مَزْجِهِ بِأَبَاطِيلٍ كَثِيرَةٍ يَنْقُلُونَهُ إِلَى الْكُهَنَةِ، وَهُمْ بِدَوْرِهِمْ يَضِيفُونَ عَلَيْهِ عَشْرَاتِ الْأَكَاذِيبِ وَيَنْقُلُونَهَا إِلَى النَّاسِ، أَمَّا بَعْدَ نَزُولِ الْوَحْيِ خَاصَّةً، وَمَنْعِ الشَّيَاطِينِ مِنَ الصُّعُودِ إِلَى السَّمَاءِ وَاسْتِرَاقِ السَّمْعِ كَانَ مَا يَلْقِيهِ الشَّيَاطِينُ إِلَى الْكُهَنَةِ حَفَنَةً مِنَ الْأَكَاذِيبِ وَالْأَرَاخِيفِ بِمَا تَلْقِيهِ الشَّيَاطِينُ بِحَفَنَةٍ مِنَ الْكُهَنَةِ الْأَفَّاكِينَ الْكَاذِبِينَ. وَبِذَلِكَ يَعْرِفُ مَعْنَى مَا يَعْتَرِيهِ مِنَ الشَّيْطَانِ. وَإِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُمْكِنُ أَنْ يَذْكَرَ فِي شَرْحِ اعْتِرَافِ خَلِيفَتِهِمْ. وَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّ جَمِيعَ السَّلْبِيَّاتِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْحُكُومَاتِ النَّاطِقَةِ لَخَلَاْفَةِ السَّقِيفَةِ يَرْجِعُ إِلَى مَا بَنَى عَلَيْهِ خَلْفَانُهُمْ كَحَجَرِ الْأَسَاسِ. وَمِنْ الْأُمُورِ الَّتِي أَحْدَثَهَا خَلْفَاءُ الْجُورِ فِي الْإِسْلَامِ وَجَعَلُوهَا كَسَنَةِ سَيِّئَةٍ جَارِيَةٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ هِيَ اخْتِرَاعُ مَذْهَبِ الْجَبْرِ الَّذِي كَانَ لَهُ جَذُورٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَنَشَرُوهُ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ لِتَثْبِيتِ حُكُومَتِهِمْ وَسُلْطَتِهِمْ عَلَى النَّاسِ. وَعَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ أَنَّ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ الَّذِي كَانَتْ خَلَاْفَتُهُ امْتِدَاداً لَخَلَاْفَةِ السَّقِيفَةِ وَأَسَاساً لِحُكُومَةِ بَنِي أُمَيَّةٍ، قَدْ اعْتَنَى لِهَذِهِ النَّظَرِيَّةِ، وَأَمْرَ الْمَرْتَزَقَةِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ الْمُتَقَرِّبِينَ إِلَيْهِ بِتَرْوِيجِهِ بَيْنَ النَّاسِ لِجَعْلِ عُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ أُسَاساً لِمُعْتَقَدَاتِهِمْ فِي أَصُولِ دِينِهِمْ، وَبَنُوا عَلَيْهِ فِي بَابِ الْإِمَامَةِ، لِتَعْتَمِدَ عَلَيْهَا الْحُكَامُ الظُّلْمَةُ وَاحِداً بَعْدَ آخَرٍ حَتَّى انْتَهَى أَمْرُ إِلَيْهِ. فَاسْتَطَاعَ مَعَاوِيَةُ بِمَكْرِهِ أَنْ يَخْدَعَ الْمُسْلِمِينَ بِهَذِهِ النَّظَرِيَّةِ، فَجَعَلَ وَلَايَةَ الْعَهْدِ لِابْنِهِ يَزِيدَ الَّذِي كَانَ مَعْرُوفاً عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ بِخُمُورِهِ وَفُسُوقِهِ وَفُجُورِهِ وَارْتِكَابِهِ أَشْنَعَ الْمَعَاصِي خَلِيفَةً لَهُمْ، وَلَمْ يَسْمَحْ لِأَحَدٍ أَنْ يَعْتَرِضَ عَلَيْهِ. ثُمَّ أَيْضاً مِنَ الْعَجَائِبِ الَّتِي فَعَلَهَا مَعَاوِيَةُ هِيَ إِحْصَاؤُ ابْنِ الزَّانِي بِالزَّانِيَةِ مَعَ أَنَّ الزَّانِيَةَ كَانَتْ لَهَا زَوْجٌ، وَالْحُكْمُ فِي الْإِسْلَامِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ لِإِحْصَاؤِ الْوَلَدِ بِالزَّوْجِ، لِأَنَّهُ صَاحِبُ الْفَرَّاشِ، فَهُوَ أَحَقُّ مِنَ التَّحَاقِّ بِالْوَلَدِ إِلَيْهِ. وَلَكِنْ مَعَاوِيَةُ خَالَفَ هَذَا الْحُكْمَ فِي اسْتِلْحَاقِ زِيَادَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ (انْظُرِ الْكَامِلُ فِي التَّارِيخِ ج ٣: ص ٤٤٤، وَتَّارِيخُ مَدِينَةِ دِمَشْقَ ج ١٩: ص ٧٦). وَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ بِسَنَدِهِ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي



وقاص عن رسول الله ﷺ قال: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» (صحيح البخاري ج ٣: ص ٥ كتاب البيوع، باب تفسير المشتبهات). فهذه البدعة من معاوية لاستخفافه بأحكام الإسلام ولترويعه عدم مبالاته من الزنا، بل وإنه كان يفتخر بأن زياد بن أبيه كان ملحقاً بأبي سفيان، وذلك باعتبار أن أباه قد زنى بامرأة معروفة، فتوَلَّد منها زياد من الزنا. قال سعيد بن المسيَّب: أوَّل قضية رَدَّت من قضاء رسول الله ﷺ علانية قضاء فلان (معاوية) في زياد (انظر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ١٩: ص ١٧٩). وقال ابن أبي نجيح: أوَّل حكم رَدَّ من حكم رسول الله ﷺ علانية الحكم في زياد (انظر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ١٩: ص ١٧٩). وقد اعترض الكثيرون على معاوية على فعلته هذه، منهم النسابة المعروف في زمانه أبو العريان العدوي، إلا أن معاوية أسكته بمائتي دينار بعثها إليه (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦: ص ١٨٧). كذلك اعترض عليه يونس بن سعيد ابن عبيد على هذا الاستلحاق (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦: ص ١٨٧). وهذا لم تنفع معه إغراءات معاوية فِدَسَّ إليه السَّمَّ فقتله (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦: ص ١٨٧). وكذلك اعترض عليه أبو بكرة أخو زياد وحلف أن لا يكلمه أبداً (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦: ص ١٨٧). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام، مع أنه لم يختلف اثنان من المسلمين على حرمة الزنا. فهذه القضية تكشف عن حقيقة معاوية كالنار على المنار، حيث أن عدم الأهمية بالزنا معناه أنه لم يكن الزنا محرماً عنده، حيث أنه لم يبالي بقول الناس: أن معاوية يتظاهر بالإسلام للمحافظة على كرسي الحكم. ولم يترك شيء في سبيل بقاء ذلك الكرسي حتَّى لو كان ثمنه هدم الإسلام وإنكار ما جاء به النبي ﷺ وجعل الحلال حراماً والحرام حلالاً. وهذا يدلُّ على أنه لم يدخل الإيمان قلبه ولو لحظة واحدة، وإنما أراد تحقيق حلم بني أمية وبني سفيان الذي قال لعثمان يوماً عندما رآه يبذل المال على بني أمية: "بأيي أنت وأمي، أنفق ولا تكن كأبي حجر وتداولوها يا بني أمية تداول الولدان، فوالله ما من جنة ولا نار" (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢: ص ٤٥). ثمَّ أن معاوية نفسه مولود من امرأة زانية تدعى هند وكانت معروفة بالزنا عند العرب، بل من ذوات الأعلام في



فإن تزكيتهم موقوفة على العلم بمتابعتهم للحق^(١)،



الجاهلية (انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ٨: ص ١٤٠). والناس كانوا يعرفونه، وكل ما فعله معاوية من الإجرام كان مبنياً على بث بدعة مذهب الجبر بين الناس ليرغمهم على قبول بيعه السقيفة ومبايعة حكام بني أمية، وقد ساعده على هذه البدعة في الدين العلماء المنحرفون الذين باعوا دينهم بدنيا غيرهم، وذلك أمثال الحسن البصري الذي كان يقول عن الوالي الظالم: إنما هو نقمة فلا تقابل نقمة الله بالسيف وعليكم بالصبر والسكينة (انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ٩: ص ١٥٥). فمن أين يدعي ابن تيمية من تقديم الناس أبا بكر وعمر على العترة الطاهرة عليهم السلام!! نعم إنه يريد أن يغش الغفلة من أهل السنة، فلاحظ. (١) وبعبارة أوضح يلزم على من يريد تزكية الآخرين أن تكون تزكيته مطابقة للحق، ولما هو ثابت في الشريعة المقدسة كتاباً وسنة. ومن الواضح لدى كل مؤمن بالله ورسوله ﷺ يلزم عليه أن تكون تزكيته موقوفة على العلم بمتابعتهم للحق الذي جاء في الكتاب والسنة المتفق عليها بين جميع المسلمين. وقد روى أكثر من مائة حافظ ومحدث وعالم من أهل السنة في كتبهم بالفاظ متقاربة وأسانيد عديدة تفيد مجموعها التواتر؛ بأن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو الإمام الحق، وقد رواه الترمذي بسنده عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن النبي ﷺ قال: «رحم الله علياً، اللهم أدر الحق معه حيث دار» (انظر سنن الترمذي ج ٥: ص ٢٩٧)، ورواه الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين ج ٣: ص ١٢٤، والطبراني في المعجم الأوسط ج ٦: ص ٩٥، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ١٠: ص ٢٧٠، والمحجب الطبري في الرياض النضرة ج ١: ص ٤٨، والسيوطي في الجامع الصغير ج ٢: ص ٩ ح ٤٤١٢ وغيرهم. وروى الحاكم النيسابوري بسنده عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت: لما سار علي عليه السلام إلى البصرة، دخل على أم سلمة زوج النبي ﷺ يودعها فقالت: سر في حفظ الله وفي كنفه، فوالله إنك لعلی الحق والحق معك، ولولا أنني أكره أن أعصي الله ورسوله فإنه أمرنا ﷺ أن نقر في بيوتنا لسرت معك، ولكن والله لأرسلن معك من هو أفضل عندي وأعز علي





من نفسي، ابني... قال الحاكم بعد أحاديث هذا ثالثها: هذه الأحاديث الثلاثة كلها صحيحة على شرط الشيخين ولم يخرجاها (انظر المستدرک على الصحيحين ج ٣: ص ١١٩). وروى أبو يعلى الموصلي، بسنده عن عبد الرحمن ابن أبي سعيد عن أبيه قال: كنّا عند بيت النبي ﷺ في نفر من المهاجرين والأنصار فخرج علينا فقال: «ألا أخبركم بخياركم؟» قالوا: بلى. قال: «خياركم الموفون المطيبون، إنّ الله يحبّ الخفيّ التقيّ»، قال: ومّرّ علي بن أبي طالب فقال: «الحقّ مع ذا، الحقّ مع ذا» (انظر مسند أبي يعلى الموصلي ج ٢: ص ٣١٨)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧: ص ٢٣٥، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٤٤٩، والمتقي الهندي في كنز العمال ج ١١: ص ٦٢١ ح ٣٣٠١٨ وغيرهم. وروى الخطيب البغدادي بسنده عن أبي ثابت مولى أبي ذر قال: دخلت على أمّ سلمة فرأيتها تبكي وتذكر علياً، وقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «علي مع الحقّ والحقّ مع علي، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض يوم القيامة» (انظر تاريخ بغداد ج ١٤: ص ٣٢٢)، ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٤٤٩ وغيره. وروى ابن عساكر بسنده عن عبيد الله بن عبد الله المدني قال: حجّ معاوية بن أبي سفيان فمرّ بالمدينة، فجلس في مجلس فيه سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس، فالتفت إلى عبد الله بن عباس... فتركه وأقبل على سعد فقال: يا أبا إسحاق أنت الذي لم تعرف حقنا وجلس فلم يكن معنا ولا علينا، قال: فقال سعد: إني رأيت الدنيا قد أظلمت فقلت لبعيري إخ، فأنختها حتّى انكشفت، قال: فقال معاوية: لقد قرأت ما بين اللوحين ما قرأت في كتاب الله عزّ وجلّ إخ؟ قال: فقال سعد: أما إذا أبيت فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي: «أنت مع الحقّ والحقّ معك حيث ما دار»، قال: فقال معاوية: لتأتيني على هذا بيّنة، قال: فقال سعد: هذه أمّ سلمة تشهد على رسول الله ﷺ؛ فقاموا جميعاً فدخلوا على أمّ سلمة فقالوا: يا أمّ المؤمنين، إنّ الأكاذيب قد كثرت على رسول الله ﷺ وهذا سعد يذكر عن النبي ﷺ ما لم نسمعه أنّه قال (يعني لعلي): «أنت مع الحقّ والحقّ معك حيث ما دار»، فقالت أمّ سلمة: "في بيتي هذا قال رسول الله ﷺ لعلي"، قال: فقال معاوية لسعد: يا أبا إسحاق، ما كنت ألوم الآن إذ سمعت هذا مع من رسول الله ﷺ





وجلست عن علي، لو سمعت هذا من رسول الله ﷺ لكنت خادماً لعلي حتى أموت (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٢٠: ص ٣٦١)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧: ص ٢٢٦ وغيره. وروى ابن مردويه، بإسناده عن عائشة، أنها لما عقر جملها ودخلت داراً بالبصرة فقال لها أخوها محمد: أنشدك الله أتذكرين يوم حدثني عن النبي ﷺ أنه قال: «الحق لن يزال مع علي، وعلي مع الحق لن يختلفا ولن يفترقا؟» قالت: نعم (انظر مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لابن مردويه: ص ١٦٤ ح ٢٠٥)، ورواه البدخشي في مفتاح النجاة: ص ٦٥ وغيره. وروى الزمخشري بسنده عن ابن عون قال:.... استأذن أبو ثابت مولى علي بن أبي طالب عليه السلام أم سلمة فقالت: مرحباً بك يا أبا ثابت، ثم قالت: يا أبا ثابت أين طار قلبك حين طارت القلوب مطيرها؟ قال: تبع علياً عليه السلام، قالت: وفقت والذي نفسي بيده، لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «علي مع الحق والقرآن والحق والقرآن مع علي، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض» (انظر ربيع الأبرار للزمخشري ج ٢: ص ١٧٢). وروى الفخر الرازي في تفسيره عن البيهقي، وهو بسنده عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يجهر في الصلاة بيسم الله الرحمن الرحيم (ثم قال البيهقي): روي الجهر عن عمر بن الخطاب، وابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وأما أن علي بن أبي طالب عليه السلام كان يجهر بالتسمية فقد ثبت بالتواتر، ومن اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى، والدليل عليه قوله عليه السلام: «اللهم أدر الحق مع علي حيث دار» (انظر تفسير الفخر الرازي ج ١: ص ٢٠٥). وروى الهيثمي عن النبي ﷺ قال: «علي مع الحق والحق مع علي» (مجمع الزوائد ج ٧: ص ٢٣٤)، وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى ورجاله ثقات، ورواه ابن حجر في المطالب العالية ج ٤: ص ٦٦. وإلى غير ذلك من الروايات التي وردت بهذه المضامين، وهي كثيرة جداً لا يمكن استقصائها. وتقريب الاستدلال بالحديث على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام واضح، حيث أن المراد بالحق هو المعيار للإيمان الصادق بالله عز وجل، وذلك كما قال تالله عز وجل: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (سورة الحج: ٦٢). فالآية تؤكد على أن المؤمنين يقيمون إيمانهم مع القوانين الالهية كميزان ومعيار لحقائيتهم، فما





كان يرتبط بالله فهو الحقّ وغيره الباطل. والباطل ايضا يعرف بمقدار ابتعاده عن الله عزّ وجلّ. فقولہ ﷺ: «علي مع الحقّ»، معناه أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو المعيار للإيمان بالله عزّ وجلّ؛ والشاهد على ذلك ما رواه الخطيب البغدادي في تاريخه بسنده عن سليمان بن مهران الأعمش قال: حدثنا إبراهيم عن علقمة والأسود قالاً: أتينا أبا أيوب الأنصاري عند منصرفه من صفّين، فقلنا له: يا أبا أيوب، إنّ الله أكرمك بنزول محمد ﷺ وبمجيء ناقته تفضلاً من الله وإكراماً لك حتّى أناخت ببابك دون الناس، ثمّ جئت بسيفك على عاتقك تضرب به أهل لا إله إلاّ الله؟ فقال: يا هذا، إنّ الرائد لا يكذب أهله، وإنّ رسول الله ﷺ أمرنا بقتال ثلاثة مع علي: بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين. فأما الناكثون فقد قابلناهم أهل الجمل طلحة والزبير، وأما القاسطون فهذا منصرفنا من عندهم - يعني معاوية وعمرأ - وأما المارقون فهم أهل الطرفاوات، وأهل السعيفات، وأهل النخيلات، وأهل النهروانات، والله ما أدري أين هم ولكن لا بدّ من قتالهم إن شاء الله، قال: وسمعت رسول الله ﷺ يقول لعمرأ: «يا عمرأ تقتلك الفئة الباغية، وأنت إذ ذاك مع الحقّ والحقّ معك، يا عمرأ بن ياسر، إن رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره، فاسلك مع علي، فإنّه لن يدليك في ردى، ولن يخرجك من هدى، يا عمرأ من تقلّد سيفاً أعان به علياً على عدوّ قلّده الله يوم القيامة وشاحين من درّ، ومن تقلّد سيفاً أعان به عدوّ علي عليه قلّده الله يوم القيامة وشاحين من نار»، قلنا: يا هذا حسبك رحمك الله، حسبك رحمك الله (انظر تاريخ بغداد ج ١٣: ص ١٨٨)، ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٤٧٢ وغيره. فهذا النصّ الصريح من النبي ﷺ يدلّ على أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو المعيار للحقّ، ولذلك دعا رسول الله ﷺ في حق الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بقوله ﷺ: «اللهم أدر الحقّ حيث ما دار، ودعاء النبي ﷺ مستجاب. أي: أنّه ﷺ طلب من الله أن يجعل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ميزاناً ومعياراً للحق. وإذا كان الأمر كذلك فإنّ ما نسبته ابن تيمية إلى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وشيعته من أنّهم كانوا من الباطنية، وأنّ الامام عليه السلام كان يستبطن... هذا معناه تكذب لرسول الله ﷺ في





قوله ﷺ «علي مع الحقّ والقرآن والحقّ والقرآن مع علي، ولن يتفرقا حتّى يردا على الحوض»، ومن كذب رسول الله ﷺ فقد أنكر رسالته ﷺ ومن أنكر رسالته ﷺ فقد كفر. وايضا روى الحاكم النيسابوري في كتابه المستدرک على الصحيحين بسنده عن أبي ذرّ قال: قال النبي ﷺ: «يا علي، من فارقتني فقد فارق الله ومن فارقك يا علي فقد فارقتني» (المستدرک على الصحيحين ج ٣: ص ١٢٤). ورواه المحبّ الطبري في الرياض النضرة ج ٣: ص ١٢٣، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٣٠٧، وابن عقيل في النصائح الكافية: ص ٢١٥ وغيرهم. وروى الطبراني في معجمه الكبير بسنده عن ابن عمر: أنّ رسول الله ﷺ قال: «من فارق عليّاً فارقتني، ومن فارقتني فارق الله» (المعجم الكبير ج ١٢: ص ٤٢٣). وروى في معجمه الأوسط بسنده عن ابن بريدة، عن أبيه قال: بعث رسول الله ﷺ عليّاً أميراً على اليمن، وبعث خالد بن الوليد على الجبل، فقال: «إن اجتمعتما فعلي على الناس فالتقوا وأصابوا من الغنائم ما لم يصيبوا مثله»، وأخذ علي جارية من الخمس، فدعا خالد بن الوليد بريدة، فقال: اغتنمها، فأخبر النبي ﷺ بما صنع، فقدمت المدينة، ودخلت المسجد، ورسول الله ﷺ في منزله وناس من أصحابه على بابه، فقالوا: ما الخبر يا بريدة؟ فقلت: خير، فتح الله على المسلمين، فقالوا: ما أقدمك؟ قال: جارية أخذها علي من الخمس، فجئت لأخبر النبي ﷺ، قالوا: فأخبره، فإنّه يسقطه من عين رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ يسمع الكلام، فخرج مغضباً، وقال: «ما بال أقوام ينتقصون عليّاً، من ينتقص عليّاً فقد انتقصني، ومن فارق عليّاً فقد فارقتني، إنّ عليّاً منّي وأنا منه، خلق من طينتي، وخلق من طينة إبراهيم، وأنا أفضل من إبراهيم، ﴿ذُرِّيَّةَ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾»، وقال: «يا بريدة أما علمت أنّ لعلي أكثر من الجارية التي أخذت، وأنّه وليكم من بعدي؟» فقلت: يا رسول الله بالصحة إلّا بسطت يدك حتّى أبايعك على الإسلام جديداً، قال: فما فارقتني حتّى بايعته على الإسلام (المعجم الأوسط ج ٦: ص ١٦٢). وإلى غير ذلك من الأحاديث الواردة بهذا المضمون، وهو يدلّ على أنّ من فارق مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقد فارق الله ورسوله ﷺ ومن فارق الله ورسوله ﷺ فقد فارق الحقّ، ولذلك ورد في الحديث عن أبي نعيم،



فيلزم معرفة الحق حتى ينظر إلى متابعتهم^(١)،



باسناده، عن أم سلمة أنه ذكر عندها علي^{عليه السلام} ومن كان معه ومن فارقه، فقالت: كان والله علي (صلوات الله عليه) على الحق، فمن أتبعه أتبع الحق ومن فارقه فارق الحق (كشف الغمّة للإربلي ج ١: ص ١٤٤). وعليه كيف جاز للناس تزكية الخلفاء الثلاثة مع وجود هذه الأدلة الدالة على حقانية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب^{عليه السلام}؟! فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أن من يريد تزكية الآخرين يلزم عليه أن تكون تزكيته مطابقة للحق، والمطابقة للحق لكل مؤمن يستلزم الرجوع إلى كتاب الله العزيز وسنة رسول الله^{صلى الله عليه وآله وسلم}. ولا يخفى على الخبير أن القرآن الكريم قد أعطانا المعيار والميزان لمعرفة الحق من الباطل، وهو أن يكون الإنسان مطيعاً لله لا لغيره من النفس والشيطان، وهذا يستلزم أن يكون فانياً في الله بكل وجوده، وبكل عواطفه وأحاسيسه، وبكل ما يملك من فكر، ومن طاقات ومواهب و...، لأن الله تبارك وتعالى هو الحق كما قال عز وجل في كتابه العزيز: ﴿ذَلِكَ بَأْنِ اللَّهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (سورة الحج: ٦٢). فالقرآن الكريم يصف وجود الله سبحانه بالحق المطلق وأن غيره الباطل، فالمعيار الأول لمعرفة الحق هو أن يعلم الانسان أن دين الحق واحد وهو من الله سبحانه وتعالى، وكما قال سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ (سورة الفتح: ٢٨). فالمعيار الأول لمعرفة الحق هو معرفة الله تعالى ومعرفة دين الحق، فيلزم على من يريد تزكية الآخرين أن تكون تزكيته بعد معرفة دين الحق؛ ودين الحق عبارة عن الدين الذي سمّاه رسول الله^{صلى الله عليه وآله وسلم} في الحديث المتفق عليه بين الفريقين بالفرقة الناجية، وقد أخرج ابن ماجة في سننه بسنده عن عوف بن مالك، قال: قال رسول الله^{صلى الله عليه وآله وسلم}: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وسبعون في النار. وافترت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، فاحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة. والذي نفس محمد بيده! لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة واثنان وسبعون في النار» (سنن ابن ماجة





ج ٢: ص ١٣٢٢). وقال المناوي: أنه قال جلال الدين السيوطي الشافعي: هذا الحديث متواتر، وذكره المناوي في كتابه فيض القدير (انظر فيض القدير في شرح الجامع الصغير ج ٢: ص ٢٧). ويستفاد من ظاهر الحديث أن قوله ﷺ: «ستفترق أمتي...»، أن مدار النجاة يوم القيامة ليس الإيمان وقبول الإسلام وحده، لأن النبي ﷺ قد استعمل لفظ أمتي لجميع الفرق المنتسبة إلى أمته، ومعناه أن جميع من آمن برسول الله ﷺ هم من أمة رسول الله ﷺ، ولكن ليس كل من آمن برسول الله ﷺ هو من الفرقة الناجية. ومن هنا يعرف الفرقة الناجية مميزة بما جاء في الكتاب والسنة النبوية المتفقة بين الفريقين. وقد يقال بأن معايير الحق والباطل قد تختلف بين الناس، إذ قد يكون فريقاً من الناس بجهة كونهم مستغرقين في الأهواء النفسانية لا يمكنهم تشخيص الحق من الباطل، وذلك لاختلاط الحق بالطل، إذ قد يسمّى البعض نفسه أنه الحق ليلبس على أهل الأهواء الحق، ولئلا تنكشف الحق والحقيقة للآخرين، فيجعلون معياراً آخر للحق بين الناس. وفي الجواب يقال: أنه يلزم على كل مسلم معرفة الحق على أساس المعايير القرآنية والسنة النبوية المتفقة عليها بين جميع المسلمين. ولذلك ورد في حديث معروف عن مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «اعرف الحق تعرف أهله». ولهذا الكلام الذي يجب أن يكتب بالذهب قصة معروفة ذكرها علماء الفريقين، قال أبو بكر الهذلي: أنه دخل الحارث بن حوط الليثي أيام حرب الجمل على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، ما أرى طلحة والزبير وعائشة احتجوا إلا على حق؟ فقال الإمام عليه السلام: «يا حارث، إنك إن نظرت تحتك ولم تنظر فوقك جزت عن الحق، إن الحق والباطل لا يعرفان بالناس، ولكن اعرف الحق باتباع من اتبعه، والباطل باجتناّب من اجتنبه». قال: فهلا أكون كعبد الله بن عمر وسعد بن مالك؟ فقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إن عبد الله بن عمر وسعد أخذوا الحق ولم ينصروا الباطل، متى كانا إمامين في الخير فيتبعان؟!» (انظر الأمالي للشيخ الطوسي عليه السلام: ص ١٣٩). فإن هذه الحكمة العظيمة من مولانا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام تبين لنا بأنه ليس هناك شيء أكثر ظهوراً ووضوحاً من الحق إذا خلص من مزاج الباطل، فالحق دال على نفسه كما أن النور دال





على ذاته، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ عَلَى كُلِّ حَقٍّ حَقِيْقَةً، وَعَلَى كُلِّ صَوَابٍ نَوْرًا» (انظر الكافي ج ١: ص ٦٩). وعليه فَإِنَّ المشكلة ليست في ظهر الحق ووضوحه، وإنما المشكلة في الإنسان الذي لا يحب رؤية الحق الذي فيه مخالفة لهواه، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة: ٤٢). وأيضاً قد بَيَّن سبحانه وتعالى في كتابه العزيز طريقة هؤلاء الذين يريدون تلبس الحق بالباطل في قوله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (سورة آل عمران: ٧). فَإِنَّ مَنْ كان في قلبه زَيْغٌ وينقاد إلى هوى النفس سوف يَتَّخِذُ مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ وَعِوَاءً لِلْفِتْنَةِ، ولتأويل آيات الله بحسب ما تشتهيهِ نفسه. وعليه فَإِنَّ الحق واضح، ومن خلال قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾، ومن هنا يعرف أَنَّ كُلَّ مَا كان حاكميته مَبْنِيَّةً عَلَى حاكمية الله وانتهاء الأمر إليه، أي انتهاء جميع الأمور إلى تدبير الله وربوبيته فهو الحق، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ (سورة النجم: ٤٢). فهو الإمام والولي الحق. هذا هو المعيار الأساسي لمن أراد التزكية لإمام الحق، إذ لو كانت الحاكمية مَبْنِيَّةً عَلَى حاكمية الله وحاكمية الرسول ﷺ فهو الحق، لأنَّ الحاكمية الإلهية إِنَّمَا تكون بشرط قبول الولاية الإلهية، والولاية الإلهية بمعنى السلطة المقيّدة بالشرع الإلهي، وقد بَيَّنَّها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم من خلال قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (سورة المائدة: ٥٥-٥٦). وهذه الآية الكريمة قد حصرت الولاية الشرعية في ولاية الله تعالى وولاية رسوله ﷺ وولاية المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، إذ قد اتَّفقت الروايات من المسلمين الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، الفريقين على أَنَّ الآية نزلت في شأن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام،





فبمقتضى الآية الكريمة أن الولاية والحاكمة منحصرة في الله ورسوله ﷺ والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ومقتضى هذا الحصر نفي ولاية غيرهم. فمن الواضح أن الولاية الشرعية والحاكمة المشروعة من قبل الله بعد وفاة الرسول الأعظم ﷺ إنما تكون لمولانا والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بمقتضى هذه الآية الكريمة. والقرآن قد ضمن لمن اتبع الحق أن تكون له السعادة والنجاة، فقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (سورة يونس: ٣٥). وإلى هذه الحقيقة أشار مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عند ما سأله ابن عباس عن قيمة النعل، فقال عبد الله بن عباس: دخلت على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بذي قار وهو يخصف نعله، فقال لي: «ما قيمة هذه النعل؟» فقلت: لا قيمة لها، فقال عليه السلام: «والله لهي أحب إلي من إمرتكم إلا أن أقيم حقاً، أو أدفع باطلاً» (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢: ص ١٨٥). فالإمام عليه السلام بهذه الكلمات المضيئة يرسم لنا النهج الصحيح والطريق الذي ينبغي على المؤمن الرسالي سلوكه في الحياة الدنيا، ففي الوقت الذي يسعى فيه الكثيرون للوصول إلى أعلى المقامات في الدنيا والنيل من زخارفها ومباهجها، ولا يبالون في الوصول إلى هذه الأهداف حتى ولو كانت على دماء الأبرياء ونهب الأموال وهتك الأعراض، ولكن الإمام عليه السلام يهمل إقامة الحق ودفع الباطل.

ومع الأسف الشديد أنه قد انقلبت المعايير والموازين عند أهل السنة في اتباع الحق ونصرته بعد تأسيس السقيفة، فتحولت إلى الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، وذلك لأن الحكام غيروا مكان الحق بالباطل، وغيروا اتباع الحق باتباع الهوى، فكانت مهمتهم اتباع الهوى. ولذلك قال مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «إن أخوف ما أخاف عليكم اثنان: اتباع الهوى وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق» (نهج البلاغة: الخطبة رقم ٢٨). وأيضاً قال عليه السلام: «وخلق فينا راية الحق، من تقدمها مرق، ومن تخلف عنها زهق، ومن لزمها لحق» (نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٠٠). وبهذا نصل إلى النتيجة البيّنة الواضحة وهي أن معرفة الحق يبدأ من اتباع القرآن الكريم، مروراً بمعرفة الله عز وجل



فإن وجدناهم قد تابعوه علمنا بأنهم غير طالبيين للدين^(١)،



حق المعرفة، ثم معرفة ما جاء به النبي الأكرم ﷺ، ثم بالافتداء برواية النبي ﷺ، وصولاً إلى التمسك بالثقلين بنهج القرآن وولاية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. فالإسلام العظيم الذي هدم أركان الجاهلية ومبادئها ورفض كل المعايير الباطلة بشكل عام ويين أن اتباع الحق مرهون باتباع ما أمر الله، لأنه هو الحق وأن غيره الباطل. فالعمل بما أمر الله ورسوله ﷺ وأوليائه المعصومين عليه السلام أكمل مصداق اتباع الحق، ولذلك يقول تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ (سورة الحاقة: ٤٤-٤٦). وقال تعالى وعن عيسى بن مريم عليه السلام: ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ (سورة المائدة: ١١٦). فالحق هو أساس نهج جميع الأنبياء عليهم السلام والأولياء، وهم مربوطون به، ومن القواعد التي أسس لها الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في المعيار والميزان لمعرفة الحق وكيفية التعرف عليه هو كونه غير مرتبط بأشخاص، وأن الحق والباطل لا يُعرفان بالرجال، كما قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «اعرف الحق تعرف أهله» (انظر تفسير السمعاني ج ١: ص ٧٢، وأنساب الأشراف للبلاذري ج ٢: ص ٢٣٩). فالحق أرفع من الأشخاص مهما كان تاريخهم، والصواب هو معرفة الحق والباطل، وعلى أساسهما يُقاس الناس، وعليه إذا كانت تزكية الناس مترتبة على معايير الحق التي ذكرها القرآن الكريم السنة النبوية المتفقة بين جميع المسلمين فتكون صحيحة وإلا فهي باطلة، فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح: أنه إما أن يكون الإنسان طالباً للحق، فهو من أهل السعادة أو يكون طالباً للهوى، وحطام الدنيا وزخارفها فيكون من أهل الشقاء. فالطالب للحق يعرف بإيمانه الصادق بالله ورسوله ﷺ، لأن من سعى في معرفة الحق ودين الحق تنكشف له الحقيقة كما قال مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «قد انجابت السرائر لأهل البصائر، ووضحت محجة الحق لخابطها، وأسفرت الساعة عن وجهها، وظهرت العلامة لمتوسمها...» (نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٠٨). فمحجة الحق إنما تتضح لأهل البصائر





وتنكشف لهم السرائر بشرط أن يكون الانسان طالباً للحقّ وسائراً في الطريق للوصول اليه، فمن لم يسر باتجاه الحقّ وعلى الطريق الموصل إلى الحقّ فلن يصل إليه. وفي حديث آخر عن مولانا الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال أنّه «من عرف دينه من كتاب الله عزّ وجلّ زالت الجبال قبل أن يزول، ومن دخل في أمر بجهل خرج منه بجهل»، قلت: وما هو في كتاب الله عزّ وجلّ؟ قال: «قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾، وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾، وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، وقوله تبارك اسمه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، وقوله جل جلاله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، ومن ذلك قول رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأحبّ من أحبّه، وأبغض من أبغضه» (انظر بشارة المصطفى لمحمّد بن أبي القاسم الطبري: ص ٢٠٦) وهناك كلمات عديدة لمولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام تشير إلى أنّ الإنسان قادر على الوصول إلى الحقّ إذا سعى للوصول اليه. فعن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «عباد الله! الله الله في أعزّ الأنفس عليكم وأحبّها إليكم، فإنّ الله قد أوضح لكم سبيل الحقّ وأنار طريقه، فشقوة لازمة، أو سعادة دائمة. فتزوّدوا في أيام الفناء لأيام البقاء، فقد دللتكم على الزاد وأمرتم بالظعن، وحشتم على المسير، فإنّما أنتم كركب وقوف لا يدرون متى يؤمرون بالمسير. ألا فما يصنع بالدنيا من خلق للآخرة وما يصنع بالمال من عمّا قليل يسلبه، وتبقى عليه تبعته وحسابه...» (نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٥٧). فعندما يختار الإنسان الحقّ فهو في السعادة الدائمة وفي الجنّة، ولكن عندما يختار الباطل فهو في الشقوة لازمة التي تجره إلى النار. وعليه لا بدّ لطالب الحقّ أن يبحث في كتاب الله وسنة رسول الله المتّفق عليها



ولو وجدناهم خالفوه علمنا بأنهم طالبون لها معرضون عن ضررتها، وهي العقبي^(١).



بين جميع المسلمين ليعرف الحق بحقيقته، ثم يجعله ميزاناً لمعرفة الناس من أهل التزكية. ومن هنا يسهل لكل أحد أن يعرف هل أن الخلفاء الثلاثة كانوا أهل التزكية أم لا ؟ فعلى أساس الحق ودين الحق، يعرف بأن الخلفاء الثلاثة كانوا يتبعون الهوى وحطام الدنيا كما يتبين ذلك من قصة السقيفة التي نقلها عمر بن الخطاب (صحيح البخاري ج ٨: ص ٢٥ كتاب المحاربين، باب رجم الحبلى من الزنا إذا احصنت). وهذا معناه أنهم كانوا يتبعون الباطل. فيلزم في التزكية أن يعرف الايمان بكتاب الله، كما قال مولانا الإمام الصادق عليه السلام أنه «من عرف دينه من كتاب الله عز وجل زالت الجبال قبل أن يزول، ومن دخل في أمر بجهل خرج منه بجهل...»، وإلا سوف يكون غارقاً في جهله.

(١) وتوضيح أن من كان طلبه الوصول إلى المطاعم الدنيوية، والحرص على المال والجاه ومظاهر الدنيا وحطامها، فإن مقتضى حب الدنيا والحرص على حطامها وقوع الإنسان في المهالك والأعقاب الذميمة، والمتاهات المظلمة، وذلك نتيجة عدم البصيرة في أمر الدين والدنيا المستلزم للجهالة، فيكون موجباً لانغماسهم في الباطل، وسقوطهم في مهاوي الضلال والانحراف عن الحق وخروجهم عن الصراط الذي رسمه الله ورسوله ﷺ لهم، حيث أنهم يسقطون في وادي مخالفة الكتاب وسنة رسول الله ﷺ، فهم كما قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (سورة الإسراء: ١٨)؛ هذه الآية الكريمة تشير إلى سبب التمرد عن الدين والشريعة الإلهية والعصيان لأوامر الله ورسوله ﷺ. فالعاجلة هي حب الدنيا واللذائذ الفانية، وسميت بالعاجلة لأن المظاهر الدنيوية المتنوعة تقع أمام الإنسان وتخدعه نحو المغريات، بحيث ينسى الإنسان سوء العاقبة المترتبة عليها، فلا يبالي من ارتكاب أي معصية في سبيل الوصول إليها. والظريف في الآية أنها لا تقول: إن من يسعى وراء الدنيا ويجعلها كل همّه يحصل على كل ما يريد، بل أنها قيدت ذلك بشرطين وهما: أولاً:





سيحصل على جزء مما يريد، وأن هذا الجزء هو المقدار الذي يمتحن الله به ذلك الإنسان، وذلك لقوله تعالى: ﴿مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾. والشرط الثاني: أنه ليس كل من جهد في سبيل الوصول إلى المطامع الدنيوية يحصل على ما يريد، بل أن بعضهم قد يصلون إلى تلك النتيجة. وذلك لقوله تعالى: ﴿لِمَنْ نُرِيدُ...﴾. وفي المقام لا بد للباحث أن يبحث عن حال الجماعة المتأخرين عن عصر الصحابة والتابعين الذين زعموا تركية الخلفاء الثلاثة، فإن كانت تركيتهم مبنية على حب الدنيا وحب الجاه والمطامع الدنيوية، فهم ممن نقضوا الإيمان وجميع المواثيق والمعاهدات التي عاهدوا بها الله ورسوله ﷺ على نحو الموجبة الجزئية، وهم كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِسْمَايَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (سورة البقرة: ٩٣). والمستفاد من الآية أن أساس مخالفة هؤلاء القوم من جهة انغماسهم في حب الدنيا التي ملئت في وجودهم وتمثلت لهم كعجل السامري كما قال تعالى: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ فنسوا الله عز وجل ورسوله ﷺ. وبعد أن أشربت قلوبهم حب الدنيا وزخارفها. وكيف يمكن أن يجتمع في تلك القلوب الإيمان بالله مع حبهم للطاغوت ومتابعتهم له، وعبادتهم العجل ونقض العهود والمواثيق الإلهية المؤكدة؟! فلا شك أن قضية عجل السامري لم تكن مسألة هيئة، لأن بني إسرائيل شاهدوا ما شاهدوا من آيات الله ومعجزات نبيهم موسى ﷺ، ثم نسوا ذلك دفعة خلال فترة قصيرة من غياب نبيهم ﷺ، فأنحرفوا تماماً عن مبدأ التوحيد وعن الدين الإلهي. كذلك من زعم تركية خلفاء الجور والغاصيين لحقوق أهل البيت ﷺ، الذين اجتمعوا في السقيفة بعد وفاة النبي ﷺ، وغيروا مصير الأمة بالتمرد عن أوامر الله ورسوله ﷺ وسعوا في انحراف الأمة بالتسلط عليهم وفتحوا أيدي زعماء قريش وأرادلهم والطلقاء الذين كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر والإلحاد، للنيل إلى حطام الدنيا وحرامها وأرجاسها، وحباً للجاه والمقام، فارتكبوا أبشع الجرائم وأشنعها وأخطرها للوصول إلى أهوائهم، والقرآن الكريم يصفهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ



وقد عرفت فساد مذهب من قال بإمامة الثلاثة وذهابهم إلى الباطل^(١)،



الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَطَطِيْعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿سورة محمد: ٢٥-٢٦﴾. وكما أنَّ الروايات تصفهم بأنهم خرجوا عن طاعة الله ورسوله ﷺ، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن سعيد بن المسيَّب عن أبي هريرة أنه كان يحدث أنَّ رسول الله ﷺ قال: «يرد عليَّ يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض، فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنَّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، أنَّهُم ارتدُّوا على أدبارهم القهقري» (صحيح البخاري ج ٧: ص ٢٠٨ كتاب الرقاق، باب: باب في الحوض وقول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام. وعليه فإن وجدنا أنَّ تركية هؤلاء القوم للخلفاء الثلاثة مخالفة للكتاب وسنة رسول الله ﷺ علمنا بأنهم طالبون للعالم والدنيا ومعرضون عن السعادة الأخروية، فلاحظ.

(١) توضيح المقام أنَّ الباحث لو درس الآيات من القرآت الكريم والروايات المتواترة بين الفريقين من السنة النبوية التي تعطينا الميزان والمعيار لدين الحق والسير على الصراط المستقيم كما تقدَّمت الإشارة الى بعضها، ثم درس حياة الخلفاء الثلاثة بحثاً علمياً خارجاً عن التعصب والحمية المذهبية سوف يجد بأنَّ الخلفاء الثلاثة لم يتركوا موبقة ولا جريمة في سبيل الوصول الى المناصب الدنيوية والحكومة الغاصبة التي سمَّاه القرآن الكريم بالطاغوت، حيث أنَّهم أعرضوا عن النصوص الاسلامية الدالة على إمامة أئمة أهل البيت ﷺ كمخالفتهم لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (سورة النساء: ٥٩)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (سورة الحشر: ٧)، وقوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ (سورة النساء: ٨٠)، وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ



فمن قال بإمامتهم من أهل الطبقات المتأخرة فهو على الباطل^(١)،



فَاعْلَمُوا أَنَّما عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ (سورة المائدة: ٩٢). هذه الآيات وغيرها صريحة في وجوب طاعة الله ورسوله ﷺ وأن طاعة الرسول ﷺ كطاعة الله واجبة، وأمره ﷺ أمر الله، وقوله ﷺ قول الله، ومقتضى حديث الثقلين أنه لا يتم الأمان لمسلم إلا بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ. وحديث الثقلين المتواتر لدى الفريقين، يدل على وجوب طاعة أهل البيت ﷺ، لأنه يدل بالصراحة على وجوب الأخذ بكتاب الله وعترته رسول الله ﷺ، وغيره من الأحاديث الصحيحة عند جميع المسلمين الدالة على إمامة أئمة أهل البيت ﷺ ولكن أتباع السقيفة قد خالفوا مدلول الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة لدى جميع المسلمين في العمل ووقعوا في الانحراف والضلالة، فكيف يمكن لأهل لأحد تصديقهم. وبعبارة أخرى كيف يمكن للمسلمين أن ينكروا ويعرضوا عن السنن النبوية المتواترة عندهم ويخالفونها؟! فإن كبار علماء أهل السنة ومحدثيهم قد رويوا حديث الثقلين وأعلنوا بأنه في أعلى درجة الصحة، بل وقد صرح كثير منهم بتواتره، ومع ذلك رفضوا مدلوله تعصبا، هذا يخرجهم عن قبول تزكيته، لأنه كيف يمكن الشهادة بتزكيته مع أنهم خالفوا الشريعة المقدسة بمخالفة نصوصها على رؤوس الأشهاد. وعليه كيف يمكن لابن تيمية أن يدعي قبول تزكية من قال بخلافة خلفاء الجور وهو يعلم فساد مذهبهم بفساد خلفائه لما ارتكبه الخلفاء الثلاثة من الفساد والإجرام و.... فلاحظ.

(١) وبعبارة أخرى أن أتباع خلافة السقيفة كانوا من الطبقات المتأخرة والشهادة بالتزكية يلزم أن تكون حسيا فكيف يمكنهم الشهادة بالحس؟! وحيث لم يمكنهم فتكون شهادتهم باطلة. توضيح المقام أن من يعتقد بخلافة خلفاء الثلاثة من المتأخرين لابد من حصول الاعتقاد بتزكية خلفائهم، وتزكية الخلفاء على أساس الكتاب والسنة إما يحصل بالمشاهدة أو بالأخبار المتواترة المفيدة للقطع واليقين.

ولكن في المقام أن شهادة المتأخرين لتزكية الخلفاء الثلاثة فاقدة لتلك لشرائط الشهادة، لأن





خلفائهم قد أثروا في مصير الأمة التي واجهت الأزمات وانهيارات كبرى، حتّى وصل الأمر بهم أن جعلوا مروان بن الحكم خليفة رسول الله ﷺ، وقد سمّاه رسول الله ﷺ «الوزغ» (انظر المستدرک على الصحيحین ج ٤: ص ٤٧٩). وطرده من المدينة وقال: لا يساكنني حيّاً ولا ميّتاً (انظر الغدير ج ٨: ص ٢٤٣ نقلاً عن البلاذري في أنساب الأشراف). بل أنّهم بايعوا يزيد بن معاوية وقبلوا خلافته، ولمّا ثار عليه الإمام الحسين عليه السلام سبط النبي ﷺ قتلوه وأهل بيته عليه السلام لتثبيت ملك يزيد وتصحيح خلافته دفاعاً عن يزيد وجرائمه. فكلّ ذلك من عقيدة أهل السنة في باب الإمامة، ومبنية على رفض السنن النبوية كحديث الثقلين وأمثاله. فكيف يمكن قبول تزكية من رفض سنة رسول الله ﷺ ولم يأخذ دينه من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، بل أخذ دينه من الفساق والمنافقين والمخالفين وأهل البدعة من الصحابة، وغيرهم. فهذا اعتقاد أهل السنة، في باب الخلافة والإمامة، فإنّهم قد التزموا بلوازمه عملاً. واعتقدوا بأنّ معاوية بن أبي سفيان وخلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس كلّهم بحسب مبانيهم الاعتقادية خلفاء رسول الله ﷺ مع علمهم بأنّهم كانوا أهل الخمر والفسوق والكبائر. وعلى سبيل المثال أنّ معاوية الذي كان موبقة من موبقات عمر بن الخطّاب، كان يشرب الخمر أيام حكمته في الشام؛ فقد أخرج أحمد بن حنبل بسنده عن عبد الله بن بريدة قال: دخلت أنا وأبي على معاوية فأجلسنا على الفرش ثمّ أتينا بالطعام فأكلنا ثمّ أتينا بالشراب فشرب معاوية ثمّ ناول أبي ثمّ قال: ما شربته منذ حرّمه رسول الله ﷺ (مسند أحمد بن حنبل ج ٥: ص ٢٤٧). بل أنّ عمر بن الخطّاب نفسه كان يشرب النبيذ المسكر فقد روى البيهقي في سننه بسنده عن عمرو بن ميمون قال: قال عمر: إنّنا لنشرب من النبيذ نبيذاً يقطع لحوم الإبل في بطوننا من أن تؤذينا (سنن البيهقي ج ٨: ص ٢٩٩). وكان المتعارف في تلك الأيام من النبيذ الشراب المسكر كما ورد في بعض الأخبار من كتب أهل السنة أنّ أعرابياً شرب النبيذ فسكر فأمر به عمر فجلد فقال: إنّني شربت نبيذاً من أداوتك، فقال عمر: إنّما نجلدك على السكر (انظر أضواء البيان للشنقيطي ج ٣: ص ٤٠٨). والقصة عند أبي شيبة كالتالي: عن حسان بن مخارق قال: بلغني أنّ عمر بن الخطّاب سائر رجلاً في سفر وكان صائماً، فلمّا أفطر أهوى





إلى قربة لعمر معلّقة فيها نبذ قد خضخضها البعير، فشرّب منها فسكر، فضربه عمر الحدّ، فقال له: إنّما شربت من قربتك، فقال له عمر: إنّما جلدناك لسكرك (المصنف لابن أبي شيبة ج ٦: ص ٥٠٢). والعجيب أنّ الأعرابي سكر من الخمر الذي كان يشرب منه عمر ولكن لم يسكر منه عمر بن الخطّاب!!! وأخرج البيهقي بسنده عن عمرو بن ميمون الأودي قال: شهدت عمر بن الخطّاب حين طعن، قال: أتاه أبو لؤلؤة وهو لعلّه يسوي الصفوف قطعنه وطعن اثني عشر رجلاً، قال: فأنا رأيت عمر باسطاً يده... قال: فحمل عمر إلى منزله فأثاه الطبيب فقال: أي الشراب أحب إليك؟ فقال النبيذ!!! قال: فدعي بالنبيذ فشرّب منه فخرج من إحدى طعناته، فقال: إنّما هذا الصديد صديد الدم، قال: فدعي بلبن فشرّب فقال: أوص بما كنت موصياً (انظر سنن البيهقي ج ٣: ص ١١٣). فيا ترى كيف يجوز للمسلمين طاعة شارب الخمر؟! والحديث صريح في أنّ عمر بن الخطّاب كان أحبّ الشراب عنده النبيذ المسكر!!

ثم إنّ من كوارث مذهب أهل السنّة اعتقادهم بخلافة يزيد بن معاوية وتولّيه على الأُمّة الإسلاميّة وموقفه من الضغائن والأحقاد البدريّة والأحديّة والعصبية الجاهليّة، فإنّ يزيد بن معاوية، شارب الخمر والمعلن بالفسوق، وناكح الأمّهات والأخوات، والممارس لأنواع الفجور وقاتل ذرية الرسول وسابي بناته، والهاتك حرمة أهل البيت (عليهم السلام)، ومستتيع المدينة المنورة، وحارق الكعبة، وقاتل الصحابة والقرّاء، وهاتك أعراض المسلمين. فالحديث عن يزيد وسوء سيرته وقبح سريره طويل، ولكنّا نشير هنا إلى ما يُبيّن شيئاً من حاله باختصار: فقد روى الطبري، وابن الأثير، وابن الجوزي، وأبو المحاسن، وابن أبي الحديد، والقندوزي، والنويري، وعبد القادر البغدادي، والقاضي التنوخي، واللفظ للأوّل، قال: عن الصقعب بن زهير، عن الحسن البصري، قال: أربع خصال كنّ في معاوية لو لم يكن فيه منهنّ إلا واحدة، لكانت موبقة: انتزأه على هذه الأُمّة بالسفهاء حتّى ابتزّها أمرها بغير مشورة منهم، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه ابنه بعده سكيراً خَميراً، يلبس الحرير ويضرب بالطناير، وادّعاؤه زياداً، وقد قال رسول الله ﷺ: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»، وقتله حجرًا، ويلاً له من حجر مرّتين! (انظر تاريخ الطبري ج ٣: ص ٢٣٢،





والكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣: ص ٣٣٧، والمنتظم لابن الجوزي ج ٥: ص ٢٤٣، والنجوم الزاهرة لأبي المحاسن ج ١: ص ١٤١، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢: ص ٢٦٢، وج ١٦: ص ١٩٣، وينايع المودة للقندوزي الحنفي ج ٢: ص ٢٧، وغير ذلك) وروى ابن أبي الحديد عن الشافعي: أنه أسرَّ إلى الربيع أن لا يقبل شهادة أربعة، وهم: معاوية، وعمرو بن العاص، والمغيرة، وزيد (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢: ص ٢٦٢). وقال ابن أبي الحديد المعتزلي: أنه روى الزبير بن بكار في الموفقيات، ورواه جميع الناس ممن عني بنقل الآثار والسير، عن الحسن البصري: أربع خصال كنَّ في معاوية لو لم يكن فيه إلا واحدة منهنَّ لكانت موبقة: انتزأه على هذه الأمة بالسفهاء حتَّى ابتزَّها أمرها بغير مشورة منهم، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه بعده ابنه يزيد سكِّيراً خميراً، يلبس الحرير، ويضرب بالطناير، وادَّعأؤه زياداً وقد قال رسول الله ﷺ: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»، وقتله حجر بن عدي وأصحابه، فإيا ويله من حجر وأصحاب حجر (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢: ص ٢٦٢). فيزيد أول من سنَّ الملاهي في الإسلام، قال أبو الفرج الأصفهاني: كان يزيد بن معاوية أول من سنَّ الملاهي في الإسلام من الخلفاء، وآوى المغنِّين وأظهر الفتك، وشرب الخمر. وكان ينادم عليها سرجون النصراني مولاه، والأخطل الشاعر النصراني. وكان يأتيه من المغنِّين سائب خاثر فقيم عنده فيخلع عليه... (انظر الأغاني لأبي فرج الأصبهاني ج ١٧: ص ٣٠١). وقال البلاذري: كان يزيد بن معاوية أول من أظهر شرب الشراب، والاستهتار بالغناء والصيد، واتخاذ القيان والغلمان، والتفكَّه بما يضحك منه المترفون من القروء والمعاقر بالكلاب والديكة (انظر انساب الأشراف ج ٣: ص ٨١). وقال ابن الجوزي في كتابه الرد على المتعصب العنيد: قلت: ليس العجب من فعل عمر بن سعد وعبيد الله بن زياد بما صنعوا وأتوا إلى أهل بيت رسول الله ﷺ من عظيم الإجماع، وإنَّما العجب من خذلان يزيد، وضربه بالقضيب على ثنية الحسين عليه السلام، وإعادته رأسه الشريف إلى المدينة، وقد تغيَّرت ريحه لبلوغه الغرض الفاسد، أفيجوز أن يفعل هذا بالخوارج؟! أو ليس في الشرع أنَّهم يصلُّو عليهم ويدفنون؟ أمَّا قوله يزيد: لي أن أهبهم، فأمر لا يقع لفاعله ومعتقده إلا





اللعة ولو أنه احترم الرأس حين وصوله إليه وصلى عليه، ولم يتركه في طست ولم يضره بقضيب ما الذي كان يضره، وقد حصل مقصوده من القتل؟ لكن أحقاد جاهلية، ودليلها ما تقدم من إنشاده شعر ابن الزبيري: ليت أشياخي بدد شهدوا... (انظر الرد على المتعصب العنيد لابن الجوزي: ص ٥٢). وقد تعرض سبط ابن الجوزي في تذكرته إلى ما ذكره جدّه، فقال: وقال جدّي: ليس العجب من قتال ابن زياد الحسين عليه السلام، وتسليطه عمر بن سعد على قتله والشمر، وحمل الرؤوس إليه، وإنما العجب من خذلان يزيد وضره بالقضيب ثناياه، وحمل آل رسول الله ﷺ سبايا على أقتاب الجمال، وعزمه على أن يدفع فاطمة بنت الحسين عليها السلام إلى الرجل الذي طلبها، وإنشاده أبيات ابن الزبيري: ليت أشياخي بدد شهدوا... وردّه الرأس إلى المدينة، وقد ظن أنه تغير ريحه، وما كان مقصوده إلا الفضيحة وإظهار رائحة الرأس، أفيجوز أن يفعل هذا بالخوارج؟ أليس بإجماع المسلمين أن الخوارج والبغاة يكفنون ويصلى عليهم ويدفنون؟ وكذا قول يزيد: لي أن أسبيكم لما طلب الرجل فاطمة بنت الحسين عليها السلام، وهذا قول لا يقنع لقائله وفاعله باللعنة، ولو لم يكن في قلبه أحقاد جاهلية، وأضغان بدرية لاحترام الرأس لما وصل إليه، ولم يضره بالقضيب، وكفّنه ودفنه، وأحسن إلى آل رسول الله ﷺ (انظر تذكرة الخواص لابن الجوزي: ص ٢٦٠). وروى الفسوي جواب ابن عباس لكتاب يزيد بن معاوية مخاطباً له قائلاً: وقد قتلت حسيناً عليه السلام وفتيان عبد المطلب، مصابيح الهدى ونجوم الأعلام، غادرتهم خيولك بأمرك في صعيد واحد، مزملين بالدماء، مسلوبين بالعراء، لا مكفّنين ولا موسّدين، تسفو عليهم الرياح، وتنتابهم عرج الضباع، حتى أتاح الله عز وجلّ لهم بقوم لم يشركوا في دمائهم، كفّوهم وأجنّوهم، وبني وبهم والله عززت، وجلست مجلسك الذي جلست؛ فما أنسى من الأشياء فلست بناس أطرادك حسيناً عليه السلام من حرم رسول الله ﷺ إلى حرم الله عز وجلّ، وتسيرك إليه الرجال لقتله في الحرم، فما زلت بذلك وعلى ذلك حتى أشخصته من مكة إلى العراق، فخرج خائفاً يترقب، فترزلت به خيلك عداوة منك لله عز وجلّ ولرسوله ﷺ ولأهل بيته عليهم السلام، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، أولئك لا كآبائك الجلاف الجفاة أكباد الحمير، فطلب إليكم





الموادعة، وسألكم الرجعة، فاعنتم قلّة أنصاره واستئصال أهل بيته، فتعاونتم عليه، كأنكم قتلتم أهل بيت من الترك (انظر المعرفة والتاريخ للفسوي ج ١: ص ٥٣١). وقد تكلم المعتضد الخليفة العباسي في ذمّ بني أمية حتّى وصل إلى يزيد بن معاوية وذكر فيه ما ذكر، فقال: ثمّ من أغلظ ما انتهك وأعظم ما اخترم سفكه دم الحسين بن عليّ عليه السلام وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، مع موقعه من رسول الله ﷺ، ومكانه منه ومنزلته من الدين والفضل، وشهادة رسول الله ﷺ له ولأخيه سيّدا شباب أهل الجنّة عليه السلام، اجترأ على الله وكفراً بدينه، وعداوة لرسوله، ومجاهدة لعترته، واستهانة بحرمته، فكأنما يقتل به وبأهل بيته قوماً من كفار أهل الترك والديلم، لا يخاف من الله نقمة، ولا يرقب منه سطوة، فبتر الله عمره، واجتث أصله وفرعه، وسلبه ما تحت يده، وأعدّ له من عذابه وعقوبته ما استحقّه من الله بمعصيته... (انظر تاريخ الطبري ج ٥: ص ٦٢٣، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٥: ص ١٧٨). وذكر اليعقوبي والدميري، وابن حجر الهيثمي والقندوزي، أنّه: خطب معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، قائلاً: ثمّ، قلّد أبي وكان غير خليف للخير، فركب هواه، واستحسن خطأه، وعظم رجاؤه، فأخلفه الأمل، وقصر عنه الأجل، فقلّت منعه، وانقطعت مدّته، وصار في حفرة رهناء بذنبه، وأسيراً بجرمه. ثمّ بكى، وقال: إنّ أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وقبح منقلبه، وقد قتل عترة الرسول، وأباح الحرمه وحرّق الكعبة، وما أنا المتقلّد أموركم، ولا المتحمّل تبعاتكم، فشأنكم أمركم، فوالله، لئن كانت الدنيا مغنماً لقد نلنا منها حظاً، وإن تكن شراً فحسب آل أبي سفيان ما أصابوا منها (انظر تاريخ اليعقوبي ج ٢: ص ٢٥٤، وحياة الحيوان للدميري ج ٢: ص ٨٨، والصواعق المحرقة لابن حجر: ص ٢٢٤، وينايع المودّة ج ٣: ص ٣٦). وإلى غير ذلك ممّا ورد في فسق خلفاء أهل السنّة، وعليه فإنّ أهل السنّة الطبقات المتأخّرة الذين أخذوا دينهم من الفساق والمنافقين أهل البدعة في الدين، فإنّ اعتقادهم بحسب ما التزموا به في باب الإمامة، فكيف يجوز لهم الشهادة بالتركية خلفائهم؟! فلاحظ.

منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨ ١٠٦٣
فالمزكي لهم مفتر^(١)،

(١) وبعبارة أوضح أنّ المتأخرين من أتباع السقيفة كيف يمكنهم الشهادة بتزكية خلفائهم وقد ملئت كتب كبار علماء أهل السنة بذكر مطاعن خلفائهم من ارتكابهم المحرمات وإحداث البدع في الدين وعدائهم لأهل البيت عليه السلام الذين فرض الله طاعتهم على الأمة وغير ذلك من مخالفاتهم للدين الحنيف، فإنّ الروايات الواردة في هذا المجال كثيرة، ولو أردنا أن نذكرها لاطال بنا المقام. فكلّ باحث لو درس التاريخ والمصادر الإسلامية يعلم بأنّ سياسة خلافة السقيفة كانت مبتنية على مخالفة الإسلام ومخالفة أوامر الله ورسول الله ﷺ وإبعاد أهل بيته عليه السلام عن الزعامة الدينية، لنيلهم إلى القدرة والرياسة بأيّ وسيلة حصل. وباختصار فإنّ ما واجهه المسلمون من المصائب والنوازل التي حلّت بهم بعد وفاة رسول الله ﷺ من الفساد والشرّ والمبتدعات والمناكير كلّها من ثمرات السقيفة والخلافة الجائرة التي مهّدت للأمة الانقلاب والرجوع إلى الجاهليّة الأولى. فكان أبو بكر لا يبالى من المخالفة الصريحة للكتاب والسنة النبويّة، لأنّ بغيته الوصول إلى السلطة والقدرة، فلم يمنعه من ذلك مانع. وبعد ارتكاب المخالفة كيف يمكنه أن يصبغها بصبغة دينيّة، مع أنّ المناكير والبدعة في الدين في الجهة المقابل والتعارض لجميع المباني الدينيّة. وعلى سبيل المثال أنّ الله تعالى أمر المسلمين باتباع أهل البيت عليه السلام وقد أنزل فيهم الآيات وأيد طهارتهم وتركيتهم في آية التطهير وآية المباهلة وآية الولاية و... إلى ما يزيد على ثلاثمائة آية، كما أنّ رسول الله ﷺ أمر أمته باتباع أهل بيته عليه السلام وأوصى بهم، فقال ﷺ فيهم: «إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي»، وقال ﷺ: «مثل أهل بيتي كمثّل سفينة نوح من ركبها نجي ومن تخلف عنها غرق». وإلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على انحصار المرجعيّة الدينيّة والدينيّة بعد وفاة رسول الله ﷺ تكون فيهم عليه السلام. والخلفاء الثلاثة مع علمهم بما أنزل الله في حقّ أهل البيت عليه السلام ومع علمهم بما أوصى الرسول الأعظم ﷺ في حقّهم وقفوا بوجه هذا البناء الأساسي للدين الحنيف، بالعنف وسياسة والتزوير والإرهاب وإحداث البدع وإشاعة المناكير وإرجاع الناس إلى الجاهليّة الأولى، واستعانوا على ذلك من بطون قريش العادية



وقد عرفت فرية الخبر الذي نقله عن شريك فيما مضى^(١).



للاسلام، وتحالفوا معهم على إقصاء أهل البيت عليه السلام والهجوم بيئتهم عليه السلام وإحراق باب دارهم عليه السلام وضرب الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام وكسر ضلعها عليها السلام وإسقاط جنيها عليها السلام وغصب فدكها عليها السلام وإلى غير ذلك من الجرائم التي ارتكبوها والمخازي التي فعلتها السلطة الجائرة والتي كانوا يسمونها الخلافة الإسلامية. وفي نفس الوقت التي كانت الخلافة الجائرة تستعمل أنواع الحيل لتقوية السلطة كانت تجمع الأعوان والأنصار بالتطميع والتهديد والفتك والإرغام ذريعة لحفظ نظام السلطة الجائرة وإن بلغ ما بلغ من الجناية على الأمة ولو بالهجوم على بيت الوحي ووصي رسول الله صلى الله عليه وآله ووزيره الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وهكذا استمرّوا في مخالفة الله ورسوله صلى الله عليه وآله حتى شملهم قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوءًا﴾ (سورة الكهف: ١٠٣-١٠٦). وقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ الروايات الدالة على أنّ المراد بهم أهل البدعة في الدين، منها: ما رواه إبراهيم بن محمد الثقفي في كتاب الغارات بسنده عن أصبغ بن نباته عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «هم الكفرة الذين ابتدعوا في الدين وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعا» (انظر الغارات ج ١: ص ١٨٠). وعليه فإنّ الطبقات المتأخّرة من أهل السنّة الذين أخذوا دينهم من خلفاء السقيفة، مع علمهم بما فيهم من المطاعن بحسب رواياتهم كيف يمكنهم تزكية من كانوا يعلمون بفسقهم وفجورهم ونصيبهم العداء لأهل البيت عليه السلام؟! فلاحظ.

(١) لا يخفى على الباحث الخبير أنّ ما تفرّد به ابن تيمية من الخبر المكذوب عن شريك في تقديم أبي بكر لا يوجد في المصادر الحديثية لأهل السنّة فضلاً عن كتب الشيعة، والوصول إلى هذه النتيجة في عصرنا الحاضر أمر سهل يسير إذ مع توفير الأجهزة





المتطورة للتحقيق ووجود الأقراص الكمبيوترية الحاوية للكتب المدمجة فيها، بإمكان كل باحث أن يبحث عن هذا الخبر الذي تفرد به ابن تيمية في نقله فيصل إلى هذه النتيجة بأسرع وقت. وإليك الخبر المكذوب الذي رواه ابن تيمية عن شريك في كتبه: قال شريك بن أبي نمر لما سئل: أيما أفضل علي أم ابن أبي قحافة؟ فقال: ابن قحافة، فقال له السائل: تقول ذلك وأنت من الشيعة؟ فقال: نعم إنما الشيعي من يقوله والله لقد رقى علي عليه السلام على المنبر وقال: خير الناس بعد نبيهم ابن أبي قحافة وعمر، أفكنا نردّ قوله أفكنا نكذّبه، والله لم يكن كاذباً.

أقول: أولاً: هذا الخبر لا يوجد في مصادر الحديثية لأهل السنة، فضلاً عن وجودها في كتب الشيعة.

وثانياً: أنّ شريك بن عبد الله بن أبي نمر ليس من الشيعة، ولذا لا تجد وصفه بالتشيع في الكتب التي ذكرته. لا في رجال الشيعة ولا في رجال أهل السنة.

وثالثاً: قد اتهمه غير واحد من علماء السنة بالوضع كابن حزم (انظر الفصل في الملك والنحل ج ٤: ص ١٨١). وقال ابن الجوزي: شريك بن عبد الله بن أبي نمر، كثير التفرد بمناكير... (انظر كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي ج ٣: ص ٢١٢). وقال الألباني: شريك بن عبد الله بن أبي نمر المدني، وهو غير شريك بن عبد الله النخعي الكوفي، وهو مثله في الضعف أو أشدّ. ولذلك فإنني آخذ على المؤلف أنّه سماه في تخريجه للحديث، لأنّه يوهم من لا علم عنده بطرق الحديث أنّ فيه ضعفاً من أجل شريك هذا (تمام المنّة لمحمد ناصر الألباني: ص ٢٦٧).

ورابعاً: قال: أنّه: مات سنة ١٤٤ (انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٣: ص ١٠٩٠)، فمتى رأى علياً عليه السلام، وكم كان عمره؟

وخامساً: لقد وردت روايات كثيرة في مصادر الفريقين عن مولانا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهي مناقضة لهذه الرواية، منها الخطبة الشقشقية التي رواها الفريقين، فإنّها تدلّ بالصراحة على أنّ الخلفاء الثلاثة غصبوا الخلافة من مولانا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وغيرها من الروايات. وعليه فما ذكره ابن تيمية من الخبر المكذوب واضح البطلان، فلاحظ.

وما ندري بأي وجه زعم أن شريكاً شيعي، وما قاله بهتان بين^(١)،

(١) وبعبارة أوضح أن لفظ الشيعة ليس لفظاً مستحدثاً في الشريعة، بل هو مما أتت به الشريعة وأطلقه نبي الأكرم ﷺ على شيعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأئمة أهل بيته عليه السلام، في روايات كثيرة رواها كبار علماء أهل السنة وهي صريحة في أن الشيعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هم الذين يتبعون الإمام عليه السلام، وقد نزلت آيات من القرآن الكريم في مدحهم، كما أن رسول الله ﷺ مدحهم في أحاديث بالغة عن حدّ التواتر، واليك بعض ما ورد في هذا المجال، منها: ما رواه السيوطي في تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (سورة البينة: ٧) أنه قال: وأخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: كنّا عند النبي ﷺ فأقبل علي فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة»، ونزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾. فكان أصحاب النبي ﷺ إذا أقبل علي قالوا: جاء خير البرية. وأخرج ابن عدي وابن عساكر عن أبي سعيد مرفوعاً: علي خير البرية. وأخرج ابن عدي عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ قال رسول الله ﷺ لعلي: «هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين». وأخرج ابن مردويه عن علي قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ألم تسمع قول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، أنت وشيعتك، وموعدي وموعدهم الحوض إذا جاءت الأمم للحساب، تدعون غراً محجلين» (الدر المنثور ج ٦: ص ٣٧٩). ومنها: ما رواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق بسنده عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال: كنّا عند النبي ﷺ فأقبل علي ابن أبي طالب فقال النبي ﷺ: «قد أتاكم أخي»، ثم التفت إلى الكعبة فضربها بيده ثم قال: «والذي نفسي بيده، إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة»، ثم قال: «إنه أولكم إيماناً معي وأوفاكم بعهد الله وأقومكم بأمر الله وأعدلكم في الرعية وأقسمكم بالسوية وأعظمكم عند الله مزية»، قال ونزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ قال: فكان أصحاب محمد ﷺ إذا أقبل علي قالوا: «قد جاء خير البرية»



(تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٣٧١). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة بهذه المضامين، ولذلك كان الصحابة يلقبون سلمان وأبي ذر والمقداد وعمّار بشيعة علي عليه السلام كما ذكره: أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني من علماء أوائل القرن الثالث من الهجرة في كتابه الزينة ما هذا نصّ عبارته: إنّ لفظ الشيعة ظهر على عهد رسول الله ﷺ، وكان هذا لقب أربعة من الصحابة سلمان وأبي ذر والمقداد وعمّار إلى أوّل صفين فاشتهر بين موالي علي عليه السلام (انظر المجلّد الثالث من كتاب الزينة: المخطوط). وعليه كيف يدّعي ابن تيمية ويقول بأنّ شريك بن عبد الله بن نمر شيعي مع أنّ ما نقله عنه مخالف لما ورد من الروايات عن نبي الأكرام ﷺ في تعريف الشيعة. ومن العجائب أن هذه الأحاديث بقيت في حقّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وشيعته، رغم كلّ ما عملته الحكّام التابعة للسقيفة والدول المتعاقبة من أجل إطفاء نوره، حتّى أن دولة النواصب الأموية التي جعلت لعن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فرضاً واجباً في صلاة الجمعة في جميع البلاد نحو ثمانين سنة، ومع ذلك بقيت في مصادر أتباعهم أمثال هذه الأحاديث العظيمة في فضله عليه السلام وفضل شيعته عليه السلام. أليس هذا بحدّ ذاته كرامة ومعجزة؟! إذن لقب التشيع كان ينسب إلى من يوالي الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من عهد رسول الله ﷺ، وذلك للنصوص والروايات الواردة في كتب الفريقين. ثمّ نمت هذه البذرة حتّى كان المواليون لأهل البيت عليهم السلام يسمّون بهذا الاسم واللقب. ولذلك قال الشهرستاني: الشيعة هم الذين شايعوا علياً عليه السلام على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصّاً ووصية إماماً جلياً وإماماً خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده (انظر الملل والنحل للشهرستاني ج ١: ص ١٤٦). وقال ابن منظور في لسان العرب، والفيروز آبادي في القاموس المحيط، والزبيدي في تاج العروس: وقد غلب هذا الاسم (أي الشيعة) على من يتوالى علياً وأهل بيته عليهم السلام حتّى صار لهم اسماً خاصاً، فإذا قيل: "فلان من الشيعة" عُرف أنّه منهم (انظر لسان العرب ج ٨: ص ١٨٩، والقاموس المحيط ج ٣: ص ٤٩، تاج العروس ج ٢١: ص ٣٠٣). وقال الزهري: والشيعة قوم يهوون هوى عترة النبي ﷺ ويوالونهم (انظر لسان





العرب ج ٨: ص ١٨٩، وتاج العروس ج ٢١: ص ٣٠٣). وقال ابن خلدون: اعلم أنَّ الشيعة لغةً: الصَّحْب والأَتباع، ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على أتباع علي وبنيه عليه السلام (انظر مقدمة ابن خلدون: ص ١٩٦). وجاء عن ابن القيم الجوزية في كتابه الصواعق المرسلّة: الوجه التاسع: إنّ فقهاء الإمامية من أولهم إلى آخرهم ينقلون عن أهل البيت أنّه لا يقع الطلاق المحلوف به وهذا متواتر عندهم عن جعفر بن محمد وغيره من أهل البيت، وهب أنّ مكابراً كذبهم كلّهم، وقال: قد تواطؤوا على الكذب عن أهل البيت، ففي القوم فقهاء وأصحاب علم ونظر في اجتهاد وإن كانوا مخطئين مبتدعين في أمر الصحابة، فلا يوجب ذلك الحكم عليهم كلّهم بالكذب والجهل، وقد روى أصحاب الصحيح عن جماعة من الشيعة وحملوا حديثهم واحتجّ به المسلمون (انظر الصواعق المرسلّة ج ١: ص ٦١٦). وعن عامر عبد الله فالح من كتاب السلفية المعاصرين في كتابه معجم ألفاظ العقيدة الذي قال في مقدّمته: (اخترت أوثق الأقوال في كثير من المسائل لعلماء متقدمين ومتأخرين ومعاصرين)... قال معرفاً بالشيعة: الشيعة: هم الذين شايعوا عليّاً على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصّاً ووصاية إماماً جلياً وإماماً خفياً، وقالوا: أنّ الإمامة لا تخرج عن أولاده وإن خرجت فبظلم من غيره أو بتقيّة من عنده (انظر معجم ألفاظ العقيدة: ص ٢٤٧). فالشيعة هم أتباع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأنصاره والقائلون بامامته وخلافته على الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله مباشرةً وبلا فصل بنصّ من الله عزّ وجلّ ورسوله صلى الله عليه وآله، وأنّ الإمامة من بعده تكون في ولده ليس لغيرهم فيها حقّ ولا نصيب. وعليه فإنّ كلّ باحث لو اطلع على ما ورد في كتب الفريقين من الروايات والنصوص سوف يعرف حقيقة التشيع حسب ما تعتقد به الشيعة الاثني عشرية. ولا ندري بأيّ ملاك وبأيّ جهة يدعي ابن تيمية ويقول: بأنّ شريك بن عبد الله بن نمر من الشيعة مع أنّه لم يرد في حقّه أنّه من أتباع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولم يشمل تعريف الشيعة الذي جاء في الروايات المتفق عليها بين الفريقين. وعليه فما ادّعاه ابن تيمية بطلانه أوضح من أن يخفى على أحد، فلاحظ.

وقد عرفت تنزّه الشيعة عن البهتان^(١)،

(١) وتوضيح المقام أنّ عقائد الشيعة المذكورة في كتبهم، وثابتة بالدليل المتّفق عليه بين جميع المسلمين. فالأدلة التي يستدلّ بها الشيعة على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من أهل البيت عليه السلام إنّما هي النصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية المتّفقة عليها بين جميع المسلمين، كالنصوص الواردة في تفسير آية المباهلة، وآية التطهير، وآية الولاية وغيرها من الآيات، كذلك الروايات الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله كحديث الثقلين المشهور والمتواتر لدى الفريقين دالّ على إمامته عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بلا فصل، وحديث السفينة، وحديث المنزلة، وحديث «عليّ وليّ كلّ مؤمن بعدي»، وحديث أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في باب علم النبي صلى الله عليه وآله وحكمته، وأنّه عليه السلام مع الحقّ والحقّ معه حيثما دار، وإلى غير ذلك من النصوص المتواترة لدى الفريقين الدالة على إمامته وخلافته، وهي حجة شرعية على جميع المسلمين. وإذا كان هناك من لا يريد العمل بها ولا بما هو حجة شرعية عليه وتعمى عن الحقائق، فماذا يقدّم لهم الله ورسوله صلى الله عليه وآله؟! ولقد شهدت حادثة الغدير عشرات الألوف من المسلمين الذين بايعوا الإمام مولانا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام بالخلافة والإمامة حتّى أنّ الخلفاء الثلاثة بايعوه قائلين له: بخ بخ لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة، وقد صنّف في ذلك محمّد بن جرير الطبري صاحب التاريخ كتاباً في أخبار غدير خم، وذكر الأخبار والروايات والنصوص الواردة في الغدير عن خمسمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله (انظر الغدير للعلامة الأميني ج ١: ص ١٥٢). كما تشهد بذلك الروايات الصحيحة في بطون الكتب وتنقل تهنئة الصحابة لمولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بأسانيد صحيحة لدى جميع علماء أهل السنة (انظر الغدير للعلامة الأميني رحمه الله ج ١: ص ٢٧٢). وحقّاً إنّ هذا الأمر لا يخفى، بالرغم من أنّهم جهدوا في طمس تلك الحقائق الناصعة المشرقة. ولكن أحقية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالخلافة والإمامة ممّا لا يمكن إنكاره، لأنّه قد صرّح جمع كبير من علماء أهل السنة والجماعة بصحّة حديث الغدير بل بتواتره



بحيث لا يمكن إنكاره حتّى للمعاند من أعداء أهل البيت عليه السلام؛ فصرّح الذهبي بتواتر حديث الغدير مع أنّه من المتعصّبين في الدفاع عن مباني أهل السنّة والجماعة وكذلك غيره من علماء أهل السنّة والجماعة، فروى القريب والبعيد منهم الحديث وأثبتته المؤلّفون في الحديث والتاريخ والتفسير وأفرده بالتأليف فيه كبار علماء الإسلام أهل السنّة والجماعة كالذهبي وغيره. وقال في كتابه تذكرة الحفاظ: رأيت مجلداً من طرق الحديث لابن جرير الطبري، فاندعشت له ولكثرة تلك الطرق (تذكرة الحفاظ ج ١: ص ٧١٣). وقال ابن كثير الشامي: وقد رأيت له كتاباً جمع فيه أحاديث غدير خمّ في مجلدين ضخمين وكتاباً جمع فيه طرق حديث الطير (البداية والنهاية ج ١: ص ١٤٧). ولذلك روى الطبري وابن الأثير: أنّ الأنصار قالوا يوم السقيفة أو بعضهم: لا نبايع إلاّ عليّاً (انظر تاريخ الطبري ج ٢: ص ٢٠٨، والبداية والنهاية ج ٢: ص ١٢٣). وإلى غير ذلك ممّا ورد في كلماتهم من الاعتراف بوجود الروايات الدالة على إمامة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فالنصوص والروايات الواردة في هذا المجال كثيرة جداً لا يمكن إنكارها، ولذلك ناشد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بحديث الغدير بعض الصحابة في جمع التابعين أكثر من مرّة وفي كلّ مرّة قام إليه عدّة من الصحابة واعترفوا بأنّهم سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وآله حديث الغدير. وقد روى العلامة الأميني رحمته الله هذه الروايات في باب وسماه "باب مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام" (انظر كتاب الغدير ج ١: ص ١٩٥-٢١٢). وقد ذكر في الباب الروايات الكثيرة البالغة عن حدّ التواتر بأسنادها من طرق أهل السنّة والجماعة. ويبدو من خلال هذه الروايات أنّ هناك أبحاث جذريّة حول النصوص الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حتّى في سقيفة بني ساعدة، ومن بعده عند الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى يومنا هذا. وعليه فإنّ الشيعة مع وجود هذه الأدلّة الثابتة الحجّية عند جميع المسلمين عقائدها ثابتة، فافتراء ابن تيمية وغيره عليهم لا يؤثر في هذه الحقيقة كما هو واضح ظاهر، فلاحظ.

وما زعمه في حقّ شريك من كونه شيعياً لم يأت عليه بدليل^(١).

(١) لا يخفى على الخبير أنّ افتراء ابن تيمية على الشيعة بما ذكره من الخبر المكذوب معناه الافتراء على الله ورسوله ﷺ، لأنّ مرجع قوله إلى انكار النصوص الواردة في الكتاب والسنة ليدّس على الغفلة من أهل نحلته بخبر مكذوب في قبال النصوص الواردة كتاباً وسنة، ولكن الخبير يعلم بأنّ ما ذكره بهتان واضح على الله ورسوله ﷺ. وتوضيح المقام أنّ الباحث لو أمعن النظر في الخبر المكذوب الذي نقله عن شريك بن عبد الله بن نمر تجد مثله في الكذب من أتباع السقيفة؛ فإنّه تعلّم التكذيب على الله ورسوله من أتباع السقيفة. ففي حديث رواه سليم بن قيس، قال: بلغ أمير المؤمنين عليه السلام أنّ عمرو بن العاص خطب الناس بالشام، فقال: بعثني رسول الله ﷺ على جيشه فيه أبو بكر وعمر، فظننت أنّه إنّما بعثني لكرامتي عليه. فلمّا قدمت، قلت: يا رسول الله! أي الناس أحبّ إليك؟ فقال: (عائشة). قلت: ومن الرجال؟ قال: (أبوها)... فقام علي عليه السلام فقال: «العجب لطغاة أهل الشام حيث يقبلون قول عمرو ويصدّقونه، وقد بلغ من حديثه وكذبه وقلة ورعه أن يكذب على رسول الله ﷺ، وقد لعنه سبعين لعنة، ولعن صاحبه الذي يدعو إليه في غير موطن...» (إلى أن قال: ما لقيت من هذه الأمة من كذّابها ومنافقيها، لكأني بالقرء الضعفة المجتهدين قد رووا حديثه وصدّقوه فيه، واحتجّوا علينا أهل البيت بكذبه: أنا نقول: خير هذه الأمة أبو بكر وعمر؛ ولو شئت لسمّيت الثالث. والله ما أراد بقوله في عائشة وأبيها إلّا رضا معاوية، ولقد استرضاه بسخط الله...) (انظر كتاب سليم بن قيس: ص ٢٧٨). وروى السيّد المرتضى رحمه الله في كتابه الشافي أصل الخبر المدّعى قبل أن تسقط عنه مقدّمته، قال: على أنّ هذا الخبر قد روي على خلاف هذا الوجه، وأوردت له مقدّمة أسقطت عنه ليتمّ الاحتجاج به، وذلك: أنّ معاذ بن الحرث الأفطس حدّث عن جعفر بن عبد الرحمان البلخي، وكان عثمانياً يفضّل عثمان على أمير المؤمنين عليه السلام، قال: أخبرنا أبو خباب الكلبي، وكان أيضاً عثمانياً، عن الشعبي، ورأيه في الانحراف عن أهل البيت عليه السلام معروف، قال: سمعت وهب بن أبي جحيفة، وعمرو بن شرحبيل، وسويد بن غفلة، وعبد الرحمان الهمداني، وأبا جعفر الأشجعي، كلّهم يقولون: سمعنا علياً عليه السلام على المنبر يقول: ←



«ما هذا الكذب الذي يقولون: ألا إنّ خير هذه الأمة بعد نبيّها أبو بكر وعمر؟» فإذا كانت هذه المقدّمة قد رواها من روى الخبر ممّن ذكرناه مع انحرافه وعصبيته، فلا يلتفت إلى قول من يسقطها، فالمقدّمة إذا ذكرت لم يكن في الخبر احتجاج لهم، بل يكون فيه حجة عليهم، من حيث ينقل الحكم الذي ظنّوه إلى ضده... (انظر الشافي في الإمامة ج ٣: ص ١١٣). وقد وقع ما أخبر به أمير المؤمنين عليه السلام؛ فقد روى هذا الخبر المكذوب عليه الرواة الضعفة والناصبية، كالشعبي، الذي هو عماد هذه الرواية في كتب القوم، وعمر بن حريث، وقضاة السلاطين السوء، كشريك بن عبد الله، وشريح، وغيرهم. واستقصاء طرقه وتبيين ضعفها يحتاج إلى وقت لا يسعه المجال هنا. وقد كذّبه الإمام زين العابدين عليه السلام، إذ روى الطبراني في المعجم الأوسط عن حكيم بن جبير، وهو أحد رواة الحديث عندهم، أنّه قال: قلت لعليّ بن حسين: أشهد على عبد خير أنّه حدّثني أنّه سمع عليّاً يقول على هذا المنبر: خير هذه الأمة بعد نبيّها أبو بكر ثمّ عمر، وقال: "لو شئت لسميت ثالثاً". فضرب عليّ بن حسين يده على فخذي، وقال: حدّثني سعيد بن المسيّب، أنّ سعد بن أبي وقاص حدّثني: أن قال عليه السلام لعليّ: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى» (انظر المعجم الأوسط ج ٣: ص ١٣٩). وفي رواية الخطيب: يا سيدي، إنّ الشعبي حدّث عن أبي جحيفة وهب الخير: أنّ أباك صعد المنبر، فقال: خير هذه الأمة بعد نبيّها أبو بكر وعمر، فقال: أين يذهب بك يا حكيم؟ حدّثني سعيد بن المسيّب... (انظر تاريخ بغداد ج ٩: ص ٣٧٠). ورواه ابن عساكر من عدّة طرق عن حكيم بن جبير، ولكن حاول أن يؤوّل بتأويل بارد (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٣٠: ص ٣٥٩، في ترجمة أبي بكر، وج ٤٢: ص ١٥٢، في ترجمة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام). وأمّا دعواه أنّ الشيعة المتقدّمين كانوا يقرّون بذلك، فلم يأت عليها بدليل، إلّا قول شريك بن عبد الله، وشريك ليس من الشيعة، ومعرفة حاله أمر سهل على كلّ أحد، فما أسهل الرجوع إلى ترجمته في كتب الرجال لمعرفة حاله، مع أنّ الرواية مكذوبة.

منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨ ١٠٧٣

وفي تهذيب التهذيب قال الساجي: كان يرى القدر^(١). قلت: وليس جميع من يرى القدر شيعي، فإنّ المعتزلة بأجمعهم يرون القدر وهم قائلون بإمامة الثلاثة^(٢)،

(١) انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٤: ص ٢٩٦

(٢) لا يخفى أنّ مسألة القدر من المسائل التي وقع الكلام فيها في الصدر الأوّل فأنكرها قوم، وذهبوا إلى أنّ أعمال العباد تتعلّق بإرادة الله بحيث لا يكون للعبد اختيار في أعماله. وفي قبالهم جماعة أخرى ذهبوا باستقلال العباد في أعمالهم، بحيث ذهبوا إلى تفويض الأمور إليهم. وبعبارة أخرى أنّ البحث يرجع بين الطرفين في أنّ الإنسان هل يكون مسلوب الاختيار، بحيث ما يفعله الإنسان من الخير والشرّ يكون بإرادة الله، وهذا معناه أنّ الإرادة الله قد تعلقت بما يفعله الإنسان سواء كان فعله حسناً أو ظلماً وقيحاً، وهو قول الأشاعرة وهم الأكثرية من أهل السنّة. وفي قبالهم المعتزلة وهم يعتقدون العدل الإلهي يقتضي عدم تعلّق إرادة الله بأفعال العباد، إذ يستلزم صدور الظلم من الله وهو محال عقلاً. فهؤلاء يسمّونهم العدليّة أو المعتزلة وقد ذهبوا إلى أنّ الخطابات القرآنيّة والسنة النبويّة يكلف الناس بما هم قادرون على فعله أو تركه، وإلاّ بطل الثواب والعقاب والمدح والذمّ. فثبتوا المشية والقدرة المستقلّتين للإنسان في فعله، وسمّوا هؤلاء بالقدرية. واحتدم الجدل بين الفريقين، وانحازت الدولة الأمويّة ومن بعدها العبّاسيّة باستثناء بعض خلفائها، وأكثريّة أهل السنّة للقول بالجبر. ومنذُ أواخر القرن الرابع الهجري، ذهب بعض أهل السنّة إلى مفهوم الكسب، أي خلق الله للفعل حين إرادة الإنسان الكسب، ومهما قيل فهو عين الجبر.

ولا يخفى على الخير أنّ الآيات القرآنيّة والمأثورات التاريخيّة تشهد بأنّ فكرة الجبر كانت موجودة قبل الإسلام. ومن المؤسف أن يكون الاعتقاد السائد بين أكثر أهل السنّة هو القول بالجبر لعلل سياسية من السلطات الغاشمة، واحتكاكات ثقافيّة مشبوهة بين المستسلمين من الأحرار والرهبان، والمسلمين. وإليك ما له صلة بهذا المقام: قال القاضي عبد الجبار عن أبي علي الجبائي في كتاب "فضل الاعتزال": "ثمّ حدث رأي المجبرة من



معاوية لما استولى على الأمر، وحدث من ملوك بني أمية مثل هذا القول. فهذا الأمر الذي هو الجبر نشأ في بني أمية وملوكهم وظهر في أهل الشام ثم بقي في العامة وعظمت الفتنة فيه" (انظر فضل الاعتزال: ص ١٢٢). وقال ابن المرتضى: "ثم حدث رأي المجبرة من معاوية وملوك بني مروان فعظمت به الفتنة" (انظر البحر الزخار، لابن المرتضى ج ١: ص ٣٩، س ١٧). وقال ابن الأثير: وهذا معبد الجهني وهو أول من قال بنفي القدر بمعنى نفي الجبر ونشر هذه الفكرة، فقتله الحجاج بن يوسف الثقفي الذي تولى إمارة العراق من قبل الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان عام ٨٠. وقيل إن الذي تولى قتله صلباً هو نفس عبد الملك بن مروان (انظر الكامل لابن الأثير ج ٤: ص ٤٥٦). وقال الطبري: وهذا غيلان الدمشقي أخذ القول بالاختيار عن معبد الجهني، فنشر الفكرة في دمشق فكاد عمر بن عبد العزيز أن يقتله لولا أن تراجع غيلان عن رأيه وأعلن توبته ولكّنه عاد إلى هذا الكلام أيام هشام بن عبد الملك، فأمر هشام بصلبه على باب دمشق بعد أن أمر بقطع يديه ورجليه عام ٢٥ (انظر تاريخ الطبري ج ٥: ص ٥١٦، والكامل ج ٥، ص ٣٦٣). قال ابن الخياط: إن هشام بن عبد الملك لما بلغه قول غيلان بالاختيار، قال له: ويحك يا غيلان لقد أكثر الناس فيك، فنازعنا في أمرك، فإن كان حقاً أتبعناك. فاستدعى هشام، ميمون بن مروان ليكلّمه، فقال له غيلان: أشاء الله أن يعصى؟ فأجابه ميمون: أفعصي كارهاً؟ فسكت غيلان. فقطع هشام بن عبد الملك يديه ورجليه (انظر الانتظار لابن الخياط: ص ١٣٩). وجاء في رواية ابن نباتة: إن عمر بن عبد العزيز لما بلغه قول غيلان بالاختيار استدعاه وقال له: ما تقول؟... (لاحظ الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة للسيد هاشم معروف الحسني: ص ١٧٤). وهذا معناه أن جميع السليبيات الموجودة في الحكومات التابعة لخلافة السقيفة يرجع إلى ما بنى عليه خلفائهم كحجر الأساس. ومن الأمور التي أحدثها خلفاء الجور في الإسلام وجعلوها كسنة سيئة جارية بين المسلمين هي اختراع مذهب الجبر الذي كان له جذور في الجاهلية فنشروا هذه العقيدة بين المسلمين لتثبيت حكومتهم وسلطتهم على الناس. وعلى سبيل المثال أن معاوية بن أبي سفيان الذي كانت خلافته امتداداً لخلافة السقيفة وأساساً لحكومة بني أمية، قد اعتنى لهذه النظرية، وأمر المرتزقة من أهل العلم المتقربين





إليه بترويجه بين الناس ليجعل علماء أهل السنة أساساً لمعتقداتهم في أصول دينهم، وبنوا عليه في باب الإمامة، لتعتمد عليها الحكام الظلمة واحداً بعد آخر حتى انتهى أمر إليه. فاستطاع معاوية بمكره أن يخدع المسلمين بهذه النظرية، فجعل ولاية العهد لابنه يزيد الذي كان معروفاً عند المسلمين بخموره وفسوقه وفجوره وارتكابه أشنع المعاصي خليفة لهم، ولم يسمح لأحد أن يعترض عليه. ثم أيضاً من العجائب التي فعلها معاوية هي إلحاق ابن الزنا بالزاني مع أن الزانية كانت لها زوج، والحكم في الإسلام في مثل ذلك إلحاق الولد بالزوج، لأنه صاحب الفراش، فهو أحق من التحاق الولد إليه. ولكن معاوية خالف هذا الحكم في استلحاق زياد بن أبيه بأبي سفيان (انظر الكامل في التاريخ ج ٣: ص ٤٤٤، وتاريخ مدينة دمشق ج ١٩: ص ٧٦). وقد أخرج البخاري بسنده عن سعد بن أبي وقاص عن رسول الله ﷺ قال: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» (صحيح البخاري ج ٣: ص ٥ كتاب البيوع، باب تفسير المشتبهات). فهذه البدعة من معاوية لاستخفافه بأحكام الإسلام ولترويجه عدم مبالاته من الزنا، بل وإنه كان يفتخر بأن زياد بن أبيه كان ملحقاً بأبي سفيان، وذلك باعتبار أن أباه قد زنى بامرأة معروفة، فتولد منها زياد من الزنا. قال سعيد بن المسيب: أول قضية ردت من قضاء رسول الله ﷺ علانية قضاء فلان (معاوية) في زياد (انظر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ١٩: ص ١٧٩). وقال ابن أبي نجيح: أول حكم رد من حكم رسول الله ﷺ علانية الحكم في زياد (انظر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ١٩: ص ١٧٩). وقد اعترض الكثيرون على معاوية على فعلته هذه، منهم النسابة المعروف في زمانه أبو العريان العدوي، إلا أن معاوية أسكتهم بمائتي دينار بعثها إليه (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦: ص ١٨٧). كذلك اعترض عليه يونس بن سعيد بن عبيد على هذا الاستلحاق (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦: ص ١٨٧). وهذا لم تنفع معه إغراءات معاوية فدرس إليه السم فقتله (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦: ص ١٨٧). وكذلك اعترض عليه أبو بكرة أخو زياد وحلف أن لا يكلمه أبداً (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦: ص ١٨٧). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام، مع أنه لم يختلف اثنان من المسلمين على حرمة الزنا. فهذه





القضية تكشف عن حقيقة معاوية كالنار على المنار، حيث أنّ عدم الأهمية بالزنا معناه أنّه لم يكن الزنا محرماً عنده، حيث أنّه لم يبالي بقول الناس: أنّ معاوية يتظاهر بالإسلام للمحافظة على كرسي الحكم. ولم يترك شيء في سبيل بقاء ذلك الكرسي حتّى لو كان ثمنه هدم الإسلام وإنكار ما جاء به النبي ﷺ وجعل الحلال حراماً والحرام حلالاً. وهذا يدلّ على أنّه لم يدخل الإيمان قلبه ولو لحظة واحدة، وإنّما أراد تحقيق حلم بني أمية وبني سفيان الذي قال لعثمان يوماً عندما رآه يبذل المال على بني أمية: "بأبي أنت وأمي، أنفق ولا تكن كأبي حجر وتداولوها يا بني أمية تداول ولدان، فوالله ما من جنة ولا نار" (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢: ص ٤٥). ثمّ أنّ معاوية نفسه مولود من امرأة زانية تدعى هند وكانت معروفة بالزنا عند العرب، بل من ذوات الأعلام في الجاهلية (انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ٨: ص ١٤٠). والناس كانوا يعرفونه، وكلّ ما فعله معاوية من الإجرام كان مبنياً على بثّ بدعة مذهب الجبر بين الناس ليرغمهم على قبول بيعة السقيفة ومبايعة حكام بني أمية، وقد ساعده على هذه البدعة في الدين العلماء المنحرفون الذين باعوا دينهم بدنيا غيرهم، وذلك أمثال الحسن البصري الذي كان يقول عن الوالي الظالم: إنّما هو نعمة فلا تقابل نعمة الله بالسيف وعليكُم بالصبر والسكينة (انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ٩: ص ١٥٥).

أمّا موقف النبي ﷺ وأهل بيته الطاهرين ﷺ في هذه المسألة فهي واضحة، إذ قد بيّنها لشيعتهم من خلال الروايات الواردة عنهم ﷺ. وقد قال النبي الأكرم ﷺ: "سيأتي زمان على أمتي يؤوّلون المعاصي بالقضاء، أولئك بريئون مني وأنا منهم براء" (انظر الصراط المستقيم لعلي بن يونس العاملي: ص ٣٢). وقال رسول الله ﷺ: «خمسة لا يستجاب لهم: أحدهم مرّ بحائط مائل وهو يقبل إليه، ولم يسرع المشي حتّى سقط عليه...» (انظر بحار الأنوار ج ٥: ص ١٠٥، باب القضاء والقدر، ذيل الحديث ٣١). وفي حديث قيل لرسول الله ﷺ: رُقِيَ يستشفى بها هل تردّ من قدر الله؟ فقال: «أنّها من قدر الله» (بحار الأنوار ج ٥: ص ٨٧). والرقى جمع الرقية بمعنى العوذة. فقد جعل رسول الله التمسك بالأسباب جزءاً من تقديره سبحانه، فأعلّم بذلك أن ليس التقدير سلباً للاختيار، بل خيرة الإنسان





وحرّيته في مجال الحياة من تقديره سبحانه. وقال رسول الله ﷺ: «في كل قضاء الله عزّ وجلّ خيرة للمؤمن» (انظر كتاب التوحيد للشيخ الصدوق رحمه الله: ص ٣٧١). وهذا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، باب علم النبي ﷺ يوضّح لنا مكانة التقدير بالنسبة إلى الاختيار. روى الأصمعي بن نباتة أنّ أمير المؤمنين عليه السلام عدل من حائط مائل إلى حائط آخر ف قيل له: يا أمير المؤمنين أتفرّ من قضاء الله؟ قال: «أفرّ من قضاء الله إلى قدر الله عزّ وجلّ» (انظر التوحيد للصدوق رحمه الله: ص ٣٦٩). ولما انصرف الامام أمير المؤمنين عليه السلام من صفين أقبل شيخ فجتا بين يديه ثم قال له: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن مسيرنا إلى أهل الشام، أبقياء الله وقدره؟ فقال: «أجل يا شيخ، ما علوت من تلعة ولا هبطت من واد إلا بقضاء من الله وقدر». فقال الشيخ: عند الله احتسب عنائي يا أمير المؤمنين. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «مه يا شيخ! فوالله لقد عظم الله لكم الأجر في مسيركم وأنتم سائرون، وفي مقامكم وأنتم مقيمون، وفي منصرفكم وأنتم منصرفون، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا إليه مضطرين». فقال الشيخ: كيف لم تكن في شيء من حالاتنا مكرهين ولا إليه مضطرين، وكان بالقضاء والقدر مسيرنا ومنقلبنا ومنصرفنا. فقال أمير المؤمنين: «أو تظنّ أنّه كان قضاءً حتماً وقدرًا لازماً؟ أنّه لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب، والأمر والنهي، والزجر من الله تعالى، وسقط معنى "الوعد والوعيد" ولم تكن لائمة للمذنب، ولا محمداً للمحسن، ولكان المذنب أولى بالإحسان من المحسن، ولكان المحسن أولى بالعقوبة من المذنب. وتلك مقالة إخوان عبدة الأوثان، وخصماء الرحمان، وحزب الشيطان، وقدرية هذه الأمة ومجوسها (قد أطلق الإمام لفظ القدريّة هنا على مثبتي القدر لا نفاته على خلاف ما اشتهر بين المتكلمين). وإنّ الله كلّف "تخييراً" ونهى "تحذيراً" وأعطى على القليل كثيراً، ولم يعص مغلوباً ولم يُطع مكرهاً، ولم يملك مفوضاً، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، ولم يبعث النبيين مبشرين ومنذرين عبثاً، ذلك ظنّ الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار» (انظر التوحيد للصدوق رحمه الله: ص ٣٨٠، ح ٢٨). وأيضاً قال مولانا الامام أمير المؤمنين عليه السلام عندما سئل عن القضاء والقدر: «لا تقولوا وكلّهم الله إلى أنفسهم فتوهنوه، ولا تقولوا أجبرهم على المعاصي فتظلموه، ولكن قولوا





الخير بتوفيق الله والشرّ بخذلان الله، وكلّ سابق فبعلم الله» (انظر بحار الأنوار ج ٥: ص ٩٥). وقد كتب الحسن بن أبي الحسن البصري إلى الإمام الحسين عليه السلام يسأله عن القدر، فكتب إليه: «فاتّبع ما شرحت لك في القدر ممّا أفضي إلينا أهل البيت، فإنّه من لم يؤمن بالقدر خيره وشره فقد كفر، ومن حمل المعاصي على الله عزّ وجلّ فقد افتري على الله افتراء عظيمًا، إنّ الله تبارك وتعالى لا يطاع بإكراه، ولا يعصى بغلبة ولا يهمل العباد في الهلكة، لكنّه المالك لما ملكهم، والقادر لما عليه أقدرهم. فإن ائتمروا بالطاعة، لم يكن الله صائدًا عنها مبطلًا، وإن ائتمروا بالمعصية فشاء أن يمنّ عليهم فيحول بينهم وبين ما ائتمروا به فعل. وإن لم يفعل فليس هو حملهم عليها قسرًا، ولا كلفهم جبرًا بل يتمكّنه إيّاهم بعد إعذاره وإنذاره لهم واحتجاجه عليهم، طوقهم ومكنهم وجعل لهم السبيل إلى أخذ ما إليه دعاهم، وترك ما عنه نهاهم جعلهم مستطيعين لأخذ ما أمرهم به من شيء غير آخذه. ولترك ما نهاهم عنه من شيء غير تاركه، الحمد لله الذي جعل عباده أقوياء لما أمرهم به ينالون بتلك القوة، وما نهاهم عنه. وجعل العذر لمن يجعل له السبيل حمداً مقبلاً فأنا على ذلك أذهب وبه أقول. والله وأنا وأصحابي أيضاً عليه، وله الحمد» (انظر بحار الأنوار ج ٥: ص ١٢٣). وقال الإمام الصادق عليه السلام: «كما أنّ بادئ النعم من الله عزّ وجلّ وقد نحلكموه، كذلك الشرّ من أنفسكم وإن جرى به قدره» (بحار الأنوار ج ٥: ص ١١٤). وقال الإمام الرضا عليه السلام، فيما يصف به الربّ: «لا يجور في قضية، الخلق إلى ما علم متقادون، وعلى ما سطر في كتابه ماضون، لا يعملون خلاف ما علم منهم، ولا غيره يريدون» (بحار الأنوار ج ٥: ص ١٠١). وروى الشيخ الطبرسي رحمته الله بسنده عن عبد العظيم الحسني عليه السلام عن إبراهيم بن أبي محمود قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَتَرْكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصَرُونَ﴾، فقال: «إنّ الله تبارك وتعالى لا يوصف بالترك كما يوصف خلقه، ولكنّه متى علم أنّهم لا يرجعون عن الكفر والضلال منعهم المعاونة والطف، وخلق بينهم وبين اختيارهم». قال: وسألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾، قال: «الختم هو الطبع على قلوب الكفار عقوبة على كفرهم، كما قال عزّ وجلّ: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾». قال: وسألته عن الله عزّ وجلّ





وجلّ هل يجبر عباده على المعاصي؟ قال: «لا، بل يخيرهم ويمهلهم حتى يتوبوا». قلت: فهل يكلف عباده ما لا يطيقون؟ فقال: «كيف يفعل ذلك وهو يقول: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾». ثم قال: «حدثني أبي موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام، أنه قال: "من زعم أن الله يجبر عباده على المعاصي ويكلفهم ما لا يطيقون فلا تأكلوا ذبيحته، ولا تقبلوا شهادته، ولا تصلّوا وراءه، ولا تعطوه من الزكاة شيئاً" (الاحتجاج للشيخ الطبرسي رحمته الله ج ٢: ص ١٩٦). وعن يزيد بن عمير بن معاوية الشامي قال: دخلت على علي بن موسى الرضا عليه السلام بمرو، فقلت له: يا بن رسول الله روي لنا عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: «لا جبر ولا تفويض، بل أمر بين الأمرين»، ما معناه؟ فقال: «من زعم أن الله يفعل أفعالنا ثم يعذبنا عليها، فقد قال بالجبر. ومن زعم أن الله فوّض أمر الخلق والرزق إلى حججه عليهم السلام فقد قال بالتفويض. والقائل بالجبر كافر، والقائل بالتفويض مشرك». فقلت: يا بن رسول الله فما أمر بين الأمرين؟ فقال: «وجود السبيل إلى إتيان ما أمروا به وترك ما نهوا عنه». قلت: وهل لله مشيئة وإرادة في ذلك؟ فقال: «أما الطاعات فإرادة الله ومشيتته فيها الأمر بها والرضا لها والمعاونة عليها، وإرادته ومشيتته في المعاصي، النهي عنها، والسخط لها والخذلان عليها». قلت: فله عز وجل فيها القضاء؟ قال: «نعم، ما من فعل يفعله العباد من خير أو شر إلاّ والله فيه قضاء». قلت: ما معنى هذا القضاء؟ قال: «الحكم عليهم بما يستحقّونه من الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة؟» وروي أنه ذكر عنده الجبر والتفويض، فقال: «إنّ الله لم يطع بإكراه، ولم يعص بغلبة، ولم يهمل العباد في ملكه، هو المالك لما ملكهم، والقادر على ما أقدرهم عليه، فإن ائتمر العباد بطاعة لم يكن الله عنها صادداً، ولا منها مانعاً، وإن ائتمروا بمعصية فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل، وإن لم يحل وفعلوه فليس هو الذي أدخلهم فيه»، ثم قال عليه السلام: «من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه» (انظر الاحتجاج للشيخ الطبرسي رحمته الله ج ٢: ص ١٩٨). وإلى غير ذلك ممّا ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام. وملخص الكلام أنّ قول الشيعة غير ما قاله المعتزلة في باب القدر. فليس ما يرى القدر معناه أنّه



١٠٨٠ منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨
ولم يتعرّض لذلك في التقريب^(١)، ومثله الذهبي^(٢). وبالجمله فقد علمت بأنّ
الشيعة من عمل بجميع ما وردت به الشريعة^(٣)،



شيعة، فإنّ المعتزلة بأجمعهم يرون القدر وهم قائلون بخلافة خلفاء الجور، وهذا لا
ينسجم مع ما يصرحون به في الاعتقاد كما سيتضح ذلك للقارئ الكريم في محله أن شاء
الله تعالى فلاحظ.

(١) انظر تقريب التهذيب ج ١: ص ٤١٨، ولم يذكر فيه: أنّه كان يرى القدر.

(٢) انظر ميزان الاعتدال ج ٢: ص ٢٦٩

(٣) وبعبارة أوضح أنّ الشيعة الإمامية هي الوحيدة بين المسلمين التي تفتخر بالتمسك بالثقلين
على وجه العموم والإطلاق، فإنّهم يتمسكون بالقرآن والعترة الطاهرة عليه السلام معاً، لأنّ
حديث الثقلين المتواتر لدى الفريقين يدلّ على ضمان من تمسك بالثقلين وعدم وقوعهم
في الضلالة والهلاك. وأمّا من لم يتمسك بهما فهو في معرض الانزلاق والهلاك. ولا
شكّ أنّ أتباع السقيفة مع تصريحهم بصحة الحديث وتواتره فلم يتمسكوا بهما معاً،
فخرجوا بذلك عن طاعة الله ورسوله ﷺ وطاعة أوليائه، ودخلوا في طاعة الطاغوت كما
قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ
مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (سورة النحل: ٣٦)، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ
مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَظْبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ
الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (سورة المائدة: ٦٠). فخالفوا
أوامر الله ورسوله ﷺ ودخلوا طاعة الطاغوت، وحكومة الطغاة، كما خرجوا من سفينة
أهل البيت عليه السلام الذي يدلّ حديث السفينة على أنّ طريق النجاة الوحيد منحصر في
ركوب سفينة أهل البيت عليه السلام، واللّوذ بهم عليه السلام، والاعتصام بحجزتهم عليه السلام، والتمسك
بتعاليمهم عليه السلام وسنتهم عليه السلام. وليس هناك شكّ في دلالة الحديث على وجوب طاعة أهل
البيت عليه السلام، وإلاّ هل لعاقل أن تأخذه أمواج عاتية، فيشرف حتماً على الغرق والضياع، ثمّ





يتردد في النجاة، ولا يركب سفينة الإنقاذ!! فحديث السفينة من الأدلة البينة والواضحة على أنّ طريق الهدى والنجاة من الهلكة والضلال إنما تكون منحصرة بالتمسك بأهل البيت عليهم السلام.

كما لا يخفى على الخبير أنّ حديث السفينة من الأحاديث المتواترة لدى الفريقين. وقد رواه كبار علماء أهل السنة في كتبهم بطرق عديدة، عن عدّة من الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله. ومن الطبيعي أنّه لا يسعنا المجال هنا لاستقصاء جميع طرقه، وذكر جميع المصادر التي نقلت هذا الحديث، لأنّها كثيرة جداً، ولذلك قال ابن حجر المكي: جاء من طرق عديدة يقوي بعضها بعضاً: «إنّما مثل أهل بيتي كمثّل سفينة نوح، من ركبها نجا». وفي رواية مسلم: «ومن تخلف عنها غرق». وفي رواية: «هلك» (انظر الصواعق المحرقة: ص ٢٣٤). فنشير هنا إلى بعض متون الحديث من باب المثال. فقد أخرج أحمد بن حنبل بسنده عن حنش الكنانى، قال: سمعت أبا ذر يقول، وهو آخذ بباب الكعبة: من عرفني فأنا من قد عرفني، ومن أنكرني فأنا أبو ذر، سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «ألا إنّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك» (انظر كتاب فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج ٢: ص ٧٨٥)، ورواه الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين ج ٢: ص ٣٤٣، والهيثمى في مجمع الزوائد ج ٩: ص ١٦٨، والطبراني في المعجم الأوسط ج ٤: ص ١٠ وغيرهم. وأخرج الهيثمي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «إنّما مثل أهل بيتي فيكم كمثّل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وإنّما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة في بني إسرائيل من دخله غفر له» (مجمع الزوائد ج ٩: ص ١٦٨). ورواه الطبراني في المعجم الأوسط ج ٦: ص ٨٥، وابن كثير في تفسيره ج ٤: ص ١٢٣، والمناقب لابن المغازلي: ص ٣٢٤، وإلى غير ذلك من المصادر التي نقلت هذا الحديث.

وأما دلالة الحديث فهي واضحة، لأنّ الحديث يدلّ على وجوب متابعة أهل البيت عليهم السلام، وما أروعه من التشبيه فيه الدالّ على التحذير عن الهلاكة والترغيب إلى النجاة. فكأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يتطلّع صوب المستقبل من وراء حُجب الغيب، فيصره مليناً بالفتن والضلالات





التي يشبّها بالأمواج المتلاطمة العاتية، فشبهه ﷺ الدنيا ببحر يموج بأمواجه الجبلية، بأمواج الثقافات البشرية، والناس في وسط هذا البحر يبحثون عن لوح يتشبثون به من أجل النجاة. وفي وسط هذه الأمواج الممعة، في هذه اللجة، وإذا بسفينة النجاة التي تريد أن تأخذ بيد جميع الناس وتهديهم إلى ساحل الأمن والنجاة، وهي سفينة أهل البيت ﷺ. فالتشبيه جميل، إذ قد شبه رسول الله ﷺ فيه الفتن والضلالات بالأمواج الثقافية المتناقضة من كلّ حذب وصوب: من الغرب ومن الشرق، من الخارج ومن الداخل، من الماضي والحاضر، وكلّ يدليّ بدلائه الفكرية ويدعي الصواب، والحال أنّ الوضع هو كوضع قوم نوح، لأنّ البشرية في وسط الممعة، في لجة ظلماء، يحتاج إلى السفينة ليركب فيها للنجاة عن الغرق والهلاك. إذن ينبغي أن تكون الأمة على حذر من الهلاك والغرق، وأن تدرك أنّ طريق النجاة الوحيد التي ستحصل بالركوب في سفينة أهل البيت ﷺ، والاعتصام بهم، والتمسك بتعاليمهم وسنتهم ﷺ. فليس هناك شكّ في دلالة الحديث على وجوب طاعة أهل البيت ﷺ. وقد اعترف بذلك شرّاح الحديث من أهل السنّة قال الطيبي بشرح الحديث عن أبي ذر الغفاري: قوله: وهو آخذ باب الكعبة، أراد الراوي بهذا مزيد توكيد لإثبات هذا، وكذا أبو ذرّ اهتمّ بشأن روايته، فأورده في هذا المقام على رؤوس الأنام ليمسكوا به. وفي رواية له بقوله: من عرفني فأنا من قد عرفني، ومن أنكرني فأنا أبو ذرّ، سمعت النبي ﷺ يقول: «ألا إنّ مثل أهل بيتي...» الحديث. أراد بقوله: فأنا أبو ذرّ، المشهور بصدق اللهجة وثقة الرواية، وأنّه هذا حديث صحيح لا مجال للردّ فيه. وهذا تلميح إلى ما رويناه عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء، أصدق من أبي ذرّ»، وفي رواية أبي ذرّ: «من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذرّ شبه عيسى بن مريم»، فقال عمر بن الخطّاب كالحاسد: يا رسول الله أتعرف ذلك؟! قال: «ذلك فاعرفوه». أخرجه الترمذي وحسنه الصنعاني في كشف الحجاب شبه الدنيا بما فيها من الكفر والضلالات والبدع والأهواء الزائغة، ببحر لجّي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحب، ظلمات بعضها فوق بعض، وقد أحاط بأكفافه وأطرافه الأرض كلّها، وليس فيه خلاص ومناص إلاّ تلك





السفينة، وهي: محبة أهل بيت رسول الله ﷺ (انظر كتاب شرح المشكاة للطبي المسمى بالكاشف عن حقائق السنن لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي: المخطوط). وقال القاري بمثل كلمات الطيبي واستشهد بها (انظر المرقاة في شرح المشكاة ج ٥: ص ٦١٠). وقال السهودي: قوله ﷺ: «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه...» الحديث. ووجه: إنّ النجاة ثبت لأهل السفينة من قوم نوح ﷺ... ومحصّله: الحثّ على التعلّق بحبلهم وحبّهم وإعظامهم شكراً لنعمة مشرفهم ﷺ، والأخذ بهدي علمائهم ومحاسن أخلاقهم وشيمهم. فمن أخذ بذلك نجا من ظلمات المخالفة، وأدّى شكر النعمة الوافرة، ومن تخلف عنه غرق في بحار الكفران وتيار الطغيان، فاستوجب النيران (انظر كتاب جواهر العقدين في فضل الشرفين شرف العلم الجلي والنسب العلي، لعلي بن عبد الله الحسيني السهودي: مخطوط). وقال المناوي: «إنّ مثل أهل بيتي» فاطمة وعلي وابنيهما، وبينهما أهل العدل والديانة «فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك». وجه التشبيه: أنّ النجاة ثبت لأهل السفينة من قوم نوح، فأثبت المصطفى ﷺ لأئمته بالتمسك بأهل بيته النجاة وجعلهم وصلة إليها. ومحصّله: الحثّ على التعلّق بحبّهم وحبلهم وإعظامهم شكراً لنعمة مشرفهم، والأخذ بهدي علمائهم، فمن أخذ بذلك نجا من ظلمات المخالفة، وأدّى شكر النعمة المترادفة. ومن تخلف عنه غرق في بحار الكفران وتيار الطغيان فاستحقّ النيران، لما أنّ بغضهم يوجب النار كما جاء في عدّة أخبار، كيف وهم أبناء أئمة الهدى ومصابيح الدجى، الذين احتجّ الله بهم على عباده، وهم فروع الشجرة المباركة وبقايا الصفوة، الذين أذهب عنكم الرجس وطهرهم، وبرأهم من الآفات، وافترض مودّتهم في كثير من الآيات، وهم العروة الوثقى، ومعدن التقى. واعلم أنّ المراد بأهل بيته في هذا المقام العلماء منهم، إذ لا يحثّ على التمسك بغيرهم وهم الذين لا يفارقون الكتاب والسنة حتّى يردوا معه على الحوض (انظر فيض القدير في شرح الجامع الصغير للمناوي ج ٢: ص ٥١٩). وقال ابن حجر المكي مثل ذلك (انظر الصواعق المحرقة: ص ٢٣٤). وإلى غير ذلك من أقوالهم في شرح الحديث. وملخص الكلام أنّ مدلول الحديث واضح لا غبار عليه، إذ يدلّ على وجوب التمسك بأهل



١٠٨٤ منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨

فمن قال بوجود فضل وخير في الثلاثة ليس بشيعي من حيث ورود السنن المعروفة الصحيحة بأنّ الثلاثة بعيدون عن الخير والفضل وفاعلون للمبتدعات والشرّ حسبما تقدّم البيان بأتقن برهان^(١).



البيت ﷺ، والأخذ بتعاليمهم وسنتهم وهذا معناه وجوب طاعتهم ﷺ كوجوب طاعة رسول الله ﷺ، وعليه فإنّ الشيعة الإمامية بتمسّكهم بالعترة الطاهرة ﷺ عملوا بجميع ما وردت به الشريعة، فلاحظ

(١) وبعبارة أوضح أنّ الشيعة في مقام الاعتقاد والعمل يلزم عليه الالتزام بما أمره الله تعالى في كتابه العزيز، وبما جاء به رسول الله ﷺ، وحيث أنّ الشيعة تعتقد بأنّ النصوص الواردة كتاباً وسنة على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أكثر من أن تحصى، وأنّ رسول الله ﷺ نصبه خليفة وإماماً مفترض الطاعة بأمر الله تعالى، وأنّ الإمامة أصل من أصول الدين والمذهب الحقّ، ولا يقبل إيمان عبد من دونها، وأنّ المنكر الجاحد للولاية على حدّ الشرك بالله تعالى... فمن يعتقد بهذا الاعتقاد يلزم عليه في مقام العمل انعكاس هذا الإيمان والاعتقاد بهذه الأصول وخاصّة الإمامة على الجوارح بالتوكلي والتبرّي، أي بعد الاعتقاد بأحقّية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ بالإمامة بعد رسول الله ﷺ بلا فصل، يجب عليه مراعاة حقوق الإمامة في العمل، كما يجب عليه التبرّي من أعدائه. فالتوكلي: الحبّ والمودة لأولياء الله قلباً وإظهاره عملاً، والتبرّي: الكره والمعاداة للكافرين والفاسقين وأعداء الدين وأولياء الله قلباً وإظهاره عملاً بحسب الضوابط الشرعيّة. وعليه يعتبر في عقيدة الشيعة التوكلي لأهل بيت العصمة ﷺ والتبرّي من أعدائهم. وهذين الأمرين ركنين أساسيين من أركان التشيع التين تدور حولهما بقية الخصال والصفات، بل وحتى الأمور التشريعيّة، فإنّها ما لم تقترن بهما، فإنّها لن تكسب صاحبها عظيم الأجر ورفيع الدرجات، فهما تقبل الأعمال وبهما ينال الإنسان الشفاعة وبهما تحدّد هوية المرء وانتماؤه وموقفه، ومن المفيد الإشارة إلى أنّ التعلّق بأحد الركنين دون الآخر لا قيمة له، فإنّ المحبّة والولاء لأهل بيت العصمة ﷺ، لا يكفي لأن





يكون من الشيعة إلا بالتبري من أعدائهم وأن يقف في مواجهتهم. وذلك لأن الله تبارك وتعالى قال: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ (سورة المجادلة: ٢٢). هذه الآية من أقوى الآيات القرآنية التي تحذر المؤمنين من إمكانية الجمع بين حب الله وحب أعدائه، إذ لا بد من اختيار طريق واحد لا غير، وإذا ما كانوا حقاً مؤمنين صادقين فعليهم اجتناب حب أعداء الله، يقول تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ...﴾، فالتبري في جوهره ينافي أدنى درجات التودد لأعداء أهل بيت العصمة عليه السلام. وقد ورد في الحديث عن ابن فضال قال سمعت الرضا عليه السلام يقول: «من واصل لنا قاطعاً، أو قطع لنا واصلًا، أو مدح لنا عائباً، أو أكرم لنا مخالفًا فليس منا ولسنا منه» (انظر كتاب صفات الشيعة للشيخ الصدوق رحمته الله: ص ٧). وقال الصادق عليه السلام: «كذب من زعم أنه من شيعتنا وهو متمسك بعروة غيرنا» (انظر كتاب صفات الشيعة للشيخ الصدوق رحمته الله: ص ٣). فأهل البيت عليه السلام وأعداؤهم على طرفي نقيض فالاقتراب من أحدهما ابتعاد عن الآخر وبالعكس، فعن ابن فضال عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «من والى أعداء الله فقد عادى أولياء الله، ومن عادى أولياء الله فقد عادى الله تبارك وتعالى، وحق على الله عز وجل أن يدخله في نار جهنم» (انظر كتاب صفات الشيعة للشيخ الصدوق رحمته الله: ص ٧). وعن أبي عبد الله عليه السلام: «من أشبع عدوًّا لنا فقد قتل وليًّا لنا» (انظر كتاب صفات الشيعة للشيخ الصدوق: ص ٩). عن العلاء بن الفضيل عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «من أحب كافرًا فقد أبغض الله، ومن أبغض كافرًا فقد أحب الله»، ثم قال عليه السلام: «صديق عدو الله عدو الله» (انظر الأماشي للشيخ الصدوق رحمته الله: ص ٧٠٢). وأيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «من جالس أهل الريب فهو مريب» (انظر كتاب صفات الشيعة للشيخ الصدوق: ص ٩). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة عنهم عليه السلام، فالشيعة إنما يعرف بهذين الركبتين الأساسيتين، أعني التولي والتبري. وعليه فإن مثل شريك بن عبد الله بن نمر لا يكون من الشيعة بنفس ما رواه ابن تيمية في حقه، لأن الشيعة تعتقد بأن الخلفاء الثلاثة قد ارتكبوا من الظلم ضد أهل البيت عليه السلام أيام خلافتهم ما لا





يسع المجال لاستقصائها في المقام، حيث أنهم كانوا يسعون في كلّ ظلم وجور ضد أهل البيت عليه السلام لتحقيق أهدافهم. فهم رفعوا أعلى راية للمخالفة مع الاسلام والقرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأن مصيبة الأمة الإسلامية انجرت عليها من غصب الخلافة وما لحقه من سائر المخالفات والتحريفات والبدع التي أحدثها الخلفاء الثلاثة في الإسلام، ومن بعدهم حكام بني أمية وبني العباس وأتباع السقيفة الذين كانوا سبباً رئيساً لضيالة الأمة وانحرافها عن خط الرسالة السماوية والنصوص الثابتة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، رغم تأكيد الله سبحانه وتعالى على أن الولاية المشروعة من قبل الله عز وجل في مقابل حاكمية الطاغوت، وهي سلطة من لا ولاية له من قبل الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (سورة النحل: ٣٦). والمستفاد من الآية الكريمة أن أساس دعوة جميع الأنبياء عليهم السلام الدعوة إلى الله ومحاربة الطاغوت، والطاغوت مشتقة من الطغيان وهي بمعنى التجاوز والتعدي وكسر الحدود وتجاهل القيود، وكل شيء يكون وسيلة للطغيان والتمرد محكوم بالطاغوت والحاكم بالباطل الذي يتعدى القوانين الإلهية وقوانين الحق والعدل فهو بنص الآية هو الطاغوت. ولذلك قد حذر الله المؤمنين إلا يخرجوا من طاعة الله ورسوله وطاعة من له الولاية الشرعية من قبل الله عز وجل وإلا سوف يقعون تحت حكومة الطاغوت، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (سورة النساء: ٦٠). وفي الحقيقة أن القرآن الكريم يقول: أن قضية التحاكم إلى الطاغوت ليس خطأ عابراً يمكن أن يعالج ببعض التذكير، بل أنها أساس لجميع مهاوي الضلالات والتوريط للوقوع في الهلكات، والغور في مصائد الشياطين ولذلك قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (سورة المائدة: ٦٠). والمستفاد من الآية الكريمة





أنَّ الخروج عن طاعة الله عزَّ وجلَّ وطاعة من أمر الله بطاعته يدخل الإنسان في عبدة الطاغوت، كما فعله قوم موسى عليه السلام فخرجوا عن طاعة الله وطاعة نبيِّهم عندما خالفوا أمر نبيِّهم وأتبعوا السامري في عبادة العجل. وإذا كان بنو إسرائيل الذينهم من النجباء ومن أولاد الأنبياء دخلوا في طاعة الطاغوت، فما ظنُّك بحال جماعة مضى أكثر عمرهم في الكفر والجاهليَّة وأنَّ الرسوب الجاهليَّة كانت تستأثر بنفوذها في وجودهم وتستهدف الأمة الإسلاميَّة، حيث أنَّها لم تنضج بعد فكرياً لتشعب جذور الجاهليَّة في نفوسهم وقصر مدَّة الإسلام في ربوعه وغيرها من العوامل التي كانت سبباً لرفض النصوص القرآنيَّة والروائيَّة وغضب الخلافة من مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، في حين البدع التي أحدثها الخلفاء الثلاثة في الإسلام والمحرمات التي ارتكبوها ومخالفتهم للشريعة المقدَّسة في أموال المسلمين أكثر من أن تحصى. وهذه الحقيقة تبين للباحثين من خلال الرجوع إلى كتب التاريخ والسيرة، إذ هناك نصوص وروايات رواها كبار علماء الإسلام وكثيراً منهم من علماء أهل السنَّة وهي تدلُّ بالصراحة على بدعة الخلفاء الغاصبين في الإسلام وما فعلوه من الإجماع من قتل النفوس المحترمة ونهب أموال المسلمين وما فيها من الولايات من سوء المصير والكوارث التي جرت على الأمة ما يعلمه كلُّ عارف بالتاريخ. ولا بأس بالعرض اليسير هنا من بعض تلك نصوص تنويراً للأذهان السليمة الخالية عن الشوائب والأوهام. فمنها ما رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج البلاغة، قال: لما بنى عثمان قصره طمار الزوراء وضع طعاماً كثيراً ودعا الناس إليه كان فيهم عبد الرحمن، فلما نظر إلى البناء والطعام قال: يا بن عفَّان لقد صدَّقنا عليك ما كنَّا نكذبُ فيك، وإني أستعيد بالله من بيعتك، فغضب عثمان وقال: أخرجني يا غلام، فأخرجوه وأمر الناس أن لا يجالسوه فلم يكن يأتيه أحد إلا ابن عبَّاس كان يأتيه فيتعلم منه القرآن والفرائض. ومرض عبد الرحمن فعاده عثمان وكلمه فلم يكلمه حتَّى مات (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١: ص ١٩٦). روى البلاذري في أنساب الأشراف، وقال أبو مخنف والواقدي في روايتهما: أنكر الناس على عثمان إعطاءه سعيد بن العاص مائة ألف درهم. وكلمه عليّ والزبير وطلحة وسعد وعبد الرحمن بن عوف في ذلك،





فقال: إنّ له قرابة ورَحماً، قالوا: أما كان لأبي بكر وعمر قرابة ورحم؟ فقال: إنّ أبا بكر وعمر كانا يحتسبان في منع قرابتهما وأنا أحتسب في إعطاء قرابتي. قالوا: فهديهما والله أحب إلينا من هديك، فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله (انساب الأشراف ج ٥: ص ٥١٥). وقال الشيباني: أول من آثر القرابة والأولياء عثمان بن عفّان (انظر العقد الفريد ج ٢: ص ٣٦٥). وروى الطبري عن الواقدي عن أسامة بن زيد عن كعب قال: لمّا وجّه عثمان عبد الله بن سعد إلى أفريقيّة كان الذي صالحهم عليه بطريق أفريقيّة جرجير ألفي ألف دينار وخمسمائة ألف دينار وعشرين ألف دينار، فبعث ملك الروم رسولاً وأمره أن يأخذ منهم ثلاثمائة قنطار كما أخذ منهم عبد الله بن سعد (إلى أن قال): كان الذي صالحهم عليه عبد الله بن سعد ثلاثمائة قنطار ذهب، فأمر بها عثمان لآل الحكم. قلت: أو لمروان؟ قال لا أدري (تاريخ الطبري ج ٣: ص ٣١٤). وقال ابن الأثير في الكامل: وحمل خمس أفريقيّة إلى المدينة فاشترى مروان بن الحكم بخمسمائة ألف دينار فوضعها عنه عثمان، وكان هذا ممّا أخذ عليه، وهذا أحسن ما قيل في خمس أفريقيّة، فإنّ بعض الناس يقول: أعطى عثمان خمس أفريقيّة عبد الله بن سعد. وبعضهم يقول: أعطاه مروان الحكم، وظهر بهذا أنّه أعطى جميع أفريقيّة (الكامل في التاريخ ج ٣: ص ٩١). وروى ابن عساكر لمّا وليهم عثمان لأنّ لهم ووصلهم ثمّ توفى في أمرهم واستعمل أقرباءه وأهل بيته في الست الأواخر وكتب لمروان بخمس مصر وفي نسخة أخرى بخمس أفريقيّة وأعطى أقرباءه المال وتأول في ذلك الصلة التي أمر الله بها واتّخذ المال واستسلف من بيت المال وقال: إنّ أبا بكر وعمر تركا من ذلك ما هو لهما وإنّي أخذته فقسّمته في أقربائي، فأنكر الناس عليه ذلّ (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٣٩: ص ٢٥١). وأخرج البلاذري في الأنساب من طريق الواقدي عن أمّ بكر بنت المسور قالت: لمّا بني مروان داره بالمدينة دعا الناس إلى طعامه وكان المسور فيمن دعا، فقال: مروان وهو يحدثهم: والله ما أنفقت في داري هذه من مال المسلمين درهماً فما فوقه. فقال المسور: لو أكلت طعامك وسكت لكان خيراً لك، لقد غزوت معنا أفريقيّة وإنّك لأقلنا مالاً ورقيقاً وأعواناً وأخفنا ثقلأً، فأعطاك ابن عفّان خمس أفريقيّة وعملت على الصدقات فأخذت أموال المسلمين. فشكاه مروان إلى





عروة وقال: يغلظ لي وأنا له مكرم متق (انساب الأشراف ج ٥: ص ٥١٥). وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: أمر (عثمان) لمروان بمائة ألف من بيت المال وقد زوجته ابنته أم أبان، فجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح فوضعها بين يدي عثمان وبكى فقال عثمان: أتبكي إن وصلت رحمي؟ قال: لا. ولكن أبكي لأنني أظنك إنك أخذت هذا المال عوضاً عما كنت أنفقت في سبيل الله في حياة رسول الله ﷺ، ولو أعطيت مروان مائة درهم لكان كثيراً، فقال: ألق المفاتيح يا ابن أرقم فإننا سنجد غيرك، وأتاه أبو موسى بأموال من العراق جليلة فقسمها كلها في بني أمية! (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١: ص ١٩٩) وقال الحلبي في سيرته: وكان من جملة ما انتقم به على عثمان أنه أعطى ابن عمه مروان بن الحكم مائة ألف وخمسين أوقية، وأعطى الحارث عشر ما يباع في السوق أي سوق المدينة وأنه جاء إليه أبو موسى بكيلة ذهب وفضة فقسمها بين نسائه وبناته وأنه أنفق أكثر بيت المال في عمارة ضياعه ودوره وأنه حمى لنفسه دون إبل الصدقة وأنه حبس عبد الله بن مسعود وهجره وحبس عطاء وأبي بن كعب ونفى أبا ذر إلى الربدية، وأشخص عبادة بن الصامت من الشام لما شكاه معاوية، وضرب عمار بن ياسر وكعب بن عتبة ضربه عشرين سوطاً ونفاه إلى بعض الجبال، وقال لعبد الرحمن بن عوف: إنك منافق وإنه أقطع أكثر أراضي بيت المال وأن لا يشتري أحد قبل وكيله وأن لا تسير سفينة في البحر إلا في تجارته وأنه أحرق الصحف التي فيها القرآن وأنه أتم الصلاة بمنى ولم يقصرها لما حج بالناس وأنه ترك قتل عبيد الله وقد قتل الهرمزان وقد أجاب عن ذلك كله في الصواعق فراجع (السيرة الحلبية ج ٢: ص ٢٧٣).

وإلى غير ذلك من الروايات والنصوص التي رواها علماء أهل السنة في مخالفة خلفائهم للشريعة المقدسة، من نهب أموال المسلمين من بيت المال وغيره وهي صريحة في الدلالة. وبعد صراحة الروايات والأخبار في مخالفة الخلفاء الثلاثة. فأهل السنة الذين يعتقدون بخلافه الخلفاء الثلاثة، فإنهم يعتقدون على خلاف ما جاء في القرآن والسنة النبوية في المقام، لأنهم يعتقدون بأن التقرب إلى الله يتحقق بالسلطة والقدرة الظاهرية التي قد يحصل لمن يظفر عليها وإن كان قد تحقق بيد أفسق الفساق وبالإرهاب وقتل





النفوس المحترمة وهتك الأعراض و...، وعلى هذا الأساس يعتقدون بأفضلية الخلفاء الثلاثة. ولا يخفى على الخبير بأن هذا الاعتقاد مخالف لصريح ما جاء في القرآن والسنة النبوية الصحيحة لدى جميع المسلمين، حيث إن القرآن الكريم جعل إكسير الكرامة ورمز السعادة والعزة في التقوى، فقال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (سورة الحجرات: ١٣). فالقرآن يشطب بالقلم الأحمر على جميع الامتيازات الظاهرية والمادية، ويعطي الأصالة والواقعية لمسألة التقوى والخوف من الله، ويقول أنه لا شيء أفضل من التقوى في سبيل التقرب إلى الله وساحته قدسية. وحيث أن "التقوى" صفة روحانية وباطنية ينبغي أن تكون قبل كل شيء مستقرة في القلب والروح، وبما أن المدّعون للتقوى كثيرون والمتصفون بها في قلة، فإن القرآن يضيف في نهاية الآية قائلاً: إن الله عليم خبير. فالله يعرف المتقين حقاً وهو مطلع على درجات تقواهم وخلوص نياتهم وطهارتهم وصفائهم، فهو يكرمهم طبقاً لعلمه ويشبههم. وأما المدّعون الكذبة فإنه يحاسبهم ويجازيهم على كذبهم أيضاً. فبأي وجه قدّم أهل السنة أبي بكر على غيره مع أنه كان يعترف ليس بخير من غيره من الصحابة؛ فكان يقول على رؤوس الأشهاد: "وليتكم ولست بخيركم" (المعجم الأوسط للطبراني ج ٨: ص ٢٦٧). وقال الدهلوي: فلما توفيت فاطمة عليها السلام بعث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على أبي بكر وقال: «انتني وحدك». فجاءه أبو بكر في بيته، فجلسا وتحدثا، ثم قال علي لأبي بكر: «إنك استأثرت هذا الأمر دوننا...»، فقال أبو بكر: يا أبا الحسن، كان الأنصار يدعون هذا الأمر لأنفسهم، وكانوا يريدون أن ينصبوا أميراً منهم، وكان يخاف منهم الفتنة، فتسارعت إلى إطفاء الفتنة وأخذت بيعة الأنصار. وإن كان لك في هذا الأمر رغبة، فأنا أخطب الناس وأقيل بيعتهم وأبايعك والناس، فقال أمير المؤمنين: «الموعد بيني وبينك بعد صلاة الظهر»، فلما صلوا الظهر رقى أبو بكر المنبر وقال: أقيلوني، فلست بخيركم وعلي فيكم... (انظر دلائل الصدق ج ٣: ص ٨١). وقد اتفقت كلمة علمائهم على صحة هذا الحديث وقول أبي بكر: لست بخيركم. وإذا كانت هذه الكلمة هي القدر المتيقن من كلام أبي بكر فيها الكفاية؛ لأن مدلولها قرار منه على نفسه عند أهل السنة. وإذا كان أهل السنة يشترطون الأفضلية





في الخلافة، فمعناه أنّ أبا بكر فاقد لشرائط الخلافة، وذلك باعتراف نفسه. وأيضاً يبطل به ما قاله عمر بن الخطّاب في السقيفة مخاطباً لأبي بكر: أنت سيّدنا وخيرنا... (انظر صحيح البخاري ج ٤: ص ١٩٤ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم). فإنّ اعتراف أبي بكر أيضاً ينفي قول عمر، وهناك روايات كثيرة بهذه المضامين رواها محبّ الدين الطبري في كتابه رياض النضرة، وقد فتح باباً في أحوال أبي بكر، وقال: باب ذكر استقالة أبي بكر من البيعة، منها: ما رواه عن زيد بن أسلم قال: دخل عمر على أبي بكر وهو أخذ بطرف لسانه، وهو يقول: إنّ هذا أوردني الموارد، ثمّ قال: يا عمر لا حاجة لي في إمارتكم. قال عمر: والله لا نقيلك ولا نستقيلك (ثلاثاً)، خرّجه حمزة بن الحارث. وعن أبي الجحاف قال: قام أبو بكر بعد ما بوع له وباع له علي وأصحابه، فأقام ثلاثاً يقول: أيّها الناس قد أقلتكم بيعتكم هل من كاره...؟ خرّجه ابن السّمّان في الموافقة. وعنه قال: احتجب أبو بكر عن الناس ثلاثاً يشرف عليهم كلّ يوم يقول: قد أقلتكم بيعتي فبايعوا من شئتم...، خرّجه الحافظ السّلفي في المشيخة البغدادية وابن السّمّان في الموافقة. وأبو الجحاف هذا هو داود بن أبي عوف البرجمي التيمي مولاهم، كوفي ثقة، روى عن غير واحد من التابعين (انظر الرياض النضرة لمحّب الطبري ج ٢: ص ٢٥١). وفي تاريخ الخميس ما نصّه: ذكر ابن حبّان: إنّ أبا بكر قام في الناس بعد مبايعتهم إيّاه يقيّلهم في بيعتهم ويستقيّلهم فيما تحمّله من أمرهم، ويعيد ذلك عليهم، كلّ ذلك يقولون له: والله لا نقيلك ولا نستقيلك... (تاريخ الخميس - ذكر بيعة أبي بكر، من الموطن الحادي عشر). فأصل القضية مورد اتّفاق أهل السنّة، وإنّ كلامه لست بخيركم... عام يشمل جميع الأمور، فيشمل قوله على عمومته: لست بخيركم ديناً. فإجماع أهل السنّة تقديم أبا بكر على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يكون باطلاً بالبداهة، لأنّ أبا بكر كان رعية من الرعايا وليس له فضيلة على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام باعتراف نفسه، فلا يجوز تقديمه على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وتطبيق هذه القاعدة في المقام يقتضي القول بعدم جواز تقديم أبي بكر على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وكذلك تقتضي عدم جواز تقدّم عمر وعثمان على





الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. ولا ندري كيف رفع أهل السنة مقام الرعية عن أبي بكر مع أنّ أكثر الصحابة كانوا أفضل منه باعتراف نفسه وقوله: وليتكم ولست بخيركم...، وهناك أدلة كثيرة على أنّ أكثر الصحابة كانوا أفضل من أبي بكر التي سنذكرها محلّه إن شاء الله تعالى، فلاحظ.

منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨ ١٠٩٣

الفهرس

٥	كلام ابن تيمية
٧	الجواب عن ابن تيمية غالب دعاويه انكار المسلمات.....
٧	في الجواب وجوه من البحث.....
٨	الرد على ما زعمه من أنّ حال جميع الصحابة السابقين كابن سعد.....
١٢	ما ذكره من أنّ جميع الصحابة حالهم واحد تدليس.....
١٦	ما ذكره العلامة الحلّي رحمه الله بالنسبة إلى حال أكثر الصحابة.....
٢٠	دلالة آية انقلبتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ.....
٢٣	دلالة حديث الحوض.....
٢٦	وما دلّ على إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام
٥٥	عدم لياقة الخلفاء الثلاثة لمقام الخلافة والامامة.....
٦٥	الرد على ما زعمه من وصف سعد بن أبي وقاص.....
٧٢	الرّد على ادعاء أنّ جميع الصحابة كانوا من أزهد الناس.....
٧٨	معنى الزهد الشرعي.....
٨٢	الزهد بمعنى طاعة الله ورسوله.....
٨٥	الزهد بمعنى ليس في عنقه بيعة الإمام وعدم كون موته ميتة جاهلية
٨٧	الزهد بمعنى شمول دعاء النبي له: اللهم وال من والاه.....
٩٠	سعد بن أبي وقاص ممن خذله الله سبحانه.....

١٠٩٤	 منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨
٩٢	هل الديانة والزهد الشرعي لا يتصور في أمثال سعد بن أبي وقاص.....
٩٤	المعيار في معرفة دين الرجل وزهده متابعتة للشريعة.....
٩٦	لم يعمل سعد بن أبي وقاص بما رواه في امامة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام
١٠٠	من أين حصل لسعد بن أبي وقاص الشهرة والسمعة.....
١٠٧	مخالفة سعد بن أبي الوقاص للحق ، وأنه خذل امام الحق.....
١١٣	سعد بن أبي وقاص لم يقاتل الدعاة إلى النار.....
١١٦	سعد بن أبي وقاص لم يتب إلى أن مات.....
١١٨	فهل يصح مثل سعد أن يكون من العشرة المبشرة؟!.....
١٢٠	سعد بن أبي وقاص ممن شاقق الرسول صلى الله عليه وآله
	سعد بن أبي وقاص خالف ما نقله «إن الله عز وجل يحب العبد التقي الغني
١٢١	الخفي».....
١٢٢	سعد بن أبي وقاص لم يعمل بالأخبار التي رواها عن النبي صلى الله عليه وآله
١٢٧	سعد بن أبي وقاص كان ممن تابع الهوى.....
١٣٠	ليس عذر لسعد بن أبي وقاص بعد علمه بالحق.....
١٣٢	مخالفة سعد بن أبي وقاص للحق حتى على مباني أهل السنة.....
	اعتراف أهل السنة بأن الناس هرعوا إلى بيعة الإمام أمير المؤمنين علي بن
١٣٥	أبي طالب عليه السلام بعد قتل عثمان.....
	ما زعمه ابن تيمية من تفضيل الشيعة محمد بن أبي بكر على أبيه ليس قابلاً
١٣٨	للقياس.....

١٠٩٥		منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨
١٤٠		لا وجه للتفضيل مع عدم المشاركة فيه
١٤٠		تعظيم الشيعة لمحمد بن أبي بكر من جهة إيمانه ومتابعته إمامه
١٤٣		هل أن محمد بن أبي بكر اشترك في قتل عثمان
١٤٥		محمد بن أبي بكر من زهاد قريش ونساکها وعبادها
١٤٦		محمد بن أبي بكر يحمده في أذيته لذوي الفساد
١٥٤		دلالة قوله تعالى: وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
١٥٦		قصة ودعاية في المحاولة فاشلة من أهل السنة
١٦١		الرد على ما نسبته ابن تيمية إلى الشيعة من سبهم أبا بكر
١٦٢		دلالة حديث ستة لعنتهم، ولعنهم الله وكل نبي مجاب
١٦٣		أبو بكر استحله من عترته ﷺ ما حرّمه من التقدم عليهم والتأخر عنهم
١٦٤		أبو بكر على الأمة بالجبروت ليدل من أعزه الله ويعز من أذله الله
		شمول حديث ستة لعنهم الله لمن ترك سنة الرسول في امامة أمير المؤمنين
١٦٤		علي بن أبي طالب عليه السلام
١٦٩		مخالفة السنن وتبديلها بالبدع
١٧٤		وجميعهم قد استحله من عترته ﷺ ما حرّمه من التقدم عليهم والتأخر
١٧٥		حمل النار والخطب إلى بيت الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام
١٨٥		محاربة أهل البيت عليه السلام بدل نصرتهم
١٨٧		أتباع خلافة السقيفة جميعهم متسلطون بالجبروت
١٩٠		أتباع خلافة السقيفة جميعهم مذلين لمن أعزه الله

١٠٩٦	 منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨
	شيعه البيت عليه السلام هم المؤمنون حقاً وصدقاً وهم المتأخرون عن أهل
١٩٢	البيت عليه السلام
	دلالة قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا
١٩٦	بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ.....
١٩٨	السبِّ واللعن على ما جاءت به الشريعة كتاباً وسنةً.....
٢٠٢	المؤمن لا تأخذه في الله لومة لائم.....
٢٠٤	ما يضرّ الايمان المخالفة لله ورسوله صلوات الله عليه
٢٠٩	دلالة قوله تعالى: وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ.....
٢١٠	فما عساهم يتعذرون عن هذه المشاقات.....
	ما هو المقصود بالشيعة في الأدلة والنصوص وما هو المقصود بالناصبي في
٢١٥	الأدلة والنصوص؟.....
٢٢٣	معنى الناصبة والروافض.....
٢٢٨	افتراء ابن تيمية على الشيعة.....
	ثبوت نفاق الناصبة من حيث بغضهم للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي
٢٣١	طالب عليه السلام ، من يكون حبه إيمان وبغضه نفاق.....
٢٣٢	متابعة الشيعة الاثني عشرية الشيعة للشريعة.....
	ما زعم من وجود الشرّ في الشيعة يلزم القول بأنّ الشريعة المقدّسة شرّ من
٢٣٥	حيث مطابقة ما صدر منهم لها.....
	وجود الشرّ في خير أمة وتغيير نبذة من شريعتها من سلف السنّي من يوم

١٠٩٧		منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨
٢٣٧		قامت السقيفة على إمامة ابن أبي قحافة فجعلته خليفة
		متابعة أهل السنة للمبتدعات والمناكير التي أحدثها خلفاء الجور فساد أتباع
٢٤٠		السقيفة بسبب فساد خلفائهم
٢٤٢		اصل الفساد والضلالة من خلفاء أهل السنة
		النصوص والروايات الدالة على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي
٢٤٧		طالب عليه السلام الواردة عن طرق أهل السنة
٢٥٠		عدم وجود فضل فيمن تقدّم على العترة عليهم السلام ومن تأخر عنهم
٢٥٣		بطلان دعوى ابن تيمية من أفضلية أبابكر من سعد بن أبي وقاص
٢٥٤		الفرق بين ما فعله سعد وأبو بكر
		نعم حال سعد بن أبي وقاص كحال الغالب أتباع السقيفة ممن هم يتبعون
٢٦٠		أهل البدع والمناكير ويطيعونهم
٢٦١		بيان ما هو الحق في الفرق بين أبي بكر وسعد
٢٦٣		الرد على ما زعمه من كون عثمان أبعد عن استحقاق القتل من الحسين عليه السلام
٢٦٧		طلب الناس من عثمان ليعزل نفسه فلم يعزل
		قول أمير المؤمنين لعثمان: «إنّ الناس محتاجون إلى عدلك دون قتلك
٢٧١		فأنصفهم من عمّالك»
٢٧٤		تعهد عثمان أن يرفع المظالم الى ثلاثة أيام
٢٧٥		حلف عثمان كاذباً أن يرفع المظالم عن الناس
٢٧٦		خيروا عثمان بين قتل والعزل

١٠٩٨	 منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨
٢٧٦	لم يعمل عثمان بما تعهّد وما اشترطوا عليه فقتلوه.....
٢٧٧	قتل عثمان كان من أجل لرفع الفساد عن المجتمع الاسلامي.....
٢٨٣	مخالفة عثمان لما عهده.....
٢٨٦	حلف عثمان كاذباً أن يرفع المظالم عن الناس
٢٩١	سيرة عثمان سبب الفساد في المجتمع الاسلامي.....
	وعد بأن يعزل الظلمة وحلف على ذلك يميناً فاجرة حيث جعل في الباطن
٢٩٨	يستعد لنصرة الظلمة في الحرب للمظلومين.....
٣٠١	فمن المفسد الذي دمه هدر؟.....
٣٠٢	وهل يتصور فساد مثل فساد، بتسليط المفسدين على عباد الله.....
٣٠٦	تأمّر عثمان على الناس ظلم عظيم وفساد جسيم لتقدمه على العترة عليها السلام
٣٠٩	دلالة رواية الخروج عن السلطان.....
٣١٢	ترويج عثمان المبتدعات والمناكير.....
٣٣٠	احياء الاسلام بشهادة الإمام الحسين عليه السلام
٣٣٥	دلالة حديث الثقلين.....
٣٣٩	الإمام الحسين عليه السلام هو الخليفة وإمام الخلق بعد أخيه الحسن عليه السلام
٣٤٩	لما هلك معاوية طلب أهل الكوفة منه عليه السلام التوجه إليهم ليصير إماماً عليهم
	تصريح علماء أهل السنة بمراسلة الكتب الى الإمام الحسين عليه السلام حتى بعث
٣٥٣	الامام ابن عمّه مسلم بن عقيل اليهم.....
٣٥٩	فعلم بهتان السنّي بقوله طلبها الحسين عليه السلام

١٠٩٩		منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨
٣٦٧		الإمام الحسين عليه السلام لم يسر إلى الكوفة إلا بعد اقامة الحجة منهم عليهم
٣٦٨		فأرسل ابن عمه مسلم عقيل إليهم ليختبرهم فبايعوه
٣٨٠		لما وصل مسلم بن عقيل إلى الكوفة ظهر غدرهم به فجاهدهم في سبيل الله حتى رزقه الله الشهادة
٣٨٨		وقد حاول القوم ذلة مسلم بن عقيل فأبى من ذلك إلى أن استشهد في الكوفة
٣٩٢		فإن العزة لله ورسوله وللمؤمنين
٣٩٣		الفرق قاتل الامام الحسين عليه السلام خالد في النار وقاتل عثمان في الجنة
٣٩٥		الأدلة الدالة على أن عثمان من المفسدين في الأرض وحكمه في القرآن واضح
٤٠٥		ثبت فرية ابن تيمية في ادعائه الكاذب بأن عثمان كان مظلوماً
٤٠٨		الرد على ما زعمه بأن قتل عثمان كان سبباً لوقوع أعظم الفساد
٤١٢		قد حصل كل الخير بسبب قتل عثمان من الجهات العديدة
٤١٨		منها: بث يد الغاصب حق أهل البيت عليهم السلام
٤٢٣		منها: نجاة المسلمين من ظلمه وظلم عماله
٤٢٧		ومنها: جلوس إمام الحق في محلّه الذي جعله الله سبحانه فيه
٤٢٩		ومنها: تميز الخبيث من الطيب
٤٣١		بقتل عثمان حصل التمييز بين المنافق والمؤمن
		فوز جماعات من المؤمنين بدرجة السعادة من الشهادة في الجهاد مع فساد

١١٠٠	 منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨
٤٣٢	 عثمان
٤٣٣	 بقتل عثمان اندفع شرّ المنافقين عن المؤمنين
٤٣٥	 ومنها: ظهور مذهب الحقّ
	فعلم فرية السنّي في دعوى لزوم الفساد من قتله بهذه الجهات المشار إليها
٤٣٧	 التي هي خير قد ترتب على قتله
٤٤٣	 حكم المفسد في الأرض في القرآن الكريم
٤٤٩	 ما صدر من عجب البليّات والطاقت بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام
٤٥٢	 الإمام الحسين عليه السلام ربحانة رسول الله ﷺ
٤٥٤	 الإمام الحسين عليه السلام سيّد شباب أهل الجنّة
٤٦٢	 الإمام الحسين عليه السلام أحد من ذهب به الرسول ﷺ إلى المباهلة
٤٦٥	 الإمام الحسين عليه السلام أحد من طهرهم الله من الرجس
٤٦٨	 الإمام الحسين عليه السلام من الذين من لم يحبهم لم يدخل في قلبه إيمان
٤٧١	 الإمام الحسين عليه السلام إمام الخلق في زمانه
٤٧٧	 إحدى الطامات في فاجعة كربلاء نهبهم رحله بعد قتله وهو رحل النبوة.....
	إحدى الطامات في فاجعة كربلاء تأسير النساء وذرية المصطفى ﷺ
٤٨٠	 وعثرته ﷺ
	إحدى الطامات سوقهم نسائه سبايا من بلد إلى بلد إلى مجلس المنافق
	الطليق بن الطليق صاحب الفجور وشارب الخمر يزيد بن معاوية هل
	صدر على من سلف من الرسل وغيرهم مثل ما صدر على الإمام

١١٠١	 منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨
٤٨٥	 الحسين عليه السلام
	هل صدر مصيبة على من سلف من الرسل عليهم السلام وغيرهم مثل ما صدر على
٤٩٢	 الإمام الحسين عليه السلام
٥٠٠	لم يحصل تغير في شهادة أحد مثل ما حدث في شهادة الإمام الحسين عليه السلام .
٥٠٤	نقل جماعة من عمد أهل مذهبه أنّ الدنيا مطرت دماً عبيطاً يوم قتله عليه السلام
	وحسب طالب الحق المنصف في معرفة شدة عظمة هذه المصيبة ما نقلنا
٥٠٧	 هنا دون غيره.
٥١١	ما نقل عن الزهري: إنّ مطر الدم قد صدر بعد قتل أمير المؤمنين علي عليه السلام
٥١٢	 الفضل والمعجزة حدث لقاتل عمر وعثمان.
٥١٦	 التدبر والتبصر في الحق.
	ما زعمه من كون غاية ابن سعد أنّه معترف بأنّه طلب الدنيا بمعصيته، معترفاً
٥١٨	 بأنّها معصية.
٥٢١	 نصّ ابن سعد في شعره صريحاً على زندقته نفسه بإنكاره المعاد.
٥٢٥	 شعر ابن سعد الذي يدلّ على أنّه لم يكن من المسلمين.
	وشعر ابن سعد الذي فيه هذا النصّ : يقولون إنّ الله خالق جنّة * ونار
٥٢٦	 وتعذيب وغلّ يدين.
٥٢٧	 من كانت عقيدته فاسدة لا يكون كالمؤمن المذنب.
	ابن سعد من أهل الزندقة والملحدين مثل الباطنية الهادمين باطناً لشريعة
٥٣٠	 سيّد المرسلين صلّى الله عليه وآله

١١٠٢	 منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨
٥٣١	الباطنية فرقة ضالة ونسبتها الى الشيعة من أعظم شنايع ابن تيمية
٥٣٤	فأي نقص يرد على الشيعة من جهة إنّ ابن تيمية نسب اليهم النسب الباطلة
٥٣٦	الهدف من النسب الباطلة الى الشيعة تجذيب قلوب أتباع خلافة السقيفة...
٥٣٨	 اشارة التدبر...
٥٤٣	 ما قاله ابن تيمية في المختار.....
٥٤٦	 المختار ليس أول الشيعة.....
٥٥٠	 المختار من خيار الشيعة.....
	المختار منتقم من قتلة سيّد شباب أهل الجنة ﷺ لذلك كرهه ابن تيمية ما
٥٥٣	 فعله المختار نصرة منه لله ورسوله ﷺ.....
٥٥٦	 المختار جاهد في الله ونصر عترة رسول رب العالمين ﷺ.....
٥٦٠	 المختار قتل المنافقين الذين قتلوا عترة رسول الله ﷺ.....
٥٦٣	 الرد على دعوى أنّه قد ادّعى نزول جبرئيل عليه.....
	حقيقة المختار معلومة من سيرته وشعاره لدى الناس المنقول بالنقل اليقيني
٥٦٤	 طبقة عن طبقة الطلب بثار الحسين ﷺ.....
٥٦٩	 وقد فعل ذلك فاستأصل قتلته فقتلهم.....
	ما نسبته اليه من دعوى النبوة ونزول جبرئيل ﷺ عليه فلم يظهر منه شيء ما
٥٧٥	يدل عليه، فمن سمعه ومن تابعه ومن ردّ عليه ذلك من معاصريه وغيرهم
٥٨١	 أمّا فساد عثمان وكونه مهدوراً للدم كان يعرفه العالي والداني.....
	من يدّعي ما هو كفر بضرورة الدين وهو رجل معروف بين الناس كيف لم

- منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨ ١١٠٣
- يقابله من هو في عصره بالردّ عليه ولم يتابعه على ما نسب إليه أحق من
- الخلق..... ٥٨٦
- قد نرى من يدّعي الباطل يتابعونه جماعات من ذوي الحماقة الطمّاعين ولم
- نجد متابعاً له على ما نسبتموه إليه..... ٥٩١
- أصحاب المختار كانوا من خيار عباده الله المحسنين بحسب رواياتهم ٥٩٤
- أمّا الحجاج فمعلوم وظلمه ليس يخفى على الناس..... ٥٩٨
- الحجاج مسرف في قتل وحبس ممن لم يستحقّ العقوبة والحبس..... ٦٠٤
- حكم أهل السنة بجواز الصلاة خلف كل بر وفاجر..... ٦٠٦
- فأي خبر نسب إلى المختار فبان فريته ، وبأيّ طريق ثبت ما نسبوه إليه من
- دعوى النبوة ونزول جبرئيل عليه؟!..... ٦٠٩
- رواياتهم افتراءات من جماعة من أتباع السقيفة..... ٦١٢
- المتابعون لأبي بكر وعمر وعثمان كانوا أهل البدعة ٦١٩
- لم ينقل عن المختار العمل في شيء مما خالف الشريعة..... ٦٢٦
- ولعلهم يزعمون أنّ قتل المختار لقتلة الامام الحسين عليه السلام كان مخالفة
- للشريعة..... ٦٢٩
- قد رووا في كتبهم ما دلّ على خطاب الله سبحانه نبيّه بأنّه قتل يحيى عليه السلام
- سبعين ألفاً..... ٦٣٢
- قد دلّ الخبر على مظلوميّة الامام الحسين عليه السلام وعلى أنّ المنتقم له هو الله
- سبحانه بقتله ضعف من قتله في يحيى عليه السلام..... ٦٣٣

١١٠٤	 منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨
	الرد على ما زعمه ابن تيمية من وجود شدة الشر في رجال الشيعة وشدة
٦٣٥	 الخير في رجال المارقة
	توضيح بهتان ما زعمه ابن تيمية مما مرّ بيانه بآيات الفرقان العظيم والسنة
٦٤٤	 الشريفة
٦٤٦	 بهتان ما ذكره ابن تيمية من الكتاب والسنة
	القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فيهما الذم على الخلفاء الثلاثة
٦٥٨	 ومطاعنهم وذم من تابعهم بشكل وسيع
٦٦٧	 من الذين ذمهم القرآن والسنة المارقة
٦٦٩	 من هم الشيعة الاثني عشرية بحب النصوص
٦٧١	 الادلة والنصوص من أهل السنة الدالة على لزوم متابعة الشيعة
٦٧٣	 الادلة التي تستدل به الشيعة على لزوم متابعة الشرعة المحمدية
	ما هو الخير الذي يتصور في أهل السنة الذين جرت سيرتهم على مخالفة
٦٧٧	 الشريعة
٦٨٦	 أهل السنة يتولون اهل البدعة
٦٩٠	 فقدان خلفاء أهل السنة شرائط الامامة كالعلم
٦٩٤	 بالظلم وتبرئتهم من المؤمنين حقاً
٦٩٨	 غلو اتباع السقيفة في حق المبدعين وخلفائهم
٧٠٢	 تذليل أهل البيت عليهم السلام من أهداف الغاصبين للخلافة وأتباعهم
٧٠٦	 الادلة الدالة على عصمة أهل البيت عليهم السلام

١١٠٥		منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨
٧١٢		الادلة الدالة على وجوب طاعة أهل البيت عليهم السلام ومتابعتهم
٧١٥		الادلة الدالة على وجوب التعلم من أهل البيت عليهم السلام
٧٢٤		التكذيب على الشيعة بتقديم الآخرين عليهم
٧٢٦		غلو الفاحش من أهل السنة في خلفائهم وأتباع السقيفة
٧٣١		الغلو في خلفائهم مخالف للسنن الثابتة عندهم
٧٤١		ما نقله كبار علمائهم من المبتدعات والمناكير لخلفائهم كلام ابن تيمية
٧٤٥		كلام ابن تيمية
٧٤٧		الجواب عن ابن تيمية غالب دعاويه انكار المسلمات
٧٤٧		الرد على ما زعمه ابن تيمية بوجوه
		الرد على ما زعمه ابن تيمية من تكذيب العلامة الحلي رحمته الله في بيان أصناف
٧٥٤		الصحابة
٧٥٧		التناقض الواضح في كلام ابن تيمية بالنسبة الى تقسيم الصحابة
٧٥٨		لا أثر في مقام لتقسيم ابن تيمية الصحابة الى المعروفين وغير المعروفين...
٧٥٩		الأثر في تقسيم الصحابة الى الصادقين وعدم كونهم من الصادقين
		ما ذكره ابن تيمية في المقام ليس أول مناقضة منه ومخالفة للشريعة منه في
٧٦١		محاوراته بل جرت سيرته على ذلك
		ما زعمه ابن تيمية من تقسيم الصحابة الى المعروفين وغير المعروفين لا
٧٦٥		الدليل عليه
		البهتان على نحو الإطلاق يشعر بأن ما ادعاه ابن تيمية يكون بهتاناً على الله

١١٠٦	 منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨
٧٦٧	 ورسوله وعلى الشيعة.
٧٧١	 كتمان الحق من اساليب ابن تيمية.
٧٧٤	 تقسيم الصحابة بحسب مقتضى القواعد الشرعية المقررة في الإسلام.
٧٧٦	 المقصّرّين من الصحابة من جهة معرفتهم الحقّ وعدم متابعتهم له.
٧٧٨	 النصوص الدالة على تقصير الصحابة في البحث عن معرفة الخليفة.
٧٨٢	 بعد معرفة الصحابة الحق بقي أكثرهم على حميتهم للجاهلية بيعتهم الباطلة
٧٨٧	 القسم القاصر من الصحابة.
٧٨٨	 الهوية الشخصية لأبي قحافة والد أبي بكر.
٧٨٩	 هل أنّ رضى آل عبد مناف شرط في الخلافة.
٧٩٠	 المعيار في إمامة الرجل على الخلق.
٧٩٣	 هل أنّ أبا قحافة كان جاهلاً قاصراً بالنسبة إلى مسألة الإمامة.
	لو كان أبو قحافة جاهلاً قاصراً لكان وظيفته الفحص ليعلم هل أنّ سادة بني
٧٩٦	عبد مناف تخلفوا عن بيعة ولده أم لا.
	السنن التي سمعها الصحابة من خاتم الرسل ﷺ في الامامة والخلافة من
٧٩٨	بعده.
٨١٤	 ثبت بنقل مذهب السنّي صدق ما قاله العلامة الحلّي رحمه الله من التقسيم.
٨١٥	 الرد على ما زعمه من أنّ الشيعة قوم بهت.
٨١٧	 ارادة المعنيين المتضادين في ما ادعاه ابن تيمية من أنّ الشيعة قوم بهت.
	مخالفة أهل السنة وسائر فرق أهل القبلة في تأسيس مذهبهم للشريعة

١١٠٧		منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨
٨١٩		المقدسة.
٨٢٠		دلالة حديث جميع الفرق في النار إلا الفرقة الناجية.
		ولو قصد بهم الاثني عشرية الشيعة فبهتانه يتضح بسنن التي رواها علماء
٨٢٤		أهل السنة الدالة على صدق كلام الشيعة الاثني عشرية.
٨٢٩		أدلة متابعة الشيعة للشريعة المقدسة.
٨٣١		متابعة أهل السنة للمبتدعات الشيعة.
٨٣٣		القوم البهت هم من تسمى بأهل السنة.
٨٣٨		أن من تحريفات أتباع خلافة السقيفة قولهم بعدالة الصحابة جمعاء.
٨٤٤		الرد على ما رواه ابن مسعود ما رآه المؤمنون حسناً.. إلى آخره.
		على فرض أن المسلمين كانوا يرون من يحارب الله ورسوله ﷺ انساناً
		حسناً، فهل يصح أن يقال: أنه حسن مع ما وجدوا منه المنكرات والبدع في
٨٤٥		الدين؟!.
		دلالة الآيات والنصوص الدامة كآية انقلبتم على الصحابة الذين صدر منهم
٨٤٨		المنكرات والبدع في الدين فأفعالهم ليس بحسن.
٨٥٠		دلالة حديث ستّة لعنتهم ولعنهم الله وكلّ نبيّ مجاب.
٨٥١		دلالة حديث الثقلين.
٨٥٤		دلالة حديث السفينة.
		والمنقلب على العقب، والملعون على لسان الانبياء ﷺ بهذه الدرجة، ليس
٨٥٨		بمؤمن قطعاً.

١١٠٨	 منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨
٨٥٩	 معنى خبر خير القرون.....
٨٦١	 عرض خبر خير القرون على السنن وما يناسبه من المعنى.....
٨٦٣	 الرد على ما زعمه ابن تيمية من كون الشيعة من أجهل الناس.....
٨٧١	 النصوص الواردة في صفات الشيعة دليل على بهتان ابن تيمية.....
٨٧٣	 يكفي لمعرفة الشيعة ملاحظتهم من جهة العلم والمعرفة والتدين والصدق والورع ومتابعتهم للشريعة.....
٨٧٥	 مناظرات الشيعة مع خصمهم دليل على بهتان ابن تيمية عليهم.....
٨٨٧	 عدم اقامة السنن الحجة على الشيعة دليل على جهله.....
٨٩٦	 شهادة كتب أهل السنة على صدور المشاقات والمبتدعات والمناكير من سلفهم من.....
٩٠٤	 من هو أجهل الناس على صعيد الواقع.....
٩٠٩	 من أظلم للحق بعد العلم به على صعيد الواقع.....
٩١٠	 إشارة التدبر.....
٩١٢	 بهتان وشناعة ابن تيمية في تقديم بعض عامة العمياء على الشيعة.....
٩١٣	 اعتراف علماء أهل السنة ، بأن علماء الشيعة سابقون عليهم في جميع العلوم والفنون الاسلامية في تصانيفهم.....
٩١٧	 تقدّم علماء الشيعة في جميع العلوم الإسلامية على غيرهم من المذاهب الإسلامية سوى علم البديع.....
	 كتاب تأسيس الشيعة الكرام لعلوم الإسلام في تقدم الشيعة في العلوم

١١٠٩		منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨
٩١٩		الاسلامية لآية الله السيد حسن الصدر
٩٢٣		الدعوى بلا دلائل لا يفيد في تزكية أهل مذهبه
٩٢٧		حكام الشيعة مشهورون في تشييد الدين مثل آل بويه وغيرهم
٩٤٣		الشيعة هم أهل العلم والزهد والعبادة والصدق
٩٤٤		فثبت بهتان ابن تيمية فكيف يمكن أنهم من الجهل وهم مقدمون في العلوم
٩٥٤		الرد على ما زعمه من ظهور الرفض في شرّ الفرق مثل النصيرية
٩٥٥		ادعائه على الشيعة ليغش أهل نحلته
٩٥٨		فأيّ دخل بما زعمه للشيعة
٩٦١		فإنّه كان يعلم بأنّ هذه الفرق المنسوبة الى الشيعة منافقون ضالّون مضلّون
٩٦٥		بهتان وخيانة من تسمّى بأهل السنّة غير مضرّ للشيعة
		فإن قلت: ما بهتانهم وما خيانتهم؟ قلنا: قد مضى نبذة من ذلك، منها: قولهم:
٩٦٨		بأنّ أبا بكر إمام المسلمين
٩٧٣		وعمر وعثمان مثله
٩٧٨		نقلهم الروايات من النبي ﷺ في امامة أئمة أهل البيت عليهم السلام
٩٨٤		وقولهم: بأنّ امامة أمير المؤمنين علي عليه السلام بعد إمامتهم
٩٩٢		وقولهم: بأنّ الصحابة بأجمعهم عدول
١٠٠٠		دلالة آية كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ... وغيرها
١٠١١		ذكر بعض مخالفات الخلفاء الثلاثة للدين وخیانتهم لله ولرسوله ﷺ
١٠١٣		خلفهم الوعد فمن حيث وعدهم للرسول ﷺ

- ١١١٠ منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج ٨
- ١٠١٨ تضييعهم للدين، ومخالفتهم له.
- الرد على الخبر الذي نقله ابن تيمية عن الصحيحين شامل لهم دون اثني
- ١٠٢٢ عشيرة الشيعة.
- ما ورد من صدق الشيعة في النقل ومحافظةهم على الدين من يخون الله
- ١٠٢٦ بحسب الأدلة.
- الرد على ما زعمه من تزكيته لمن قال: بإمامة الثلاثة من الطبقات المتأخرة
- ١٠٣٣ عن الصحابة.
- ١٠٤٣ تزكية خلفائهم موقوفة على العلم بمتابعتهم للحق.
- ١٠٤٨ يلزم معرفة الحق حتى ينظر إلى متابعتهم.
- ١٠٥٦ فساد مذهب من قال بإمامة الثلاثة.
- ١٠٥٧ فمن قال بإمامتهم من أهل الطبقات المتأخرة فهو على الباطل.
- ١٠٦٣ فالمزكي لهم مفتر.
- ١٠٦٤ فرية الخبر الذي نقله عن شريك.
- ١٠٦٦ بأي وجه زعم أن شريكاً شيعي.
- ١٠٦٩ تنزه الشيعة عن البهتان.
- ١٠٧١ ما زعمه في حق شريك من كونه شيعياً لم يأت عليه بدليل.
- ١٠٨٠ وبالجمله فقد علمت بأن الشيعي من عمل بجميع ما وردت به الشريعة.
- ١٠٨٤ فمن قال بوجود فضل وخير في الثلاثة ليس بشيعي.

هذا الكتاب

تناول هذا الكتاب الفكر الديني بالبحث العلمي والاصولي وبدراسة معمقة مدعومة بقوة الاستدلال وممتانة المنطق في توثيق الواقع وتثبيت عقيدة الحق والدفاع عنها بالحوار الهادف ومناظرة الآخر. والإجابة عما يثيره المعاند من شبهات بحيث لا يتطرق إلى تلك العقيدة الشامخة شبهة ولا يحوم حولها وصمة ريب بأسلوب يلائم جميع الأذواق والمستويات للباحثين عن الحق والحقيقة، والراغبين في الخلاص من مطبات الضياع ودهاليز الضلال، علنا نوفق في رفد المكتبة الاسلامية بما يزيدها غنى وزهاءً.

